

ان فخریہ کے ساتھ فوجی میں



وفاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

اِنَّ مَصْحَرًا هَذَا الزَّمانُ الى السَّوْدِ اِرفع تَضَرُّعًا وَتَهْنِئَةً

الرب لعظم الشكر ارفع

القصيدة العنقوتية المباركة

او

تاريخ شعري لصدر الاسلام

يا علي

اشيخ خزين جاني

٢١٣١
١٩٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد المنيح اظاكي بك

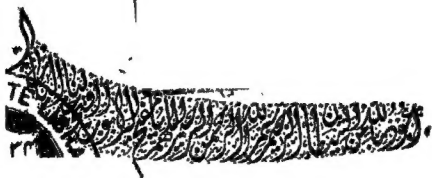
صاحب جريدة الممران في مصر

رشارحة و مستحق حاشيا

مطبعة الممران في مصر



حَضْرَةُ مُرِّ السُّلْطَنَةِ السَّرْدَارِ ارْزَفَعِ صَاحِبِ الْعُقْمَةِ الشَّيْخِ خَزْعلِ خَانَ
 أَمِيرِ نُوَيَّانٍ وَ سَرْدَارِ عَرَبُستَانِ وَ حَاكِمِ الْمُحَمَّرَةِ أَدَامَ اللَّهُ إِجْلَالَهُ



القصيدة

أَزِينْ مَلْحَمَتِي أَنْتَرَا وَأَخْلِينَهَا بِحَمْدِ رَبِّي فَلْيَحْمَدْهُ قَارِئُهَا (١)
وَبِالْصَّلَاةِ عَلَى طَهَ وَحَيْدَرَةِ قَدْ كُنْتُ بَادِعَهَا بَرًّا وَمُنْهَبَهَا
وَبَعْدُ قَدْ وَفَّقَ اللَّهُ الْعَبِيدَ إِلَى هُدًى الْقَصِيدَةِ مَعَ ضَافِي حَوَاشِيهَا
نَظُمْتُ سِيرَةَ مَوْلَانَا أَبِي حَسَنَ فِيهَا عَلَى قَدَرٍ إِذْ رَأَيْتُ خَوَافِيهَا
فَمَا عَرَفْتُ لَهُ فِي الدِّينِ مَأْثَرَةً إِلَّا وَكُنْتُ مَعَ الْإِخْلَاصِ رَاوِيَهَا

(١) عني على نوع خاص أن أحمل القصيدة المباركة الدوايه تاريخاً شعرياً لصدر الاسلام لا يخالفه نراً أبداً ويعرف الشعراء ما في ذلك من الوصف والمكثه وصف محبوب لقاسم شغف ذاتي السكاهين وأخي الرسول الامين أحد سدي التعلين سيدنا علي بن أبي طالب أبي الحسين عليهم وعلى المصطفى الصلاة والسلام والذي أزداني نشاطاً في إمام هذا المشروع المبكر اعتقادي اليقيني بأنه يسر سيدي ومولاي وولي نعمتي من السلطنة سردار أرفع صاحب العظمة الشيخ خزعل خان أمه نويان وسردار عربستان الذي امتاز بح آل البيت الطاهر الحسين وانصرف الى التشيع لهم تقوى وحس يقين وكان القدوة الصالحة للصلحاء المتقين أدام الله علاه وحقق مهامه ووقفنا الى ما يحبه وبرضاه سبحانه ملي من دناه

ولقد دعوت هذه القصيدة المباركة باسم « ملحمة » انماها للمعاراة الدين أطلقوا هذه الكلمة على ما وضعوه نثراً أو نغماً من وفائهم الحربية وتصميمهم التاريخية ونواذرهم الادية ويجمل: باقي هذا المقام ان نشر الى هذه الملاحم العربية كتوتة لبيان مزية هذه القصيدة المباركة في عالم الشعر فأقول: لقد خاق الله الدرب ذوي سابقة شعرية نظيتهم وهي التي جعلت لتهم على ما هو معروف من سمة اعاطها وكثرة كاياتها تلك الصمة الشرعة التي حملت الشعر العربي تاريخاً حياً العرب حتى عرفنا من قليل ما اتصل اليها منه شيئاً كثيراً عن تاريخ حاهليتهم بأنها برحم الناس واما تواريح الانتم الى ماتركوه من حجارة منقوشة وأصابع مدفونة

وَبَعْضُ آثَارِهِ مَا جُثُّ أَذْكُرُهُ وَلَمْ أَزَلْ عَاجِزًا عَنْ ذِكْرِ بَاقِيهَا
 تُخَصِّي الشُّجُومَ وَلَا تُخَصِّي مَنَاقِبَهُ فَكَيْفَ لَا يُذَرِّكُ الْأَعْيَاءَ مُخَصِّصِينَهَا
 مَنْ يَرْجُ أَنْ يَتَوَلَّى مَدْحَ حَيْدَرَةٍ بِضَرِّ آثَارِهِ وَصَفًا وَتَشْبِيهًا
 رَجَا الْمُحَالَّ وَأَعْيَا عَنْ بُلُوغِ أَمَّا نَبِيهِ مِنَ الْمُرْتَضَى أَوْ مَا يَدَانِيهَا
 فَهَذِهِ يَأْذُوِي الْأَلْبَابِ مَلْحَمَتِي أُمْلِي عَلَيْكُمْ بِالْتَقْوَى أَمَالِيهَا
 وَإِنَّمَا خَبَرُ تَارِيخِ لِنَشْأَةِ دِينِنَا اللَّهُ مَعَ مَا جَرَى بَيْنَ الْوَرَى فِيهَا
 وَقَدْ جَهَدْتُ عَلَى عَجْزِي وَرَبِّهِ إِخْلَاصَ لِبَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ أَنْفِيهَا
 أَنْ أُذَرِّكَ بِهَا رِضْوَانَ حَيْدَرَةٍ وَمَنْ بِهِ شَعَفُوا حُبًّا وَتَدَانِيهَا
 وَتَنَاقُؤُهَا مَنُوكِ الْمَعْرِزِ حِينَ الْمُرْتَضَى مَاسُواهَا رُحْتَ أُنْفِيهَا
 تَزَلُّفًا لِأَمِيرِي الْأَرْبَعِي عَمِينَ دَاغِبَاتِ الْخَيْرَاتِ ذَاعِيهَا

ولقد جال الشعراء العرب بشعرهم في جميع ما عرس لهم من الماني كالنزل والتسبب والجزريات
 والزهرات والحكم والحماض والمخر والمذبح والهواء والرثاء فأبدعوا ما شاء الابداع وأبقوا للماء قوداً
 يتعل بها حيد الأدب العربي وكان ذلك منهم في الجاهلية والاسلام الى يوم الناس هذا
 ولم يفت العرب الشعر القصصي فاشتمل به شعراؤهم وأدباؤهم الا انني لم أر واحداً منهم تفرغ
 الى قصة ميمية أو فصل من تاريخ أو واقعة من الوقائع فطلمها قصيدة واحدة أو مجموعة قصائد على
 نحو ما فعل هوميروس اليوناني في الياقة التي نقلها الى العربية شعراً سلمان افندي البستاني الشهير
 وداني التلياني في حليمه والفردوسي الفارسي في شاهنامه وكنت سمعت ان كتاب كليله ودمه
 الشهير قد نظم شعراً أحد شعراء العرب ولكني لم أتوفى الى الاطلاع على مسحة الشعرية وكل
 ما أُملي من الشعر الذي يصح ان يطلق عليه اسم « الشعر القصصي » هو قصة عنتر وسيرة بني دلال
 وما كان من هذا النوع من موضوعات العرب لما فيه من الرواية الا ان واصفي هذه القصص
 حملوها خليطاً بين النثر والطعام فطعموا فيها قطعاً من الشعر القصصي مزجوها بما نثروا من قصصهم
 وهكذا بقي الشعر العربي خلواً من قصيدة جامعة يصح ان يطلق عليها شكل قصصي اسم « الشعر القصصي »
 والذين حدثونا عن كتاب كليله ودمه الشعري قولوا انه كن مجموعة قصائد على محور وتوافر
 مختلفة فإذا بحثت روايتهم فيكون كترجة الالادة الى الشعر العربي بقلم سلمان افندي البستاني وقد
 نظمها أيضاً على أوزان مختلفة وتوافر متنوعة

ولقد تعرض بعض الشعراء الى نظم بعض المألوم روايتهم شعرة كقصيدة ابن سناء في الطب
 وأشبابها كثير ما نظم في الدين وافته بالهجو ولكن ليس للزاجير المرتبة العالية التي لغيرها من
 بحور الشعر لما تلم من كثرة الاماحة والتوسع في اوزن وعدم تيميد الشاعر بالمواي وهي أدرب الى
 النثر المسج من الشعر المنظوم
 ويجوز لنا ان نطلق على سبيل التوسع اسم « الشعر القصصي » على القصائد التي نظم في

وَهُوَ الَّذِي فِي رِضَى طَسَةٍ وَحِدَرَةٍ وَأَبْنَيْهِمَا يُنْزِلُ إِلَهُنَا وَيُنْطَلِبُهَا
وَنَفْسُهُ فِي هَوَى بَيْتِ النَّبِيِّ مِنْ كُلِّ الْبَرِيَّةِ مَعْرُوفٌ تَصْبِيحُهَا
مَا كُنْتُ شَاعِرَهُ إِنْ لَمْ أَجِدْ بِمَدَايِيحِ الْعَلِيِّ إِلَيَّ مَا أَتَىكَ يَزِينُهَا
مِنْهُ عَرَفْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَأَيْتُهُ بِرِيْدِهِ الْحَسَانَ الَّذِي قَدْ كَانَ يُسَدِّدُهَا
وَهَا أَنَا نَاطِلٌ مَا كَانَ يَنْتَرُهُ عَلَى مُحِيطِيهِ مِنْ غَالِي دَرَارِيهَا
وَبِالْوَفَاءِ وَبِالْإِجْلَالِ أَرْفَعُهَا إِلَى مَعَالِيهِ فِي زَاهِي تَلَالِيهَا
شُكْرًا عَلَى النِّعَمِ الْبِجْلِ الَّذِي لَقِينَا مِنْ يَدَيْهِ وَمَا زُلْنَا نُلَاقِيهَا
وَأَيْهَا نَعْمُ السَّرْدَارِ أَرْفَعُ أَغْشَانَنَا وَكَمْ مَعَنَا أَغْنَتْ عَوَافِيهَا
وَحَزَعَلٌ قَدْ تَوَلَّى فِي مَكَارِمِهِ الْقِسْمُ فَهُوَ مَعَ الْأَجْسَامِ يَغْتَدِيهَا
فَكَانَ مُرْشِدَهَا الْأَسَى وَوَاظِمَهَا وَكَانَ لِلْحَقِّ دَاعِيَهَا وَهَادِيَهَا

مدائح المصطفى والمرضى صلى الله عليه وعلى آلهما وسلم لما تضمنته من معاني موافقتهما أو من طرف تاريخهما إلا أنما لم نجد في إحدى هذه القصائد السكتية التي نترجم بتلاوتها قصيدة واحدة توحي صاحبها نظم السيرة المباركة من أولها إلى آخرها مع شواردها وتيد أو أوبدها وترك قارءها أن يقف منها على تلك السيرة المباركة بحذاءها

واني وإن كنت أعرف عجزتي واعترف به فقد أقدمت على وضع هذه القصيدة الملوبة المباركة على طرازه يصح لي أن أقول أن شعراء العرب لم ينسجوا على منواله ولا أنوا مما له فهي نسيج وحده جمعت فؤعت سيرة أمير المؤمنين سيدنا علي ابن أبي طالب عليه صلوات الله مد تشرف هذا الوحد بوجوده إلى يوم امتدت إليه يد الشقي من ملجم لسه الله وما اكتفيت بهذا بل شعثه ما به النالية وحكمه السامية وبواجره الباهرة وآثاره الزاهرة وجاءت القصيدة على طولها بوزن واحد ونافية واحدة فكانت ملحمة عربية فذة في نابها مطربة تلون ثرائها وطلابها

أما لفظ « الملحمة » التي أطلقها على هذه القصيدة المباركة أتباعاً للمباركة فمعناها اللغوي « الودعة المطبوعة » ولها مأخوذة من قولهم التحم القوم للقتال أي اشتبك بعضهم ببعض . أو ربما قصد الداربة باسم « الملحمة » الذي أطلقوه على القصائد التي لا ذكر فيها للقتال أيضاً « الاحكام » من قولهم لحم الأمر أي حكمه . ومن هذين المعنيين أطلق القوم على المصطفى صلى الله عليه وسلم لقب « نبي الملحمة » وقلوبهم تصيره « نبي القتال » أو « نبي الصلاح وتأليف الناس » . ووجه أن نقول أن لفظة « الملحمة » مشع من قولهم ألحم ولاش الشر وحركة أي دلهمه وذلك لتشبههم ببيت الشعر بيت الشعر أو بالنوب الخوك ومن هذا اشتقت لهله « الملحمة » التي أطلقوها على القصائد المعروفة المشهورة للفرزدق وحرير والاحطل وعبيد الراعي وذو الرمة والكتيب والطارح وأرادوا بها الإشارة إلى أن هذه القصائد كانت محكمة النظم متألفة الأجزاء حسب السبك

وبعد هذه الوطئة الوجيزة أقدم من العالم العربي عموماً ومحبي سيدنا أمير المؤمنين علي بن

وَهَذِهِ الطَّرْفَةُ الْحَسَنَةُ قَدْ فَخَرَتْ
 وَإِنَّهَا قِبْصَةٌ مِنْ نُورِهِ أَقْبَسَتْ
 أَوْ أَنَّهَا لِلْوَرَى مِنْ وَفَرِ حِكْمَتِهِ
 وَإِنِّي بِأَمْنِهِ الْمَحْمُودِ أَعْرِضُهَا
 بِهَا أُرَدِّدُ آيَاتِ آثْنَاءِ عَلَيْهِ وَالْوَفَاءَ لَهُ تَأَلَّهِ مُوَحِّبُهَا
 وَكَيْ أُسَهِّلَ تَنْهِيلاً تَلَاوُثُهَا
 لَكُنِّي بِمَنَاقِبِ مَفْصَلَةِ
 وَقَدْ تَوَسَّعْتُ فِي مَجْرَى حَوَادِثِهَا
 وَرَجَعْتُ بِالْأَنْصِ مِنْ أَقْوَالِ حَيْدَرِهِ
 وَلَمْ تَكُنْ غَيْرَ نَسِيٍّ خَزَعْلَ قَلْبِهِ
 وَاللَّهُ كَالِئُهُ ذُخْرًا لِأُمَّتِهِ
 فِي الْإِنْتِمَاءِ إِلَيْهِ فِي تَابِعِهَا
 لَظْلُمَةِ الْجَهْلِ كَيْ تَجْلُو دِيَارِهَا
 شَرِيعَةً بِالْهَدَى فَاصَتْ مَجَارِهَا
 عَلَى الْأَعَارِبِ فِي زَاهِي تَجَلُّهَا
 عَلَى الْمَلَأَ لَمْ أَدْعُهَا فِي تَمَلُّهَا
 أَوْضَحْتُ لِقَارِي الْأَذَاكِي فَحَاوِهَا
 بِمَا نَزَتْ عَلَيْهَا مِنْ حَوَاشِيهَا
 وَهِيَ الَّتِي زِنْتُ نَظْمِي مِنْ مَعَانِيهَا
 ثَوَابُ قَارِبِهَا الْتَاقِي وَمُنْشِيهَا
 يُخَيِّ بِهَيْئَتِهِ أَلَمَلِيَا أَمَانِيهَا

أي طالب عليه صلوات الله خصوصا بقصدي الملوية المباركة ذاكراً لها ما لا بد من ذكره فأقول:
 ان القصيدة الملوية المباركة هي أولى القصائد التي ظهرت في الشعر العربي فكانت نسيجا وحده
 لاني ما عرفت قصيدة عربية مثلها تناولت تاريخاً أو قصة جاءت عليها من أولها الى آخرها بقاءة
 واحدة ووزن واحد كما انها أطول قصيدة في لغة العرب على الاطلاق . وقد قسمتها الى فصول حسب
 لكل فصل عنواناً يبين المطالع على ادراك مراميها واستقراء معانيها وهي تقسم الى ثمان اولها
 تاريخ أمير المؤمنين عليه صلوات الله منذ ولادته الى ان امتدت اليه بد الشقي ان ملجم لسته الله
 فكان سيد الشهداء والقسم الثاني خصصته بمناب وقصائل وحكم أمير المؤمنين وفيه تظهر صورة هذا
 الامام النفسية مكرمة بانوارها الساطعة وأشهرها اللامة على قدر ما يتركه طابع مني . وقد غنيت
 عاية خاصة بنظم كثير من خطب وأقوال ورسائل ومواعظ أمير المؤمنين عليه صلوات الله . وفي
 ذلك جريدة أدبية على الكلام الملوي الذي قيل فيه يحى انه دون كلام الخالي وفوق كلام المخلوق
 وأرجو ان يقتصر الامر حرا في « عليه صلوات الله » بما وضع لحضرته المبدرة القدسية من حسن
 ناتي وفرط محبي . وهذا ولم أكرر قافية في فصل مهما كان طويلاً . ونحاشيت حوشي القوافي على
 قدر جهدي . وبعدت عن الجوانزات الشعرية فاستجذت منها غير القليل النادر . وازبأ لاهل
 القرب دعوتها « ملجم » وهو أقرب الاسماء اليها وذيلت هذه القصيدة المباركة بحواشي كانت
 تاريخاً صحيحاً لصدر الاسلام . وذهبت في هذه الحواشي ما نطمت من كلام أمير المؤمنين تشرافاً له .
 وبذلك كل ما في طولي لتكبر هذه القصيدة المباركة حرية بمن نطمت فيه عليه صلوات الله .
 وخليفة بتخليد ذكر من نطمت في ظلاله حياته الله وبياه . واني لمعترف بان المدد الملوي الروحاني
 هو الذي وفقني الى هذا العمل العظيم . وان الاحسان الخزعلي هو الذي ساعدني على الفرغ الى
 ترصيع هذا العقد النظم . واني لاسأل الله سبحانه ان يتيني العتار والذليل . وبصعني من الخطأ والخطي .

عرض القصيدة العلوية

على الاعتبار السنوية الخزعلية
 في تهته عيد الاضحى المبارك

نوطه

قَدْ حَبَّتْ لَأَنسُ عُرْبِيَّتُهَا وَعُجْبِيَّتُهَا وَكَبَّرَتْ عِنْدَ مَا ضَعَّتْ ضَاحِيَّتُهَا (١)
 فَهِيَ الْيَوْمَ فِي تِلْكَ أَلْوَابِنِ تَسْمَى بِالتَّقَى قِيلَ الْبَارِي مَسَاعِيَّتُهَا
 وَحَوْلَ كَتَبَتِهَا الْفَرَا تَطُوفُ بِإِخْبَاتٍ وَأَكْرَمَ ذَارِيَّتُهَا مُطِيفِيَّتُهَا
 وَإِنْ أَجْمَلَ مَا يَدُو لِأَعْيُنِ أَهْلِ الْأَرْضِ مَا هُوَ بِإِدَارٍ مِنْ تَاجِيَّتُهَا
 وَخَيْرُ مَا يَتَجَلَّى مِنْ مَظَاهِرِهَا مَا ذَرَّ أَحْكَمَتْ طَهْرًا تَسَاوِيَّتُهَا
 فَلَيْسَ ثَمَّةُ أَفْذَارٍ وَلَا رَتَبٌ سِيَّانٍ فِي «الْبَيْتِ» دَانِيَّتُهَا وَعَالِيَّتُهَا
 كَذَا تَسَاوَتْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ أُمَّةٌ أَحْمَدُ فَلََا مَنَزَّةٌ إِلَّا لَتَائِيَّتُهَا
 نَعَمْ فَأَفْضَلُهَا عِنْدَ آلِ اللَّهِ جَمًّا عَةً لَقَدْ حَسَنَتْ يُرَاءُ مَا بِيَّتُهَا

فريضة الحج المباركة

وَجِبَةُ الْبَيْتِ فِي الْإِسْلَامِ وَاجِبَةٌ عَلَى الْعِبَادِ وَذُو الْإِيمَانِ يَقْضِيَّتُهَا (٢)

(١) وفي الله سبحانه الى تمام نظم السرة العلوية المباركة وهي القسم الاول من هذه الملحمة المباركة في سلخ ذي القعدة سنة ١٣٣٦ هـ فتقدمت بها الى أعتاب مولاي ولي النعم مزار السلطنة سردار أرفع صاحب العظمة الشيخ خزعل خان أمير نوبان وسردار عربستان بيد ان صدرتها بهذه القصيدة هنأتها عظمتها الملوكية النبوية باليد على ما تقفي به فروض الاخلاص لتنته الملية وحسي فخرأ ان عطمة مولاي قد تفضل بقول هديتي وتلطف بتبليغي رضاه العالي عني أما عبده الملوك الشكور (٢) كانت تحج العرب الى الكعبة كرمها الله من قبل الاسلام بخمسة وعشرين قرناً لاعتقادهم انها بيت الله والغريب انهم أجمعوا على هذا الاعتقاد على اختلاف أدبهم وكانوا يقصدونها سنوياً ويطوفون حول البيت العتيق من غير ان يدعيها فريق لنفسه والاغرب من هذا ان الوثنيين منهم الذين كانوا يبدون الأصنام والانصاب والحجارة لم يرد عنهم اثم عبدوا حجارة الكعبة كما يعرف

وَأَلْزَبُ أَجْمَعَهَا كَانَتْ قَوْمُ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَبْنِي عَفْوُ بَارِيهَا
بِهَا لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الرَّسُولَ وَبَا تَتْ سُنَّةٌ وَكِتَابُ اللَّهِ وَاحِبَهَا
فَقَالَ: أَذِنَ بِهَا وَالنَّاسُ قَبِيلُ أَفْـوَالِجَا مِنَ الْأَرْضِ ذَانِهَا وَقَاضِيهَا
وَلَوْصِي خِطَابُ فِي فَرِيضَتِهَا أَسْتَوْفِي بِهِ الْعِكْمَةَ الْكُبْرَى الَّتِي فِيهَا
فَقَالَ: قَدْ فَرَضَ الْحَجُّ الْإِلَهِ عَلَى عِبَادِهِ حَجَّةً أَعْظَمَ بِمَوْفِئِهَا (١)
وَأِنَّمَا الْحَجُّ لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ وَفِي أَفْيَافِهِ أَلَمْ يُؤْ يَلْقَى مُسْتَفِيئِهَا
وَإِنَّهُ أَهْلِبَةُ الْكُبْرَى الَّتِي تَتَلَّهْ — إِذَا الْوُجُوهُ إِذَا صَلَّى مُصَلِّبِهَا
وَمَوْرِدُ النَّاسِ أَضْحَى وَشَلَسَارِدُهَا نَعَامٌ عَنْ ظُلَمٍ ضَافِي مَسَاقِيهَا
وَيَا أَهْلُونَ إِلَيْهِ كَالْحَمَامِ وَقَدْ وَلَهْنَ بِالْوُطَنِ الْمَحْبُوبِ تَوَلَّيَهَا
هَذَا عَلَامَةٌ إِذْ هَانِ الْفُؤُوسِ مَعَ السُّتَوَاضِعِ الْمُسْتَشْمَى مِنْهَا لِمُبْدِيهَا
وَأَخْزَارٌ مِنَ خَلْقِهِ السَّمَاعِ فَهَوَ إِذَا دَعَا فَدَعَوْتُهُ كَانُوا مُجِيبِيهَا
وَصَدَّقُوا بِبَيِّنِ الْقَلْبِ قَوْلَهُ فِي قُرْبِ كُتْبِهِ أَمَانِي تَطْلُبُهَا

عنهم انهم عبدوا الحجر الاسود الذي فيه مع اجلالهم له تقول وكان النصارى واليهود ايضا يثابرون
بقية العرب من موحدن ومشركين بفرصة الحج لاعتبارهم انها موسم عام لهم جميعاً ولما جاء
الاسلام أمر فريضة الحج وجعلها من قواعده الخمس اذ هال المصطفى عليه الصلاة والسلام « بني
الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ، واقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ،
وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً » وكان هذا منه عليه الصلاة والسلام جساً أمر
الله سبحانه وتعالى في القرآن وقد قال « وأذن بالجميع بأنوك مشاة على كل صامره من كل فتح عميق »
وامرني ان فريضة الحج التي لزها الرب حاهنيه واسلاماً فكانت تجمع شتىهم في أسهرها الثلاثة
على هدنة لا يجوز منها القتال لمي من أفضل الوسائل لجمع كلمهم وآخيههم في باب الله فضلاً عن أنها
الوسيلة الأنصلي للتوبه وكسب المغفرة لي تاب وأباب واصرف الى الله برحو حسن الثواب
(١) قد اتت درر هذه الآيات من خطابات لأمر المؤمنين في فريضة الحج وهالك نصه :

« وفرض الله عليكم حجاً بئنه الحرام ، الذي جعله قبلة للأمام ، يردونه ورود الاسام ،
ويأهون اليه ولوه الحام ، جعله سبحانه علامه لتواضعهم لمقامته ، واذعاهم لذته ، واخار من خلقه
سماها أبايوا اليه دعونه ، وصدقوا كلمته ، ووافوا موافاً آياتيه ، وتشبهوا بملكه الطيفين برسه ،
يحرزون الارياح في متجر عبادته ، ويتبادرون عند موعد مغفرته ، جعله سبحانه وتعالى للاسلام
علماً ، وللمائدين حراماً ، فرض حجه ، وأوجب حقه ، وكتب عليكم وفادته ، فقال سبحانه : وثقه
على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ، ومن كفر قال الله غني عن العالمين » اهـ

فِيهَا لَقَدْ وَقَفُوا بِرَأْ مَوَاقِفَ أَرْ بَابِ الْثُبُوقِ فِي سَامِي مَجَالِهَا
وَبِالْمَلَأِكِ فِي تَطَوُّفِهَا أَبَدًا بِالْعَرَشِ قَدْ مَشَتْهُوا تَأَلَّهُ تَشْيِيبُهَا
قَدْ حَرَزُوا أَرْبَحَ فِي سَوْقِ الْعِبَادَةِ فَاسْتَسْقَنُوا وَتَوَدَّوْهُمْ مَا أَلْدَهُمْ مُقْبِنُهَا
فِي مَوْعِدِ الْقَمْعِ وَالْفُتْرَانِ قَدْ وَجَدُوا لَدَى غَفُورٍ خَطَايَا النَّاسِ مَا حَبِيبُهَا
سُبْحَانَ جَاعِلِ حَجِّ الْبَيْتِ رَايَةً هَذَا الَّذِينَ فَوْقَ رُؤُوسِهَا لِنَاسٍ مُطِيعِهَا
وَجَاعِلِ الْكُفَّةِ أَقْرَأَ لَهَا حَرَمًا فَمَنْ بِهَا عَادَ صَانَتُهُ مَقَانِيبُهَا
هُوَ الْمُهَيِّئُ حَجَّ الْبَيْتِ أَوْجِيهَ عَلَى آلَوْرَى سَائِلِيهَا مَعَ مَسْودِهَا
قَالَ: حَبَّةُ يَنْتِ اللَّهُ قَدْ فُرِضَتْ عَلَى الْعِبَادِ إِذَا كَانُوا مُطِيعِيهَا
وَمَنْ عَدَا كَافِرٍ النَّعْمِ فَرَبِّكَ مُسْتَقْنٍ عَنِ الْخَلْقِ جَنِبُهَا وَأُنْسِيبُهَا

مِهَادِ عِلْمِ السُّرُورِ أَرْفَعُ لِلْعَرَبِ

تَأَلَّهُ حَجَّتَنَا ذَا الْعَامَ تَبَعْتُ لِلْأَلْبَابِ بَشْرَى مَتَى تَذُنُّوْا مَجَانِبُهَا (١)

(١) هي الحرب الأوربية العظمى التي استمدَّ لها الألمانيون أربعت عاماً وأرادوا من ورثتها استبعاد العالم وقد استمر لها في ٤ أغسطس سنة ١٩١٤ وحدثت نازها يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ففي ذلك اليوم عرفت الأمة الألمانية أن جهودها الحربية العظمى قد ضاعت سدى وأنها مغلوبة لا محالة فأكرهت إمبراطورها غليوم الثاني على الاتزوا وعسكرتها على امضاء شروط الهدنة التي وضعها الحلفاء نوطشة لشروط الصالح المادلة القاهرة التي أملاها الحلفاء على الألمانين فأعضوها مرغمين في يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩١٩ في مدينة فرساي بجوار باريس وقد كانت هذه الحرب أشد حروب التاريخ لم يعد الإنسان منذ الخليقة مثل ولائها وضحاياها والزياء التي تسببت عنها ولم يبق إنسان واحد على وجه البسيطة لم يتأثر منها ويشكو أذاها

أما نصيب العرب من هذه الحرب العظمى فقد كان خيراً كثيراً وذلك أن الأمة العربية الكريمة كانت إلى هذه الحرب مضية استقلالها السياسي خاضعة للسلطنة التركية العثمانية إلا بعض أماراتها في العراق ونجد واليمن ظلت مستقلة استقلالاً داخلياً غير معترف به رسمياً من الدول غير أن عقلاء العرب كانوا من قبل هذا التاريخ بنحو ثلاثين عاماً شاعرين بأن السلطنة العثمانية على شفا جرف هارولتهم إذا لم ينهبوا لامتهم فقد تضعض بضائع العثمانيين على أنهم كانوا يجمعين على سياسة معينة لا تتجاوز طلب اصلاح السلطنة العثمانية واعطاء العرب بعض حقوقهم تحت سيادتها وما كانت حالة الأمة النفسية معينة لهم على عمل مفيد حاسم يخرجهم من ظافرين ولذلك كان طالبو الاستقلال منهم قليلين أما أكثر أولئك السياسيين المغلاء فكانوا يرمون إلى البقاء في الساطة العثمانية على أن تصلح ما احتل من شؤونها وأن يكون من قواعد ذلك الاصلاح تنازل الترك عن سيادتهم الموروثة

فِيهَا لَقَدْ آتَىٰ اللَّهُ الْأَعْرَابَ إِنْسَاءً يُقْدِرُونَ مِنْ مُنْذِرِنَهَا
كَأَنَّا حَرْبٌ أَوْ زُرُونَا وَصَوَّهَا وَمَا أَصَابَ الْبَرَائِمَ مِنْ دَوَاهِيهَا
لِيُخْذِمَ الْعَرَبَ الْأَجْدَادَ فَوُجِدَتْ حَتَّى تَعْيِدَ إِلَيْهَا عِزٌّ مَا ضَمِنَهَا
وَهُمْ خَزَعٌ أَمْرٌ أَلْزَبَ مِنْ قَدَمٍ وَكَانَ فِيهِ يَعْزِي النَّفْسَ يَعْصِيهَا
يَقُولُ: آخِرَى يَوْمِ الْمُصْغَى وَلَمَّا مِنْ مَجْطَرِهَا تَالِدٌ فِي النَّاسِ يُسَمِّيَهَا
أَنْ تُسْتَعِيدَ بِلَا بَطْءٍ مَقَاخِرَهَا وَأَنْ تُلَاقِي مِنَ الْأَيَّامِ هَائِنَهَا
وَحَسْبُهَا إِحْنٌ ذَكَتْ مَعَالِمَهَا أَفَنَتْ مَا بَرَّهَا لَأَشْتَ مَعَالِمَهَا
وَحَافَتَهَا عَلَى مَا فِي كَرَامَتِهَا تَصَالِحُ الْذَّلُ مِنْ أَيْدِي مُدْرِئِهَا
وَضَيِّقَتْ مَعَهَا زَاهِي الْحَضَارَةِ وَالْآ دَابِ أَقْبَحَ بَيْنَ كَانُوا مُضَيِّقِهَا
وَطَالَمَا أَفْتَكَّرَ التَّوَكُّلُ بِأُمِّهِ كَشَفَقَ بَاتَ مُرْتَابًا بِأَيْدِيهَا
وَأَهْتَمَّ بِالْأَذَى يَبْغِي أَنْ يَعْرِفَهُ عَلَى هَوَاهُ لَيْلَهُ مُوَاتِنَهَا

الى سواد الامة على ما فيها من الانبى والمذاهب المختلفة أو اعطاء العناصر الدنيوية استقلالاً داخلياً فيحكم كل عنصر نفسه في بلاده وتظلمها جيماً الربة الدنيوية وكان القائلون بهذه الرأي يستندون استعانة حصول العرب على الاستقلال التام لفتت كلهم وخوار عزيمتهم . وكان هنالك قوم آخرون مأبوسون من اصلاح السلطنة الدنيوية أو لمكان حل الاتراك على التنازل عن سلطتهم الموروثة لسواد الامة ويقولون ان لم نعمل على الاستقلال بانفسنا فسيرأمتنا الدرية الى الاضمحلال التام وهؤلاء كانوا الراشدين ولنا الشرف أن نعرض النفس مع هؤلاء المخلصين

أما أمراء العرب المستقلون الذين أشرنا اليهم فقد كانوا من أنصار هذا الفكر الاخير لانهم مع ثبلتهم الطويل على استقلالهم بسيف أبطالهم كانوا يمانون الاسرين بالدفاع عن أنفسهم أمام هجوم الاتراك عليهم التوصل تارة بالسيف وطوراً بالسياسة للتقضاء على استقلالهم ومن حسن حظهم أنهم وجدوا من الدولة الانكليزية المادلة صديقة المسلمين عموماً والعرب خصوصاً معاونات جديفة مكنهم من الدفاع عن أنفسهم اذاء الاتراك وردت هؤلاء عنهم مقهورين . وحاول الكنديون التوفيق بين هؤلاء الامراء والسلطنة الدنيوية بوحدة قد تعيد السلطنة ولا تقصر بأمرام العرب وكان هذا على نوع خاص بعد اعلان الدستور الثماني سنة ١٩٠٨ واستلام شبان الاتراك المرويين باسم « الاتحاديين » زمام الحكم في السلطنة الدنيوية فخاب فآلمهم وضاعت مساعيهم لأن هؤلاء الاتحاديين خطر لهم ما عجز عنه الاتراك أيام عزهم ومجدهم وهو تجديد عهد دولتهم بتدوين العناصر وتوحيدها ولا سيما العرب فكانت خطتهم الهوجاء هذه منبهة عقلاء الامة العربية الى الخطر الحديق بأنهم واستعانة الاتحاق مع الاتراك وضرورة الاتصال عنهم وكانت ألمانيا منذ ترع على عرشها الامبراطور غليوم الثاني سنة ١٨٨٨ قد نوت بمساعي

وَكُنْ يَصْنَعُ الْوَلَا جَهْرًا هَافِيَهَا وَمَنْ يَخْطُو إِلَى نَفْسِي مُهَادِيَهَا
وَكُنْ أَحْصَفَ رَأْيَا أَنْ تَجُوزَ عَلَيْهِ خِدْعَةٌ مِنْ عَدُوِّ رَاحٍ يُبْلِسُهَا
وَكُنْ يَتَرَفُّ أَعْدَاءَ الْأَعَارِبِ هَمًّا أَظْهَرَ الْوَدَّ تَمْلِيْقًا مَرَامِيَهَا
وَبَيْتِكَ أَلْمَانِيَا مَعَ مَا أَدْعَتْهُ مِنَ الْقُوَاتِ بِرَبِّهَا كَذِبًا وَبَحْرِيَهَا
وَأَتْمَامًا اتَّخَذَتْ نَصْرَ الْأَعَارِبِ وَالْإِسْلَامِ أَقْدَسَ مَا تَرْمِي مَرَامِيَهَا
مَا أَغْرَى تَالُفُ بِالْأَلْمَانِ مَا خَشُوا كَلًّا وَقَوَاهُمْ مَا كَانَ خَاشِيَهَا
وَكُنْ يَتَلَمَّ مَا تَوْبُو دَوْلَتَهُمْ لِأَشْرَقَ مَكْرًا لَدَا أَمْنَى مُجَافِيَهَا
وَكُنْ ذَا قِيَّةٍ بِالْإِنْكِلَبِزِ وَهُمْ فِي أَمَّةٍ الْمُصْطَفَى أَسْنَى مُعِينِيَهَا
وَلَمْ يَنْتَ عِلْمُهُ مَا لِلْأَعَارِبِ مِنْ مَنَى بِإِنْكِلَبِزَا كَانَتْ تَرْجِيَهَا
وَمَا أَكُنْتُ مِنَ الْوَدِّ الْمَوْثِقِ لِأَسْرُبَانِ فِي كُلِّ مَثْوَى مِنْ مَثَاوِيهَا
وَشَاقَهُ مَا رَأَى مِنْ عَذْلِهَا وَمَنْجَا لِي حُكْمَهَا وَأَتَشَى يُطْرِي مَبَادِيَهَا

هذا الامبراطور أن تمك العالم وتسبب به وأخذت تعمل لهذا الغرض من الوجتين الحربية والسياسية ومن جهة ما علمته لها استمات السلطان عبد الحميد اليها وكان سلطاناً قادراً قاهراً قابضاً بيده الحديدية على زمام السلطنة الثمانية فاشاها وأخذ يباوئها على البلاغها مطامعها الاشمية وهو يجهل أن دولته في هذه السياسة مرضة للوئوع في يد الالمان قبل غيرها من دول العالمين اذا نجحت سياسة الالمانين وماكاد يسقط عبد الحميد عن عرشه ويحل الاتحاديون عله حتى نحوا نحوه بمصادقه المانيا التي عرفت كيف تغرر بهم وتهدم بالداوة اذا هي انتصرت على تركك المناصر وعلى مد سلطان الثمانيين على الامام الاسلامي أيضاً فاغرتوا بوعودها وساروا معها خطوات واسعة بامل الطمع وسلموها زمام الدولة الثمانية فأخذت تتصرف فيها تصرف المالك بملكه

فاما أعلنت المانيا الحرب الاوربية العامة كان من جهة القوى التي استخدمتها حل الاتحاديين على اعلان الجهاد الاسلامي ضد أعداء ألمانيا « بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا » باسم سلطنتهم المسمي الخلافة فكان لاعلان هذا الجهاد بعض التأثير على بعض المسلمين ولم يجزء البعض الاخر والدين قالوا بيمين جوازهم الذين يعلمون أن الجهاد لا يكون الا لنصرة الاسلام أو الدفاع عنه وكانوا يرون أن هذه الحرب لم تنهزها المانيا الا للاعتداء على أعظم دولة عرفت بنصرة الاسلام ومصادفة المسلمين وهي بريطانيا العظمى. وكان في مقدمة هؤلاء المعتداء عظمة السردار أرفع الشيخ خزعل خان أمير الحمرة الذي يسد رايه ويهد مواعظ نظره عرف أولاً أن الخطر الحقيقي على الاسلام والمسلمين هو من المانيا نفسها فاذا كان تمت اضطراب الى الجهاد الديني فيجب أن يبان ضدها لا معها ضد أعدائها وثانياً ان القوات الالمانية التي اغتربها الاتحاديون والباريون وغيرهم من الناس ههما عظمت لهما عاجزة عن التغلب على بريطانيا العظمى التي جمعت بين القوة والعقل .

وَقَالَ لَيْسَ سِوَاهَا عَوْنُ أُمَّتِنَا عَلَى الْبَايِ لِي أَلْبَتَى أَذْجَتْ دِيَارَ جِبْتَا
أَعْظِمَ بِهَا دَوْلَةً بِالْقُدْلِ سَائِدَةً سَيَادَةً قَهَرَتْ قَهْرًا مُنَاوِنَهَا
فِي الْأَمْسِ حَرَّرَتْ أَلْعُبْدَانَ مُحْسِنَةً فَأَصْبَحَتْ تَتَسَاوَى مَعَ مَوَالِبِهَا
وَالْيَوْمَ مَدَّتْ يَدَيْهَا كَيْ تُحَرِّرَ أَقْسُوَامًا قَدْ اسْتَعْبَدَتْ مِنْ مُسْتَهْبِئِيهَا
وَأَعْلَنْتْ أَنَّهَا حَتْمًا مُنْقَذَةٌ أَلَسْتَخْرِيرُ مَا أَطْلَعَهُ رُغْنُهُ بَاتَ يُشْلِيهَا
وَالْإِنْكَبَازُ إِذَا قَالَتْ قُلُّ قُلَّتْ وَلَيْسَ يَخْرُجُ غَيْرُ الصِّدْقِ مِنْ فِيهَا
نَعَمْ وَإِنْ وَعَدَتْ لَا شَكَّ وَافِيَةٌ وَعُودُهَا رَغَمٌ أَنْفِيهِ أَلْدَهْرُ تُجْرِئُهَا
وَإِنْ صَفَتْ صَفْوَهَا مَا شَابَهُ كَدَرٌ فَلْيَبْشِرَنَّ بِمَا يَرْجُو مُصَافِيهَا
لِذَا الْمُرْدُ دَعَا الْغَرْبَ الْكَرَامَ إِلَيْهَا وَهِيَ لَبَّتْ مَعَ أَشْكَرَانَ دَاعِيَهَا
وَحَافِلَتَهَا عَلَى حِفْظِ آلِودَادِ لَهَا طَوْعًا لِأَوْفَى صَفِيٍّ مِنْ مُحِجِّبِهَا
وَإِنَّمَا الْغَرْبُ الْغَرْبُ حَاضِرُهَا عَلَى آلِوَنَاءٍ قَدْ نَشَأَ نَشْأً وَبَادِيَهَا

ولذلك طفق بنادي قومه العرب بوجوب الثبات على مودة أصدقائهم الإنكليز وكان لندائه هذا تأثير عظيم في نفوس كثيرين منهم كما أنه أوثق قواته وبلاده لنصرة بريطانيا العظمى وحمايتها في هذه الحرب . ونجم عن هذه الجهود الصادقة التي بذلها هذا الأمير الحكيم لقومه خير عظيم لانها سهلت اقاذا العراق من ويلات هذه الحرب فلم تصب ناسه بما أصيب به السورون واليمينيون والنوسيون والرفوريون وغيرهم من الاحن كما أن الامارات العربية المستقلة التي تحمحو عظمة الشيخ خزعل خان بالاخلاص لبريطانيا العظمى لم ينلها الاذى الذي نال سواها من الامارات العربية الاخرى . وهكذا كان لطمعة الشيخ خزعل خان فضل مزدوج على العراق ونجد خصوصا وعلى العرب عموما . كما كان خير وسيط بين اسراء العرب وسادتهم ووجوههم وبين الإنكليز الباديين الاوفياء . وسيجلد التاريخ فضله كلما ذكرت النهضة العربية التي ابتدأت بصورة جدية عند ظهور نتيجة هذه الحرب العظمى فاتصار بريطانيا العظمى وحيلاتها وانكسار المانيا وليفلتها . فبارك الله بهذا الشيخ الحليل وأدام علاه . ووقته الى الخير الذي ينويه لأمته وبلاده بمدد المصطفى والمرتضى عليهما وعلى ألهما الصلاة والسلام

وليس من اللغو ان نثير في ذيل هذه القصيدة المباركة الحاملة الى مساعيها في سبيل العرب . . . نفتخر اننا كنا نجهر بمحقوق العرب وطلب باستقلالهم من سنة ١٨٩٨ وهي السنة التي هجرا فيها حلب « سوريا » وتمننا مصر وقد تمننا في ذلك خطوات المرحوم السيد محمد الرحمن الكواكبي فياسوف الاسلام وصاحب كتابي « أم القري » و « طبائع الاستبداد » فاشتعلنا معه الى سنة وفه « ١٩٠٢ » رحمه الله ثم مضينا على سنته ندعو العرب الى صون « ذاتيتهم » وطلب بحقوقهم ولا ننسى ما لاقيناه وتتمنر من ماجوري عبد الحميد من الاضطهاد بدعوى انا فرق بين

نُصْفِي أَوْلَاءَ مُصَافِينَا وَنُشْكُرُ مَنْ
تَأَلَّهَ مَا أَلْفَدُّ مِنْ أَخْلَاقِنَا أَبَدًا
وَلَا شَرِيْقَتَنَا أَلْسِنَا تُصَلِّتُنَا
وَأِنَّا شَيْعَةُ السَّرْدَارِ أَرْفَعُ لَا
نَحْطُو خَطَاؤُهُ وَأَلَّى سَارَ نَتَبَّعُهُ
فَقَدَّرَ أَيْ الشَّيْخُ مَا فِي الْإِنْكِلِيلِ مِنَ السَّائِرِ الْفَرَّ عَالِيَهَا وَزَاهِيَهَا
فَمَدَّ يَمْنَاهُ بِالْإِخْلَاصِ صَافِحَا فَصَافِحَتُهُ بِإِخْلَاصٍ بِأَيْدِيهَا
وَأَسْتَوْثَقَ الْغَرْبُ مِنْهَا بِالْمُحَرِّ وَبَا تَتَرْتَجِي الصُّفُوفُ دَاجِي لِبَالِيهَا
وَإِنَّمَا لَمْ تَخِبْ فِي ظَنِّهَا وَأَمِينُ الْغَرْبِ لِلْمَجْدِ وَالْإِسْعَادِ يُشِيرُهَا
مُزُّ سُلْطَنَةِ الْإِسْلَامِ خَزَعْلُ مَنْ نَاطَتْ بِهِ الْغَرْبُ الْغَرْبَا أُمَانِيهَا
وَأَنَّ قَوْمًا جَنَابُ الشَّيْخِ قُدُّوْهَا أَمَّنْ مَسَارِحُهَا يُنَّ مَسَاعِيْهَا
وَفِيهِ تَبْلُغُ أَسْمَى مَا أَشْهَتْهُ مِنَ أَلْسَمَى وَمَا غَيْرُهُ تَأَلَّهَ يُشْنِيهَا

العرب والأتراك وهذه حرائد المؤيد والدلم والشعب الصادرة من سنة ١٩٠١ الى ١٩١١ ملى
بكتابتها صدينا والوطن بنا ولا ذنب لنا في نظرها الا اما ندافع عن قوما العرب . وقد كنا نطلب
للرب أمراً من أسرى فاما ان يتحدوا بأسرائهم على نحو اتحاد الولايات الاميركية الشمالية ويظنون
في السلطنة العثمانية دولة مستقلة كما كانت دولة المجر في الامبراطورية النمساوية واما ان يستقلوا
تماماً ويؤملوا « ولايات متحدة » بنفس العظام الاميركي ولهذا العرض نجولنا في البلاد العربية
وأكثرنا من محاطية الاتحاديين لتفاهم مهم واحتلفا مع اللامركزيين السوريين في مؤتمر باريس
سنة ١٩١٣ الذي شهدناه . أنتمنا وجه اخلاقنا مهم هو لهم كانوا يطلبون من الاتراك ان
يعطوا الماصر العثمانية الاستقلال الداخلي على قاعدة اللامركزية ومن جملتها العرب فتكون كل ولاية
مستقلة في داخليتها ومرجعها الاستانة عاصمة الترك ونحن كما نقول ان مصلحة العرب ان يكونوا
جيباً قوة واحدة اراء السلطة التركية ولهم فيما بعد من أنفسهم ما يوصلهم ان تسبق الاحكام في
داخليتهم . ونحن أول من نادى بان المؤتمرين في باريس سيتسامون الى مواعيد الاتحاديين الحلاية
ويطمعون بوظائفهم وهكذا كان فاتهم ما عادوا من باريس الا للترفع على دسوت الوظائف التي نفقوا
عليها مع الاتحاديين وهكذا فر الاتحاديون بتل النهمة العربية وقتئذ . ولكن الله سبحانه وتعالى
لم يشأ للعرب الاضمحلال فبما لهم هذه الحرب البامة في العام التالي « ١٩١٤ » وفقدتهم الى
الابد من الحكم التركي . وما علينا نحن العرب بعد هذا الا ان نعمل لتجديد عمدا مستفيدين من
المواونات الضخمة التي افادها من دولة الدليل والفصل صدقنا بريطانيا العظمى الوفي

مناف عظم السردار أرفع

وَالشَّيْخُ خَزَعْلُ مَحْمُودُ الْمَنَاقِبِ مَسْدُوحُ الْخَلَائِقِ عَالِيُ الْفَنَنِ رَاضِيهَا (١)
وَاللَّهُ مَا عَرَفَ الْقُرْبُ الْكَرَامُ أَمِينُ رَأً فِي شَمَائِلِهِ أَوْ مَا يُعَاكِهَهَا
قَدَرُ أَتَى اللَّهُ تَقْوَى مُسْلِمٍ وَرِعٍ قَزَهَتْهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ تَنْزِيهَا (٢)
وَوَاصِلُ الْأَعْمَلِ الْمَبْرُورُ مُسَبِّحًا آيَ الْكِتَابِ وَمَا نَصَتْ مَثَانِيهَا
قَلَمٌ يَجْزُ مَا تَجَلَّى مِنْ أَوَامِرِهَا يَوْمًا وَلَا مَا تَلَقَّى مِنْ نَوَاهِيهَا
مُسَبِّحًا سِتَّةَ الْهَادِي وَهَذِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَبِالْإِحْكَامِ يُجْزِيهَا
فِي دَوْلَةٍ بِحِمَاةٍ بَاتَ سَاكِنُهَا أَوْفَى الْأَعَارِبِ إِسْعَادًا وَتَرْوِيهَا
فَالشَّيْخُ نَاصِرُ بَارِيهِ بِكُلِّ قُوَا هُوَ سُبْحَانَهُ لُطْفًا مَقُومُهَا (٣)
وَقَلْبُهُ لِرِعَايَاهُ فَتَرْحَمُ أَهْلَ الضَّعْفِ مِنْهَا وَيَقْوَعُنْ مُسَيِّئِيهَا (٤)
وَزَهْوَةُ الْمُلْكِ لَمْ تُنْسِ الْأَمِيرَ جَلًّا لِلَّهِ حَتَّى تَجَا فِي الرَّهْوِ وَافْتِيهَا (٥)

- (١) ان مناف عظمه مولاي ولي النعم السردار أرفع العظيم من أعلى المناقب وأسنائها وأشرافها
قد جمع بشخصه المحبوب أسمى الاخلاق الكريمة العربية ، وأدب نفسه الرضية بالأداب العالية
الاسلامية ، على ما استفاده من أصله الطيب وحسبه الأصيل ، وبما اتقنه من القرآن الشريف
وأحاديث المصطفى ومواعظ المرتضى عليهما الصلاة والسلام ، كيف لا وهو العربي الأبني سليل
أعظم بيوتات العرب كابراً عن كابر ، وله من حسبه وأدبه أعظم الاجداد والمفاخر ، وهو السلم
الورع المتأدب بأداب القرآن ، والمتقني خطوات النبي الامي خير ولد عدنان ، والمتفهم بمواعظ أمير
المؤمنين عبيد العرفان ، والمتربي أفضل تربية اسلامية جلته قرة عين الرمان ، فبارك الله بعملمته
الملوكية ليديم مصير كل بر واحسان ، وأدام علاه ذخراً ونقراً للعرب والاسلام ، بمدى الايام
(٢) قد اتيسر عظمه السردار أرفع هذا من كتاب أمير المؤمنين عليه صلوات الله الى الاشتر
التخني جن ولاء مصر اذ « أسره تقوى الله وابتاع طاعته ، وابتاع ما أسره في كتابه من
فرائضه وسننه ، اني لا يسد أحد الا باتباعها ، ولا يثقي الا من حوذهوا واضادتها »
(٣) وهذا مقتبس من ذلك الكتاب الجليل اذ أسر أمير المؤمنين الاشتر « ان ينصر الله سبحانه
يده وقلبه ولسانه ، فبه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من أعزاه »
(٤) وهذا مقتبس من ذلك الكتاب الكريم اذ أسر أمير المؤمنين الاشتر قتال « واشتر قلبك الرحمة
الرحية ، والمجبة لهم ، والمطلب بهم »
(٥) مقتبس من ذلك الكتاب البهي اذ قال أمير المؤمنين للاشتر « واذا حدث لك ما أنت
فيه من سلطانك لبه وخيلة ، فتنظر الى عظم ملك الله فوقك ، وتبخرته منك »

وَأَنْصَفَ اللَّهُ بَرًّا فِي رَعِيَّتِهِ . وَمَا تَوَخَّى أَمْوَرًا لَا يَلَابِثُهَا .
 وَقَدْ تَحَبَّبَ فِي سَامِي فَضَائِلِهِ . مَسَاوِي يَبْدُلُ كِتَابَ اللَّهِ مُتَقِيًّا .
 وَعَنْهُ أَبَدَ أَرْبَابَ الْفَاسِدِ لَمْ . وَلَا أَلْسَمَاءَ لَدَى عَلَيْهِ قَدْ وَجَلَتْ .
 وَلَا اسْتَشَارَ حَرِيصًا فِي مَكَارِمِهِ . وَلَا اسْتَشَارَ جَبَانًا فِي مُحَارَبَةِ الْأَلَا .
 وَلَا اسْتَشَارَ غِييًّا فِي سِيَاسَتِهِ الْخَسَنَاءِ . تَاهَ أَرْبَابُ الذِّكَا فِيهَا .
 سَفِينَةُ الْمُلْكِ فِي بَحْرِ الزَّمَانِ بِهَا . مُتَزَهِنًا أَنَّهُ رَبَّانِيهَا وَإِلَى .
 تَأَلَّهَ مَا سَامَ خَسَفًا أَوْ بَنَى حَكَمًا .

- (١) مقتبس من أمر أمير المؤمنين للاشتر في ذلك الكتاب الرئيس اذ قال « أنصف الله وأصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك ، ومن لك هوى فيه من رعيته ، ذلك لأتمل نظرك »
 (٢) مقتبس من ذلك الكتاب العزيز اذ قال أمير المؤمنين « وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، وأعمها في العدل ، وأجملها لرضى الرعية »
 (٣) مقتبس من ذلك الكتاب الرئيس اذ قال أمير المؤمنين « واشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكون عليهم سباً ضاراً تنقم آكلهم ، فثم صفان : أما أخ لك في الدين ، وأما نظير لك في الخلق »
 (٤) مقتبس من ذلك الكتاب البديع اذ قال أمير المؤمنين « وليكن أبعد رعيته منك ، واثقهم عدك ، اطلبهم لمأبئ الناس ، ون في اناس سيواً والي أحق من سترها ، فلا تكتفن عما غاب عنك منها ، ونما عليك تطهير ما ظهر لك ، والله يحكم على ما غاب عنك ، فالتدور في المستطعم ، يستر الله منك ما تحب ستره من رعيته »
 (٥) مقتبس من ذلك الكتاب الازهر اذ قال أمير المؤمنين للاشتر « لاتعجلن على تصديق ساع ، ذن الساعي غاش ون تشبه بالصحين »
 (٦) مقتبس من ذلك الكتاب الافضل اذ قال للاشتر « لاتدخلن في مشورتك بخيلاً يبدل لك عن افضل ، ومهلك بالقتل ، ولا جباناً يضحك عن الامور ، ولا حريصاً يزين لك الشر بالجرور ، ذن البخل والجبن والحرس غرائر شتى يجمعها سوء الظن بالله »

وَإِنَّهُ وَهُوَ ذُو عِلْمٍ وَذُو عَمَلٍ يَعْلَمُهُ وَوُجُوهٌ أُنْزِلَتْ عَلَيْهَا
بِرْزَانُ مَجْلِسُهُ بِالْإِسَادَةِ الْعُلَمَاءُ هُمْ لِأَمْرِيهِ أَسْمَى مُشِيرِينَهَا
وَلَمْ يَفُتْ عِلْمُهُ أَنَّ الرِّعَايَا مُنْصَوِّ
فَرَّاحَ يَنْتَهِي فِي إِسْعَادِ جَمَلِهَا عَلَى تَفَاوُضِهَا قَدَرًا وَتَوَجُّعِهَا
حَتَّى تَمْلِكَ أَلْبَابَ الْجَبِيعِ قَبَا تَتَّ وَهِيَ مُشْغَلَةٌ حُبًّا وَتَوَلِّينَهَا
يُخْبِي لِيَايِهِ فِي دَفْعِ الْأَذْيَةِ عَنْهَا وَهِيَ نَائِمَةٌ فِي ظِلِّ مُحِبِّينَهَا
قَدِ اطْمَأَنَّتْ فَلَا الْأَخْطَارُ تَدْعِيهَا فِي ظِلِّهِ لَا وَلَا الْأَفْقَارُ تُؤْذِيهَا
وَقَدْ كُنْتُ نُوبَ الْأَفْقَارِ هِمَّتُهُ الْقَفْصَاءُ عَنْهَا فَلَا تَعْدُو عَوَادِيهَا
وَالْعَرْبُ تَقْطِعُهَا وَالْعَجَمُ تَحْصِدُهَا عَلَى الْمَرْزِ الْمُدَى وَهُوَ حَامِيهَا
مَلِكٌ مَنَاقِبُهُ الْفَرَاهُ أَخْذُهَا عَنْ الْوَصِيِّ كَمَا قَدْ كَانَ مُنْصِلِيهَا
وَمَا الْوَصِيُّ سِوَى إِسْتَاذِهِ وَمُرْتَبِيهِ بِهِ قَدْ سَمَا فَضْلًا وَتَفَقُّهًا
وَمَنْ تَتَّبِعْ آثَارَ الْوَصِيِّ حَوَى مِنَ الْمَنَاقِبِ سَامِيهَا وَرَاقِبِيهَا
وَبَاتَ أَسْمَى الْوَرَى فَضْلًا وَأَعْظَمُهُمْ قَدَرًا وَإِنْ خِلَالَ النَّاسِ تَعْلَمِيهَا

(١٢) مقتبس من ذلك الكتاب التمريد اذ قال أمير المؤمنين للاشترا « واعلم أن الرعية
طبقات ، لا يصنع بعضها الا بعض ، ولا غنى بعضها عن بعض ، فنها جنود الله ، ومنها كتاب
الدائمة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الاصاب والرفق ، ومنها أهل الجوبة والحراج
من أهل الذمة وسلامة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من أهل الحجابات
والمسكنة ، وكل قدسى الله له سهم ، ووضع على حده وفرضته في كتابه ، أو سنة نبيه (صلى
الله عليه وآله) عهداً منه عندنا غفوطاً ، فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاية وعز
الدين ، وسيل الامن ، وليس عموم الرعية الا بهم ، ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من
الحراج ، الذي يقوون به على جهاد عدوهم ، ويتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء
حاجتهم ، ثم لا قوام للدين الصغين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون
من المعاهد ، ويجمعون من المنافع ، ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها ، ولا قوام لهم
جسماً الا بالتجار وذوي الصناعات ، فيما يجتمعون عليه من سراقهم ، وقيمونه من أسواقهم ،
ويكونونهم من الترفق بأيديهم ، مما لا يبلنه رفق غيرهم ، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة ،
الذين يحق رفقهم وموتهم ، وفي الله لكل سهم ، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه ، وليس
يخرج الوالي من حقيقة ما أزمه الله تعالى من ذلك ، الا بالاهتمام والاستانة بالله ، وتوطين
النفس على لزوم الحق والصبر عليه ، فيما خف عليه أو ثقل »

شجاعة عظيمة السردار أرفع وهريرة

وَالشَّيْخُ خَزْعَلُ خَوَاضُ الْمَعَامِ مَنصُورُ الْوِافَارِسِ الْمُنْجِبُ مُجَلِّبِهَا (١)
مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَاصِرُهُ بِسَيْفِهِ وَعِدَاةُ اللَّهِ مُرْدِيهَا
يَسْعَى بِنَفْسِ يَهَابٍ أَمَوْتُ سَطَوْتِهَا إِلَى صُفُوفِ الْعِدَى يَفْرِي هَوَادِيهَا
نَفْسٌ تَخَالِطُ بِالتَّقْوَى أَبَا حَسَنِ أَجَلَ بِهِ شَجَعَتْ مَا مِنْ يُقَاوِمِهَا
وَعَنَهُ قَدْ قَرَّ الْبَيْتُ الْمَارِسَهُ وَيَأْسِنُهُ يَقَهَّرُ الْأَبْطَالَ يُعْيِيهَا
وَأَيَّةُ الْفَتْحِ بِالْإِقْبَالِ قَدْ كُنَيْتَ لِحُجْنِدِهِ فَرَأَتْهَا فِي مَنَازِلِهَا
وَحَسِبُهَا بِأَسْنِهِ تَلْقَى الْعِدَى وَلَحَسْبُ النَّصْرِ فَخْرًا وَعِزًّا أَنْ يُعَاشِيَهَا
وَمَنْ يُعَادِ أَبَا الْأَشْبَالِ خَزْعَلًا عَادَى الْأَعَارِبَ فِي أَسْنَى مُجَبِّرِهَا (٢)
وَالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْعَا وَأُمَمِهَا عَادَى وَمَا كَانَ ذَا رُشْدٍ مُعَادِيهَا
وَمَا عِدَاهُ سِوَى شَرِّ الْعِدَى وَهَلَا مِنْ سَيْفِهِ مَا أَنْتَضَاهُ مَا يَرَبِّبُهَا

(١) من أظهر مظاهر عظمة مولانا السردار أرفع الشيخ خزعل خان شجاعته في حروبه فهو خواس المعام مصور المواء غازي الأعداء وأنه أمثال الله بقاءه يقتخر بأنه تلقى دروس الشجاعة على سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله بدرس مغازيه العلوية المشهورة وطالما شهد الثقاتيون حروبه ودهشوا من جرأته في لقاء صفوف أعدائه منفرداً وذلك لحسن إيمانه وبقته بربه وأمداد أحبته المصطفى والمرضى وأهلها الحبرين عليهم الصلاة والسلام. وما أتته مع الافتخار في هذا الباب أن عظمة الشيخ خلد الله ملكه وأيد عرشه ما خاض حرباً ظالمة ولا طلب القتال الا في سبيل الله ولنصرة دين الله شأن السلم الصالح الورع. كما يذكر بافتخار أن العسكران حايض حيوشه المتصورة في كل الحروب التي خاضت عمارها باسمه وتحت لوائه الولوف الظلال

(٢) لا حرم أن من يبادي عظمة مولانا السردار أرفع الشيخ خزعل خان فقد عادى الاسلام في نصيره الاكبر والعرب في أميرهم الاشر وهو عداء صاحب ملوم ومتهور مما وكيف لا يكونه عدو عظمة المزعوم للسلام والعرب وقد ذاع وشاع وملأ الاسباع ما لهذا الأمير الجليل والمليك الهاب من المصاهي الطيبة في خير العرب وفي سبيل الاسلام وقد خدمها بسيفه وماله وعلمه وجاهه خدمات مشهورة خالدة آخرها وبقته العظمى في العراق في وجه الألمانين المستعربين بالترك وفي صداقة للطيبة النتائج للدولة الانكليزية الودية صديقة الاسلام والعرب الوحيدة سنة ١٩١٥

نعم فقد أثبت تاريخ النهضة العربية الحديثة ان الامير الاكبر والهازم الاشر مولاي معز السلطنة سردار أرفع صاحب المنظمة الشيخ خزعل خان أمير نويان وسردار عربستان كان اول وأقبر من دعا قومه العرب الى موازة بريطانيا العظمى والاعتصام بها للنجاة من الاستبداد التركي

اللَّهُ أَكْبَرُ فَالْسَّرْدَارُ أَرْفَعُ مَرَّةً
وَأَنَّهُ كَافِلٌ أَتَابَهَا وَنَسَبَا
وَمَا عَرَفْنَا مَلِيكَاً قَبْلُ قَدْ قَتَلَ الْآ
وَتِلْكَ مَكْرَمَةٌ مَا جَاءَهَا مَلِكٌ
إِلَّا عَنِ الْمُتَرْضَى السَّامِيِّ وَرَحْمَتُهُ
فَكَانَ يَتَقَى بِأَيَّامِ الْخَوَارِجِ إِحْسَانًا
وَأَنَّهُ عَصَدُ السَّرْدَارِ نَاصِرُهُ عَلَى عَدَاؤِهِ وَمُعْزِيهِهَا

الاماني وطالبه السرب مشرأ يدها متدلا بمحامد رجالها حتى اذا ما استمر لهب الحرب الدامة وخاضت تركيا عمارها طوطا للامانيين الذين كانوا مسيطرين عليها ومسترين ذمم الامحاديين وهمبر-الها لمولوم على التفرير بالسلمين باعلان الجهاد العام فغتر به كثيرون من الحولاء الذين لا يعرفون احكام الجهاد ومصوغاته وانه لا يكون صحيحاً اذا نادى به سلطان تركي ملوب على امره كحمده رشاد لنصرة دول مسيحية كاللانيا والنمسا على دول مسيحية كفرنسا وروسيا وبريطانيا العظمى حيثهم تصدى هذا الاميرالبري الكبير ونادى بقومه بصوته الجهر مطرأ خطأ الامحاديين بزعم الدولة التركية في احوال هذه الحرب بغير ذمته لهم ولا للاسلام الذي نادى سلطان الترك بالجهاد لاجله ولا للمسلمين الذين كانت مصالحهم الحقيقية بالاضهاد للحلفاء انصار الديمقراطية الضامة حرية الشعوب الضعيفة قتال حقاً ونطق صنادق وذو الآلى اصغوا لكلماته الحكيمه وآب بالحسر ان الآلى اصغوا مسامهم عنها واذا كان الحق آحق ان يقال ذن هذا الامير الجليل البري حفظه الله وصانه وايد سلطانه ختم المصلحة الدرية افضل الخدم في انتاذ العراق من برائن الاتراك والالسان عند ما اقبل في سنة ١٩١٥ الجيش الانكليزي الهندي المنصور لتطهيره من حيوتها التي كانت تبيت فيه فساداً فسبق غيره من امصار الدرب بالتحير وسبقها بالتمير ايضاً. ويسرنا ان الانكليز الاوفياء يعرفون لفظه هذا الاخلاص والنضال . وان الراتين وهموم العرب يعرفون لقاته الملوكية بهذه المنة التي بالوا بها افضل ما كانوا يصبون اليه من سؤل .

(١) من ادهش ما يروى من نوادر الملوك وأعجب ما ينقل عنهم ما نزهه عن عظمة مولانا السردار أرفع أزاد الله علام من الرأفة والتفقه ليس على رعاياه المخلصين فقط بل وعلى أعدائه أيضاً فقد رأناه مرأى العين كما رأى وسمع الدراقيون وكثيرون من أهل جزيرة العرب ان هذا الأمير الجليل ما عاد منصوراً من حرب عشيرة تنزرت عليه أو قوم من حيرانه اعتدوا على أمارته الدلية الا ويبادر إلى اسباب الازايل والأيتام الذين تمل آباؤهم وأزواجهم في حروبه فكان حفظه الله يكفلهم بحضرة واحسانه ويدبر عليهم الخير يندفع سرورته وشقيقته ولها لمواطف شريفة بحق أن تخلد بماء الذهب لهذا الأمير الحليم الشفوق الذي جاء بما لم يسمع الناس مثله من تواريج المقدمين من الملوك والأقبال الا عن المرتضى أمير المؤمنين عليه صلوات الله الذي رأياه في ندراري الحارثين عليه وسوهم وهكذا كن منامة مولانا السردار أرفع متلداً بكل تواه امامه الأعظم بل أعظم أمته الدين الحنيف

كرم عظمة السردار أرفع

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْتَهِ عَفْوَاً يَلَا نَسَبٍ
فَقَبِي مُحَمَّرَةٌ وَالْمَجْدُ سَاكِبُهُا
هُنَالِكَ الشَّيْخُ فِي دَسْتِ الْإِمَارَةِ تَأْ
هُنَالِكَ أَلْمَالُ بِهَمِي مِنْ أُنَامِلِهِ
فَلْيَقْرَبِ الْفَوَادِي مِنْ دَرَارِهَا
وَالشَّيْخُ يَلْقَى الْعَوَافِي فِي تَلَطُّفِهِ
يُنْشِئُ لِلنَّاسِ مَا تَنْفُسُ مَنَازِلُهُ
تَمَّتْ بِأَمْوَالِهِ الْكَثْرَى يُحْكِمُهَا
يَصْنَعُ مَعَ سَيِّدِ الْإِحْسَانِ حَذَرَهُ
مَا كُنْتُ يَوْمًا بِصَفْرَاءٍ أُغْرُ وَيَنْصَارُ
إِذَا آغَرْتُ بِالْأَمْوَالِ قَانِيهَا

(١) قد يحظر لقاري هذه الملوحة للباركة اننا نخدو جدو الشراء في وصف الكرم الخزعلي الذي يغير جدال أصبح مضرب الامثال فسي الناس به حافاً ومناً وغيرهما ممن اشتهروا بالجود والمطاء وأصبح عظمة مولانا الشيخ المير سيد المحسنين الكرماء وواقة لو حاولت أن أسطر نوادر عظمه الملوكة في كرمه المختار لاحتجت الى كتب ضخمة كذا الكتاب وحسبي أن هذه النوادر ينالها الناس في كل قطر وصقع بل حسبي أن الناس تقصد ساحة المير من بييد الامصار فليعنده ما تشي من ثرى ويسار

تقرأ عن حاتم الذي أصبح مضرب الامثال للكرام في الماهية والاسلام أنه كان ينحر الابل لقاصديه أو يهديهم الامام وهذا كثير على مثله وفي مثل البيعة التي عاش فيها فنقول أين حاتم وأين زمانه؟ ونقرأ في كثير من التواريخ عن عدم من خلفاء العرب وملوكهم وأمرائهم أنهم كانوا يجودون على الشراء بألوف الألوف من الدراهم والدنانير فيقول قتلة من لنا بمن أولئك الاجاويد يترون الشعر بالمال ويكونون الشراء دل السؤال ونفقات الديال؟ ألا والذي تفي يده أليّة صادق تؤيده المشاهدات ان العرب لم تغفر بكرم كعظمة السردار أرفع يجود بالبيضاء والصفراء للشراء والملاءم والفاة وانتمراء بل اثبتني بقاصد سأل الشيخ المير ولم يغفر بعمه واحساناته من ألوف قصاده لاربح عقولي وأهمل رأي من الملقين الكاذبين على أي أيتكم بذكر ألوف الألوف من أغنامهم الشيخ بعد انقروا ما زالوا عثبتين في زحمة رفاه ويسر

ومما يذكره لعظمة السردار أرفع أنه ينفذ المال قبل السؤال وهو مستج كالك تمطيه الذي أنت نائله وطالما سمعناه يردد قول أمير المؤمنين عليه صلوات الله يا صفراء ويا بيضاء غري

أَشْرَى بِهَا مَرْتَقَى رَبِّي وَمُتَوَبَّةً إِلَّا مَخْرَى أَنِّي خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ شَارِبَهَا
نَعَمْ أَبَا جَاسِبٍ جَذَاكَ شَامِلَةٌ عَفَاكَ الْكَثْرُ دَانِيَهَا وَنَائِيَهَا
كَسَبَتْ فَنَهَارَ مَضَى طَهَ وَأَخَذَ وَالْوَصِي وَالْآلَ مَعَ شُكْرَانٍ عَاطِيَهَا
فَالرَّبُّ شَنِيَّ عَلَى عَلَيْكَ تَحْمَدُهَا حَمْدًا يَرُدُّ فِي مُسْجِي أَغَانِيَهَا
وَالْفَخْمُ تَنْقُلُ عَنْهَا مَا تَرُدُّهُ مِنَ الشَّنَاءِ فَيَفْشُو فِي مَا وَنِيَهَا
وَفَضْلُ خَزَعْلُ أَمْسَى فِي الْوَرَى مَثَلًا بِهِ نَسَتْ مَعْنَهَا السَّاجِي وَطَائِيَهَا
وَلَسْتُ تَسْمَعُ فِي الْأَفْوَاهِ غَيْرَ ثَمًا تِلْكَ الْأَيَادِي يَلِيهِ قَوْلُ مُشْنِيَهَا
وَمَنْ يَكُنْ جُودُهُ جُودَ الْوَصِيِّ عَوَا فِيهِ لَقَدْ بَلَّغْتَ أَقْصَى تَمَنِّيَهَا

تقوى عظمة السردار أرفع

وَالشَّيْخُ خَزَعْلُ فِي بَارِيهِ مُشْتَلٍ بَرًّا وَتَقْوَى وَإِيمَانًا وَتَدَلِّيَهَا (١)
لَهُ تَوَجُّهُ فِي حُسْنِ الْعِبَادَةِ وَالْمُجُودِ مُطَوَّرِ النِّيَّاتِ نَاقِيَهَا
لَوْجِهِ يَعْمَلُ الْخَيْرَاتِ يَذِلُّهَا لِلنَّاسِ لَا يَرْتَجِي إِلَّا الرِّضَى فِيهَا
يُشْنِي عَلَيْهِ ثَنَاءُ الْمُسْلِمِ الْوَرَعِ السَّاقِي الَّذِي عِزُّهُ الْبَارِي بَرَجِيَهَا

غبري « بل طالما شهدنا هذا الأبرار الجليل أمدنا الله بطول حياته وعلما فداء يبذل أمواله على عفائه وهو يقول « انه مال الله لبياد الله وما أنا الا أمين عليه »

وما تقتخر بأبائته هنأنا عظمة مولانا الذي أمد الله في عمره السيد من أعمارنا أنه يأتي سماع التكر على ما يبدى من برقى أنه ليخجل مما يتلى على مسامحة العزفة من صادق أمدادهم ن أفواه الشراء الكثيرين الذين يقصدون ساحتهم ويقاطعهم بقوله « غاليتم » أو قوله « وقتني الله لتحقيق ما تمولون »

وقصارى القول أن عظمة مولانا السردار أرفع قد جدد عهد الرشيد في عهده الارهر وفات بيت القصيد من كل ما يداع من آيات انكرم ويشهر

(١) ان القول في تقوى عظمة مولانا السردار أرفع الشيخ خزعل خان واصهرامه بكليته الى الله شأن المسلم الورع لا يحتاج الى برهان وكل من عرف عظمته اللوكية وفز بنعمة التشرف رفته السية يرى شهادة عيان من تمسك عظمته بأحكام القرآن وقضاء التمروض والنوافل في كل مكان وروان ما يدرك منه مبلغ ما في نفسه الطاهرة من الصلاح والبر والتقوى وهو حفظه الله يسدي الحيدرات ويواصل المحسات بالحنان لوجه الله الكريم يطلب بها ثواب الآخرة لا الوجاهة في هذه الحياة الدنيا على أنه رعاها الله وتر بها جميعاً

فَلَسْتَ تَلْقَاهُ إِلَّا فِي عِبَادَتِهِ
أَوْ فِي فَرَائِضِهِ أَلَلْبَا يُتِمُّهَا
وَيَا رَسُولَ وَالِ الْبَيْتِ أَجْتَمِعْ
مُسْتَشْفِعًا بِهِمْ عِنْدَ الْإِلَهِ وَهُمْ
عَلَيْهِمْ كَانَ بَعْدَ اللَّهِ مُتَكَلِّفًا
وَمَنْ يَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ مُؤَيِّدًا
يَلْقَ الْإِلَهِي أَمِينًا مِنْ مَخَاطِرِهَا
وَالْوَحْيِ هَوَى فِي نَفْسِ خَزَعْلٍ فَهِيَ فِيهِ مُشَفَّعَةٌ وَالْحُبُّ مُحْيِيهَا (١)
وَقَدْ تَنَقَّفَ فِي عِلْمٍ وَفِي عَمَلٍ عَلَى مَوَاطِنِهِ إِذْ رَاحَ وَاعِيَهَا
فَمَا لَدَيْهِ مَعَ الْقُرْآنِ غَيْرُ كِتَابٍ الْمُرْتَضَى لِرَبِّي النَّفْسَ يُرْقِيهَا
بِذَا تَجَلَّى خَزَعْلُ الْوُفَى الْعِلَاءَ بِأَخْلَاقِ حِسَانٍ تَنَاهَتْ فِي تَسَامِيهَا
وَأَصْ أَفْضَلُ مَنْ نَالَ أَلْسِيَادَةَ وَأَسْتَرْضَى بِأَلَايِهِ أَلْحَسَنًا مُسَوِّدَهَا
وَحَبُّهُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ مُتِمًّا آثَارَ حَيْدَرِهِ بِرَأً وَثَافِيهَا

دعاء المحباج لعظمة السردار أرفع

وَهَا الْحَجَّاجُ بِالْحَرَامِ التَّقَاةَ حَيًّا لَ الْبَيْتِ نَاسِكَةً وَالْبِرُّ غَاشِيَهَا

(١) قد امتاز عظمة مولانا السردار أرفع روحه فداه بحبه وإخلاصه للنبي العربي الأسمى محمد المصطفى عليه الصلاة والسلام فلا تانيه الا وهو يعرف بحاله بالصلاة على المصطفى وذكر شرفه وما نال الخلائق من الخير برسالة المقدسة داعياً الناس الى التخلق بأخلاقه القدسية واتخاذ به آدابها البليغة ينصرف الى الله سبحانه فيقول مع المرتضى عليه صلوات الله « اللهم هو أميك المأمور ، وشبهك يوم الدين ، وميثاق نعمه ، ورسولك بالحق رحمه ، اللهم أقسم له ميثاقاً من عدلك ، واجزه مصاعفات الخير من فضلك ، اللهم أعلـ على بناء البنائين بناءه ، وأكرم زله ، وشرف عـ عدك منزله ، وآته الوسيـلة ، وأعـطه السناء والفضيلة ، واحشـرنا في زمـرته غـر خرايا ، ولا ناديين ، ولا ناكبين ، ولا ناكثين ، ولا ضالين ، ولا مضلين ، ولا مقتوبين » اهـ

(٢) ان تقا عظمة مولانا السردار أرفع بهوى أمير المؤمنين يسوع الدين سيدنا الامام الأعظم علي بن ابي طالب متين من تلقه روحه فداه بالله والمصطفى تقياً لصادق اسلامه ومناخه في دينه وطالما - مناه برود قول المرتضى عليه صلوات الله « أيها الناس خذوا عني خاتم النبيين

وَبَعْدُ فِي عَرَافَاتٍ كَانَ مَوْقِفُهَا
لِلرَّبِّ وَالطُّغْرُ تَرْجُو عَفْوَ ذَارِنِهَا
هُنَاكَ قَدْ ذَكَرْتَ فَضْلَ الْمَرْءِ عَلَى الْوَرَبِ
أَلَا لِي كَانَ لِلْإِسْتِغَادِ شَادِنِهَا
وَهَلَّتْ بِأَسْنِهِ لِلَّهِ دَاعِيَةً
بِأَن تَلَاقِيهِ أَخَابُ قَبْلِيْنِهَا
وَاللَّهُ مُسَبِّحَانَهُ مَمْنَحٌ لِدَعْوَتِهَا
فِي قُرْبِ كَتَبِهِ الْقَلْبِ مُلَبِّسِهَا
وَإِنَّهُ لَطَبِيبٌ عَذْرٌ خَزَعِلَهَا
لِكِي تَزِيدَ بِهِ جَاهَهَا وَتَرْفِيهَا
وَإِنَّهَا دَعْوَةٌ مَا فِي الْأَعَارِبِ إِلَّا م
مِنْ بَرْدِهَا عَفْوًا وَيَغْفِيهَا
وَإِنِّي نَاقِلٌ مَعَهَا إِلَى أَذُنِ الْوَرَبِ
فِي عَيْدِ أَضْعَافِهَا أَمَانِهَا
بِأَن يَطْلُ خُلُودًا سَيِّدًا عِلْمًا
يُحْيِي مَفَاخِرَهَا فَضْلًا وَيُنْشِئَهَا
وَعِيدُهَا أَنْ تَرَى السَّرْدَارَ فِي نَعْمٍ
عَرَاءَ سَابِقَةِ تَرْهُو مَجَالِهَا

عرصة القصيدة العلوية

مَوْلَايَ فِي الْعَيْدِ يَلْقَى الْعَبْدُ سَيِّدَهُ
مَعَ الدُّعَا بِهَدَايَا قَدَرٍ مُهْلِكِهَا
وَاللَّهُ وَفَّقَ مَمْلُوكَ الْمُعْزِ إِلَى
هَدْيَةٍ فَوْقَ قَدَرِي بَلٍ وَيُعْزِيْنِي
قَصِيدَةً مَا لَهَا زِدٌ يُمَالِئُهَا
إِذَا بَدَرْتُ دُرٍّ مِنْ دَرَارِهَا
يَلَا نَصْدَى إِلَى أَمْنَاهَا أَحَدٌ
فِي دَوْلَةِ الشُّعْرَى مَدَّ شِدَّتْ مَغَانِيهَا
وَأَمَّ يُجَلِّ قَلَمٌ فِي مِثْلِهَا أَبَدًا
قَبْلِي مِنْ الشُّعْرَى وَصَفًا وَتَشْبِيْهِهَا
وَلَا الطُّرُوسُ وَعَتْ يَوْمًا مُضَاهِيَهَا

صلى الله عليه وآله وسلم ، انه يموت من مات ما وليس بميت ، وبلى من بلى منا وليس ببالر ، فلا تقولوا بما لا تعرفون ، قد أكثر الحق فيما تنكرون ، واعتروا من لا حجة لكم عليه ، وأنا هو (وهذا كان يقول لنا الذين يبارك الله فيه أنه علينا المرتضى عليه صلوات الله هو الذي لا حجة عليه) ألم أعلم فيكم بالقل الأسمك ، وأترك فيكم الثقل الأصغر ، وركزت فيكم رايه الامان ، وونهكم على حدود الحلال والحرام ، وألبسكم الدافيه من عدلي ، وفرشتكم اللروف من قولتي وقولي ، وأريكم كرامه الأخلاق من هسي ، فلا تستعملوا الرأي فيما لا يدرك قره البصر ، ولا تنظروا اليه الفكر ، اه ثم ينصرف عطيه أدامه الله ركننا لنا ركننا بيان عر ما حوته هذه الخطبة اللوية بما يشف من صادق اعتقاده بالخبرة الحيدرية وتشبهه الى الكمالات اللوية مما يطرب السامع ويدعو الى خشية الخاتم ويمرف معه التشيع والمناجيم

بَلْ صُنْعُ الشَّعْرِ تَعْيَا عَنْ نَشَائِدِهَا وَمَا قَوَافِيهِ كِفَّةٌ أَنْ تَوْشِيَهَا
مَا فِي الْمَلَا حِمٍّ وَأَسْمُ اللَّهِ مَلْحَمَةٌ أَلُوفُ أُنْيَايَهَا تُشْجِي مُغْنِيَهَا
تَسْقَتْ كُلُّهَا وَزَنَّا وَقَافِيَةً عَلَى اخْتِلَافِ أَلْمَانِي مَعَ تَاتِلِهَا
لَا إِلَهَ ضَمَّهَا سِلْكُ قَهَابِي عَقْدُ نَظْمُهُ لِلرُّدَى أَسْنَى تَلَالِيهَا
وَلَا أَنَا أَدْعِيهَا لَسْتُ نَاطِمُهَا حَاشَا وَلَكِنِّي تَأَلَّوْهُ رَاوِيَهَا (١)
عَلَيَّ قَدْ هَبَطْتَ مِنْ عَالَمٍ عَلَوِي كُنْتُ أَكْتُبُهَا مَعَهُ وَبِمَلِيهَا
سَحَى أَنْجَلَتْ آيَةً فِي الشَّعْرِ بَاهِرَةً تُنَبِّئُ بِفَضْلِ مَوْشِيهَا وَمَوْحِيهَا
تُبْدِي بِأَجَلٍ مَا يَسْطِيعُهُ قَلَمٌ فَضْلُ الْوَصِيِّ عَلَى الدُّنْيَا أَغَانِيهَا
وَفَضْلُهُ بِتَلَالَا فِي شَرِيفَتِنَا أَلْسَمَعَا وَفِي كُلِّ مَوْشَى مِنْ مَشَاوِينَا
لَا بَلَّ بِهِ أَغْنَيْتُ كُلَّ الْبَرِيَّةِ سَيِّئَانِ الْمُجُوسِيِّ فِيهَا أَوْ كِتَابِيهَا
لَا غَرَوْ مِدْحَتُهُ أَنْ تَمْنِيَنَّ قُرَيْشٌ دَدَ الْمَدَائِحِ لَا مَدْحُ يُحَاكِمُهَا
مَا دَامَ مَدْدُوحُهَا مَا مِنْ يُشَاكِيهِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ بِأَسْتَشْنَاءِ هَادِيهَا
يَزِينُهَا تَشْرِهَا بِأَسْمِ الْمُدْرِ وَبِهَيْدِهِ الْمَثُوبَةِ قَارِيْنَا وَشَادِيهَا

سبب نظم هذه القصيدة المباركة

عَنْ الْمَعْرِزِ تَلَقَّيْتُ الْفَرَامَ بَا لَاءَ الْإِمَامِ أَلْسِي مَا زَالَ يُبْدِيهَا (٢)

(١) اني لأجور على رؤوس الأشهاد بأن هذه اللحمة القرميدة التي لم ينسح الناسجون على منوالها ولا أتى الشعراء بمثلها هي فوق علمي وما أنا ناظمها وأما هبطت علي من عالم علوي فأنا راويها وإنما وإن اتفضل الأكرمي في تجليها على شكلها الأزهر لموجها وموشها ألا وهو المدد الروحاني العلوي فهي معجزة من معجزاته وآية من آياته عليه صلوات الله
(٢) ان غرام علامة مولانا السردار أرفع الشيخ خزعل خان أطال الله بقاءه بسيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كما سمت الاشارة بموق حد الوصف والتصوير يرف هذا كل من أسنده الخط قشرف بالخضرة السنية الخزعية أوحضر مجلساً من علماء حضرة الهمية وهي على ما يعلم الجمهور بمجالس علم وأدب وسياحة وفكاهة تمت دائماً أبداً بالعلماء والادباء والشعراء والطرفاء ولا أذكر كلاً لا يذكر غفري من اللائمين بالرش الخزعلي العالي أن خلا مجلس من مجالس حضرة من ذكر سيدنا أمير المؤمنين وسرد عرر عامده وماده عليه صلوات الله والجلي في مضمار البيان هو حجاب الشيخ الذي الدان الذي لا يفك بطرب ساميه بالآثر العلوية والحمد الحيدرية ويتول برب حب

وَالشَّيْخُ أَوْفَى مُجِيبِهِ وَأَكْثَرُهُمْ
فَلَسْتُ تَلْفِيهِ إِلَّا عَنْ مَحَامِيدِهِ
فَكُنْتُ أَسْمُهُمَا مِنْهُ وَأَقْبَهُمَا
مِنْهُ عَرَفْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأُ
وَلَيْسَ تَسْعُدُ إِلَّا فِي تَسْبِيحِهَا
فَقَضَلَ خَزَعَلَ فِي إِنْشَاءٍ مَلْحَمِي
وَفَضَلَهُ أَتْنَهَا فِي جُودِهِ نَظُمْتُ
كَهَيِّ عِيَالِي وَأَكْفَانِي حَوَائِجَهَا
فَمَا أَفْلَاءُ بِمُضْنِي وَإِنْ شَكَتِ النَّاسُ أَفْلَاءَ الَّذِي قَدْ كَادَيْتُ فِيهَا (٢)

وأخر « هذا هو أبو الحسين هذا هو أمير المؤمنين » وكان كثيراً ما يلو علينا خطب الأئمة ورسائله وهو يحفظها فيجودها بتجويداً وكان يقول « ان الأمة العربية لا تطهر بأمايها الطيبة وتمود الى مجدها السالب الا اذا اتخذت أمير المؤمنين عليه صلوات الله قدوة لها فتطقت بأخلاقه واتقادت به وتجردت لخدمة الأمة تجرده » واني أعترف بأنني ما عرفت أمير المؤمنين عليه صلوات الله حق معرفته وتطعت بحبه تدليلاً الا بفضل مولاي وولي نعمتي المزمز المظم وروحي فداه وكتيرون مثلي بفضل عظمه الملوكة تدلها بسجايها الامام وهاموا بشخصه المقدس عليه السلام

(١) أقول ان فضل عظمة مولاي السردار أرفع في نظم هذه الملحة الثمينة والتقصيد المباركة فضيلته أحدهما أدني وهو تمديته نفسي بحب أمير المؤمنين وتقريبه لي بسجايه ومآثره العظيمة عليه صلوات الله والثاني أني صرفت على نظم هذه الملحة مدة تقرب من ستين في أشد سنوات الناس غلاهما الستان الاخيراتان من الحرب العامة « ١٩١٨ و ١٩١٩ » ومن علم أني والله تمة عيال أعوهم وأهمهم في تلك كسر أنا معروف فيه بصفتي مملوك السردار أرفع أعيش بنعمته والظهور بقسم الظهور كما يقولون تدثر فضل مولاي المزمز المظم الذي كفاني حوائج اليسال وصرفني الى نظم مناقب أمير المؤمنين النوال فلا غرو صد المهر بتمة المزمز واعلان شكرها أن يهديه التواب كل معجب به هذه الملحة المباركة ومترنم بتلاوة أناشيدها المطربة

(٧) يخلق بي أن أشير هنا الى الفلاء الفاحش الذي عاياه الناس في سنوات الحرب أولاً تيباً لفضل عظمة مولاي ولي النعم السردار أرفع المظم باكفاء عيالي حوائجهم فيها وشكر عطائه على هذا الفضل الجرم والتكر دوام النعم أو كما يقال لا يتكر الله من لا يتكر الناس وتانياً لتخليد ذكر هذا الملاء في بطون الوراق ذكرى للخلق عما منيت به الانسانية من الضيق والسر في هذه السنوات العصيبة التي لا يذكر التاريخ مثلها . نعم ان التاريخ يذكر كثيراً من القحط والضيق الذين أصابا الناس في أوارهم الماضية ولكن ذلك الضيق والقحط كانا ينحصران في صقع دون آخر فيتلاح للمسررين مساعدة المورسين خلافاً لفي الحرب العامة هذه فان الضيق قد استحكم في العالم

وَلَا أُبَالِي بِأَسْوَاقِ الْحُرُوبِ وَإِنْ تَحَكَّمَ الْبَائِعُ أَقْلَامِي بِشَارِهَا
وَلَا أَسْأَلُ يَوْمِي مَا يَجِيءُ غَدٌ مِنْ الرِّزَايَا الَّتِي الدُّنْيَا تَقَاسِمُهَا
وَهَا أَنَا فِي حِمَى الْمَوْلَى وَنِعْمَتِهِ وَجُودِهِ مُطْمَئِنُّ النَّفْسِ هَانِيهَا
لَا هُمْ لِي غَيْرُ أَنْ يَرْضَى وَإِنْ رَضِيَ أَلْهَمُ مَا غَضِبَ الدُّنْيَا أُبَالِيهَا
لَوْ فِي هَلَاكِي رِضَاهُ مَا بَخَلْتُ بِنَفْسِي فِي سَبِيلِ رِضَاهُ أَنْ أُضْحِكَهَا
وَقَدْ عَرَفْتُ يَقِينًا أَنَّهُ وَلَهُ بِالْكَامِلِ الْمُرْتَضَى سِرًّا وَتَجَرِبَةً
وَأَنْ أَفْضَلَ مَا يَرْضِيهِ مِدْحَتُهُ وَنَشْرُ أَفْضَالِهِ ذِكْرِي لِتَاسِنِهَا
فِي فُرْصَةٍ هَبَّتْ أَلْتَرُبُّ الْأَكْرَامُ فِيهَا لِلنُّهْضِ إِلَى إِدْجَاعِ مَاضِيهَا (١)
وَمَا لَهَا قُدُورَةٌ إِلَّا الْوَحْيُ أَمِينُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا تَلْقَى مَعَالِيهَا
لِلذَّكَ جَاهَدْتُ فِي تَنْسِيقِ سِيرَتِهِ أَنْشُودَةَ تَطْرِبُ الدُّنْيَا شَوَادِنَهَا
فَمَنْ تَلَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَلْحَمَتِي فَلْيَسْأَلِ الْأَجْرَ لِلْسَرْدَارِ مُوَصِّنِهَا

بأجمه في مشارق الأرض ومنازلها فلم يبق بلد من بلاد الدالين الا وشعر أهلها بالسروا وتفروغلاء
المبيضة على تماوت في المصيبة بين بلاد هلك أهلها جوعاً وأخرى أريج لأهلها سد الرمي ولم تخل
هذه الأصقاع من أفراد اغتنوا بمناجرهم ومزارعهم غنائاً فاحشاً ولكن رداء هؤلاء الافراد لا
يذكر بشيء بجانب شقاء المجموع ولا جدال أن الأصقاع الأميركية والمستعمرات الانكليزية كانت
أسعد حالا في هذا التقاء العام من سائر بلاد الدنيا وهذا بفضل حسن تدبير الدولتين الكبيرتين بريطانيا
العظمى والولايات المتحدة الأميركية . وما تقوله عن هذا الغلاء الفاحش الذي عانيناه هو أننا
صرنا ننفق أربعة أضعاف ما كنا ننفقه قبل الحرب في بعض الأشياء وضفيين أو ثلاثة أضعاف في
ابضها وكان أشد النكبة في الورق الذي نطبع عليه مطبوعاتنا فقد بلغ ثمانية أضعاف قيمته قبل
الحرب ومع شدة هذا الغلاء وكثرة العيال أعلن صراحة بأن نعمة عطمة مولاي وولي نعمتي المرحوم
قد اكتسفتني فما شعرت بشيء من الشدة التي ما انتك الناس يتكونها وانها لمنة أشكرها ما دمت
في الحياة وتشكرها أعظمي في قبرها بعد الممات

(١) لا جرم أن الأمة الكريمة العربية مهما ساعدتها نتيجة هذه الحرب العامة فانها لا ترجع
الى ماضيها الا اذا اتحدى رشاؤها بأمر المؤمنين عليه صلوات الله وأخلصوا اخلاصه في النهضة بالأمة
من رقبتها الطويلة كما أخلص في نصرة الاسلام بين يدي ابن عمه المصطفى عليهما الصلاة والسلام
ولهذا أرى شر مناقبه السنية بهذا الطراز الجديد ذكرى لاسيما منضاً هم أقطاب هذه الأمة
الى الانتداء بالذات السنية الطيبة في اخلاص النية لخدمة الأمة الكريمة العربية وهذا ما يرضي عطمة
مولاي السردار أرفع بل هو أسمى ما يتوخاه ويرضاه والله سبحانه من وراء الهداية

كيف نظمت هذه القصيدة المباركة

مَا كُنْتُ أَطْعَمُ أَنْ أَرْضِيَ الْوَصِيَّ بِأَبْنَائِي وَلَا أَنْ تُؤَانِيَنِي قَوَائِمُهَا
وَلَا حِلْمُ بَأْنٍ أَوْ فِي حَقِّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا أَوْ أَنْ أَوْدِيَهَا
لَكِنْ طَلِعْتُ بِطَفْرِ مِنْ أَبِي حَسَنِ يَنَالُنِي وَبِهِ نَفْسِي أَقْوَمُهَا
وَأَنَّهُ فِي عِلَالِهِ لَيْسَ يَجْهَلُ نَيْسَةَ الْعَبِيدِ الَّتِي قَدْ كُنْتُ أُنَوِّمُهَا
وَأُنِيِّي أَبْنِيَّ الْخَيْرِ الْعَمِيمِ بِهَا لِلْعَرْبِ وَهُوَ الَّذِي مَا أَتَكَ أَوَّيَهَا
فَكُنْتُ عِنْدَ رَجَائِي بِالْإِمَامِ قَلَمٌ يَنْحُلُ عَلَيَّ بِمَنْى كُنْتُ رَاجِعُهَا
فِيهَا قَضَيْتُ شُهُورًا سَبْعَةً وَأَنَا أَلْقَى ضِيَاءَهُ عَلَى مَجْرَى ثَوَائِمِهَا (١)
جَلَالُهُ فَصَبُّ عَيْنِي عِنْدَ يَقْظَتِهَا فَلَا تَرَى غَيْرَهُ يَوْمًا مَرَّائِهَا
وَإِنْ أَنَا قَوَائِمُ الْفَنَسِ عَاشِقُهَا وَفِي رَحَائِلِهِ الزَّهْرَاءُ يُشَوِّمُهَا
لَدَتْ حَيَاتِي بِذِيكَ الْخَيْرِ وَلَمَّا مِنْ الْوَصِيِّ الْمَفْدَى مَا يُهَسِّنُهَا
وَلِنْ أَطِيبَ أَوْقَاتِي وَأَهْبِجُهَا تِلْكَ الَّتِي مَعَهُ قَدْ كُنْتُ أَقْضِيهَا
فَبَيْنَمَا كُنْتُ فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ أَرَى أَبَا الْحُسَيْنِ مُجَلِّسَهَا وَغَارِهَا
إِذَا أَنَا بَيْنَ أَيْدِيهِ أَرَاهُ عَلَى عَلِيٍّ الْمَنَارِ أَيْ الْوَعْظِ يُلْقِيهَا
وَكَانَ يَنْهَمَا يُلْقِي الْإِمَامُ عَلَيَّ مِنْ دُرُوسِ الْقَضَا وَالذَّهْرِ عَالِيهَا
وَكُنْتُ أَطْلُبُ مِنْ سَامِي تَطْفِئِهِ مَعُونَةَ لَأَمِيرِ الْعَرْبِ يَسْدِيهَا
وَأَنْ يُحَقِّقَ آمَالَ الْأَعَارِبِ فِي تَأْيِيدِهِ وَهُوَ لِلْعُلِيَاءِ مُرْقِيهَا
وَأَلْتَقَى عَصْدُ السَّرْدَارِ نَاصِرُهُ وَلِنَصْرَةِ الْمُرْتَضَى تَكْفِي مَرْجِيهَا

(١) بدأت بنظم قصيدتي المباركة الطولية في أول شهر فبراير سنة ١٩١٧ وانهت من نظم السيرة المباركة الطولية وهي القسم الأول منها في آخر سبتمبر سنة ١٩١٨ وهذه هي التهور السبعة التي أشرت إليها في المتن ثم استأنفت العمل في القسم الثاني من القصيدة وأعدت النظري القصيدة فما في من سنة ١٩١٨ وكل سنة ١٩١٩ فأكون قضيت في نظم هذه القصيدة المباركة وتهذيبها وتليقها حواشيها وطبها هذه الطبعة المتقنة في نحو حولين واحد لله في البدء والختام

وقف في الروضة البهية

مِرْبِي أَمِيرِي إِلَى مَنَوَى الْأَمِيرِ إِلَى
 وَطْلَمَا زُرْتَهَا بِالرُّوحِ وَهِيَ لَقَدْ
 وَكُنْتُ أَغْبُطُ نَفْسِي وَهِيَ ظَافِرَةٌ
 وَقَفْتُ فِيهَا بِالْجَلَالِ وَقُوفَ شَجْ
 أَعِيزُ أَلْوَجْهَ تَغْيِيرًا بِرَبِّهَا
 أَفْرَأُ الصَّلَاةَ عَلَى الثَّوَابِي بِسَاحَتِهَا
 وَأَبْلُغُ السُّؤَالَ مِنْ هَانِي زِيَارَتِهِ
 هُنَاكَ أَشْدُّ بِالْقَوَى أَبَا الْحَسَنِ
 أَقُولُ: يَا عَصَدَ الْإِسْلَامِ يَا سَدَّ الْأَرْبَابِ مُنِيَّةُ نَفْسِي أَنْتَ مُوَلِّيهَا
 وَإِنَّ مُنِيَّتَهَا تَأْيِيدُ خَزَعَلْنَا عَلَى الرِّغَابِ الَّتِي لِلْعَرْبِ يَتَوَلَّيْهَا
 وَفِي رِحَابِكَ أَرَوِي شُكْرَ أُنْمِهِ الْكَفَرَى الَّتِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَا تَبِيهَا
 فَأَشْفَعُ بِهِ وَأَنْصِرْتَهُ مَعَ مُحَمَّدٍ عِنْدَ اللَّهِ نَصْرَةَ إِقْبَالَ يَوْحِيَهَا
 وَأَذْكُرُ بَنِيهِ وَهُمْ تَاللهِ شَيْعَتُكَ الْآمِ خِيَارِ بَيْنَ الْوَرَى أَمْسُوا مُشِيغِيهَا (١)
 ذَوُ نَفُوسٍ تَسَامَتْ فِي خَلَائِقِهَا السَّيْرَا كَمَا تَخَذَتْهَا عَنْ مَرَبِّهَا
 نَجُومٌ هَذِي ذُكَاهَا خَزَعَلُ وَبِهِ قَدْ تَمَّ فِي أَفْقِ الْعَالِيَا تَلَايَهَا
 فَجَاسِبٌ وَجْهِئُ وَالْمَجِيدُ عَزِيْزٌ وَالْكَرِيمُ وَعَبْدُ اللَّهِ سَادِيهَا
 وَأَمْدُذْهُمْ لِيَدُومُوا لِلْعِزِّ كَمَا لَهُ تُحِيطُ بِشَيْءٍ وَهِيَ تُسَنِّيهَا
 هَلِي مَنَى الْعَرْبِ تُسَنِّيهَا بِرَوْضَتِكَ الْغَنَّا وَأَنْتَ خَلِيقُ أَنْ تُسَنِّيَهَا

(١) المال والبنون زينة الحياة الدنيا ولهما من نعم الله تعالى على عباده بمحمد عليهما آية الليل
 وأطراف النهار . أما المال فقد أفاضه الله سبحانه على عظمة مولانا السردار أرفع الشيخ خزعل خان
 روحه فداء فكان بين يديه أمامه طية لباد الله يجود به عليهم كريماً لا يريد بذلك شكراً ولا
 أجراً سوى رضا الخالق العظيم . وأما البنون فقد خص الله سبحانه من وارف نعمه وفيض كرمه
 عظمة . ولانا الذين حياه الله بسة أبحال نجباء أذكياه تفضل عليهم عطمته من قبل أن يخلقوا

المعاصرة

مَوْلَايَ جِشْتُكَ مِنْ عِنْدِ الْإِيمَانِ آمِينَ — رَ الْمُؤْمِنِينَ بَآيَ الْحَمْدِ أَهْلِيهَا
وَأَنْسِنِي مَائِلٌ بِالرُّوحِ بَيْنَ يَدَيَّ عَلَيْكَ فِي الْعِيدِ فَاسْتَقْبِلْ هَوْلِيهَا
وَأَعْظِفْ وَأَنْتَ أَمِيرِي الْمُرْتَجَى كَرَمًا عَلَى مُحِبِّ بَعِيدِ الدَّارِ نَائِيهَا
يُودُ لَوْ طَارَ مَعَ سِرْبِ الطُّيُورِ إِلَى مَثْوَى جَلَالِكَ بَرْقِي مَعَ زَوَاقِيهَا
فَلَيْتَهَا مَا تَقَنَّتْ فِي مَسَارِحِهَا إِلَّا بِحَدِّكَ فَاسْمَعْ شِدْوَ شَادِيهَا
وَأَقْبِلْ نَهَائِي بِالْأَضْحَى وَقَدْ طَرَبْتُ بِهَا الْأَعَارِبُ إِذْ بَاتَتْ تَنْسِيهَا
وَأَنْتَ الْغَيْدُ وَالْأَعْيَادُ مَا بَهَجَتْ إِلَّا بِرُؤْيَاكَ وَالْأَعْدَا تُضْحِيهَا
وَالْعَرْبُ مَا عَيْدَتْ إِلَّا بِجَاهِكَ إِذْ بِهِيَ الْخَلَائِقُ إِنْ تَفَخَّرَ تَجَاهِيهَا
وَمَا لَهَا مُرْتَجَى عِنْدَ الْمُتَمِينِ إِلَّا مَ أَنْ تَظُلَّ مَدَى الْأَجْيَالِ وَالِيهَا
قَدْ لَهَا سَرْمَدٌ وَأَسْلَمَ وَعِشْ رَغَدًا مَصَاحَ فَوْقَ غُصُونِ أَرْوَضِ قُرُونِهَا

باختيار أمهاتهم من كرائم الشائرويد أن ولدوا بنتاً بهم وسهره على تربيتهم فضلاً عن انتداب
نفسهم العالية من نفس الطيبة فتبوا في ظله اللطيل وهم يحكون عظمتي في مكارم الأخلاق وعمان
السجيا فبارك الله فيهم من كواكب لامة في أفق المغائر المخرلية

وكبير الأنجال هو صاحب السمو نصره الملك الشيخ جاسب خان حاكم الحمرة وثاني الأنجال
هو صاحب السمو الشيخ عبد الحميد خان حاكم الأهواز وثالث الأنجال هو صاحب السمو الشيخ
عبد الحميد خان وراح الأنجال هو صاحب السمو الشيخ عبد العزيز خان وهو أخ شقيق لسمو
نصره الملك وخامس الأنجال هو صاحب السمو الشيخ عبد الكريم خان وسادس الأنجال هو
صاحب السمو الشيخ عبد الله خان هؤلاء هم أهل الله التي تفي به حول الشمس المشتمة بأوارها
السنية من الذات اللمية المخرلية وقد نشأوا على الفضيلة وكل منهم حفظ القرآن الشريف من تومة
أطفاره فأدبوا بأدبه واعتدوا بهديه وتربوا على حب المصطفى والمرضى وألها الحيرين عليهم الصلاة
والسلام فكانوا شية لهم متعلمين بهم حياً وفتحوا أعينهم في حجر والد ماجد تمتل في الحماد
قطبوا عليها وهي من أصل طيبتهم الطيبة وهكذا أنتم الله في ظلال عطمة مولانا الذي نبأ طيباً
فكانوا قرة عينيه بل نعم قرة عين الأمة الدرية التي تنظر الى عظمتهم والدمع المحبوب المندى بحبات
القلوب نظرة حب واحترام واجلال . ولقد اصرف هؤلاء الأنجال النجاة الى العلم اقتداء به الدم
الطيب فكانوا مثله راغبين فيه يساعدون بالأموال دويه فترى مجالسهم عامرة بالعلماء والشرعوا لاداء كما
تراهم وحوهم الكتب والدفتر والسأكرو لقت توسعوا في الفقه والاداب العربية وأنقذوا اللتين الفارسية
والانكليزية ولم يزالوا في ريدان الشباب ومقبل الامر وكبيرهم دون الثلاثين وصغيرهم لا يتجاوز
السادسة عشر قرياً فانه المستول أن يتولاهم بفضلهم بشاعة المصطفى والمرضى وأهلهم الصلاة والسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عطف أمير المؤمنين على ناظم هذا العقد الثمين

رؤيا رومية وتجليات سنية

بُشْرَى فَفَقِي قَدْ نَالَتْ أُمَانِيهَا فَمَا أَنَا فَوْقَ مَا نَالَتْ أُمْنِيهَا (١)
بُشْرَى لَهَا بَلَقَتْ أَسْنَى مَطَالِيهَا وَالذَّهْرُ أَضْحَى بِمَا تَبَيَّنَ يَوْمَانِيهَا
وَأَيُّ مَفْخَرَةٍ تَرْجُو وَقَدْ كَسَبَتْ مِنَ الْمَفَاخِرِ وَالْأَلَطَافِ عَالِيهَا
وَأَصْبَحَتْ تَزْدَرِي أَسْنَى الرَّغَائِبِ إِذْ بِالتَّجُحِّ قَدْ كَلَّلَ الْبَارِي مَسَافِيهَا
وَأَنَّهَا حُرَّةٌ فَاسْتَمِدَّتْ بِسَجَا يَا الْمُرْتَضَى فَرَأَى فَضْلًا تَأْمِنِيهَا
وَقَدْ أَوَتْ ظِلَّهُ رَغْدًا وَهَامِي فِي السَّعْيِ عَلَى إِحْسَانِ مَوْلَانِيهَا
وَلَيْلَةٍ مِنْ لَيْلِي أَقْدَرِ زَاهِرَةٍ بِنَظْمِ مَدَحٍ عَلَيَّ كُنْتُ أُحْيِيهَا

(١) انصرفت الى نظم هذه القصيدة المباركة كتفا بسيدا أمير المؤمنين عليه صلوات الله خالبا من كل تكلف ولكي ألم بالسيرة وأنف على ما فيها من الشؤون المحطرة عكف على التواريخ الحماة التي وضعت لصور الاسلام أدرسها دوسا لافق بن روايلها المتضاربة وأقصد صحيحها من فسدتها وراجعها من مرجوحها فكنت أجي في هذا العمل الشاق الليالي الطوال وكنت كلما حقت في الدرس وتوسمت في المطالعة أردد ولها بذلك الرجل الكامل صنو المصطفى عليه ما الصلاة والسلام وأفضى بي هذا الوله الى تمثل شخصه الممدس عليه صلوات الله في قطني ومنامي على حد قول ابن المارزج

جاءكم نصب عيني اليه وجهت كلني
وسرتم في ضميري والقلب طور التجني

وبدأ في المرتضى عليه صلوات الله الا ان يشته على هذا الماشق المتوقف وينعطف بحودة فضل على جلال قدره ونظر الى أحقر عبيده بلطفه التناهي وامدني بروحانيته القدسية في ليلة الاحد ١١ جادى الثانية سنة ١٣٣٦ ١٤ مارس سنة ١٩١٨ « فكانت لي تلك الليلة المباركة ليلة القدر وهي خير من ألف شهر تولاري كل ما فضله وأفضيه من ليالي العمر في الصفو والبشر. ثم في تلك الليلة المباركة عبد

فُخِّلْتُ فِي جَنَانِ الْخُلْدِ مُقَبَّلًا فِيهَا فَطَوَّبَنِي لِقَائُ قَاتِرٍ فِيهَا
هَنَّاكَ قَدْ صَاحَ بِي صَوْتُ وَرَنَتِهِ كَرَّةً الْآيِ إِذْ تَلَّى مَثَانِيهَا
وَقَالَ: بِشْرَاكَ فَافْخَرِ إِنَّ مِدْحَكَ الْبَرَاءَ مَقْبُولَةٌ بَيْنَا مُثْنِيهَا
نَلْتَ الرِّضَاءَ وَمَوْلَاكَ الْمَعْرُوفَ تَرْجُو عَوَارِفُهُ يَلْفَاكَ ضَافِيهَا
وَهُوَ الْمَوْئِدُ فِي سَائِي مَقَاصِدِهِ لِلْعَرْبِ يَهْرُ عَادِيهَا وَشَانِيهَا
لَقَدْ تَوَقَّعْتُ لِلْخَيْرَاتِ يَمَعَهَا وَلِلْمَآخِرِ يَسْتَدِينِي قَوَاصِيهَا
عَنْهُ أَرْتَضَى الْمُصْطَفَى مَعَ رَهْطِ عَثَرَتِهِ فَلْيَبْشِرَنَّ بَعْنِي يَسْتَوْ تَوْخِيهَا
وَالْخَيْرُ مَا سَمِعْتُ أُذْنِي وَقَدْ سَمِعْتُ لِيَحْزَلَ نِعْمًا أَكْثَمُ بِمُطْلَبِيهَا
وَقُلْتُ فِي مَوْفِي وَالْبَشْرُ بَمَلَأْ نَفْسِي وَهِيَ شَاكِرَةٌ شُكْرًا مُنَاجِيهَا
مَوْلَايَ مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ الْإِنْسَاءُ عَلَى جَدْوَاكَ أَذْكَرَهَا ذَا الْيَوْمِ نَاسِيهَا
بِحُلِيِّهِ مِنْ بَرِيعِ النَّظْمِ رَائِعَةٍ حَيْدُ الزَّمَانِ تُحْلِيهِ لَآلِيهَا
وَاللَّهُ مَلْحَمَةُ الْيُونَانِ ضَالِمَةٍ بِهَا وَإِنْ كَانَ هُوَ بِرُؤُسِ مُثْنِيهَا
وَفَضَاهَا أَتْنَاهَا فِي الْمُرْتَضَى تَطْلُتْ وَمِنْ مَحَامِدِهِ أَسْتَوْفُ مَبَارِيهَا
وَمِنْ مَدَائِحِهِ نَالَتْ مَحَامِدَهَا وَمِنْ بَلَغَتِهِ أَسْتَوْحَتْ مَعَارِيهَا
ذَاعَتْ فَوَاتِحُهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ كُتِلَتْ فِي الْخَافِقِينَ وَغَنَاهَا مُثْنِيهَا

وَأَسْجَانِي تَدْرِيدُ الْبَلَابِ عَلَى أَفَانِهَا فَوَدِدْتُ لَوْ اتَّبَعْتُ لِي الْإِقَامَةَ فِي تِلْكَ الرُّوْحَةِ الْإِرْيَاضَةِ بِرَهَةٍ مِنْ الزَّمَنِ أَسْرَحَ فِيهَا الْخَلَاقُ الْعَظِيمُ . عَلَى أَنَّ الْجَوَادَ مَا زَالَ فِي عِدْوِهِ حَتَّى وَصَلَ نَآلِي بِنَاءِ رَحِمِ كَثِيرِ الْخَرَفِ أَتَيْتُ فِيهِ الْقَبْ مِلْوَءَهُ بِالذَّهَبِ الْوَهَّاجِ وَمِنْ حَوْلِهِ الْمَآذِنُ كَالرَّائِسِ قَتَلْتُ اللَّهَ مُسْجِدَ عَظِيمٍ وَجَامِعَ نَجْمٍ وَهَنَّاكَ وَتَفَّ الْجَوَادُ فَتَزَلَّ صَاحِبِي وَأَنْزَلْتَنِي وَقَالَ : هَلْ أَتَيْتُكَ ؟ قُلْتُ كَلَّا . وَلَكِنْ هَلَا أَخْبَرْتَنِي عَلَى مَنْ نَحْنُ قَادِمُونَ ؟ قَالَ سَوْفَ تَعْرِفُ فَوَدِدْتُ أَنْ تَصْبِرَ وَاتَّبَعْتُ خُطُواتِ صَاحِبِي الَّذِي دَخَلَ فِي فَنَاءٍ وَأَسَاءَ مَفْرُوشًا بِالْمَرْمِ النَّاصِعِ الْبَيَاضِ فِي وَسْطِهِ حَوْضٍ وَاسِعٍ تَتَدَفَّقُ مِنْهُ الْمَاءُ تَدَفَّقًا وَحَوْلَهُ الزُّهْرُ وَالرَّيْحَانُ تَنْشُرُ الْقُلُوبَ وَالْأَطْيَارُ تَنْشُرُ عَلَى الْأَشْجَارِ وَتَتَنَقَّلُ بَيْنَ الْأَزْهَارِ وَالْأَشْجَارِ نَحْنُ فِي جَنَاتِ النَّجْمِ وَبَيْنَهَا أَنَا مُقْبِلٌ بِمَا أَرَى سَمِعْتُ صَوْتًا رَخِيمًا لَهُ رَنَاتُ كَرَنَاتِ الْمَنَآثِلِ وَالْمَثَانِي يَقُولُ « بِشْرَاكَ بِشْرَاكَ ذُنْ مَدْحِكَ الْبَيَّةُ لَقَدْ قَبِلْتُ وَقَدْ نَلْتَ عَالِي الرِّضَاءِ فَتَفَرَّ وَانْ مَوْلَاكَ السَّرْدَارُ أَرْفَعُ رَاسَ عَيْكَ وَمَدِيمُ نِعْمَتِكَ عَلَيْكَ وَهُوَ مَوْئِدٌ وَمَسْوَدٌ فِي حَسَنِ مَسَاعِيهِ لَا مَتَّهِ الرِّيَّةُ الْبَكْرَةُ وَتَدْفَعُ اللَّهُ لِلْخَيْرَاتِ وَأَسْدَادُ الْحَسَنَاتِ وَهُوَ حَاضِرٌ عَلَى رِضَاءِ الْمُصْطَفَى وَأَلْ بِتِهْ جَزَاءُ حَبِّهِ لَهُمْ — وَمَا رِضَاؤُهُمْ إِلَّا مِنْ رِضَاءِ اللَّهِ »

وَسَوْفَ تَصْبِيحُ بِالْأَنْفَاءِ مُنْشَدَةً
وَيَحْمَدُ الْمُشِيدُونَ الْمُطْرِبُونَ بِهَا
مَوْلَايَ خَزَعْلَ مَجْلَى كُلِّ مَكْرَمَةٍ
فَهُوَ الْمُنَابُ بِهَا يُهْدِي الثَّوَابَ لَهُ
فَأَمَدُهُ بِأَمْصَدَرِ النَّمَاءِ حَيْدَرُهُ
وَيَسْنِمَا كُنْتُ فِي هَذَا أَنْتَبَهْتُ إِلَى
ثُمَّ أَتَرَيْتُ إِلَى أَقْرَطَاسِ أَنْظُمِ رُؤُ
رُؤَايَا حَسَدَتْ عَلَيْهَا النَّفْسُ وَهِيَ بِهَا
بَيْنَ الْأَعَارِبِ فِي أَنَايَ بَوَادِيهَا
مَنْ بِأَسْمِهِ جُلِيَتْ جَلِيًّا قَوَائِمًا
حَسَنًا لِيَزِقَ آلَ الْبَيْتِ بِأَتَنِهَا
مَنْ أَغْتَدَى بِأَثْقَى وَأَلْبَرَّ تَالِيَهَا
مِنْ أَلْسَاءٍ وَزَدَ عَلَيْهِ تَوَجُّبَهَا
فَنَفْسِي وَبِأَلْتَرَقَّى الرَّاضِي أَمْنِيهَا
يَايَ الَّتِي كُنْتُ بِأَلْتَوْفِي رَائِيهَا
فِي حُبِّ حَيْدَرَةٍ تُبْدِي تَقَانِيهَا

الى الصبات الحبيبة

هَيُّوْنَا لِنَزُورِ الْمُتَقَصِّ بِتَقَى
وَنَتَبَرَّيَ فِي مَقَامَاتِ مُشْرِقَةٍ
بِهْدِي مَوَاطِنَهُ أَعْلِيَا لَقَدْ رَجَبَتْ
تَسَابُقُوا فَطَوْرًا نَائِي الدِّيَارِ إِيَّاهَا
لِيَلْسِيُوا عَصَابَاتِ نَالٍ لَائِيهَا
وَهُوَ الْمَدِيلُ عَلَى الرَّحْمَنِ خَالِقِهِ
هَيُّوْنَا إِلَيْهِ لِنَجْلُو عَنْدَ سَاحَتِهِ
وَنَطْلُبَ الْمَدَدَ الْعَالِي لِمَتْنَاهَا
زِيَارَةً يَحْدُ الْمَسْنَى مُؤَدِّيَهَا
بِهِ نَحْيِي مَعَ الْأَجْلَالِ ثَاوِيَهَا
بِقَاصِدِهَا الْأَلَى وَأَفْوَا مَقَانِيهَا
هَهَا وَاسْتَحْشُوا الْمَذَاكِي فِي تَخْطِيهَا
أَمَالَهُ وَعَلِيَّ الْبَرِّ مُؤَلِّيَهَا
بِالصَّالِحَاتِ الَّتِي قَدْ كَانَ آتِيهَا
عَنِ الصُّدُورِ إِذَا ضَاقَتْ دَوَاعِيهَا
بِهِ تَنَالُ مِنَ الدُّنْيَا أُمَانِيهَا

فلما سمعت هذه الكلمات الطيبة اغتبطت نفسي وانطلق لساني بالتناء على ما سمعت من النعم لسيدي ومولاي المذوق المظم ورضوان الله ورسوله وآل البيت عنه وأنتيت على عطف الحضرة العلوية وخصصت عظمة مولاي المزم بأفضل الدعوات لدى من عنده جبل الشفاعات وبيننا أنا مهمل بهذا الدعاء المستجاب ان شاء الله تعالى فتحت عيني فوجدت نفسي على مكاني وبين يدي تلك القصيدة المباركة فتفاءلت واستبشرت ووصلت على النبي وآله وأسرع الى كتابة ما رأيت لا بصر عظمة مولاي عمومة المصطفى والمرضى عليهما الصلاة والسلام أه

واني وأشهد الله سبحانه على ما أقول ما زلت اجد الاتوار الحبيبة تهرنواظري وتطيب خواطري وامداده الروحاني مصاحبي ومسايري وسوف اطل في هذه التمسى ان شاء الله

على أبواب العلوية المباركة

هنا عَيْتُ فَلَا عَلَيَّ وَلَا أَدْبِي
وَلَا سَمَاعِي كَلَامُ الْقُرْبِ أَجْمَعِهَا
وَلَا تَعَارِي عَلَى مَا حَبَّرَ الْأُدْبَا
يُجْبِلُنِي رَغْبَةً مَا نَالَهَا بَشَرٌ
مِنْ أَيْنَ لِي لَوْ بَذَلْتُ الْقَمَرُ أَجْمَعُ
وَهَلْ تَصَوَّرُهَا هُذِي الْخُرُوفُ وَمَا
يَا كَيْتَ لِي شَهْبُ الْأَفْلَاكِ أَظْلِمُهَا
لَكُنْتُ أَرْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا
تَطَاوَلَتْ هَيْتِي لِلشَّيْءِ أَحْسَبُنِي
أَوْ إِنْ قَسَمِي بِبَيْلِ الْمُسْتَحِيلِ تَعَلَّقَتْ
فَبِتُ أَخْشَى بَأْنَ تَخْنِي بِحَيْنَبَتِهَا
وَالْمَطَامِعُ حَدٌّ مَنْ تَجَاوَزَهُ
وَإِنْ حَيْدَرَةٌ وَاللَّهِ أَطْمَعُنِي
وَإِنِّي مِنْ جَبَا سَامِي مَكَارِمِهِ
قَدْ جِئْتُ قَوْمِي أَرْوِي عَنْ فَضَائِلِهِ
فَأَمْدُدْ أَمِيرِي عَيْدًا يَرْتَجِي مَدَدًا
عَذْرَاهُ مَا حَلَّيْتُ قَبْلًا عَلَى أَحَدٍ
وَإِنْ حُلِيَّتُهَا الْهَنَاءُ مَدَحْتُكَ الْفَرَاهُ
وَهَاهِي الْيَوْمَ تَسْعَى سَعِيهَا بَدِيَا
فَرَّاحٌ حَامِدُهَا وَالنَّارُ تَأْكُلُهُ
وَمَهْرُهَا الدَّعَوَاتُ أَهْلًا لِحَاتٍ إِلَى الْمَعْرِزِ مِنْ كُلِّ مَنْ يَنْغِي تَدَانِيهَا

وَلَا أَتَوَّافِي إِلَيَّ أَخْضَعْتُ عَاصِبَهَا
مَا نُوَسَّسَهَا بَيْنَ أَقْوَامِي وَخَوَّشَهَا
مِنْ الْفَقَائِسِ فِي زَاهِي مَعَانِيهَا
قَبْلِي وَبِتُ بِهَا فَسَيُّ أُمْنِيهَا
فَضَائِلُ الْمُرْتَضَى الزُّهْرَا أُجْلِيهَا
يُنْسِي عَلَيَّ مِنْ أَلْمَنِ تَحْيِيَّتُهَا
شِعْرًا وَإِنْ عَجَزَتْ عَنْ أَنْ تُعَاكِهَا
مَنْظُومَةٌ تَطْرِبُ الْأَنْبِيَا رَهَائِيهَا
أَذْنُو إِلَيْهَا وَأَبِيدُ أَنْ أَدَانِيهَا
تَقَلَّتْ فَمَا الْمُسْكِنُ الْمَقُولُ يُرْضِيهَا
مِنْ بَعْدِ مَا بَذَلْتُ أَفْصَى مَسَاعِيهَا
يَقْضُ أُنْمَلُهُ بَأْسًا قَيْدِ مِيهَا
يَحْلِيهِ وَهُوَ سَنَحُ النَّفْسِ سَاخِيهَا
وَمَنْ مَعُونَتِهِ إِذْ أُضْتُ لِأَقِينَا
مَا لَوْ تَقَسَّمُ بَيْنَ النَّاسِ يُسْنِيهَا
لِقَوْلِهِ فَيْكَ بَاتَ الدَّهْرُ مُصْنِيهَا
مِنْ عَاشِقِيهَا وَطَلَّتْ فِي مَعَانِيهَا
فَرَّاهُ تُبْدِي بِهَا الْإِعْجَابَ وَالْإِسْنِيهَا
رَاقِبُ الْقُرْبِ مُبْدِيَةٌ أَجْلَى تَهَادِيهَا
وَعَادَ عَاشِقُهَا بِالْمَدْحِ يَطْرِيهَا
مَنْ يَنْغِي تَدَانِيهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَصِيدَةُ

الْعَلَوِيَّةُ الْمُبَارَكَةُ

الرَّبِّ بِعِزَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ

الاستعانة بأمر المؤمنين

أَوْحِ الْبَلَاغَةَ فِي أَزْهَى مَجَالِهَا فَأَنْتَ سَيِّدُهَا أَلَسْنَى وَمَوْجِبُهَا (١)
أَوْحِ الْبَلَاغَةَ لِي حَتَّى أَجُولَ بِهَا فِي وَصْفِ ذَاتِكَ مَعَ سَامِعِي مَقَانِهَا
نَعَمْ وَأَطْلِقْ لِسَانِي فِي مَعَامِدِكَ الْفَرَا لَأَنْشُرَ بِأَدِينِهَا وَخَافِهَا
وَأَصْفَحَ أَبَا حَسَنِ عَمَّنْ تَجَرَّأَ عَنْ حُبِّ عَلَى مَذْحَرٍ تَسْمُو مَبَانِيهَا
لَوْلَمْ أَكُنْ طَامِعًا فِي رَحْبِ صَدْرِكَ مَا حَاوَلْتُ وَاللَّهِ أَنْ أَرْوِي قَوَافِلَهَا

(١) ما اعتاد العرب في جاهليتهم ان يفتحوا قصائدهم باستمداد مونة جناتهم اللاتي «على زعمهم» كنن يوحى اليهم الشعر كما أننا لم نر واحداً منهم افتتح قصيدته بالاستعانة بمبوده من يعبد سوا الله الواحد الواجب الوجود أو الاصنام التي عبدوها اشراكاً أو لله زلفي بل كان شاعرهم يبدأ بموضوعه على هواء مستعيناً بنفسه على نظامه أو بمن تخيل من صاحب له أو صاحبه كما فعل امرؤ القيس في مملته المشهورة فافتتحها بقوله

بقطع اللوى بين الدخول غومل
فما نيك من ذكرى حبيب ومزل
فن هما صاحبا الدان دعاهما الى تلك الوقتة المحزنة ؟ لا ندري الا أن يكونا لسانه وتله
غير أن العرب مد ان جاء الاسلام ودانوا به طفقوا يفتحون ما يصنفون ويؤلفون بالبسملة اتباعاً

وَوَدِدْتُ فِي نَظْمِهَا لَوْ اسْتَمِعْتُ مِنْ آلَا م فَلَاكِ كَيْفَا أَوْشَيْهَا دَرَارِيهَا
أَوْ أَنْ تَهْبِي شِعَاعًا مِنْ ذَكَائِكَ فِي تَرْصِيفِ أَيْبَايَا فِيهِ أُحْلِيهَا
وَقَدْ طَلَبْتُ بِهَا حُسْنَ الرِّضَا فَإِنْ تَرْضَى قُلَّ بَلَفْتُ نَفْسِي أَمَانِيهَا
وَهَلْ يَخِيبُ قَتَى وَافَاكَ مُلْتَمِسًا نَحْوًا وَأَنْتَ مَغِيثُ النَّاسِ مُلْجِيهَا
حَاشَا يَخِيبُ قَتَى وَافَى أَبَا حَسَنِ رَجَوُ مَمُونَتُهُ مِثْلِي وَيَغِيهَا
فِي نَظْمٍ مَلْحَمَةٍ كُبْرَى أَرْوَمُ بِهَا أَنْ تَطْرَبَ النَّاسُ مِنْ مَشْجِي أَغَانِيهَا
وَأَلْفَخِرْ لِي أَنْنِي قَدْ رَحْتُ أَنْظُمَهَا فِي آيِنِ أَبِي طَالِبٍ رَجَوُ الرِّضَا فِيهَا
وَحَسْبُهَا أَنَّمَا تَحْكِي فُضَائِلَهُ السَّعْرَا وَأَثَارُهُ الرُّهْرَا وَتَرْوِيهَا
أَبَا الْحُسَيْنِ أَنْطَفَانَا لِلْمُحِبِّ وَقَدْ وَافَى لِسَاحَتِكَ الرُّهْرَا يُزْجِيهَا
بِأَسْمِ أَبِي جَاسِبٍ فَأَعْضُدْ إِمَارَتَهُ وَفِي ضَرَاعِكَ الرَّحْمَنُ يَخْمِيهَا
وَهُوَ الْمُدِلُّ عَلَى عِلْيَاكَ مُنْشَغِفٌ بِهَا وَلَا يَرْتَجِي إِلَّا تَرْضِيهَا
فَأَمْدُدْهُ بِالْعَوْنِ حَتَّى نَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى اللَّيَالِي إِذَا جَارَتْ عَوَادِيهَا
وَأِنَّمَا الْعَرْبُ فِي سَائِمِي عِنَايَتِهِ تَأَلَّقَ قَدْ أَمِنْتُ مَعْدَى أَعَادِيهَا
وَكُنْ لَهُ سَدًّا وَاشْفَعْ بِهِ أَبَدًا حَتَّى يَتِمَّ لَهَا فِيهِ تَمَتُّيُهَا
وَالشَّيْخُ خَزَعْلُ وَافَى الْوَدَّ صَادِقُهُ لِلْمُصْطَفَى وَلَالِ الْبَيْتِ تَجْرِيهَا

للحديث الشريف القائل : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أتر . وفي رواية أقطع وفي رواية أخرى أزم » ولم يقف مؤلفو السامعين العرب عند حد البسملة بل شفعوها بالحمدلة والصلوة والسلام على النبي . وتفتن بهذا متفتنوهم فاجلوا في حمد الله والصلوة على نبيه إشارة إلى موضوع الكتاب أو الرسالة . إلا أن العرب لم يتبعوا هذا في قصائدهم إلا ما كان منها من نوع الأرابيز فقط لسهولة النظم فيها

على أن السراء الأجاب في جاهليتهم افتتحوا ملاحهم باستمداد المونة في نظمها من الهة الشعر التي تحيلوها ويحولها هي المنتدة تورعاً وتدياً كذلك رأينا الياذة هوميروس التي نقلها إلى العربية شعراً سايان أفندي البستاني وكان اقتباسها هكذا :

ربّة الشعر عن أخيل بن فيلا أنشدنا ولروي استخداماً ويلا

وقد حسن لنا هذا الأسلوب في نظم ملحنتنا فمد أن افتتحنا مقدمة هذه القصيدة بالبسملة والحمدلة والصلوة والسلام على المصطفى والمرضى وآلهما الخيرين عدنا إلى الاستماتة تورعاً بالحضرة النبوة الموهبة مستمدين إمدادها وبالقول لم نجب من إمدد والمطرب على ما سبق الوصف

وَقَدْ تَشَجَّ عَنْ قَوَىٰ لِحَيْدَرَةٍ وَإِنْ شَبَعَتْ خَارَتُهُ نَحَامُهَا
وَنَفْسُهُ دَائِمًا تَصْبُو إِلَىٰ عَتَبَا تٍ قَدِ سَتَّ بَعْلِي فَهَوَّ هَاوِيَهَا
بِرُوزِهَا يَبْهَوِي الرُّوحَ مُلْتَمِسًا لَّامِ مَذَاوِ وَأَتَوْنُ مِنْ إِحْسَانِ آوِيَهَا
بِرَجْوِ شَفَاعَتِهِ الْحَسَنَاءِ مُتَعَمِّدًا عَلَى الْأَيْدِي الَّتِي مَا خَابَ رَاجِيَهَا

الامة التي نفع منها أمير المؤمنين

يسرني الأعراب وأنزل في معانيها وأشهد مكارم باديها وقارنها
وأشهد بما قد رأت عينك إن شها دة العيان تلاقني من يدك كنهها
وصيف فإن مجال الوصف ذا سعة خلاها الزهر مع ساعي مباديها
نعم لقد جلت في أرض الجزيرة جو لات بها جئت شريقها وغربها (١)

(١) بحسن بي الاشارة هنا الى سياحتي في البلاد العربية وأسبغها حتى عرفت هذه الامة
الكريمة على حقائها العظيمة فأقول : لقد نشأت في حلب الشهباء في وسط كله تعصب وجمل ومن
حسن حظي أن يثقا في حلب كان في شارع اكرت أهله عرب مسلمون يدعى « قسطل المشط »
فكنت أجد من حسن معاملة العرب المسلمين لاهلي وروعاتهم لجوارنا غير ما كنت أسمع من الفرة
منهم من أقواء عشاري المسيحيين فتثبت وأنا على غير رأيهم في هذه الامة الكريمة ثم عندما تمت
مداركي صرت أعرف وأعتقد أن هؤلاء المسلمين العرب الذين يجاورونا ونجاورهم هم شركاؤنا في
الوطن ومشاركون منا في ماضيه ومضاره وفوق هذا أن بننا بينهم صلة قربة بلعم ودم لأن
المسلمين عند ما دخلوا سوريا كان أهلها مسيحيون ويهود وموس فسلم منهم من أسلم وبقى على
دينه من بقي وربما اقممت العائلة الواحدة الى مسلمين وغير مسلمين وهكذا أصبح متمصبا للعرب
أعدتة بي واحدا منهم يسرني ما يسههم ويسبئي ما يسبئهم ويعصني واحدا منهم بات همي أن
أعني بمصلحتهم . وتوفقت الى أصدقاء منهم أهل علم وسياسة متمصين للعرب رموز الى استادة
بخدمهم فزيت على أيديهم وعلى رأسهم أستاذي المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي الشير
ولخدمة العرب أشتات علمي الشذور في حلب سنة ١٨٩٧-١٨٩٨ لخارتي الحكومة
هجرت وطني وأويت مصر وأنشأت جريدتي الشهباء ثم حولتها الى اسم العمران وتبني الى دار
هجرتي أستاذي الفيلسوف الكواكبي سنة ١٨٩٩ فالت به وقضيت في محبته كل المدة التي أقامها
في مصر الى أن استأثرت رحمة الله تعالى بنفسه الطاهرة فيها سنة ١٩٠٧ فأخذت على ضئي الضعيف
استئناف الجهاد في سبيل العرب الذي كان يجاهده وأنا في خدمته . وباسم هذه الخدمة المقدسة
أصلت بكتبيين من شيوخ وأمرأ وسلاطين العرب وملت الخطوى منهم بالمراسة . ثم سحت في
البلاد العربية سراً أولها في أواخر سنة ١٩٠٧ . وسأظل في خدمة هذه الامة المباركة ما حيت
ولا يسرني الا أن أكون الخادم الامين للعرب واني لأخاطبهم ببيان ابن انمارض القتائل :

لا لمحسوبي في الهوى متصمناً كلني بكم خلق بغير تكلم

مِنَ الشَّامِ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ إِلَى
وَرَزْتُ تُونِسَ مَعَ أَرْضِ الْجَزَائِرِ مَعَ
جَزْتُ الْجِبَالِ مَعَ الْوُدْيَانِ مُنْتَقِلًا
فَمَا وَجَدْتُ سِوَى جُودٍ وَحَسَنِ ضِيَا
وَأُمَّةٍ خَيْرَ مَا تُسَمَّى بِهِ عَرَبٌ
وَأَنْفُسُ حُرَّةٌ مَا اسْتَعْبِدَتْ وَأَبَتْ
وَهِيَّةٌ تُنْشِدُ الْقَلْبَا وَتَطْلُبُهَا
وَعِيشَةٌ قَدْ تَوَخَّسَتْهَا أَشْرَاقِيَّةٌ
حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بِالْيَمَنِ بَاخِرَتِي

نَجِدُ إِلَى بَيْنِ مَعَ مَا يُحَادِثُهَا
مَرَائِي جَائِسًا أَنْتَى بَوَادِيهَا
فِيهَا إِلَى كُلِّ مَثْوَى مِنْ مَثَاوِيهَا
فَقَدْ وَدَارَ أَمَانٍ عَزَّ ثَاوِيهَا
إِنْ رَأَى مَعْجِدَهَا يَوْمًا مُسَيَّبَهَا (١)
أَنْ تَسْتَدِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِأَرْبَاهَا
مَا أَلْهَبَ يُقْعِدُهَا عَنْهَا وَيُنْشِبُهَا
أَجَلَى مَظَاهِرِ أَهْلِهَا تَأْخِذُهَا
مَرَسَى مُحَرَّرَةٍ أَلْقَتْ مَرَاسِيهَا (٢)

(١) ان العرب اليوم هم سكان الجزيرة وما جاورها من العراق والشام ومصر والسودان وطرابلس الغرب وتونس والجزائر وسراكن الخ فوجدت حيث العرب على فطرتهم الاخلاق العربية الفاضلة متمثلة فيهم بأنهم ممانيا على نحو ما قرأ عن السلف الصالح في الجاهلية ومصدر الاسلام واذا كان قد فقد بسبب العرب الذين دانوا للترك شيئا من تلك السجايا العالية وفضل محبة هؤلاء الذين تعلموا عليهم فذلهم مد عزهم وأضعفوا مفاخرهم ودكوا معالم حضارتهم وعلومهم. وما استلفت نظري أن المستعرب منهم لا يفرقون لانفسهم من فخر الا أن يسموا عربا كذلك ترى أهل الشام وأهل الكثيرين منهم ينتمون الى الروم والبربر وهم يأبون الا أن يكونوا عربا وكذلك فلي عن أهل العراق ومصر وبربر افريقيا وكلهم يفتخرون بربوبيتهم ويرفضون أن يرجعهم باحث الى الفرس أو الكلدان أو القراغة أو الرابرة أو القرطجين الخ وهذه بركة من بركات الاسلام والقرآن يجب أن يحتفظ بها تلي كل شيء اذا أردنا الاحتفاظ بقوميتنا والعمل على انماها وتكثيرها واعادة عيادها اليها والاطمئنان على سلامة ذاتها المقدسة

(٢) لا يزال العراق العظيم دجلة والفرات يسيمان متقاربان متباعدين بينهما أرض تسمى الجزيرة وعلى ضفافها المدن والقرى أشهرها بباد على دجلة وكر بلاه والجحف الاشرف «الكوفة» على انهرات الى أن يجتمعا في مكان يسمى القره على مسافة مئة ميل من خليج العجم فيتألف منها بحر خضم يسمى «شط العرب» فيمر بالبصرة وهي أعظم موانئ هذا الشط تليها المحمرة وهي عند مصب نهري قرون وهمتير في الشط ثم يأخذ الشط بميله نحو خليج فارس الى أن يبلغ الى الو وبعدها يصب في مياه الخليج فيحتلط بالماء المذب بالماء الملح والحمره هذه هي حاضرة ولاية عربستان الايرانية وتمسكها عشائر عربية تدين كلها لبيت ساكن الجان هرة الملك الحاج جابر خان الذي استقل بحكمها تحت السيادة الايرانية بفirman شاهاني من ساكن الجنان ناصر الدين خان شهنشاه دولة عليا ايران وهو الوالد الكثير الحمد لمظلة مولانا فخر الرب والعجم ممز السلطنة سردار ارفع صاحب المظلة الشيخ خزعل خان أمير نوبل وسردار عربستان

وَصَاحُ بْنُ السَّعْدِ فَأَنْزَلَ هَهُنَا لَتَرَى مَوَاطِنًا سَوْدَدُ الْأَعْرَابِ يَا وَيْهَهَا
أَجَلٌ هُنَاكَ تَجَلَّتْ لِي وَجَاهَةٌ هَا مِ رُونَ الرَّشِيدِ كَمَا أَتَارِيخُ تَرْوِيهَا (١)

وهذه المدينة هي الثانية في موالي شط العرب كما تقدم وهي مركز تجاري عظيم ترسو في مياهها البواخر الكبرى التي تأتيها من أوروبا بطريق السويس والبحر الأحمر فخليج فارس ومن الهند بطريق هذا الخليج وكذلك ترسو في مياهها وهي عائمة

ولقد جدد عظمة السردار أرفع بنيان أسواق هذه المدينة كلها وجعلها على طراز واحد وأشاد فيها القصور الفخمة فأصبحت في عهد عظمتها أجل مدينة على ضفاف الخليج وشط العرب على أن مقر عظمتها ليس في البلد بل خارجها في موضع اسمه « أميلية » وهو على الشط أيضاً بيد بضع أميال عن الحيرة فهناك تصور الحرم وتكنات الجنود ودور الضيافة والحكم التي تسمى « الديوانية » وهي منارة بالكهرباء عليها على مسافة ثلاثة أميال القصر الخزعي السلي الذي ياطح السماكين وبدعى موضع هذا القصر باسم « السكالية » والقصر مبني على أجل طراز فكان أعظم تصور الدراق بنجر جدال وهو موزدان بأجل الرياض الخليفة بالملوك وبجوار القصر الماسر حديقة غناء فيها من كل فاكهة زوجان وبجوار القصر والحديقة تكنات الحرس الخزعي الخاص ومنازل عيال الحرس وهم قسمان أحدهما عربي والآخر فارسي وهذا القصر هو قبلة أنظار العرب وعكاظ الشعر والأدب ومناوبة ذوي النبل والسادة الحجب ومحط الرجال ومبلغ الناس الأمال

أما إمارة عربستان فتمتد من الفلج حتى العمارة في العراق وشوشت الأيرانية حاضرة غوزستان حيث تنزل قبائل البخارية وعدد أقص القبائل اللازمة فيها يبلغ نحو المليون وأراضي الإمارة خصبة يكثر فيها النخيل وتجر فيها الأنهر كشط العرب ونهر همشير ونهر قارون وعاصمة الأمير بمصرف بكيتة إلى تيمر أراضيه وتوفيه أهاليها ومماوتهم على الاتراء يبدل في سبيل ذلك من الجهد والمال الشيء الكثير وتدرت ترقياً عجيباً على عهده السعيد إلا أن مساعيه الطبية وأهاليه الخيرية لم يستطع تنفيذها كلها قبل الحرب لكثرة ما بدل من الجهود لمقاومة النساس التي كانت تفسد لمارته العلية من الترك والبخارية ومع ذلك توفق بحزمه وسداد رأيه من إدخال إصلاحات جمة القائمة على إمارته . وتبيل الحرب أهم عظمتها بإدخال زراعة القطن في بلاده الماسرة فاستجلب من مصر كمية من بذرة القطن وجرب زراعته فأنت التجربة على نتيجة حسنة ناجحة . والمتنظر سد تبدل الأحوال السياسية في هاتيك الجهات أن يتفرغ عظمتها إلى تنفيذ ياته الحسنة المباركة في تلك الإمارة العظمى فصيح إنشاء الله في ظله الطليل بعد بضع سنوات حنة يانة النجار تدر على أهاليها النضار حقق الله بعظمتها الأمال وأدامه مصدر الفضل والنوال مدى الليال

(١) ان عصر هرون الرشيد هو عصر العرب الذهبي فلهم لم يهدوا زماناً اتسع فيه سلطانهم وعظمت فيه شوكتهم وكثر فيه يسارهم وزهت فيه حضارتهم كره ان الرشيد وتد كان شخص هذا الخليفة متمراً بصفات راتية عالية أزدادت الجهد العربي ظهوراً ولذلك أصبح العربي عند ما يذكر مجد أمته يتجه نظره باديء بدو الى هارون الرشيد قبل سواء من الخلفاء والملوك وهو خامس الخلفاء المباهين أبوه محمد الهادي ثالث الخلفاء العباسيين ابن المنصور ثاني خلفائهم واخي أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عم رسول الله عليه الصلاة والسلام اول الخلفاء العباسيين بويع بالخلافة في الكوفة يوم الخميس ثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة ١٣٢ هـ

فِيهَا تَرَى الْبَدَوِيَّ الْبَاجِلِيَّ يَصُورُ
سَيَّانٍ فِي حَرَبِهِ أُمٌّ فِي مَفَاخِرِهِ
وَأِنَّمَا أَلْتَقَرُّ تَارِيخُ الْأَعَارِبِ قَدْ
مِنَهُ عَرَفْنَا مَعَارِنَهَا وَهَيْئَتَهَا
كَانَتْ لَهُ دَوْلَةٌ فِي الْأَرْبِ طَائِعَهَا
يُؤَدِّبُ يَنْتَبِهُ نَهْجِي الْقَبِيلَةِ يُؤْ
وَرُبَّ يَنْتَبِهُ مَدِينَةٍ لِلْقَبِيلَةِ يُؤْ

وكان الملوك والأشراف العرب من أقدم أزمنة التاريخ يستندون الشعراء الهيم بهياتهم ويعتمدونهم في مجالسهم لا لاقاء شعرهم فقط بل لرغبة نصر نفوذهم بواسطتهم وجبا بتخليد ذكركم للمصور الآتية . وعند ما ظهر الاسلام أقر المصطفى عليه الصلاة والسلام عادة استدعاء الشعراء واجازتهم وارضى مدائحهم وأشهر الذين اتصلوا بحضرة القدسية حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب ابن مالك وغيرهم فكانوا بشعرهم يمدحونه وينشرون دعوته ويناضلون عنه ويهجون كفار قريش أعداءه . واقتدى بسنة النبوة خلفاء المسلمين وملوكهم وأشرافهم الى هذا اليوم ولعمري ان أكبر الملوك حظاً وأوفرهم مجداً من توفيق الى فطاحل الشعراء فمدحهم وقد زالوا واندثرت ممالكهم ولكن ذكرهم ظل خالداً بما قيل فيهم من شعر خالد وهو فضل للشراء لا يوازيه ما نالوه من كثير العطاء وهذا سيف الدولة علي الحمداني أمير حلب وقد بقي له في دواوين العرب من الذكر الطاهر الحمد بفضل قصائد أبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني وغيرها فوق ما كان له من ملك وسلطان وان من يقرأ مدائحه في دواوين هؤلاء الشعراء يتصوره أعظم ملوك الأرض في طولها والعرض مع ان مملكته لم تكن أكثر من مدينة حلب وما جاورها من القرى وان دولته لم تنم أكثر من أعوام معدودات كان هو ربها وقد دالت بعد أن توفاه الله كما دالت دول أمثاله من أصحاب الجاه ولكن ذكره قد بقي الى الآن وسيبقى الى آخر الزمان بفضل ما قيل فيه من القوافي الحسان

ولم يزل للشراء عند العرب المنزلة الرفيعة ولا يزالون يبيتون من شعرهم كما يعيش كل ذي صناعة من صناعاته وهي مزية لهم على كل شعراء الأمم كما ان من أشهر مميزات العرب دون غيرهم الخود والكرم

(١) أقول ولم تقف قائمة الشعر العربي على ما تقدم من تخليد أسماء أفراد من الملوك بل تعدتهم الى تخليد تاريخ الأمة العربية الكريمة في جاهليتها فان العرب دون سواهم عرف الناس من تاريخ جاهليتهم ما عرفوا بعض ما بقي من أشعار الجاهلية خلافاً للأمم الأخرى التي ما استطاعت تخليد بعض أخبارها الا بما أقامت من الآثار الحجرية أما الأمم التي ما توقفت الى اقامة هاتيك الاحجار فقد ضاعت أخبارها عن الناس تماماً وهذا الفضل وحده يكفي للدلالة على الذكاء العربي . والباحث المدقق لا يقف فقط من أشعار الجاهلية على مجمل تاريخها بل يولي على أخلاصها وحضارتها وعوائدها بحيث

وَكَانَ أَكْثَرُ نَعْمَى لِلْقَبِيلَةِ أَنْ
أَمَّا شَمَائِلُهَا أَلْفَرَا أَلْتِي بَلَفَتْ
فَمِنْ مَكَارِمِ أَخْلَاقِ إِلَى كَرَمِ
إِنْ عَاهَدَتْ حِفْظَتْ دَعْمَ الزَّمَانِ عُمُو
أَوْ إِنْ أَتَتْهَا أَلْوَا فِي فِي حَوَائِجِهَا
وَصَفِيهَا لَمْ يَهَبْ غَدَرَ الزَّمَانِ بِهِ
وَجَارَهَا بَاتَ مَغْبُوطًا بِجَيْرَتِهَا
وَعَنْ شَجَاعَتِهَا حَدِيثٌ وَلَا حَرْجٌ

يستطيع أن يستخرج منها صورة قريبة من الكمال يعرف الناس منها أن العرب كانوا منذ بداوتهم وجاهليتهم على أفضل الأخلاق أشهرها الكرم ، والوفاء ، وخفر الدمام ، وصيانة حقوق الجوار والتضامن في الميثة ، والمطف على المستضعفين ، والاقدام على المصاب ، والحم ، والشم ، والغاف الخ وما يستلقت الانظار من أخلاق العرب احترامهم للمرأة من أقدم أزمانهم وأنت تعلم أن الأوربيين في عصرنا الحاضر يتخرون بأن من آثار تمدنهم تقديم الاحترام للمرأة ومساواتها بالرجل فما قولك إذا قلنا أن العرب كانوا على هذا الحلق منذ جاهليتهم فهم سافون فيه سبقهم في الثوري والاشتراكية ؟ ألا ترى الشاعر العربي يصدر قصيدته بالزل فيفرغ قوى قريحته في وصف المرأة وممازلتها بينما هو يمدح ملكاً عظيماً أو مترباً كريماً ولا يجد من مدحوه الا الاستحسان والصفيق برهاناً على اشتراك الناس جميعاً باحترام هذا المخلوق الحبيب الذي يتوقف عليه بقاء النسل واليه يوكل في تربيته الاولى والذي وصفه أديب اسحق فأحسن الوصف بقوله :

هي شيطان اذا أفسدتا وادا أصلحتا فهي ملك

وما اقتصر للشاعر العربي على وصف محاسن النساء والتدليل باظهار حبه لهن وإبداء ما يكنه صدره من مخفي قربين ومن التأم لبدهن بل تمدى هذا كله الى ما هو أبعد غاية في الاحترام فكان اذا أراد الافتخار بشجاعته وكرمه ومما أشرف خصال العرب انجبه يصره الى المرأة فطلق بمخاطبتها بهما في مثل قول عنترة العبسي :

ولقد ذكرت والرماح نواهل
فوددت تقيل السيوف لأني

أو مثل قول الآخر وهو يتنثر لصاحبه وقد لامته على الكرم :

ألم تعلمي يا عمرك الله اني
كريم على أن الكرام نليل

وازداد العربي تلطفاً بزوجته حتى أنه اذا أراد استنهاضها الى عمل ولو فيه الخير بالغ باللطف بها والتأدب بمخاطبتها بما لم يبلغ أعظم منه الا فرنجي في هذا العهد في مثل قول الشاعر :

ياربة البيت قوي غير صاغرة
ضمي اليك رجال القوم والقربا

وأما هذا كثير مما طوت عليه أعمارهم ويعرفها كل مادب اديب

وَحُسْنُهَا إِنَّمَا لِلْفَيْرِ مَا خَضَعَتْ
وَكَمْ لَهَا حَتَّى تَأْسُ الرِّقَابَ وَمَا
سَادَتْ وَصَالَتْ وَأَبْقَتْ مِنْ مَفَاخِرِهَا
كَانَتْ لَعْمَرِكَ تَأْسِي أَنْ تَعِيشَ عَلَى
يُؤُورٍ تَأْتِرُهَا إِنْ نَالَ وَاحِدَهَا
وَطَالَمَا أَخْضَعَتْ قَهْرًا مُنَاوِنَهَا (١)
رَقَابُهَا قَطُّ لِلْأَغْيَارِ تَحْسِنُهَا
أَوَّابِدَا لَيْسَ كَرُّ اللَّغْرِ بِمَاحِنِهَا
هَوْنٌ وَأَنْ تَتَصَاقَى مَعَ مُهِنِينَهَا
سُوْلًا وَكَانَ اللَّذِي يُؤْذِرُهُ يُؤْذِنُهَا (٢)

(١) من مفاخر العرب أنهم في كل تاريخهم لم يخضوا للحكم أجنبي عنهم خضوعاً صحيحاً فقد دان بعضهم في عهد الجاهلية لا كسرة الفرس في العراق والبعض لقيصرة الروم في الشام ولكنهم كانوا وهم تحت السيادة الفرسية أو الرومية مستقلين في داخلهم ملوكاً على قبائلهم . أما بعد الاسلام فإن دولتهم ظلت عربية وإن اشترك فيها الفرس والاثراك والمذول اشتراكاً فليأخذاً كانوا في بعض الأزمنة متغلبين على الخلفاء العرب الذين كانوا يحكمونهم فليأخذوا على ان العرب ما ارتضوا بسلطه هؤلاء الغزاة الا لاعتقادهم بأن حاكمهم الشرعي هو الخليفة العربي . أما أهل البادية ورجال القبائل فذهبوا ما كانوا يرفون الطاعة الاروسلهم وأمرهم وشيوخهم . وعندما تغلب الاثراك التتاريون على الخلافة العربية وقضوا نهائياً عليها فع أنهم ادعوا الخلافة لأنفسهم ظل العرب في باديتهم على استقلالهم الداخلي وطالما حاربوا التتاريين وأتباعهم . ويصح لي أن أقول أن أهل المدن أنفسهم من العرب ما كانوا خاصمين للسلطة التركية خضوعاً صحيحاً وطالما انتقضوا عليهم وحاربوهم . وهكذا بقي العرب على أفتقهم وإبائهم الخاضوع للاثراك بالرغم من كل ما بذل هؤلاء لاختصاصهم إلى أن دالت دولتهم في هذا العهد (٢) انه التضامن عند العرب مألوف ومشهور بحيث لا يتنبك فرد من قبيلة مظلمة الا وتهب القبيلة بمجملتها للانتصار له من ظالمه ورد مظلمته . ولم يقتصر هذا التضامن على أفراد القبيلة الواحدة بل تمداه إلى الانتصار للجوار أيضاً الذي هو من عاداتهم المحمودة بذلك على ذلك حلف الفضول الذي عقد على أثر حرب الفجار حيث اجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وبنو الأسد بن عبد المزي وبنو زهرة وبنو كلاب وبنو نعيم بن سرة في دار عبد الله بن جدعان وحضر هذا الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الرابعة عشرة من ربيع عمره وتحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها ولا يترّ ظالم على مظلوم ما بل بحر صوفة (أي إلى الأبد) وكان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أحب أن لي بحلف حضرة في دار ابن جدعان جر النعم واني أغدر به ولو دهي به في الاسلام لأجته » أي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نودي بسد البتة عن مظلوم يا آل حلف الفضول للياه ونصره لأن الاسلام إنما جاء بأقامة الحق ونصرة المظلوم وأما كلفة فضول التي سمي بها هذا الحلف فقد اختلف في تفسيرها العلماء فقال بعضهم أنهم أرادوا بها أن قريشاً دخلوا في فضول من الأمر لا يتهمهم . وقال غيرهم بل ان الفضول مال الظلم يردونه على أهله . وقال آخرون بل أن قريشاً على أثر هذا الحلف أخرجوا فضول أموالهم للاضاياف . وعندني أن الأول هو الأرجح وهو المقصود

أما السبب الذي دعا قريشاً لهذا الحلف فهو ان رجلاً من زيد قدم مكة يبضاعة فاشتراها منه أهلي من والي وكان من زعماء قريش وحبس عنه ثمنها فاستنات الزبيدي بعض زعماء قريش

فَإِنْ يَصْخِرْ وَانْفِصِرْهُ رَأَى أَسْداً سَلَتْ لِقَعْرَ أَعَادِيهِ مَوَاضِعَهَا
تَضَامُنٌ بَيْنَ أَفْرَادِ الْقَبِيلَةِ لَا يُبْقِي عَلَى الْضَعِيفِ قُوَّةً مِنْ مَوَالِيهَا
وَمُنْدُ نَشَائِهَا أَمْتَارَتْ مَعِيشَتَهَا عَنِ الْبَرِيَّةِ وَحَشِيَّتَهَا وَخَضِرَتْهَا
بِالْإِشْتِرَاكِ الْكُبْرَى فَلَارْتَبَ تَلْبِي ذَوِي الْجَاهِ مِنْهَا عَنْ أَدَانِيهَا (١)

فسلموه وانتهروه فسار الزبيدي الى جبل أبي قيس عند طلوع الشمس وقريش في أندية حول الكعبة وصاح بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعت
ومحرم أمت لم يقض عمرته
ان الحرام لمن تمت مكارمه
ولاحرام ثوب التاجر النذر

فاخذت قريش لهذه الآيات وأسرع الزبير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى عقد حلف ينصرون به المظلوم على ظالمه ثم لهم ذلك الحلف الذي هو أشرف حلف عقدته العرب لما ترتب عليه من الانتصار للمظلوم والقرب على يد الظالم

أقول وإن قوماً يقدون مثل هذا الحلف لأن واحداً من وجاهتهم حبس حق تاجر «غريب» وهم في جاهلية لا يعرفون فيها الحرام من الحلال ولا شريعة لهم تأمرهم بالمعروف وتنههم عن المنكر فليخلق أن محترم ضمائرهم الطاهرة وتقوسهم المالية وأخلاقهم الراتبة

(١) ان الاشتراكية أصل من أصول الديانات الالهية الموسوية والمسيحية والمحمدية اذا أريد بها مشاركة النفي اقتبى يساره وثروته على ما فيها من الاوامر بالذكاة والصدقة كما أنها أصل من أصول العمران والاجتماع فان الاعتياء اذا قبضوا أكتفهم عن القراءة تار هؤلاء عليهم وقوتوا معالم الحضارة على رؤوسهم نادوا بالتسقاء المام وهذا بيبى وقد وجد مع الانسان منذ عهده بالحضارة على اختلاف فيه حسب اختلاف البيئات وتفاوت الناس في النفي والتزف والمدارك على أن الاشتراكية التي أردتها في المتن غيرها بل أعظم منها عرفت عن العرب في الجاهلية والاسلام ولم تعرف عن سواهم من الامم

ومن المعلوم ان الامم تنشأ على الاشتراكية في بدولتها أولي بدو حضارتها يوم يكون الناس فيها متساكين بأقدارهم وثراتهم ثم يأخذ التفاوت يظهر ويتسع فيما بينهم بتفاوت أقدار بعضهم عن بعض اما بالتجارة وكانت هي أساس المجد عند الاقدمين الذين ما كانوا يعرفون حقاً لنير القوة أو بالثروة واليسار أو بالنقل والمال وكل ما لدينا من توارخ الامم القديمة كالهنود والفرس والصينيين والبابليين والمصريين يشير الى أن الناس كانوا طبقات بعضهم فوق البعض هناك الخاصة وهم الملوك فروساء الدين «وكان الملم منحصرأ فيهم» فأمرأه الجيوش فالحكام فأصحاب الاملاك والاراضي فالعامة وهم عبارة عن أهل التجارة والصناعة والزراعة ورعاية الماشية فالعبيد ولم يكن للعامة حق الاختلاط بالخاصة كما لم تكن لهم حقوق شخصية تمر بها الخاصة فضلاً عن أن تقدسها ومع أن أخلاق الناس تطاقت بعد النصرانية بفضل اشتراكية الانجيل مع ذلك ظلت الناس طبقات بعضها فوق البعض وباطل الخاصة حق وحق العامة باطل ولا يختلط هؤلاء هؤلاء لا في السهم ولا في اجتماعاتهم الى عهد قريب وأول من كسر قيود هذا التقليد على ما نعلم هم الفرنسيون بثورتهم المشهورة سنة ١٧٨٩

لَا سَخَامَةَ أَهْلَابٍ يُبْمِزُّ مَا بَيْنَ الْأَعْرَابِ عَلَوبَهَا وَسُفْلِيهَا
وَلَيْسَ تَأْتِي أَرْيَابُ الْوَجَاهَةِ مِنْهَا أَنْ يَصُمُّ سَوَادُ الْقَوْمِ نَادِيَهَا
وَأِنْ أَجْكَامَهَا شُورَى يُصَيِّحُ لَهَا شَيْوُخُهَا إِذْ تَنَادِي مُسْتَشَارِيهَا
شُورَى إِلَيْهَا أَنْتَبَتْ مِنْ جَاهِلِيَّتِهَا تَأَلَّهَ قَلَمُ تَعَدُّهَا عَنْ قُرَيْشِيهَا (١)

فإنهم ما اكتشفوا أن ناروا على ملوكهم واستطوعهم من عالي عروشهم بل ناروا على خاصتهم فأوقفوا
بهم ومتلوا بهم أبتع تمثيل ومن هذا العهد نودي بالاشتراكية المتدلة أو كما يسمونها بالانجليزية
« الديمقراطية » وقالوا بماواة الناس بالشرف والحقوق وإبطال المراتب الموهومة بينهم وهكذا
ذكرتوا الحواجز التي كانت تفصل العامة عن الخاصة ودهوروها دهوراً وانتقلت هذه الروح
الديموقراطية بالتدرج إلى بقية الممالك الأوروبية والأميركية فوسمت بعض الشعوب فيها توسماً محموداً
ولا سيما في الولايات المتحدة التي قامت جهودها على عدم التمييز بين الناس على الإطلاق ولم يبق
في عهد الناس هذه الأمة متمسكة بتقاليد القدماء هذه إلا الأمة الروسية التي كان الناس فيها طبقات
بضبا خاصة والبعض عامة إلى يوم سقوط آل رومانوف قياصرتهم في أثناء هذه الحرب العامة « سنة
١٩١٧ » حيث جنت العامة الروسية جنوبها المطبق ونادت بالقوضى بأبعد معانيها وهي التي أطلق
عليها اسم « بلشفية » وما هذا الجنون إلا نتيجة لازمة لجنون القياصرة واعولتهم من الخاصة باستبدادهم
بالدامة إذ كانوا يسمونهم من الظلم والذل الشيء الكثير والافراط كالفرط في كل شيء.

أما العرب فمن أقدم تاريخهم في جاهليتهم لم يعرفوا هذا التفاوت ولم يكن عندهم حاجز بين
الخاصة والعامة على ما نقرأ من أشعارهم وتواريخ قديمهم في اليمن والحجاز والعراق والشام ولو
أردنا الاستنباط على هذا لضعاق بنا المجال وما أقدم القارىء اللبيب شيئاً جديداً لانه معروف
عند الجميع ومألوف. وعندما ظهر الاسلام أيد القرآن الشريف هذه الاشتراكية الصحيحة التي
ألتها العرب « حتى بين المؤمنين وجعل المصطفى الأفضلية بين المسلمين أن فضل أخوانه بالتقوى
وهي في استطاعة كل مؤمن يريد أن يكون صالحاً. ومن يطالع تاريخ المصطفى صلى الله عليه وسلم
يجد هذا النبي الذي قام بنشر الدعوة كان القدوة الصالحة لن خفه من الخلفاء والملوك باشتراكيته ودعته
وتوحيده إذ كان يجالس عامة الناس ويواكلهم ويواسطهم ويبيت لهم كما دعوه باسمه الشريف « يا محمد »
ويبد أن انبسط ملك العرب وامتد سلطانهم على الشام ومصر والبربر والعراق وفارس
والاندلس وأصبحت كلمتهم في العالم هي العليا لم يترهم سعة الملك كاعتقيرهم فظلو على ديموقراطيتهم
لا بأف خلفائهم وملوكهم وأمرائهم وقضاةهم وعلمائهم أن يجالسوا العامة ويواكلهم ويترجوا
منهم ويزوجهم ولسان حال الجميع الآية الشريفة « إنما المؤمنون أخوة » وما زال حال العرب في
مواطنهم على هذا المتوال إلى يومنا هذا على ما شهدنا عياناً إلا حيث امتد نفوذ الأتراك فقلدوهم
وهم كثيرهم من الشعوب ما عرفوا للاشتراكية معنى وانا لفتخر بأنبات هذه المزية لامتنا العربية
الشريفة ونحن واقفون لنهم سيجرون عليها في مستقبلهم السطيم كما احتفظوا بها في ماضيهم وهكذا
يظنون المثال الحي للاشتراكية أو الديمقراطية المصودة إلى الأبد

(١) كان القرشيون سادات العرب الحجازيين وأشرفهم بالأجاء ولطيم نالوا هذا الشرف

وَاللَّهُ أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ آيَاتَهَا الْفَرَا تَزِدَعُ عَنْهَا مُسْتَبِدِّيَهَا

العظيم لكنني روستهم وهم هاشم ، وأميه ، ونوفل ، وعبد الدار ، وأسد ، ونجم ، وعزوم ، وعدي وجميع ، وسهم ، في مكة المكرمة نفسها التي هي مقر الكعبة عجا الرب جميعاً كرمها الله ، وكان هؤلاء الرساء يقتسمون الحكم بينهم على ما يقرب من الحكم الجمهوري المروفي في زمانه الناس هذا وهناك أقسام ذلك الحكم الذي سيناه جمهورياً

كان بنو هاشم مخصصون بالسقاية وهي أهم الوظائف لذلك العهد لما تعلمه من قلة المياه في مكة كرمها الله فرؤي أن يناط أمر سقاية الحجاج بأكثر أولئك الرب تقوذاً حتى لا يستلوا على المياه في الأشهر الحرام المحرم فيها القتال

واختص بنو هاشم أيضاً بالمرارة وهي حفظ النظام في الكعبة المكرمة في زمن الحج فكانوا يراقبون الحجاج ويمنعونهم عن بذي القول أو رفع الصوت أو التزامك بالنكاح الخ وكان القاب وهو راية قریش الكبرى عندهم من صيب بني أميه يحفظونها عندهم حتى اذا ما وقعت حرب أخرجوها وأعطوها لمن يتفقون عليه من أولئك الرساء وقدموه عليهم في الحرب وبقوة هذه الارية جمع أبو سفيان والد معاوية الرب على حرب النبوة

وكانت الرمادة في بني نوفل ومنانها رعد المنقطين من الحجاج لأحاديثهم الى مواضعهم وكانت السدانة والحجابة في بني عبد الدار ومنانها خدمة الكعبة وحفظ مفتاحها وكذلك كانت فيهم الندوة أي موضع اجتماع أولئك الرساء للتشاور بأمرهم الهمة

وكانت المشورة في بني أسد ولهم أرادوا بها رئاسة ندونهم عند ما يجتمعون للشورى بديل أنهم كانوا لا يجتمعون على أمر حتى يرضوه على صاحب المشورة فان أعجبه وافقهم عليه والا فخير وكانوا له أعواناً فيما يختار

وكان الاشتاق في بني نجم ويريدون بهذه الوظيفة جمع المال والجبال لمساعدة من محمل غمراً أو دية من قریش توسلاً لحقق السماء وحفظ كرامة قریش وكانت القبة في بني عزم وذلك ان قریشاً عند ما كانوا يهبون الى حرب كان يقرب لهم

زعم بني عزم قبة يجتمعون اليها عددهم الحرية ونجدهم لثمتهم العسكرية وكانت الأعنة أيضاً في بني عزم ويريدون بها رئاسة الحياة فكان زعم بني عزم هو الذي يستي بالحياة في الجيش وقودهم الى القتال

وكانت السقاية في بني عدي ويراد بها مخافة الأعداء لاشهار حرباً وتلاقيها أو عقد صلح الخ وكان الايسار في بني جميع وهي الأزلام والتداج كانوا يضربون بها اذا أرادوا أسراً خطيراً وهي من خراعات الرب وجاهليتهم وقد حرمها الاسلام

وكانت الأموال المحبسة في بني سهم وهي الأموال المرصدة وبها على آلتهم أو قرائمهم وهي أشبه بالأوقاف الحيرية المروفة في الاسلام وعلى هذا التقسيم كانت قریش تدبر شؤون الرب وتحكمهم حكماً جمهورياً شورياً قد أنزه الاسلام بقوله تعالى « وأسرهم شورى بينهم » وقوله سبحانه مخاطباً المصطفى « وشاورهم في الأمر »

ومن هذا الحكم يكون للرب أولاً وللإسلام ثانياً نرى إيجاد الحكم الشوري الذي تمتشى عليه الأمم الارية في عصرنا الحاضر وتحميه شطار تمدنها

أَيُّ عَقَائِدُهَا فَالْأَكْثَرُ إِلَهَاتُ إلهَ آسَمَا الْخَلْقِ تَأْلِسُهَا (١)

(١) وجد الدين مع الانسان منذ وجد وتقرعت أصوله بتفرع ادراكه وكان بعثه اليه ضيقه ووجوده عتاجاً أبداً الى قوة علوية تدفع عنه الشر وتهل اليه ما يحتاج من خير وقد تخيل ان ما وصل اليه من خير وما توفى اليه من دفع شرهما يمدد قوة علوية قبيدها واحترما وأنها وما كفاه هذا حتى أشرك معها ما تخيله مظهراً من مظاهر هاتيك القوة العلوية كالشمس التي أدرك أن الكائنات تعيش بحراريتها وتستجلي الظلمات بضوئها ثم عبد الكواكب والنجوم لاستدلاله بها على الانواء ثم تدرج الى عبادة الأشخاص الذين امتازوا بأعمال غير مألوفة تحسبوه من مظاهر الاله سبحانه حتى اذا ما توفوا تحولت عبادتهم لقبورهم أو أقاموا لهم الصور والتمائيل ثم لجعل الانسان نبي أن عبادة الأشخاص أو صورهم ونماذجهم أو الشمس والنجوم والكواكب حتى الحيوانات أيضاً التي كانت تقبده لحياته أو يحشى شرها تسم نبي أن عبادته هذه كانت زلفى لله خالق الكائنات على اعتبار أنها من مظاهره سبحانه وتعالى بل نبي أيضاً نفس الخالق وعبيدها نفسها فكانت العبادة الوثنية مملوكة بالجلالات والخرافات ومفضية الى الاشرار فالكفر بالله والبياد بآفة

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يبيد الناس الى الهدى بعد الضلال فأرسل اليهم رسله وأنبياءه فكان أولهم بعد الطوفان سيدنا ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فكان أباً الأنبياء جميعاً وكلهم من صلبه وأشهرهم موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام لكثرة من اتى اليهم من الموحدين وكان العرب قبل عهد سيدنا ابراهيم على الوثنية حتى اذا ما هاجر اليهم هذا النبي الكريم يولده سيدنا اسماعيل وامراته هاجر عليهم السلام دخل العرب في دينه أفواجا ووجدوا الله على يديه وابتى لهم الحكمة المشرفة على أن كثيرين منهم ظنوا على وتينهم يرون الهدى ولا يهتدون

ثم انتقلت الديانة الملووية الى العرب بهجرة طائفة من بني اسرئيل الى الحجاز وأول من دان بها هم أهل طيبة « وكان اسمها يثرب » وهي المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام قالوا ان سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام عند ما خرج بقومه من مصر بعد قصته مع فرعون على ما في القرآن الشرف أقام أربعين سنة في صحراء سيناء وهي التي دعيتها التوراة باسم « التيه » وفي هذه المدة تخلف عنه بعض اليهود وساروا الى الحجاز فزلوا في موضع فيه ماء يسمى « بئر آدم » فأقاموا فيه وبنوا في موضعه مدينة دعوها يثرب فكانت مدينة يهودية ثم طفق اليهود ينتقلون الى الحجاز فلبثوا طلباً للرزق أو فراراً من الاضطرابات والحروب التي انتابت بلادهم « فلسطين » في عهد ملكهم لوقومها بين دولتين قويتين متحاربتين هما دولة مصر ودولة آشور واختلاط الاسريين بالعرب دان منهم كثيرون باليهودية وكانوا مع مشركي تديش أعداء للنبوّة على ما هو مذكور في القرآن وتاريخ صدر الاسلام

ثم انتشرت النصرانية في العرب فكان أول ظهورها في نجران شمالي صنعاء اليمن وفي جهات من البحرين وفي الحيرة لما تنصر ثمان بن المنذر وفي قبائل من طي وفي عرب الصائفة في الشام لجاورتهم الروم وهم على النصرانية

تقول وان آثار التاليم الوسوية والمسيحية كثيرة في كثير من التسم الجاهلي وفي هذا دلالة ناصحة على أن اليهود والنصارى العرب تنصروا كبتهم بن القوم فدولتها الآن وعلى هذا فقد كان العرب عند ظهور البينة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام على أربعة

عَلَى شَرِيفَةِ إِبْرَاهِيمَ تَحَفُّظُهَا عَنِ الْجُدُودِ وَتَأْبَى أَنْ تُحْلِيَهَا
وَكَانَ فِيهَا النَّصَارَى وَالْيَهُودُ وَأَقْسَوَامُ مُعْطِلَةٌ وَالْكَفَرُ مُطْفِئُهَا
وَأُمَّةٌ عَيْدَتْ زُلْفَى لِحَاقِهَا إِلَّا مَصْنَعًا جَمَلًا وَتَأْبَى هَدْيَ هَادِيهَا
وَعَايَةُ الْقَوْلِ إِنَّ اللَّهَ وَاصِفُهَا بِخَيْرِ مَا فِي الْبَرَايِمِ أَنْ نَاسِيَهَا (١)
فَتَأْمُرُ النَّاسَ بِالْمَعْرُوفِ وَتُوجِبُ كَمَا عَنِ الشُّكْرِ الْمَثْلُوفِ تُنْهِيهَا
وَأَمَّتْ لِلَّهِ الْعَرْشَ قَدْ عَرَفْتَهُ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الْقَهَّارَ ذَارِيهَا
هَدْيِي هِيَ الْأُمَّةُ الْعَلِيَّةُ الَّتِي بَزَعَتْ أَنْوَارَ أَحَدٍ مِنْ أَقْصَى قِيَا فِيهَا
وَأَخْصَصَهَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ تَنْشُرُ فِي الْأَمْ قَاقِ دَعْوَتَهُ الْحَسَنَاءَ وَتُزَكِّيهَا
وَكَانَ أَشْرَفَهَا جَاهًا وَأَعْظَمَهَا قَدْرًا قُرَيْشٌ فَلَا يَدُّ يَدَانِيهَا
وَأَنَّهَا لَبُطُونٌ وَالْوَجَاهَةُ فِي التَّخْصِصِ مَا ابْتَدَعَتْ عَنْ هَاشِمِيَّيْنِهَا

أديان أولها الموحدون على دين إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل والثاني النصارى والثالث اليهود والرابع الوثنيون

على أن الذين كانوا على دين سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل ما كانوا يخلون من الأشرار والذين
إن إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام بنيا الكعبة في مكة المكرمة على ما علمت وجعلها
مطافاً يجمعها أولادها ما قلوا كثروا انتشروا في أماراف الجزيرة وكانوا في هجرة من مكة يأخذون
معهم للتبرك شيئاً من حجارة الكعبة يملأونها تهرباً لله عز وجل وما زالوا يتوسمون بتعطيها
حتى جعلوها أصناماً وأوثاناً وعبدوها مع الله سبحانه فباتوا مشركين

وحدث أن عمرو بن لُحَيٍّ الخزاعي سافر إلى بلاد الشام وفي طريقه رأى هؤلاء المشركين
وما عندهم من التماثيل التي يعبدونها فغضب له عبادتها فأخذ يعضاً منها وأقامها على الكعبة وكان هو
ساقها وهكذا دخلت عبادة التماثيل إلى الكعبة المشرفة التي بنيت في الأصل لعبادة الله الواحد الأحد
وعند ما رأت قريش ما فعل عمرو بن لُحَيٍّ اتبعوه وما اكتفوا بما جاء به من التماثيل بل
أضافوا إليها تماثيل أخرى الظاهر أنهم اقتبسوها عن التماثيل اليونانية التي كانت تحمل القوات المختلفة
ويسمونها آلهة كاله الحرب وآله البحر الخ ووضعوها في فناء الكعبة

وما لا ريب فيه أن العرب ما كانت تعظم هذه الأوثان التي ملأت بها الكعبة المشرفة إلا
تهرباً لله لما جاء في الكتاب العزيز « ما تبيدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » على أن هذه العبادة
حبسها محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام إشرافاً ودعا لأهلها قريشاً مشركين وأبى عليهم إلا
أن يجردوا لعبادة الواحد الأحد موحدين وأيده الله فكان له النصر العظيم

(١) قال الله عز وجل في كتابه العزيز يصف الأمة العربية الكريمة « كنتم خير أمة
أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ولعمري أن شهادة الوحي
هذه لهم لكسبهم غاية الفخر إلى يوم القيامة

وَحَبْرُ هَاشِمٍ بَلْ خَيْرُ الْخَلِيقَةِ أَحْمَدُ الَّذِي شَرَّفَ الدُّنْيَا وَأَهْلِيهَا
وَبَعْدَهُ الْمُرْتَضَى صَوْنُ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ تَقْسِيمًا
وَحَسْبُ أُمَّتِنَا بِالْمُصْطَفَى وَعَلَيْهِ الْمُرْتَضَى أَنْ تُكَامِيَ مِنْ يُكَاسِيهَا

مسبب أمير المؤمنين ونسب

وَنَسَبُ الْمُرْتَضَى كَالْمُصْطَفَى وَهُمَا فِي ذُرْوَةِ الْمَجْدِ فِي أَعْلَى أَعْلَانِيهَا (١)
هُمَا خِيَارُ بَنِي إِسْمَاعِيلَ نَازِلِ أَرْجَاءِ الْحِجَازِ أَلَا وَلِي بَاتُوا أَمْوَالِيهَا
وَأَهْلُهَا عِتْرَةٌ مَا فِي الْخَلَائِقِ مِنْ يَدْنُو لِسُودْدِهَا أَوْ مَنْ يَدْنُو لِسِيهَا
نَمَتْ أَصُولًا وَأَفْحَادًا مُنَوَّعَةً وَكَانَ أَسْمَقُهَا مَجْدًا قُرَيْشِيهَا
وَفِي قُرَيْشٍ فُرُوعٌ كَانَ أَفْضَلُهَا جَاهًا هَوَاشِيهَا مَا مِنْ يُسَامِيهَا
وَفِي أَهْلِ هَاشِمٍ سَادَ النَّاسِ مُطْلَبٌ فَكَانَ نَاطُورَهَا الْأَعْلَى وَرَافِيهَا
وَزَادَهُ اللَّهُ جَاهًا بِالنُّبُوَّةِ فِي حَبِيدِهِ الْمُصْطَفَى إِذَا ضُرِّعَ رَاعِيهَا
وَأَهْلُهَا عِزَّةٌ تُخَنِّي الرِّقَابَ لَهَا وَلَيْسَ مِنْ عِزَّةٍ قَعَسَا تُنَاجِيهَا
قَدْ أَبْنَدَتْ بِالْأَمِينِ الْمُصْطَفَى وَعَلَيْهِ مِنْهُ أَخِذُهَا إِرْمًا وَجَانِيهَا
كَلَامُهَا نَهْلًا مِنْ مَوْرِدٍ عَذِبٍ جَرَى بِهِ مِنْ مِيَاهِ الْمَجْدِ صَافِيهَا

(١) ان التنويه بحسب المرتضى ونسبه عليه صلوات الله كالتنويه بفضل الشمس وكما ان كل
انسان يعلم ان الله سبحانه خلق الشمس لتضيء دياره الكون ولترسل حرارتها فيحيي بها النبات
والحيوان والانسان باذنهم تعالى كذلك كل انسان يعلم بحسب المرتضى وانه في شرف نسبه معقون مع
المصطفى كلاهما فرعي دوحه بلغت من الشرف غايته ومن السؤدد نهايته هي دوحه آل عبد المطلب
رأس بني هاشم وما بنو هاشم الا سادات قريش وما قريش الا شرف أشراف العرب بانسابها ابا سيدنا
اسماعيل بن سيدنا ابراهيم الخليل عليهما وعلى المصطفى والميرضى وآل البيت الطاهر الصلاة والسلام
واذا كان المجد العربي الاسمي قد انتهى في الجاهلية الى بني هاشم فقد ابتدأ من هذا البيت
الكبير مجد أسمي لا يدانه مجد في الدنيا والاخرة بالنبوته اذ اختص بها سبحانه وتعالى سيدنا محمد
عليه الصلاة والسلام فكان خاتمة النبيين وسيد المرسلين . ولقد ورث هذا المجد العظيم وصيه وولييه
وصنوه وأخوه وربوبه وصهره وابن عمه سيدنا سيف الله القائل علي ابن أبي طالب فكان ثاني اثنين
في المأثور لا يدايه بذلك مدنان من بني عدنان ومن عالم الانسان . وسوف ترى فضائل هذا السيد
العظيم التي لا يحيط بها بيان وقد قامت عليها الميامان وأمنتها القرآن

نَعَمْ أَبُو طَالِبٍ رَبِّي الرَّسُولَ وَحَا
وَالْمُصْطَفَى كَرَمًا رَبِّي الْوَصِيَّ عَلَى
كَمَا تَرَبَّى بِإِدْلَالِ الْخَدِيجَةِ أُو
وَقَدْ تَزَوَّجَ مِنْ أَسْمَى كَرَامِهَا
وَوَيْتُهُ يَنْتُ طَهَ وَهُوَ مُتَّحِدٌ
وَفِي ذَرَى الْكَعْبَةِ الزَّهْرَاءُ مَوْلَانَهُ
وَكَانَ لِلْمُصْطَفَى الْهَادِي الْبَشِيرُ أَخَا
كَانَا كَمُونِي وَهَارُونَ لَا مُتَنَا
وَلِلرَّسُولِ أَحَادِيثٌ مُشَبَّهَةٌ
وَفِي الْكِتَابِ مَثَانٍ فِيهِ قَدْ نَزَلَتْ

جَاءَ الرَّسُولَ الْمُنْدَى كَانَ قَاضِيهَا
يَدِيهِ تَرِيَّةً مَا أَنْفَكَ قَائِنَهَا
مُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى رَاضِي تَبَيَّنَهَا
وَمَا بَنُو الْمُتَضَى إِلَّا ذُرَارِيهَا
مَعَهُ بِوَحْدَةٍ حَالٍ لَا نُجْزِيهَا
فَكَانَ فِي الْعَرَبِ الْعَرَبَاءُ كَسْبِيهَا
مَدَّ أَحْكَمَتْ أُمَّةً الْهَادِي تَأْخِيهَا
وَلَا نَمَّا بِهَا الْخَلَاقُ مُسْنِيهَا
عَنْ فَضْلِ حَيْدَرَةٍ مَا مَانَ رَاوِيهَا
فَشَرَّفَتْهُ قُلٌّ: سُبْحَانَ مُوَحِّيهَا

والد أمير المؤمنين

لَدَى أَبِي طَالِبٍ قَبْ صَاحٍ مُخْتَرِمًا
غَرَّ الْأَيْدِي أَلْيَ قَدْ كَانَ يُسَدِّدُهَا (١)
وَلَا تَخُلْ أَنِّي أَوْفَى مَدَائِعِهِ
فَلَنْ مِدْحَتَهُ مَا مِنْ يُوفِّيَهَا

(١) كان لسيد المطلب كبير بني هاشم ثلاثة عشر ولداً وهم الحارث وهو أكرمهم وكان به يكنى وشقيقه ثم. وعبد مناف وقيل عمران المكنى بأبي طالب والزيد وعبد الكعبة وعبد الله والد المصطفى عليه الصلاة والسلام وهؤلاء الأربعة هم أشقاء. وحزرة والمقدم والمغيرة الملقب بمجمل وهؤلاء الثلاثة أشقاء. والياس وضرار وهما شقيقان. وعبد الزى المكنى بأبي هب وهو أعدى أعداء النبي الذي نزلت فيه آية « تب يد أبي هب » ومصعب الملقب باليداق وهما شقيقان. وكان أبو طالب أوجه وجهاء قريش وزعيمهم يد أبيه عبد المطلب وأقدهم كلمة وأحكمهم رأياً واشهرعنه أنه لم يذق آخر طول حياته وكان من الذكاء والدهاء وقوة الإرادة ما بذلك عليه مودته على قريش حتى استطاع أن يجمعي ان أخيه المصطفى من أعدائه فلم يته أذاهم طول حياته مع أنه كان يحارب دينهم ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش يتيماً فقد مات أبوه عبد الله وأمه حامل به فكفله منذ ولادته جده عبد المطلب ومات والنبي من العمر ثمان سنوات فكفله عمه أبو طالب الذي انتقلت إليه زعامة بني هاشم بعد موت أبيه ولتد قيل كثيراً عن رعاية أبي طالب لرسول الله عليه الصلاة والسلام في مدة كفالته له التي دالت الى أن شبَّ عن الطوق وفي الأحاديث الثابتة عن المصطفى أنه عليه الصلاة والسلام كان كثير الامتنان من كفالته عمه الطيبة له. وإنا نأب أن كان يضججه بمجانبه ويسهر على راحته ويقدمه أحسن الطعام. وكأني بالشيخ أبي طالب كان يحسن القراءة باللام

قَدْ كَانَ أَفْضَلَ شَيْخٍ فِي قُرَيْشٍ جَبِينًا بَالِحًا لَمَّا لَافِي هَاشِمِيَّتِهَا
وَكَانَ يَدُّ أَيْدِيهِ أَقْرَمَ سَيْدَهَا بِلَا جِدَالٍ وَحَامِيَهَا وَأَسِيَهَا
وَكَانَ أَحْكَمَهَا رَأْيًا وَأَفْضَلَهَا حَزْمًا وَأَكْثَرَهَا مَجْدًا وَتَوْجِيهَا
مَنْ بَعْدَ مُطَلَبَ ذَاتَ لِسُونَدِهِ طَوْعًا فَكَانَ إِلَى الْإِسْلَامِ مُتَّسِلًا
وَالْجَاهِلِيَّةُ فِي عَلَيْهِ قَدْ خَسَتْ فَخَارَهَا مَذْغَدًا إِلَى الْإِسْلَامِ طَاوِيهَا
وَحَسْبُهُ كَفْلُ الْهَادِي الْأَمِينِ كَفَا لَهُ جَمِيعُ عِبَادِ اللَّهِ تَطَرُّبَهَا
فَكَانَ كَافِلُهُ وَهُوَ الْيَتِيمُ بِطَلْفَةٍ وَحَقَّكَ مَا الْآبَاءُ تَأْتِيهَا
وَكَانَ يَنْتَقِي بِهِ رَأً يَنْصِلُهُ عَلَى بَيْتِهِ لَكِنِّي بَزَادَ تَرْفِيهَا
وَكَانَ يُضْجِعُهُ فِي قَرْبِهِ وَلِيَا لَهُ الْطَوْلُ عَلَيْهِ كَانَ يُخَيِّبَهَا
وَكَانَ فِي يَتِيمَةِ الرَّبِّ الْمُحْكَمِ فِي شَوْزِهِ مِثْلَمَا يَهْوَى يُجَرِّبَهَا
وَفِي الْمَاكِلِ لَا يُطْفِئُ هُنَاكَ مِنْ أَلْوَانِهَا غَيْرَ مَا قَدْ كَانَ شَاهِبَهَا

محمد عليه الصلاة والسلام وقد رآه مستقلاً عظيماً في الدنيا ووجاهة كبرى عند الله بذلك على ذلك
استقام السماء بوجهه. قال حمزة بن عروة قدم مكة وتريش في تحط فاحتلوا في كيف يستقون
السماء فقال بعضهم باللات وآخرون بالذرى وفي الأخير قال قائل منهم أتى تؤفكون وفيكم باتية
إبراهيم وسلة إسماعيل عليهما السلام ألا وهو أبو طالب فلتنصرف إليه فأطاعوه وقصدوا أبا طالب
في بيته فخرج معهم وهم المصطفى وهو غلام وقصدوا الكعبة كرمها الله وهناك جاء بالمصطفى عليه
الصلاة والسلام وألقى طهره بالكعبة وصلى ودعا فأقبل الحباب وأغدودق وانفجر له الوادي
وأغضب النادي والبادي. وقد أشار أبو طالب إلى هذا الحادث العظيم الذي كان باكورة معجزاته
عليه الصلاة والسلام في قصيدته الكبرى التي أنشدها في مدح المصطفى عليه السلام بقوله :

وَأَيْضَ يَسْتَقِي الْمَاءَ بُوَيْهَ تَمَالِ الْيَتَامَى عَصَمَةَ لِلْأَرَامِلِ

وكان أبو طالب كبير التعلق بالمصطفى كما كان المصطفى كبير التعلق به ولذلك عند ما عزم
أبو طالب على السير إلى الشام للتجارة على عادة تريش وذلك بدكفاله له بأربع سنوات عز عليه
فرائقه فصحه منه وكانت هذه أولى رحلات المصطفى وأوفرها بركة وفيها من الحوادث العظمى
التي أدت إلى نبوته مع رهبان بجمراه وغيره ما هو حرج في السيرة النبوية

ونال أبا طالب جهد عظيم عند ما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيمته وهم مشركو
تريش وكفارها بجمارته ونادوا بكرامه ما كان يجر به من تحقير آلهتهم وتنظيم إلهه الأحد على
أنه استطاع أن يجمعهم منهم فما نالوه بأذى في كل حياته وهذا فضل عظيم لهذا المبدأ العظيم
وعند ما أدركت أبا طالب الوفاة وهو كما علمت كبير زعماء تريش استدعى زعماء قومه إليه
وودعهم بهذه الوصية فقال : « يا مشرك تريش أنتم صقوة الله من خلقه وقلب العرب ، فيكم المطاع

وَسَارَ مَعَهُ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ رُحْلَةً بَدَأَ جَاهُ طَهَ لِلْمَلَا فِيهَا
 وَرَدَّ عَنْهُ الْأَعَادِي عِنْدَ بَعْثِهِ الزَّهْرَا وَقَدْ كَثُرَتْ جَنَلًا أَعَادِيهَا
 وَكَانَ يُنْشِدُ فِي طَهَ قَصَائِدَهُ وَفِي نُبُوْتِهِ الْقَضَا وَبِمَلِيهَا
 وَكَانَ يَدْعُو إِلَى مَحْمُودِ دَعْوَتِهِ جَهْرًا قَرِيضَ وَيَا أُخْرَى بِمَلِيهَا
 وَعِنْدَ مَا قَدْ دَنَتْ مِنْهُ الْوَفَاةُ دَعَا رُوُوسَ أُمْتِهِ كَيْمَا يَفَاهِيهَا
 وَقَالَ وَالْمَوْتُ يَنْشَأُهُ بِصَفَرَتِهِ وَرَحْبَةً الْمَوْتُ يُشْجِي النَّفْسَ فَاجِيهَا
 أَوْصِيكُمْ يَا بَنِي أُبَيِّ بِكُفَيْتِنَا فَلَنْ فِيهَا رِضَا اللَّهِ ثَاوِنَهَا
 وَلَنْ رِزْقَكُمْ فِيهَا يَنَالَكُمْ مِنَ الْحَبْنِجِ إِذَا وَاقَتْ مَغَانِيهَا
 وَبِالْوَدَادِ صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَبِذَا تَنَالُ أُمْتِكُمْ أَقْصَى أَمَانِيهَا
 وَحَازِرُوا النَّبِيَّ مَعَ شَرِّ الْعُقُوقِ وَمَا يَلِيهِمَا مِنْ شُرُورٍ ضَلَّ جَانِيهَا
 فَلَهَا أَهْلَكَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ أُمَمًا كَانَتْ قَبَادَتْ وَإِنْ الْإِثْمُ مُثْنِيهَا
 وَإِنْ دُعِيْتُمْ فَلَبُّوا أَوْ سَلِّتُمْ إِيَّاهُمْ سَانَا فَجُودُوا وَخَيْرُ النَّاسِ سَاخِيهَا

وفيكم للقدم الشجاع ، والواسع الباع ، لم تركوا للرب في المآثر نصيباً الا أحرزتموه ، ولا شرفاً الا
 أدركتموه ، فلكم بذلك على الناس القضيّة ، ولهم به اليكم اللبّيّة ، أوصيكم بتعليم هذه البنيّة
 (يريد الكعبة كرمها الله) قال فيها مرضاة للرب ، وقواماً للماش ، صلوا أرحامكم ولا تحطموها
 قال في صلة الرحم مناة (يريد فسحة) في الأجل ، وزيادة في المدد ، واتركوا البني والعقوق
 ففيها هلكت القرون قبلكم ، أجبوا الداعي ، وأعطوا السائل ، فإن فيها شرف الحياة والمات
 وعليكم بصدق الحديث ، وإداء الأمانة ، قال فيها محبة في الخاس ، ومكرمة في العام ، واني
 أوصيكم بمحمد خيراً فانه الأمين في قريش ، والصديق في الرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيكم
 به ، وأيم الله كآني أنظر الى صاليك الرب وأهل البر في الأطراف ، والمستضيفين من الناس ،
 قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره ، فغاض بهم غمرات الموت ، فصارت روساء قريش
 وصناديدها أذناباً ، ودورها خراباً ، وضيغافها أرباباً ، وإذا أعظمهم عليه ، أوجبهم اليه ، وأبدهم
 منه ، أعظمهم عنده ، قد محضته الرب ودادها ، وأعطته قيادها دونكم ، يامشر قريش لن
 تزلوا بخير ما ستمن من محمد ، وما أتبعتم أمره ، فأطيعوه ترشدوا اه

وتوفي أبو طالب في العام الذي توفيت فيه سيدتنا خديجة أم المؤمنين وكانت وفاتها في زمن
 متقارب في العام الباشر من بنة المصطفى عليه الصلاة والسلام وقبل هجرته المدينة المنورة بثلاث
 سنوات وعلى أثر وفاة ذلك الشيخ الجليل أخذت تمتد يد قريش للمصطفى بالأذى فظفقتوا بهيته
 ويسبونه عنوة ويحنون عليه التراب وكان هذا الأذى سبب هجرته مكة المكرمة الى المدينة المنورة

وَالصِّدْقُ أَزْكَى بِكُمْ وَالْكُذْبُ مَنَقَصٌ ذُو الْقَلْبِ وَالَّذِينَ يَأْتِيهِمْ أَنْ يُدْأَبُوا
أَدْوًا أَلَامَاتٍ أَدْوَاهَا بَلَا مَهْلٍ إِلَى ذَوْنِهَا تَنَالُوا شُكْرَ أَهْلِهَا
وَإِنِّي الْيَوْمَ أَوْصِيكُمْ بِأَحْمَدٍ خَيْرًا وَاسْمَعُوا دَعْوَةَ مَا أَفْكَ دَائِعِهَا
تَامِينَ أَمِينَ سِوَاهُ فِي قُرَيْشٍ وَلَا صَدِيقٍ يَفْقَرُ إِلَّا الْيَوْمَ إِلَيْهَا
إِنِّي لَأَنْظُرُ فِي الْأَيَّامِ مُقْبِلَةً عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ أَنْ يُجْلِي دِيَارِهَا
فِيهَا تَهْبُ صَعَالِكُ الْأَعَارِبِ مَعَهُ بَيْنَ حَاضِرِهَا الْقَهْدَى وَبَادِيهَا
وَقَدْ أَجَابَتْ مَعَ الْإِيمَانِ دَعْوَتَهُ وَعَظُمَتْ أَمْرُهُ دَعْوُهُ هَادِيهَا
أَلْفِيهِ يَخْرُجُ فِيهَا لِلْحُرُوبِ جَمًا عَاتٍ تَخُوضُ الْمَنَابِي لَا تُحَاشِيهَا
تَبْعِي قُرَيْشًا وَأَسْرِعُ أَنْ تَذَلَّ لَهَا وَأَنْ تَسُودَ عَلَيْهَا أَوْ تُتَلَاشِيهَا
إِذْ ذَاكَ أَسْيَادُهَا تَحْمِي وَحَاجَتُهَا إِلَى مُحَمَّدٍ بِالْإِذْلالِ تَرْجِيهَا
وَأَبْدُ النَّاسِ مِنْهُ بَاتَ أَقْرَبَهَا إِلَى مَوَدَّتِهِ بِالصُّفَى يَدِيهَا
وَأَلْتَرَبُّ دُونَ قُرَيْشٍ تَحْتَ رَأْيَتِهِ صَالَتْ وَجَلَتْ وَعَزَّتْ فِي تَسْلِيهَا

وقد اختلف المؤرخون في اسلام أبي طالب أو يقاته على الشرك ولكل فريق أدلة يرتكزون
عليها وأحاديث نبوية يستشهدون بها وليس لثلي أن يت في مثل هذا الأمر الخطير وإنما الاستدلال من
واقع الحال يرجع قول الذين يقولون بإيمانه لأن الانسان مهما تمالي في صلة رحمه وفي حبه لآبته
أو ابن أخيه أو نسيه لا يسه أن يفض الطرف عن ذلك النسيب اليه أو المحبوب منه اذا رأى مبتدي
على دينه ويحاول أن يدرك أركانه ويقيم في موضعه ديناً آخر ان لم يكن هو أيضاً متفقاً معه في
الاعتقاد لما تعلم من تمسك الناس بأديانهم ومبايعةهم بتقديسها وتفضيلهم لها على كل اعتبار آخر حتى
ان المؤمن ليقبل آيته أو آياه اذا رآه يحقر دينه ويستين بمعبوده . وإذا صدق هذا على طامة الناس
قبلاً ولي أن يصدق على خاصتهم مثل أبي طالب التي كانت له المكانة العليا في قريش فهو ملازم من
جهة نفسه ومن جهة مركزه أن يدافع عن الدين الذي يدن به هو وقومه كي لا تسقط مكانته من
عيونهم وكي لا يرس نفسه لغضب مبيداته فيخسر آخرته . وعلى هذا فأبو طالب لا بد وأن
يكون قد آمن برسالة ابن أخيه عليه الصلاة والسلام في قلبه ولكنه لم يجر بها لاعتبارات تقتضيها
الحكمة وتدعو اليها السياسة . فانه لو جهر بإيمانه في بدء البعثة وجر الدعوة لاقبلت عليه قريش
بجملتها وأتسقطته من حالتي مجده وعبت بحرمته وحينئذ يسجز عن رد الأذى عن ابن أخيه وهو
لا يزال ضيقاً وهذا الذي جله يكتم ما في نفسه من الايمان وظاهر أعماله وقصائده وخطبه تظهره
بأعلى بيان . اذ رأيناه يدافع عن المصطفى بفؤده وجاها وعمده بقصائده وخطبه حتى آخر لحظة
من حياته على ما رأيت من وصيته وعلى هذا فيكون أبو طالب من خيار الصحابة والأوصياء

وَاللَّهُ يَا أُمِّي لَا يَمْدَنُ قَتِي إِلَّا بِطَاعَتِي طُوبَى لِحَاظِيهَا
وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَهِي مِنْ ذِي الْوَصِيَّةِ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ عَلَى السَّمَاعِ يُقَلِّبُهَا
وَعَبْرَكَ اللَّهُ هَلْ هَدَيْتَنِي وَصِيَّةً مُشْرِكًا لِأُمِّي قَدْ رَاحَ يَوْصِيهَا
مُدَدٍ فِي فِرَاشِ الْمَوْتِ فِي دَفَقٍ وَنَفْسُهُ بَلَّتْ مِنْهُ قَرَاقِيهَا
وَهَلْ يُوصِي بِطَلَّةِ ذِي الْوَصِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُ مُؤْمِنٌ شِرْعَةَ الْإِسْلَامِ رَاضِيًا
كَذَا أَبُو طَالِبٍ قَدْ كَانَ أَوَّلَ أَنْ صَارَ الشَّرِيعَةَ بِلِ أَوْفَى مُحِبِّهَا
فَلِنْ بَمُتْ مُشْرِكًا مَا الشَّرِكُ مَهْلِكُهُ لِلْمَحَدَاتِ الَّتِي قَدْ رَاحَ آتِيهَا
وَلِنْ بَمُتْ مُؤْمِنًا فَاللَّهُ مُؤَجِّرُهُ أَجَرَ الصَّحَابَةِ مُشَوِّبُهُ مَثَافِيهَا
وَلِنْ نَفْسًا أَتَتْ تِلْكَ الْفَضَائِلَ مَا إِلَّا مَسْلَامٌ تَأَلَّلَهُ نَاءٌ عَنْ مَطَاوِيهَا
فَقَدْ تَكُونُ أَقْرَبُهُ بِخَافِيهَا وَلِلْمَحَافِيزِ مَا أَبْدَنُهُ مِنْ فِيهَا
كَمْ مِنْ نَفْسٍ أَقْرَبَتْ بِالشَّهَادَةِ وَالْإِلَهِ مَسْلَامٌ سِرًّا وَكَانَ اللَّهُ دَارِيهَا
وَكَمْ نَفْسٍ لَقَدْ أَبْذَتْ شَهَادَتَهَا زُورًا وَكَذِبًا وَكَانَ الْكُفْرُ غَاوِيهَا
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَخْفِي الصُّدُورُ وَيَا لِمَدْلِ الْإِلَهِيِّ يَوْمَ الَّذِينَ يُجْزِيهَا
فَالْمُؤْمِنُونَ لَهُمْ رَحْبُ الْجَنَانِ إِذَا أَعْمَلَهُمْ صَلَحَتْ يَتَوُونَ هَانِيهَا
وَالْمُشْرِكُونَ لَهُمْ نَارُ الْجَحِيمِ وَفِيهَا الْخَالِدُونَ وَمَا الْأَحْقَابُ تُطْفِئُهَا

والدة أمير المؤمنين

أُمِّ النَّبِيِّ وَأُمِّ الْمُصْطَفَى أَدْرَتْ أَيُّ الْمَآخِرِ أَبْقَتْهَا لِأَهْلِيهَا (١)

جِدَال . وحيداً لو وفق الله الاسلام في عصر الناس هذا الى من يحمون ذماره ويلون كلمته كما فعل
أبو طالب في بحر البئنة اذ قل يطل الاسلام في خير

هذا هو أبو طالب كفيل المصطفى وعمه وحبيه ونصيره ووالد سيدنا أمير المؤمنين يسوب
الدين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب بل هذا هو الرجل العظيم الذي رعى هذين النيرين فأضاء
في سماء الدنيا والدين

(١) ان والدة أمير المؤمنين عليه صلوات الله هي فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية
ولدت لهاشمي وكان سيدنا أمير المؤمنين أصغر بناتها وكانت من فضليات النساء وعاتلاتهن المبركات

فَالْتَمِمْهَا كَفَلَتْ خَيْرَ الْخَلَائِقِ أَسْمَاهَا وَأَعْظَمَهَا جَاهًا وَهَادِيَهَا
وَالْتَمِمْهَا أَنْجَبَتْ صِنُورَ الرَّسُولِ أَمِينًا لِلشَّرِيفَةِ يُفْشِيهَا وَيَخْمِيهَا
كَذَا الْمَلَائِكُ فِي جَنَّتِهَا حَفَلَتْ بِسَرَّتِهَا وَوَدَّتْ لَوْ تُهْنِيهَا
قَدِيكَ فَاطِمَةُ أَوَّلَى كَرَامِهَا شِمٌّ لَقَدْ وُلِدَتْ فِي هَاشِمِيَّتِهَا
وَحَبَّهَا مِمَّا تُبْدِي تَبَاهِيَهَا وَخَبَرُهَا مِنْ رَبِّتِ وَمَنْ وُلِدَتْ
وَاللَّهُ أَسْعَدَهَا دُنْيَا وَآخِرَةً جَزَاءَ مَا أَسْلَفَتْهُ مِنْ مَآثِمِهَا
فَأَسْلَمَتْ بَدْعَ عَشْرِ مِنْ تَقَاةِ عِبَا دَالِلُ ذَلِكَ مِنَ الْطَّافِ بِأَرْبِهَا
وَهِيَ الْبَيْتِ بَابَتْ قَبْلَ الْبَيْتِ رَسُو لَ اللَّهُ يَتَعَقَّبُ صِدْقَ لَمْ تُؤْنِسِهَا
وَكَانَ يُشْفِي عَلَيْهَا الْمُصْطَفَى وَلَهَا يَدْعُو بِأُمِّي إِذَا مَارَاحَ دَاعِيَهَا
وَكَانَ يُكْرِمُ مَثْوَاهَا وَيَحْفَظُ مَا لَهَا عَلَيْهِ قَدِيمًا مِنْ أَيْدِيهَا
إِيَّامَ قَدْ كَانَ يَتَوَيَّ رَحْبَ نَزْلِهَا مَا بَيْنَ أَسْنَانِهَا يَلْقَى تَحْسِنِهَا
وَمِثْلُ أَحَدٍ لَا يَسْقَى جَمَالِ مُشَاهِدِهَا وَرُبِّي يَتِيمًا فِي مَقَانِهَا
وَوَلَّى يَحْتَدِهَا حَتَّى إِذَا رَحَلَتْ إِلَى الْخُلُودِ أَنْشَى يَنْكِي وَيَرْثِيهَا
أَرْصَتْ إِلَيْهِ قَبِيلَ الْوَتِ حَاجَتِهَا وَحَسْبُ رُغْبَتِهَا قَدْ كَانَ مُجَرِّهَا
وَكَانَ كَافِيهَا فِي تَوْبِهِ كَرَمًا وَنَامَ فِي الْقَبْرِ مَعَهَا وَهِيَ بِأَكْبَرِهَا
كَيْفَا يَهْوُونَ عَنْهَا ضَعْفَةٌ عُرِفَتْ لِلْقَبْرِ مَنْ مَاتَ لَا شَكَّ يَمَانِيهَا
وَكَيْ تَفُوزَ بِأَنْوَابِ الْجَنَانِ تَبَا هِيَ الصَّالِحَاتِ جَمِيعًا فِي تَكْسِيمِهَا
وَقِيلَ لِلْمُصْطَفَى عَنْ حُسْنِ فِعْلِهِ مَعَهَا وَمَا عَهْدُهُ قَبْلَ آتِيهَا

بالاجماع بذلك على فضلها عتابتها بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عند ما كلفه زوجها أبو طالب حتى كانت تفضله بمأكله وملبسه على بنيتها وبذلك على تغلبها أنها أدركت مني الاسلام فأسلمت قبل غيرها فكانت في عداد المسلمين جميعاً الحادي عشر أي أنها أسلمت بدعشر من المسلمين والسلامات وبايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل كل النسله السلامات وكان المصطفى عليه الصلاة والسلام يبالغ في إكرامها وإعزازها وتبجيلها واحترامها ويقي عليها كثيراً ويدعوها أمه وحسبها بذلك شرفاً لا يبادله شرف وعند ما حضرتها الودة أوصت الى المصطفى قبل وصايتها حتى اذا ما استأنزت بروحها الطاهرة رحمة الله كفنها رسول الله بقميصه وصلى على جناتها ونزل معها الى لحدها واشطع بجبايتها ولم

قَالَ: مَا يَرِيَّ مِنْ بَعْرِ عَيْي طًا وَإِنْ أَضَفْنَا إِلَيَّ هَذَا الْفَخَارَ فَخًا
وَأَيْنَهَا أَوْجَدْتُ لِلنَّاسِ قُلُوبَ هُدًى وَإِنْ هَذَا الَّذِي ذَاعَتْ مَفَاخِرُهُ
قُلْنَا لِفَاطِمَةَ خَيْرُ النِّسَاءِ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ وَمَنْ إِلَّا يَدْرِيهَا
لِبِ سَوَاهَا لَنَا إِنِّي أَكْفَيْتُهَا رَ التَّرْتَضَى وَغَدَاهُ دَرُّ أَثْنَيْهَا
بَعْدَ الرَّسُولِ إِلَى الْإِيمَانِ يَهْدِيهَا هُوَ أَبْنَاهَا وَمَبَادِينُ مَبَادِينِهَا

ولادة أمير المؤمنين

فِي رَحْبَةِ الْكُتْبَةِ الزُّهْرَاءِ أَنْبَتَتْ أَنْوَارُ طِفْلِ وَضَاعَتْ فِي مَفَانِيهَا (١)
وَأَسْتَبَشَرَ النَّاسُ فِي زَاهِي وَلَادَتِهِ قَالُوا: أَلَسَّوْدُ لَهُ لَا بُدَّ لَاقِيهَا
قَالُوا: آيْنُ مَنْ فَأَجِيبُوا: إِنَّهُ وَلَدٌ مِنْ نَسْلِ هَاشِمٍ مِنْ أَسْمَى ذَرَارِيهَا
هَنُوءًا أَبَا طَالِبٍ الْجَوَادِ وَالِدُهُ وَالْأُمُّ فَاطِمَةُ هَيُوءًا نُهَيْتُهَا
إِنْ أَلْرَضِيعَ الَّذِي شَامَ الضِّيَاءَ يَبْنِي عِزَّتَهُ لَا عِزَّ يُحْكِمُهَا
أُمًّا أَلُولَيْدٍ فَلَا قِيَّ الْأَرْضِ مُنْتَسِمًا فَمَا رَغَا رَهْبًا مَا كَانَ خَاشِعِيهَا
إِلَى النِّسَاءِ أَلَّتِي حَوْلَهُ قَدْ نَظَرَتْ عَيْنَاهُ نَظْرَةً مُسْتَجَلٍّ خَوَافِيهَا
وَهُنَّ أَعْجَبْنَ بِالْمَوْلُودِ شَمْنٌ بِهِ شَبَلًا يَنْبُتُهُ سُبْحَانَ بَانِيهَا
وَقُلْنَا: فَاطِمَةُ قَدْ جَاءَتْ بِحَيْدَرَةٍ يَدْبُ عَنْ قَوْمِهِ الْغُدُوِّ وَيَحْمِيهَا

يَكُنْ قَدْ فَعَلَ مِثْلَ هَذَا قَبْلَهَا مَعَ مَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَسَأَلَهُ أَصْحَابُهُ عَنْ صَبِيهِ فَقَالَ «لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَبْرَأَ
بِي مِنْ أَبِي طَالِبٍ مِنْهَا إِنَّمَا أَلْبَسْتُهَا فِيهِ لِيُكْسَى مِنْ حُلِّ الْجَنَّةِ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهَا لَتَهْوَنَ عَلَيْهَا مُنْظَرَةُ
الْقَبْرِ» فَذَا أَضَفْنَا إِلَى هَذَا الْفَخَارِ فَخَارُ كَوْنِ الرَّتَضَى عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَلَهَا وَقَدْ تَنَذَى مِنْ دَرِّ
تَدْيِيبِ قُلْنَا إِنَّمَا بَلَا جِدَالَ خَيْرِ النِّسَاءِ

(١) كَانَتْ وَلَادَةُ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْعَامِ الثَّلَاثِينَ وَلِلْوَلَادَةِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِمَا وَعَلَى
الْحَمْدِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى مَا حَقَّقَ الْمُحَقِّقُونَ فَتَكُونُ وَلَادَتُهُ الشَّرِيفَةُ حَوْلَ سَنَةِ ٦٠١ مَسِيحِيَّةً . وَمِنْ بَنَاتِهِ
سَدَّةٌ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ أَنَّهُ وَلَدَ فِي الْكُتْبَةِ كَرَمًا اللَّهُ وَلَدَتْهُ أُمُّ قِيَا فَاسْتَبَشَرَ بِذَلِكَ أَبُوهُ وَعَمُومَتُهُ
وَعِنْدَ وَلَادَتِهِ الشَّرِيفَةِ دَعَتْهُ أُمُّ حَيْدَرَةٍ وَمَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْأَسَدُ فَكَأَنَّهَا أَرَادَتْ أَنْ تَسْمِيَهُ بِاسْمِ
أَبِيهَا فَلَمَّا رَأَتْ نَظَرَ أَبُوهُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ تَوَسَّمَ بِمَلَأَهُ الْعِلَاءَ وَدَعَاهُ عَلِيًّا وَقَدْ صَدَقَتْ الْأَيَّامُ فَرَأَتْهُ
فَكَانَ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَعَامَ مَوْلِدِ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ هُوَ الْعَامُ الْمُبَارَكُ الَّذِي يُدْعَى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ

فَرَأَى فَاطِمَةً وَالطِّفْلُ بَيْنَ يَدَيْهَا قَوْلَهُ سَمِعْتُهَا مِنْ جَوَارِيهَا
وَأَسْتَبْشَرْتُ ثُمَّ قَالَتْ: وَاللَّيْلِ أَسَدُ فَيَأْتِيهِ مِزْتُ أَسْمِيهِ بِخَاتَمِهَا
ثُمَّ أَبُو طَالِبٍ وَاتَى حَبِيلَتَهُ وَطِفْلَهَا وَأَنْشَأَ صَوًّا يُعَالِيهَا
وَهُمْ بِالطِّفْلِ يَسْتَحْلِي مَلَامِحَهُ الزَّهْرَاءُ فَالْتَمَسَتْ أَلْمَلِي كَوْنَتْ فِيهَا
وَقَالَتْ الْإِمُّ: يَا بَشْرَى بِحَيْدَرَةٍ بَشْرَى أَبَا طَالِبٍ وَأَفْتِ أَسَدِيهَا
أَجَابَهَا: بَلْ عَلِيٌّ إِنِّي لَأَرَاهُ بِالْعَلَا ذُرْوَةَ أَلْمَلِي وَرَأَيْتُهَا
اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ تِلْكَ الْفَرَاغَةِ بِالْمَوْلُودِ وَأَتَوَالِدُ الْمَفْضَالَ رَأَيْتُهَا
قَدْ حَقَّقَتْهَا أَلْيَانِي بِالْوَلِيدِ فَأَمْسَى بَيْنَ أَهْلِ الْعُلَى وَالْمَجْدِ عَالِيهَا
وَعَامَ مَوْلِدِهِ أَلْعَامُ أَلْيَمِي بَدَأَتْ بَشَارُ الْوَحْيِ تَأْتِي مِنْ أَعَالِيهَا
فِيهِ الْحَيَارَةُ وَالْأَشْجَارُ قَدْ هَتَفَتْ لِلْمُصْطَفَى وَهَوَّ رَأَيْتُهَا وَصَاغِيهَا
وَإِذْ دَرَى الْمُصْطَفَى فِيهِ وَلَادَةٌ مَوْ لَنَا أَلْمَلِي غَدَاً بِالْبُشْرِ يُطْرِنُهَا
وَبَاتَ مُسْتَبْشِراً بِالطِّفْلِ قَالَ بِهِ لَنَا مِنَ الْيَمِّ الزَّهْرَاءُ ضَافِيهَا

نربة أمير المؤمنين

عَطَفَ الرَّسُولُ عَلَى أَفْرَادِ عِثْرَتِهِ لَقَدْ تَنَاوَلَ دَانِيهَا وَإِنَائِيهَا (١)

صلى الله عليه وسلم فأخذ يسبح الم haf من الأحجار والأشجار ومن السماء وكشف عن بصره
فشاهد أنواراً وأشخاصاً وفي هذا العام ابتناً بالتبطل والاقطاع والزلزلة في جبل حراء وكان رسول
الله يتيمين بذلك العام وولادة سيدنا علي عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام وكان يسميه « سنة
الحير وستة البركة » وقال المصطفى لأهله عند ما يلمته بشرى ولادة المرتضى « لقد ولد لنا أليّة
مولود يفتح الله علينا به أبواب كثيرة من النعمة والرحمة » وكان قوله هذا أول نبواته فذل المرتضى
عليه صلوات الله كان ماضيه والحامي عنه وكشف النماء عن وجهه وبسيفه نبوت الاسلام ووسخت
دعائمه وطمعت قواعده

(٢) في السنة السادسة من ولادة سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله منيت قريش
بأزمة فحط شكاهم الناس وتقرروا منها فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما امتاز به من
الشفقة والحنو وصلة الرحم والود أن يخفف عن عمه أبي طالب وهو كثير الغيال مؤثرهم فصار الى
همه حزة والباس وقال لهما ألا نحل نحل أبي طالب في هذا المحل فأتاخذ بعض أولاده ونكتبه
حاجتهم فقالا نعم وأصريت وساراه الى دار أبي طالب حيث شافوه بقصدهم فما أبى وقال لهم
دعوا لي قليلاً وخذوا من شتم اذ كان شديد الحب لقليل فأخذ الباس طالباً وأخذ حمزة جفراً

وَنَالَ جَنَّتَهُمْ مِنْ فَيْضِ رَحْمَتِهِ مَفَاخِرًا لَيْسَ مِنْ قُفْرِ يُدَانِيهَا
عَنْهُ مُوَاصَلَةُ الْأَرْحَامِ قَدْ تَخَذَتْهَا النَّاسُ إِذْ كَانَ آتِيَهَا وَمُؤَصِّبَهَا
وَذَاتُ عَامٍ يَقْطَعُ أَلْمِيشَ قَدْ مُنِبَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى تَمَالَي صَوْتُ شَاكِهَا
وَأَوْشَكَ الْجُوعُ أَنْ يَقْنِي جَمَاعَهَا وَالْجُوعُ لِلنَّاسِ مِنْ أَذَى دَوَائِهَا
وَإِنْ أَشَقَى الْوَرَى حَالًا وَأَتَعِبَهُمْ عَيْشًا وَأَقْلَقَهُمْ بَلَاءَ مُيَسِّلِيهَا
وَلَمْ يَفُتْ أَحْمَدًا أَنَّ الصَّبِيْبَةَ قَدْ نَالَتْ أَبَا طَالِبٍ السَّامِي دَوَائِهَا
وَلَوْ أَنَّ دُوَّ حِيَالٍ بَاتَ يَعْجُزُ عَنْ حَاجَاتِهَا وَهُوَ يَغْدُو وَهَارِي كَسْبِهَا
وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنِّي لِمَعِي مَدَّ يُونُ وَدَيْنَتُهُ قَدْ أَنْ أَوْفِيهَا
أَعَالِي بَعْدَ جِدِّي غَيْرَ مُطْلَبٍ أَجْرًا إِعَالَةً بَرَلْتُ نَاسِيهَا
فَهَلْ مِنْ أَلْدَلِ إِذْ صَاقَتْ مَعِيشَتُهُ أَنْ لَا أَقُومَ يَنْقَى كَانَ وَوَلِيهَا
وَأَعْمَلُ الرَّأْيِي فِي تَرْفِيهِ عَيْشَةٍ عَمَّ كَنْ مِنْ أَوْسَعِ الْأَسْيَادِ تَرْفِيهَا
فَجَاءَ حَزْرَةَ وَالْعَبَّاسُ إِهْمَا عَمَاهُ بِالرَّغْبَةِ الْعَلِيَاءِ يَسْئُرُهَا
فَمَالَ : هِيَ بِنَا هِيَ نَخِفُ عَنْ عَمِّي أَبِي طَالِبٍ بَلَوَى يُمَانِيهَا
بِأَخِيْنَا نَفَرًا مِنْ وَلَدِهِ وَلَنَحْنُ الْيَوْمَ أَوْلَى بِهَا مِنْهُ نُرَبِّيَهَا
فَمَا أَبِي دَعْوَةَ الْهَادِي وَرَغْبَتُهُ عَمَاهُ بَلْ وَاقِفًا قَالَا : نَلْسِيهَا
وَصَاحِبَاهُ فَسَارُوا يَقْصِدُونَ دِيَا رَةَ أَبُو طَالِبٍ الْفَيْضَالِ يَتَوْنِيهَا
وَأَنْبَشُوهُ فَلَمْ يَرْفُضْ بَرِغْبَتِهِمْ وَسَرَهُ أَنْ حُبَّ الْخَيْرِ دَاعِيهَا
وَقَالَ أَقْبُوا عَقِيلًا لِي وَدُونَكُمْ أَلَا مَوْلَاذَ رَاشِدِهَا الْتَارِكِي وَنَاشِيهَا
فَاخْتَارَ طَالِبُ عَبَّاسٌ وَجَفَرَ حَنْزَرَةَ وَأَخَذَ مِنْهَا خَارَ عَالِيهَا
فَاخْتَصَّ مِنْ وَلَدِهِ الْأَنْجَابَ أَفْضَالَهَا مَخَالًا مَا أَخَفَّتْ عَنْهُ خَوَافِيهَا
وَقَالَ قَدْ خَرْتُ مِنْ رَبِّي تَخِيْرُهُ لِي خَيْرُهُ اللَّهُ خَيْرُ النَّاسِ يَغِيْبِيهَا

وَأَخَذَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَقَالَ قَدْ اخْتَرْتُ لِي لِقَاءَهُ لِي اللَّهُ عَلِيًّا . وَمِنْ هَذَا التَّارِيخِ
كَفَلَ الْمُصْطَفَى الْمُتَرَفِّعُ عَلَيْهِمَا وَعَلَى آلِهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

هُوَ الْمَلِيُّ بِهِ وَآفَى خَدِجَتُهُ هَدِيَّةً قَالَ بَشَرَى جِثَّتْ أَهْلُهَا
عَلَى يَدَيْهَا وَفِي سَامِي عَنَاتِهِ لَقَدْ نَشَأَ سَيِّدُ الْقَوَى وَحَامِيهَا
وَحَسْبُهُ إِذْ تَرَبَّى فِي ظِلَالِهَا أَنَّ الْبَرِيَّةَ تَدْعُوهُ مُرَبِّهَا

حديث أمير المؤمنين عليه السلام

وَحَدَّثَ الْمُرْتَضَى عَنْ نَشِئِهِ بِحَيٍّ طَهَ وَعَنْ زَمَنٍ قَدْ كَانَ لَا قِيَمَهَا (١)
وَفَاخَرَ الْعَرَبَ الْعَرَبُ بِهَا وَبِهَا وَبِالْفَعَالِ أَلَيْ قَدْ كَانَ آتِيهَا
قَالَ : مِنْ صِفَرٍ سَنِي قَدْ أَخَذْتُ بِكُلِّ كَلٍّ الْأَعَارِبَ لَمْ أَرْهَبْ تَجَبُّهَا
وَمَا رَيْفَةٌ تَذَسَّانِي وَلَا مَضَرٌّ مَذْكَتُ فِي نَصْرَةِ الْإِسْلَامِ غَايَهَا
عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ أَحْمَدٍ وَقَرَأَ بَيْنَ الْقَرِيبَةِ مِنْهُ أَلْكَلُ دَارِيهَا
وَإِنَّ مَنَزَلَنِي مِنْهُ مُخَصَّصَةٌ مَا فِي الْخَلَائِقِ طَرًّا مِنْ يَدَائِيهَا
نَعَمْ قَدْ كُنْتُ أَثْوَى حِجْرُهُ وَأَنَا طِفْلٌ وَلِي عَطْفَةٌ الْإِسْفَاقِ يُبْدِيهَا

(٢) لم تر أرب لتفهم مطالع هذه القصيدة المباركة حال المرتضى مع المصطفى وهو في ظلاله من نقل خطبة خطبها أمير المؤمنين بعد انتضاء أمر الخوارج في النهروان فإنه عليه صلوات الله أجل حالته في نشأته الأولى بما عرف عنه من البلاغة الجبية بحيث صورها صورة تعجب لتصور قارئها وسامعها حتى ليحسب نفسه يشاهد ذنك النعيرين عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام بدينه وهذا من تلك الخطبة النفيسة : «أنا وضعت في الصغر بكلا كل العرب ، (أي عند ما كان يحارب لنصرة الاسلام في المغازي النبوية) وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر ، (أما كسره ربيعة فكان في تلك المغازي المقدسة . وأما كسره لمضر فكان يقتله كثيرا من رؤسائهم في موائع الجمل وصفت لصبيانهم خلقاته وانتم لهم الى معاوية وعائشة) وقد علمت موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة ، والمنزلة المحصية ، وضعت في حجره وأنا وليد ، يضمن الى صدره ، ويكنفني في فراشه ، وكان يعض التيءم يلقني به ، وما وجدني كذبة في قول ، ولا خطئة في فعل ، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن كان قديما أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكريم ، ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنت اتبعه أنباء الفضيل أثرأه ، رفع لي في كل يوم من أخلاجه علما ، وبأسري بالابتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بجراء ، (اسم جبل معروف في مكة كرمها الله) فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بنت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة ، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله ، قلت : يا رسول الله ما هذه الرنة ؟ فقال هذا الشيطان تدأيس من عبادة ، انك تسمع ما اسمع ، وترى ما أرى ، الا انك لست نبيا ، ولكنك لوزير وانك لى خير » اهـ

وَطَلَمًا ضَمِنِي لَطْفًا وَمَرْحَمَةً لِّصَدْرِهِ ضَمَنَةً أَلْقَى إِلَهَنَا فِيهَا
وَكَانَ يَكْنُسُنِي وَهُوَ الْمَجْدُ فِي فِرَاشِهِ كِنْفَةً بَادٍ تَحْتِهَا
يُمِسُّنِي كَرَمًا جُفْمَانَهُ وَيُسْمِيُنِي نَوَافِحَ مِسْكِ فَاحٍ نَامِشَهَا
وَكَانَ يَمْضَغُ لِي قُوَّةَ الطَّعَامِ خُضْرًا وَالْمَضَاغَةَ لِي بِالرَّقِي يُعْطِيهَا
وَلَمْ يَجِدْ كَذِبَةً لِي فِي صَحَابَتِهِ كَلًّا وَلَا خَطْلَةً قَدْ كُنْتُ آتِيهَا
وَهُوَ الرَّسُولُ الَّذِي قَدْ كَانَ يَصْحَبُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْأَطْهَارِ سَامِيَهَا (١)
مَذْكَانَ طِفْلًا فَطِيمًا لَا يَفَارِقُهُ فِي نَهْرِهِ وَإِذَا أَدْبَتُ لِيَابِهَا
وَكَانَ يُسَلِّكُهُ طُرُقَ الْمَكَارِمِ بَلْ أَسْمَى الْخِلَالِ بِهِ قَدْ كَانَ خَاطِبَهَا
وَكُنْتُ أَتْبَعُهُ فِيهَا أَتْبَاعُ فَصِيلٍ أُمَّةٌ لَسْتُ أَسْمُو عَنْ تَلْقِيهَا
وَكَانَ فِي كُلِّ يَوْمٍ رَافِعًا عَلَمًا لِي مِنْ خَلْقِهِ حَتَّى إِرَانِيهَا
وَكَانَ يَأْمُرُنِي بِالْإِقْدَاءِ بِهِ أَوْامِرًا مَا أَنَا مِنْ يُجَافِيهَا

(١) يخفق بنا هنا أن نجعل القول عن بداية الوحي حيث كان المرتضى يشاهد ما يحدث
لرسول الله عياناً على ما أشار في خطابه النفيس فتقول : عند ما بلغ محمد عليه الصلاة والسلام الأربعين
من عمره السيد بشه الله رحمة اللامنين ورسولاً للناس أجمعين وأول ما بدى به رسول الله من
النبوة الرؤيا الصالحة فكان لا يرى شيئاً في نومه الا كان في اليقظة كما رأى . وظل يرى هذه
الاحلام الصالحة مدة ستة أشهر . وحدث عليه الصلاة والسلام خديجة عن هذه الاحلام فقال
« اذا خلوت سمعت نداءً أن يا محمد يا محمد وأسمع صوتاً وقد خشيت أن يكون لهذا أمر وأخشى أن
يكوني في جنون » وكانت خديجة تحبها بأفواها المذبة . ثم ان المصطفى طابت له الخطوة فربكن
أحب اليه من أن يخلو وحده في جبل حراء فكان يتبد فيه الى الله الليالي ذوات العدد وكل كلاً
فربغ زاده عاد الى مكة وتزوّد الى خاوة ثاية . وكان يصحبه بخلوته هذه ان عمه وبيته سيدنا
علي كما رأيت في ظاهر قوله في خطابه . وما زال كذلك الى الشهر الذي أراد الله تعالى به ما أراد
من كرامة المصطفى فخرج عليه الصلاة والسلام الى حراء . وقد اختلف المؤرخون في ذلك الشهر فقال
بعضهم انه رمضان وآخرون أنه ربيع أول وآخرون أنه رجب .

فبينما هو في ذات يوم قائم على جبل حراء اذ ظهر له شخص وقال : أبشر يا محمد أنا جبريل
وأنت رسول الله لهذه الأمة . ثم أخرج له قطعة نبط من حرير مرصعة بالجواهر ووضعها في يده
وقال : اقرأ قال : والله ما أنا بقاريء ولا أدري في هذه الرسالة كتابة قال المصطفى : فضمني اليه
وغطني حتى بلغ مني الجهد . فلذلك بي ثلاثاً وهو يأمرني بالقرائة ثم قال اقرأ قلت : ماذا اقرأ
وما كنت أقول ذلك الا اقتداءً منه أن يهود المي بمثل ما صنع قال : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق

وَكَانَ فِي كُلِّ عَامٍ يَخْتَلِي بِرَبِّي حَرَاءَ يَرْجُو هُدَى الْبَارِي وَيَغِيهَا
فَكُنْتُ ثُمَّ أَرَاهُ لَا يَرَاهُ سِوَايَ فِي عِبَادَتِهِ وَاللَّهُ رَائِيهَا
يَوْمَ الَّذِي كَانَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ ثَلَاثَةَ وَلَا رَابِعَ فِي النَّاسِ تَالِيهَا
حَدِيثُهُ وَأَنَا وَالْمُصْطَفَى وَبَنَا دِيَارَةَ الَّذِينَ قَدْ شِدَّتْ مَبَانِيهَا
أَرَى ضِيَاءَ الْوَحْيِ نَعُورُ الرِّسَالَةِ فِي أَشْعَمِ جَلِّ رَبِّ الْعَرْشِ مُسْنِبَهَا
أَشْمُ ثُمَّ عَيْزًا لِلنَّبِيِّ قَوْمًا أَحْمًا وَفَقَحْتَهَا قَدْ ضَاعَ مَقْدَرُهَا
وَقَدْ سَمِعْتُ بِأُذُنِي رَنَّةً وَمَنَّا نَبِيَّ الْوَحْيِ جِبْرِيلُ لِلْهَادِي يُوقِدُهَا
شَمَلَتْ رَنَّةً مِنْ ذِي يَامُ مُحَمَّدٌ حَسَى قَدْ دَوَى الْيَوْمُ فِي أَدْنَى دَاوِيهَا
فَقَالَ قَدْ آتَى الشَّيْطَانُ مِنْ عَبْدَتِهِ وَهِيَ زَفَرَتُهُ فِي الْيَأْسِ مُبْدِيهَا
وَقَالَ تَسْمَعُ مَا قَدْ بَثَّ أَسْمَعُ وَأَنْتَ رَأَى أُمُورًا بِثَرَاتِهَا
أَصِيخُ فَلَسْتُ نَبِيًّا بَلْ وَزِيرٌ نَبِيٍّ وَالْوَزَارَةُ مَا إِلَّا كَمَا فِيهَا
وَأَبَشِرْ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ بِشَارَةٍ كُنْتُ أَيْمُ اللَّهِ رَاضِيهَا

الانسان من خلق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، فقرأتها وانصرف عني وهبت راجعاً الى مكة حتى اذا كنت في شظ من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت أنظر اليه فذا جبريل على صورة رجل واضعاً إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء فوقت أنظر اليه فأتقدم وما أتأخر وجئت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها الا رأيت كذلك فارتدت واتفقاً ما أتقدم أمامي وما أرحع ورائي الى ان انصرف هي فأنصرفت راجعاً الى اهلي حتى اتيت خديجة جلست اليها وحديثها بالذي رايت وسمعت فقالت : ابشر يا ابن عمي واثبت قول الذي نقدي يده اتي لأرجو ان تكون نبي هذه الأمة »

تقول هكذا ابتداء جبريل يظهر للمصطفى وينقل اليه الوحي الالهي على ان مقدمات ظهور هذا الوحي بدأت منذ ولادته عليه الصلاة والسلام والعناية الالهية شملته منذ كان في بطن امه وما زالت تحومله من ذلك اليوم ملك من خير ملائكته كان يصحبه ليله ونهاره على ما قال سيدنا امير المؤمنين وهو اصدق المخبرين بالاجماع واقدم المصاحين غير نزاع

ومن الثابت الذي لا ريب فيه ان رسول الله منذ ضمّ قلباً اليه كان لا ينفك عن مصاحبة فكان يشاهد منذ نعومة اظفاره عناية الله بمحمد ويسمع ما يسمع وينظر ما ينظر وينفهم منه عما لا يفهم فينله المصطفى ما اشكل عليه حتى ساعة ظهور جبريل للمصطفى وتبشيره بالنبوّة وما تلا ذلك من رنة الشيطان وهي زفرة الحاسر على ما قرأتا في خطبة المرتضى فلا غرو بهذا اذا تقرر ابر المؤمنين دون المسلمين بادراك كنه الاسلام وتمسك بأحكامه وتما في نصرته واعجز في شرح قواعده وتبيان مرامي

أمر المؤمنين ومعجزة الشجرة

رَوَى الْأَمِيرُ وَمِثْلُ الْأَمِيرِ خَيْرٌ بِالرَّوَايَاتِ عَنْ طَهٍ لِيَرْوِيَهَا (١)
 فَقَالَ كُنْتُ مَعَ الْقَهَادِي مَلَاذِمَهُ فِي مَكَّةَ تَسْتَشِي فِي مَمَاشِيهَا
 لَمَّا أَتَتْهُ قُرَيْشٌ وَهِيَ مُنْكَرَةٌ عَلَيْهِ بَيْتُهُ إِذْ رَاحَ يُدْرِئُهَا
 وَافَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ غَيْرُ خَاشِيَةٍ مِنَ الرَّسُولِ وَلَمْ تَرْهَبْ مَفَافِيهَا
 قَدْ أَدْعَيْتَ عَظِيمًا مَا أَدْعَاهُ سِوَاكَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى سَامِي مَعَالِيهَا
 وَنَحْنُ نَسْأَلُ أَمْرًا فِي إِجَابَتِهِ نَصَحُ دَعْوَى لَقَدْ أَصْبَحَتْ دَاعِيَةً
 مِنْهَا نَحْقِيقُ إِنْ كُنْتُ النَّبِيُّ رَسُولَ اللَّهِ لِلنَّاسِ قَدْ أَقْبَلَتْ تَهْنِئَتُهَا
 أَوْ سَاحِرًا كَاذِبًا وَافَتْ تَسْحَرُهَا وَلِلضَّلَالَةِ تَبْغِي أَنْ تُحْطِلَهَا
 فَقَالَ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مُبْتَسِمًا: أَيُّ الْمَسَائِلِ جِئْتُمْ تَسْأَلُونَهَا
 قَالُوا: أَمَّا مَكَ أَشْجَارًا أَلَا أَدْعُ لَنَا تَأَلَّهِ وَاحِدَةً تَأْتِيكَ تَجْرِبُهَا
 نَادَاهُمْ: إِنْ رَبِّي دُونَ قُدْرَتِهِ مَا تَعْبُرُ النَّاسُ عَنْهُ فِي مَا تَبْغِيهَا
 فَإِنْ أَجَابَ بَدَاكُمْ فِي سَوَالِكُمْ هَذَا مُعْجَزَةٍ فِي الْحَالِ يَا تَبْغِيهَا
 أَتُؤْمِنُونَ وَتَأْتُونَ الشَّهَادَةَ بِالْحَقِّ الصَّرَاحِ كَمَا تَبْدُو لِرَائِيهَا
 قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: إِنِّي الْآنَ مُنْظَرُكُمْ هَذِي الْعَجِيبَةُ فِي سَامِي مَعَالِيهَا
 وَإِنْ أَكُنْ عَالِمًا خَافِي نَفْسِيكُمْ فَلَا تَقْبَلُ إِلَيَّ خَيْرَ مَطَاوِينَهَا

(١) ان الحديث الوارد في معجزة الشجرة كثير مستفيض قد ذكره المحدثون في كتبهم على نحو ما رواه أمير المؤمنين عليه صلوات الله في خطبته وهو شاهد عيان وبعضهم روى أن الذين اقترحوا على المصطفى معجزة الشجرة من قريش هم ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب وجماعة من أصحابه قالوا وكان هذا الرجل أشد قريش على النبوة . وهذه رواية أمير المؤمنين قال : « ولقد كنت معه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما أتاه اللأ من قريش قتلوا له يا محمد أنك قد ادعيت عظيمًا لم يدعه أبوك، ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمرًا أن أنتأجبتنا إليه وأرئتنا علمنا أنك نبي مرسل، وإن لم تقبل علمنا أنك ساحر كذاب » فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : وما تسألون ؟ قالوا : ندعو لما هذه الشجرة حتى تنقل بروتها وتقف بين يديك، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ان الله على كل شيء قدير ، فان فعل الله لكم ذلك أتؤمنون

وَفِيكُمْ قِتَّةٌ خَصَّ الْقَلْبُ بِهَا . نَعَمْ وَأُخْرَى رَعَا يَ تَجَرُّهَا
ثُمَّ دَعَا بِاسْمِ بَارِيهِ الشَّجَرَةَ دَغْشَوَةَ الْتَوَكُّدِ مِنْهَا أَنْ تَلْسِبَهَا
وَقَالَ: إِنْ كُنْتُ حَقًّا تَوْمِينِ يَوْمَ
وَإِنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ فَاقْلُبِي
وَسَارِعِي السَّبْرَ نَحْوِي غَيْرَ وَابِيَةٍ
قَالَ الْإِمَامُ: وَمَنْ بِالْحَقِّ بَعَثَهُ
مَا أَهْمَلْتُ فَرَأَيْتَاهَا إِنْ أَقْلَمْتُ
وَأَقْبَلْتُ وَلَهَا قَصْفٌ كَقَصْفِ كَوَا
وَقَدْ سَمِعْنَا حَقِيقًا فِي أَسَامِعِنَا
حَتَّى إِذَا مَا دَنَتْ مِنْ أَحَدٍ وَقَفَتْ
وَرَفَرَتْ ثُمَّ أَقَلَّتْ فَوْقَ هَامَتِهِ
وَبَعْضُ أَغْصَانِهَا قَدْ ظَلَّلَتْنِي حِينَ
وَعِنْدَ مَا رَأَتْ النَّاسُ الْعَجِيبَةَ قَا
مُرَّهَا فَتَرَجَّعَ ثُمَّ عُدَّ فَمَرَّ فَيُؤَا
فَكَانَ مَا اقْتَرَحَتْ حَتَّى رَأَيْتُ غُصُونَهُ
قَالَتْ عُتُوا وَكُفِّرُوا: مَرُّ لِرَجْعٍ هَذَا النِّصْفِ وَالْأُخْرَى مَرْسُومٌ عَلَى فِيهَا

وتشهدون بالحق ؟ قالوا : نعم ، قال فاني سأريكم ما تطلبون واتي أعلم انكم لا تقيمون الى خير، وان فيكم
من يطرح في القلب (ومنى القلب البئر وهذا القول من معجزات نبوة المصطفى واخباره عن الغيبة هـ
من ذلك العهد أشار بان في قريش قومه أسبستهم في الكفر ومحاربهه ويكون نصيبهم الطرح في القلب
كغيبه وشبهه ابن ربيعة بن عبيد بن عمرو بن هشام بن المغيرة المكي بأجل وغيرهم فلهم طرخوا في
قلب بدر بعد انتفاء الحرب) ومن يحزب الاحزاب (وأشار المصطفى بولاء الى أبي سفيان مخبر عن
حزب بن أمية والدماء وماثاله من كانوا أعدى أعداء النبو فبحزب الاحزاب على المصطفى ومحرمون
على قتاله وظلوا كذلك الى أن أتى الله المصطفى الهرفد دخل مكة كرها الله) . ثم قال صلى الله عليه وعلى
آله وسلم : يا أيها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فاقلمي
برسوقك حتى ياتي بين يدي باذن الله ، والذي بيته بالحق لا اقلعت برسوقها وجاءت ولها دوي
شديد وقصف كقصف أجنحة الطير حتى وقعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

فَمَادَ أَدْرَاجُهُ نِصْفُ الشَّجِيرَةِ لِلسَّائِي وَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ بِمَا ضَمِنَهَا
 قَالَ الْإِمَامُ: فَوَحَّدْتُ الْمُهَيَّمِينَ تَوَاحِدًا بِأَفْظَاهِ إِذْ رُحْتُ تَالِيَهَا
 وَقُلْتُ: إِنِّي يَا طَهَ لِأَوَّلِ مَوْءُودٍ مِنْ بَأْنِكَ هَادِي الْخَلْقِ رَاعِيهَا
 وَأَوَّلُ النَّاسِ إِفْرَارًا بِطَاعَةِ هَؤُلَاءِ الشَّجِيرَةِ تَذِينَهَا وَتَقْصِيرَهَا
 وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قُرَيْشٍ وَهِيَ تَائِهَةٌ فِي ظِلْمَةِ الْكُفْرِ تَشَاهَدًا بِإِجْبَاهَا
 إِلَّا إِنْ اسْتَسْلَمْتُ لِلْمَنِّ كَاذِبَةٌ عُيُونَهَا بِاللَّيْلِ شَامَتْ مَرَاتِبَهَا
 قَالَتْ: وَحَقَّكَ ذَا سِحْرٍ وَأَخْدَسُ حَارٍ كَذُوبٌ يَضِلُّ الْخَلْقُ يُشْبِثُهَا
 وَهَلْ يُصَدِّقُهُ إِلَّا كَذَا وَأَرَامَ دُونِي بِقَوْلِهِمْ مَذْأَسْمُونُهَا
 وَإِنِّي الْحَقُّ مِنْ قَوْمٍ بَصُرَتْهَا لِلْحَقِّ مَا خَشِيتُ يَوْمًا مُلِيمِيهَا
 سِمَا اتِّفَاقَ كَيْسِيَّاهَا وَقَوْلُهُ أَهْلُ الْبَرِّ قَوْلُهَا أَنْعَمَ بِوَاعِيهَا
 ضَاعَتْ بِأَعْمَالِهَا الْحَسَنَاءُ أَنْهَرُهَا وَعَمَرَتْ بِرِضَى الْبَارِي لِيَالِيهَا
 وَأَسْتَسْكَنْتُ بِرُؤْيِ الْقُرْآنِ وَهِيَ بِهَا سَنَاتُ طَهَ وَرَبُّ الْعَرْشِ تُحْيِيهَا
 مَا اسْتَكْبَرْتُ لَا وَلَا غَلَّتْ وَلَا حَقَّدْتُ كَلًّا وَلَا أَفْسَدْتُ بِرُؤْيِ خَوَافِيهَا
 أَجْسَادُهَا فِي فِعَالِ الْخَيْرِ مِنْهَا لَكِنَّ أَلْبَابَهَا الْجَنَاتُ تَأْوِيهَا
 نَقُولُ: مِمَّا رَوَاهُ الْعَرَفِيُّ عُرِفَتْ هَذِي الْمَعْجِيْبَةُ فِي زَاهِي تَجَلِّيهَا
 كَمَا وَمِنْهَا عَرَفْنَا أَنَّ حَيْدَرَهُ قَدْ كَانَ أَسْبَقَ إِيمَانًا بِمَجْرِيهَا

وسلم مرفقة وألفت بنفسها الاعلى على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وبعض أعضائها على منكبي وكنت عن يمينه صلى الله عليه وسلم ، فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علواً واستكباراً : فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها ، فأمرها بذلك فأقبل اليه نصفها كأجيب آتبال وأشدّه دواً ، فكادت تنفث برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقالوا اكفراً وعتواً : فمر هذا النصف فليرجع الى نصفه كما كان فأمره صلى الله عليه وعلى آله وسلم فرجع ، فقلت ا (أي أمير المؤمنين) لا اله الا الله اني أول مؤمن بك يا رسول الله ، وأول من أقرب بأن الشجرة قلب ما قلت يصر الله تعالى تصديماً بنبوتك ، واجلالاً لكلمتك ، فقال القوم كلهم : بل ساحر كذاب عجيب البحر خيف فيه ، وهل يصدمك في أمرك الا مثل هذا ؟ (وهم يتنوفرون) واني لمن قومه لا تأخذهم في الله لومة لائم ، سبحانهم سبحا الصديقين ، وكلامهم كلام الابراز ، عشار الليل ومنار النهار ، متمسكون بجبل القرآن ، يحيون سنن الله وسنن رسوله ، لا يستكبرون ولا يملون ولا يفتشون ولا يفسدون ، طوبى لهم في الجنان ، وأجسادهم في العمل » اه

سبق أمير المؤمنين بالاسلام

ضَاءَ الْهَدَى لِرَسُولِ اللَّهِ وَانْبَسَتْ
أَنْوَارُهُ وَإِلَهُ الْعَرْشِ مُسْنِبَهَا (١)
يَعْنِي رَحِمَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ فِي
زَاهِي هِدَايَتِهَا مَعَ فَضْلِ هَادِيَتِهَا
وَمَذَّاتِ أَحْمَدِ الْهَادِي نُبُوَّتُهُ
كَانَ الْوَصِيُّ بِإِيمَانٍ مُسْلَقِهَا
مُحَمَّدٌ وَهُوَ يَخْفِي لِيَخْفِيهَا
قَدَّرَ أَيْ نُورَهَا الْأَسْنَى يَفِي عَلَى
وَكَانَ يَسْمَعُ جَبْرِئَلًا يُسَافِرُهُ
بِهَا وَأَيَّامُهَا الزَّهْرَاءُ يُورِجُهَا

(١) ان السبق في الاسلام فضيلة متابة تزل بها الوحي في آية « ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان » فتعين على المسلمين ان يتلوا هذا الدعاء في صلواتهم الى يوم القيامة وهم بها يستغفرون الله لا وللك السابقين الصالحين . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطري الدين سيقوا الى الايمان ويدلن فضلمهم لانهم يسبقهم ذاك نصروا الدعوة التي جاء بها أيام سكان الحول للمشركين والكفار . والاحاديث النبوية مستفيضة بالشهادة لامير المؤمنين على أنه أول من دخل قلبه الاسلام بل انه مد به عهده بالتكليف الفرعي كان مسلماً وعلى ذلك نستطيع أن نقول انه لم يعرف الشرك ولا عبد غير الواحد الاحد . ومسألة سبق الامام الاكبر علي بن أبي طالب في الاسلام ما كانت لتقبل الجدل لو لم يظهر فيما بعد قوم ذوو حول وطول كان يهيمهم صرف القلوب عنه فحاولوا الخطأ من قدره واختلقوا عليه ما اختلقوا واذا انتهوا الى سبقه الى الاسلام عجزوا عن ايجاد سابق له يفضلونه عليه واذا أعينهم الحيلة عمدوا الى التدجيل قتالوا انه أسلم صغيراً لا يدرك ما الاسلام بفضل وجوده في محبة المصطفى عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام وسعي عليهم أنهم بهذا أيضاً أزدادوا في محبه وفضله لأننا مع كل ذي ايمان نرى أن الله الذي اختار المصطفى ليكون رسوله ونبيه اختار سيدنا أمير المؤمنين ليكون وزيره وعضده الأكبر في نشر دعوته وهبائه الى ذلك بحصول القسط في قرينش فكان سبياً لانتقال المرتضى من بيت أبيه الى بيت ابن عمه عليهما الصلاة والسلام . وبالبداية ان النباية التي أعدت المصطفى للدعوة هي نفس الصاية التي أعدت المرتضى لتأييدها ولنها لعناية الله بالأئمة اختارهم لتشر دينه

وبما نذكره في سبق أمير المؤمنين في الاسلام هو أن المرتضى عليه صلوات الله كان أزكى الناس بالاجماع بذلك على ذلك ما نقل النبا من خطبه وأقواله ورسائله واجماع الناس على قوته في العلم وبالبداية نعرف أن الولد الذي يكون موضع عناية والده أو مربيه يسر ملامته ومحادثته وهذا الذي كان فعلاً فإن المصطفى عليه الصلاة والسلام عند ما اختص لنفسه الغلام علياً وهو في السادسة من عمره سره ما رآه من ذكائه فصحه ولازمه وأكثر محادثته بذلك على ذلك ما قاله المرتضى عليه صلوات الله وقد نقله فيما تقدم أن المصطفى كان بأوه في حجره موضعجه بجانبه ويصحه الى حراء في خلواته حتى كان يسع ما يسع المصطفى وينظر ما ينظر فلا عجب بعد هذا اذا اعتقدنا أن أمير المؤمنين فتح صفيه على هدى وهو يسع جبريل ينقل الوحي الى المصطفى فأمن قلبه إيماناً يقيناً لا يداخله شك ولا يشوبه أثر روية أو اعتراض

مِنْ قَبْلِ سَمْعِ مَسِينٍ مِنْ ظُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ بِاللَّحْزَةِ النَّاجِي مُلْبِسُهَا
وَكَانَ حَيْدَرُهُ مَا طَرَّ شَارِبُهُ فِي زَهْرَةِ الْقَمَرِ يَسْتَجَلِي خَوَافِهَا
أَعْوَامُهُ لَمْ تَكُنْ إِلَّا ثَلَاثَةَ عَشْرَةَ مَلَقَى آلَهُدَى قَدْ كَانَ طَاوِنَهَا
إِذْ ذَلِكَ قَدْ رَضِيَ الْإِسْلَامَ مُشْبِعًا خَطَى أَبِي الْقَاسِمِ الْمَأْمُونِ قَافِيَهَا

ومن المعلوم أن الأطفال يقتفون آثار الدين برونهم فلا عجب إذا رأينا الغلام علياً يحذو
حذو سريه العظيم فيصلي صلاته ويتلو ما يتلقاه من فيه من كلمات التوحيد والشهد والاستغفار
وهكذا كان يصلي محمد وعلي عليهما الصلاة والسلام منذ بدء الوحي ما والناس طرأ لا تعرف عن
الاسلام شيئاً ولذلك كان حقاً وصديقاً ما سمع الناس من فر أمير المؤمنين ونقله النفاة وهو « أنا عبد الله
وأخو رسول الله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها غيري الا كذاب ولقد صليت قبل الناس سبع سنين »
أما الأحاديث المروية عن المصطفى عليه الصلاة والسلام عن سيق أمير المؤمنين في الاسلام فيضيّق
عن استيلائها المقام وقد قالها في مواطن شتى منها قوله وعلي لى جابه والناس حولها « هذا أول
من آمن بي وصديقي وصلى معي » . وروى محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جدما في رافع
قال أتيت أبا ذر بالربذة أودعه (وهذا من كبار الصحابة) فلما أردت الانصراف قال لي ولا ناس
معي « ستكون فئة فتها الله وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب فتيبوه فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله يقول له « أنت أول من آمن بي ، وأول من يصالحني يوم القيامة ، وأنت
الصديق الأكبر ، وأنت الماروق الذي يفرق بين الحق والباطل ، وأنت يسوب المؤمنين وعالمهم
يسوب الكافرين ، وأنت أخي ، ووزيري ، وخير من أترك بسدي ، تحضي ديني ، وتنجز
موعودي — اه » أقول وبعد هذا الاجال لا أراني بحاجة الى الازدياد من إقامة البراهين على
قضية كهنه يدركها المطالع على تاريخ صدر الاسلام بداهة اذا لم يكن من المتستين

وكان رسول الله اذا حضرت الصلاة يخرج الى شباب مكة ومعه علي فيصليان مستخفين من
توهمها فيها فاذا أمسيا رحما كذلك ثم إن أبا طالب عثر سراً عليهما وهما يصليان في المحل الدروف
بالنظرة فاستدعى ابنه علياً اليه وقال له أي نبي ما هذا الذي أنت عليه قتال يا أبت آمن بالله ورسوله
وصدقت ما جاء به ودخلت معه وابنته قتال له أبو طالب أما اه لم يدعك الا الى خير قلزمه

وحدث عفيف السكندري قال كنت اسرءا تاجرأ قدمت للحج وأتيت العباس بن عبد المطلب
لأبتاع منه بعض التجارة فبينما أنا عده بمكة في المسجد اذا رجل مجتمع (أي بلغ أشده) خرج
من خباء قريب منه فظفر الى الشس فلما رآها مالت توشاً فأسبغ الوضوء (أي أكمله) ثم قام
يصلي الى الكعبة ثم خرج غلام سراهق فتوشاً ثم قام الى جنبه يصلي ثم جاءت امرأة من ذلك
الحياء فقامت خلفها ثم ركع الرجل وركع الغلام وركعت المرأة ثم خر الرجل ساجداً وخر الغلام
وخرت المرأة فقلت ويحك يا عباس ما هذا الدين قتال هذا دين محمد بن عبد الله أخي يزعم أن الله
بته رسولا وهذا ابن أخي علي بن أبي طالب وهنه امرأته خديجة ليس في الناس ممن على هذا
الدين غيرهم قال عفيف بعد ان اسلم ياليتي كنت رابعهم اه وهذه القصة ثابتة ومشهورة

أما مسألة اسلام سيدتنا خديجة وإن كان قد سبق اسلام سيدنا علي عليه صلوات الله أو أسلمنا
في وقت مما فسنذكر شيئاً عن ذلك في كلامنا عن السيدة المثار اليها في الحاشية التالية .

وَقَدْ تَعَبَدَ لِلْخَلْقِ قَبْلَ جَيْزِغِ النَّاسِ فِي إِفْرِخِيهِ الْخَلْقِ تُجْرِئُهَا
وَإِنَّ أَهْلَ الْهَدْيِ قَدْ كَانَ أَوْلَهَا طَهَ وَكَانَ عَلَيَّ الْبَرُّ ثَانِيهَا
ثُمَّ خَدِيجَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا مَا هَا اللَّهُ فَاتَّبَعَتْ أَحْكَامَ بَارِيهَا (١)

(١) اشتهر عن محمد بن عبد الله ربيب شيخ قريش أبي طالب وحفيد شيخ قريش عبد المطلب منذ ترعرع الصدوق والامانة وسناد الرأي وما اكتسب عليه الصلاة والسلام هذه الشهرة على حداته إلا بعد حوادث ذاعت وشاعت عنه في مكة المكرمة في مواقف وأفتها رؤساء قريش في تدبير الشؤون العامة التي كانت تدبرها بالشورى على الطريقة التي تشبه ما نسميه نحن أبناء هذا العصر بالحكم الجمهوري . وفوق ذلك ان الفتى عمداً سافر وهو في الثانية عشرة من ربيع عمره بعية عمه الشيخ أبي طالب الى دمشق للتجارة مع قافلة التجار القرشيين فكان له عليه الصلاة والسلام في هذه الرحلة من الحوادث الدالة على نيوته ومستقبله الباهر ما تداوله ركب القافلة عند عودتهم الى « أم القرى » فأصبح حديث القوم وسمرهم . وهكذا بات سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام موضع اهتمام مواطنيه المكيين من ذلك العهد

وكان في مكة المكرمة لذلك العهد سيدة معروفة المكانة يسميها المكليون « سيدة قريش » وكانت امرأة ذكية حازمة قوية شريفة وافرة الجمال والمال يمتلئ أعظم عظم في قريش أن يتزوجها أما نسبها فهي خديجة ابنة خويلد بن أسد بن عبد الوزى بن قصى . وكان لهذه السيدة تجارة واسعة تسيرها الى الشام في كل عام فتجرو وتكسب

وحدث أن آل عبد المطلب كان قد ضيف حالهم وقل مالهم في أزمة التخط التي انتابت الحجاز في هاتيك الأيام فلم ير أبو طالب خيراً لربيته وإن أخيه سيدنا محمد وكان قد بلغ الخامسة والعشرين من ربيع عمره إلا أنه يشتر عليه بأن يرض نفسه على السيدة خديجة وهي من عمومته لتسيره في متجراها الى الشام مع من تسير من الناس . فأبى محمد أن يذل نفسه للشرقة الأليمة بطلب هذه الخدمة وقال لعمه أما ان هي عرضت الأمر علي فأقبل .

وكانت خديجة لا تجهل الشاب محمد وهو من عمومته وقد سمعت عن أماته وصدته الشيء الكثير وطالما ودّت أن تساعد على معاشه بل تستخدمه في قوافلها ولكنها لم تجرأ على عرض ذلك عليه مخافة أن يرفض خدمتها إياها وترفضاً فلما سمعت مادار بينه وبين عمه الشيخ أبي طالب أسرعت فأرسلت يطلبه حتى اذا ما حضر إليها قالت له لقد ملني منك من الصدق والامانة وكرم الأخلاق ما حبيب اليّ أن أعرض عليك المسير مع قفلي الى الشام على أن أعطيك نصف ما اعطى لسواك قبل محمد المسير وشكرها على هذه المنّة وسار الى الشام مع قافلة السيدة خديجة التي كان زوجها غلاماً ميسرة وكان له عليه الصلاة والسلام في هذه الرحلة وقائع مبهجة مع الراهب بحيرة في الشام وظهر من أمر الغلام محمد في الطريق من المعجزات ما دهش له ميسرة الذي يصاحبه .

وكانت خديجة كما تقدمت الاشارة على اعظم نصيب من الذكاء والدها فلما عاد ميسرة بقافلته نقل إليها ما رأى وسمع من المعجزات التي تمت لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فتعلقت بحبه ورأته كفتاً لها لأنه يحاكيها بشرف النسب وله من جماله واماته والكرامات التي سمعتها ما يضيها من المال وكان عندها منه الشيء الكثير فأخذت تفكر بالاقتران به . وحدث انها حادثت بشأنه بعض ائبلها ممن اشتهر عنهم معرفة الكتب النصرانية والاسرائيلية وذكرت لهم ما رواه ميسرة

مِنْهُمْ قَدْ ابْتَدَأَ الَّذِينَ الْخَفِيفُ بَدَا
وَكَاثِلَ الْأَرْبُ تَلَقَّى الْمُصْطَفَى بَقِي
وَحَلْفَهُ وَلَدَ بَرٍّ مَعَ امْرَأَةٍ
ثَلَاثَةٌ لَيْسَ لِلْأَصْنَامِ سَعْدُهُمْ
كَمَالُ جَمَالِ الْبَرِّ غَاثِيهَا
يَقْضِي عِبَادَتُهُ الزَّهْرَا وَبُخْصِيهَا
نَقِيبَةً نَبَا أَثَارُهُ فِيهَا
وَلَا إِلَيْهَا تَوَلَّوْا مُسْتَشِينِيهَا

عن معجراته عليه الصلاة والسلام فأجمعوا على القول انه قد يكون نبي هذه الأمة فأزادها هذا تعلقاً به ووردت بقرط كالماء ان تنال شرف الاقتران بالرجل الذي قد يكون الهادي الامين اما زواج سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بالسيدة خديجة فقد كان هكذا . ان خديجة قالت يوماً لمحمد وذلك بعد رجوعه من الشام بأيام ان قل لمك ابي طالب ان يجعل لنا بالنداء تصدع المصطفى وانبا عمه يطلب خديجة فأسرع اليها فقالت له ادخل على عمي عمرو بن اسد واطلب منه ان يزوجهني من محمد فاستغرب ابو طالب قولها واستبمده وقال لا تهزني بي يا خديجة فقالت وعلى وجهها سماء الجذ هي الحقيقة يا شيخ قريش فكندا اراد الله فاستبشر ابو طالب واسرع لجمع بني هاشم وروساه مضر وسار بهم ومحمد بينهم الى عمرو بن اسد وكانت خديجة قد أسرت اليه برغبته بزواج محمد فاستد لمقابلتهم حتى اذا ما عقد مجلس الخطبة خطب أبو طالب فقال « الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل ، ومنه في معد ، (أي ممدنه) وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسواس حرمه وجعله لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا أحكام الناس ، ثم ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل الا ربح به شرفاً ونبلًا ، وفضلاً وعقلاً ، وان كان في المال قل ، فان المال ظل زائل ، وأسراً حائل ، وطارية مسترجة ، وهو والله بيد هذا نبأ عظيم ، وخطر جليل ، وقد خطب اليكم رغبة في كرمكم خديجة بنت خويلد ، وقد يذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتي عشر أوقية ونشأ (أي عبارة عن خمماية درهم شرعي) اهـ . قلما انتهى الشيخ أبو طالب من خطابه خطب عمرو بن اسد فقال « الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت ، وفصلنا على ما عددت ، فنحن سادة العرب وقادتها ، وأنتم أهل ذلك كله ، لا ينكر العرب فضلكم ، ولا يرد أحد من الناس غركم وشر فكم ورغبنا بالاتصال بمجلكم مثل رغبتكم . فاشهدوا علي معاشر قريش . أني قد زوجت خديجة بنت أخي خويلد من محمد بن عبد الله ، على المهر الذي ذكر الشيخ أبو طالب » وقيل ان صاحب هذا الخطاب هو ورقة بن خويلد أخو خديجة وأبو الشيخ أبو طالب قال قد أجبت أن يتركك عمها قال عمرو بن اسد « اشهدوا علي معاشر قريش أني قد انكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد » وهكذا تم العقد وأولم المصطفى ودخل زوجه خديجة فكان بينهما أول بيت في الاسلام

وعند عقد هذا الزواج المبارك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخامسة والعشرين من ربيع عمره وشهرين وبضع أيام كما كان هذا الزواج بعد عودته من الشام وهو يتجر لخديجة بشهرين وأيام ممدودة . أما السيدة خديجة فقد اختلف الرواة في عمرها عند ما تشرفت بالاقتران بأشرف الخلائق عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم أنها كانت في الأربعين من عمرها وقال بعضهم أقل من ذلك فقسوا لها ٣٦ عاماً و ٣٢ و ٢٨ عاماً ومنهم من جعل عمرها ٤٥ عاماً أما أنا فعلى قلة قلتي اوجع لها لم تكن يوم زواجها على اكثر من اثنين وثلاثين عاماً لأن المؤرخين وصفوها بالحسن ولانها ولدت أولاداً كثيرين وانت تمل ان المرأة تنقطع عن الحبل والولادة في الخامسة والاربعين من عمرها

كُنْتَنِي وَهِيَ تَسْتَنِي دِيَانَتَهُمْ وَقَلَّمَ قَمَّتْ عَلَيَّ مَرَامِيهَا
مِنْهَا أَبُو طَالِبٍ قَدْ كَانَ جَاهِلَهَا وَشَامَ فِيهَا ابْنَهُ الصَّدِيقَ صَابِنَهَا
فَجَاءَهُ سَائِلًا عَنْهَا فَقَالَ لَهُ هِيَ الْحَقِيقَةُ وَضَاحٌ تَجَلَّيْنَهَا
تَبِعْتُ فِيهَا خُلِّي طَهَ لِشِرْعَةِ الْفِرَا وَقَدْ أَمِنَ الْإِعْثَارَ خَاطِبِيهَا

وندر من النساء من محبل وتلد بهد هذا العمر . ولم يرو المؤرخون ان السيدة خديجة حبلت وهي عجوز
بمجنونة سموية . أما ما نقل عن عائشة من قولها للمصطفى عليه الصلاة والسلام بعد ان رآته يكثر
من ذكر خديجة ويبالغ في مديحها « ما تذكر من عجوز حراء الشديتين » فان قولها هذا لا يحمل
الا على واحد من أسرين فاما انها تشير الى عمر ضرتها عند ما ماتت او الى الفيرة الطيبة الموجودة
بين القرائر وربما دفعها الامران الى ذلك القول الذي أغضب رسول الله .

وكانت خديجة ثيباً عند ما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت قد تزوجت قبله
برجلين اولهما عتيق بن عابد فولدت له بنتاً اسمها هند وهي أم محمد بن صفيي الخزوي وثانيهما
ابوهاة واسمه هنداً أيضاً فولدت له ولداً اسمه هالة وآخر اسمه هند فكان هندا ابن هند وعمر هذا
وكان من اكابر صحابة رسول الله وكان يفتخر بقوله انا اكرم الناس اباً واماً واخاً واختاً اني رسول
الله لانه زوج ابي وامي خديجة وامي القاسم واختي فطمة وكان هند هذا من كبار شيعة امير المؤمنين
عليه صلوات الله واكابر انصاره ومات تحت رايته يوم الجمل وقيل مات بالطاعون في البصرة بسد
موتة الجمل التي اثارها عائشة وطلحة واذير على سيدنا أمير المؤمنين

وولدت خديجة لرسول الله القاسم وهو بكر أولاده وكانت ولادته قبل البعثة وبه يكنى ومات
وهو رضيع وزينب ورقية وهطمة وام كاثوم واختلف الرواة في ترتيب ولادة هاته الكرائم بان
المصطفى على ان مولدهن كان قبل البعثة فالاجماع وولدت له ثوأمين قبل البعثة ايضاً ولم يثبتوا اختلاف
الرواة باسميهما اما بعد البعثة فولدت له عبد الله فكان آخر اولاد خديجة على انه مات رضيعاً ايضاً
وهكذا لم يسل من اولاد خديجة غير الاناث

وتوفيت خديجة في العام الذي مات فيه ابو طالب اي في السنة العاشرة للبعثة وقبل الهجرة
بثلاثة أعوام ومن المؤرخين من يقول انها ماتت قبل ابي طالب بخمسة وثلاثين يوماً ومنهم من
يقول انها ماتت بعده بثلاثة أيام ودفنت بالحجون ونزل المصطفى صلى الله عليه وسلم في حفرتها فتكون
قد عاشت مع زوجها النبي الامين اثني وعشرين عاماً لانه عليه الصلاة والسلام بث رسولا للمالين
في السابعة والثلاثين من عمره وتزوج في الخامسة والعشرين من عمره وكانت وفاتها بعد البعثة سحر
سنوات أي وهو في السابعة والاربعين من عمره

وكان المصطفى عليه الصلاة والسلام يكثر من اطراء خديجة في حياتها وبعد مماتها وطالما
سمعته نساؤه يقولونها « آمنت بي حين كذبني الناس وواسني بما لها حين حرمني الناس وورثت منها
الولد وحرمته من غيرها » . ولم يتزوج المصطفى عليها في حياتها الى ان ماتت

أما اسلام خديجة ولرواة مختلفون فيه اختلافهم في كثير من حوادث التاريخ النبوي على ان الاجماع
على ان هذه السيدة الذكية الحازمة توقعت نبوته من مقدمتها من يوم جاءتها اخبار المعجزات التي
حدثت له في رحلته الى الشام مع رهب بجمراه ومن تطليل العامله وغير ذلك مما ليس هنا موضع

قَالَ مَا دَامَ لِاخِرَاتِ دَعْوَاهَا لَهَا أَهْتَدَى قَلْبُهُ إِذْ رَاحَ وَإِغْنَاهَا
كَذَا الْعَلَامُ عَلَيَّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ مَحْضٍ مِنَ الْفِطْرَةِ الْمَحْمُودُ نَاشِيَهَا (١)
وَقَالَ مُقْتَضِرًا إِنِّي نَشَأْتُ عَلَى هَذِي عِبَادَةٍ بَرٍّ كُنْتُ أَقْضِيهَا
فَمَا عَدْتُ سِوَى بَارِي الْخَلْقَةِ عَنْ يَوْمًا وَلَا كَانَ عَنْ بَارِي مُلْهِبِيهَا
وَهَاتِهِ النَّفْسُ مَا الْإِشْرَاقُ دَنَسَهَا بِهَا فَأَذْكُرُهَا شُكْرًا لِمُسْتَدْنِيهَا
وَتَبَكَ نَعْمَى إِلَهُ الْخَلْقِ خَصَّصَنِي نَعَمْ أَبَا حَسَنِ أَنْتَ السَّبُوقُ إِلَى السُّبُوحِ بِهَذَا النَّاسُ أَخْلَقَ أَنْ تُجَاهِهَا
وَأَنْتَ أَوَّلَ مَهْدِي وَمُحْتَمِلٍ مَعَ الرُّسُولِ أَذْيَاتٍ يُبْلِقِيهَا
وَأَنْتَ أَنْتَ أَخُو الْهَادِي وَصَاحِبُهُ وَشِرْعَةُ الْمُصْطَفَى صَفْوُ تَاجِهَا

أُمير المؤمنين ونظراء الدعوة

شَبَّ أَلْعَلِّي بِظِلِّ الْمُصْطَفَى وَتَبَا شِرْزُ الشُّبُورَةِ لَا يَنْفَكُ لَاقِيَهَا (٢)
وَكَانَ يَصْحَبُهُ فِي صَفْوِ حُلُوبِهِ إِلَى مَقَاوِزِ «حَرَا» مَعَهُ يَا وَهْبَا

وحما كانت تسمعه من علماء النصارى واليهود الذين كانوا يقولون عند سماعهم هذه المقدمات ان في كتبهم ما يشير الى مجيء نبي من هذه الامة وقد يكون محمد بن عبد الله وعند ما أخذ يأتيه عليه الصلاة والسلام الوحي يهيبه وكان يقص قصته على خديجة فتشجعه وتصدقه وكان لذلك تأثير عظيم في نفسه حتى اذا ما جهر لها ببعثته آمنت به كما آمن رببه سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله فكانا في الايمان متقاربين لا يستطيع الباحث أن يحكم فصلة السبق الى الاسلام لأحدهما دون الآخر الا كما قالوا أوحى للمصطفى صباح يوم الاثنين وصلى مع خديجة في مسائه وصلى معها علي في صباح الثلاثاء أي ان سبق خديجة لأمير المؤمنين في الاسلام اذا صح يكون بين عيشته وضحاها (١) وكان المرتضى عليه صلوات الله يشكر الله سبحانه دائماً لتخصيصه بنعمة الايمان منذ ولد فنشأ فلما تدنس نفسه بالاشراك ويقول «اني ولدت على الفطرة وسبقني الى الايمان والاسلام» ومعنى قوله هذا انه ككل انسان ولد على الفطرة ولكنه سئم دون الناس من تأثير أبويه عليه في اتباع دينهما بل صانه الله من ذلك بكمال ان عمه المصطفى عليه الصلاة والسلام فنذى نفسه منذ بدء نشأته بالاسلام والايمان وفي قوله هذا اشارة الى الحديث الشريف «كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»

(٢) بعد أن تم للمصطفى صلى الله عليه وسلم عشر سنوات منذ بدى به بالبوة أخذ يدعى الى الاسلام سرّاً بعضاً من أهل قمته فأقبل نفر من قريش على يديه وذلك في ثلاث سنوات بطولها ثم زلزل عليه آية «وأندبر عشيرك الأقربى واخفى جناحك لن اقبلك من المؤمنين

وَكَانَ يَشْهَدُ تِلْكَ الْمُعْجَزَاتِ بِعَيْنَيْهِ فَيَدْهَنُ مِنْ سَامِي تَبْلِيغِهَا
وَكَانَ يَسْمَعُ آيَاتِ الْكِتَابِ إِلَى السَّرُّوسُلِ تُلْقَى فَتُشْجِيهِ مَثَانِيهَا
وَكَانَ يَحْضُرُ جَبْرِئِيلًا وَزُورَتَهُ مُحَمَّدًا بِوُجُوهِ الْوَحْيِ يُبَيِّنُهَا
وَلَيْسَ فِي النَّاسِ غَيْرُ الْمُتَرْضَى وَخَيْرِ نَجَّةٍ مُلِيمٍ بِذِي الْحَالَاتِ دَارِهَا
حَتَّى إِذَا مَا بَشِيرُ الْوَحْيِ هَبَّ لِلْهَدْيِ بِشِيرِ الْوَرَى أَمْضَاهُ يُفْشِيهَا
وَتِلْكَ بَعَثَةُ الزُّهْرَا عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ لِلْخَلْقِ عَزِيْبَهَا وَعُجْبِيْنَهَا
فَصَارَ يَدْعُو إِلَيْهَا مَنْ تَوَسَّمَ فِيهِ الْخَيْرَ سِرًّا وَخَوْفًا لَشَرِّ يُخْصِيْنَهَا
يَذَا ثَلَاثَةَ أَغْوَامٍ قَفَى وَلَهُ قَدْ دَانَ بَعْضُ قُرَيْشٍ وَاهْتَدَوْا فِيْهَا
وَبَعْدَهَا جَاءَهُ جَبْرِئِيلُ بِأَمْرِهِ بِأَنْ يُجَاهِرَ بِالْإِسْلَامِ تَجْرِبِيْنَهَا
وَقَالَ فَاصْدَعْ بِأَمْرِ اللَّهِ إِنَّكَ مَبْعُوثٌ لِدَعْوِ إِلَى اللَّهِ النَّاسَ تَهْدِيْنَهَا
أَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الدُّنْيَا بِشَرِّ عَتِكَ الْفِرَا وَأَظْهِرْ لَهَا أَسْنَى مَعَانِيْنَهَا
وَمَنْ تَبْلَغَ أَمْرَ اللَّهِ هَمَّ بِهِ بِهِمَ مَا أَعْتَدَا الْكُفَّارَ يُثْنِيْنَهَا
وَلَمْ يَجِدْ عَصْدًا كَيْ يَسْتَعِيْنَ بِهِ عَلَى مُجَاهَرَةٍ قَدْ كَانَ خَاشِيْنَهَا

وإدع إلى الله تعالى ولا تسبال للمشركين « حيث أنزل على إعلان دعوته لبني هاشم وهم عشيرته
الآقريون إلا أنه تبيسهم لما أنس من شدتهم في شركهم فترس مدة شهر فترك عليه آية « فاصدع
بما تؤمر واعد عن المشركين » حيث لم يسعه إلا تلبية أمر الله سبحانه وسألى فقصد عالياً عليه
صلوات الله وهاك رواية عليّ قال : « دعاني السبي اليه وقال يا علي ان الله أمرني أن انذر عشيرتي
الآقريين فضقت ذرعاً وعلمت اني متى ابادرهم بهذا الامر أرى منهم ما اكره فصعدت عليه حتى
جاءني جبريل فقال: يا محمد ان لم تفعل ما تؤمر به يذبك ربك فامتلت أمر ربي وبحث اليك يا علي
فاصعد لنا صاع طمام واحمل عليه رجل شاة واملا لنا عاً من لبن واجمع لي بني عبد المطلب حتى
اكلهم وابلغهم ما امرت فبادرت لتسليم الامر ودعوتهم وهم وقتئذ أربعون رجلاً قلما اجتمعوا اليه
دعاني بالطعام الذي صنعت لهم قلما وضعت تناول رسول الله حرة من اللحم ففها بأسانه ثم ألقاها
في نواعمي الصفحة ثم قال خذوا باسم الله ما كل القوم حتى ملهم بتيء من حاحه وما أرى إلا
مواضع أيديهم وأيم الله الذي قس على يده ان كان الرجل الواحد منهم ليا كل ما تقدم جهمهم
ثم قل اسق القوم فجلتهم بذلك اسق ففتروا منه حتى رووا جميعاً وأيم الله ان كان الرجل الواحد
ليشرب مثله قلما أراد رسول الله ان يكلمهم يبره عنه أو يهبط قائلاً : لعلنا سحركم صاحبكم
فقرءوا » اه وهكذا لم ينجم عن الاجتماع الأول أمر
تفرق بنو عبد المطلب عن رسول الله وطلب صلى الله عليه وسلم مكوداً حزناً حتى ا-

إِلَّا أَلْعَلِّيَ فَتَادَاهُ وَأَخْبِرَهُ يُغْنِي حَسْبُ أَمْرُ اللَّهِ بِأَعْيُنِهَا
وَقَالَ هَيْيَ لَنَا فِي الْحَالِ مَا دَبَّةٌ وَلَيَتَقَنَّ لَهَا أَلْوَانٌ طَاهِيَةً
فَرَجُلٌ شَاةٌ عَلَى صَاعِ الطِّعَامِ وَأَغْـسَاسُ لَهَا أَلْبَنُ الثُّوْقِي يُمْلِيهَا
وَأَدْعُ أَتْهَوَاشِمَ بِأَسْمِي كَيَ أَشَافَهَا بِأَمْرِ رَبِّي بَارِي وَبَارِيهَا
قَامَ أَلْعَلِّيَ بِأَمْرِ الْمُصْطَفَى وَدَعَا إِلَيَّ وَلَيْسَتْهُ أَكْرَمُ بِدَاعِيهَا
أَبْنَاءُ هَاشِمٍ هُمْ كَانُوا عَشِيرَتَهُ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ إِلَّا الْمَلْسَبِيهَا
وَعَدَهُمْ كَانِ عِنْدَ الْأَرْبَعِينَ وَهُمْ رَجَالُهُ الْوَرَبُ فِي إِحْمَاءٍ مُخَصَّبِيهَا
هَدْيِي عَشِيرَةُ طَهَ بَلْ قَرَابَتُهُ أَلَدُنْيَا أَلَّتِي كَانِ لِلْإِسْلَامِ رَاجِيهَا
وَإِذْ أَتَتْهُ تَلْقَاهَا عَلَى رَحَبٍ يَبْشُرُهُ وَأَنْشَى صَفْوًا يُحْيِيهَا
حَتَّى إِذَا مَا أَسْتَوَى فِيهَا أَلْقَامُ لَهَا مَدَّ أَلْسِمَاطَ وَفِيهِ مَا يَشْهِيهَا
فَاقْبَلْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ يَخْدُمُهَا عَلَى الطِّعَامِ وَيَقَى كَيَ يَهْسَبِيهَا
حَتَّى إِذَا أَكَلْتُ ذَلِكَ الطِّعَامَ وَمِنْ أَلْبَانِهِ سَقَيْتُ وَاللَّهُ كَافِيهَا
ظَلَّ الطِّعَامُ كَمَا قَدْ كَانَ وَهُوَ وَأَيُّهُمْ اللَّهُ مَا كَانَ يَكْفِي مُسْتَجِينِيهَا
وَتِلْكَ مُعْجَزَةُ الْمُصْطَفَى وَبِهَا قَامَ أَلْعَلِّيَ وَعَنْهُ نَحْنُ نَزَوِيهَا
ثُمَّ قَدْ ابْتَدَرَ الْقَوْمُ أَلرَّسُولُ بِدِكْـسَرِي مِنْ بَعَثِهِ يُبْذِرِي خَوَافِيهَا

ما جاء الغد عاد الى علي وأسره أن يصبح ما صنع في أمسه وان يدعو اليه عشيرته الاقرب ففعل فلما تكامل جمعهم لديه قدم لهم الطعام واللبن فأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً ثم بدرهم عليه الصلاة والسلام فقال : ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعهم ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعهم ما غرركم، والله الذي لا اله الا هو، اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة، والله انموثن كما تامون، ولنميتن كما تستيقظون، ولتجاسبن كما تملون، ولتجزون بالاحسان احساناً، وبالسر سوءاً، ولنها لجنة أبدأ، ولنار أبدأ، يا بني عبد المطلب ما أعل شأماً جاء قومك بأفصل مما حشكتم به ، اني قد جشكتم بأمر الدنيا والآخرة ، يا بني عبد المطلب اني لأدعوك الى كلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان — شهادة أن لا اله الا الله واني رسول الله — فن يجيني الى هذا الامر ، ويوازرني على القيام به يكن أخي ووزيري وخليفتي من بعدي « فلم يجبه أحد من بني عبد المطلب الا علي وكان أحسنهم سناً فقال : أنا يا رسول الله . فقال المصطفى اجلس . ثم أعاد القول ثانياً فصاحت القوم وأجاب علي أنا يا رسول الله . فقال المصطفى اجلس . ثم أعاد القول ثالثاً فلم يكن في بني عبد المطلب

وَإِذْ أَبُولَهَبُ فِي الْحَالِ قَاطِمَهُ وَمَوَّةَ الْحَقِّ بِالتَّضْلِيلِ تَمَوَّيَهَا
وَقَالَ يَا نَاسُ طَهَّ جَهَّ يَسْخَرُكُمْ بِذَآ لَطَامٍ أَحْذَرُوا الْإِضْلَالَ وَالِتَّيْهَاتِهَا
هِيَ أَتَهْضُوا وَدَعْوُهُ أَنْ يَغْشَى نَفْسُ مَنْ الْغَيْرِ فِي هَذِهِ الدَّعْوَى وَيُضْئِبُهَا
وَهَكَذَا أَرَضُفُ ذَلِكَ الْإِجْتِمَاعُ وَأَنْفُسُ الْجَمَاعَةِ دَاجِي الْكُفْرِ غَاشِيهَا
وَعَادَ طَهَّ إِلَى تَكَرَّارِ دَعْوَتِهِ وَكَانَ حَيْدَرُهُ الْقُدَامُ رَاعِيهَا
حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَتْ لِلْأَكْلِ ثَابِتَةً عَلَى الْخَوَانِ أَنْشَى طَهَّ يَفَاهِيهَا
فَقَالَ : مَا جَاءَ قَبْلِي قَوْمُهُ أَحَدٌ يَحْمِلُ مَا جِئْتُ مِنْ نَعْمَاءِ أَسْدِيهَا
لَكُمْ بِهَا الْخَيْرُ فِي دُنْيَا وَآخِرَةٍ إِذَا أَنْصَوْنَكُمْ إِلَى زَاهِي مَنَانِيهَا
فَمَنْ يُؤْزِرُنِي مِنْكُمْ فَذَلِكَ أَخِي وَذَلِكَ يَخْلِفُنِي فِي رَعْيِ نَازِمِيهَا
فَلَمْ يَجِدْ مِنْ لَيْبِ رَاحٍ مُقْتَنِيًا بِصِدْقِ بَعَثَتِهِ أَوْ رَاحٍ رَاضِيهَا
وَكَلَّمَا أَرْدَادَ تَبَيَّنَا لِبَعَثَتِهِ زَهْرًا أَرَادَتْهُ تَكْوِينًا وَتَسْفِيهَا
ثُمَّ أَبُولَهَبُ نَادَاهُ وَيْلَكَ لَمْ يَجِيءْ قَبْلِي قَوْمُهُ مَا جِئْنَا لِيْنَهَا
تَبَّتْ يَدَاهُ فَإِنَّ الْجَهْلَ تَوَّهَهُ وَالْكَفْرُ فِي دَرَكَاتِ النَّارِ تَمَوَّيَهَا
وَكُرَّرَ الْمُصْطَفَى أَقْوَالَهُ عَلَنًا وَقَدْ تَوَسَّعَ إِثْرَارًا وَتَنَسَّيَهَا
فَمَا رَأَى غَيْرَ أَلْبَابٍ مُحَجَّرَةٍ هَمَّاتٍ لَيْسَ يُلَبِّنُ النَّصْحُ قَاسِيهَا
وَأَنْفَسًا عَنْ كِتَابِ اللَّهِ مُعْرِضَةً وَالْكَفْرُ قَدْ كَانَ وَالْإِشْرَافُ مُعْجِيهَا
وَأَحْجَمَتْ كُلُّهَا عَنْ قَبْضِ رَحْمَتِهِ مَعَ بَيْنِ دَعْوَتِهِ فَالْكُلُّ أَبْيَهَا
إِلَّا أَعْلَى فَنَادَى دُورَهَا : قَانَا نَعْمَاكَ يَا هَادِي الْأَكْوَانِ بَاغِيهَا

من بحمده غير علي فقال أنا يا رسول الله . حيث قال المصطفى عليه الصلاة والسلام : اجلس فأتني
أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي . فهم القوم غاضبون مستهزئين وهم يقولون
شيخهم أبي طالب عليك يا عم أن تطيع ابنك الغلام هذا وهم يريدون سيدنا أمير المؤمنين

تقول : ومن تأمل في هذا الحديث يجد أن المرتضى قام بنصرة الدعوة من نموّة أظفاره
وكان الضد الأول للمصطفى في أول عمل أتاه في سبيلها وشرى فيها بحمده من هذه القصيدة المباركة
وحواشيها إمامي النبوة ونصرها وخدما لي أن بلغت أوج المجد الذي أعده لها الله عز وجل .

نَادَى أَنْ أَجْلِسْ ثَلَاثًا وَهُوَ يَعْزِضُ دَعَاؤَهُ عَلَى الْقَوْمِ يَنْغِي مُسْتَجِيبِيهَا
حَتَّى إِذَا بَاتَ مَا يُوسَا وَمُنَزَّعًا مِنْ الْهَوَاشِيمِ مَعْنَى عَنْ تَرْضِيهَا
عَنْهَا تَوَلَّى إِلَى حَيْثُ أَلْعَلُّهُ مُنَوِّمٌ هَا بِهِ بَيْنَ ذَلِكَ أَلْجَعَ تَوْنِيهَا
وَكَانَ مَاسِكُهُ مِنْ طَوْقِ رَقَبَتِهِ يَقُولُ : هَذَا لَهَا وَاللَّهِ يَخْنِيهَا
وَقَالَ : هَذَا أَخِي ذَا وَارِثِي وَخَلِيفَتِي عَلَى أُمِّي يَخْنِي مَرَاغِبَهَا
وَقَالَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ حَسَنُ طَاعَتِهِ بَعْدِي وَإِمْرَتُهُ وَيَلْ لِعَاصِيهَا
فَارْفَضَ جَمْعَهُمْ وَالْهَرُءُ أَخَذَهُمْ إِلَى الْقَوَايِ فِي أَذَى دِيَاغِيهَا
وَهُمْ يَقُولُونَ : أَحْكَامُ الْغِلَامِ عَلَيَّ يَا أَبَا طَالِبٍ كُنْ مِنْ مُطِيعِيهَا
كَذَلِكَ حَيْدَرَةٌ مَاتَى الشُّبُوءُ مَدَّ نَادَى بِهَا الْمُصْطَفَى لَبَّى مُسَادِيهَا
وَشَارَكَ الْمُصْطَفَى مِنْ يَوْمٍ إِنْ وَضَعَ آلا مَسَاحٍ حَتَّى أَنْتَهَتْ عَلَيْهَا مَبَانِيهَا
فَكَانَ أَوَّلَ أَرْبَابِ الْجِهَادِ جَيْشًا بَعْدَ أَخَذٍ فِي مَلَقَى أَعَادِيهَا
وَكَانَ آخِرَ مَنْ عَالَى الْمَصَائِبِ فِي سَبِيلِهَا طَالِبًا رِضْوَانِ مُوَحِنِهَا
فَهَلْ يُبَارِيهِ فِي هَذَا الْفَخَارِ مَبَارٍ فِي الْبَرِيَّةِ مَا ضِيهَا وَآتِيهَا

أمير المؤمنين والهجرة

مِنْ بَعْدِ إِنْ رَفَضَتْ طَهَ عَشِيرَتُهُ وَلَمْ تُجِبْ دَعْوَةَ قَدْ كَانَ دَاعِيَهَا (١)
وَأَقَى قُرَيْشَ جِهَارًا بِالشُّبُوءِ يَذَّعُوها إِلَيْهَا وَيَبَالُغُ حَرْى بِمَنْبِيهَا

(١) لا جدال ان هجرة المصطفى مع أصحابه من مكة كرمها الله الى المدينة كانت بدء
الجهاد لنشر الاسلام في العالم فهي اذن أهم الحوادث الاسلامية وهوذا نجمل غيرها هنا مع اختصارنا
في تصديتنا على نصيب سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله منها فنقول :
ان رسول الله بدأ ببلّغ دعوة لشيرته القريش وهم بنو هاشم حسب أمر الله فاما رفضت
عشيرته قبول دعوته والقيام على نصرتهم عمم الدعوى في قريش فأطاعه القليلون وهزم بدعوته
الاكثر ولم يقتصر الناس على الازدراء به بل عمدوا الى اضطهاده واضطهاد الأفراد الذين تبعوه
فصاروا يؤذونهم ويوقعون بهم وهما بالمصطفى عليه الصلاة والسلام يريدون الوقعة به فقامه من
أداهم عمه الشيخ أبو طالب الذي كان أول نصير للإسلام . وعند ما رأى المصطفى توالي الأذى
على أصحابه من كفار قريش أشار اليهم بالهجرة الى الحبشة وكانت هجرتهم هذه في رجب من السنة الثانية
لاظهار الدعوة ولما وصلوا الى أرض الحبشة نزلوا بخير دار عند خير جار وظلوا هناك الى شوال حيث

فَقَاظَهَا أَنَّهُ أُمْتِي يُسْفِهَهَا بِدِينِهَا وَهُوَ لَا يَنْفَكُ لَارِحَتِهَا
وَسَبَّ أَصْنَامَهَا قَدْ كَانَ دِينَهُ وَشَجَبُ عِبَادِهَا مَعَ مُسْتَشِينِهَا
وَحَاوَلَتْ أَنْ تُنَاوِيَهُ مُكَابَرَةً يُطْلَعُهَا مِثْلَمَا أَضْحَى يَتَاوَنَهَا
فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهَا شَيْءٌ مِنَ الصَّيْحِ الْكَثْرَى أَلَيْ أَعْمَدُ الْمَاءُ مَوْنُ يَدِينَهَا
وَإِذَا رَأَتْ عَجْزَهَا عَنْهُ وَقَدَرَتَهُ مَالَتْ إِلَيْهِ لِتُؤْذِيَهُ بِأَيْدِيهَا
شَانُ الْأَلَى هَجَرُوا أَلْحَقَ الْمُسِينُ جَمَا لَهَ وَمَا مَلَكُوا إِلَّا أَلْتَرَارِيهَا
وَكُلُّ مَنْ ضَعُفَتْ تَأَلَّفَهُ حِجَّتُهُ بِالسَّبِّ وَالضَّرْبِ بَرَجُوا أَنْ يَقْوِيَهَا
تِلْكَ أَلْجَمَالَةُ وَالْجَمَالُ مَا عَرَفَتْ إِلَّا أَلْبَذَاءَةُ فِي مَلَقَى مُحِجَّتِهَا
لَكِنْ أَبُو طَالِبٍ مَا أَنْفَكَ يَنْصُرُ أَحْمَدًا وَرَدَّعُ أَعْدَاءَهُ وَيُخْرِجُهَا
حَتَّى إِذَا مَاتَ هَبَّتْ وَهِيَ طَالِبَةٌ أَذِيَّةُ الْمُصْطَفَى خَالَتُهُ مُؤْذِنَهَا

بلنهم أن مشركي قريش قد أسلموا وأصلحوا مع المصطفى عليه الصلاة والسلام فأمرعوا بالعودة إلى مكة وكان المائدون نحواً من ثلاث وثلاثين رجلاً فهم عتيان بن عفان والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون والخبر الذي انتهى إلى هاجري الحبشة لم يكن مكذوباً ولكن بولع فيه وحقيقته أن المصطفى عليه الصلاة والسلام خفف بدعوته ورأى المشركون أن المسلمين قد برحوا مكة فهدأت ثائرهم على أن الذين عادوا من الحبشة بلنهم وهم في ظاهر مكة إن المشركين ما اتفكوا بضطهدون المسلمين فدخلوها مستحقين

وكان بين وقت وآخر يدخل في الاسلام من فتح افقه عن بصيرته من النساء والرجال وكلما سمع المشركون بسلام واحد منهم ازدادوا بنضاً للمسلمين وأذية لهم حتى إذا ما أسلم عمر بن الخطاب وكان حبيباً في قريش ومروفاً بشدته ازداد حقد المشركين على المسلمين . وفي الاخير اجتمع كفار قريش وأقروا على قتل محمد عليه الصلاة والسلام وقالوا لروساء بني هاشم ان صاحبكم قد أقصد علينا أبناءنا ونساءنا نخذوا منا دية مضاعفة وقتله رجل من قريش وترجمونا وترجمون أنفسكم فأتى الهواشم أن يسمعوا بقتل محمد وحيثئذ أقرت قريش على منابذة الهراشم ولا سما بني عبد المطلب واخراجهم من مكة إلى شمس أبي طالب ومنهم من حضور الأسواق وان يعتنق الناس عن مناكبتهم وعن قبول صلاح لهم أبداً وعن أن يرأفهم راثف حتى يسيهم إلا أمر فيسلمون محمداً لا يسيهم فيفتكون به وكتبوا لذلك صحيفة علقوها في السكبة . وكان اتباع قريش هذا في خيف بني كنانة بالأباج بأعلى مكة وحيثئذ دخل بنو هاشم وبنو عبد المطلب مؤتمهم وكافرهم الشعب أدخلهم اليه القريشون قهراً إلا أبو هلب عم المصطفى فقد كان ضدقومه مع قريش وكان ذلك والمصطفى في السادسة والأربعين من عمره السيد . ومكث بنو هاشم في الشعب سنتين في أشد ما يكون من البلاء

وقد نال الهواشم من الظفي جدد عظيم ترك مشركهم يسبون معاملتهم مسلمهم وحيثئذ لم يبر المسلمون بدأ من الهجرة ثانية فهاجر منهم ٨٣ وجيلاً ١٨ أسراً على رأسهم جعفر بن أبي طالب

وطلما سَفَتِ النَّاسُ الْتِرَابَ عَلَيْهِ أَوْ قَوْلَ عَنْهُ أَلْهَجِرُ مُسْغِيهَا
وَحَقَرْتُهُ بِمَا قَالَتْ وَمَا قُلْتِ عَنْهُ وَمَعَهُ وَجَارَتْ فِي تَقَدُّرِهَا
وَفِي الْأَخْبَرِ رَأَتْ أَنَّ قَضِيْنَ عَلَيْهِ وَالنَّبِيَّةُ مِنْ دَعْوَاهُ تُنَجِّبُهَا
لَكِنَّمَا رَهَبَتْ فِيهِ عَشِيرَتُهُ وَقَدْ يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تُعَادِيَهَا
وَبَعْدَ أَنْ أَعْمَلَتْ فِي ذَلِكَ فَكَّرَتْهَا وَكَانَ إِبْلِيسُ نَارَ الشَّرِّ يُلْطِئُهَا
قَرَّتْ عَلَى أَنْ فُتِيَانِ الْقَبَائِلِ تُزِيهِ جَمِيعًا بِضَرْبٍ مِنْ مَوَاضِيهَا
بِذَا يُوزَعُ فَيَمَّا يَنْهَى دَمُهُ وَمَا أَلْهَوَاشِمُ أَهْلُ أَنْ تُقَاوِمَهَا
فَتَرْتَضِي دِيَّةً عَنْ سَفَكِ خَيْرِ دَمٍ إِذَا رَأَتْ أَخْذَهَا بِالثَّأْرِ مُغْنِيَهَا
تَأَمَّرَتْ هَكَذَا سِرًّا عَلَيْهِ وَسَا رَتْ قَنِيَةَ الْقَوْمِ فِي أَسْوَأِ مَمَاشِيهَا

وزوجته أسماء بنت عيسى وقد أضافهم نجاشي الحبشة خير ضيافة وأطلق لهم الحرية في دينهم . وسمر كفار قریش أن النجاشي أكرم متوى المسلمين فخافوا أن يحالفهم وهو نصراني ويمدهم بقوى يأتون بها على مكة فأرسلوا له وفداً من قبلهم يقره عليهم بدعوى أنهم يسبون سيدنا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فاجتمعوا في هذه الحيلة

أما الهواشم فبعد أن بلغ منهم الجهد مبلغه وهم في الشعب قال محمد لهما أي طالب إن الله سلب الأرملة على صحيفة قریش فلحقت منها اسم الله سبحانه ولم يبق غير ما كتبوه من ظلم بني هاشم فصديق أبو طالب القول وسار برهط من قومه إلى مكة فقابل المشركين وسار بهم إلى الكعبة حيث وجدوا صيحة ما روى المصطفى وكان هذا سباً لا يبطال ذلك الاعتصاب ضد بني هاشم فعادوا إلى مكة كرمها الله وعادت قریش إلى الاختلاط بهم

وكان قد ذاع في جزيرة العرب نبأ محمد ودعوته وما هو جار في الحجاز من الاضطراب بسببه فدخلت فخذت عليه الوفود فأزاد ذلك في حقد قریش على المصطفى ودينه وعلى أثر ذلك توفي أبو طالب وهو كما علمت كان النصير الأكبر للمصطفى فشدت قریش عليه لوفته

وعلى أثر وفاة الشيخ أبي طالب واشتداد قریش على محمد وأصحابه بحيث صاروا يتعرضون لهم ويكفرون من اضهادهم وكثيراً ما كان يتصدى سبهاؤهم للمصطفى عليه الصلاة والسلام فيسبونهم ويؤذونه ويسفون عليه التراب حيثئذ ضاق صدره عليه الصلاة والسلام فخرج إلى الطائف وكان ذلك في شوال من السنة التي مات فيها أبو طالب خرج إليها ومعه يزيد بن حارثة وهو طامع أن تحالفة تقيم على الاسلام تخاف ظنه وودته أشنع رد وبألم سفاؤها في أذنيه فعاد إلى مكة مكروباً منموماً وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم في السنوات العشر الماضية يوافي موسم الحج في كل عام ويتبع الحاج في منازلهم معنى والموقف وبأني اليهم في أسواقهم « عكاظ وعجدة وذئب بجاز » وكان يمرس فيه على الناس ويقول: « يا أيها الناس إن الله بأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً » أو يقول: « يا أيها الناس قولوا لا إله الا الله فاحجوا » كما كان عليه الصلاة والسلام يقف في منازل

فَجَاءَ جِبْرِيلُ طَهَّ مُنْذِرًا وَلَهُ
وَأَهْبِزُ فَرَأَيْتُكَ فَالْكَفَّارُ طَائِلَةٌ
وَمَا دَجَا اللَّيْلُ إِلَّا وَالْجَنَّةُ غَشْوًا
يَسْتَنْظَرُونَ إِذَا مَا نَأَمُ أَنْ يَشْبُوا
وَإِذْ رَأَوْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ مَالٌ إِلَى
وَقَالَ: نَمَّ فِي فَرَائِصِي غَيْرُ مُكْتَرَبٍ
وَأَبْسَ نِيَابِسِي وَكُنْ فِيهَا الْآبِينَ عَلَى
وَفِي صَبَاحِكَ بَادِرٌ يَا أَخِي كَرَمًا

يَقُولُ: دَعِ مَكَّةَ وَالْكَفْرَ فَاشْهِنَا
فِيهِ حَيَاتِكَ وَأَنْظُرْ كَيْفَ تَقْبَلُنَا
دَارَ الرَّسُولِ وَقَدْ بَاتُوا مُجِيطِينَهَا
وَيُرْسِلُونَهُ إِلَى الْجَنَاتِ يَا وَهِنَا
عَلَيْنَا مَيْلَةً حُسْنُ الرَّجَا فِيهَا
إِلَى الْخُطُوبِ إِذَا تَدَهَى دَوَاهِيهَا
هَدْيِي الْحَيَاةَ الَّتِي الرَّحْنُ يَحْمِيهَا
إِلَى الْأَمَانَاتِ أَرْجِيهَا لِأَهْلِيهَا

القبائل ويقول: «يا بني فلان اني رسول الله اليكم انه بأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن
تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الابداد وأن تؤمنوا بي وتصدد قوتي وتمنوني حتى آتين عن
الله عز وجل ما يبشئ به » وأجمع الرواة على أن أبا اله عم المصطفى كان يتبعه ويكذبه عنوة
ويرويه بالحجارة ويضري الناس على الهزء بدعوته . على أن المصطفى لم يجد من جميع القبائل التي
عرض نفسه عليها قبيلة تنصره وتقوم بدعوته وكان جواب أكثرها بأن عشتريتك أعرف منا بك
وهي لم تملك ثم يقولون فيما بينهم « أن قوم الرجل أعلم به أترون أن رجلاً يصلحنا وقد أفسد قوموه »
وما زال المصطفى عليه الصلاة والسلام تلقاً للقد النصير والمساعد حتى أراد الله إظهار دينه
واعزاز نبيه وانجاز مواعده له فيسّر له الأعوان والانصار وذلك أنه خرج كعادته في الموسم قبل ثلاث
سنوات من الهجرة يمرض نفسه على القبائل فبينما هو عند العقبة (عند يسار الطريق لقاصد منى والتي
تسمى الحجره باسمها فيقال «حجرة العقبة » وفيها الآن مسجد يقال له مسجد البيعة اشارة الى هذا
الحادث العظيم الذي نرويه) إذ لقي هناك رهطاً من الخزرج وكانوا ستة رجال فقال من أنتم ؟ قالوا
نفر من الخزرج فقال أمس موالى اليهود « أي علماء اليهود الذين كانوا يترلون يثرب وما جاورها
وهم قريظة والنضير » قالوا نعم جلس اليهم ودعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام
فاجابوه وصدقوه لانهم كانوا يسمون من جيرانهم اليهود أن الله سيثبت نبياً قد قرب زمانه فيجدد
ملكه اسرائيل التي تلاشت فكانوا كأنهم على استعداد لهذه الدعوة وقالوا للمصطفى لقد تركنا قومنا
« وهم الاوس والخزرج » وهم يقتلون والعداوة بينهم منذ مثل طعام فان يجتمعهم الله عليك فلا أعز منك
وانا أقترب عليك أن تمحكت على رسلك حتى نرجم الى قومنا وتقتل عليهم دعوتك وموعدهم مسك
الحجة القادمة وهكذا تم الاتفاق بينه وبينهم من غير تماقذ أو عينة

وفي الحجة التالية أي السنة التي سبقت سنة الهجرة قدم مكة احد عشر رجلاً منهم خمسة من
الخزرج وهم من الستة الذين اجتمع عليهم المصطفى في الحجة الماضية وأربعة من الخزرج أيضاً
واثنان من الاوس فاجتمع بهم للمصطفى عند العقبة أيضاً وابيهم على أن يمتنعوا ما يمنعون به نساءهم
وأبياءهم وعلى أن يرسل اليهم قايضهم على ذلك وهذه المباهمة يقال لها العقبة الاولى ولما رجع هؤلاء
الى المدينة أرسلوا الى المصطفى أن امس اليها رجلاً من قبلك يقفها ويدعو الناس بكتاب الله فبث

كَذَلِكَ أَوْصَى بِحَاجَاتٍ مُنَوَّعَةٍ وَصِيَّهٌ كَانَ بِالْإِسْرَاعِ يُؤْصِيهَا
وَقَدْ مَضَى غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَجَلٍ . مِنَ الْخُطُوبِ الَّتِي قَدْ رَاحَ غَاشِبُهَا
وَقَدْ تَنَاولَ فِي بُيُوتِهِ أَثَرُهُ . وَكَانَ فَوْقَ رُؤُوسِ الْقَوْمِ ذَارِبُهَا
بِهَا لَقَدْ عَمِيَتْ فَاجْتَنَزَ مَجْشَمُهَا . وَسَارَ فِي هَضْبَاتِ الْأَرْضِ يَطْوِيهَا
إِنَّ الْعَلِيَّ عَلَى سَامِي شَجَاعَتِهِ . لَبَّى الْأَوَامِرَ حَالًا بَاتَ مُجْرِيهَا
قَدْ ارْتَدَى بِشِيَابِ الْمُصْطَفَى وَعَلَى . فَرَّاشِهِ نَامَ هَانِي النَّفْسِ هَادِيهَا
وَلَمْ يَبْ وَثْبَةً الْفَتَيَانِ إِنْ وَثِبَتْ . لَقَتْلٍ طَهَّ كَمَا تَزِي مَرَامِيهَا
وَجِبُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ دَافِعُهُ . إِلَى الْمَخَاطِرِ خَافِيهَا وَبَادِيهَا

اليهم رسول الله مصعب بن عمير وكان يقال له المقرئ وهو أول من تسمى بهذا الاسم ولما وصل هذا إلى المدينة نزل على أبي أمامة أسعد بن زرارَةَ فطلق يلم الأوس والخزرج القرآن ويؤمهم ويؤدبهم بأداب الإسلام وكان هذا بدء اجتماع كلمتهم بعد طول الشقاق بينهم وأسلم على يد مصعب هذا سعد بن معاذ وابن عمه أسيد بن خضير وغيرهما خلق كثير ثم إن مصعب خرج إلى مكة مع من خرج من المسلمين الجزريين إلى الموسم مع حجاج قومهم المشركين فالتفت على رسول الله وأخبره عن أسلم فسر بذلك ثم جاءه بمن معه من مسلمي الانصار وعلى رأسهم البراء بن مسعود وكعب بن مالك وواعدهم على أن يجتمع معهم في البقية بعد انقضاء الموسم في ليلة اليوم الذي هو يوم الغفر الاول فلما كانت الليلة الموعودة حضروا إلى البقية وكان معهم أبو جابر تبيد الله بن عمرو بن خزام من سادات يثرب وكان مشركاً وكانوا ٧٣ رجلاً وامرأتين فوجدوا رسول الله بانتظارهم وكان معه عباس عمه وعلي وأبو بكر على أنه عليه الصلاة والسلام أفاط بسيدنا علي وأبي بكر حراسة الطريق من طرفيه وأما عمه العباس فلم يكن وقتئذ قد أسلم ولكنه أصر على حضور المائدة للامانة على مستقبل ابن أخيه بصحة زعم الهواشم

فلما جلس انقوم بين يدي رسول الله والعباس بجانبه انتزع الكلام العباس فقال « يا معشر الخزرج (لان العرب كانت تطلق اسم الخزرج على الأوس والخزرج معاً) ان عمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا من هو على مثل رأينا فهو في عز من قومه ومنصة في بلده وقد أبى الا الانحياز اليكم والحق بكم ان كنتم تزون أنكم وافون له بما دعوتهم اليه وما نموه ممن خلفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم تزون أنكم مسلموه وخلفوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن تدعوه » وما انتهى العباس حتى قال البراء بن مسعود « انما والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكننا نريد الولاء والصدق ونذل مهج أنفسنا دون رسول الله » ثم أخذ البراء بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « نعم والذي بيحك بالحق تمنحك مما نتمنى به ازونا (أي نساننا) وأفسنا فتغن الله أهل حرب وأهل الحلقة (أي السلاح) ورتناها كأكبر أعز كابر » وبيتنا البراء يكلم رسول الله وإذا بأبي الهيثم بين التيهان يقول « وقبله على مصيبة المال وقتل الاشراف » فقال العباس : اخفوا جرسكم (أي صوتكم) فان علينا عيوته . ثم قال أبو الهيثم :

وَقَسَهُ نَفْسُ حَرِّ مَا تَعْرِفُنِي صَيَانَ نَفْسٍ أَمِينٍ اللَّهُ يَقْدِرُهَا
أَمَّا الْجَنَازَةُ فَمَا أَفْكَتْ نَفْسَهُمْ عَلَى غَوَايَتِهَا وَالْشَّرُّ مَغْرِبُهَا
فَجَاءَهُمْ سَائِلٌ عَنْ طَوْلِ وَقْفَتِهِمْ وَعَنْ رُؤُوسِهِمْ وَالَّذُرُّ عَالِيَتِهَا
وَقَالَ: وَيَلَكُمْ طَلَّةٌ لِحَاجَتِهِ فِي غَفْلَةٍ مِنْكُمْ قَدْ سَارَ يَقْضِيهَا
فَكَذَّبُوهُ وَقَالُوا: لَا يَزَالُ عَلَى السَّفَرِاشِ يَنْفُو قَرِيرَ الْعَيْنِ هَانِيَهَا
فَلَا يُلَوِّحُ ضِيَاءُ الْفَجْرِ إِلَّا وَرَدُّ حُهُ مُتَارِقُ دُنْيَانَا وَتَخْلِيهَا
حَتَّى إِذَا أَصْبَحُوا أَفْقُوا قَيَّصَتْهُمْ فَاتَتْ وَأَنَارَهَا صَبَّ تَقْصِيهَا

« يا رسول الله ان بيننا وبين اليهود عهداً وأننا قاططوها فهل حبت اذا نحن قلنا ذلك ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا ؟ » فقبض رسول الله وقال : « بل الدم والدم والمهد والمهد (أي تطبلون بدمي وأطلب بدمكم) وذمتي وذمتكم ورحلتي مع رحلتكم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتهم وأسلم من سلمت » وقال الباس على الأثر : « عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم في هذا الشهر الحرام والبلد الحرام ويد الله فوق أيديكم لتجدن في نصرته ولتشدن من أزره » فقال الجميع : نعم . قال الباس : « اللهم انك سامع شاهد وان ابن أخي قد استرعاه ذمته واستخلفهم نفسه . اللهم كن لابن أخي عليهم شهيداً » وبعد ان انتهى الباس من قوله هذا قال رسول الله : اخرجوا الي متكم اثني عشر نقيباً يكونون على قوهم بما فهم . فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس فكانوا سعد بن عبادة وأسد بن زرارة وسعد بن الربيع وسعد بن خزيمة والمنذر بن عمرو وعبد الله بن رواحة والبراء بن مسرور وأبو الهيثم بن التيهان واسيد بن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعباد بن الصامت ورافع بن مالك كل واحد نائب عن قبيلة من قبائل الخزرج والايوس . قتال رسول الله لأولئك النقباء أنهم كفلاء على غيركم وأنا كفيل على قومي وحيث تقدم سعد بن زرارة وهو أصغر أولئك النقباء وأخذ من يد النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « رويأ يا أهل يثرب اسألن نقيب اليه اكباد الابل الا » ونحن نعلم أنه رسول الله وأن اخرجاه اليوم مفارقة لجميع العرب وقتل خياركم وأن تطعمكم السيوف فلما أنهم قوم تصيرون عليها اذا مستكم يقتل خياركم ومفارقة الرب نخذه وأجركم على الله تعالى وأما أنهم يخافون من أنفسهم خيفة فذرهم فهو عذر لكم عند الله عز وجل » فنادى في الحال النقباء « يا سعد امط عنا يدك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نعتيها » وهكذا شدت عقدة الهد وتمت البيعة بين الخزرج الذين دعوا أنصار المصطفى وبينه عليه الصلاة والسلام وقال الانصار في ختام المبايعة ابسط يدك يا رسول الله فبسطها فبايهم جميع الحاضرين وكان الواحد منهم يقول : « أبايعك على أن أتم عهدي بوفائي وأصدق قولك ببغلي في نصرتك » ولما انتهت هذه البيعة دعيت العتبة الثانية وهكذا اقرض الاجتماع وعاد الانصار الى يثرب

وعلمت قريش بمجاهدة الخزرج محمد ومن معه من المسلمين فخافت أن يعذب عليها بواسطتهم وأخذت تبالغ باضطهاد المسلمين حتى ضيقوا عليهم وبالوا منهم وجعل البلاء يشتد عليهم حتى أصبحوا

وَقَدْ رَأَوْا فِي فِرَاشٍ الْمُسْتَفَى بِطَلِّ آلِهِ
فَأَسْكُوهُ وَمَا هَابُوا عَشِيرَتَهُ
وَمَاءُ لُؤْلُؤٍ عَنِ الْهَادِي قَقَالَهُمْ
طَلَبْتُمْ أَنْ يُخَلِّيَ مَكَّةَ فَأَطَا
وَبَسْمَةُ الْهَزْءُ كَانَتْ فَوْقَ مَبْنِيهِ
فَجَرَّوْهُ وَقَدْ غِيظُوا لِمَسْجِدِهِمْ
وَبَعْدَ أَنْ حَبَسُوهُ سَاعَةً تَرَكَوْهُ
وَاللَّهُ أَفْقَدَ طَهَ مِنْ مَكِيدَتِهِمْ
وَكَانَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِرَأْفَتِهِ

م سَلَامَ رُؤْيَا أَطَارَتْ نَفْسَ رَائِيهَا
وَأِنْ حَرَمَتْهُ كَانُوا مُهِنِيهَا
لَا عِلْمَ لِي عَنْ خَطِي قَدَرِاجِ خَاطِبِيهَا
عَكَمَ وَأَمْسَى يَبْعِدُ الدَّارَ نَائِيهَا
وَكَانَ وَهُوَ يُجِيبُ الْقَوْمَ يُبْرِئِيهَا
وَكَانَ أَشْيَاخُهُمْ فِيهِ تَنَافَرِيهَا
هَ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُسْتَزِفِرِيهَا
فَسَارَ فِي هِجْرَةٍ مَحْمُودُ سَارِيهَا
إِلَى الْمَدِينَةِ إِذْ حَلَا مَثَاوِيهَا

بين مفتون في دينه وبين مذهب مضطهد وبين هارب متخفي في البلاد وشكوا أمرهم إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم واستأذنوه في الهجرة فمكث أياماً لا يأذن لهم . ثم قال لهم : أريد دار هجرتكم أريد مسجدة ذات نخل بين لاتين وهما الحرقان . ثم خرج إليهم مسروراً فقال : قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب من أراد أن يخرج فليخرج إليها . تخرج المسلمون إليها نساء ورجالاً متتابعين مستحقين . على أنه صلى الله عليه وسلم قبل هجرتهم أخى بينهم واتخذ علياً أخاً له وسندكر هذه المواخاة والمواخاة الثانية التي أخى بها بين المهاجرين والأنصار في حاشية نجيء وبوصول المهاجرين إلى يثرب أمرهم الانصار في دورهم وأزواجهم وولدهم . وبعد أن هاجر معظم المسلمين إلى يثرب مكث صلى الله عليه وسلم في مكة ومعه علي بن أبي طالب الذي لم يكن يبصر على صحبته وأبو بكر وأخذ ينظر أن يؤذن له بالهجرة ليصحبهما إليها ولما رأت قریش أن المسلمين هجروا مكة وأبوا يثرب عند ما هبهم الحزج حذروا أن يخرج رسول الله إليهم وأن يجمع الناس على حربهم فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون في أمره عليه الصلاة والسلام وكانت دار الندوة هذه في منزل قهي بن كلاب وكانوا لا يقطعون أمراً إلا فيها . وبينما كانوا مجتمعين دخل عليهم العيص في صورة شيخ عليه خيلسان من خز فقالوا من الشيخ ؟ قل : من أهل نجد سمع بالذي احتمتم له فخصر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً فلو : أجل ودخل فدخل معهم . ثم أخذوا يتداولون بأمر المصطفى فقال بعضهم لبعض إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وأما لا نأمنه على الوئوب علينا بمن قد أئتمه من غيرنا أجمعوا فيه رأياً فقال قتل لحسوه في الخلد وأعقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشراء حتى يصديه ما أصابهم من هذا الموت . فاضرم ذلك الشيخ النجدي قتيلاً : لا والله ما هذا لكم برأي فكم لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي اعتمتموه دونه إلى أصحابه فلا تأمنون أن يأتوا عليكم فيترعوه من أيديكم ثم يكاروكم حتى يلبسوك على أمركم فانتظروا رأياً آخر . فادوا نأية إلى المشاورة فقال قتل منهم . فخرجه من بين أظهرنا فمعه

وَوَضَّلَ فِي مَكَّةَ رَبُّ الْوَفَاءِ عَلَيَّ كَيْ يُتِمَّ رِغَابًا كَانَ أَوْصِيَهَا
وَأَقْبَلَتْ عَجَلًا أَهْلُ الْوَدَائِعِ تَنَشَّدُ الْوَصِيَّ عَلَيْهَا كَيْ يُؤَدِّيَهَا
تَقُولُ: أَيْنَ وَصِيُّ الْمُصْطَفَى لِيُعِيدَهَا إِلَيْنَا فَخُنَ الْآنَ تَبْنِيَهَا
فَلَتَقْبَلَهَا عَلَيَّ وَالْوَدَائِعُ فِي يَدَيْهِ وَهُوَ لَهَا فِي الْحَالِ يُعْطِيَهَا
لِذَلِكَ أَصْبَحَ بَيْنَ النَّاسِ مُشْتَهَرًا بِاسْمِ الْوَصِيِّ يُنَادِيهِ مُنَادِيَهَا
ثُمَّ لَهُ الْمُصْطَفَى أَوْصَى وَصَايَتَهُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالْأَنْصَارِ تَجَرَّبَهَا
وَصَايَةُ حِكْمًا حِكْمُ الْيَقِينِ وَمَا غَيْرَ الْمَكَايِرِ مِنْ يَجْزَا وَيَنْفِيَهَا
وَبَعْدَ أَنْ كَمَلَتْ أَعْمَالُ حَيْدَرِهِ كَمَا أَرَادَ صَفِيُّ اللَّهِ مُوَحِّبَهَا
وَلَّى إِلَى طَيْبَةِ مِنْ مَكَّةَ هَرَبًا وَخَلَفَ الدَّارَ تَنِي شِرْكَ بَابِهَا

من بلادنا فإذا خرج عما فوالله لا نبالي أين يذهب . فاعترض النجدي قائلا : والله ما هذا رأي
ألم يروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلته على قلوب الرجال والله لو أطلعتهموه ما آمنتم أن يحل على
حي من العرب فيقبل بذلك عليهم من قوله وحديثه حتى يبايئوه ثم يسير به اليكم حتى يظلمكم بهم
فيأخذوا أسركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد . فدبروا به وأبأ آخره فقال أبو جهل بن هشام :
والله إن لي فيه رأيا ما أراكم وقسم عليه بعد . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال الرأي أن تأخذوا
من كل قبيلة شابا جليدا حسيبا في قومه سبيا وسطيا وبأخذ كل منهم سيفه ثم يقدون إليه فيضربونه
ضربة رجل واحد فيقتلونه فستريح منه فأنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم تقدر
بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فبرضوا منا بدينه فنؤديها . فقال النجدي : القول ما قال
هذا الرجل . فتفرق القوم على ذلك

وكانت قريش في ندوتها تلك تآمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته لا يدري
من أسرها شيئا فجاءه جبريل وقال له : لا تب هذه الليلة في فراشك وأخبره بمكر القوم به وأنزل
الله عز وجل عليه آية « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك » فلما كان
الهنوع الأول من الليل أحاط بدار رسول الله صلى الله عليه وسلم شبان الذين نيط بهم قتله على
ماتأسرت شوخهم وجعلوا يرددون طلوع الفجر ليقتلوه معنوة فيذهب دمه هدرًا لمشاهدة بني هاشم قتله
من جميع القبائل . فلما راهم رسول الله محمد بن بداره قال لليلى بن أبي طالب ثم على فراشي واتشح
برداقي هذا الحضرمي ولن يخلص اليك شيء تكرهه . ثم إن المصطفى أبأ عليا بأنه ذاهب إلى بيت
أبي بكر ليخفي فيه ومنه سباحا مع أبي بكر إلى المدينة وأوصاه أن يرد الودائع التي عنده إلى أهلها
وأن يدبر له ولصاحبه أبي بكر دليلا وراحتين وأن يمتني بأمر أهله إلى آخر ما أوصاه به من المهام
ثم قال له فإذا أبرمت ما أمرك به كن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله . وهكذا ترك المصطفى
الرفضي عليها الصلاة والسلام ممددا في فراشه وسار نحو الباب فخرج على المشركين وأخذ خفة من
تراب وتلا قوله تعالى « يس والقرآن الحكيم إلى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون » وحنا التراب

مَشَى لَهْجَرَتِهِ مَشِيًّا عَلَى قَدَمَيْهِ فِي اللَّيَالِي لِنُخْفِهِ دِيَابِجُهَا
 حَتَّى إِذَا مَا دَنَا مِنْ طَيْبَةٍ وَجَدَ الْآ
 نَصَارَ وَالصَّحْبَ قَدَحَتَ بِهَا دِنَهَا
 إِذَا أَنْجَلَتْ وَهِيَ فِي أَزْهِى ثَلَاثِهَا
 وَعَانَقَ الْمُصْطَفَى بِالْبَشْرِ حَيْدَرَهُ
 ثُمَّ بَكَى إِذْ رَأَى فِي أَحْصَصِهِ جُرُوهَ
 وَقَدْ أَمَرَ يَدَيْهِ بَعْدَ تَقْلِيهِ
 عَلَيْنِهَا فَوْقَهَا يَغْنِي يَدَاوِيهَا
 تَيْكَ الْجِرَاحَةُ كَانَ اللَّهُ مُزِيهَا
 تَمَّتْ كَذَلِكَ الْهَجْرَةُ الْكُبْرَى وَقِصَّتُهَا
 تَمَلَّى قَطْرُبُ تَالِيهَا وَمُصَنِّفُهَا

على رؤوسهم فأخذ الله تعالى على أوصالهم عنه فلم يروه فلما يسد عنهم قصد منزل أبي بكر فدخل عليه وأقام فيه إلى الليلة التالية حيث اصططحه وخرجا من مكة مستخفين إلى غار خارجها فأقاما فيه ثلاثة أيام مخافة أن يقبهما مشركو قريش

وظل شبان قريش بأزاء دار المصطفى إلى نحو الفجر حيث أتاهم آت فقال: ما تنتظرون هنا قالوا: محمدًا فقال: قد خيكم الله والله خرج عليكم محمد بعد أن حنا على رؤوسكم الزراب وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب وجعلوا يتطلعون إلى داخل منزل المصطفى فيرون شخصًا قائمًا على فراشه يطونه هو فيقولون إن محمدًا لنا ثم وما زالوا كذلك إلى أن انضح النهار فتسوروا الدار ودخلوها شاهرين سيوفهم فنار على وجوههم بشجاعتهم المهددة فصرفوه وقالوا هو أنت؟ فأين صاحبك؟ فقال لا أدري وأنتم طليتم منه أن يخرج من مكة فخرج فتولاهم النيط فسيبوه وضربوه واستاقوه إلى المسجد فحبسوه فيه ساعة ثم أغلوا عنه وما كاد ينطلق علي حتى أسرع إلى تنفيذ أوامر المصطفى واذا علم بخروجه من مكة إلى النار مع أبي بكر طفق يرسل لها الزاد في مدة ثلاثة أيام مع طائر من فبيرة الذي كان ينقل إليه أوامر المصطفى وفي اليوم الثالث استأجر لها علي ثلاث أباعر ودليلا هو الارقط بن عبد الله الذي وارسله بها إلى المصطفى وصاحبه فسارحما إلى يثرب

واذا علمت قريش يسفر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يثرب هالها الأسر وأرسلت من يقتني اثره ويرده إلى مكة كرمها الله فما افلحت على كثرة من تبعه منها . ووصل عليه الصلاة والسلام إلى يثرب بعد ثمانية أيام من خروجه من مكة فيها الايام الثلاثة التي قضاه في النار فقلته المسلمون من المهاجرين والأنصار والفرح والتهلل والتكبير وجدوا الله الذي أوصله إليهم سالما أما علي عليه صلوات الله فظل في مكة كرمها الله أياما معدودات انقد فيها جميع أوامر رسول الله ثم هرب من مكة خلسة ماشيا على قدميه فكان يمضي في الليل ويختبيء في النهار إلى أن بلغ يثرب فتلقاه المصطفى بالترحاب وعانقه وبكى لما رأى من تورم قدميه وجراحاتها لطول السير ثم تقل عليه الصلاة والسلام في يديه الكريمتين وأمرهما على قدي المرتضى فتشيا في الحال وما عاد فشكاها طول حياته . وهذه هي الهجرة النبوية التي دخل الاسلام فيها بدوره الجدي العظيم

أمر المؤمنين وتأهي المسلمين

قَدْ رَحَّبَتْ يَنْزُبُ بِالْمُصْطَفَى وَتَلَقَّيْتُهُ بِبَهْجَتِهَا الْكُبْرَى أَهْلِيهَا (١)
وَأَلْ هُجْرَتِهِ مَعَ آلِ نَفْسَرَتِهِ تَزَاوَمَتْ حَوْلَهُ وَالْبُشْرُ مَالِيهَا
وَالْبَعْضُ كَانَ بِهِنِّي بَعْضَهَا فَرَحًا ثُمَّ إِلَى الْمُصْطَفَى تُدْرِي تَهَايُنَهَا
وَسُرَّ أَحْمَدُ مِنْ تِلْكَ الْحَفَاوَةِ فِي تِلْكَ الْغَنَائِي الَّتِي بِالْأَمْرِ يَتَوَيَّرُهَا
وَلَمْ يَطِبْ لِأَسْمِهَا وَقَعَ بِأَذْنِ رَسُولٍ لَ اللَّهُ نَادَى: أَسَا صُنْعًا مَسْمُومًا (٢)

(١) كانت هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام من مكة كرمها الله إلى المدينة المنورة في شهر ربيع أول من العام الثالث عشر لبعثته وكان معه أبو بكر والدليل على ما تقدم القول وعند ما بلغ المصطفى قباء وهي على إضع كيلو مترات من المدينة المنورة نزل على كائوم بن الهرم وأقام هناك أياماً نبي فيها مسجدتها المعروف إلى يوم الناس هذا ودعا فيها المسلمين إلى صلاة يوم الجمعة وهي أول جمعة في الإسلام ووقف صلى الله عليه وسلم في الناس خطيباً وتنادى فقال: «إن الله كتب عليكم الجمعة، في آتامها هذا. في سائتي هذه، في مشهدي هذا، في طامي هذا، إلى يوم القيامة، من تركها من غير عذر، وأقامها مع إمام حائر، فلا جمع شمله، ولا يورك في أسره، إلا ولا صلاة له، ولا حج له، إلا ولا بركة له، ولا صدقة له».

وسار بعد ذلك إلى المدينة المنورة فلما وصل إلى مكان مسجدته وكان مرعباً لبني النجار «وكانت منهم أمة آمنة قبو النجار أخواله» قال: «ثاموني به» فأجابته أخواله: لا نبقي به إلا ما عند الله. فأسر به رسول الله أن يبنى مسجداً وأقام هو في دار أبي أيوب الانصاري حتى بنى مسجدته الشريف بيده الشريفة وعاونته في بنائه المهاجرون والأنصار بأيديهم.

أما أبو أيوب الانصاري هذا الذي أضاف المصطفى عليه الصلاة والسلام عند ما وصل إلى المدينة المنورة فهو خالد بن زيد النجار الانصاري الخزرجي شهد العقبة وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان من أكبر أعمار سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله وشهد معه مواقع الجمل وصفين واليربوع وذلك غزا الروم مع المسلمين مع يزيد بن معاوية سنة خمس للهجرة وتوفي عند مدينة القسطنطينية فدفن هناك وأمر يزيد الجليل بجلت قتل وتدير على قبره حتى خفيت آثاره قبل ذلك بحجة أن تبيته الكفار. وقد أقام الدمايون عند ما فتحوا القسطنطينية مسجداً عظيماً على اسمه في نهاية خليج قرن الذهب هو من أشهر مساجد تلك المدينة وأهالي القسطنطينية من مسلمين ونصارى ويهود يحترمون اسم هذا الانصاري العظيم جداً الاحترام إلى اليوم ويسمونه السلطان أيوب.

(٢) لا بد هنا وقد وصل المصطفى للمسلمين إلى دار هجرته وهجرتهم أن تذكر شيئاً عن المدينة المنورة فنقول: ترتفع هذه المدينة أزاها الله نوراً عن سطح البحر بنحو ٦١٩ متراً وهي واقعة على طول ٣٩ درجة و٥٥ دقيقة شرقاً وعلى عرض ٢٤ درجة و١٥ دقيقة من شمال خط الاستواء وحرارتها في الصيف تصعد إلى ٢٨ درجة وتتكرر في الليل وتقلما تنمدها وتنزل في الشتاء

وَقَالَ وَاللَّهِ لَا تَدْعِي الْمَدِينَةَ بِأَسْمِمْ قَدْ يُشِيرُ إِلَى التَّعْيِيرِ دَاعِيَهَا
فَلْيَطْلُبِ لَمَعُورًا نَفَرًا مِنْ كَرَمِ الْأَسْرَاحِنِ مَنْ بِأَسْمِهَا لَطَرُوقٌ يُسَمِّيَهَا

الى عصر درجات فوق الصفر نهراً الى غمة تحت الصفر ليلاً وعلى هذا فني متدة الطقوس
واختلف المؤرخون في تاريخها القديم قتال بعضهم ان اسما « يثرب » محرّف عن الكلمة
المصرية « اتريس » وبنو على هذا الزعم رأيهم من أن المصانف الذين حكموا مصر وقال أنهم من
العرب هم الذين بنوها بعد ذهاب حكم مصر من أيديهم . وقال آخرون بل ان موسى عند ما خرج
من مصر قاصداً فلسطين أرسل طائفة من أصحابه لاكتشاف تلك الجهات فساروا الى تلك البقعة
وبلغهم نبأ موته فاستقروا فيها وبنو البلد ودعوه بالكلمة المصرية « اتريس » ودليل هؤلاء كون
سكان البلد والقبائل التي كانت محيطة به كان معظمهم من اليهود . واني لا أخالف الرأي الثاني من
أن اليهود هم بناء المدينة ولكن على ما أظن أنهم لم يكونوا رسلاً لبيدنا موسى الحكيم الذي كان
منذ فكر بالهجرة بقومه من مصر طامساً بأرض فلسطين حيث متوى ابراهيم واسحق ومقوب على أنه عليه
السلام خرج بالاسرائيليين من مصر وكانوا مستبدين فيها وقد انكسرت نفوسهم فلا يصلحون لقتال
أهالي فلسطين الاشداء فيسبهم في سبناه أوجعاً حوله كما تقول التوراة وكاتوا في أنفاسهم يتحسرون على
نوم مصر وكراتها فلا غرو اذا كان قد هرب بعضهم الى البلاد العربية فزولوا الموضع الذي بنيت فيه
المدينة المنورة وأقاموا هناك كما لا يبعد أن يكون قد انضم اليهم فيها بعد غيرهم من اليهود الذين
صحبوا من الحروب المتوالية التي انتابت مملكة اسرائيل وكيفما كان الحال في تاريخ بناء هذه المدينة
التي أصبحت من أعظم المدن المقدسة في العالم فالتاب ان تاريخ بنائها يترأى الى ١٦٠٠ عاماً قبل
التاريخ المسيحي أو ١٤٢٠ عاماً قبل تاريخ الهجرة

وكان اسم هذا البلد يثرب وهو على ما يقولون محرّف عن الكلمة المصرية اتريس كما تقدم القول
وفي معنى يثرب الاثريب وهو اللوم والتعير ولذلك أنف المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يظن هذا
الاسم عنواناً للبلد الذي أواه وأكرم أمثواه فقال : « من سمي المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى
هي طابة هي طابة هي طابة ثلاثاً » وفي رواية أخرى انه قال : « هي طيبة » وفي رواية ثالثة أنه
قال : « هي طياب » قالوا : وأما سميت يثرب على اسم أحد أولاد نوح وكان يدعى يثرب . وقالوا
كانت معروفة من قبل الاسلام باسم المدينة واسم طيبة وقالوا : انها سميت طيبة لطيب رائحتها . وقالوا
أيضاً انها سميت طيبة باسم بلد في مصر . ويدعوا المسلمون باسم « البصرة » لأنها برزت بالمصطفى
ومن معه من المهاجرين وهي لا تزال تبر بالدين يأتيونها حجاً لزيارة سيد المرسلين

والمدينة المنورة مبنية في وسط وادع شاسع يمتد الى الجنوب وأزقتها لا تزال ضيقة ونحن على
رأي الذين يقولون بوجود تركها على ضيقها لأن معظم بيوتها أثرية معروفة بالتقليد الصحيح أسماء
أصحابها الاقدمين العظام من أكابر الصحابة والا نصار بحيث الذي يتصرف بزيارتها يتذكر كيفما
اتجه الاشخاص الذين شادوا الدين ووطدوا مجد الاسلام والحوادث التي حدثت في ذلك العهد الجيد
فأثرت على مستقبل شوب الارض من الوجهتين الدينية والاجتماعية أعظم وأحسن تأثير . فذاك
المرارات الاثرية الدينية التي تدخل الهبة على النفوس كمزار ومسجد قباء وهو أول مسجد بني في
الاسلام بناء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنوب الغربي للمدينة عند دخوله اليها في هجرته
وفي وسط صحته فبة أقيمت على مبرك ناقته حين قدومه اليها في هجرته من مكة . وهناك مزار

وَأَيْهَا طَيْبَةُ طَابَتْ مَسَارِحُهَا عَرَفَا وَفَاحَتْ بِأَهْلِيهَا شَوَازِيهَا
وَهِيَ «الْمَدِينَةُ» إِنِّي بَيْتُهَا وَطَيْبُهَا وَأَنْتِ بِأَسْمِ رَبِّ الْعَرْشِ وَالسُّبْحَانِ

ومسجد سيدنا حمزة وهو في شمال المدينة في وادي أحد . وهذا الوادي مشهور بالواقعة التي حصلت بين المسلمين والمشركين في ١٥ شوال سنة ٣ من الهجرة وسند كرها في المخازن النبوية وفيها استشهد سيدنا حمزة عم المصطفى وغير هذا مزارات كثيرة لا متسع لذكرها هنا على أن أهم ما في المدينة المنورة الحرم المدني على ساكنه الصلاة والسلام وهو الحرم الذي جعل هذا البلد بمصاف مكة كرمها الله والقدس الشريف وأكسبه من الاحترام في نقوس القوم ما ليس ببلده احترام . والحرم المدني واقع في وسط المدينة يميل الى الشرق وهيئته مستطيلة ومتوسط طوله من الشمال الى الجنوب ١١٦ متراً وربع المتر وعرضه من الشرق الى الغرب من جهة القبلة ٣٦ متراً و ٣٥ شتيراً ومن جهة الباب الثاني ٦٦ متراً . وينقسم في وسطه الى قسمين هما المسجد والصحن والمسجد يتنديء من قبة عثمان وهذا القسم منطوق بقباب ترتكز على أقواس قامت على عمود من الصوان المكسو بطبقة من المرمر الموشى بماء الذهب وأما الصحن ويسمونه الحصوة فهو ذو شكل مستطيل يميل الى الباب الثاني ويحيط به من جهاته الثلاث ثلاث أروقة فيها أعمدة تحمل أقواساً رفعت عليها قباب تتقاطع الجوزاء

وفي الجهة القبليّة الشرقية من الحرم المقصورة الشريفة وفي غرب هذه المقصورة الروضة الشريفة وهي مسافة ما بين القبر الشريف ومنبر المصطفى سميت كذلك لقوله عليه الصلاة والسلام : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة » وهي تبلغ ٢٢ متراً طولاً في نحو ١٥ عرضاً وهذه الروضة الشريفة خاصة على الدوام بالناس لشرف مكانتها . وفي غرب الروضة الشريفة قبلة المصطفى عليه الصلاة والسلام وهي من أبدع ما صنع الصناع وهي مقامة على استقامة المقصورة الشرقية من جهة القبلة في الموضع الذي أمر المصطفى بأقامة القبلة فيه وذلك يوم الثلاثاء الموافق نصف شعبان من السنة الثانية للهجرة عند ما أمره الله سبحانه بالصلاة الى الكعبة — وكان قبلها يصلي مع أصحابه الى بيت المقدس — والى غرب القبلة المنبر الشريف وكان على عهد النبي عليه وسلم عبارة عن جرز نخلة ثم استصنع منبراً من خشب الابل صمد اليه ثلاث درجات أو أربع . والمنبر اليوم من الرخام المنقوش بالليقة الذهبية الفاخرة وعلى غاية الجمال في دقة صناعته

أما الحرم النبوي فله خمسة أبواب وهي : باب السلام ، وباب الرحمة ، وكلاهما في الغرب . وباب المجيدي لانه منجد على عهد السلطان عبد المجيد وهو في الشمال . وباب النساء ، وباب جبريل ويسمونه باب البقيع ، وكلاهما في الشرق

والحرم الشريف يحتوي الآن على مسجد المصطفى عليه الصلاة والسلام وعلى بيت عائشة وعلى حجرات أزواجه مع الزيادة التي أزيدت عليه . وكان يحيط بمسجده الشريف على عهد النبي عليه وسلم مساكن أزواجه وكانت في الجهة الجنوبية وبعض الشرقية من الحرم وأما مساكن أصحابه فكانت من الجهة الشرقية

والمقصورة الشريفة من نحاس أصفر بديعة الصنع ولها باب على الروضة الشريفة يسمى باب الرحمة أو باب الوفود . وطول هذه المقصورة الشرقية ١٦ متراً من الشمال ١٥ من الشرق . وفي زواياها الأربع أعمدة منيوية عظيمة وعليها ترتكز قواعد القبة الشرقية . ويتصل بهذه المقصورة

يَذَا أَشَارَ إِلَى سَلَامِي تَمَدُّنِهِ وَأَنَّ مَبْعَثَهُ الْأَسْمَى مَغَانِيهَا
وَحَسْبُهَا أَهْلًا بَاتَتْ مَقَرًّا هِدَا يَدَ الْبَرِيَّةِ فِيهَا قَرَّ هَادِيهَا

من الشمال مقصورة سيدتنا فاطمة الزهراء وطولها ١٤ متراً من الشمال والجنوب و٧ أمتار ونصف المتر من الشرق والغرب وهذه المقصورة ببيت في موضع يبتها الذي عاشت فيه مع سيدتنا علي .
وفي داخل المقصورة الشريفة الحجر الشريفة وهي المكان الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم ١٢ من شهر ربيع أول سنة ١١ للهجرة ودفن فيه لقوله صلى الله عليه .
ولما توفي أبو بكر في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ للهجرة دفن الى جانبه من جهة الشمال ورأسه الى قديمي رسول الله . ولما طعن عمر استأذن من عائشة أن يدفن مع صاحبه فأذنت له ولما مات في ٢٧ ذي الحجة سنة ٢٣ للهجرة دفن الى جوارها ورأسه محاذية لمنكب أبي بكر . وقد أقيمت على هذه القبور الثلاثة مقصورة من البناء على شكل ذي خسة أضلاع او ثمانية أكثر من ستة أمتار وبين بناء المقصورة الشريفة والشبكة النحاسية الخارحة طرقة سمتها تحولات أمتار وفي زواياها من الجنوب كرسي موضوع عليه مصحف شريف يقال أنه أحد المصاحف الستة التي كتبها عثمان ابن عفان وهذا المصحف هدية من الحاجاج بن يوسف الثقفي وسماه هذه الطرقة بماء بثرات من الذهب والقضه وفي الجهة الشرقية منها فيما يقابل الوجه الشريف كثير من المشاكي بينها ٣١ مشكاة مرصعة بالماس والزرد والياقوت ومطلقة بلسل من الذهب

وعلى جدار المقصورة الشريفة فيما يقابل الوجه الشريف حجر من الماس البرلتي في حجم بيضة الحمام الصغيرة يحيط به إطار من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة ويسمونه بالكوكب الهري لشدة تألقه وهو مثبت في لوحة من الذهب ورصع بحطه بـ ٢٢٧ قطعة كبيرة من الحجارة الكريمة وقدروا قيمة هذه الماسة وحدها بثمانمائة ألف جنيه وهي هدية من السلطان أحمد الأول العثماني أهداها للحجرة الشريفة في أوائل القرن الحادي عشر الهجري وقد علق تحتها كفت من الذهب المرصع بالجوهر وفي وسطه حجر من الماس أصغر من الكوكب الهري وهو هدية من السلطان مراد الرابع العثماني أهداه للحجرة الشريفة سنة ١٠٤٧ للهجرة . وهناك لوح كبير من الذهب منتوش فيه بخط جيل جداً بحجارة من الماس البرلتي « لا اله الا الله محمد رسول الله » وهو هدية من السلطنة عادلة كريمة السلطان محمود الثاني أهدته للحجرة الشريفة سنة ١٢٩١ هجرية . وفي هذه الحجرة شيء كثير من الحجارة الكريمة والجواهر النالية الثمن منها قطعة كبيرة على مثال الكردان مكتوب فيها بالماس البرلتي اسم سيدتنا فاطمة الزهراء وهي موضوعة على مقصورتها الداخلية في الجانب الشرقي . وإلى جوارها عقد من اللؤلؤ الكبير الحجم وعقود أخرى لا تحصى . ومن هناك شمعدانات ومراوح من الذهب مرصعة بالجواهر ومكاسن من اللؤلؤ وقائم ومباخر مرصعة عدا ما في خزائن الحجرة الشريفة من المصاحف المجوهره والتحف الفاخرة والاساور والاقراط والقنود الثمينة مما أهداه تامة المسلمين والسلطات لحجرة نبيهم برهاناً على حبهم له عليه الصلاة والسلام وقد شاع أن الاتحاديين في أثناء الحرب العامة سنة ١٩١٦ — ١٩١٧ قد سرقوا هذه الثغائر وبعضها ولكننا لم نتجيت بعد من هذه الاشاعة

هذا وصف مختصر جداً للحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة على ما هو اليوم وبحسن بناي

وَأَنَّ سُكَّانَهَا أَنْصَارُ بَعَثْتِهِ وَفَضَّلَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُرِيدِيهَا (١)
وَأِذْ أَقَامَ بِهَا مَعَ آلِ هَجْرَتِهِ رَغَدًا وَطَابَتْ بِسُكْنَاهُمْ رَوَّابِنَهَا
أَتَى الصَّحَابَ مَعَ الْأَنْصَارِ مُتَّخِذًا لِكُلِّ ذَاتٍ مِنْهُمْ ذَاتًا تُصَافِيهَا (٢)

هذا المقام أن نذكر ما كان عليه مسجد المصطفى وبيته عليه الصلاة والسلام على عهدنا فنقول :
إن المقصورة الشرفة التي أعلنا وصفها بنيت مكان البيت الذي كان يسكنه مع زوجته عائشة . والمقصورة
التي بجانبها بنيت في موضع البيت الذي كانت تسكنه سيدتنا فاطمة الزهراء مع زوجها أمير المؤمنين
وللهما فيه سيدنا الحسن والحسين عليهم وعلى المصطفى الصلاة والسلام . وكان ليبيت سيدتنا فاطمة
شباك يطل على بيت أبيها المصطفى لئلا يدرس ما كتبه المدققون عن
بيت المصطفى في المدينة المنورة بتدقيق يستطيع أن يستخلص على التقريب أن بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان ذا حجرتين وكان بابيه لجهة الشام على رأي بعضهم ووجه القرب على رأي
آخرين وقيل كان له بابان من الحجرتين وكان من دون هذا البيت منازل أزواجه وكان محيطها مع بيت
عائشة مبنيًا بالطين وقواعطها الداخلة من الجريد المسكوب بالطين والسوح الصوفية هذا كل ما يوصف
به البيت الذي عاش فيه سيد الخلق أجمعين وكان مصدر هداية العالمين عليه الصلاة والسلام وكان
بجانب بيته مسجده وهو الحرم النبوي اليوم وكان وقد تشييد غاية الساطعة فنزل أصحابه المقربين إليه . .

(١) إن سكان المدينة المنورة الذين حلّ بينهم المصطفى والمسلمون المهاجرون هم حلفاؤه
ويطلق عليهم اسم « الأنصار » لأنهم نصرنا دعوتهم وهم من الشرف والمسكاة في الإسلام في
الطبقة الثانية بعد الصحابة من قرئش دليل قول الأنصار يوم البقيعة « منا أمير ومنكم أمير »
فقال لهم عمر بن الخطاب « يل عن الأمراء وأنتم الوزراء » فما اعترضوا

وهؤلاء الأنصار هم الأوس والخزرج وهما بطنان من الأزد وكانت ديارهم مأرب باليمن
فهاجروا مع من رحل عنها بعد سيل الهم في القرن الثاني عشر قبل الهجرة وسروا على يرب فطابت
لهم فزلوها ضيوفاً على سكانها اليهود وكانوا من بني النضير وقرظة وقينقاع وغيرهم على أن يكونوا
تحت حكمهم . وما زالوا خاضعين لمضيفهم اليهود حتى قام عليهم ملك اسمه « القيطون » فظلمهم
فاستنابوا « الأوس والخزرج » بملوك غسان وهم من نملهم من عرب فحططن فنصرهم النسابيون وأوتوا
يهود يرب وانتقل حكم البلد بذلك إلى الأوس والخزرج وذاكوا اليهود في أملاكهم وأصبحت
لهم عصية عظيمة ولهم حروب متوالية في جاهليتهم . وكانت هاتان القبلتان « الأوس والخزرج »
مقتناكيتين فقامت بينهما حروب فسكت فيها دماء كثيرة وظلنا متعاديتين إلى أن أُلِفَ بينهما محمد
عليه الصلاة والسلام عندما ما باسناه على ما تقدم القول في حاشية سابقة

(٢) إذا كانت الأخوة من المبادئ الأساسية لأهل جميع الأديان فمنها على الأظهر بين
المسلمين لما علمت أولاً من اشتراكية العرب التي هي من أصل طبيعتهم والعرب هم أساس الإسلام
ومصدره وبهم اقتسدى المسلمون وبأديانهم تأدبوا . والقرآن الشريف وطد دعائم هاتيك الأخوة
إذ قال الله سبحانه وتعالى غير مرة « إنا المؤمنون أخوة » وفي الأحاديث النبوية الشريفة شيء
كثير عن تأخي المسلمين بحيث لم تجعل ميزة لواحد منهم على الآخر إلا بالتقوى

وعندما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة إلى المدينة المنورة جميعهم وآخى
بينهم على الحق والسواة فأخى بين أبي بكر وعمر وبين حمزة وزيد بن حارثة وبين عثمان وعبد الرحمن

إِلَّا عَلِيًّا فَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ أَحَدًا .
فَجَاءَهُ سَائِلًا وَاللَّعْنُ مُنْبَجِسٌ
وَقَالَ : أَيْنَ أَخِي حَتَّى أَخْأِدَهُ
أَلَمْ أُوَلِّكَ قَبْلًا عِنْدَ هُجْرَتِنَا
إِنِّي أَخُوكَ بِذِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ أَخِي
وَقَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَأَنْتَ لَهُ
وَكَانَ ذَلِكَ بَيْنَ النَّاسِ أَجْمَعِهَا
كَذَلِكَ كَانَ عَلِيٌّ لِلرُّسُولِ أَخًا
وَكَانَ يَحْمِلُ فِي الْيَمِينِ رَأْيَهُ
وَكَانَ صَاحِبَهُ يَقْضِي إِلَيْهِ بِمَا
فَمَا غَزَا غَزْوَةً طَهَهُ بِسُودُودِهِ
وَلَا نَدَا نَدْوَةً لِلْمُسْلِمِينَ بِهَا
وَلَا أَرَادَ لِيخِيرَ الَّذِينَ مَسَّالَهُ
كَذَلِكَ كَانَ وَزِيرَ الْمُصْطَفَى بَيْنَا
قُلُوبَ لَيْلَى رَامَ أَنْ يُخْفِيَ فَضِيلَتَهُ
وَقُلُوبَ لَيْلَى رَامَ أَنْ يَذْنُو لِرُتْبَتِهِ

لِلَّذِي الْأَخُوَّةُ فِي عَالِي مَعَانِيهَا
مِنْ عَيْنِهِ وَبِهِ سَالَتْ مَا قَبِيهَا
قَالَ : خَلَّتْنَا مَاضٍ تَأَخِيهَا
وَعِنْدَ مَا دَعَوْتِي نَادَيْتَ : رَاضِيهَا
وَفِي الْجَنَانِ إِذَا مَا رُخْتُ ثَاوِيهَا
مَوْلَى وَصِيَّةٍ حَقَّ جِثْتُ أَوْصِيهَا
وَوَسْطَ مَجْلِسٍ مَكْنِيهَا وَطَيْبِيهَا
عَلَى الشَّدَائِدِ مَا تَذْمَى دَوَاهِيهَا
وَفَوْقَ أَنْصَارِهِ الْأَخْيَارِ يُغْلِيهَا
فِي نَفْسِهِ مِنْ رَغَابٍ كَانَ يَتَوْنِيهَا
إِلَّا وَحِيدَرُهُ الْقِدَامُ غَارِيهَا
إِلَّا وَحِيدَرُهُ مِنْ مُسْتَشَارِيهَا
إِلَّا وَحِيدَرُهُ قَدْ هَبَّ يُعْجِرِيهَا
أَسَاسِ دَوْلَتِهِ مَذْهَبٌ يَنْبِيهَا
هَبْهَاتٍ فَالْشُّسْ لَا يَخْفَى تَلَالِيهَا
أَهْوَنَ عَلَيْكَ الْتَرِيَّا أَنْ تُدَانِيهَا

بن عوف وبين الزبير وان سمود وبين عباد بن الحارث وبلال وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص وبين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله ثم قال عليه الصلاة والسلام وعلى هذا (وكان بجابه) فهو أخي ووصي ثم مال اليه عليهما الصلاة والسلام وقال : ألا ترضى أن أكون أخاك ؟ قال أمير المؤمنين : بلى يا رسول الله رضيت قتال المصطفى : فأنتم أخي في الدنيا والآخرة .

وبعد أن استقر رسول الله المقام في المدينة المنورة أخى بين المهاجرين والأنصار لتألف قلوب بعضهم ببعض وقال : « تأخوا في الله أخوين أخوين » فتقدموا وتأخوا فكان لكل مهاجر أخ من الأنصار فجاء علي إلى المصطفى عليهما الصلاة والسلام وعيناه دامتان وقال : يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم توادخ بيني وبين أحد فقال رسول الله « يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة » وهكذا كما رأيت أبي المصطفى أن يقرن بعلي أخا غيره عليهما وعلى أهما الصلاة والسلام

تكنية أمير المؤمنين بأبي تراب

أَعْيَا الْجِهَادُ قُوَى الصَّنْدِيدِ حَذَرَهُ وَكَانَ فِي نَصْرَةِ الْإِسْلَامِ مُقْسِمَهَا (١)
وَأَتْلَأَسُ تَعْلَمُ كَمْ عَانَى وَجَاهَدَ فِي خَيْرِ النَّبُوَّةِ أَوْ فِي قَهْرِ عَادِيهَا
وَهُوَ الْخَرِصُ عَلَى تَأْيِيدِ صَاحِبِهَا وَنَشَرَ كُلَّ جَلِيلٍ مِنْ مَبَادِيهَا
وَذَاتُ يَوْمٍ وَقَدْ كَانَ الْمُجِدُّ بِطِينَةِ بَرُوحٍ وَيَقْدُو فِي مَمَاشِيهَا
خَارَتْ قِيَاهُ الْآلِي مَا فِي الْبَرْيَةِ مِنْ يَحْكِيهِ فِيهَا وَلَا شَخْصٌ يَقَاوِيهَا
فَنَامَ مُتَعِدِّاً عَلَيَا مَرَامِهَا بِأَبِيهَا لِحِمَاةِ الدِّينِ يُؤَلِّمُهَا
وَقَدْ تَوَسَّدَ مَا فَوْقَ التَّرَابِ لِيُغْطِي نَفْسَهُ رَاحَةً كَانَتْ تُجَافِيهَا
كَمَا غَفَا غَفْوَةً إِلَّا وَمَرَّ بِهِ مُحَمَّدٌ فِي مَسَاجِدَ كَانَ سَاعِيَهَا
وَقَدْ رَأَاهُ وَعَنْهُ الثُّوبُ مُنْحَسِرٌ رُؤْيَا تَأَثَّرَ مِنْهَا قَلْبُ رَاسِيهَا
وَفَوْقَ جُشَانِهِ ذُرُّ التَّرَابِ فَلَمْ يَحْضَلْ بِهِ وَهُوَ كَارِي الْعَيْنِ غَافِيهَا
فَاسْتَبْرَأَ الْمُصْطَفَى مِنْ حَالِ صَاحِبِ السُّؤْمَى الْآلِي لَمْ يَكُنْ تَالَلَهُ رَاضِيهَا
وَهَالَهُ نَوْمَةٌ قَدْ نَامَهَا وَغَدَا مُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ لَا يُؤْذِيهِ جَافِيهَا
وَهُوَ النَّوْرَةُ فِي دَارِ الرُّسُولِ وَكَمْ بِهِ أَعْتَنَى جُنْدَهُ مَذْكَانَ آوِيهَا
وَكَانَ أَحْنَى عَلَى تَرْفِيهِ عَيْشَتِهِ مِنْ الرُّؤُومِ الْآلِي تَزَعَى ذَرَارِيهَا

(١) ان تكنية سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله «أبي تراب» اختلفت فيها الأقوال باختلاف الرواة وقد اتخذها بعض أعدائه وسيلة للوقيعة فيه فكانوا يذكرونه بها وهم يريدون احتقاره كما أن بعض الملقين الملقين الذين أرادوا عمالة من كان جهم الحط من قدره عليه صلوات الله لفقوا في هذه الكنية حوادث ما هي من الحقيقة في شيء . والحقيقة أن سيدنا أمير المؤمنين كان يحب كثيراً هذه الكنية لدلالاتها في ظاهرها على الزهد الذي كان من أظهر صفاته عليه صلوات الله ولأن ابن عمه وأخاه المصطفى يذكناه بها في حاله كان يحلوه له تذكروا لأنها كانت تذكروهم بأيام شبابه التي أقمها في نصرة الاسلام والجهاد في سبيله الى أن أعلی الله كلمته وذلت في العالمين عقيدته . كما يصر كل انسان ناجح في عمله أن يذكر المتاعب والمصاعب التي مررت عليه حتى فاز بالتجارب أما قصة هذه التكنية فهي أن سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله كان ولا سيما بعد أن وصل المسلمون المهاجرون الى المدينة المنورة بواصل لياليه بأنهم في سبيل خدمة الدين الخفيف الذي تطوع لخدمته باخلاص السلم الصادق الايمان فكان ينفذ أوامر المصطفى ساعياً مجداً لها

فَأَيْنَ مَنْ يَهْدِي الْهَادِي وَكَرِهَتْ
قَدَّرَ رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ يَنْظُرُهُ
ثُمَّ نَوَى قُرْبَهُ فِي خَيْرِ عَاطِفَةٍ
وَأَصَ بِمَسْحِ ظَهْرِ الْبَرِّ حَيْدَرَةٍ
وَصَاحَ فِيهِ أَنْتَبِهْ يَا صَاحِبَ أَنْتَ «أَبُو
صَحَّاحِ الْعَلِيِّ وَخَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى
فَارْدَادَ فِيهِ هَوًى وَالْحَمْدُ فِي فِيهِ
وَسُرٌّ مِنْ كِنْيَةٍ طَابَتْ لِمُسْمَعِهِ
وَكَانَ أَخِيذَهَا ذِكْرِي مُحَلَّدَةً
وَاللَّهُ كَايْتُ أَغْرَارًا قَدْ هَزَّاتِ
وَبِلْ أَمَّا حَرَفَتْ فِي غَيْبِهَا الْكَلِمَ الْغَرَّاءِ أَوْ جِهَلَتْ سَامِي مَرَامِهَا
وَقَدْ أَسَاءَتْ إِلَى الْهَادِي بِذَلِكَ وَلَمْ تَقْنَنَّ وَلَمْ تَكْ ذِي أَوْلَى مَسَاوِيهَا

زفاف سيدتنا فاطمة الى سيدنا أمير المؤمنين

كَبَّتْ بِحَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ فَاطِمَةُ كَمَا تُحِبُّ الْعَمَالِي أَنْ تُتَلَقَّ بِهَا (١)
وَفِي حَيِّ رِبَّةِ الْعَلِيَّاءِ حَدِيثَةٌ قَدْ نَشَتْ كَمَا الظُّهُرُ وَالْآذَابُ تَشْهِيهَا

وهناك . وفي ذات يوم في العام الأول من الهجرة بينا كل مجدا في قضاء بعض مهام الرسالة خارت قواه بعد الجهد الكبير الذي كان ناله فتدبَّر على الأرض ونام تروى العين . شأن العامل التعب الذي لا يمه الا نجاح عمله حتى ولو بافناء قواه . وحدث أن المصطفى عليه الصلاة والسلام مر به وهو على تلك الحالة فباله الأمر واستعبر ولا سيما بعد أن رأى أن رداء المرتضى قد سقط عنه وأصاب التراب جسده الشريف فجلس عند رأسه وجعل يمسح عنه التراب وهو يقول « اجلس إنما أنت أبو تراب » فصحا المرتضى على صوت المصطفى عليه الصلاة والسلام ونهض معه وسارا سوية . وكان المصطفى كثيراً ما يتنادى عاليا بكنية « أبي تراب » تحبياً وتلطفاً كما أن هذه الحادثة ذاعت بين الصحابة والانصار وقصاروا بكنونه « أبي تراب » وقد كانت هذه الكنية من أحب الكنى اليه .

(١) رزق الله المصطفى النبيين والنبات من سيدتنا خديجة ولكن ما سلمت غير بنته وذلك تقدير العزيز الحكيم الذي هيا للسلام أن تكون بركة السلالة النبوية الطاهرة من أخيه وربييه وصنوه سيدنا علي بن أبي طالب من زواجه بسيدتنا فاطمة الزهراء على المصطفى وعليهما وعلى آل البيت الطاهرين صلاة الله وسلامه الى يوم الدين

وَنَفْسُهَا أَنْبَسَتْ مِنْ نَفْسِ وَالِدِهَا وَأَمَّا فَتَى تَحْكِيهِ وَتَحْكِيهَا
تَفَرَّدَتْ بِالذِّكْرِ وَالْعِلْمِ وَاتَّخَذَتْ مِنَ الْخَلَائِقِ وَالْآدَابِ سَامِيَهَا
وَاللَّهُ كَمَلَتْ تَكْمِيلًا مَحَاسِنَهَا أَلْزَمَهَا فَسَافِرُهَا زَاهٍ وَخَافِيَهَا
وَأَمَّا فَرْزَةُ بَيْنِ النِّسَاءِ فَلَا بِنْتُ لِحْوَاءٍ تَدُونُ مِنْ مَعَالِيهَا
وَمَا أَقْرَابُهَا تَقْوَى أَنْ تُصَوِّرَ مَا فَوْقَ الطُّرُوسِ وَإِنْ تَرَكُوْا مَعَارِيفَهَا
وَحَسَبْنَا أَنْ طَمَعًا كَانَ مُطْلَبُهَا عِنَايَةً لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهَا يُعْطِيهَا
وَكَانَ مُنْزَلُهَا تَأَلُّفُ مَنْزِلَةٍ عَلِيَاءٍ مِنْ نَفْسِهِ بِالْيَمِينِ تَأْوِيَهَا
وَكَانَ يَنْظُرُهَا فِي يَتِيمٍ مَلَكًا بِأَدْيِ السَّامَاءِ أَنْشَتْ تَبْدِي تَشْبِيهَا
كَانَتْ تَمُرُّ عَلَيْهِ عِزَّةٌ حَرَمَتْ لَهَا شَقِيقَاتُهَا مِثْلًا وَتَشْبِيهَا
وَكَانَ يَذْكُرُ فِيهَا أُمُّهَا وَبِهَا يَلْقَى خَدِيجَةً فِي أَسَى مَبَادِرِهَا
وَكَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ يُنْجِيهِ مِنْ دَهْرِ سَاعَةٍ فِيهَا يَفَاهِيهَا
وَقَدْ أَرَاهُ إِلَهَ الْعَرْشِ غَمْتُهُ بِهَا وَسَرَى تَبَارِيحُهَا بِعَانِيهَا
وَنَفْسُهُ وَجَدَتْ فِي بَرٍّ فَاطِمَةٍ لَدَى الْخُطُوبِ الَّتِي تَدْهَى تَعَارِيفَهَا
كَانَتْ تُؤَاسِيهِ فِي رَاضِي نَفْسِهَا وَكَانَ فِي عَطْفِهِ الْأَسْنَى يُؤَاسِيهَا
مَا قَالَ فَاطِمَةُ إِلَّا وَأَفْرَحَهُ ذَكَرُ أَسْمَاءِ فَهَوَ لَا يَفْكَ يُسْمِيهَا

أما بنات المصطفى عليه الصلاة والسلام فأربع وهن أم كلثوم ورقية وزينب وفاطمة واختلف الرواة كما سبقت الإشارة في ترتيبهن حسب أعمارهن اختلافًا لا موضع له هنا . وقد تزوجت أم كلثوم ورقية من ولدي عمهما أبي لهب قبل البتة وهما عتبه وعتيبة ثم طلقهما بعد البتة لظفرهما مع أبيهما بالذكور وأبوهما أبو لهب معروف بأنه كان أعدى أعداء النبوة كما هو مشهور . ثم تزوجتا من عثمان بن عفان الواحدة بعد الأخرى . أما زينب فتزوجت من أبي العاص بن الربيع أما سيدتنا فاطمة الزهراء فع أن بعض الرواة حملها أكرم من رقية وبعضهم حملها أكبر من زينب فإنا ليس فقط نرجح بل نؤكد أنها كانت أصغرهن جميعاً لأنها لم تتزوج إلا بعد الهجرة خلافاً لشقيقاتها اللواتي تزوجن في مكة قبل البتة والعرب من عاينهم تزوج بناتهم وهن صغيرات والذي يرجع إلى تاريخ المصطفى عليه الصلاة والسلام يبعد الرواة محمين على أن سيدتنا فاطمة الزهراء كانت ذات منزلة رفيعة عند أبيها المصطفى لم تكن لشقيقاتها ولا لمخلوق آخر مثلهما إلا منزلة سيدنا علي بن أبي طالب الذي كان أعز كل عزيز عند النبي العربي ولا بد للباحث المدقق من أن يعمل الفكرة في السبب الذي دفع المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى تخصيص سيدتنا فاطمة

وَقَدْ أَدَّكَ عَلَيْهِ وَهَوَ وَالْإِذَا
وَكَانَ يَسْتَعِي إِلَى تَقْرِئِهَا أَبَدًا
وَيَسْأَلُ اللَّهَ فِي سِرِّهِ وَفِي عَلَنٍ
فَمَا دَعَتْهُ لِحَاجٍ وَهِيَ تَطْلُبُهَا
وَمَا دَعَاها لِغَيْرِ الْإِبْتِهَاجِ بِهَا
يَقُومُ إِنْ أَقْبَلَتْ كَيْفَا يُشِيرُ إِلَى
حَسْبِ النِّسَاءِ فَخَارًا أَنْ فَاطِمَةُ
نَعَمْ فَقَدْ شَرَّفَ اللَّهُ النِّسَاءَ بِهَا
وَعَمَرَكَ اللَّهُ مَنْ كَانَتْ كَقَامِطَةٍ
وَمَنْ أَبْوْهَا خِيَارُ أَلْخَلْقِ أَجْمَعِهَا
وَمَنْ قُرَيْشٍ وَهُمْ أَسْنَى الْأَعْرَابِ أَهْلُهَا
وَمَنْ غَدَتْ خَيْرَ أَشْئِي فِي شَمَائِلِهَا أَلْحَنَّا لَنِي تَبَهَّرَ الدُّنْيَا وَآهِيهَا

الرهاء بذلك الحب الماز المشفوع بالاحترام والاكرام
ان الأب وكلنا آباء يطر الى أولاده كلهم بأديء بدء بين واحد منهم جيلاً أولاده
وقلقة كبده ويساوي بينهم بنياته بلا تميز وهذا أمر طبيعي عام تساوى فيه جميع الناس
ثم لا بد للآباء بعد أن يترعرع بنوهم ويشبون أن يشعروا من قلوبهم بتفاوت المطف في قلوبهم
نحو أولادهم على تفاوت ما يراه من أخلاقهم فتراه مع جميع أولادهم يتفاضلون الواحد على
الآخر اما لدكاته أو لأدبه أو لكرم أخلاقه أو لما يظهر من العطف على أبيه والبر به وفوق ذلك
قد جعل الله في أنفس الآباء عطفاً خاصاً على صغير الأولاد وعليهم ودية يرمهم من قليل الخبز الابوي
الطبيعي لان الصغير والليل والمقبل هم دائماً أبداً موضع الخنو والعطف
والذي نستفيدة من مراجعة أقوال الرواة أن المصطفى عليه الصلاة والسلام ما خفى سيدتنا
فاطمة الزهراء بحبه الخاص الممتاز الا لأنها كانت صغيرة أخواتها وكانت ممتازة بالذكاء ومكارم
الأخلاق وعاشن الطباع لان مثل المصطفى وهو من العدل والفضل على أسس مرتبة يمد أن يميل
نليه الاقتصار الى سيدتنا فاطمة ذلك الميل العظيم من غير أن تكون جديرة به وأهلاً له وإذا
تقرر لدينا أنها خليفته بذلك الميل النبوي العظيم كان لنا أن نجزم بأنها ما استحققت هذا الميل العظيم
الا لأنها أفضل بات حواء في مكارم الاخلاق .

وتد أجمع المؤرخون على أن المصطفى عليه الصلاة والسلام كان لا يقتضئ له كرب ولا يطيب
له عيش الا اذا رأى سيدتنا فاطمة الزهراء وكان لا يصبر على فراقها طويلاً فيزورها كل يوم وتد يزورها

وَمَنْ تَشَعُّ شَمَاعَ الشَّمْسِ جَنَّتْهَا
وَمَنْ قَيِّمُ الْعَمَالِي وَالْمَخَارِ حَوَّ
هِيَ الْجَزِيرَةُ بِالْكَفِّ الْكَرِيمِ لَهَا
وَالْعَرَبُ تَطْلُبُ أَكْفَاءَ نُزُوجِهِمْ
وَكُلُّ عَقْدٍ يَغِيرُ الْكَفَّ تَحْسَبُهُ
فَمَنْ يَلِيْقُ يَنْتِ الْمُصْطَفَى حَسَبًا
وَمَنْ يُنَاسِبُ طَهَ كَيِّ بَصَاهِرُهُ
عَنْ أَلْفَلِكِي رَيْبِ الْمُصْطَفَى وَلَهُ
فَأَنَّهُ بَعْدَ طَهَ خَيْرٌ مَنْ وَلَدَتْ
وَأَنَّهُ بَقْلُ الْإِسْلَامِ تَعْرِفُهُ
وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِالْشَّرْعِ الْمُسْتَرْفِ بِتَدْرِجِ
وَأَطْهَرُ النَّاسِ نِيَّاتٍ وَأَطْيَبُهَا
وَأَبْلَغُ النَّاسِ أَقْوَالَ وَأَفْصَحُهَا

وَلَا تُتَلَانِي إِذَا لَاحَتْ ثَلَالِيهَا
لَيْهَا إِذَا جَلَسَتْ فِي صَدْرِ نَادِيهَا
مَنْ بِالْمَخَارِ وَالْعَلْيَا يُحَاكِمُهَا
بَنَاتِهَا سِنَّةٌ تَأْبَى تَعْتَرِيهَا
عَارًا عَلَيْهَا لَدَى الْأَقْرَانِ يُخْزِيهَا
وَمَنْ مِنَ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءُ كَافِيهَا
وَهِيَ الْمَصَاهِرَةُ الْمَسْوُودُ مُلْفِيهَا
سَبْقُ الْهَدَايَةِ مَذْ نَادَى مُنَادِيهَا
قُرَيْشٌ مُنْذُ بَرَا الْبَارِي ذُرَارِيهَا
تِلْكَ الْعَرُوبُ الْبَلْبُ أَمْسَى مُجَلِّيهَا
وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِالْشَّرْعِ الْمُسْتَرْفِ بِتَدْرِجِ
وَأَطْهَرُ النَّاسِ نِيَّاتٍ وَأَطْيَبُهَا
وَأَبْلَغُ النَّاسِ أَقْوَالَ وَأَفْصَحُهَا

في اليوم الواحد غير مرة وقد حمل بنتها بجمان بيته الشريف وجل بينهما شابا كالليل علىهما منه كلما اشتاق لرؤياها . كما أجمعوا أيضا على أنها كانت أدل الناس عليه وطالما وسطها أزواجه لديه عليه الصلاة والسلام يتوهمون كما أن أصحابه كانوا يوسطونها لديه بمحوائهم

وكان المصطفى عليه الصلاة والسلام يبالغ ما كرام سيدتنا فطمة الزهراء حتى أنه على ما أجمع الرواة كان يقوم لها إذا دخلت عليه لعلنا لقوم يظن منزلتها عنده . كما أنه كان يستشيرها في أموره وطالما سمع الناس يقول أن رضاه الشريف من رضائها وغضبه من غضبها أو ما هو في هذا المعنى وإذا أردنا الأسباب فيما قيل من سيدتنا فطمة الزهراء لضائق بآمال الكلام فقد أجمع الرواة على أنها قد كانت على أروع مثال من الجمال وأزانت جمالها بمكارم الاخلاق وطيب الحلال كما كانت من الذكاء وسداد رأي والطهارة والنجى في مرتبة الكمال

وبلغت سيدتنا فطمة الزهراء الخامسة عشرة من ربيع عمرها في الياوم الاول للهجرة وطلق المهاجرون يتخذون بجمالها وكلمتها وينبطون الذي سيحوز على شرف القرآن بها وأول من تقدم لخطبتها هو أبو بكر لتقريبه للرووف من المصطفى بآاء . خاطبا فردده عليه الصلاة والسلام ردا جليا بقوله اني منتظر في تزويجها أمر ربي . ومن هذا الاوب النبوي لزداد إعجاب الناس بسيدة العالمين هذه التي لا يكون زواجها الا بوحى من السماء . ثم تقدم لخطبتها عمر بن الخطاب على ما هو معروف من جرأته وادلاله على المصطفى فردده عليه الصلاة والسلام كما ردها أما نكر وحيدته

وَأَزْهَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَزُخْرُفَهَا
وَأَرْحَبُ النَّاسِ صَدْرًا بِالْعَفَاءِ إِذَا
هَذَا الْعَمِيدُ الْمُدَى كَفَّ فَاطِمَةً
لِلذِّكَ اخْتَارَهُ رَبُّ السَّمَاءِ لَهَا
وَقَبْلَهُ عُمَرُ وَافَى بِإِثْرِ أَبِي
جَادًا لِيُخَاطِبَهَا طَهَ قَالَ أَنَا
كَذَلِكَ رَدَّهَا أَرَدُ الْجَبِيلَ لَا
حَتَّى إِذَا أَذِنَ الْبَارِي بِخُطْبَتِهَا
فَجَاءَهَا قَائِلًا : إِنَّ الْعَلِيَّ قَتَلَ
قَالَتْ : أَتَزَوِّجُنِي مِنْ مُتْرِبِ أَبْتَا
قَالَ : وَاللَّهِ لَمْ أَذِنْ بِزَيْجِكَ إِلَّا لِرَأْسِ اللَّهِ رَاضِيهَا
وَمَا تَكَلَّمْتُ فِيهَا قَبْلَ أَمْرِ إِلَهِي فَهُوَ لِي مِنْ سَمَاءِهِ كَانَ مُوَحِّدُهَا

طافق الناس يسألون عن الرجل الكفء الذي سيفوز بهذه الدرّة الثمينة بأمر الله سبحانه ولم
يفت أذكياهم أن ما من كفء لقائمة بين الماهرين والانتصار إلا سيدنا علي بن أبي طالب الذي
كان موضوع إعجاب المصطفى والمسلمين. وحسبنا للدلالة على ما كان لهدى الدين « علي وفاطمة »
من المكانة العليا عند المصطفى شهادة عائشة وهي معها على ما تلمح منها كانت تقول : إنها أحب إلى
رسول الله من علي وفاطمة وما نطق إلا الحق في شهادتها هذه

وفي السنة الثامنة للهجرة أوحى الله لسيدنا محمد أن يزوجه ابنة الزهراء لاختيه وصنوه ووصيه
سيدنا علي بن أبي طالب فسمع ناس ربه وأوعز إلى أبي بكر وعمر أن يشترى إليه بأن يتقدم
لخطبتها فأجابهما لقد نهتني لاسمك عداوة عه وسار من ساعته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى آلهما وسلم وقال له : أتزوجني فاطمة ؟ فبسم رسول الله تسم الراضي وقال : وهل عندك
شيء ؟ قال علي : ليس عندي غير قوسبي ودروعي فحياه المصطفى : أما فريتك فلا بد لك منها
وأما درعك فبها تخرج علي وابع درعه بأربائة درهماً وجاء بها إلى رسول الله مهرأ فاطمة
وسار المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى فاطمة أنزله وقال لها : أي بنية إن ابن عمك
علياً قد خطبك فإذا نقوليس ؟ فبكت ثم قالت : كأنك اخبرني يا أبت لفتقد قريش فقال صلى الله
عليه وسلم : والذي يدي بالحق ما تكلمت في هذا حتى أذن الله لي من السماء فقالت فاطمة حينئذ :
رضيت بما رضي الله ورسوله

والذي ينظر إلى هذا الزواج الذي تم بوحى إلهي لا يسهو إلا أن يقول كما تقول نحن إن
العناية الإلهية هي التي شادت دعائم هذا البيت النبوي فجعلت أساسه المصطفى وعضادته المرتضى

قَالَتْ: إِذْنُ بَيْتِ الْخَلْقِ نَاقِدَةٌ
وَكَانَ أَوْعَزَ طَهَ لِلْعَلِيِّ بَانَ
قَدْ أَنَاهُ أَبُو بَكْرٍ يُبَشِّرُهُ
وَكَانَ مَعَهُ أَبُو حَضْرٍ رَافِقُهُ
قَالَا: أَلَتَمِيزُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فَاطِمَةُ
قَالَ: ذَكَرْتُمَا نِي لَا عَدِمْتُكُمَا
وَسَارَ يَخْطُبُ بِنْتَ الْمُصْطَفَى عَجَلًا
كَذَا أَبُو قَاسِمٍ بِالْبَيْتِ زَوْجَهَا
زُفْتُ إِلَيْهِ بِالْجَلَالِ وَأَخَذَ يَدَ
جَرَى بِرَقِيهِ فِي هَذَا الْقِرَانِ كَمَا
وَقَالَ: بَارِكْ إِلَهَ الْعَرْشِ عَقْدَهُمَا
زَفَافُ سَعْدٍ بِهِ الْأَمْلَاقُ قَدْ شَرَكْتُ
أَيُّ الْبَشَائِرِ أَسْنَى مِنْ بَشَارَةِ ذِيكَ الْقِرَانِ وَهَلْ يُشْرَى ثَمَامِيهَا
بَدْرُ الْحَنِيفِيَةِ السَّحَابُ قَارَنَ شَمْسًا قَدْ أَضَاءَتْ سَنَى مِنْ صُلْبِ وَالِيَتِهَا

وفاطمة الزهراء وهم مصدر البركة التي تدفقت على السليين بآياتهم الطاهرين الطيبين
ولما عزم المصطفى أن يقدم ليلي على فاطمة الزهراء جمع المهاجرين والانصار وخطب فيهم
فقال: « الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، الذي خلق الخلق بقوته ، وهدى بهم بحكمته ، ثم إن
الله عز وجل جبل المصاهرة نبأ وصراً ، وكان ربك قديراً ، ثم إن الله أمرني أن أزوجه فاطمة
من علي علياً بمائة درهم فذرة » وبعد هذه الخطبة الطيبة التفت المصطفى الى المرتضى عليه السلام
الصلاة والسلام وقال : « أرضيت يا علي ؟ » فقال علي : « الحمد لله » وشكراً لأمه وأبيه ،
وأشهد أن لا اله الا الله ، شهادة تبليغه وترضيه ، وهذا محمد رسول الله ، زوجي ابنته فاطمة علي
صداق بمائة درهم ، فاحموا ما يقولوا واشهدوا » فقال الحاضرون : ما تقول يا رسول
الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أشهدكم اني قد زوجتكم » فتقدم حينئذ الناس من المصطفى
والمرتضى هذين مباركين يدعون للعروسين بالرفاء والقبول والقبول . ولا بد أن ملائكة السماء قد
تهلكت بهذا القدر المبارك الذي قضى به رب العالمين

ولما تم العقد على الشكل الشرعي الآنف الذكر دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم « عمر » فوضع
بين يديه فقال : « فتنبوا » فتناول الحاضرون ما طاب لهم . ثم أومأ علي عليه صلوات الله على

وَمِنْهُمَا أَنْتَظَرُ النَّسْلَ الْمُبَارَكَ نَسْلاً لَا أَرْضَ خَيْرَاتِهِ الْكَفَرَى فَخُجِبَتْهَا
فَاللَّهُ كَثَرَهُمْ وَاللَّهُ طَهَّرَهُمْ وَاللَّهُ أَوْجَبَ وَإِنِّي الْإِحْتِرَامَ لَهُمْ
وَرَجَبُهُمْ إِنِّذَا ذُكِرَى لِتَارِسِيهَا
فَنَنْبَأُوهُمْ نَأَوَى الرِّسَالَةَ فِي
وَلِإِنْ عَائِشَةُ مِنْ نَفْسِهَا شَهِدَتْ
قَالَتْ: عَلَيَّ وَذَاتُ الطَّهْرِ زَوْجَتُهُ
شَهِادَةٌ لَمْ تَذَرْ شَكًّا لِزَوَّجَتِهَا
كَأَنَّا أَحَبُّ الْوَرَى طَرًّا لَهَا دِينَهَا

أمير المؤمنين والفزوات النبوية

مَا جَاءَ أُمَّتُهُ يَوْمًا أَخْوَفَ مَقَّةٍ بَرًّا كَمَا جَاءَهَا طَهَّ يُنَادِيهَا (١)
قَدْ دَعَاَهَا إِلَى الدِّنْبِ قُصُولُ عَلَى جِهَاتِهَا بَيْنَ شَرْقِيَّهَا وَغَرْبِيَّهَا

فأدله بكيش أهدي له من سد وأصح فرة أهدي له من جماعة الانصار فكانت وليمة طيبة لمقدما
وفي الليلة التي فيها علي بها علي فاطمة جاءت أم أيمن حاضنة المصطفى بها حتى قدمت في جانب البيت وقد
علي في الجانب الآخر وجاء رسول الله ووجهه يطلع سرورا وبسرا بزواج أحب الناس إليه وقال
لماطمة: اتقي ماء فقامت فتثرت بأذيا لها خجلا وحياء وأنته بقب فيه ماء فأخذه رسول الله
ومج فيه وقال لها: تقدمي فقدمت منه تضح بين نديها وعلى رأسها وقال: «لست أني أعيذها
بك ودرتيا من الشيطان الرجيم». ثم قال أتوني بماء فلم علي بأنه المقصود فعزت إلى عقب ماء
فداه به فصنع مع علي كما صنع مع فاطمة ودعا له عما دعا لها ثم قال: «اللهم بارك فيهما»
وذرك عليهما وبارك لهما في شئهما «وتلا آية «قل هو الله أحد والمودتين» ثم قال لملي: «ادخل
بذلك باسم الله والبركة»

وتدكان هذا الزواج المبارك في السنة الثانية للهجرة وأدبر المؤمنين في الأداة والعشرين من
ربيع عرمه وسيدتنا فاطمة الزهراء السادسة عشرة من ربيع عمرها على المصطفى وعليهما صلوات الله
(١) ليس من فصول العول أن تصدى هذا إلى كلمة في الفزوات النبوية التي جمعت كلمة
الرب على الاسلاء ومهدت لهذه الأمة سبل المجد فسلكتها وأسست مملكة لم يحجر بمثلها أكرمة
فارس وتياصر الروم وطهر فيها البوغ والدكا. الرئين أجل مظاهرها
ان المصطفى صلى الله عليه وسلم نادى ببعته قومه مسالما وما خطر له قط أن يستعمل
الأكراه في دينه بل انه ظل لا آخر عهد بهذا الوحد وهو ينادي «لا إكراه في الدين»
و «لكم دينكم ولي دين» ولو لم يتصد كفار تريث ومشركوها للمصطفى ومن تبه في دينه
بالأذى والاضطهاد لطل رسول الله يدعو إلى دينه بالتي هي أحسن والنتيجة ببر جدال واحدة
وهي سيادة هذا الدين القيم على البلاد العربية ولكن كان لا بد من سطع انتشار الاسلام في ظلال
السلام خلافا للقتال الذي أعجل بشركه فكان الدين السائد على جزيرة العرب في سنوات معدودات وهو القتال

وَقَدْ دَعَاها إِيَّيَّ الْأُخْرَى تَنَالُ بِهَا سَعَادَةَ الْخُلْدِ فِي قَرْوُوسٍ بَارِبِهَا
وَقَدْ دَعَاها إِيَّيَّ أَرْقَى الْخَلَائِقِ وَالْأَلَا م دَابِ دَعْوَةٍ مِّنْ يَّغْنِي تَرْقِيَهَا
فَمَا رَأَى غَيْرَ جَهَالٍ لَهُ طَلَبُوا الْأَمْ دَى وَلَمْ يَكُ أَيْنَهُ اللَّهُ مُؤْذِنَهَا
وَلَمْ يَنْتَلِ سِوَى حِطِّ الصَّبِيحِ إِهْمَا نَابَتْ مُنَوَّعَةً رَّابِ تَنَالِيَهَا
ثُمَّ تَمَادَتْ قُرَيْشٌ بِالْعَدَاوَةِ رَا مَتَّانٌ تُبَيِّنَاتُ الَّذِي قَدَّرَامُ يُخَيِّنَهَا
وَمَا أَكْتَفَتْ بَلَّ تَعْدَتُهُ لِمَنْ تَبِعَتْهُ بِالْأَذَى أَخْرَجَتْهَا مِنْ مَّاءٍ وَنَهَا
وَبَعْدَ هُجْرَةٍ طَهَ مَعَ صَحَابَتِهِ لَمْ يَنْجُ مِنْهَا وَلَمْ تَقْصُرْ تَعْدِيَهَا
تَبِعَتْهُ وَهَمَّتْ أَنْ تُحَارِبَهُ فِي دَارِ هِجْرَتِهِ أَوْ فِي ضَوَائِحِهَا

الذي اختاره المشركون حكماً بينهم وبين المؤمنين وهكذا يكون أهلنا في قد نزل على حكمهم تاركاً
لسيف الفصل بين الحق والباطل وعنده الثبات اليقين

فلنا ان النتيجة في هذا النزاع الذي شجر في جزيرة العرب بين محمد بن عبد الله عليه الصلاة
والسلام وأعدائه المتكررين واحدة وهي سيادة الدين الحنيف . وذلك لان الاسلام هو أبسط
الاديان في حقيقته لا يكلف الانسان أن يتقيد بما لا يدره بحسب ولا يقبله عقلاً فيجأ الى تسلم
بغير فلسفة ولا اعتراض وذلك لان كل ما يطلبه من تائبه أن يشهدوا أن « لا اله الا الله » وكلمة
التوحيد هذه هي أساس الاسلام وحقيقته الناصية . واذا أراد أن يتوسع الانسان في تفهم الحضرة
الالهية التي أوجب الاسلام لها الوحدة المطلقة علمه القرآن أن الله هو واحد لا ولد له ولا ولد
ولا أول ولا آخر وهو مبدع الخلاق وهو الجزوي على الخير خبيراً والجزوي على الشر شريراً وهو
وحده الواجب الوجود الذي يبعد دون سواه . وتسليم الناس بهذه الصفات التي تدور حول الوحدة
الالهية ليس من الصعوبة في شيء لأنهم أجمعوا أو كادوا يجمعون على أن هذا العالم له صانع أو خالق
وأن هذه النفس لها خالدة بعد مفارقة الجسد بالموت ولها لتحرز على أعضائها ان صلحت بالخذلان
وان ساءت يسمي جحيم . نعم ان الناس كادوا يكونون مسلمين بهذه الحقيقة ولكنهم اختلفوا في
معرفة الله فأشرك بعضهم به بعض مخلوقاته وبعضهم جزأ خصائصه الالهية لخلقها بمجموع آلهة وبعضهم
قال غير ذلك وكلمة هزيان لا يقبله العقل الا بالتسليم المطلق بغير بحث ولا حدال

ولم يدم الساس أنبياء قالوا بالتوحيد ونادوا به منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة
والسلام . على أن ملة سيدنا ابراهيم تميزت بين العرب واليهود واسماعيل واسحق ورثة موسى
كانت لقومه دون سواهم ولذلك جمع سيدنا موسى بين الدين والجسية فلم يكن للزبيب نصيب
من التوحيد الذي جاء به . أما العبرانية فهي على التوحيد أيضاً وما من نصراني لا يقول « لا اله الا الله »
ولكن يريد العبراني أن يقولوا أن الله الواحد له ثلاثة أقنوم هم الاب والابن والروح القدس وان هؤلاء الثلاثة هم الله الواحد الواجب الوجود وان الاقنوم الثاني هو الذي
تجسد وصار انساناً فهو من سيدنا عيسى عليه السلام الى آخر ما قالوا بما لا يقبله العقل البشري الا بمطلق
التسليم وهذا خلا منه الاسلام فيجعل في اعتقاد التوحيد تعقيداً بل أطلقه على بساطته فقال « هو

وَعَمَّتْ فِي جَمِيعِ الْغُرُبِ دَعْوَاهَا
وَكَانَ رَأْسُ الْهَدَاةِ الشَّرِيفِ أَبُو
لِذَلِكَ قَدْ نَزَلَتْ آيَةُ الْجِهَادِ عَلَى
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْكُفْرَ مَحْشُوكٌ
وَلَيْسَ مِنْ حَكَمٍ إِلَّا السُّيُوفُ بِمَا
وَمَا عَمُوا بَصَرًا لَكِنْ بَصَائِرُهُمْ
صَمُّوا عَنِ الْحَقِّ إِذْ نُوذِرُوا لَهُ وَأَيُّوا
وَمَا رَضُوا خَالِقًا حَقَّ عِبَادَتِهِ
وَأَذَنُوا الْمُصْطَفَى حَرْبًا لَقَدْ حَسِبُوا
لَعَلَّهُمْ جَعَلُوا أَنَّ الْإِلَهَ يُمْنِنَاهُ الْقُوَّةَ مُخْزِيَهُمْ وَحَامِيَهُمْ
فَإِذْ الْمُصْطَفَى بِالْحَرْبِ مِنْ بَنَاتُوا عَلَى الضَّلَالَةِ تَذَاهَهُمْ مَسَاوِيَهَا

الله الواحد . و جاء به القرآن موحي . على محمد بن عبد الله وبني يديه التوراة والإنجيل مصدقاً
بهما ومادياً بهذا التوحيد البسيط المقول والمنقول فلا عجب أن تكون له السيادة على المقول .
وكان في القرآن من العدل والفضل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحض على كرامات الاخلاق
ما يبيح للناس السعادة في هذه الحياة والارتقاء في هذا الاجتماع ؟ لذلك لما تقول لو لم يخرج
كفار قريش ومشركوها المصطفى لساد دين محمد بالحجة والبرهان والموعظة الحسنة بغير جدال
كما دلت النصرانية من قبله ولكن قد يكون فوزه بالسلام طبعاً كما اشترت النصرانية قبلاً ببطء
وقد فوت ببطء انتشار الاسلام النجاح العظيم الذي صادفه العرب ليس يسوقهم فقط بل بالنسبة
الالهية التي عضدتهم أولاً وأخيراً حتى تم لهم من انتصحه وسعة الملك في أعوام معدودات ما لا
يتصور لقوم مثلهم على خستوتهم ولذلك كان الاجماع على أن انتصارهم ذلك كان بمجزة سموية
ولتند بعد هذه المقدمة الى النزوات النبوية فن المصطفى عليه الصلاة والسلام تدرج فيها
تدرجاً ثابتاً باعلان دعوته مسلماً ثم أوحد له الله في الالوس والخرج أنصاراً هاجرين مكة اليهم
بأصحابه تخلصاً من أذى قريش فأبى القرشيون الا أن يعملوا على الزكاة به فأرسلوا أولاً من يتبع
خطواته وهو فئدة الى المدينة من ظلمهم ليميدوه الى مكة فاستحوه أو يقتلوه ولما فشلوا في هذه الرغبة
أخذوا يجمعون كلمة العرب على قتاله حينئذ أذن الله له ولاصحابه وأنصاره بماتة اشركين لبيبن
أولهما الدفوع عن النفس باذلة المتدين وثانيهما الدفوع عن الدعوة بإدائه الذين ترضوا لها فكانوا
يقنون المهدين بالاضطهاد والتعذيب ويصدون الآخرين عن الهدى عنوة ومحاوله منع الداعي
ببليغ دعوته بسبه والسخر به ثم محاولة قتله

أما أمر الله بالة الى قد جاءه في مواضع شتى من القرآن اذ قال الله « أذن للذين يقاتلون

وَمَنْ غَدَا حَسَدًا مِنْهُمْ لِيُعْشِيَ
وَحَوْلُهُ نَفَرٌ مِنْ آلِ هُجْرَتِهِ
يَحُوطُهُمْ حِفْظَةً أَهْصَارُ شِرْعَتِهِ
وَالْمُرْتَضَى كَانَ فِيهِمْ حَلْفَ أَحْمَدَ فِي
مَا كَانَ يَبْعُدُ عَنْهُ قَيْدُ أُمَلَّةٍ
أَوْ كَيْ يُنْفِذَ لِلْهَادِي أَوَامِرَهُ
وَكَانَ أَبْسَلُ صَنْدِيدٍ بَيْشِ رَسُولٍ
(وَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَةُ تَعْرِفُهُ)
وَارْجِعْ إِلَى غَزَوَاتِ الْمُصْطَفَى لَتَرَى
وَأَنَّهُ قَدْ قَضَى كُلَّ أَلْمَازِي مَعَ الْهَادِي وَجَاءَ مِنَ الْآلَاءِ عَلَيْهَا

أَنَّهُمْ طَامُوا وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى نَهْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَنِي حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَنَّا
اللَّهُ ، وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هُدًى مَوَاسِعَ وَيَسَّعَ مَوَاسِدَ وَمَسَاجِدَ يَذْكُرُ فِيهَا أَمْرَ
اللَّهِ كَثِيرًا ، وَلِيُصَرِّحَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنْ اللَّهُ أَقْرَبُ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَامِهِمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَهُ طَائِفَةُ الْأُمُورِ « أَهْ » وَأَنْتَ تَرَى فِي
هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ إِنْ سَبَّحَ أَذُنَ اللَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْقِتَالِ هُوَ طَلَمُ الْمُشْرِكِينَ لَهُمْ وَمَا ذَنْبُهُمْ إِلَّا قَوْلُهُمْ
« رَبَّنَا اللَّهُ » فَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ هَذَا الْإِعْتِقَادَ . ثُمَّ إِنْ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ أَجْطَلُ قَوْلِ الْقَائِلِينَ بِسَدَمِ
صَلَاحَةِ الْقِتَالِ لِنُفْرِ الدِّينِ بِقَوْلِهِ أَنَّهُ لَوْ لَا أَنْ يَدْفَعَ النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هُدًى مَوَاسِعَ وَالْمَسَاجِدَ
وَتَطَلَّتِ الصَّلَوَاتُ وَضَاعَ ذِكْرُ اللَّهِ مِنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ . ثُمَّ إِنْ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ أَبَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمَدَّةَ لَهُمْ
الْإِتِّصَارَ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي جَمَعَهَا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فِيهَا الْحَبِيرُ كَلَهُ وَهِيَ
الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالْإِسْمُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ أَيْضًا فِي سَبَابِ الْقِتَالِ قَوْلُهُ تَالِي « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ
— وَلَا تَتَدَا — إِنْ اللَّهُ لَا يَجِبُ لِلْمُتَدِينِ — وَاتَّقُواهُمْ حَيْثُ تَقْتَضِيهِمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ
أَخْرِجُوهُمْ — وَالْقِتَّةُ أَعْدَدُ مِنَ الْقِتْلِ — وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى تَمُوتَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ذَنْ
قَاتِلُوهُمْ قَاتِلُوهُمْ كَذَلِكَ حَزَاءُ الْكَافِرِينَ — ذَنْ أَنْتُمْ ذَنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ — وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا
تَكُونَ قِتَّةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ — ذَنْ أَنْتُمْ وَلَا عَدُوٌّ إِلَّا عَلَى الطَّالِبِينَ — الشَّهْرَ الْحَرَامَ بِالنَّهْرِ
الْحَرَامَ وَالْحَرَمَاتُ قَصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَآتُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ « أَهْ » وَأَنْتَ تَرَى مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ مَا يَحْلِقُ أَنْ يَصْدُرَ عَنِ الْإِلَهِ
الْوَاحِدِ السَّادِلِ الْمُؤَدَّبِ الْقَهَّارِ الْحَرِيمِ لِحُبِّهَا بَيْنَ الْمَدَامِ عَنِ النَّفْسِ وَتَأْدِيبِ الْمُتَدِينِ وَابْطَالِ الْقِتَّةِ
وَالْإِتِّصَارِ لِلدِّينِ اللَّهُ

أمر المؤمنين في غزوة بدر الكبرى

لَا تَقْرَبُوا مِيرَاثَهُمْ يَوْمَ يُخَالَفُكُمْ نَهْلُكَةً أَخْلُقَ مِنْ حَارِبٍ أَبَارِي يُلَاقِيهَا (١)
وَنَاهَا يَحْتَالِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَمْرِ زَرْاءَ فَادِحًا أَلْمُؤَذِّي وَقَاسِمًا

وفي القرآن أشباه هذه الآيات الكريمة العادلة التي أنزلت على محمد بن عبد الله لمرء الدين وردع الظالمين المعتدين. لا جرم أن الاسلام كان ولا يزال مسلماً من سالم أهله اذ قال سبحانه وتعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبرؤهم ، وتسقطوا اليهم ، ان الله يحب للقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قتلوك في الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم ، أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » اهـ . وفي هذه الآيات الكريمة تتجلى روح الاسلام السامية العادلة بأجلى تلالها لدى النصيحة

أما الحروب النبوية وهي التي جرت على عهد المصطفى عليه الصلاة والسلام فتقسم الى غزوات وسرايا أما الغزوات فهي التي حضرها رسول الله بنفسه وأما السرايا فهي جمع سرية وهي القصة من الجيش وأطلتها المؤرخون على الغزوات التي أرسلها المصطفى مع أحد قواده

والغزوات النبوية سبع وعشرون غزوة حضرها المصطفى بنفسه ولكنه لم يحارب فيها الا في غزوة أحد وحضر علي المرتضى عليه صلوات الله كل هاتيك الغزوات فكان مجلي الحيلة وقارس الميدان ولم يتخلف الا عن غزوة تبوك وهي الاخيرة بأمر المصطفى عليهما الصلاة والسلام وأهم الغزوات النبوية هي بدر الكبرى ، وأحد ، وبني النضير ، والخندق ، والحديبية وغيره ، وفج مكة كرمها الله ، وتبوك . وللمرتضى عليه صلوات الله في هذه الغزوات الكبرى من الأعمال العجيبة والآثار الخالدة ما نحن ذاكروه مفصلاً في هذه القصيدة المباركة ومذلوله بالذبول السكاكية ان شاء الله تعالى

(١) يحسن بنا هنا أن نجمل أنباء الغزوات النبوية قبل ذكر غزوة بدر ليلم قاري علويتنا المباركة هذه بمجمل ما كان من أمر الجهاد الذي أفضى الى انتصار كلمة « لا اله الا الله » في المالمين فتقول .

عرف القاري الكريم مما تقدم في المتن والحواشي عداء قريش للمصطفى ومن تبعه من المسلمين واستمر لهم على هذا العداء حتى بعد الهجرة وذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطع الطريق بين مكة والشام ليصادر تجارة قريش وهم أعداؤه وذلك طريقاً وأتت تمل أن يقطع الطريق التجارية تورث قريشاً ذلاً وضيقاً وقد رأى هذا بداً لاستثنى من مقامه في المدينة النبوية وقضى فيها مع أصحابه نحو الحول . ففي صفر من السنة الثانية للهجرة خرج رسول الله بأصحابه وأنصاره الى « ودان » بين الفرع والابواء وتبعد عن المدينة ست مراحل وعن مكة أربع مراحل . وأراد بخروجه أن يحارب قريشاً وبني حزة وهم نخس من كنانة فودعه بنو حزة ولم يبق على قريش وعاد من غير حرب الى المدينة فقام بقية صفر وصدر ربيع أول وفي مقامه في المدينة أرسل سرية بقيادة عبيدة بن الحارث فوصل الى ثنية المنيرة في شمال قديد من يادية مكة ولقي فيها جمعاً من قريش ولكن لم يحدث قتال بينهما . وبث عليه الصلاة والسلام سرية أخرى بقيادة عمه جوة بن عبد المطلب الى سيف البحر من ناحية الميصر وهو مكان على ساحل البحر بطريق قريش

فَكُنْتُ تَلْقَى دِمَاحًا وَهِيَ جَارِيَةٌ عَلَى السِّلَاحِ فَيُؤْذِي أَلَمِينَ قَانِيهَا
وَكَانَتْ أَلْحَشُ أَهْلَكَ هُنَا وَهَنَا مَنُورَةٌ وَلَقَدْ غَطَّتْ رَوَابِيهَا
وَكَانَ أَسَدٌ أَعْدَاءَ الشَّرِيفَةِ حَظًّا هَارِبٌ قَدْ تَخَفَى عَنْ مُجِيبِهَا
وَكَانَ فِيهَا عَلِيٌّ رَبٌّ نَجَدَتِهَا يَلْقَى الْأَعَادِي فَيُضْنِيهَا وَيَسْوِيهَا
وَأَيْهَا عَرَفَتْهُ فِي مَوَاقِعِ السَّحَرَاءِ أَيْسَلَ مَنْ ضَحَّى أَصَاحِبِهَا

التي كانوا يأخذون منها طريقهم الى الشام فلقى أبا جهل بن هشام بسلامة فارس من قريش وكاد
يتشبك الجمان لولا وساطة مجدي بن عمرو الجهني الذي حال بينهما فلم يحدث قتال
وفي شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة خرج رسول الله بالمهاجرين والأنصار يريد
قريشاً فلما بلغ « بواط » وهو موضع قرب جبل رضوى على مسيرة يوم من ينبع وعلى سبع مراحل
من المدينة وهناك طريق يختصرها العرب الى الشام . على أن المصطفى لم يجد هناك أثراً لقريش
فعاد الى المدينة ولم يلق كيداً

وفي جمادى الأولى من السنة الثانية خرج رسول الله بالمهاجرين والأنصار غازياً فقتل في
موضع اسمه « المشيرة » وهو واد قرب ينبع قتلاً فيه جمادى الأولى وليلياً من جمادى الثانية
ووادع هناك بني مدلج ومن حلقهم من بني حنظلة وفي أثناء إقامته في المشيرة بث سريّة بقيادة سعد
ابن أبي وقاص للاستكشاف فملت الحرار وهو واد من مكة قرب قديد وعاد اليه ولم يلق كيداً
وبعد عودته عاد رسول الله الى المدينة المنورة بغير حرب

وبعد أن أقام رسول الله في المدينة قليلاً انتهى الى سمه الشريف أن كرز بن جابر النهري
أغار على سرح المدينة « أي رعاتها الذين يسرحون بالمواسي » فخرج في طلبه بالمهاجرين والأنصار
فبلغ « سفواقي » وهو واد من ناحية بدر فلم يدركه وعاد الى المدينة وأقام فيها الى رمضان . وفي
أثناء إقامته هذه أرسل سريّة بقيادة عبد الله بن حشش بكتاب محتوم أمره أن يفتحه بعد أن يبعد
مسافة يومين عن المدينة قصدع بالأمر حتى اذا أبعد يومين فتح الكتاب واذا فيه « اذا نظرت
كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فتزصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم »
ففى الى نخلة فرت به غير لقريش وفيها عمرو بن الحضرمي وكان محالفاً لقريش وكان ذلك آخر
يوم من رجب فلم يحفل عبد الله بن حشش باليوم الحرام ولا وقف عند حد أمر رسول الله من
الترصد فقط بل هاجم عمرواً ومن معه قتل عمرواً وأسر اثنين من الرجال الثلاثة الذين كانوا معه
وهرب رابعهم وعاد عبيد الله بالأسيرين والغير الى المدينة . فاستاء رسول الله مما كان وازداد
استياءه لما حدث من الشغب بين المسلمين اكباراً لحرب أثارها عبد الله في يوم حرام . فقتل الله
القتلة بأية « يسألوئك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟ قل : قتال فيه كبير ، وصدد عن سبيل الله ،
وكفر به ، والمسجد الحرام ، واخراج أهله منه ، أكبر عند الله ، والقتلة أكبر من القتل ، ولا
يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » فلما علم المسلمون بهذه الآية الشريفة
سكنت تأثرتهم ، واستلم رسول الله الأسيرين وعدّ العير غنيمةً ثم اقتدت قريش أسيرها
وفي يوم الاثنين لثمان خلون من شهر رمضان المبارك أو تسع من السنة الثانية للهجرة
« ٥ مارس سنة ٦٢٤ هـ » خرج رسول الله بمن أطاع دعوته من المهاجرين والأنصار

وَأَنَّهُ أَفْرُسُ الْقُرْسَانِ أَعْظَمُهُمْ فَكَأَنَّ قَالَ بِأَكْبَرِهَا وَنَاعِبَهَا
كَانَ الْمُبَارِزَ فِيهَا وَالْمُقَاتِلَ وَالْمَنْصُورَ وَالرَّافِعَ الْأَعْلَامَ مَرِيئَهَا
وَأَسْتَأَقَ الْمُصْطَفَى أَمْرَى قُرَيْشٍ فَنَزَلَ قَضَى عَلَيْهَا وَمَنْ قَدْ كَانَ يَغْدِرُهَا
وَقَدْ حَتَّى أَحْمَدًا فِي وَسْطِ قَبِيلِهِ أَلْعَلَّيَا أَلْنِي كَانَ رَبُّ الْوَرَشِ حَامِيَهَا
حِمَايَةً مَا لَهَا إِلَّا أَلْعَلَّيُّ وَطَسَهُ كَانَ غَايَةً عَادِيَهَا وَرَامِيَهَا

وكان عددهم ٣١٤ رجلاً منهم ٩٣ من المهاجرين و٦١ من الأوس و١٧٠ من الخزرج للفزوة
لأنه صلى الله عليه وسلم كان قد علم أن أبي سفيان كان خرج من مكة ثلاثين أو أربعين فارساً بجافة
من المير فذهب إلى الشام بتجارها فأخذ يترقب رجوعها حتى إذا ما اتصل به نبأها وهي عائدة
خرج لفزوها حتى إذا ما قرب من الغراء بث الميون إلى بدر لاستطلاع خبرها . أما أبو سفيان
فقد كان على حذر من محمد وأصحابه فلما عاد إلى الحجاز علم أن محمداً خرج إلى لقاءه فأرسل رسولاً
من قبله إلى مكة يستنصر قريش لتأمين طريقه وحماية عيرها فمرت إليه وعلم محمد بنفرتها وهو قريب
من بدر فاستشار أصحابه وانصاه مما في الأسر فأشاروا بمحجم بالقتال حيث قال المصطفى: «سيروا
وابشروا أن الله قد وعدني إحدى الطائفتين» والله لكأنني أنظر إلى مصارع القوم . ثم أرسل
عليه الصلاة والسلام حتى إذا وصل قريشاً من بدر بلغه أن أبي سفيان نجح بالمير وأن قريشاً وراءه
وادي بدر وهي مهرة على البقاء هناك لحضر الموسم الذي كان يقيم العرب لكي لا يقال لهم
جبنوا فهربوا من المسلمين وقد نزلت قريش سدوة وادي بدر الدنيا ونزل المسلمون على أول ماء من
بدر ثم انتقلوا منه إلى أدنى ماء من القوم وابتنى المصطفى عريشاً له أقام فيه

وفي صباح الثلاثاء ١٧ رمضان من السنة الثانية للهجرة «١٣ مارس سنة ٦٢٤ مسيحية»
ابتدأت الحرب بالمبارزة حسب عادة العرب فخرج من المشركين ثلاثة وهم عتبة بن ربيعة بن عبد
شمس وابنه الوليد وأخوه شبة فبرز لهم ثلاثة من الانصار فقال القرشيون لا حاجة لنا بكم نحن
نطلب اكفاءنا من بني عمناء فخرج لهم حمزة بن عبد المطلب فكان بإزاء شبة وعبيدة بن الحارث
ابن المطلب فكان بإزاء عتبة وطلح الأسلام الأكبر علي بن أبي طالب فكان بإزاء الوليد أما حمزة
وعلي فما أمهلا أن جندلاً صاحبهما وأما عبيدة وشبة فاختلفا ضربتين متكافئتين وفي الحال هجم
حمزة وعلي وأجزا على شبة واحتملا عبيدة وهوجرح إلى صفوف المسلمين . وعلى أثر هذا البراز ابتدأ
الهجوم بين الصفوف ولم تطل الحرب في ذلك النهار وانجلت عن ظهر المشركين وقتل عدد من
صناديدهم فيهم أبو جهل بن هشام وأسر المسلمون منهم نحو السبعين وهرب الباقون . فاستاق علي بن أبي
طالب هؤلاء الأسرى إلى المصطفى وأمر يسوقهم إلى المدينة المنورة حتى إذا ما وصلوها كانت يثأر
النصر قد وصلتها مع السعاة فاستقبل الناس المنوك النبوي بالتهليل والتكبير وأسروا المصطفى بقتل
اثنتين من الأسرى هما النضر بن الحارث وعقبه بن أبي ميط لما اشترا به من القتل في عداوة
المسلمين والجهر في سبال الشريعة والمصطفى ووزع الباقيين على الناس وأوصى بهم خيراً فما زالوا يعتد بهم
إلى أن اقتدتهم قريش وبضهم أطلق سبلهم المصطفى يفر قديراً منه وجعل قديراً الذين يكتبون
منهم تلم أولاد المدينة القراءة والكتابة وكان الفراغ من هذه الفزوة في نهاية رمضان وشهد المسلمون
عيد الفطر في المدينة

وَقَدْ تَصَدَّى لِأَعْدَاءِ النُّبُوَّةِ كَيْ يُزِيلَ عَنْ رِبَّتِهَا مُؤَذِي تَصَدَّرَ بِهَا
وَكَمْ أَرَادَ عِيْدِي الْإِسْلَامَ نَكَبَتْهُ بِأَلْمُصْطَفَى فَخَزَى الْبَارِي مُرِيدِهَا

أمر الموصي في غزوة أُمَد

وَالْمُصْطَفَى فَعَالَ الْمَطَرُ فِي أَحَدٍ بِعِيَا وَيَعْبُزُ رَاوِيَهَا وَمُحْصِنَهَا (١)
فَكَمْ بَنَزَرَتْهَا الْكُفَّارُ قَدْ نَكَبَتْ بِسَيْفِهِ وَهُوَ بِأَذْنِ اللَّهِ نَاكِهَا
فَلَمْ يَزَلْ مَعَ مَنْ حَوْلَهُ تَضَرُّعُهَا سُيُوفُهُمْ فَخَلَقَهَا هَوَادِيهَا
حَتَّى أَنْجَلَتْ هَرَبًا عَنْ شَرِّ مَوْقِعِهَا أَمَامَهُمْ وَعَلَيْهِ أَقْرَمَ مُجْلِسَهَا

والذي يطلع على تفصيل هذه الغزوة في المطولات يجد سيدنا علي بن أبي طالب عليه صلوات الله القدح الملى في الفوز قد كان أول من افتتح القتال مع صاحبيه في البراز . ثم كان في مقدمة مصفوف المسلمين عند الهجوم الدام وفي أثناء القتال لحظ أن المشركين قد اتخذوا قبة المصطفى غرضاً لسهامهم وأنهم يتصدون بالذات وهم يعتقدون أن في موته عليه الصلاة والسلام موت دينه وثلاثي أتباعه فاتخذ على طاقه حاية ابن عمه في قتله عليهما الصلاة والسلام فوقف الى جانبها متبرئاً الى النبال التي كانت تساقط حوله كالطير وهو يرمي رامياً بقلبه فجندل عدداً كبيراً منهم ثم استل سيفه ذا الفغار وهاجم الناس فأبلى بهم أحسن بلاء فكان آخر من ضرب بسيفه كما كان عليه صلوات الله أول الضاريين

(١) بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر لم يبق في المدينة سوى سبع ليالٍ وبسدها سار يريد غزوة بني سليم فبلغ ماء هُسم يسمى « الكدر » فأقام عليه ثلاث ليالٍ ثم رجع الى المدينة من غير حرب وأقام فيها الى بقية شوال وذى القعدة أما أبو سفيان فكان حينما رجع مقهوراً الى مكة المكرمة بقلوب بدر نذراً لا يمس رأسه من جنانة حتى يئار لنفسه من بدر ويبرزو محمداً فخرج معي ركب من قريش برأ يمينه يريد المدينة فزال محمداً حتى بلغ بني الضبر على نحو يريد من المدينة وهم يهود كانوا قد حالفوا المسلمين فقتل عليهم وطلب محالفهم على محمد فرفضوا مناصرته برأ بخلفهم ولكنهم أودوه واكرموا مثواه ثم خرج في عقب ليته حتى أتى أصحابه فيث رجالاً منهم فأثوا ناحية يقال لها الدريث فخرقوا ثيابها ووجدوا فيها رجلاً من الانصار قتلوهما ثم خرجوا راجعين . فلما بلغ المصطفى ما فعل أصحاب ابو سفيان بالنخيل وبصاحبيه خرج في طلبه حتى بلغ قرقرة الكدر فاستتر عليه وكان قد فاته وسيمت هذه الغزوة بغزوة السوق لكثرة ما طرح المشركون فيها من أزوادهم التي أكثرها السوق حتى يتحققوا للنجاة

ولما رجع المصطفى عليه الصلاة والسلام من غزوة السوق أقام في المدينة بقية ذي الحجة ثم غزا محمداً يريد غطفان فأقام في نجد صفراً ولم يحارب وعاد الى المدينة فأقام فيها ربيع الاول وفي أواخره خرج يريد قريشاً فبلغ « بجران » وهو مدن في الحجاز بناحية « الفرع » فأقام هناك ربيع آخر وعاد سير حرب الى المدينة المنورة وفي عودته غزا بني قنقاع

وَكَاذَبَتِ النَّصْرَةُ الْكِبْرَى تَيْمٌ لِأَصْحَابِ الرُّسُولِ وَتَوَلَّيْنَاهَا أَمَانِيهَا
لَوْلَا الرُّمَاءُ الَّتِي أَخَلَّتْ مَوَاقِعَهَا مِنْ قَفْوَةِ الْجَبِينِ يَغِي السَّلْبُ مَخْلِبَهَا
إِذْ ذَلِكَ عَادَتْ قُرَيْشٌ مِنْ وَرَاءِ صَفْوِ
وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَرْدَتْهُ حَامِلٌ رَا
وَفَاجَأَتْهُمْ تَنَادِي مَاتَ أَحْمَدُ كُمْ
وَالْمُسْلِمُونَ لَقَدْ ضَلُّوا سَبِيلَهُمْ
وَيَسْمَا تَجْمَعُ الْأَسْلَابُ زِمْرُهُمْ
فَقَرَّ مَنْ قَرَّ مِنْهَا لِلْمَدِينَةِ أَوْ
مَنْ قَدَّ أَوْى فَرَقًا دَانِي ضَوَاحِبَهَا

وبنو قنقاع هؤلاء قوم من اليهود كانوا جاهدوا رسول الله ولكن بعد موقعة بدر أخذت
تبدر منهم بوادر تنم عن أنهم غير غلصتي العهد للمسلمين وحدث في شهر ربيع الآخر من السنة
الثانية للهجرة أن امرأة مسلمة كانت في سوق بني قنقاع فاعتدى عليها يهودي منهم اعتداءً قبيحاً
فصاحت مستغيثة فأغارها رجل من المسلمين فقام إلى اليهودي المتندي وقتله فقامت عليه اليهود
فقتلته فلما بلغ هذا رسول الله خرج إلى غزو بني قنقاع وحاصرهم في ديارهم خمس عشرة ليلة نزلوا
على حكمه في آخرها فاجلاهم من ديارهم فخرجوا إلى أذرعات في الشام وسكنوها
وفي هذه الاثناء بلغ المصطفى أن قريشاً حذرت طريقها المتداد وأخذت تسلك إلى الشام
طريق المراق فأرسل إلى لقاها ساربه بقيادة زيد بن حارثة فالتقوا على ماء القروة من مياه نجد فصاب
عدهم وسارها إلى المدينة أما الرجال فتجأوا منه هارين بأنفسهم
وكان رجل في المدينة يدعى كعب بن الأشرف وهو يهودي من طيء ثم من بني تيهان وأمه
من بني النضير وكان حياً في مدينة الرسول فلما انتصر المسلمون في بدر وجاءت البشائر بانتصارهم
إلى المدينة لم يستطع أن يكتم آلامه فطلق يقول علانية « والله لئن كان محمد أصاب قريشاً فليظن
الأرض خير من طهرها » ولما يقين الخبر سار إلى مكة فترجل على الطلب بن أبي وداعة السهمي
وجعل يحرش قريشاً على رسول الله بأشعاره ويكي أصحاب القليب من قريش الذين أضيوا بيدر
نم رجع إلى المدينة فطلق يشب ببناء المسلمين حتى آدامهم فليبر المصطفى خيراً لهذا الزنديق من
أن يبلغه أمنيته في قوله « لبطن الأرض خير من طهرها » وأرسل له بش الأصار فقتلوه
وفي الحقيقة أن كسرة قريش في بدر كان لها صدى عظيم في الحجاز وتثير كبير على نفوس
الحجازيين وكانت قريش أعظم قبائل الحجاز تألماً منها إذ أطهرت لهم ما لم يكن في حبيبتهم من
أسفحال أمر المسلمين فبادت قلوبهم إلى مكة وهي تنادي بطلب الثأر وكان شو أمة وعلى رأسهم
أبوسفيان هم رؤساء الدعوة لشن غارة على المصطفى عليه الصلاة والسلام بأحذون فيها ثأر قتلهم
ويتقدون فيها أسرارهم واجتمع على هذه الدعوة قريش بأحاشيها ومن والاهما من سكانه وأهل
نهامه وساروا جميعاً لطلب الثأر وما زالوا يمسدين حتى نزلوا في موضع يقال له عينين بجبل بطن
السبخة من قنات على الشفير الوادي الذي يقابل المدينة المنورة

إِلَّا أَنِّي وَعَدَ الْمُتَرَفِّعُ فَلَقَدْ تَوَخَّيَا وَهَّهَ سَامَ تَوَخَّيَهَا
فِيهَا لَقَدْ بُنِيَ لِلْكَارِثَاتِ وَمَا هَابَا قُرَيْشًا عَلَى فَاجِي تَجَبَّيَهَا
وَلَا تَشْتَتِ أَعْوَانِ النَّبِوةِ إِذْ خَافَتْ فَفَرَّتْ فِرَارًا مِنْ أَعَادِيهَا
وَلَا جِرَاحَةَ طَهَ عِنْدَ سَقَطَتِهِ فِي حُفْرَةٍ لِقُرَيْشٍ رَاحَ هَاوِيَهَا
فَاقْتَدَ الْمُتَرَفِّعُ طَهَ وَمَالَ إِلَى السَّيِّئِ طَلَبَتْهُ فِي تَدَايِعِهَا
فَقَلَ مُوَكِّبَهَا وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ وَكَانَ فَارِسَهَا يَدْمِي وَمَاشِيَهَا
وَالْأَرْضُ قَدْ مِلَتْ فِي يَوْمِهَا جِشًا مِنْ يَسْنَهَا تَنْدِبُ الْجَرْحِ دَوَامِيَهَا
وَمَنْ لَهَا كُتِبَتْ قَدَمًا سَلَامَتُهَا مِنَ النَّفْسِ تَوَلَّتْ فِي مَنَاحِيهَا
عَادَتْ لِمَكْتَمِهَا تَأَلَّهَ رَاضِيَةً مِنَ الْغَنِيمَةِ أَنْ تَأْوِي مَاوِيَهَا
حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بِالْخَزْيِ مَوْطِئَهَا نَاحَتْ وَصَاحَتْ لِسْتَبْكِي بَوَاكِئَهَا

ولم تكن أبناء قريش بخافية عن رسول الله فقد كانت عيونهم تنقل إليه أخبارها فلما انتهى إليه بأ نزولها بقرب المدينة جمع أكبر المهاجرين والأنصار واستشارهم في الأمر فكان رأي أكثرهم الخروج إلى قريش ومحاربتها فتقبلوا بذلك على رأي رسول الله الذي كان رأي البقاء في المدينة حتى إذا هاجم القرشيون بمر دارهم بلغاهم رجاءه على أنه صلى الله عليه وسلم امتثل أمر الأكثرية وهزل بيته وأبى لأمته وخرج إليهم فوجدتهم قد ندموا على غلبه رأيهم على رأيهم فقالوا له إن شئت فاصد فقال لهم « ما ينبغي لبي » إذا أبى لأمته أن يضعها حتى يقاتل » وهكذا خرج في ألف من المهاجرين والأنصار وكان خروجه في يوم الجمعة بعد الصلاة لأربع عشرة خلت من شوال في السنة الثالثة من الهجرة « ٢٩ مارس سنة ٦٢٥ مسيحية » فلما بلغ الشوط انخزل عنه عبد الله بن أبي سلول بثلاث الناس ومضى رسول الله حتى نزل الشعب من جبل أحد في عدوة الوادي فجعل يهمل ظهره إلى أحد وأمر على الرماة عبد الله بن جبير وأعطى لواءه إلى مصعب ابن عمير وادم الثمران لقاء الأعداء وترك الرماة يحمون قنوتهم

والتمنى القومان ودارت رحى الحرب وكان في طليعة المسلمين الفرسان وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وأبو دجانة وسماك بن خرشة الساعدي فحسوا قريش بسيوفهم حتى كشفوهم عن المسكر وباتت هزيمتهم لا ريب فيها فلما رأى رماة المسلمين أن المشركين قد انكشفتوا مالوا إلى المسكر طلباً للقمام وخلاً ظهور المسلمين للمدو فالتفت خيالة المشركين التي كان يقودها خالد بن الوليد على المسلمين من وراءهم وأخذوهم على غرة فاختلت صفوفهم وزادوا اختلالاً أن رجلاً من المشركين قتل مصعب بن عمير حامل اللواء النبوي وصاح أن محمداً قد قتل فكان لمجيئته تلك جزع في نفوس المسلمين إزاد في اختلالهم ومكن مشركي قريش منهم قتل بعضهم وفر بعضهم ولم يبق حول رسول الله إلا نفر يسير في مقدمتهم بلال الأسلم الأكبر علي بن أبي طالب الذي أبى في هاتيك الشدة إلا أن يكون في جانب المصطفى عليهما الصلاة والسلام وبات

وَمُذْ ذَرَّتْ قَتَّةٌ مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ أَنَّهُ سَلِيمٌ مِنَ الْأَخْطَارِ نَاجِيهَا
عَادَتْ إِلَيْهِ وَمَارَتْ تَحْتَ رَأْيِهِ إِلَى مَدِينَتِهِ أَلْعَنَّا لِيَثْوِيهَا
وَطِبَةُ قَابَلَتْهُ بِالْبَشَائِرِ وَالْأَمْرِ فَرَّاحٌ مُنْشِدَةٌ فِيهَا أَغَانِيهَا
وَوَقْفَةُ لِمَلِي كَانَ وَاقِفَهَا مَنُصُورَةٌ أَذْهَشَتْ وَاللَّهُ رَأْيَهَا
مِنْهَا أَلْمَلَايِكَةُ الْأَطْفَارُ قَدْ عَجِبَتْ وَلِلْمَلِي أَنْشَتْ نُهْدِي تَهَايُنَهَا
وَقَالَ جَبْرِيْلُ قَوْلًا نَحْنُ نُشَبِّهُهُ وَحَقَّقَهُ اللَّيَالِي فِي مَجَارِيهَا
لَا سَيْفٌ أَمْضَى شِبَابٍ ذِي الْفَقَارِ فَإِنْ سَلَّتْ سُيُوفُ كَمَاةِ الْحَرْبِ يَفْرِهَا
وَلَا قَى كَمَلِي إِنْ تَصَاوَلَتْ أَلْفَتِيَانُ كَرَأً وَفَرَأً فِي تَلَايِيهَا

المصطفى والمرتضى بخاربان ذلك العدو التكاثر لوحدهما والسلمون هاربون وكان المشركون قد
حفرُوا حفراً قبل الموقعة ليقيم فيها السلمون وهم لا يعلمون فوقع فيها المصطفى لشقه وأصيب
رباعيته وشج في وجهه وكنت شفته ودخلت حطتان من حلق المغر في وجهه وكاد يسرعه المشركون
لولا المني الذي انتشله يده من هاتيك الحفرة هو وطلة بن عبيد الله ثم انبرى ذلك الاسد الضعيف
سيدنا علي للمشركين الذين طلبوا رسول الله بندي الفقار وهو سيفه البتار وجعل يضرب به ذات
اليمين وذات اليسار فيجندل حوله الاطال وما زال كذلك الى ان أوقع الرعب في قلوبهم بعد أن
ملأ الأرض من أشلائهم وقد عجبت الملائكة في السموات من موقفه المجد ذلك وهو يدفع
الخطر عن رسول الله حتى صاح جبريل من السموات المني «لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي»
أما السلمون فلهمزموا وهم موقنون أن محمداً قد قتل كإصاح صاحبه المشركين ثم ودي بهم وهم
هاربون بأن محمداً لا يزال سليماً فرجع خلق منهم اليه والفقار حوله وساروا به عائدتين حتى اذا ما
انتهوا الى قم الشعب ملا سيدنا علي درفته ماء وجاء بها الى رسول الله فسل عن وجهه الشريف
الدم وصب على رأسه وبينما الرسول بالشعب ومعه علي وغر من المسلمين واذ قصدتهم خيالة المشركين
فتصدى لها علي بن أبي طالب وأرجعها عن المصطفى عنوة . ثم ان المصطفى أراد أن يعرف ماني
أنفس المشركين وان كانوا يريدون الرحمة الى مكة بعد الفوز الذي نالوه أم الاغارة على المدينة فلم
يجد لهذه المهمة الصعبة الا علينا المرتضى فوجه مستظلاً نخرج بتجاعته الموهوبة في أثرهم فرأهم
جنبا الخيل وأعطوا الايل عائدتين الى مكة . واصرف السلمون الى دفن قتلاهم وكان فيهم حزة
ابن عبد المطلب قتله وحدي ومثلت به هند زوج أبي سفيان وأم معاوية وشق قتله على المصطفى
كثيراً وعاد عليه الصلاة والسلام الى المدينة المنورة

وفي غد ذلك اليوم الذي كان شديداً على المسلمين وهو يوم الأحد ١٦ شوال للسنة الثالثة
الهجرة أذن مؤذن رسول الله يطلب العدو وقد قتل ذلك ليرب قريباً ويماهم بأن موقعة أمه ما
أخارت عزيمته وأمر أن لا يخرج معه الا الذين شهدوا موقعة الاسد وسار بهم على رءم جراحاته
حتى بلغ حراء الاسد وهي على غاية أميال من المدينة المنورة فأقام هناك الاثني عشر يوماً والأرباء
وكان لحروجه هذا تأثير كبير لان المشركين بعد أن انصرفوا راجعين الى مكة تدموا على تكسهم عن

أمير المؤمنين وغزوة بني النضير

وَفِي النَّضِيرِ عَلِيٌّ كَانَ أَبْسَلَ مَنْ
لِلَّذَا أَمْرُهُ طَهُهُ وَسَوْدُهُ
وَقَدْ أُقِيمَتْ لَطْفُهُ قُبَّةٌ فَأَوَى
وَحَاصِرَ الْمُسْلِمُونَ الظَّافِرُونَ رَبِّي النَّضِيرِ حَصْرًا بِهِ تَلَقَّى تَلَاشِيَهَا
إِذَا بِأَعْسَرَ فِيهَا كَانَ أَنْبَغُ مَنْ
بَرَمِي النَّبَالِ فَلَا تَنْطَبِي مَرَامِيهَا
تَقْصِدُ الْمُصْطَفَى فِي وَسْطِ قُبَّتِهِ
فَأَنْسَعَ الرُّكْبُ فِي تَحْوِيلِ قُبَّتِهِ
وَلَيْلَةٍ مِنْ لَيْلَاتِي الْحَصْرِ مُظْلِمَةٍ
غَابَ الْأَعْلَى بِهَا عَنْ صَحْبِهِ فَشَكَتْ
فَقَالَ : غَيْبَتُهُ فِي خَيْرٍ مُلَّتِهِ
مَعَ قَصْرِ نَصْرِهَا الْمَحْمُودُ سَارِيهَا

مهاجة المدينة المنورة وأراد أبو سفيان الرحمة قبله خروج محمد بأصحابه في طلبه لخلاف ورجع
بمن معه مكثين بالنصر الذي نالوه في أمهم وقصدوا مكة المكرمة وأما المصطفى فباد إلى المدينة
المنورة بأصحابه يوم الخميس

(١) تدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة أحد رهط من « عُسَـل »
« والقارة » وهما بطنان من خزيمة بن مدركة وأظهروا له رغبة قومهم في الاسلام وطلبوا منه
أن يرسل اليهم بعض أصحابه ليقضوهم في الدين ويطمئئهم القرآن فبث معهم ستة من أصحابه
بزعامة سرمد بن أبي سرمد النخعي فخرجوا معهم حتى إذا بلغوا بهم محمل يدعى « الرجيع » غدروا
بهم فاستخرجوا عليهم هذيلاً فبثت هذيل وقتل المسلمين انا لا يريد تناكم ولكن تريد أن
نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا يمدركم فغادروهم في القول ثلاثة منهم
وقتلهم حتى تناولوا وأجاب الى العهد الثلاثة الآخرون قتل أحدهم في الطريق وسبق الآخرون
الى مكة فيما في سوتها وقتل هناك قتلهما أبو سفيان

وتدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر من السنة الرابعة للهجرة أبو براء طاهر
ان مالك المنب بملعب الاسنة المامري قرص عليه رسول الله أن يسلم فلم يسلم ولم يبعد وقال لو
بنت رجلاً من أصحابك الى أهل نجد فدعوه الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال عليه
الصلاة والسلام اني أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جار فابتهم فبثت سرية بقيادة
المنذر بن عمرو الساعدي فخرجوا حتى نزلوا بئر مونة وهي بين أرض بني طاهر وحررة بني سليم

حَتَّى إِذَا لَاحَ نُورُ الْفَجْرِ عَادَ كَيْسِيُّ الْمُسْلِمِينَ بِأَيِّ النَّصْرِ يَوَدُّهَا
وَرَأْسُ غَزْوَلِ نَبَالِ النَّصِيرِ يُمْنَاهُ وَبَسَنَتُهُ وَأَبِ تَجَلُّبِيهَا
وَقَالَ : هَذَا وَمَعَهُ تِسْعَةُ كَمَتُوا لَنَا وَيَنْتَهُمُ سَوْءَ لِنَاوِيهَا
وَإِذْ شَعَرْتُ بِهِمْ فَاجَأَتْ مَكْمَنَهُمْ يَبْطِشُهُ وَهُمْ مِنْ مُسْتَحْقِقِيهَا
أَخَذَتْ أَنْفَاسَهُمْ جَمْعًا بِضَرَّةٍ سَيْفٍ لَمْ يَكُنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَابِيهَا
فَهَلَّلَ الْمُصْطَفَى بِشْرًا بِصَاحِبِهِ وَقَالَ أَنْتَ كَيْيَ الْخَرْبِ عَارِيهَا
وَأَقْبَلَ الْقَوْمَ نَحْوَ الْمُرْتَضَى بِأَهَا زَيْجَ الْمَدَائِحِ يُشْجِي الْقَلْبَ شَادِيهَا
وَأَكْبَرُوا هِمَّةً مِنْهُ مَجْجَدَةً وَكَبَّرُوا لِلَّذِي قَدْ زَانَهُ فِيهَا

قتلت السرية كلها وكانت أربعين رجلاً لم يسلم منهم إلا رجل واحد يدعى عمرو بن أمية الضمري فقد
نجى من القتل وأسر وآخر بقي جريحاً بين القتلى يدعى كعب بن يزيد

ثم إن عمرواً بن أمية الضمري نجى من الأسر وعاد إلى المدينة وفي طريقه التقى برجلين
من بني حاطة فأنشأهما وكان متهما عقد من رسول الله لم يكن عمرو عالماً به . فلما بلغ المدينة أخبر
رسول الله بخبر القوم والقتلين فقال : هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارهاً متحوقاً . ثم قال لمرور
لقد قتلت قتيلين لأدينتهما . أي « اعطى دينهما أو انظر فيها »

نعم فقد اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلافي شرِّ مقتل ذينك الرجلين وحسب حساباً لبني حاطة
قومها وأسرع إلى بني النضير وهم عالقوه ومخالقوه بني حاطة يوسطهم في تسوية دينهما أو طلب
موتهم إذا أسر بنو حاطة على طلب الثأر فأظهروا له الودَّ والرضى على ما طلب ثم تركوه مقتداً
إلى جنب جدار من بيوتهم وخلا بعضهم ببعض وتأسروا عليه ليقتلوه بالقائه صخرة عليه من أعلى المنزل
الذي كان عليه الصلاة والسلام مقتداً إلى جداره وانتدبوا لذلك أحدهم لتنفيذ القدر الذي نوهه
أما رسول الله فجاءه الوحي الإلهي منفراً له بما أتمم القوم وأسرع راجعاً إلى المدينة وأخبر أصحابه
بما نواه بنو النضير من السدرة وأمر بالتهوُّد لحرهم وبالقتل سار إليهم في شهر ربيع الأول من السنة
الرابعة للهجرة غازياً واستعمل بطل الإسلام الأكبر سيدنا علي عليه الصلاة والسلام على السكر
ولما وصلوا إلى موطن بني النضير ضربوا عليهم الحصار وضربت قبة المصطفى وأوامها وكانت من خشب
عليها مسوح . وكان في بني النضير رجل أسير مشهور يري النبال يدعى غزول فطلق يتقصّد القبة
النبوة ينبله فأمر عليه الصلاة والسلام بتحويلها إلى حيث لا تصلها النبال فحوّلت إلى الحال . وفي إحدى
ليالي الحصار تنيب سيدنا علي عليه صلوات الله قرب المشاة تخاف المسلمون أن يكون أصداء مكروه
وأسرعوا إلى رسول الله يتقلون إليه خبر غيبته فطمأن خاطرهم وقال دعوه فإنه في بعض شأكم
وعند الفجر غاد ذلك النضير إلى المعسكر النبوي وفي يمينه رأس ذلك الملعون غزول نبال النضير
الذي كان يعتمد قتل المصطفى وقال شمرت بأن هذا وتسمة من قومه خرجوا يطلبون غزوة منا
فجأتهم يعني قتلهم جيئاً فهلل المسلمون وكبروا وهم محبوبون بهذه الشجاعة النادرة التي لا يأتيها
إلا مثل أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه صلوات الله

أبصر المؤمنين في غزوة بدر

تَضَافَرُ الْكُفْرُ وَالْإِشْرَاقُ وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمَا الْعَرَبُ نَاشِيَةً وَقَائِنِيَةً (١)
وَقَدْ تَحَزَّبَتِ الْأَحْزَابُ طَائِلَةً لِلْمُسْلِمِينَ أَلْتَلَاثِي فِي تَدَايِعِهَا
وَكَانَ أَكْثَرُهَا غِطَاءً يَهُودُ قُضَيْبٍ إِذْ تَسَطَّوْا عَلَيْهَا فِي مَقَائِمِهَا
فَأَمْرَعَتْ نَزَاتٌ أُمُّ الْقُرَيْ وَدَعَتْ لِلثَّارِ مِنْ أُمَّةٍ الْهَادِي قُرَيْشِيهَا
كَلَّا الْقَسِيرَانِ مَوْتُورٌ وَوَابِرُهُ مُحَمَّدٌ بَرَزَانَا كَانَ شَاكِيهَا
وَيَطْلُبَانِ مِنَ الْإِسْلَامِ ثَارَهُمَا وَأَخَذَهُ الثَّارُ تُعْنِي عَيْنُ بَاغِيهَا
وَعَجَلَتْ فَانْضَوَّتْ غُطْفَانٌ رَاضِيَةٌ إِلَيْهِمَا وَأَجَابَتْ صَوْتَ دَاعِيهَا

أما بنو النضير فقد تحرجوا لطول الحصر وهو أن يسلموا إلى المصطفى ولكنهم توتقوا بمدان
أناهم من مناقي أهل المدينة المنورة رسول قال لهم: انتبهوا لنأتي نصرتمكم فترسوا حيناً ظهروا أولئك
الناقون يوعدهم فشتد بهم الخوف فطلبوا من رسول الله الصلح على أن يجلو عن منازلهم ولهم ما
حلت الأيل من أموالهم إلا الحلقة فصالحهم عليه الصلاة والسلام على ما طلبوا فاحتلوا من أموالهم
ما استقلت به الأيل وخرجوا إلى خيبر ومهم من هاجر إلى الشام . وهكذا جلا بنو النضير وهم
يهود من جوار المدينة المنورة

(١) خرج المصطفى عليه الصلاة والسلام من المدينة المنورة في جادى الأولى من السنة
الرابعة للهجرة يريد غزو بني محارب وتملبة من غطفان فلما وصل إلى موضع يسمى « نخل » لقي
هناك جماعة كبيرة من غطفان لم يكن للمسلمين قبيل على قتاله وأدخل الله هبة المسلمين وهم الفئة
التي على قلوب ذلك الجمع الكبير فحنوا عن لقاءهم وفي هذه الغزوة صلى المصطفى صلاة الخوف
وانصرف طائفاً إلى المدينة المنورة من غير أن يمرض له أعداؤه

وكان أبو سفيان في موقعة أحد توعده المسلمين بالعودة إلى قتالهم في سوق بدر القادمة وكانت تقام
في شعبان من كل عام وبلغ ذلك الوعيد المصطفى صلى الله عليه وسلم فخرج بالمسلمين إلى بدر في شعبان
السنة الرابعة للهجرة أما أبو سفيان فخرج بمشركي قريش لتنفيذ وعيده فلما بلغ « بجنة » وقالوا
بلغ « عسفان » بلنه خروج المصطفى إلى بدر يخاف سوء المأقبة وحين من السير وعاد بأصحابه
وهو يقول لهم « أيها الناس إني لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتقرعون فيه اللبن
وإن طامكم هذا عام جيب فارجوا وأنا راجع » وهكذا لم يجر قتال في غزوة بدر الثانية

وقد علمنا من غزوة بني النضير أن المصطفى صلى الله عليه وسلم أحل هذه القبيلة جزءاً
مكرهاً وحنثاً في عهدنا عن منازلها فأبى بنى زعمائها إلا الانتقام من محمد فساروا معهم جماعة
من بني وائل وكلهم يهود إلى مكة وأخذوا يدعون قريشاً لحرب المسلمين فلبتهم ثم خرجوا إلى غطفان
فلبواهم وهكذا اجتمعت الجوع لحرب المسلمين وكان أبو سفيان بن حرب قائداً للجملة الأكبر فلما

وَسَلَّمَتْ أَمْرَهَا فِي حَرْبِهَا لِأَبِي
وَسَارَ رَاكِبُهَا نَحْوَ الْمَدِينَةِ فِي
وَقَدْ دَرَى أَحْمَدُ بِالْأَمْرِ فَاتَّخَذَ الْأَمْرَ
مُخْتَدِقًا قَامَ بِسَمِ اللَّهِ بِخَفَرِهِ
وَقَدْ رَأَى حَفَرَهُ سَلَامًا قَالَ وَإِ
حَتَّى إِذَا مَا انْتَهَى مِنْ حَفَرٍ خَنَدِهِ
وَأَفَتْ قُرَيْشٌ بِأَحْزَابِ الْأَعْرَابِ تَبَسُّ
وَكَانَ فِيهَا عَلَى رَأْسِ الْإِدَاةِ أَبُو
فَهَاكَ الْخَنْدَقُ الْمَحْفُورُ إِذْ جَهَلَتْ
وَعِنْدَهُ وَقَفَتْ تَرْجِي السَّبَالَ عَلَى
وَبَعْدَ مَا طَالَ فِي الْبَيْضَالِ مَوْقِفُهَا
مَنْ غَرَجَ دَوَى وَكَادَ الْمَكْتُ يُسَيِّبُهَا

بلغ المصطفى صلى الله عليه وسلم تحوّل الأحزاب لحربه شاور أصحابه في أمرها فأجمعوا على الثبات في المدينة المنورة للثبات حتى لا يزال المسلمين ما نالهم في أحد وكان بينهم رجل حكيم يدعى سلمان الفارسي فأشار على المصطفى أن يحفر خندق حول المدينة ليقيها الأعداء وقال كذلك يفعل القرس في حروبهم فأمر المصطفى بحفر خندق أمام المدينة المنورة وعانى المسلمون مشقة عظيمة في حفره واحكامه وكان المصطفى والمسلمون يحفرونه بأيديهم . ثم جاءت قريش ومن تحزب معها على عداه المصطفى فنزّلوا في مجتمع السيول من رومة بين الحرف وزغابة في عشرة آلاف ونزلت غطفان الى جاب جبل أحد وخرج المسلمون الى لقلهم وكانوا ثلاثة آلاف وجعلوا ظهورهم الى سلع وضربوا مسكرهم هناك تاركين الخندق الذي احتفروه بينهم وبين أعدائهم

وما اقتصر الحال على هؤلاء الأعداء بل تمدد الى خيابة بني قريظة الذين كانوا عاهدوا المصطفى فنكثوا العهد وانضموا الى مشركي قريش وغطفان فلما بلغ المسلمين هذا عظم الكرب عليهم اذ اراوا أعداءهم قد تألّوا عليهم من كل صوب وحذب وهكذا أقام المسلمون على اضطرابهم بضاً وعشرين ليلة ولم يكن بينهم وبين المشركين الا الرماة بالنبال والحصى وذلك لان أولئك المشركين لم يكن لهم عهد بالخنادق فهبوا الخندق الذي وجدوه محفوراً أمامهم وترهبوا عن القتال مكثفين بمراماة الحصى والنبال حتى اذا ما أصيبهم الحال أقبل واحد منهم يدعى نوفل بن عبد الله ابن النيرة على فرس له ليؤتبه الخنديق مريداً بذلك تشجيع الناس على اختراق الخندق ومهاجمة المسلمين في مسكرهم فوقع فيه واندق عنق القرس وتلقاه المسلمون بالحجارة فجلّوا يقدفونه بها فتأدام قائلاً : قتلة أحسن من هذه يا مشركي الرب . فلما بلغ صوته سح السليبي جبل ينظر بعضهم الى بعض وينبأهم لكذلك واداً بأسد الله الغالب سيدنا علي بن أبي طالب عليه صلوات الله هوى

إِذَا بَارَسَهَا الْغَوَارُ نَوَلُ أَسْوَى الْخَيْرَةِ لَمْ يَرْهَبْ مَوَانِهَا
 وَأَتَهَكَ قَدْ كَانَ مِنْ حَظِّ الْمَطِيَّةِ وَالسَّهْمِ مِنْ حَظِّ الْغُرُورِ مَا طَبِهَا
 وَقَابَلَتْ مَحْصَاهَا النَّاسُ نَوَلٌ إِذْ كَانَتْ عَلَى جِسْنِهِ الْمَنْهُوكِ تَزْمِينَهَا
 وَإِذَا رَأَى نَوَلٌ أَنْ لَا سَجَاءَ لَهُ مِنْ الْأَمَوَةِ يَا عَرَبُ أَحْسَنُ مِنْ
 قَلَمٍ يَكُنْ غَيْرَ مَوْلَانَا أَلْمَلِي لِيَوْمَ وَأَقْضِ فِي سِفِيهِ هَلْ كَانَ صَاعِقَةً
 وَقَدْ حَيَّ نَوَلًا أَسَى مَقَاصِدِهِ هَدَّ جُحَانَهُ قَدْ وَعَادَ إِلَهُ
 وَالشَّرِكَونَ أَسْتَسَالَتْ مِنْ تَغْيِظِهِمْ فَجَاءَ عَمْرُو بْنُ وَدٍّ بَعْدَهُ طَلِبًا

إلى قمر الحنق وضرب نوفلاً بسيفه البتار خربةً قدته نصفين وعاد إلى أصحابه وهم يصفقون طرباً
 أما المشركون فكبر عليهم مقتل نوفل وهو من شجلمهم وصاحوا النار النار . وتقدم منهم رجل منوار
 قد كان أفرس الفرسان بغير جدال يدعى عمرو بن ود . وكان وقتئذ في الثسين من عمره إلا أنه
 على شيخوته ما كان في المشركين أقوى منه ولا أشجع واشهر عنه أنه ما كان يخرج إلى حرب
 إلا ويهود منصوراً وحسبك للدلالة على شجاعة وقوة هذا الجبار المنيد أن عنترة بن شداد العبسي
 أشجع شجبان للرب المتولي سنة ٦٠٠ مسيحية أي قبل الهجرة بنحو ١٢ سنة أكرمه مرة على
 قتاله في مبارزة قبيب موثقه وأنتد :

شربت القنا من قبل أن يشتري القنا
 فاكل من يشري القنا يطعم المدي
 خرجت إلى القرم الكمي مبادراً
 وقلت لمهري والقنا بقم القنا
 مجاوبني مهري العكرم وقال لي
 ولما تجاذبتا السيوف وأفرغت
 ورمي إذا ما أهد يوم كريمة
 وما هاتي يلعبل فيك مهالك
 فدونك يا عمرو بن ود ولا نحل
 وعجز ابن ود عن عنترة كما عجز هذا عنه فكانا متكافئين شجاعة وعزماً والغريب أن
 عمرو بن ود احتفظ بقوة الغرية حتى رأبناه شجع دون المشركين فزل الوادي يطلب ثار نوفل

وَكَانَ قَدْ نَاهَرَ الْبَتِينَ وَهُوَ يَقُولُ مَ الشَّبَابُ الَّذِي مَا مِنْ يَمَانِيهَا
أَعْيَا الْبَتِينَ وَمَا أَعْيَتْ عَزِيمَتُهُ وَلَمْ يَزَلْ يَكُرِّرُ الْقَهْرَ يُغْنِيهَا
وَكَانَ أَشْهُرَ مِنْ هَذَا الْهَمْدِ فِي الْحَرْبِ الْقَوَانِ إِذَا نَادَى مُنَادِيهَا
وَكَانَ أَبْطَشَ بَطَاشٍ إِذَا طَلَبَ إِلَّا مَ عَذَاءَ يَوْمِ الْوَعَى بِالسَّيْفِ يَدُ مِنْهَا
وَقَبْلَ عُنْتَرَةٍ قَدْ هَابَ بَرْزَتُهُ وَشِعْرُهُ فِيهِ يُنْسِي كَانَ خَاشِيهَا
وَكَانَ ذِكْرُ أَتْسِهِ مَلَأَ الْيَدَى رَهْبًا إِنْ قِيلَ عَمُرُوا بَيْنَ وَدٍ فِي مَقَارِهَا
وَصَاحَ بِأَصْحَبِ طَهَ وَيْلُ أُمَمِكُمْ مِمَّنِي صَبَاحًا مَلَأَ تِلْكَ الْأَتَاوِيهَا
مَنْ مِنْكُمْ يُسْتَقِي مَتَوَى الْجِنَانِ وَقَدْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ تَتَوَدَّنَ عَلَيْهَا
وَمَنْ يُبَارِزُنِي مِنْكُمْ فَأَبْقِيهِ إِلَى مَرَابِعِهَا الزَّهْرَا لِيُشَوِّهَا
مَا بِأَلَيْكُمْ قَدْ فَرَقْتُمْ مِنْ مُبَارَازَتِي وَبَحَّ صَوْتِي لِفِرْسَانِ أُنَادِيهَا
وَرَأَحَ بَرْجَزُ لَقَوِ الْقَوْلِ مُدْعِيَا بِنَفْسِهِ يَتَحَطَّى خَطْوُهُ تَبْنِيهَا
فَلَمْ يَكُنْ مِنْ حِمَاةِ الَّذِينَ مُجْتَرِيهَا عَلَى مُلَاقَاةِ عَمْرٍو رَاحَ وَارْحَبَا

زل عمرو بن ود الخندق وهو راكب جواده وصاح من يبارز فلما بلغ نداهم مسامع
المسلمين نهبوه لشهرته فلم يكن فيهم من يلي نداه غير علي فقدم من المصطفى عليهما الصلاة
والسلام وقال أنا له يابني الله فأشفق المصطفى على علي وقال : أجلس فانه عمرو بن ود فجلس علي
رعه بنما كان عمرو يكرر نداه حتى جبل يوبخ المسلمين ويقول « أين جنتكم التي تزعمون أن
من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون لي رجلاً أقتله وأبنته إلى جنتكم واذا لم يجد بجياً جبل ينشد :

ولقد بحثت من النداء
أن الشجاعة في الفتي
ولجئكم هل من مبارز
والجود من خير الفرائز

أما المسلمون فلم يكن فيهم من يجراً على مبارزة كفار قريش فوجوا الا علينا المرتضى
فجلس يلح على المصطفى عليهما الصلاة والسلام أن يأذن له بالخروج إلى عمرو بن ود وكان المصطفى
عليه السلام يسم ويقول « أجلس يلح فانه عمرو بن ود » وفي الأخير خرج صدر أمير المؤمنين
وغلا الدم الشريف في عروته وقال « وإن كان عمرواً فأنا حي بن أبي طالب » فلما سمع المسلمون
مع المرتضى هذا القول أكبروه وجعلوا ينتظرون اليه بأعين ملؤها الاحترام والاكبار واذا ذلك
أذن المصطفى لبطل الاسلام الاكبر أن يبارز بطل الشركين الاكبر وقطعه يمينته الشرفة سيفه
دا القنار وألبسه درعه الحديدي وعمه بجمته وقال « اللهم أعته عليه » اللهم هذا أخي وابن عمي
فلا تدنني فرداً وأنت خير الوارثين » ثم مال إلى علي ببطفه الاثنى وقال له : « سر على بركات
الله » وفي الحال هبط سيدنا علي عليه صلوات الله إلى الوادي هبوط الأسد المضفر للفتي فريسته
وهو مشر ذ القنار يمينته حتى إذا ما دنا من عمرو بن ود ألتفت :

إِلَّا أَلَمِي الَّذِي أَعْدَاؤُهُ عَرَفَتْ
وَلَمْ يَكُنْ فِي جَمْعِ الْمُسْلِمِينَ سِوَا
قَالَ الْمُصْطَفَى : إِنِّي لَهُ قَابَا
فَكَرَّرَ الْمُرْتَضَى اسْتِثْنَاءَ صَاحِبِهِ
وَكَانَ هَزْرُ ابْنِ وَدٍّ لِلْمَخَاطِرِ يَدُ
وَقَالَ : شُهُرَةُ عَمْرُو فِي شَجَاعَتِهِ
إِنِّي سَأَكْفِيكُمْ نَهْدِيذَهُ بِشَا
وَإِذْ رَأَى الْمُصْطَفَى إِضْرَارَ حَيْدَرَةٍ
وَمَا سِوَاهُ عَلَيْهَا قَدْ تَجَمَّرَ مِنْ
أَجَارَهَا لِمَلِيٍّ وَهُوَ يَسْأَلُ أَنْ
وَدُّوْا لِقَارِ لَهُ أَعْطَى وَالْبَسَهُ
وَبَسَدُ عَمَّةٍ زَاهِي عَمَامَتِهِ

مِنْهُ الشَّجَاعَةُ مَذْ أَمْسَى يُبْلِقُهَا
هُ أَرْوَعًا دَعْوَةُ الدَّاعِي يُوَارِفُهَا
هَذَا الْمُصْطَفَى بَرَزَهُ مَا الْأَمْنُ تَابِلُهَا
بِعَزْمَةٍ مَا لِقَاءُ الْمَوْتِ يُشْبِهُهَا
فَعُ أَلَمِيٍّ فَلَمْ يَرْهَبْ تَوَخُّبُهَا
لَا تَقْعُدَنَّ تُمَثِّلِي عَنْ تَلْقِيهَا
سَيْفِي وَأَشْلَاؤُهُ الْطَّيْرِ أَتَقِيهَا
عَلَى مُبَارَزَةٍ مَا أَنْفَكَ يَنْوِيهَا
أَصْحَابِهِ بَلْ رَأَى مِنْهُمْ تَجَافِيهَا
تَنَالَ يُبْمَنَاهُ عَفْوًا عَوْنُ بَارِيهَا
دِرْعُ الْحَدِيدِ وَعَيْنُ الْعَجَبِ يُفْنِيهَا
فَكَانَ أَهْيَبَ مَا يُفْنَى تَرْتِيبُهَا

لا تجعلن قد أنا
ذو نيسر وبصيرة
ك مجيب قولك غير عاجز
والصدق منجني كل فتن

فنظر عمرو بن ود إلى الشاب الملي نظرة احتقار ولم يجبه فقال له علي « انك يا عم كنت
ماهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها » قال : أجل فقال علي :
« فاني أدعوك أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وتسلم لرب العالمين » فقال عمرو
« يا ابن أخي أخر عني هذه » فقال علي : « والثانية أن ترجع إلى بلادك فان بك محمد صادقاً
كنت أسد الناس به وان بك كاذباً كان الذي تريده من قهره » قال عمرو : « هذا ما لا
تحدث به نساء قريش أبداً كيف وقد قدرت على إغواء ما نفرت » قال علي : « وملك وما هو الذي
نلوت » قال عمرو : « يوم أن أقلت من بدر بعد أن جرحتم نفرت أن لا يمسه الدهن رأيي
حتى أقتل محمداً قتل الثالثة يا ابن أخي » قال علي : « وأما الثالثة فهي مبارزتك » فضحك عمرو
ابن ود بجله شديد حتى بانت نواجره وقال : « ان هذه الحصلة ما كنت أظن أحداً من العرب
يروعني بها على أني يا ابن أخي لا أحب أن أقتلك فان أباك الشيخ أبا طالب كان صديقي وعشيرتي
وفي عمويتك من هو أشد منك وأنت بعد في مقتبل العمر وزهوة الشباب » فقال علي : « أما أنا
فلا أكره أن أقتلك وأهرق دمك في سبيل الله » فضرب عمرو بن ود وقال « وملك ماذا
تقول ؟ » قال علي بفؤاد لا يرهب الموت : « أقول لاني أحب أن أبارزك فأزول عن فرسك وأبارزني »
وفي الحال نزل عمرو بن ود عن فرسه وهو شمة غضب وسل سيفه وعقر فرسه وضرب جيته

وَقَالَ: هَذَا أَخِي هَذَا ابْنُ عَمِّي يَا رَبَّاهُ نَصَرْتُكَ أَلَمَلِيَا أَرْجَيْتُهَا
فَلَا تَذَرُ أَحَدًا قَرَدًا فَإِنَّكَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ لِلَّذِي أَلَدْنِيَا وَأَهْلِيهَا
أَمَّا أَلَمَلِي قَدْ وَافَى ابْنُ وَدٍّ بِنَفْسٍ لَا نَهَابَ أَلَمَلِيَا أَوْ مُحَاشِيهَا
وَقَالَ: مَا كُنْتُ تُدْعَى لِثَلَاثٍ كَمَا عَاهَدْتَ إِلَّا وَإِخْذَاهَا مُلْتَبِيهَا
فَقَالَ عَمْرُو: أَجَلٌ فَأَعْرِضْ عَلَيَّ أَمَّا نِيكَ الثَّلَاثُ فَلَا بِي الْآنَ وَاعْبِهَا
فَقَالَ: وَحْدَ وَآمِنْ بِالرَّسَالَةِ أَسْلِمَ قَالَ: دَعِ دَعْوَةَ مَا زِلْتُ آيِبَهَا
فَقَالَ: فَارْجِعْ إِلَى مَنَّاكَ مُنْتَظِرًا نَصَرَ الرَّسَالَةَ إِذْ يَهْنَأُ هَانِيهَا
أَجَابَ: كَلَّا فَلَا أَقْبِي نِسَاءَ قُرَيْشٍ لَا حِيَاتٍ لِدُرِّي فِي مَخَابِيهَا
قَدْ نَذَرْتُ يَذَرُ إِذْ هَرَبْتُ جَرِيحًا أَنْ أَعُودَ إِلَى أَلْهَيْجَافًا صَلْبِيهَا
وَأَقْتُلُ الْمُصْطَفَى فِي وَسْطِ مُلْتَبِي وَيَذَرْتِي جَنَّتْ هَذَا الْيَوْمَ أَوْفِيهَا
فَقَالَ حَامِي حَيَّ الْإِسْلَامَ وَيَا نَبِيَّ الْوَقْعِ حَيَاةَ جَنَّتْ تَقْنِيهَا
إِنِّي مُجِيبُكَ لِلشَّرِّ الَّذِي رَغَبْتُ فِيهِ مَطَامِيكَ الْمَلْعُونُ نَاوِيهَا
أَجَابَ عَمْرُو: وَهَلْ تَبْنِي مُبَارَزَتِي وَلَيْسَ مِنْ عَاقِلٍ فِي أَلْعَرَبِ يَنْعِيهَا
نَادَى: نَعَمْ قَالَ أَقْصِرْ ذِي رَعُونَةَ غَيْرَ جَاهِلٍ مَا أَنَا تَالَهُ رَاضِيهَا
لَا أَرْفَعِي لَكَ قَتْلًا مِنْ يَدِي فَدَعِ الْفُرُوزَ مِنْ نَفْسِكَ أَلْمُودِي تَشْهِيهَا

وأقبل على علينا المرتضى فاستقبله علي بدمته ففرضها عمرو بسيفه ففقدها نصفين وشجع رأسه فاجله
علي بغربة من ذي القنار وقت على عنقه فخر على الأرض مضرجاً بدمه فأجزع عليه وحاد إلى
المدينة بجر ذيل النمر والدم يتدفق من جبهته الشريفة . أما المسلمون فلما شهدوا من معسكرهم
هلاك عمرو بن ودٍ وانتصار علي بن أبي طالب أخذوا يهللون ويكبرون ويحمدون الله . أما المشركون
فلما رأوا ما حل ببطلهم الأشهر انكسرت قلوبهم وخارت عزائمهم
وعلى أثر مقتل عمرو بن ود جاء المصطفى رجل يدعى نعيم بن مسعود الأشجعي وقال له
إني أسلمت ولم أعلم القوم بأسلامي فرني بما تشاء فقال له عليه السلام إنما أنت رجل واحد فخذل عنا
ما استطعت فإن الحرب خدعة فسار نعيم إلى بني قريظة وكان لهم نديماً فأغرامهم على مشركي قريش
وغطفان قائلاً إنهم غرياء لا يلتفتون أن يهودوا أدرأجهم إلى مواطنهم ويتقون هنا وحدهم على عداء
محمد في مستقبلكم قال رأيي عندي إذا كنتم مصرين على عهودكم معهم أن تأخذوا رهناً من أشراهم
إن ينصرفكم كما أراد محمد بهم شراً وما زال على هذا حتى استألفهم إلى قوله . ثم مضى إلى قريش
فاجتمع بأبي سفيان ومن معه من الزعماء وقال لهم لقد بلغني أن اليهود قد ندموا لتجزيمكم

وَفِي عَمُومَتِكَ الْأَقْوَى فَدَعْنِي أَلْتَمِي جَمْعَهَا مُقَرَّدًا حَتَّى الْأَشْيَا
إِنِّي لَا كُفْرُهُ أَنْ أَهْمِي مِثْلِكَ مِنْ فَيَنْبَاقَ قَوْمِي وَإِنْ شَطَّتْ أَمَانِيهَا
وَكَانَ فِي صَحْبِي قَدَمًا أَبُوكَ وَإِلَيْكَ فِيكَ صِحْبُهُ الْأَزْوَارُ أَرَايْنَاهَا
وَكَانَ يَضْحَكُ مِنْ إِفْدَامِ حَيْدَرَةٍ عَلَى الْمَنِيَةِ كَيْ يُلْقِيهِ فِي فِيهَا
وَكَانَ فِي عَجَبِهِ فَوْقَ الْجَوَادِ يَرَى لِنَفْسِهِ عِزَّةً لَا عِزَّ يَحْكُمُهَا
وَالْمُرْتَضَى صَاحِبٍ مِنْ بَعْدِ الْجِدَالِ بِهِ أَقْصَرَ حَرْبِيكَ قَدْ حَمَّ أَقْصَا لِيهَا
أَنْزِلْ إِلَيَّ وَبَارِزِي وَكُنْ بَطْلًا وَأَلْقِ الْحَقَائِقَ لَا تَبْغِ التَّرَارِيهَا
فَأَقْضُ عَمْرُوً وَقَدْ أَرْدَى الْجَوَادَ عَلَى عَلَيْنَا يَدُهُ بِالسَّيْفِ بُهُونَهَا
قَدْ دَرَقْنَاهُ ثُمَّ وَجِبْنَاهُ قَدْ شَجَّ شَجًّا فَأَخْرَى اللَّهُ مَذْمِيهَا
إِذْ ذَاكَ أَهْوَى عَلَيَّ فَوْقَ هَامِيهِ بِضَرْبَةٍ بَلَّغَتْ مِنْهُ تَمَسِّيَهَا
فَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ الرَّاغِبُونَ لَهَا بَشْرًا بِنَصْرِهِمْ شُكْرًا لِحَايِنِهَا

وأرسلوا إلى محمد سرّاً يظنون له ندمهم على مظاهرة أعدائه عليه وقالوا له أيسرك أن يرسل لك من
أشراف قريش وغطفان رجلاً تقرب أعناقهم ثم تناصرك على من بقي منهم فارتقى محمد بما عرضوا
وسار أيضاً بمثل هذا القول إلى غطفان فأثر على هؤلاء وأولئك وأحكم الضئيلة في صدورهم على
بني قريظة اليهود . فلما كانت ليلة السبت من شوال السنة الخامسة للهجرة أرسل مشركو قريش
وغطفان عكرمة بن أبي جهل في نفر من القبيلتين إلى بني قريظة فقالوا لهم أن يهبوا في صباح غد
« السبت » لمهاجرة المسلمين فأجابهم بنو قريظة أننا لا نخرج إلى قتال في يوم السبت وفوق هذا
فألا نقاتل محمداً حتى تطونا بعض أشرافكم رهينة أن تكونوا معنا في المستقبل على المسلمين . فلما
عاد عكرمة وأصحابه بجواب بني قريظة هذا إلى قريش وغطفان تأكد هؤلاء خبير ندم وأرسلوا
إلى بني قريظة يبنونهم بأنهم لا يسطون أحداً رهينة فتأكد بنو قريظة من جواب قريش وغطفان
صدق ما قال ندم من خذلهم في المستقبل وهكذا تقاعس هؤلاء وهؤلاء عن القتال وقررت كلمتهم
ودبّ الاتفاق في صدورهم وتسرّب الرعب إلى قلوبهم وبنهاهم لكن ذلك وإذا برح باردة في ليلة شائية
هبت عليهم فكانت قدورهم وطرحت أنبيهم فأزاحتهم جيئاً وفرقاً فهبوا مدعورين مدبرين وكان
أبو سفيان أول المهاجرين وبذلك أزيلت هذه الثقلية عن صدور المسلمين وجدوا الله رب العالمين
ثم إن رسول الله أمر بعد انصراف الأحزاب أن يتوجه المسلمون إلى بني قريظة ليعاقبهم
على نكبتهم عودهم فذهب المسلمون إليهم وحاصروهم خمس وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فنزلوا
على حكم سعد بن معاذ فحكم عليهم بقتل مقاتلتهم وتقد الحكم فيهم . وبعد الانصراف من الأحزاب
انضم إلى صفوف المسلمين عمرو بن العاص السهمي وخالد بن الوليد الخزوي فأصبحا مجاهدين في
سبيل الاسلام بعد أن كانا من أعدائه

مَهْلًا. الْمُصْطَفَى تَهْلِيلَ مُتَعَبٍ بِمِلَّةِ أَهْلِكَ الْبَارِي. مُتَاوِنًا وَقَابِلًا. الْمُرْتَضَى يَذْعُو وَيُجِيدُهُ وَقَدْ كَفَى أُمَّةَ الْإِسْلَامَ طَاغِيَهَا وَبَعْدَ ذَا شَتَّى الْأَحْزَابِ خَالِقَهَا مِنْ بَعْدِ مَا أَظْهَرَتْ لَوْ مَا تَعَادَلَهَا قَدْ أَسَا بَعْضُهَا بِالْبَعْضِ ظَنَّتُهُ إِسَاءَةً فَرَقَتْ بَادِي تَحْيِيْنَهَا وَالرَّيْحُ هَبَّتْ عَلَيْهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ زَوَائِمًا نَسَفَتْ نَسْفًا أَثْمًا فِيهَا وَسَلَّمُ اللَّهِ أَنْصَارَ الْحَنِيفِيَةِ السَّعَاءَ مِنْ مِخَنَةٍ سَوْدًا قَارِسِيَهَا

أمر المؤمنين في يوم المدينة

كَانَ الرَّسُولُ كَكُلِّ الْغَرَبِ مُخْتَرِمًا فَرِيضَةً الْحَجَّ بِالْإِحْرَامِ يَقْضِيهَا (١) وَكَانَ إِذْ كَانَ فِي أُمِّ الْقُرَى أَبْدًا يَطُوفُ بِالْكَبَةِ الْفَرَاءَ تَجْرِئَهَا

وأما سلمان الفارسي الذي أثار بحجر الخندق فهو رجل من فارس وقد وقع قبل الهجرة أنبيأ في يد المزور فاستبدوه وبعد الهجرة أسلم وحسن إسلامه إلا أنه لم يتحرر إلا بعد غزوة أحد وكانت أول مشاهد غزوة الخندق وكان هذا الصحابي نبياً ذكياً على معرفة وسداد رأي حتى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يستشيره ويسمع له

(١) خرج المصطفى صلى الله عليه وسلم يريد الحج ومكة المكرمة لا تزال في أيدي أعدائه وفي خروجه خطر عليه وعلى مصاحبه من غدر ولؤم أولئك الأعداء وبالبداهة أن خروجه لم يكن إلا لأتمامه بقضاء هذه الفريضة المقدسة التي صارت فيها بعد من شروط الإسلام الحجة إذ قال صلى الله عليه وسلم «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً» وهذا تقص عليك بداعة تازيح الحج من أقدم أيام العرب وكيفية قضاء هذه الفريضة المقدسة فنقول:

كان العرب يحججون إلى الكعبة كرمها الله من قبل الإسلام بنحو خمسة وعشرين قرناً وبالآخرى منذ بنى إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام . ويعد العرب في تاريخ حجهم فيقولون أن آدم عليه السلام حج إلى موضع الكعبة مستغفراً عن إثمه وحجت إليه حواء زوجة مستغفرة عن إثمها ولهما تمارفا في عراقات في حديث يطول ليس هنا موضعه .

وكانت العرب يحججون إلى الكعبة على اختلاف أديانهم بين موحدن على دين إبراهيم ووثنيين ومشركين وحتى من تهود منهم أو تنصر وكانوا يمتدحونها بيت الله العالمين فلم يختص بها قبضة منهم دون القبائل الأخرى . ورغم أن شيوع الوثنية بين العرب ما عبدوا الكعبة لنفسها كما أنهم لم يبدؤوا الحجر الأسود الذي فيها لنفسه بل كانوا يكرمونه الكعبة على اعتبار أنها بيت الله والحجر الأسود على اعتبار أن سيدنا إبراهيم الخليل وضعه في الكعبة للعد على نفسه وولده بمجل هذا البيت العظيم مثابة للناس وقد وضعه سيدنا إبراهيم في الركن الأترب إلى الباب ليكون أول حدود هذا البيت الذي جله مصلى ومسجداً للطائفتين والمكهنين والزعم والساجدين إلى الأبد

وَبَعْدَ هِجْرَتِهِ لَا شَيْءَ أَحْزَنَهُ كِبُهُ مَعَ ذَوِيهِ عَنْ مَقَالِئِهَا
وَإِنَّهُ بَاتَ مَعْرُومًا وَأَمْتُهُ عَنِ الطَّوَافِ بِبِرٍّ مَعَ مُطِيفِئِهَا

وما زال الحج عند عرب الجاهلية على ملة إبراهيم وإسماعيل واجباً وشاعراً محترماً حتى عظم شأن
فريش سد واقمة الفيل وقال الناس قيمهم أنهم أهل الله وهو ينافع عنهم إذ ذكروا ما قالوا على العرب وقالوا : نحن
ولاة البيت وسدته وليس لاحد من الناس مثل منزلتنا واتفقوا على ان لا يظلموا شيئاً من الحل
هتكوا الوقوف برفة والافاضة منها وافاضوا من جمع « المزلفة » وقالوا لا ينبغي لأهل الحل
ان يأكلوا من طعام جائوا به معهم من الحرم اذا جائوا حجاجاً وأوجبوا عليهم ان لا يطوفوا بالبيت الا
في ثياب الخس « أي المتحصين في دينهم » فان لم يجدوا طافوا بالبيت مرة ، فعدت العرب بذلك
وقد كان السبي بين الصفا والمروة من لزوم الحج في الجاهلية ، وكان لهم منم على الصفا يسمى
« اساف » وأثر على المروة يسمى « نائلة » وكأثروا يتحرون عندهما هديهم . فلما جاء الاسلام
امتنع المسلمون عن السبي كيلا يكونوا مثل أهل الجاهلية في وتيتهم فزل قوله تعالى « ان الصفا
والمروة من شعائر الله » وحيث فرغ المسلمون الى السبي بينهم

اما طريقة الحج التي يجري عليها المسلمون فهي انهم عند ما يصلون الى ميقات الاحرام
بحرمون بنية الحج اي ان الرجل منهم يتجرد من تحيط الثياب ويلبس الزاراً ايضاً معه رداء وفلان
اذا تيسر له ذلك والمرأة تلبس ملابسها وتكتشف يديها ووجهها ان لم تخش الفتنة . ويقول الحاج
او الحاجة في حالة الاحرام « اللهم اني نويت الاحرام للحج بيتك المظم فسر لي وقبسه مني »
وممنهم من ينوي نية العمرة وهي كالحج ولكن ليس لها مدة معينة واركانها احرام ، وطواف
وسمي ، ومن الحاجاج من ينوي الحج والعمرة معاً . ويسن على الحاج الحرم او المتحرلق ما شئت
تحت البطن وتقليم الاظفار وتسريح الشعر والفصل وصلاة ركعتين يبدأ الاحرام بهما

ويحرم الحاج منذ وصوله الى حد حرم مكة وهذا الحرم يحاطها من جميع جوانبها ومضافة
ما بين دائرة هذا الحرم وتقطعها المركبة التي هي الكعبة المشرفة من جهة الشمال والشرق والجنوب
تبلغ خمسة عشر كيلومتراً أما من جهة الغرب فلا تتجاوز الخمس كيلومترات . وعلى حد الحرم من
الجنوب مكان يسمى « أضاه » . ومن الغرب بميل قليل الى الشمال قرية « الحديبية » التي نحن
بصددها كما ترى في المتن . ومن الشرق على طريق الطائف مكان يسمى « الجؤانة » . وفي هذا
الحرم يتناول الانسان والحيوان حتى النبات فكل من دخله فهو آمن وكل من فيه من هذه
الموالم الثلاث فهو آمن .

ثم ان الحاج يبدأ حجته بقوله « ليك اللهم ليك ، ليك لاشريك لك ليك ، ان الحمد
والثمنة لك والملك ، لاشريك لك » وعليه أن يكرر هذه التلبية من وقت الى آخر حتى اذا ما دخل مكة
المسكوبة يقول : « اللهم ان هذا الحرم حرمك ، والامن امناك ، والمبدع بك اللهم اني بك من
بلاد بعيدة ، بذنوب كثيرة ، راحياً ان تستقباني بمحضر عفوكم وكرمك ، وان تحرم جسدي على
النار ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » . فاذا انتهى الى الحرم يدخل من باب
السلام وهو يقول : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم انت السلام
ومنك السلام ، لحيننا بالسلام ، وادخلنا الجنة دار السلام ، بفضلك يا ذا الجلال والاكرام » ثم يدير
نحو الكعبة من جهة الشرق وهو يقول : « اللهم ان هذا الحرم حرمك وهذا الامن امناك .

وَمَا كُنَّا أَشْتَقُهَا شَوْقَ الْمُحِبِّ إِلَى حَبِيبِهِ وَشُكَّا قَاسِي تَنَائِبِهَا
حَتَّى إِذَا مَا التَّوَى قَدَ طَالَ سَارَ إِلَيْسَهَا زَائِرًا لَمْ يَهَبْ عُدْوَى أَهْلِهَا

اللهم حرم جسي على النار » وعند ما يقع بصره على الكعبة المظفة يقول : « بسم الله والله أكبر (بلا) لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » ويدخل بعد ذلك من باب شية وهو يقول « رب أعطني مدخل صدق ، وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً قصباً ، وقل جاء الحق ، وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً . ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً » ثم يتجه نحو الحجر الأسود فيقبله ويقول : « بسم الله ، الله أكبر ، لله الحمد ، اللهم اغفر لي ذنبي ، وطهر لي قلبي ، واشرح لي صدري ، وعافني برحمتك فيمن تنافي » ثم يستلم الحجر بيمينته وقبله (إذا استطاع إليه وصولاً أو يكتفي أن يفعل إشارة التقبيل) وينوي الطواف ويقول : « اللهم اني نويت طواف بيتك العظيم سبعة أشواط لوجهك الكريم . اللهم يسرها لي ، وقبّلها مني » ثم ينطلق بعد ذلك بطوافه وهو يقول « اللهم ، إيماناً بك ، وتصديقاً بكتبك ، ووفاءً بعهدك ، وإتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له . وأني محمداً عبده ورسوله . اللهم إن هذا البيت بيتك . والحرم حرمك . والأمن امتك . وهذا مقام السائد بك من النار . فأعطني منها يا عزيز يا غفار . اللهم اني أعوذ بك من الكفر ، والفقر ، وضيق الصدر . وعذاب القبر . ومن فتنة المحيا والممات . اللهم : اني أسألك العفو ، والعافية . والمعاذة الذاقة في الدين والدنيا والآخرة . اللهم . اظني تحت عرشك . يوم لا ظل إلا ظلك . واسعني بكاس نبيك محمد صلى الله عليه وسلم . شربة هنية مريّة لا أظأ بعدها أبداً . اللهم اجعل حجاباً مبروراً . وسياً مشكوراً . وذنباً مغفوراً . وتجارةً لن تبور . اللهم . اني أعوذ بك من الشك . والشرك . والنفاق . وسوء الاخلاق . وسوء المنقلب . وسوء المنظر في المال والأهل والولد . اللهم . اني عبدك وابن عبدك قد اتيتك بذنوب كثيرة . اللهم ما كان لك منها فأغفر لي وما كان منها لبلادك فاحلها عني » يتلو الحاج هذه الدعوات من أعماق نفسه في طريق طوافه حتى إذا ما أخذ يدنو من الحجر الأسود يقول : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة . وفي الآخرة حسنة . وقنا عذاب النار » فإذا حاذى الحجر الأسود يقول (وهو يستلم الحجر أو يسلم عليه بيمينته إذا أذّر الاستلام) « بسم الله . الله أكبر » ثم يدعو الله بما يشاء من الادعية السابقة أو ما يحضره من غيرها .

وبعد الطواف سبعة أشواط يتوجه الحاج خلف مقام إبراهيم وصلي ركعتين وهي سنة الطواف ويقول : « اللهم انك دعوت عبادك إلى بيتك الحرام ، وقد جئت طائفاً لا شرك ، فأغفر لي ولرحمتي اللهم اغفر لي ، ولوالدي ، وارحمهما كما ربياني صغيراً . اللهم اغفر لي ، وجميع المؤمنين والمؤمنات ، والاحياء منهم والاموات » ثم يقصد الحاج بعد ذلك (الملتزم) وهو يقول : « اللهم ، يارب البيت العتيق ، اعتق رقابنا ، ورقاب آبائنا وأمهاتنا ، وإخواننا ، وأولادنا ، من النار . اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجِرنا من خزي الدنيا ، وعذاب الآخرة . اللهم ، اني عبدك ، وابن عبدك ، واقف تحت بابك ، ملتزم لأمانتك ، متذلّل بين يديك ، أرجو رحمتك ، وأخشى عذابك . اللهم اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واغفر لي ذنبي » ثم يذهب الحاج إلى بئر زمزم فيضرب منها هنيئاً مريئاً ثم يتوجه إلى السعي فإذا خرج من باب الصفا يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم ،

هَآت عَلَيْهِ بِقِيَّاهَا الْمَخَاطِرُ فِي هَذِي آتِيَارَةِ أَنْ يَجَاهُ فَالِجِيَّاهَا
فَسَارَ مِنْ طِبَّةٍ بِالصَّخْبِ مُعْتَمِرًا لِسَكَّةٍ وَقَرُوضُ الْحَجِّ نَاقِيَهَا

ان الصفا والمروة من شئان الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما « ثم يصعد على درجات الصفا ويتوجه الى الكعبة وعند ما يقع نظره عليها يقول : « بسم الله ، الله اكبر ، والله الحمد » ثم يمشي الى المروة قائلاً « لا اله الا الله ، وحده لا شريك له له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، لا اله الا الله ، ولا نعبد الا اياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، اللهم ، اني أعوذ بك من فضال الداء ، وخيبة الرجاء ، وشيامة الاعداء وزوال النعمة ، ونزول النعمة » ثم يهرول الحاج بين الميادين الأخضرين وهما عمودان مبيتان في جدران الحرم أحدهما بجوار باب القبلة والثاني بجوار باب علي والمسافة بينهما سبعون متراً وقول « رب اغفر وارحم ، وتجاوز عما تعلم ، انك أنت الاعز الاكرم ، وبنا أنت في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وفا عذاب النار ، يلغز به يغفلر ، يا لرحم الراحمين » ثم يدعو الحاج بما يشاء وبعد هذا شوطاً من السعي ويجب أن يكرره سباً

أما السعي هذا فهو ما بين الصفا والمروة وطوله نحو ٤٢٠ متراً وهو شارع عمومي محاط بالبيوت والمخازن والدكاكين مما يجعله مزدحماً دائماً بالناس ولا سيما في موسم الحج وبعد أن يسمى الحاج سبع أشواط يمشي أو يقصر ويتحلل (أي فك أحرامه) إذا كان محرماً للمرة فقط ويظل متحلاً الى يوم التروية وهو اليوم السابق ليوم عرفة حيث يحرم للحج أما إذا كان محرماً للحج أو للحج والمرة مما فيفضل محرماً لبد عرفة بفتر تحلل

ثم ان الحاج يتوجه الى عرفة وله أن يبيت في منى إذا أراد ويقضي في عرفة اليوم التاسع من ذي الحجة وجزءاً من ليلة عشره في الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل والتلبية والصلاة على النبي وآله والاكثر من تلاوة سورة الاخلاص ومن قوله « لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير » ثم عليه أن يكثر من الدعاء والتضرع الى الله يقول حبه ، وغفران ذنبه ، وعلى الخصوص بعد العصر . وسن الجمع (أي العصر مع الظهر) مع الامام برفة . فإذا أقاض الامام أو نائبه من عرفة فينفر منه الى مزدلفة

واعلم أن أهل السنة يكفي عندهم الوقوف برفة ولو لحظة واحدة من يوم تاسع ذي الحجة وليلة عشره ولو فاته الوقوف فاته الحج من عامه فيتحلل بمره وعليه قضاء الحج في العام التالي ، ولو كان حجه قفلاً . وأما أهل الشيعة فلو فات الحاج منهم الوقوف برفة يوم تسعة ذي الحجة وليلة عشره فانه لا يتحلل حتى يقضي حجه في عام قائل لذلك يباينون في الاحتياط لوقوفهم فيقولون في اليومين التاسع والعاشر من ذي الحجة ولا يزلون من عرفة الا بعد قليل من ليل الحادي عشر منه وبعد أن ينفر الحاج الى مزدلفة يجمع فيها حتى الجمار وعددها ٤٩ حصوة ثم يسير الى منى وهناك يرمي جرة العقبة بسبع حصوات وهو يقول « بسم الله ، الله أكبر ، رجماً للشيطان وحزبه ، اللهم ، تصديقاً بكتابك ، واتباعاً لسنة نبيك وخليفك عليهما الصلاة والسلام » ثم يذبح ان كان عليه هدي . ثم يمشي أو يقصر وهو يقول « الحمد لله الذي قضى عني نسكي ، اللهم زدني إيماناً وبقيناً » وبعد هذا يمشي للحج كل ما حرم عليه في الاحرام الا النساء والطيب . وفي اليوم الثاني يرمي الحاج جرة العقبة بعد الزوال . ثم يرمي الجرة الثانية فالثالثة بسبع حصوات في كل مرة . ويضع منسل

وَلَمْ يَزَلْ طَائِفًا مَعَهَا أَهْمَارًا إِلَى إِنْ أَقْبَلَتْ وَأَتَاخَتْ فِي ضَوَائِحِهَا
وَلَمْ يَكُنْ رَاغِبًا بِالْعَرَبِ وَهُوَ بِأَشْمِهِ الْحَرَامِ الَّتِي قَدْ حُرِّمَتْ فِيهَا
وَفِي الْحُدُودِ أَلْحَدًا بِأَسْتَقْرَ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ أَرَأَيْ مِنْ كُفَّارِ أَهْلِهَا (١)
وَهُمْ لَقَدْ فَرَّقُوا مِنْ فَجْءٍ حَجَّتِهِ وَمَا دَرَوْا أَنَّ حُبَّ اللَّهِ دَاعِيهَا
حَتَّى فَهَمَّتِ الْكُفَّارُ نِيَّةً أَصْحَابَ الرَّسُولِ وَقَدْ بَانَتْ خَوَافِهَا
بِمَنْ لَهُ بَعَثَتْ مِنْ رُسُلِهَا فَاتَّسَعَتْ وَأَنْشَتْ وَهِيَ لَا تُلْفِيهِ مُؤْذِنُهَا

هذا في اليوم الثالث . وبعد ذلك ينزل الى مكة كرمها الله ويطوف طواف الافاضة ويسعى (اذا
كان عليه سعي) ويكون يومه هذا الثالث عشر من ذي الحجة وحيثما يتحلل من احرامه ويحل له
النساء والطيب في كل ما حرم عليه في الحج

أما محرمات الاحرام فهي : لبس الخيط . وتنظيف الرأس أو ازالة شعره بتمف أو حلقه ،
فذا فعل شيئاً من ذلك تسمى أو سهواً فعليه القدية بذبح شاة الا اذا كان ما أزيل من شعر الرأس
لا يتجاوز الاثني عشر شعرة فعليه أن يتصدق بخمسة بر . ويحرم عليه أيضاً تطليم أظفاره ، وعليه
القدية ان فصل الا اذا كان ظفراً أو ظفرين فعليه أن يتصدق بعد أو مدين من البر . ويحرم
عليه الطيب في بده أو ثوبه أو فراشه أو أكله أو شربه أو في عطوس أو في دهان ويجب عليه
القدية لو فعل . ويحرم عليه صيد الحيوان أو قتله أو تنفيره كما يحرم عليه قطع حشيش الخمر وشجره
وعليه به قدية دم . ويحرم عليه الجماع وبه نفس الحج

واذا فات الحاج شيء من أركان الحج أو العمرة أو شروطها سهواً أو عمداً بطل حجه وعمرته
وان فات شيء من الواجبات وجب عليه قدية دم لكان واجب تركه ، وذلك بأن يذبح شاة في الحرم
فان عجز عن الذبح صام ثلاثة أيام في الحج من وقت احرامه الى يوم النحر ، وسبعة أيام اذا رجع الى
بلده . وهذا اذا ترك شيئاً من واجباته قبل يوم الوقفة في عرفات أما ان تركه بعد الوقفة فعليه أن
يصوم الايام العشرة بعد موصلته الى وطنه . وان فات شيء من السنن أو المندوبات فعليه أن يتصدق فقط

(١) بعد ارضاض أسر الأحزاب استقر رسول الله بالسلمين في المدينة المنورة الى الجادى
الاولي « سنة ٦ هـ » حيث سار عليه الصلاة والسلام على بني لحيان يطالبهم أصحاب الرحيم ولما بلغ
« غران » وهو واد بين أمج وعسفان وكان بنو لحيان نازلين فيه وجددهم قد عرفوا نبأه وهروا
من وجهه متعصمين برؤوس الجبال فتركهم وعاد الى المدينة

ولم تستقر المدينة برسول الله وأصحابه بضع ليال حتى انتهى اليه عليه الصلاة والسلام ان هين
بن حصن أغار في خيل من غطفان على لقاح له في العابة فارسل سرية مستعجلة بقيادة سعد بن زيد
في طلب غطفان ثم تبعها بمجملته ورجله واستقذ بمضي اللقاح وهربت غطفان بالباقي وأقام المسلمون
بذي قرد حيث جرت مناوشة ممر غطفان يوماً وليلة ثم عادوا قافلين الى المدينة

وبقي رسول الله في المدينة الى شعبان « سنة ٦ هـ » حيث خرج يريد بني المصطلق وهم
بطن من خزاعة وكان إمامهم يتحذرون لحربه بزعماء الحارث بن ضرار فقتلهم على ماء لهم يسمى
« المريع » من ناحية قد بد الى الساحل فتراحف الناس وامتثلوا فتكسرت خزاعة وقدر المسلمون

وَبَعَثَ طَوْلَ جَدَّالٍ قَامَ قَائِمُهُ
يُحِلُّهُ هَادَنَ الْهَادِي سَهْلَ قَى
بَانَ يَمُودَ بِلَا حَجَّ لَطِيبَةَ عَو
وَأَنْ بَقَى حَجَّةً فِي مُقْبِلِ قَلَّة
وَأَنْ تَحْيَى جُمُوعُ الْمُسْلِمِينَ وَلَا
وَأَنْ يَسُودَ رَبِّي الْغَرْبَ السَّلَامُ حُو
وَأِنْ أَنَّى أَحَدًا مِنْ غَيْرِ إِذِنْ وَلَيْسَ قَى مِنْ قُرَيْشٍ أَوْ مَوَالِبِهَا
أَعَادَهُ وَقُرَيْشٌ لَا تَرُدُّ لِأَخِي قَى مِنْ بَنِي الْإِسْلَامِ بِأَتْبِهَا
وَأَنْ يُيَاحَ لِكُلِّ الْغَرْبِ عَقْدُ قُرَيْشٍ أَوْ مُحَمَّدٌ قَائِمُهَا وَدَانِهَا
وَكَانَ يَكْتُبُ هَاتِكَ الشَّرْطَ عَلَيَّ وَالرَّسُولُ الْمَقْدَى كَانَ يُعْلِيهَا

بأموالهم وأسروا أبناءهم ونساءهم وفيهم جويرية بنت الحارث المثار اليه فتزوجها رسول الله وقسم
السيايا على المسلمين وعاد الى المدينة

وبعد أن لبث رسول الله في المدينة الى ذي القعدة (سنة ٦ هـ) خرج بالناس يريد مكة
متمثراً لا يريد حرباً وساق معه الهدى وهو ما يهدى الى الحرم من النعم وحرم عليه الصلاة
والسلام بالسرعة ليأمن الناس من حربه وزل في موضع يسمى الحديبية . ولما بلغ قريشاً مبعوه
عليه الصلاة والسلام حبسته غارياً عارياً وتأهت للنود عن مكة كرمها الله وأرسلت له بديلاً بين
ورقاء الخواص في قمر من قومه الى الحديبية يسأله عن مقدمه فقال لهم اني قدمت حاجاً ولست عارياً
فرجوا الى قريش بذلك فأبت أن تصدق القول وقالت وان صبح أن المسلمين قادمون للحج فأنهم
لا يدخلون مكة أبداً ويشت الى المصطفى رسولا آخر يسأله عن مقدمه فأجابه بما أجاب بديلاً
فلما عاد الى قريش بجوابه لم تعلمت نفوسهم وبشوا اليه الحليين بن عقبة الكناني سيد الأحابيش فلما
رأاه المصطفى عن بعد قال هذا من قوم يتأهلون فأبشوا الهدى في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى
يسبل عليه من عرض الوادي رجح الى قريش بينهم بأن المسلمين قادمون للحج فجهوه قائلين انك
اعرابي لا علم لك بالسياسة فنضب الحليين وقال أعل هذا حالفنا كم ؟؟ أصد عن البيت من جاء مغطاً له ؟؟
وتهددهم بالأنتفاض عليهم ان منوا المسلمين من الحج فطبت قريش خاطرهم وأرسلت للمصطفى
عروة بن مسعود الثقفي وأمه سبيعة قصدها وكله مسعود فقال أجت قومك بأوثاب الناس لنذهب
فان قريشاً قد عاهدت الله أن لا تدخل مكة عنوة أبداً فتلطف به رسول الله وأكده أنه لم يأت
مكة الا للقضاء فريضة الحج فعاد الرجل بأمه الى قريش يخبرهم بما سمع

وبعد انصراف عروة استدعى المصطفى عمر بن الخطاب وأمره أن يسير الى قريش ويخبرهم
عاقداً لاجله فأجابه عمر أنه يخاف قريشاً على نفسه وايس في مكة من بني عدي من يمنه منهم

قَالَ : سَبِيلُ فَلَمْ يَقْبَلْ يَسْمَلُ
قَالَ الرَّسُولُ : بِسْمِ اللَّهِ تَبْدَأُهَا
وَإِنْ كُتِبَ : فَذَلِكَ رِسَالَةُ اللَّهِ أَحَدًا
نَادَى سَبِيلُ : لَوْ أَنِّي لِرِسَالَةٍ قَدْ
قَالَ الرَّسُولُ : إِذَنْ تَمَحَّوْا الرِّسَالَةَ يَا
إِنِّي أُرِيدُهَا سَخَى أَرَى عَلَنًا
قَالَ أَحَدٌ : نَاوِلْنِي الْوَيْقَةَ كَيْ
وَمِثْلَهَا سَلَامِي وَفَقَّةً عَجَسَتْ
وَعَبْرَةُ الْمَرْتَقَى لَحَتْ بِمَوْقِفِهِ
أَمَّا الرَّسُولُ فَنَادَى أَنَّاسَ قَالَ أَنَا

سَبِيلُ إِذْ قَالَ : لَا أَذْرِي مَعَانِيهَا
قَطْعًا فَلَوْ قَرِئَتْ ذَاكَ يُرْضِيهَا
عَلَيْهِ صَالِحًا صُلَحًا يُؤَاتِيهَا
عَرَفْتُ مَا كُنْتُ مَعَ قَوْمِي أَنَا وَبِهَا
عَلِيٌّ قَالَ : مُحَالٌ لَسْتُ مَارِحِيهَا
كُلَّ الْبَرِيَّةِ قَدْ دَانَتْ لَهَا دِينَهَا
أَمَحَّوْا فَلَوْ أَنِّي ذِي الذَّنْبِ أَمَا شِئْنَا
لَهَا الْوُجُوهُ فَلَا تَأْبَى رَضِيهَا
أَسْتَنِي مِنَ الشَّسِ فِي أَبْهَى مَجَالِيهَا
رَسُولُ رَبِّي لِأَهْلِ الْأَرْضِ أَهْلِيهَا

وقال ولكن أرسل عثمان بن عفان فهو من أمية وهي الأميرة في مكة اليوم فأرسل المصطفى عثمان بهذه المهمة فلما بلغ مكة لقيه ابن بن مسيد بن الناصر بن أمية وأجلوه حتى يبلغ الرسالة قبلها ثم قالوا له ان شئت أن نطوف بالبيت فلفظ فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله فنصبت قريش لجوابه واحتبست عندها وبلغ المسلمين أن عثمان قد قتل فلما انتهى الخبر إلى رسول الله قال لا نبرح حتى نتاجز القوم ودعا أصحابه إلى الميابة فبايعوه بيعة الرضوان تحت الشجرة على أن لا يفرروا ولكن سرعان ما بلغه بطلان الاشاعة وإن عثمان لا يزال سليماً وذلك بوصول رسول قريش إليه وهو سبيل بن عمرو المصيري

قدم سبيل على رسول الله وأنبأه استمرار قريش على منه من دخول مكة بأصحابه واتفق معه على أن يعود أدراجه على شروط هذه خلاصتها : أولاً أن يرجع المسلمون أدراجهم فلا يدخلون مكة في عامهم ولكن يصح لهم أن يقدموا إليها في الحجة التالية أو بعدها على شرط أن تكون سيوف فرسانهم في القرب . وثانياً أن لا تحدث حرب بين المسلمين وقريش إلى عشر سنين . وثالثاً أن من يأتي محمداً عليه الصلاة والسلام من قريش من غير إذن وليه يرده عليهم ومن يجيء قريشاً من أصحاب محمد لا يردونه وإما تطلق الحرية للناس في الدخول في عقد محمد أو عقد قريش

ومما يذكر في هذا المقعد أن رسول الله استدعى علياً عليه الصلاة والسلام ووافق عليه عليه فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فاعتزله سبيل بن عمرو قائلاً لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله لملي : اكتب باسمك اللهم فكتب فقال النبي : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سبيل بن عمرو فكتب على ذلك بيننا سبيل صاح مكرماً : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أصدك عن البيت ولكن اكتب باسمك واسم أميك محمد بن عبد الله فقال رسول الله لملي وهو يبتسم : لمع يا علي كلمة رسول الله فقال علي : ما أنا بالذي يمجحها فقال رسول الله : أرني القرباس فقدمه له فحيا يده الشريفة كلمة رسول الله وقال : اكتب يا علي هذا

إِنْ كَذَّبْنِي فَرَيْسَ قَالِمَجَالَهُ عَنْ تَصْدِيقِي دَعْوَتِي الْفَرَاءُ تُنْشِئُهَا
وَهَكَذَا كُتِبَتْ تِلْكَ الشَّرُوطُ وَأَمْسَاها سَهْلٌ وَطَهُ أَضْنُ مُنْضِيهَا
وَعَادَ أَصْحَابُ طَهُ لِلْحَدِيثَةِ فِي عَهْدِ النَّسْرِ الْهَدْيِ جَبْرًا يُهَيِّئُهَا

أمر المؤمنين في غزوة خيبر

دَعَا الرَّسُولُ فَلْيَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَيَّ تَأْذِيبَ خَيْبَرَ عَنْ مَاضِي تَعَذُّرِهَا (١)
إِذْ مَا لَأَتَ خَيْبَةَ أَعْدَاءَ أَحَدٍ مِنْ يَهُودٍ قِتْلَاقَ ثُمَّ مِنْ تَضْيِيقِهَا
وَقَالَ : عَزَّوْنَا لِلَّهِ وَجْهَهَا لَا لِلْفَنَائِمِ فَلْيَرْجِعْ مَرَجِئُهَا

ما صالح عليه محمد بن عبد الله سليل بن عمرو . وقال بعد ذلك : أنا والله رسول الله وإن كذبتموني
ثم مال إلى سيدنا علي عليه الصلاة والسلام وقال : لك مثلي تطعها وأنت مقهور وكانت قوله تلك
نبوة لما جرى بعد ذلك لأمر المؤمنين مع عمرو بن العاص في وقعة صفين على ما سيبي . وبعد
نهاية كتابة العقد وامضاه سار سهيل إلى مكة وتحضر المصطفى للعودة إلى المدينة

وغضب المسلمون لحديثهم من قضاء الحج وكان أشدهم غضباً عمر بن الخطاب فعارض المصطفى
بصلحه بليه قائلاً « أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيئي » ثم إن المسلمين تطلخوا
من عمرتهم بنحر الهدي وعلق الروس . وكان هذا الصالح في ظاهره نصر للمشركين ولكنه في
الحقيقة كان نصراً للمسلمين لانهم بواسطته أمنوا جانب قريش وانصرفوا إلى اذاعة الدعوة ومكاتبه
المالوك وروساء العشائر وكانت رسل محمد اليهم تندو ونروح وهي آتية

(١) قال الله سبحانه وتعالى « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » قال المسلمين
سأهم صلح الحديبية على ما في ظاهره من الخط من قدرهم لصدمهم عن قضاء فريضة الحج وهم
قادمون إلى مكة متمترين ومن التبن في شروط الهدنة التي كتبت بينهم وبين المشركين لالتزام
المصطفى أن يبيد لهم من يأتيه من قريش بنير اذن ولله خلافاً لقريش التي لا تسل من يأتيها من
المسلمين هارباً من عدل رسول الله . الا أن نتيجة هذه المهادنة كانت في مصلحة الاسلام والمسلمين
مما لا نأمنها كما سبق الإشارة تركت رسل رسول الله في أمن فصار تندو ونروح بكتبه عليه الصلاة
والسلام حيث تريد ولا من يترض لها . وكان من نتائجها أيضاً أن رسول الله عند ما عاد إلى المدينة
إلى المدينة النور وهو صرح البال من عداة قريش وانصرفهم إلى المناجزة عدو بقرق المدينة طالما
أظهر النداء للمسلمين وأمنت بأقواله وأقواله انه ينتظر أن تدور الدائرة عليهم ليكون أول محاربهم
وذلك العدو هو أهل خيبر وهم من اليهود

وغير هذه هي مدينة بنيت باسم رجل من المالقي نطسا وقيل ان ياتي المدينة هو أخو ثوب
المسي غير أحد أولاد نوح وهذه المدينة تسمى المدينة المنورة بنحو ٩٢ ميلاً وكانت لذلك العهد
واقعة العمران فيها مزارع ونخل وكان أهلها من اليهود ولشهم الثرية وسر تقمهم على المسلمين هو انتصارهم
لاخوانهم بني النضير الذين كان من أمرهم ما كان . ولذلك لم يستقر المقام برسول الله في طيبة حتى
أخذ يتنهد إلى غزوة خيبر واستنفر له هذه الفزوة من محبوه إلى الحديبية من المهاجرين والأنصار

وَتَحِبُّرُ ذَاتِ يُسْرٍ وَأَلْوِيَانُ حَوَا
وَأَهْلُهَا حَسِبُوا أَنَّ الْخُصُوفَ وَإِنْ
لِلَّذَلِكَ شَادُوا بِإِسْرَافٍ حُصُونَهُمْ
عَلَى حُصُونِهِمْ كَانَ أَنْكَالُهُمْ
وَمُذْرَأُ وَقَوْمٌ لَهُ أَقْبَلَتْ قَفْلُوا
وَطَالَ حَصْرُ رَسُولِ اللَّهِ بِلَدِّهِمْ
قَالَ : فَتَفَتْحَهَا قَهْرًا بِجَوْلِكَ يَا
فِي الْحَالِ نَادَى أَبَا بَكْرٍ وَسَلَّمَهُ أَلْ
فَسَارَ وَالْجَنْعُ مِنْ حَوْلِهِ مُطْلِبًا
وَلَمْ يَوْفُقْ إِلَى فَتْحٍ وَعَادَ إِلَى
فَأَوْفَدَ الْمُصْطَفَى مِنْ بَعْدِهِ عُمَرَا
فَسَارَ فِيهَا أَبُو حَنْصٍ عَلَى عَجَلٍ
فَأَرْسَلَ الْمُصْطَفَى الْحَبَّابَ بِخَبْرَةِ
فَسَارَ فِي غَدِيهِ ثُمَّ أَنْشَى يَوْسَا

لَيْهَا وَأَشْجَارُهَا تَمَلَّا صَوَاحِبُهَا
هُمْ يَطْلُبُونَ لَتَحْنِيهِمْ وَتَحْنِيهَا
فَطَاوَلَتْ مَطْلَعِ الشَّرَى مَبَايِنُهَا
يَحْفَرُهُمْ ذِمَّةُ الْإِسْلَامِ تَحْمِيْنُهَا
أَبْوَابُهَا وَتَغْبُوا فِي مَخَابِنُهَا
فَلَمْ تُسَلِّمْ وَلَمْ يَخْنَعْ أَهْلُهَا
رَبَّاهُ مَهْمَا تَمَادَتْ فِي تَعَصُّبِهَا
لِوَاءٍ قَالَ لَهُ : فَأَقْصِدْ حَوَامِيَهَا
فَتَحَا وَهَيْتُهُ لَمْ يَنْبُ مَا ضَبَّهَا
لَهُ وَبُعْبُعُهُ قَدْ خَابَ بَاغِيَهَا
وَقَالَ حَاجَتُنَا لَا شَكَّ تَقْضِيهَا
وَأَرْتَدَّ عَنْهَا وَلَمْ يَسْلُخْ صِيَاصِهَا
لِلَّذِي الْمِثْقَةُ أَهْلًا أَنْ يَوْفِيَهَا
مِنْ نَصْرَةٍ رَامَ بِالْأَرْوَاحِ يَشْرِيَهَا

فنفروا معه . وجاءه عليه الصلاة والسلام التخلفون يريدون الخروج معه رجاء النعمة لجهنم مؤذياً
فقال : « لا تخرجوا معي الا راغبين في الجهاد فاما النعمة فلا » وأمر متادياً بنادي بذلك . وكان
خروجه صلى الله عليه وسلم لهذه الفتوة في ٢٠ محرم سنة ٥٧

وعندما وصل المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى منوالحي خيبر ضرب عليها الحصار مدة تمت قصير عليها
ثم أقر على فتحها فأعطى اللواء إلى أبي بكر وبنته بالمسلمين لا خرقا للأسوار فسار أبو بكر بالمسلمين وما
زالوا يقاتلون ياض يومهم فجهدوا ولم يكن فتح وعادوا في المساء إلى المسكر . وفي صباح اليوم الثاني
أرسل المصطفى المسلمين بقيادة عمر بن الخطاب لا خرقا أسوار خيبر فساروا وأفلخوا ياض نهارهم
ولم يكن فتح وعادوا في المساء أدرأهم إلى المصطفى . وفي اليوم الثالث استدعى المصطفى الحباب
بن النضر وهو من أبطال الأنصار وأعطاه رايته وأرسله بالمسلمين لا خرقا هاتيك الأسوار فلم
يكن حظه أفضل من حظ أبي بكر وعمر فماد في المساء مع المسلمين وهم مجاهدون ولم يكن فتح .
وفي اليوم الرابع دعا المصطفى إليه سعد بن عباد وهو من شجعان الأنصار وأعطاه رايته وأرسله
في هاتيك المهمة مع المسلمين فساروا وحاربوا مستقيمين وعادوا في المساء أدرأهم على غير نتيجة .
فلما رأى المصطفى عليه الصلاة والسلام أن أسوار خيبر قد امتنعت على المسلمين ولم تهدفها شجاعة

كَذَلِكَ أَرْسَلَ سَدًّا تَحْتَ رَأْيِيهِ قَمَا عَلَى خَيْبَرٍ قَدْ كَانَ مَرْيِبَهَا
فَأَسْتَأْذِنُ لِمَنْ لَحْنَاتٍ لَهُ فَشِلَتْ عَلَى التَّوَالِي وَلَمْ يَنْجَحْ تَمَالِيهَا
وَقَالَ : إِنِّي لِأَعْطِي رَأْيِي بَعْلًا بِالنَّصْرِ فَوْقَ رَبِّي الْأَعْدَاءُ يُغْلِبُهَا
كَمْ أَحَبَّ إِلَهُ الْعَرْشِ عَنْ وَلِهِ وَقَدْ تَدَلَّهَ بِي تَأَلَّهَ تَدْلِيهَا
يَكْرُ كَرًّا وَلَا يَرْمَى الْفِرَارَ وَيَلْ قَى الْأَسَدَ فِي غَايِبِهَا تَأْوِي مَاوِيهَا
عَلَى يَدَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ يَفْتَحُ لِي هُدًى الْمَصُونِ وَإِنْ عَزَّتْ بِحَامِيهَا
وَفِي الْفَتْوَى دَعَا طَهَ أَعْلَى إِلَى مُهْمَةٍ هُوَ بِسْمِ اللَّهِ قَاضِيهَا
قِيلَ : إِنْ عَلِيًّا يَشْتَكِي رَمَدًا لَمْ يَمِنْ أَلَيْ رُؤْيَا الْأَنْوَارِ تُؤْذِنُهَا
حَتَّى مَسَالِكُهُ يَخْشَى الْعِشَارَ إِذَا مَاسَرَ فِيهَا فَلَا تُفْلِيهِ يَطْوِيهَا
قَالَ طَهَ : وَمَنْ يَأْتِي بِهِ وَإِذَا « بِسَلَمَةٍ » رَغْبَةُ الْهَدْيِ يُبْضِيهَا
وَجَدَّ يَطْلُبُ مَوْلَانَا أَبَا حَسَنِ مِنْ وَسْطِ خَيْبَتِهِ إِذْ كَانَ لَا جَبِيهَا
فَأَظْهَرَ الْتَرْتَضَى أَوْفَى طَوَاعِيهِ لِرُغْبَةٍ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا يُعَامِيهَا
وَقَالَ : إِنْ يَمْنَعُ اللَّهُ الْهَبَاتِ فَلَا مَعْطٍ وَلَا مَانِعٍ إِنْ كَانَ مُعْطِيهَا
فَقَادَهُ « سَلَمَةٌ » وَهُوَ الْمَعْصَبُ عَيْنِيهِ وَخَطْوَتُهُ رَيْثٌ يَخْطِيهَا

أبو بكر وعمر والحباب وسعد وهم أكبر قواده ذكر يطل الاسلام الأكبر ذكرى بحق له عليه صلوات الله أن يمثل عندها بقول الشاعر:

سيد كرفي قوي إذا جدَّ جدُّهم وفي الليلة الظلماء يعتقد البدر

وقال عليه الصلاة والسلام : « لأدقن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه » ، كرَّار غير فرَّار » ولا نخال المسلمين جملوا في مسأهم ذلك الرجل الذي عناه المصطفى وفي صباح اليوم الخامس صلى رسول الله بالمسلمين صلاة الفجر ثم سأل عن علي عليه الصلاة والسلام فقيل له أنه يشتكي عينيه فقال : ومن يأتي به ؟؟ ولم يكده يلقي هذا السؤال حتى أسرع سلمة بن الأكوع إلى خيمة علي فوجده عليه صلوات الله منظرًا على فراشه عاصبًا عينيه فأبلغه رغبة المصطفى فقال : « اللهم لا ممطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت » ونهض من فراشه وقال « قدني إليه » فأخذ ساحة يده وسار به إلى المسكر فلما دخل على المصطفى عليه الصلاة والسلام أنبأه بما كان من امتناع أسوأ خبير على أكابر قواده وقال : ليس لها إلاك يا أبا الحسن فقال علي : « ولكنني أرمد يا رسول الله فلا أكاد أهر موضع قدسي » فدَّ المصطفى يده الكرى يمين وجذب بيما رأس علي ووضعه في حجره الشريف وكشف عصابة عينيه وتل بهما من صفاته الشرف ودلكهما فبرثما

وَإِذْ رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ أَمْسَكَهُ وَقَالَ : ذَا مُبِلِغِي رَغْنِي أَرْجِيهَا
 وَقَالَ : خَبِرْ فِي أَسْوَارِهَا أَمْتَنَتْ وَأَنْتَ قَاهِرُهَا خَضًا وَخَازِنِهَا
 فِيرَ عَلَيْهَا وَأَنْتَ الْيَوْمَ فَاتِحُهَا وَبِالْمَذَلَّةِ وَالْإِهْوَانِ مَا نَبِهَا
 قَالَ أَلْمَلِي : وَلَكِنْ مِنْ أَدَى رَمْدِي أَشْكُو وَعَيْنِي قَدْ سَاكَ مَا قَبِهَا
 فَقَالَ أَحْمَدُ : لَا تَجَزَّعْ قَرْمَذُكَ الْـمُضَلَّاهُ إِنِّي بِإِذْنِ اللَّهِ أُبْرِئُهَا
 وَرَاحَ مُسْتَقْبِلًا رَأْسَ أَلْمَلِي عَلَى الْـجِجْرِ الشَّرِيفِ بِالْطَّافِ يُوَالِيهَا
 ثُمَّ جَلَا يَنْتَانَ الْطَفِ غَصْبَ عَيْنَيْهِ وَرَمَذَهُ أُمْنَى يَدَاوِيهَا
 وَبِالْبَصَاقِ أَنْشَى يَجْلُو الْقَمَاسَةَ عَنْهُمَا فَوَالَتْ وَكَانَ الْبَرْهُ تَالِيَهَا
 وَبَعْدَ ذَا مَا شَكَا مِنْ رَمْدَةٍ دَهَمَتْ عَيْنَيْهِ كَلَّا وَلَمْ يَعْرِفْ نَازِلَهَا
 وَقَالَ طَهَ : فِيرَ لَا تَلْتَفِتْ أَبَدًا حَتَّى تَدُورَ غَاوِيهَا وَعَايِنَهَا
 وَعَنْ يَمِينِكَ جَبْرِيلٌ وَفِي يَدِهِ سَيْفٌ إِذَا ضَرَبَ الْأَجْبَالَ يَقْرِئَهَا
 وَمَنْ يُمْنَاهُ نَفْسِي عَوْنُ غَزْوِكَ الْـمُغْرَا بِنُصْرَتِهِ أَلْعَلِّيَا يُوَشِّسُهَا

بإذن الله حتى كان لم يكن فيها رمد ولا ألم وقال علي الله لم يشك بعد ذلك بعينه طول حياته
 وبعد أن شفيته عينا أمير المؤمنين عقد له المصطفى لواءه الأبيض وقال له : « امش ولا
 تلتفت » فسار على يمينه المسلمون مهلين مكبرين حتى إذا ما خطا بهم بضع خطوات وقف من غير
 أن يلتفت إلى ورائه وصرخ بأعلى صوته : « يا رسول الله علام أقاتل الناس ؟؟ » فأجابه المصطفى
 « قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك ، فقد مننوا منك
 دماءهم ، وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله تعالى العالم بما تخفي سرائرهم ، أخبرهم بما يجب
 عليهم من حق الله ، فوائده لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم ، تصدق بها
 في سبيل الله ، يا علي ، والذي نفسي بيده ، إن مك من لا يخذلك ، هذا جبريل عليه السلام عن
 يمينك ، يده سيف لو ضرب به الجبال لقطعا ، فاستبشر بالرضوان والجنة ، يا علي : انك سيد العرب
 وأنا سيد ولد آدم » يقول : بهذه الكلمات الطيبة ودع المصطفى علياً عليها الصلاة والسلام
 سار الأسد الثاقب علي بن أبي طالب لهمة هيجت عنها أبو بكر وعمر والجناب وسعد حتى دخل
 الناس اليأس من النجاح فانكسرت قلوبهم لو كادت حتى إذا ما بلغ بجيشه أسوار خير وكر رايته تحت
 الحصن واخذ يمد يديه للهجوم فأطل عليه بعض حلة الحصن وناداه أحدهم بصوت جهوري فقال : من
 أنت ؟ قال : أنا من قتل علي بن أبي طالب . صاح للنادي : علوتم وحق ما أتزل على موسى . ولم يكذب
 الصالح يتم كلامه إلا وتزلت طائفة من شجان الخيبريين فصمد لها المسلمون واشتبك القتال فأزال أمير
 المؤمنين عليه الصلوات والسلام بدير دوة الحرب بهارته وشجاعته حتى انكشف الأعداء وتباعدوا عنه . ثم علي
 باتباعهم ودخول الحصن وإذا يشجاع من خير يدعى الحارث تصدى لسيدها علي ودعا له بالرزق فلباه

أَبَشِيرُ بَرِضَوَانِ رَبِّي أَنْتَ كَاسِبُهُ وَبِالْجَنَانِ الْيَنِّي لَا شَكَّ تَتَوْنَهَا
وَأَنْتَ لِلْعَرَبِ مَوْلَى مُنَجِّدٌ وَأَنَا مَوْلَى بَنِي آدَمَ طَرَأَ وَهَنُهَا
فَسَارَ حَيْدَرُهُ سَبْرَ الْهَزْبِ إِلَى مَلَقَى الْفَرَّائِسِ بِالرُّغْبِ يُعْمِتُهَا
وَبَعْدَ بَضْعِ خَطِي نَادَى الرَّسُولَ عَلَى مَاذَا أَحَارُهَا أَوْ مَا أَقَاضِيهَا
قَالَ: قَاتِلْ ذَوِيهَا أَوْ تَصِيخْ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَتَرَضَى أَمْرَ بَارِيهَا
لَكَ الظُّوَاهِرُ تُبْدِيهَا فَتَقْبَلُهَا وَلِلْمُهَيَّبِينَ مَا تُخْفِي خَوَافِيهَا
أَبْلُغْ جَمَاعَتَهَا طَرَأَ فَرَاغَنَا وَأَفْرِضْ عَلَيْهَا جَعِينًا أَنْ تُؤَدِّيَهَا
فَإِنْ أَجَابَتْكَ فَأَعْلَمْ أَنَّهَا حَضَتْ دِمَاءَهَا وَتَحْتَ مَعَ مَا يَأْتِيهَا
وَإِنْ بِكَ اللَّهُ آتَى هَذِهِ رَجُلًا خَيْرٌ مِنَ النِّعَمِ الْكَثْرَى تُزَكِّيهَا
كَذَا أَمَلِي سَيِّ وَأَتَأَسُّ تَبَعُهُ إِلَى الْحُصُونِ الْيَنِّي أَعَيْتَ مُلَاقِيهَا
ثُمَّ تَسَارَعَ فِي إِرْكَازِ رَأْيِهِ بِفَرْجِهَا عِنْدَ مَا أَمْنَى مُدَائِنَهَا
وَصَاحَ: هَلْ مِنْكُمْ يَا آلَ خَيْبَرٍ مَنْ يَتَنِي مُبَارَزَةً قَدْ جِثْتُ دَاعِيَهَا

واشككوا ولم يكن الا القليل حتى وقع المارث قتلاً فلما رأى الخيرون النكتة فودعوا ما كان من امر أشجع
شجاعهم ولوا هاربن نحو حصنهم الحصين وفي أثناء ذلك اقبل رجل مقتول الساعدين وانقض على
أمير المؤمنين وهو مشهور سيفه وينادي انا مرحب اخو المارث اطلب بدمه وثأراً أمير المؤمنين
بضربة سيف تلقاها عليه صلوات الله بترسه فطرحها من يده قال علي وإذا بجانبه باب ملقى بجانب
الحسن لا يقوى على حله السبة اثار فتناول يده القوة وترس به فاربح مرحب فقال :

قد علمت خيبر أتي مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
وارتجزو أمير المؤمنين فقال :

أنا الذي ستن أي حبلوه ضرغام أجلم وليس قسوره

وما زال هذان البطان يتبارزان بل الاسدان يتصارعان وعلي مترس بذلك الباب ومرحب
لا يلبس الدرعين ومقتل السيفين وممن السامتين من فوقهما مفر تحت حجر مكتوب قتل البيضة حتى
تمكن الاسد الهاشمي من مرحب الخيبري ففرضه ضربة سيف على أم رأسه تلقاها مرحب بترسه
فقدت الترس وشقت المنخر وكسرت الحجر ومزقت السامتين وفلقت هامته حتى أخذ ذوالفقار بأضراسه
فقط ذلك البطل الخيبري على الأرض مرياً يختبط يده وكان لقتله ضجة فرح في صفوف المسلمين
وضجيج خوف في صفوف الخيبريين فهم أمير المؤمنين باقتراق الحسن وإذا يبطل من خيبر لا يقل
عن صاحبيه شجاعة يدعى ياسر وهو أخو مرحب والمارث الذين يجمع بهما أمير المؤمنين قد انقض عليه
وهو يتنادي : انا ياسر اخو مرحب والمارث اطلب ثأرها وكان يرتجز
قد علمت خيبر أتي ياسر شاكي السلاح بطل مشاور

فصاح صائهم: مَنْ أَنْتَ قَالَ: أَنَا عَلِيٌّ نَادَى مَقَارِبَكُمْ بِعَالِيهَا
ثُمَّ الْحَمْدُ إِلَى نَفْسِهِ قَدْ خَرَجَتْ وَالْمُسْلِمُونَ تَنَاقَرُوا عَنْ مَرَامِهَا
أَمَّا عَلِيٌّ فَلَمْ يَجْزَعْ لِمُوقِفِهِ وَلَمْ يَخَفْ وَهُوَ فَرْدٌ مِنْ تَلَقِّيَهَا
فَجَاءَهُ الْحَارِثُ الصَّنْدِيدُ وَهُوَ بِخَيْبَرَ الشُّجَاعُ الَّذِي يَلْقَى أَعَادِيَهَا
يَنْبَغِي عَلَى جَمَلَةٍ مِنْهُ مُبَارَزَةٌ تَاللهُ مَا عَاقِلٌ فِي النَّاسِ يَنْبَغِيهَا
فَصَاوَلَ الْحَارِثُ الْأَمَرَ الَّذِي بَطَلَتْ بِهِ يَمِينُ عَلِيٍّ وَهُوَ يُهَوِّنُهَا
وَأَذْرَأَى الْخَبِيرُونَ أَتَقْتِيلَ لَوْأَ وَجُوهَهُمْ وَأَصْفَرَارُ الْمَوْتِ عَاشِيَهَا
وَأَسْرَعُوا فِرْقًا يَا وَدُنَ حِصْنَهُمْ لِهَلَكَةٍ فَاجَأَتْ رَأْمُوا تَوَقَّيَهَا
ثُمَّ أَنْبَرَى مَرْحَبٌ يَنْبَغِي مُبَارَزَةٌ لِأَخِيذِ ثَارِ أَخِيهِ الْمُبْتَلَى فِيهَا
وَفَاجَأَ الْمُرْتَضَى فَجَأًا بِضَرْبَةٍ سَيْفٍ طَبَّرَتْ رُؤْسَهُ يَا وَدُنَ مُتَقِيَهَا
وَكَانَ فِي قُرْبِهِ بَابٌ إِذَا طَلَبْتَ حِمْلَانَهُ السَّبْعَةُ الْأَنْقَارُ يُعْبِيَهَا
فَرَامَهُ الْمُرْتَضَى رُؤْسًا وَرَدَّ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَإِلَهُ الْعَرْشِ وَاقِيَهَا
وَكَرَّكَرًا عَلَى الصَّادِي وَأَرْسَلَهُ لِلثَّارِ فَهُوَ وَحَقَّ اللهُ صَالِيَهَا

قتله أمير المؤمنين عليه صلوات الله بضربة سيف أصعبت بروحه إلى الهاوية . وحيداً خالوا
عزائم الخبيرين وطلبوا منه الأمان والصلح فصالحهم على أن يبقوا في أراضهم شرطاً أن يدفعوا الرسول
الله نصف غلاتها وأن يكونوا تحت حكم الماسين إلا إذا شاء المصطفى إجلالهم عن بلادهم وعاد منصوراً
فدعوا إلى المصطفى فحمد الله على هذا النصر العظيم الذي بوتي على يد أخيه ووصيه عليهما السلام
ولقد عظمت وقعة أمير المؤمنين تلك في خير وقتله مرحب الذي كان الناس يضربون بشجاعته
الثل وصار المسلمون يتناولون تلك الضربة التي ضربه بها على كثرة ما كان محتاطاً لنفسه لانتقامها
وما زال الناس يتناولون بضربة سيف أمير المؤمنين هذه خلقاً عن سلف حتى انتهت إلى شملهم
فقال أحدهم وشادن أصبرته مقلدٌ قلت من وجدي به مرحبا
قد قوادى بالهوى قد قد علي في الوغى مرحبا

وعلى ذكر هذه الحادثة أقول أني سمعتها لأول مرة من فم عطمة مولاي من السلطنة السردار
أرفع الشيخ خزعل خان سردار عربستان الذي زين مجالسه الملوك دائماً بذكرى نوادر أمير المؤمنين
وأناره المنظمة عليه صلوات الله واستشهد عطمة باليتيبي الأتقي الذي ذكر فقلت مولاي لقد خطرت
لي آيات لرجلتها على ذكر هذه الواقعة قال قل قلت:

رمانی الحبیب یی بدی قتار
أريد وصلها وتريد هجري
تكبرها على قدر انكساري
وذنبها عندها حسن اصطباري

وَجَاءَهُ يَابِيسٌ لِلنَّارِ بَنَدُهُمَا فَكَانَ إِفْرَهُمَا فِي آثَارِ يَابِيسَ
وَبَنَدُ ذَا فَتِيحَتِ أَسْوَارُ خَيْبَرَ فَتَحَا بِالْعَلِيِّ وَقَدْ ذُكَّتِ رَوَاسِيهَا
وَرَدَّدَ الْمُصْطَفَى شُكْرَ الْعَلِيِّ وَلَا قَتَهُ جَمَاعَتُهُ وَالْحَمْدُ فِي رِفْهَاتِهَا

أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبُو سَفِيانَةَ

مِيرْعَانُ مَا انْتَشَرَتْ فِي النَّارِ دَعْوَةُ أَخِي كَانَ بِالْإِخْلَاصِ دَاعِيَهَا (١)
قَدْ رَأَيْنَا وَمَا مَرَّتْ ثَمَانِيَةُ السَّحُورِ بِالْهَجْرَةِ الْمَغْبُوطِ سَارِيهَا
أَنَّ الْأُمِّيَّ هَرَبُوا مِنْ مَكَّةَ فَرَقَا مِنْ مُشْرِكِيهَا لَقَدْ أَسْوَأَ مُخَيَّفِيهَا
وَأَنَّ رَبَّكَ أُنْمَى التَّسْلِيمِينَ بِأَبْنَاءِ «الْجَزِيرَةِ» عَلِيَهَا وَوَاطِنِيهَا
وَأَنَّ قُوَّتَهُ مَعَهُمْ تُوِيْدُهُمْ وَقُوَّةُ اللَّهِ تَخْزِي مَنْ يَفَاوِيهَا
وَيَنْتَمَا شِرْعَةُ الْإِسْلَامِ بِالْقِيَّةِ بِحَوْلِ رَبِّكَ مَا يُرْضِي مُرِيدِيهَا
كَذَلِكَ أَعْلَامُهَا الْعَلِيَّاءُ انْتَشَرَتْ فَوْقَ أَرْوُوسِ وَهَابَتِهَا أَعَادِيهَا
وَيَنْتَمَا النَّاسُ تَخْشَى أَنْ تَقَاضِبَ أَهْلِيهَا وَتَسْعَى إِلَى مُرْصَاقِ هَادِيهَا
إِذَا بِأَصْحَابِنَا فِي مَكَّةَ نَكَّتَتْ عُهُودَهَا وَتَقَاضَتْ عَنْ تَالِيهَا

فلما سباق صدري من جفاها	أردت أن أعرفها اقتداري
فقلت لها احذري فتكى فقالت :	ومني يا أخا الهيجا حذار
فإنك «مرجأ» لانس عيني	عليك تسل سلا « ذا الفقار »
فهيبت لفجاءها إذ ذكرتي	بمصرع صرح وستر طاري
بيسة طالب غفوا وراجد	رضى قد قابلتها بالشار
وولت وهي قائلة : بيد	على من ليس بكرمي مزار

فتبسم عظمة مولاي روي فدها وقال مازحاً « أحسنت ورب الكعبة » ، ولكن لا تأمل
بمثل هذه الشدة الحسان ، تأمن الدل والهوان ، يا صاحب الممران »

(١) لما حال الحول على عمرة الحديبية المتقدمة الذكر خرج المصطفى عليه الصلاة والسلام
بأصحابه الذين صدروا معه في العام الماضي ليقضوا تلك العمرة التي فاتهم حسب المأهدة التي كتبت
وتتخذ فيلج بمن معه الحديبية في ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة ومنها دخلوا مكة وإذ أرادوا
الطواف حول الكعبة كرمها الله خرج منها المكيون وقضى المصطفى والمسلمون طوافهم وعمرتهم
وأقاموا ثلاثاً في مكة وقلقوا وارجعن إلى المدينة في ذي الحجة من تلك السنة ولم يرض لهم جادت
بذكر غير أن قريشاً كانت تحسب أن محمداً وأصحابه في جدد وخوار عزيمة فدهشوا عندما رأوهم

نَسَتْ فَمَاذُ كَرَّتْ عَهْدَ الْحَدِيثِ الْـ مَشْهُورٍ أَوْ قَدْ تَكَسَّتْ عَهْدَهَا تَيْهَا
وَنَاصَرَتْ بَكَرٍ فِي حَرْبِ الْخِرَاعَةِ لَمْ تَرْهَبْ بِفَعْلَانِهَا طَهْ مُوَالِيهَا
وَالْوَحْيُ أَبْلَغُ طَهْ مَا خِرَاعَةُ فِيهِ مِنْ أَذَى صَاحِ الْقَى الْيَوْمَ مُؤْذِنَهَا
بُئْسَ أُمَّتُهُ بِشُكُوَاهَا خِرَاعَةُ تَزْ جَوْ عَوْنُهُ وَهُوَ أَسْمَى مَنْ يُشْكِيهَا
فَطِيبَ الْمُصْطَفَى لِفُطَا خَوَاطِرِهَا وَرَدَّهَا وَهُوَ بِالْكِتْمَانِ يُؤْصِيهَا
وَلَمْ يَعُدْ بَعْدُ مِنْ عَهْدٍ يُؤْخِرُهُ عَنْ مَكَّةَ وَلَهُ شَاقَتْ مَقَانِيهَا
وَكَانَ يَصْبُو إِلَيْهَا وَهِيَ مَوْطِنُهُ وَعَيْنُهُ نَحْوَهَا تُبْذِي تَرْبِيهَا
وَلَيْسَ يَجْهَلُ أَنَّ الْتَرْبَ أَجْمَعَهَا بِالْبَرِّ تَسْتَقْبِلُ الْبَيْتِ الَّذِي فِيهَا
وَأَنَّ أَصْحَابَهُ لَا شَيْءَ يُطْرِبُهُمْ مِثْلَ الْتَرْبِ فِي عَالِي مَبَانِيهَا
وَأَنَّ فِي فَتْحِهَا نَصْرُ الْحَنِيفَةِ نَصْرُ رَةِ تَدْهَوْرُ فِي الْخِذْلَانِ عَاصِيهَا
لِذَا تَعَجَّلَ فِي إِعْدَادِ غَزْوَتِهَا بِعَزْمَةٍ عِنْدَهُ بَسْلُ تَوَانِيهَا
بِهَا أَسْرَ إِلَى أَقْطَابِ أُمَّتِهِ فَاسْتَعْجَلَتْهُ وَمَا كَانَتْ تَرْجِيهَا
وَقَالَ : إِنْ أَبَا سَفْيَانَ يَقْصِدُنَا غَدًا لِرِضِيَةِ أَصْبَحَتْ أَبْنَاهَا
وَإِذْ أَحَسَتْ قُرَيْشٌ بِالْمَخَاطِرِ خَا فَتَشَرَّ مَا صَنَعَتْ فِي الْأَمْسِ أَيْدِيهَا
وَأَوْفَدَتْ لِيَجْتُمِعَ الْمُسْلِمِينَ أَبَا سَفْيَانَ سَيِّدَهَا حَتَّى يَرْضِيَهَا
وَيَسْتَعِيدَ لَهَا آلَهُدُ الْقَدِيمَ فَلَا تَدْهَى بِدَاهِيَةِ صَبِّ تَوْقِيهَا

أَشْدَاءُ أَقْوَامِ الْمَضِلِّ تَدْفُقُ مِيَاهُ الصَّحَّةِ مِنْ وَجْهِهِمْ فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ مَا آمَلُوا وَرَجَوْا
وَسَقَتْ الْإِشَارَةُ أَنَّ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَعْدَ أَنْ صَالَحَ قُرَيْشًا فِي الْحَدِيثِ الصَّخِ الَّذِي
عَرَفْنَاهُ تَمَرَّخَ إِلَى مِرَاسَةِ الْمُلُوكِ وَالْإِمْرَاءِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ فِي جَمَلَةٍ مِنْ رِاسِلِهِ هِرْقَلُ مَلِكِ
الرُّومِ وَتَدْبُلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ هِرْقَلُ هَذَا قَدِمَ أورشليمَ « سنة ٦٢٩ مسيحية » لِيَشْكُرَ
اللهَ الَّذِي نَصَرَهُ عَلَى الْفَرَسِ وَاسْتَخْلَصَهُ مِنْهُمْ الْحَشِيَّةَ لِلْقُدْسَةِ الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صَلَبَ عَلَيْهِ . وَكَانَ رَسُولُ الْمُصْطَفَى إِلَى هِرْقَلِ هُوَ الْخَارِثُ بْنُ عِمْرَانَ الْأَزْدِيُّ فَيَسْأَلُوهُ
فِي طَرِيقِهِ إِلَى هِرْقَلُ تَصَدَّى لَهُ شَرِيحِيلُ بْنُ عَمْرِو السَّاسَانِيِّ وَقَتْلَهُ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ أَقْبَمَ وَجْهَهُ
سِرِّيَّةً لِلْاِقْتِصَاصِ مِنْهُ وَكَانَ عِدْدُهَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ مَقَاتِلٍ وَسَلِمَ قِيَادَتُهَا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَقَالَ لِلْجَيْشِ
فَإِنَّ قَتْلَ فَرَيْسِكُمْ جَنْبِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ هُنَّ قَتْلَ فَرَيْسِكُمْ عَبْدُ اللهِ بِنِ رَوَاحَةَ تَخْرُجُوا فِي جَادِي الْأَوَّلَى
سنة ٨ هجرية فلما تزلوا ممان بلنهم أن هرقل قد نزل مأب من أرض البلقاء في جيش كثيف

فَبَّ هَبَّ أَبُو سَفْيَانَ مُسْتَعِيًّا مِنَ الْأَصَابِلِ عَادِيهَا وَخَادِيهَا
وَجَدَّ فِي السَّرِيحِ طِبَّةً فَطَوَى الْقِنَارَ حَتَّى أَظْلَمَتْ عَوَالِيهَا
فَجَارَهَا بِقَرَرِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَّ مَ الْمُصْطَفَى وَمُنَاهُ قَامَ يُبْذِيهَا
فَقَالَ طَهَ : وَهَلْ أَحَدُنْكُمْ حَدَّثَا يُضِيعُ عَهْدَنَا أَوْ تَقِي وَيَنْفِيهَا
أَجَابَ كَلَّا : فَقَالَ الْمُصْطَفَى : وَأَنَا عَلَى عَهْدِي كَمَا نَصَّتْ أَرَاغِيهَا

وانضم اليهم من عرب غسان في الشام عدد كبير فلم يروههم هذا ومضوا حسب أمر المصطفى بسد
أن أقاموا ليدين في ممان فلما باقوا تحوم لبقاء لقيهم جيش الروم عند قرية تسمى «مشارف» فحاز
للسلمون الى قرية تسمى «دومة» ثم التقى الجلمان فانتصرا ولم تكن بينهما نسبة لقتل المسلمين وكثرة
جيش الروم قتل زيد بن حارثة بن جعفر بن أبي طالب فبعد الله بن ربيعة وحيث أصبح المسلمون
بلا أمير فأمرهم عليهم بانتخابهم « خالد بن الوليد » ومن هذه الموقعة بدأت تظهر مواهب هذا
الثقلين العربي العظيم إذ أخذ يحارب الروم وهو يتقهقر بجيشه بانتظام فتهب الروم الاتحاق به مخافة
أن يلتقي بهم في الصحراء فلم يلبسوه وهكذا اتقد السرية من الخطر الذي كان محدثاً بها ولم يتجاوز
عدد قتلى المسلمين الاثني عشر شخصاً وطاد بها الى المدينة المنورة

وكان من قواعد عهد الحديبية إباحة انضمام قبائل العرب لقريش أو لحمد فدخل بنو بكر في عهد
قريش ودخلت خزاعة في عهد المصطفى وكان بين هاتين القبيلتين دماء من عهد الجاهلية لحزب بينهما الاسلام
لاختتال الناس به عما سواه . وحدث ان شخصاً من بني نفاثة إحدى اغاذه بكر طفق يتنقى بهجاه
رسول الله فسمعه غلام من خزاعة ففره فشجعه فثار الشر بين الحيين لما كان بينهما من السداوة
القدمية فطلب بنو نفاثة من شجعان قریش ان يمينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فقبلوا وذاجات
بكر وبهض رجال قریش خزاعة ليلاً وهم على ماء لهم يقال له الوثير فقتلوا منهم ٢٠ او ٢٣ رجلاً .
واختلف الرواة في ممان قریش بكر في هذه الموقعة قتال بعضهم ان الذين طاونوا بكر من القرشيين
لم يتاوروا سيد قریش ابى سفيان وقال بعضهم بل شاوروه فاني عليهم المعاونة فانوها خفية عنه على
ظن ان رسول الله سوف لا يمسلم بها . ولكن الذين عاونوا بكر من قریش تقدموا على قتلهم
وخافوا سوء مقبها بد اتيلها لانهم صاروا يدركون ان المصطفى صلى الله عليه وسلم اصبح ذاحول
وطول واوقدوا زعيمهم الحارث بن هشام الى ابى سفيان فاخبروه بما كان قتال ابو سفيان « هذا
أمر لم أشهده ولم أعب عنه وانه لشر والله ليخزونا محمد » وأسرع فاجتمع بإشراف قریش
وذاكرهم في الأمر فلم يكن منهم الا المقدور سوء الماتية من نكت الهدم مع المصطفى وقتر رأبهم
على ان يسر ابو سفيان نفسه الى المدينة ليستطف محمداً ويتذر منه مما أخطأت قریش ومجدد الدهد
وهكذا سار ابو سفيان الى المدينة ولم يصحب غير عهده

اما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ليلة واقعة بكر وخزاعة بائناً عند عائشة وقد حدثت
هذه فقالت : ان رسول الله قال لي في صباحا حدث في خزاعة حدث قتل : يا رسول الله أترى
قريباً يجترئون على تقضى الهد الذي يدك وبينهم قتال يتقضون الهد لاسر يريد الله قتل الخبي
أم لشر ؟ قال : لخبي . وما هي الا ايام حتى جاء وفد خزاعة يشكو الى رسول الله اعتداء بكر
عليهم بممان قریش فدخلوا عليه وهو صلى الله عليه وسلم في مجلسه في المدينة والناس حوله وانشد

قَالَ : لِكُنِّيْ . اَرْجُوْ قَطَاعَهُ وَمَا لَ عَنْهُ يَمِيْنُ الْجَوْرِ يُفْضِيْهَا
فَهَابَ صَخْرٌ اَبُوْ سَفِيَانَ مَوْقِفَهُ اِذَا نَارٌ بُرْجِيْ اَنْ يُّطْلِقِيْهَا
وَجَاوَزَ الْمَسْجِدَ اَلْيَمِيْنِيْ فِيْ جَزَعٍ وَسَارَ فِيْ طِيْبَةٍ يَنْحُوْ مَنَاجِيْهَا
عَلَى رَجَاءٍ لَقِيَ شَهْمٌ يَمْدُ يَدًا اِلَيْهِ اَوْ مِنْ لَهْ نَفْسٍ فَيُسْرِبُهَا
يَهَا يَنَالُ رِضَاءَ الْمُصْطَفَى كَرَمًا عَنِ الْمُؤْمِنَةِ فِيْ اَسْوَا مَسَاوِيْهَا

زعيمهم عمرو بن سالم يقول

يا ربّ اني ناعث محمدًا حلف اينا وايه الاطلا
ان قريشاً اخلفوك الموعدا وتقصوا ميثاكتك المؤكدا
هم يبتون بالقدير هجدا وتقلونوا ركاماً وسجدا

تلقاهم المصطفى بالترحاب وقال صلى الله عليه وسلم : « نَحَرْتُ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ » ودمعت عيناه ثم قال : « لَأَنْصُرْتَ اَنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَيْبٍ مَا أَنْصُرْ بِهِ نَفْسِي وَأَهْلَ بَيْتِي » ثم صرّ به سحابة في السماء وأرعدت فقال : « اِنْ هَذَا السَّحَابُ يَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَيْبٍ » ثم عكف على وفد خزاعة وكانوا لربيع بن فارساً فتلطف بهم ووعدهم بالنصرة واوصاهم بالكتمان واعادهم الى منازلهم . ثم ان المصطفى صلى الله عليه وسلم انبا اصحابه وانصاره فقال : « كَانَتْكُمْ يَا سَفِيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ لَيْسَ الْقَدُّ وَيَزِيدُ فِي الْمُدَّةِ وَهُوَ رَاجِعٌ بِسَخَطِهِ » وبالفعل لم تمض بضعة ايام حتى اقبل ابوسفيان على المدينة المنورة قصد رسول الله في مسجده وقال : « لَقَدْ كُنْتُ غَائِبًا فِي صَلَاحِ الْحَدِيثِ فَأَمَدَدَ الْبَهْدَ وَزِدْنَا فِي الْمُدَّةِ » فأجابه صلى الله عليه وسلم : « أَلَيْكَ بَيْتٌ يَا ابَا سَفِيَانَ ؟ » قال : « نَعَمْ » فقال المصطفى : « هَلْ كَانَ فَيْكُم مِّنْ حِثٍّ ؟ » قال ابوسفيان : « مَاذَا اللَّهُ نَحْنُ هَلْ عِدْنَا وَصَلَحْنَا لَأَنْفُسِنَا وَلَأَنْبَدَلْ » فأجابه المصطفى : « وَنَحْنُ عَلَى مِدَّتِنَا وَصَلَحْنَا » فأعاد ابوسفيان التماسه وكرّره محاولاً ان يستدرج رسول الله الى غير ما قال بنية الاعتذار له والتفاهم منه اذا كان له علم بواقعة بكر وخزاعة فلم يتوقف الى جواب شاف ولم يندب عنه ان رسول الله في نفسه شيء من قريش فتركه وانصرف وهو وجلب طلب نفسه فرجاً من المأزق الذي كانت أمته فيه

ورأى ابوسفيان بعد خروجه من المسجد النبوي على غير نتيجة مع محمد صلى الله عليه وسلم ان يوسط لديه المقربين من اصحابه قصد ابابكر في بيته والتمس منه ان يخاطب المصطفى في تعجيد العقد وتحديد المدّة فقال ابو بكر : « اِنْ جَوَارِي فِي جِوَارِ رَسُوْلِ اللهِ وَاقُولُو وَجِدْتَ الْفَرْحَ بِكُمْ لَاعْتَابَا عَلَيْكُمْ » فحرف من هذا الجواب شيئاً مما في افس السليمن نحو قريش فاشتد قلقه وتركه وقصد عمر بن الخطاب في منزله وعرض عليه الوساطة لدى محمد فقال عمر : « اَنَا اَشْفَعُ لَكُمْ اِلَى رَسُوْلِ اللهِ ؟ فَوَاقَةُ مَا كَانَ مِنْ لَحْنًا جَدِيدًا اخْلَقَهُ اللهُ وَمَا كَانَ مَقْطُوعًا فَلَا وَصْلَهُ اللهُ » فغضب ابوسفيان وقال « جَزِيَتْ مِنْ ذِي رَحِمٍ شَرًّا يَا اَبَا حَفْصٍ » وانصرفه وهو وجلب والسرع الى عثمان بن عفان فلما دخل عليه في منزله قال : « لَيْسَ فِي الْقَوْمِ اقْرَبُ بِي رَحْمًا مِنْكَ (لَانْ كَلَامًا مِنْ اُمِيَّةٍ كَمَا تَعْلَمُ) فَزِدْنِي الْمُدَّةَ وَجِدَدَ الْعَقْدِ قَانَ صَاحِبِكِ (وَبَرِيدَ رَسُوْلِ اللهِ) لَا يَرُدُّ طَلْبُكَ اَبَدًا » فقال سفيان : « اِنْ جَوَارِي فِي جِوَارِ رَسُوْلِ اللهِ » ولم يزد . فخرج ابوسفيان وهو في غاية اليأس وبينما هو في اسواق المدينة ذكر علياً وماله من الدلالة على رسول الله فقال اني امرع اليه لعله يميننا لدى محمد

فَلَمْ يَجِدْ فِي أَبِي بَكْرٍ سِوَى كَلَفٍ
وَكَانَ أَكْثَرَ مَيْلًا لِلْوَعَى عَمْرٍ
كَذَلِكَ عَشَانُ مَعَ دَانِي قَرَابَتِهِ
فَيَمُّ الْمُرْتَقَى فِي يَتِيهِ طَلَبًا
وَالْمُرْتَقَى كَانَ مَحْبُوطًا يَمْنَزِلُهُ
فِي حُجْرِهِ حَسَنٌ طِفْلٌ يَدَاعِيهِ

بِالْحَرْبِ لَا يَنْشِي عَنْ سَرِّ خَائِبَتِهَا
وَنَارُهُ لَمْ يَزَلْ يَنْفِي تَلَطُّبَهَا
مِنْهُ أَبِي نَصْرَةَ قَدْ جَاءَ يَنْفِيهَا
لِبُخَيَّةَ هُوَ أَسْنَى مَنْ يُلَبِّسُهَا (١)
مَا بَيْنَ أَسْرَتِهِ أَلْعَلِّيَا يُوَاسِيهَا
مُنَاهِزٍ مِنْ حَوْلِ الْقَمْرِ سَادِيهَا

وإنما سيدنا علي في بيته وبين يديه سيدنا الحسن يداعبه ويقرب منه سيدتنا فاطمة وعلى حجرها سيدنا الحسين تنافيه وإذا بأبي سفيان داخل عليهم فرحب به أمير المؤمنين عليه صلوات الله وقال اجلس اجلس أبو سفيان وقال : « يا علي ! انك أمس القوم بي رحماً وإني قد جئت في حاجة فلا أرجس » كما جئت خائباً » فقال علي : « وما هي حاجتك التي قد جئت بها ؟ » قال أبو سفيان : « أن تشفع بي لدى محمد فيجدد القصد وي زيد في المدة » فقال علي عليه صلوات الله : « وبحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله على أمر فلا نستطيع أن نكلمه فيه » فاصغر وجه أبي سفيان وجلاً وأأسأ والتفت إلى سيدتنا فاطمة الزهراء عليها صلوات الله بذلة وانكسار وقال : « يا ابنة محمد أجيري بين الناس » فقالت : « أنا امرأة إنما ذاك إلى رسول الله » فلما رأى أبو سفيان من سيدتنا فاطمة هذا الرد مع علمه أن المصطفى لا يرد لها الناس سقط في يده وأطرق إلى الأرض واجأ فنبه صوت سيدنا الحسن وهو يخاطب أباه ضاد إلى سيدتنا فاطمة وقال : « هل لك يا فاطمة أن تأمرني ابنك هذا أن يجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ » فتظرت سيدتنا فاطمة إلى سيدنا الحسن بملء عينها وتبسمت وقالت : « والله ما يبلغ يولدي وهو صبي أن يجير بين الناس وما يجير أحد على محمد بن عبد الله » ومع هذا الرد الذي يضيغ منه كل أمل ازداد أبو سفيان الحاحاً فقال : « فكملي علياً إذن يا فاطمة » فقال سيدنا أمير المؤمنين « يا أبا سفيان ليس أحد من أصحاب محمد يفتن عليه بمجوار » فأجابه أبو سفيان : « ولكن يا أبا الحسن أرى الأمور انصدت علياً فانصحنى » قال علي : « والله لا أعلم لك شيئاً بيني عنك ولكنك سيد بني كنانة قمت أنت وأجريت بين الناس ثم الحق بأرضك » قال أبو سفيان : « أوترى ذلك مقبلاً علي شيئاً ؟ » قال : « والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك » فنفس أبو سفيان واجأ مأبوساً وقصد المسجد النبوي حيث كان رسول الله وحوله طائفة من المسلمين فقال : « أيها الناس إني أجرت بين الناس ولا والله لا أظن أحداً يخفني ويرد جوارِي » فقال المصطفى « وأنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ؟ » ولم يزد وبمد هذا عاد أبو سفيان أدراجيه إلى مكة كرمها الله حيث حدث أصحابه بما كان فقالوا له : هل أجاز محمد جوارك قال : لا وإنما قال : أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ولم يردني . قالوا : وضيت بنير رضى وجئت بما لا ينفي عنا ولا عنك شيئاً وللمر الله ما جوارك بمجائر وإن إزالة خفارتك على المسلمين لمين وهكذا أصبحت قريش وهي تتوقع أن يتروها محمد في مكة .

(١) خليف بنا هنا أن نصف الأسرة العلوية الطاهرة التي هي مظن الشرف الأكبر لكل شريف في العرب والمعجم هو شرف النبوة على صاحبها وعلى أفرادها الخيرين الصلاة والسلام . وقد

وَقُرْبُهُ قَدْ ثَوَّتْ بِالْبَشْرِ فَاطِمَةُ
قَرَأَ السَّلَامَ أَبُو سَفْيَانَ ثُمَّ جَنَّا
وَقَالَ: لَوْ نِي أَرَى فِي الْمَرْتَعَى عَضْدًا
فَكُنْ مُعِينِي عَلَى اسْتِرْضَاءِ أَحَدٍ فِي
قَالَ: وَنَحْكَ طَمَهُ لَيْسَ بِرَجْعٍ عَنْ
فَكَالَ وَالْيَأْسُ فِي عَيْنَيْهِ مَرْتَسِمٌ
قَالَتْ: أَنَا مَرَأَةٌ لَا شَأْنَ لِي أَبَدًا
قَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ تَسْتَعْلِي حَسَنًا
قَالَتْ: وَهَلْ لِي صَبِي أَنْ يُجِيرَ عَلَيَّ
قَالَ: فَاسْتَعْلِي لَطْفًا عَلَيَّ بِقُرْ
فَلَمْ يُجِبْ وَجَعَتْ إِذْ ذَاكَ فَاطِمَةُ
وَقَالَ حَيْدَرَةٌ: وَاللَّهِ لَيْسَ عَلَيَّ الرَّسُولُ يَفْتَاتُ مَا رَغَبَاكَ تَقْضِيهَا
قَالَ: فَانْصَحْ إِذْنًا إِنْ أَلَمْ تَوْقِدْ أَنْ تَسُدَّتْ بِوَجْهِهَا كَمَا أَصْبَحَتْ رَأَيْتُهَا
أَجَابَ: صَعِبَ تَلَا فِي أَرْمَةِ حَدَثَتْ
وَأَنْتَ مَا دِمْتَ رَأْسَ الْعَرْبِ سَبْدَهَا
فَقُمْ أَجْرُ أَنْتَ بَيْنَ النَّاسِ مُشْكَلاً
وَالْحَقُّ يَمْكُ لَا تَلِثَ بِطَيْبَتِنَا
فِي الْحَالِ خَفَّ أَبُو سَفْيَانَ مُعْتَبِداً
وَلَاذَ بِالسَّجْدِ الْأَسْفَى وَأَحْمَدُ فِيهِ بَيْنَ نُدُوهِ سِرّاً يُنَادِيهَا

مر بنا فيما تقدم أن سيدتنا فاطمة الزهراء زفت إلى سيدنا علي بن أبي طالب في السنة الثامنة للهجرة
وفي السنة الثالثة رزقا من هذا الزواج المبارك سيدنا الحسن وعند ما ولد دعاه أمير المؤمنين «حرأ»
وأرسل يده المصطفى بولده فأسرعه عليه وعليهم الصلاة والسلام إلى بيت فاطمة ودخله وهو
يقول والفرح يتدفق من وجهه الشريف أروني المولود قدمدت سيدتنا فاطمة له فاحتضنه بين يديه
وقال وما سميتوه؟ قالت «حرأ» فقال بل هو «حسن» وحكته بتمر وأعاده إلى أمه بعد أن
دعا له وحمد الله . وفي السنة الرابعة كان مولد سيدنا الحسين وقد سماه المصطفى بهذا الاسم كاسمي

وَقَالَ: يَا نَاسُ أَصْغُوا لِي فَلَوْ نِي قَدْ
وَلَا إِخَالُكُمْ تَنْوُونَ رَدَّ جَوَا
أَجَابَهُ الْمُصْطَفَى: هَلْ أَنْتَ قَائِلُ ذَا
فَارْتَدَّ حَالًا أَبُو سَفْيَانَ مُطْلَبًا
وَعِنْدَ مَا حَلَّ فِي أُمِّ الْقُرَى سَرَدَ الْأَمْرَ
قَالَ: لَمْ أَرِ مِثْلَ الْمُسْلِمِينَ رَعَا
وَقَدْ وَجَدْتُ الْجَمَانِ أَحْمَدُ وَذَوِيهِ
وَكَانَ أَلَيْسَهُمْ قَوْلًا وَأَسْلَسَهُمْ
أَشَارَ فَضْلًا عَلَيَّ فَأَمْتَشَلْتُ لَهُ
وَصَصَّ قِصَّتَهُ مَا بَيْنَ أُمِّهِ
فَمَا أَطْمَأْنَنْتُ إِلَى دَعْوَى إِجَارَتِهِ
وَأَعْلَنْتُ فَشَلَّ السُّنَى وَحَبَبَتُهُ

أَجَرْتُ قَوْمِي قُرَيْشًا فِي مَا وَجَّهَ
رَبِّي أَوْ خَوَّزَ عُمُودَ رَحْتٍ رَاعِيهَا
وَلَمْ يَزِدْهُ عَلَى مَا قَالَ تَسْفِيهَا
أَصْحَابَهُ يَا لَوَدِّي قَدْ تَمَّ يُنْسِيهَا
خَبَرَ الْقَوْمِ يَا لَوَدِّي يَزِيدُهَا
يَا قَدْ أَطَاعَتْ وَرَبَّ النَّاسِ رَاعِيهَا
وَلَمْ يَزِدْهُ عَلَى مَا قَالَ تَسْفِيهَا
أَصْحَابَهُ يَا لَوَدِّي قَدْ تَمَّ يُنْسِيهَا
خَبَرَ الْقَوْمِ يَا لَوَدِّي يَزِيدُهَا
يَا قَدْ أَطَاعَتْ وَرَبَّ النَّاسِ رَاعِيهَا
وَلَمْ يَزِدْهُ عَلَى مَا قَالَ تَسْفِيهَا
أَصْحَابَهُ يَا لَوَدِّي قَدْ تَمَّ يُنْسِيهَا
خَبَرَ الْقَوْمِ يَا لَوَدِّي يَزِيدُهَا
يَا قَدْ أَطَاعَتْ وَرَبَّ النَّاسِ رَاعِيهَا

أسير المؤمنين في فتح مكة

لَمَكَّةَ فِي قَوْمِ الْأَرْبِ مَنَزَلَةً عَلِيًّا تَطَاطَى لَهَا أَلْهَامَاتُ نَحْنِهَا (١)
فَلَانٌ فِي رُبْعِهَا «الْبَيْتُ الْأَمِينُ» مَقَرُّ الْفَرِّ طَالِبُهُ بِالْبَرِّ يَا تَبْنَا
وَأَيْنَمَا مَرَجُّ الْأَرْبَانِ تُنْشِدُهَا قَوْلًا مَا نَأَتْ عَنْهَا مَثَاوِينَهَا

أخاه الحسن . وفي السنة الخامسة للهجرة ولدت سيدتنا فاطمة الزهراء مولوداً ثالثاً سماه المصطفى
«حسن» إلا أنه لم يمش . وكان المصطفى عليه الصلاة والسلام كثير الشغف بالحسين وطالما رآه
الناس يحضنها ويداعبها ويقول : «ان الحسن والحسين زهرة شباب الجنة»

(١) يحمل بنا هنا أن نذكر شيئاً عن مكة كرمها الله التي كانت مقرأ سيدنا إبراهيم عند
ما هاجر إلى جزيرة العرب مع سيدنا إسماعيل عليهما الصلاة والسلام والتي هي حاضرة قريش وما
قريش إلا القبيلة التي ظهر فيها المصطفى والمرضى عليهما الصلاة والسلام
ان مكة وتسمى بكة أيضاً ويطلق عليها اسم أم القرى تعظيماً لها أي أنها بالنسبة إلى القرى
المتفرقة في بلاد الجزيرة هي الأم والباقي يرحم الناس . هي مدينة ترتفع عن سطح البحر بنحو ٣٣٠
متراً على عرض ٢١ درجة و ٣٨ دقيقة وطول ٤٠ درجة و ٩ دقائق وينتهي تاريخ بناؤها إلى سيدنا
إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل وقد نزل في هجرتهما في موضع الكعبة التي بناها الهادة الله ثم عاش

كَانَتْ مَثَابَةَ إِبْرَاهِيمَ مَنَزَلَةً مَعَ ابْنِهِ تَزَلَا بِالْيَمِينِ وَادْنِيهَا
وَعَصْرًا فِي رَبَاهَا عِنْدَ زَمَزَمَ كُفَّةً لَتَعْبُدَ فِيهَا آتَانُسُ يَارِيهَا
مِنْ ذَلِكَ التَّهْدِ بَاتَتْ وَهِيَ عَاصِمَةٌ لِلْغُرَبِ طُرًّا وَرَبُّ الْقَرْشِ ثَاوِيهَا
كَانَتْ يَسْكُنُهَا الْأَمَجَادُ دَارَ عَلِيٍّ مَا فِي الْعَزِيزَةِ مِنْ مِصْرٍ بِحَاكِمِيهَا
لِذَا دَعَاَهَا أَلُوْرَى «أُمُّ الْقَرْيِ» وَلَمَنْ رِي قَدْ أَصَابَ هَذَا الْإِسْمَ دَاعِيَهَا
إِنَّ الْقَرْيَ كُلُّهَا بَلْ وَالْمَدَائِنُ لَا تَأْبَى عَلَى مَكَّةَ الْعَطَى تَأْمِيهَا

أبناءهم حول الكعبة في ظلال بيوت الشعر إلى عهد قهي بن كلاب في نحو القرن الثاني قبل الهجرة فان قهي
هذا سافر إلى الشام متجراً فافتتح ما رأى من بيوتها وعند ما عاد بنى لنفسه بيتاً من الحجر بجانب
الكعبة وبنته قريش في البناء . وهذه المدينة شرقها الله عند اليوم من الغرب إلى الشرق على عرض
ثلاثة كيلومترات طولاً في نحو كيلو متر ونصف عرضاً في وادي عجل من الشمال إلى الجنوب ويحصر
بين سلسلي جبال يكاد أن يصل بعضها ببعض عند أبواب البلد الثلاثة أي من الشرق والغرب
والجنوب . أما أسماء هذه الجبال فهي في الشمال الفلق ، وقيقان ، والجبل الهندي ، وللع ، وكداء
وهذا في أعلى مكة ومن جهته دخل المدينة المصطفى يوم الفتح . وفي الجنوب جبل أبي حديد ،
وكدي ، وكدي ، لجبل أبي قيس ، لجبل خندمة . وكل سفوح هذه الجبال من جهة الحرم
عاصرة بالدور بعضها فوق البعض من الأعلى إلى طرف الوادي وعددها اليوم نحواً من سبعة آلاف
دار بين كبيرة وصغيرة أعظما دور الأشراف الذين يتوارثون الحكم فيها من عهد عميد جداً .
ولا تزال بعض الدور الأثرية باقية آثارها في مكة بالرغم من إهمال الإبرك الذين كانوا يحكمونها منها دار
ابن عباس في السمي على عين السالك إلى المروة ، وأثار دار أبي سفيان في الشرق الشمالي للحرم
والحرم الشريف بين هذه الدور مماثل إلى الجهة الجنوبية مما يلي جبل أبي قيس وفي هذه
الجهة دار الخيزران أم الرشيد « وأثارها باقية » يتلوها شرقاً شعب بني هاشم ويسميه الناس شعب
علي وهو أشهر وأعظم أنسال بني هاشم بعد المصطفى ، ثم شعب المولد ، ثم شعب بني عاصم ، وفي هذه
الجهة كانت منازل بني عبد المطلب في الجاهلية ويسكنها اليوم كثيرون من الأشراف . أما باقي قريش
فكانوا يسكنون في الجهة الأخرى من الحرم نحو الشمال ومن دولهم كانت منازل باقي أهل مكة
وتوسط مكة طريق تقطعها من الغرب إلى الشرق وهي أكبر شوارعها وهذا الشارع له
أسماء مختلفة فبعد بداهته من جرول يسمى حارة الباب فاشيكة ، فلما يصل إلى الحرم يسمى الشامية
فاذا انطفأ إلى الجنوب على عين الحرم يسمى السوق الصغيرة فحياد وهناك البوطة والتغراف
والتيكة المصرية ودار الحكومة الشامية ويسمونها الجديدة وصارت بعد استقلال الحجاز مركز الوزارة
الحجازية ، وإلى جوارها إدارة الصحة ، فركر قتلاق الطوبجية ، فالمطبعة الاميرية ، فاذا وصل
هذا الشارع إلى الصفا سمي السمي ، فالتشيتية ، فسوق الليل ، فلقرة ، ومن هذا الموضع يخرج
الساو إلى باب مكة الشرقي أو باب المصلّى . وفي المدينة شوارع أخرى غير هذه ولو لم تكن بأهمية
هذا الشارع منها السوق ، والقرواء ، والنقي ، والسليمانية ، والجنوبية ، والبازنية .
وأهالي مكة اليوم مختفون الاجناس فقيمهم عدا الأشراف والعرب الوطنيين هاجروا إ شاء ومعهم

وَكَانَ سُكَّانُهَا أَسْمَى الْأَعْرَابِ أَفْسَدَاراً وَأَفْضَلَهُمْ مَجْدُاً وَتَوَجَّهَ
أَوْلَادُ سَيِّدِنَا أَسْبَاعِلَ نُسَبَتِهِمْ إِلَيْهِ حَسَبُ الْعَمَالِي أَنْ نُسَبِّحَهَا
وَهُمْ قُرَيْشٌ وَمَا فِي الْأَرْبِ أَجْمَعَهَا مُنَافِسٌ لِقُرَيْشٍ فِي تَسَامِيحِهَا
وَالْأَرْبُ كَانَتْ لَهَا تَالَهُ طَائِفَةٌ وَلَمْ يَكُنْ آمِنَا يَوْمًا مَعَاصِيهَا

والعراق والمغرب والترك وجاوه والقوقاس وبخارى والمهند وغيرها من البلاد الاسلامية وهؤلاء المهاجرون قصدوا هذه المدينة المقدسة بدافع التقوى أو بآمال التجارة فاستوطنوها وتناسلوا فيها وذلك قدر أن تقول ان مكة أكثر بلاد الله في اختلاط أجناس سكانها واختلاف أزيائهم وتنوع لهجاتهم ولبلة ألسنتهم على أنهم جميعاً مجتمعون على كلمة « لا اله الا الله » التي وحدت بينهم وفي مكة المكرمة غير الحرم الشريف مزارات عظيمة الشأن من الوجهتين الدينية والتاريخية أهمها مولد النبي وهو في شعب بني هاشم ويسمونه شعب المولد . وهو مكان يترى إليه بنحو متر ونصف بدرجات من الحجر يبلغ طوله نحو اثني عشر متراً في عرض ستة أمتار وفي جداره الغربي باب يدخل منه إلى قبة في وسطها مقصورة من خشب داخها وخامة قد تهر جوفها وهي بقية الدار التي كان يسكنها عبد الله بن عبد المطلب وزوجه آمنه . ولد فيها سيد العالمين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وكان قد وهبها المصطفى لابن عمه عقيل بن أبي طالب فباعها ولده محمد بن يوسف الثقفى أخى الحجاج فلما بنى داره المشهورة باسم « دار ابن يوسف » وكانت بمجولها داخها فيها . ولما حجت الحُجَّجُزَّار أم الرشيد بمحنتن الدار التي كانت مهبطاً لآشرف الخلائق عليه الصلاة والسلام فلما علمت بضمها إلى دار ابن يوسف اشترت تلك الدار وغربتها وفصلت منها موضع دار المصطفى وأعادتها إلى مثل ما كانت عليه وجعلتها محجداً وهي لا تزال كذلك إلى يوم الناس هذا

ومن هذه المزارات المباركة الدينية والتاريخية مولد سيدنا علي عليه صلوات الله وهي قرية من مولد النبي وهي نفس الدار التي كان يسكنها الشيخ أبو طالب ولد فيها أمير المؤمنين وهي أقل اتساعاً من دار المصطفى ولها من الاحترام في أفض الناس الذي الكثير

ومن هذه المزارات المباركة الدينية والتاريخية مولد سيدتنا فاطمة الزهراء وهي دار سيدتنا خديجة وموضعها في درب الحجر وفيها ولدت للمصطفى كل أولاده وسميت « مولد فاطمة » لما علمت من الميزة التي خصها الله ورسوله بسيدة النساء هذه وهذه الدار يزل إليها ببجعة درجات توصل إلى طرفة وعلى يسار هذه الطرفة شبه مصطبة مرتفعة عن الأرض بنحو ثلاثين ستمتراً ومسطحها نحو عشرة أمتار طولاً في أربعة عرضاً وهي اليوم مستحلة كتاباً يقرأ فيه الصبيان القرآن الشريف وعلى يمينها باب صغير يصعد إليه بدرجتين يدخل منه إلى طرفة ضيقة عرضها نحو مترين وفيها ثلاثة أبواب أحدها الذي من اليسار يفتح على غرفة كانت لمبادء المصطفى وفيها كان ينزل عليه ألوحى وعلى يمين الداخل إليها مكان منخفض عن الأرض كان محل وضوئه والباب الذي بقالة الداخل إلى الطرفة يفتح على غرفة واسعة هي غرفة صلى الله عليه وسلم مع زوجته سيدتنا خديجة . والباب الذي على اليمين يفتح على غرفة مستطيلة واسعة في وسطها مقصورة صغيرة أقيمت على المكان الذي ولدت فيه سيدة العالمين سيدتنا فاطمة الزهراء . ولما هاجر المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة استولى على هذه الدار ابن عمه عقيل بن أبي طالب ، ثم اشتراها منه معاوية بن أبي سفيان

فَكَانَ أَحَدُهُمْ يَرْجُو فَتْحَ مَكَّةَ نَكِي
وَكَيْ يُطَهِّرَ بِالتَّوْحِيدِ كُتُبَهَا
وَعَهْدُهُ مَعَ قُرَيْشٍ كَانَ بِمَنْعِهِ
لَكِنْ قُرَيْشٌ أَبَتْ إِلَّا خِيَانَتَهُ
ظَلَمَ يَمْنَعُ مَا يَنْعِي تَأَلَّهَ بِمَنْعِهِ
وَقَدْ مَضَى مُسْرِعًا فِي الْأَمْرِ يُنْفِذُهُ
وَقَدْ نَسَرَ لَمْ يُهْلِكْ قُرَيْشٌ وَلَا

فَصَوَّلَ شَرْعَتَهُ السَّمْعَا بِأَهْلِهَا
فَلَا رَجَاسَةَ شِرْكٍ بَعْدَ تَأْوِيلِهَا
عَنْهَا وَعَهْدُهَا مَا كَانَ نَاسِيَهَا
وَمَزَقَتْ عَهْدَهَا السَّامِي بِأَيْدِيهَا
عَنْ حَرَبِهَا فَجَرَى فِي الْحَالِ يَمْضِيهَا
بَعَزْوَةٍ هَيَّا الْبَارِي دَوَائِهَا (١)
أَضَاعَ فِرْصَةً فَتَحَ عَادَ مُلْفِيهَا

لجملها مسجداً ، وعمرت في زمن الناصر العباس . ثم تهدمت فأعاد عمارتها الاشرف شعبان ملك مصر ثم الملك الظفر صاحب اليمن ثم السلطان سليمان العثماني سنة ٩٣٥ للهجرة . ومن هذه المزارات المباركة الدينية التاريخية « دار الخيزران » وهي في ذاق على يسار الصاعد الى الصفا . وهي دار الارقم المحرومي التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمع فيها مع من آمن به في صدر بستانه ليقوموا الصلوات سرّاً . وياب هذه الدار يخرج الى الشرق ويدخل منه الى لجة واسعة غير مسقوفة وعلى يسارها ايوان مسقوف ، وفي وسط الحائط القوي على يمينها باب يدخل منه الى غرفة واسعة كانت مسجد المسلمين ولله أول المساجد الاسلامية . ومن هذه المزارات المباركة الدينية والتاريخية غار حراء وهو الغار الذي كان يتمديه المصطفى وصحبه اليه سيدنا علي عليه الصلاة والسلام على ما تقدم منا في حاشية سابقة . اما مقبرة مكة المكرمة المسماة « الملقى » ففيها من القبور التاريخية العظيمة ما نطأ له الرؤوس خشوعاً فهناك ضريح السيدة خديجة زوج النبي ، وقبة السيدة آمنة والدة النبي ، وقبة ابي طالب والد سيدنا علي ، وقبة عبدالله بن الزبير ، وقبر جعفر المنصور الخليفة العباسي . وكان قد تقدم مكة حاجاً سنة ١٥٨ هـ فأتى ودفن بالملقى الا ان قبر هذا الخليفة غير معروف خلافاً للقبور العظيمة باصحابها السابق ذكرها وهناك شيء كثير من هذه القبور الاثرية .

ولا بد لنا من الاشارة الى ان هذه المزارات المباركة الاثرية الدينية القيمة مهمة جداً للاهمال وليس فيها من دلائل العظمة شيء مما رأيناه في أوروبا من آثار عظمائهم ولا سيما في روم حيث يضي النصارى كل العناية في تعظيم المواضع الاثرية الدينية التي عسدهم واعتقد ان هذا الاحمال هو من فساد الحكم التركي السابق ولا بد للدولة الحجازية الجديدة التي استقلت سنة ١٩١٦ في اثناء الحرب الاوروبية العامة ان تهتم بهذه المزارات المقدسة وتعمل على تزيينها بالنفائس اللاحقة بها من قريات وقناديل وغير ذلك اشارة الى ما لها في النفوس من صياد الاحترام (١) ما كان الله ليعرض لرسوله ان ينكت عهده وهو الا امر بالوفاء بها وما كان رسول الله لينكت عهده مع قريش وهو الامسين المأمون ولكن اذا اراد الله أمراً هياً اسبابه سبحانه على كل شيء قدير وقد قال « وما ظنناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمضى عهد الحديبية مع قريش وهو كاره والمسلمون كارهون لسكن قد صدق الله عز وجل « القتال » وتلك الايام نداؤها بين الناس » من في أقل من

نَادَى الْأَعْرَابَ فَاَنْضَمَّتْ قَبَائِلُهَا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ إِلَى طَهَ مُنَادِيهَا
فَسَارَ مَعَهَا إِلَى «أُمِّ الْقُرَيْ» وَلَهُ السَّيْفُ الْقَرِيبُ الَّذِي يَنْفِيهِ غَازِيهَا
وَفِي الطَّرِيقِ رَأَى أَلْبَاسَ قَاصِدِهِ مُهَاجِرًا بِذَوِيهِ وَهُوَ يَطْوِيهَا
فَقَالَ أَرْجِعْ فَإِنَّ الْعَرَبَ طَالِبَةٌ دُخُولَ مَكَّةَ مَا الْأَخْطَارُ تُثْنِيهَا
فَقَالَ : لَكِنْ قُرَيْشٌ قَدْ تَضَعَضُوا هَذِي الْجَبُوشُ الَّتِي سَأَلْتَهُمْ مَذَا كَيْهَا
دَعْنِي أَسِيرُ إِلَيْهَا الْيَوْمَ أَنْصَحُهَا عَنَى تَطِيْعُ وَلَا تَبْدِي تَعْصِيهَا
فَمَا لَنَا نَذَحْنَا عَنْهَا لِنَصْرَةِ دِنْسِنِ اللَّهِ فَارْفُقْ بِهَا دَعْنِي أَدَارِيهَا
فَقَالَ: سِرْ مُرْعَا وَأَجْهَدْ لِمَلِكِكَ بِالْمُسْلِمِينَ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ تَرْضِيهَا

طامنين اثنين بلغ الاسلام مكانة عالية من نفوس العرب ما كان يقدّر لها بالمقدّرون حتى باتت قريش
وهم اعداى اعدائه يخافون سطوة اهلها ويرسلون زعيمهم ابي سفيان ليسترضي رسول الله ويستغفروه
على ما سرّ بنا مع انهم قبل طامنين كانوا يرفضون عقبتهم مناديين ان المسلمين لا يدخلون مكة حتى
ولو حجاجاً مسلّين فيجعلان حول الاحوال

ثم هيا الله لرسوله عليه الصلاة السلام سبياً لفتح مكة كرمها الله ما كان يمر على خاطره الشريف
لانه لم يتكر قط يفتح عهده مع قريش ومبادرتهم بالدوان بعد ان حالفهم على السلام لمدة عشرة
أعوام وما ذلك السبب الا جرعة قريش تقبها على نكت عهدها بيدها ومناصرة حليفها بكر على
خزاعة حليفة المصطفى حينئذ بات المصطفى في حل من الهد الذي امضاه وكان له ان يتمم من
المتدين على حلفائه ويؤدبهم أيضاً ويلقي عليهم درساً نافماً لا يسونه ابداً وهو ان من اوجب
واجبات الافراد والجماعات المحافظة على عهودهم والتمسك بالثبات عليها مهما تبدلت الاحوال

نكتت قريش عهدها مع رسول الله في الوقت الملائم وانقر عليه الصلاة والسلام على محاربتها
والاستيلاء على مكة التي هي حاضرة البلاد الحجازية وقبله العرب اجمعين وكان مسلم يقيناً ان فتح
مكة هو الانتصار النهائي لدين الله والقضاء الاخير على الكفر والاشراك في شبه جزيرة العرب
وأنى المصطفى صلى الله عليه وسلم ان يتماهل مع ابي سفيان عند ما جاء يستغفروه لا يتجدد
الهد ولا يجدده كما كان يطلب وانسر الى اكابر صحابته بنيت على غزو قريش ودخول مكة كرمها
الله عنوة . وبعد ان ارتحل ابو سفيان تائداً الى مكة شمر المصطفى عن ساعد الزم وأخذ يستد
لهذه الفزوة الكبرى التي ستكون الفاصل بين الحق والباطل . وبعد ان شاور عليه الصلاة والسلام
أصحابه واعاد للعرب عدته أذن بالزور وأمر المسلمين بالجهاد ولكن من غير ان يمل العامة بفرسه
التي يرمي اليه حتى لا يشيع الخبر فيتصل قريش فتستمد للحرب . وارسل الى محالفيه من اهل
البادية وإلى عموم المسلمين المنتشرين خارج المدينة المنورة ان يكونوا في اول رمضان من السنة الثامنة
للهجرة في المدينة المنورة وما هل هلال رمضان حتى يهبط على مدينة الرسول قبائل اسلم وغفار ومزينة
واشجع وحمنة وبني أسد وبني سليم وغيرهم فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده النبوي
وخطب فيهم داعياً الى الجهاد وأوصاهم بكتمان الامر بقوله « وَايْتَمِنُوا عَلَى أَنْفُسَاءِ حِوَارِجِكُمْ

وَهُوَ بِنَلْيَ تَلَوِي أَفْلَادَ يَهَا
كَذَا أَمْتَلَى بَشَلَهُ الْهَادِي وَسَارِيهَا
مَعَ الرِّيَاحِ وَلَا تُبْطِي بِمَا طِيهَا
بَلَوِي أَفْقَارَ مُجْدًا فِي قِيَا فِيهَا
لَهُ الْجِبَالُ الَّتِي تَفْشَى مَبَانِيهَا
مَعَ بَدِيلِ عُيُونًا فِي مَبَاشِيهَا
طَلَهُ مَخَافَةً بِالْعُدْوَى يَفَاجِيهَا
عَمَّ الرُّسُولِ بِإِسْرَاعِ مَوَافِيهَا
لَعَلَّ عَنْ جَيْشِ هَادِي أَنْخَلُ يُنْبِيهَا
قُرَيْشُ أَنْ أَخِي أَنْتَ لِي فِيهَا
عَلَى السَّوَادِي الَّتِي قَدْ كُنْتَ تَأْتِيهَا
أَعِزَّ رَفِيقِكَ حَالًا يُذِيشَانِ قُرَيْشًا أَنْ تُسَلِّمَ وَالْقُسْلِيمُ يُنْجِيهَا

بِالْكَيْانِ . ثم دعا فقال « اللهم خذ العيون والايثار عن قريش حتى نبتها في بلادها » ثم أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسد العيون والارصاد في الطرق المتصلة بالمدينة المنورة حتى
لا يتصل بأفروته قريش فتستد لهفمه وعاربه

ولم يعلم المسلمون من منافق حاول أن يقدر بهم وهو حاطب بن أبي بلتعة فكتب كتاباً إلى
أهل مكة يخبرهم فيه بمسير المسلمين لزوهم وأرسله مع امرأة فتر عليها بعض عيون المصطفى فتشوها
وأخذوا الكتاب منها وأرسلوها والكتاب إليه عليه الصلاة والسلام فاستدعى حاطباً إليه وأعلمه على
سوء فعله فاعتذر وقيل عنده لكي لا تكون فتنة فنفذ عليه سياسته

وفي ٤ رمضان سنة ٨ هجرية (١ يناير سنة ٦٣٠ مسيحية) خرج المصطفى بمشيرة
آلاف مقاتل يريد مكة كرمها الله فيهم ٧٠٠ من المهاجرين وأربعة آلاف من الانصار والباقيون
من رجال القبائل الآفة الذكر . وبينما كان المسلمون في طريقهم الى مكة لقيم الباس عم النبي
في مكان يدعى الجحفة وقيل ذو الحليفة وكان مهاجراً ببياله فرحب به المصطفى عليه الصلاة والسلام
وقال له « هجرتك يا عم آخر هجرة كما ان نبوتك آخر نبوة » ولما علم الباس بالفرق السائر
فيهم المسلمون أرسل عياله الى المدينة ورجع معهم وطلق يقول لأصحاب رسول الله : « ان تسي رقت
لاهل مكة فواقة ان دخلها محمد عتوة قبل أن يأتيه ويستأنوه أهلك قريشاً » كان يقول عباس
هذا لصحابة رسول الله وهم قريشون مثله يشرون مما يشترى نحو الامه التي هم منافقوهم مثله حنوا واشفاقا
وفي أنفسهم نحو أبناء يمجدهم مثل الذي في نفسه ثم كاشف بذلك ابن أخيه عليه الصلاة والسلام فوجهه
على رغبة الفرق قريش ولذلك لم يمنه من المسير اليهم وتخديرهم منبهة التهادي في عداوة المسلمين
وأعطاه بنته التي كان أهداها له دحية الكلبي ومضى بها مسرعاً لتضيعة قريش
اما القريشون فكأنوا منذ عودة ابو سفيان من المدينة المنورة على قلق واضطراب من

وَسِيرَ عَلَى بَنَةِ أَنَهَادِي وَرَأَيْتُ كَيْ تَصُونُ نَفْسَكَ مِنْ هُلَاكِ يُلَاقِيهَا
أَنَا أُحِبُّكَ عِنْدَ الْمُصْطَفَى وَأَجَا رَيْتُ وَحَكَ مَا طَلَعَتْ بِأَبْنَاهَا
أَصْنَتُ عُيُونُ قُرَيْشٍ لِلصَّبِيحَةِ وَالْعَبَّاسُ قَدْ كَانَ بِالْإِخْلَاصِ يُسَدِّدُهَا
وَعَادَ ابْنُ حِزَامٍ مَعَ بَدِيلٍ إِلَى . قُرَيْشٍ كَيْ يُنَلِّغَهَا النَّصْحَ تَجَرَّبَهَا
وَأَرْذَفَ الْبَرُّ عَبَّاسُ وَرَأَاهُ أَبَا سَفْيَانَ سَارَ بِهِ فِي الْأَرْضِ يَطْلُبُهَا
بَحَى إِذَا أَشْرَفَ بَعْدَ الْمَسِيرِ عَلَى مَنَازِلَ جَيْشٍ طَلَعَتْ كَانَ مَالِهَا
وَكَانَ جَنَحُ الدَّجَى يَمْلَأُ الْفَضَاءَ وَتَا رُ الْمُسْلِمِينَ تَفِي فِيهِ لَوَاطِينُهَا
مَرَّ عَلَيْهَا وَمَا شَامَا مُعَارَضَةً لَأَنَّ بَنَةَ طَلَعَتْ الْكُلَّ دَارِهَا
لَكِنَّمَا عَمَّرَ مَا إِنْ تَبَيَّنَ صَخْرًا صَاحَ إِيَّاهَا أَبَا سَفْيَانَ إِيَّاهَا
قَدْ جِئْنَا حَيْثُ لَا عَهْدَ تَصُونُ بِهِ هَذِي الْحَيَاةَ الَّتِي بِالْإِثْمِ تَقْضِيهَا

أمر محمد عليه الصلاة والسلام بتوقون ان يزورهم كما كانوا طرقتهم انهم لم يسودوا اكفاء لصدده عن مكة اذا قصدها غازيا فاتحا وبينهم وكذلك اتصل بهم نيا خروج محمد باصحابه وانصاره للزوم ولكمهم لم يسرفوا وجهته فخرج ابو سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام من مكة يتجسسون اخبار المسلمين وما كادوا يصلون الى الارك وهو من ضواحي مكة المكرمة حتى صادفهم العباس عم النبي فسلم عليهم وقال لابي سفيان وكان صديقه : يا ابا سفيان هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به . فقال ابو سفيان : واصباح قريش فا الحيلة فذاك أبي وأمي . فقال العباس نواقه ان ذفر بك محمد ليضربن عنقك فارك في مجز هذه البقة حتى آتيك المصطفى فاستأمنه لك وليرجع صاحبك الى مكة يستريح على أهلها بالتسليم . ففعل ابو سفيان واصحابه رأى العباس ورجع صاحبه الى مكة وركب هو رديفا للعباس وسارا على بنات المصطفى وما ابعدت بهما قليلا حتى ظهرت لهما نيران المسلمين في موضع اسمه « سر الظهران » وكان الوقت ليلا فتقدموا منها ووجدوا القوم قد حطوا وحاطهم واوقدوا نيرانهم وكأكلهم سرا بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا؟ ثم يتصرفون بقلة المصطفى ويقولون انه عم النبي فلا يتصرفون له . ولما سرت البقة بنار عمر بن الخطاب نهض لها وما ابصر ابا سفيان رديفا للعباس حتى صاح « هذا ابو سفيان عدو الله » الحمد لله الذي قد امكن منك من غير عقد ولا عهد « وسار مسرعا الى المصطفى يستأذن بالفتك بابي سفيان . اما العباس فلم يقتسه الخطر المهدق بصاحبه فلركض البقة حتى سبقت عمر واسرع بادخال ابي سفيان على المصطفى وتبهما معا وهو يلهث ويقول : « يا رسول الله هذا هو ابو سفيان عدو الله قد امكنا الله منه من غير عقد ولا عهد فدعني لاضرب عنقه » فقال العباس : « يا رسول الله لقد امرت » ثم جلس الى رسول الله وأخذ برأسه الشريف وقال : والله لا ينجيه الليلة رجل دوني . فا أصغى عمر لقول العباس وأخذ بكفه في شأن ابي سفيان . فقال العباس : مهلا يا عمر فوالله لو كان ابو سفيان من رجال بني عدي بن كعب (ويريد قبيلة عمر) ماظنت مثل هذا ولكنتك قد عرفت انه من رجال عبد مناف .

فَاعْلَمْ يَا بَنِي هَذَا الْيَوْمِ مُنْتَقِمٌ لِبِرْعَةِ اللَّهِ مِنْ أَعْدَى أَعَادِمِهَا
وَسَارَ يَقْصِدُ طَهَ وَسَطَ حَيْمَتِهِ وَكَانَ سَاقِطُهُ الْغَيْاسُ آتِيَهَا
طَالَ الْجَدَالُ وَتَمَّ قَالَ أَحْمَدُ لِلْعَبَّاسِ: عَوَّةُ أَبَا سَفْيَانَ تَقْوِيهَا
إِلَى صَبَاحِ غَدٍ حَتَّى تَرَى فَنَّا لَا أَظْلِمُ النَّاسَ يَا عَمَّاهُ تَقْوِيهَا
وَفِي غَدٍ جَاءَ عَبَّاسٌ بِصَخْرٍ إِلَى مُحَمَّدٍ وَثِيَابُ الْقَدَلِ كَاسِيَهَا
قَالَ: أَحْمَدُ آمِينَ يَا زَعِيمَ قُرَيْشٍ قَالَ: مَسْأَلَةُ الْإِيمَانِ تُرْجِيهَا
قَالَ مُبْتَسِماً: لَا بُدَّ تَوْثُنٍ يَوْمَ مَا أُنْفِي مُرْسَلٍ لِلنَّاسِ أَهْلِيهَا
قَالَ صَخْرٌ: أَلَا تُؤْتِي الْأَمَانَ قُرَيْشاً إِنْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا فِي مَا وَنَهَا
قَالَ أَحْمَدُ: مَنْ أَتَى السِّلَاحَ أَمِينٌ أَوْ بَنَى الْكُفَّةَ أَمَلِيَّاءُ يَأْوِنَهَا
تَمَّ أَشَارَ إِلَى الْعَبَّاسِ قَفَّ بِأَبْنِي سَفْيَانَ كَيْ يَرْضَى الْأَجْنَادُ بِخَصِيهَا

فقال المصطفى اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت اثني به فقل وانصرف عمر الى حيمه غاضباً
وعند ما أصبح الصباح غدا العباس ياتي سفيان الى المصطفى فقال له طيلة الصلاة والسلام
« ويحك يا أبا سفيان ألم بأن لك ان تعلم انه لا اله الا الله » قال ابو سفيان : « يا بني انت وامي
والحلم واكرمك واولادك للرحم لقد ظننت انه لو كان مع الله غيره لما افنى عني شيئاً بعد »
فقال المصطفى : « ويحك يا ابا سفيان : أما آن لك ان تشهد اني رسول الله ؟ فقال ابو سفيان يا بني انت
وأي أمّا والله منه فان في النفس منها شيئاً حتى الآن » رجسها فقبس رسول الله عليه الصلاة والسلام
وقال : « سوف تؤمن » فقال ابو سفيان : « يا محمد ادع الناس بالامان » أرايت ان اعترمت قريش
فكفت ايديها تأمن ؟ قال المصطفى « نعم من كف يده وغلظ ابيه فهو آمن . ومن لجأ الى الكعبة
فبوا آمن » ثم قال عليه الصلاة والسلام للعباس : مر بصاحبك ابي سفيان الى مضيق الوادي حتى
تمر به جنود الله فبرأها « أراد بذلك ان يري زعم اعدائه الحول الذي آتاه الله فتكسر قفه ولا
يسود الى ماضى من لؤمه وحدهاته فينثر جريش ويحملها على مناولته فينالها مانال سواها من القبائل
العرية التي مازالت تناوذه مخني بطش بها وابدها عن ديلها وامن شرها »

وفي الحقيقة ان قريشاً على ما كانت عليه من حول وطول كان من الضروري ان ينضم الى
الاسلام وتقوم بغيره كما كان من الضروري ايضاً ان يحتفظ بها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لانها
عشيرته واهل عصيته وعصية اصحابه ولا قوام للممالك الا بصيانتها كما قرر علماء الاجماع فان
الدول تهوى بقوة عصيتها وتضعف بضعفها . ولهذا كان هم رسول الله واصحابه ان يرضخ القريشيين
للقوة الالهية القاهرة ويسلموا له بنبر حرب فيدخل مكة هادياً محرواً متقداً مؤدياً ولا يدخلها فاحماً
غازياً قاهراً محزياً

أما العباس فسار بصاحبه ابي سفيان الى ذلك المضيق بينما كان المسلمون يستمدون المسير الى مكة
كرمها الله واخذت قبائلهم تسير في طريق ذلك الوادي وهي متحمسة لدخول البلد الذي كان قبة

فَسَارِعَ مَعَ الْعَبَّاسِ نَحْوَ مَضِيْقٍ مِنْهُ طَهَ جُنُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا
هُنَاكَ قَدْ وَقَفَا وَالْعُرْبُ سَارَتِ إِلَى قُرَيْشٍ صُفُوفًا فِي تَتَالِيهَا
حَتَّى إِذَا مَرَّ بِالْأَنْصَارِ قَائِدُهَا سَعَدٌ وَرَأَيْتَهَا الزَّهْرَاءَ مُطْلِعَهَا
نَادَى بِصَخْرٍ: هَذَا الْيَوْمَ كُفِّتُكُمْ قَدْ اسْتَحِلَّتْ لِنَا مَعَ قَهْرٍ حَامِيَهَا
وَالْيَوْمَ ذَلَّتْ قُرَيْشٌ بَعْدَ عِزَّتِهَا عَلَى يَدَيْنَا وَقَدْ بَنَيْنَا مَدْرَسَهَا
فَمَا لَ تَهْدِي سَعْدُ نَفْسَ صَاحِبِنَا صَخْرٌ وَبَاتَتْ وَهَوُلُ الدَّلَّ غَاشِيَهَا
حَتَّى إِذَا مَرَّ طَهَ بَيْنَ كَوْكَبَةٍ خَضْرَاءَ مِنْ جَنْدِهِ بَادٍ تَسْطِيحَهَا
وَالْتَرْتَقَى بَطْلُ الْإِسْلَامِ يَصْحَبُهُ فِي سَيْرِهِ صَحْبَةٌ تَسُوْ مَعَانِيَهَا
نَادَاهُ صَخْرٌ: أَيْتَ الْهَلْ أَحَدُ هَلْ نَسِيرُ نَحْوَ قُرَيْشٍ الْيَوْمَ تُرْزِيهَا
أَسْتَحِلُّ فِدَاكَ أَلْتَسُّ كَفَيْنَا وَهَلْ مَدَلْتُنَا أَصْبَحْتَ بَاغِيَهَا

الرب نصار قبيلة المسلمين يولوا اليه وجوههم من كل الارض
وكان ابو سفيان دهشاً بما يرى من القبايل مجبياً بنشاط رجالها وحاسم وما يظهر عليهم
من دلائل القوة البأس وما زال كذلك والقبائل تجر من امامه حتى اقبلت الالوس والخزرج وهما الانصار
وكانت رايتهم مع سعد بن عباد فلما حاذى سيدنا سفيان والعباس نظر اليهما بينين ملؤهما الحقد على
قريش وقال « اليوم يوم للحمية ، اليوم تستحل الكعبة ، اليوم اذل الله قريشاً » فاضطرب
ابو سفيان لهذا القول وقال للعباس « واقفة ان ابن اخيك لمبك قومه » فقال العباس « كلا فان ابن
اخي لوصل لرحمه من كل انسان عرفته » وبعد قليل مر المصطفى بكتيبة خضراء وهو على ناقته
القصواء والى يمينه سيدنا علي بن طالب وحوهما عليهما الصلاة والسلام رساء المهاجرين والانصار
فاعرض المصطفى ابو سفيان صائحاً : « يا محمد لك امرت بقتل قومك ، فقد زعم سعد انه قاتلنا
ومذل كعبتنا ومذلنا ، فانتدك الله في قومك ، وانت ابر الناس وارحمهم واوصلهم للرحم » فبسم
المصطفى من مقالة ابي سفيان الدالة على انكسار نفسه والتخذلة ونظر اليه نظرة المشفق وبينما هو
لكذلك واذا تقدم من ناقته عليه الصلاة والسلام عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وقالوا
« يا رسول الله ان ابا سفيان لم يقل الا الحق فاننا لانؤمن من سعد ان تكون له صولة في قريش »
حينئذ مال عليه الصلاة والسلام بوجه الشريف الى ابي سفيان وقال « كذب سعد يا ابا سفيان ،
فاليوم يوم المرحه ، اليوم اعز الله قريشاً ، اليوم يعظم الله الكعبة ، اليوم تكسى الكعبة »
ثم توجه بنظره الى علي واسره ان يسرع الى سعد ويرع منه اللواء ويحمل قيادة الجيش .
وحينئذ اطعن ابو سفيان لالا وقال للعباس « والله ما لاحد قبيل هو لاء ولا طاقة يا ابا الفضل فقد
اصبح ملك بن اخيك عظيماً » فقال العباس « والله لها النبوة » فقال ابو سفيان « نعم والله فما
الراي عندك يا ابا الفضل ؟ » فقال العباس « اسرع يا صاح الى قومك واجد في حلهم على الخوض
والتسلم » فامتثل ابو سفيان واسرع بجواده الى مكة كرمها الله

فَإِنْ سَعَدَ بِذِي الْوَيْلَاتِ هَدَيْتَنِي وَقَالَ لِي سَابِرْ ذَا الْيَوْمِ يُجْرِيهَا
فَاسْتَرْبِ الصُّنْفَى تَهْلِيْدَ صَاحِبِهِ لِقَوْمِهِ وَهُوَ لَا يَرْضَى تَلَاثِيهَا
وَقَالَ عُثْمَانُ : لَا أَمْنٌ بِسَعْدٍ عَلَى قُرَيْشٍ أَبْيَدُهُ عَنْهَا فَهُوَ مُؤَفَّرُهَا
كَذَا ابْنُ عُوفٍ لَقَدْ تَنَى مَقَالَهُ عَفْوَ مَنْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ مُصْنِيَهَا
حَتَّى إِذَا أَنْتَهَى مَالُ الرَّسُولِ إِلَى أَصْحَابِهِ بِاللَّيْلِ تَبْعِي بِمَنْبِيهَا
وَقَالَ : أَقْوَالُ سَعْدٍ كُلُّهَا كَذِبٌ وَلَسْتُ أَسْمَحُ أَنْ تَجْرِي أَحَاشِيهَا
فَالْيَوْمَ يَوْمٌ بِهِ لِلنَّاسِ مَرَحَةٌ فَلَا وَرَبِّكَ لَا نَسَى لَشَقِيهَا
وَالْيَوْمَ يَوْمٌ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ قُرَيْشًا عِزَّةً وَبِهِ أَخْزَى مُذِلِّيَهَا
وَالْيَوْمَ عَظَّمَ رَبُّ الْفَرَشِ كُفَيْتَهُ وَإِنِّي بِأَسْمِهِ الْقُدُّوسِ كَاسِيَهَا
ثُمَّ أَنشَأَ لَطِيْفًا قَالَ : لَيْسَ لَنَا إِلَّاكَ مَنْ يَذْفَعُ الْأَخْطَارَ يُفْصِيهَا

لما سار الناس بأبي سفيان إلى مسكر المصطفى عاد رفيقاه بديل وحكيم بن حزام فأخبرا
أهل مكة بمقدم محمد عليهم غازياً فأحاط بجيش جرار لا تهوى قريش على صده فجزعوا لهذا النبا
وأخذوا يضربون أحاساً لأسداس فيما غطون لحاية مدينتهم المقدسة من المسلمين ولم يتفقوا على رأي
لأن النصف قد أثار عزائمهم وبنائهم في هذا القلق وكل طائفة منهم على رأي وإذا بأبي سفيان
داخل مكة وهو يصرخ بجله فيه « يا معشر قريش هذا محمد جاءكم بما لا تبيل لكم به فاستأمنوه »
فأزاد صراخه في جزع القوم وكثر الشغب بينهم واختلطت نساؤهم برجالهم وكان في مقدمة النساء زوج
أبي سفيان هند بنت عتبة أم معاوية فتقدمت من زوجها أبي سفيان وأخذت بلبعته وجعلت تنادي « يا آل
غالب اقتلوا الخبيث الدنسر الذي لا خير فيه ، قبح من طليعة قوم ، ودافوا عن أنفسكم وبلدكم »
فأنهرها أبو سفيان قائلاً « ويحك اسكني وادخلي بيتك » وقال للناس « ويحكم لا تفرنكم هذه
المرأة من أنفسكم ، فإن محمداً قد جاءكم بما لا قبيل لكم به ، فمن دخل المسجد فهو آمن ، ومن
ألقى سلامه فهو آمن ، ومن دخل بيته وأغلق بابه فهو آمن » فأصفت أكثر قريش لنصيحة
أبي سفيان ولأذ بالكعبة من لاذ ولجأ إلى بيته من لجأ ولم يبق على فكرة لقاء المسلمين وصدهم
عن مكة إلا البند القليل ممن كان الفرور عملاً رؤوسهم

ولما دنت جيوش المسلمين من مكة كرمها الله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً
ابن الوليد أن يدخل مع جملة من قبائل العرب من أسفل مكة ويفرز رايه عند أدنى البيوت وقال
« لا تقاوتوا إلا من قاتلكم » وأمر الزبير بن العوام أن يدخل مكة في جملة من قبائل العرب من جهة
الحجون ويفرز رايته هناك وأمرهم كما أمر الأولين . وأمر أبا عبيدة بن الجراح أن يقود المشاة وأخذ
معهم يعلى الوادي وأمرهم كما أمر الذين قبلهم . وهكذا انقسمت جيوش المسلمين إلى ثلاث سرايا
وهاجت مكة المكرمة من أطرافها الثلاث فدخلتها من أعلاها صلحاً ومن أسفلها عنوة إذ تصدى
للمسلمين بعض قريش فقتل بعضهم خال ابن الوليد وجيشه وفر الباقون

أَسْرَعَ إِلَى سَمْعِ خُذْ فِي الْحَالِ رَأْيَهُ وَقَدْ جُيُوتُنِي وَكَانَ لِنَصْرِ مُخْلِطِهَا
مَقَى. أَوْ حَسَنَ فِي أَمْرِ صَاحِبِهِ وَمَا. أَوْ أَمْرُهُ إِلَاهُ تَخْضِيعُهَا
وَسَارَ بِالرَّكْبِ طَهَ وَهِيَ مُنْشِدَةٌ حَوْلِيهِ عَنْ طَرَبِ أَشْجَى أَغَانِيهَا
وَقَالَ صَخْرٌ: غَدَا مُلْكُ الْأَمِينِ عَظِيمًا وَهُوَ قَاهِرُ أَعْدَاءِ وَمُخْزِنُهَا

ثم إن المصطفى صلى الله عليه وسلم دخل مكة المكرمة دخول الفاتح المنصور وإلى يمينه
وريبه ووصيه سيدنا علي أمير المؤمنين وحولهما عليهما الصلاة والسلام كابر الصعابة. وكان الرسول
وقفت على ناقته القصواء وهو ممسك بشقة برد حراء وقد وضع رأسه الشريف على رجل ناقته تواضعا
لله عز وجل وكان دخوله بموكبه الحافل هذا من كداء وكان في دخوله يقرأ سورة الفتح ولما جاء
البيت طاف به سبعا على راحته وكان محمد بن أبي مسلمة أخذاً بزمامها لينزل الحجر بمحبتين في يده
ثم أخذ المصطفى مفتاح الكعبة من صاحبها عثمان بن طلحة الشيباني ووقف على باب الكعبة كرمها الله والناس
بين يديه جماعات وقال: «لا اله الا الله وحده لا شريك له» صدق وعده، ونصر عبده، وهزم
الأحزاب وحده. «ألا كلُّ مأثرة أودم أو مال يدعي به فهو تحت قدمي هاتين». الأئمة البيت
وسأله الحاج «ثم قال «يا معشر قريش إن الله قد أنهب عنكم نقوة الجاهلية وعظمها بالأباء»
الناس من آدم وآدم من تراب» ثم قال «يا معشر قريش ما تطنون أني فاعل بكم ٢٢» فصاحت
جموعهم «خيرا» أخ كريم. وابن أخ كريم. فقال عليه الصلاة والسلام «اذهبوا فأنتم الطلقاء»
ودخل في الاسلام في يوم الفتح هذا معظم رجالات قريش وعلى رأسهم أبو سفيان وابنه معاوية.
وأطلق عليهما وعلى أمتهما ممن أسلم معها يوم الفتح اسم «الطلاء»

وفي مساء يوم الفتح أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يفكر بتطهير الكعبة المكرمة من
أوجاس الوثنية بإزالة ما عليها وما في مسجدتها من الاصنام وإذ تصاب قائلوا وكان في الكعبة ٣٦٠
صنما لكل حي من أحياء العرب صنم خاص. وحسن للمصطفى بعد أعمال روته ومتاجاة خالفه
أن يذهب إليها في جنح الدحي ويحطم أصنامها بيديه الشريفتين فيصيح الناس ولا أثر لوثنتهم في
البيت المحض لعبادة الله الواحد الاحد. ولم يصطف المصطفى لمعاوته في هذه المهمة المقدسة غير
أخيه وصنوه ووزيريه المرتضى عليهما الصلاة والسلام كف إلى حنجره وكان قريبا منه ودعا اليه
وهرولا مسرعين إلى الكعبة كرمها الله فطافا بها سبعا تحت جنح الدحي ثم عكفا على هاتيك الاصنام
فكسكنا المذمومة بغيرها بفضيبي في يده فتتخطم وهي كما تلم من الصخور والحجارة بمحجرة أهية
وهو يقول «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا» وكان علي يمترحطاه هنا وهناك ليختلط
بعضا ببعض وما زال كذلك حتى أتيا عليها كلها ولم يبق أمامهما الا الصنم الأكبر وقد كان مقره
فوق سطح الكعبة وهو مثبت فيها فهدم المصطفى إلى الصعود إلى سطح الكعبة لتحطيمه قتال
لحمي: اجلس. اجلس على القرفصاء وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكبته وقال: اتهم. فنهض على متاقلا
بعض التهوض فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفه بالرغم مما اشتهر من قوته تيم وقال: «اجلس فاك لا
تستطيع حمل ثقل النبوة» اجلس على وتزل المصطفى من على منكبته وفي الحال جلس القرفصاء
وقال لحمي: اصمد. فامتنع علي عن الصعود احتراماً لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرر عليه القول: اصمد
يا علي. فاصمد علي بن أبي طالب على كاهل محمد النبي الرمي الاي عليهما الصلاة والسلام فنهض به.

قَالَ عَبَّاسٌ: بَلْ هُوَ النَّبِيُّ الْقَدْرُ
أَسْرَعَ إِلَى مَكَّةَ وَأَنْصَحَ جَمَاعَتَهَا
فَجَدَّ جَدًّا أَوْ سَفِيَانٌ مُبْتَغِيَا
وَإِذْ أَتَى مَكَّةَ نَادَى بِهَا عَلَنًا:
وَإِنَّهُ مُعَلَّنٌ فِيهَا الْأَمَانُ إِذَا
وَهَكَذَا سَلَّمَ أَلْفَرَى لِسِيَّ اللَّهِ
وَهَكَذَا فَتَحَتْ لِلْمُسْلِمِينَ حُصُونُ
وَمَا دَرَى أَهْلُهَا إِلَّا وَأَخْمَدُ فِي
فَنِنْ مُشَاةٍ وَقَدْ أَنْصَتْ مَوَاضِيهَا
وَيَسْنَهَا الْمُصْطَفَى بِالْأَنْصَرِ دَاخِلُهَا
قَدْ أَمْتَلَى آثَاةَ الْقَصْوَاءِ وَهِيَ بِهَا
تَعَزَّزَتْ وَتَمَلَّكَتْ فِي مُرْيَدِنَهَا
بَأَنَّ تَقَابُلَ بِالْتَرْحِيبِ آتِيَهَا
تَصْنِيعَةَ الْقَوْمِ يَا بِي أَنْ يُبَارِيَهَا (١)
إِنَّ الْأَمِينَ عَلَى الْأَبْوَابِ غَازِيَهَا
مَا سَأَلْتَهُ وَلَمْ تُظْهِرْ تَعَصُّبَهَا
نُ الْمُشْرِكِينَ الْأَلَى هَابُوا نَدَا عِيَهَا
رُبُوعَهَا بِجُمُوعِ نَاهٍ مُخَصَّبَهَا
وَمِنْ كُتَاةٍ وَقَدْ هَزَّتْ عَوَالِيَهَا
وَبِالْخُشُوعِ وَبِالتَّقْوَى مَوَافِيَهَا
دِي الْخَلْقِ مُطَرَّبَةٌ تُبْدِي نَهَادِيَهَا

وحدث علي الناس عن وقتة تلك على كاهل رسول الله فقال : لما نهض بي رسول الله خيل لي أني لو شئت لنت ألقى السماء بل لو شئت أن أتناول التراب يدي للفت . وحينما بلغ علي سطح الكعبة تناول ذلك الصم الضخم بيديه القوتين ظفه من الأوتاد الملتص بها وقذف به إلى أرض الكعبة فتحطم وتحطمت معه الوثنية من جزيرة العرب كلها . ثم نزل عن كاهل المصطفى وسارا ما وقد قضيا القضاء الأخير على كل كفر وإشراك وطادا عليها الصلاة والسلام إلى قرابتهما . وعند الفجر أذن بلال وأسرع الناس للصلاة في الكعبة فوجدوا الأصنام قد تحطمت وصلوا صلاة الفجر وراء المصطفى . وبعد الصلاة أعاد رسول الله مفتاح السكبة إلى عثمان بن طلحة الشيب سادها ثانية ولا يزال مفتاح الكعبة في آعتابه إلى يوم الناس هذا

وقد كان فتح مكة أعظم حادث في الاسلام أصبحت بعده قريش في مقدمة أنصاره واستمدت بالاسلام المكانة العليا التي كانت لها في الجاهلية فلا عجب لذا قلنا انه لم يبق على فتح مكة سقان حتى دانت جزيرة العرب بالاسلام وتلاشي من ربوعها كل أثر للأديان الأخرى

(١) يحسن بنا هنا أن نذكر شيئا من ترجمة أبي سفيان هذا فنقول : هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي المكي كان في الجاهلية تاجرا يبيع الزيت والادوم ويجهز التجارة بماله وأموال قريش إلى بلاد الشام وال عراق . وكان من سادات قريش المدنودين وما زال كذلك إلى أن قامت قيامة قريش على الهوانم وتحالفت ضدها قبيل الهجرة حيثئذ انتهت إليه زعامة قريش العليا وأصبح وكلته نافذة على الجميع وأخذ على عاتقه محاربة الاسلام والمسلمين . وكان عند الهجرة في نحو السابعة والخمسين من عمره وقد سر منا فيما تقدم من مجمل حوادث الغاوي النبوية المجد الذي بدله أبو سفيان لاهل نوره وأبي الله إلا أن يمر نوره

وَرَأْسُهُ طَاعَةَ اللَّهِ مُلْتَصِقٌ
بَرَى الْفَرْأَةَ بِفَرْزِ الرَّحْلِ مُنْسِكَ
كَانَتْ تُكْبِرُ تَكْبِيرًا أَدْوَى بِضَا
وَإِذْ أَتَى الْكُتَيْبَةَ الزُّهْرَاءُ طَافَ بِهَا
ثُمَّ عَلَى بَابِهَا أَقْبَى خِطَابَتَهُ
فَوَحَّدَ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ نَاصِرَهُ
وَقَالَ إِنَّ دَعَاوِي أَقْوَمُ بِأُطْلَةَ
إِلَّا سَدَانَةُ بَيْتِ اللَّهِ كُتَيْبَةَ
كَذَا السَّقَايَةُ مُبْقِيَتَهَا لِصَاحِبِهَا
وَيَا قُرَيْشُ دَعِي مَاخِي الْأَعْلَامُ بِالْأَلَا
فَالنَّاسُ مِنْ آدَمَ طَرًّا وَآدَمُ مِنْ
وَمَا تَطْلِيْنِ إِنِّي الْيَوْمَ فَأَعْلَهُ
قَالَ : أَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْوَلَا طُلُقًا
وَإِذْ رَأَتْ كَرَمَ أَنْهَادِي قُرَيْشُ فَلَمْ
تَشْهَدَتْ أَسْلَمَتْ لِلَّهِ رَاضِيَةً
وَبِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْعَاءُ قَدْ رَضِيَتْ

م
و
د
د

بِرَحْلَيْهَا وَهَوَّ آخِي الْفَتْحِ تَالِيَهَا
تَوَحَّدَ اللَّهُ أَزْفَى الْبَصْرِ مُوَلِّبَهَا
أُمُّ الْقُرَى دَاعِيًا فَحَقَّ أَهْلِيهَا
سَمْعًا يُسَاقُ فِيهَا مُسْطَلِقِيهَا
وَالنَّاسُ تَعَجَّبُ إِعْجَابًا يُمْلِقِيهَا
عَلَى عَدَى الَّذِينَ أَنْسِيَهَا وَجِثِيهَا
فَلْتَعْدِلِ النَّاسُ عَنْ مَاضِي دَعَاوِيهَا
إِنِّي لَتَارِكُهَا عَقُورًا لِشِينِيهَا
كَيْمَا يُلَاقِيَهَا الْحُجَّاجُ يَسْقِيَهَا
بَاءَ خَيْرُ عِبَادِ اللَّهِ تَاقِيَهَا
زَابِ ذِي الْأَرْضِ جَلَّ اللَّهُ ذَارِيَهَا
فَأَخْسَنَتْ كُلُّهَا فِيهِ تَطْلِيَهَا
فَآذَهَبُوا وَبِكُمْ نَفْسِي أَهْنِيَهَا
يَطْلُنُ بِهَا بَلَّ غَدَا لُفْطًا يُوَاسِيَهَا
بِدِينِ أَحْمَدَ غَازِيَهَا وَوَالِيَهَا
دِينًا وَطَابَ لَهَا ضَافِي تَقِيَهَا

وفي السنة السادسة للهجرة قصد أبو سفيان الشام للتحجارة فأحب مرقل ملك الروم وكان يستنذ في الشام أن يقف منه على ما كان يسمه من نبأ محمد والاسلام فاستداه اليه وبلحه في الاسم ملياً بواسطة ترجمان وقال أبو سفيان لأصحابه بعد أن خرج من عند ملك الروم « لقد أمر ابن أبي كبشة (ويريد محمداً عليه الصلاة والسلام) وأصبح ملوك الروم بهاوونه في سلطانهم » وعرف الناس من قوله هذا أن أبا سفيان فهم من حديث مرقل بأنه بات متخوفاً من الاسلام الذي ظهر في بلاد العرب . ومع ذلك ظل أبو سفيان هذا متعادلاً يداوئ المصطفى بحارب المسلمين . وهذه ويحزب الأحزاب ضدهم الى يوم فتح مكة حيث أسلم مع بقية قريش كما تقدم

وأول شاهد أبي سفيان مع المسلمين كانت في غزوة حنين في السنة الثامنة للهجرة ولما قسمت الغنائم اعطاه المصطفى مئة بيراً منها اشارة الى مكانته في قريش . ثم اشترك أبو سفيان في يوم الطائف فأصابته نبله في احدى عينيه ففقت واصبح أعور . واشترك أبو سفيان في واقعة بدرموك سنة ١٣ للهجرة على عهد أبي بكر فأصابته نبله عينه الثانية ففقتاها واصبح أعمى . وتوفي أبو سفيان في دمشق عند ولده معاوية وكان واليه سنة ٢١ للهجرة عن ٨٨ سنة ودفن فيها

وَفِي دُجَى اللَّيْلِ وَالْأَعْرَابِ نَائِمَةٌ
دَعَا الرَّسُولُ عَلِيًّا دَعْوَةً فَرَحَتْ
وَأَسْرَعًا لِقَاءَ الْبَيْتِ وَأَعْتَزَمَا
كَانَتْ يَكْثُرُهَا تَمَلًّا جَوَانِبُهُ
وَكُلُّ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ الْكَرَامِ لَهُ
هُنَاكَ دُمِيَّةٌ شِرْكُكَ كَانَ يَنْفِيهَا

(١) ان الكعبة المظفة وهي التي تسمى «البيت النقي» بناها سيدنا ابراهيم وولده اسماعيل عليهما الصلاة والسلام لما هاجرا الى مكة وقد بناها على شكل مربع زواياه الى الجهات الاربع حتى تتكرر عليها تيارات الهواء فلا يؤثر منطف الرياح على كتلتها ، وطريقة البناء هذه هي التي اتبعها القرائنة في بناء الاهرام المصرية فكانت موضع اعجاب اكبر مهندسي العالم في كل مصر . وما زالت الكعبة على بناء ابراهيم حتى جدد بنائها الصالحة ثم جرم . ولما آل امر البيت الى قصي بن كلاب في القرن الثاني قبل الهجرة هدمها وأعاد بنائها فحكمه وجل سقيا من خشب الدوم وجزوع النخل وبنى الى جانبها دار الندوة وهي أهم بناء في مكة بعد الكعبة وجعلها مقر الحكومة وموضعا لثوراه . ثم قسم جهات الكعبة بين طوائف قريش فبنوا دورهم على اللطاف حولها وكانت تخرج الابواب اليها . وقبل البنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام بنحو خمس سنوات هدم السيل الكعبة فاقسمت قريش بنائها بين قبائلها وكان يقوم الرومي هو مهندس بنائها بمساعدة تجار مصري فلما انتهوا الى وضع الحجر الاسود اختلفوا في أي قبائل قريش تختص بشرف وضعه في محله وكاد يفضي اختلافا الى حرب أهلية لولم يتدارك الامر المصطفى وكان في الخامسة والثلاثين من عمره السيد الشريف وكان يشترك معهم في بنائها وكان مرونفا منهم جيبا بكمال سيرته وعلو أخلاقه وصدقه حتى كانوا يدعونه «الامين» فارتضوه عليه الصلاة والسلام حكما فأخذ ردا وضع فيه الحجر الاسود وأمر رجال القبائل فسكوا أطرافه ورفوه بالحجر حتى اذا وصلوا به الى مكانه من البناء في الركن الشرقي وضعه في موضعه يده الشريفة . وكان الحجر داخل الكعبة فاما نادى عبدالله بن الزبير بنفسه خليفة وهو في مكة وأرسل يزيد بن معاوية جيشه لاختضاعه التجأ الزبير الى المسجد الحرام فقربه الحصين قائد جيش يزيد بالنتيجات فأصاب بعض مقدوقتها الكعبة فهدمتها وأحرقت كسوتها مع بعض أخشابها . على ان الحصين لم يلبث ان عاد عن مكة اذ بلغه هلاك يزيد وجيشه هدم عبد الله بن الزبير الكعبة وأتى لها من اليمن بالجم الغني فبناها به وأدخل الحجر في البيت والصق الباب بالارض وجعل قباته الى الغرب بابا آخر ليخرج الناس منه وجعل ارتفاعه ٢٧ ذراعا ولما فرغ من بناء الكعبة طيبها بالسك والنبرد داخل وخارجا وكساها بالديباج وكان نجاز بنائها في ١٧ رجب سنة ٦٤ للهجرة . ولما ولي الخلافة في الشام عبد الملك بن مروان أرسل على عبد الله بن الزبير قائمه الحجاج بن يوسف الثقفي فحصر مكة وقتلها وقتل بن الزبير سنة ٧٣ هـ . وأعاد الكعبة الى ما كانت عليه على عهد المصطفى ولم يطرأ عليها بعد ذلك الا المارة التي تدير فيها سقيا في زمن السلطان سليم الثاني سنة ٩٦٠ هـ . ثم المارة الترميمية التي حصلت في زمن السلطان احمد سنة ١٠٢١ هـ . ثم المارة التي أمر بها السلطان مراد الرابع على أثر السيل الطائل الذي حصل في سنة ١٠٣٩ هـ فحدث فيها صدوحا رمت بامر السلطان المذكور .

دُمِّي أَقِيمَتْ وَإِبْلِيسُ مُسَيِّتُهَا وَلَقَدْ أَتَوْا اللَّهَ فَقَدْ غَشَّتْ مَرَاتِبُهَا
حَتَّى إِذَا دَخَلَ الْبَيْتَ لَمْ يَتَّقِ رَأَتْ أَصْنَامَهُ بِهَا هَوَلًا يَفَاجِنُهَا
لَوَاتِنُهَا نَفَقَتْ بِلَحْتٍ بِمَا شَهِدَتْ مِنْ جَهْلِ عِبَادِهَا أَوْ مُسْتَشِينِهَا
فَبَاسَرِ الْمُصْطَفَى تَحْطِئَ مَهْمَا بِقَضِيٍّ وَأَعْلَى عَلَى الْفُتُوَا يُذَرِّهَا
مَا كَادَ يَهْوِي لَهَا إِلَّا وَقَدْ شَهِدَا مِنْ فَضْلِ رَبِّهِمَا الْأَعْلَى تَهَاوَنَهَا

اما شكل الكعبة على التعديل الذي أحدثه الحجاج وقال انه طبق الشكل الذي كان على عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو الشكل الذي لا يزال باقياً حتى الآن ، فهو شكل مربع تقريباً ، مبني بالحجارة الزرقاء الصلبة ، ويبلغ ارتفاع البناء خمسة عشر متراً ، وطول ضلعه الذي فيه الميزاب والذي يقابله عشرة أمتار وعشرة سنتيمترات ، وطول الضلع الذي فيه الباب والذي يقابله اثنا عشر متراً ، وباب الكعبة على ارتفاع مترين من الأرض ، ويصعد إليه بدرج يحكي مدارج المناير ودرجها الحالي من الخشب مصفح بالفضة ، أهداه الى الكعبة أحد أمراء الهند ، وهو نقال لا يوضع في مكانه منها الا اذا فتح بها القرائن في الاحتفالات الكبرى ، وهذه الاحتفالات لا تتجاوز ١٥ مرة في السنة ، وموضع هذا الدرج اعتيادياً بجوار قبة زمزم من جهة باب شعبة ، على أن لباب الكعبة درجاً خفياً بسيطاً يوضع امام لبها على الدوام . وفي الركن الذي على يسار باب الكعبة الحجر الاسود ، وهو موضوع على ارتفاع متر ونصف من أرضية المكان

ويحيط بالكعبة من خولجها سور من البناء متوسط ارتفاعه ربع متر ومتوسط عرضه ثلاثون سنتيمتراً ، ويسمون هذا السور « شاذروان » ولطعم أقاموا هذا السور حول الكعبة لوقايتها من تأثير السيول التي تنزل بكثرة من الجبال المحيطة بمكة الى الوادي الذي فيه البلد والكعبة ويسمون ذوايا الكعبة الخارجية بالاركان ، فالتالي منها يسمونه « الركن المراتي » والشرقي « الركن الشامي » والقبلي « الركن البجائي » وفيه حجر يسمونه « الحجر الاسود » والشرقي « الركن الاسود » لان فيه الحجر الاسود وتسمية هذه الاركان ترجع الى اتجاهها

اما الحجر الاسود : فهو حجر صقيل يضاوي ، غير منتظم ، ولونه اسود يميل الى الاحمرار ، وفيه قطعت حراء ، وتمازج صفراء ، وهي أثر لحام القطع التي كانت تكسرت منه ، وقطره نحو ٣٠ سنتيمتراً ، ويحيط به إطار من الفضة عرضه ١٠ سنتيمترات ، والمسافة التي بين ركن الحجر وباب الكعبة يسمونها للزئيم ، وهو ما يلتزمه الطائف في دعائه واستنائه هناك

ويخرج من على منتصف حائط الكعبة الشمالي الغربي الميزاب « المزرب » ويسمونه « ميزاب الرحمة » وهو من بناء الحجاج وضه على سطح الكعبة لتجري المياه منه ، وكان من النحاس فأبدله السلطان سليمان الثاني سنة ٩٥٩ هـ بأخر من الفضة ، ثم استبدل السلطان احمد الثاني هذا الميزاب بغيره من الفضة المنقوشة بالزركشة بميناء زرقاء تتخللها نقوش ذهبية سنة ١٠٣١ هـ . وبعد ذلك صنع السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٢٧٣ هـ ميزاباً من الذهب وأرسله الى الكعبة فوضع على سطحها وهو موجود الآن ونقل ميزاب السلطان احمد الى الاستانة وحفظ في دلو الاثار فيها

وقبالة الميزاب من الخارج « الحطيم » وهو قوس من البناء طر فاه الى زاويتي الكعبة الشمالية والغربية ، ويمد عنهما مسافة مترين ، ويبلغ ارتفاعه متراً ، وسكبه متراً ونصفاً ، وهو مغلف بالرخام

رَاحًا يَقُولَانِ جَاءَ الْحَقُّ بِرُحِّي مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ بَاطِلٍ قَدْ كَانَ يُغْوِيهَا
وَكَانَ أَكْبَرُ أَصْنَامِ الْأَعْرَابِ قَوْمِ قِ الْكُتَيْبَةِ الثَّانِلُ الْفُزْرَانُ تَاجِهَا
يَنْتِ ثَوْرٌ جِدِ رَبِّ الْعَرْشِ شَيْدًا لِلْوَنِّ أَلْهَبَا أَلْجَمَالُ تَاجِهَا
فَحَاذِيَاهُ وَقَالَ الْمُصْطَفَى لِعَلِيٍّ: إِنِّي الْكُتَيْبَةُ أَلْسَمَاهُ رَاقِبِيهَا
أَجْلِسْ وَفِي أَعْمَالِ كُتَيْبَةِ الرَّسُولِ عَلَا وَقَالَ: فَأَنْهَضَ لِكُنَى أَتَقَى أَعَالِيهَا

التقوس ، ومضافة ما بين منتصف هذا القوس من داخله الى منتصف ضلع الكعبة ٨ أمتار و ٤
سانتيمتراً ، والقضاء الواقع بين المحيط وحائط الكعبة يسمونه «حجر اسماعيل» وكان نحو ثلاثة أمتار
منه في نفس بناء الكعبة كما بناها ابراهيم الخليل وولده اسماعيل عليهما السلام والباقي كان زريبة لنعمة
هاجر وولدها اسماعيل ويقال لهما مدفونان في هذا الموضع

اما داخل الكعبة فتشكله سرب مشطور الزاوية الشمالية ، وهي التي على يمين الداخل وبهذا
الموضع باب صغير يسمونه «باب التوبة» يوصل الى سلم صغير يصعد به الى سطح الكعبة ، وفي وسط
الكعبة من الداخل ثلاثة أعمدة من المواد القاطي ، عليها مقاصير ترتكز على حائط الميزاب من جهة
وحائط الحجر الاسود من الجهة الأخرى ، وقطر كل حامود نحو ٣٠ سانتيمتراً ، وهذه الأعمدة
من وضع عبد الله بن الزبير . ويغطي سقف الكعبة وحوائطها من الداخل كسوة من الحرير الوردى
عليها مرميات مكتوب فيها «الله جل جلاله» وهذه الكسوة هدية من السلطان عبدالعزى العثماني .
وفي قبالة الداخل من الباب محراب كان يصلي فيه النبي عليه الصلاة والسلام . ويحيط ببناء الكعبة
من الداخل أزار من الرخام المزجج على ارتفاع نحو مترين ، . وقد وضع في الحائط الغربي الألواح
محفور عليها أسماء الذين جددوا شيئاً في الكعبة من السلاطين والامراء . وبجانب باب الكعبة من
داخلها على اليسار طاولة من الخشب ، منطاة بستارة من الحرير الاخضر ، موضوع عليها كيس
مفاتيح الكعبة ، وهو من الاطلس الاخضر المزركش بالقصب ، يأتي اليها سنوياً من مصر مع
الكسوة الشرقية ، وملقى بسقف الكعبة عدة مصابيح ذهبية وفضية وبعضها مرمع بالأحجار
السكرية . وتفتح الكعبة في المشرق من محرم للرجال ، وفي ليلة ١١ منه للنساء ، وفي ليلة ١٢ من
ربيع الأول للدهاء من غير ان يدخلها احد من الزائرين ، وفي صبيحة للرجال ، وفي مساءه للنساء ،
وفي ٢٠ منه لنسل الكعبة «وكان يحضر الفضل على العهد الثاني شريف مكة والوالي وبعد استقلال
الحجاز صار يحضر الفضل جلالة ملك الحجاز ووزراؤه» وفي أول جمعة من رجب للرجال ، وفي تاليه
للنساء وفي صباح تاليه للرجال ، وفي مساءه للنساء ، وفي السابع عشر منه للدهاء ، وفي آخر جمعة منه
كذلك ، وفي نصف ذي القعدة للرجال ، وفي تاليه للنساء ، وفي ٢٠ منه لنسل الكعبة . وفي ٢٨
منه لأحرارها «وذلك في بدء وقت الحج» اما طريقة احرارها فهي انهم يحيطونها بقماش أبيض من الخارج
على ارتفاع نحو مترين من أرض المكان بعد ان يقصوا بهذا المقدار من ستار الكعبة تجميلاً لبيته
من الحجاج . وتفتح الكعبة في موسم الحج غير مرتين يزورها من الحجاج نظير أجر يأخذه مدتها ، وتفتح
في ٢٠ من ذي الحجة للفضل

ولنسل الكعبة احتفال عظيم يحضره جلالة ملك الحجاز ووزراؤه وأعيان مكة . فيدخل
جلالة الملك داخل الكعبة فيصلي ركعتين ثم يوثق اليه بحبال ماء من عين زمزم فيدقها على أرضها

غِيَا قُوَى اَلْمُرْتَضَى حَمَلُ الشُّبْرَةِ فِي شَخْصِ اَلنَّبِيِّ وَمَا اَلَا شَقَالُ تُفْسِنَهَا
 قَالَتْ طَسَّةٌ : فَمَذُ وَاجِلِينَ فَإِنْ قَوَا م ك اَلْعَايِرَاتِ حَرِيٌّ أَنْ اُدَارِيَهَا
 ثُمَّ جَبَّ قَائِلًا : فَاصْصَدْ فَكُتِفِي أَوْ م ك اَنْ تَتِيْلَكَ لَا تَرْهَبْ تَلَوْنَهَا
 اُجَابًا كَرِمَتْ أَنْ اَعْلُوْكَ قَالَ لَهُ : لَا فَعَلَّةٌ فِي رَضَى رَنِ اُجَابِيَهَا
 كَذَا عَلَا كَاهِلِ اَلْهَادِي عَلِيٍّ وَلَوْ اَرَادَ غَضَى اَلْكَرِيَّا كَانَ غَاشِيَهَا

ثم يباشر غسلها مع من معه بمكان صغير من الحوض مدة لهذا الغرض ، ويسيل الماء من ثقب في حائطها ، ثم ينسلها جلالة الملك بماء الورد ، ويضع أرضيتها ويحيطها على ارتفاع الايدي بالخلوق والوان الطير كدهن الورد والسك ، وفي اثناء ذلك يكون البخور رائد والود صاعداً من جميع جهاتها ، ثم يقف جلالة الملك في الباب ويلقي بالكافس وطول الواحدة ٣٠ ساقية ، وعلى الجوع المحتدة فيتراهون على تناولها والسعيد منهم من يفوز بواحدة منها للبركة

والكعبة مكسوة من الخارج ، وهي كذلك من أجل بيد ، وأول من كساها نبي أبو كرب اسد ملك هير حين مر عليها راجعاً من غزوة ليثرب سنة ٢٢٠ قبل الهجرة ، كساها بالبرد المقصبة وعمل لها باباً وفتحاً . وتبعه خلفاؤه فكانوا يكسونها بالجلد والقباطي زمناً طويلاً ، ثم أخذ الناس يقدمون لها هدايا من الكساوي المختلفة فيضعون بعضها فوق البعض ، ولما انتهى أمر مكة الى قصي وضع على القبائل وفادة لكسوتها سنوياً واستمر ذلك الى بنيه ، وكان أبو ربيعة بن النيرة قبل الاسلام يكسوها سنة وقبائل قريش تكسوها سنة ، وقد كساها النبي صلى الله عليه وسلم بالتياب البانية ، ثم كساها عمر وعثمان وابن الزبير وعبد الملك بن مروان ، ولما حج المهدي الخليفة العباسي سنة ١٦٠ هـ كان على الكعبة جلة كساوي فشكا اليه سدتها من كثرتها فامر بانزالتها تخفيفاً عن سقفها وأمر بان لا تعلق عليها سوى كسوة واحدة ، ومن هذا التاريخ صار لا يوضع عليها غير كسوة واحدة وصار سدنة الكعبة يؤذعون ستار الكعبة القديمة على الحاجج بالتمن الذي يختص به سدتها وبالح الخلفاء العباسيون بكسوة الكعبة وكانوا يعملونها من الحرير الاسود الذي هو شعارهم وكانوا يستمنعونها في مدينة تنيس المصرية وهي تفر على البحر المتوسط في شمال دمياط هدمه الملك الكامل سنة ٦٢٤ هـ لكثرة ما كانت تهاجه سفن الافرنج في الحروب الصليبية . ولما ضعف شأن الخلفاء العباسيين صارت كسوة الكعبة ترسل لها تارة من ملوك النين وأخرى من ملوك مصر الا انها ما كانت ترسل سنوياً ، ثم اختص بها سلاطين مصر فوقف عليها الملك الصالح بن الملك الناصر ابن قلاوون ثم بني بابسوس وسنديس من أعمال القليوبية فكان خراجها مختصاً بصنع كسوة الكعبة وكانت المادة انه كلما قام على مصر ملك أو سلطان يرسل للكعبة كسوة داخلية من الحرير الاحمر وأخرى خضراء للحجرة الشريفة النبوية في المدينة المنورة واما الكسوة الخارجية فكانت ترسلها مصر سنوياً وهي من الحرير الاسود ولا تزال هذه المادة جارية في مصر حتى الآن

وكسوة الكعبة الخارجية تألف من ثمان ستائر من الحرير الاسود يكتب عليها بالذهب في كل مكان منها « لا اله الا الله محمد رسول الله » وطول الستارة نحواً من ١٥ متراً ومتوسط عرضها ٥ أمتار وبعض سابقعات ، وتعلق كل ستاريتين على جهة من جهات الكعبة ، فتربطان من أعلاهما في حلقات من الحديد تثبت في سقف الكعبة ، ثم تربطان الى بعضها بواسطة عرى

قَالَ أَحْمَدُ: أَلَيْسَ الْآنَ أَكْبَرَ أَصْنَانًا الْآعَارِبِ يَكْفِيهِمْ نُسْرَتُهَا
فَهَزَهُ الْمُرْتَضَى بِالْمُسَبِّحِ هَزًّا فِي عِبَادَةِ الْوُثَنِ هَزَاتٍ ثَلَاثِينَ
وَمَا تَنَاولَهُ حَتَّى رَمَاهُ فَتَنَامَ دَنَى الْمُصْطَفَى أَزْهَقَ اللَّهُ الْآرَارِيهَا
وَقَدْ تَحَطَّمَ تَحْطِئًا بِرَمِيَّتِهِ وَاللَّهُ بَارِكَ كَمَا وَهِيَ تَرْمِيهَا
وَأَيُّ أَفْضَلِ أَعْمَالِ النَّبُوَّةِ تَحْطِئُ الْتَائِيلِ بَلْ أَسْنَى مَا تَبْنَاهَا

واذرة وتبتان من الأسفل في حلقات مثبتة في « الشافرون » ثم تربط هذه الستائر ببعضها عند
الأركان بمرى واذرة تصبغ كالقميص على جسم الكعبة ، ثم يوضع على محيط الكعبة فوق هذه
الستائر فيما دون ثلثها الأعلى حزام يسمى « رنكا » مركب من أربع قطع مصنوعة من الخيش المذهب
« القصب » مكتوب عليه آيات قرآنية فيكون كالزنادل القميص

ويبلغ هذه الكسوة الشريفة ستارة باب الكعبة من خرجها ويسمونها « البرقع » وستارة
باب التوبة من داخلها ، وكيس مفاتيح الكعبة ، وكسوة مقام إبراهيم الخليل ، وستارة باب منبر
الحرم الشريف ، وكل هذه الأشياء تصنع من الأطلس الأسود وتركش بالقصب وعليها آيات قرآنية
والكسوة الشريفة مربوط بخصص في ميزانية الحكومة المصرية قدره ٤٥٥٠ جنيهًا وتحتفل
بهر احتفالاً عظيماً بإرسال الكسوة مع الحمل المصري سنوياً تصل في يومه دواوين الحكومة وكذلك
تحتفل يوم رجوع الحمل . أما الكسوة القديمة فتقطع قطعاً وتباع للحجاج للبركة وذلك عند وصول
الكسوة الجديدة قبيل عيد الاضحى المبارك كما سبقت الاشارة

أما طواف الكعبة فهو على شكل دائرة يضاوية من الشمال إلى الجنوب ، وقد فرشت أرضه بالرخام
من عهد عميد ، وهو على حدود الحرم في عهد المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ومضافة ما بين
آخره والكعبة من جهة الغرب والجنوب نحو ١٩ متراً ، ومن جهة الشمال والشرق نحو ١٢ متراً
وفيهِ لصق البيت مما يلي باب الكعبة إلى الشمال جزء مربع منقطع عنه ستة نحو المترين من كل جهة
يسمى « المربع » وقطر دائرة المطاف من الشمال إلى الجنوب نحو ٥١ متراً ومن الشرق إلى الغرب
نحو ٤١ متراً ، والكعبة في وسط المطاف تقريباً

وأما الحرم المكّي فكان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على حدود المطاف الآن ،
وهي حدوده القديمة على عهد إبراهيم الخليل عليه السلام ، وزاد فيه عمر وعثمان مما اشترياه من
الدور التي حوله ، ثم زاد فيه عبد الله بن الزبير عند ما جدد بناء الكعبة ، وكذلك زاد فيه الوليد
بن عبد الملك الخليفة الأموي وعمره عمارة حسنة ، ولما حج المهدي الخليفة العباسي سنة ١٦٠ هـ رأى
أن الكعبة ليست في وسط المسجد اشترى كثير من الدور ولا سيما التي في الجهة الشرقية القبليّة وأدخلها
إلى المسجد . وزاد فيه أيضاً ابنه الهادي . وكانت دار الندوة عامرة بالحرم تجاه الكعبة من الجهة
الشمالية الغربية . وكان يتزل فيها الخلفاء والأمراء في حجهم . فهدمها المتعبد خليفة العباسي سنة
٢٨١ هـ وجعلها مسجداً قائماً بنفسه . ولما قبل إلى الكعبة . واستمر هذا المسجد مصلى الإمام
الحفي إلى سنة ٩٤٧ هـ حيث هدمه كلدي أمير حيد وبناه ثانية مسجداً ذا طريقتين أحدهما للإمام
والصليين والثانية للمؤذنين والمبلّغين وهو لا يزال كذلك حتى الآن . ثم طلق لاطيز مصر يقومون

بِهِ الْخَلَائِقُ قَدْ أَضْحَتْ مَوْحِدَةً يَجْتَوِ إِلَى اللَّهِ بِالْإِخْبَاتِ جَابِئَهَا
وَقَدْ تَطَلَّعَتْ الْعُرْبَانُ مِنْ رَجَا م تِ الشِّرْكَ حَاضِرَهَا الزَّاهِي وَآرَتَهَا
وَوَقَّةَ الْمَرْتَضَى مِنْ فَوْقِ كُفْرِ رَسُو لِ اللَّهِ قَدْ أَكْسَبَتْهُ اللَّهُمَّ تَوَجُّبَهَا

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِصُلْحٍ مَا أَفْسَدَهُ خَالِدٌ

قَدْ شَاطَيْتَ أَحْمَدَ الْهَادِي بِشِرْعَتِهِ قَبَائِلُ وَأَهْتَدَتْ مَا كَانَ دَارِيهَا (١)
فَأَسْلَمَتْ وَأَنْشَتَ عَنْ شِرْكِهَا وَقَرَّ م تِ بِالشَّهَادَةِ تَوَحُّدًا لِبَارِيهَا

تسمير ما يتهد من الحرم المكي الشريف الى ان استولت على البلاد الدولة العثمانية فصار السلاطين
العثمانيون يقومون بهذا الواجب المقدس

والحرم المكي من داخله على شكل مربع تقريباً وفي وسطه يميل الى الزاوية الجنوبية الكعبة
المكرمة . وطول ضلع الحرم المقابل للعظيم الذي فيه باب الزيادة ١٦٤ متراً وطول الضلع الذي
يقابله وهو الذي فيه باب الصف ١٦٤ متراً . وطول ضلعه الذي فيه باب السلام ١٠٨ امتار .
وطول الضلع الذي يقابله وفيه باب ابراهيم ١٠٩ امتار . ويحيط بالحرم من داخله أربعة اروقة
فيها ٣١١ عاموداً . تقوم عليها قباب على محيط المسجد . وابواب الحرم ثمانية في الجهة الشمالية وهي:
باب الدورية . وباب المدرسة . وباب المحكمة . وباب الزيادة . (اشارة الى ان هذه الجهات زادت في المسجد
ولم تكن منه) وبجواره الى الغرب باب القطبي . وباب الباسطية . وباب الزمامية . وباب عمرو بن
العامر (وكان يسمى باب التيق او باب السدة) . ويلي من الجانب الغربي ثلاثة ابواب وهي: باب
العمرة (لان الحجاج يخرجون منه الى العمرة) وباب ابراهيم . ثم باب الحزورة «والحزورة اسم
لسوق في الجاهلية كانت في مكان هذا الباب» . ويلي من الجهة الجنوبية سبعة ابواب وهي: باب أم
هاني «وهي زوجة هيمه بن عمرو المخزومي وكان بينها في موضع هذا الباب» وباب السجلة . وباب
الرحمة . وباب احياد . وباب الصفا . وباب بني مخزوم . ثم باب بلزان . ويلي ذلك من الجهة
الشرقية أربعة ابواب وهي: باب علي «ويسمى أيضاً باب بني هاشم» وباب الباس «لانه مقابل لدار
الباس عم النبي» وباب النبي «لان المصطفى عليه الصلاة والسلام كان يدخل منه الى الكعبة لقربه
من بيت سيدتنا خديجة» ثم باب السلام وهو الذي يدخل منه الحاج الى الحرم عند طواف القدوم
وفي الحرم المكي ست منارات ويؤذن عليها كلها في الاوقات الخمس على ان شيخ المؤذنين
ويسمونه «الميقاتي» يؤذن على قبة زمزم وهي التي بناها أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي سنة ١١٤ هـ

وتحت هذه القبة يثر زمزم التي يستقي منها الحجاج ويحضرهم مهم من ملأها الى بلادهم للبركة
اما الاصنام التي كانت في الكعبة وأزالتها المصطفى والمرضى عليها الصلاة والسلام فقد كانت
تملاً مسجد الكعبة وقد قدم معنا تاريخ ادخالها الى الكعبة في حاشية سبقت

(١) ذاع الاسلام وشاع في جزيرة العرب بفضل الله تعالى حتى ان بعض قبائل العرب دانت
بالاسلام وقامت بفرائضه وابنتت المساجد وعمرتها بالسجود والعبادة ولم يتصل نبأها برسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن هذه القبائل التي دانت بالاسلام قبيلة بني جذيمة وكانت نازلة بنباجة «يللم»

وَبِالْبَرَارَةِ قَدْ شَادَتْ مَسَاجِدَهَا لِعِبَادَةِ اللَّهِ جَهْرًا فِي مَغَانِبِهَا
مِنْهَا جُذُمَةٌ كَانَتْ فِي يَلْنَلْمُ قَدْ حَلَّتْ هُنَاكَ تَرَى شَتَّى مَا وَنِهَا
فَيَعِدُّ أَنْ سَادَطَهُ قَوْمُهُ وَأَوَى أُمُّ الْقُرَى وَأَطَاعَتْهُ حَوَامِيهَا
إِلَى جُذُمَةِ أَسْرَى خَالِدًا بِسَرِيَّةٍ وَقَالَ لَهُ : فَأَذْهَبْ لِنَهْلِهَا
وَلَمْ يَكُنْ يِقْتَالُ الْقَوْمَ أَمْرَهُ إِنْ لَمْ تُطِيعْ بِرِضَاهَا صَوْتُ دَاعِيهَا
وَخَالِدٌ كَانَ مُنْذُ الْجَاهِلِيَّةِ حَا قِدَاً عَلَيْهَا وَلَمْ يَنْفَكْ شَانِهَا
فَعَمُّهُ فَأَكِيهُ قَبْلًا لَقَدْ قَتَلْتَ وَإِنْ قَتَلْتَهُ مَا كَانَ نَاسِيهَا
وَإِنَّهُ كَانَ مَوْتُورًا وَسَارَ عَلَيْهَا وَهَوَّ أَخَذَهُ ثَارُ الْعَمِّ نَاوِيهَا
وَلِإِذْ دَرَّتْ خَالِدٌ ابْنُ الْوَلِيدِ آتَاَهَا بِالسَّرِيَّةِ خَافَتْ شَرَّ آتِيهَا
ظَنَّتْ بِمَقْدَمِهِ حَرَبًا يُرِيدُ بِهَا مَفْكَ الدِّمَاءِ وَمَا كَانَتْ تُحَاشِيهَا
فَاسْرَعَتْ لِلِقَاءِ وَهِيَ حَامِلَةٌ السِّلَاحِ مُشْبِهَةٌ شَهْرًا مَوَاضِيهَا
وَمِنْ دَنَا خَالِدٌ مِنْهَا بِصُحْبَتِهِ نَادَى بِدَعْوَتِهِ لِلَّذِينَ تَجَرَّبُوا
قَالَ : أَلْسَلَامَةٌ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ تَبِعَ السُّلَيْنَ الْأَحْنِيفَ فَلَا حَرْبَ بَيْنَهُمَا

وكانت هذه القتيبة في الجاهلية ذات حول وطول وقد وترت الناس بمن تلت منهم ومن تلامها
الفاكه عم خالد بن الوليد وعوف والد عبد الرحمن بن عوف الصحابي المشهور وغيرهم من كبار
رجالان قريش ولعلها ما أسرعت إلى الإسلام إلا لتحتمي به من الدين وترتهم
ولما دخل رسول الله مكة المكرمة ظافراً منصوراً ودخلت قريش في الإسلام أفواجاً حسن
للمصطفى أن يرسل سرية لبني جذيمة والظاهر من واقعة الحلال أن الموتورين من قريش هم الذين
حسنوا المصطفى إرسال هذه السرية إلى جذيمة وإن غرضهم لم يقتل رسول الله عليه الصلاة والسلام
فأمر السرية بالسير عليها ولكن حصر مهمتها دعوة القتيبة إلى الإسلام فقط فلم يسبح لها بمقاتلتها
ولورفضت الدعوة واختار قيادة هذه السرية خالد بن الوليد فسار هذا برسته على جذيمة وكان عددها
٣٥٠ رجلاً من المهاجرين والانصار وبني سليم . فلما دنت السرية من يلملم شعر بها بنو جذيمة
فهيروا مقدمها ولم يأتوها مع انهم مسلمون فشكوا أسلحتهم وخرجوا إلى لقاءها فلما دنا منهم خالد بن
الوليد قال لهم : « هل أنتم مسلمون أم كفار ؟ » قالوا : « نحن مسلمون قدمنا وأصدقنا برسالة
محمد وبيتنا المساجد في ساحتنا وأذننا فيها » قال خالد : « إذن فما بال السلاح عليكم ؟ » قالوا :
« ان يئتنا وبين قوم من الرب عداوة نخفنا ان تكونوا هم فشككتنا سلاحنا للدفاع عن أنفسنا »
قال : « إذن فضموا أسلحتكم » فأطاعه بعضهم ورفضوا أسلحتهم ورفضوا الباؤون فأمر خالد بأسر من
وضع سلاحه فأسروا . وبات ليته يضرب أخصاً لاسداس للانتقام منهم لعمه الفاكه حتى اذا ملاح

قَالَتْ: حَتَانِيكَ إِنَّا بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْعَاءِ دَنَا وَأَهْمَلْنَا الْقُرْآنِيهَا
 قَلَيْسَ فِينَا أَخُو شِرْكٍ عَشِيرَتُنَا دَانَتْ لِأَحْمَدَ فَإِنِهَا وَنَاشِبَهَا
 وَهُوَ ذَا عَمْرَتٍ فِينَا مَسَاجِدُنَا وَلِلْعَمْدِ لِلْخَلْقِ نَاوِيهَا
 نَادَى: عَلَامَ لِدُنْ هَذِي السُّيُوفِ فَمَنْ أَطَاعَ أَحْمَدَ بِمَشِيٍّ وَهُوَ مُقْلِبُهَا
 فَمَا عَصَتْ فِتْنَةً أَقَلَّتْ مَوَاضِيهَا فَرَّاحَ أَسِيرَهَا إِذْ فَرَّ بِاقْبِهَا
 وَبَاتَ فِي لَيْلَةِ الْمَسُوعِ يَبْقُلُهُ ذَلِكَ أَلْمَدَاءُ وَفِيهِ كَانَ مُخْبِئَهَا
 يُرِيدُ يَنَارُ نَارًا مِنْ جَذْمَةٍ لِسَمْعٍ الَّذِي أَهْلَكَتُهُ قَبْلُ أَيْدِيهَا
 وَعِنْدَ الْآخِ نُوْزُ الْفَجْرِ أَهْلَكَتُ سِرَّاهُ وَلَمْ يَكُنِ الْإِسْلَامُ مُنْجِيَهَا
 وَعَادَ مُقْطَطًا بِالْإِنْشِقَامِ إِلَى أُمِّ الْقُرَى نَاشِرَ الرَّايَاتِ مُغْلِبَهَا
 وَمَذْ دَرَى الْمُصْطَفَى بِالْأَمْرِ أَكْبَرَهُ نَادَى سَرِيَّتُنَا سَاءَتْ مَا تَبِهَا
 إِنَّ الْحَقُّوقَ الَّتِي الْإِسْلَامُ قَدَّسَهَا قَدْ جَارَمَا عَرَفَ الْإِنْصَافَ لَا فِئَهَا
 وَقَالَ: رَبَّاهُ لِيُنِي مِنْ جَرِيْمَةٍ سَخَا لِدِي بَرِيٍّ وَلِيُنِي لَسْتُ رَاضِيَهَا

الفجر أمر الناس بقتل الأسرى يقتلوا جميعاً وعاد أدرجه إلى مكة كأنه لم يأتِ أصراً إذا
 ولما انتهى إلى المصطفى ما صنع خالد بن الوليد بمجديته مع اعترافها بالاسلام كبر الامر عليه صلى الله
 عليه وسلم وقال « اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد » ثم استمعى علياً وهو كما تعلم موضع قمه
 وقال له : علمت ما صنع خالد بمجديته وهم مسلمون وما لنا سواك لا صلاح ما أفعد قسر اليهم بالنزوق
 والمال فد : فلامهم وعرض عليهم خسائرهم وتلفتهم بإزالة الاحتاد من صدورهم فصدع علي بأمر
 المصطفى عليها الصلاة والسلام وسار بالنزوق والمال إلى جذيمة فتلطف بها واستصفي صدورهم من
 الاحتاد ببلغة ياته وودي قتلها وعرض عليها اضرارها وثبتها في اسلامها وعاد إلى مكة فأتيا
 المصطفى بما فعل فقال : أحسنت وأصبحت ثم قام رسول الله فاستقبل القبة شاهراً يديه وهو يقول
 « اللهم أبرأ اليك مما صنع خالد » قال ذلك : لا تأمتنفرأ ربهم هاتيك الجريمة التي لم يكن الله راضياً
 عنها ولا راضياً أحد من المسلمين حتى ان عبد الرحمن بن عوف الذي كانت تقات جذيمة في جاهليتها إياه
 فانه غضبوا غلظ القول لحادقها فقل : غيرة للدين واحتفاظاً على زمام المسلمين
 اما خالد هذا فهو أبو سلمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن
 يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي المخزومي . كان في واقعة أحد في صفوف المشركين
 وأسلم بعدها . وكان في الجاهلية من أكابر النزاة المخاربين فلما أسلم لم يجهل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الاستغادة من شجاعته وبراعته الحربية وكان يسميه سيفاً من سيوف الله . وأول امره توليها
 في الاسلام كانت في فتح مكة حيث وجه رسول الله مع سرية من المسلمين على مكة ليدخلها من
 أسفلها فقل وقد وجه رسول الله وهو في مكة إلى موضع يدعى « تلخعة » وفيه منهجي « العزى »

ثُمَّ رَأَى الْمُصْطَفَى أَنْ يُسْرِعَ إِلَى جَدَّتِهِ فَتَنَى تَأَقُّبَ رِضَائِهَا
وَأَنْ يُلَاحِظَ بِالتَّوَضُّعِ مُخَنَّتَهَا وَبِالتَّلَطُّفِ وَالْحَسَنَى يُوَاسِيَهَا
وَمَا لَدَيْهِ حَكِيمٌ غَيْرُ حَيْدَرَةٍ لِذِي الْمَهْمَةِ بِالتَّدْقِيقِ يُجَرِّبُهَا
لِذَا دَعَا الْمُرْتَضَى حَالًا وَأَوْفَدَهُ إِلَى يَلَنَّمُ بِالْأَمْوَالِ وَافِيَهَا
وَقَالَ: أَسْرِعْ إِلَى مَلَقَى جَدَّتِهِ إِسْرَاعًا فَمِخَنَّتَهَا أَبْنَى تَلَا فِيهَا
وَدَّ الْأَلَى قِيلَتْ مِنْهَا يَغْتَرُّونِي فَلَمَّا دَيْتُ أَتَقَتْلِي نُوقِرُهَا
وَأَسْتَصْعِبُهَا لَوْلَانَا وَهِيَ مُسْلَمَةٌ وَقُلْ لَهَا إِنَّا طَرَأَ مَوَالِيهَا
وَقُلْ لَهَا وَحْدَةُ الْإِسْلَامِ تَجْمَعُ أَهْلِيهِ فَمِنْ أَخُوَّةٍ صَفْوَى تَأْخِيَهَا
وَأِنْ جَامِعَةَ الْإِسْلَامِ رَاسِخَةٌ إِلَّا مَرَّكَانَ خَيْبٍ مَنْ يَرْجُو تَدَايِعَهَا
أَوْفَى الرُّسُولِ حَكِيمًا فِي مُهَيْمَتِهِ وَإِنَّهُ مِثْلَمَا يَرْجُوهُ قَاضِيهَا
وَأَيُّ مُشْكِلَةٍ مَا حَلَّ عَقْدَتَهَا وَأَيُّ مُفْضِلَةٍ مَا ذَكَرَ رَاسِيهَا
إِنْ أَلْكَاهُ إِلَى عَلَيْهِ مُنْسَبٌ وَبَيْنَ أَرْبَابِهِ مَا أَتَفَكَ ذَاكِهَا
وَبَيْنَ أَضْلَعِهِ قَلْبٌ تَطْلُوهُ بِالْأَوْجِ يَمَانٌ عَمَّا يُضِلُّ النَّاسَ يُطْفِئُهَا
سَارَ الْقَلْبُ بِدِيهَا أَتَقَتْلِي بِأَيْتُو طَسَهُ وَهُوَ يَطْلُبُ أَنْ يُرْضِيَ أَهْلِيهَا

تفرج بمرته اليها وكر الصم وهم البيت الذي فيه وعاد متصوراً . ثم وجهه على جدية فكان أمره معها ما كان . على ما سبق البيان

وفي السنة العاشرة للهجرة أرسل المصطفى خادماً على العين فلم يطلع فأرسل سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله لهذه المهمة وأمره أن يجد خالداً في حديث سنذكره في حاشية تالية وعند ما تولى الخلافة أبو بكر وارتدت طائفة من المسلمين عن الإسلام مار خادماً لها رهباناً جاء هناك أمراً إذاً وذلك أنه قتل من أهل الردة رجلاً يدعى « مالك بن نويرة » بالرغم من توبته وشهادة شاهدين من الصحابة يرجوه إلى الإسلام وبعد أن قتله جعل رأسه نالته الأثافي وطبعه طعامه فوق الرأس وتزوج امرأته وكانت رائحة الجلال فقول الناس أنه لم يقتل مالكا إلا طمعا بأمره فغضب عمر أشد الغضب لهذه الجريمة وقصد أبا بكر وطلب منه أن يقتله بما لك قرعة من بحجة أنه ذك في حكمه فطلب منه أن يذله فقال أبو بكر « لا أعمد سيفاً شهر من رسول الله » وهكذا ثبت خالد على قيادة حيوش أبي بكر طول حياته ولكن لا نكران للحق أنه كان من أعظم القواد

ولما ظهر مسيلة السكاذيب مدعياً الدعوة رجحاً أبو بكر خادماً لحاربته فسار إليه في « الجامة » فبطش باتباعه . ولم يكده يتم مهده حتى وجهه أبو بكر إلى فتح العراق وكان ذلك سنة ١٢ للهجرة

وَفِي بِلْنَمٍ لَأَنَّهُ جُدْفَةُ بَالَسَوَلَا كَذَلِكَ بِأَمْنِي مُلَاقِيهَا
وَقَامَ فِيهَا حَلِيبًا وَهُوَ أَخْطَبُ أَهْلِ الْأَرْضِ كَانَ لِي الْأَخْلَاصُ دَاعِيَهَا
لَمْ يَجِبْ ظَنُّهُ فِيهَا وَقَدْ رَضِيتُ بِالْإِعْتِدَارِ الَّذِي أَبْدَى مَقَامِهَا
فَسَاكَتْ مَنْ أَتَى لُفْطًا يُسَالِمُهَا وَبِالْصَفَا وَالْوَلَا لَاقَتْ مُوَافِيَهَا
وَكُرَّرَتْ بَيْنَ أَيْدِيهِ تَمْسُكُهَا بِشِرْعَةِ اللَّهِ قَالَتْ لَا تَحْلِلْنِيهَا
وَبِأَنَّا قِيلَتْ مِنْ جُودِهِ دِيَّةَ الْقَتْلِ الَّتِي بَالَسَخَا قَدْ رَاحَ عَاطِيَهَا
كَذَلِكَ عَوْضَ تَوْضِئًا خَسَا ثَرَهَا حَتَّى الَّذِي خَسِرْتُهُ مِنْ أَوَانِهَا
وَعَادَ أَذْرَاجُهُ وَالنَّاسُ مُعْجِبَةٌ بِفَضْلِهِ وَلَقَدْ حَبَّتْ تَوَلِيَهَا
وَبَادَتْ لِي مَكَّةَ وَأَتَى الرَّسُولَ بِمَا أَجْرَى فَأَطْرَى فَبِالْأَمَانِ كَانَ مُجَرِّهَا
وَقَالَ أَحْسَنْتَ صُنْأً يَا أَبَا حَسَنٍ لَا زِلْتَ لِلْحَسَنَاتِ أَرْزُهُ تُسَدِّيَهَا

فسار إليها ودوخ أصحابها الفرس وأخذ منهم الجزية وكانت أول جزيرة بيت في الاسلام
وكان أبو بكر وجه أبا عبيدة بن الجراح على الشام في جيش من المسلمين صغر أبو عبيدة عن تنويع
الروم فيها فأمره أبو بكر بخالد على ان يكون تحت أمرته فدخل خالد الشام سنة ١٢ للهجرة
وعند ما مات أبو بكر وتولى عمر الخلافة كانت باكورة أعماله ان كتب الى أبي عبيدة بنزل
خالد من امارة الجيوش التي يقودها فتلطف أبو عبيدة بإبلاغه النزل فلم يبعأ خالد بأمر عمر ولا
تكدّر منه ورضي النزل الا انه ظل في الشام بين غزاة المسلمين كواحد منهم يجاهد في سبيل الله
ورأى أبو عبيدة انه لا يستغني عن قائد خبير مثله فظل يستعين به في فتوحاته وعرف هذا عمر
فتناهى عن وجوده في جيش الشام ولم يشدد بطلبه الى المدينة ثم ان عمر أعرف خطأ بنزل خالد فصار
يذكره في كتبه الى أبي عبيدة حيث يأمره بالسير للفتح في اطراف الشام. واشترك خالد بتويع خاص
في فتح دمشق وحمص وقنسرين وحلب وكان المجتسبي في مواقع المسلمين مع الروم في هاتيك الاطراف
ثم عظم شأن خالد في نفوس العرب الذين حوله كما عظمت ثروته وصار يهاب الهبات بكرم لمن حوله
ظما على بذلك عمر نهي الماعية وأرسل فزله سنة ١٧ للهجرة معلنا انه لم ينزله الا ليملح السلو بان
ما أوثوه من النصر كان بمجونة اقل لا يراعه خالد ونبوغه الحربي فرضي خالد النزل واتزوى عن
التتال وأطاع عمرأ فيما أخذ من ماله بمجبة انه يزيد على حقه في «التمية» والفتانم كما أطلعاه في
السير اليه الى المدينة المنورة وبعد ذلك عاد الى سوريا وأقام في حمص وتوفي فيها سنة ٢١ للهجرة
وله قبر هناك يزور ويجواره مسجد يعرف الى يوم الناس هذا باسم «مسجد سيدي خالد» وانت ترى
من محل ما سردناه من أعمال هذا الصحابي الباقية انه كان من أفراد شجاعت المسلمين ولولا حقد عمر
عليه لكان القائد الأكبر لجيوش المسلمين على عهده كما كان في عهد أبي بكر. اما سبب حقد عمر على
خالد قتالها انها تصارها في المعركة وكانا في مقتل المبرصم خالد عمرأ وكسر رجله فخذها عليه ولم
ينسها وقال غيرهم بل ان حقد عمر عليه هولاءه كان يرى في خالد شيئا من التواخي في فروضه والله أعلم

وَأَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ أَلْزَمُوا بِرَفْعِ يَدَيْهِ طَائِلًا رَحْمَةً الْبَارِي مَرَجَّيْنَاهَا
وَقَالَ نَفْسِي مِمَّا جَاءَ خَالِدٌ يَا رَبِّي ثَلَاثَةَ مَرَاتٍ أُبْرِنَهَا

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَرِى الْجَمَانِيْنَ

بِفَتْحِ مَكَّةَ عَدَنَانٌ لَقَدْ خَضَعَتْ حِكْمًا لِأَحْمَدَ دَانِيَهَا وَنَائِيَهَا (١)
وَعِنْدَ مَا أَسْلَمَتْ فِيهَا قُرَيْشٌ عَدَا الْأَمَّ سَلَامٌ شِرْعَةً قَارِنَهَا وَبَادِيَهَا
وَإِنْ تَقُلْ بِأَطْرَافِ الْحِجَازِ بَقَا يَأْمِنُ ذَوِي الْبِشْرِ مَا إِلَّا يَأْمُ تَبْقِيَهَا
مَا دَامَ يَنْقُلُ لِلتَّبَشِيرِ حَيْرٌ بِشِيرٍ نَاشِرٍ لِلْهَدَى سَامِيٍّ مَبَادِرِهَا
لَقَدْ تَوَجَّهَ طَهَ بِمُنَّةٍ وَبَيَّ قَطَطَانٌ فِي بَيْتِ الْحَقِّ بِهَيْبَتِهَا
فِي ذِي الْمُنْمَةِ قَدْ أَسْرَى سَرِيئَةً وَكَانَ فِي مُطْلَقِ التَّبَشِيرِ مُسْرِنَهَا

(١) مع ان دخول المصطفى صلى الله عليه وسلم مكة وخضوع قريش له ودخولهم في الاسلام أفواجا قد يدل حالة جزيرة العرب تبديلاً تاماً من الوجهتين الدينية والسياسية لان الاسلام تطلب على الوثنية فيها وجمع قلوب ناسها المتشاكسة فأصبحت أمة واحدة مع ذلك بقيت بقايا من العرب تأبى الا محاربة المسلمين والمسيحيين على الاسلام منها بطون هوازن ويطون ثقيف وكلها من قيس غيلان فاجتمعت كلمتها على محاربة سيدنا محمد بن عبد الله واختارت لزعامتها رجلاً يدعى مالك بن عوف النخعي . فلما سمع رسول الله باجتماع هذه البطون على قتاله خرج اليها باثني عشر الفأمن المسلمين وهو أكبر عدد خرج به المصطفى غازياً . وعند ما بلغ المسلمون وادي حنين وشرعوا يتحدرون فيه وجدوا هوازن وثقيفاً كامنة في شمابه فتصادم الجمعان وكانت الغلبة للمسلمين فقتلوا من قتلوا من المشركين وغنموا ما لهم وسلاحهم وعلقتهم وأسروا نساءهم وأولادهم ورأى رسول الله عليه الصلاة والسلام ان يؤدب ثقيفاً في مواطنها فإمن عاقبة مكرها فأسار عليها وكانت تنزل الطائف وحاصرها ثم عاد منها من غير ان يقتصها وفي هوديته صلى الله عليه وسلم نزل الجمرات وهناك أتاه وفد هوازن يلتصقون منه الفو عنهم واعادة نساءهم وأولادهم وأمواهم الأيم فأشفق عليهم المصطفى وأراد أيضاً ان يكتب قلوبهم بالحسن فقال لهم اختاروا بينا موالكم وبين نساءكم وأولادكم فاختاروا النساء والأولاد فقاتل عليه الصلاة والسلام ما كان لي ولبي عبد المطلب منها أعدته اليكم وما ما كان للمسلمين فالأمر فيه لهم ولكن اذا صليت الظهر بالناس تمالوا الي مستغنيين لعلني أبلغكم وغيتكم بجاؤه بعد ان صلى بالمسلمين وقالوا « نشتنع برسول الله الى المسلمين والمسلمين الى رسول الله في أبنائنا ونسائنا » فقال المصطفى : « اما ما كان لي ولأبناء عبد المطلب فهو لكم » فلما سمع المسلمون جواب المصطفى هذا قالوا : « ما كان لنا فهو لرسول الله » وهكذا أرجع للمصطفى هوازن نساءهم وأولادهم فله رأوا هذا المروء دخلوا في الاسلام أفواجا وهم مجبون بهذا الفضل الحمدي العظيم ولا يستبد الانبياء غير الاحسان

وَسَالِدٍ بِأَسْمٍ طَسَهُ كَانَ قَالِدَهَا
فَلَمْ يُوقِنْ إِلَى رُغْبَى الرَّسُولِ وَمَا
فَأَسْرَعَ الْمُصْطَفَى فِي بَيْتِ حَيْدَرَةٍ
وَقَالَ أَرْجِعْ إِلَيْنَا خَالِدًا عَمَلًا
وَصَحْبُهُ مَنْ تَرَى مِنْهَا إِعَادَتَهُ
فَسَارَ حَيْدَرَةٌ مَعَهُ سَرِيَّةً
وَمَذْرَأَى خَالِدًا فِي الْحَالِ أَبْلَغَهُ
فَمَادَ أَذْرَاجَهُ مَعَ بَعْضِ صَحْبَتِهِ
فَسَارَ فِيهَا إِلَى هَمْدَانَ بِمَنْجَبِهَا
حَمْدَانُ قَدْ قَابَلَتْ بِمَوَاقِفِهَا
وَقَالَ: بَشْتُهُ كُلُّ الرِّجَالِ فِيهَا
فَلَنْ رَجَعَتُهُ أَمْسَيْتُ بِأَعْيُنِهَا
أَعِدَهُ حَالًا وَأَبْقَى مَعَكَ بِأَقْبِنِهَا
إِلَى رِيٍّ يَمْنَى يَنْحَوُ نَوَاجِحِهَا
رِسَالَةَ الْمُصْطَفَى إِذْ رَاحَ قَارِيَهَا
بِلِسْكَ عَوْدَةٍ مَا كَانَ وَاجِحِهَا

وبعد هذا الحادث وفد على المصطفى عليه الصلاة والسلام مالك بن عوف النصري فهم تغيف وهو اوزن مستغفراً نائباً قرء عليه نساءه وأولاده وأحسن اليه جمعة من الأبل فأسلم وحن اسلامه وصار سيقاً من سيوف المسلمين وهكذا كان محمد بن عبد الله يكتب قلوب الناس بالأحسان فيستبدها علماً منه ان الاحسان فوق القوة القاهرة

وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمرات وجهه نظره الشريف الى اليمن فيمت سريّة « ببادة خالده بن الوليد الى همدان وهي إحدى قبائلها وأمره ان يدعوها الى الاسلام وان لا يحاربها الا اذا حلوت به وهذه السرية أجمع المؤرخون على ذكرها اجلاً بشر تفصيل وليس بين يدينا ما هو أصدق من رواية « البراء » وهو من الصحابة وشهد بها بنفسه وهناك روايته على ما نقلها البغاري قال البراء : « بنينا رسول الله مع خالده الى اليمن بعد رجوعه من الطائف ومعه الفئام في الجمرات (سنة ٨ هجرية) ثم بث علينا مكانه فقال : مر أصحاب خالده من شاء منهم ان يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل قال البراء : فكنيت فمعن عقب معه ففتمت أواني ذوات عدد » وروى الاسماعيلى رواية البراء هذه وزاد عليها قوله تعالى عن البراء انه قال « فلما دونا من القوم خرجوا اليها فسلمى بنا على وصفتنا صفاتاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا قرأ على البائنين كتاب رسول الله فسلمت همدان جميعاً فكتب علي الى رسول الله بأسلامهم فلما قرأ الكتاب خرج ساجداً لله ثم رفع رأسه وقال السلام على همدان » اهـ وهذا الحادث من أعظم حوادث تاريخ صدر الاسلام وأعظمها في نتيجته لان قبيلة همدان الهامية هي من القبائل الكثيرة المدد في اليمن واسلامها في يوم واحد على يد سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله له من الشأن ما كان يجب ان يسهب في تفصيل المؤرخون ولكن لسوء الحظ ان التواريخ التي اتصلنا اليها لم تفصل كما ان هذه التواريخ التي اجتمعت على بيت سيدنا علي في اثر خالده وبعضها يقول ان رسول الله امر علياً وشد بقوله : « قيد خالداً ولو سلم مع من شاء من أصحابه » ما ذكرت شيئاً عن السبب الذي حل المصطفى عليه الصلاة والسلام على عزل خالده من الامارة وارجاعه سولاً مقيداً او حرراً الى مكة كرمها الله وهذا السكوت موضع نظر للتأمل أيضاً . كذلك رأينا بعض المؤرخين « الذين اتصلنا بتولايهم » يخطئون بين هذه السرية وسرية أمير المؤمنين الى مدحج في السنة العاشرة للهجرة ولكنهم يودون القول بلهما

وَأَبْصُرْ عَوْنَهُ مَا بَيْنَ صُحْبَةٍ
وَصَاحٍ يَا آلَ هَمْدَانَ أَتَيْنَكُمُ
وَرِاحٌ يَطْلُبُ فِي عَالِي مَكَانِهَا
فَكَانَ يَنْشُرُ مَا بَيْنَ الْوَرَى ذُرّاً
وَلَمْ يَكُنْ يَنْشُرُ مِنْ سِرِّ خُطْبَتِهِ
حَتَّى تَوَلَّى الْهَدَى تِلْكَ الْفُؤُوسَ جَمِيعاً
وَأُسْرَعَتْ آمَنْتُ بِاللَّهِ بَارِئُهَا
وَأَسْتَقْبَلَتْ بِالنَّارِ وَالْحَمْدِ حَذَرَهُ
وَبَادَرَ الْمُرْتَفَعَى طَهَ يُبَشِّرُهُ
وَأَمَنْتُ كُلُّهَا إِيمَانٌ مُعْتَرِفٍ
فَخَرَّ لِلَّهِ طَهَ وَهُوَ يَحْمَدُهُ

أَبُو الْحُسَيْنِ حَبِيبُ النَّاسِ تَوَهَّيْهَا
بِشِرْعَةِ اللَّهِ فِي سَامِي مَثَانِهَا
وَيَكْشِفُ السُّتْرَ عَنْ زَاهِي مَكَانِهَا
هَبْهَاتِ مَا دُرُّ الْفُؤُوسِ تَحْكُمُهَا
وَالنَّاسُ تَخْرُجُ بِالْأَنْظَارِ مُقْبِلُهَا
وَالْعَدْلِيُّ بِأَمْرِ اللَّهِ مُشْجِعُهَا
وَبِالرَّسُولِ وَآيِ الشُّكْرِ فِي فَنِهَا
وَمَا نَسَبَ فَضْلَهُ إِذْ كَانَ مُهْدِيهَا
بَانَ هَمْدَانٌ كَبَتْ صَوْتُ دَاعِيهَا
بِالْحَقِّ حَقِّي نِسَاها مَعَ ذَرَارِهَا
بِسَجْدَةِ آمَنَ بِالْأَخْبَاتِ آتِيهَا

سريتان لا سرية واحدة .

وإذا جازي ان اقول شيئاً عن افعال المؤرخين لهذا الحادث العظيم مع ذكرهم بالاسباب ما هو اقل من ذلك شأناً من حوادث صدر التاريخ الاسلامي في اقول بان ذلك واحد من سبين فما ان المؤرخين ارادوا تغطية امورا تاهها خالد بن الوليد في هذه السرية لاجلال مقامه الصحابي الرفيع والاعمال الباهرة التي اتاهها فيها بعد في الفتوحات الاسلامية واما انهم ارادوا ان يحقوا عملاً عظيماً انما سيدنا علي عليه صلوات الله يوم كان بهم الناس ان يسدلوا ستاراً كثيفاً على الاعمال العظيمة التي قام بها سيف الله الغالب علي بن ابي طالب عليه صلوات الله وربما كان سكوت المؤرخين للسببين مما فاكفوا بإشارة بسيطة لذلك الحادث العظيم وهو دخول الاسلام بسرعة مدته الى الارحاء المجانية بواسطة صنو المصطفى سيدنا علي عليه الصلاة والسلام وكيفما كان الحال فمن الثابت الذي لا ريب فيه ان خالد بن الوليد سار بسرية من المسلمين لليمن للتشيعر بالاسلام ولم يقلع وان سيدنا علي تبه بامر المصطفى واستسلم قيادة السرية واقتلع باذخال همدان في الاسلام فاستلمت في يوم واحد ولم يرسى ما هذا النجاح الاكرامة عظمى من كراماته ونعمة كبرى للاسلام بحق المصطفى عندما بله نأها ان يحرق للارض ساجداً لله وهو يقول «السلام على همدان» ونحن نقول بعد كل هذه الاعوام : السلام على الذي هدى همدان للاسلام في ظلال السلام

وكان دخول همدان في الاسلام على يد سيدنا علي امير المؤمنين عليه صلوات الله بده دخول الاسلام الى اليمن التي هي مهد بني قحطان وقبائلهم ترجع جميعاً الى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهذه القبائل هي حمير واشهر بطونها زيد الجمهور وقضاعة والسكاكه وكهلان واشهر بطونها همدان التي نحن بمهددها واتسار وطى ومنحج وكندة ولخم وجنداء والازد الذين منهم الاوس

وَقَالَ جَزَاءُ: سَلَامُ اللَّهِ عَاطِرُهُ ثُمَّ سَلَامِي عَلَى هَٰذَانِ أَقْرَبِيهَا
وَعَادَ يَسْتَحِبُّ ذَيْلَ النَّصْرِ حَيْدَرُهُ لِسَكَّةٍ تَقْلَى شُكْرَ أَهْلِهَا
وَبِالْبَشَاشَةِ لِقَاءَهُ الرَّسُولُ وَنَا دَى: ذَا أَخِي وَمُنَايَ فِيهِ الْفَيْهَا

أمير المؤمنين . عظم صنم طلي

وَحَاتِمٌ قَدْ حَبَى طَيْشًا بِشَهْرِيهِ وَجَاهَةً لَمْ تُكُنْ لَوْلَاهُ بَحْجِنِيهَا (١)

والخزرج وهم انصار المصطفى وقد سبقت الاشارة اليهم وعلى ذكر همدان هذه يخلق بنا ان نذكر شيئاً عن عرب قحطان وهم جرثومة العرب وسبب هجرتهم من اليمن فنقول :
ان ملوك قحطان كانوا ذكروا بالاستفادة من السيول التي تجري في ودينتهم لتسليمهم على الزراعة فبنوا لذلك سدّاً في موضع يسمى « مأرب » وصفه ياقوت فقال « كان بين ثلاثة جبال يصب ماء السيل الى موضع واحد وليس لذلك الماء مخرج الا من جهة واحدة فكان الاوائل قد سدوا ذلك الموضع بالحجارة الصلبة والراسخ فيجتمع فيه ماء عيون هناك مع ما يجتمع من ماء السيول فيصير خلف السد كالبحر فكانوا اذا ارادوا سقي زروعهم فتحوا من ذلك السد بقدر حاجتهم بابواب محكمة وحركات هنيئة فيسقون حسب حاجتهم ثم يسدونه اذا ارادوا على ان هذا السد العظيم الذي يشتر الى حضارة عظمى لاسلافنا العرب القدماء لما تقادم عهده تصدعت اركانه ولعل تصدعه يشير الى ان العرب الذين حدث ذلك التصدع على عهدهم لم يكونوا كاسلافهم من الهندسة فجزوا عن تلافي الخطر وما استطاعوا قهدها السد فنسفته المياه نسفاً في سنة ٤٢٠ قبل المسيح وفاضت مياهه الكثيرة على القرى والزارع فالتفتها واهلكت كثيراً من اهلها وعلى اثر هذا السيل هجر كثير من قبائل العرب البلاد الجمانية لان اراضيها ما عادت تكفيهم للمعيشة بزعمانية سيدهم عمران بن عمرو سيد ولد الازد من كهلان فقدم ثعلبة بن عمرو بن عمران مع عشيرته على الحجاز ونزل بين الثعلبية وذي قار ثم توجه نحو المدينة ونزل على اهلها اليهود وهم اجداد الاوس والخزرج . وسار حارثة بن عمرو بن عمران ففتحوا الحرم واجلوا عنه سكانه من جرهم وابناؤه يسعون « خزاعة » وعطف عمران بن عمرو نحو عيان وزلها ويسمى ابناؤه « لزدعمان » . وسارت قبائل نصر بن الازد ونصر هذا اخو عمران ونزلوا في تهامة . وسار جفنة بن عمرو الى الشام واقام بها وبنيوه هم آباء النساسة سموا كذلك نسبة الى غسان وهو ماء كان بنو مازن بن الازد نزّلوا عليه فلقب « ولاء اليه » . ومن ترك اليمن وقتلهم قتيلا لحم بن عدي بن كهلان ثم من بني الازد ومنهم نصر ابن ربيعة ابو الملوك المناذرة بالحيرة ومنهم طلي ساروا بعد مسير الازد نحو الشمال فنزلوا بين جبلي « أجا » و « سلمى » في الشمال الشرقي من للمدينة المنورة ويخترقها وادي الدهناء وكانت الامثال تقرب في منتهما . ومنهم قبيلة كلب بن وبرة من فضالة اقامت ببادية البجاة في آخر شمال نجد وتصل باطراف العراق . ومع ذلك بقي في اليمن كثير من قبائل حبر وكندة ومذحج وغيرهم وكانت السيادة لهم على البلاد ومنهم الملوك والاقبال

(١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرح الطائي من قبيلة طلي في اليمن ولد على ما يلوح لنا حوالي سنة ٨٠ قبل الهجرة ومات قبلها ايضاً بسنوات غير كثيرة . ومات ابوه وهو

يَهْ تَسَامَتْ عَلَى قَحْطَانٍ أَجْنَبَهَا وَلَيْسَ مِنْ مُنْكَرٍ أَصْلَاتُهَا مِنْهَا
فَأَجَبَ لِرَزْدٍ عَلَتْ فِيهِ عَشِيرَتُهُ لَذَرَا وَمَا زَالَ لَلْأَبَادِ مُعْلِيَهَا

غلام يرمع فكفله جده سعد . وما زال في كفالة حتى طرده من يته على أثر تفتحه من تفتحات كرمه العظيمة . وكان سعد رئيساً لقبيلة طيء ذن نوق وتجارة ولم تنف على انه كان ممتازاً بالكرم اما اذا قلنا كان كريماً فان الرب كلهم كرام والجميع دخیل عليهم وليس منهم . اما عتبة لم احتم فقد كانت ممتازة بالكرم وما زالت تنفق من اموالها على قاصديها بلا رحمة حتى خاف اخوتها عليها الاملاق فغبروا عليها وعلى هذا فيكون حاتم قد ورث الكرم عن امه ونهض به نهضة اعجز بها الاولاد والاواخر فبات مضرب الامثال

قلنا ان الرب كلهم كرام ولهم لبرشون من كل بخيل لثم هو ليس منهم ولا هم منه حتى لو كان ملكاً يلقب بصاحب الجلالة . ولعمري ان قوماً كالرب من اجل مطاهريهم الكرم لا بد ان يمتاز بينهم بهذه السجية المحمودة المتفقون بها حتى اصيحت في طباعهم الطيبة نعم لا بد ان يكون له من الاعمال في سبيل الكرم ما لم يأت منه غيره من الكرام فا الذي فله حاتم من ضرور الكرم حتى نال بها هذه الشهرة الواسعة التي دامت له كل هذا الزمان وستدوم الى الابد ؟ هذا محل حيرة المؤرخ المفكر ان الشهرة لا تأتي عبثاً ولا تكتسب بالتضليل والتمويه ولا تظن ان كلمة مدح من متعلق تكفي الممدوح ثوباً لا يلبى ابد الدهر فانك اذا ظننت هذا فقد اخطأت . فهذه اعظمة مولانا السردار ارض الشيخ خزعل خان وحل الرب الاكبر في هذا الدهر اصبح حديث الناس في مشارقها ومنازلها يتحدثون عن كرمه وفضله وعدله وحسن سياسته وبنات تمازج مله الافواه تسمعه حينما كانت وكيفما اتجهت قبل تحسب انه حفظ الله قد نال هذه الشهرة صدقة او لان بعض الشمره اقبلوا به فرغدهم بجنوده ؟ ؟ لا والله فلو كان الاسر كذلك لسكان لشيرة من ملوك الرب واسرائهم مثل ماله من الفكر الماطر بين الناس فان كثيرين من الشمره قد قصدوهم ومدحوهم ونالوا رفقهم ولكن الاعمال الباهرة المتواصلة التي ياتيها عظمة مولانا الشيخ في كل يوم قد ذاع امرها وشاع بين الناس فكثرت رواياتها وتنفى بها الناس في كل صقع ومهروها اشتهروا واصبح عند حذوق الشاعر كرم اذا امدحه والورى ممي واذا مالته لته وحدي

فيما يروي احدهم لفظته نادرة في الكرم يعوزها آخر بنادرة في العلم فتاكت بنادرة من نوادر عدله فراجع بنادرة من نوادر سياسته وكل يوم يسمعون من جرائد اعماله ما يؤيد قدامها بمثل هذا بلغ اوج المجد والشهرة الخالدة الطيبة وما شاء الله حتى ان حسانه واعادهم ومنافسيه وليسوا بتقليد خرس افواههم امام اجماع الناس على حقه فباتوا اذا ذكر اسمه الكرم يمرض ثناء يطالطون رؤوسهم واجبت ساكنين رغم انوفهم

وعندنا ان حاتم لم يبلغ ما بلغه من الشهرة بالكرم الا لانه كان كعظمة مولانا السردار ارض يواصل اعماله الطيبة مواصلة لم تدع ريباً لاعدائهم وحسادهم ومنافسيه يصلون بها الى التأييد على شهرته الطيبة الخالدة والخط من قدر فضله الكبير . حدث عظمة مولانا السردار ارض الشيخ خزعل خان في احد مجالسه الادبية جلوسه عن حاتم وكانت بينهم قتال « ذكرا حاتم يوماً لما وبة بكرمه فتغضب وقال ما للناس يمجون بكرم هذا الرجل وكل الذي اتفته في سبيل كرمه لا يبلغ عظمة واحدة من عطايها الكثيرة ؟ » فتصدي له احد جلوسه الجريئين وكان من كرام العرب قتال « ان حاتم كان

بِإِسْمِهِ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبِيٍّ لَيْسَ يَعْرِفُ طِينًا أَوْ يُسَيِّمَهَا

يحبس حباً بالاحسان واما انت فتبذل الاموال لتشتري بها رضا الناس عنك بد ان تصدبت بجاهلية ابن عم رسول الله و اخيه وصنوم وعصيت خلافته وناديت بما لنفسك فهل يكون كرمك ككرم حاتم الذي كان يبس كل ما تصل اليه يده لتلبية طالب وافئمة ملهوف؟؟ قال مولانا الشيخ حفظه الله «فاطرق معاوية قليلاً» ثم قال صدقت والله ان حاتمًا كان كرمياً

اما حوادث الكرم الحاتمي فهي كثيرة لو اردنا استيعاب ما انتهى اليها منها لاحتجنا الى مجلد ضخيم فتجزيه منها بالتليل للدلالة على الكثير قالوا : ان حاتمًا منذ كان غلاماً يترعرع كان اذا اعطاه امه غذاءه يخرج به الى الحلي فيشرك ابناءه الجيران به فلحظت امه ذلك وانه يكاد يضيء من الجوع فصارت تكرهه على تناول طعامه في بيتها .

وعند ما شب حاتم رأى جده ان يستخدمه في رعي ابله فأرسله بطائفة منها يرتاد لها مرعى وبنها هو في طريقه لقيه ركب من العرب فقالوا : يا بني هل من قرى ؟ فقال حاتم متحسباً : أنساؤني عن القرى وقد تزون الابل فازلوا - فزل الركب وهو لا يفهم ومحر لهم ثلاثة من الابل فدهش الركب من هذا الكرم العجيب الذي لم يهدوا مثله وقال احدهم : بأنك انقرى ونحن نريد البين وكان التليل منه يكفي لارواء ظمئنا . قال حاتم : قد عرفت هذا ولكني رايت فيكم وجوها مختلفة والواما متفرقة فملت انكم من بلاد مختلفة فأحببت ان اريكم من كرني ما يتحدثون به في بلادكم اذا عديم اليها . فقالوا : وهل عرفت من نحن ؟ قال : لا ولكني لاحسبكم من كرام العرب قولوا : بني والله ثم عرفوه بنفوسهم قدامهم : عبيد بن الابرس وبشر بن ابي حازم والناطقة القدياني نوابغ شعراء العرب . فسر حاتم لهذه الصدقة المباركة لما تعلم من خفاوة العرب بالشراء وازداد سرورهم عند مأسالوه ومن أنت ايها الامير ؟ قال : انا حاتم بن عبد الله بن سعد من طيء . فصاحوا بآرك الله فيك واخذ كل منهم بمحمة بشره . فأخذته نخوة العربي الكريم وقال لقد احببت ان احسن اليكم فاذا اتم الحسنون اليّ وانا اتاهد الله أن أضرب عراقيب ابي او تقتلوهما . فها وسهم «وهم شعراء رزقهم من شعرهم» الا اقتسامها فاصاب الواحد منهم ٣٩ يبراً ومضوا وهم يتزعمون بمدح حاتم والتنويه باسمه في منازل العرب فكان هذا بدء شهرته بالكرم التي طبقت بعد ذلك الافاق . اما حاتم فبعد أن انصرف اولئك الشعراء بابله عاد احواله الى منزل طيء فلما دخل على جده ابتدره قائلاً وياك ابن تركت الابل ؟ قال حاتم والسرور يتدفق من وجهه «ياجداه طوقتك بها طوق الحماة مجد الدهر وكراً لا يزال الرجل يحمل بيت شعر آتس به علينا عوضاً عن البك» فصرف الجدة ان حفيده اشاع الابل بكرمه فقال «وياك يا بني فملت ذلك ؟» قال «نعم» قال الجدة «لا اسألك ابناً» وهكذا طرده من بيته خوفاً من ان يبدد جميع ماله . نقول ان سعد الطائي جد حاتم قد مات منذ الف واربعمئة سنة تقريباً وسيان ما اذا كان قد مات موسراً أو مسيراً قال الدهر هو فترة من الزمان تنقضي على عسر او يسر ولكن ما قاله له حفيده حاتم من انه طوبه بمد الدهر هو الصحيح لاننا بعد كل هذه المدة نذكره اليوم بكرم حفيده ولو كان مثله بالكرم لذكرناه بالاطراء الذي اخص به حفيده وللمري ما للانسان الا ما جنى من حد وشكر ان

وتزوج حاتم بشفرة غنية من كرائم العرب تدعى ماعوية بنت منزور وكانت من الجبال والثرة على قسط عظيم وخطيبا كثير من امراء العرب ووجودهم فردتهم لانها لم ترهم اكفاء لها وآثرت حاتمًا عليهم لشعرته بكرمه وما كاد يقترب بها حتى اجعل يده في ثروتها الواسعة فجعل يوزعها على فقائه والظاهر

وَجُودُ حَاتِمٍ أَمْسَى فِي الْوَرَى مَثَلًا وَمَانَسَتْ أَنَّهُ فِي الْغَرْبِ طَائِنًا

نها حدثه يوماً على إسرائه بكرمه قال :

أماوي أني لا أقول لائل
أماوي أما مانع فيسن
أماوي ما يعني التراء عن القى
أماوي أن يصبح صديقي بقرته
تري أن ما انفقت لم يك ضربي
وقد علمه الاقوام لو أن حاتمًا

إذا جاء يوماً حل في مالنا التدر
وأما عطاة لا ينهه الزجر
إذا حترجت يوماً وضاق بها الصدر
من الأرض لا مالا لذي ولا نحو
وإن يدي مما بخلت به صفر
أراد ثراء المال كان له وفر

ولأنه ان كانت زوجه ماوية قد رضخت لرأيه وافترته برضاها بعد هذا القول على كرمه أم لا ؟
ولكن الذي قلناه انه ظل الى آخر حياته وهو يوزع هباته على الناس فينقب كل ما تصل اليه
يدوم وقد اتصل الى المال الوفير فبدده حتى نحر يوماً فرسه ولم يكن يملك سواها لامرأته أنه في ليلة مظلمة
والناس في قتل تنكرو له جوع اولادها وانت تمل بمزلة الخيل عند الرب حتى يفضلون على نفوسهم
وكان حاتم يمر في كل ليلة لحد غلمانه ان يوقد النار على يقاع من الأرض لتراها الناس
وتقصده بيته للقرى وهو يقول :

أوقد قار الليل ليل فر عسى يرى تارك من يمر
وبالصل كان يجر الغلام الذي اوقد النار اذا جاءه ضيف مهتدي بنورها ولكن الاغرب
ان اولئك العبيد الذين كان يستعهم كانوا بأبون المتق ولسان حالهم «ومن وجد الاحسان قيدا»
ولعمري الى اين يذهب اولئك العبيد المتقاء اذا تركوا خدمة اكرم كرم في الرب ؟
وقد ذكر كرتي نار حاتم هذه بنور عظمة مولاي السردار ارفع الشيخ خزعل خان امير الحمرة
وامير الكرم حياه الله قال عظمت استجلب النور الكهربائي من باريس سنة ١٩١١ فكان اول
عهد بلاد الرب بمجملتها بالكهرباء ومد اسلاكه في قصوره البامرة في الفيلة والكمالية فاصبحت
يكل قصوره تملأ بتلك الانوار الساطعة وأمر حفظه الله ان يقام قنديل منها بقوة التي شمة على
سطح القصر الخزعلي العالي في الكمالية على منارة عالية فسال بعض المقرين من عظمت من
الحسكة في ايقاد هذا القنديل في قضاء هذا الملو الشاهق فضحك عظمته وقال لا ترى الناس تأتينا ليلا
فوالله اخشى ان تضل سبلها البنا فوضنا لها هذا النور لتهتدي به الى منازلنا فذكرت حيث تلي . ما كان
ينقله حاتم من ايقاد ناره على يقاع الأرض لهذا الغرض الشريف وقتل في الحفرة ارجحاً

قد كان حاتم يوقد النيران لا تقصداً في الليل البهيم الداجي
فذا بشيخ الحسين جلا ديا حيه بنور الكهربا الوهاج
والله خزعل لم تدع عبداً له سادر ولا رحوى ترام لراحمي
وولدت ماوية لحاتم ولما يدعى عدي وابنة تدعى سفانة فكانا من السخاء عند ظن والدهما
وقد ادركا الاسلام واسلما على ما سيحي في الحاشية التالية

ولم تقتصر عظمة حاتم الطائي على سخائه فقط بل كان من الشراء المبرزين ومن يقرأ شعره
يجد فيه مبلغ عزة نفسه وتحدثه عن كرمه فيل من هو . وكان شجاعاً مظفراً اذا قاتل غلب ، واذا
غتم أنهم ما تهب ، واذا سئل وهب ، واذا ضرب بالقداح فز ، «والغرب بالقداح من انواع المفارقة
عند العرب» واذا سابق سبق ، واذا اسر اطلق ، وكان قد اتم ان لا يقتل وحيداً لانه «فكان

وطني قد تحت من صخرها وكنا له العبيدة بالآخبات تسديها (١)
 «فلساً» دعتكم جاء تسجده السروار والجلل للإشراك حادتها
 درى بها المصطفى من بني عودته من مكة قال ملي لست كاسيها
 ولا أنا تارك «فلساً» ومسجده ولا عبادته للناس مبقينها
 وصاح بالمرتضى أسرع أخي إلى ملي فأت بلا شك مربينها
 وحطم الصنم المعبود لا تدع الجبال تأتي إليه وهو يعونها
 وأنت أعدي عذرة قاهر وثق الآدم شراك بل أنت أسي من يلاشها
 فأسرع المرتضى والناس تنبئه وإنها عرفت للنصر بمشيتها
 حتى إذا صار في طيه فما خضعت للعوة كان بسم الله داعيتها
 لذا أثار عليها الحرب أشعلها وحق الظن إذ أسي مجليها
 فراح يترك بالأنبال يسحقها وعاد بالتهب عنها وهو ساينها
 وجاء طيناً فهذا البيت والصنم المشهور فيه على مرأى أهلها
 وعاد بالسي والآسلاب عودة منذ صور بتقواه بأى الكبر والتميتها
 فيها ثلاثة أسياف قد أشهرت فكان للمصطفى الهادي مؤدتها
 ومعه سفانة بنت الممجد حاتم أبر كرام العرب ساخينها
 والمصطفى قد أبى من أجل والدها لها الأسار ولم يقبل تسريها
 فأسلمت ودعت للمصطفى وعدت تزوي محامده الفراء وتطريها
 وأسرعت ليلاد الشام تطلب أن تلقى أخاها الذي قد كان يثوبها

إذا بارر شجاعاً سأل إذا كان له أخ أم لا فذا عرفه وحيداً عفا عنه « وكان إذا أهل الشهر الامم
 « وهو رجب » الذي كانت مفر تطمع في الجاهلية » ينحر كل يوم من أيامه عشر أبل ويطعم الناس
 وتوفي حاتم في السنة الثامنة لحام اغيل الموافقة لسنة ٥٧٩ مسيحية اي بعد ولادة رسول
 الله بنمان سنوات وحبه نفراً أن المصطفى شهد له بمكارم الاخلاق كما سيحي

(١) اخذ المصطفى صلى الله عليه وسلم بعد عودته الى المدينة المنورة تخيم مهمته المقدسة
 بتسمي نشر دعوته ومحاربة كل اثر للاشراك والكفر في بلاد العرب وقد اتمل بمسامحه الشفقة أن
 في طيه في محلة آل حاتم الطائي الكريم الآف الفكر صنم يسمى القاس وله دابة يديه الناس فيه

قَدْ كَانَ مَعَ وَفْدِ طِيٍّ وَهُوَ يَقْضِي طَسَةً فِي رِبْيِ طَبِيعَةٍ صَوَّأَ بِمَا شِئَهَا
لَكِنَّهُ فَرَّ مِنْ إِخْوَانِهِ هَرَبًا مِنْ الْهَدَايَةِ مَذًى وَافَتْ عَوَالِيهَا
رَوَتْ لَهَا أَخَاهُ طَبِيعًا وَنَكَبَتْهَا قَالَتْ: أَبُو حَسَنٍ قَدْ رَاحَ غَارِزَهَا
وَحَدَّثَتْهُ بِمَا فِي طَبِيعَةٍ وَبَهَا * مَجْدُ أَحْمَدَ وَالْإِسْلَامُ غَاشِيَهَا
قَالَتْ: فَأَسْرِعْ إِلَيْهَا مُسْلِمًا وَتَقَرَّبْ بِالتَّوَدُّدِ مِنْ أَعْتَابِ وَإِلَيْهَا
تَقَرَّبْ بِدُنْيَاكَ فَغَرَّ الْمُسْلِمِينَ وَفِي الْأَمِّ خَرَى مُتَوَبِّهَهُمْ طُوبَى لِقَائِهَا
أَصْنَى عَدِيٍّ أَخُوهَا لِلنَّصِيحَةِ إِصْغَاءً وَسَارَ يَلَا بَطْءَ لِيُجِزِيَهَا
فَرَحَّبَ الْمُصْطَفَى لَطْفًا بِصَاحِبِ طِيٍّ * وَأَبْنَى حَاتِمًا أَسْنَى مَوَالِيهَا

قسم عليه الصلاة والسلام على تحطيم الصنم وهدم البيت الذي فيه ولم يجد لهذه المهمة العظيمة سوى
أمير المؤمنين الامام علي عليه صلوات الله فوجهه بسيرة فيها نحو مئة وخمسين رجلاً فاغار على احياء من
الرب في طريقه وبصرها بالاسلام وكان الفيز رقيقه حتى اذا ماوصل بمرتبته الى محلة آل حاتم
هاجها عند مطلع الفجر وتقلب على اهلها ودك بيت الصنم وحطم ذلك الصنم تحطياً ووجد في خزانته
ثلاثة سيوف وثلاثة دروع وكانت هذه السيوف اثرية لها شهرة عند العرب وتسمى رسوب والحندم
والجاني فقتنها مع ما غنم عليه صلوات الله من الثمن وسى النساء وكانت فيهن سفانة ابنة حاتم
الطائي وسار بالسبي والغنائم قائداً الى المدينة المنورة حيث قدما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاختص المصطفى نفسه بالسرقة بهاتيك السيوف . ووزع الغنائم والسبي على المسلمين الاسفانة ابنة
حاتم الطائي فقد تقبعت منه وكانت جذلة ذات وقار وعقل وقالت « يا حاتم لو اريت ان نخلي عني ولا
تسنت بي احياء العرب فاني ابنة سيد قومي وكان اني يحسني القمار ويغشك الغاني ويشبع الجائع،
ويكسو الماري، ويقرى الضيف، ويظم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم
طيء . فقال المصطفى : هذه مكارم الاخلاق حقاً خلوا عنها فان لباها كان يجب مكارم الاخلاق وان
الله يحب مكارم الاخلاق . ففكرت سفانة نعمة المصطفى ودعت فقالت « شكرتك يد افتقرت
يد غني ، ولا ملكتك يد استغنت يد فقر ، واصاب الله بعمركم مواضعه ، ولا جبل لك الى
لثيم حاجة ، ولا سلب نعمة من كريم الاوجهك سبباً لرد هاجله » فقبض لها الرسول وانصرف وظلت
سفانة في حظيرة المسجد فمر بها المصطفى والمرتب في اليوم التالي فاشار اليها بالترقي ان تكلم
المصطفى فتصدت له وقالت من علي من الله عليك قال « قد فعلت فلا تعجل حتى يجدي ثقة بيلتك
بلادك » ثم تركها ومضى يد ان اوصى بما خيراً . وبعد ايام قدم اندية رهط من طيء وبلغها خبره
فاصرعت الى المصطفى في مسجده واخبرته بقدم قومها وقها بهم فكساها واعطاها ثقة وركوباً فسلمت
ودعت وانصرفت الى اخيها عدي بن حاتم وكان يومئذ في الشام هرباً من الاسلام فلما انتهت اليه
قال لها : ما ترين في هذا الرجل ؟ قالت : ارى والله ان تلحق به سرياً فان بك نياً فلا تسابق اليه
فضيلة وان يك ملكاً فان زال في هز الزلزلين واتت أنت فقال : والله هذا هو الرأي وسار لساعته
الى المدينة المنورة وسلم وحسن اسلامه واكره المصطفى متواه

أمير المؤمنين في غزوة تبوك

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَاللَّسْبِيحُ أَصْبَحَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي أَقْوَافِ أَهْلِهَا (١)
 وَقَدْ غَدَتْ دَوْلَةُ الْأَشْرَافِ دَائِلَةً مِنْهَا وَأَصْنَافُهَا هُدَّتْ مَبَانِيهَا
 فَبَعْدَ تِسْعَةِ أَغْوَافٍ لِهَجْرَةٍ طَسَّةٍ دَانَتْ الْعَرَبُ بِالْإِسْلَامِ تَجَرِبَهَا
 وَأَصْبَحَتْ أُمَّةٌ كُبْرَى مُوَحَّدَةً أَلَامِ مَبَالٍ تَارِكَةً مَاضِي تَعَادِيهَا
 وَرَايَةَ الَّذِينَ أَمَسَتْ وَهِيَ عَالِيَةٌ فِيهَا وَلَا أَمْنَ إِلَّا فِي قَلْبِهَا
 وَالرُّومُ فِي الشَّامِ خَافَتْ نَهْضَةَ الْعَرَبِ الْأَكْبَرَى وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهَا قَلْبِهَا
 وَقَدَّرَتْ أَنْ طَسَّةً قَدْ يُشِيرُ عَلَيْهَا الْعَرَبُ أَنْ لَمْ تُسَارِعْ فِي تَوْقِهَا
 وَأَنْ تَفَاجَيْتُ بِالْعَرَبِ غَازِيَةً مِنْ قَبْلِهَا الْعَرَبُ بِاللَّذْوَى تَفَاجَيْتُهَا
 وَالْمُصْطَفَى قَدْ دَرَى مَا فِي نَفْسِ جُمُوعِ الْعَرَبِ مِنْ نِيَّةٍ سَوْدَاءَ تَنْوِيهَا
 فَقَالَ إِنِّي بِسَمِ اللَّهِ أَسْقِمُا لِلْعَرَبِ إِنْ نِيَّ أَوَّلَى أَنْ أَلَاقِيَهَا
 وَاللَّهُ يَنْصُرُ دِينًا رُحْتُ نَاشِرُهُ وَاللَّهُ يُكَيِّتُ أَعْدَاءَهُ وَيُخْرِجُهَا
 وَصَاحَ فِي النَّاسِ يَدْعُو لِلْمَسِيرِ عَلَى الْأَرُومِ فِي الشَّامِ فَانْصَاعَتْ لِذَاعِيهَا
 وَلَمْ تَعَارِضْ سِوَى أَهْلِ الْإِتِّفَاقِ لَتَ: مَا مُحَارَبَةٌ إِلَّا زَوَامُ نَبِيهَا
 تَشَاءَمَتْ بِانْكَسَارِ الْمُصْطَفَى وَغَدَتْ تُحَذِّرُ النَّاسَ مِنْ حَرْبٍ يُلْطَبِهَا

(١) وأقام المصطفى عليه الصلاة والسلام بدعوته من مكة المكرمة في المدينة المنورة إلى رجب من السنة التاسعة للهجرة وفيه أمر المسلمين أن يتجهزوا لغزو الروم انتقاماً لزيد بن حارثة ومن أصيب منه في « مؤنة » كما تقدم في حاشية سابقة ويسمى المسلمون الجيش الذي خرج في هذه الغزوة بجيش السرة لأن التأهب لها كان في زمن عسرة لشدة الحر والجذب في البلاد وفوق ذلك فإن المسلمين همبوا السير على الروم وصار يقول المناقون منهم الذين كانوا يطهرون الإسلام ويكتفون انكسارهم محاربة الروم لانتشابه عاربه العرب بعضهم بعضاً واخذوا يقتسمون بالانكسار ويحبط بعضهم عزائم بعض . ولم يمت المصطفى . ما كان ينهاس به هؤلاء من التشائم مع اظهار الازتياع اليه فرأى صلى الله عليه وسلم ان الضرورة تقضي بإبقاء سيدنا علي أمير المؤمنين على المدينة وهي الغزوة الوحيدة التي لم يصحبه فيها . نعم ان المصطفى لم يرب بدأ من تخلف سيدنا أمير المؤمنين عن هذه الغزوة لانه الكف الوحيد لإدارة زمام المملكة الإسلامية التي كانت قد امتدت لأكثر جهات جزيرة العرب على كثرة ما في العرب من المسلمين ولا سيما انه كان يعلم بأنه سائر إلى محاربة الروم وهو يدرك ان

وَلَمْ يَكُنْ مَا أَشَاعَتْ مِنْ تَشَائُمِهَا نَصِيحَةً لِمِبَادِ اللَّهِ تُسَدِّدُهَا
لَكِنْ أَرَادَتْ بِهَا تَأَلُّهُ مَقْصِدَةً لِلنَّاسِ كَيْمَا عَنِ الْقِتَالِ تُشْفِيهَا
لِأَنَّهَا قَدْ أَسْرَتْ لِلْحَنِيفِيَةِ السَّمْعَاءَ نِيَّةً سُوِّءَ فِي مَطَاوِنِهَا
وَكَانَ يَعْرِفُ طَمَهُ مَا خَبِيئَتُهُ صُدُّوْرَهَا مَا أَخَفَّتْ عَنْهُ خَوَافِهَا
لِذَلِكَ أَبْقَى عَلِيًّا فِي الْمَدِينَةِ بَرَّ عَمَى مُلْكِهِ وَأَهَالِيهِ يُرَاعِيْنَهَا
وَمَا سِوَاهُ لِأَرْبَابِ التَّفَاقُ إِذَا غَابَ الرَّسُولُ وَجَدَتْ فِي مَسَاوِنِهَا
وَسَارَ يَطْلُبُ أَرْضَ الشَّامِ يَنْشُدُهَا بِرُكْبِهِ لَمْ يَهَبْ تَقْتَالَ رُؤُوسُهَا
وَمَا غَزَا الْمُصْطَفَى غَزَاً يَغْيِرُ عِيَاْسِي الْمَرْتَقَى قَاهِرَ الْكُفَّارِ نَاكِهًا
وَلَا تَسْعَرُ فِي عَهْدِ الْجِهَادِ لَطْفُ السَّهْبِ جَاءَ إِلَّا عَلِيٌّ كَانَ صَالِحِيهَا
وَلَمْ يَكُنْ رَاضِيًا ذَا الْيَوْمِ قَدَّتُهُ عَنْ الْكِرْبَةِ إِلَّا طَوَعَ رَاضِيهَا
فَتَشَنَّعَ الْقَوْمُ قَالُوا: قَدْ تَخَفَّ مِنْهُ الْمُصْطَفَى وَلَهُ قَدْ رَامَ تَغْوِيَهَا
هُمْ أَعْلَى الَّذِي قَالُوا فَخَفَّ إِلَى السِّلَاحِ فِي عَزْمَةٍ لَمْ يَخْبُ وَارِنَهَا
وَسَارَ مُتَسَبِّحَ الرُّكْبَانِ قَاصِدَهَا فَوْقَ الْمُطْلَمِ وَالْأَثَارَ قَافِيهَا

موات الروم لا يستخف بها إذا لم تصب غزوته النجاح فقد ينتقض عليه المنافقون وكثيرهم
على أن المصطفى ما كاد يبعد بقرعة المسلمين من المدينة المنورة حتى طفق أولئك المنافقون
الفجار باقطنوا استخلاف سيدنا علي عليه صلوات الله عن الفتوة ويرجعونه قلوبهم « ما خاف المصطفى إلا
استقلاله وتخلفاً منه » ولهم لرادوا من قولهم هذا ان يوغروا صدره الشريف على المصطفى
ويحدونوا شقاقاً بذلك بين المسلمين فينالون ما رجع الشر من تضييع المحمودات المحمدية الناجحة
ولما انتهى إلى المسامح الحيدرية الشريفة صدى لفظ الناس هذا اغتاظ عليه صلوات الله وشك سلاحه
فركب جواده ولسرع متفنياً آثار المصطفى وحيته فوجدتهم منيخين في موضع يسمى « الجرف » فدخل
على محمود الرق يتصبب من جسمه الشريف والغضب يدير على وجهه النير وقال: « يا بني الله لقد زعم المنافقون
انك ما خلفتني في المدينة إلا لانك استقلتني ولردت ان تتخفف مني » قبيح المصطفى وقال « كذبوا
كما كذبوا عني فقالوا اني ساحر ، واني كاهن ، واني كذاب ، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي فرجع
خلفتي في اهلي واهلك يا علي ألا يرزقك ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بيدي »
فاستبرئ علي بما سمع وعاد ادراجاه الى المدينة المنورة يدبر امر المملكة الاسلامية العظمى
واتبعه المصطفى بجيشه الجرار الى موضع يسمى « تبوك » وهناك جاءه ببيعة « ولله بيوحنا »
ابن ربيعة صاحب « ايله » فصالح رسول الله على الجزية واتاه ايضا اهل « جراء » وأهل
« انزع » فعطوه الجزية وبث صلى الله عليه وسلم وهو في « تبوك » خالد بن الوليد في سرية

حَتَّى رَأَى بِأَرْضِ الْجُرْفِ نَارَهُ فَحَلَّ فِيهَا وَلَقَاهُ مُلَاقِبَهَا
وَقَابِلَ الْمُصْطَفَى يَسْكُو إِلَيْهِ لَمَّا أَلْفَجَّارَ يَرْوِي لَهُ إِرْجَافَ هَازِبِهَا
وَقَالَ: عَطْفًا نَبِيَّ اللَّهِ تَحْدِثُنِي أَنَا أَيْنَ عَمِكَ قَالَ الْمُصْطَفَى: إِيَّاهَا
لَكِنَّ نَمَتَ عَلَيْكَ الْغُرْبُ قَوْلَهَا فَمَا نَسِيتَ لَهَا مَاضِي تَمَتُّبِهَا
أَلَمْ تَقُلْ إِنِّي السَّحَارُ أَسَحَرُهَا وَإِنِّي كَايْنُ الْأَصْنَامِ أَرْقِبُهَا
وَإِنِّي كَاذِبٌ بِالْمَتْنِ أَخْذَعُهَا وَإِنِّي بِأَبَا طَلِيلٍ أُمَارِبُهَا
تَأْسُ بِي وَأَصْطَبِرُ مَا أَنْتَ مِنِّي إِلَّا مِثْلُ هُرُونٍ مِنْ مُوسَى قَبْلَ تَبِهَا
خَلَا النَّبِيُّ مَا بَعْدِي قَوْمٌ نَبِيٌّ فِي الْبَرِيَّةِ يَرَعَاها وَيَهْدِيهَا
أَرْجِعْ إِلَيَّ طِبَّةَ إِيَّايَ تَرَكْتُكَ لِلْمُؤْمِنِينَ خَلَفْتَهُمْ مِنْ عِزِّي فِيهَا
فَطَابَ نَفْسًا عَلَيَّ وَأَنْشَى فَرَحًا لَطِيبَةً وَهُوَ وَالِهَا وَقَاضِيهَا
وَعَزْوَةُ الْمُصْطَفَى كَانَتْ مُوقَّةً وَنَصْرَةُ اللَّهِ قَدْ كَانَتْ تَوْسِيَةً
وَفِي تَبْوِكَ لَقَدْ كَانَتْ وَقَائِمًا لِذَا يَهَا كَاتِبُ التَّارِيخِ يُسَيِّبُهَا
وَإِنَّمَا عَزَوَاتُ الْمُصْطَفَى خُبِتَ بِهَا وَقَدْ كَانَ بِالْإِسْعَادِ مِنْبِهَا

أُصِرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَجْزَى بَكْرِ

وَأَذَنَ الْمُصْطَفَى فِي عَامٍ تِسْعَةٍ أَنْ تَمْضِيَ لِحَجَّتِهَا الْحُجَّاجُ تَأْتِيهَا (١)
وَقَالَ يَسْعَى أَبُو بَكْرٍ يَرْقُبُهَا فَهِيَ الْأَمِيرُ عَلَيْهَا وَهُوَ حَامِيهَا
كَذَلِكَ سَارَ أَبُو بَكْرٍ لِحَجَّتِهِ بِالْمُسْلِمِينَ الْأُمِّيِّ كَانُوا مُرِيدِيهَا
فَجَازَ طِبَّةَ يَثِيبِي مَكَّةَ لِفَرِيضَةٍ يَنَالُ رِضَاءَ اللَّهِ قَاضِيهَا

الى «أكيدر تومة» فذهب اليه وحاربه ولسره وجاء به الى المصطفى صلى الله عليه وسلم فها عنه وصالحه على الجزية واطاعه الى يده

ويبدو ان اقام المصطفى عليه الصلاة والسلام بضعة عشرة ليلة في تبوك عاد الى المدينة المنورة وكانت هذه الغزوة آخر غزواته

(١) في ذي القعدة من السنة التاسعة للهجرة أذن المصطفى لمن يريد الحج بالحج وسمى أبا بكر لمبعداً للحج فخرج بالحجاج في اول ذي الحجة قاصداً مكة المكرمة وكان عددهم نحو ثلاثمائة

وَبَعْدَ غَيْبَتِهِ أَوْحَى لِأَحْمَدَ آم يَاتِ الْبَرَاءَةُ وَالْإِنْفَادُ مُوَحِّهَا
 قَبِيلَ الْمُصْطَفَى : فَأَبَتْ بِهَا لِأَيِّ بَكَرَ فَيُعْلِنُهَا لِلنَّاسِ يُنْشِئُهَا
 قَالَ: كَلَّا فَمَا غَيْرَ الْعَلِيِّ يُبْلِغُ الْبَرَاءَةَ أَوْ يُنْشِئُ مَثَانِهَا
 ثُمَّ دَعَا الْمُرْتَضَى فِي الْحَالِ أَبْلَغَهُ أَيَّ الْبَرَاءَةِ كَيْ يَمْضِيَ يَوْمُهَا
 وَقَالَ أَسْرِعْ عَلَى الْقَصْوَاءِ فِي طَلَبِ الْحُجَّاجِ أَثَارَهَا كُنْ صَاحِبَ قَافِيهَا
 وَأَدْخُلْ بِهَا مَكَّةَ وَأَقْضِ الْمَنَاسِكَ مَعَهَا مُسْتَشِينًا بِهَا الْخَلَقَ ثَاوِيهَا
 وَبَعْدَ ذَلِكَ أَعْلَنَ صَاحِبُ أَنْ عَهْوُ دِي لَأَعْرَابٍ قَدْ أَصْبَحَتْ مُلْفِيهَا
 وَأَنْ نَفْسِي مِنْ تِلْكَ الْهَوْدِ كَمَا قَدْ شَاءَ رَبِّي وَأَوْحَى لِي أُبْرِئَهَا
 كَذَا أَمْتَعَى النِّاقَةَ الْقَصْوَاءَ حَيْدَرَهُ وَرَاحَ يَتَّبِعُ الْحُجَّاجَ يَتْبِئُهَا
 وَقَدْ تَلَاقَى بِهَا فِي قُرْبِ مَكَّةَ إِذْ كَانَتْ تَجِدُ إِلَيْهَا فِي مَسَافِهَا
 فِي الْحَالِ أَنْبَأَ أَبَا بَكْرٍ مُصَاحِبَهَا أَسْرَارَ حَيْثُ مَا كَانَ مُضْطَّهِهَا
 وَصَاحِبَ النَّاسِ فِي كُلِّ الْفُرُوضِ وَكَانَتْ مُسْلِمًا شَاءَ رَبُّ الْبَيْتِ تُجْرِيهَا
 حَتَّى إِذَا مَا أَقَاضَتْ وَأَنْتَهَتْ لِمَتَى الْحُجَّاجِ أَوْقَفَهَا صَوْتُ يُنَادِيهَا
 صَوْتُ لَمَلِي الَّذِي مِنْ فَوْقِ نَاقَتِهِ وَاقَى بِمَا أَمَرَ الْهَادِي بِقَافِيهَا

وبعد ذهاب الحجاج بثلاثة أيام أوحى الله الى رسوله بالبراءة من عبوده مع المشركين فبشر بها أصحابه فقال له قائلهم : « لو كنت بها الى أبي بكر فيعلمها للناس » فاجاب صلى الله عليه وسلم « لا يؤدي عني الا رجل من أهل بيتي » ثم دعا علياً عليه الصلاة والسلام وقال اخرج على نائمي القصواء وبيع الحجاج وادخل معهم مكة فاقض منسلك الحج حتى اذا ما أقاضوا الى منى يوم النحر فاخذ بالناس وابدهم البراءة كما لوحي لي « فصعد المرتضى بإس المصطفى وامتطى الناقة القصواء وسار في اثر الحجاج ولحق بهم بالقرب من مكة فدخلها معهم وبعد ان أقضوا فريضة الحج وأقاضوا الى منى يوم العيد الاكبر وعند الجمره الاولى تقدم عليه صلوات الله على ناقة المصطفى « القصواء » وصاح بالناس خطيباً فقال « ليها الناس لا يدخل الجنة الا مؤمن » ولا يجمع يد هذا المام مشرك ولا يظوف بالكعبة عريان ومن كان له مع رسول الله عهد فله عهد اربعة اشهر من يومنا هذا ثم لا عهد له ، ومن لا عهد له فهداه الى انتضاء المحرم » وعرف المشركون من خطابات امير المؤمنين هذا ما كانوا يجهلون من انحلال الاشراك نهائياً وزوال شوكتهم من عموم جزيرة العرب وما يجب الاشارة اليه هنا هو ان للمشركين في ذلك المام قصدوا مكة محرمين للحج حسب عاداتهم ناسين او متناحين بان مكة وكتبها كرمها الله قد باتا بأيدي المسلمين فاختلطوا بحجاج

قَالَ يَا نَاسُ أَصْغُوا لِيَسْ يَدْخُلْ فِي السَّجْنِ إِلَّا أَخُو الْأَيْمَانِ يَفْوتُهَا
وَبَعْدَ ذَا أَلْعَامَ لَا حُجَّ لِمُشْرِكِكُمْ أَصْلًا وَمَكَّةُ تَأْتِي أَنْ يُوَافِقَهَا
وَلَا يَطُوفُ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ عَبْدَتِهِ بَعْدَ حَجَّتِنَا ذَا أَلْعَامَ عَارِيَهَا
وَمَنْ لَهُ مَعَنَا عَهْدٌ قَارِبَةٌ مِنَ الشُّهُورِ تُرَاعِي عَهْدَهُ فِيهَا
وَمَنْ يَكُنْ دُونَ عَهْدِ عَهْدِنَا مَعَهُ حَتَّى الْمَحْرَمِ ثُمَّ الْحَرْبُ نُصْلِيهَا
بِذَلِكَ أُنْذِرَ أَصْحَابَ الْفَوَايِدِ وَالْأَشْرَافِ أَنْ لَيْسَ مِنْ سِلْمِ يُوَاتِيهَا
وَمَا أَحْتَجِّي بِأَنَاسٍ هَدَّيْتُهُ وَنَا ذِي مَاسِي شِرْعَةَ الْإِسْلَامِ تُنْجِيهَا
وَعَادَ يَصْطَلِحُ الْحُجَّاجُ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَطِبَةُ قَدْ سُرَّتْ بِأَتِيهَا
وَأَذْرَكَ النَّاسُ أَنْ لَمْ تُرْتَقَى لِمَسْلُوحِ الرِّغَابِ الَّتِي يُسَبِّحُ يَلْقِيهَا
وَفِي الْأَخْصَرِ إِذَا كَانَتْ مُقَدَّسَةً وَكَانَ جَبْرِيلُ بِالْأَنْزِيلِ مُمْلِكِيهَا

أُمير المؤمنين بهري مذهب

بَيْنَ الرُّسُولِ عَلَى مَحْمُودِ عَادَتِهِ مَا بَيْنَ صُحْبَتِهِ فِي وَسْطَانِهَا (١)
فِي الْمَسْجِدِ الْيَمِينِيِّ فِي أَيْدِي رَمَضَانَ وَهُوَ بِالصُّومِ إِذْ صَامَتْ بَهْنِيهَا
نَادَى مَخَالِفُ قَطْطَانِ أَوْدُ لَهَا هِدَايَةً وَحَرِيٌّ أَنْ تُؤَاخِيَهَا
وَكُلْنَا عَرَبٌ سِيَانٍ مَنْ قَطَنْتَ هُنَا وَفِي يَمَنِ أَوْ مَا يُنَاحِيهَا

لللهين وهم يكبرون تكبير المشركين وكان من أولئك المشركين أناس يتعمرون وراء المسجد الحرام
ويطوفون بالكعبة هراة الأبدان رجالاً ونساءً وكان يقول هؤلاء المرأة اننا لا نطوف بالكعبة
ونبذ الله بيبات اذمنافيهما كما كان يرى بعضهم بأنهم يعمرون من ذنوبهم كما تعمرون من ثيابهم
ومن أغرب أحوال هؤلاء المرأة أن امرأة منهم طافت بالبيت عريانة ويدها على قبلها وهي تقول:
اليوم يسدو بفضه أوكله فا بدا منه فلا أحله

ولعن عادة التعمري التي كانت شائعة بين المشركين في حجهم وعبادتهم زلت آية « يا بني آدم
خذوا زينتكم عند كل مسجد دل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » إلا به
وبعد ذلك رجع المرتضى وابو بكر بالحجاج إلى المدينة المنورة وعرف الناس أنه لا يبالغ
رغائب المصطفى إلا المرتضى عليهما الصلاة والسلام ولا سيما إذا كانت تنزيلاً ووجاً
(١) إن فوز سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله في هداية همدان الجمالية بعد أن عجز
خالد عن هدايتها كان له صدق عظيم بين المسلمين وعموم العرب فتحدث به الناس ولذلك عند ما أقر

وَجِدْنَا يَرْبُ الْمَسْهُورُ بِجَمْعِنَا فِي خَيْرِ جَامِعَةٍ لَسْنَا نُجْزِيهَا
وَالْأَرْبُ فِي يَمْنٍ إِلَّا أَبُو حَسَنٍ مَا إِنَّ لَهَا مِنْ دُعَاةِ الَّذِينَ يَهْدِيهَا
وَأَيْنِي الْيَوْمَ بِسَمِ اللَّهِ مُرْسِلُهُ لِمَذْجِجٍ وَهُوَ كَيْفَ أَنْ يُبْلَغِيهَا
وَمَالَ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ نَحْوَ أَخِيهِ قَالَ: سِرَّ عَجِلًا وَأَقْصِدْ مَشَاوِيهَا
فَهَبْ حَيْدَرَةً فِي الْحَالِ يَطْلُبُ أَبْنُ طَالِ الرَّجَالِ وَلِمَسْرَى يُهَيِّبُهَا
وَبَعْدَ مَا أَجْتَمَعَتْ جَمْعًا سَرِيئَةً وَالْخَيْلُ مِنْ تَحَنُّنِهَا تُبْدِيهَا
وَأَيُّ الرُّسُولِ لِكَيْ يُلْقَى أَوَامِرُهُ عِنْدَ الْوُدَاعِ وَبِالْتَّحْقِيقِ بُحُورِهَا
قَالَ يَمْنٌ يَلَا يَطُهُ مَوَاطِنَ مَذْجٍ وَكُنْ لِهَدَى الْأَسْلَامِ دَاعِيَهَا
وَلَا تَقَاتِلْ إِذَا مَا سَأَلْتِكَ وَقَا تِلْكَ إِذَا رَغِبْتَ بِالْعَرَبِ تَلْطِيبُهَا
وَعَمَّ الْمُصْطَفَى يُمْنًا أَبَا حَسَنٍ وَرَاحَ يَدْعُو لَهُ بِالْتَّحْقِيقِ بُحُورِهَا
مَضَى إِلَيَّ مَذْجِجٌ بِالْيَمْنِ حَيْدَرَةً وَحَوْلَهُ الرُّكْبُ تُمَشِيهِ وَنُشِيهَا
حَتَّى إِذَا مَا دَنَا مِنْ أَرْضِهَا بَعَثَ الرُّجَالُ تَطْلُبُ غُنْمًا مِنْ بَوَارِيهَا
غَابَتْ وَبَعْدَ قَلِيلٍ نَحْوُهُ رَجِبَتْ يُولِيهَا وَرِيسَاهَا مَعَ مَوَاشِيهَا
ثُمَّ رَجَالُهَا وَافَتْ مُحَارِبَةً فَكَانَ بِالْعَرَبِ مُخْذِيهَا وَمُضِيهَا
فَأَذِيرَتْ وَهِيَ مِنْ حَوْلَيْهِ هَارِبَةٌ تَرْجُو سَلَامَتَهَا مِنْ بَطْشِ غَازِيهَا
وَأَرْسَلَتْ رُؤْسَهَا لِلْعَلِيِّ فَجَا تَهُ وَالْإِسْلَامُ تُبْدِيهِ مِنْ فِيهَا
فَأَكْرَمَ الْمُرْتَضَى لُفْظًا وَقَادَتَهَا وَفِي تَطْطِيفِهِ أُمْنَى يَدَارِيهَا

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على إرسال سرية لبي مَدْحِجٍ في اليمن لم يبعد كفتاً لها غير هذا الرجل العظيم فاستداه اليه وأمره بالسير على رأس ثلاثمائة فارس إلى مَدْحِجٍ وعمره بيده الشرفه وقال : « أَمْسَى وَلَا تَلْتَفِتْ فَإِذَا تَرَأْتِ بِسَاحَتِهِمْ فَلَا تَقَاتِلِيهِمْ حَتَّى يَقَاتِلُوكَ » فسار المرتضى بهذه السرية في رمضان ستة عشرة للهجرة فلما وصل إلى منازل مَدْحِجٍ فَرَّقَ خِيَلَهُ فِي ضَوَائِحِهَا فَأَتَوْا نَهْبَ وَغَنَائِمَ وَأَطْفَالَ وَنِسَاءً وَنَهْمَ وَشَاءَ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَجَلَّ عَلَى النَّتَائِمِ ابْنُ الْحَصِيبَةِ قَبْلَ عَلَى الْمُرْتَضَى رَجُلَانِ مِنْ مَدْحِجٍ يَمُونَهُ بِالْبَزْلِ وَالْحِجَارَةِ فَدَافَعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ بِإِيجَابِ رَجَالِهِ وَدَفَعُوا لَوَاهِ إِلَى مَسْعُودِ بْنِ سَنَانٍ ثُمَّ حُلَّ عَلَيْهِمْ قَتْلُ مِنْهُمْ عَشْرِينَ رَجُلًا وَفَرَّ الْبَاقُونَ وَفَرَّقُوا فَكَفَّ عَنْ طَلَبِهِمْ وَاسْتَفْتَى أَنَّهُ حُلَّ فِي بِلَدِهِمْ لِحُجَّاهُ نَفَرٍ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ خَاضِعِينَ فَاسْلَمُوا وَقَالُوا نَحْنُ عَلَى مَنْ وَرَأَيْنَا مِنْ قَوْمِنَا وَهَذِهِ صِدْقَاتُنَا نَخْذُ مِنْهَا حَقَّ اللَّهِ فَحُلَّ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ ثُمَّ قَسَمَ النَّتَائِمُ إِخْلَاصًا خَصَّ الْحَسَّ مِنْهَا اللَّهُ وَاتَرَكَ عَلَيْهَا وَقَسَمَ

وَفِي بَلَاغِهِ قَدْ رَاحَ يَنْشُرُ آمَ يَاتِ الشَّرِيفَةُ تَبَشِيرًا وَيَنْشِيهَا
ثُمَّ الْفَنَائِمُ بِالْإِنْصَافِ خَسَمَا وَجَسَّ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ خَامِنَا
وَيَسْنَا هُوَ فِي سَائِي مُهِمَّتِهِ كَمَا يُحِبُّ رَسُولُ اللَّهِ بِمُضِيهَا
وَإِذْ تَلَقَّى نَبَاحُجَ الرَّسُولِ وَقَدْ وَاقَى رَنَى مَكَّةَ بِالطَّهْرِ يَا وَهِنَا
فَخَفَا يَنْوِي قَضَاءَ الْحَجِّ مُطْلَبًا أُمُّ الْقُرَى مَعَهُ هَدْيِي يَضَعُهَا
وَفِي حِمَى الْكُتُبَةِ الزُّهْرَاءِ يَحْمُ طَهَ مُخْرَمًا فَرَأَاهُ مُخْرَمًا فِيهَا
هُنَاكَ حَدَّثَهُ عَمَّا أَتَمَّ بِمَنْزَحٍ وَقَالَ عَذَا الْأِسْلَامَ فَاشْنَاهَا
فَكَرَّرَ الْمُصْطَفَى شُكْرَانَ صَاحِبِهِ عَلَى الْفِعَالِ الَّتِي قَدْ كَانَ مُجْرِيهَا
وَقَالَ مَا يَمُنُّ وَاللَّهِ نَابِيَةً لَكَ النَّسَاجِي الَّتِي قَدْ رُحِتَ سَاعِيهَا
وَمَا هِدَايَةُ قَطَّانٍ بِجُمْلَتِهَا إِلَّا بِفَضْلِكَ يَا خَلِيَّ فَتَهِنَاهَا

وصاية المصطفى للمرتضى

هَبْ أَلرَّسُولُ يُرِيدُ الْحَجَّ يَطْلُبُهُ فِي عَشْرَةِ مِنْ حَوُولِ النَّاسِ هَجْرِيهَا (١)
فَسَارَتْ النَّاسُ تَبْنِي الْحَجَّ صِيحْنَتُهُ وَمَا تَخَلَّفَ مِنْهَا غَيْرُ ضَاوِيهَا
فِيهَا الْإِنْسَاءُ وَفِيهَا أَلْوَدُ تَحْمِيلُهَا السَّنُونُ الَّتِي لَيْسَ طَوْلُ السَّيْرِ يُضْنِيهَا

الباقى في أصحابه . وبلغ علياً وهو في مذجج ان رسول الله خرج الى الحج بمجموع من المسلمين وهي حجة الوداع فتجه الى مكة بعد ان كل الله سرته بهذا انفرز الباهر ودخل مكة محرماً للحج مهلاً على ما أهل المصطفى عليهم الصلاة والسلام فاقبله الرسول بالفرح وحده الله على نعمائه (١) صحت عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم على قضاء فرصة الحج في السنة العاشرة للهجرة ليودع في بيت الله المسلمين ويلفهم بلاغه الاخير لانه ما كان يجمل ان مهمته المقدسة قد تمت وانه يوشك ان يسير الى لقاء ربه عز وجل وكان خروجه من المدينة المنورة في يوم الخميس لست بيقين من ذي القعدة سنة ١٠ الهجرة وكان معه عدد كبير من المسلمين قالوا يتجاوز المئة الف وصبغ في حجته هذه سيدنا دامة الزهر امواله بها الحنين والحنين ونساء ومعه المباس وكل من كان لديه من آل هيد المطلب الا سيدنا علي الذي كان في مذبح كما قدم وقد صبغ أيضاً أكابر الصحابة والانصار وعند ما دخل مكة استقبل القبله ولبس قاتلاً « لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والثناء لك والملك لا شريك لك ، لبيك اله الحق لبيك ، حقاً تعبد أو رقاً » وكان الناس معه يزيدون في هذه النهاية أو ينقصون على ما يشاؤون فلم يمتدحهم وكانوا يلبون سرّاً بجاهد جرديل عليه السلام وأمره أن يأمر

أَمَّا الرِّجَالُ فَهَذَ كَانَتْ مُسَارَعَةً مَعَهُ فَرَاكِبُهَا فِي جَنْبِ مَا شِئْنَا
وَالْمُصْطَفَى كَانَ يَسْتَوِي فَوْقَ نَاقَتِهِ الْقُصُوفُ بِحُجَّاجِهِ الْأَخْيَارِ بِخَطِّهَا
قَدْ أَحْرَمُوا وَأَتَوْا أُمَّ الْقُرَى لِقَضَا ۖ أَلْوَابِجَاتٍ لَتِي الْحُجَّاجُ تَقْضِيهَا
وَعِنْدَ مَا بَلَّغُوا بِالْبَرِّ كَمَبْنَهَا طَافُوا بِهَا أَكْرَمَ الْبَارِي مُطِيفِيهَا
وَأَقْبَلَ الْمُرْتَضَى مِنْ مَذْجٍ لَرِبَا هَا بَعْدَ أَنْ عَقَدُوا خَيْرَ الْحَبِي فِيهَا
هُنَاكَ بَشَّرَ طَهَ وَالْحَجِيجَ بِإِسْلَامِ الْأَكْبَى سَارَ لِلْإِسْلَامِ يَهْتَرِيهَا
وَبَعْدَ مَا الْحَجُّ قَدْ شَمَّتْ مَنَاسِكُهُ وَالنَّاسُ نَالَتْ بِهِ رُضْوَانِ بَارِيهَا
وَالْمُصْطَفَى أَسْمَعَ الْحُجَّاجَ خُطْبَتَهُ السَّعْرَا الَّتِي كَانَ لِلتَّوْدِيعِ مُلْقِيهَا
وَضَعَتْ أُنَاسٌ فِي تِلْكَ الرُّبُوعِ فِدَى آثَامِهَا وَلَقَدْ تَابَتْ أَضَاحِيهَا
أَفَاضَ أَحْمَدُ مِنْ حَجِّ الْوُدَاعِ وَمَعَهُ أُنَاسٌ قَدْ رَجَعَتْ تَبْعِي مَنَازِلُهَا
وَأَمَّةُ الْمُصْطَفَى كَانَتْ بِأَمْرِهِ تَسِيرُ فِي سَبِيلِهَا تَطْوِي مَطَاوِلَهَا

أصحابه أن يرفقوا أموالهم بالتلبية فاسرم بذلك فلاؤافضاه مكة بالتلبية . وهكذا صار رفع الاصوات بالتلبية من شعار الحج . وبعد أن دخل المصطفى مكة بقومه وقد عليه أمير المؤمنين عائد آمن مفتح محرما سائماهم الهدى وبعد أن قضى عليه الصلاة والسلام يوم عرفة ركب ناقته القصواء وأتى بالناس بطن الوادي فخطب على راحته خطبة الوداع الشهيرة ذكر فيها تحريم الدماء والأموال والأعراض ومنع ربا الجاهلية « أي ما كان من ربا في الجاهلية لا يطالب به في الإسلام وأنت تعلم أن الإسلام حرم الربا بتاتا » ووضع الدماء في الجاهلية « أي أن الموتورين في الجاهلية لا يحق لهم أخذ الثأر من وأترهم بدمان اسلموا » وهذا صالح قبائل الرب وإزال من صدورهم الاحتاد ، وأوصى صلى الله عليه وسلم بالنساء خيرا ، وأمر الناس أن يتصموا بكتابت الله ، وقال أن من اعتصم بكتابت الله لا يضل ، وأشهد الله سبحانه على أنه بلغ الناس ما أمر به واستشهدهم على ذلك فشهدوا ، ثم أمر الناس أن يبلغ شاهدتهم غائبهم بما شهد وما سمع ، ثم إن المصطفى صلى الله عليه وسلم حرم على المسلمين دماءهم ، وأبلغهم أن كل ما يخالف القرآن من عوائد الجاهلية قد داسه بقدميه الشريفتين إشارة إلى انه بات ملتفيا ، وبينما كان المصطفى عليه الصلاة والسلام على ظهر ناقته القصواء في موقفه العظيم ذاك نزلت عليه آية « اليوم أكملت عليكم نعمتي ، وأكملت لكم دينكم » قتلها والناقعة من تحت يكد يدينق عضدها من ثقل الوحي وكانت هذه الآية الشريفة آخر الأحكام التي أوحيت ل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى المنحرج بمنى فحرق هديه وكانت ٦٣ بدنة على عدد عمره الشريف وأمر عليا أن ينحر هديه وأمره أن يقسم لحوم الهدى وجلودها بين الناس وقال : « وغدا لنا جذبة من بئر واجلها في قبر واحدة حتى نأكل من لحمها ونشرب من مرقها » فقتل المرتضى ما أمره به . ولخير المصطفى أن منى كلها منحرج وإن لحاج مكة كلها منحرج . ثم ركب

حَتَّى إِذَا نَزَلَتْ لِلسَّبْحِ فِي «غَدِيرِ خَمٍّ» وَكَانَ السَّبْرُ مُقْبِلًا (١)
 نَادَى: الرَّسُولُ إِلَيَّ مِنْ مَحَابِيثِهِ رُؤُوسَهَا وَهُوَ يَنْغِي أَنْ يُفَاهِيَهَا
 حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَتْ جَمْعًا بِحَضْرَتِهِ السَّلْبِ وَطِينِهَا حَادَى قُرَيْشِيهَا
 نَادَى أَنَا بَشَرٌ يَا نَاسُ مِنْكُمْ وَكُلُّنَا لِمَنَآيَا لَا نُعَاشِيهَا
 وَإِنْ دَعَا رَبِّي لِي لَقَدْ قَرُبْتُ وَبِالرَّحْمَى بِالْقَضَا إِنِّي أَلْبِسُهَا
 وَسَوْفَ يَسْأَلُكُمْ عَنِّي وَيَسْأَلُنِي عَنْكُمْ إِلَهَ جُمُوعِ الْخَلْقِ ذَارِهَا
 فَمَا تَقُولُونَ عَنِّي عِنْدَ رَبِّكُمْ وَعَنْ فِعَالِي أَلْتَنِي فَذُكُنْتُ أَيْنَهَا
 قَالُوا: قَدْ شَهِدْنَا أَنَّكَ دَعَوْتَنَا الْفِرَا الْخَلَائِقِ عَزَبَهَا وَعُجْبَهَا
 وَقَدْ جَهِدْتَ كَمَا يَرْضَى إِلَهُ لِهَذَا الدِّينِ لَمْ تَأَلْنَا نَصْعًا وَتَنَبَّيْنَا
 فَاللَّهُ يُعْزِيكَ خَيْرًا يَا مُبَشِّرَنَا وَذِي شَهَادَتِنَا كُلِّ يَدِ كَيْفَهَا
 فَقَالَ أَحْمَدُ: هَلَّا تَشْهَدُونَ بَأْسَ اللَّهِ دَارِي الْبَرَايَا وَهُوَ مُقْبِلًا
 وَإِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ جِئْتُكُمْ بِمَنْزِلِ الْآيِ وَالرَّحْمَنِ مُؤْتِيهَا
 وَإِنْ جِئْتُكُمْ حَقٌّ وَحَسْرَتُكُمْ حَقٌّ وَنَبَأُهُ حَقٌّ يُلْظَنُّهَا
 وَإِنَّمَا السَّاعَةُ الْكُبْرَى لَا تَبِيَّةَ لَا رَبَّ فِيهَا وَمَوْتَى النَّاسِ تَأْتِيهَا
 قَالُوا: بَلَى قَدْ شَهِدْنَا قَالَ أَحْمَدُ: يَا رَبِّاهُ فَاشْهَدْ وَوَالِي أَقُولُ تَجْرِيهَا
 فَحَقٌّ حَقًّا عَلَى حِفْظِ الشَّرِيعَةِ فِي سَامِي أَوَامِرِهَا أَوْ فِي نَوَاهِيهَا
 وَبَعْدَ ذَلِكَ قَدْ وَصَّى بِمَنْزِلِهِ خَيْرًا وَعِزَّتُهُ فَرَضَ تَوَلَّيَهَا

قاصدا مكة والناس تبعه فطاف طواف الافاضة وبعد ان طاف بالبيت سبعا وقف في «الغدير»
 بين ركن الحجر وباب الكعبة فدعا الله سبحانه والصق صدره الشريف ووجهه بالمرتزم ثم انطلق الى
 المدينة النبوية والحجاج حفيه

(١) وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا بالحجاج انتهى الى مكان يقال له «غدير خم»
 وهو بقرب موضع يسمى رابغ وهناك خط الرحال وجمع المصطفى اكابر صحابته وامير المؤمنين
 الى يمينه وخطب فيهم فقال: «لها الناس اما انا بشر متلكم» يوشك ان يايني رسول ربي
 طيب ، واني مشول ، وانكم مشولون فما اتم قائلون ؟ ؟ فاجابه اسماءه قائلين « نهد
 انك قد بلغت ، وجددت ، ونصحت فجزاك الله خيرا » فقال صلى الله عليه وسلم « أليس تشهدون
 ان لا اله الا الله واني عبده ورسوله ، وان جنته حق ، وباراه حق ، وان الموت حق ، وان البعث

وَقَالَ: هَلَّا أَنَا أَوْلَى وَأَجْدَرُ مِنْ تَوَسُّلِكُمْ بَكُمْ هَلْ تَوْهَبُونَهَا
قَالُوا: نَعَمْ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ وَمُحَمَّدٌ إِجَابَتُهُمْ ذِي رَاحٍ رَاضِيهَا
وَمَالَ لِمَنْ تَرْضَى أَتَمَّ نَوَاسِيهِ وَكَانَ بِمَعِكَ بِمَنَاهُ وَيُسَلِّمُهَا
وَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ عَلَيَّ لَهُ مَوْلَى وَرَغْبَايَ ذِي بِالْجَهْرِ أَبْدِيهَا
ثُمَّ تَوَجَّهَ اللَّهُ الْقَدِيرُ بِوَجْهِهِ وَأَصْحَابُهُ تُصَنِّفُ لَهَا دِينَهَا
وَقَالَ: لَاهُمْ مِنْ وَالِي عَلَيْكَ وَآلِهِ وَأَعْدَاؤُهُ أَنْتَ الْمُعَادِيهَا
أَخِيْبُ مَحَبَّتِهِ وَأَبْغَضُ مُبْغِضِيهِ وَمَنْ سَمَتْ إِلَى فَضْلِهِ وَفَقَ مَسَاعِيَهَا
وَأَنْصَرُ بِحَوْلِكَ قَوْمًا عَنْ تَقِيْ نَصْرَتِ رَايَاتِهِ وَالْأَلَى بِالْإِصْدَقِ تَرْيِيهَا
وَأَخَذِلَ بِذَلِكَ يَارَبَّاهُ أَنْفُسَ مَنْ نَوَتْ لَهُ الْخِذْلَةَ أَلْسُوْهُ مَطَاوِيَهَا
أَعْنَهُ لَاهُمْ فِي سَائِيْ مَقَاصِدِهِ أَعْنُ مُبِينِيهِ رَبِّيْ مَعَ مُبِينِيهَا
وَأَلْحَقْ رَبِّيْ أَدْرُهُ كَيْفَ دَارَ لَيْسَ صُرَّ الشَّرِيفَةُ أَوْ يُخْرِجِيْ أَعَادِيهَا
وَمَا أَنْتَهِيَ الْمُصْطَفَى مِنْ غُرَاذِعِيْ قَدْ كَانَ لِلَّهِ بِالْإِخْبَاتِ يُزْجِيهَا
حَقِّيْ رَأَى فِي وَجْهِهِ النَّاسِ وَاضِحَةً إِشَارَةَ الطَّاعَةِ الْمُخَوِّدُ مَوْلِيَهَا
وَتَابَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ رَأْسُ الرُّسُولِ خَطَا هَا لِلْمَدِينَةِ إِذْ حَلَّتْ مَقَامَهَا
وَسَارَتْ أَلْرُّ كُبُ فِي قَوْلِ الرُّسُولِ لِأَطْرَافِ الْجَزِيرَةِ تَوَدُّهُ لِأَهْلِيهَا

حق ، وإن الساعة آتية لا ريب فيها ، وإن الله يبيت من في القبور ؟؟؟؟ قالوا : « بي
نشهد بذلك » قال المصطفى : « اللهم اشهد » ثم إن المصطفى أخذ يحض على التلح بكتاب الله فأسهب ،
ثم وصي بأهل بيته خيراً فأطال ، ثم سأل الناس فقال « أأست أولى بكم من أنفسكم ؟ » فاجابوا بـ
بنهم مصدقين مترفين فرض حينئذ المصطفى عين انترضى وكان الى جانبه وقال : « من كنت مولاه
فيلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه ، وأبغض من أبغضه ، وأنصر
من نصره ، وأعن من أعانه ، واخذل من خذله ، وأدرأخ من حيث دار » فسمعت الصحابة هذا
واحتت رؤوسها خضوعاً لقول المصطفى وكان ذلك اليوم العيد هو الثامن عشر من ذي الحجة وقد
اتخذته محبو سيدنا أمير المؤمنين يوم عيد وركعة من كل عام

ثم إن المصطفى سار بالحجاج قاصداً المدينة المنورة حيث حل فيها وذاعت خطبته هذه بين
المسلمين وتناقلها العرب في جميع الاقطار وعرفوا منها المنزلة المتزايدة لسيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله
غير أن الناس تتفاوت رغبتهم ومطامعهم كما يختلفون بخواصهم حتى يستحيل على الفرد الواحد
مهما علت صفاته وعظم شأنه أن يرضيهم جميع ولا سيما سيدنا أمير المؤمنين الذي كان كسبهم من

تَقُولُ لِلْمَرْتَضَى أَوْصَى الرَّسُولُ عَلَى غَدِيرِ خَيْمٍ بِذَا أَوْلَاهُ تَعَجُّبُهَا
وَمَا مَضَتْ مَدَّةٌ حَتَّى أَلَوْصِيَّةُ شَا عَتٍ فِي الْأَعَارِبِ فِي سَامِي مَعَانِيهَا
وَبِالرِّضَى قَابِلِ النَّاسِ أَلَوْصِيَّةٌ مِنْ دُونَِ اعْتِرَاضٍ وَقَدْ كَانُوا مُطِيعِينَهَا
قَالُوا: إِرَادَةُ طَهَ مِنْ إِرَادَةِ بَا رِيهِ فَلَا مُسْلِمٌ يَرِيْنَا وَيُنَاوِيهَا
إِلَّا أَنَاسٌ أَكُنْتُ بَغْضَةً لِعَلِيٍّ مَا نَسَتْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ غَازِيَهَا
فَاسْتَعْظَمْتَ أَمْرَ هَاتِيكَ أَلَوْصِيَّةٍ لَمْ تَرْغَبَ بِهَا كَذَبْتَ مَنْ رَاحَ يَرَوِيهَا
أَوَّاهُهَا حَدِّدَا كَانَتْ تُوقِلُ كَمَا نِيكَ أَلَوْصِيَّةٌ أَوْ تَسْنَى لِتُخْفِيهَا
وَالنَّاسُ إِذْ كُنُرْتُ شَتَّى مَطَامِعِهَا لَا إِلَّا نَبِيَّاهُ وَلَا إِلَّا مَلَاكَ تَرْضِيهَا
فَكَيْفَ تَرْضَى عَلَى الْمَوْلَى أَبِي حَسَنِ وَكَانَ مُكَيِّتَ عَاصِمِهَا وَعَاطِيَهَا
كَمَا نَرَى الْحَارِثَ الْفَهْرِيَّ تَغْضِبُهُ وَصِيَّةُ الْمُصْطَفَى بِغْنَى لِيَسْفِيهَا
مَا حُدُّوهُ بِهَا حَتَّى أَمْنَطَى عَجَلًا جَوَادُهُ وَسَعَى فِي الْأَرْضِ يَطْوِيهَا
وَإِذْ أَتَى طَيْبَةَ أَلْفَى الرَّسُولَ بِهَا فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ النَّاسُ يُفْتِيهَا
فَجَاءَهُ غَاضِبًا فِي زِيٍّ مُثْنِيهِ وَسَائِلُ عَنْ أُمُورٍ لَيْسَ يَذَرِيهَا
نَادَى: أَأَخَذْتُ قَدْ أَمَرْتُنَا فَأَطَعْنَا خَمْسَةً مَا سَمِعْنَا قَبْلُ سَادِرِيهَا
هِيَ الشَّهَادَةُ بِالتَّوْحِيدِ ثُمَّ بَأَنَّكَ الرَّسُولُ شَهِدْنَاهَا وَنَحْكِيهَا
وَأَنْ نُصَلِّيَ مِرَادًا خَمْسَةً وَلَنَحْنُ الْيَوْمَ كُلُّ قَوْمٍ مَنَا يُصَلِّيَهَا

العرب لا يجبونه ليس لانه لم يكن املا لهم على كماله المشهورة واخلاقه العالية بل لانه كان قاهرهم ووازمهم في الحروب التي اثارها المصطفى لنصرة الاسلام عليهم فهو لا يطيقه الحال عز عليهم ان يكون علي مولاهم كما ان رسول الله مولاهم . كما ان كثيرين منهم او اوا هذه السيادة لسيدنا علي حسدا من عند انفسهم والحسد آفة الانسان ومصدر كثير من الشرور التي تاهدها في العالم . ومن الذين لم يرضوا بوصية المصطفى للمرتضى عليهم الصلاة والسلام رجل يدعى الحارث بن النعمان الفهري ولا تعلم ان كان هذا الرجل من اعداء امير المؤمنين لانه واثره وقاهر قومه او من حاده فركب جواده واسرع يطلب المصطفى عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة ليقتل الخبر من فم الطاهر وعند ما دخل المدينة المنورة قصد المسجد النبوي الشريف رأسا ودخل على المصطفى فوجده جالسا بين اصحابه فاجاب بين يديه وقال « يا محمد انك اسرتنا ان نشهد ان لا اله الا الله وانتك رسول الله قبلنا ذلك منك . وانتك اسرتنا ان نصلي في اليوم واليلة خمس صلوات . ونصوم شهر رمضان »

وَأَنْ نُّصَوِّمَ وَصُنَّاءَ بِأَلْفَيْ رَمَضًا نَا وَالزَّكَاةَ وَهَائِنَا نُزَكِّيْنَهَا
وَأَنْ نَحْجَّ وَهَاجُجًا جَنَّا قَصَدَتْ رُبُوعَ مَكَّةَ مِنْ أَقْصَى مَثَاوِينِهَا
وَقُلْتُ هَلْ هُنَا شُرُوطُ الَّذِينَ قَاتِلِي هَاقُولُهُ كُلُّنَا قَدْ بَاتَ وَاعْبَاهَا
فَمَا أَكْتَفَيْتُ بِذَلِكَ جَنَّتْ بَوَصِيَّةٍ مُجَدَّدَةٍ بِالْأَمْسِ تَوَصِيَّتُهَا
قَدْ رَفَعَتْ بَضْعِي إِنْ عَمِكَ رَفْعَةً وَحَقَّكَ لَا جَاهُ يُوزِنُهَا
وَقُلْتُ «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ أَتَلِي لَهُ مَوْلَى» الْمَقَالَةُ ذِي قَدْ أَسْمَوْنَهَا
فَقُلْ لَنَا جَهْرَةٌ هَلْ ذِي الْمَقَالَةُ مِنْ أَوْضَاعَ نَفْسِكَ أَمْ بَارِيكَ مُوجِبُهَا
قَالَ أَحْمَدُ: بَلْ مِنْ عِنْدِ رَبِّي مَا مِنِّي أَلِيَّةٌ حَقٌّ رُخْتُ أَلِيَّهَا
وَاللَّهُ وَاللَّهُ أَلْفَاها الْإِلَهِ إِلَسِي شِلْمًا كُنْتُ بَيْنَ النَّاسِ مُلْقِيَهَا
وَالْحَارِثُ أَغْثَاظَ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ وَوَلَّى فِي خَلْقِي لَيْسَ يَذَرِي كَيْفَ يَخْطِئُهَا
وَقَالَ: إِنْ تَكَّ حَقًّا يَا إِلَهِي قَوْلُهُ لَهُ الرَّسُولُ وَحَقًّا أَنْتَ بَاغِيَهَا
أَرْسِلْ عَلَيْنَا جَمِيعًا مِنْ سَمَائِكَ أَخْسَجَارًا وَعَذَابَ نَفْسًا رُمْتُ تَشْقِيَهَا
وَمَا أَنْتُمْ خِرَاهُ اللَّهُ قَوْلُهُ فِي بَابِ مَنْجِي طَهَ وَهُوَ تَالِيَهَا
إِلَّا أَلْجِبَارَةُ مِنْ عَالِي السَّمَاءِ عَلَيْهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ كَانَ رَامِيَهَا
فَمَاتَ حَالًا وَتِلْكَ الْحَقُّ مُعْجِزَةٌ بِهَا أَطَاعَ رَسُولَ اللَّهِ رَائِيَهَا
وَأَيْقَنْتُ أُمَّةً أَلَهَادِي بَانَ عَلَيْنَا لَقَدْ فَاقَ كُلَّ النَّاسِ تَوَجِيَهَا

أمر المؤمنين في مرض المصطفى ووفاء

عَلَى الرَّسُولِ فَعَلُ الَّذِينَ وَاسْتَكْتَبَا لِدُنْيَا السَّعَامِ أَلَسِي قَدْ رَاحَ سَاكِنِيهَا (١)

وزكي أموالها ، ونحج البيت . فقبلنا ذلك منك . ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضعي إن عمك
علي فضيلته ، وقلت من كنت مولاة فلي مولاة . قبل كان هذا الشيء منك أو من الله ؟ ؟
فجرت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « والله الذي لا إله إلا هو ، أنه من الله وليس
مني » قال ذلك ثلاثاً . فنضب الحارث ونهض وهو يقول : « اللهم ، إن كان ما أقول محمداً فأرسل
عليها حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » والله ما كاد يباغ الحارث هذا باب المسجد حتى رماه
الله بحجر من السماء فوقع على رأسه وخرج من دبره فأت وأزل الله قوله « سأل سائل بعذاب
واقع للكافرين » الآية وصدق الله العظيم

(١) اتهمنا هنا إلى النقاط الخلافية في تاريخ صدر الإسلام وهي النقاط التي اقامت المسلمين

وَقَالَ: خَيْرْتُ مَا بَيْنَ الْخُلُودِ بَيْنِي الدُّنْيَا وَخَيْرْتُهَا مَعَ كُلِّ مَا فِيهَا
وَبَيْنَ جَنَّةٍ رَبِّي إِذْ أَفُوزُ بِأَنْسَوَارِ الْمُهَيَّنِّ فِي سَائِحِي عِلَالِيهَا
فَاخْتَرْتُ حَبْرَةَ رَبِّي عَنْ مُجَاوِرَةِ الدُّنْيَا وَجَنَّتُهُ الْخَضْرَاءُ أَثْوَاهَا
بِذَلِكَ أَنْبَأَ عَنْ دَائِي مَنِيَّتِهِ وَإِنَّهُ لَمَلَبَّ صَوْتٌ دَاعِيهَا
وَعِنْدَ مَا اسْتَحْكَمْتُ فِي الْجِسْمِ عَلْتُهُ وَاسْتَفَحَلْتُ وَلَقَدْ أَغْيَتْ مَدَاوِينَهَا

واقدمتهم في جميع ادوار تاريخهم الى يوم الناس هذا ولعل خلاصهم عليها سيدوم الى يوم يمشون .
وليس لئلي ان يخوض هذه النقاط الخلافية التي تنافق أمرها وأمن البشر ولا سيما ببدان صار لها شبه شكل
ديني ودخلت في عداد الاعتقادات الاسلامية وبسببها تنسبت مذاهب القوم ويستحيل علي ان ارضي
قراء طوبتي هذه وحواشيها الضافية الا اذا تساهلوا معي وترفقوا بي وتغفلوا بتقارهم الي كرجل
أحب أمير المؤمنين وأكب على مطالعة كل ما يتعلق بشخصه الاقدس في التواريخ المختلفة وتحدثت
نيته وخلصت طويته وصلحت هويته وانصرفت للخبر رغبتة الا وانني اقول اني فيها اكتبه في هذه الحاشية .
وماسا كتبه بعدها ليس هو رأي خاص لي أرجح به رواية على أخرى بل علي ان اقل كلام المؤرخين
واترك الحكم للقارئ فاقول :

إمد ان رجع الصلطي من حجة الوداع الى المدينة المنورة بشهرين اخذ يشتكي المرض وصار
يحدث الناس عن قرب وفاته وقال انه خيّر بين الخلود ونعم الدنيا وبين الآخرة وجواربه فخار
الآخرة وجواربه ولمعري ان النبي الامين الذي لربه الله يهدي الناس الى التوحيد ويطلعهم
مكارم الاخلاق ويهد لهم الخلود في جنات النعيم لحري بان يكون مؤثر لنفسه الطاهرة نعيم ما احبه
الناس من الخلود على هذه الدنيا وجميع ما فيها

ولما استند المرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته باثني عشر يوماً كان في بيت
زوجه ميمونه فجمع نساءه في بيتها وطلب منهن ان يسجن له بان مرض في بيت عائشة فسمعن
وهكذا اتقل الى بيت عائشة وكان جسمه من الضعف بحالة يعجز عنها عن المشي على قدميه فتوكلتا
على كتمتي سيدنا علي وعمه العباس فوصلاه الى بيت عائشة

ويوم الاربعاء السابق ليوم وفاته بسة ايام شمر عليه الصلاة والسلام بدنو أجله فطلب علياً
اليه فامرعت زوجه عائشة واستدعت اباه ابا بكر وكذلك فلت زوجه حفصة فاستدعت اباهما عمر
فلما رأى الثلاثة بمحضرة قال صلى الله عليه وسلم : « انصرفوا فان تكن لي حاجة امثالكم » فاهصرفوا
وفي يوم الخميس اجتمع الاصحاب والانصار بمحضرة فتأدى عليه الصلاة والسلام في ذلك اليوم قال :
« انوني بالروح والدواة اكسبلكم ما لاتصلون بيدي » فتنازع الحاضرون بين من يريد تلبية
طلبه ومن يفاوض فيها وكان أول انماض عمر بن الخطاب فقال دعوا رسول الله انه يتألم وعندك القرآن
واذ رأى رسول الله النزاع قال « أخرجوا ولا يبنني عندني ان يتنازع » فقالوا فيما بينهم : « ما شأنه أخرج
استهوه » فذهبوا يسدون عليه فقال « دعوني ذا انا فيه خير مما تدعونني اليه » ثم أوصى فقال : « اخرجوا
المشركين من جزيرة العرب . واخرجوا الوفد بنحو ما كنت احبهم » وهاتان الروايتان متقولتان عن ابن
عباس نقلها كل المؤرخين السنيين فضلاً عن مؤرخي الشيعة فهما ولا جدال صحيحتان فما كان كل من يريد
ان يقول المصطفى سيدنا علي عند ما طلب اليه ؟ ولماذا عند ما رأى ابا بكر وعمر معه داخلان

نَادَى الرَّسُولُ عَلِيًّا كَيْ يُخَاطِبَهُ
فَارْسَلَتْ لَأَبِي بَكْرٍ بُنْيَتَهُ
وَأَرْسَلَتْ حَفْصَةَ أَيْضًا إِلَى عُمَرَ
فَمَا رَأَى الْمُصْطَفَى إِلَّا بِحَضْرَتِهِ
قَالَ : مَا الْآنَ يَأْصَحُّ أَرِيدُكُمْ
وَلَمْ يَبْعَ لَهُمْ عَمَّا لَهُ طَلَبَ السُّلْطَانِ بَلْ ظَلَّ رُغْبَاهُ مُخْبِيَةً
وَفِي الْخَمِيسِ وَيَا يَوْمَ الْخَمِيسِ وَكَمْ
فِيهِ عَلَى الْمُصْطَفَى أَشْدَّتْ وَيَا لَهْمَسِي
قَالَ يَأْنَسُ هَاتُوا اللَّوْحَ وَاطْلُبُوا
لِي الدَّوَاةَ بِهَا فُلَيَاتِ ذَاوِنَهَا

عليه صرحهم جيداً ولم يبقه يثبت شقة ؟ ؟ وفي حادثة الخميس تقول : ما الذي كان يريد ان يكتب
المصطفى في اللوح الذي طلبه ؟ ولماذا تعرض عمر لمنع اتصال اللوح والدواة اليه وهو يقول « ان
رسول الله عليه الوجود وعندكم القرآن » ولماذا ارتفعت اصوات الناس لمعارضة عمر حتى امره بالمصطفى
بمخروج الناس من عنده ؟ ؟ وما هو غرض المصطفى ؟ وما الذي كان يريد ان يسطره على اللوح
لكي لا يضل الناس من بعده ؟ ولماذا لم يرد عمر ما اراد رسول الله ؟ ؟ والله اعلم لي ارباك من هذا
ثم ان ابا بكر قد صلى في الناس من مساء الخميس الذي كان يذكره ابن عباس فيحيى وهو
ذلك الخميس الذي لم يثبت في صباحه بلوح وقرطاس الى رسول الله ليطهر ما يؤمن بيده امته
الاختلاف الى صباح الاثنين الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم هذا اذا صححت رواية الذين قالوا
ان ابا بكر صلى في الناس سبعة عشرة مرة . وصلاة ابي بكر في الناس قد حصلت فعلاً فهي حقيقة
لارب فيها . ولكن موضع الخلاف هو الذي امر ابا بكر ان يؤم الجماعة في الصلاة فن الناس من
يقول ان المصطفى عليه الصلاة والسلام هو الذي امره بذلك وعلى هذا القول أهل السنة ومنهم من
يقول بل عاتية هي التي أصدرت الامر الى ابي بكر باقامة الصلاة في الناس اما من عند نفسها
مباشرة أو بادلائها على رسول الله وعلى هذا القول أهل الشيعة . ويزيد بعضهم على ان المصطفى
امر ابا بكر باقامة الصلاة وعارضت في ذلك عاتية مقترحة ان يقبها عمر وعلاوا هذه المعارضة بخوف
عاتية ان يقتلهم الناس من ابي بكر اذ يرونه يصلي بهم وتبهم يخشون . وهذا قرأته في كتاب أهل
السنة . ويجوز لتطفل ضيف الفكر قليل العلم ان يتساءل اولاً لماذا كان رسول الله بالرغم مما في
جسمه الشريف من الضعف والبلية يتعامل للخروج الى المسجد ولو بكر يصلي في الناس بامر ؟
أكانوا غاضاً عليه الصلاة والسلام لهامة الجماعة بعد ان وجد من يوب عنه فيها ؟ او تعرض آخر ؟ مع انه على ما في
كتب السنة ايضاً فيها كان مرة يخرج نفسه للخروج الى المسجد اعني عليه ثلاثة مرات . ثانياً اذا كانت اناة
المصطفى لابي بكر امامة المسلمين عنه في الصلاة دليلاً على استخلافه لولاية المسلمين من بعده لماذا
عارضت بها عاتية ؟ . ثانياً ألا يصح لابه مثلي ان يخطر له ان يخطر له ان يخطر لعاتية من تنام المسلمين

كَيْفَا أَسْطَرُ يَا أَهْلَ أَوَّلَا لَكُمْ مَا تَأْمُونُونَ بِهِ مِنْ بَعْدِي السِّبْهَا
فَعَارَضَ الْمُصْطَفَى فِي سُؤْلِهِ عُمَرَ جَهْرًا وَرَغَبَتْهُ مَا شَاءَ يُخْفِئُهَا
وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ تَقْلِبُهُ آلَامُهُ لَا تَكُونُوا مُسْتَنْزِلِينَهَا
وَعِنْدَكُمْ لِلْهَدَى الْقُرْآنُ فَاتَّبِعُوا آيَاتِهِ لَا يَضِلُّ الرَّأْيُ وَاعِيَهَا
وَبَعْدَ ذَلِكَ رَفَعَتْ أَصْوَاتُ صُحْبِهِ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى دَوَّى فِي الدَّارِ دَاوِيَهَا
قَالَ أَحْمَدُ: مَا جَازَ الْبِزَاعُ أَمَّا مَ لَا أَنْبِيَا تُقِيَّةُ ذُو الدِّينِ يَتَّقِيهَا
هِيَ أَخْرَجُوا وَدَعَوْنِي هَانِتًا بَعِيرًا شَيْءٌ فِي صَفَا خَلْوَةٍ أَصْبَحَتْ رَاجِعِيهَا
وَقَالَتِ النَّاسُ: مَا لِلْمُصْطَفَى هَجْرًا لَا مَ صَحَابَ مَا عَادَ يَرْضَى أَنْ يُؤْصِيَهَا
وَأَسْرَعَتْ تَحْوَةً فِي الْحَالِ تَسْأَلُهُ عَنْ رَغَبَةٍ صَدَرَتْ قَدْ كَانَ يُخْفِئُهَا

من أبي بكر إذا لم ينس في الصلاة رسول الله يحضر قد سطره الله على بال المصطفى لو انماط هذه المهمة
بلي بن أبي طالب عليهما الصلاة والسلام فاشفق على علي كما اشفت قائمة على أبيهما ان يتشام الناس
منه لو أنهم ورسول الله يحضر؟؟ رابعا هل هذه الانابة التي اختص بها أبو بكر اكبر قيمة من
وصاية المصطفى المرتضى في « غدير خم » ؟ واعدوا قائلون ان رجلا قليل العلم ضيف النظر
مستفسرا مستفتيا غير جازم ولا مرجح رأيا او قاطع حكما او على حد قول الشاعر
وكم من متكبر قولاً صريحاً وأقته من الفكر السقيم
ثم ان رجلاً هذا حاله مني لا خلق القاري الكريم ان يرحب صدره بالاغضاء عما اشبه عليه
من هذه الروايات وان تطلب له الهداية من الهادي التقدير لا ان تتوجه عليه خصومة المحاصرين
وعدل الماذنين ومن اقر بجعله حرم عنده وحق على المنصفين عنده على ان لا اجعل ياني عرّضت
نفسى للوم فلا شهدف له طالما الناس على اختلاف وانا لا استطيع على ضمني وجبلي ان اوفق بينهم
ثم ان المصطفى صلى الله عليه وسلم أصبح صباح الاثنين وهو أحسن حالا واوفر صحة
فاطمين عليه اصحابه حتى ان أبابكر جاءه واستأذنه بالسير الى بيته بالسبع وهي احدى ضواحي
المدينة وتبعد عنها نحو نصف فرسخ ولعل بقية اصحابه ضلوا فله عدا سيدنا علي الذي ماترك خدمة
المصطفى وتبرضه عليهما الصلاة والسلام الى ان ذهبت نفسه لحالها مارة بين صدره ونحوه . وفي ضمني
ذلك اليوم عاودته الله فاشتدت وتمت ارادة الله باختيار رسوله الى جواره فأتى صلى الله عليه وسلم
على صدر المرتضى راضياً مرضياً واسرع اليه المؤمنين ومعه اعيان في هائم الى الاهتمام بتجهيزه
واقبلت الصحابة قفص المسجد النبوي بهم واشهر عمر سيقه وجبل يتهدد وتوعد كل من يقول ان
رسول الله قد مات الى ان جاءه أبو بكر فخطب في الناس فقال « ايها الناس من كان سيد محمدًا فان
محمدًا قد مات » وتلا آية « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » أفان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا . وسيجزي الله الشاكرين » فرجع عمر
يقول ابي بكر هذا الى رشده وقال « فكأن في لم اسمع بهذه الآية في كتاب الله تعالى قبل الان

قَالَ: مَا أَضْتُ فِيهِ الْآنَ أَفْضَلُ مِنْ مَسَائِلِ جِشْتُمُونِي تَسْأَلُونِيهَا
وَفِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ الرَّسُولِ أَبُو بَكْرٍ إِمَامَةٌ طَهُ كَانَتْ رَاعِيَهَا
بِأَمْرِ عَائِشَةَ أَوْ أَمْرِهِ اخْتَلَفَتْ فِي ذَا الْجَمَاعَةِ سُنِّيَهَا وَشِيعَتِهَا
لَكِنْ رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ يُحْمِلُ نَفْسَهُ الَّتِي كَادَتْ أَلَّا مَرَضُ تَوْبِهَا
إِلَى الصَّلَاةِ قَدْ كَانَ يَرْغَبُ أَنْ يَلِي الْأِمَامَةَ أَمْ يَنْتَهِ تَوَلَّيَهَا
وَهَلْ صَلَاةٌ أَبِي بَكْرٍ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ الرَّسُولَ مُؤَلِّقَهُ أَهْلِيهَا
ذَلِكَ أَذْرُكُهُ إِنَّ الْحَقِيقَةَ فِيهِ فَوْقَ تَقْدِيرِ عَقْلِي لَسْتُ أَذْرِيهَا
وَلَا نَفِي عَارِفٌ جَبَلِي وَمُعْتَرِفٌ بِهِ فَلَا أَذْعِي بِالْعِلْمِ تَعْمُومِهَا
قَدْ تَكْرَأُ الْبَيْنَ نَوْرَ الشَّمْسِ عَنْ رَمْدٍ وَنَوْرَهَا الْمُبْهِجُ إِلَّا كَوْنُ يَوْزِيهَا

لما نزل بنا فانا لله وانا اليه راجعون وصلوات الله وسلامه على رسوله وعند الله تختب رسوله
فلما رأى ابو بكر ان ذكر تلك الآية خفت من جرح عمر والسلمين استلقى خطابه فقال « قال
الله تعالى الحمد : انك ميت ولهم ميتون . وقال تعالى : كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه
ترجعون . وقال سبحانه : كل من عليها من بيني وجه ربك ذي الجلال والاكرام . وقال عز وجل :
كل نفس دائلة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة » فكانت تلاوة هذه الآيات العرفة مزينة
للناس عن خطيبهم بليهم عليه الصلاة والسلام وبينما كان الناس في المسجد وهذا هم كان علي والسباس
وبقية المواعظ حول المصطفى وهو مسجى على سرير الموت وهم يقومون بالواجبات الاخيرة نحوه
وكانت وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين من شهر ربيع الاول سنة ١١ هجرية

واختلف الناس في تعيين اي الايام كان؟؟ فقيل للثنتين خلتا من الشهر وقيل لاثنتي عشر خلتا من
الشهر . وقيل ثلاث عشرة منه ويكون يوم ١٣ ربيع اول من سنة ١١ هجرية حسب رأي هؤلاء
موافقا ليوم ٨ يونيو سنة ٦٣٢ مسيحية . وكنا ذكرنا ان ولادته عليه الصلاة والسلام كانت في يوم الاثنين
التاسع من شهر ربيع الاول لاول عام من حادثة القيل والاربعين سنة خلت من ملك كسرى
أوثروان الموافق ليوم العشرين من افريل سنة ٥٧١ مسيحية وعلى ذلك فيكون عمره السيد صلى
الله عليه وسلم ٦١ سنة شمسية الاثمة واربعين يوماً والله اعلم ؟

اما غسل المصطفى وسكنته ودفعه فقد كان مباشرة سيدا علي امير المؤمنين وتحت اشرافه فهو
الذي غسله وهو الذي كفنه وهو الذي اتزله في حفرته واكثر الرواة قالوا بأحدث شئ ثمانية
بان المصطفى كان أودى علياً بذلك وما يؤيد صحة هذه الاحاديث ما عرفناه من فداق المصطفى بالمرتضى
في حياته وما سمعناه من فقه الشريف عنه فلا عجب اذا اتناط به تولى أمره في مماته لعله انه لا ياتي
اسراً الا وللشرع فيه رضى وبالاجمال ان المرتضى كان كل شيء في ذلك اليوم

توفي المصطفى صلى الله عليه وسلم ضحى يوم الاثنين وقد زاعت الشمس وحفرت حفرته
لسرقة في الموضع الذي توفي فيه في يومه الملاقى للمسجد النبوي الذي اختصه بسكنى زوجته عائشة

وَقَدْ يَكُونُ الَّذِي تَلْقَاهُ ذَا بَصِيرٍ أَعْنَى الْبَصِيرَةِ وَالْتَضَلِيلُ مُعْنِيهَا
وَلَا يُكَلِّفُ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا إِلَّا الَّذِي رَأَى بِالْإِعْنَاتِ يُعْنِيهَا
وَصَحَّ اخْتِدَافُ الْإِنْسَانِ وَأَنْصَرَفَتْ أَصْحَابُهُ وَأَوْتَصَفُوا مَا وَجَدُوا
إِلَّا أَلْفًا فَلَمْ يَتْرُكْ مُلَازِمَةً إِلَّا هَادِي وَصَحْبَتُهُ مَا كَانَ مُخْلِجًا
فَكَانَ فِي قُرْبِهِ يَرَى بِمَرَضِهِ بِنَفْسِهِ وَمَنَاهُ كَانَ يُجَرِّبُهَا
وَفِي الصُّحَى اشْتَدَّ دَلَالَةُ الْمُصْطَفَى وَبَنَفْسِهِ مَضَى لِحَبَانِ الْخُلُقِ يُثَوِّنُهَا
فَأَعْوَلَتْ جَزَعًا نِسْوَانُهُ وَبَنَاتُهُ وَمَا كَانَ أَشْجَى مِنْ تَدْعِيهَا
وَصَاحَ فِي النَّاسِ نَاعِيهِ وَرَدَّدَتِ السَّيِّحَاتُ وَالْأَدْمَعُ يَهْنِي مِنْ مَا قَبِيهَا
فِي الْأَرْضِ فَاجِئَةً ذَاعَتْ مَنَاعِيهَا وَفِي السَّمَاءِ فَرَحَةٌ شَاعَتْ مَهَا نِيهَا

وبعد ان غلب المرتضى بمداونة عمه العباس وقر من طلبوا شرف هذه المداونة وكفه بثلاثة اكفان
اسجاء على فراشه بجوار حفرة ووقف بجانبه عليهما الصلاة والسلام وقال يريه :
« يا بني أنت واي . يا رسول الله . لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت غيرك من النبوة .
الانبياء واخبار السباء . وخصمت حتى مرت ملياً عن سواك . وعممت حتى صار الناس فيك سواء
ولولا انك امرت بالصبر . ونبتت عن الجزع . لا تقدا عليك ماء الثؤنون . ولكان الداء ماحلاً
والسكمد محالاً . وقلاً لك . ولكنه ما لا يملك رده . ولا يستطاع دفعه . يا بني أنت واي اذكرونا
عند ربك . واجلنا من ذلك » آه

وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى على فراشه بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويافى
يوم الثلاثاء وفي يوم الثلاثاء هذا جله ابو بكر وعمر والمهاجرون والانصار وجميع المسلمين رجالاً ونساءً واولاداً
لزيارة المصطفى وتوديعه فكان يدخل الفوج منهم بعد الفوج على قدر ماتس الحجرة النبوية فيجذبون
المرتضى عند رأسه والحن والحسين عند رجله وعمه العباس ونفر من بني عبد المطلب حوله .
وعند ما دخلوا على المصطفى لم يكن امامهم فكبير كل منهم اربع تكبيرات ارسالاً ثم قال ابو
بكر وعمر : السلام عليك يا رسول الله . ثم قالوا : اللهم شهد انه قد بلغ ما انزل اليه . وصبح
لامته . واجاهد في سبيل الله . حتى اعز الله دينه . وعمت كله . فجلنا لهذا من بيع القول الذي
انزل منه . واجمع بينا وبينه حتى ترفه بنا وتمرقتنا به . فنه كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً . لا يفتني
بالايمان به بدلاً . ولا نتفري به تمناً ابداً » ومن الناس على ما قالوا

وفي ليلة الاربعاء اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره ونزل منه في قبره عبي بن
أبي طالب والفصل بن عباس وقم اخوه وشقرا مولا لهم وكان ثم حنظراً اوس بن خولي فسأل
علياً ان يسمح له بالتزول منه فسمح وهناك ودعوا خير الخلق الوداع الاخير ثم خرجوا فقالوا عليه التراب
في لنا ان نسأل لما اذا ابتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى على فراشه هذه المدة
الطويلة اي بين ضحى الاثنين وليلة الاربعاء ؟ اكان ذلك كاحتجاج من المرتضى الذي كان صاحب

مُحَمَّدٌ مَاتَ وَالْأَمْلَاقُ قَدْ بَهَجَتْ بِرُوحِهِ مَذْثُوتٌ فِي قُرْبِ مُبْدِيهَا
وَتَابَ اللَّهُ مَحْمُودُ الْفِعَالِ وَقَدْ أَدَّى الرِّسَالَةَ فَاسْتَوَفَتْ تَأْدِيَتَهَا
وَأَكْمَلَ الدِّينَ حَتَّى لَا انْتِصَاصَ بِأَحْكَامِهِ لَهُ كَانَ بِالْأَحْكَامِ مُنْشِيَهَا
وَرَاحَ مِنْ حَوْلِ رَبِّ الْعَرْشِ خَيْرُ شَفِيعٍ لِلْأَكْلِ حِنْظُولًا سَامِيٍّ مَبَادِيهَا
وَمَنْ أَطَاعُوا وَلَمْ يَعْصُوا أَوَامِرَهَا وَمَا تَعَدَّوا بِقَوَاهِمِ نَوَاهِيهَا
وَقَابِلَ الرُّنْقَى وَقَعَ اقْتِصَاصُجُورٍ لَيْسَ يُذَكِّرُهَا إِلَّا مُعَازِيَهَا
وَقَالَ وَالْحَزَنُ قَدْ أَمْسَى مُسَاوِرَهُ وَنَفْسُهُ لَا تَرَى شَيْئًا يَعْزِيهَا
يُوَالِدِي رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ وَبِالنَّفْسِ أَلَيْتِي عَنْكَ لَا سَلْوَى تُسَلِّيَهَا
يَعُونُكَ أَتَقَطُّتِ عَنَّا النُّبُوءُ وَالْأَمُّ مَن نَبَاهُ ظَاهِرُهَا أَرَاهِي وَخَافِيهَا

الكلمة العليا في النسل والتعجيز على اصحاب رسول الله وانصاره الذين اشتلوعن وفاة المصطفى باسم الخلافة
كما يقول بعضهم ؟ ام كان نظراً بعيداً من سيدنا امير المؤمنين عليه وعلى المصطفى وآلهما الصلاة
والسلام فأراد أن لا يسجل بدفن المصطفى في غيبة اصحابه وانصاره حتى لا تكون هناك فتنة فينتقم
المسلمون على الدين شغلهم انقسم عن واجب وداع المصطفى كما يرى آخرون ؟ ان الجواب على هذا
ليس من الامور السهلة لتتنب الرواة والاخبار والذي نرفعه هو ان المهاجرين والانصار « عدا
الهلوائيم » عند ما اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة للمداولة باسم الخلافة على اثر وفاة المصطفى جاء
العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن حرب وغيرهما من رجالات قريش الى عبي وهو يستي بتعجيز
المصطفى عليهما الصلاة والسلام وعرضوا عليه أن يبايعه فوحه في اليهم نذارة من يقول نحن في موقف
يعة أم في ماتم اعظم خلق الله وكما دته من حضور ذهنه وتجليه على ما في الخطوب الجسام قال ارجعوا :
« ايها الناس : شقوا امواج الفتن بسفن النجاة ، وعرجوا عن طريق المنافرة ، وضمو
تيجان المفارقة ، اقطع من بض بجناح ، او استلم قارح ، هذا ملا آبن ، ولقمة نض بها آكلها ،
وعني القمرة لغير وقت ايشاعها ، كالزراع بغير أرض ، ذن أقل يقولوا حرص على الملك ، وان
أكست يقولوا جزع من الموت ، هبها بعد القيا والتي ، والله لا ين ابي طالس آس بالموت من
الطفل بدني امه ، بل اندبجت على مكتون علم لوبحت به لاضطربة اضطراب الارشية في
الطوى البسيطة » اه

والناظر الى ماوراء هذه الكلمات العلوية يعلم ان علياً عليه صلوات الله فوق الموضع الذي
وضعه فيه اصحابه عند ما عرضوا عليه البيعة ورسول الله صلى الله عليه وسر مسح على فراش الموت
فما علي بالذي يرهب الموت ، ولا بالذي يحرم على الملك ، ولا بالذي يجني الخمر قبل وقت ابتاعها ،
وفوق ذلك فقد كان يعلم اشياء لو علمها اصحابه ومريدوه لاضطربوا ولعل هذه الاشياء هي التي
حلته على السكوت عما فعل اصحاب السقيفة وعلى ابقاء رسول الله بغير دفن حتى يفرغ اصحاب
السقيفة من مهمتهم ويأتوه للقيام باقدس واجب وهو دفن المصطفى عليه الصلاة والسلام والله سبحانه اعلم

فَلَا تُرَدُّ أَخْبَارُ السَّاءِ وَلَا
خُصِمَتْ حَتَّى غَدَتْ تَالِهَ أَنْفُسُنَا
وَقَدْ عَمَّتْ فَكُلُ النَّاسِ مَكْرَبُهُ
وَاللَّهُ لَوْ لَمْ تَكُنْ بِالصِّرَآمَرَا
لَأَسْتَفَدَتْ دَعْمَهَا الْمَذْخُورَ أَغْنَيْنَا
وَاللَّاهُ مَا طَلَّنَا وَأَلْفَمُ حَالُنَا
وَإِنْ لَوْ عَنَّا قِلًا عَلَيْكَ وَهَا
لَكِنْ إِرَادَةُ رَبِّي لَيْسَ بِمَلِكٍ رَدُّ م
لَا يُسْتَطَاعُ لَهَا دَعْمٌ إِذَا فَعَلَتْ
نَفُوزُ بَعْدُ بِهَا إِذْ غَابَ رَاوِنَهَا
مِنْ بَعْدُ فَقَدْ كَمَا أَلَا رَزَاهُ تُؤْذِنَهَا
حَزْنًا عَلَيْكَ يُؤِيدُ الْكَرْبَ بِأَكْبَهَا
وَوَقْفَةُ الْجَزَعِ الْمُؤْذِي نَاهِيَهَا
عَلَيْكَ حَتَّى يَرَوِي الْأَرْضَ هَامِيَهَا
وَمَا لِي لِيَسْتَنَّا بِشَرِّ بُمَاشِيهَا
نَفُوسُنَا بَلَفَتْ فِيهَا تَلَاشِيهَا
هَامَ وَطُوبَى لِمَنْ كَانُوا مُطِيعِيهَا
وَلَيْسَ فِي النَّاسِ طَرَأُ مَنْ يَقَاوِنَهَا

وعليها ونحن منتقلون بمصاب الاسلام الاكبر بالنبي الامين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
ان نرجع الى شخصه الاقدس فنذكر من احواله وشخصيته وما تم على عهده اجمالا ما يكون فيه
الانتماء لمباحث كتابنا هذا الذي احببنا ان نجمل فيه تاريخ صدر الاسلام فنقول :

« نسب رسول الله »

قدّم معنا في حاشيتنا سابق ذكر النسب النبوي الشريف في كلامنا على ترميز فلا نعيد هنا
ذكر شرف هذه النعمة الطاهرة التي امتلأت من اسماعيل بن ابراهيم حتى انتهت الى المصطفى عليه
الصلاة والسلام ويكون النسب النبوي الشريف هكذا: محمد . بن عبدالله . بن عبدالمطلب . بن هاشم
ابن عبد مناف . بن قصي . بن كلاب . بن مرة . بن كعب . بن لؤي . بن غالب . بن فهر .
ابن مالك . بن النضر . بن كنانة . بن خزيمه . بن مدركة . بن الياس . بن مضر . بن نزار
ابن معد . بن عدنان . هذا هو المجمع عليه في نسب المصطفى عليه الصلاة والسلام كما ان لاجدال
ولا خلاف في انتهاء نسب عدنان الى اسماعيل بن ابراهيم وان تذكر على علماء الانساب حفظ
النسب بين عدنان واسماعيل وغاية ما قالوا ان اسماعيل هو الجد الحادي والثلاثون للمصطفى عليهما
الصلاة والسلام وما من ريب في ذلك ولا نزاع
« لزواج المصطفى »

وامّا ازواج المصطفى فاولاهن سيدتنا خديجة ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم في حياته عليها
وودد كرها خلاصة ترجمتها الزاهرة فيما مضى

وسوده بنت زمه . وهي من بني النجار لانها بنت أخي سلمى بنت عمرو بن زيد ام عبد
المطلب وكانت قبله عند الكرمان ابن عمها وهاجر بها الى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ثم رجع
بها الى مكة فمات عنها وهي اول ازواجه صلى الله عليه وسلم بعد سيدتنا خديجة وكان عقده عليها
في رمضان الشهر الذي ماتت فيه سيدتنا خديجة

وعائته بنت أبي بكر . وسوف تأتي على ترجمتها تفصيلاً في حاشية نحي.

فَدَى حَيَاتِكَ اِجْتِ سَيِّدِي وَابْنِي وَمُهَجَّتِي وَنَوَاكَ الْيَوْمَ مَذْمِيهَا
وَعِنْدَ رَيْكَ فَاذْكُرْنَا وَامْتَنَا حَاشَاكَ لَسْتَ بِنَايِنَنَا وَنَايِسِنَا
وَيَنْبِنَا الْمُرْتَضَى بِرَفِي الرَّسُولِ وَيَسْكِينِهِ وَلَوْعَتُهُ مَا اَلْدَمْعُ يُطْفِئُهَا
كَانَتْ تَقْصُ رَحَابُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ م يَإَيُّهَا النَّبِيُّ وَهَوَلُ الْخَطْبِ غَاشِبُهَا
كَانَتْ مُبْلَبَلَةٌ اَلْأَفْكَارِ بَيْنَهَا مَعْنَى الْمُقْدَى رَسُولِ اللَّهِ تَنْبِيهَا
وَجَاءَهَا عُمَرُ وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ يَكْتَدِبُ النَّاسَ فِي مُسْجِدِي مَسَاعِيهَا
يَقُولُ: مَا مَاتَ طَهَّ إِنَّ مَوْتَهُ أَهْلُ اَلْعَقَاقِ لِيَضْرِبُوا اَلَّذِينَ تَبَيَّنُوا
تَأَلَّاهُمْ اَلْأَكْلَى تَنْعِي مُحَمَّدَنَا نَقُولُ مَاتَ نَبِيُّ اللَّهِ أَفْرِهْنَا
مَا مَاتَ أَحَدٌ كَلَّا لَا يَمُوتُ وَلَنْ يَمُوتَ شَوْهَتُهُمُ اَلْإِسْلَامَ تَشْوِيهَا

وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وهي شقيقة عبد الله بن عمر وابن منه واماها زينب اخت عثمان بن مظعون وكانت قبل المصطفى تحت خديس بن حذافة فتوفي عنها جريحاً بغزوة بدر الكبرى. تزوجها المصطفى على رأس ثلاثين شهراً للهجرة وكانت ولادتها قبل النبوة بخمس سنوات وماتت في المدينة المنورة في شعبان سنة ٤٥ للهجرة ولها من العمر ٦٣ سنة ودفنت في البقيع وطلقها المصطفى ثم استرجعها بأمر جبريل عليها الصلاة والسلام في حديث طويل ليس هنا محله . وزينب بنت خزيمة، وهي اخت ميمونة مربية المصطفى لأمها وكانت تدعى في الجاهلية أم المساكين لأقربها واحسانها اليهم وكانت قبل المصطفى تحت الطفيل بن الحارث فقتل يوم بدر شهيداً فتزوجها عليه الصلاة والسلام على رأس احد وثلاثين شهراً للهجرة وتوفيت زينب بعد زواجها بثمانية اشهر ودفنت في البقيع عن ثلاثين عاماً ولم يمض من ازواجه في حياته صلى الله عليه وسلم الا زينب هذه وسيدتنا خديجة وريحانة .

وام سلمة . واسمها هند وكانت قبل زواجها بالمصطفى عند أبي سامة عبد الله بن عبد الاسد وابو سلمة هذا هو ابن عمه المصطفى السامة برّة بنت عبد المطلب وهو أيضاً اخو المصطفى بالرضاعة وكان ابو سلمة وزوجه ام سلمة اول من هاجرا الى الحبشة ولما مات ابو سلمة تزوجها المصطفى وكفل بناتها الاربع وماتت على عهد يزيد بن معاوية وكان عمرها ٨٤ سنة في المدينة ودفنت في البقيع وزينب بنت جحش . وكان اسمها برّة فسمها زينب وكانت قبل المصطفى عند زيد بن حارثة ثم طلقها فلما اهضمت عندها تزوجها عليه الصلاة والسلام ولزواجها هذا حديث طويل زلات فيه آفة من السماء وتوفيت سنة ٢٠ للهجرة في المدينة المنورة ودفنت في البقيع ولها من العمر ٥٣ سنة وجويرية . وهي من نهي المصطفى سبت في غزوتهم ووفيت في سهم ثابت بن قيس فكانتها على تسع اواق فأدعى المصطفى عنها ذلك وتزوجها وكان اسمها برّة فسمها بالمصطفى جويرية تصغير جارية لما اشرنا من حديث سبيها ونعتها وكانت عند زواجها في العشرين من عمرها وتوفيت في المدينة المنورة سنة ٥٦ هـ ولها من العمر ٧٠ سنة ودفنت في البقيع

بِمِثْلِ ذَا عُمَرَ قَدْ كَانَ مُطْلَبًا
وَيَسْمَا كَانَ فِي بَادِي تَضَعِيهِ
وَلَا ذَبَا بَيْنَ هَاتِكَ الْجُمُوعِ أَبُو
مَا الْمُصْطَفَى مَا أَعَزَّ اللَّهُ سُودْدَهُ
وَأَنَّهُ لَرَسُولٌ قَبْلَهُ رُسُلُ
مَنْ كَانَ يَعْبُدُهُ خَابَتْ عِبَادَتُهُ
أَمَّا الْأُلَى عَبْدُوا اللَّهَ الْكَرِيمَ فَمَنْ
قَتَلَ لِمَنْ جَزَعُوا مِنْ مَوْتِ أَحْمَدَ وَدَّ
وَنَحْنُ مُحْتَسِبُونَ عِنْدَ خَالِقِهِ
لِمَنْ نَعَى خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ تَسْفِيهَا
وَرَوْعَةُ الْخَطْبِ نَأْتُهُ بِأَيْدِيهَا
بَكْرٍ وَصَاحٍ بِهِ : يَا صَاحِبِي لَوْهَا
بَيْنَ الْخَلَائِقِ إِلَّا مِنْ أَنَا سِيهَا
خَلَّتْ وَلَيْسَ يَبَاقِي غَيْرُ ذَارِيهَا
وَأِنْ عُبَادَهُ سَاءَتْ مَسَاعِيهَا
عَلَى هُدًى لَمْ يَضِلُّوا عَنْ مَرَامِيهَا
صَلَلْتُمْ سُبُلًا قَدْ كَانَ هَادِيهَا
وَقَدْ تَبَوَّأَ فِي الْجَنَّاتِ عَالِيهَا

وريحانة بنت يزيد. وهي من بني النضير وقيل من بني قريظة وكانت قبل المصطفى عند رجل من بني قريظة يقال له الحكم ووفيت في سبي بني قريظة فكانت مفي رسول الله فخيرها بين الاسلام ودينها وهو اليهودية فاختارت الاسلام فاعتقها وزوجها . وطلقها المصطفى ثم راجعها وماتت مريحة في حجة الوداع في المدينة المنورة ودفنت في البقيع وهناك ازواج اخرى خطبن عليه الصلاة والسلام أو عقد عليهن ثم فترهن أو طلقهن ولم يدخل عليهن الا فائدة من الاسباب يساهلها
واما سراري المصطفى فقد كن اربماً وهن ماريا القطبية اهداها له المقوقس وهي ام ولده ابراهيم وجارية وهبتها له زيب بنت جحش وزليخة القرظية وريحانة « اولاد المصطفى »

ولم تلد له من نسائه صلى الله عليه وسلم غير سيدتنا خديجة وقد تقدم معنا ذكر اولاده منها وولدت له سريته ماريا القطبية ولداً ذكرأ في ذي الحجة من السنة الثامنة للهجرة وعق عنه بكبشين في اليوم السابع لولده وحلق رأس الغلام وتصدق بزنة عشرة فضة ودناه ابراهيم ودفنه لام بردة خولة بنت المذثر بن زيد الانصاري زوجة البراء بن أوس لترضه وتزويه على انه لم يش فأت في ستة عشر وله من العمر ستة وعشرة اشهر ولما احضر جاء المصطفى صلى الله عليه وسلم فوحده في حضن امه يحتضر فخذته الى حجره وقال « يا ابراهيم انا لن ننفي عنك من الله شيئاً » ثم زرفت عيناها الشريقتان بالدموع وقال « انا بك يا ابراهيم لحزونون . تبكي العين . وبحزن المتد . ولا يقول ما يخط الرب . ولولا انه وعد صادق . وموعود جامع . قال الا خرنا ببيع الاول . وحدنا عليك يا ابراهيم وجداً شديداً ما وجدناه » ولما نزل الموت بابراهيم اخذ المصطفى بيكي فقال عبد الرحمن ابن عوف : اولم تكن نيت عن الكاء ؟ قل صلى الله عليه وسلم « لا ولكني نيت عن صوتين احببت وصوتين آخرين صوت عند مصيبة وخش وجوه وشق حيوب ورنه شيطان . وصوت عند فضة هو . وهذه رحمة مني لا ابراهيم » بذلك عرف المسلمون كيف يستقبلون مصابهم بالصبر وبدون

عَلَيْهِ أَطَرُ تَسْلِيمَاتٍ مُرْسِلِهِ
وَرَاحَ يَسْرُدُ آيَاتِ تَشِيرٍ إِلَى
نَادَى لَهَا عُمَرُ: مَا كُنْتُ ذَا كِرْهَا
وَحُطْبُ أَحْمَدَ مَا أَنَّى أَبَا حَسَنٍ
فَهَوَّ الَّذِي غَسَلَ الْهَادِي وَكَفَّنَهُ
وَيَسْنَا الْمُرْتَضَى فِي ذَلِكَ مُشْتَلٍ
وَلَا يَرَى وَرَسُولُ اللَّهِ مُنْبَسِطٍ
إِذَا بِصَخْرٍ مَعَ الْبَاسِ مَعَ قَبْرِ
وَأَفْتِ إِلَيْهِ بِأَنْبَاءِ السَّقِيَّةِ تَنْسِيهِ
نَادَتْهُ: أَسْرِعْ قَبْلَ صَاحِ يَمْنَانِ
فَاسْتَرْبَ الْمُرْتَضَى لَا نَبَأَ أَنْكَرَهَا
وَأِنْ يَكُنْ وَاقِعًا مِنْ حَيْدٍ مُنِيهَا

جزع . ودفن إبراهيم في البقيع عليه وعلى المصطفى الصلاة والسلام

« كتاب المصطفى »

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً لا يقرأ ولا يكتب وكان يستخدم لكتابته كثيرين في مقدمتهم سيدنا علي أمير المؤمنين ومنهم أبو بكر وعمر وعثمان وطاهر بن هبيرة وعبد الله بن الأرقم وكان هذا يكتب الرسائل للملوك وكان في أغلب الاوقات يكتب الوحي وكثير غير هؤلاء وبعد فزع مكة كرمها الله عندها اسلمت قريش صار من كتابه ابو سفيان وولدها يزيد ومعاوية

« شعراء المصطفى »

ولقد أيد المصطفى سنة ملوك العرب وامرائهم في اجلزة الشراء والعناية بهم واكرام منزلهم ومن الشعراء الذين تشرفوا بالاباذ بحضرته النبوية وكانوا يمدحونه ويناضلون عنه بشعرهم ويهجون كفار قريش حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم

« اشهر الحوادث التي تمت في حياة المصطفى »

ولد المصطفى عليه الصلاة والسلام في عام الفيل في مكة المكرمة وفي السنة الثالثة لولده الشريف شق صدره الطاهر عند ظئره حلقة . وفي السنة الرابعة لولادته المباركة ولد ابو بكر بن ابي طالب . وفي السنة السادسة كانت وفاة امه آمنة . وفي هذه السنة ولد عثمان بن عفان . وفي السنة السابعة لولادته استقل بكفاله نجه عبد المطلب . وفيها اصابه رمد شديد . وفي السنة الثامنة لولادته توفي جده عبد المطلب وكفله عمه ابو طالب . وفي هذه السنة مات كسرى ابو شروان وفي السنة التاسعة لولادته كانت حرب الفجار الاولى . وفي السنة الثانية عشرة لولادته كانت حرب الفجار الثانية . وفي هذه السنة سافر مع عمه الى الشام . وفي سنة ١٣ لولادته ولد عمر بن الخطاب . وفي سنة ١٤

وَيَفْتَةُ الصَّخْبُ جَبًا بِالسَّلَامَةِ مِنْ إِثَارَةِ الشَّرِّ أَمْسَى وَهَوَّ آيُنَهَا
وَلَا يَهْوُونَ عَلَى مَنْ شَادَ أَصْرُجَةُ إِلَّا مَسْلَامٌ أَنْ يَرْتَضِيَ يَوْمًا تَدَايَعِيهَا
وَوَاجَهُ النَّاسُ بِالْقَوْلِ الْعَصْرِيحِ وَإِنْ لَمْ يُرْضَهَا نَفْسُهُ قَدْ كَانَ مَرْضِيهَا
فَقَالَ: مَنْ دُونَنَا أَمْوَاجُ ذِي الْفَتَنِ الْكَثَرَى وَقَدْ يَفْرُقُ الدُّنْيَا تَسَالِيَهَا
فَبَاهِدُوا وَعَسَى تَجْتَازُهَا بِمَرَاكِيبِ النَّجَاةِ الَّتِي بِالسَّلَامِ نُرْسِيهَا
وَعَرَجُوا عَنْ طَرِيقِي لَا سَلَامَةَ فِيهَا إِلَّا لِي بِالْعَدَى رَامُوا نَخْطِيهَا
تَاجُ الْمُبَاهَاةِ يَصْخَبِي ضَعُوهُ فَمَا نُرْضَى لِأَنْفُسِنَا يَوْمًا تَبَاهِيهَا
وَلَيْسَ يَفْلَحُ إِلَّا نَاهِيٌّ يَحْنَأُ حِجَابُ الْمُلُوكِ لَتَقْوَى فِي مُعِينِيهَا
أَوْ مِنْ غَدَا لِقَضَا مُنْتَسِلِمًا فَيُرِيحُ النَّفْسَ مِنْ فِتْنَةٍ صَغَبَتْ تَلَا فِيهَا
وَتِلْكَ تَهْلَةُ مَاءِ آجِنٍ لِمَجُورٍ لِي رَامَ يَنْهَلَهَا فِي النَّاسِ ظَلَامِيهَا

لولادته كانت حرب الفجار الثالثة وحلف المصطوف. وفي سنة ١٧ لولادته كان سفره الى اليمن للتجارة مع عمه
الزبير والعباس ابني عبد المطلب . وفي سنة ٢٥ لولادته كان سفره الى الشام مع ميسرة غلام
خديجة . وفي هذه السنة تزوج بخديجة . وفي سنة ٣٠ لولادته ولد سيدنا علي عليهما الصلاة
والسلام وكانت ولادته في الكعبة . وفي سنة ٣٤ لولادته ولد معاوية بن ابي سفيان ومعاذ بن جبل
وفي سنة ٣٥ لولادته هدمت قريش الكعبة وبنتها

وابتدأت بوة المصطفى صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة والثلاثين من عمره السيد في هذه
السنة صار يرى الضوء والنور ويسمع الاصوات . وفي سنة ٣٨ لولادته كان ابتداء نزول
الوحي عليه صلى الله عليه وسلم في اليقظة وحسب المؤرخون هذه السنة الاولى من النبوة .
وفي السنة الثالثة للنبوة توفي ورقة بن نوفل . وفي السنة الرابعة للنبوة كان اطهار الدعوة . وفي
السنة الخامسة للنبوة ولدت عائشة بنت ابي بكر . وفي هذه السنة كانت الهجرة الاولى الى ارض
الحبشة . وفي السنة السادسة للنبوة اسلم حزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب . وفي السنة السابعة
للنبوة تهاهدت قريش على عداء بني هاشم وبني المطلب . وفي السنة العاشرة للنبوة مات ابو طالب
وخديجة . وفي هذه السنة تزوج للمصطفى سودة بنت زمرة وعقد له على عائشة بنت ابي بكر وهي
بنت سبع سنين . وفي سنة ١١ للنبوة كان ابتداء اسلام الانصار . وفي سنة ١٢ للنبوة كان
الامر له والمراجع . وفي هذه السنة وقعت بيعة العقبة الاولى . وفي سنة ١٣ للنبوة كانت بيعة
العقبة الثانية او الكبرى . وفي سنة ١٤ للنبوة كانت الهجرة الكبرى للمدينة ومنها يتبعه
التاريخ الهجري الذي يعتمد عليه المسلمون في تواريخهم

وفي السنة الاولى للهجرة حل المسلمون في المدينة المنورة على الرحب والسعة بضيافة الاوس
والخزرج وهم الانصار . وفي هذه السنة كان بناء المسجد النبوي في المدينة ومسجد قباء والمواخاة

وَلَقَدْ لَأْكُولٌ غَيْرُ مُسْتَقِيمِينَ ۖ وَالْأَنْثَارُ إِن قُطِفَتْ
 أَوْ زَارِعٌ زَرْعُهُ فِي أَرْضٍ صَاحِبِهِ
 فَإِنْ أَقْلَ قِلٌّ عَنْ حَرَمٍ مَّقَالَتُهُ
 وَلَوْ سَكَتُ لَقَالُوا كَانَ ذَا جَزَعٍ
 هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَا وَالَّتِي وَمَعَا
 أَنْ تَحْسِبَنَّ الْمَنَآيَا وَهِيَ مُرْهَبَةٌ
 لِأَنْ أَيْ طَالِبٍ تَأَلَّهَ أَنْسٌ بِالْـ
 مَوْتِ الَّذِي النَّاسُ تَحْشَاهُ وَيُفْسِحُهَا
 مِنْ الرِّضِيعِ بِدَيْهِ الْأُمُّ يَرْضَعُهُ
 لَكِنْ يَصْدُرِي عِلْمُ لَوْ أَبْنَتْ خَوْأً
 بِهَا يَصْعُ فَمَا ذُو الرَّأْيِ شَاهِبُهَا
 قَبْلَ التُّنُوجِ مِنَ الْأَشْجَارِ بَجَانِبِهَا
 وَالنَّاسُ إِن زَرَعَتْ تَزْرَعُ أَرْضِهَا
 عَلَى التَّمْلِكِ تَالِبُهَا وَمُتْلِبُهَا
 مِنَ الْمُنْيَةِ أَمْسَى وَهُوَ حَاشِبُهَا
 نَاقَةُ الشَّدَائِدِ قَاسِبُهَا وَحَامِبُهَا
 مِثْلِي إِذَا أَرَهَبْتَ غَيْرِي فَوَاجِبُهَا
 مَوْتِ الَّذِي النَّاسُ تَحْشَاهُ وَيُفْسِحُهَا
 وَقَدْ أَوَى جِوَارَهَا يَلْقَى تَحْسِبُهَا
 فِيهِ أَضْطَرَبْتُ مِنْهَا لَسْتُ أَبْدِيهَا

بين المهاجرين والاصهار . وفي السنة الثانية للهجرة اجتأت الغزوات النبوية فكانت فيها غزوة
 الايواء . وغزوة ودان . وفي هذه السنة بنى المصطفى بمائة بنت ابي بكر وهي في التاسعة من عمرها
 وفيها شرع الاذان . وفيها سار حمزة بن عبد المطلب لاعتراض عير قريش . وفيها سار عبيدة
 ابن الحارث بن عبد المطلب الى بطن رابغ لاعتراض عير قريش ايضا . وفيها سار سعد بن ابي
 وقاص الى الحارث لهذا الغرض . وفي هذه السنة تزوج سيدنا علي بسيدتنا فاطمة عليهما وعلى
 المصطفى الصلاة والسلام . وفيها ايضا كنى المصطفى عليا بكية « ابي تراب » . وفيها ايضا كانت
 غزوة بواط وغزوة المشيرة وسرية عبد الله بن جحش الى بطن نخعة . وفيها ايضا كان تحويل
 القبلة . وفرض صوم رمضان . وتم غزوة بدر الكبرى . وفي هذه السنة ايضا توفيت رقية بنت
 المصطفى . وفيها فرضت زكاة عيد الفطر . وفيها شرعت صلاة عيد الفطر . وفيها فرضت زكاة
 الاموال . وفيها كانت غزوة قرقرة الكدر وسرية سالم بن عمير ثم غزوات بني قينقاع والسويق .
 وفي هذه السنة شرعت التضحية وصلاة عيد الاضحي .

وفي السنة الثالثة للهجرة كانت سرية محمد بن مسامة لقتل كعب بن الاشرف . وفيها تزوج
 عثمان بن عفان بأم كلثوم بنت المصطفى . وفي هذه السنة كانت غزوات غطفان ونجران . وسرية
 زيد بن حارثة الى قردة . وفي هذه السنة ايضا تزوج المصطفى عليه الصلاة والسلام حفصة ابنة
 عمر بن الخطاب وزينب بنت خزيمة . وفي هذه السنة ولد سيدنا الحسن عليه وعلى والديه والمصطفى
 صلاة الله وسلامه . وفي هذه السنة ايضا كانت غزوات احد وجرأ الاسد .

وفي السنة الرابعة للهجرة كانت سرية ابي مسلمة الى قطن وسرية عبد الله بن ابيس الى عربة
 وسرية القرأ الى بني مونة وسرية عمرو بن امية الصخري الى مكة . وفي هذه السنة كانت غزوات بني النضير
 وذات الرقاع وبدر الصغرى . وفي هذه السنة ولد سيدنا الحسين عليه وعلى اخيه والديه والمصطفى

وَقَدْ أَجَالَ بَعِيدَ أَقْوَلِ نَاطِرُهُ
يَصْحَبُهُ يَنْتَحِي أَسْتَجْلَاءَ خَافِيَهَا
وَأَمَّا أَدْرَكَتْ مِنْ وَقَعِ نَظَرِيهِ
بِأَنَّهُ فِي رَجَاها لَا يُؤَاتِيهَا
بِأَنَّهُ نَاطِرُهُ مَا لَيْسَ تَنْظَرُهُ
مِنَ الْمَخَاطِرِ خَافِيَهَا وَبَادِيَهَا
وَوَظَلَّ أَحْمَدُ مُنْجَى قَوْقَ فَرَسِيهِ
وَالنَّاسُ تُشْفِلُهَا عَنْهُ أَمَانِيهَا
حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ أَمَالُهَا رَجَعَتْ
إِلَيْهِ تَنْدُبُهُ مَعَ هَاشِيئَتِهَا
صَلَّتْ عَلَيْهِ زَرَافَاتٍ بَغِيرِ إِمَامَا
مِ فِي صُفُوفِ أَلِيمِ الْأَنْطَبِ مُشْجِيهَا
وَلَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ عِنْدَ الْمَشَادِقِ السَّمَلِي طَسَهُ وَلَمْ يَخْفَلْ بِدَاجِيهَا

الصلاة والسلام . وفي هذه السنة ماتت زينب بنت خزيمة زوج المصطفى وفيها تزوج المصطفى صلى الله عليه وسلم أم سلمة . وفي هذه السنة كان تحريم الحر مبدئياً . وفي السنة الخامسة للهجرة كانت غزوات دومة الجندل والربيع والخندق وبني قريظة . وفي هذه السنة تزوج المصطفى بجويرية وزينب بنت جحش . وفي هذه السنة نزلت آية الحجاب وفيها أيضاً فرض الحج على المسلمين .

وفي السنة السادسة للهجرة كانت سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء وسرية عكاشة إلى العسر وسرية محمد بن مسلمة أيضاً إلى ذي القصة . وسرية عيينة بن الجراح إلى مصارع أصحاب محمد بن مسلمة وسرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجوف وسرية زيد بن حارثة إلى النيس . وسرية زيد هذا إلى الطرف . وسريته أيضاً إلى وادي القرى وسريته أيضاً إلى أم قرفة . وسرية عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع . وعبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر . وفي هذه السنة كانت غزوات بني لحيان والنابذة والحديبية . وفي هذه السنة كان تحريم الحر تماماً . وفيها تزوج المصطفى بأم حبيبة . وفي سنة ٧ للهجرة أنشد المصطفى الحاتم وصار يختم به رسائله . وفي هذه السنة أرسل المصطفى رسلاً إلى الملوك . وفيها كانت غزوة خيبر . وفيها كانت سرية عمر بن الخطاب إلى طائفة من هوازن . وسرية ابن أبي الموحا إلى بني سليم وفيها أيضاً كانت عمرة القضاء . وفي هذه السنة تزوج ميمنة . وفي سنة ٨ للهجرة كان فتح مكة وتلا الفتح غزوة الطائف وغزوة حنين وسرايا كثيرة أهمها سرية خالد بن الوليد إلى جذيمة وغلاني سيدنا علي أسرها . وفي هذه السنة كان اتخاذ المنبر الشريف للخطابة . وفيها كانت ولادة إبراهيم عليها الصلاة والسلام من مارية القبطية . وفي هذه السنة أخذت قعد الوفود على المصطفى وأولها وفد هوازن . وفيها ماتت زينب بنت رسول الله . وفي هذه السنة أسلمت همدان كلها بدعوة سيدنا علي في يوم واحد .

وفي سنة ٩ للهجرة كانت بيعة سيدنا علي إلى طي . وذلك معالم بنت صنمها طلس . وفي هذه السنة كانت غزوة تبوك . وسرية خالد بن الوليد إلى أكيكو . وفي هذه السنة ماتت أم كلثوم . وفي هذه السنة كانت حجة أبي بكر ومسير سيدنا علي لابلغ « البراءة » وفي هذه السنة كانت عدة سرايا . وفي سنة ١٠ للهجرة كانت بيعة سيدنا علي إلى اليمن . وفيها حجة الوداع وفيها أوصى المصطفى لأميرتقي عليهما الصلاة والسلام في غدير خم . وكانت فيها سرايا كثيرة ونعم فيها وفود كثيرة

بَنَسِهِ أَنْزَلَ الْجُثْثَانَ أَوْصَلَهُ إِلَى الْخَبِيرَةِ فَاعْتَزَتْ بِأَوْبَاهَا
ثُمَّ تَنَهَّدَ مَحْزُونًا وَأَرْسَلَ مِنْ أَفْسَاسِهِ زَفْرَةً مَا النَّارُ تَعْكِبُهَا
وَأَرْسَلَتْ عَيْنُهُ قِيَاضَ أَدْمُومِهَا تَسْقِي خَبِيرَتَهُ الْمَطْطَى وَتَرْوِيهَا
وَلَوْ تَقَسَّمَ خَلْبُ الْمُصْطَفَى قِسْمًا لَكَانَ مِنْ حِطْلِهِ وَاللَّهُ وَافِيهَا

أمير المؤمنين في هجرة أبي بكر

وَيَسْنَمَا الْمُرْتَضَى لِأَبِيهِ بِجَعَتِهِ بِالْمُصْطَفَى لَا يَرَى الدُّنْيَا تَوَازِيَهَا (١)
وَالْمُصْطَفَى فِي فِرَاشِ الْمَوْتِ تَنْدُبُهُ نَوَادِبُ الْعُرْبِ فِي مُسْجِدِي تَدْعِيهَا

وفي سنة ١١ للهجرة كانت وفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام على نحو ما تقدم

« صفات المصطفى »

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من كمال الجلال ما يجز عن تصويره القلم وتعبه عن
تصويره الخيلة وهذا نصقه على ما وصفه واه فوه وما شروه قالوا: كان غمًا فغداً يتلألاً وجهه كالقمر
ليلة البدر وفي وجهه الشريف تدوير ، واسم الجبين ، لزج الحاجبين ، بينهما عرق يدره الغضب
أثنى المرتين ، ادعج العينين ، اكملهما ، أهدب الاشعار ، أسبل الحدين ، خليج القم أشبه ،
مفلج الاسنان ، كث اللحية ، وكان شيب لحيته في عنقه وصديقه متفرقاً ، وكان عنقه كجيد دمية
وكان جسمه الشريف بادناً ذو لم متناك ، عريض الصدر ، بيد ما بين المنكبين والركبتين ،
موصول ما بين اللبة بشر يجرى كالخيط ، طوي الثديين والبطن ، اشمر القراعين والمنكبين
واعلى الصدر ، طويل الزندين ، عظيم القراعين ، رطب الراحة لينا ، سائل الاصابع ، شق الكفين
والقدمين ، مربوط القامة ، متهادي المشية ، يعني هوناً يرفق ووقار شأن اصحاب الهمم السالية ،
ولونه البياض مشرب بحمرة ، وكان عليه الصلاة والسلام اذا التفت التفت جيماً ولا يلوي عنقه ،
وكان فصيح اللجة ينطق بجوامع الكلم ويمطي كل حرف من حروف كلامه حقاً من اللفظ ،
وكان اذا اشار فاشارة بكفه كلها ، واذا توجب قلبها ، واذا تحددت قرب بمناء من يسراه وضرب باهام اليمنى
على اليسرى ، وربما حرك رأسه الشريف ، او عض شفته ، او ضرب يده على فخذه ، او نكت
الارض بوجهه ، ذلك حسب مواضع حديث الشريف ، واذا اشتد وجده اكثر من مس لحيته
الظاهرة ، واذا اشتد غمه مسح يده على رأسه وحيت ، وتنقش الصداه وقال « حسبي الله ونعم
الوكيل » وكان معظم ضحكه التيسم وكان غالباً يعني متملاً وطامناً منى حلقه ، وبالاجمال كان
أجل انسان خلق وسيخلق على ظهر البسيطة عليه الصلاة والسلام

(١) عند ما ابتدأت علة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي انتهت بموته اسم اسامة بن زيد
ابن حارثة وهو في الثامنة عشرة من عمره ان يسير بسيرة الى موضع يسمى « أبي » بضم الهزة
وقتح النون وهو موضع بين عقلاق والرملة وقيل بل قرية عند « مؤنة » وكان قد قتل هناك
أبو زيد بن حارثة وقال له « سر لا تخشأ اراك » وأمر عليه الصلاة والسلام ان يصحب هذه
السرية اكابر الصحابة وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابى وقاص وغيرهم فتقدم

وَقَبْلَ أَنْ يَتَوَارَى فِي حَضْرَتِهِ جُثْمَانُهُ وَيَقْبُو اللَّهَ يَا وَيْلَهَا
وَقَبْلَمَا حُورَتْ قَدْ كَانَ يَجْمَعُ أَقْطَابَ الصَّحَابَةِ وَالْأَنْصَارِ نَادِيَهَا
وَلَمْ يَكُنْ هَاشِمِيًّا يَنْبَغِي يَنْبَغُهَا فَكَا م نَّ الْأَمْزَلَمَ يَنْ يَوْمًا هَاشِمِيَّتِهَا
وَفِي سَقِيفَةٍ سَعِدٍ كَانَ مَجْلِسُهَا وَفِي مَضَائِقِهَا أَسْتَوَفَتْ تَجَمُّعِهَا
هُنَاكَ قَدْ نَظَرَتْ فِيمَنْ سَيَخْلِفُ طَسَهُ فِي الْأُمَامَةِ تَرْضِيهِ وَيَرْضِيهَا
وَبَعْدَ عُشْرِ جِدَالِ طَالٍ وَأَقْسَمَتْ فِيهِ مَطَامِعُ طِينِهَا وَمَكِينُهَا
وَقَدْ تَمَادَتْ بِهِ حَيَاؤُهُ مَعَ السُّهْلِيِّ مَعْلَنَةً فِيهِ تَعَادِيَهَا

هؤلاء من السير في سرية قودها غلام كاسامة لا يتجاوز الثامنة عشرة من عمره وعلم المصطفى
بتقدمهم فخرج إلى المسجد وهو مصوب الرأس فخطب في الناس حمد الله وأثنى عليه وقال « أما
بعد أيها الناس فما مقالة بلفتني من بعضكم في تأميري أسامة؟؟ ولأن طعنتم في تأميري أسامة لقد
طعنتم في تأميري أبيه من قبله وليم الله أنه كان خليقاً بالامارة وإن ابنه من بعده خليق بالامارة
وأنه كان لمن أحب الناس إليّ ولهما مظنة لكل خير فاستوصوا به خيراً فإنه من خيالك » وزل
بعد ذلك المصطفى راجعاً إلى بيته حيث أوى فراشه وهو عليل. أما أصحاب رسول الله فما أودوا الابتعاد
عن المدينة ورسول الله عليل بالرغم من الحاحه بتسييرها غير مرة ولرغبة المصطفى في سير هذه
السرية وهو عليل وفيها أكابر أصحابه تحت إمارة شاب في مقتبل عمره ولتسكع هذه السرية عن
المسير آراء مختلفة وأقوال عديدة نسكتني بالإشارة إليها هنا تاركين للقاريء البلب حكمه فيها وغبة القول
إن السرية ظلت في المدينة النذرة بالرغم من الحاح المصطفى بتسييرها إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم
وعند ما نسي النعامة المصطفى إلى أصحاب رسول الله وأنصاره اجتمعوا جزعين في المسجد وجاءهم عمر
وهو أشدهم جزعاً فاشهر سيفه وهو يقول أنه لم يمت ثم تبعه أبو بكر فخطب في الناس وسرد الآيات المشيرة
إلى موته فسكن روعة عمر ومن كان هنالك من المتضامين مثله. ثم إن أكابر الصحابة والأنصار تركوا
المسجد وساروا إلى سقيفة بني ساعدة حيث كان يدوي سعد بن عباد وكان مريضاً . وقيل بل إن
الأنصار عند تأكدهم وفاة المصطفى اجتمعوا في تلك السقيفة للنظر في أمر الخلافة فنسي خبرهم
إلى أبي بكر وعمر فصعباً فقرأ من قرئش وساروا إلى هاتيك السقيفة ولما تكامل الجمع قام خطيب
من الأنصار فأتى على إله ما هو الله ثم قال « أما بعد فنحن انصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم
باعتبر المهاجرين رهط منا وقد ذقت ذاقه منكم تريدون أن تختزلونا من أهلنا وتسدون به دوننا »
ومن هذا الخطاب المقتضب الذي نقله مؤرخو السنة يظهر لمقلي الضيف الخفيف إن الأنصار لم
يكونوا البادئين بالاجتماع بل اتهموا الايمان علموا أن المهاجرين يسلطون الخلافة بينهم هذا
ما استفدته من قول خطيب الأنصار هذا الذي لما انتهى وقف أبو بكر وقال « أما بعد فما ذكرتم من
خير فأنتم له أهل ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الخبي من قرئش هم أوسط العرب نسباً وداراً
ولدتنا العرب كلها فليس منها قبيلة إلا قرئش منها ولادة ودار . وكنا مشاهير المهاجرين أول الناس
إسلاماً ونحن عشيرة محمد صلى الله عليه وسلم وأقرب به وذوو رحمة ففتح أهل النبوة وأهل الخلافة » وبعد

وَفِي الْأَخِيرِ تَرَأَصَّتْ أَنْ يَكُونَ أَبُو بَكْرٍ أَمِيرًا لَهَا سَنَةً وَإِلَيْهَا
يَذِي الرُّوَايَةِ فِي الْأَثْنَيْنِ يَوْمَ وَقَا ۖ الْمَصْطَفَى عَلَنًا نَادَى مُنَادِيَهَا
وَفِي صَبَاحِ أَثْلَاثَا وَسَطِ مَسْجِدِ طَسَهَ تَمَّتِ الْبَيْتَةُ الْكُبْرَى لِبَاغِيهَا
بِهَا تَسَى أَبُو بَكْرٍ خَلِيقَةَ طَسَهَ وَهِيَ تَسِيَّةٌ سَامٍ تَسِيْنَهَا
وَلَمْ يُبَايِعْ عَلِيٌّ بِالْخِلَافَةِ مِنْ سَمَوْا خِلَافَتَهُ مَا كَانَ رَاضِيَهَا
وَهُوَ ذَا نَحْنُ زَوْجِي لِلْمَلَا بِأَمَّا نَتَّ وَصِيحَةً تَقِلُّ رَأْيَهُ فِيهَا
قَالَ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ قَمَصَهَا وَلَيْسَ يَجْهَلُ حَقِّي فِي تَوَلَّيْنَهَا

ذلك اخذ ابو بكر يسرد الآيات التي نزلت في فريش والانصار والاحاديث التي حدث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء وهؤلاء ثم وجه ابو بكر خطابه لسعد فقال : لقد علمت يا سعد ان رسول الله قال وانت قاعد بين يديه : ان تريثا هم ولاته هذا الامر . أليس الامر كذلك ؟ فقال سعد صدقت . فقال ابو بكر : فنعن الامراء وانتم الوزراء وقد قال رسول الله « الاثمة من فريش » وانتم يا منصر الانصار اخواننا في كتاب الله وشركاؤنا في الدين وانتم احق بالرضاء قضاء الله وقد رضيت لهذا الامر احد هذين الرجلين واخذ بيد عمر ويدا بني عبيدة بن الجراح وكانا الى جانبه فقال عمر وابو عبيدة « بل لا ينبغي لاحد ان يكون فوقك يا ابا بكر » فقام ضجيج بين الانصار وهم يريدونها لانفسهم فكانوا يقولون منا أمير ومتكم أمير وساد الهرج بينهم وبين المهاجرين مدة حتى كاد ان يستفعل ويؤول الى مالا محمد مئنته ولكن في الاخير رضيت اكثرتهم بخلافة ابي بكر وبايسته . ومما يجب ان لا يذهب عن الفكر ان هذا الاجتماع خلا من الهواشم وان المهاجرين والانصار في أئناء شجارهم على الخلافة ماذكروا حق الهواشم فيه ولا سيما سيدنا علي عليه صلوات الله همل كانوا مبدئياً متفقين على ان لا تكون الخلافة في بني هاشم لكي لا يجتمع شرف النبوة وشرف الملك لهم كما يقول بعض النقاد ؟ هذا لا يحبر عليه جواباً . ومما نذكره ان سعد بن عبادة وهو زعيم الانصار وكان الاجتماع في سقيفة بني بكر وعضب عمر واراد ان يبطش به خال الناس دون رغبته . ثم حاول ابو بكر ان يكرهه على البيعة بعد ذلك فامر على على لبائمه واقام مدة لا يحضر اجتماعهم ولا يصلي في المسجد ولا يعلم على من لبي منهم حتى اذا كان بصرقة يقف ناحية عنهم وكان يلح عمر على ابي بكر ان يكرهه على البيعة بالسيف فيأتي ابو بكر ذلك مخافة الفتنة ولما ولي الخلافة عمر هجر سعد المدينة وسار الى دمشق ومات فيها سنة ١٥ للهجرة

وبعد ان تمت البيعة لابني بكر في سقيفة سعد في نفس يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف الناس الى بيوتهم . وفي صباح الثلاثاء ورسول الله مسجى على فراشه اجتمع الناس « عدا الهواشم » في المسجد النبوي وفي اجتماعهم ذاك كانت البيعة الكبرى ادبايع الناس ابا بكر بدعوة عمر . ثم تم لهم انصرفوا الى وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه فقصده في حجرته زراعت يصلون عليه بغير امام كما تقدم وبعد دفن للمصطفى عليه الصلاة والسلام انصرف ابو بكر وعمر الى تدبير امر الامة فكان

وَعَالِمٌ أَنِّي مِنْهَا أَحُلُّ مَحَلُّ الْقَطْبِ عِنْدَ الرَّحَى فِي عُقْرِ إِحْيَاهَا
وَأَسْلِلُ مُنْجِرٌ عَنِّي وَلَيْسَ لَطِيفٌ إِلَّا قِي نَيْلُ مُحَلِّي فِي تَعَالِيهَا
وَأُونِي مُسْدِلٌ دُونَ الْخِلَافَةِ تَوْبَةً بَابُ الزُّهْدِ لِمَنِّي بِهِ كُنْتُ الْمُعْطِيهَا
وَقَدْ طَوَيْتُ لَوَجْهِ اللَّهِ كَشْحِي عَنْهَا وَالشُّرُوزُ إِذَا قَدْ كُنْتُ طَاوِيهَا
وَكُنْتُ بَيْنَ مَرْيَدٍ صَوْلَةٍ يَدٍ جَدَاءٍ أَوْ صَايِرٍ نَفْسِي أَهْدِيهَا
وَهَرَمُ الْكَلِّ خَتَمًا صَوَاتِي وَتَشْيِبُ الْبُطْلُ سَيْبًا إِذَا تَدَعَى دَوَاهِيهَا
وَالْمُؤْمِنُ الْمُسْتَقِي بَارِيَهُ يَكْدَحُ خَسَى الْخَشَرِ يَوْمَ يَلَاقِي رَبَّهُ فِيهَا

اهتمامهم منصرفاً قبل كل شيء إلى لرغام الهواشم ومن شايهم من المهاجرين والانصار على مباينة ابي بكر فارغماهم جميعاً على البيعة فبايعوا الا علياً . ثم اتفقا بمعاونة اهل الردة ولرجاعها الى الاسلام فافلحا . وظل الناس يلفطون بيعة ابي بكر ويتقدونها سرّاً وجهرّاً حتى اضطر عمر أن يصعد المنبر في مسجد المدينة ويقول : « فلا يدرك امرء أن يقول ان بيعة ابي بكر كانت فلتة » فليدكان كذلك ولكن الله وقى شرها » وكان قد سبق له ان قال على اثر بيعة ابي بكر : « ان بيعة ابي بكر كانت فلتة وفي الله شرها فمن عادى مثلها فاقولوه » وذاع هذا القول عنه وتداوله الناس وفي قوله هذا كفاية لقوم ينصفون أما سيدنا علي عليه صلوات الله فابى البيعة كما انه ابى مائة الفين انصروا له واشاروا عليه باعلان العداء لابى بكر واتزوى في بيته بينى بجميع القرآن وترتيب آياته الشريفة وما زال كذلك الى ان توفيت زوجة فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام حينئذ بايع ابا بكر . ورايه عليه صلوات الله في بيعة ابي بكر صريح ظاهر في كثير من خطبه ورسائله المنشورة في « نهج البلاغة » وتكني هنا بما قاله في خطبته الشنتقية قال : « اما والله لقد قمصها ابن ابي قحافة » وانه يعلم ان محلي منها محلي القطب من الرضى ، فسدلت دونها توباً وطويت عنها كشحاً وطلقت لرتني بين ان اصول بيد جداء ، أو اصبر على طغية عبياء ، جهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ؟ وبكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه ، فرأيت ان الصبر على هاتا احبى ، فصبرت وفي الدين قذى ، وفي الحق شجاء أرى ترواني نبياً » أهو قول المرتضى خير ما يختم به هذا المقال

وانا لندع بعد هذا ما اختلف فيه الرواة عما جرى على سيدنا علي وسيدتنا فاطمة عليهما وعلى المصطفى الصلاة والسلام فليخبر مما يؤلم ذكره . ولا يحسن الآن نشره وان بضه لو كان صحيحاً لكان من الكبائر التي لاتنشر والله سبحانه اعلم على ان سيدتنا فاطمة الزهراء ماتت مكرية حزينة غاضية بعد وفاة ابيها صلى الله عليهما وعلى آلهما وسلم بستين أو سبعين يوماً وقبل ستة اشهر وازاد قلبها المرتضى وهذا بالخلافة فعدا الى ابي بكر وهو في المسجد قبايه . واستقبل ابو بكر واصحابه بيعة سيدنا علي بالسرور والاعتباط وقل ابو بكر وهو أخذ بيد علي « ان هصابة انت منها يا أبا الحسن لمصومة » وانامة انت فيها المرحومة ولقد اسبجت عزيراً علينا ، كريماً لدينا ، تخاف الله اذا سخطت ، وزجوه اذا رضيت ولولا ابي شددت ، لما لجيت الى مادعيت اليه ، ولكني خفت الفرقة ، واستثثار الاعصار بالامر على قریش ،

لَكِنْ رَأَيْتُ جَبِيلَ الصَّبْرِ أَخَذَتْ بِي وَالْخُصُومَةُ أُولَى أَنْ أَحَاشِيَهَا
لِنَاصِرَتِ وَفِي الْحَقِّ الشَّجَا وَقَدْ رَأَيْتُ فِي أَلَمِينَ يَطْرُقُهَا حَتَّى يُؤَذِّبَهَا
أَرَى تَرَائِي مَنْهُوبًا وَلَوْ تَنِي صَا . بِرِّ بَعِينِي وَلَكِنْ كُنْتُ أَغْضِبُهَا
وَالْمُرْتَفَعَى لَمْ يُبَايِعْ بِالْخِلَافَةِ فِي حَيَاةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَا لَوَالِيهَا
حَتَّى إِذَا مَا قَضَتْ غَمًّا أَنَالَ أَبَا بَكْرٍ مَنَاءَ النَّبِيِّ قَدْ كَانَ عَاشِيَهَا
وَقَالَتْ أَنَا نَسُ أَقْوَالَهَا وَيَمَن دَعَا إِلَيْهَا وَأَتَيْهَا وَمُضْغِيهَا

واعجلت عن حضورك ومناورك ، ولو كنت حضراً لبايتك ، ولم اعدل بك ، ولقد حفظ الله عن
ظهيرك ما اقبل كاهلي به ، وما اسد من ينظر الله اليه بالكفاية ، وانا اليك لمتحابون ، وبفضلك
عالمون ، والى رأيك وهديك في جميع الاحوال راغبون ، وعلى حمايتك وحيفتك موثقون «
«بسم ابو الحسن عليه صلوات الله لهذا الاعتذار الذي جهر به ابو بكر في السجدة وانصرف الى
بيته متشغلاً بحزنه بوقته رسول الله وفاطمة الزهراء عليهم الصلاة والسلام وما كفا على عهد الله
بنظريه ويجمع ما تفرق منه رجاء ثواب ممدد لمن اخلص لله عمله وسلم لعله ومشيئته امره

« ترجمة ابي بكر »

كان يدعى ابو بكر في الجاهلية عبد اللات وقيل عبد الزمعة فسماه المصطفى صلى الله عليه
وسلم عبد الله . فهو عبد الله بن ابي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن
مسرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ويجتمع مع رسول الله في مسرة بن كعب . وامه ام الخير
سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم اسلمت بعد اسلامه . وقد دعي ابو بكر باسم
« عتيق » لان رسول الله قل له انت « عتيق النار » وقيل بل امه سمته « عتيقاً » لانها ما كان
يميش لها ولد فلما ولد سمته عتيقاً اي « عتيق الموت » ويلقب باسم « الصديق » لان المصطفى
عند ما عرج ورجع الى مكة فاجاب الناس فلم يصدتوه وصدتوا ابا بكر فلاب : ان صاحبك يزعم
كدا وكذا فقال لهم « ان قال ذلك فقد صدق . اني لاصدقه عما هو ابعد من ذلك . اصدقه بخبر

السماء في غدوة أو روحية » فلقب من ذلك الوقت بالصديق

كان ابو بكر في أول أمره بزرزراً . وكان وحيداً في قريش . وكان عالماً بانساب العرب ولا
سبا قريش . وكان من السابقين بالاسلام اسلم في حال دعوة المصطفى له . وصار من دعاه الاسلام
فدعا اليه كثيرين واسلموا بواسطته منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف
وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله . وكان ملازماً للمصطفى منذ أسره لايمنع عنه ماله . ووافق
النبي في عزواته كلها . وفي خلافة أبي بكر قامت فتنة اهل الردة فطفاها . وظهر الاسود النسي
ومسيلة الكذاب وسجاح المنيعة وطلحة الاسدي . فاجابهم واخزاهم وابطل دعوتهم وكلهم ادعوا
النبوّة . وارسل خالد بن الوليد الى المراق من ابناء عياض بن غصم من اعلاء . فسار خالد ووقت
له واقعة الخيبر الشهيرة قرب الموضع الذي بنيت فيه البعرة واتصر فيها على جيوش الفرس بعد
ان قتل رئيسهم هزئ . ثم قصد الحيرة فصالحه اهلها على الجزية . ثم سار الى الانبار وصالح اهلها
على ما صالح به اهل الحيرة . وسار الى عين التمر فلتقت به جيوش النجم فزهم وسبي من كان

دَوَّتْ هُنَا وَهَنَا حَتَّى رَأَى عُمَرُ أَنَّ لَيْسَ سَهْلًا وَقَدْ ذَاعَتْ تَسَاهُلُهَا
لِذَلِكَ رَدَّ الصَّدَى فِي قَوْمِهِ وَدَعَا هَاهَا قَلْتَهُ قَالَ: فَلْيُقْتَلْ مُسْنِبُهَا
وَقَالَ: كَانَتْ وَلَكِنَّ الْأَلَةَ وَفَى السَّعَادَ مِنْ شَرِّهَا حَمْدًا لِرِوَاغِيهَا
لِلَّهِ أَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ لَاقَيْتَ مِنْ نُوبِ الْأَيَّامِ قَاسِمَهَا
وَقَدْ تَنَاسَيْتَ أَرْزَاءَ مُنِيتِهَا بِفَضْلِ تَقْوَاكَ لَكِنَّ لَسْتُ نَاسِمَهَا
وَقَدْ صَبَرْتَ عَلَى الْأَحْدَاثِ صَبْرَ كَرِيمٍ صَادِقِ الْأَعْزَمِ مُسْتَجِلِ غَوَاشِيهَا

فَهِمَا وَأَسْرَى فِي جِلْتِهِمْ نَصِيرُ ابْنِ مُوسَى فَتَحَ الْأَنْدَلُسَ . ثُمَّ سَارَ إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ وَاتَّخَذَهَا عَوْنَةً .
وَمَا زَالَ يَسْتَقِلُّ قَانَحًا مَنصُورًا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَى تَخُومِ الشَّامِ . فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ الرُّومُ وَعَرَبُ بَادِيَتِهَا
فَخَصَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْحِمْيَرِ وَمِنْهَا إِلَى مَكَّةَ لِادَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ . أَمَّا عِيَاضُ بْنُ غَنَمٍ فَهُوَ
اخْتَرَقَ بِتَقْوَاهُ بِلَادَ كُردِستَانِ وَارْمِينِيَا ثُمَّ انْضَمَّ إِلَى حِيُوشِ ابْنِ عُبَيْدٍ فِي الشَّامِ كَمَا بَقِيَ الْإِشَارَةُ فِي تَرْجُمَةِ خَالِدٍ
وَأَنَا أَبُو بَكْرٍ بَيْتَ الْمَالِ لِلْمُسْلِمِينَ بِمَدِينَةِ الْيَمَامَةِ وَجَبَلَ عَلَى الْقَتْلِ عَمْرُ بْنُ الْحَطَّابِ
بَلْ كَانَ عَمْرُ فِي الْحَقِيقَةِ وَزِيرَهُ وَمُسْتَعِينَهُ وَغِيَّةً سَرْمَهُوَ كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَائِمَهُ حَيَوُشَهُ

وَكَانَ تَقِيًّا وَرَدًّا مَسْغِيًّا صَالِحًا كَثِيرَ التَّوَاضُعِ كَثِيرَ التَّقَشُّفِ كَثِيرَ الزَّهْدِ كَثِيرَ الْكُرَمِ وَكَانَ
يَقُولُ دَائِمًا « لَيْتَ عَلَيْكُمْ وَلَيْتَ بِاخْتِرِكُمْ وَعِينُونِي وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَقِمْتُ فَاتَّبِعُونِي . وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي
زَغْتُمْ فَتَّقُوا مِنِّي » وَتَزَوَّجَ أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَرَأَةً تَدْعَى قَتِيلَةَ بِنْتَ عَبْدِ الدَّزِيِّ بْنِ حَامِرِ بْنِ
لُؤَيٍّ فَوُلِدَتْ لَهُ ابْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَتُهُ لِسَاءٍ وَتَزَوَّجَ إِیْضًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَرَأَةً تَدْعَى أُمَ رُومَانَ وَاسْمُهَا
دَعْدٌ وَهِيَ بِنْتُ حَامِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْكِنَانِيَّةِ فَوُلِدَتْ لَهُ ابْنَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَابْنَتُهُ حَاشَةُ زَوْجُ الْمِصْطَفَى .
وَتَزَوَّجَ فِي الْإِسْلَامِ امْرَأَةً تَدْعَى إِسْمَاءَ وَهِيَ بِنْتُ شَمْسٍ وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
فَوُلِدَتْ لَهُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ . وَتَزَوَّجَ إِیْضًا فِي الْإِسْلَامِ حَبِيبَةَ وَقِيلَ أُمَ حَبِيبَةَ بِنْتُ خُرَجَةَ بْنِ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ
وَكَانَ يَسْكُنُهَا بِالْبَحْرِ « مِنْ ضَوَاحِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ » وَوُلِدَتْ لَهُ هَدَّةٌ بِمَدِينَةِ الْيَمَامَةِ وَهُوَ أُمَ كَثُومٍ
وَإِخْتَلَفَ النَّاسُ فِي وَقَاتِهِ فَقِيلَ أَنَّهُ تَوَفَّى عَلَى أَرْضٍ يُقْتَلُ بِهَا تَنَاوُلُهُ سَنَةً وَقِيلَ بَلْ اغْتَسَلَ
فِي يَوْمٍ بَارِدٍ لَحْمٌ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا لِيُخْرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَهَذَا أَصَحُّ وَأَسْرَأُ أَنْ يَصِلَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي
مَدِينَةِ مَكَّةَ وَكَانَتْ آخِرُ كَلَامِهِ وَهُوَ يَخْضَرُ « اللَّهُمَّ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالحَقِّي بِالصَّالِحِينَ » وَكَانَتْ وَقَاتُهُ بَيْنَ
الْمَغْرِبِ وَالْمَشَاءِ لَيْلَةَ الثَّلَاثَةِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا مِنْ جَادِي الْآخِرَةِ سَنَةِ ١٣ هَجْرِيَّةٍ أَمَّا مَوْلَاهُ فَكَانَ بِمَدَائِنَ
ثَلَاثَ سِنِينَ وَكَانَتْ مَدَّةُ خِلَافَتِهِ سِتِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ وَقَبْلَ عَشْرِينَ يَوْمًا وَقَبْلَ وَفَاتِهِ
أَيُّسَى بِالْخِلَافَةِ إِلَى مَكَّةَ عَلَى مَسِيحِيَّةٍ

أَمَّا صُورَةُ ابْنِ بَكْرٍ عَلَى مَا صُوِّرَ الْمُؤَرِّخُونَ فَقَدْ كَانَ إِیْضًا ابْنَةً خَفِيفَ الْمَسَارَتَيْنِ عَمِّي
الْقَامَةِ لَا يَتَمَسَّكُ أَزْلَهُ مَدْرُوقُ الْوَجْهِ نَحِيفًا أَقْنَى الْأَنْفِ غَائِرَ الْعَيْنِ
« تَرْجُمَةُ سَعْدِ بْنِ عَادَةَ »

أَمَّا سَعْدُ بْنُ عَادَةَ الَّذِي اجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فِي سَقْفَتِهِ يَوْمَ وَفَاتِ الْمِصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ وَكَانَ فِي نِيَّةِ الْأَنْصَارِ مِيَابَتَهُ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَئِذٍ فَهُوَ سَعْدُ بْنُ عَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ الصَّحَابِيُّ الْحِزْبِيُّ
السَّاعِدِيُّ سَيِّدُ الْحِزْبِ وَزَعِيمُ الْأَكْبَرِ وَكَانَ تَقِيًّا نَبِيًّا سَاعِدًا وَمُصَاحِبًا رَايَةَ الْأَنْصَارِ فِي الْمَشَاهِدِ

وَسِرَتْ تَحَوَّابِي بِكَرِّ تَرَوْمَ تَلَا فِي خِنَةِ خَيْرَ مَا يُلْقَى تَلَا فِيهَا
بَايَعَتْهُ رِيعةً قَدْ كَانَ يَنْشُدُهَا وَبَعَثَهَا مِنْ غَدَا بِالْبَشْرِ بِشَرِّهَا
وَقَدْ طَلَبَتْ بِهَا لِلَّذِينَ عَزَمَتْهُ أَلْسِنُهَا أَلَّتِي كُنْتُ قَبْلَ النَّاسِ جَانِبَهَا
وَإِنْ تَنَافَسَ أَرْبَابُ الْجِهَادِ بِهَا فَأَنْتَ أَوْلَاهَا لَا مِنْ أَوْلِيَاهَا

أمير المؤمنين في وفاة فاطمة الزهراء

عَرَّجَ عَلَى طَبِيبَةٍ وَأَنْزَلَ مَعَانِيهَا وَسَائِلَ النَّاسِ شَاكِيهَا وَبَاكِهَا
لَعَلَّ يُلْقَاكَ فِيهَا مَنْ يُجِيبُكَ عَنْ تِلْكَ الشَّعْوَنِ أَلَّتِي عَنَّتْ أَهْلِيهَا
أَلَا تَرَى النَّاسَ فِي خَافِي مَنَازِلِهَا أَلْفَ أَلْمُومِ بِهَا تُقْضِي لِبَارِيهَا
وَكُلُّ خَلٍّ يُبِيرُ الْكَرْبَ بِنَفْسِهِ لَصَحْبِهِ وَبِهِ هَمَسًا يُنَاجِيهَا
أَصْبَحَ لَمَّا كُنْتُ تَدْرِي مَا يَضْغَعُ سَكَّانَ الْمَدِينَةِ مَكِينَهَا وَطَبِيبَهَا
أَوْ عَلَ صُفْرَةٍ هَا يَكُ الْوُجُوهِ فِيهَا غِيَى عَنِ الْقَوْلِ أَنْ يُبْدِيَهُ مِنْ فِيهَا
نَعَمْ لَقَدْ جَرَعَتْ مِنْ مُخَةٍ دَهَمَتْ بِأُخْرَى فَانْتَشَتْ تَهْنِئَتُهَا
فِي أُمْسِهَا رَزَتْ رِزًّا يَهَادِيهَا وَالْيَوْمَ ابْنَتُهُ أَلَا قَدَارُ تَعْنِيهَا
وَهَالِكَا أَنْ بَنَتِ الْمُصْطَفَى ذَهَبَتْ غَضَبِي إِلَيْهِ قَدْ شَكُّوْهُ وَهُوَ مُشْكِيهَا
وَمَنْ بِحَقِّكَ لَا يَنْصِي هَاطِمَةً وَمَنْ بِكُلِّ عَزِيزٍ لَيْسَ يَفْتَرِيهَا

النبوة كلها. وكان مشهوراً بالكرم وكذلك كان أبائوه من قبله . ومن نواحد كرمه انه كان يست
الى رسول الله جنة مملوءة ثريداً ولما في كل يوم منذ حل المصطفى في المدينة النبوية الى ان سار
الى لقاء ربه في جناته ولم يبايع ايا بكر كما تقدم القول وقاطع المسلمين على عهده وما تولى عمر الخلافة
إلى الإقامة في المدينة فحجروها وخرج الى الشام وما زال هناك الى ان توفي في حوران من بلاد
الشام في سنة ١٥ للهجرة

(١) ان انفجاع سيدة نساء العالمين سيدتنا هامة الزهراء على ابيها وعليها وعلى آلهما الصلاة
والسلام كان على قدر حبه النبوي لكمالها وطهرها وقداستها فكلاهما كان عظيماً والذي أزداد
« السيدة » حجةً وأبعد عن قلبها الظاهر مواطن التعزية هو خروج اخلافة من بيتها وحرمان زوجها
منها مع انها كانت تحب انها حتى مووت شرعي لبيدتها على لا خلاف عليه ولا جدال فيه .
ونحن نمسك القلم عما روى الرواة وكتبه الكتاب وسطر المؤرخون عن مسمى سيدتنا فاطمة الزهراء
لارجاع الخلافة الى زوجها وما اتيت في سبيل ذلك من الدلائل ذكر امه لانه مما يؤيد القلوب ويخرج

وَكَيْفَ قَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ بَعْدِ مَا عَلِمْتَ
وَأَنَّهَا لَقَعْتَ عَنْ لَوْعَةٍ وَأَسَى
وَأَنَّهَا أَحْرَقَتْ فِي نَارِ زَفَرِهَا
وَأَنَّهَا غَرَقَتْ فِي سَبِيلِ أَذْمِهَا
وَأَنَّهَا قَدْ غَدَّتْ فِي قُرْبِ وَالِدِهَا
أَجَلَ قَبْلَتْ رَسُولَ اللَّهِ مَا صَبَرَتْ
وَمَا اسْتَطَاعَ عَلَيَّ مَعَ بَلَاغِهِ
وَلَمْ تَزَلْ كَارِثَاتُ الدَّهْرِ تُنْجِلُهَا
حَتَّى قَضَى اللَّهُ أَنْ تَقْعِي بِكَرْبِهَا
بِدِمَةٍ اللَّهِ ذَاتِ الظَّهْرِ فَاطِمَةَ
لَيْنٍ قَضَتْ وَهِيَ يَا اللَّهَ سَاحِلَةً
وَإِنْ تَكُنْ حَرَمَتْ فِي الْأَرْضِ تَسْلِيَةً
لَكِنَّهَا تَرَكْتَ مِنْ بَعْدِهَا الْحَسَنَيْنِ
وَعَادَرْتَ بِمَلَأَا يَنْكِي لِفَرْقِهَا
وَحَطَبُهَا ضَاعَفَ الْحَزْنَ الْمُبْرَحَ فِي
وَبَعْدَ مَا أُوْدِعَتْ فِي وَسْطِ حَفْرِهَا

بَانَ لِلْمَوْتِ كَانَ الْحَزْنُ حَادِرُهَا
قَدْ أَوْزِيَهَا فَمَا أَجْدَى تَدَاوِيَهَا
وَلَمْ يَكُنْ دَمْعُهَا أَهْلًا مِثْلَ مُطْفِئِهَا
وَمَا الرِّفْقُ مِنَ التَّفْرِيقِ مُنْجِيهَا
تَأْوِيًا لِحَيَاتِهَا أَلَيْ لَا يَزَارُ تَأْوِيَهَا
عَلَى اللَّيَالِي أَلَيْ أَذْجَتْ دِيَارِجِهَا
يَسْرِدُ آيِ التَّأْسِي أَنْ يُؤَسِّسَهَا
وَلِلْمَنِيَةِ بِالْأَسْرَاعِ تُنْشِئُهَا
حَزِينَةَ الْفَسْ كَانَ الْيَأْسُ غَاشِيَهَا
وَاللَّهُ فِي رَحَبَاتِ الْخُلْدِ مُثَوِّبُهَا
فَالْمُصْطَفَى فِي أَسْمَاءِ أَعْلِيَا يُرَاضِيهَا
فَقِي الْحَيَاتِ مُتَلَاقِي مَا يُسَلِّبُهَا
يَنْكِيَانِ عَلَى وَافِي تَحَنُّبِهَا
أَمْنًا وَبُخْنًا وَتَوَجُّبِهَا وَتَرْفِيقِهَا
نَفْسَ أَعْلَى الَّذِي مَا أَنْفَكَ يَرْثِيهَا
لِرَحْمَةِ اللَّهِ وَالْأَجْلَالِ غَاشِيَهَا

العوالم وحبنا ان نحمل القاري الكريم الى كتب التاريخ ليستخلص منها ما اغضبنا عن ذكره
وعن آسفون . وكل ما قوله هنا ان سيدتنا فاطمة كانت تخرج الى الانصار مستغفبة تحت خنج
الظلم تستصرهم لروحها عليهما الصلاة والسلام فكاوا يقولون لها لولا اننا بعينا ابا بكر لما تأخرنا
عن يمة علي ولكن سبق السيف الرمل وما لاجدال فيه ان المسألة لم تكن سبق باليعة ومما
الى الخلافة ولكن تفرق في كلمة الجماعة رجعت منها القشة التي كان بجانبها عمر بن الخطاب المرووف
بشدة وهيبته فقد قبض بيده الحديدية على زمام الحالة واشتد على المهاجرين والانصار لجمع كلمتهم
راضين ومكرهين على يمة ابي بكر وهكذا تم الفوز له

اما سيدتنا فاطمة الزهراء فانرت على صحتها الشريعة وفاة ابها عليهما الصلاة والسلام اولاً
وضياع الخلافة من يد زوجها ثانياً والشدة التي لقيتها من عمر بن الخطاب ثالثاً ولم يكن لها ما يعلما
ويؤيها وما زال اليقة حزن وكرب وهم وعمر حتى تسلطت الامراض على جسدها الطاهر فماتت

تَطْلُعُ الْمُرْتَضَى اسْتَظْلَاعَ ذِي لَهَبٍ إِلَى الْبَرَزَابِ الَّذِي أَمْسَى مُغْطِبَهَا
 ثُمَّ إِلَى تَرْبَةِ الْهَادِي تَوَجَّهَ فِي أَلِيمِ أَحْزَانِهِ مَا اسْتَطَاعَ يُغْنِيهَا
 وَقَالَ: يَا أَخْذُ الْهَادِي عَلَيْكَ سَلَامٌ مَعَ سَلَامِ الْبَرَزَابِ تَلَقَّيْنَاهَا
 هَذِي الْبَرَزَابِ لَحِقَتْ عَلَيْكَ مُسْرَعَةً وَفِي جَوَارِكَ حَلَّتْ كَيْ تَوَاسَّيْنَاهَا
 قُلْ أَصْطَبَارِي قَلَّا عَنْ صَبَبِكَ الْزَهْرَاءُ وَنَفْسِي هَذَا الْخَطْبُ مُؤْهِبَهَا
 لَكِنْ فِرْقَتِكَ الْفُطْمَى وَجَدْتُ لِنَفْسِي فِي الْمَصِيبَةِ هَذِي مَا يُسَلِّبَهَا
 مَا بَيْنَ تَحْرِيٍّ وَصَدْرِي إِنْ نَفْسُكَ قَدْ فَاضَتْ وَكَلَّتْ نِدَا رَبِّ يُبَادِيهَا
 وَفِي حَفَرِيكَ الْعَلِيَاءَ قَتَلْتُكَ مَحْزُونًا وَلَوْعَةُ نَفْسِي أَنْتَ تَذَرِيهَا
 لِلَّهِ نَحْنُ وَنَحْنُ الرَّاحِمُونَ إِلَيْهِ رَحْمَةً لَيْسَ مِنَّا مَنْ يُعَاصِيهَا
 إِنْ الْوَدِيعَةُ مِنِّي الْيَوْمَ قَدْ أَخَذْتُ وَأَسْتَرْجَعْتُ لَمْ تَكْ أَلَا قَدَارُ تَرْجِيهَا
 وَإِنْ حُزْنِي بَاقٍ سَرْمَدًا أَبَدًا بِهْ طَوْلَ الْبَلْبَالِي أَضَتْ أُخْبِيهَا
 حَتَّى يَخَارُ لِي لِلَّهِ الرَّحِيمِ دِيَا رَأَى أَنْتَ يَا حَبْرَ خَلْقِ اللَّهِ تَوَرَّيْنَاهَا
 وَإِنْ ابْنَتِكَ الْزَهْرَاءُ تُخْبِرُكَ أَلَا مَخْبَارَ عَنْ حَالِنَا السُّوءِ وَتَوَرَّيْنَاهَا
 وَسَوْفَ تَعْلَمُ مِنْهَا أَنَّ أُمِّتَكَ الْبَرَزَابِ عَلَى هَضْبِهَا أَمْسَى تَحْبِيهَا
 فَأَخْفَهَا كَرَمًا مِنْكَ أَسْأَلُ وَكُنْ مُسْتَخِيرًا حَالِنَا مِنْهَا فَخَبِّكُنَا
 هَذَا وَلَمْ يَطْلُ الْعَهْدُ الْمَجِيدُ بِنَا عَهْدُ النُّبُوَّةِ فِي سَائِي تَجَلَّيْنَاهَا
 وَاللَّهِ كَرَمًا الَّذِي يَخْلُو نَدَّ كَرَمُهُ مَا أَخْلَقْتُهُ الْبَلْبَالِي فِي تَسْلِيهَا

سد وفاة المصطفى بستين يوماً وقيل سبعين يوماً وقيل ستة أشهر والاجماع على انها ماتت وهي عذبة
 عر راضية على ماجرى. وروى بعضهم ان أبا بكر اجتهد كثيراً ليسترضيها فامتنعت وماتت وهي
 مطمئة بان حقوق زوجها عليها الصلاة والسلام قد غصبت ونهبت

وعند ما استأثرت رحمة الله بنفسها الطاهرة على صدر سيدنا علي زوجها اسرع بتجيزها ودفنها في
 حجرتها في بنها المناوح ليت رسول الله في جوار المسجد النبوي الآن وقد سبق لنا وصف تربتها
 الشريفة في حاشية سابقة. وبعد ان تم دفنها وقف علي عليه صلوات الله على قبرها الطاهر وقال :
 « السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك البارئة في جوارك. والسريرة اللعاق بك. قل »
 يا رسول الله عن صبيتك صبري. وورق عنها تجلدي. الا ان لي في التأسي بطم فرتك. وفادح
 مصيبتك. موضع تمزج. فلقد وسدتك في ملحودة فرتك وهضت يد تحري وصدري تسك.

ثُمَّ سَلَامٌ عَلَى رُوحَيْكُمَا عَطِرٌ أَتْلُوهُ مَا فِي السَّمَاءِ لَأَتَ دَرَارِيهَا
سَلَامٌ غَيْرُ بَغِيضٍ لَّا وَلَا سَهْمٍ مُودِعَ زَهْدَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
إِنْ أَنْصَرَفْتُ فَلَيْسَ الْأَنْصَرَفُ مَلَا لَّا وَالْمَلَلَةُ مِثْلِي لَا يُدَانِيهَا
وَإِنْ أَقْبْتُ فَمَا عَنْ سُوءِ ظَنِّي بِاللَّهِ الْمُعْزِي الْحَزَانِي فِي تَعَايُنِهَا
وَلَا بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الْأُتَى صَبَرُوا عَلَى الْمَصَائِبِ دَاهِيَهَا وَقَاسِيَهَا
بِذَا لَقَدْ وَدَّعَ الْمُحْزُونُ حَيْذَرَهُ بَنَتْ الرَّسُولُ الَّتِي يَنْكِي تَنَائِيهَا
وَأَحْزَنُ أَشْغَلَهُ عَمَّا أَهَمَّ سِوَا هُ مِنْ مَطَامِعِ دُنْيَا خَابَ رَاجِيهَا

أُمير المؤمنين ومهولة عمر

مَا طَالَ عَهْدُ أَبِي بَكْرٍ بِأَعْرَبِهِ وَلَا خِلَافَتُهُ أَمَدَتْ لِيَالِيهَا (١)
وَإِذْ أَحَسَّ أَنَّ الْمَوْتَ مُعْجِلُهُ وَأَنَّ سَاعَاتِهِ تَخْذِي ثَوَانِيهَا
أَوْصَى بِهَا لِأَبِي حَضْرٍ وَسَطَّرَ هَا تَيْكَ الْوَصِيَّةَ عُثْمَانُ لِلْمُتْلِيهَا
ثُمَّ دَعَا عُمَرَا أَسْدَى نَصِيحَتَهُ إِلَيْهِ قَالَ: أَلَوْعَايَا كُنْ مَذَارِيهَا

فَاتَّاهَ اللَّهُ وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . فلقد استرجعت الوديمة . واخذت الرهينة . اماحزني قسرد . واما لي
فسيد . الى ان يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم . وستبتك ابتك بتضافر امتك على هضمها .
فأخضا السؤال . واستخبرها الحال . هذا ولم يطل الهد . ولم يخلق منك الذكر . والسلام عليكما .
سلام مودع . لا قاله ولا سم . فن انصرف فلا عن ملالة . وان أفم فليس عن سوء ظن . بما
وعد الله الصابرين » اه

وكان المرتضى عليه صلوات الله في موت فاطمة ما يزيد زهده في الدنيا وما فيها فسار الى
ابي بكر وبابه وأخلت المشكة التي كانت تخلق الخواطر في ذلك الحين .

(١) ان المؤرخ الدقيق بسير الدولة الاسلامية في عهد ابي بكر يجد بكل صراحة ان عمراً
ابن الخطاب كان مستشار ابي بكر الاكبر في كل صغيره وكبيره فلا عجب اذا عهد اليه أبو
بكر بالخلافة عند ما حضرته الوفاة وهذا الذي كانت تنتظره صحابة رسول الله على ما جرى في قصة
هذا الهد على اننا نستطيع ان نقول ان عهد ابي بكر لمسر قد صار ساجدة ارتكن عليها المسلمون
في الخلافة على نحو ما فعل بنو امية في الشام والعباسيون في العراق والفاطميون في المغرب ومصر
وليس لي ان اتوسع في هذا الموضوع البادي الخطر ولكن هل يسامح مني قرأه اعلوني بالمرآة
فأسأل عما انا متعب به فاقول : هل عهد ابو بكر لمسر بالخلافة لانه وجده الاكفأ لها ؟ أو انه
وأى في ترك الخلافة لاجتهاد الصحابة خطر شفاق أحب ان يتلاقه ؟ الله اعلم

وَبَعْدَ ذَا سَارَ عَبْدُ الْوَصِيِّ كَيْ يُدْعَى قِيلَ أَنْ يَقْنِي مَوْصِبَهَا
 وَسَارَ مَعَهُ أَبُو حَضِيصٍ لِيَجْمَعَ أَنْصَارَ الثُّبُوءِ جَمْعًا مَعَ صَحَابِهَا
 حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَتْ فِي قُرْبِ دَارِ أَبِي بَكْرٍ وَلَمْ تَذَرِ مَا دَاعِي تَنَادِيهَا
 نَادَى بِهَا عُمَرُ: إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَوْصَى وَصِيَّتَهُ صَفِيًّا لِقَارِبِهَا
 وَرَاحَ عَبْدُ أَبِي بَكْرٍ يُدْعَى عَلَى النَّاسِ الْوَصِيَّةَ فِي أَجْلِ مَعَارِنِهَا
 فَصَاحَتِ النَّاسُ سَمَاءً لِلْخَلِيفَةِ صِيحَةً دَوَى فِي الْفُضَا إِذْ ذَاكَ دَاوِيهَا
 ثُمَّ الْخَلِيفَةُ مِنْ مَنَافِذِ غُرْفِهِ قَدْ شَارَفَ النَّاسَ يَبْغِي أَنْ يُفَاهِئَهَا
 وَقَالَ: هَلَا رَضِيتُمْ مِنْ عَهْدَتِي لَهُ وَلَيْسَ مِنِّي أَخَا قُرْبَى أَرَأَيْتُمْ
 عَهْدَتِي فِينَكُمْ مِنْ بَعْدِي إِلَى عُمَرَ بِذِي الْخِلَافَةِ هَلْ بَنِمَ مُطِيعِيهَا
 قَالُوا: نَعَمْ فَأَنْشَى عَنْهُمْ لِفَرَشَتِهِ مَعَالِجًا سَكَرَاتِ الْمَوْتِ غَاشِيَهَا
 فَجَاءَهُ ابْنُ عُوفٍ قَائِلًا: عُمَرُ دُوْ غُلْظَةٍ فَبَوَّ قَاسِيِ النَّفْسِ جَافِيَهَا
 فَكَيْفَ وَلَيْتَهُ أَمَرَ الرَّعِيَّةَ نَا دَى: لَا تَخْضَبُهَا وَلَا تَرْهَبُ تَمَادِيَهَا
 قَدْ كَانَ يَغْلُظُ ابْنَ أَبِي الْثُبُوءَةِ أَوْ يَلِينُ ابْنَ غُلْظَةِ النَّاسِ أَبْدِيَهَا

لما عرف أبو بكر أن الموت نازل به لاهلته استدعى اليه عثمان بن عفان وكان يستكتبه غالباً وقال له اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة عثمان اما بعد » ولم يلقه أبو بكر الى هذه الكلمة حتى انغمى عليه فسرع عثمان من عند نفسه وكتب وابو بكر مضى عليه « فاني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ألكم خيراً » واخذ به ذلك يرقب أبا بكر الى ان أوقف فقال اقرأ علي ما كتبت فقرأ ما كتبه حتى الذي كان من عند نفسه فكثير أبو بكر وقال اراك خفت ان يختلف الناس ان مت في غيبي . قل نعم . قل والى الله عن الاسلام واهله خيراً . ولي هنا ان اسأل هل كان عثمان مجتهداً فكتب اسم عمر في العهد وابو بكر في غشيته أم كان مضطرباً على سر هذا العهد ؟ ثم أن ابا بكر اتم املاء العهد فكات صورته هكذا بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد ابو بكر بن ابي قحافة عثمان ، اما بعد فاني قد استخلفت عليكم عمر ابن الخطاب ولم ألكم خيراً . حيث أبلت رأيي . واعلمت فكري . فرأيت ان هذا الامر لا يصلح لآخره . الا بما يصلح به اوله . ولا يحمله الا افضل العرب مقدرة . واملسكم لنفسي . واشدكم في حال الشدة . واسلمهم في حال اللين . واعلمهم برأي ذوي الرأي . لا يتشغل بما لا ينيه . ولا يحزن لما لم يزل به . ولا يستحي من التلم . ولا يتحجب عند البديهة . قوي على الامور . ولا يجوز يتي منها حدة . وعدواً ولا قصيراً . برصد ما هو آتاه من الخبر » اه
 وبعد ان تمت كتابة العهد استدعى أبو بكر عمرأ فلما مثل بين يديه دل له : « اني قد

فَسَارَ مُقْتَنِعًا أَوْ غَيْرَ مُقْتَنِعٍ
فَجَاءَهُ طُلْحَةُ وَالنَّارُ تَقْدَحُ مِنْ
وَقَالَ: مَا أَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ مُعْتَذِرٌ
وَقَدْ تَرَكْتَ لَنَا فُظًّا فَأَنْفُسَنَا
إِنَّ الْقُلُوبَ لَفِي قَاسِي غَلَاظِهِ
فَقَالَ: وَيْلَكَ هَلْ بِاللَّهِ تَرْهَبُنِي
فَإِنْ يَقُلْ خَالِقِي مَا أَنْتَ قَائِلُهُ
فَسَارَ هَذَا وَمَنْ يَذَرِي خَبِيثَةً صَدَّ
كَذَا الْخِلَافَةَ بَاتَتْ فِي يَدَيَّ عُمَرُ
وَبَعْدَ مَوْتِ أَبِي بَكْرٍ وَلَهُدَيَّ
تَسَابَقَتْ أُمَّهُ الْهَادِي لِسُجْدِهِ
هُنَاكَ قَامَ خَطِيبًا بَيْنَهَا فَدَعَا
وَنَالَ يَبْعَثُهَا طَرًّا وَلَمْ يَكْ مَوْ

بِحَالَةٍ كَيْسَ غَيْرُ اللَّهِ يَذَرُهَا
عَيْنُهُ مَا كَانَ غَيْرَ الْحَقِّ مُلْظِمَهَا
بِهِ غَدًا إِنْ جَنَّ الْخُلْدُ تَأْتِيهَا
تَخْشَاهُ فَاشْفَقْ عَلَيْهَا مِنْ مُخْشِيهَا
لَا بَدْءَ تَنْفَضُّ عَنْهُ وَالْقَلَا فِيهَا
وَفَعَلَنِي هَلْ عَلَيَّ الْيَوْمَ تَنْعِيهَا
أَقُلْ عَلَى أُمِّي وَلَيْتَ ذَاكِهَا
رَبِّهِ أَلَيْكَ كَانَ عَنْ كَرَمِ مُخْشِيهَا
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَوَقَّى اللَّهُ رَاعِيهَا
بِقُرْبِ طَمَ أَلَيْكَ قَدْ كَانَ مُؤْصِيهَا
إِطَاعَةً لِأَبْنِي حَفْصِ مُنَادِيهَا
هَذَا أَنْ تَطْلُعَ فَمَا أَبَدَتْ تَعَصِيهَا
لَنَا أَلَيْكَ لَذَلِكَ أَلْمَزَ آيِنَهَا

استخفك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاصيبك بتقوى الله » ثم قال : « يا عمر
إنَّ لله حقاً بالليل ولا يقبله في النهار . وحقاً في النهار لا يقبله في الليل . وانه لا يقبل نافله حتى
تؤدى الفريضة . ألم تر يا عمر انما قلت موازين من قلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وقوله
عليهم . وحق ايذان لا يوضع فيه غداً الا حتى أن يكون قليلاً . ألم تر يا عمر انما قلت موازين
من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفتهم عليهم . وحق ايذان أن لا يوضع فيه
الا باطل أن يكون خفيفاً . ألم تر يا عمر انما زلت آية الرخاء مع آية الشدة . وآية الشدة مع آية
الرخاء . ؟ . ليكون المؤمن راغياً راعياً ، لا يرغب رغبة يتنى فيها على الله ما ليس له . ولا يهرب
رهبة يلقى فيها يديه . ألم تر يا عمر انما ذكر الله أهل النار بأسوأ أفعالهم فذا ذكرتهم قلت اني
لا أوجو أن اكون منهم . وانه ذكر أهل الجنة بأحسن أفعالهم لانه تجاوز لهم عما كان من
سيئه . وهذا ذكرتهم قلت : أين عملي من أفعالهم ؟ . فإن حفظت وصيتي فلا يكونني عاباً أحب
إليك من حاضر من الموت ولست بمحزوه » اهـ

وبعد ان اوصى ابو بكر عمر بما تقدم ارسل عهده مع غلامه له يحرسه عمر ليقراء على
الناس نخرج عمر باللام ومعه العهد لجمع المسلمين حيال بيت أبي بكر وتمراً الغلام العهد بينما كان
يقول لهم هم انقصوا واسموا خليفة رسول الله فانه لم يألكم نصحاً . فلما انتهت تلاوة العهد
قال الناس سمعنا واطعنا فلما سمع ابو بكر وهو على فراشه صياح الناس بقولهم سمعنا واطعنا لمحال

لَكِنَّمَا هَمَسَتْ نَفَادُ عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ بِأَذَانٍ مَنْ كَانَتْ تُنَاجِبُهَا
وَسَارَ فِي النَّاسِ قَوْلٌ لَأَجُوبَ لَهُ هَلْ الْخِلَافَةُ إِذْثُ كَيْ يُلَجِّبُهَا
وَكَانَ يُدْعَى أَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةَ طَسَهَ فِي خِلَافَتِهِ مِنْ كُلِّ أَهْلِهَا
وَإِذْ قَضَى وَتَوَلَّى بَعْدَهُ عُمَرُ قَدْ حَارَتْ النَّاسُ فِي تَلْقِيبِهَا وَإِلَيْهَا
كُنْتُ بِتَلْقِيبِهِ لَفْظَ الْخَلِيفَةِ لَكِنْ ثَنِيَّةً أَلْفَظَ مَا طَابَتْ لِوَاعِيَهَا
فَاسْتَحْسَنْتَ بَعْدَهَا تَلْقِيبَهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ يَدْعُوهُ دَاعِيَهَا
فَكَانَ أَوَّلَ مَدْعُوٍّ بِهِ وَغَدَتْ مِنْ بَعْدِهِ الْخُلَفَاءُ يَتْلُو أَسْمَاءُهَا
وَرَأَيْ حَبْرَةَ فِي ذِي الْخِلَافَةِ يُلَفِّفُهُ مِخْطَبَتِهِ الْقَمَرَاءُ قَارِيَهَا
قَالَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ قُبِيلَ وَفَا تَبَّ إِلَى عُمَرَ قَدْ رَاحَ مُوَلِّبُهَا
فَاعْجَبَ لَهُ وَهَوَّجِي كَانَ يَطْلُبُ أَنْ يُقَالَ مِنْهَا وَيَشْكُو مِنْ تَوَلِّبِهَا
حَتَّى إِذَا مَا قَضَى أَمْسَى مُوَرِّبَهَا لِأَخَرِ بَعْدَهُ يَهْوَى تَذَرِبَهَا
لَشَدِّ مَا أَقْنَسَا دُونَ أَصْحَابَةِ ضَرَّ عَنِهَا وَقَدْ رَوَّيَا مِنْ دَرِّ أَثَرِهَا
وَبَعْدُ صَبْرَهَا فِي حَوَزَةِ خُسْنَتْ جُرُوحَهَا غَلْظَتْ قَدْ خَابَ آسِنُهَا
مِنْهَا لَيْسَ كَثْرُ قَوْلِ الْأَعْتِدَارِ وَيَكْثُرُ الْإِعْثَارُ كَمَا يَخْشَى الْوَرَى فِيهَا

على نفسه واخرج راسه من شرفة بيته وقال «أترضون بمن استخلفت عليكم؟ فاني لم استخلف عليكم ذات قرابة. واني قد استخلفت عليكم عمرا. فاسمعوا له وأطيعوا. فاني والله ما آلوت من جهد الرأي» فجاوبوه سمعنا وأطعنا.

اما اكابر الصحابة فما راق لهم استخلاف عمر فاسجدوا لرجل بن عوف اليه وقاله: ان عمرا لنو غلظة وقد استخلفته علينا قال ابو بكر: ذلك لانه يراني رقيقا، ولو قد أفضي الامر اليه لترك كثيرا مما هو عليه، وقد دمقته اذا ما غضبت على رجل اراني الرضى عنه، واذا ألت له اراني الشدة عليه. فخرج ابن عوف والله يبع ما في نفسه. فدخل طلحة على أبي بكر وقال: ما انت قتل لربك غدا يا أبا بكر وقد وليت علينا فظا غليظا تفرق منه النفوس وتنفض عنه القلوب. قال ابو بكر اسندوني وكان مستلقيا على ظهره فاسندوه جلس وقال لطلحة: أيا الله تخوفني؟ واذا قل لي الله ذلك قلت ولست عليهم خير اهلك. فخرج طلحة وفي نفسه مالا يطمعه الا الله اما سيدنا علي عليه صلوات الله فانه لم يدخل في هذا الامر ولم يكن له فيه رأي

وبعد وفاة ابي بكر دفنه عمر بجوار رسول الله وجعل رأسه عند منكبيه صلى الله عليه وسلم وخرج بعد ذلك الى المسجد لخطب في الناس واخذ يمتهم فتر يتخلف للناس عنها وبالهداية فيهم

كَالْثَاقَةِ الصَّعْبَةِ الْهَوَجَاءِ لَيْسَ أَمِينًا مِنْ مُعَاجَزَةِ الْأَخْطَارِ مَا طَبَعَهَا
 إِنْ رَأَى بِسُتْقِهَا لَا شَكَّ يَحْرُمُ أَنْفِهَا وَتُؤْذِنُهُ إِنْ أَمْسَى مُوَاتِنَهَا
 وَعَمَرَكَ اللَّهُ إِنْ النَّاسَ قَدْ مُنِيتَ بِهَا فَمَا هِيَ تَدْرِي كَيْفَ تُعْشِيهَا
 فَمَنْ شِمَاسٍ إِلَى خَبْطٍ بَعِيدٍ تَلُوْهُ نَ وَسُوْهُ أَعْتَاضٍ فِي تَخْطِئِهَا
 وَهَلْوَهِ مُخْنَبِيٍّ مَعَ هَوْلٍ شِدَّتِهَا وَطُولٍ مَدَّتِهَا بِالصَّبْرِ أَجْلِيهَا
 ذَا قَوْلٍ حَبْدَرَةٍ فِي أَمْرَةٍ عَمَرُ قَدْ كَانَ أَخَذَهَا مِنْ كَفِّ مُغْطِيهَا
 لَكِنَّهُ كَانَ أَسَى هَيْهَ وَهَيَّ أَنْ يَنْخَسَ النَّاسُ شَيْئًا مِنْ مَا تَنْهَى
 قَالَتْ فِي عَمْرٍِ أَيْضًا مَقَالَةً حَقِّ مِثْلُهُ لَيْسَ يَرْضَى أَنْ يُوَارِيَهَا
 قَالَتْ: اللَّهُ أَرْضٌ أَنْبَتَ عُمَرَا قَدْ رَأَيْنَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ يَأْتِيهَا
 فَلَيْتَمَا الْأَوْدُ الْمَعْوَجُ قَوْمُهُ وَكَانَ لِلْعَمَلِ الشَّيْءُ مُدَاوِيهَا
 وَسِنَّهُ الْمَصْطَفَى حَقًّا أَقَامَ وَلَكِنْ خَلَفَ الْفِتْنَةُ الْكِبْرَى وَمُؤَرِّبَهَا
 وَسَارَ وَهُوَ تَقَى الْكُؤُوبَ غَيْرُ كَثِيرٍ الْعَلَبِ مُتَرَكًّا بِلَوَى نَعَائِيهَا
 وَكَانَ مُجْتَنِبًا خَيْرَ الْخِلَاقَةِ سَا يَقَا شُرُورًا تَعَالَى صَوْتُ سَاكِهَا
 بِحَقِّ خَالِيهِ قَدْ كَانَ خَائِفُهُ وَإِنْ طَاعَتْهُ أَمْسَى مُوَدِّيَهَا

الراضون وبهم المتظاهرون بالرضاء وهم كارهون وكان في جلة المبشرين سيدنا علي عليه صلوات الله
 ولم يد سمع عمر ما كان يهاج به بعضهم عن عهد أبي بكر له فتجاهله
 ثم أن الناس صاروا يسمون عمرًا خليفة خليفة رسول الله لأن أبا بكر كانوا يسمونه خليفة
 رسول الله وكانهم اعتبروا عمرًا خليفة أبي بكر . ثم لهم استقلوا هذه التسمية فسموا عمرًا « أمير
 المؤمنين » فكان أول من لقب بهذا اللقب

أما رأي سيدنا علي عليه صلوات الله باختلاف أبي بكر لمر قد أبانه بأحدى خطبه إذ قال:
 « حتى متى الأول ليله ، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده ، فإعجاباً بين هو يستقيها
 في حياته ، إذ عقدها لا آخر بعد وفاته ، لشدة ما تشترها ضرعيها فصرها في حوزة خشناء ينظ
 كلها ، ويخشن مشها ، ويكثر النار فيها ، والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصبة ، ان اشتق لها
 خرم ، وإن السلس لها تحجم . ففي الناس لمر الله بخرط وشماس . وتلون . واعتراض . فصبرت
 على طول اللذة وشدة الهنة » اهـ

وأشار المرتضى بقوله هذا إلى ما كان يقوله أبو بكر في حياته مراراً وتكراراً « أئيلوني
 منها » وهو صعب كيف كان يطلب في حياته الاستقالة من الخلافة ثم يهد بها إلى غيره على ههذه

وَحَلَفَ النَّاسَ لَمَّا مَاتَ فِي طُرُقٍ تَشَعَّتْ أَنْهَبَتْ تَأَلَّهُ مَا شَبَّهَا
مَا إِنْ بِهَا الْمُتَهْدِي مُسْتَقِينَ وَكَذَا مَنْ ضَلَّ مَا زَالَ فِيهَا يَشْتَكِي أَلْسِنَهَا
بِذَا أَشَارَ عَلَيَّ لِلْخِلَافَةِ فِي عَهْدِي بِهِ عَمْرٌ قَدْ كَانَ كَاسِنَهَا
وَكَيْفَ أَمْنَهَا حَيًّا وَحَلَفَهَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَصْرُوفَ الْأَعْرُ تُشْقِيَهَا
فَكَانَ مُنْصِفُهُ فِي حُكْمِهِ وَفِيمَا لَهُ الْحِسَانُ بِخَيْرِ الْمَدْحِ مُبْدِيَهَا

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَهَلَةِ عَمْرٍ

كَانَ أَلَيْبِي لِدَاكَ أَلْهَدِي مُلَازِمًا شَرِيفَةً الْمُصْطَفَى يُبْدِي خَوَافِيهَا (١)
يُنْفِي بِهَا بَيْنَ أَهْلِهَا أَلَا لِي عَرَفُو هُ أَوْسَعُ النَّاسِ فِي الْأَحْكَامِ تَقْنِيَهَا
وَكَانَ يَقْصِدُهُ فِي كُلِّ مُضِيلَةٍ بَدَتْ لَهُ عَمْرٌ يَدْعُوهُ مَقْنِيَهَا
وَذَاتَ يَوْمٍ أَبُو حُصَيْنٍ لَقَدْ نَزَلَتْ بِهِ مُلِمَةٌ مُسَوِّدَةً رَأَى يَفْنِيَهَا
وَلَمْ يَجِدْ ذَا حِجِّي مِنْ صَحْبِهِ وَمُسِيرِهِ بِصَائِبٍ آرَاهُ يُجَلِّيَهَا
قَالَتْ : وَهَلْ مَفْزَعٌ إِلَّا كَيْفَ يَعْمُرُ إِنْ تَذَمُّعَ النَّاسَ فِي يَوْمٍ دَوَاهِيَهَا
قَالَ : لَا تَكْتُمُوا الرَّأْيَ أَلَسَيْدُكُمْ أَلَسَرُوشُ تَدْعُمُ إِلَّا فِي مُسِيرِيَهَا

بِعِدَمَاتِهِ أَمَّا اللَّهُ أَنْ فِي ذَلِكَ لَعِبًا

على أن مولانا الملقب عليه صلوات الله هو أسي وأعي فندراً وهمة أن يبخس الناس أشياءهم وإذا كان يرى حقه قد غصب أولاً وثانياً وثالثاً فإن ذلك لم يحمه عن أن يقول في عمر بن الخطاب كلمة حق فقال : « لله بلاد فلان (واجمع مفسرون نهج البلاغة على أن فلاناً هذا هو عمر بن الخطاب كما أن في القائل ما يشير إليه) قد قُومَ الْأَوْدُ ، ودأوى المد ، وأقام السنة ، وخطف الفتنة ، ذهب نبي التوب ، قليل اليب ، أصاب خيرها ، (ويريد الخلافة) وسبق شرها ، أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ ، رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ (أي المسلمين) فِي طَرُقٍ مُتَشَبِّهَةٍ ، لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ ، وَلَا يَسْتَعِينُ الْهَادِي » أه ولعمري الحق قد انصف أمير المؤمنين عمر في حكمه ولم يأخذ عليه إلا تركه الناس من بعده على ما تركهم عليه مما كثرت منه التكرى وعمت فيه البلوى على ملئ

(١) من المعلوم أن النزاع كان شديداً بين القائلين بخلافة سيدنا علي عليه صلوات الله وإنا غصبت منه أولاً وثانياً وثالثاً وبين الذين لم يتكروا أنه كان الأفضل والاخلق بها مع اجازة ولاية الفضول بحضور الأفضل وإنا لا نتعرض لأقوال هؤلاء وهؤلاء على كثرتها ولكننا نقول إن هذين الفريقين ولك أن تسميهم أهل السنة وأهل الشيعة بمحتوا طويلاً وتجادلوا ملياً في موقف سيدنا علي بإذاء الحلفاء الثلاثة الذين تقدموه ولكل فريق من ذينك الفريقين استنتاجات استجوها لتأييد

قَلَمْ يَكُنْ مِنْ ذَوِيهِ رَبُّ مَسُورَةٍ يُزِيحُ نَازِلَةً قَدْ رَاحَ خَاشِعَهَا
قَالَ: أَعَلِمْتُ مَعَكُمْ بِالْخَيْرِ بِهَا وَبِأَنْ نَجِدَهَا مُجْلِي دَيَاجِنَهَا
قَالُوا: لَعَلَّ الَّذِي تَخْنِيهِ حَيْدَرَةٌ فَإِنَّ آرَاءَهُ مَا مِنْ يُخْطِئُهَا
أَجَابَ: مَا مِثْلُهُ مِنْ حُرَّةٍ طَفَحَتْ وَمَا سِوَاهُ لَهُ الْحَاجَاتُ أُسْدَرَهَا
قَالُوا: أَلَا قَادَعُهُ حَالًا لِمَجْلِسِكَ أَلَمْ يَلِي وَدَعَوْتُكَ أَتَقْلِبُا يُلَبِّسَهَا
أَجَابَ: إِنَّ هُنَا شَمْعُ اقْرَأَةِ مِنْ طَبْعِهِ وَإِثْرَةٌ عِلْمٍ قَدْ تَوَازَيْنَا
يُؤْتِي وَهَيْهَاتَ أَنْ يَأْتِي وَسَاحَتُهُ أَخْلَقَ بِنَا أَنْ نُرَاعِيهِ وَتَأْتِيهَا
هُبُورًا إِلَيْهِ فَهَبُوا وَالْخَلِيقَةُ مِنْهُمْ لِلَّذِي فَاقَ كُلَّ النَّاسِ تَجْوِيهَا

وأهم . على ان مالا رب فيه ان سيدنا امير المؤمنين عليه صلوات الله كان ابل غايه واسى قدراً
من ان يضع مصلحة الاسلام حياً بمصلحته مع انه على ما هو صريح من خطبه وكتبه والاقوال
المأثورة عنه انه كان ثابت عند القول بان حقه في الخلافة قد غصب ونهب . وخلق بنا معاش العرب
ومن على ايواب نصفه جديدر نال الله ان تكون مباركة ان تمثل هذا الامام الاكبر فلا ينجم
صاحب حق وقد سلب منه على الامة ويعمد الى الاضرار بها انتقاماً لحقه المنسوب لما تعلم ان الافراد
تحتدي الجبايات نفوسها ولكن لا يجوز ان تذهب الجبايات فداءً للافراد

وكان سيدنا علي عليه صلوات الله في عهد ابني بكر ملازماً بيته يني بجمع ما تفرق من كتاب
الله واقتاد المسلمين بما يشكل عليهم من امور دينهم ولا يسل على الخليفة بالنصح والارشاد اذا
استنصحه واستشدر شدة وقد قل . وكذلك كان في عهد عمر فقد كان لا يلو نصحاً وارشاداً ووعظاً
وتنبيهاً وكان عمر أعرف الناس بقدر امير المؤمنين وعلمه واحرصهم على اكرامه وتعجيله والتبويه
باسمه تلك على ذلك القصة التالية :

حدثنا المحدثون ان عمر أزلت به يوماً نازلةً فقام لها وقعد وترنح لها وهطرت وقال لمن عنده:
يا معشر الحاضرين ما تقولون في هذا الامر ؟ فقالوا يا امير المؤمنين أنت الفزع والمزع فغضب
وقال : يا ايها الذين آمنوا اتوا الله وقولوا قولاً سديداً . ثم قال : أما والله اني وإياكم لتعلم
ابن نجبته والخير بها . قالوا : كأنك أردت ابن ابني طالب . قال : وانتي يسدل بي عنه ؟ وهل
طفحت حرته مثله ؟ قالوا : فلو دعوت به يا امير المؤمنين . قال : هيهات ان هناك شمخاً من
هاشم واثرة من علم ولجة من رسول الله يتوئ ولا يأتي فامضوا بنا اليه . فقصوا نحوه
وافضوا اليه فأنقذه في حائط له عليه تبيان وهو يترك على مسطحة ويقرأ لمحبب الانسان ان يترك
سدى الى آخر السورة وكانت دموعه تهيم على خديه فأجش الناس بكائه فبكوا ثم سكث فبكوا
فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدر جوابها . فقال عمر : اما والله لقد اردك الحق ولكن ابني
قومك . فقال امير المؤمنين عليه صلوات الله : يا أبا حفص خفض عليك من هنا ومن هنا ان يوم
الفصل كان ميقاتاً . فوضع عمر احدي يديه على الاخرى واطرق الى الارض وخرج كاهه ينظر في رءاه . اه

حَتَّى إِذَا مَا اتَّسَحَرُوا مِنْ دَارِهِمْ دَخَلُوا هَا بِأَحْزَامٍ لِمَنْ بِالْمَجْدِ يُنَوِّنُهَا
الْفُؤَادُ مُؤَتَّرًا تَبَانُهُ وَيَخْلُوعَةً يَمِهَا الْغُرَّةُ أَلْمَلِيَا يُنَاجِبُهَا
وَكَانَ يَنْلُوقَتِي آيَ التَّزْهِدِ كِي يَرَوْضَ النَّفْسَ تَرْوِيضًا فَيُسْجِنُهَا
وَكَانَ يَنْكِي قَابَكُمْ وَيَطْلُبُ الرِّضَى لِأُمْتِهِ مِنْ فَضْلِ بَارِيهَا
حَتَّى إِذَا كَفَّكَ اللَّعْنُ الْهَطُولُ وَكَفَّكَوَا الدُّمُوعَ الَّتِي فَاضَتْ مَجَارِيهَا
أَبْدَى لَهُ عَمْرٌ حَافِي مَسَاكِلِهِ وَقَالَ: مَا أَرَأَيْ قُلُ لِي كِي أَدَارِيهَا
فَرَّاحَ يُبْدِي عَلَيَّ مِنْ زَكَاتِهِ السَّرَّاءِ السَّيِّدَةِ لِيَجْلُوَهَا وَيَقْبِهَا
فَأَذْهَبَنَّ النَّاسُ ذِيكَ الدَّكَاةَ وَلَمْ تَجْمَلُهُ مِنْ قَبْلُ أَنْ أَمْسَى مُنْأَمِيهَا

نقول ومن هذه الموقفة تعلم كيف كان عمر يحترم أمير المؤمنين عليه صلوات الله وقدرته
فضله وعلمه وكيف كان أمير المؤمنين حاضر القهقري سديد الرأي يحل المشاكل التي تعرض له بالسرعة
التي حلها ليس وهو واقف بين يديه وما هذا بكثير على سيدنا علي على معارف الناس من علمه وقضاه
وكان عمر على ملعل الناس شديداً سريع الفضب كثير الصخب وهذا يجمع عليه لا اختلاف
فيه وكانت الصحابة والانصار يتقيه وتحتاه الاسيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله فقد كان وحده
يتصدى له ويمترضه وكيف لا يكون كذلك وهو القوي ما كان يرهب في الحق لومة لائم . وحدث
في ذات يوم ان عمر استدعى امرأة حاملاً لتأدية شهادة أمامه فحضت فرقا من هيته وشدة
فأسر باخراجها من حضرة وبقي بوجل من مسؤولية اجهاضها امام الله والشرعة فاستفتى في ذلك
أكابر الصحابة فقالوا لا حرج عليك في شدتك وانما أنت سري . وكان في ذلك المجلس سيدنا أمير
المؤمنين عليه صلوات الله فضض للشرعة غضبة « هاشمية » وقال: حنانك يا عمر فإن كان أصحابك
بما قالوا قد راقبوك فقد غشوك وان كان جمد رأيهم فقد أخطوا . والحققة أنك مذب في هذه
الشدّة التي سببت هذا الضرر وعليك تحرر رقة كفارة عن ذنبك فراجع عمر الى حكمه وأمر بتحرر
رقة وقال « لولا علي لهلك عمر » وكان عمر يكرر هذا القول في كل موضع يتصدى له فيه سيدنا
علي عليه صلوات الله للمحافظة على حقوق الله كما هو مشهور

وما كان سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله ييخل على عمر بنصائح الرشيدة وآراءه
السديدة سواء في سياسة الأمة أو في حروبه مع الروم والفرس على ما هو مشهور ومعلم
وقصارى القول ان أمير المؤمنين كان يخلص النصيحة ليس حباً بمصلحة الاسلام وانسانين
وما كانت تتخلف عن المصلحة العامة مصلحة الخاصة التي ضاعت فهل فيها نحن ماثرا العرب من بنحو نحوه
ويتأثر خطاؤه اذا ضاعت مجهوداته ونحس حقه في هذا العصر ؟

« ترجمة عمر بن الخطاب »

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن قتيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن
زراح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب ويجمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في لؤي .

وَقَالَ لِمُرْتَضَى رَبِّكَ أَذْكَاءَ عَمْرٍ مَقَالَةً قَالَ قَبْلًا مَا يُضَاهِيهَا
أَرَادَكَ الْحَقُّ لَكِنَّ الْأَنَامَ أَبَتْ تِلْكَ الْإِرَادَةَ نَادَى الْمُرْتَضَى لَوْهَا
خَفِضَ عَلَيْكَ أَبَا خَفِضَ بِحَقِّكَ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا الْأَقْوَالُ تُثْلِفُهَا
فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْفَصْلِ عِنْدِي مِيقَاتًا وَأَحْوَالُهُ أَذْرِي خَوَافِهَا
فَدَقَّ كَهْمًا بِكَهْمٍ سَاهِيًا عَمْرٍ بِنَظَرَةِ الْبَرَى قَدْ رَاحَ مُلْقِيهَا
وَسَارَ تَبَعُهُ أَصْحَابُهُ وَعَلَيْهِ عَادَ لِلْخُلُوعِ الْمَحْمُودُ رَاضِيهَا
وَتِلْكَ مَوْقَعُهُ مَا بَيْنَ حَيْدَرِهِ وَبَيْنَهُ مَا خَلَّتْ مِمَّا يُدَانِيهَا
كَذَلِكَ كَانَ عَلِيٌّ وَخَدَهُ يَتَصَدَّى لِلْخَلِيفَةِ تَذْكِيراً وَتَنْبِيهاً

وأما أمه فهي حتمة بنت هانم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وكان مولده في مكة في
عام ١٣ بعد الفيل فهو أصغر من رسول الله بـ ١٣ سنة . وأسلم عمر بعد جلاءه من الداس وبعد أن
كان أشد الناس على المسلمين وكان سبب إسلامه أن أخته وبناها أسلموا سرّاً من عمر فدخل اليهما
خياب بن الارت يعلمهما الدين خفية فوشى بهن وإش إلى عمر فجاه دار أخته فاضياً فتوارى خياب
منه داخل البيت فقال عمر : ماهذه الهيعة عندكم ؟ قالت أخته : ماعدا حديثاً تحدثناه بيننا .
قال : أراكم قد صوبتم . قال صهره أرايت أن كان هو الحق ؟ فوثب عليه عمر فوطئه وطأه شديداً
فجاهت أخته فدفعته عنه ففجعا بيده فدمى وجهها ثم ندم ورق وبلس واجأ . فخرج إليه خياب
فقال : أيمر يا عمر فاني أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله لك الليلة قد
استجبت فنه لم يزل يدعو منذ الليلة « اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بمروء بن هشام »
قال عمر صدقت يا صاح وانطلق لساعته وهو متقلد سيفه إلى دار الأرقم بن الأرقم المخزومي التي كان
المسلمون مستخفون بها ورسول الله معهم وكان وقتئذ على الباب حزمة وطلحة وأناس من المسلمين
فوجد القوم من عمر إلا حزمة فانه قال قد جاءنا عمر فإن يرد الله به خيراً يمه وإن يرد غير ذلك
كان قتله علينا ميتاً . وكان رسول الله عندئذ في عرقته مختلياً بناجي ربه فسمع كلامهم وخرج وأخذ
بمجامع قلوب عمر وحائل سيفه وقال « ما أنت بمته يا عمر فخر يزل الله بك من الحزبي والنكالي
ما أنزل بلوليد بن المغيرة ؟ اللهم هذا عمر اللهم أعز الإسلام بعمر » فقال عمر في الحال « أشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ففرح المصطفى والمسلمون بإسلامه فرحاً كثيراً

وكان عمر شديداً غليظاً بقدر ما كان غيوراً حازماً يداك على غلظته ممارسته رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية وله مع المصطفى كثير مثالبها ولكن المصطفى كان بشامع
ممه لما يعلمه من غيرته وحسن نيته . وتعرف شدته من ممارسته رسول الله يوم طلب اللوح
والدواة ليكتب ما يؤمن الناس الضلال يسده . وقد ظهرت شدته على أعدائها في مجتمع القيفة
حيث أراد أن يقتل سمداً وهو زعيم الانصار على ما علمت لانه أبى بركة أبي بكر ولولا أبو بكر
وعبد الرحمن بن عوف لقتله . وكان في عهد أبي بكر هو المنصرف بشؤون الخلافة بشدته واعتدله

وَهُوَ الَّذِي دَوَّنَ التَّارِيخَ شَدِيدَةً وَقَالَ: كَانَتْ وُجُوهُ النَّزْبِ تَقْبِيهَا
فَكَانَتِ النَّاسُ تُخْشَاهُ وَتُرْهَبُ صَخْبَةً لَهُ كَأَنَّ لَا يَنْفَكُ سَاحِبُهَا
وَقَدْ دَعَا حَامِلًا يَوْمًا لِحَضْرَتِهِ يَنْبَغِي الشَّهَادَةَ مِنْهَا كَيْ تُوَقِّرَ بِهَا
فَاجْتَهَضَتْ فِرْقًا مِنْهُ وَأَنْزَلَتْ السَّجِينَ خَوْفًا فَتَادَى مَنْ يُنَحِّبُهَا
وَسَارَ مُسْتَفْتِيًا جَمَعَ الصَّحَابَةَ فِي جَنَابِهِ قَالَ عَمْدًا لَسْتُ جَانِبُهَا
فَاجْتَهَضَتْ وَقَضَتْ أَنْ لَا قَصَاصَ عَلَيْهِ إِنَّهُ لِرِعَايَاهُ مُرَبِّبُهَا
إِلَّا أَلْفِي فِتَادَاهُ بَلَا رَهْبٍ إِنَّ الصَّحَابَةَ قَدْ سَاءَتْ فِتَاوُهَا
فَلَنْ تُرَاقِبَكَ فِيهَا هَمِي حَاوَعَةٌ أَوْ كَانَ ذَا عِلْمٍ إِنْ نِي مُخْطِبُهَا

عنه أبو بكر أنه كان يشتد عند ما يرى أبا بكر يلين للناس ويلين عند ما كان يشتد . وكان في مدة
خلاته لا يجرأ أحد من زعماء الصحابة والانصار على مواجهته ومخالفة رأيه الا سيدنا علي أمير
المؤمنين ولم يذكر المؤرخون الا غيره من أكابر الصحابة والانصار قوي على مناهضته أو جري
على مخالفة أوامره . ومن شدته انه حجر عليهم جيباً في المدينة المنورة فسا كان يسبح لاحدهم
بمبارحتها الا من كان موضع ثقتهم فلتخدمه في حروبه أو ولاء الحكم على بلاده وردياه .

وفي عهد عمر امتدت الفتوحات الاسلامية امتداداً عظيماً ونصر الله المسلمين على ملكي
الروم والفرس بسرعة هائلة فأصبحت دولة الخلافة راسدة السلطان عظيمة الجاه . وكان عمر قابضاً
عليها بيده الحديدية يسيرها على الروح الاسلامية التي بناها محمد بن عبد الله بوحى من الله

وكان عمر تقياً ورعاً زاهداً غير مغرط في أحكام الشريعة الا انه كان يوسع في هاتيك الاحكام
على ما ينقضي به مصلحة الدولة بعد أن اتست ودانت لها مصر والشام واليمن والعراق وقُرس أو مسمطها
واجال القول ان عمر الذي كان في الجاهلية يرعى الابل وينقل عليها متاجره الى الشام
ومصر وقُرس قد برهن على اقتدار عجيب في السياسة والرئاسة والكفاءة النادرة في توسيع - لمطان
المسلمين الى أبعد مدى كان يتظر في السنوات العشر التي تربع بها على عرش الخلافة

وتزوج عمر في الجاهلية زينب ابنة مظلوم من بني جمح من قريش فولدت له عبد الله
وعبد الرحمن الأكبر وخفصة التي تزوجها رسول الله . وتزوج في الجاهلية أيضاً مليكة ابنة جبرول
من خزاعة فأولدها عبيد الله وقد فارقه في هدنة الحديبية . وتزوج قرية ابنة أبي أمية وفرقه .
وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام من بني غزوم فولدت له فاطمة . وتزوج جميلة بنت قيس
من الانصار فولدت له حاصاً وطلقها . وتزوج أم كلثوم بنت سيدنا علي فولدت له زيداً ورقية ومات
عنها . وتزوج لهية من اليمن فولدت له عبد الرحمن الأصغر . وتزوج حاتكة بنت زيد بن عمرو .
وخطب أم كلثوم ابنة أبي بكر التي ولدت له بميد وفته وهي صغيرة وأرسل فيها الى أخيها عائشة
زوجة رسول الله وكانت تربها عندها فقالت الامر اليك ثم خاطبت الفتاة أم كلثوم بذلك فقالت
لاحاجة لي فيه فقالت عائشة ترغين عن أمير المؤمنين ؟ فقالت نعم انه خشن البش شديد على النساء

عَلَيْكَ تَحْرِيرُ عَبْدِي كَيْ تَكْفِرَ عَنْ جَنَابَةِ أَنْتَ عِنْدَ الشَّرْعِ آتِيهَا
فَلَمْ يَسَعْ عَمراً إِلَّا الْخَضُوعُ لِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ قَادِي: أَنْتَ قَاضِيهَا
وَقَالَ لَوْلَا عَلِيٌّ مَا تَجَا عَمْرٌ مِنْ الْهَلَاكِ وَأَتْلَى الْقَوْلَ تَأْوِيهَا
نَعَمْ فَإِنَّ عَلِيًّا فِي الشَّرِيعَةِ لَا يَنْبَغِي سِوَى مُؤْتَفَى الرَّحْمَنِ مُوَحِّبَهَا
وَلَا يَهَابُ عَظِيمًا فِي أَوَامِرِهَا وَلَا يُجَارِي وَجِبَهَا فِي نَوَاهِيهَا
وَكَانَ يَعْرِفُ قَدْرَ الْمُتَقَفَى عَمْرٌ مُتَوَهِّجًا بِأَسْنِهِ فِي الْخَلْقِ تَنْوِيهَا
وَهُوَ الْمُسْتَبِيرُ عَلَيْهِ فِي مُعَالَجَةِ الصِّعَابِ مِنْ بَعْدِ أَنْ تُعَيِّي مُسْتَبِيرَهَا
وَكَانَ مُتَمِيزًا آرَاءَهُ مُحَرُّو بِيَا الْقُرْمِ وَالرُّومِ لِمَا رَاحَ صَالِبُهَا
وَلَمْ يَكُنْ عَمْرٌ يَوْمًا لِيَنْكُرَ آ لَهَ الْعَلِيِّ الَّتِي أَلْتَارِيخُ يُنْشِئُهَا

فَأُرْسِلَتْ طَائِفَةٌ إِلَى عَمْرِو بْنِ النَّاسِ فَأَخْبِرْتَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ اكْفَيْكَ عَمراً وَسَارَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ يَا مَعْ
الْمُؤْمِنِينَ بَلْفِي خَيْرٌ أَعْيُنُكَ بَاقَةٌ مِنْهُ قَالَ مَا هُوَ ؟ قَالَ خَطَبْتُ أُمَّ كَلْثُومَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ قَالَ نَعَمْ أَفَرِغْتَ
بِي عَنْهَا أَمْ رَغِبْتَ بِهَا عَنِّي ؟ قَالَ لَا وَاحِدَةٌ وَلَكِنِّي حَدَثْتُ نَشَأَتٍ تَحْتَ كَنْفِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ طَائِفَةٌ فِي
لَيْلٍ وَرَفَقَ وَفِيكَ غُلْطَةٌ وَمِنْهَا بَابُكَ وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَزِدَكَ عَنْ خَلْقٍ مِنْ أَخْلَاطِكَ فَكَيْفَ بِهَا إِنْ
خَالَفْتُكَ فِي شَيْءٍ فَطُوتُ بِهَا فَكُنْتُ قَدْ خَالَفْتُ أَبَا بَكْرٍ فِي وَلَدِهِ بَضِيرٍ مَا يَحِقُّ هَلِيكَ قَالَ فَكَيْفَ
بِمَائِثَةٍ وَقَدْ كَلَّمَا قَالَ أَنَا لَكَ بِهَا وَأَذَلِكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْهَا أُمَّ كَلْثُومَ بِنْتَ عَلِيٍّ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ تَمْلُقُ بِهَا
يَنْسَبُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فَاتَّقِنِ عَمْرَ وَزَوْجَ أُمِّ كَلْثُومَ . وَكَذَلِكَ خَطَبَ عَمْرُ أُمَّ أَبَانَ بِنْتَ عَتَبَةَ بِنِ
رَبِيعَةَ فَكَرِهَتْهُ وَقَالَتْ « يَفَاقُ بَابَهُ وَمِنْهُ خَيْرُهُ وَيَدْخُلُ طَائِفاً وَيَخْرُجُ طَائِفاً »

وَكَانَ عَمْرٌ مَشْهُوراً بِمَدْلِهِ وَفَضْلِهِ وَكَلَالَتِهِ شَهْرَةً لَا يَخْلَفُ فِيهَا إِنْتَانُ الْإِسْلَامِ مَعَ مَا عَرَفَ عَنْ
حُزْمِهِ وَسِدَادِ رَأْيِهِ عَجَزَ عَنْ ضِمَانِ رَاحَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ كَمَا ضَمَّنَهَا فِي حَيَاتِهِ فَتَرَكَ الْأَسْرَ شُورَى
مِنْ بَعْدِهِ عَرْمَةً لِلْقَضَاءِ وَالتَّقْدِيرِ وَالبَاحِثُونَ الْمُتَقَوُّونَ فِي التَّارِيخِ مَازَالُوا فِي حَبْرَةٍ مِنْ هَذَا الْأَسْرِ أَوْ
أَنَّهُمْ كَانُوا وَلَا يَزَالُونَ يَتَحَاشَوْنَ الْحَوْضَ فِيهِ بِحِمْرَةٍ يَتَذَرُّ عَلَى الْمُؤَرِّخِينَ الْإِسْتِمْسَاكَ بِهَا مِنْ غَيْرِ إِنْ
يَتَرَمَّضُوا إِلَى مَا لَا يَجِبُونَ مِنَ النَّمْرِ وَالْمَزْ وَعِنْدِي عَلَى ضَمْفِ رَأْيِي وَقَوْلِي عَلِيٍّ إِنْ عَمراً الَّذِي طَالَمَا لَحَظَ
تَوْسِعَ مَعَاوِيَةَ فِي الشَّامِ وَعَجَزَ عَنْ اسْتِغْلَاصِهَا مِنْهُ كَمَا قِيلَ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْعَمَالِ مَا ذَنْهُ إِنْ هَذَا الدَّاهِيَةُ
الْأُمَوِيَّةُ يَنْصَرُّ بِمَدْعَانِهَا بَيْنَ قَتْلِهِ وَهُوَ أُمَوِيٌّ مَثَلُهُ مِنْ عُمُومَتِهِ تَحْقِيقاً لِمَطَاعِ أَمِيَّةٍ الَّتِي كَانَتْ لَهَا الزَّمَامَةُ
فِي قُرَيْشٍ عَلَى عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ وَهِيَ تَصُبُّ إِلَى اسْتِغْلَاظِهَا فِي الْإِسْلَامِ نَعَمْ مَا قَاتَهُ هَذَا كَمَا لَمْ يَفْتَهُ حَقُّ
بَنِي هَاشِمٍ فِي الْخِلَافَةِ وَلَا سَهَازَ عِيْمِهِمُ الْأَعْظَمُ سَيِّدَانَا مِمَّنْ الْمُؤْمِنِينَ خَارِجِي أَسْرَهُمْ لَمْ يَجِدْ وَسِيلَةً لِلْخِلَاصِ مِنْ
هَذَا الْمَأْذِقِ إِلَّا بِتَرْكِ الْخِلَافَةِ لِشُورَى حَصْرِهَا فِي السِّتَةِ الْبَاقِيَةِ مِنَ الْبُشْرَةِ الَّذِينَ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ
رَاضٍ عَنْهُمْ تَارِكاً لَهُمْ إِنْ يَدِيرُوا أَسْرَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَهَذَا كَانَ غَايَةَ اجْتِهَادِهِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ اجْتِهَاداً
صَحِيحاً لَمَّا حَدَّثَ عَلَى أَنَّهُ مِنَ التَّوَرَاتِ وَافْتَقَتْ عَلَى مَا سَنَيْنَ ذَلِكَ فِيهَا يَجِيءُ

أمير المؤمنين والتاريخ الهجري

وَلَمْ تَكُ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ ذَاكَ تَارِيخُ أَعْمَالِهَا إِمَّا تُسَمِّيهِمَا (١)
وَلَا رَسَائِلُهَا كَانَتْ تُورِّخُ كَيْ يَذَرِي لَهَا زَمَنَ الْأَوْسَالِ قَارِيهَا
كَذَلِكَ كَانَتْ تَحَارِيرُ الْخَلِيقَةِ مَا أَلْعَمَالُ أَوَّلُهَا تَذَرِي وَثَانِيهَا
وَقَدْ يُحَرَّرُ فِي أُخْرَى رَسَائِلُهُ مَا فِيهِ يَنْسَخُ أَوَّلَهَا وَيُلْغِيهَا
كَانَتْ تَحَارُرُهَا أَلْعَمَالُ بَاجِهَةً أَيْ الْأَوَامِرُ يَنْغِيهَا لِتُجَرِّمَهَا
وَالْأَشْعَرِيُّ يَذَا أَفْضَى إِلَى عَمَرٍ وَقَالَ كُنْتُكَ تَرَى حَارَ تَالِيهَا
وَمَا لَهَا زَمَنٌ فِيهِ تُورِّخُهَا كَيْمَا نُلِمُّ بِبَادِيهَا وَتَالِيهَا
فَذَاكَ أَقْوَمُ فِي تَارِيخِهِ عَمَرٌ يُرِيدُ قَوَى حَصْبُ الرُّأْيِ يَفْتِيهَا
فَكَانَ مِنْهَا أَلْبِي رَامَتْ مُتَابَعَةَ الْأَعْمَالِ عَجَابٌ قَالَتْ بِهِ إِنَّا نُمَاشِيهَا
وَمَنْ أَشَارَتْ بِتَارِيخِ الْيَهُودِ وَقَا لَمْ نَحْنُ فِيهِ خَلِيقٌ أَنْ نُجَارِيهَا
وَمَنْ أَشَارَتْ بِبَاسِ الْأَقْبِلِ قَائِلَةً قُرَيْشٌ اتَّخَذَتْهُ قَبْلُ هَادِيهَا

(١) لم يهتم المسلمون بأسر التاريخ حتى عهد عمر بن الخطاب فكانت كتب المصطفى عليه الصلاة والسلام وكتب أبي بكر وعمر نفسه كما كانت كتب عمال الدولة الإسلامية وكتب المسلمين بعضهم لبعض غفلاً من تاريخ كتابتها وما زال الحال كذلك إلى السنة السابعة عشرة للهجرة وكان الناس إذا جرى بينهم ذكر ولادة أحدهم أو موته من مواعيدهم جملوا تاريخها من عام الفيل الذي هو عام مولد رسول الله أو من حرب الفجار أو من بناء الكعبة إلى مثل ذلك من الحوادث التي كانت مشهورة بينهم . وأول من انتبه إلى وجوب إيراد تاريخ ثابت يرجعون إليه في تاريخ كتبهم ووقائعهم هو أبو موسى الأشعري عامل عمر على البصرة فإنه كتب إلى عمر يقول « تأتينا كتبك وليس لها تاريخ نعرف منه موعد صدورها فينتبه علينا قديمها من جديدها وناسخها من منسوخها فلهذا اتخذت لها تاريخاً نزيل عنا الاشكال وتنظم منه الاحوال؟؟ » فلما انتهى هذا الكتاب إلى عمر انتبه لهذه التلميح وجمع أعيان الصحابة والانصار وعرض عليهم طلب أبو موسى وسألهم أي تاريخ يتبع ؟ فقال قوم منهم ان الاولى أن يتبع تاريخ الفرس وقال آخرون بل يتبع تاريخ اليهود وقال غيرهم بل الاول بنا أن يتبع تاريخ الفيل الذي كنا نستهله في جاهليتنا فأعترضهم أمير المؤمنين عليه صلوات الله وقال : « بل يتبع تاريخ هجرتنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه بدء مجد ديننا الحنيف » فوافق عمر والمخاضون على قوله وحسبوا السبيل التي أمر بتعليمهم منذ هجرتهم إلى ذلك العهد فإذا هي سبعة عشر حولاً فدعوا لهم العام ١٧ للهجرة . ثم تابخوا في الشهر الذي يتبدي منه سنتهم الهجرية فقال بعضهم رمضان لانه أكرم الشهور عند الله وفيه نزل القرآن وقال آخرون

فَصَاحَ حَيْدَرُهُ كَلَامًا وَأَمْتَنَا
وَهَجَرَتُهُ الْمُصْطَفَى مِنْهَا مَفَاخِرُنَا
فَقَالَتِ النَّاسُ: نِعَمَ الرَّأْيِ رَأْيُكَ يَا
وَالِئْهَآ مِنْ حِكْمِكَ بَلَفَتْ
وَسَارَتِ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ أَلْزَمَانٍ عَلَى
لَهَا الْمَزَايَا الَّتِي التَّارِيخُ يُسَنِّيهَا
تَبَدَّلَا فَحَقُّ لَنَا تَذْوِينُهَا فِيهَا
عَلَيْ زَاذَكَ رَبُّ الْعَرْشِ نَجْوِيهَا
مِنْ الْمَقَاصِدِ وَالْأَغْرَاضِ عَالِيهَا
تَارِيخُ هُجْرَتِهَا تُخْصِي مَا فِيهَا

أُمير المؤمنين في خلافة عثمان

وَيَنْتَمَا عُمَرُ يَوْمًا بِمَسْجِدِ طَسَةِ الصَّلَاةِ وَمَا صَلَّى مُصَلِّينَهَا (١)
إِذْ خَرُّ مُلْقَى وَمَطْمُونًا بِسِتْرٍ جَرَا حَاتٍ يَهْدِيهِ بِالْمَوْتِ دَامِيهَا
وَكَانَ طَاعَتُهُ مَوَكِّي الْمَغِيرَةِ إِثْثَارًا لِأَمَّتِهِ إِذْ رَاحَ غَازِيهَا

بل الحرم أولى أن يكون بدء السنة الهجرية إذ فيه ينصرف الناس من حجهم فغلب أن يحسوه
بدء سنتهم فتمتوا على ذلك . ومن ذلك العهد أخذ المسلمون يؤرخون كتبهم ووقائعهم الهامة على
الحساب الهجري . وكان العرب منذ جاهليتهم يمتشون على القمر ويمسبون شهرهم على سيرة قبتدا
عند أهلله وتنتهي عند تمام هاته فظفوا كذلك بعد الاسلام الى يوم الناس هذا
أما عام الفيل الذي كانت قريش تؤرخ منه حوادثها فقصته ان ارمه ملك الحبشة قدم الحجاز
ونزل مكة ومعه خلق كثير وكانوا يركبون الفيلة فارسل الله عليهم طيرا أبابيل فأهلكتهم وهكذا
بمجزئة - سموة سلم الله بيته من ذلك الغازي الذي كان قادما لهدية وقد أشار الله سبحانه الى هذا
الحادث في قرآنه الشريف . ولما هلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابتهم الناس كلهم . وفي
عام الفيل هذا ولد المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم على قول أكثر المؤرخين .

(١) بلغ ملك المسلمين من السنة ماشاء الله أن يبلغ في أقرب ما يكون من الزمن على عهد
عمر بن الخطاب وذلك بفضل الله وعونه وإخلاص المسلمين في دينهم وعدلهم في قصصهم وحكمهم حتى
دانت لهم الشام والحجاز وفارس ومجزت عن لغتهم دول الروم والفرس وحي الى المدينة المنورة
بظمان من الفرس كانوا سيئا فاستبدوهم منهم فيروز الملقب بأبي لؤلؤة وكان هذا غلاما للمنية بن
شعبة وكان يبيع له العمل لقاء درهمين في كل يوم يدفعهما خراجا له ليجاء أبو لؤلؤة هذا يوما الى عمر
وهو يطوف في أسواق المدينة وقال له أعنني على المنية بن شعبة قال علي خراجا كثيرا قال : وكم
خراجك ؟ قال درمان في كل يوم قال عمر : وما هي صناعتك ؟ قال تجار وتناش وحدثه قال : فما
أدى خراجك بكتير على ماتصنع من الاعمال وقد بلني عنك انك لو أردت لمبت رحا تطحن بالريح
قال : نعم قال : فاعمل لي رحا قال : ان عشت لاعملمن لك رحا يتحدث بها من في المشرق والمغرب
وأعترف فقال عمر . لقد توعدني البعد

جرى هذا الحديث بين عمر وأبي لؤلؤة قبل أربعة أيام من مقتله فا أتم عمر بهديه الغلام

لَأَنَّهُ قَارِئِي شَامٍ دَوْلَهُ قَدْ جَلَسَتِ الْعُرْبُ دَانِيَهَا وَقَارِصِيهَا
وَبَدَّدَ اللَّهُ كِنَرَاهُ وَسَوَّدَدَهُ أَلَمَالِي وَنَزَّاهُ مَعَ مُسْتَشِينِيهَا
وَدَانَتْ أَلْفُرْسُ قَارِيَهَا وَبَادِيَهَا الْمُسْلِمِينَ أَلَا لِي حَلُّوا مَعَانِيهَا
فَهَاكُ مَا رَأَى مِنْ ذَلِكَ أُمِّيهِ وَهَمَّ يَنْفِي أَنْتِقَامًا مِنْ مُدْلِيهَا
وَلَمْ يَجِدْ ثَارَهُ مِنْ أُمَّةٍ خَصَّدَتْ مَعَزَةَ أَلْفُرْسِ إِلَّا عِنْدَ رَاعِيهَا
وَأَفْنَدَ أَلِيَّةَ السَّوْدَاءِ فِي عَمْرِى مَعَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ مَا كَانَ مُرُجِيهَا
وَسَارَتْ أَلَنَاسُ بِالْمَجْرُوحِ طَالِبَةً شِئَا أَلْمَجْرُوحِ وَوَأَى مَنْ يَدُلُّونَهَا

ولا احتاط لنفسه منه وقيل ان كب الاحبار اليهودي جاء عمراً وأنبأ بأنه سيموت بعد ثلاثة أيام على ما يترأى له في التوراة في اليوم التالي لمحدثه مع أبي لؤلؤة وأنه كرر عليه ذلك في اليومين السابقين لمقتله واتي لاحتج هذه الرواية لان عمر على ما كان عليه من الشدة والهيبة لا يبد من أن يتحمل من كب الاحبار انذاره بالموت اليوم بعد اليوم وهو لا يشكو المأكما ان أولاد عمر لا يبد من أن لا يتخذوا كب الاحبار كمشرك مع الذين تأسروا على عمر أو طرف بترك المؤامرة التي أقضت الى قتله فيقتلونه مع من قتلوا عن اشبهوا بهم

وظاهر السبب الذي حمل أبا لؤلؤة القارسي على تهديد عمر ثم الفلك به هو تظلمه اليه من قتل الخراج الذي كان يدفعه لسيده المخيرة ورد عمر له بقوله ان ذلك الخراج ليس بكتير ولو كان أبو لؤلؤة نافقاً من تحمل ذلك الخراج حقيقة لكان الأولى أن يقتل المنية الذي يتقاضاه منه لانه عدوه المباشرة ومستبده لامن عمر وهو حاكم المسلمين الاكبر وامامهم الاعظم ولا بد أن يكون هنالك دافع له على الجريمة غير دافع الانتقام من سبب بسيط كهذا

على ان قد شاع بين المسلمين بعد أن جرح عمر ان الجريمة كانت على أثر مؤامرة اذ روى عبد الرحمن بن أبي بكر غداة طعن عمر بأنه رأى جنيته والهرمزاني وأبا لؤلؤة ينهامسون فلما وقعت عيونهم عليه انضربوا وسقط منهم خنجر له رأسان فصابه في وسطه فلما روى عبد الرحمن هذه الرواية جيء له بالخنجر الذي قتل به عمر فقال هو نفس الخنجر الذي سقط من أيدي أولئك المتآمرين وأنت تعلم أن الثلاثة الذين ذكرهم عبيد الرحمن بن أبي بكر هم من الفرس فاذا صححت الرواية وهي صحيحة بشاهد الخنجر يكون أولئك الثلاثة قد تأسروا على قتل عمر وان المنفذ لماتيك الجريمة كان أبو لؤلؤة فما الداعي لهذه الجريمة يا ترى ؟

ان المسلمين على شهادة عبد الرحمن بن أبي بكر تأسروا هؤلاء الثلاثة غير تلمهم يتهموا لاستطلاع طلع سرهم في جريمتهم ففي حال طعن عمر في المسجد تبع أبا لؤلؤة وجل من التهم فقتله وأخذ الخنجر من يده وبعد وفاة عمر أسرع ابنه عبيد الله الى الهرمزاني وجفته وقتلها وهكذا قتل الثلاثة من غير أن يسألوا عن جريمتهم والسبب الذي دفعهم اليها ولذلك بقيت سرّاً في ضمير الايام

والذي أراه هو ان الاثنين من هؤلاء الثلاثة هما أبو لؤلؤة والهرمزاني مجوسيان من أهل فارس وثألتهم جفنة كان نصرانياً من أهل الحيرة أقدمه سعد بن أبي وقاص الى المدينة ليعلم بها الناس

فَلَمْ يَهْدُ الدَّوِيُّ وَالطَّبِيبُ لَقَدْ نَادَى: جُرُّوْهُكُمْ لَيْسَ الْإِلَهُ مِنْهَا وَيَسْمَا عُمَرُ فِي شَرِّ حَالِهِ وَسَكْرَةُ الْمَوْتِ تُقْسِنُهُ وَيُقْسِنُهَا أَوْصَى بِشُورَى تَعْنِينَ الْخَلِيفَةِ مُخْتَطِطًا لِإِعَادَتِهِ تُخَشَى طَوَارِئُهَا وَبِالْبَقِيَّةِ مِنْ صَحْبِ الرِّسَالَةِ نَا طَ السُّدَّةُ الْمُسْتَعْنَى سَامِي تَرَقَّبَهَا سَعْدُ عَلِيٍّ وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ كَانَ أَيْنُ عَوْفٍ صَاحِبَ سَادَتِهَا مِنْ صُحْبَةِ عَشْرَةِ مَاتَ الرَّسُولُ وَقَدْ أَرْضَتْهُ كُلُّ الْأَرْضِ جُلَى مَسَاعِيهَا هَكَذَا دَعَا عُمَرُ وَأَنْهَدُ أَبْلَغَهَا ثُمَّ نَصَاتِيحُهُ قَدْ رَاحَ يُلْقِيهَا

الكتابة فلا يبد أن يكون هؤلاء الناس قد ثارت ثأرتهم على عمر فتأمروا على قتله لانه رئيس الامة العربية التي دوخت قومهم الفرس وأخضعهم لسلطانها فتكون الجريمة سياسية محضاً وما يذكر عن هذه الجريمة ان ذهب الذي كان وقتئذ نائب الخليفة الموقت قبيش على عيد الله ابن عمر قاتل الهرمزان وجنقة وسجن لان اقدامه على قتلها المجرى رؤية عبدالرحمن بن أبي بكر أنها يسار ان أيا لؤلؤة ومن غير اذنولي الأمر اقتنات على الشرع ما كان عدل المسلمين يرضاهم ولو كان القتل خليفتهم فلما يوبع عثمان بالخلافة جلس في المسجد ودعا ببيد الله بن عمر وقال لمن حوله من اكابر المهاجرين والانصار اشبعوا في هذا الذي قتل في الاسلام ماقتي فاختلف الناس فيما بينهم وذهب الكثيرون منهم أن يطلق سراجه بحجة انه منتقم لايه الا سيدنا علي عليه صلوات الله قد كان لا يبر في في شرع الله كبيراً ولا صغيراً ولا عريباً ولا اعجيباً فقال : انه قاتل وأرى ان تقتله فقال : بعض المهاجرين قتل عمر بالامس ويقتل اليوم ابيه وقال عمرو بن العاص : يا امير المؤمنين ان الله قد اعفأك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان انما كان هذا الحدث ولا سلطان لك فقال عثمان : انا ولي المسلمين وقد جتهدية واحتملتها في مالي وهكذا دفع الدية عثمان وإطلق سبيل عبيد الله بن عمر . وأنت ترى في هذه القضية التي عرصت على عثمان في بدء حكمه ان علياً عليه صلوات الله كان يرى أن تظل للشرع هيته في النفوس بتنفيذه على كبار المسلمين قبل صغارهم ليلزم كل رجل منهم حده . وان المهاجرين ما استطاعوا ان يمارضوه فيها رأى الاتهم اكبروا ان يقتل الخليفة في يوم وان يقتل احد لولاده في اليوم التالي فكان دفاعهم من القاتل من قبيل الشفقة عليه واما فتوى عمرو بن العاص فلم تكن صحيحة لان السلطان الحقيقي على الناس ليس لشخص الحاكم بل للشرعية التي قام السمر على تنفيذها فاذا مات الحاكم وقتل لامتوت الشرعية بل تظل حية وعلى الحاكم الجديد ان ينفذ حدها على المجرمين ولو كان اجر امهم سابقاً لعهد حكمه والا لفرم كل حاكم ان يصدر عفواً هاماً عن جميع المجرمين الذين اجرموا قبل ولايته ولم يفصل في أمرهم اذا صحت فتوى ابن العاص وعندي ان عثمان لم يشته فساد ماذهب اليه عمرو بن العاص وانما استعمل حقه كولي المسلمين بالفو عن القتال والاكتفاء بالدية التي دفعها من جيبه مؤيداً بذلك قول سيدنا علي لان الشرع يستر عبيد الله قاتلاً وجب عليه الحد ولكن هو اعطى الظروف التي حدثت فيها الجريمة وموتته في يده عهده بالخلافة اما حادثة القتل فقد كانت هكذا : قال عمر بن الخطاب خرج الى الصلاة في المسجد

وَلَمْ يَكُنْ طَلْحَةَ فِي طَبِئَةٍ وَلَذَا
ثُمَّ أَبَا طَلْحَةَ نَادَى وَقَالَ لَهُ :
وَلَا تَدْعُ قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَ مُهِمَّتَهَا
أَوْصِ الْخَلِيفَةَ بِالْعُرْبِ الْكَرَامِ فَمَنْ
أَوْصِ الْخَلِيفَةَ بِالْأَنْصَارِ مُخْبِنَهَا
وَبَعْدُ أَوْصِ صَهْبًا أَنْ يَوْمَ عِيبَا
وَقَالَ : عَوَّةٌ بِدَارٍ بَعْدَ دَفْنِي أَصْحَابَ الْمَسْجُورَةِ يَا ابْنَ الْوَلَةِ تَعُونَهَا

النبي صباح الاحد لس ليل الـ بقين من ذي الحجة سنة ٢٤ هـجرة وقد استوت الناس صفوا
للهلّة حتى اذا ما تقدم الناس ليومهم وسجد ابنه ابو لؤلؤة من ورائه بمجنح مسموم طمته به
ست طمات كانت الثلاث الاولى في ظهره فالتفت ليرى طاعته فاجله بثلاث مثله في صدره وكانت
الطمنة الاخيرة في سرته وهي التي فتكت به وقضت عليه وجرح ابو لؤلؤة معه بعض من كانوا في القرب منه
وعند ما جرح عمر اسر عبد الرحمن بن عوف وكان بجانبه ان يصلي بالناس واخذه ابيه
عبد الله وبعض المسلمين الى داره وحيه له بطبيب يداوي جرحه فلما كشف عليها قال يا امير
المؤمنين وصي ومالي من حوله وقال انه لا يشق لجساده بسبي المقرين منه وطلبوا منه ان يوصي
بالخلافة اسوة بابي بكر فتدد وقال : لو كان ابو عبيدة حيا استخلفته لان رسول الله كان يسميه
« امين هذه الامة » فقال بعضهم الا تستخلف ابنك عبد الله ؟ قال عمر فانك الله واقامه اودت
هذا كيف استخلف رجلا عجز عن طلاق امراته الا ارب لنا في اموركم ما حدثها فرغب فيها
لاحد من اهلي يعني ان كان خيرا فقد اصابتا منه وان كان شرا فشرعنا الى عمر حسب آل عمر
ان يحاسب رجل واحد ويسأل عن امر امة محمد وقد كنت اريد ان اولي رجلا امركا هو امركا
بان يحملك على الحق واعني به هليا ثم رأيت ان لا اتحمل امركا حيا وميتا عليكم هؤلاء الرهط
الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم من اهل الجنة ومات وهو عنهم راض ومنهم علي وعثمان
ابنا عبد مناف وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص خلا رسول الله والزيد بن العوام حوازيه
وان عنته وطلحة الخير بن عبيد الله فيختاروا منهم رجلا فاذا اتفقوا على اختيار احدهم واليا
فاوصه بالرب فهم أس الخلافة والآن انصار اذ يحسن لحسنهم ويغفون عن سيئهم واحسنوا موازينهم واعينوه
ثم ان عمر ادعا خمسة ممن اشار اليهم لان سادتهم وهو طلحة كان عائدا فلما اجتمعوا
لديه قال لهم : اني سطرت فوجدتكم رؤساء الناس وقد تهم ولا يكون هذا الامر الا فيكم وقد
قبض رسول الله وهو عنكم راض والي لا اخاف الناس عليكم ان استقم ولكن اخاف عليكم
اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس واتي لمهلككم ثلاثة ايام بعد دفني تحتارون فيها واحدا منكم
وانظروا طلحة هو آتيكم . ثم قال لابي طلحة المقداد بن الاسود اذا وضعتوني في حفرتي فاجع
هؤلاء الرهط في بيت واحد ولا تدع احدا يختلط بهم حتى يختاروا رجلا منهم .
ثم وجه عمر بصره الى صهيب وقال له صل بالناس ثلاثة ايام وادخل عليا وعثمان واعد

وَأَمْنَعُ مُوَاصِلَةً مَعَهَا تَوَوُّلٌ إِلَى مُنَافَسَاتٍ أَنَا مَا زِلْتُ حَاشِيَهَا
حَتَّى تَهْرَ عَلَى فَرْدٍ مُبَايَعَةٍ مِنْهَا وَيَنْهَضُ لِلْأَحْكَامِ يُجْرِيهَا
فَإِنْ تَنَكَّبَ فَرْدٌ عَنْ جَمَاعِهَا فَاقْتُلْهُ مَا دَامَ يُبَايِئُ أَنْ يُمَاشِيَهَا
وَإِنْ تَجَنَّبَ إِثْنَانِ الْجَمَاعَةَ حَكَمَ فِيهِمَا السَّيْفُ كَيْ يَعْزُرَ بِأَقْبِيهَا
وَإِنْ هِيَ انْقَسَمَتْ حَكَمَ لَهَا وَلَدِي وَفَقْدِ الْحَكْمِ بَيْنَ النَّاسِ يُجْرِيهَا
وَبَعْدَ ذَلِكَ أَبْنَةُ أَسَدْنَعَى وَقَالَ: أَعْبُدُوا اللَّهَ رَاقِبِينَ بِذِي الشُّوْرَى مُشِيرِينَهَا
فَإِنْ هِيَ اخْتَلَفَتْ كُنْ حَيْثُ أَكْثَرُهَا أُجْبِرْ عَلَى رَأْيِهَا أَلَا عَلَى أَقْلِيهَا

وإبن عوف والوزير وطلحة إذا حضر واحضر معهم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء . وقم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة وورضوا رجلاً وإبن واحد فاشدخ رأسه بالسيف وإن اتقى أربعة فرضوا رجلاً منهم . وإن اتسان فاضرب رأسيهما فإن انقسموا نصفين فرضي ثلاثة رجلاً ورضي الثلاثة الآخرون رجلاً بحكم ولدي عبد الله بن عمر .

ثم استدعى عمر ولده عبد الله وقال له اقم مع الردهة وارقب شوراها واعنهم على الاتفاق . على رجل منهم وساعد صبيب على قتل واحد او اثنين منهم ان اختلفوا عن الجماعة وإن انقسموا قسمين فكن مع القسم الذي فيه عبد الرحمن ابن عوف . واعلم ان ليس لك من الامر شيء . ولا أرضى ان تدخل في هذا الامر .

وتوفي عمر ليلة الاربعاء ثلاث ليالٍ بقين من ذي الحجة ودفن في سحر الاربعاء بمجوار المصطفى وإبن بكر وكان وهو على فراش الموت قد ارسل . واسأذن عائشة بان يدفن مع صاحبيه في تلك الحجرة التي كانت حجرتها على عهد المصطفى صلى الله عليه وآله فاذنت . وكانت مدة خلافته بالتحقيق عشر سنوات وستة اشهر واربعة أيام من ابتداء ٢٢ جادى الثانية سنة ١٣ هجرية الى ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣ هجرية وكان عمره حين قتل ٦٣ سنة وهو المرء الذي طاعه المصطفى وإبن بكر أما المملكة الاسلامية التي مات عنها عمر فقد كانت تقسم الى عشر أمارات وهي : أماره

مكة وأميرها نافع بن عبد الحارث الخزاعي . وأماره الطائف وأميرها سفيان بن عبد الله الثقفي . وأماره صنعاء وأميرها يحيى بن منية حليف بني نوفل . وأماره نجد وأميرها عبد الله بن أبي ربيعة وأماره البحرين وما يتبعها وأميرها عثمان بن أبي العاص الثقفي « وهذه الامارات الخمس في الجزيرة العربية » وأماره الكوفة وما يتبعها وأميرها المغيرة بن شعبة الثقفي . وأماره البصرة ونواحيها وأميرها أبو موسى عبد الله بن قيس الاشعري « وكلتا الامارتان في العراق » وأماره دمشق وأميرها معاوية بن أبي سفيان . وأماره حمص وأميرها حمير بن سعد « وكلتاها في سوريا » وأماره مصر وأميرها عمرو بن العاص السهمي . وكانت عاصمة الخلافة الدينية المنورة على ساكنها الصلاة والسلام وكان الخليفة يقيم فيها واليه صرح الامور كلها فهو الذي يولي وي عزل ويصدر الاحكام ويسير الجيوش واليه ينتهي الخراج

وعند ما دفن عمر جمع أبو طلحة المقداد أهل الشورى في بيت السور بن مخزومه عدا طلحة الذي كان غائباً وأدخل معهم عبد الله بن عمر ووقف على حراستهم فكثرت بينهم اللجاج

وَلِنْ هِيَ اَتَقَسَّتْ كُنْ عِنْدَ قِسْمَتِهَا مَعَ اَيْنَ عَوْفٍ وَمَالِي مَنْ يُمَالِيهَا
وَلَا تَفْرُكْ اَمْجَادُ الْخَلَافَةِ يَا نُبِيَّ يَوْمًا فَتَشْهَاهَا وَتُبْغِيَهَا
فَلَسْتَ صَاحِبَهَا كَلَّا وَكَلْتَ لَهَا اَهْلًا وَاَوْزَارُهَا مَا اَنْتَ اِشَالِيهَا
يَكْفِيكَ اَلَّذِي نَالَنِي مِنْهَا وَخَيْرُ بَيْتِي مَنْ اِذَا مَا دَنَتْ مِنْهُ اُبْجَافِيهَا
وَعَظْلٌ يَأْمُرُ وَالْأَبْصَارُ شَاحِصَةٌ وَنَفْسُهُ لِفُظْتِ وَالنُّصْحُ فِي فِئِهَا
وَبَعْدَ مَوْتِ اَبِي حَضْرٍ قَدْ اجْتَمَعَتْ صَحَابَةُ الْمُصْطَفَى طَوْعًا لِذَاعِيهَا
وَكَانَ ثَمَّ اضْطِرَابٌ فِي مَبَاحِثِهَا وَكَانَ قِيلَ وَقَالَ فِي تَنَاطُلِهَا

واستحال الاتفاق فهددهم القداد ان تواثوا عن البيت في الامر في ثلاثة ايام كما اوصى عمرو ولحن الاشكال تقدم عبد الرحمن بن عوف وخلع نفسه من كل حق بالخلافة وطلب ان يحكموه فكان اول راضين بالتحكيم عثمان وتبعه الآخرون الا سيدنا علي عليه صلوات الله فقد ظل ساكتاً فقال له ابن عوف ما تقول يا ابا الحسن ؟ قال : اعطني ميتاً لتؤثرن الحق ولا تبع الهوى ولا تمس ذا رحم ولا تألوا الامة فاعطاه ميتاًه : فرضي بان يكون في الامر حكماً . وحينئذ خرج والامر في عنقه الى الناس يتلمس رغبتهم فوجدهم متحيزين لعثمان فماد الى بيت السور فخلا بالزبير وسعد فوجد ضلعهما مع علي فقال لا يقوم بعد ابني بكر وعمر احد يرضى عنه الناس . ثم اصرف الى علي فتناوله طويلاً ولا يعلم احد مآدار بينهما كل ذلك كان في سواد الليل حتى اذا ما اذن الفجر خرجوا الى الصلاة في المسجد وبعد الصلاة دعا عبد الرحمن بن عوف اكابر المهاجرين والاصارو الامراء ووجه خطابه الى علي قائلاً : عليك عهد الله وميثاقه لئلا تملن بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفيتين من بعده . فنضب امير المؤمنين وقال بل اعمل بسنة الله ورسوله ومبلغ علمي وطاقتي . فاعرض عنه بن عوف الى عثمان وقال له ما قال ليلي فقال نعم فبايعه عبد الرحمن بالخلافة وتائر سيدنا علي عليه صلوات الله وسائر قلائد وهو يقول : « سيبغ الكتاب اجله » ثم رجع يسوق الناس ويباع عثمان وتقم الناس فبايروه وكانت يوم الاثنين ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ فاستقبل بخلافته الحرم سنة ٢٤ هـ

لاجرم ان يمة عثمان كانت بتأثير بني أمية وان عبد الرحمن بن عوف ما اشترط على سيدنا علي ان يعمل بسنة الخلفيتين الا وهو يعلم انه لا فضل ولكن أراد ان يعرض الامر على علي وهو لا يعمل ان الامر له ولكن كما قال عليه صلوات الله « سيبغ الكتاب اجله »

هذا وان المرتضى عليه صلوات الله عند ما سار لمبايعة عثمان بن عفان بالخلافة قال لاصحاب الشورى « لقد علمت اني احق بها من غيري » وواقه لاسلمن ما سلت امور المسلمين ولم يكن فيها جور الا علي خاصة ، التمس لاجر ذلك وفضله . وزهداً فيما تنافسوه من زخرفة وزبرجه . اه وفي هذه الكلمات الجامة المختصرة ابان ما في نفسه الشريفة من الزهد والورع واينار مصلحة المسلمين على مصلحة نفسه فحق له في ذلك حمد الحامدين وشكر التاكيرين الى يوم الدين ولا سيما على قوله ان تسليمه عليه صلوات الله بما ارادوا منحصر ببقاء الظلم مقصراً عليه لا يتجاوز الى سواه من المسلمين فبل من

وَلَمْ يَكُنْ يَنْسَهَا إِلَّا الْمَطَالِبُ بِالْإِسْرَافِ الَّذِي زَهْوُهُ قَدْ كَانَ مُغْرِبَهَا
وَفِي الْأَخِيرِ رَأَتْ أَنَّ أَسْلَامَةَ فِي السُّخْرِيَّاتِ وَهَوْنِ الْأَزْوَاجِ مُنْجِيَهَا .
وَأَسْتَسَلَمَتْ لِأَبْنِ عَوْفٍ بَعْدَ مَا اقْتَنَت أَنَّ الْمُحَالَ لِأَذَى مِنْ تَرَاصِيهَا .
وَبَعْدَ مَا قَالَ جَهْرًا قَدْ تَرَكْتُ حَقِّي بِالْخِلَافَةِ إِنِّي زَاهِدٌ فِيهَا
أَمَّا ابْنُ عَوْفٍ فَمَذَبَاتُ الْمُحْكَمِ فِي أَصْحَابِهِ وَهَوْنُهُ عَنْ تَرْجِيحِهَا
تَتَّبَعَ النَّاسَ يَسْتَجْلِبِي غَوَائِضَ مَا تَخْفِي الصُّدُورُ الَّتِي شَطَطَتْ أَمَانِيهَا
وَلَمْ يَكُنْ جَاهِلًا مَا فِي أُمِّيَّةٍ مِنْ مَنَازِعٍ لِلْعُلَى كَانَتْ تُخْفِيهَا
كَانَتْ سَيَادَتُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُقْرِبُهَا بِنَبْلِ مَقَامَاتٍ قُضَاهِيهَا

فضل فوق فضل أبو الحسين الذي تناسى حقه ولم يلبس حقوق المسلمين ؟؟

« المثرة الذين مات رسول الله وهو راضٍ عنهم »

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من أصحابه اختصهم لمشورته وتبدير أمر أمته
ومات وهو عنهم راضٍ وكان هؤلاء أعوانه وحواشيده وعبيد سره وموضع ثقته وهم زعماء الأمة
بغير جدال أولهم وأفضلهم بالأجماع سيدنا علي بن أبي طالب عليه صلوات الله الذي أخاه دون
سائر المسلمين وقال : من كنت مولاه كان علي مولاه وقال له : انك مني كهارون من موسى
إلا النبوة . وأبو بكر بن أبي قحافة . وعمر بن الخطاب . وعثمان بن عفان . وعبد الرحمن بن
عوف . وأبو عبيدة بن الجراح . وخالد بن الوليد . وطلحة بن عبيد الله . والزبير بن العوام .
وسميد بن أبي وقاص . ويحاذق بنا بعد أن حصر عمر عند موته الخلافة في الستة الذين بقوا منهم دون
سائر المسلمين حتى أولاده اعترافاً منه بميزتهم أن تنشر تراجمهم تصحاً لمباحث علوينا المباركة
هذه التي نزي إلى تلخيص تاريخ صدر الإسلام في حواشيها وتراجم نوابغ الرجال الذين ظهرُوا
في ذلك الهدى الأنور

ولقد سبق لنا نشر تراجم أبي بكر وعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد . وسنأتي على تراجم
عثمان بن عفان والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في مواضعها من هذه القصيدة المباركة كل في
موضعه وننشر هنا تراجم أبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وسميد بن أبي وقاص لأن
ليس لنا وجهة إليهم فيما يبد فتقول :

« ترجمة أبي عبيدة بن الجراح »

هو حاسر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك
القرشي الصحابي يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وآله في فهر . وامه أم غنيمه بنت جابر . اسلم
في بدء الدعوة فهو من المسلمين السابقين وكان بطلاً مجرباً خبيراً بجلياً وكان يسميه المصطفى « أمين
الأمة » وكان أبو عبيدة كثير الشغف برسول الله يداوم محبته ولا يريد مفارقتها حتى إن الرسول
في السنة الثانية للهجرة أراد أن يرسله في سرية للغزو فتجنز ولما دنا موعد السير أخذ يكي صباية
إلى المصطفى فاشتق على هذه المواطف الشريفة التي كان يديها نحوه وردّه وبست مكانه عبد الله

وَكَانَ فِي الشَّامِ مَنْ يَمْنَى وَيَجْهَدُ فِي
وَكَانَ فِي طَبِيبَةٍ قَوْمٌ تَمَاوَنُوا
وَكَانَ عُثْمَانُ مِنْ تِلْكَ الْعَشِيرَةِ فَذُو
لِذَلِكَ أَتَى ابْنُ عَوْفٍ أَنْ رَغِبَتْهَا
فَمَادَ أَذْرَاجَهُ إِذْ مَدَّ رَاحَتَهُ
وَبَايَعَ النَّاسَ عُثْمَانًا كَمَا طَلَبَتْ

ابن جش . ثم كانت لابي عبيدة سرية الى ذي القصة في السنة السادسة للهجرة في لوبوب رجلاً
فغزوا وغنموا . وفي غزوة السلال كان ابو عبيدة في الذين لوسلم المصطفى الى عمرو بن العاص
يشجعونه قبل وقوع الفزوة لانه خاف الاقلام في لوز جندم في مبره ليدعو الى الاسلام . وشهد ابو
عبيدة غزوة بدر وقتل اباه فيها يده وكان في صفوف كفار قريش . وشهد بعد هاكل المشاهدة النبوية
ولي خلافة لابي بكر توجه ابو عبيدة لفتح الشام وكان قائداً لجيوش المسلمين السائرين لفتح حمص واذ
تقدم عليه فتح الشام وحده امده ابو بكر بخالد بن الوليد على ما تقدم في ترجمة خالد . واشتهر في
اتناء شوح الشام عدل لابي عبيدة وولمعه وروايته لاهل البلاد المزورة خلافاً لخالد الذي اشتهر بشدة فلما
حصر السلمون دمشق تقدم اهاليها من ابي عبيدة بالتسليم فدخلها مسلحاً ودخلها خالد من الطرف
الثاني عنوة واختلفا فيها على ذلك اختلفاً كاد يقضي الى التزاع مع ان خالداً كان يومئذ نائباً لابي
عبيدة وليس له صفة رسمية في جيش المسلمين لزل عمر له على ماسبق الاشارة ولم يمتد الاشكال بينهما الا
بطلب لابي عبيدة ان يحكم عمر في الاختلاف الذي حدث بينهما . وفتوح الشام كلها كانت بقيادة لابي عبيدة او
تحت اشرافه وكان خالد معاوناً له واطهر ابو عبيدة من حسن السياسة مع السورين ما حبيبه بالتسليم لحكم المسلمين
بحيث كانت الموانع التي جرت تجري مع جيش الروم وحده لا يساعدهم فيها مساعد من الاله الى وذلك لتتهم
بالعرب الفاحش وعدل لابي عبيدة هذا فضل كبير لهذا الصحابي العظيم الذي يدعى بحق من مشاهير
رجال السياسة والحرب اما خالد فكان بفضل في البراعة الحربية ولكن كان دونه بمراحل بحسن السياسة
لذلك قل عن عمر عند موته انه قال : لو كان ابو عبيدة حياً لما رجعت غيره للخلافة

وتوفي ابو عبيدة بالطاعون في غوريسان عند قرية تسمى عيماً وتبره هناك لا يزال قائماً الى الآن
وهو موضع احترام الناس وكانت وفاته سنة ١٨ للهجرة عن ٥٨ سنة قضاه بالجهاد في سبيل الاسلام
واعلاء كلمته واسمه سيظل خالداً في ربوع الشام مروقاً بالثناء على سرورته وقضله وولمه وعطفه
ومكارم اخلاقه الى يوم يعيشون
« ترجمة عبد الرحمن بن عوف »

هو عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري يرجع بنسبه الى زهرة اخي تعي ولدا مرة بن
كلاب ويجمع مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بحمة وكان اسلامه بواسطة لابي بكر فكان
من المسلمين الاولين السابقين وهاجر الهجرة الحبشة وهجرة المدينة وشهد بدرأ وأحد
والمشاهدة كلها وفي يوم احد جرح ٢١ جرحاً وسلمه الله على ان يضي النبل اصابت رجله فكان
يرج وسقط ثنيته فكان أهم . وكان رسول الله يحب كثيراً لما يتأهد من غيرته وسرورته

فِي عَهْدِهِ أَسْتَقْبَلَتْ مَجْدًا لَقَدْ قَدَّرْتَهُ فِي الْحَنِيفَةِ مَذْ سَادَتْ مَبَادِيهَا
وَالْمُرْتَضَى مَا تَمَدَّى الْأَوْحْتِجَاجَ عَلَى شُورَى قَدْ أَنْحَرَفَتْ عَنْهَا مَوَالِيهَا
وَكَانَ مُنْتَظَرًا تِلْكَ التَّيْنِجَةَ لَمْ تَقْتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْدُو خَوَافِيهَا
لَكِنَّهُ اعْتَادَ أَنْ يَلْقَى الْحَوَادِثَ بِالْأَسْرَحَابِ مَهْمَا تَنَاهَتْ فِي مَسَاوِيهَا
يَقُولُ يَا نَفْسُ صَبِرَا أَجْبِلِي جَزَعًا دَعِي التَّمَادِيرَ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا
وَمَدَّ نَحْوَ آيْنِ عَمَّانَ يَدَيْهِ وَلَمْ يُعْطِي يَبِيعَتِهِ أَعْظَمَ يُعْطِيهَا

وبعته بسرية الى دومة الجندل على بني كلاب وقبل ذهابه عمه بيده الشريفة وسد لها بين كنفه وقال
له : ان فتح الله عليك فتزوج ابنة شرفهم فسار متوكلاً على الله وانصرف وتزوج فتماربت الاجنح
ابن ثلبة اميرهم . وفي غزوة تبوك مئزر رسول الله ان عوف على سائر اصحابه وفيهم ابو بكر وعمر وعثمان
واسرمان يصلي في الناس وادركه سره وهو يصلي بالناس فصلى خلفه وما اتخذ الناس صلاحه هذه بامر المصطفى
حجة على حقه امامة المسلمين ولكن حسوها عطفاً من المصطفى عليه وتشريعاً لتمامه

وعند ما توفي المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام لزم الحياذ في كل ماجرى في السقيفة
وبلغ مع المبايعين ولم يثبت بينت شفه وانصرف من ذلك اليوم الى تجارته في المدينة وكان موقفاً
فيها يسوراً ولم يدخل في حرب ولا في عمل من اعمال المسلمين الا من خير يديه او نصيحة
يؤدبها وكذلك فعل عند ما اوصى ابو بكر بالخلافة لعمرك فكان على رأس البايدين وكان عمر يحبه
ويحترمه كثيراً ووثق به ثقة لا تحمد يدك على ذلك قوله لولده عبدالله وهو يوصي بتبيل وفاته اذا انقسم هؤلاء السنة
فكان ثلاث في جانب وثلاثة في جانب فكنى في الجانب الذي فيه ان عوف وما ذلك الا لاعتقاد عمر بمدا له وتزهرته
وكان عبد الرحمن بن عوف زاهداً بمالاته الدولة حتى بالخلافة نفسها بذلك على ذلك تنازله
عن حقوقه فيها بالشورى التي عينها عمر لاختيار الخليفة مع انه جملة من اصحاب الحق فيها وكان
تنازله عن حقوقه سبباً لحل المشكلة التي هي احسن وقد وثقت منه الصحابة وجعلته حكماً بينها . وأراد ابن
عوف بد ان اصبح الامر في عنقه ان يثبت من رأي الناس في الخليفة الذي يرضونه فخرج
اليهم واخذ يتطلع سرهم فوجد بني امية قد لبوا دورهم واستأهلوا الناس الى عثمان فرجع الى اصحابه
واسر الى ابن أبي وناس بان الناس لا يجتمعون على واحد ثم خلا بسيدنا علي طويلاً قبل بزوغ الفجر
ولم يذكر احد من المؤرخين ما دار بينهما ولكن الراجح انه اطلمه على ما يجوز في صدور الناس
مبتألاً له اضطراره الى مبايعة عثمان وقد استنجدت هذا من سكوت سيدنا علي امير المؤمنين عليه
صلوات الله عن عبد الرحمن بن عوف فلم يقل فيه كلمة لوم لانه صريحاً ولا تلميحاً لمبايعة عثمان عند
ذكر الشورى ويكنى هذا للاعتقاد سزاؤه هذا الصحابي الكبير وطهارة ذيله من كلاً جرى

وفي عهد عثمان انصرف عبد الرحمن بن عوف الى تجارته فتمت غزواً عظيماً ولم يتطلع الى وظيفة ولا
عمل عملاً في دولته الا أنه ما كان راضياً عما جرى في عهده وهو اول من اجترأ عليه قسم ابل
الصديقة بين الناس ببدان وهما عثمان لبعض اولاد الحكم وكان همه الاتفاق على الموزين من ماله فكان
يتصدق بالسبعمائة راحلة وأكثر للفتراء باحلالها واقامها وبما يؤثر عنه ورعه وتقواه وتواضعه
وتوفي عبد الرحمن بن عوف في سنة ٣٢ هجرية في اول اخر ايام عثمان وكان سعد بن أبي

وَهَكَذَا صَارَ عُثْمَانُ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَمْرِ غَرَابٌ آمَرَهَا الْأَسْنَى وَنَاهَبَهَا
وَقَالَ فِي تِلْكَ الشُّورَى أَبُو حَسَنٍ مَقَالَةٌ لَا يَضِلُّ الْحَقُّ وَاعِنَهَا
لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ النَّاسَ بَالِغَةٌ إِلَى آيِنِ عَفَانٍ إِذْ شَامَتْهُ مَرَضُهَا
فِيهَا أَبَانَ خَفَايَا قَسِيهِ وَتَفَا نِيهَا لِخَيْرِ الرِّعَايَا مَعَ تَعَالِيهَا
قَالَ: لَمْ تَجْهَلُوا أَنِّي يَبِيْعَتِكُمْ أَرَأَيْتُمْ وَلَكِنَّكُمْ مَا يَسْتَوْنِيهَا
وَمَا أُسْلِمُ وَأَسْمُ اللَّهَ مَا سَلِمَتْ هَذِي الرِّعْيَةُ مِنْ حَيْثُ يَنَاجِيهَا

وقاس من حلوا جنازه وسيدنا علي بن ابي طالب من مشييه ودفنوه في البقيع وبمد دفنه قال سيدنا
علي عليه صلوات الله « اذهب يا ابن عوف اذكرت صفوها وسبقت كدرها » فكان قوله هذا من
جلة ما أثر عنه من انبائه بالغيب . وظف ابن عوف ملاً عظيماً من ذهب ومتاع ومائبة وغير
ذلك واوصى بصداقات كثيرة من بعده

« ترجمة سعد بن ابي وقاص »

هو اسحاق سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري السدي
المدني اسلم بدعوة ابي بكر وعمره ١٧ سنة وهو اول من رمى النبل في الجهاد وكان من المهاجرين
الاولين وسماه المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام « فارس الاسلام » وشهد جميع المشاهد
النبيه واشترك في فتح الشام فكان على رأس الجيش الذي فتح الحيرة سنة ١٢ هجرية ثم سار بجيش كبير
على القادسية وفتحها . وبعد ذلك لوسه عمر الى المدائن في العراق فدخل بابل ومن هناك ارسل سراياً من
حيثه لفتح العراق وقاص ثم سار الى مدائن كسرى ففتحها وصلى صلاة الفتح في ابواب كسرى
الشهير وكانت اول جمعة اقيمت في العراق وذلك في صفر سنة ١٦ للهجرة وغنمت جيوشه غنائم
كثيرة من الفرس . وسعد هذا هو الذي ممر الكوفة والبصرة وحول مسكره من المدائن الى
الكوفة وبني الناس له قصر فخماً فيها اطلق عليه اسم « قصر سعد »

ولم يسلم سعد بمن سبي اليه الى عمر فزله كما فعل مع غيره من عماله فنَّ عمرأ لم يبق على
امير او عامل امداً طويلاً الا على اثنين فقط اولهما ابو عبيدة بن الجراح فقد ابقاه على امارته حيثه
في الشام حتى مات ومما يوه قد ابقاه في الشام رغم ما انتهي اليه عنه والظاهر انه كان يري نفسه عاجزاً
عن عزله وكان عزل سعد عن امارته العراق في سنة ٢٠ للهجرة

وكان سعد في الشورى من انصار سيدنا علي قل ذلك لعبد الرحمن بن عوف صراحة عند
ماناجاه في الامر . وعند ما تم الامر لعثمان عزل امير الكوفة المنيرة بن شعبة واتاح سعد البها وذلك سنة ٢٤
لهجرة وظلَّ في امارته الكوفة في صدر خلافة عثمان على احسن حال حتى اذا ما بدأ الامويون يتوسون
بسططهم على عمالات الخلافة فلم يكن سعد من مائلهم وكيف يكون كذلك وهو على ما تامل من
اكابر الصحابة الملتقين الاسلام من فم المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام ؟؟ فنوا له ما نوه
لامتاله من مخالفتهم وكان مع سعد عبد الله بن مسعود على الخراج وكان موضع ثقة الامويين فطلق
هذان يتنافسان ويتصادمان وحدث ان سعداً استدان من بيت ائمال ملاً قرضاً حسناً لجأه عبد الله
ابن مسعود وهو في عسرة يتقاضاه الدين وستهله فما امهله وشدد عليه التذكير حتى انه استدان ببعض

وَمَا تَخْصِرَ بِي ذَا الظُّلُمِ فَادِحُهُ وَالنَّاسُ تَزَعُ فِي عَدَلٍ بَيْنَهِمَا
وَإِنَّمَا كَانَ تَسْلِيمِي لِثَوْبَةٍ قَذِيبٌ مِنْ قِيَضِ جُودِ اللَّهِ رَاجِيَهَا
وَلِلْزُهَادَةِ فِيمَا النَّاسُ رَاغِبَةٌ بِهِ وَمِنْ أَجْلِهُ تَبَدُّي تَقَانِيهَا
نَعَمْ عَلَى نَفْسِي قَدْ كَانَ يُؤْثِرُ أُمَّةَ الرَّسُولِ عَلَيَّ كَيْ يُؤَاسِيَهَا
وَهُوَ الْخَلِيقُ بِحَمْدِ النَّاسِ أَجْمَعِهَا إِنْ أَنْصَفَتْ نَظَمْتُ فِيهِ أَغَانِيَهَا

أُسر المؤمن في مقل عثمان

وَمَذُبَّوْا عُثْمَانُ خِلَاقَتُهُ وَجَارَ سُلْطَانُهُ قَاصِي أَرَاضِيهَا (١)
بَدَتْ أُمِّيَّةٌ بِاسْتِقْبَالِ سُودِهَا مَعَ الزَّمَانِ الَّذِي أَضْحَى مَوَاتِنَهَا
وَبَعْدَ بَضْعَةِ أَعْوَامٍ لَقَدْ قَبِضَتْ عَلَى الْخِلَاقَةِ وَأَغْنَالَتْ نَوَاصِيَهَا

اصحابه على اكرامه على دفع ماعليه واضطرَّ سعد على عظم مقامه في الاسلام ان يوسط الناس
لاتماع ابن مسعود باستنظاره وورع الامر الى عثمان لما كان منه الا ان عزل سعداً من الامارة
وابنى ابن مسعود في عمله . فكبر هذا على سعد بن ابي وقاص وقدم المدينة فظرم بيته وآلى على
نفسه ان لا يدخل بيته فيما بعد من شؤون المسلمين وصدق في حلقه فما دخل في فتنه عثمان ولا
نمَّسَّ لها بخير ولا بشر . حتى اذا ما انتهت الفتنة بمقتل عثمان وبيع سيدنا علي عليه صلوات الله بالخلافة
استدعاه للبيعة فجاءه وقال « لقد آوت على نفسي ان لا ادخل باسر من امور المسلمين ولذلك لا اباع
حتى يباع الناس لاكون كولد من سوادهم ولكن والله ماعليك في من بأس » فخلى عنه وعند
ماباع المسلمون جاءه وبابه وانصرف لنزله فلم يتدخل في امر من امور الخلافة في ما كان بذلك
وكان سعد حليماً غير شديد كريماً سخياً مهاب الدعوة فصيح اللسان صادق الزمعة وطاش
الى سنة ٥١ هجرية وقيل ٥٥ وتوفي في المدينة ودفن في العقيق وله من العمر ٧٤ سنة

(١) يظهر لي على قلة علمي وزهادة بضاعي ان عثمان بن عفان كان طيب القلب جداً حسن
الطوية سهل القيادة لين المركبة وأنه على ما اشتهر من مزاياه الصالحة في صحبته لرسول الله صلى
الله عليه وعلى آله وسلم انه لو لم يكن اموراً ولو لم تكن امة طامعة الى استمادة مكائنه في الاسلام
وعلى رأسها معاوية وهو من الدهاء على ماعل الناس لما ترك عمر الامر وهو يحتضر على فراش الموت
في ذمة الرهط الباقي من الشرة الذين توفي رسول الله وهو راض عنهم ولما خطر لعثمان ان
يصل يوماً الى الخلافة ويتولى أمرها فثمان مظلوم لا في خلقه وقته فقط بل وفي ولايته على المسلمين وهم
في صدر الاسلام يعرفون حلاله وحرامه ومتأدبون بأذابه العالية وفيهم خلق كثير قد عرفوا رسول
الله وصحبه وتلقوا آيات الله من فمه وحققوا على يديه

تولى عثمان الخلافة وهو لا يجهل ضمه وقوة من حوله من امة التي مهدت له الصواب حتى
بلغ خوة المجد وتربع على دست الحكم فما اهل ان استثناء لاصحابه الامويين والاندلسيين منهم فلههم

وَبَاتَ عُثْمَانُ مَرْوِيًّا مَمْنُورًا وَصَارَ مِرْوَانُ رَاعِيَهَا وَقَاضِيَهَا
كَذَا أُمِيَّةٌ صَالَتْ دُونَهُ وَقَدَرَتْ أَنْ تَصِفَتْ لِأَنْفُسِهَا خَيْرَاتِ أَهْلِهَا
وَأَسْتَأْثَرَتْ بِمَعَالَاتِ الْجَبُونِ وَأَغْشَالِ الْبِلَادِ وَمَا دَرَّتْ مَوَاشِيَهَا
فَضَجَّتِ النَّاسُ بِأَدْبَارِهَا وَحَاضِرُهَا تَعْنِي عَلَيْهَا وَقَدْ جَارَتْ مَا تَبَيَّنَتْ
وَأَكْثَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ تَقْدِيرَ الْخِلَافَةِ حَتَّى أَصْبَحَتْ هَدَفًا يَرْمِيهِ قَائِلُهَا
وَرَاجِعَتُهَا تُرِيدُ الْعَدْلَ شَاكِيَةً عَمَلُهَا فَتَابَتْ أَنْ تُشْكِيَهَا
وَكَانَ فِيهَا أَبُو ذَرٍّ يُجَاهِرُ فِي تَقْدِيرِ الْخِلَافَةِ لَا يُخْفِي مَسَاوِيَهَا

قياد الخليفة واكتفى انه صاحبها . والامويون على ما هو معروف كانوا في الجاهلية كابناء عمهم
المواشم أهل حول وطول في قريش ولكن لما ظهر المصطفى عليه الصلاة والسلام بدعوته وابت
قريش التصديق بها وانقلب عليه تضطهده وتكذبه وتحقره انتقلت بالتحقير والاضطهاد الى المواشم
حتى انها تحالفت ضدهم وابتدئتهم من مكة وفيهم المصدق بالدعوة والمكذب لها والشديد عليها كابي
لهب عم المصطفى واغتم الامويون هذه الفرصة وتوسعوا في جاههم وبات لهم الرطامة المطفلة على
قريش كلها بذلك على هذا ان ابا سفيان والد معاوية كان زعيم القوم وهو الذي كان يجرهم على
محاربة المصطفى والمسلمين قهراً للاسلام ودكاً لئلا يملكه وما كان ذلك منه لكرهه للاسلام وتمسكه
بالكفر والاشراك قطع بل رغبة ان يقضي نهائياً على جاه المواشم استئثاراً بالسلطة لامية
وحدها . وانت تعلم ان الدين دخلوا الاسلام من امية قبل فتح مكة المكرمة كانوا افراداً قلائل
على رأسهم عثمان بن عفان . وان المصطفى في يوم الحديبية اد اراد ان يرسل عمرأ بن الخطاب الى
قريش ليتفاهم معهم قال اني اخاف على نفسي ان ذهبت اذ لا اجلبى ناصرأ فيها فيقتلونني مع امه من اعيان
قريش وقال بل ارسل عثمان وله من قومه ما يضمن سلامته وهكذا كان

وكان اسلام الامويين قهراً يوم فتح مكة فهم قد أسلموا لاعتناع بالاسلام والنبوة بل
خضوعاً للقوة القاهرة وحسب ان ابا سفيان مع خوفه من جيش المصطفى وهو صلى الله عليه وعلى
آله وسلم قادم لفتح مكة ومع انه قدم على المصطفى في مسكره بتسبيحة صاحبه اليباس ومعه انه رأى
بنييه عطمة الاسلام مع ذلك أبي ان يصفي لدعوة رسول الله ويتهد ان لا اله الا الله وان محمداً
رسول الله وقال له ارجعها فن في النفس منها شيء على انه ما اهل يوم الفتح ان اسلم مع ولديه
يزيد ومعاوية لكي لا يفتقد امية مكانها بل ان قريشاً لم تسلح كلها في ذلك اليوم الا برغبة الاحتفاظ
بمنازلها في العرب بعد ان رأت ان رسول الله قد قطب عليها من جاههم من مختلف القبائل العربية المسلمة
ثم ان معاوية تولى الشام على اثر فتحها واخذ يوسد له فيها مركزاً دائماً بالرغم من انه
عامل لمر وهمر ما كان ينم عن عمله وما كان يبي على واحد منهم اذا لمعه عه بعض ما كان يلمه
عن معاوية من الترف وجمع المال والظهور بمظاهر العظمة ولا يأتاني ان يكون عمر قد اغفل أمر
معاوية شتوذاً بل بالعكس لا بد انه فكر كثيراً بزله ولكنه لم يقدم عليه حذراً من حدوث
ما لا يأمن مشيئة لو هو عزله . وبالرغم عن ان الاخبار في ذلك قبيحة وقديماً حجة عن مدراة الناس

فَكَانَ يَمْشِي بِأَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ وَالْآ م يَأْتِ عَنْ ظُلْمِ الظُّلَامِ يَرُوبِهَا
يَقُولُ آيَةٌ تَبَشِّرُ الْآلَى كَهْرُوا يَأْتَارُ قَدْ كَانَ لَا يَنْفَكُ تَالِيَهَا
ثُمَّ يَرْدُدُ آيَاتِ الْآلَى كَزَرُوا الْآ م مَوَالٍ أَوْ مَنَعُوا عَنْهَا عَوَافِيهَا
ضَجَّتْ أُمِّيُّ مِنْهُ وَالْخَلِيفَةُ إِذْ قَدْ كَانَ يُؤْذِنُهُ مَا قَدْ كَانَ يُؤْذِنُهَا
وَمَا اسْتَطَاعَ ابْنُ عُثْمَانَ بِهَامِيَةِ الْآ م مَوَالٍ إِسْكَاتُهُ إِذْ رَاحَ يُسْلِيهَا
بَلْ زَادَهُ جُرْمَهُ إِذْ كَانَ يَشْجِبُ يَقُولُ تِلْكَ حَقُّوقُ اللَّهِ أَقْضِيهَا
وَفِي الْآخِرِ رَأَى عُثْمَانُ شِرْكُهُ قَدْ اسْتَطَالَتْ وَخُشِيَ مِنْ تَمَادُّيْهَا

للأمويين في خلافتهم التي استطاعت على الخلافة بعد عهد قصير وبالرغم عن ذلك بقي عندنا ما يشير إلى عدم مرضاهم عن معاوية فقال الرواة أن عمرأ ذهب إلى الشام في رحلته الثانية وهو على ما تعلم من زهده في ميسنته فاستقبله معاوية بظلمة ملوك الروم وهو على الخمر يردون في الخمر يساب فأعرض عنه عمر فتيه مستندراً فقال ان التورم في الشام اعتادوا على مظاهر العظمة في ملوكهم فليس لي ان اغير ما اعتادوا قالوا ان عمرأ قبل عذر معاوية واقول انا انه ما قبل المنز لا وهو مضطرب

وعندي ان الناس عند ما ناجاهم ابن عوف فوجدهم شيعه عثمان ما كانوا كذلك الا ولامية وبالاخرى معاوية يد في الليل إلى عثمان ومما يستلفت الا بطار ان المؤرخين لم يقولوا عن ابن عوف انه وجد في الناس من يميل إلى غير عثمان من اكابر الصحابة كالزيد وطلحة وسعد وفي هذا دلالة واضحة على ان الناس كانوا يعرفون الحق لسيدنا علي عليه صلوات الله عليهم ما مالوا عنه لسواه على رغبة فيه بل يدافع من بني امية اما دافع رغبة كسب او نوب منية شر ثم رأينا الزبير وسعداً عند مارجع ابن عوف إلى اسماء في جانب علي ولذلك قال ابن عوف لا أرى القوم سيجمعون على خليفة وقد صدق

وما كاد عثمان كما سبق القول يستلم لمومته الامويين حتى اخذت التكرير تتالي من هنا ومن هنا ليس لاه اسرع فابذل عمال الخلافة بالامويين او مواليهم وشيعتهم بل لاث الدين ولاهم لم يكونوا من الزاهة والعدل والاستقامة وحسن السيرة على ما عهد المسلمون بولاتهم وحكامهم ونحو ذلك شكايات الناس إلى تعقم وموجبة عند مالوا انهم يرفعون شكلاهم إلى الخلافة فلا ينظر فيها الا اذا اكراه على ذلك اكراهاً خلافاً لما عهدوا في زمن عمر وازدادوا حقداً وموجدة عند مالوا اموال الامة واشياءها تحسب إلى حيوب الامويين واشياءهم وهي على ما تامل كانت مشتركة بينهم يقسمونها على السوية على عهد النبوة وفي عهدي ابني بكر وعمر فكان هذا اسوأ ما ترع عليهم وحلهم على اعلان غضبهم على الامويين وعلى الخليفة عثمان الذي استبدوا بالخلافة تحت ظلاله وكانوا يقولون اما ان الخليفة على رأيهم وهو الذي يمد لهم سبل الارتفاع يسلكوها واما انه على غير رأيهم ولكنه يعجز عن صدقهم لفسدهم وعلى الحاليين هو غير كفا للخلافة وعليه ان يخلع نفسه منها

وسبق لنا القول ان الناس لم يزالوا يذكرون حق علي في الخلافة فاصبحوا يقتسمون له و طمنهم على عثمان وينوون باسمه في كل زمان ومكان ويرجعون اليه في التكرير فيجدونه مثلم نافعاً

فَرَّاحٌ مُبْعِدُهُ لِلشَّامِ بِحَسْبِ قَدَرِ
لَكِنْ أَبُو ذَرٍّ لَاقَى فِي الشَّامِ أُمَيْمَةَ عَلَى نَحْوِ مَا قَدْ كَانَ يَذَرِيهَا
رَأَى جَمَاعَتَهَا فِي مِثْلِمَا عَمَّرَ لَهَا تَجَوَّلَ فِيهَا كَانَ رَأْيُهَا
فَمَادَ النَّاسَ فِي الْأَسْوَاقِ يَنْشُرُ مِنْ آيِ الْكِتَابِ الَّتِي رَامُوهُ يَطْوِيهَا
وَلَمْ يُفِدْ مَعَهُ مَسْعَى مُعَاوِيَةَ إِذْ أَنْ ذَمَّتْهُ مَا أَسْطَاعَ يَشْرِيهَا
وَرَامَ قَلَّتُهُ لَكِنْ قُلَّةَ أَصْحَابِ الرَّسُولِ الْأَدَانِي كَانَ خَاشِعًا
فَرَّاحٌ يَشْكُو مَا تَبِعَهُ لِصَاحِبِهِ وَقَالَ شَرُّهُ صَغْبٌ تَلَّافِيهَا

على ما ينعمون وغير راض كما لهم ليسوا براشرين ولهذا كان عثمان بهم سيدنا علي بتحريش الناس ضده ولا اعتقد انه لم يكن طارعة بحقيقة الاسباب التي حلت للناس على التثود عليه والتهوى في وجهه ولكنه مع ذلك لم يكن لضفه بمطيع ان يسلم عملاً مع عمومته الامويين فيكشف اذاهم عن الناس ويكتب بذلك رضاه الناس

وكان على رأس المتنين عثمان ومن حوله من الامويين رجل من اكابر الصحابة القرشيين يدعى ابو ذر فقد عرف الناس هذا الرجل من اقدم اصحاب المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام وانه صادق امين غيور على الاسلام فكانوا يحترمونه ويكرهونه . وقد ابي هذا الرجل الا لجمور بما في نفسه من انكار تساهل عثمان مع الامويين وذلك عند ما اعطى عثمان يوت اموال المسلمين الى سروان بن الحكم واخص من ثابت بذي منها فصار ابو ذر يتجول في شوارع المدينة المنورة وهو ينادي « بشر الكافرين بمذاب اليم » وينفع هذا بتلاوة قوله تعالى « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيسرفهم بمذاب اليم » وكان ينقل الناس الى عثمان نياً ابي ذر وهو يتناهى حتى استعمل الاسر في المدينة فارسل له رسولا يقول له انت عما انت فعل فتسجبه قائلاً : اينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله تعالى ؟ وعيب من ترك امر الله تعالى ؟ فوالله لا ارضي الله بسخط عثمان احب اليّ وغير لي من ان اسخط الله برضاه عثمان . فغضب جوابه عثمان واحفظه ولكنه تصابر وتمسك الى ان قل عثمان يوماً في المسجد والناس حوله وفيهم ابو ذر ليجوز للامام ان يأخذ من مال المسلمين شيئاً قرصاً فاذا أيسر نفق ؟ فقال كعب الاحبار لا بأس بذلك فتهرب ابو ذر قائلاً ائمتلنا ديننا يا ابن اليهوديين ؟ فغضب عثمان وقال قد كثر ادلك لي وتوكلت باصحابي يا ابا ذر فالحق بالشام ولا تقيم بعد اليوم ببجوري . وبالفعل ارسله الى معاوية في الشام ليجل ابو ذر في الشام ينكر على معاوية اشياء يفسدها جهراً في الاسواق وهو يكرر الايات فيمت اليه معاوية ليسكه ثلاثمائة ديناراً فقال ابو ذر لرسوله ان كان هذا المال من عطائي الذي حرمتموه عاتي هذا اتقبلها وان كان صلة فلا حاجة لي فيه وردّه عليه فلم معاوية ان الرجل فوق ان يبيع ذمته بالمال فتعيه وبقي ابو ذر على حاله من تجوله في الاسواق وهو يهجر بما يجهر به من التشنيع على الامويين فكان يقول : لقد حدثت اعمال ما لصرها والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه والله لا اري حقاً يظافاً وباطلاً يحيا وصادقاً مكذباً باثراً بغير حق وصالحاً مستأثراً عليه ونحو ذلك

فَأَسْحَ بِأَرْجَاعِهِ أَوْ مَرُّ فَأَقْتَلَهُ فَإِنَّهُ مُقَلِّقُ الدُّنْيَا مُدْسِئُهَا
قَالَ عُثْمَانُ أَرْجِعْهُ بِغَيْرِ تَوَا نَ إِنَّ قَتْلَهُ مَا أَخْخَرُ تَالِيَهَا
فَكَانَ مَرْجِعُهُ بَيْنَ الْجُنُودِ بَلَا كَرَامَةٍ هُوَ أَوَّلَى أَنْ يُلَاقِيَهَا
هُنَاكَ أَنْذَرَهُ عُثْمَانُ أَنْ يَدْعَ أَلْسِنَتِي فِي الْقَوْلِ نَادَى: لَيْسَ تَحْمِلُنِي
ذِكْرُ الْمَثَانِي أَلَيْهَا لَوْ حَمَلْتُ أَنْزَلَهَا إِنِّي أُرَدِّدُهَا ذِكْرِي لِتَالِيهَا
وَعَادَ فِي طَبِئَةٍ يَرْغِي وَيَزِيدُ تَشْنِيعاً لِأَعْمَالِهِ الْكَثْرَى وَتَسْتِيفَهَا
فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ تَجُوزَ مَجَالِسَهُ وَأَنْ تَقَاطِعَهُ سِرّاً وَتَجْرِئَهَا

ثم أن معاوية بن قسرة في دمشق المروء بالخضراء فجاءه أبو ذر وقال إن كان ما ببيت من
مال الله فهو الحياة وإن كان من مالك فهو الأسراف فضاقت صدر معاوية عن احتاله وخاف على
الناس من فلتات لسانه فاستدعاه إليه وقال له : يا عدو الله وعدو رسوله لقد أزعجت الناس بما تقول
ووالله لو كنت قاتل رجلاً من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك ولكني استأذن
فيك فأغلظ له أبو ذر في الجواب فأمر بسجنه وكتب إلى عثمان فأجابته أن أهل جندباً بن جنادة
« اسم أبي ذر » إلى على أششن مركب فوجه به كذلك إلى المدينة فلما دخل على عثمان وقد لهكه
السفر حتى سقط لم تغذبه أسره عثمان بالسير إلى الرينة « بحوار البصرة » لينشئ منقياً فيها وأمر
الناس أن يتجنسوا بمحادثته ومخالطته

إما سيدنا علي عليه صلوات فقد أكره معاملة أبي ذر على هذا الوجه من الشدة لالسبب سوى
أنه غاضب لله فأنذر أعمال الأمويين فأعيى بمنع عثمان عن مخالطته وسار لوداعه وهو ذاهب إلى
المنى وكان معه الحسنان وأخوه عقيل وعمار وكان مروان بن الحكم يرافق أبا ذر ليمنع الناس عن مكالمته
فأراد الحسن مخالطته فنهى مروان فتقدم سيدنا علي غاضباً من مروان وضرب بالسوط بين اذني بصره
وقال لمروان تبع لحاك الله إلى النار فتحنى وطل سيدنا علي ومن معه يلاحظون أبا ذر إلى أن ابتعدوا
عن المدينة وحينئذ خاطب سيدنا علي جندباً وهو يودعه فقال

« يا أبا ذر غضبت لله فأوج من غضبت له ، أن القوم خافوك على دنياهم وخشيتهم على
ديك ، فأترك في أيديهم ما خافوك عليه ، وأهرب منهم بما خفتهم عليه ، فأأجوجهم إلى ما منتمهم ،
وما أعناك عما منعوك ، وستعلم من الراجح غداً ، والاكثر حسداً ، ولو أن السموات والأرضين
كانتا على عبدي رقاً ثم اتني الله لجلل الله له منهما مخرجاً ، لا يؤنسك إلا الحق ، ولا يوحشك
إلا الباطل ، فلو قبلت دنياهم لأحوك ، ولو قرضت منها لأمنوك » اهـ

ثم أن سيدنا علي عليه صلوات الله مال إلى ولديه وقال ودعاً عنكما وإلى أخيه وقال ودع أخاك
فودعه كل منهم بكلمات طيبة مؤثرة فبكى أبو ذر وكان شيخاً كبيراً وقال : رحمكم الله يا أهل
بيت الرحمة إذا رأيتمكم ذكرت بكم رسول الله ومالي في المدينة سكن ولا شجن غيركم أني تفتت على
عثمان بالحجاز كما تفتت على معاوية بالشام فسيرني إلى بلد ليس لي فيه نصير ولا دافع إلا الله والله
لا يريد إلا الله صاحباً وما أخشى مع الله وحشة . ثم صافح أبو ذر مودعيه فصالحوه وعادوا إلى

فَمَا أَطَاعَتْ وَلَا عَنْهُ قَدِ امْتَنَعَتْ وَظَلَّ يَهْجُوهُ فِي ضَائِي نَوَائِدِهِ
لِذَا نَفَاهُ لِيَسْجُوَ مِنْ مَلَأَمَتِهِ إِلَى حَيِّ الرِّبْدَةِ الْمُسْتَفِي تَأْوِينَهَا
وَعِنْدَ مَا سَارَ لِلْمَغْنَى اتَّقَى أَبُو ذَرٍّ يَجِدُنَا أَيْنَ عَفَّانٍ يُمَاشِينَا
سَعَى لِنُؤَيِّدِيهِ الْمَوَكِّي أَبُو حَسَنِ وَأَبْنَاهُ مِنْ طِبْبَةٍ حَتَّى عَوَّالِينَا
وَلِإِذْ دَنَا مَوْعِدُ التَّفَرُّقِ وَدَعَا نَحْنُ قَرْمُ الْأَذَانِ دُرِّيْنَا
قَالَ بَشْرَى أَبَا ذَرٍّ فَمَضَيْتُكَ الْكِبْرَى لِرَبِّكَ لَمْ تَفُكْ مُبْدِيْنَا

المدينة . اممروان « كبرياتنا سيدنا علي له وقامت قيامته الا انه ظل امام هذا السيد العظيم مقهوراً مخذولاً في حديثه يطول لا يحل له هنا . واما ابو ذر فقد مات في الربدة بعد نفيه بضع سنوات وكان ابو ذر رجل اسمر ضرب من الرجال خفيف المارصين في ظهوره انحناء ولم اتف على ترجمته اكثر من انه كان كثير الصعبة لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وقد شهد عنه علي فقال قال رسول الله « ما اظلت الحضراء ولا اقلت النبراء من ذي لهجة اصدق من ابي ذر »

ومن قصة بقي أبي ذر الى الشام قال ربة والكلمات التي ودعه بها سيدنا علي عليه صلوات الله عرفنا ان حكم عثمان لم يكن على ما يريد المسلمون الاولون الذين تلقوا آداب الاسلام وفتحوا في شريته على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فان ابا ذر من السابقين في الاسلام وغضبه على عثمان وعمله لما جعلها من الاعتبار وسيدنا امير المؤمنين لا يجبراً مسلم صادق الايمان على الظن في صدقه او انتقاصه بدم واقتراره ابا ذر علي وابيه في خلافة عثمان وعملها لا يمكن اغفال وجهاته عند الباحثين المدققين . ومن ثم فقد كان اجماع في المسلمين على الشكوى من عمال عثمان وقد اتفق هذا الاجماع على رأي أبي ذر وعلي فاذا كانت لا يجتمع الجماعة على باطل واذا كان سيدنا علي اسمى من ان يؤيد باطلاً او يحارب حقاً واذا اصفا الى هذا وذلك انكار عائشة وطلحة والزبير اعمال عمال عثمان ايضاً وجههم بالتشيع بحكمه على ما هو ثابت مرعي في كتب التاريخ على اختلافها حتى التي وضعت لارضاء بني أمية ظهر لنا ان الشكوى من خلافة عثمان في عملها ولكننا نمود فقول ان عثمان لا ذنب له في كل ما جرى في خلافته الاضغفه واستسلامه الى الامويين ولا سيما مروان بن الحكم الذي كان وزيره وصاحب ختمه والسيطر على خلافته ومما يؤيد داهية الامويين الذي كان وهو حاكم الشام لا يفتك . يدل الى غرض معين ظهر فيما بعد وهو استشارته باخلافة نفسه ولبيته من بعده

وبعد ان الخلافة ماتت عرضت للاخطار التي تترتب لها الا لانهم جعلوها متاعاً بلا قاعدة في قریش في يوم السيفه على اثر ودة المصطفى عليه الصلاة والسلام ولو انهم اتروها في بيت مدين لما طمع بها الظالمون ففرقوا لاجلها شيئاً فكان من امرها ما سلم لان ما في كل وقت يقوه « مستبد عادل » كمر يضبط الامور كما ضابطها ويمنع النفوس من ادراك مظالمها . وعندي واعود فأقول على جهلي وقتة علمي ان رجلاً مباحري قریش من يوم السيفه دخل على قنوسهم طمع الوصول الى الخلافة ان لم يكن عاجلاً فاجلاً فذا توفق عمر الى الحجر عى بعضهم في المدينة وهو يقول « خير لكم ان لاترثوا الدنيا ولا تراثكم » فما كل خليفة يستطيع ان يقول هذا القول ويستطيع ان ينفذه اذا هو قاله . وعلى هذا فتكون الثورة التي افقت الى قتل عثمان قد كانت بداية اسبيلها

فَاطْلُبْ مُكَافَاةً مِمَّنْ غَضِبْتَ لَهُ سُبْحَانَهُ قَهْوَ يَابْشَرَكَ مُسْلِمِيهَا
وَالنَّاسُ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا تُلَدُّ بِهَا خَافَتْ وَكَمْ غَرَبَتْ الدُّنْيَا أَهْلِيهَا
وَحِثَّتْ مِنْهَا عَلَى دِينٍ تَدِينُ بِهِ وَقَدْ أُيِّنَتْ لَهُ يَاصَاحُ تَشْوِيهَا
فَأَهْرُبْ بِمَخِيفَتِهَا يَا أَخِي عَلَيْنَا وَأَتْرِكَ مَالَهُ خَافَتْ بِأَيْدِيهَا
مَا كَانَ أَخْرَجَهَا تَالَهُ لَوْ رَشِدَتْ إِلَى الَّذِي عَنْهُ قَدْ أَخْبَبَتْ نَتْنِيهَا
وَأَنْتَ عَمَّا عَلَيْكَ الْيَوْمَ قَدْ مَنَعَتْ مَا كَانَ أَغْنَاكَ مَا الدُّنْيَا تَرْجِيهَا

من عمل اهل السقيفة والله سبحانه وتعالى اعلم
ثم ان اختلاف ابي بكر عمراً قد اوجد للثورة سبباً آخر فقد تم الاختلاف بمجرد
اجتهاد الامام ومن غير ان يتقيد بشورى قصارهم الذين يحسبون انفسهم اولياء عهد الخلافة اختلف
للظيفة والتسابق لكسب رضاء ولعل هذا السبب هو الذي اعان عمر على تنفيذ رغبته بحبس من
حبس في المدينة من وجوه قريش ولكن لايمد ان يكون اوجد شيئاً من التحاسدين الذين كان
عمر عنهم راضياً والذين لم يكن راضياً عنهم وبالاخرى بين الذين استسلمهم وبين الذين اهل اسرهم
ولا جرم ان الشورى التي جاء بها عمر مبدعاً جديداً للاختلاف كانت سبباً ثالثاً للثورة فان عمراً مطلق
اجتهاده حصر المرشحين للخلافة بالسة الباقين من الشرة الذين مات رسول الله وهوراض عنهم
فعل لعله شبه مصوغ ولا بد ان الناس تساءلوا همسا ان لم يكن جهراً اذا اراد عثمان ان ينحو
محوه فمن يحصر الخلافة وقد لاموت الا والذين حصر عمر فيهم الشورى قد تداركهم الموت
الا واحد أو اثنين منهم فيكون له عذر ان يرجع الى قاعدة ابي بكر فيستخاف ولا اظنهم كانوا
يستقدون انه يستخلف غير واحد من بني أمية لما اظهر من الميل الشديد الى اتباع عشيته الامويين
والظاهر ان هذا كان عندهم عند حد اليقين ولذلك كانوا شديد القلق من استسلامه للامويين
وتسليمه زمام الخلافة لهم كما سبب حيثوهم الى الاستئثار بالخلافة دون جميع قريش فيكون ما اياه ابو
بكر وعمر على الخوالم وهم اهل رسول الله وعشيته وورثاؤه الشرعيون قد صار للامويين وليس
لهم يد يضاء في نشر الاسلام بل بالنكس كانوا على رأس محاربه والمجاهدين في سبيل محو
فمن هذه الاسباب التي سردناها يسهل على القاريه القليب ان يفهم شيئاً من حقيقة مادفع
الناس الى التمتع على خلافة عثمان والرغبة عنها وترق كلمة وجوه قريش اذ راح كل منهم يعمل
لنفسه فيجمع الاموال ويحزب الاحزاب انتظاراً ليوم الذي تغلو فيه الخلافة من واليهافينض للمطالبة بها
هذا ماكان من أسر وجوه قريش اما السامون فقد كانوا مسلمين قبل كل شيء وكانوا ينظرون
الى الخلافة كامامة دينية وبهمهم ان يكون صاحبها مقتبهاً رسول الله الذي يمثلها فيما بينهم ولا سيما
بالمساواة بين الناس فالقيء والثناهم والوظائف وكانت لهد عثمان ادر مالا واعظم نفعا واكثر وجاهة
مما كانت على عهد النبوة وكانوا يرون انفسهم متساوين في الحقوق لايفضل قريشهم سائر العرب
ولا عريهم سائر المسلمين فلما رأوا عثمان يميز الامويين بوظائفه وخيرات خلافته حتى اثرت بطونهم
ثارت ثائرتهم وانصرفوا الى البحث في الخلافة وان هي شرعوا هم راغبون بارجاعها الى صاحبها الشرعي
وهو سيدنا علي لما عهدوه من استعداده الى ارجاع الحكم فيها لما كان عليه على عهد المصطفى

عَدَا سَتَعْلَمُ مِنْ رَبِّ الرَّبَّاحِ وَمَنْ هُوَ الْحَسُودُ وَعَقْبِي الذَّار تَذَرِيهَا
لَوْ كَانَتْ الْأَرْضُ رَقَاً وَالسَّمَاءُ عَلَى عَبْدٍ وَيَنْتَهِمَا قَدْ تَاهَ تَنْبِيهَا
نَمْ أَتَى اللَّهَ حَقًّا فَهُوَ يُخْرِجُهُ مِنْ ضِيقَةٍ كَانَ لَا يَرْجُو تَعْطِبُهَا
لَا يُؤْنِسُكَ إِلَّا الْحَقُّ تَنْبَعُهُ وَأَسْتَوْحِشْنِ أَخَا الدِّينِ التَّرَارِيهَا
لَوْ كُنْتُ تَقْبِلُ دُنْيَاهَا وَتَقْرَضُ مِنْهَا أَمْنَتَكَ وَهَامَتْ فِيكَ تَوَلِيهَا
وَكَانَ يُضْفِي أَوْ ذَرَّ لِخُطْبَةٍ مَوْ لَنَا الْعَلِيِّ وَتَسْتَقْصِي مَعَانِيهَا

عليه وعلى آله الصلاة والسلام وكان هذا سبباً لايجاد هتم من الناس تنادي بحق سيدنا علي الصائم
وتطالب ان يعاد اليه وهي أساس الشيعة

ويجب ان لا ننسى ان الناس يملون بطيعة سنة البقاء لمصالحهم فكان كثير من منهم ينظرون
الى المستقبل وقد فاتهم الخير من حاضرهم وانقسموا بذلك شيعاً فكانت شيعة تنحزب الى طلحة لان
طلحة اتصل بها واخرى الى الزبير لانها مرقته وغيرها الى غيره من وجوه قريش ممن تحب انه
سيفوز بالخلافة وكل شيعة من هاته الشيعة كانت تؤمل ان يكون حظها على عهد صاحبها لو هو تولى
الخلافة ماناله الامويون وشيئهم على عهد عثمان على ان اشياع سيدنا علي كانوا شاذين عن هذه
القاعدة لانهم يعرفونه لا يجاين بالوجوه ولا يشتري الدنيا بالآخرة ولا يعرف في الحق صاحباً معاذياً
او عدواً مخالفاً وهذا ثابث ومعروف ولذلك لا يصعب علينا ان نقول ان شيعة علي ماتت له الا وهي
على اعتقاد انه على الحق ولها نصرة الله ورسوله في انتصارها له وبالبداهة ان هذه الشيعة كان عوها
في العراق ومصر اكثر من الشام التي كانت خاضعة لماوية وهو على ما نعلم من يده الحديدية ذات
الفتاز الخديجي الناهم هناك لم يكن من يجرا على المحاربة بداء الامويين اما روية من معاوية او
توقفاً للخير منه في الحال على ما عرف من سخائه او في الاستقبال عند ما يصبح الخليفة
ويظهر ان الامويين يد ان تقدم عهد عثمان بالخلافة ما عاودوا يكثر ثوب لنقد النافذين ونفقة
الناقين قازدادوا تمادياً وزداد الناس تقيعاً وكان الخليفة عثمان في المدينة لا يسم لهم شكوى او
ان سمعها لا يعمل على ما يريها فآخفوا بفكرهم بعمل جدي يقومون به لاكماء خليفتهم على سماع
شكاويهم والعدل في حكمهم معهم وجعلوا يتكاتبون في ذلك بين سائر الامصار الاسلامية ويريد ان
ان يقتنا المؤرخون وآخرهم الشيخ محمد الحصري للمصري في عصرنا هذا بان الذين كانوا يتكاثرون
للتحريض على عثمان هم فئات قليلة وانهم كانوا يشتتون على عمال عثمان افتنائاً قالوا ان اهل كل
مصر كانوا ان انتهت اليهم كتب التكمي من عمال عثمان في الامصار الاخرى يحمدون الله ان ليس
حال مصرهم كحال تلك الامصار واني لا اريد ان امر على هذه النقطة من غير ان ابحث فيها على فلة
علمي مع اني لا اجهل كيف كانت تكتب التواريخ حتى قام ابناس من اهل النقد علقوا عليها بما سموه
« فلسفة التاريخ وقده »

اذا صححت رواية هؤلاء المؤرخين بان الناقين على عمال عثمان كانوا افراداً قلائل وانهم
كانوا يسكبون بما يشيرونه عن مفاسدهم لاغراض خاصة يرمون اليها قبل كان يتنصر على عمال عثمان
اظهار كذبهم ومن الناس عن الاغتراب بهم ؟ نعم لم يكن في ذلك الزمان تيلراف ولا تليفون

حَتَّى إِذَا مَا انْتَهَى نَادَى يَفَيْتُ بِالْحُسَيْنِ لِلنَّاسِ فِي الْبُلُوَى تَوَاسِيَهَا
وَقَالَ أَنْتُمْ أَلَّ الْبَيْتِ رَحْمَةُ رَمِ بَنِي الْخَلَاتِقِ جَلَّ اللَّهُ مُوَلِّيَهَا
لَوْلَاكُمْ لَمْ أَجِدْ مِنْ وَحْشَةِ الْمَدِينَةِ الرَّسُولَ الَّذِي عُثْمَانُ يُؤَيِّنُهَا
بِذَلِكَ وَدَعَاكُمْ ثُمَّ تَوَجَّهَ لِمَنْفَى لِيَحْيَا بَعِيدَ الدَّارِ نَائِيَهَا
وَفَيْتُهُ قَدْ أَزَادَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أُمِّيَّةٍ حَتَدَهُمْ بَاتُوا مُلَيِّنِيَهَا
وَمِثْلَهَا كَمْ أَنْتَ مِنْ فَعَلَةٍ نَفَرَتْ مِنْهَا نَفُوسٌ إِلَّا لِي كَانُوا مُجَبِّبِيَهَا

ولا يريد منظم ولا سلك حديدية ولا طيارات تقرب الابداد وتصل الناس بعضهم ببعض بالسرعة التي توصلهم بها اليوم ولكن الناس كانوا في بقعة متجاورة متلاصقة هي عبارة عن الحجاز واليمن ومجد وال عراق والشام وفلسطين ومصر وكانوا ينتقلون في اطرانها للتجارة وفوق ذلك كان حجاجهم يجمعون سنوياً في مكة المكرمة فيتمارفون ويتألفون ثم يعود كل فريق منهم لبلده فاذا صحت رواية المدافعين عن الامويين من كذب ما كان يرويه الناقرون على عمال عثمان للزم ان يظهر كذبهم للعلن ان لم يكن بين عشية وضحاها قتل بين سنة وأخرى وهذا لم يحصل بل الذي ينظر الى ما بين سطور التاريخ كان يجد عداد الناقين على عثمان ينمو عددهم يوماً بعد يوم وسنة بعد أخرى حتى اذا ما كان الحول الرابع والثلاثين للهجرة كان الخط قد استحل وبلغ الحزام الطيين وكانت التكوى مالاكثر من مروان بن الحسك المتصرف يثوون الخلافة فلا فسه ماتشاء وزيراً او مسيطراً او حاكماً بأمره او « دكتاتور » كما يقول الافرنج في عصرنا الحاضر

والظاهر ان عثمان ما كانت تصل اليه كل شكواي الناس بل كان الكثير منها يخفيه عنه مروان بن الحسك والقليل الذي يصله كان يسهل على مروان ان يقتنه بأنه كذب واقترا من اعداء الامويين والحاسدين لهم على النعمة التي طمروا بها على عهده وكان عثمان لطيفة قلبه كثير الثقة بمروان فصدته فيما يقول كما ان ان معاوية كان يسأله كتبه لشان مشناً باعداء الامويين المنبيين في العراق ومصر فصدته ايضاً ومثل معاوية ما كان يصعب عليه ان يؤثر على رجال طيب القلب طاهر السريرة حسن النية كعثمان بن عفان

وقد استحل امر تتر من القرشيين النازلين في الكوفة اولاً فاجدهم وانحل مشكلهم الا يمشيهم الى الشام بأمر عثمان على امل ان يتولاهم معاوية بحكمته فاستقبلهم هذا الداهية بالباشنة والاكرام وادبر عليهم الخيف الكثير ولكن لم يجده هذا تفعلاً وظلوا على عقد خلافة عثمان ينمون على عماله علمهم خفاف ان يسدوا عليه أهل الشام فكنت ذلك الى عثمان فمهره ان يوجههم الى حمى فارسهم اليها فكانوا في حمى على نحو ما كانوا في الشام فشدد عليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد امير حمى فظفروا الرنوح منهم واطادهم الى الكوفة فسادوا اشد ما كانوا تقة على الامويين وكان سيدنا علي عليه صلوات الله لا يتفك يجمع عثمان ويسدي اليه النصيحة اتر النصيحة ويخفزه عتبي الاستسلام الى اصحابه ويشرح له شكايات الناس ومظالمهم ويطلب منه ان يكتبها وكان يلين له طوراً ويلط نارة أما عثمان فكان لا يحسب ان كل ما كان قوله له سيدنا علي ليس من النصيحة في شيء وان هو الا من تأثير حقد عليه لانه قاز الخلافة دونه واجمع المؤرخون بعضهم صراحة

وَأَنَّهُمْ أَخَذُوا عُثْمَانَ وَهُوَ وَلَيْسَ إِلَّا مَرِي فِي كُلِّ سُوَّةٍ مِنْ مَسَاوِينَهَا
وَسَادَ يَنْهَمُ أَنْ لَا نَجَاةَ لَهُمْ مِنْهَا وَقَدْ عَمَّ فِي الْأَمْصَارِ شَاكِبُهَا
إِلَّا بِعُزْلَةِ عُثْمَانَ زَعَمَ أُمَيَّةٌ وَكَانَتْ بِهِ تُجْرِي تَسْطِينَهَا
وَالْمُرْتَضَى كَانَ لَا يَأْتُوا الْخَلِيفَةَ إِزْ شَادًا وَنُصْحًا وَإِنْذَارًا وَتَأْيِينًا
وَقَدْ تَوَقَّعَ أَحْدَاثَ الزَّمَانِ لَهُ وَأَنَّهُ سَوْفَ يَغِيَا عَنْ تَوَقُّبِهَا
وَكَانَ كُلُّ الَّذِينَ قَدْ شَامَ بَارَهُ السَّلَاطِي فِي سَحْبٍ سَحَّتْ هَوَامِينَهَا

وبعضهم ضمناً ان عثمان لو أسنى الى فصائح علي لما كان تلاي الشر سباً عليه
وعند ما كثرت شكاوي الناس الى عثمان من عماله واصحابه الامويين رأى ان يرسل رسلاً
الى اطراف الخلافة فيقتون بنفوسهم على مبلغ هاتيك الشكاوي من الحقيقة فيد محمد بن مسامة الى
الكوفة واسامة بن زيد الى البصرة وعبد الله بن عمر الى الشام وعمار بن ياسر الى مصر وآخرين
مثلهم من اكابر قريش الى الجهات ليستطلوا طلع الحسالة وكان ذلك في بدء سنة ٣٥ للهجرة
فأدوا اليه جيباً مكرين على الناس شكايهم ولم يتخلف عنهم الا عمار فنه في في مصر واتفقوا الى
الناقيب الشاكين ونحن لا نريد ان نمتد ان هؤلاء الزعماء مالوا مع الهوى ولكن يسبق الى اعتقادنا
ان عمال عثمان تناولوهم واقاموا بينهم وبين الشاكين سداً فلم يصلوا اليهم وما هذا بمنزلة على الحكماء
اذا ارادوا ان يخفوا الحقائق على المحققين كما اتنا نرى في تخلف عمار بمصر برهانا على انه كان يمتد
بان عودته الى المدينة بالنبا اليقين قد يعود عليه بالفرر ولا يقع منه للسليد

هـاد هؤلاء الى عثمان يتكروا كل شكوى للناس ويحمدون عمال عثمان ولكن الشكاوي لم
تنقطع بل طلت ترد على عثمان تترى وكان سيدنا علي عليه صلوات الله لا ينقطع عن نصحه وتنبهه
الى الخطر المحقق به وبالحلافة رغماً عما كان يراه منه من سوء الظن باخلاصه فأخرج بذلك عثمان
فوصل هذا الى عماله ان يقدموا عليه في موسم الحج فجاهدهم عبد الله بن عمر امير البصرة ومعاوية
امير الشام وعبد الله بن سعد بن ابي سرح امير مصر بلعهم وضم اليهم سيد بن المصامير الكوفة
وكان في المدينة وعمر بن المصامير فخرج مصر وسأهم عما يشكو الناس منه فأنكروا عليه كل شكاية
وقالوا له أما أرسلت روادك فإزاءك بالبا اليقين ؟ وكل ما عدا ذلك فهو قربة وكذب فسألهم عن
مداواة الداء قبل ان يستفحل فما كان منهم الا من اوح استمالة الشدة فن قائل قتل الشاكين
ومن قائل ان يرجع الى الشدة التي كان يجري عليها عمر فن عثمان راسه وقال « ان الفتنة لادارة
وطوى لثمان ان مات ولم يجرها » وفي قوله هذا ما يفيد انه كان يفتنه ملوياً على أمره يشعر من
نفسه انه العوبة بأيديهم لاحول له ولا طول وبعد ذلك اعادهم الى عمالاتهم من غير ان يسئل شيئاً
يرضي به الشاكين فيعطيهم نار الفتنة وما يذكر ان معاوية لم يفته خرج الحالة فطلب الى عثمان ان
يسير معه الى الشام فيحميه من اعدائه فأبى قائلاً انه لا يبيع جوار رسول الله فرفض عليه ان يرسل
له جيشاً من الشام يحميه فقال لا أضيق على أهل المدينة بهم ولا بد ان عثمان قد لحذر الامرين
وتوقع من ورائهما الفتنة التي كان شديد الخوف منها فقد بغض مسيره الى الشام ان يجتمع الناس
في المدينة ويخلموه ويولوا سواء وفي قوله جيش الشام يحمي به ان يهاجم الناس المدينة بحجة اخراج

وَقَدْ تَسَرَّعَتِ الْبَنَاتُ وَالنِّسَاءُ وَرَاحَ مُعْتَرِفًا بِالْعِزِّ مُطْفِئَهَا
فَقَسَنَةً فِي ضَفَافِ الْبَيْلِ قَائِمَةً وَفِي الْأَرَاوِقِ أُخْرَى لَاحَ خَافِيَهَا
وَفِي السَّامِ أَمَانٌ بَاتَ صَارِدُهَا مُعْكَرًا مِنْ مَيَاوِ الْمُسَاكِ صَافِيَهَا
وَفِي بَيْتَةِ أَمْلَاكِ الْخِلَافَةِ أَخْطَارُ مُهْدَدَةٍ صَمْبٌ تَحَامِيَهَا
وَفِي السِّفَاوِ وَفِي الْأَذَانِ وَشَوْشَةٌ بِالْشَّرِّ تُنْشِي كَأَنَّ الْخَوْفَ يُكْمِيهَا
مِنْهَا الصَّعَابَةُ وَالْأَنْصَارُ فِي شَعْبٍ بَاتَ وَمَا خَابَ فِي الْبَلَوِ تَطْئِيهَا

جيش الشام منها فيعني الاسر الى خلد وهو ما كان يرذى الخلع كما عرفنا ذلك مه عندهما ضيق
الناس عليه الحصار وطلبوا منه ان يطلع نفسه فقال انه لا يطلع ثوما كساه الله

اما اولئك التاكون فقد كان صبرهم قد عيل فهموا بالفتنة بعد خروج اسراهم الى المدينة
بدعوة عثمان ولكن لم يتيسر ذلك لهم الا من في الكوفة فقد خرجوا بحجة انهم يستينون بثمان
على اميرهم سيد بن الماس وما كادوا يصلون الى الجرعة حتى وجدوا سبيها قادمًا عليهم فردوه كرهاً
الى المدينة ورجعوا متمسكين بأبي موسى الاشعري وكتبوا بذلك الى عثمان قائلين انهم على ما فعلوا تلافياً للفتنة
وترسل بعد هذا اهل الكوفة والبصرة ومصر على أن يرسلوا وفوداً منهم الى عثمان « بأمرور
بالحق وينهون عن المكر ويسألون عثمان عن اشياء يتكرونها عليه » فلما علم عثمان بمقدم هؤلاء
الوفود استشار من حوله من الاعيان في أمرهم فاشاروا عليه ان يقتلهم فلم يقل بخافة ان يوري
زند الفتنة يده وهو الامر الذي كان منه على اشد الخوف لخلافهم واحضر الوفد اليه وسمع شكاياتهم
الواحدة بعد الاخرى واخذ يفتنها لهم واحدة واحدة لا يانكارها أو اثبات صحة احتياده فيها بل
بالاستشهاد ان قد اجري منها المصطفى صلى الله عليه وسلم ابو بكر وكان فيما قاله شيء
من المبالطة على نحو ما تأتي بعضه للاستشهاد . فاجاب عثمان عن حجة الناس عليه بأنه ولي الاحداث
بان المصطفى سبق له تولية اسامة بن زيد وهو حدث ووجه المبالطة في الامر هو الفرق بين اسامة
الذي كان موضع اعجاب المصطفى بكماله وبين الذين ولاهم عثمان وقد ثبت عليهم ثابت من عدم
كفائتهم للحكم واستراهم في احوالهم . واحتج عن اعطائه امواله الى بني امية بان ما اعطاه لهم
هو من ماله الخاص الذي اصابه من الفتيء بصفته خليفة للمسلمين وانه حر فيه وانه كان يولي الناس
الاعطيات الكبيرة على عهد المصطفى الى آخر ما مال ووجه المبالطة في هذا هو انه كان يعطي امواله
على عهد المصطفى للفقراء لابني امية وان ما كان يعطيه هو من صلبه لانه مال الفتيء الذي اختصه
لنفسه وهو للمسلمين وما كان يعمل مثل ذلك ابو بكر وعمر بل المأثور عنهما كابالان بالان من اموال
المسلمين الا ما يهدح حاجتهما وحاجة عيالهما وفات عثمان ايضاً وجه شكوى المسلمين من تخصيص بني
امية بالاموال الوفيرة او هو تجاهله حقيقة تلك الشكوى هي انه باعطائه الاموال الى بني امية
وبتسليمه الى عهدهم الملكية الاسلامية بمحكماتها كان يعمل على تحويل الخلافة الاسلامية التي اسسها
رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لتكون اشتراكية عاملة على اسعاد اهله على السوية على
أبدع نظام عرفه البشر الى « ملك عضوض » لا يمتاز شيء عن الممالك الديوية المروقة واحقيه
شكوى السلف الصالح هذه ظهرت بكل جلاء ووضوح فيها بعد عند منتهى معاوية لمخاربة سيدنا علي

هِيَ الْكُفَّةُ الَّتِي اخْتَجَّتْ بِحَجَّتِهَا وَأَقْبِلَتْ لِلْعَدَا وَالْتَحَدُ حَادِيَهَا
وَأَتَتْ إِلَى طَبِيبَةِ الْفَيْحَاءِ كَاثِرَةً عَلَى ابْنِ عَفَّانَ مِنْ فَاثِي بَوَادِيهَا
كَانَتْ وَفُودًا مِنْ الْأَمْصَارِ قَادِمَةً عَلَيْهِ يُبْدِي لَهُ مُعْزِي شَكَوَاتِهَا
مُضْرِبُهَا كَانَ مُغْتَاظًا يُسَاقِبُ بِضُسرِهَا وَقَاتِمًا بِالسَّبْقِ كُوفِهَا
وَإِذْ رَأَى جَمْعَهَا عُمَانٌ مُحْتَشِدًا خَافَ الْقَضَاءُ الَّذِي يَتَلَوُ تَنَادِيَهَا
وَسَارَ يَطْلُبُهَا فِي وَسْطِ مَسْجِدِ طَسَهَ بِالتَّلَطُّفِ يَبْغِي أَنْ يَرُاشِبَهَا

عليه صلوات الله ثم استشاره بالخلافة لنفسه وحرصها في بني أمية فلم ينق تلك الخلافة عما أوجدها الله على
يد رسوله الذي الربّي الامي لاسماد البشرية على اسمي وافضل مبادي النشمية « الديموقراطية »
آتي بعد ١٣٠٠ سنة اخذت تطلّحها وتسمى اليها ارق واعظم شموب الارض

وفي الاخير انصرفت الوفود من المدينة وهي غير راضية عن عثمان بل ومأبوسة من اعادة
الخلافة الى العهد الذي كانت عليه في ظلال رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو ما يملون من احكام
الشريعة الاسلامية السحاء وعند ما طادوا الى بلادهم وأبلغوا جماعتهم ما كان من أمر عثمان منهم
ازدادوا غضباً وأخذوا يتحفزون الى عمل حلم يضع حداً لتهاذي أمية في الحكم مستفيدة قوة
من صف عثمان بن عفان

أما الشكاوي التي كان الناس يتمسكون بها على عثمان فهي كثيرة أهمها انه أوطأ بني أمية رقب
الناس وولاهم الولايات وأعطهم القطائع. واقترحت أرمينيا في أيامه فأخذ الخنس كله ووجهه الى مروان .
وطلب منه عبدالله بن خالد بن أسيد صلة فاعطاهم أربعمائة ألف درهماً . وأعاد الحكم بن أبي العاص
الى العمل بعد أن صرفه رسول الله ولم يستخدمه أبو بكر وعمر وما كفاه هذا بل تقهه مئة ألف
درهماً . وأقطع الحارث بن الحكم موضع سوق يسمى نهريز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
تصدق به على السلميين . وأقطع مروان بن الحكم « فذك » وقد كانت سيدتنا فاطمة عليها
السلام طلبتها بعد وفاة أبيها عليه الصلاة والسلام تارة بالميراث وأخرى بالنحلة فدفعها ابو بكر وعمر
عنها . وحي المراءعي حول المدينة كلها من واثي السلميين كلهم الا عن بني أمية فأباحاهم . وأعطى عبدالله بن
أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح أفريقيا بالمغرب « من طرابلس الغرب الى طنججة » من
من غير أن يترك فيه أحد من السلميين . وأعطى أبا سفيان بن حرب والد معاوية مائتي ألف درهماً
من بيت المال في اليوم الذي وهب مروان المائتي ألف درهم وقد زوجه ابنته أم أبان فجاء يزيد بن
الارقم صاحب المال بالمفاتيح فوضعا بين يدي عثمان وكفى فقال عثمان أتبكي ان وصلت رهي ؟
قال لا ولكن أبكي لاني أظنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت تنفقه في سبيل الله في حياتك رسول
الله ولو أعطيت مروان مئة درهم لكان كثيراً ولو أعطيت أبا سفيان درهماً واحداً لكان أكثر وكلامها
حاروا الاسلام ماشاء الله فقال عثمان الى المفاتيح يا ابن أرقم فأتى مسجد غيرك . وآتاه أبو موسى
الاشعري بأموال العراق قسمها كلها في بني أمية وغير ذلك كثير . ولم يكن هذا وحده سبب تقمة
الناس على عثمان بل هنالك أمور أخرى منها تحججه عن رعاياه وتهاونه في إقامة الحدود ورد المظالم
وكف الأيدي العادية وأنت تعلم ان أكثرها إليك الأيدي العادية كانت أيدي بني أمية ومن شايهم

وَقَدْ عَلَا مُنْبَرَأَ الْهَادِي وَبَسَلَ وَأَسْتَهْدَى وَآيَةً بَيْنَ الْجَمْعِ ثَابِتًا
وَقَالَ: ثَبَّتْ إِلَيَّ رَبِّي وَعَدَّتْ إِلَيَّ رَعِيَّتِي مُقْسِيًا أَنْ لَا أُرَاقِبَهَا
وَلَمْ يَزَلْ خَاطِبًا فِيهَا يُجَالِلُهَا حَتَّى هَمَّتْ فِي الْبُكَامَةِ مَا فِيهَا
لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَأْوِي لِمَنْزِلِهِ حَتَّى رَأَتْ بَعْدَهُ مُرَوَّانَ لِاحِبَهَا
فَجَاءَهَا غَضَبًا يَلْحُو تَجَمُّرَهَا وَرَاحَ بِاللَّوْمِ وَالتَّعْنِيفِ يُؤْذِنُهَا
فَاذْهَبَتْ مِنْ قُوسِ الْقَوْمِ قُسُوتُهُ مَا نَالَ عُثْمَانُ مِنْ بَادِي تَحْنِينِهَا

وفي حجة سنة ٣٥ هجرية خرج أهل مصر في أربع رفاق عليهم أربعة أسراء وعددهم نحو
الالف وكان أميرهم الأكبر الباقي بن حبيب الذي وكان معهم ابن السوداء ولم يملوا أنهم خرجون
للتوردة بل أظهروا للناس أنهم سائرون للحج . وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق عليهم أربعة
أسراء وعددهم نحو الف وكان أميرهم عمرو بن الأصم وأدعوا إليهم يريدون الحج أيضاً وخرج أهل
البصرة في أربع رفاق وعددهم نحو الف وعليهم أربعة أسراء وأميرهم الأكبر حرقوس بن زهير
السدي وتظاهروا برغبة الحج أيضاً لحرمان خروج هؤلاء الثأرين للمدينة وهم يتظاهرون برغبة
الحج وجعل عمال عثمان بمحيفة نواياهم مما يوجب العجب من دهاء منظمي هذه التوردة وبراعتهم في
تكتلهم بأنهم . وقد بلغ تأثر هذه الأسماء الثلاثة ضواحي المدينة المتوردة في زمن متقارب وفي هذا
أيضاً من البراعة والدهاء ما فيه وتزلوا في موضع يسمى « ذاختب » وأرسلوا من قبلهم رواداً
تصدوا أكبر الصحابة وفي مقدمتهم سيدنا علي وطلحة والزبير وأنباؤهم أنهم ما دعوا المدينة للاعتداء
على شخص الخليفة ولا لاحتداث حدث في الاسلام ولكن لأكراه الخليفة على إقالة عماله الذين طالما
شكروهم لثباتهم ولم يشكهم وعادوا من غير ان يمجدا مشجعا لهم ولهم كانوا يطلبون قبل كل شيء إقصاء
مروان بن الحكم عن الخلافة على نوع خاص على اعتبار انه السبب الأكبر لكل ما كان يجري في الخلافة
وأرسل الثأرون من يرود أسر المدينة ويطلع طلع أهلها فدأوا إليهم بذيئهم ان الناس في
المدينة لا يطمعون عن مقدمهم شيئاً فاقبلوا على المدينة ودخلوها فتهب عثمان قدومهم وأسرع بنفسه
الى منزل سيدنا علي عليه صلوات الله فدخل عليه وقال : يا ابن عم ابن قريش قريه ولي عليك حتى وقد جاء
من ترى من هؤلاء القوم وهم مصبحي ولك عند الناس قدر وهم يسمون منك وأحب منك أن
ترك إليهم قدومهم غني عن في خروجهم علي وهذا لا سري وجرأة علي قتال علي : على أي شيء
أردتهم ؟ قال عثمان : على أن أصير الى ما شئت به ورأيي لي . قال علي : اني قد كنت مرة بمد
أخرى وأنت قد ترجع وهذا من فعل مروان ومعاوية وابن عاص وعبد الله بن سعد اذ أعطتهم
وعصيتني قال عثمان : ولكن الآن آليت ان أطيعك قتال جيداً لو صدقت وأسرع فركب الى القوم
ومعه ثلاثون رجلاً من خيار المهاجرين والاهصار فكان من المهاجرين سيد بن زيد بن عمر بن
بكيل وأبو جهم المدوي وحبيب بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد
الرحمن بن عتاب بن أسيد وكان من الانصار أبو أسيد الساعدي وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت وكعب
ابن مالك وغيرهم فأثروا الثأرين وكلمهم علي ومحمد بن مسلمة فسموا منها وهو بالرجوع بأصحابهم يطلبون
مصر ورجع سيدنا علي عليه صلوات الله مع من معه الى المدينة وقابل عثمان وأشار عليه ان يسكنهم

وَأَقْنَسَتْ أَنْ إِصْلَاحَ الْخَلَاةِ لَا يُنَالُ مَا دَامَ مُرَوَّانٌ مُنَاجِبَهَا
وَأَنَّ عُثْمَانَ لَا يَفُكُّ مَعْتِدًا عَلَى وَزَارَتِهِ هَيْهَاتَ يَقْضِيهَا
فَهَا جَمَعَتْ يَنْتَهُ حَالًا وَقَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزَّيْ وَطَلَّابُ الْفُزْدِكِ يُغْرِئَهَا

بكلام يسمه الناس منه ليسكنوا الى مايدهم به من النزوع الى الاصلاح وقال له . ان البلاد قد
تمحضت عليك ولا آمن أن يجيء الشر من جهة أخرى فتقول لي يا علي اركب اليهم قل لم أفضل تقول
قد قطع رحمي واستخف بجحتي قبل عثمان النصيحة وارسل فاستدعى زعماء السائرين قدموا الى
المسجد وخرج اليهم عثمان فخطب خطبه نزع فيها مايشكى منه ووعد بالتوبة فرق الناس وبكوا
حتى غضلوا لحاهم وبكى هو أيضاً فلما نزل وعاد الى بيته وجد هناك مروان وسعداً وقرأ من بني
أمية لم يحضروا خطبه بل سمدوا بها وتقموها فقال مروان أأتكم يا أمير المؤمنين أم أسكت ؟
فقال نائلة امرأة عثمان وكانت حاضرة بل تكست قائم والله فاطوه ويمتو أطفاله انه وقد قال
مقاتله لابني له أن ينزع عنها فتجيبها مروان فتجيبه وتلتاحم ثم عاد مروان فقال لعثمان : بأبي
أنت وأبي وددت لو ان مقاتلك هذه كانت وأنت متمتع فكنت أنا أول من رضي بها وأطاع عليها
لسكنك وأسأف قلت ماتت حين أعطيت الحطة الدلية الدليل والله لا لامة على خطيئة تستغفر الله منها
أجل من توبه تخوف عليها ما زدت على أن جرأت الناس عليك وما زال مروان يفرى عثمان بالرجوع
عن وعده مبيتاً له انه هو الذي أطع الناس بصفه حتى اقنع وسمع له أن يخرج الى الناس
وينتضى قوله فخرج مروان وقال لهم بظنكم : ما بالكم قد اجتمعتم كأنكم حشم تهير شأهت الوجوه
أتريدون أن تتروا ملكتنا من إيدينا انزوا عنا وان والله رتمتونا لتشرن عليكم ماحلاً وتلمن
بكم مالا يسركم ولا تحمدوا فيه غب رأيكم ارجعوا الى منازلكم نا والله غير مغلوبين على ماقي
أيدينا اه قلما سمع الناس من فم مروان غير ماسموا من عثمان رجوا وهم يسبونهما كليهما .
ولما بلغ علياً عليه صلوات الله ما كان من مروان اسرع الى عثمان فوجهه لاقباده الى مروان وانبره
بسوء المقي واعلنه بانفسه لا يعود الى معانته ابداً وانصرف وبعد انصرافه دخلت عليه امرأته نائلة
لحفته على الاصفاء ليدنا عني والاعراض عن مروان فتقدم على ما كان منه واورسل نائلة الى علي يستقدمه
فرفض ان يجيء اليه فسار اليه عثمان تحت جناح الظلام فقال له علي عليه صلوات الله ماهذا
ياعثمان ؟ ابد ما تكلمت على منبر رسول الله واعطيت من نفسك ثم دخلت بيتك فخرج مروان
الى الناس يستتهم على بابك ؟ والآن تريد مني ان اعود قاراضي الناس فهل تظن ان باستطاعتي ان
اراضهم لا والله وهكذا انصرف عثمان من دار علي وهو مأبوس

وفي صباح اليوم التالي خرج عثمان الى المسجد ليصلي بالناس وخطب فيهم بعد الصلاة فقال
ان الناس قد وجعوا ببدان علموا ان امامهم كان باطلاً فما اهل عمرو بن العاص ان عارضه
قالوا : اتق الله ياعثمان فبك قد ركب اموراً وركبناها ملك قب الى الله شب ملك فناداه عثمان
قالوا وانك هناك يا ابن الناجية قلت والله جيتك مد عزلتك عن العمل . فلما سمع عمرو بن العاص
قول عثمان خرج من المسجد وهو اشد نعمة على عثمان من كل الناقين عليه وسار لساعته الى
قصره في فلسطين قائم فيه بعد ان بنى في صدور الناس من الحقد على عثمان ما بنى

وما اهل التآرون ان عادوا بعد خروجهم من المدينة فاعتزضهم علي عليه صلوات الله رغبة
تلاي الشر وكان معه محمد بن مسلمة وقل لهم ما سبب عودتكم ؟ وهو يظن انهم عائدون للاتقام

وَحَاصِرُهُ بَقِيَ مِنْهُ اَتَنَزَّلُ اَزَ بَعِيْنَ يَوْمِهَا طَوَّالًا مَعَ كَلْبِهَا
وَكَانَ مُتَنَبِّئًا اَنْ يَسْتَقْبِلَ وَيَقْرَى مِنْ ثِيَابٍ فَخَارَ اَرْضَ كَاسِيَهَا
وَبَعْدَ اَنْ طَالَ عَهْدُ اَحْصَرِ اَرْسَلُ عُسْمَانُ عَلِيًّا اِلَيْهَا كَتَبِي يُوْرِضِيهَا

لا تقسم بما اسمهم مروان في اسمهم فاخرجوا صحيفة في انبوبة رصاص وقالوا وجدنا غلام عثمان
بالبوب على بئر من اهل الصدقة ففتشنا متاعه فوجدنا فيه هذه الصحيفة ياصرفها بجلد عبد الرحمن
ابن عويس وعمر بن الحق وعروة بن اليعاب وحبيهم وحلق رؤوسهم ولحاهم وصلب بعضهم فاغتاط
سيدنا علي عليه صلوات من هذه القصة التي كانت موقظة الشر وسار ومعه محمد بن مسلمة الى عمان
فدخلوا عليه وكان عنده مروان ولخبراه برجة الثاثرين الى المدينة وطلبا منه ان يأذن بدخول
المصريين منهم عليه فقال مروان بل انا اخرج فاكلهم فقال عثمان اسكت فض الله فاك ما انت
وهذا الامر اخرج عني فخرج قصص علي ما كان من امر الانبوبة الذي مسكه المصريون مع ساعيه
واخرج له الانبوبة من حبيبه فتناوله عثمان ونظر الى الكتاب الذي فيه واقسم بالله انه ما كتبه
ولا ارسله فقال علي اليس هذا الختم ختمك والساعي من عمالك والاحلة من نوق الصدقة قال نعم ولكني
ما كتبت الكتاب ولا امرت به فقال محمد بن مسلمة : صدق والله هذا من عمل مروان فقال علي ان الاولى
ثلاثي الشر ان تسمح للمصريين بالدخول عليك وتلطف بهم لملك تستبيل قلوبهم قال فليدخلوا فارسل علي احد
الساة بطلبهم فغفر منهم بعض وجوهم فلم يساموا عليه بالخلافة وذكر بن عديس ما فعل عبد الله
ابن سعد عامه على مصر بالمسلمين واهل الذمة وكيف استأثر بالفنائم وقال ومثل هذا يشكو اهل
الكوفة والبصرة وغيرهما من الامصار وقد قدمنا المدينة ونحن نريد ان نحملك على الحق فردنا علي
وضمن لنا نزولك الى الحق وما كدناهم بالموءدة حتى رأينا غلامك وكتابك وعليه خاتمك . خلف
عثمان انه ما كتبه وقال علي ومحمد انه لصديق فقال المصريون ومن كتبه ؟ فقال عثمان لا أدري
قالوا في يجر عليك ويصم غلامك وجل من الصدقة وينتس على خاتمك ويصم الى عاملك بهذه
الامور العظيمة وانت لا تعلم ؟ قال عثمان لا اعلم والله قالوا ما انت الا صادق او كاذب فان كنت كاذبا فقد
حق عليك الخلع لما امرت به من تلقنا والتنكيل بنا بغير حق وان كنت صادقا قالوا يجب ان تخلع
نفسك لضممك عن هذا الامر وغفلتك وخبت بطانك ولا ينبغي لنا ان نترك هذا الامر بيد من
من تقطع الامور دونه لضفه وغفلته فخلع فملك منه كما خملك الله فقال عثمان لا اترع قيصا
اليهيه الله ولكن اتوب واتزع قالوا لو كان هذا اول ذنب ثبت منه قبلنا ولكن رايك تتوب
ثم تمود ولنا منصرفين حتى نمهلك او نتملك او تلحق لرواحنا بالله تعالى وان منك اصحابك واهلك
فانما هم حتى نحمل اليك فقال عثمان اما ان اقبأ من خلافة رسول الله لقتل أحب الي من ذلك واما قولكم
بما تلون من مني فاني لا آمر احدا ان يقاتلكم فن قاتلكم فغير امري وكثر بعد ذلك الجدل بين
عثمان والمصريين فنهض سيدنا علي واخرج المصري حتى اذا ما اصبحوا خرجا حاول ان يلطفهم
شأنهم فما استطاع الى ذلك سبيلا فتركهم وهبى الى بيته وهو أسف مما جرى ويوقع الشر مما هوأت
اما الثاثرين فاتهم بمسوا من الاصلاح وحصروا عثمان في الحال فمجد مشبهه خيرا من ان
يكتبوا الى الاجناد يستنجدونهم على الثاثرين على انهم اشاروا على عثمان ايضا ان يسود الى سيدنا علي
عليه صلوات الله كي يستخدم نفوذ على الثاثرين وبفضل مساعيه يطاولونهم الى ان فصل التحدثات
المطلوبة قبل وارسل الى علي ان يتوسط بينه وبين الثاثرين ويردهم عنه على ان يطيعهم ما يطلبونه

وَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الْمَوْتَ مِنْ يَدِهَا فَاحْشِنْ دِمِّي وَأَصْرِفْنَهَا عَنْ تَعْلَمَتِهَا
قَالَ: وَاللَّهِ يَا عُمَانُ مَا قَصَدْتُ لَكَ الْهَلَاكَ وَلَا ذَا مِنْ مَرَامِيهَا
وَأَمَّا هِيَ تَبْنِي الْقُدْلَ مِنْكَ فَإِنْ عَدَلَتْ وَقِيَتْ أَسْوَأُ تَلَاقِيهَا

فقال سيدنا علي لهم لا يقبلون التلاوة وقد كان من امرهم ما كان وهكذا ورد الرسول ولم يفته عليه صلوات الله
ان عثمان وبالأحرى مشير به في هذه المرة يريدون المطاوعة فاعاد عثمان رسولهم الى علي وهو ملحف عليه ان
يأتيه فما امتنع وجاءه فقال له: قد ترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دي فارددهم عني فاني اعطيهم
ما يريدون من الحق من قسي وغيري قال سيدنا علي: ان الناس احوج الى عدك منهم الى تلك
ولا يرضون الا بالرضى وقد كنت اعطيهم اولاً عهداً فلم تقدر به فلا توزني هذه المرة فاني
معطيهم عليك الحق قال عثمان: اعظم فؤاده لأين لهم فخرج علي الى الناس وقال لهم: انما
طلب الحق وقد اعطيتموه وقد زعم عثمان انه متصفكم من قسه وانا الضيف قال الناس قبلنا
فاستوفى منه لما لنا لارضى بقول دون فعل فتركهم سيدنا علي وعاد الى عثمان فأنابه بان الناس
ما عادوا يفتنون بعجز الوعد بل يطيلون العمل فقال عثمان اني لا أستطيع ان أرد ما كر هوا لي
يوم واحد فاضرب بيني وبينهم أجلاً فقال علي: اما ما كان في المدينة فلا أجل فيه وما غلب عليه
وصول أمرك اليه قال لهم فأجلي فيالي المدينة ثلاثة ايام فأجابه الى ذلك وكتب تهدي على قسه فورد
كل مظلة وعزل كل حامل كرهوه فخرج علي الى الثائرين وشرهم بما كان فاستبشروا وخففوا
الحصار واقاموا يتطربون للتشفي.

اما عثمان وبالأحرى بطائته فجعلوا يدون عنهم للقتال ومضت الايام الثلاثة ولم يقل شيئاً
فغشاه الثائرون وشددوا الحصار عليه فشرّف عليهم من منزله وخطبهم متطعاً بهم يسألهم الرفق
به وبهم وهم يقولون اخلع نفسك فيقول لا اخلع سرياً لا اليسني الله
ولما مضت ثمان عشرة ليلة من الحصار قتم المدينة ركباً من الامصار فاستبشروا خير من نياً
اليهم من الجنود الذين اعدهم عمال عثمان لتجدهم حسب طلبه فلما انتهى ذلك الى الثائرين اشتدّت
عزيمتهم على حل المشكلة قبل ان تصل جنود الامصار فخالوا بين عثمان والناس ومنوه كل شيء حتى
الماء وهم ينادون بأعلى أصواتهم لهم لا يريهون قتله ولكن ظنه أما عثمان فكان مصرّاً على
البقاء في خلّاته وأرسل سراً الى علي وطلعة والوزير وأزواج النبي يطلب منهم اسماقه بالماء فكان
أول من لباه سيدنا علي عليه صلوات الله فجاءه في الليل فقال أيها الناس ان الذي تقطونه لا يشبه
أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين فلا تقطعوا من هذا الرجل الماء ولا اللادة فان الروم فارقس لتأسر
تقطع وتشتي فقالوا: لا والله ولا تمة عين فرمى بسماته بالدرا وأمر بالماء وأدخله على عثمان عنوة
ثم جاءت أم حبيبة زوج النبي بالماء لثمان فما استطاعت توصيله اليه. أما عائشة زوج النبي فكانت
من ابتد الناس على عثمان تنزي الناس به وتنمي عليه عمله وتسميه متلاً فلما وصلها رسولها يطلب
منها أن تعدّ بالماء علمت أن الثورة قد استعظمت فأجبت الخروج الى مكة حتى لا تحضر الفاجعة
واستعدت أختها عمداً بن أبي بكر وطلبت منه أن يصحبها فاني خرجت وحدها الى مكة قبيل سفر الحاجاج
وكان طلحة لا يحتاج للظهور بدلوته لثمان فيؤكّب عليه الناس ويشدد عزائمهم خلافاً
للزبير الذي كان ملازماً يئس لكنه كان اذا أتى اليه الثائرون يحسن لهم علمهم. وكان عبد الله ابن عباس
ملازماً باب عثمان لا يخلقه فلما آن ميقات الحج وعثمان محصور ولله أمره الحق قال الفضل عندي

شَكَتْ إِلَيْكَ مِرَاراً وَهِيَ صَابِرَةٌ وَلَمْ تَكُنْ مِثْلَمَا تَرْجُو مُسْكِبَهَا
أَخْرَجَتْهَا وَهِيَ هَذَا الْيَوْمَ قَدْ خَرَجَتْ عَلَيْكَ إِنِّي عَلَيْكَ أَلْتَقُ مُغْطِبَهَا
أَجَابَ عُثْمَانُ: عِدَّاهَا بِالَّذِي طَلَبْتُ وَعُودَ صَدِيقٍ أُرِيدُ الْآنَ أَوْفِيهَا

أدبني على جهاد هؤلاء الناس فأقسم عليه أن يسير فصار
ولما رأى التائبون أن موسم الحج قد دنا وأن عمال عثمان قد وجعوا الجفود عليهم همدوا
إلى حل المشكلة بقتل عثمان ونمي ذلك إلى سيدنا علي فأسرع حالاً وأرسل ولديه الحسن والحسين
وقال الزما بابه وموتا دونه أو نمتاه وكذلك قدم لحاية عثمان من القتل محمد بن طلحة وسروان بن
الحكم وسعيد بن أبي وقاص وعبد الله بن الزبير وغيرهم من أبناء الصحابة فوقوا بباب عثمان
ومنعوا الآخرين من الدخول وبينما هم يجالسونهم خرج عثمان إلى أبناء الصحابة فزجرهم وأدخلهم
داره وأغلق الباب عليهم دون الآخرين فقام رجل من أسلم يقال له تيار بن عياض وكان من الصحابة
فنادى عثمان فخرج إليه وبينما هو يتأشده أن يخلف نفسه إذ رماه كثير بن الصلت الكندي بهم
فقتله فصاح المصريون قائلين ادفع إلينا القاتل لنتقله به قال ما أنا لا قتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون
قتلي فلما سمعوا جوابه ثاروا وهاجوا الباب فدخل عثمان وأقتله وجلس إلى المصحف يقرأ فيه أما
التائبون فاذ تنزل عليهم فتح الباب جاؤا بنار فأحرقوه والقيفة التي فوقه وبينما هم كذلك خرج
اليهم من دار عثمان أولاد الصحابة على رأسهم الحسن والحسين ليردوا الناس وكان معهم مروان بن
الحكم فتعرض له رجل من بني الليث يدعى «البياع» ففرض مروان على رقبته فأبنت سيفه وقطع
أحد علياويه فمات بعد ذلك أوقس ولو لم تنجده مرضته فاطمة أم إبراهيم بن عدي وتأخذ جريحاً
إلى بيته لتلقوا عليه . وفي المغيرة بن الأحنس بن شريف رجلاً قتلته واقتحم الناس بعد ذلك الدار
فتصدى لهم الحسن والحسين ومن معهم من أولاد الصحابة فنموهم فاكل منهم الا أن اقتحموا
الدار من داور من بني حزم التي بجوارها حتى ملأوها وندبوا منهم رجلاً ليعرض على عثمان أن يخلع نفسه فدخل
عليه وهو في غرفته مكب على قراصة القرآن فقال له اخلعوا وندعك قتال ويحك والله لست خالماً
فبعثاً كتابه الله تعالى حتى يكرم الله أهل السادة ويهين أهل الشقاوة فخرج عنه ولم ينله بسوء .
فأدخلوا عليه رجلاً من بني ليث فآخر فكان يجيب عثمان كلاماً منها بما يرضيه ولكنه يأتي أن
يخلع نفسه فيخرج ولا يناله بسوء . وكان آخر من دخل عليه محمد بن أبي بكر فقال له عثمان وبك أعلى
الله تنضب هل لي إليك حرم إلا حقه أخذته منك « إشارة إلى أنه هزله من أماره مصر » فأمسك
محمد بليعة عثمان وقال قد أخزك الله يا عتل فقال لست بعتل ولكي عثمان وأمير المؤمنين فقال محمد
ما أغنى عنك معاوية ولا مروان وفلان وفلان فقال عثمان يا ابن أخي ما كان أبوك « ويريد
أبا بكر » ليقبض عليها . فقال محمد لو رأيك أبي تمل هذه الأعمال أنكرها عليك والذي أريد
بك أشد من قبضي على لحيتك . فقال عثمان استصبر الله عليك وأستعين به فتركه محمد وخرج وهو
يقول تصاغر أمامي قتركته . وفي حال خروجه هجم على عثمان فتبره وسودان بن حمران والناقي
فضر به القافي بجديده ممة فقال دمه على المصحف وجامسودان يضرب بالسيف فأبكت عليه أسرته نائلة
لثمنه وتلفت السيف بيدها فتفح أصابعها فأطنَّ أصابع يدها وولت وتي على عثمان فقتله . ودخل
غلمة لثمان ليضروه ففرض أحداهم رقبة سودان فقتله وتوبت تبره على الغلام فقتله وانهبوا ما في
البيت وخرجوا وأغلقوه على القتلى الثلاثة عثمان والغلام وسودان ومخروجهم وثب أحد غلمان عثمان

قَالَ أَمَلِي: وَلَكِنْ مَا صَدَقَتْ لَهَا قَبْلًا فَلَيْتَكَ تَتَوْنِي أَنْ تَدَاجِيَهَا
وَسَارَ يُنَلِّهَهَا وَعَدَّ الْخَلِيفَةَ يَسْتَرْضِي قُلُوبَنَا طَوْتَ ضِفْنًا مَطَاوِنَهَا
وَأَلْتَرْتَعَى خَيْرَ مَنْ دَاوَى النَّفْسَ مَرَا ضَا بِالْعَدَا وَهَوَ طَبَّ أَنْ يَدَاوِيَهَا

على قبره قتله وكان قتل عثمان يوم الجمعة لثمانى عشرة خلت من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ
وبقي عثمان ثلاثة أيام قليلاً مضرباً بدمه لا يجرأ أحد على دفنه ثم أن حكيم بن حزام القرشي
وجبير بن مطعم كلا علياً أن يأذن بدفنه فأذن وحسن لهم أن يدفن ليلاً تلياً للشر وسار بمجنزته
الحسن والحسين والزيد وسروان بن الحكم وحذيفة ودفن في حش كوكب طرج البقيع وصلب
عليه جبير بن مطعم وكانت ولايته ١٢ عاماً إلا ١١ يوماً

وقد أصبح سيدنا أمير المؤمنين عن رأيه الأعلى في قتل عثمان وقتلته بما لم يبق معه مقال
فقال قتال: «لو أمرت به لكنت قاتلاً» أو نيت عنه لكنت ناصراً، غير أن من نصره
لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير
مني، وأنا جامع لكم أمره، استأثر فأساء الأثرة، وجزعهم فأسأم الجزع، ووقع حكم واقع،
في المستأثر والجائز» اهـ

«كلمة الى الشيخ محمد الحفري»

رأت ادارة الجامعة المصرية أن تلتى محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية على طلبتها فانتدبت
لذلك حضرة الاستاذ الشيخ محمد الحفري قمل وطبع محاضراته ووزعها على الناس . وبالطبع ان
ادارة الجامعة عند ما وثقت بلم الشيخ وأناطت به اطلاع تلاميذ الجامعة وهم زهرة الشبية المصرية
اعلى تاريخ الامم الاسلامية وما فيه من البر أرادت منه أن يكون صادعاً بالحق متوخياً ما فيه مصلحة
المسلمين والظاهر ان الشيخ كان طارفاً بلهمة التي اتدب إليها بقدرها حق قدرها

وقد رأينا في محاضرات الشيخ الحفري اقوالاً كثيرة لا يقولها الا بنو أمية وأنصارهم فقلنا
ما كان أحرى بالشيخ لو كان في أيام معاوية بن أبي سفيان ومن تمه من الخلفاء الامويين فقلتي
من حوالبهم محاضراته على الناس فيرضيهم بها أما الآن وقد مرت على الدولة الاموية نحو ألف
وتمتامة طاماً فنا اؤكد لحضرة الاستاذ الفاضل بأن ما في الساس من يرضيهم قوله اذا لم يكن مدعوماً
بالحق مؤيداً بالبرهان الاشهب

لم يذكر الشيخ الحفري في محاضراته ما كان في «غدير خم» ولم يلتفت حق الالتفات
الى الاسباب التي دعت حلة أسامة بن زيد على الامتناع عن الخروج بأسر المصطفى عليه الصلاة والسلام
للتزو ولا قال لما شيئاً عن عمر عند ما منع أن يؤتى للمصطفى بالروح والدواء وهو على فراش الموت
واعترض ما شاء الاعتذار عما كان في السقفة وكل هذا فترمله لا اعتقاداً بأنه ملسس توبه الدين ولو قال جرة
في محاضراته ان المسألة سياسية بحجة لا علاقة لها بالدين وغلط الذين أبسوها توهم الدين. ولكن الذي لا نغفرو
عليه هو تصغير أمر الخوارج الذين خرجوا على عثمان وذهابه مع الداهيين الى تكذيبهم ونسبتهم حركتهم
ضمناً بل قل صراحة الى الصحابة ولا سيما سيدنا علي أمير المؤمنين عليه صلوات الله ولومه ضمناً أو
صرحة أمير المؤمنين والصحابة الآخرين لانهم كانوا يسيبون عثمان وعمله وتجاوزهم الحدود الاسلامية
في سياسة الرعية وتعميم بغيراتها ولومه عثمان لأنه لم يستعمل الشدة مع الذين اتفوا بوجهه يطلبون
منه الرجوع الى الحق كما أشار عليه عماله كل هذا وأمثاله كثير في محاضراته انتشار إليها وقع منا

وَلَمْ يَزَلْ يَنْهَى بِاللُّطْفِ يُعْطِيهَا عَمَّا تُحَاوِلُ مِنْ شَرٍّ وَيُشْفِيهَا
وَبِالْمَوَاعِيدِ يُطْفِئُ نَارَ حِدَّتِهَا وَبِالْمَوَاعِظِ وَالْآيَاتِ يَهْدِيهَا
حَتَّى اسْتَنَامَتْ إِلَيْهِ فِي رَغَائِبِهَا بِشَرَطِ أَنْ آيْنَ عَقَانِ يُجَارِيَهَا

موضع الدهشة والاستعراب حتى قلنا انه أموي في القرن الاول للهجرة يتكلم لأحد علماء القرن الرابع عشر الهجري . ولعمري اذا هان على الناس سباح كلمة في أي كان من السلف فما فيهم مؤمن يرضى أن ينال نائل من سيدنا علي بن أبي طالب عليه صلوات الله في هذا العصر حيث لا مؤثر سياسي مجهول على الاعضاء وهم متألمون

انتا بكل احترام نتقدم من حضرة الاستاذ الشيخ محمد الحفري ببيان منزلة سيدنا علي بن أبي طالب عليه صلوات الله من أنفس المسلمين أما منزلته عند الله ورسوله فهو أدرى بها مني لأنه مسلم صحيح الايمان يعرف فوق ما أعرف أنا من حقيقتها ولا أريد أن أجاده في هذا الأمر الا من الوجهة التاريخية الدينية فأقول : ان الاستاذ يعلم ما فعلت السياسة لتتغير المسلمين من سيدنا علي وحسينه عليهم وعلى المصطفى الصلاة والسلام ولا يمزب عن علمه الواسع كيف كان الناس يسبون سيدنا علي على عهد الأمويين من على المنابر وفي مجالسهم وفك مريع ثابت لا جدال فيه ولا يجمل الاستاذ حفظه الله ما كان ينال شيمة سيدنا علي وبغية من اضطهاد الأمويين وعملهم وما بذل من الجهد والجهود لوضع الأحاديث وتصنيفها لتتغير سيدنا علي أو ايصال غيره من الصحابة الى مرتبة العلية . وفي الأخير يعلم الاستاذ ولا يجمل أن مساعي بني أمية هذه قد نجحت نجاحاً باهراً حتى كنت لا تجد في المسلمين من يسمي أولاده علياً أو حسناً أو حسيناً وقد انتشرت فيهم أسماء معاوية ويزيد وعبد الملك وسروان بعضهم لتتشبه من روح الكره لآل البيت الطاهر وبعضهم خوف الاتهام بتشبه لهم حتى روى أحد الرواة أنه لم يجد في الشام فلها في نحو سنة ٨٠ للهجرة من سمي أولاده بأسماء آل البيت العرفقة سوى رجل واحد هرب به في بيرة الشام فاستقر أبصره وظنه متشبيهاً فأله كيف رضي أن يسمي أولاده علياً وحسناً وحسيناً فقال : اني ما سميتهم بهذه الأسماء الا لأستريح سبهم وانهارهم فكأنني أسب أولئك الذين لهم هذه الأسماء فتأمل .

نعم هذا ما فعله بنو أمية في مدى حكمهم وتد بلغ المنة طاماً . على أن هذا لم يمنع الناس أن يكونوا متشيعين سرّاً لسيدنا علي وولديه وأولادها رغم تلك السياسة القاهرة الضاغطة فقال من شر الأمويون بهم على هذا المذهب ما نالهم من الشر على ما هو معلوم . ثم ان آل البيت الطاهر وشيعتهم لم يسلموا على عهد الباسيين من الاضطهاد والتشكيل أيضاً لظالميتهم بالخلافة وحسبانها من حق الطالبين دون سواهم فما استطاع الباسيون على طول عهدهم بالخلافة ودغول الأتراك فيها من قتل هاتيك الروح الشريفة روح التشيع لوصي المصطفى ووزيره وأفضل وأكمل رجل في الاسلام بعد المصطفى عليهما الصلاة والسلام . ثم دارت الافلاك وتحولات الأحوال وتلاشت القوى الضاغطة على القول وأطلقت للناس الحرية في اعتقادها فرجعت الى ما كانت عليه من احترام أهل البيت الطاهر وتقديسهم فما عدت تجد واحداً يخلو بيته من اسم محمد أو علي أو حسن أو حسين كما ما عدت ترى شخصاً واحداً يدعي باسم معاوية أو يزيد أو عبد الملك أو سروان . وهذا الانقلاب وحده يكفي للاعتقاد بأن لآل البيت الطاهر مكانة عند الناس مبنية من مكانة المصطفى وأن المكاتبين متلازمان لا انفكاك لاحدهما عن الاخرى بيان ذلك في نظر العامة أو الخاصة فالعامة تنظر الى مكانة أهل البيت من

وَأَمَلَتْهُ ثَلَاثًا كَيْ يُقْبَلَ بِهَا عُمَاةٌ كَانَ ذَا أَقْصَى تَوَخُّبِهَا
مَرَّتْ وَلَمْ يُجِرْ عُثْمَانُ إِلَّا قَالَةَ بَلْ لَوْ رَأَاهَا لَمْ يَكُنْ مُرَوَّانُ مُضِيِّهَا
لَذَلِكَ شَدَّتْ عَلَيْهِ شِدَّةٌ جَزَعَتْ لَهَا أَلْفُوسٌ وَجَدَّتْ فِي تَحَرُّبِهَا

الحجة الدينية فقط والحاجة من جني الدين والعلم بالتاريخ حتى صار كثيرون من علماء السنة الذين لا بد لهم من اترار ماجرى في صدر الاسلام والدفاع عنه أن يجروا بجواز ولاية الفضول بحضور الفاضل وأن يملنوا عند ذكر الحوادث التي نحن بصددها قولهم : « اتنا لا نظن بصعابة رسول الله الا اخيراً » وما ذكرنا هذا لفرض الاستاذ لأنه لا يعرفه ولكن لاننا نشكو من تطرفه بالتيسع للأمويين ما ساقه الى تقرير كل ما كتب للدفاع عن دعوى بني أمية حكائقي راهنة لا تقبل الجدل حتى زلق به القتل الى توجيه ما كنا نريد أن ننزه قلبه عنه الى شخص سيدنا علي عليه صلوات الله حتى رأيناهم ينهم هذا السيد الأروع الجليل بمقتل عثمان بنه صراحة ان لم يقتل به صراحة وبعد فهل يمتدح حفرة المؤرخ الكبير الشيخ محمد الحفري باعتقاداً صحيحاً أن سيدنا علي ما بذل فوق الجهد ليرجع عثمان عما يساق اليه من الشطط بأيدي أصحابه الامويين ؟ وهل يعتقد اعتقاداً صحيحاً أن سيدنا علي الذي طالما طوَّض عمره على شدة غيرته على الحرية السمحاء وكان مرسماً له وبقول « لولا علي لهلك عمر » يسهل عليه أن يرى الامويين يسيطرون في ظلال عثمان على المسلمين ويتبنون مخبرات الخلافة الاسلامية ويسكت ؟؟ وهل يمتدح أن سيدنا علي ما بذل جهده لتبليغ الفتنة سراراً ونكراً وأنه لم يتوسط باخلاص بين عثمان والتأثرين فذلك وكان عثمان يقتنع من نصائحه الصادقة وبعد بالأصلاح ثم يترسّ الاسم ويفسده مروان ؟ اذا كان يمتدح الشيخ الحفري ان هذا لم يحصل ولذلك لم يذكره في كتابه لتبرير سيدنا علي من قتل عثمان فما أحراماً أن يرجع الى التاريخ وإن كل من يمتدحه قد حصل ولكن لم يكن علي غلصاً فيه فكان يجب أن يذكره في كتابه ويقم البراهين على عدم اخلاص سيدنا علي بنصائحه لتعرف كيف تتم الحجة لاقتناعه باخلاص الامام وفي الاخير اذا كان الشيخ الحفري يمتدح ما كتبه في محاضراته بأن عمال عثمان ما كانوا مخفيين وإن التأثرين قد طردوهم وظلموا أصحابهم عثمان وإن سيدنا علي وغيره من كبار الصحابة كطلحة والزبير حتى عبد الرحمن بن عوف الذي كان متجنباً للخلافة وعمالها وكان أول من تجرأ على عثمان فقتله يده الى ابل الصدقة التي ما كادت تصل الى عثمان حتى وهبها لبعض ولد الحكم فخذها وقسمها بين الناس احتجاجاً على الهبة واعتراضاً عليها فاذا كان مبلغ علمه بالتاريخ ان هؤلاء الصحابة وبقية الناس كانوا عظمكين بتعظمت عثمان فيما فعل ولا يرضاه الشرع الاسلامي فأقول بكل أسف انه قد مدعن الحقيقة وأأسف أن يحمل تلامذة الجامعة المصرية في القرن الرابع عشر للهجرة معاضراته في محل الاعتبار كنها حقيقة واقعية لا ربه فيها ولا باطل يتصورها وأراد الشيخ محمد الحفري حسب اجتهاده أن يصير المسألة في نظر المسلمين انقصد حسن طبعاً وهو جمع كلهم بعد أن بدوا عن هاتيك المواقع هذا العهد الطويل. وبعد أن لم يبق في الناس من يمه التسليح بها فقال « من الغريب أن تبقى هذه الحادثة سبباً دائماً لتفريق كلمة المسلمين ففي بعض الاحيان فرقة عليية تتوسط فيها السيوف والاسنة وفي بعض الاحيان فرقة كلامية تنهي بدماء وتوقر وليس ذلك الا لأن المسألة أثبتت قلوب الدين وكل حلول الوصول بما دبت وما يختلعه الى غرض من الاغراض. ولو نظرنا الى المسألة بنظر صحيح لقلنا خليفة من خلفاء المسلمين غضب عليه قوم من

فَقَامَ الْخَطْبُ حَتَّى قَدْ تَمَدَّرَ دَفْعُ الْكَارِثَاتِ الَّتِي هَلَتْ بِوَادِنِهَا
فَانْجَدَ الْمُتَرَفِّعُ عُثْمَانُ بِالْحَسَنِ قَاتِلًا : فَأَخْبِيَاهُ مِنْ تَصَدِّيْهَا
أَوْ تَقْتَلَا دُونَهُ لَا تَرْهَبَا خَطَرًا مِنْ أَرْزَابِهَا الَّتِي فَتَتْ أَفَاعِيهَا

رعيته بضمهم سيء القصد « كذا » والبغي الآخر تابع لهم ثم قاموا عليه وحصلوه وقتلوه
بشكل وحشي لا يتفق مع أصول الاسلام ثم تحكم بأنهم اغتصوا غطاء عظيماً ثم ذهبوا الى من
له الحق أن يدينهم ولم يبق منهم من يمكننا الاتقام منه لسوء قصده أو نيت الصواب له لحظته وغاية
الاسر ان الباقي لنا من كل ذلك هو الاستفادة مما كان ذلماقل هم أن يتلم ويقيم لان يحدد على
قوم لم يبق منهم باقية انتهى قوله

ونحن نشكر للشيخ محمد الحفري حسن قصده في هذا القول ونقره على ان على المسلمين
اليوم أن لا يحددوا على ما كان بل ان يستفيدوا منه المبررة ويودوا الى جمع كلمهم بعد ترميمها ولا ترض
الى تجريد المسألة من قوتها الديني كل هذا نحن به مع الشيخ الحفري ولكن نخالفه فيما عداه
نخالفه في أن الناس غضبوا على عثمان عن سوء قصد والنازيون الحقيقيون هم سيدنا علي وأبوذر
والانصار وما غضبوا على عثمان الا لانه أغضب الشريعة فان كان المراد من البحث في الموضوع هو
المبررة فليتنا أن نظهر الحقيقة ليستبر الناس بها فنقول لهم مثلاً « ان عثمان مع انه زوج ابنتي رسول الله
ومع انه ثالث الخلفاء الراشدين ومع انه من السابقين الى الاسلام مع ذلك كله عندما أخطأ الى الشريعة
باستلامه الى الامويين وتوزيعه عليهم اموال المسلمين وعمالات المسلمين لم يتسامح معه المسلمون
بل وتقاتلوا في وجهه وثاروا عليه وحصلوه وطلبوا منه أن يصلح ولما لم يستطع الاصلاح طلبوا منه أن
يستقيل ولما أبى الاستقالة قتلوه » صم اذا قلنا هذا القول نكون قد قلنا الحقيقة وأتينا على الملوك والناس
هو ساً من أشرف الدروس الشمية « الديموقراطية » الاسلامية التي يقتضها المسلمون لها من اصول دينهم
الحنيف ولا سيما اذ يرون الاوربيين يملكون بها بعد ألف وتلاثمائة عاماً وبعد أن بلغوا من الرقي
العلمي والعلمي ما بلغوا وفي اعطائنا هذا الدرس للمسلمين وملوك المسلمين نكون قد وصلنا الى الغاية
الصحيحة التي يشهد بها الشيخ محمد الحفري وكل من بهم بخير المسلمين وامنهم أن يودوا الى
ماضهم الجيد وقد يكون هذا القول اذا اقتنع به المسلمين اليوم وسيلة لجمع كلمهم بعد قهرها كل هذه
الاعوام الطوال قد يجتمعون على حب محمد وآل محمد عليهم الصلاة والسلام ولكن من الحال ان
يجتمعوا على قولهم بخطأ من أقدار آل البيت الطاهر والله سبحانه أعلم

« ترجمة عثمان »

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي
يجتمع برسول الله بعد مناف . وأمه أروى بنت كريب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .
ولد في السنة الخامسة من ميلاد المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأسلم على يد أبي بكر وزوجه
لمصطفى ابنته رقية فلما أدى مشركو قريش المسلمين هاجر بها الى الحبشة ثم رجع الى مكة قبل
هجرة المدينة وهاجر مع المهاجرين الى المدينة وحضر المشاهد مع المصطفى الا بداراً حيث كان
يمرض زوجه رقية التي توفيت عقب غزوة بدر وأسهم له الرسول في غنائم بدر ثم تزوج ابنته
الثانية أم كلثوم ولذلك دعي « ذو النورين » وفي يوم الحديبية أراد المصطفى أن يرسل عمراً

لِكَيْتَهُ أَتَقَدَّرُ الْمَخْتُومُ حَمٌّ وَقَدْ قَضَى آئِنُ عَفَّانَ مَقْتُولًا بِأَيْدِيهَا
وَأَسْتَحْكَمْتَ فَنَةً كَانَتْ أَمِيَّةً فِي كُلِّ الْأَمَارَاتِ تُورِنَهَا وَتُذَكِّرُهَا
وَقَالَ فِي قَتْلِ عُثْمَانَ أَبُو حَسَنِ مَقَالَةً أَظْهَرَتْ آرَاءَهُ فِيهَا

ليقتام مع المرتكبين فظاف قائلاً ليس لي من ينصرني فأبى عثمان إليها وقومه هم السائدون فيها فأرسل عثمان هذه المهمة على نحو ما تقدم في يوم الحديبية وفي غزوة تبوك أنفق عثمان كثيراً من ماله واشترى بشر رومة بماله أيضاً ثم تصدق بها على المسلمين وكان في جملة كتاب الوحي وأخلص لابي بكر في خلافته فكان أمينه وكتابه ويده كتب ضده لعمري على ما تقدم . وكان وفياً لعمري يكسبه . وولي الخلافة بعد مقتل عمر على نحو ما تقدم معنا أيضاً .

وفي عهد عثمان كانت منازل أهل الكوفة الري وأذربيجان . وسير سليمان بن ربيعة الباهلي على أرمينيا بعد انتفاضها فأبى ما حكم الخلافة وتحت أيضاً طبرستان وهي مصر واسع على شاطئ بحر الخزر . وفي سنة ٢٢ هـ أوغل عبد الرحمن الباهلي في بلاد الخزر ولم يكن نجاحه كبيراً . وتارت الفرس على عهده وانتفضت على حكمه فطوعها جيش البصرة . وكان معاوية بعده يقزو الروم فبلغ عمورية وتوسع في أرمينيا حتى تغلب على هذا الجند المسلمون في البحر متطوعين على أرائهم وكان أميرال أسطول معاوية عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة فكان يقزو كثيراً . وهذا أول أميرال عربي مسلم خاض البحر للحرب والنزول . ثم إن عمرو بن العاص عاد في أيامه إلى مصر ومنع أسطولاً بحرياً أيضاً ثم عزله عثمان ثانية وعين لمصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح ولما جلا قسطنطين ملك الروم لمسطول فيه ستمائة سفينة حربية يريد فتح للثغور المصرية سار إليه ابن أبي سرح بأسطوله وقدم معاوية بأسطوله وحاربوا أسطول الروم في البحر وتلبا عليه وقهره واستوليا على كثير من سفن الروم وسيت هذه اللوحة بموقعة أم الصواري وهكذا أصبحت الخلافة الإسلامية في عهد عثمان دولة بحرية ولم يكن لها عهد في البحار قبل ذلك

ولم تكن أيام عثمان هادئة فن البلاد انتفضت عليه لحاربها وأعادها إلى الطاعة ثم تار عليه العرب وانتهت ثورتهم بمقتله على نحو ما تقدم وكانت أحوال خلافته انقضى عشر عاماً إلا ١٢ يوماً وتزوج عثمان بمكة ونية بنت رسول الله فولدت له عبد الله ولم يش وتزوج في المدينة أختها أم كلثوم . وتزوج فاخنة بنت غزوان من قيس عيلان فولدت له عبد الله الأصغر فلهيش . وتزوج أم عمر بنت جندب الرومي فولدت له عمراً وخالدًا وإبانًا وعمرواً وسرم . وتزوج فاطمة بنت الوليد الخزومية فولدت له الوليد وسعيداً وأبم سعيد . وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن القزوينية فولدت له عبد الملك ومات . وتزوج وملة بنت شيبة من بني عبد مناف فولدت له عائشة وأم ابان وأم عمرو . وتزوج مائة بنت الفراضة الكلية فولدت له سريم

أما أعمال عثمان في عام مقتله فهم : عبد الله بن الحفصري على مكة . والقاسم بن ربيعة الثقفي على الطائف . وعلي بن منبه على صنعاء . وعبد الله بن عامر على البصرة . ومعاوية بن أبي سفيان على الشام . وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد على حمص « وكان مرجعه إلى معاوية » . وحياب بن مسلمة القهري على قسرين وحلب . وأبو الامور السلمي على الأردن . وعلقمة بن حكيم الكنانى

قَالَ : لَوْ أَتَيْتُ يَوْمًا بِقَتْلِهِ أَمَرْتُ مَنْ قَتَلُوهُ كُنْتُ جَانِبَهَا
أَوْ كُنْتُ نَاصِرَهُ لَوْ كُنْتُ زَاجِرُهُمْ أَرَّ عَلَيْهِ تَعَدَّتْ أَوْ مُنْهَبَهَا
مَا بِاسْتِطَاعَةِ أَنْصَارِ الْقَتِيلِ مُبَا هَاةِ الْآلَى خَذَلَتْهُ فِي تَرْوِيهَا

على فلسطين . وأبو موسى الأشعري على الكوفة » وعلى خراجها جابر المازني وعلى حربها التقاع
بن عمرو » وجدير بن عبد الله البجلي على قرقيسا . والاشعث بن قيس السكندري على آدريجان
وعتبة بن البهاس على حلوان . ومالك بن حبيب على الماء . والبيسر على همدان . وسعيد بن قيس
على الري . والسائب الأقرع على أصبهان . وكان على مصر عبد الله بن سعد ولكن الثورة أفضت
الى قلب محمد بن أبي حذيفة عليها وكان له على بيت المال بمصر عتبة بنت عامر وعلى القضاء زيد بن ثابت
أما صورة عثمان : فقد كان ربة ليس بالقصير ولا بالطويل . حسن الوجه . بوجنتيه نكتان
جدي . أفنى مشرف الأنف . رقيق البشرة . عظم اللحية طولها . أسمر اللون . كثير الشعر .
له جة أسفل أذنيه . ضخم الكرادير . بيد المنكبي . أصلع الرأس

« مصحف عثمان »

والمرحوف بين الناس أن القرآن الشريف هو من جمع عثمان بن عفان ولذلك يسمونه مصحف
عثمان والحقيقة في هذا الأمر هو أن سيدنا علي انصرف الى جمع القرآن بعد وفاة المصطفى عليهما
الصلاة والسلام وكانت حفصة بنت عمر زوج المصطفى تجمع هي أيضاً ما تفرق من الكتاب
الكريم وتم تربيته وتثنيته والأمر بيد أبي بكر وصار الناس يقتاسونه فلما كان عهد عثمان حدث
لفظ بين الأوصياء فيقولون مصحف فلان خير من مصحف فلان أو مصحف الشام مثلاً خير من
مصحف العراق لخاف عثمان أن يغني الحال الى ادخال شيء من التحريف على الكتاب الكريم
فطلب المصحف التي كانت عند أبي بكر واستكتب منها عشر نسخ وأرسلها الى الجهات وأمر بأحراق
كل ما عدلها وهكذا حفظ القرآن الشريف بنقته ولا تبديل ولا خطأ وأطلق عليه اسم « مصحف
عثمان » ولا سلم ما قبل الله بهذه المصاحف المشرفة الا أنهم يقولون ان أحدها موجود في المكتبة
القيصرية في موسكو وله صورة أخذت بالقوتوغراف باسم الحكومة المصرية وهي موجودة في
المكتبة السلطانية في القاهرة . وفي مكتبة السلطنة المصرية أيضاً يوجد مصحف آخر يقولون انه
أحد هاتيك المصاحف المشرفة . ويوجد في خزانة الآثار النبوية في القسطنطينية مصحف ثالث
يقولون انه من هاتيك المصاحف . ويقولون أن المصحف الشريف الذي سبق لنا ذكره في الهجرة
الشرفة النبوية في المدينة المنورة هو منها والله أعلم

« ترجمة مروان بن الحكم »

أما ترجمة مروان بن الحكم الذي هو رأس هذه الفتنة فهو مروان بن الحكم بن العاص بن
أمية الأموي القرشي وأمه أمية بنت علقمة بن صفوان الكناني ولد في السنة الثانية من الهجرة
وأسلم أبوه الحكم مع من أسلم من كفاروه شركي قرشي يوم الفتح وهم الذين سماهم المصطفى صلى
الله عليه وسلم بوشد « الطغاة » وأطلق للمسلمون عليهم اسم « المؤلفة قلوبهم » والحكم هذا هو
عمر عثمان بن عفان وسار بعد الفتح الى المدينة فاقام فيها مدة ثم طرده رسول الله صلى الله عليه وسلم منها
فسار الى الطائف بولده وفيهم مروان وهو غلام يتعرج وسكتها أما سبب طرد النبي الحكم بن
العاص فذلك لأنه كان يمثال ويستخفي ويسمع ما يبره رسول الله الى أفكار الصحابة ويفشي في

وَلَا أَلَاكَ خَذَلْتُهُ أَنْ قَلَّخَرُهَا أَنْصَارُهُ مَا تَمَادَّتْ فِي تَبَاهِيهَا
وَإِنِّي مُجْمَلٌ أَمْرَ الْفَجِيعَةِ فِي مَقَالَةٍ لَيْسَ مِنْ بَطْلٍ يُغَشِّيَهَا
قَدْ كَانَ مُسْتَأْثَرًا بِالْأَمْرِ صَاحِبِنَا . وَإِنْ أَثَرُهُ سَاءَتْ مَا تَيْنَا

مشركي قريش وسائر الكفار والمناهبين وكان يقلد المصطفى في مشيته مستهزأاً وأنت تعلم أنه عليه الصلاة والسلام كان يتكفأ في مشيته وكان يفعل الحكم ذلك عن حسد وثمانيان قالت رسول الله ووجده على هذه الحالة فقال له كذلك فلتكن بإحكم ومن ذلك الوقت أصبح الحكم يرتش ويختلج وبعد أن وقف رسول الله على سوء خيته نقاه إلى الطائف فظل فيها ولم يسمع أبو بكر وعمر له بالخروج منها حتى إذا تولى الأمر عثمان قدم المدينة مع ولده فاختص عثمان كبيرهم مروان للكتابة فما زال حوله حتى تطلب عليه وأصبح الأمر لثناهي في خلافة وكان عمره لا يزيد عن ٢٢ عاماً

وكان مروان داعية حياً خيلاً فاختصه معاوية بصدقه واتفق معه على السيطرة على الخلافة الإسلامية في عهد عثمان بن عفان وهكذا كان ويدلك على اقتدار هذا الرجل ما رأيت من جرئته من الكتاب الذي كتبه وسمته بجم عثمان وأرسله إلى عامل مصر وفيه ما فيه من الأمور ذات المشولية الكبرى والتأنيج الخفية من غير أن يعرف عثمان هذا والناس في بحران تورثهم

وعند مقتل عثمان أصيب مروان بضربة سيف على مآخذه ففقدت إحدى عيونه وأصبح بعدها أوتس على ابن مروان هذا زيادة في جرئته لم يشأ أن يهرب إلى معاوية مع من هرب من بني أمية بعد مقتل عثمان بل ظل هناك وكان مع المناهيين للإمام علي على أنه ما أميل أن نكث بيته وانضم إلى عائشة والزبير وطلحة ومن معهم من أصحاب الجمل ويصحبهم إلى البصرة وفي واقعة الجمل وتبع مروان أسيراً في يد سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله فقدم منه ولداً الحسن والحسين مستشفعين به فقبل سيدهم رضا عليه أن يأتي ويأبى فقال « أولم يبايعني بعد قتل عثمان ، للاحاجة لي في بيته ، لها كفت يهودية ، لو يبايعني يده لندرت بيته ، أما إن له امرأة كلغة الكلب أنته ، وهو أبو الاكباش الاربعة ومستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً آخر » وهذا أيضاً مما كان عليه صلوات الله في به عما يجري في المستقبل إذ بالقتل تولى مروان الخلافة أجلاً يسيراً على ما سترى ثم تولاهما بعده أحفاده الأربعة الواحد بعد الآخر وهم أولاد ابنه عبد الملك الوليد وسليمان يزيد وهشام وكان من أسر الأئمة في محدهم فلم يخرج عن أخبار أمير المؤمنين عليه صلوات الله

وبعد أن أطلق سيدنا علي عليه صلوات الله مروان خرج إلى الشام فنقم إلى صاحبه معاوية وحضر معه حرب صفين وبعد مقتل سيدنا علي وتنازل سيدنا الحسن عن الخلافة إلى معاوية وأتى هذا على المدينة صاحبنا مروان ثم جمعه إلى أندلس مكة والطائف ثم غضب عليه فزله وولى سيد ابن الناس مكانه فسار مروان إلى الشام غضباً ولقي معاوية وأغلظ له القول وتهده بأولاده وأنذره بالثب على الخلافة وأقام في دمشق وهو ليس على ولاء معاوية

ولما أصر معاوية على أخذ يمة الناس لابنه يزيد على حياته كبرها على مروان وهو كاتلم شريكه في استخلاص الخلافة لبني أمية من عهد عثمان ولذلك هجر دمشق وأقام في المدينة المنورة وفي نفسه ما فيها على معاوية . وتوفي معاوية سنة ٦٠ هجرية وخلفه ابنه يزيد فظل مروان في المدينة أيضاً على عهده وما زال كذلك إلى أواخر سنة ٦٣ هجرية حيث ناز أهل المدينة وانتفضوا على يزيد بن معاوية وكان أول عمل عملوه أنهم حصروا الأمويين في دار مروان ثم أطلقوا سراجه على

وَالنَّاسُ قَدْ جَزَعَتْ مِنْ سَوْءِ أَثَرِهِ فَاتَّبَعَتْهَا بِأَسْوَاهِ نُحَاكِبَيْهَا
وَالْحَكْمُ لِلَّهِ فِي مُسْتَأْثَرٍ وَجَزُوعِ أَوْزَانَنَا مِنَ الْآرْزَاءِ قَاسِنَيْهَا
وَأَقُولُ قَوْلَ عَلِيٍّ وَهُوَ أَعْرَفُ بِالْأُمُورِ مِنْ كُلِّ مَنْ يَرَوِي أَمَّا لَيْهَا

أن يرمحلوا عن المدينة وأن يقسموا أن لا يماثلوا عليهم يزيد ولا غيره من أعدائهم قتلوا وكان في جملة الذين خرجوا من المدينة من الامويين مروان وابنه عبد الملك . وانجحت الثورة عن خضوع المدنيين ليزيد . ويزيد هذا هو صاحب الجرعة المشهورة ألا وهي قتل سيد الشهداء سيدنا الحسين عليه وعلى آية وجده وآل البيت الطاهر الصلاة والسلام

وفي ١٤ ربيع أول سنة ٦٤ هـ ١٠ نوفمبر سنة ٦٨٣ مسيحية « توفي يزيد بن معاوية خلفه ابنه معاوية الثاني بهدمنه وما كاد معاوية الثاني وهو لم يكن يتجاوز من العمر ٢١ سنة يتربع على دست الخلافة حتى رأى الناس حوله على حزين أحدهما مع عبد الله بن الزبير الذي كان قد نادى بنفسه في الحجاز خليفة للمسلمين والثاني مع مروان بن الحكم ابن عمه . وذلك لان مروان صلب عليه أولاً ولاية يزيد فاحتلها مكرهاً متزوّياً في المدينة ولكنه لم يحتل ولاية معاوية الثاني فهم أن يترك الشام ليلحق بالمدينة فقبل له بل الأولى أن تظل هنا فان معاوية لا يبش لضعف جسمه وكثرة أمراضه وأنت زعيم الامويين فأصنى وقام على رأس حزبه الكبير ينظر الى ما يكون

غير ان معاوية الثاني لضعف جسمه وتأثير الامراض عليه لم يطق حال الشام وانقسام الناس فيها كما لم تحل الذين يدلون عليه والذين يكيدون له فاستدعى يوماً الناس بمسد قليل من خلافة الى المسجد الاموي ووقف فيهم خطيباً حمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فاني قد ضمنت من أمركم فانتفيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده فانتفيت سنة مثل سنة الشورى فلم أحدهم فأتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتهم » وزل عن المنبر فأضأ ودينه من أمر لم يكن كفتاً له ودخل بيته متزوّياً بأمرضه ولم يطل انزواؤه فمات بعد ثلاثة أشهر وعلى أثر وفاته اجتمع أهل الشام على يمة مروان وبايعوه وكان ذلك ثلاثة خلون من ذي القعدة سنة ٦٤ للهجرة

وكان زعيم المنتسبين لعبد الله بن الزبير الذي نادى بنفسه خليفة منذ تولى الخلافة معاوية الثاني رجل اسمه الضحاك وكان يكتفي بإفلاق راحة معاوية الثاني وهو يعلم انه لا يبش فلما رأى مروان أصبح خليفة للمسلمين هاجم بين الحاية والمرج ودام القتال بينهما عشرين ليلة وأثنى بقتل الضحاك وانخدا لأصحابه وكان هذا في محرم سنة ٦٥ للهجرة وبعد ذلك انصرف مروان الى أمصار سوريا وأخضعها بالسيف ثم سار بجندته الى مصر ففتحها كل ذلك في مدى تسعة أشهر .

وكان للناس عند ما بايعوا مروان وبايعوا ولاية المهدي خائناً بن يزيد بن معاوية وهو صغير . فلما استتب الأمر لمروان في الشام ومصر حدثته نفسه أن يبايع لولديه عبد الملك وعبد العزيز ويخلع خالداً بن يزيد ولهذا السبب تزوج أم خالد لسيطر على ولدها خالد وهو ولي عهده وعينه من موارضته في خلعه وبيعة ولديه وهكذا فعل . أما أم خالد فضضيت لانيها وضعية حقه بالخلافة وكتمت ما في نفسها أياماً الى ذات ليلة حيث جاءها مروان لينام عندها قامت عليه مع حواربها وهو نائم وجعلن الواسد والبرادع عليه وجلسن فوقها حتى خفتقه وذلك في دمشق في شهر رمضان سنة ٦٥ للهجرة وهو ابن ٦٣ سنة وهكذا انتهت حياة هذا الرجل الذي لعب أكبر دور في عهد عثمان وقر بالخلافة لنفسه في آخر الزمان

معرفة أمير المؤمنين

مَا مَاتَ عُثْمَانُ إِلَّا وَاصْبَاحُ دَوَى
بَيْنَ آلِ عَارِبٍ أَعْلَوْا الْقَوْمَ بَارِيهَا (١)
إِنَّا نُرْوَمُ إِمَامًا عَالِمًا قَهَّاءً
وَحَاكِمًا عَادِلًا لِلْحَقِّ مُنْتَصِرًا
وَسَيِّدًا مَا تَعَالَى عَنْ رَجِيئِهِ
وَأَمْرًا إِشْرَافِيًّا كَمَا نَزَلَتْ
نَخْتَارُ مَنْ لَا يُعَابِي بَيْنَ أُمَّتِهِ
نَخْتَارُ مَنْ لَا يَرَى تَمْيِيزَ عِزِّهِ
نَخْتَارُ مَنْ تَعْرِفُ الْهَيْجَةَ كَرَّةً
نَخْتَارُ مَنْ يَزِدُّ رِيَّ آلِ مَوَالٍ يَخْرُهَا
نَخْتَارُ مَنْ يَرْوِضُ الَّذِينَ مُضْطَلَمًا
مِنْ بَدَنِهَا مُقْضِيًا فِيهَا لِخَامِنِهَا

(١) لا بد من إرسال بطرة صادقة تخترق اعماق ماني نؤاد سيدنا علي عليه صلوات الله ساعة لئله نأقتل عثمان لبسنا علينا تفصيل يبعثه وكيفية قبوله الخلافة . فن سيدنا علي عليه صلوات الله على ما تشهد أعداؤه قبل أصدقائه ومنفوضه قبل محبيه لم يكن من رجال الدنيا التمسكين بزخارفها التوليين ببهرجتها بل ما كانت عنده على ما فيها من جاه ومجدوير وتزوف اتساوي غفلة دئرا كما قال . وإذا كان قد نادى بالخلافة لنفسه وشدد على الدين حره ومهايد وفاة المصطفى عليهما الصلوة والسلام فقد كان ذلك منه ثلاثة أمور أولها اعتقاده أنها من حقه الشرعي وقد غضبت منه وثانيها اعتقاده أنه أقدر على تنمية الأمور على سن ابن عمه المصطفى من سواه وثالثه لأن سيدنا فاطمة الزهراء كانت تأتي أن ترى في زعامة المسلمين سد أيها غير زوجها عليهم الصلاة والسلام . ولكن وفاة سيدتنا فاطمة وانتقال الخلافة من أبي بكر إلى عمر إلى عثمان وحصول ما قد حصل في عهد عثمان من الفتن والفتن وسرور الأيام بأحداثها والأعوام بصروفها كل ذلك جعل حكمة زاهداً عابداً مثل سيدنا أمير المؤمنين غير راقب بالولاية بمنى لو خلس من مناعها على شرط أن يخص من التبعة التي في عنقه نحو الاسلام والمسلمين أمام الله سبحانه ولم يكن يهرب سواه لأن هو أمر على رفضها

قد لا يدرك كنهه ما نقوله الدين لا يرفون ماضي التيقه وما هو الصلاح وما هي اتبعية وما هو الضمير الحي وفي الأخير من هو علي بن أبي طالب على حقيقة تداسة نفسه وطهارة وجدانه وصحة عقيدته وماتة اعانه ولذلك نقول جازمين غير وجلين ولا مترددين أن سيدنا علي عليه صلوات الله عند ما سمع بمقتل عثمان لم يدخل على نفسه التريفا ما دخل على نفوس غيره من الناس من مخالب الاوترات فأكبر الخطب كما اكبر الامويون لأن عثمان ولوانه خيفة المسلمين ما نرح عن حد أنه واحد م. تلك

نَخْتَارُ مَنْ كَانَ لِلْهَادِي الرَّسُولِ أَخًا
نَخْتَارُ خَيْرًا وَصِيَّ الْمُصْطَفَى لِمَا
نَخْتَارُ وَالْأَمْرُ شُورَى زَوْجِ فَاطِمَةَ
خَرْنَا الَّذِي رَبُّهُ قَدْ خَارَهُ وَرَسُولُهُ
فَلَنَسْرِعَنَّ بَنِي الْإِسْلَامِ أَجْمَعُونَ
كَذَلِكَ كَانَتْ جُمُوعُ الْمُسْلِمِينَ يَتَّبِعُونَ
وَبِأَتْنَاهُ لَيْلَ أُمِّتٍ دَارَ حَيْدَرَةٍ
وَأَنَّ أَصَوَاتَ خَلْقِ اللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ
وَزَمْرَةٌ مِنْ وَجْهِ الْقَوْمِ قَدْ دَخَلَتْ
فِيهَا أَلْزُبُزُ وَفِيهَا طَلْحَةُ وَسُورَى
قَالَتْ: مِمَّا لَكُنَّا ذَا الْيَوْمِ شَاغِرَةٌ

تِلْكَ الْأَخُوَّةُ أَخْلَقِي أَنْ تَرَاعِبَهَا
دِ اللَّهِ مَا غَيْرُهُ لِلْحَقِّ يُعْشِيهَا
إِلَى الْخِلَافَةِ تُسَمِّيهِ وَيُسَمِّيَهَا
لَهُ وَخَيْرَتُهُ مُهْبُوا لِنُصْفِيهَا
لِنُسْكِنَ الدَّارَ بِالْأَجْلَالِ بِأَيْنِهَا
دِي بَعْضَهَا الْبَعْضُ مَا أَخْلَى تَنَادِيَهَا
يَمَا لَدَيْنَهَا مِنْ الْأَمَالِ تَرْجِيهَا
إِلَّا عَلَى الْحَقِّ تُغْلِيهِ فَيُعْلِيهَا
عَلَى الْعَلِيِّ وَحَيَّاهُ مُحِبِّيَهَا
هَلْزَيْنِ مِمَّنْ سَمَوَا فِي الْقَرْبِ تَوْجِيهَا
وَأَنْتَ صِهْرُ نَبِيِّ اللَّهِ تَحْمِيهَا

مبايدي الاشتراكية الاسلامية وقد قتل قبله عمر وهو خليفة . ولا صغر الخطاب في نظره كما صغر في نظر غيره من أعداء عثمان لانه كحكم حازم بيد الطر ما دته ضرر القوضى التي فتت في المسلمين حتى انتهت بمقتل عثمان وطالما جاهد ليلتاق هاتيك العوضى بما بذل من النصح لثمان ولم يفلح . ولا شمت بمقتله كما شمت كثيرون لانه في الحقيقة لم يكن عدواً لشخص عثمان وحاشا لفسه اللوية الطاهر فان تخبيء عداوة وحداً لثمان أو غيره من الذين كانوا يطهرون له المداوة أو يحقدون عليه . واجال النبول أنه كان عند تلك الواقعة ينظر الى المصلحة الاسلامية وهو في عقر بيته وفكر في ما سيعقبها

من الاخطار وعلى الاخص في مشيولته الشخصية أمام ربه ودينه وابن عمه المصطفى والمسلمين أما اناثرون فصد ما فصلوا في أمر عثمان على ما لم يكونوا يريدونه لاننا لا نزال على رأينا بأنهم كانوا يفضلون أن يستقيل عثمان ولا يمسوا أيديهم بدمه وما قتلوه الا بعد أن يشؤوا من استتاقته وخافوا أن تدمهم الجيوش التي أرسل يطلبها من عماله فتنتكس بهم وتبقى الخلافة على الحال التي كانوا يرونها مخالفة للشرع وعلى رأيهم كان أكابر الصحابة والاصار سمعد ما فصلوا في أمر عثمان يقتله طفقوا ينادون باسم سيدنا علي عليه صلوات الله جبراً وصقونه عما عرف به من العلم والفضل والزهد والسابقة والقرابة والشجاعة وغير ذلك من حيد الصفات التي حلاه الله بها فخلته انفراد العلم لا ند له معامده وأخلاقه الفاضلة وكأوا ينوهون باسمه جرة حتى ملأوا بأصواتهم آفاق المدينة المنورة وما كان منهم من يرضى أن يكون خليفة المسلمين سوى وصي الرسول الامين

أما أكابر المهاجرين فقد كان على رأسهم ثلاثة هم بقية العشرة الذين مات رسول الله وهو عنهم راس وهم الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وكان سعد هذا غاضباً على عثمان أشد الغضب وقد آلى على نفسه أن لا يدخل قطماً بشؤون المسلمين ولذلك كان على حيدرة تامرة خلافاً

بَادِرْ لِنَجْدَتَنَا وَأَقْبَلْ إِمَارَتَنَا فَضْلاً وَإِنَّا إِلَى مُعْلِكَ مُهْذِبَهَا
 قَالَتْ : لَا حَاجَةَ لِي فِي إِمَارَتِكُمْ وَلَا أَنَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ بِأَغْيَهَا
 قَالَتْ : نَحَازِرُ أَنْ تَرْضَى سِوَاكَ لَهَا وَمَنْ سِوَاكَ مِنَ الْأَرْزَاءِ يُنْجِيهَا
 وَأَنْتَ أَسْبَقُ كُلَّ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْأَمْرِ بِنِهَا سَابِقَةً أَكْرَمَ بِأَتِيهَا
 وَأَنْتَ أَقْرَبُ قُرْبَى لِلرُّسُولِ وَنَحْنُ أُمَرَاءُ الْمُصْطَفَى طَرّاً نَوَالِيهَا
 نَادَاهُمْ : يَمْتُوا غَيْرِي فَلَيْنِي قَدْ زَهَيْتُ فِيهَا وَأَمُوا مُسْتَحْبِبَهَا
 إِنَّا لَسَتَقْبِلُوا أَمْرَ مَصَائِبِهِ لَهَا وَجُوهٌ تُفْشِيهَا طَوَارِيفَهَا
 فَلَا تَقُومُ لَهَا هَذِي الْقُلُوبُ وَلَا أَلْسِنُ تَنْبُتُ فِي مَلَقِي تَمَاسِبَهَا
 أَفَاقَكُمْ قَدْ أَغَامَتْ وَهِيَ مُنْطَرَةٌ بَرُوقُهَا مَا أَخْتَمَى عَيْنِي تَلَوْنَهَا
 وَقَدْ تَنَكَّرَتْ لِسَبْلِ اللَّيْلِ وَضَعَتْ تَنَكَّرَ يَوْرَثُ الْأَضْلَالِ وَالْتَبَاهَا
 فَإِنْ أَجِبْتُ فَلَيْنِي رَاكِبٌ بِكُمْ طَرَقاً يَعْطِينِي يُجَافِيهَا مُجَافِيَهَا

لزيد وطاعة فانها كانا على رغبة شديدة بالخلافة يمتنى كل واحد منهما لو تكون نصيبه ولكن ما
 فتها أن دون ووصلها الهاوقند غرط القتادلان الناس بعد أن سر عليهم ماسر من الاحداث لم
 يودوا ينصرفون من علي اليها هما كان الحال وأعي بالاس هم أهل المدينة وفيهم أكابر الصحابة
 والانصار وجماعة الثائرين النازلين فيها

وكان المقرر لدى الناس أن الكلمة الاولى والاخيرة في الخلافة هي لأهل المدينة المنورة
 أنفسهم دون سواهم فقد رأينا أبا بكر قد أصبح خليفة في حاضرة أهل المدينة له وكتب بذلك
 الى الامصار التي كانت خاضعة لرسول الله فمن رضى ببيعة أقره ومن عصاها حاربته وكذلك عمر
 أصبح خليفة منذ قري عهد أبي بكر له على أهل المدينة من غير أن ينهم عن بقية الامصار وكذلك
 كان الحال في ولاية عثمان فان عبد الرحمن بن عوف عند ما تموض من أصحابه الحجة ان يكون
 الحكم بينهم خرج ليسان أهل المدينة رأيهم بالذي يريدونه للخلافة وما خطر له قط أن يرجع
 في الامر الى أهالي الامصار . وحسب هذه السوابق ما كان في المدينة المنورة من ينك بأن
 لامصار المسلمين الاخرى أدنى حق أو رأي باتحاب أو تنيب الخليفة . وبطبيعة الحال ما كسب
 أهالي المدينة هذا الحق الا لان رؤساء المهاجرين والامصار كان أكثرهم فيها وهم على التحقيق
 أهل الحل والعقد في مصاح المسلمين

وعند ما انجلت الثورة عن مقتل عثمان أسرع عزماء بني أمية وأكابر المشركين اليهم الى الاختفاء
 من وجه الثائرين فقبضهم رموا بيوتهم والمعنى هربوا الى الشام ملتجئين الى معاوية زعيمهم وكان
 في وقت الحصار قد ترك المدينة أناس منهم أيضاً ومع ذلك كان معظم رؤساء المهاجرين والانصار
 الاقدمين في المدينة كما سبق القول خلافا لما زعم الشيخ محمد اخصري في محاضراته من أن أكثرهم

وَلَسْتُ أَصْنِي إِلَى قَوْلٍ وَمَعْنَى
وَإِنْ تَرَكْتُمْ عَلِيًّا مِنْ وَلَايَتِكُمْ
وَقَدْ أَكُونُ وَأَيُّمُ اللَّهِ أَكْثَرُكُمْ
وَإِنْ أَكُونُ وَزِيرًا فِي إِمَارَتِهِ
وَمَا أَنْتَهَى مِنْ مَقَالِ الرَّفَضِ حَيْدَرُهُ
حَتَّى عَرَّتْ سَامِعِيهِ دَهْشَةً وَإِلَيْهِ
قَالُوا: وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا أَبُو حَسَنٍ
إِنَّا مُنَاشِدُكَ اللَّهُ الْمُتَمِّينَ أَنْ
وَأَنْ تَعُدَّ يَدًا يَنْصُرُ لِأُمَّتِنَا
أَلَا تَرَى يَا مَقْدُودِي شَرَّ مَوْقِفِهَا
أَلَا تَرَى الْمُلُوكَ وَالْأَسْلَامَ فِي خَطَرٍ

مَا دُمْتُ أَحْكَامَ رَبِّ الْعَرْشِ أُجْرِيهَا
فَلِئَنِّي وَاحِدٌ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهَا
سَمْعًا وَطَوْعًا وَإِخْلَاصًا لَوَالِيهَا
خَيْرٌ لَكُمْ فَدَعَوْنِي مِنْ تَوَلِّيَهَا
وَعَزَمَةُ الصِّدْقِ وَالْتَّصَنُّعِ يُدْرِجُهَا
وَجْهًا نَظَرَاتِ الْيَأْسِ تَوَجُّعُهَا
يُجْرِي سَفِينَتَهَا أَمْنًا وَيُؤَسِّسُهَا
تُعِيدُ لِلشَّرْعَةِ السَّمْعَ تَلَالِيهَا
بِهَا تَعُودُ إِلَى مَا ضَيَّ تَصَافِيهَا
وَمَا غَدَّتْ فِيهِ مِنْ بُلُوَى تَعَانِيهَا
دَانٍ وَنَكْبَتُهُ صَبٌّ تَلَاغِيهَا

كان خارج المدينة وهو ينفذ الخارج بكل مراحمه
ولقد تشعبت الروايات في كيف كانت يمة سيدنا علي عليه صلوات الله ولم يكن تشعبها لعدم
إمكان الوصول إلى حقيقتها فإن الذين حفظوا الوقائع التي قبلها ما كان يتمتع عليهم حفظها ولكن لأن
الناس في صدر الاسلام كان يجمعهم ارضاء للملأوبة والامويين أن يزيدوا ويتقصوا فيها على ما تقتضيه
المصلحة أو تريد « القوة القاهرة » فانتفى البناء من متضارب الروايات ما يحار في تمحيصه القريب
أما نحن فنرى أن أصح الروايات التي يرتاح إليها الضمير هي رواية سيدنا علي عليه صلوات الله
نفسه عن هاتيك البيعة فإنه أولاً ما من مسلم صادق الايمان يشك بصدقه وثانياً أنه كان يخاطب
بأقواله السكرية التي تمتد عليها لتعرف حقيقة كيفية يستمع منها الذين حضروها فلا يأتون أن يخاطبهم بما
لم يكن كائنه كان وهو يريد أن يجمع به ومثل سيدنا علي أسوأ قديراً وأعظم نزاهة من أن يقول
ما لم يكن أو تنطق شفتاه بنبر الحق فقد قال عليه صلوات الله في خطبته الشقيقة بعد أن ذكر
ولاية أبي بكر وعمر وعثمان ما نصه « فأراغني الا والناس كسروا الضيق الي بناتلون علي من
كل جانب ، حتى لقد وطئ الحسان ، وشق عظامي ، مجتمعين حولي كريضه الغم » أي أنه
عليه صلوات الله في حال قتل عثمان فاجأه الناس من كل صوب وحدهم يريدون يمشيه . وقد كرر
مثل هذا القول في غير موضع من خطبه ووسائله الشريفه . ثم روى لنا عليه صلوات الله كيف كان يقول
الحلافة على التماس القوم والملاحم فقال « أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ،
وقيام الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء أن لا يفارقوا على كفة ظالم ، ولا سب
مظلوم ، لا لثبت حبلها على غارها ، ولست أخت آخرها بكأس أولها ، ولا لثقت دنياكم هذه أزمه
عندي من غلظة عز » وفي هذه الكلمات ومثلها أيضاً أبان الاسباب التي حتمته على قبول رجاء

أَلَا تَرَىٰ آفِئَةً أَلْهَوْجَاءَ تُحْرِقُنَا نِيرَانَهَا لَعَنَ الْبَارِي مُلْظِفَهَا
 أَلَا تَخَافُ إِلَهًا أَنْتَ تَعْبُدُهُ فِي أُمَّةٍ بِكَ قَدْ نَاطَتْ أَمَانِيهَا
 وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّىٰ أَصَاخَ لَهُمْ سَمْعًا وَدَعَوْهُمْ أُمِّي مُلْبِسَهَا
 وَقَالَ: لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِينَ وَنُصْرُ النَّاصِرِينَ لَهَا مِنْ مُسْتَهْيِنِيهَا
 وَمَا عَلَى الْفُلَمَاءِ اللَّهُ يَأْخُذُ مِنْ مَوَاقِي حَزْرُهَا سَعِيًا مَوْفِقَهَا
 أَنْ لَا تَقْرَعَ عَلَى كُظَّاتِ ظَالِمٍ قَوْمٍ أَوْ سَعَابَةِ مَظْلُومٍ يُقَاسِمُهَا
 لَكُنْتُ أَهْبَيْتُ أَحْبَالَ الْخِلَافَةِ مَا طَلَّتْ عَلَى مُنْكَبِهَا غَيْرُ شَالِبِهَا

الناس والتاسم وهي أولا وجامعة حجتهم عليه بأنهم ينصرونه على الحق ، وثانياً انه كان يرى بان الله قد اوجب على الدماء ان لا ينافلوا عن ظلم الظالم ومظلمة المظلوم وان هذين السببين هما اللذان حلاه على قبول الخلافة ولولاها لكان ملا شك قد نغى عن الخلافة اخيراً كما نخلت عنه أولا ثم ان علياً عليه صلوات الله كتب الى معاوية على اثر بيته مافيه « اما بعد فان الناس قد تناولوا عثمان من غير مشورة مني ويليوني عن مشورة منهم واجتمعوا فاذا اتاك كستاني ذابيع لي واوفد الي انشرف اهل الشام قبلك » ولا يمكن ان يكتب سيدنا امير المؤمنين بان الناس بايهم عن مشورة واجماع الى معاوية وهو اعلم الناس بما في صدره من الضيق ان لم يكن حقيقة راهنة لاجدال فيها كما اتنا لم ز في اجوبة معاوية لامير المؤمنين على مافيه من لو وحرمة واقتات ما اسكر عليه صحة بيته او ان الناس ما اجموا عليها

وايس اماناً سوى قول طلحة والزبير اهيا بايما طساينها ولم يكونا راضين عن البيعة في نيلهما وهذا نحن مصدقوه عنهما مبتوه لها فان كلا منهما كان يشتهي الخلافة لنفسه عاملاً لاجلها في سره ولكلهم لم يجرء على طلبها حرة بعد ان قتل عثمان باذناء اجماع المسلمين على سيدنا علي واتلهم اليه من كل صومر وحدير فرضيا بالامر الواقع وتقدما الداس مرض الخلافة على علي لانهما ادركا ان الثورة اتى نغصا في صرامها طويلاً لا يمكن ان يطفئها الا سيدنا علي ورأيا ايضاً بظهورهما امامه بظهر الراغب بيته ما يوصلهما الى بعض مطامعهما من الولاية على البصر والى الكوفة بدليل حبيتهما اليه بعد بيته بطالباه هذين المصيرن وهما يمتنان عليه دليمة

ولا يجب ان نلنى في هذا المقام ان اهالي المدينة وهم اصحاب وانصار المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام واولادهم انهم كانوا في اثناء الثورة من رأي الثائرين لانهم لو لم يكونوا كذلك لوقتوا في وجوههم وحلربوهم وانت تلم ان الثائرين الذين قدموا المدينة كانوا في نحو ثلاثة آلاف مقاتل وقيل في نصف هذا العدد كما تلم ان اهالي المدينة وضواحيها كان فيهم من رجال القتال اضعاف هذا العدد فلو لم يكونوا على رأي الثائرين لما اتر وهم على علمهم بل منغل فيما بعد ان عبدان الصحابة مع اعراب البادية انضموا الى الثائرين ايضاً وثانياً ان اهالي المدينة كانوا على رأي الثائرين في بيعة سيدنا علي ولو لم يكونوا على رأيهم لما مشواهم الى علي يرضون عليه البيعة

وعلى هذه الدلائل المثبتة المتقرر عندنا على اختلاف الروايات ان الناس اجتمعوا وتناوروا واجموا على بيعة سيدنا علي وكان على رأسهم طلحة والزبير وان سيدنا علي ما قبل التماسهم ورعي بخلافهم

وَكُنْتُ آخِرَهَا مِنْ كَأْسٍ أَوَّلِهَا أَسْقِي فَخَمَرُهَا يُؤْذِي تَحْسِنُهَا
وَأِنْ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لِأَهْوَنُ مِنْ عَفِيطَ عَنَزٍ تَرَعَتْ فِي مَرَاعِيهَا
وَمَا أَنْتُمْ عَلَيَّ سَرَدَ خُطْبَتِهِ عَلَى الْوُجُوهِ الَّتِي حَازَتْ تَرْجِيَهَا
حَتَّى عَلَى فَضْلِهِ أَثْنَتْ وَصَاحَ أَمِينُ الْمُؤْمِنِينَ عَمِيدُ الْغُرَبِ مُشِينَهَا
أَمْدُذَ بِمِثْلِكَ فَضْلًا كَيْ نُبَايَعَهَا وَأَعْظَمُ يَبِيعَةَ إِخْلَاصٍ نُؤَدِّيَهَا
فَقَالَ: فِي عَقْرِ دَارِي لَسْتُ أَقْبَلُ مِنْكُمْ يِعَّةَ خَفِيَّةٍ يَامُنْتَبِغِيهَا
وَأَيْمًا الْمَسْجِدِ الْمَبْرُورُ مَوْضِعُهَا وَالنَّاسُ تَشْهَدُ عَاطِطُهَا وَمُعْطِيهَا

الا بما مل الاخلاص لدينه وملته وعلى نية ان يبيد الحال الى ما كانت عليه على عهد المصطفى او يروح خفية للدين الحنيف الذي طالما جاهد في سبيله لذلك ما أصنى الى من حوله لمن الناصحين الذين ارادوا ان يداري ويراضي الناس لتطامن به الخلافة . وقد اعان الناس عند ما تدموا يلحون عليه بقبول البيعة بذلك وهاك ما جرى :

سار القوم الى سيدنا علي عليه صلوات الله على اثر مقتل عثمان وهو يستميد بالله من شر ما كان ودخل عليه رعاياهم وفقيه طليعة والازبيرو غيرهما من وحوه المهاجرين والاشصار وزعماء الثائرين وفاجثوه بقولهم « لا بد للناس من امام وانت لعامسا » فانهزم سيدنا علي وقال « لاحاجة لي في امركم » فقتل حليمة والزيبر يستحيل ان تعدل عنك لسواك بل ليس لهذا الامر غيرك وانت اسبق الناس الى الاسلام واقرهم قرابة الى رسول الله فقال عليه صلوات الله « دعوني والتسوا غيري » فانا مستقبلون أسرا له وحوه والوان ولا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه المقول . وان « الا فاق تد أعامت ، والحجة قد تنكرت ، واعلموا اني ان اجتكم ركبت بكم ما اعلم ، ولم اصنع الى قول القتال وعب العاتب ، وان تركتموني فانا كاحدكم ، ولعلي اسمكم واطوعكم لمن وليتموه امركم وان اكون لكم وزيرا ، خير لكم مني اميرا » فقالوا نشدك الله ألا ترى مانح فيه ؟ ألا ترى الاسلام ؟ ألا ترى الفتنة ؟ ألا تحاف الله ؟ وما زالوا به حتى اصاخ الى ملذهم وقال لهم بصراحته اليهودية وبلاغته المشهورة « أما والذي في الحية ، ورأ النسمة ، لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجة بوجود الباصر ، وما أخذ الله على الامماء ان لا يجازوا على كلمة طالم أو سب مظلوم ، لايت جملها على غاربها ، ولستيت آخرها بكأس أولها ، ولا لقيم ديا كم هذه أزهة عندي من عطفة عنز » فقالوا بورك فيك يا أمير المؤمنين فهدد يدك لنبيائك . فطر اليهم نظرة العاتب وقال عليه صلوات الله بعد ان استخار الله واستعان به « فمي المسجد قل يبي لا يكون خفية ولا تكون الا في المسجد » فساروا به الى المسجد وهم فرحون متلذذون بهلون وبكروا حتى اذا ما دخلوا الى الدبر بعد الله ولحق عليه وقال : « ذهبي بما اقول رهيمة ، وانا به زعيم ، ان من صرحت له البعير عما بين يديه من المثلثات ، حجزته التفوى عن تعقم الشبهات ، الا وان يبيتكم قد عادت كهيئتها يوم ساء الله نيتكم صلى الله عليه وآله ، والذي بيث الحق لتبلبن بللة ، ولتريلن غربة ، ولتاسطن سوط القدر ، حتى يود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم ، ويسبقن سابقون كانوا انصروا ، وليتقرن

فَأَسْرَعُوا بِالْعَلِيِّ الْمُرْتَضَى وَأَهَا زِينِ الشُّرُورِ يُغَيِّبُهَا مَقْبِنِهَا
وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ يُبْذِرُ بِشَائِرِهَا مِنْ بَعْدِ أَنْ بَلَغَتْ فِيهِ تَمَسُّبِهَا
حَتَّى إِذَا مَا أَنْتَهَتْ لِلْمَسْجِدِ الْتَبَوُّمِ يَ بَابَتُهُ وَمَا ضُنَّتْ بِأَيِّدِهَا
وَهَكُنَا صَارَ مَوْلَانَا الْعَلِيِّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَادَ الْأَرْبَ حَامِيهَا
وَسُرَّتْ الْخَلْقُ مِنْ عَرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ بِهِ وَقَاضَتْ عَلَى الدُّنْيَا نَهَايَهَا
أُمًّا أُمِيَّةً فَانْغَاظَتْ لِخَيْبَتِهَا وَأَصْبَحَتْ وَهِيَ سَكْرَى فِي تَشَاجِيهَا

سابقون كانوا سقوا ، والله ما كنتم وسعة ، ولا كذبت كذبة ، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا
اليوم ، ألا وإن الخطايا خيل شمس . حمل عليها لهاها ، وغلط لهاها ، فتفتحتم بهم في النار ، ألا
وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها لهاها واعطوا لزمها فادروهم الجنة ، حق وباطل ، وكل أهل
قلت أسمر الباطل لقد بيا فعل ، وإن قل الحق قريبا وليل ، ولعلما ادبر شي لا أقبل ، شغل من
الجنة والنار امامه . لساعه سريع نجا ، وطالب بطي لا رجا ، ومتعمر في النار هوى . البين والشمال
مضلة ، والطريق الوسطى هي الحجارة ، عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ، ومنها منفذ السنة ،
واليها مصير العاقبة . هلك من ادعى . وخب من افترى . من أبدى صفحته للحق هلك . وكل
بالمره جهلا أن لا يعرف قدره . لا يهلك على التقوى سنخ أصل . ولا يسطع عليها زرع قوم . فاشتدوا
في بيوتكم . واصلحوا ذات بيحكم . والتوبة من ورائكم . ولا محمد حامد الا ربه . ولا يلج
لأنم الا نفسه » اه وسد ان انتهى المرتضى عليه صلوات الله من سرد هذه الجواهر المشورة على
الناس نزل عن المنبر فاقبلوا عليه بيايمونه وعلى رأسهم طلعة والزبير فقال لها تواضعا وتلطفا بل
اما ابائكم الا كلا قلنا مبايماك وكان اول المبايعين طلحة بن عبيد الله قتلتهم الناس منها وقالوا ان
اول يد قدمتم اليه كانت شلاء ثم نى الزبير وتبهما الناس وبعد ذلك طلب سعد بن ابى وقاص
جى به فقيل له بايع فقال « لقد آلوت ان لا ادخل باس من امور المسلمين قاهلني ربيبا بيايمك
الناس ولا بأس عليك مني » فتركه وكذلك فعل عبد الله بن عمر فانه طلب الهبة الى بديمة الناس
وكفله سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله

وسد ان تمت البيعة خط سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله فقال : « ان الله سبحانه
انزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر . فخذوا به الخير تهتدوا . واصرفوا عن سمات الشر تهتصدوا .
الفرأش الفرائس ادوها الى الله تؤدك الى الجنة . ان الله حرم حرام . غير مجبول . وأحل حلالا
غير مدخول . وفضل حرمة السلم على الحرم كلها . وشدد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في
معاقدنا . فاسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق . ولا يحل اذى المسلم الا بما يجب .
بادروا أمر العامة وخاعة احدثكم وهو اموت . قل الناس امنكم وإن الساعة تحذوكم من خلقكم
تحفوا تلحقوا وما ينتظر باولكم آخركم . اتقوا الله في عبادته وبلاده . فكم مسئولون حتى عن
البقاع والهاشم . واضيعوا الله ولا تعصوه . واذلوايتم الخير تحذوا به . واذا رايتم الشر فاعرضوا عنه » اه
وسد ان اكتم أمير المؤمنين عليه صلوات خطبته خرج من المسجد بقبه الناس وعلى وجوههم
سمات الفرح وتوزعوا في المدينة وهم يحشون بعضهم مضا باعطاء القوس لربها واسكان الدار بانها

ملط أمير المؤمنين في مولده

سَنَ الشَّرِيفَةِ طَسَهَ مِثْلَمَا نَزَلَتْ عَدْلًا وَبِرًّا وَإِحْسَانًا وَتَنَزَّهًا (١)
وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي رِسَالَتِهِ « وَصِيَّةٌ » رَاقِبٌ أَعْمَالَهُ فِيهَا
وَقَدْ نَشَأَ مَعَهَا فِي ظِلِّ أَحْنَدِهَا وَأَرْضَعَتْهُ أَلْهَدَى مِنْ دَرٍّ أَثَرِهَا
وَقَدْ تَقَقَّهَ فِيهَا فَهُوَ عَالِمُهَا وَقَدْ تَبَحَّرَ فِيهَا فَهُوَ فَالِهَا
وَقَدْ تَشَبَّعَ مِنْ رُوحِ الشَّرِيفَةِ حَتَّى لَمْ يَمُتْهُ دَقِيقٌ مِنْ مَعَانِيهَا
وَمَا مِنْ أَمْسَلِينَ الرَّاشِدِينَ عَلَيْهِمُ كَانَ يَقْرُبُ مِنْ عُلْيَاهُ فَتَقِيهَا
وَطَلَّمَ نَوَةَ أَلْهَادِي بِعِلْمٍ عَلِيٍّ مَعَ زَكَاتِهِ فِي النَّاسِ تَوْنِهَا
بَدَأَ الصَّحَابَةَ وَالْأَنْصَارُ قَدْ شَهِدَتْ شَهَادَةَ كُلِّ ذِي دِينٍ يَرْكَبُهَا
فَإِنْ يَقُلْ قَدَّرَ عَلِيٌّ قَدْ حَكَمْتُ فَمَا أَحْكَامُهُ غَيْرَ آيِ اللَّهِ يُبْدِيهَا
وَالْمُرْتَضَى خَيْرٌ مِنْ صَلَّى وَصَامَ وَأَدَّ مِ الْأَوْجِبَاتِ الَّتِي الْأَسْلَامُ يَقْضِيهَا
وَكَانَ مُسْتَسْكِنًا بِالشَّرْعِ مُقْتَنِيًا فِيهِ خَطِي الْمُصْطَفَى يَا نَبِيَّ تَخْطِئُهَا
وَكَانَ لِلْحَقِّ سَيْفُ اللَّهِ فِي يَدِهِ بِهِ الْأَبَاطِيلُ لَا يَنْفَكُ يُقْلِبُهَا
وَلَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ الدُّنْيَا وَزُخْرُهَا إِلَّا مَتَاعٌ غُرُورٍ فَهُوَ قَالِبُهَا

(١) لا بد أن يؤرخ الحوادث التي نحن بصدددها إذا كان ما قد أحصينا نزيهاً من البحث عن ظروفها وملاساتها لا الاكتفاء بروايات الرواة المختلفة وأصدار الحكم عليها كما لا بد له من إرسال رائد طرفه إلى الأشخاص القائمين بها وأحوالهم النفسية إذا أراد أن يتجنب الخطأ في أحكامه
فقد تولى سيدنا علي عليه صلوات الله الخلافة والس على غير ما كانوا عليه في زمن النبوة يوم كانوا مسلمين بكل معنى الإسلام يطلبون الآخرة ويجاهدون في سبيلها ويترددون بالديار وزخارفها وملاهيها وتوددوا في أيام عثمان بن عفان ما لم يعرفوه من قبل وهو التفاوت بين المسلمين في الوظائف والحقوق والأموال فمسوا أن الإسلام قد ساءل بين الجميع وأن السلم لا يفضل أخاه المسلم إلا بالتقوى وإن من كان من أقرباء النبوة أو ذا وجهة في قريش أو سابقة في اسلام لوجهاد لا مبرة له على أخوانه المسلمين عرباً كانوا أو عجماً أحراراً أو عبيداً نعم كل هذا نبيه المسلمون بعد أن رأوا في عهد عثمان أن الأمويين قد نالوا من المناقب في خلافته ما كان يحسد عليهم سائر الناس وأن الدين كانوا يتزلفون إليهم فلزوا بربح ووجهة لم يفر بمثلها من كان بعيداً عنهم غير متصل بهم
أما سيدنا علي عليه صلوات الله فظلَّ وحده كما كان على عهد المصطفى لا يعرف إلا الشريعة التي رضع لبنها منذ نموه أظفاره وترى على يدها وثودت نادابها العالية ولم يقته التبدل الذي

وَمَذْعَلَا الْعَرْشَ نَادَى يَا لِرُجُوعِ إِلَى
فَمَا تَلَفْتَ حَوَائِي لِيَنْظُرَ حَا
وَلَا رَنَا لِلْأَكْثَى كَانَتْ مَطَامِيهَا
وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ هَذَا غَفْلَةً وَغَبَا
وَهُوَ الَّذِي كَانَ فِي وَافِي فَرَاسَتِهِ
وَأَيْنَمَا كَانَ يَهْرَا بِالْمَصَائِبِ فِي
وَعِنْدَهُ أَنْ يُرَاضِيَ اللَّهُ أَفْضَلُ مِنْ
يَقُولُ : يَا نَاسُ اصْغُوا لِي فَأَنْصَحَكُمْ
فَإِنْ بَيَّعْتُمْ إِيَّايَ لَمْ تَكُ فَلَستُمْ
أَنْتُمْ تُرِيدُونَ مِنِّي مِنْ أَجْلِ أَنْفُسِكُمْ
وَمَا أَنَا مِثْلُكُمْ إِيَّايَ أُرِيدُكُمْ
فَبَادِرُوا وَأَعِينُونِي بِبِرِّكُمْ
يَا نَاسُ إِيَّايَ لِلْمَظْلُومِ أَنْصِفْهُ
وَأَسْحَبُ الظَّالِمَ الْعَاقِبِي وَأُورِدْهُ
عَلَى مَنَاجِحِ هَادِي الْخَلْقِ حَامِلُكُمْ

مَوَاطِنَ الشَّرْعِ رُجِعِي هَمَّ يُجْزِيهَا
لَا لَمْ تَكُنْ مُشْلَمًا إِلَّا بِسَلَامٍ يَفِيهَا
بِالْمَلِكِ وَاسِعَةً لَأَشْيَ يَكْفِيهَا
وَلَا خَفَايَا الْوَرَى قَدْ كَانَ غَابِيهَا
أَخَذْتُ مَا تَلَدُ الْآيَاتُ يُبَيِّنِيهَا
جَنْبَ الشَّرِيفَةِ إِيَّايَ رَاحَ يُخَصِّصِيهَا
إِسْخَاطِهِ وَرِعَايَاهُ يُرَاضِيهَا
نَصِيحَةً خَيْرُكُمْ مِنْ رَاحَ وَاعِيهَا
وَلَا كُنْتُ فِي ذَا الْهَمْدِ بَاغِيهَا
إِرَادَةً لَمْ أَكُنْ أَصْلًا مُجَارِيهَا
لِلَّهِ نِيَّةُ صِدْقٍ ظَلَّتْ نَاوِيهَا
عَلَى نَفْسِكُمْ كَيْفَا أَوَاسِيهَا
فَلَا يَرُدُّ تَشْقَاقًا وَتَاوِيهَا
مَنَاهِلَ الْحَقِّ كُرْهًا وَهُوَ آيِيهَا
وَخَيْرُكُمْ بِإِعْبَادِ اللَّهِ قَارِيهَا

حدث في المسلمين بل كان على تمام معرفته ولذلك مات زاهداً بولاية المسلمين راغباً عن خلافته بعد
ان كان يطالب بها وهو متحقق بأن حقه فيها صريح وقد اخذوه منه عنوة وظلماً وكان متأكداً بأنه
لو تولاها لما استقام له الامر فيها ولذلك رفضها عبد ماعرضت عليه بعد مقتل عثمان وقال خير ان
اكون وزيراً من ان اكون أميراً لان الوزير عليه اعطاء الرأي والمشورة امام الله وائمة على الحقيقة
وقد يستحق الناس هذه المسؤولية الا الذين آمنوا واتقوا الله وغاوا وطغ رصده . وفي بقي ان
سيدنا علي ما قبل اخلافة التي عرضت عليه بالخارج الا بدفع واحد وهو مشورته امام الله لو هو
اصر عن رفضها بعد ان وضعا عين الصحابة والاصهار في عقه مملين ان ليس لها سواء لا تشال
الامة من المصائب التي تهددها . هذه هي الحقيقة لا مائة له الشيخ الخفري في محاضراته وهذا صه
« كانت الكلمة في المدينة اد ذلك بطبيعة الحال هؤلاء القائلين (وقد سبق له فخرهم ما شاء)
الذين قتلوا الخليفة ولم يكن في طر جمهورهم البق من علي « خلافة فكموه في البيعة له فمتنع قليلا
ثم اجاب الى ذلك « لا باخضرة الشيخ ليس هذا هو الصحيح فان الذين كلوا سيدنا علي بالخلافة
كأوا وحوه المناجرين والاصنام زعماء المسلمين وفي نظر انورخ الزينة ان « ك » من « ك » في

وَإِنِّي مُنْقِدٌ فَيْكُمْ أَوْامِرُهُ إِنِ اسْتَقَمْتُمْ لِي، حَتَّى اجْرِيَهَا
وَمَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ظَلٌّ كَمَا لَوْ كَانَ حَيًّا بِهِ وَجْهَتْ تَوَجُّهَهَا
فَأَمَضُوا مُضِيًّا إِلَى مَا تَوَمَّرُونَ بِهِ تَقْوَى وَبِرًّا وَخَيْرَ الْخَلْقِ تَأْقِيَهَا
وَعِنْدَ مَا عَنْهُ تَنْهَوْنَ أَنْتَهُوا وَهَوُوا بِطَاعَةٍ فَازَ بِالْأَمْعَى مَوْجِرَهَا
لَا تَعْبَلُوا فِي أُمُورِ عَنْكُمْ خَفِيَّتْ حَتَّى أُبَيِّنَ بِالْأَفْصَاحِ خَافِيَهَا
فَإِنْ لِي الْقُدْرُ عَمَّا تُسْكِرُونَ وَلَا أَمْضِي أُمُورًا كِتَابُ اللَّهِ يَنْفِيهَا
وَمِنْكُمْ الْيَوْمَ مَنْ دُنِيَاهُمْ غَيْرَتُهُمْ فَأَنْكَفُوا أَوْسَعَ الْأَقْوَامِ تَرَفِيَهَا
قَوْمٌ لَقَدْ فَجَرُوا وَلَا نَهَارٌ وَاتَّخَذُوا الْقِمَارَ سُكْنَى أَطَابَتْ نَفْسَ غَابِيَهَا
قَدْ اسْتَطَوَّاهُ صَهَوَاتِ الْخَيْلِ عَنْ بَطْرِ وَمَا كُنُوا لِنَيْدٍ وَاسْتَحَلُّوا أَنْصَبِيَهَا
فَإِنْ مَنَعْتُهُمْ حَالًا تَلَذُّهُمْ وَعَيْشَةً مَا رَسُولُ اللَّهِ رَاضِيَهَا
وَسِرْتُ فِيهِمْ إِلَى مَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْحَقِّ وَهِيَ الْإِنِّي أَنَّبِي تَخْطِيَهَا
عَدُّوا اسْتِغْنَاءَهُمْ عَمَّا إِلَيْهِ مَضَوْا عَارًا وَمَا كَانَ مِنْهُمْ غَيْرُ نَابِيَهَا
وَأَسْتَسْكِرُوا عَنَّا قَتَوَى حَكَمْتُهَا وَأَضْرَبُوا الْحَدَّ وَالْبَغْضَاءَ لِنَفْسِيهَا
قَالُوا أَبُو حَسَنِ قَدْ هَمَّ بِخَرْمِنَا حَقُّوقَنَا قَوْلَهُ أَنْبِي تَحَاشِيَهَا
فَإِنَّمَا رَجُلٌ مِنْكُمْ بِصُحْبَةٍ طَسَهُ قَدْ أَذَلَّ وَوَأَى وَهُوَ يَذِلُّهَا

المدينة كانوا على رأي الثائرين وإن سيدا علي ما امتنع عن قبول الخلافة « قليلا » بل امتنع
طويلا ولولم يخفوه من الله ويستزلوا شفقته على المسلمين أن تناكلهم القوضى ولولم تكن نفسه الشريفة تدفعه إلى
نجد الناس وهم في أشد الحاجة رضي بخلافتهم كاجهر صراحة امامهم وما ذلك لانها ليست من حقه ولا لان
الذين يرضونها عليه ليسوا أهل الحق بالية ولا لعدم كفايته بسياسة البلاد وجدارته بتمشية الامور
كلا لاهذا ولا ذاك ولكن لانه عليه صلوات الله كان يعلم حق العلم بما عرض عن الناس فبدل
احوالهم تبديلا لا يرضاه عالم حكيم صالح مثله وان تارجاعهم الى ماضي حالهم في عهد النبوة من
المصاعب والاهوال ما لم يكن ليحقي عليه وقد جهر بهذا على اثر بيته وصارح الناس به فقال :
« لم تكن يعتصم اباي قلته ، وليس أسري وامرك واحدا ، اني أريدكم الله ، وأتم تريدوتي
لافسكم ، ابها الناس ، أعينوني على أفسكم ، وأيم الله لأنصفن الطلوع من طالمه ، ولا تودن
الطالم من خزائنه حتى أورد منه بل الحق وان كان كارها » وقال : « اني حاملكم على نبيج نبيكم
صلى الله عليه وسلم ، ومنقذ فيكم ما أمرت به ان استعتم لي ، وباقية المستعان ، ألا ان موضعي
من رسول الله بعد وفاته كوضعي منه ايام حياته ، فامضوا الى ماترسون به ، وهو عند ما نهن عنه ،

يَرَى عَلَى غَيْرِهِ فَضْلًا بِهَا وَعَلَى لِنَفْسِهِ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَكْفِيهَا
فَأَيُّمَا فَضْلُهُ عِنْدَ الْمُتَمِينِ وَمَنْ بِالَّذِي تَكْفِيهِ الْأَقْوَامُ يُجْزِيهَا
وَأَيُّمَا رَجُلٍ لَبَّى الْأَوَّلَةَ وَهِيَ دِي الْخَلْقِ تَلْبِيَةً تَهْدِي مُلْبِسَهَا
وَدَانَ مَعَنَا بَيْنَ اللَّهِ مُتَمِلِنًا وَلَاءُ أَمْنِنَا مَعَ حَرْبِ عَادِيهَا
وَأَسْتَقْبِلُ الْقَبِيلَةَ الْعَلِيَاءَ قُبُلْتَنَا بِخَشْيَةِ اللَّهِ يَابْشَرِي لِخَاشِيهَا
فَإِنَّهُ بَاتَ بِالْإِسْلَامِ مُشْرَكًا مَعَنَا شَرَاكَةً حَقٍّ لَسْتُ خَاشِيهَا
لَهُ الْعَصْفُوقُ الَّذِي الْإِسْلَامُ وَاضِعُهَا كَمَا الْحُدُودُ الَّتِي سُنَّتْ بِرَاعِيهَا
أَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ أَيْرَاكُمْ وَكَذَلِكَ الْأَمُّ مَوَالٍ أَمْوَالُهُ فَيُكْمُ أَجْرِيهَا
وَأَنْتِي لِمَسَاوِ بْنِ أُمِّ طَسَّةَ وَالْمُهَيْمِنُ قَدْ أَضَى تَسَاوِيهَا
وَالْمُسْتَوْنُ لَمْ يَخِرْ الْجَزَاءُ غَدًا فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مَا أَثَرُوا مَثَاوِيهَا
لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ هُدًى لِدَارِ مَثْوِيَةِ الْأَمِّ مَزَارٍ حَتَّى يَرْجِيَهَا مَرْجِيَهَا
بِذَا أَبُو حَسَنٍ نَادَى بِخَطْبِهِ فِي قَوْمِهِ عِنْدَ مَا قَدْ بَاتَ رَاعِيهَا
وَصَارَحَ الْقَوْمَ أَنَّ لَا مِيزَةَ أَبَدًا فِي حُكْمِهِ بَيْنَ عَرَبِيهَا وَعَجَمِيهَا
وَأَنَّهُ لِحُدُودِ الشَّرْعِ مَرْجِعُهَا وَإِنَّهُ لِرِضَاءِ اللَّهِ مُشِيهَا

ولا تعجلوا في أمر حتى أبلغكم ، وإن لنا عن كل أمر تنكرونه عدداً « وقال أيضاً :
« ألا يقولون رجال منكم غداً قد عمرتهم الدنيا ، وتغفوا العقار ، وجروا الأنهار ، وركبوا
الخيول الفارغة ، واتخذوا الوصائف الرفقة ، فصار ذلك عليهم حاراً وشتاراً إذا ما منهم ما كانوا
يجوزون فيه ، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يطلبون ، فيتمون ذلك ويستكروا ، ويقولون حرماً
إنني طلبت حقوقنا ألا وأياماً وجل من نهبنا جبرين والأنصار من أصحاب رسول الله ، يرى أن
أفضل له على سواء لصحبه ، فإن أفضل النير غداً عند الله ، وثوابه وأجره على الله ، وأياماً رجل
استجاب لله وللرسول ، فصدق ملتناً ، ودخل في ديننا ، واستقبل قبلتنا ، فقد استوجب حقوق
الإسلام وحدوده ، فأنت عباد الله ، والمال مال الله ، يشتم بكنكم بالسوية ، لأفضل فيه لأحد على
أحد ، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء ، وأفضل الثواب ، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً ،
وما عند الله خير للابرار »

تقول هذه هي الخطأ التي وضعتها سيدنا علي (عليه السلام) في خلافة ولده يكن فيها مبتدعاً مجتهداً
ولكن مقلداً لرسول الله (عليه السلام) والصلاة والسلام وهي الخطأ التي يقرأها الشرع وتطبق على أحكام
القرآن الشريف وهذا كان للعلماء قد أبوا السير عليها فما الذي دونه ووافقه لو كان عبي براداليا
لما دونه السير فيها ولا كان عاجزاً عن مرضاة الناس عليها ولكن هيأته جهات ما أبو الحسن يبالغ
أخرا بدنياء ولا هو راضٍ للمسلمين إلا ما رضاه الله ورسوله الله

أول مشاكل مفردة أمير المؤمنين

مَا تَمَّتِ النَّبِيعَةُ الْكُبْرَى لِحَيْدَرِهِ وَالنَّاسُ فِي ثَوْرَةٍ صَعَبَتْ تَلَا فِيهَا (١)
وَلَمْ يَكُنْ يَكْفُرُ الرَّأْيُ السَّيِّئَ بِهَا كَيْمَا عَلَى خَيْرٍ مَا يُرْجَى بِهَيْئَتِهَا
حَتَّى أَتَتْهُ نَاسٌ مِنْ صَحَابَةِ طَمَسَ وَهِيَ تَطْلُبُ أَحْكَامًا تُجَرِّمُهَا
عَلَى الْأَثَلِ قَتَلَتْ عُثْمَانَ قَاتِلَةً نَبِيَّ الْقِيَامِ الَّذِي حَتَمَ بِرَبِّهَا
فَهَلْ أَرَادَ بِذَا إِخْرَاجَ مَوْفِقِهِ يَا هَلْ تَرَى أَمْ أَرَادَ الْعَدْلَ أَيْنَهَا
عَنْهَا تَرَى نَدَى أَنَّ النَّاسَ نَائِرَةٌ وَذُو الرِّشَادِ عَلَيْهِ أَنْ يُدَارِئَهَا
وَالْمُرْتَضَى كَانَ أَذْرَى بِالْمَصَائِبِ مِنْهَا وَهُوَ مُفْتَكِرٌ فِيمَا يُجَلِّبُهَا
لَنَا تَلَطَّفَ إِذْ أَصْنَى لِمَطْلَبِهَا وَرَاحَ بِالْعَطْفِ وَالْحُسْنَى يَفَاهِيهَا
قَالَ: يَا أَخَوَاتَاهُ لَسْتُ أَجْهَلُ حَا لَا قَدْ وَقَدْتُمْ عَلَيَّ تَعْلِيمُومِنَهَا

(١) ان أول مشكلة عرضت على سيدنا علي أمير المؤمنين عليه صلوات الله في خلافته هي مشكلة الثائرين الذين بانوا في الحقيقة مد مقتل عثمان أصحاب الحل والعقد في المدينة المنورة فكان من هم الخليفة قبل كل شيء وهو عليه صوات الله على ماسم من أصالة الرأي ان يعنى تنسيق جوهرهم فيمد اهالي الامصار الى امصارها ويستعيد النظام وريداً وريداً بمد الفوضى التي احدثتها الثورة وهذا لا يتأتى له الا اذا طوبه وجهاء المسلمين الذين حوله من المهاجرين والانصار ومعال الامارات الاسلامية . وبعد ذلك لابد ان ينظر في مقتل عثمان وتوقيع القصاص على القتل اذا كان في ذلك مصلحة الخلافة والمسلمين لان القصاص الشرعي لم توجد للشرية السجاء وعموم الشرائع المنزلة والموضوعة للانتقام بل للتأديب حياً للمصلحة العامة اذا امفي في سبيل الانتقام وكان في امضائه اضرار بالمصلحة العامة خرج عن حده الشرعي واتبع الحكم على ضيف راي مضيه وقوله . ولذلك ترى في القرآن العزيز الرحمة مصاحبة العدل قد أمرهما الله سبحانه عبادهم ما قال ما يلخص بأن الرحمة اقرب للتقوى اذا كان في العدل قية . كما ترى جميع الشرائع ترك للملك حق العقور عن الجرمين لما قدمنا من تفصيل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة قتلا في الفتنة مثلاً افضل بكثير من اقتصاص لقتيل من قاتله اذا كان اقتصاص مفضياً الى فتنة وهذا من الامور البدئية التي لا تحتاج الى اسباب في البحث ومن المعلوم ان لقوة الثأن الاول في اجراء احكام الشريعة بالمصيف مثلاً يجوز عن اجراء احكام الشرع على القوي المنزلة بقوته ومن ذلك أمر الثورات التي تحدث في العالم وهي قديمة فيه فان الثائرين اذا ما فزوا بثورتهم يكون فوزهم نتيجة قوتهم سواء اذا كانت قوتهم على حق أو على باطل ولذلك اعتاد الملوك ومن حولهم من اولياء الامور ان يملوا على اطفاء نيران الثورات بالقوة العام حتى ولو تطلبوا على الثائرين لانهم لا يجهلون ان التشديد على الثائرين قد يمدهم الى المودة الى الثورة متى راوا من قوتهم قوة عليها

لَكِنَّمَا شَوْكَةُ الثَّوَارِ قَائِمَةٌ فَكَيْفَ لِيَ الْيَوْمَ قَوْلُوا أَنِ اقْلُوبْنَاهَا
وَإِنَّمَا مَلَكَتْنَا وَهِيَ ظَافِرَةٌ بِنَا قَصَبًا إِلَى أَنْ تُمْلِكُونَهَا
ثَارَتْ وَعَبْدَانُكُمْ مَعَهَا بِشْرَكَ أَغْصَابِ الْبَوَادِي الَّتِي وَافَتْ تُمَالِيهَا
وَإِنَّمَا يَنْسُكُكُمْ بَاتَتْ تَسُومُكُمْ مَا تَبْتَغِي كُلَّكُمْ بِشْمٍ مُطِيعِيهَا
فَهَلْ تَرَوْنَ لَدَيَّ الْيَوْمَ مَوْضِعَ قَدْ مَرَّةٍ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ مَعَ تَحْسِينِهَا
وَالْأَمْرُ ذَا جَاهِلِيٍّ لَيْسَ تَعْرِفُهُ شَرِيعَةُ الْمُصْطَفَى فِي عَرَفِ أَهْلِهَا
أَلَا أَعْلَمُوا أَنَّ لِلثَّوَارِ نَوْرَةَ أَفْكَارٍ مُرَوَّرُ اللَّيَالِي قَدْ يُلَاشِيهَا
وَإِنَّ لِلنَّاسِ فِي مَشْهُودِ قِنَبِهَا أَمْرًا مُعْتَرَكُهُ حَتْمًا يُجْزِيهَا
فَفِرْقَةٌ رَأَيْتُهَا مَعَكُمْ تَوَاقُّكُمْ عَلَى الْقِصَاصِ بِهِ نَادَى مُنَادِيهَا

لا جرم ان هذا مما يطبق على الثورة التي قامت في المدينة المنورة وانجلت عن قتل عثمان فان الثأرين تقبلوا على الخليفة في حاصته فخصروه في داره واعلنوا مراراً وتكراراً أنهم لا يريدون قتله ولكن اقله من خلافه والظاهر أنهم لم يكونوا يملكون حق عزله وخلعه لما تعلم من ان الخلافة الاسلامية وقدره لم يكن لها نظام ثابت بين الذين يولون الخليفة والذين يحكمون حق خلفه أو عزله والذين تحقق لهم الخلافة دون سواهم بل كان ذلك كله بمقتضى اجتهاد اكابر الصحابة وكانوا يقدرون بما يملكون من قوة واذا تحقق لنا هذا وهو محقق لا ريب فيه كان في تبيين الضميرين الذين احلوا على عثمان ومبلغ استحقاقهم للقصاص التشريعي طبر هذا على فرض ان الخليفة الجديد استطاع ان يملك ناصيتهم ويجري فيهم القصاص اذ ان الشرع الشريف لم يعموه الشرائع الالهية والموصوعة تحكم على القاتل بالقتل ولكنها تنظر قلي كل شيء الى نية القاتل « والاعمال بالنيات » فما سوانة قتل امرء لاخذ ماله او للثأر منه او لاي سبب من الاسباب الخصوصية وقتل امرء رأى قتله ان وجوده مقرر بالخافة لما بيده من السلطة العامة ولا سيما اذا حاولوا اصلاحه ولا اكثر اذا عرصوا عليه الاستقالة واخسوا بها وكان يرفضها وفوق ذلك اذا ارسل يستدعي اصنراً له يجارهم بهم ليضل في دسسته متمكناً من نواصي الاممة . وفي تولي الثورات في جميع شتات الارض وفي الخلافة الاسلامية نفسها شيء كثير من هذا فطناً ثار الناس على الخلفاء والملوك وقتلهم او خلعهم وكان البعض ممن يخفونهم يدي الثأرين منه ويترجمهم واليهم بكل بهم تسليلاً اذا رأى نفسه متمكناً من نواصيهم مخافة ان يغلبوا منه ما فعلوه مع سلفه . والمرة كل المرة بالقوة فهي التي تفعل فعلها في الثورات وفي غير الثورات بل وفي كل شيء نقول هذا كنظر اجنبية ونحن لانرى الثأرين قد احسوا الصنيع بقتل عثمان ولا قرعهم على علمهم بل بل انكس تشجب كل ورقة وكل اعتداء شخصي على الحياة وبعد الان الى مولانا أمير المؤمنين عليه صلوات الله فقيراً بنام رفض الخلافة عند ما عرضت عليه على اثر مقتل عثمان لما يعلمه من المشاكل التي تحيط بها وقد خبر لكم ان اكون وزيراً أم اكون أميراً نعم رأيتاه يقبلها لانه رأى نفسه مسئولاً أمام الله والنصفين ودينه عن المسلمين في فوصام

وَفِرْقَةٌ لَا تَرَىٰ عَدْلًا مُنَابَذَةً أَلْثَوَارِ تَطْلُبُ مِنَّا أَنْ نُؤَانِيَهَا
وَفِرْقَةٌ لَا تَرَىٰ هَذَا وَذَلِكَ وَلَا تَدْرِي لَهَا وَجْهًا مِنْ بَعْدُ تَمْشِيهَا
فَالصَّبْرُ أَوْلَىٰ أَصْبِرُوا حَتَّىٰ الزَّمَانُ يُهْدِمَ مِثْلُ أَلْثَوْنٍ أَلَّتِي شَطَّتْ مَرَامِيهَا
وَرَيْثِمًا تَقَعُ أَلَّا لِبَابٍ مَوْقِعَهَا وَتَسْتَمِرُّ عَلَىٰ حَالٍ نُوحِيبَهَا
إِذَا ذَاكَ تَوَخَّذَ بِالْحُسْنَىٰ الْحَقُوقُ عَلَىٰ سَمَاحَةٍ دُونَ أَهْوَالِ نَعَانِيهَا
أَلَا أَهْدُونَا وَأَنْظَرُوا مَاذَا يَجِبُ بِهِ أَمْرِي فَمَا أَنَا مُقْضِي أَلَمَيْنِ غَايِبَهَا
وَجَائِبُهَا فَعَلَّةٌ تَقْضِي تَبِيجَتَهَا إِلَىٰ التَّضَعُّعِ مَا دُورَ الرَّأْيِ يَأْتِيهَا
وَقَدْ يَكُونُ بِهَا إِسْقَاطُ مُنْتَبِهَا أَوْ ذَلَّةٌ إِنْ فَعَلْتُمْ تَوَزُّؤَ نَوْنِيهَا
مَا اسْتَمْسَكَ أَلَّا مَرُوءِي سَوْفًا مَسْكُهُ وَكُلُّ جَائِعَةٍ عَنْهُ سَازُوْنَهَا
أَمَّا إِذَا اسْتَفْحَلَتْ قَالَهُ عَلَيْهِ فَالْكِي آخِرُ مَا أَلْفِيهِ يُشْفِيهَا
وَقَوْلُهُ الْمُرْتَضَىٰ هَذِي لَتُنْبِشُنَا بِنِيَّةٍ لِصَلَاحِ النَّاسِ يَنْوِيهَا

على انه ما كان يحل ان الامر لم يكن في يده وقد نفي كل في أيدي الناس الذين ملكوا ناصية
القوة . واخذ ككل عاقل . مدر حزم يبالغ الامر بالتالي هي احسن وبينها هو كذلك ولم ير عليه
يوم أو يومان وهو على دست الخلافة واذا بمس الصحابة قد جاءوه ولا تعرف ان كانوا حسني النية
أو سيئها ولكن الذي فعله انهم لم يكونوا مقدرين الخالة حق قدرها وعرضوا عليه ممانعة الدين
اجلوا على عثمان فطرد اليهم المرتضى عليه صلوات الله بعين ماؤها الود والطيف واجابهم بصراحتهم
والخلاص وسداد رأي قال :

« يَا اخوتاه اني لست أهمل ما تعلمون ، ولكن كيف لي بقوم ، والقوم المجلبون على حد
شوكتهم ، يملكوننا ولا نملكهم ، وهامهم هؤلاء ، قد ثارت معهم عبداسكم ، والتمت اليهم
اعرابكم ، وهم خلالكم يسومونكم مانداؤا ، وهل ترون موضعا لقدرة على شيء يريدونه ؟ وان
هذا الامر امر جاهلية ، وان هؤلاء القوم مادئة ، ان الناس من هذا الامر اذا حرك على امور :
فرقة ترى ماترون ، وفرقة ترى ما لاترون ، وفرقة لاترى هذا ولا ذاك ، فاصبروا حتى يهتأ
الناس وتقع القلوب موافقها ، وتؤخذ الحقوق مسحة ، واهلوا عي ، وانظروا ماذا ياتيكم به
أمرى ، ولا تطلوا فلة ، تضضع قوة ، وتسقط منه ، وتورثوها وذلة ، وسامسك الامر
ما استمسك ، واذا لم أحد بدأ فأخر الدواء الكي » اهـ

والذي يتدر كليات سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله والحكمة تتدفق من كل حرف
من حروفها يظهر له أولا ان الثوار كانوا قابضين على زمام الخالة ، وانهم ليسوا تقرأ من الامصار
قط بل كان معهم عبدان صحابة المصطفى واصاره والطبع ما مضى عبدان هؤلاء الناس الذين الابرشاء
سادتهم وثانيا قد كان معهم عدد ليس بقليل من عريان يادية الحجاز ولهم نصيبهم من الحول والطول

وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَقِّ مُتَرَكًّا فَوَضَى تَحْتَهُ بِأَلْسُنَتُنَا مَسَاوِينَهَا
وَلَمْ يَكُنْ رَاضِيًا إِيَّاهَا لَعَلَّهَا لَكِنَّهُ كَانَ يَرْجُو أَنْ يُدَاوِنَهَا
مَتَى اسْتَقَرَّتْ أُمُورُ النَّاسِ وَأَنْظَفَاتْ نَارُ الْعَدَا كَانَ يَتَنَبَّأُ كَيْ يَطْفِئَهَا
بِحُكْمَةٍ تَوْتَجِبُ مِنْ مِثْلِهِ فَإِذَا اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ نَارُ الْحَزَمِ يَكُونُهَا
وَمَا لِحَيْدَرَةٍ إِبْلَاحُ أَنْفُسِ أَرْ بَابِ الْمُطَامِعِ إِنْ جَارَتْ أُمَانِيهَا

أسباب الانقراض على أمير المؤمنين

تَقْوَى وَزُهْدٌ وَبِرٌّ ذِي صِفَاتٍ أَمِينٍ الْمُؤْمِنِينَ لِكُلِّ النَّاسِ يَتَغَيَّبُهَا (١)
ثُمَّ أَلْعَدَّاهُ فِي الْأَحْكَامِ بَيْنَ جَمِيعِ النَّاسِ لَا يَرْفَعِي أَصْلَاتُ خَطِيئَتِهَا

وتألف أن أهالي المدينة وهم بالطبع اكابر الصعابة والافكار ووجوه المسلمين ما كانوا يحسنون على رأي قفره
يحبذ عمل التائبين فلا ترضى الاقصاص منهم وقرقة على المكس تطلب الاقتصار منهم لانهم طارحوا
مصالحها واضروا بها ثورتهم وقرقة على الحيات وهذه القرقة لا احد يعلم الى أي الغرقين تنضوي
اذا حرك سيدنا أمير المؤمنين ساكنها في الامر بمثل هذه السرعة. ثم عرفنا ان سيدنا أمير المؤمنين
كان في نيته ان ينظر في المشكلة متى هدأت الاحوال وانظفت نار الثورة بحيث يمطي كل ذي حق
حقه بالحسن من غير تمسك الى ما يضيع قوة وبورث دلاً وخواراً. هذا كان عزمه عليه صلوات الله وختم
كلامه بقوله اء سيمك الامر ما استمسك الا اذا اضطرر فيسفي عزمه بالشدّة فان آخر الدواء الكي
لاجرم ان سيدنا علي قد أصاب القول وصرح عما في نفسه من رياء واظهر الحيلة لاصحابه
كما هي غير مداجاة ولو كان من حوله مخلصين لما جرى من الشدة ما جرى بعد ذلك ولكن قد رفسكان
ولله الامر من قبل ومن بعد

(١) ان المؤرخ الفاضل اذا أجل نظرة صادقة الى الاسباب الحقيقية التي عملت بانقراض الناس
على خلافة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه صلوات الله يظهر له انها غير ما كتبه كثيرون فيها
من نقاد التاريخ والباحثين فيه ومدعية الحجة الذين حلروا منهم بالتوفيق بين ما اشهر عن سيدنا علي
من اصاله الرأي ومضاء الميزجة وبعد اهمة وغزارة الحكمة وسعة الذهن والتشوش الذي رافق
خلافته منذ تولاه الى اليوم الذي فيه قتله عد الرحمن بن ملجم لعنه الله. وعندني على قلة علمي
ان مامن اسان في الوجود كان في طوقه ان يعمل خيراً مما عمل سيدنا أمير المؤمنين اللهم اذا كان
مقيداً بقيد الشريعة السمحاء معسراً على اراء الحكماء في المسلمين في الظروف التي تولى فيها هذا السيد
العظيم الخلافة ولظروف اذن هي التي اوجدت ذلك الاضطراب لاسيما في الامم الاعظم ولا سوء تدبيره كما
يظنن عليه اعداؤه عليه صلوات الله

لاحرم لو تولى سيدنا علي اخلافة غنى أثر وفاة رسول الله لما حدث في خلافة حادث مما
سيمر بنا واذا كان ايسر لما أن نكهن عن شيء لم يحسن ما هو بمحطور علينا ان نسير اليه لتبسط
أمام القاري للباب الحقيقة التي صاماً نصها المتعمسون

ثُمَّ الْمَسَاوَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْوَاعِ الْحُقُوقِ مُصِرٌّ أَنْ يُجْعَلَ بَيْنَهُمَا
فَمَا أَهْوَأَ شَيْءٍ أَسْمَى مِنْ قُرْبَيْنِ وَلَا أَلَا مَ عَرَابٌ يَفْضُلُهَا قَدْرًا صَحَابِيهَا
وَلَا أَلَا عَاجِمٌ مَذَّ ذَاتُ لَبِيشَةٍ أَحْمَدٌ يُنَافِسُهَا فِي النَّاسِ عُرْبِيهَا
وَمَا هُنَاكَ تَمَيِّزٌ وَلَا رَتَبٌ لَدَى أَبِي حَسَنٍ لِلنَّاسِ يُغْطِيهَا
هَذِي خِلَاصَةُ رَأْيِ الْمُتَرْضَى بِمَا مَعَهُ يَقِيمُ حُدُودَ الشَّرْعِ وَالِهَا
وَمَذَّ تَرَجٌ فِي دَسْتِ الْخِلَافَةِ أَغْلَنَ الرُّغْبَةَ ذِي مَا كَانَ مُخْفِيهَا
وَالْمُسْلِمُونَ لَقَدْ فَاتَوْا بِدَاوَتِهِمْ مِنْ عَهْدِ عُثْمَانَ وَاجْتَارُوا فَيَا فِيهَا
تَعَوَّدَتْ رَفَلَاتِ أَلْمَيْشِ أَنْفُسُهُمْ حَتَّى تَنَاسَتْ بِإِسْرَاعِ تَبَدُّلِهَا
قَلْبٌ مِنْهُمْ مَنْ يَرْضَى الْخُسُوفَةَ فِي عَيْنِ تَعَوُّدٍ فِيهِ قَلْبُ تَرْفِيهَا
وَإِذْرَأْ وَالْمُتَرْضَى لَأَشْكُ مَرْجِعَهُمْ إِلَى بَدَاوَتِهِمْ وَالْكُلُّ آيِنُهَا

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقم دعوته على دطامة الدين والتف حولہ الناس وهم يطلبون نواب الآخرة لا يجمع شيء من زخرف الدنيا فكأوا الفتنة القليلة الطافرة بقوة الهية على الفتنة الكثيرة . ولما تم النصر للإسلام ودخل الناس فيه أفراجا بعد فتح مكة المكرمة لم تكن تلوب « الطلقاء والمؤلفة تلويهم » مقتبسة من روح الاسلام كقلوب الهاجرين والانصار ولذلك كثر عدد المناقطين بين المسلمين وهم الذين اغبروا الاسلام بأستهم خضوعاً للقوة وانطوت قلوبهم على الكفر والاشراك . وقد ظهرت نيات هؤلاء السيئة للإسلام على صاحب المصطفى عليه الصلاة والسلام في غزوة تبوك على ما مر بنا اذ تقاعس عنها كثيرون وقام كثيرون برفعهم بسوء تنابجها تسيطاً امزاجاً المسلم عن الجهاد . كما ظهر خبث نوايا هؤلاء ايضاً بعد وفاة المصطفى اذ ارتد كثيرون منهم لخارجهم أبو بكر واعادهم الى الاسلام بالسيف لما قتل من حكم الشرع على المرتد

وظل هؤلاء المناقضون معتبرين بين المسلمين في عهد عمر وايس لهم سعة معلومة فمزهم عن الخلفين الصادقين في الاعيان فكان بالطبع تأثيرهم كبيراً في ذلك الوسط الاسلامي . وأراد الله سبحانه ان يجعل عهد عمر فتحاً وعمواً للإسلام فاست الدولة الاسلامية وكثر الأتلي دخلوا في الاسلام من العرس والروم والأرمين والريان وغيرهم مراد هذا النحو بالطبع عدد المناقضين بين المسلمين أو على الأقل قل ان كثيرين ممن أسلموا من الروم والعرس والريان والأرمين لم يكونوا وانفص على حقائق التربة الاسلامية السمحاء وأدبها المالية ومبادئها الراقية فكان لا مقامهم الى الجماعة تحت لواء الاسلام تأثيره ولا سيما لأن الاسلام يساوي بين تابعيه مساواة لا تميز فيها مسلم عن مسلم لا مجلس ولا باسقة ولا جمال ولا بحس ولا بصية ولا بأي شيء آخر

ثم انتقلت الخلافة الى عثمان بن عفان وعلى عهده كانت السككة العليا لبني أمية وهؤلاء من الطلقاء المؤلفة قلوبهم وقد أسلموا « الازعيمهم عثمان » يوم فتح مكة المكرمة فلا ينتظر منهم بعد ان استغفروا زعيمهم عثمان وحكموا باسمه المملكة الاسلامية أن يدقوا في اجراء الاحكام

تَقَمُّمُوا وَتَوَلَّوْا عَنْ خِلَافِهِ وَصَارَ هَمُّهُمْ الْأَسْنَى تَدَاعِيَهَا
إِلَّا الْأَلَى عَصَمَ الْبَارِي نَفْسَهُمْ فَاسْتَمْسَكَتْ بِضَوْصِ الشَّرْعِ تَغْيِيَهَا
فَكَانَ ذَا بَذْءِ عَهْدِ الْأَقْيَالِ عَلَى إِمَامَةِ سُنَنِ الْهَادِي تُمَيِّسَهَا
وَمَا قَدَّامَ فِيهَا عَهْدُ حَيَدَرِهِ بَلَى أَنَّهُ مِثْلَمَا نَذَرِي مُمَسِّسَهَا
بَلَى لَمْ يَكُنْ حَتْمًا نَسِيَانُ عَهْدِ رَسُولِ لَ اللَّهِ وَهُوَ عَلَى هَذَا مَرَبِّسَهَا
كَذَلِكَ لَمْ تَنْسَ مَا لِلْمَرْفَعِيِّ بَعُودُ سِرِّ الْعَرَبِ مِنْ عَصَةِ كَانَتْ تَحْبِسَهَا

الشرعية ويطبقوا قوانينها على أنفسهم أولاً وعلى المسلمين ثانياً بل كان هذا اليلام مطاسمهم اذ من الثابت أنهم كانوا يعملون في عهد عثمان على استقامة الخلافة في بينهم أو على الأقل أن يصحبوا اذ لم يتوقعوا الى استقامة الخلافة في بينهم في حالة من الوجهة والثروة والنفوذ بحمل الحليفة رهن اثارهم كائناً من كان فجعلوا يقاتلون من اموال المسلمين باسم هبات من عثمان ما يستطيعون نيله وكانوا يمزجون الاحزاب ممن تسهل استمالته اليهم بالاموال والمنافع سواء من العرب او من الاطعام الذين دانوا بالاسلاء واناس تسة اعشارهم اذ لم تقل كلهم عيد منافهم

ثم ان الناس الذين قلنا أنهم عيد منافهم ليس كلهم ينظرون الى منافهم الدينية بل منهم من كانوا ينظرون الى منافهم الاخرية الآجلة ويغفلون عن المنافع الدينية العاجلة مثل هؤلاء كانوا كثيرين في ذلك الزمان لجدة الاسلاء وقرب العهد بالمصطفى وانتشاث الكثيرين بينهم من صمدوه على الله عليه وسل ورؤوا اساءة محدثوا ما حدثته الباعرة وهؤلاء هم الذين صوا على عمال غير اعمالهم وكانوا عبر اراضين عما كان يجري في الخلافة عن عهده وانضم الى هؤلاء المحرومون من المنفع التي فز بها الامويون واصحابهم بدافع الحسد والتقية

وعلى هذا لما ان يقول ان سيدا عبي عليه صلوات الله تد تولى الخلافة والناس لم يقولوا على ما كانوا عليه في عهد النبوة وعهدي ابي بكر وعمر يعملون افعالهم ووجهتهم الى حرية زاهددين بالدنيا ورغبتها بل تمودوا شيئاً آخر وهو ان في الخلافة مافع قد يختص بها من كل من عشيرة الحليفة أو انصارها وانتموحيهم بخلافته . وتستطيع ان تقول ان هذا التحول في الافكار كاذ يكون عاماً في المسلمين يوم قتل عثمان الا من عهده

ولابد اننا من نظرية اخرى مقولة واحسبها واقعية وهي ان العرب الذين ظاههم الاسلام على أسهم وانتم الى بعدهم باسم « المتأقين » والى البعض باسم « اؤولمة قومه » كانوا على احد اكبره لرسول الله ولوصيه عليهما الصلاة والسلام وانما القوة القاهرة كانت محمليه على انشاء هذا الكره في صدورهم املهم ما يقع اظهاره من التكيل بهم . وهذا الكره أمر طبيعي لاعرابه فيه انما من مطرب يحب عاهه المستصر عيه . وبذلك نرى هذا الكره ما كان من أمر الحكم أبي مروان الذي كان ينتصت احاديث المصطفى وينتصها بين المسلمين للاضرار بالاسلام وبطبيعة الحال ما كان يشيهاه الا بين الذين يرضون بها عما هم شركائه بكراهة رسول الله وانه هداما كانوا كاذليين واذا كان هؤلاء المناقون يكرهون رسول الله لانه تلب عليهم قبلاولاً كانوا يكرهون اصحابه وانصاره الذين كانوا سيوفه المشيرة وقد ذرها خربهم وقهرهم بها يذني الله . والبداهة

فَهَلْ نَسْتَ أَمْسَهَا إِذْ كَانَ قَاهِرَهَا بِذِي الْفَقَارِ وَمُذْمِنَهَا وَمُضْنِيهَا
وَلَيْسَ فِيهَا سِوَى الْمُتَوَوَّرِ مَاتَ أَبُو هُ أَوْ أَخُوهُ وَهَذَا أَقْرَمُ مُرْدِيهَا
وَالْقُرْبُ ثَارَاتُهَا لَا تَمْتَنِي أَبَدًا وَالْأَخْذُ بِالثَّارِ مِنْ أَسْنَى مَبَادِيهَا
وَالشَّرْكُ مَا زَالَ يُغْرِي أَكْثَرِيَّتَهَا عَلَى كِرَاهَةِ مَا جِئَهُ وَغَارِيهَا
وَبَعْدَ هَذَا وَهَذَا مَا أُمِيَّةٌ تُفْضِي عَنْ مَطَامِعِهَا أَوْ عَنْ أُمَانِيهَا
وَكَانَ عُمَالُ أَمْصَارِ الْخِلَافَةِ شَيْعَةً لَهَا أَوْ أَنَامًا مِنْ مُحِبِّيهَا
بِهِمْ فَشَتَّ بَيْنَ كُلِّ النَّاسِ سَطَوُهَا وَسَطَوَةُ الْحُكْمِ تُغْنِي مَنْ يُقَاوِمُهَا
كَذَلِكَ كَانَتْ جَمَاعَاتُ الْعِدَاةِ يُنَا جِي بَعْضُهَا الْبَعْضُ كَمَا تَبْذِي نَعْمِيَّتَهَا
كَانَتْ بَثَارَاتُ عُثْمَانَ تَصِيحُ وَفِي قَوَادِمِهَا غَيْرُ مَا تَبْذِيهِ مِنْ فِيهَا
وَلَيْتَمَا دَهَهُ فِي عُقْفِهَا وَلَيْتَن لَقِيَ مَنِيتَهُ مِنْ غَيْرِ أَيْدِيهَا

كان هذا الكره لاصحاب رسول الله وانصاره بتفاوت بقاوت اعمالهم الحرية. واذا عرفنا أن سيدا
علي كان في المنازاة النوية وان ماني لولئك المنافين من لا يذكر انه عليه صلوات الله تعالى آياه أو أخاه
أومعه أو خاله أو ابيه كان من الصعب جداً ان ينسوا التأثير مانل من « نارات العرب » وان تصفو
قلوبهم الى من كان الجلي في الحروب التي اشتعلت بين المسلمين والمشركين الا « الذين عصمهم الاسلام
فصرفوا أن علياً كان سيف الله وقد اشتهر سبحانه على المشركين والكافرين لبعرة ديه واعلاه
رأية شريته في الماليب . واذا كان هؤلاء الناقون على سيدا علي وهم ليسوا بقليلين طاحزين عن
الانثار لا تقسم منه فا كان يصب عليهم ان يلوا دعوة كل من ينادي بداره ولا سيما بعد أن
اصبح خليفة المسلمين وهم لا يطبقون لو أن الحكم لهم ان يروا قهرهم والمنكل بهم صاحب
الحكم فيهم . وعندي أن هذا الكره الذي كان متصلاً في صدورهم هو الذي اقتدهم عن
نصر فامير المؤمنين لما دعاهم اليه سيدتنا فاطمة الزهراء عليها وعلى المصطفى وآل البيت الطاهر الصلاة والسلام
وبعد هذا البيان سهل علينا ان نفهم لماذا تسارع لقوم الى الرفض من حول سيدنا علي
عليه صلوات الله من يوم تريمه على دست الخلافة ومجاهرته بما جهر به من عزمه على المساواة بين
الناس واعادتهم الى عهدهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففهم من كانوا يكرهونه ويحتدون
عليه . ومنهم من توسعوا خيبتهم بمطامعهم في خلافته . ومنهم من عز عليه أن يرجعوا الى خشية
العين بعد أن ترفعوا وبطروا . وكان وراء هؤلاء جميعاً بنو أمية واسطابهم . وما كان ينتظر منهم
ان يرضوا بخلافة سيدنا علي ويخضعون لها وهم موقنون انه سيفتح اعماله بالضر على ايديهم جميعاً
وتنجيتهم عن كلاكسبه من مال وجاه وسلطان على عهد عثمان . قتل لي يارعاك الله هل كان باستطاعة
انسان مهما عظمت قدرته وتآلت ميزته ومهما تسامى في علمه وفعله ومهما قوت ارادته واتسمت حكمته ان
يرضي هؤلاء الجماعات وحدهم حال علي التي ذكرناها وابعانه بالله ما عرفنا ؟ لا والله . وقد قال سيدنا
علي طارفاً بما ينتظره من المصاعب ولكنه اتفه على قبول الخلافة بعد الاحياء وهو موقن أن

روساء اعداء امير المؤمنين

لِكُلِّ مُجْتَمِعٍ فِي أَتَمِّ عَمَلٍ نَاسٌ تَدْبِعُ بِهِ ذَيْمًا أَسَامِينَهَا (١)
وَلَيْسَ مِنْ ثَوْرَةٍ إِلَّا لَهَا زُعْمًا ٤ تَفْخُ النَّارُ عُدْوَانًا وَتَطْلِيهَا
وَلَا تُسَاقُ سِوَادُ النَّاسِ نَائِرَةٌ إِلَّا إِذَا أَحْكَمَ التَّنْذِيرُ دَاعِيَهَا
فَرَّاحَ يَخْلُقُ أَسْبَابًا لِفُتْنَتِهِ تُبِيرُ نَائِرَةُ الْبَغْضَا وَتُسْنِيهَا
وَإِنْ أَعْدَاءُ مَوْلَانَا أَيْ حَسَنٍ مِنْ يَوْمِ أَمْرِهِ أَبَدَتْ تَقْصِيهَا
طَوْعًا لَا رُبْعًا كَانُوا الرُّؤُوسَ لَهَا وَكَانَ حَوْلَهُمْ جَهْرًا تَجَبُّهَا
فَطَلَحَ وَالزُّبَيْرُ الطَّامِعَانِ بِخِيَرَاتِ الْخِلَافَةِ وَاسْتَقْطَاعِ أَرْضِهَا
يَلِيهِمَا فِي تَحَدُّبِهَا مَعَاوِيَةُ وَكَانَ دُونَهُمَا يَنْغِي نَوَلِهَا
تَلِيهِ عَائِشَةُ وَالنَّاسُ تَجْهَلُ حَسْبَى الْيَوْمِ مَا كَانَ لِلْعُدُوِّ أَنْ حَادِيَهَا
وَكَانَ عُثْمَانُ فِي الشَّنَانِ جَبَّتْهَا يَدُلِّي بِهَا لِيُخْدَعَ النَّاسُ مَذَلِّهَا

هذا القول هو جهاد جديد في سبيل الاسلام وما أن بيد حاكم الى ما كانت على عهد المصطفى عليه الصلاة والسلام واما أن يموت شهيداً في سبيله وهو تقاتل له حقه من الاجلال والاعتبار (١) لابد لكل مجتمع في أي عمل كان من اناس تدبّع اسماءهم فيه وقد يكونون هم دعه أو مسبوهم وكذلك حال الثورات فمنها لانهم يغير زعماء يدعون اليها ويحثون للناس ركوب الخطر فيها بما يختلفونه من الاسباب المبررة لها . والثورة التي قمت من اليوم الاول الذي تولى فيه سيدنا علي عليه صلوات الله الخلافة ذاع فيها بين الناس اسماء زعمائها فاذا هم معاوية بن أبي سفيان امير الشام وطلحة والزبير وما من اكابر الصحابة وثلاثة زوج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فان هؤلاء الاربعة قاموا ينادون بها ويدعون الناس اليها وكانت حججهم الظاهرة لمصلحتهم اخليفه هي المطالبة بدم عثمان وقد اتهموا به سيدنا علي ظمأ وعدوا واما الاسباب الحقيقية التي دعيتهم الى الثورة فقد كانت غير ذلك اذ عرفوا عرف الناس ان معاوية كان يطمح بظفره الى الخلافة وحوله بنو امية . وطلحة والزبير كل منهما كان يرجو الخلافة لنفسه ولما لم ينالاها طمعا الى امارتي السكوة والبصرة ليشتما مظالمهما من خيرات ذينك المصريين ولكي يكيدا فيها للخليفة . واما عائشة لحق الآن يجبل الناس حقيقة غرضها من التهور بالثورة فقالوا انها كانت تكرهه عليه صلوات الله لانه من اهلها على انتاعده العامة في النساومهي كرهين لاحتاين ولكن هذا الكره مما تاطم ما كان يدعو مثل عائشة لتترك خباياها وتقف على رأس الثائرين في وجه احب الناس لروحها المصطفى عليه صلوات الله فما الذي دعاها ياترى ركوب هذا المركب الحشن ؟ لا اعلم ناته حقيقته ولا وجدت في المؤرخين من أبدى له سبأ يقتني على ان هؤلاء الرعاء لم يجدوا سبأ يقتنون الناس به على الافداء على عصيان سيدنا علي في خلافته ومحاربه

عراء عائشة لأسيب المؤمنين

قُلْ نَسْتُ لَحْيَهَا عُثْمَانُ عَائِشَةً عَلَى رُؤُوسِ الْمَسَلَا لَوْ مَا وَتَسْفِيهَا
وَمَا لَمَّا أَعْلَنْتُ أَنْ لَا أَنْطَبِقَ عَلَى حُكْمِ الشَّرِيعَةِ أَعْمَالُ مُجْرِمِهَا
وَكَمْ صِحَابُ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ سَمِعَتْ مِنْهَا مَلَامَتَهُ سِرًّا وَتَجْرِيمِهَا
وَكَمْ دَعَتْ وَجْهَاءَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى إِرْجَاعِهِ عَنْ أُمُورٍ كَانَ يَاتِيهَا
وَكَمْ بِأَقْوَالِهَا الثُّوَارُ قَدْ شَجَعَتْ لَمَّا تَكَاثَرَ بَيْنَ النَّاسِ رَاوِيهَا
وَلَمْ تَدْعُ طَيْبَةً إِلَّا عَلَى تَقَةٍ بَأَنَّ بُغْيَتَهَا الثُّوَارُ تُخْضِبُهَا
مَا بِأَلْهَا خَذَلَتْ عُثْمَانَ وَهُوَ عَلَى شَفِيرِ هَاوِيَةٍ لَا شَكَّ هَاوِيَهَا

غير المطالبة بدم عثمان كاسبق القول بدم جله في عنقه وما كانوا يجهلون براءه سيديا علي من دم عثمان ولكنهم لهموه به عن طم وعدوان ووجدوا النفوس مهيأة لقول الدعوة ضد سيديا علي لما اسافنا من كره بعضهم له وعدم معرفة بعضهم ولا سيما الاغصام لقدمه ومكاته العليا والامر البض بنفوذ حكمهم عليهم وكانوا من أمية او من اصحاب الامويين

(١) سبقت الاشارة عن حيرة الناس في امر عائشة ودخولها في مضايق التوراة ضد سيديا أمير المؤمنين عليه صلوات الله حتى كانت من زعماء التأثيرين الارسة الذين اشتهرت اسماؤهم في عدوانه وشتائه وكانوا السبب الاكبر في تولد الناس عليه وحمل عهدها عهده تشويش واضطراب وحروب داخلية افقت في الاخير الى سقك دمه الاقدس من يد اثم رافقت الامانات ووجهه الى ابد الاليد هي لثلاث الله وملائكته ورسله والناس اجمعين

ثم حار العقاد في ثورة عائشة زوج المصطفى عليه الصلاة والسلام وانه ابى بكر لركوبها هذا المركب الحسن لجلوا بتقوى في ثمايا التاريخ ويقلبون حوادث حياتها مع المصطفى لهمهم يجهلون سببا متعنا لملها على الحد على سيدنا علي عليه صلوات الله الى درجة ان تولد الناس عليه من ساعة انتهاء نأى ريمته الى سمها وهي في مكة للكرمة فذكروا بعض حوادث لا يد ان تحدث بينها وبين سيدتنا الزهراء صفتها انه زوجها او بى سيديا علي بصفته من احائها واحب الناس الى زوجها المصطفى واكثرهم ادلا لا عليه ما ذكروا غير تافه الحوادث وبساطها عمالا يدعوا الى شان مستمر حتى بين حامة النساء فكيف محامتهن كمائشة وتدخلت بيت المصطفى في اللاسمة من ممرها وترت على يده؟ حتى ان سيديا علي عليه صلوات الله هو ايضا كان في حيرة من امرها فقال « وما لنا الى عائشة من ذنب الا انا ادخلناها في حيرنا » وما هذا بدب كما تلم فكاه يقول انا لا ذنب لنا اليها حتى تجاهر بمداوتنا وتدعو الناس الى محاربتنا

وقل سمى نقادا مؤرخين ان عائشة كانت ترحو في تحريضها على عثمان ان يحمله انثاؤون او يقتلوه ويتولى الخلافة طاحه من هيد الله لترجع الخلافة الى بنتها وعلاوا ذلك بقولهم ان الامويين عند ما عادوا بالخلافة الى عصية الجاهلية انتهت بقية المصيبات في ترويش فقام طلحة وعائشة يماوانا

وَلَمْ تُعْرَكَ يَدَا يَنْضَاءُ تُنْفِذُهُ بِهَا وَعَنْهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ تُجْلِسُهَا
بَلْ أَمْرَعَتْ بِحُطَّاءِهَا وَهِيَ قَائِلَةٌ: دَعِ الْقَادِرَ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا
وَلَا رَمَتْ مَكَّةَ كَانَتْ تُرَاقِبُ مِنْهَا فَتَنَةً لَمْ تُخَيِّبْ ظَنُّ مُؤَرِّبِهَا
فَمَا لَهَا أَكْثَرَتْ قَاسِي تَلِيحَتِهَا وَلَمْ تَجْزِ رَغْبَةً كَانَتْ تُوَحِّشُهَا
لَهَا طَلَبَتْ لِلْأَمْرِ طَلَحَتِهَا إِذْ كَانَ فِي الْعَرَبِ الْعَرَبَاءُ تَبِيحُهَا
وَإِذْ تَوَلَّاهُ عَنْ حَقِّ أَبِي حَسَنِ وَخَابَ فَيَمَنْ أَرَادَتْهُ تَعَمُّبُهَا
بَكَتْ عَلَى مَنْ نَفَتْ أَعْمَالَهُ وَسَعَتْ لِكَيْ تَضْمِضَ حُكْمَ الْبَرِّ جَذَرَهُ
أَوْ إِيَّاهَا رَهَبَتْ حُكْمَ الْعَلِيِّ بِشِدَّةٍ مِثْلُ الشَّرِيعَةِ إِذْ تَبَغَّى تَرَاخُيُهَا
فَلَمْ تَجِدْ غَيْرَ إِبْدَاءِ الْعَدَاءِ لَهُ وَبِسِلَّةٍ مِنْ قَضَاءِ الْعَدْلِ تُنْجِبُهَا
أَوْ إِيَّاهَا كَنَتْ فِي صَدْرِهَا لِبَنِي أَحْمَانِهَا بِفَضَّةٍ تَأْتِي تَحَامِيحُهَا
وَهِيَ أَلْبَنِي دَفَعَتْهَا لِأَعْيَانِ عَدَايَ السُّومِيِّ عَوَّأَ وَلَمْ يَنْظُرْ تَعَدِّيَهَا
وَالْمُرْتَضَى قَالَ فِي شِنَانِ عَائِشَةَ لَهُ وَقَدْ شَيْتَ مَنْ لَيْسَ شَانِئُهَا
سِوَى أَنْصَوَاهَا إِيَّانَا مَا لَنَا أَبَدًا ذَنْبُ إِلَيْهَا إِلَى الْعُدْوَى يُهَيِّئُهَا
وَالنَّاسُ فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهَا وَإِلَى ذَا أَنْيَمٍ مَا مِنْهُمْ يَذَرِي خَوَافِهَا

على استعادة الخلافة إلى عشيرة بني تميم التي معها أبو بكر وطلحة بحجة أن أول الخلفاء كان أبو بكر وإن طاعة كان أحد السادة الذين حكمهم بحجتهم بالخلافة ليعملها شورى بينهم وانت علم أن أبا بكر هو بن هاشم بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة وأما طلحة فهو ابن عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة فيكون أبو بكر ابن عم عبد الله والطلحة وبجميعهما كليهما تميم وقد تكون هذه الحجة مقولة ولكن هل كانت عائشة بأهل ترى وثقة من إمكان فوز طلحة بالخلافة مع وجود سيدنا علي عليه صلوات الله ؟ ومن ثم إذا كانت فكرة الصيغة الهاشمية قد اعتدها الأمويون إلى قورس المسلمين أما كانت الثورة على عثمان التي ألزمتها تلك الصيغة كافية لاقتناع عائشة وطلحة قبل غيرها بأنها بدعة غير مضمونة النجاح ؟ وفي الأخير هل وجد طلحة وعائشة في بني تميم ومن حوهم من الأنصار الذين يميلون لهم وهم أهل الكوفة على ما تقدم الكفاية الكافية للتنقل على الأمويين وهم مسيطرون على كل بلاد الخلافة مما نشروا فيها من المال الخاطفين لهم عدا عن أهل الشام الذين كانوا شيعه تميم ؟ فضلاً عن الهوامم واعتزازهم بالصلطي والمرتضى عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام وتعجبهم بالنبوة واحترام عموم المسلمين لهم احتراماً دنيئاً يوجب على كل متدين منهم أن

تَأَلَّهَ مَا خَبَيْتُ حَاقَتْ بِطَلْحَتِهَا تَكْنِي إِلَى الْجَهْرِ بِالْبَعْضَاءِ تَجْرِيهَا
وَلَا التَّدَاوَةَ لِلْأَحْمَاءِ مُوَصِّلَةً إِلَى مُخَاطَرَةٍ صَبَّ تَخْطِئُهَا
لَكِنْ أَرَادَتْ تَرْكُوبَ الصَّعْبِ مَعْرُضَةً عَنْ نَاصِحِيهَا وَمَنْ بَاتُوا مُلِيغِيهَا
وَأَسْتَهْدَفَتْ لِيَهَامِ أَلْوَمِ رَاضِيَةً فَلَمْ يُلَاحِظْ لَعَمْرُ الْخَوِّ رَامِيهَا

عهداء طلحة والزبير لأبيهم المؤمنين

فِي عَهْدِ عُثْمَانَ جَدَّتْ صَحْبًا حَمْدًا فِي أَسْتِصْفَاءٍ قَرَمَ عَلَى الدُّنْيَا نُمَائِيهَا (١)
فَكَانَ فِي الْكُوفَةِ الزُّهْرَاءُ طَلْحَةُ مَنْظُورًا لَهُ صُحْبَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِيهَا
وَكَانَ فِي الْبَصْرَةِ أَلْفَنَاءُ الزُّبَيْرِ لَهُ صَحْبٌ يُنَادِي بِهِ جَهْرًا مُنَادِيهَا
كِلَاهُمَا كَانَ يُخْفِي مِنْ أَحْبَبِهِ فِي مِصْرِهِ عِدَّةٌ لِلْحَرْبِ شَاكِيهَا
وَإِنَّهُ إِنْ بَنَى نَيْلَ الْخِلَافَةِ أَلْفَاهَا لِبُغْيَتِهِ تُضْفِي مَوَاضِيهَا
وَمَذْهُمَا رَأْيَا أَنَّ الْخِلَافَةَ صَا رَتْ لِلْعَلِيِّ وَخَابَا فِي تَوَلِّيَهَا

يكون شيعة لهم . اقول اذا كان ملحق اجتهاد عائنة وطلحة ينتمي الى هذا الحد فلا عجب اذا كانت
خبيتهما قريبة سرية وهكذا كان

ويقول بعض نقاد التاريخ ان عائشة حصلت في أيام عثمان على حول وطول على المسلمين فكانوا يرجعون
اليها فتروي لهم الاحاديث عن زوحا المصطفى عليه الصلاة والسلام وواسطتها صار لها نفوذ عظيم عليهم وكان
الامويون قد تركوا لها هذه الميزة اضافة لثان سيدنا علي وفوضه بين المسلمين وانها عند ما علمت بولاية
سيدنا علي ايقنت بان نفوذها سيتلاشى بجانبه كما يتلاشى نور القمر اذا زغبت الشمس فهضت لحرارته
احتفاظا بمكانتها وهذا القول ايضا لا يخرج عن حدود العقل ولكنه انصف من القول المتقدم
وداك عندي هو الاقوى والله اعلم

(١) ليس في عهد الزبير وطلحة لسيدنا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ما يدعو الى
المعجب قلها صاروا يطمان بالخلافة منذ جعلها عمر شوري في الستة الذين هم من الشرة الحاصلين
على رضوان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والطمع في رؤوس الرجال . ويجب ان نعلم ان
طلحة غير الزبير لكل منهما وجهه من طلحة من يوم السقيفة ظهر بتشيده لابي بكر لانه يسمي مثله
وقد علمت انه يتم على ابي بكر عند ما عهد بالخلافة الى عمر دونه قد دخل عليه وهو على فراش الموت وقال
له ما قل كما ذكرنا في حاشيتي سبقت . اما الزبير فهو من قصي وعمت للمواثم من طرف امه وهي
صفية بنت عبد المطلب بن هاشم وهي عمه المصطفى والمرتضى عليهما الصلاة والسلام ولد لثلاث كان يحسب
من بني هاشم أو على الأقل شيعة لهم وقد روى التتاة ان القوم عند ما ايموا ابا بكر يوم السقيفة
غضب الزبير للاقتتال على ابن خاله سيدنا علي عليه صلوات الله وعلوهمه أبو سفيان وجماعة من المهاجرين

سَارَا إِلَيْهِ وَقَالَ وَلَنَا فَلْنَا
وَفَوْقَ ذَا إِنَّا نَبْنِي مُكَافَاةً
فَخَبِيبَ الْمُرْتَضَى فِي الْحَالِ مَسْئَلَةَ الْإِلَهِ
مَا رَدَّهَا الْمُرْتَضَى إِلَّا وَكَانَ يَرَى
وَكَانَ يَعْرِفُ رُغْبَى صَاحِبِهِ وَمَا
وَفَوْقَ هَذَا هَلِ الْمَوْتُ أَيْ حَسَنَ
لِذَا اسْتَبَلَّهُمَا عَفْوًا مُعَاوِيَةً
وَأَفْهَمًا رِقَّةً مِنْهُ يَبِينَةُ أَهْلِ الشَّامِ يَمَّةً مَكْرَ رَاحَ يُسْلِبُهَا
قَالَ الزُّبَيْرُ لَهَا وَهُوَ الْأَسْنُ وَفِيمَا بَعْدَ طَلْعَةِ بِالْأَقْبَالِ حَامِيَهَا
وَقَالَ: دُونَكُمْ أَرْضَ الْعِرَاقِ فَأَمَّا هَا وَأَمْرُكُمْ لَا شَكَّ يَرْضِيهَا
وَأَنَّ يَعْتَمِدَ تَذْنِيبُكُمْ لِحِمَى
وَمِنْ عَجَائِبِ هَذَا الدَّهْرِ مِثْلُهَا يَغْرَى بِهَا وَعَلَيْهِ أَقْرَمُ رَاغِبَهَا

بعباس وعلي وحملوا بحضرتهما على طلب الخلافة ولو بالسيف فأبيا لافرقا ولا عن خوار عزيمة
ولكن خوف الفرقة والفتنة . ثم أن الزبير لم يبايع أبابكر إلا مكرهاً وكان بين الدين رفضوا
يمته ولاذوا بيت سيدتنا فطمة الزهراء عليها السلام فحساءهم عبر والسيف مشهر يده واستأنهم
ليسة أني بكر وهم كلهمون في حديث طويل لاهثة من سرده . وكان يقول سيدنا علي عليه صلوات
الله « ما زال الزبير صاحتي كبر ابنه عبد الله قصاصه عنا » وأنت تعلم أن عبيد الله بن الزبير له اسماء
بنت أبي بكر اخت عائشة وإن عائشة هي التي رثته وكانت تتكفى به فتدعى « أم عبد الله » فلا بد أن
عائشة هي التي غرست في صدر عبد الله بن الزبير كراهة سيدنا علي وهو الذي جوف أباه من سيدنا علي
بعد أن تمجد في نفسه الطموح إلى الخلافة على أثر عهد عمر بثوراه . هذا كل ما نقله عن الزبير وما
في نفسه نحو الخلافة لأنفس الخليفة فابن هو من طلعة الذي كذبته لئلا صال بالدينيا بحسب نفسه كولي
عبدلخلافة بعد أبي بكر لأنه من أرومته وكلاهما يمتنى أنه لا يكن ساعة واحدة مندوبين أو بكر
بالخلافة في جانب سيدنا علي عليه صلوات الله أو من محبيه

وقد كان طلعة والزبير على رأس معارضي عثمان في استسلامه إلى الامويين وحالنا انتقادهم
ونصيحاهم كما كان يفعل علي وأبو ذر وعبد الرحمن بن عوف وعائشة وغيرهم من اكابر المهاجرين
والانصار . ولما اشتدت الفتنة واستفحل أمر التائذين صار طلعة والزبير دون من ذكرنا على رأس اخر متين على
قتل عثمان حتى روي ان عثمان كان يقول وهو محصور « وبي علي ابن الحصريمة (يريد طلعة)
اعطيت كذا وكذا جهاراً ذهب . وهو يروى من الناس على قسي اللهم لا تمتهه » ولقته عواقب

لَوْلَا مَوَاقِفُ شُورَى سَتَمَا عَرَّ مَا كَانَ مِثْلُهَا يَوْجُو تَدَرِيهَا
نَعَمْ لَقَدْ شَجَعَا مِنْ رَفْعَةٍ وَصَلَتْ إِلَيْهَا رَأْيَا كُلَّ النَّاسِ فِيهَا
وَأَسْرَعَا لِزُبَى أُمِّ الْقُرَى وَقَدِ انْضَمَّا لِعَاشَةِ مَعَ مَنْ يُؤَالِيهَا
وَأَلْقَا عُصْبَةَ رَاحَتِ تَنُوحٍ عَلَى عُثْمَانَ مُغْلِبَةً فِيهِ تَدَعِيهَا
وَفِيهِمَا الْمُرْتَضَى قَدْ قَالَ قَوْلَهُ حَقٌّ مَا مَرُّوزُ لِيَا بِي اللَّعْرُ يُنْسِيهَا
قَالَ: وَاللَّهِ مَا هُمْ مُنْكَرٌ نَكَرُوا عَلَيَّ أَوْ يَدْعُهُ كَانُوا مُزِيلِيهَا
وَلَا هُمْ جَلَلُوا يَنْبِي وَيَنْهَمُ عَدَاةً جَبَّذَا لَوْ قَاسَوْزِيهَا
قَدْ أَوْهَعُونِي بِعُثْمَانَ وَقَتْلَتِهِ جَرِيْمَةٌ هُمْ لَا يَعْدُونَ آتِيهَا
فَإِنْ تَوَلَّوْهُ دُونِي أَنْ طَلَبْتَهُمْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا مُسْتَجِيبِيهَا
وَإِنْ أَكُنْ مَعَهُمْ فِيهَا مُشَارِكُهُمْ فَشِرْكُهُ الشَّرْكََا عَدْلٌ تَسَاوِيهَا
وَإِنْ حِصَّتْهُمْ مِنْهَا لِمَوْقِعَةٍ عَلَيْهِمُ الْحَقُّ فِي دَعْوَى مُدَاعِيهَا
فَلْيَعْدِلُوا بَدْءَ ذِي بَدْءٍ بِحُكْمِهِمْ عَلَى نَفْسِهِمْ وَالْأَنْثَمُ غَاشِيهَا

فيه « وروي مؤرخو تلك الفتنة ان طلحة كان يوم قتل عثمان مقبلاً يشرب قد استتر به عن اعين الناس وكان يرعي دار عثمان بالسهام ورووا ايضاً انه لما امتنع على الدين حصروه الدخول من باب الدار حلهم طلحة الى دار بعض الازهار فصددهم الى سطحها وتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه اما الزبير فكان في وقت الفتنة ملازماً داره حتى اذا ما جاءه بعض رؤساء الثأرين كان يحرضهم على خلع عثمان او قتله مشتملاً باعماله حتى اذا ما جاءه يوم القتل خرج الى الشائرين ووافق يقول لهم جبهة اقبلوا عثمان فقد بدل دينكم فقالوا له ان اهلك عبد الله على بابك يحامي عنه فقال ما اكره ان يقتل عثمان ولو بديء باضي ان عثمان لجيفة على الصراط غداً

والذي يؤيد هذه الروايات وغيرها منها ما لم نذكر هو اولاً ان عثمان كان يستعين في ضيقه في حصره سيدنا علي عليه صلوات الله ولم يستعن بطلحة والزبير وهذا يكفي وحده للدلالة على انه كان وانما من اخلاص سيدنا امير المؤمنين له وسوء نية طلحة والزبير نحوهم تأنيلاً ان مروان ابن الحكم في موقعة الجمل قتل طلحة وهو يقول انه مشر منه لشمان لانه قاله ولو لم يهرب الزبير من تلك الموقعة وظهر به مروان لما تأخر عن قتله كما قتل طلحة وسترى تفصيل هذا عند كلامنا على موقعة الجمل ثانياً وهو الاثبت من كل ما تقدم ان سيدنا علي عليه صلوات الله عندما بلغه نكت طلحة والزبير يسيته وتأليهما الناس عليه دعوى مطالبته بدم عثمان بعد ان فارقه الى مكة بحجة الخلع قال « والله ما اسكروا علي منكرأ ولا جعلوا بني وبينهم نصفاً ، ولهم ليطلبن حماً تاركوه ، وده أهم ففكوه ، وان كنت شريكهم فيه من لهم نصيب منه ، وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبيلهم ، وان

وَقَدْ أَبَى الْمُرْتَضَى إِلَّا مُصَارَحَةَ الْأُمِّ ثَنِينَ فِي خُطْبَةٍ مَامَانَ مُقْبِيهَا
 قَالًا: أَقْبَلْتُمْ إِقْبَالَ مُطْفِلَةٍ عُوِذَ عَلَى وَلَدِهِنَّ كَيْ تَرَانِيهَا
 وَقُلْتُمْ أَلْبَيْتَةَ الْكِبْرَى لِصَاحِبِهَا وَكُنْتُمْ عَلَنًا جَهْرًا مُبِيعِيهَا
 وَإِنْ كَفَى عَنْكُمْ قَدْ قَبَضْتُ فَكُنْتُمْ بِأَسْطِنِهَا وَلَمْ تُنْطَلِ لِخَازِنِهَا
 نَارَعْتَكُمْ نَزْعَةَ الْآبِي يَدِي فَجَذَبْتُمْ أَنَا مِلْهَا كُنْتُمْ مَسْوُقِيهَا
 رَبَّاهُ إِيَّاهُمَا ظُلْمًا لَقَدْ قَطَعَا نِي دُونَ مَعْتَبَةِ أَخْتِي تَجَلِيهَا
 وَهَاهُمَا يَصْنَعِي الزَّهْرَاهُ قَدْ نَكَّثَا هَا مُسْرِعِينَ إِلَى مَلَقَى مُبِيجِيهَا
 عَلَيَّ قَدْ أَلْبَا لَمْ يَرَّهَبَا حَرَجًا مَعَاشِرَ النَّاسِ فَاسْتَعَصَى مَوَالِيهَا
 فَأَخْلَلَ إِلَهِي مِنْ عُلْيَاكَ مَا عَقَّدَا هَ تِلْكَ بَغْيَةٌ حَقَّ جِثَّتْ بِأَعْيُنِهَا
 وَمَا هُمَا أَبْرَمَاهُ لَسْتُ تُحْكِمُهُ لَتَطْمِئِنَّ أَرْوَاعِيَا مِنْ مُضِلِّيهَا

أول عددهم للحكم على انفسهم ، وان " ممي لصيرتي ، مالم كنت ولا لبس عني " ، وانها لفئة الباغية فيها الحما والهمة ، والشبهة الغدقة ، وان الامر لواضح ، وقد زاح الباطل عن صوابه ، وانقطع لسانه من شبهة ، وايم الله لا فرطن " فم حوث " اما ما نحن ، لا يصعدون عنه بري ولا يسيون بعده في حسي " وهذا يكفي للاقتناع بان طلحة والزيد كانا في مقدمة الناقين دلي عثمان المؤيدين عليه بنوع عليه عمله الا انهما كانا في الوقت نفسه يمتنان ان يترك الخلافة استقالة او غلما أو قتلا ليفوزا به وهما يفرقون لانيهما في خلق عثمان او قتله كانا متقين اما في الولاية فكانا مختلفين لان كلا منهما كان يطلبها لنفسه ولا يرضاهما لصاحبه واذا كان المرض مرض كما يقال فقد كان غرضهما بالخلافة مسيما سيدنا أمير المؤمنين وحقه المقدس فيها

وعند ما ظهر طلحة والزيد ما كانا يحميه من مظالمهما وكذا يمة سيده علي حرة لانه يينفهما ما كانا يرحوا من المطامع دون الخلافة بعد ان ارعتهما اثورة على التحج عبا قل سيدنا أمير المؤمنين وفي قوله عليه صلوات الله فصل الخطاب واصفا اقباضه عليه على رأس الناس ليعتبه ثم اصرافهما عنه اكتبين بيتيها ماضه :

« فَأَقْبَلْتُمُ الْإِيَّاتِ الْمَوَدَّ لِلطَّائِلِ عَلَى أَوْلَادِهَا تَقُولُونَ : أَلْبَيْتَةُ الْبَيْتَةُ ، فَجَذَبْتُمْ كَفَى فَبَسْطُوهَا ، وَنَارَعْتُمْ بَدَى فَجَذَبْتُمُوهَا ، إِلَيْهِمْ أَنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي وَكُنَّا بَيْنِي وَالْبَيْتِ النَّاسِ عَنِّي : لَحْلُ مَا عَقَّدَا وَلَا تَحْكُمُ شَأْنًا بِأَرْمَاءَ وَأَرْهَا الْمَسَاءَ فِيهَا أَمَلًا وَهَلَاءَ وَلَقَدْ اسْتَبَيْتُمَا قَبْلَ اتِّمَلُّوا وَاسْتَأْنَيْتُمَا لَهَا إِمَامَ الدِّعَاءِ ، فَمَطَا النِّعْمَةَ وَرَدَّ الْمَافِي » اهـ

وقصارى القول ان طلحة والزيد كان كل منهما ضامه بالخلافة لنفسه حتى اذا ما حابها من ارضيا عما دونها من المطامع فلما رأيا لهما لا يلبثانها وأمر المؤمنين عليه صلوات الله على سد الخلافة بهما مصيان بدعوى انطالبة به عثمان ودعيا الناس له حرة وكذا من زعمه محاربة

وَمَا هُمَا أَتْلَاهُ عَامِلَانِ لَهُ تُرِنِي مَسَاءَتُهُ مَنْ لَيْسَ رَأَيْتَهَا
إِنِّي اسْتَشَبْتُهَا قَبْلَ الْقِتَالِ فَمَا ثَابَا وَحَرَّبُهُمَا مَا زِلْتُ مُرْجِيَهَا
وَنَعَمَتِي غَمَّطَاهَا فِي عِنَادِهِمَا قَدْ كُنْتُ مِنْ فَضْلِ رَبِّ الْعَرْشِ مُعْطِيَهَا

عهد معاوية لعمير المؤمنين

أَمَّا مُعَاوِيَةُ وَالشَّامُ طُعْمَتُهُ وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ أَمَّاكُ بُوْخَيْبَهَا (١)
فَلَا سَبِيلَ إِلَى اسْتَرْضَائِهِ أَبْنَاءُ لِبَسْمَةِ الْمُتْرَفِيِّ حَتَّى يُؤْذِنَهَا
فَالْمُتْرَفِيُّ قَاتِلٌ جِدًّا لَهُ وَأَخَا لَمَّا أَنْبَرَى لِبِدَادَةِ الَّذِينَ يُرْذِنَهَا
وَالْمُتْرَفِيُّ قَاهِرٌ أَيْضًا أَبَاهُ بِهَا نَبِكَ الْحُرُوبِ فَسَلَّ إِن شِئْتَ بِذَرْبِهَا
فَكَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْهُ كِفَايَتَهَا وَالْخَوْفُ مِنْ عَدْلِهِ قَدْ كَانَ غَاشِيَهَا
وَلَمْ يَكُنْ جَاهِلًا مَعَ ذَا حَقِيقَةٍ حَا لَ كُلِّ ذِي بَصَرٍ فِي النَّاسِ رَأَيْتَهَا
بَأَنَّ لَا الْمُتْرَفِيُّ يُرَضَى إِيمَارَتُهُ فِي الشَّامِ كَلًّا وَلَا الْإِسْلَامُ رَاضِيَهَا
وَلَا هُوَ الْمَكْتَفَى بِالشَّامِ يُقْنِعُهُ مِنْهَا اتَّعَمْتُ فِي هَاتِنِ مَعَانِيَهَا

(١) أما معاوية بن أبي سفيان أمير الشام فعداؤه للمرتضى يتركه القاري الليث بالبداية صد الذي قدماه من مشاكل الخلافة على عهد عثمان بن عفان وكل ما يقال فيه هو ان هذا الرجل كان أقدر رجال الامويين بل كان داهية المسلمين في ذلك الحين وعدى انه هو الذي أوجد في صدور بني أمية فكرة استمادة المجد الذي كان لهم في الجاهلية وقد بدأ عمله ان توسع في الشام واسفحل أمره على عهد عمر فيها حتى لم يستطع عزله مع ما عرف عن شدة عمر على عماله وعزله بعضهم ولم يأثروا بض ما أتى معاوية في الشام والذي يعرف عمر بن الخطاب وسهره على عماله وإيادهم عليهم الترف واقتناء الاموال وتحزب الاحزاب وسكوته عن معاوية وقد قل هذا جميعه لأيسره الا القول بأن عمر كان يترك حق الادراك بأن عزول معاوية عن الشام ليس من الهنات الهينات . ومن الغريب ان هذه النظرية البسيطة التي يتركها كل واقف على تاريخ صدر الاسلام ممن بانباهه قد قالت حضرة الشيخ محمد الخضرى في محاضراته لجل بقاء معاوية في الشام على عهد عمر شاهداً على كفاءة الرجل ورضاء عمر عنه فتأمل . ولا أكون مبالاً اذا قلت أن عمر لم يترك عند مقتله الامر شورى للسته الا حذراً من معاوية واستفحال أمره وقد أدرك بثاق وأبه بأنه لو عهد بالخلافة الى واحد وكان الواحد غير عثمان لانتار معاوية التتة من ذلك الزمان . مع ان الايام أظهرت ان ترك عمر الامر للسته هو الذي سبب كل هذه المتاعب التي نحن بصدها وهو الذي مهد لمعاوية طريق الفوز بالخلافة قبضى على خناقه وأورثها الامويين وبنى لامتداد اعتقاداً واسعاً ان القوم ما أجعوا على عثمان عند اشورى العمرة الا

وَهُوَ الرَّعِيمُ الْمَرْحَى مِنْ أُمِّهِ كَيْ يُعَيِّدَ سُلْطَتَهَا أَلَمَلِيَا وَيُسْنِيَهَا
وَحَوْلَهُ عَصَبَةٌ تَبْكِي وَتَنْدُبُ عَشْمَانًا وَإِنْ سَكَتَتْ يَسْقَى لِبُكْيِهَا
وَكَانَ مَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا تُمْلِكُهُ عَلَى هَوَاهُ كَمَا أَضْعَى يُمْلِكُهَا
وَلَمْ تَكُنْ تَرْقُ الدُّنْيَا وَرَيْنَتَهَا لِمَرْتَضَى كَيْ بِهَا يُرْضَى مُحِبَّتِهَا
وَفِيهِ أَقْوَاهُ تَتَرَى وَنَنْظِمُ مِنْهَا مَا يُشِيرُ إِلَى مَنْشُورٍ بِأَقْبَاهَا
قَالَ: يَا أَيْنَ أَبِي سَفِيَانٍ قَدْ كَفَخَ رَبُّ الشَّرِيفَةِ وَاسْتَنْصَمَ بِهَا دِيهَا
فَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا لِمَا يَلِيهَا فَلَا يَخْذَعُكَ زَاهِيهَا
كَمَا ابْتَلَى أَهْلَهَا فِيهَا لِيَعْلَمَ مِنْ أَعْمَالِهَا مُخْشِنِيهَا مِنْ مُسْنِنِيهَا
وَمَا خَلَقْنَا لِدُنْيَا لِنَطْلُبَهَا لِنَفْسِهَا وَتَقْضِي الْعُتْرُ تَرْفِيهَا
وَإِنَّمَا قَدْ وَجَدْنَا فِي بَحَائِجِهَا لِنُبْتَلَى بِرِزَايَاهَا وَنُخْلِهَا
وَلَا أَمْرَنَا بِسَعْيٍ دَائِمٍ لِمَلَدِّهَا أَلْحَيَاةِ قَنَمِي مُسْتَلْتَرِيهَا
بِكَ الْأَلِهَةِ ابْتِلَانًا وَابْتِلَاكَ بِنَا عَافَانِي اللَّهُ مِنْ بَلَوَى أَرَانِيهَا
فَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى الدُّنْيَا لِنَطْلُبَ نَفْسِهَا وَنَفْسُكَ شَطَطٌ فِي نَشِيهَا

بِأَثَرِ مَعَاوِيَةَ وَتَقْوَاهُ عَلَى النَّاسِ كَأَسْبَقِ الْقَوْلِ وَإِنْ عَنَّا لَمْ يَسْلَمْ لِلْأُمَوِيِّينَ حَقَّ اسْتَحْكَمِ الْقَوَى
فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ الْإِبَاطِيَّةِ مَعَاوِيَةَ أَيْضًا . وَاجْمَالُ الْقَوْلِ أَنَّ مَعَاوِيَةَ كَانَ مِنَ الدَّهَاءِ عَلَى أَكْثَرِ جَانِبٍ
وَكَانَ يَسْتَحِلُّ كُلَّ أَمْرٍ لِقَوْرِ بَغْرَضِهِ وَكَانَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَسْتَجْلِبُ النَّاسَ إِلَيْهِ بِالْهَبَاتِ وَالْمَوَاعِيدِ فَلَا
عَجَبَ إِذَا انْتَفَرُوا مِنْ حَوْلِهِ وَالنَّاسُ لَا يَزَالُونَ نَاسًا يَمْدُونُ مَنَافِعَهُمْ وَيَسُوذُونَ رَأْسَهُمْ لِحُكْمِهِمْ

هَذِهِ حَالُ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ مَعَ سَيِّدِنَا عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ مِنْ وَجْهِ طَعْمِهِ
بِالْخِلَافَةِ إِمَامٍ مِنَ الْوَجْهِ النَّفْسِيَةِ الشَّخْصِيَّةِ قَدْ كَانَ مَعَاوِيَةَ شَخْصِيًّا أَعْدَى عَدُوِّ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُ
وَاتَرَهُ بِأَخِيهِ حِنْظَلَةَ وَخَالَهُ الْوَلِيدَ وَجَدَهُ عَتَبَةً تَقْلَمُ عَلَيْهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ بَيْنَهُ الْقَاهِرَةَ عِنْدَ مَا كَانُوا بِحَارِ يَوْزِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُفُوفِ الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ يَخْرُجْ مَعَاوِيَةَ عَنْ كُوبِهِ أَحَدُ الدَّرَبِ الْمُتَوَرِّينَ
بِإِتِّاقِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَهُمْ الْآخِ وَالْحَالُ وَالْجِدُّ فَلَا عَجَبَ إِذَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْخُفَّةِ عَلَى قَلْبِهِ مَا لَا يَحْصُوهُ
كَرُورِ الْإِيَّامِ كَيْفِيَّةٍ يَرْضَى أَنْ يَخْضَعَ هَذَا الْقَاتِلُ وَيَطْطِئَ لَهُ رَأْسُهُ إِذَا مَا أَحْسَنَ أَنْ بَاسْتَطَاعَتَهُ
مُعَاوِمَةُ سُلْطَانِهِ وَضَعْفُهُ لِرُكَّانِ خِلَافَتِهِ ؟

وَمَنْ تَدَبَّرَ حَالُ مَعَاوِيَةَ وَظُرُوفَهُ وَمَطَامِنَهُ وَاسْتِدَادَهُ عَلَى حَوْلِهِ وَسُلْطَانَهُ وَتَمَكُّنَهُ مِنْ أَهْلِ
الشَّامِ وَكَثِيرِينَ مِنَ كِبَارِ الْعَرَبِ وَعَلَى تَوْسِعِهِ بِالطَّعَاءِ وَالتَّنْعِ يَطْهَرُ لَهُ جِلْبَاءٌ أَنْ الْمُسْتَحِيلِ أَقْرَبَ مِنْ
رَضَائِهِ بِسَيِّدِنَا عَلِيِّ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَهُوَ سَيَحَارِبُ إِلَيْهِ الطَّوْبَةَ جِهْدَهُ وَمَا وَحَدَهُ إِلَى الْحَرْبِ سَبِيلًا
وَمَا كَانَ مَعَاوِيَةَ وَحْدَهُ فِي الشَّامِ كَقُوَّةِ لَنَاوَأَةِ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَكَاتِهِ الْعَالِيَةِ فِي نَفْسِ

لَهَا تَأْوَلَتْ آيَاتِ الْكِتَابِ عَلَى
 طَلَبْتَنِي بِاللَّيْلِ لَمْ أَجْنِهِ يَدَيَّ
 عَصَبْتَ مَعَ مَنْ يَأْرِضُ الشَّامَ مَا مُمَّةٌ
 وَرَاحَ عَالِمُكُمْ يُغْرِي الْجَوْلَ بِمُدَّ
 نَازِعَ قِيَادَكَ شَيْطَانًا يُخَادِعُهُ
 وَأَصْرَفَ بَوَاجِهُكَ لِلْآخَرَى وَنَحْنُ لَهَا
 وَأَحْذَرُ لَعْمُوكَ أَنْ تَمْنَى بِقَارِعَةٍ
 أُؤْيِي أَيْلَهُ صِدْقَ غَيْرِ فَاجِرَةٍ
 لَنْ تَجْبِعْتَنَا إِلَّا قَدَارُ أَنْزُلٍ فِي
 حَتَّى الْمُهَيَّنِّ يَقْضِي بَيْنَنَا نَصْفًا
 مَا فَاجَأَ الْمُرْتَضَى فِي ذَا مُعَاوِيَةَ
 وَلَا أَرَادَ بِذَلِكَ إِلَّا نِقَامَ لَهَا
 لَكِنْ بَوَادِرُ شَرٍّ مِنْهُ قَدْ بَدَرَتْ
 وَمَا أَتْلُو لِيَرْضَى فِي خِلَافَتِهِ

مَا تَشْتَهِيهِ فَحَاكَتْ عَنْ مَعَانِيهَا
 وَلَا لِسَانِي فَقُلْتُ الْكَذِبَ تَمُوتُهَا
 بِي لَمْ أَكُنْ وَأَسْمَرُ رَبِّ الْخَلْقِ جَانِبَهَا
 وَأَنْيَ قَبَّحْتَ الْفُرُوزَى وَمُغْرِيهَا
 إِنَّ الشَّيْطَانِ تَسْتَفْوِي مُطِيعِيهَا
 نَسَى وَقَدْ بَلَغَ الْأَسْفَادَ سَاعِيهَا
 تَلَقَّى الْأَصُولَ وَأَسْرَعَ أَنْ تُلَاشِيَهَا
 بِاللَّهِ يَا أَبْنَى أَبِي سَفْيَانَ أَبْنِيهَا
 ذَرَاكَ مُسْتَمَكِنًا مِنْ ضَمِيغِ أَهْلِيهَا
 وَالنَّاسُ يُكْفِيهِمْ طُفْيَانُ طَاغِيهَا
 تَحْذِيرًا يُشِيرُ الْحَرْبَ يُوْرِيهَا
 شِمِمْ وَقَدْ عَمَّ مِنْ عُثْمَانَ شَاكِمَهَا
 وَلَمْ يَفْتِ عِلْمُهُ مَا قَدْ يُتَالِيهَا
 أَنْ لَا تَعُودَ رَعَايَاهُ لِمَا ضَمِيهَا

السليدين لا تقاوم لولا أعمال عثمان وكلمهم من الامويين أو من القشيعين لهم وهم مسيطرون على البلاد
 الاسلامية يسبون الناس على ما يريدون شأن الحكام مع الحكوميين في كل زمان ومكان
 وقد نشرنا في حاشية سبقت الكتاب المختصر الذي ارسله سيدنا علي عليه صلوات الله الى
 معاوية يطلب منه ان يبايع وان يرسل اشراف الشام الى المدينة المنورة لئلا يهددوا الكتاب يدل على ان سيدنا
 علي لم يقاومه معاوية بالزور خلافا لما يزعمه من رواية التاريخ وتاجهم الشيخ المقرئ وني عليه
 ما في من ملامة سيدنا امير المؤمنين لنجعله بالزل اذ لم يكن فيه ما يستحق الزل . واما معاوية فقد كان جوابه انه
 سجد اليه وارسل الى طلحة والزبير بطعمهما بالخلافة على ما استرعى حيث رأى سيدنا علي يحكمته ان الاغضاء
 عن معاوية أو تجاهل أمره اس من الحكمة في شيء وما من قائدة من مجاملة رجل لا يقع بشي مدون
 الخلافة فكك له الكتاب التالي ببدان فرغ عليه صبره وهالك نفعه :

« أما بعد من الله سبحانه جل للدينا ما سدها ، وابتلى فيها اهله ، ليعلم أنهم أحسن عملاء ،
 وليس للدينا خلقا ، ولا بالسعي فيها أمرنا ، وإما وضعا فيها لتبلى فيها ، وقد ابتلاني الله بك
 وابتلاك بني ، لجل أحدا حجة على الآخر ، فصدت على طلب الدنيا بتأويل القرآن ، وطلبتني بما
 لم يمنح يدي ولساني ، وعصيته أنت ، وأهل الشام بي ، وأب عالمكم جاهلكم ، وقائمكم قاعدكم ،

فَلَا تَمُوتُ ذِيَابُ الْغَابِ جَائِعَةً وَلَا الْغَرَافُ ذِيَابُ الْغَابِ تُقْنِيهَا
وَلَا يَنَامُ وَمِنْ حَوْلِهِ تُنْصَبُ أَشْرَاكُ الْمَكَائِدِ سَاهِي أَلَمِينَ غَافِيهَا
وَأَوْنُهُ لَمُودَاوُ ذَاهِ أُمْتِهِ بَطِيَّةً وَالشِّفَا مِنْ عِنْدِ بَارِيهَا
وَلَوْ تَلَمَّهْ أَنْاسٌ فِي سِيَّاسَتِهِ إِنْكَ الْمَلَامَةُ كَانَ الْبَهْلُ دَاعِيهَا

بشرى النزاع بين معاوية وأمير المؤمنين

تُسْعُونَ يَوْمًا لَقَدْ مَرَّتْ لِمَقْتَلِ عُثْمَانَ تُعَدُّ لِدُنْيَا عَوَازِيهَا (١)
بِهَا الْخِلَافَةُ قَدْ بَاتَتْ مُهْدَدَةً بِثَوْرَةٍ خَابَ مِنْ يَرْجُو تَوَقُّفِهَا
قَدْ تَلَقَّى ابْنُ هِنْدٍ نَفْيَ صَاحِبِهِ وَقَالَ: قَتَلْتُهُ مَا أَسْلَمُ تَالِيَهَا
وَمَا أَنَا تَارِكُ ثَارِ ابْنِ عَمِي بَلْ عِدَاتُهُ بِشَبَا سَيْفِي الْأَشِيهَا
وَصَاحَ فِي الْمَسْجِدِ الشَّامِيِّ: وَكَرْبِي لِقَتْلِهِ كَانَ عُثْمَانُ مُعَانِيهَا

فَتَقَى اللَّهُ فِي نَفْسِكَ ، وَنَازَعَ الشَّيْطَانُ قِيَادَكَ ، وَاصْرَفَ إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ ، فِيهِ طَرَفَاوُطُ رَيْفِكَ ،
وَالْحَزَنُ يَصِيبُكَ اللَّهُ مِنْهُ بِمَاجِلِ ذُرْعَةٍ تَمْسُ الْأَصْلَ وَقَطْعُهُ الدَّارُ ، فِيهِ أُولَى لَكَ بِأَقَالَةٍ غَيْرِ طَوِيرَةٍ ،
لَنْ جِئْنَا وَإِلَيْكَ جَوَامِعُ الْأَقْدَارِ ، لَا أُرَاكُ يَا حُكْمَ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ »

وَلَا ضَرُورَةَ إِلَى الْإِشَارَةِ بَلْنَ مَعَاوِيَةَ كَانَ قَدْ تَلَجَّحَ بَقْتِهِ بِدَمْعَيْنِ وَقَدْ عَصَبَهُ بِسَيْدِنَا عَلِيٍّ لِيَحْمِلَ
النَّاسَ عَلَى عِدَائِهِ وَيُؤْتِيَهُمْ إِلَى قِتَالِهِ وَأَوَّلُ آيَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى هَوَاهُ وَكَانَ مَا كَانَ

(١) لَمْ يَكُنْ مَعَاوِيَةَ يَمَاحِلُ أَمْرَ الثَّوْرَةِ الْقَائِمَةِ عَلَى عَيْنِهِ وَلَا اعْتَقَدَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُسْتَعِظًا أَنَّ
يَكْتَفِي عَنْهُ أَوْ عَلَى الْقَتِيلِ أَنْ يَجَاهِدَ لِقَعِهِ الْأَذَى عَنْهُ وَلَكِنْ لَمْ يَقْبَلْ وَلَهُنَّ أَرَى مَصْلَحَتَهُ بِتَرْكِ الْأُمُورِ
لِلْأَقْدَارِ تَصَرَّفَ فِيهَا كَيْفَ تَشَاءُ . وَظَلَّ مَعَاوِيَةَ يَتَرَقَّبُ أَيْبَاءَ الْأَنْدِيَةِ حَتَّى وَرَدَهُ كِتَابُ مَرْوَانَ بْنِ
الْحَكَمِ يَنْبِيءُ لَهُ بِهِ عَيْنَانِ وَهَاهُنَا صَه : « وَهَبَ اللَّهُ لَكَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ قُوَّةَ الزَّمْرِ ، وَصَلَاحَ الْيَنَةِ ،
وَمَنْ عَلَيْكَ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَإِتِّبَاعِهِ ، فَإِنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ بِدَعْوَةِ عَيْنَانَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَيُّ قِتْلَةٍ قَتَلَ ؟ تَحْرُكًا يَنْجُو الْبَعِيرَ الْكَبِيرَ عِنْدَ الْيَاسِ مِنْ أَنْ يَنْوَهَ بِالْحَمْلِ ، بِدَعْوَةِ
أَنْ نَقَبْتَ صَفْحَتَهُ بِطَيِّ الرَّاحِلِ ، وَسَبَّحَ الْهَجِيرَ ، وَإِنِّي مُمْلِكٌ بِخَبْرِهِ غَيْرَ مُقْتَصِرٍ وَلَا مُطِيلٌ ، إِنْ
الْقَوْمُ اسْتَظَلُّوا أَمْدَمَهُ ، وَاسْتَظَلُّوا نَاصِرَهُ ، وَاسْتَظْفَقُوهُ فِي بَدَنِهِ ، وَامْلُوا بِقَتْلِهِ بِطَلْعِ أَيْدِيهِمْ فَمَا كَانَ
قَبْضَهُ عَنْهُمْ ، وَاعْصَمُوا عَلَيْهِ ، فَظَلَّ حِمَارًا قَدْ مَنَعَ مِنْ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ ، وَرَدَّ الْأَطْلَامَ ، وَالنَّظَرَ
فِي أُمُورِ الرِّعْيَةِ ، حَتَّى كَانَتْهُ هُوَ فَاعِلٌ لِمَا فَعَلُوهُ ، فَلَمَّا دَامَ ذَلِكَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، وَخَوَّفَهُمْ اللَّهُ وَنَادَاهُمْ ،
وَذَكَرَهُمْ مَوَاعِيدَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَقَوْلَهُ فِيهِ ، فَزَيَّجُوا قَضِيَّتَهُ وَلَمْ يَشْكُرُوهُ ، ثُمَّ رَمَوْهُ بِأَهْزِيلٍ
اخْتَلَفُوا لِيَجْلُوا ذَلِكَ ذُرِيَّةً إِلَى قَلْبِهِ ، فَظَهَرَ لَهُمُ التَّوْبَةُ بِمَا كَرِهُوا ، وَوَعَدَهُمُ الرَّجْعَةَ إِلَى
مَا أَحْبَبُوا ، فَلَمْ يَقْبَلُوا ذَلِكَ ، وَنَهَوْا دَارَهُ ، وَاتَّهَمُوا حُرْمَتَهُ ، وَوَبَّهُوا عَلَيْهِ فَنَفَسُوا دَمَهُ ، وَاتَّشَمُّوا
عَنْهُ انْتِشَاعَ سَحَابَةٍ قَدْ أَفْرَغَتْ مَاءَهَا ، مَتَكَلِّفِينَ قَبْلَ ابْنِ أَبِي عَالٍ ، انْتِكَافًا لِلْجُرَادِ أَجْرًا مَرْتَعًا ،

وَنَكَبَتْ دَهَمَتْ ذَا الْيَوْمِ أَمْتَنَا هَيْهَاتِ مَا نَكَبَاتِ اللَّهْرِ تَحْكِنَهَا
فَابْكُوا مَعِي يَأْذِرُونِي لَقَوَى حَلِيقَتَكُمْ مُضَرَّجًا بِدِمَاهُ غَائِصًا فِيهَا
وَذَا قَمِيصُ ابْنِ عَمَّانَ وَذَا دَمُهُ عَلَيْهِ أَفْعَالُ مَنْ أَرَدُوهُ يَنْعِيهَا
وَذِي أَصَابِعُ ذَاتِ الْأَصْوَنِ نَائِلَةٌ أَمَا مَكْمُ كَانَ سَيْفُ الظُّلُمِ فَارِيهَا
وَكَانَ يَنْكِي لِيَسْتَبْكِي الْعُبُونُ عَلَى عُثْمَانَ وَالنَّارُ فِي الْأَلْبَابِ يُلْطِئُهَا
حِمْدًا عَلَى مَعْشَرِ الثَّوَارِ ثُمَّ يَنَا دِي النَّاسِ لِلنَّارِ شَامِيهَا وَمَكِيهَا
ثُمَّ يَقُولُ: وَلَوْ لَا حَضُّ حَيْدَرَةٍ عَلَى الْحَرَمَةِ مَا الثَّوَارُ تُمَضِّئُهَا
فَالنَّارُ عِنْدَ عَلِيٍّ وَهُوَ قَاتِلُهُ وَحَرْبُهُ كُلُّ ذِي دِينٍ يُوَحِّشُهَا
بِمِثْلِ ذَا كَانَ يَسْتَهْوِي الثَّفُوسَ إِلَى عَدَاوَةِ الْمُتَرَفِّعِ ظُلْمًا وَيُغْرِئُهَا
بِذَاكَ أَشْعَلَ نَارَ الْأَمْرِ أَهْلُهَا فِي أَنْفُسِ النَّاسِ كِي تَبْدِي نَعِصِيهَا
لِإِمْرَةٍ الْمُتَرَفِّعِ كَيْمَا تَعَارِضُ يَنْمَةُ تَحْقُ لَهْ شَرَعًا وَتُلْغِيهَا
وَمَا أَكْتَفَى بِأَهَائِي أَشَامَ أَفْسَدَهَا عَلَى خِلَافَتِهِ حَتَّى تُنَاوِيَهَا

فخلق بيني أمة ان يكونوا من هذا الامر بطعري البدق، ان لم يشاره نائر، فان شئت ابا عبد الرحمن ان تكونه فكفه والسلام اه

قلما انتهى هذا الكتاب الى معاوية شمر من ساعد النزم طالبا الامر لنفسه متسلحا بطلب دم عثمان واعاد الامر عدته بنمسه ووضع له الخطط التي حسبها موصلة لغرضه وكان اول ما فعله ان يخرج الى المسجد فمضى للناس عثمان واكبر امر الجريمة التي افضت الى قتله وبكى فاستبكى الناس ثم عطف عليهم وانهاهم الى ماله بالمطالبة بدم عثمان فامدوه على ذلك عاضين على القتلة . ثم جيء الى معاوية قميص عثمان وهو منموس بدمه واصابع مائه التي يترت عند مائلت ضربة سيف قاتله فلا النبر واعانها على اهل الشام فاؤدواوا حقدأعلى قاتله ورغبة في المطالبة بدمه وكان يقول ان دم عثمان مصوب ببق ابن ابي طالب الذي حرض القتلة على قتله ورغبة في نيل الخلافة لنفسه

وبادر معاوية فارسل الى عمال الامصار وهم على معاينة اما من الامويين واما من اشياعهم يحضهم على افساد الناس ومنهم من بعة علي وانهاهم الى المطالبة بدمه المصوب ببق ابن ابي طالب على زعمه فقام عمال الامصار بما أشار معاوية مستعملين بذلك تفوذهم كحكام

ولم يمت معاوية ان مساعيه لا يكون لها التأثير الذي يريده مالم يكن له مناصرون في المدينة المنورة وهي عاصمة الخلافة وفيها اهل الحل والعقد ورأى ان افضل من يستين بهم على سيدنا علي عليه صلوات الله فيها الزبير وطلحة لما لهما من الحول والطول لانهما من العشرة المشهود لهم بالجنة ومن السنة الذين ادخلهما عمر في الشورى فصار لهم حق بالخلافة فكتب الى الزبير كتابا بهذا نصه:

بَلْ اسْتَغَالَ إِلَى الْأَمْصَارِ شَجَعَهَا عَلَى التَّصَاوِقِ قَاصِبَهَا وَدَانِيَهَا
وَأَنَّ أَعْوَانَهُ سَارَتْ مَوْزَعَةً عَلَى الْمَمَالِكِ شَرَقِيهَا وَغَرْبِيهَا
كَانَتْ تُنَادِي بِثَارَاتِ الْقَتِيلِ وَتُسَبِّحُكَ أَلْمُؤَنَ عَلَيْهِ فِي تَبَاكِينِهَا
ثُمَّ قَوْلُ: عَلَيَّ كَانَ قَاتِلُهُ حُبًّا بِأَحْزَنِهِ يَنْجِي تَوَلِيَهَا
وَأَنَّ قَتْلَهُ مُعْثَانٍ بِدَمِيهِ وَمِنْهُ لَا مِنْ سِوَاهُ نَحْنُ نَبِيَهَا
وَالنَّاسُ هُبَاهُ تَعْنِي بِالْحَقَائِقِ فِي الْأَمْرِ قَوْلُ إِنَّ أَحْسَنَ التَّلْفِيقِ رَاوِيَهَا
فَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ أَنْ تُسْتَنْسِمَ إِلَى خَدِيعَةٍ سَمِعَتْهَا مِنْ مَفَاهِيهَا
وَأَنَّ تَهَبُّ إِلَى ثَارِ الْخَلِيفَةِ مَعَ أُمِيَّةٍ وَشَنِيعُ الْقَتْلِ مُؤْذِنُهَا

« إلى الزبير بن العوام من معاوية بن أبي سفيان سلامٌ عليك ، أما بعد فذلك الزبير بن العوام ابن أبي خديجة ، وابن عمه رسول الله ، وحواريه ، وسلفه ، وصهر أبي بكر ، وفارس المسلمين ، وانت الباذل في الله مهجته بمكة عند صبيحة الشيطان ، منك المنبت ، فخرجت كالتيان المنفلخ ، بالسيف المنصت ، تخطط خطا الجمل الوديع ، كل ذلك قوة إيمان ، وصدق يقين ، وسبقت لك من رسول الله الشارة بالجنة ، وحملك عمر أحد المستظرفين على الامة ، واعلم يا أبا عبد الله ، ان الرعية أصبحت كالنم المتفرقة لبيعة الراعي ، فسارع رحلك الله الى حقن الدماء ، ولم التمت ، وجع الكلمة ، وصلاح ذات الدين ، قبل تفاقم الامر ، وانتشار الامة ، فقد أصبح الناس على شفا جرف هار ، عما قليل ينهار ، ان لم يرأب ، فتمر لتأليف الامة ، واتع الى ربك سيلا ، فقد احكمت الامر من قبلي لك واصحابك (ويريد طلحة) على ان الامر لمقدم ثم لصاحبه من بعده ، حملك الله من أمة الهدى ، وبناة اخير والتقوى والسلام » اهـ

وكتب الى طلحة كتاباً هذا نصه : « من معاوية بن أبي سفيان الى طلحة بن عبيد الله سلام عليك ، أما بعد فذلك اقل قريش وقريش وترأ ، مع صباحة وحبك ، وسباحة كسفك ، وفصاحة لسالك ، فانت باراه من قدمك ، في السابقة ، وخمس المنبرين بالجنة ، ولك يوم أحد وشرفه وفضله ، فسارع رحلك الله الى ما تملكه الرعية من أمرها ، مما لا يسمعك التخلف عنه ، ولا يرضي الله منك الا القيام به ، فقد احكمتك الامر قبلي ، وأما الزبير فخير منته عليك بفضل ، وأيكما قدم صاحبه فالقدّم الامام والامر من بعده مقدم له ، سلك الله بك قصد المتهدين ، ووهب لك رشد الموقنين والسلام » اهـ

وما اكتفى معاوية بهذين الكتابين بل كتب أخرى الى وحياء الامويين في المدينة وباني الامصار تشر منها ما يشير الى ما في نفس الرحا من الاضمار الى الخلافة وهاك نص كتابه الى مروان بن الحكم « أما بعد فقد وصل الي كتابك بتشرح خبر أمير المؤمنين ، وما ركبه به ، وتلوه منه ، حلا باله ، وحرّة عليه ، واستغفراً بحقه ، ولأن من لوع الشيطان ياتي شرك الباطل ، ليدهدهم في أهويات الفتن ، ووهيدات الضلال ، ولعمري لقد صدق عليهم ابيهم منه ، ولقد قصصهم بالهوى فله ، ضلي رسلك أبا عبد الله يحيي الهوى ، ويكون اولاً ، وذات قرأت كتابي هذا فكأن كأنهم

وَأَنْ تُكَافِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا مِثْلَمَا قَدْ قَضَى بَقِيًا مَعْصِيَهَا
كَذَا مُكَافَاةُ مَا قَاتَ طَلْحَةَ وَالزَّيْبَرَ مِنْهُمَا الدُّنْيَا وَأَهْلِيهَا
بِرُقْمَةٍ قَالَ فِيهَا: يَبْعَثُنِي لَكُمْ وَالشَّامُ طَوْعُكُمْ فِي الْحَالِ تُغْلِبُهُمَا
فَصَجَلَا وَأَطْلَبَاهَا فِي الْفَرَاقِ فَمَا بَهَا يَصْنُ عَلَى زَعْنَى عِرَاقِيهَا
وَالْعَلِيِّ لَقَدْ أَوْفَى رِسَالَتَهُ يَقُولُ: مَا لَكَ وَالْثَوَارُ تَغْنِيهَا
فَاسْرِعْ إِلَيْنَا بِهَا أَوْ أَنْتَ حَامِلُهَا عَلَى الْجَرِيْمَةِ فَاسْتَظْظِرْ تَوَالِيهَا

لا يصطاد الا غيلة ، ولا يتشاور الا عن جيلة ، وكالتلب لا يفلت الا روغاناً ، واخفى نفسه
منهم اخفاء التنفذ رأسه عند لس الاكف ، وامتنن نفسه امتنان من يأس القوم نصره واتصماه
وابحث عن امورهم بحث الدجاجة عن حب اللسن عند قاسمها ، وانفل الحجاز فاني منفل الشام والسلام اه
وكتب الى سعيد بن العاص وهو كما تمل اموي وكان أمير الكوفة كتاباً وهذا نصه :
« أما بعد فأن كتاب مروان ورد علي من ساعة وقت النازلة ، يقبل به البرد بسير المطي الوجيف ،
توجس توجس الحية الذكر خوف خربة الفأس وقبضة الحاي ، وسروان الرائد لا يكذب أهله ،
فعلام الافلاك يا ابن العاص ، ولات حين مناص ؟ ، ذلك انكم يا بني امية عما قليل تسألون أدنى
العيش من أهد المسافة ، فيتكره من كان منكم عارفاً ، ويصد عنكم من كان لكم واصلًا ، متفرقين
في الشباب ، تمتون لطة الماش ، ان أمير المؤمنين (ويريد به عثمان) عتب عليه فيكم ، وقتل
في سبيلكم ، فقيم التعود عن نصرته ، والطلب بدمه ! ، وانتم بنو ابيه ذوورجه واقر بوجهه وطلاب
ناره ، أصبحتم مستسكين بشعف مباحش زهيد ، مما قليل ينزع منكم ، عند التغافل وضف
القوى ، فإذا قرأت كتابي هذا فذب ديب البرء في الجسد النعيف ، وسر سبر النجوم تحت الغمام ،
واحصد حصد الذرة في الصيف لانجعارها في الصرد ، فقد ايدتكم باسد رأي والسلام اه

وكتب الى عبد الله بن عامر ماضيه « أما بعد فأن المنبر مركب ذلول ، سهل الرياضة لا ينازعك
اللجام ، وهيهات ذلك الا بعد ركوب انتاج المهالك ، واقتحام امواج المعاطب ، وكأني بكم يا بني امية
شار يرك كالاراك تنودها الحداة ، أو كرم الحنمة تنرف خوف الغاب ، فب الان رحلك
افه قل أن يستعري الفساد ، ويدب السوط جديداً ، والجرح لما يندمل ، ومن قبل استغراء الاسد
والقاء لحية على قريبته ، وساور الامر مساورة الدب الاطلس كسيرة القطيع ، وتازل الرأي ،
وانصب الشرك ، وارم عن تمكّن وضع الهناء مواضع النقب ، واجعل اكبر عدتك الخدر ، واحدد
سلاحك التحريض ، واغض عن المراء ، وسامح اللجوج ، واستعطف النادر ، ولا ين الاخوس ،
وقوعزم المريد ، وبادر الحقبة ، وارفع زحف الحية ، واسبق قبل ان تنسق ، وقم قبل ان يقام لك ،
واعلم انك غير متروك ولا مهمل ، فني لكم ناصح امين والسلام اه

وكتب الى الوليد بن عقبة ماضيه : « يا ابن عقبة ، كن الجيش ، وطيب الجيش ، اطيب من
سقم سموم الجوزاء عند اعتدال الشمس في اقفا ، ان عثمان احلك أصبح يبدأ منك ، فاطلب لنفسك
ظلاً تستكن به ، اني أراك على التراب رقاداً ، وكيف بالرقاد بك ، لارقاد لك ، فلو قد استتب
هذا الامر لمريده ، ألقب كزيب النعام ، يزع من ظل الطائر ، وعن قليل نهرب الرق »

وَإِنْ أَمَرْتُكَ أَعْلِيَا أَقَاوِمَهَا وَلَنْ أَرَالَ مَدَى الْأَيَّامِ عَاصِنَهَا
وَإِنِّي مُنِيرٌ مِنْكَ الشَّهِيدَ وَلَا تَرَى أُمِيَّةً إِلَّا أَنْتَ عَادِنَهَا
وَإِذْ رَأَى الْمُرْتَضَى هَذَا وَذَلِكَ وَمَا لِي بِمُجَرِّدَةٍ فَقَدْ لَوَّاجِنَهَا
وَقَدْ تَمَذَّرَ بِالْمَعْرُوفِ دَمْلُ دَمًا مِثْلَ الْخِلَافَةِ نَادَى صِرْتُ أَكُونُهَا
وَأَذَنَ النَّاسَ بِالْحَرْبِ أَلْعَوَانَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ وَمَنْ وَآلِي مُعَاوِنَهَا
وَقَالَ: قَلْبْتُ بَطْنَ الْأَمْرِ مُفْتَكِرًا لظَهْرِهِ بِخَوَافِنِهِ أَجْلِيَهَا

وتستمر الخوف ، اراك فيصح الصدر ، مسترخي القلب ، رخو الحزام ، قليل الاكترات ، وعن
تليل يبحث املك والسلام اه

وكتب الى يعلى بن أمية مانه : « حاكم الله بكلاءه ، وايدك بتوفيقه ، كتبت اليك هذا ،
صبيحة ورد علي كتاب مروان بخير قتل أمير المؤمنين ، وشرح الحال فيه ، وان أمير المؤمنين
طالب به السر حتى نقصت قواه ، وقتلت نهضته ، وظهرت الرعدة في اعضائه ، فلما رأى ذلك اقوام
لم يكونوا عنده موصلاً للامامة والامانة وتقليد الولاية ، وثبوا له ، واكبوا عليه ، فكان أعظم
ماقصوا عليه ، وطأوه به ، ولاتك الثمن ، وطول مدتك عليها ، ثم تراسى بهم الاسرحلاً بمدحاً ،
حتى ذبحوه ذبح النطيحة مبادراً لها القوت ، وهو مع ذلك صائم ، مماثق المصنف ، يتلو كتاب
الله فيه ، عظم مصيبة الاسلام نصهر رسول الله ، والامام المقتول على غير حرم سقوا دمه ،
وانتهكوا حرمة ، وأنت قائل ان يمته في اساقنا ، وطلب ثاره لازم لنا ، فلا خير في دنيا تميل
بنا عن الحق ، ولا في امرة نوردنا النار ، وان الله حل ثناؤه لابرضي بالتعذر في دينه ، فتمر
لدخول العراق ، فاما الشام فقد كفيك اهلها ، واحكمت اسرها ، وقد كتبت الى طلحة بن عبيد
الله ان يلقاك بمكة ، حتى يجتمع رايكما على اظهار الدعوة ، والطلب بدعته أمير المؤمنين المنطوق ،
وكتبت الى عبد الله بن عامر بمجد لكم العراق ، حزوة عقابها ، واعل يا ابن امية ان القوم
قاصدوك بايديء بدو لاحتراق ما حوته يدك من المال ، فاعلم ذلك واعمل على حسب ان شاء الله والسلام اه
اقول وما تشرت كتب معاوية هذه ومنها كثير مما كتبه الى زعماء الامويين وانصارهم
صبيحة ورود نبي عثمان اليه الا لبيان فساد زعم الراعيين بان سيدنا عي عليه صلوات الله تعجل
بمقاطعة معاوية وانه لو سألنا من شره حتى ان جناب الشيخ محمد الحفري في محضراته التي وضعا
بعد هذه الحوادث بالثلاثة سنة وقع في هذا الخطأ ولازم عليه صلوات الله على تلك المقاطعة
وكان من رايه ان سيدنا علي كان من الواجب ان يقتض من التآمرين صبيحة يوم يمته وان يسلم
معاوية والامويين ويقرهم على ما يديهم من الامارات ويمض حالهم ما تقرأ في كتب معاوية قائل...
على ان سيدنا عي عليه صلوات الله مع ما يمد من خوافي معاوية وما يكنه صدره من المطامع
البيدة ارسل اليه يملته ببيته بجواب سبق لنا ذكره في حاشية سابقة فكان جواب معاوية له انه
يأبى يمته وانه يصعب فيه دم عثمان أو يسلمه التآمرين الى آخر ما قل وكرر الكتابة الى الزبير في
مضى ما كتبه له ولطلحة وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم الى عبد الله الزبير أمير المؤمنين من مودة بن أبي سفيان سلام

وَقَدْ حُرِمْتُ لَدَيْكَ النَّوْمَ مِنْ قَلْبِي وَفِيهِ كَمَ مِنْ لَيْلٍ كُنْتُ مُخْبِئًا
فَمَا وَجَدْتُ سِوَى هَوْلِ الْقِتَالِ لِأَعْرَاءِ الْحَنِيْفَةِ أَوْ عَصِيَانِ هَادِيهَا
وَإِنَّ نَارَ أَلْوَعِي عِنْدِي لِأَهْوَنَ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ الَّتِي أَخْشَى تَلْظِيئَهَا
وَإِنَّ مَوَاتٍ دُنِيَ الدُّنْيَا لِأَهْوَنَ مِنْ مَوَاتٍ آخِرَةٍ مَا زِلْتُ أَقْبِيهَا
كَذَلِكَ أَقْبَى بِحَرْبِ الشَّامِ حَيْدَرُهُ قُوَى أَخَوَارِئِي وَالتَّفَكُّرُ يُفْتِنِيهَا
فَقَابَلْتَهَا عِبَادَ اللَّهِ رَاضِيَةً وَلَمْ يَكُنْ غَيْرَ مَا يُرْضِيهِ يُرْضِيهَا

سبيل الملح والزيبر بعائشة الى البصرة

وَيَسْمَا يَتَهَيَّأُ الْمُرْتَضَى لِحِجَابِهَا دِلْشَامٍ مِنْ بَعْدِ مَا بَدَتْ تَعَصِيئُهَا (١)

عليك، أما بعد، فاني قد فليت لك أهل الشام فاجابوا واستوثقوا كما يستوثق الحار، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك اليها ابن ابي طالب، فانه لاشي بهذهدين المصيرين، وقد فليت طابعة بن عبد الله من بعدك، فاطمرا الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس الى ذلك، وليكن مكيا الجذ والشبير، فطركا الله وخذل مناوكما « اه . وافلحت هذه الدسيسة من معاوية اذ لم يشك الربير وطلحة بصدته في بيعتهما ونشطا الى مناواة سيدنا علي عليه صلوات الله بعد أن خيهما بولاية الكوفة والبصرة وسارا الى مكة المكرمة وانصبا الى عائشة وتبهما مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير واخذوا يستمدون الى المسير الى العراق لاخذ بيعة اهلها ومحاربة علي هم تنفيذاً لدسيسة معاوية المشار اليها وسبق القول أن سيدنا علي عليه صلوات الله كتب الى معاوية يعلمه بأن الناس في المدينة يأموه بمحمي ويطلب بيعته فاجابه انه لا يابيه الا اذا سلمه قتلة عثمان وما من يجهل الغرض الذي رى اليه معاوية يطلبه هذا بل هو ينبغي يحكم به كل ذي المام بمحارث صدر الاسلام فمن معاوية ما كان يجمل غلبة الثائرين على المدينة وان علياً لو مالا معاوية وسلمه قتلة عثمان أو اراد ان يجري التخاص عليهم لتار الثائرون عليه كاتاروا على عثمان وهكدا يكون فدا فسد عليه امره من أهول الطرق على أن سيد اعلي لم تقته الدسيسة فحاشاها وأجلب معاوية فان بايع وطع ثم تقدم من الخليفة مطالباً بدم عثمان لان الماضي لا ينظر في دعواه فكان جوابه هذا سيداً لعب معاوية دم عثمان بسيدنا علي وكان يقول انه ما حيي الفنة الا لانه هو الذي دهمه الى القتل وبعد أخذ ورد بين سيدنا علي ومعاوية وظهر مساعي معاوية ضد الخلافة لم ير سيدنا علي عليه صلوات الله الا استمال الحزم وقد لم السيل التي جهر برأيه في المسجد النبوي خطياً فقال : « وقد تلبت هذا الامر بطنه وظهره ، حتى منعي النوم ، فما وجدني يستفي الا قاتاهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله ، فسكات معالجة القتال ، أهون علي من معالجة العقاب ثم موات الدنيا أهون علي من موات الآخرة » واخذ عليه صلوات الله يستدحرب معاوية في الشام ولسان حاله يقول :

السيف أصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد والتائب

(١) تقدم لها القول ان عائشة كانت أشد الناس على عثمان وتزيد هنا اليها ما زالت تعري

وَإِذْ تَلَقَىٰ نَبَا عِصْيَانٍ عَائِشَةَ بِمَكَّةَ مَعَ قَوْمٍ مِنْ مِثْرَيْنِهَا
وَكَانَ مَعَهَا الزَّيْزَانُ أَلَدَّانِ أَرَأَايَا دَافِئَةً الْقَوْمِ وَأَسْتَيْغُوا مَطِيعِيهَا
وَكَانَ مِرْوَانُ مَابِنِ الْعِصَابَةِ يَحْسُدُ وَهَاهُنَا إِلَى الْفِتْنَةِ أَهْوَجًا وَيُنْخَبِهَا
وَأَيْنُ الزَّيْبَرِ الَّذِي مَازَالَ مُلْتَزِمًا رِكَابَهَا مَا نُنَاجِيهِ يُنَاجِيهَا
وَفِرْقَةٌ غَرِيبَتْ بِالْإِنْتِصَارِ إِلَيَّ عُثْمَانُ سَارَتْ عَلَى مَسَرَّى مَسِيرِهَا

الناس بدمائه والانتفاض عليه حتى أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
فنهضت في منزلها وكانت تقول للداخلين إليها هذا توب رسول الله لم يبل وعثمان قد أبلى سنته .
قلوا ان عائشة هي أول من سعى عثمان نكلاً والنمل الكثير شعر اللحية والجسد وقد كان عثمان
كذلك كما علمت وكانت تقول اقلوا نكلاً قتل الله نكلاً . وقد سبق لنا القول ان عائشة تركت المدينة
والفتنة على أشدها وهي لا تشك ان عثمان مقتول واقامت في مكة تنتظر هذه النتيجة التي كانت
تتوقعها والظاهر انها لم تكن تتوقع ان يتولى سيدنا علي الخلافة وكانت تنتظرها لطلحة فقد روى
المؤرخون ان عائشة عند ما بلنها وهي بمكة نبأ بمقتل عثمان قالت : بدأ كنتل وسحقاً يا رب ذا الاصع
(تريد به طلحة وقد شلت اصبه يوم أحد) ايه يا شبل يا ابن عمي ما كان في انظر الى اصبه
(الشلاء) وهو يأخذ البيعة حتى لا الابل وعدوها . واقبلت مسرعة الى المدينة وهي تقول : ايه ذا
الاصع لله ابوك اما انهم وجدوا طلحة لها كفوا ؟ وما أسرع ما سرف الا وهي تعلم ان الناس
يتأخرون بالبيعة فتأتي المدينة وتمل على مبايعة طلحة وما كان أشد خيبة املها عند ما انتهت الى
« شراف » وهي في ضواحي مكة فهناك استقبلها عبيد بن أبي سلمة اللبني وكان قدومه من المدينة فقالت
له : ما عندك ؟ قال : قتل عثمان . قلت لبله : ثم ماذا ؟ . قال : نعم حارت بهم الامور الى خير
عمار يا بسواً علياً . فاصفر وجه عائشة كدأ وحزناً وصاحت : لوددت ان السماء اطبقت على الارض
ان تم هذا ويحك انظر ماذا تقول . قال : هو ما قلت لك يا ام المؤمنين قولت فقال لها : ما شأنك
يا ام المؤمنين والله ما اعرف بين لاجتيا أحداً اولي بها من علي ولا أحق ولا أرى له نظيراً في
جميع حالاته فلماذا تكرهين ولايته ؟ فاردت به حواً واسرت بالخاف مرد ركايبها الى مكة
وعادت وهي تخاطب نفسها فتقول : قتلوا ابن عثمان مظلوماً . فقال لها قيس بن أبي حازم وكان
ركايبها ألم اسمك تقولين بدأ كنتل وسحقاً وقد عهدتكم من قبل انشد الناس عليه واقبحه فيه قولاً
قلت : لقد كان ذلك ولكن نظرت في أمره فرائبهم استأبوه حتى اذا تركوه كلفضة البيضاء اتوه
صاعماً محرماً في شهر حرام فقتلوه

وعند ما استقرت عائشة في منزلها في مكة جعلت تتوح وتندب عثمان وتشدد النكير على
قنبله ولا تسكن اسفها على اغصابها فتقول : تصوا تصوا لا يردون الاسر في نعيم » وهذا على
ما أظن هو بيت القصيد من افلاها « واذا كان عائشة بين الناس مكاة متمتزة لما هو مشهور
عن حب المصطفى لها عليه وعلى آله الصلاة والسلام ولانها كانت تكثر من تحديث الناس باحاديثه
النبوية التي ألف الناس من حولها وبكوا ليكائها وأخذوا معها يطالبون بدم عثمان
ثم ان طلحة والزبير عند ما يأسا وما في المدينة من عي وانرا عي الانتقام عليه كتبها

وَهَكَذَا عَصَبَةُ الْعَاصِيْنَ قَدْ جَمَعَتْ جُوعَهَا وَبِهَا جَدَّتْ حَوَادِثُهَا
إِلَى رُبِّي الْبَصْرَةَ الْفَنَاءَ تَرْغَبُ فِي إِعْلَانِ نَوْرَتِهَا الْكَفْرَى بِأَرْضِهَا
وَقَدْ قَدَّمَتْ أَلْرُّ كِبَانَ عَائِشَةَ وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا تَشْدُوْ أَعَانِهَا
كَرَاهِيَةِ الْحَرْبِ كَانَتْ ضَيْقُ هَوْدَجِهَا وَأَيُّنَ الزَّيْبِرِ قَتَاهَا كَانَ مُعْلِيهَا
وَكَانَ هَوْدَجُهَا يَسْعَى بِهِ جَمَلٌ قَدْ بَاعَهُ عَرَنِيٌّ مِنْ حَوَاشِيهَا

لثلاثة يحضنها على تخذيل الناس عن يمة علي وأرسلها كتابا مع ربيعة عبد الله بن الزبير فآذادت به جرأة وطلعت تدبج دعوتها بمطالبة علي بدم عثمان والتف من حولها الامويون والمنشيقون لهم وهم الذين اساهم المورخون « عناية » فرصة انقلابها هذا فتناصروا لها قتها على عثمان وتجرعها الناس عليه بنية الانتفاع بنفوذها على عاربة سيدنا علي بن أبي طالب . وهكذا أصبحت عائشة في مكة زعيمة المطالبين بدم عثمان وموضع اهتمام معاوية وسروان واصحابها الامويين في تنفيذ الخطط التي وضوها لمحاربة سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله

اما طلحة والزبير بعد أن تمت يمة سيدنا علي انتظرا أياما في دارهما وهما يتوقمان ان يكونا منه كما كان سروان من عثمان فيستبدان بالخلافة دونه فطلب فأنهما ورايا أمير المؤمنين مستنظرا برق الفتى واصلاح الفاسد برأيه وحكمته وأنه مصمم تصبها قاطعا على ماملة المسلمين بالسواة التي يقضي بها الشرع فلا يميزها عن غيرها بغيره ولا يحق نقما ذلك عليه . ولا بد أن الذين جاءوه ينزرون بالانقصا من قتلة عثمان كان بينهم طلحة والزبير أو انهما صاحبا هاتيك الفكرة اودا بها ان يوتاه بمشكلة لا يستغي بها عن التماس موتها فافازا بأرجها بل راياه بقضي الامور بسديد رأيه بغير مشورتها قتا كذا حيث انهما في دونه غير بالتب أربا . فافان ان توجها بأمالها الى الاتحاد عن المدينة فيكون الزبير أمير البصرة وله فيها شيمة وطلحة أمير الكوفة وله فيها شيمة فاتفقا على الذهاب الى سيدنا علي ومطالبتة بهاتين الامارتين لنفسيهما وبالفضل ذهبا اليه بملتمسهما بد ولايته يضع ايام وطلبا منه ان يوليها البصرة والكوفة فقال سأنظر في هذا الامر فامهلها اياما ثم عادا اليه فوجداه غير مباهما سؤلها فذكراه بمماوتتهما له على بلوغ الخلافة وتمننا عليه بذلك فردما ولا رضي ان يرشوما ببلاد المسلمين فخذنا عليه وأغضبهم ارمه وخرجنا ناقين . وبينما هما كذلك وردت عليهما تجارير معاوية ببعيته لهما واخذ سروان وغيره من الامويين يجتسمون عليهما فكان ذلك مشددا توجعتهما على الخروج على سيدنا علي عليه صلوات الله ولم يكونا جاهلين أمر عائشة في مكة واستلامها زعامة المطالبين بدم عثمان فيها فقررا على الانضمام اليها واد كان رحيلهما الى مكة لا يكون بغير اذن سيدنا علي عليه صلوات الله سارا اليه فاستأذناه بالخروج فاقطعنا عنه مدة ثم جاءه فاستأذناه بالخروج الى مكة قصد العمرة فلم يقته ما في نفسيهما وقال والله ما العمرة تريدان خلفنا له انهما لا يريدان غير العمرة فقال لهما ما العمرة تريدان وانما تريدان الدررة ونكت البية خلفا لله ما الخلاف عليه ولا نكت بيمته يريدان وما بيمتهما غير العمرة فقال عليه صلوات الله قاعدا البية ثانية قعادهما باشدة ما يكون من الايمان والمواثيق فاذن لهما كل هذا والناس بين يديه وهو في المسجد النبوي وبعد ما خرجا التفت الى من حوله وقال : والله لا تزونها الا في قننة يقتلن فيها قالوا يا امير

أَفْ لَهُ جَمَلًا أَفْرِ لِسَانِيهِ . فَإِنَّهُ سَأْنِي أَلَا زَرَاءَ مُفْشِيهَا
يَا لَيْتَنَّا مَا عَرَفْنَا ذَلِكَ أَلْجَمَلِ السَّشُومِ فِي خَطَوَاتِ رَاحِ خَاطِبِهَا
وَيَنْبَغَا النَّاسُ مَعَهُ وَهُوَ قَائِدُهَا تَسِيرُ فِي فُلُوتِ الْأَرْضِ تَطْوِيهَا
مَرَّتْ عَلَى عَيْنِ مَاءٍ وَالْكَلابُ بِهَا نَبَاحَةٌ فَعَوَى فِي أَلْحَالِ عَاوِيهَا
وَصَاحَ صَائِحُهَا ذِي مَاءٍ حَرَّابٍ فَلَمْ تَشْرَبْ وَهَدَيْتِ طَوَامِي أَلْعَيْنِ نُسْفِيهَا
وَمَا دَوْتَ « حَرَّابٍ » فِي أَذْنِ عَائِشَةٍ حَتَّى أَعَادَتْ إِلَيْهَا ذِكْرَ مَا ضَيَّعَهَا

المؤمنين من بردهما عليك قال بل ادعها يقضي الله امرأ كان مقبولا . ومن هذا القول البلوي
فلم انه عليه صلوات الله لم يكن جاهلا امرها وأمر الذين يكيدون له معها ولكنه أنى ان يأخذها
على ما يلم من سرها ويجهل الناس حتى لا يبطي لاعده حجة عليه تؤيد جهنم الاولى وهي اتهامه
بدم عثمان . لا جرم ان عليا عليه صلوات الله لو قبض على طلحة والزبير عند ما جاءه مستأذنين للعمرة
وحجر عليهما لامتلائت ارواح بلاد الخلافة بصياح الامويين قائلين ان عليا تمل في الامس عثمان
وحجر اليوم على طلحة والزبير ليقبض بالخلافة ويكون لقولهم هذا تأثير عظيم في الصدور لان الناس
يجلون طلحة والزبير ويمررون لها المسكة النالية في العالم الاسلامي وهكذا يرى المذقق الحكم
مبلغ حكمه سيدنا أمير المؤمنين بدم الترض لحرية هذين الصحابين والا فغابا بماتادة بينهما ام
المسلمين في المسجد النبوي

وعند ما خرج طلحة والزبير من المدينة الى مكة - مثلا بولان لكل من بليقيه في طريقهما
ان ليس ليلي في عنقهما يمة وانما ياباه مكرهين واتصل قوقها هذا سيدا علي من القادمين على
المدينة فقال عليه صلوات الله « اسدما الله » واعرب دارها « اما والله لقد علمت لهما سبقتان
نفسهما اخبت مقتل « وأتيا ن من وردا عليه بالثام يده « والله ما العمرة يريدان « ولقد اتينا
بوحى فاجرين « ورجما بوحى عذرين ناكبين « ولله لا يتيانى بعد اليوم الا في كتيبة خشناء
يقتلان فيها بغسبهما فبعدا لها وسحقا »

وعند ما انتهى طلحة والزبير الى مكة اسرع الى منزل عائشة واخذوا يدبرون أمر السير الى
العراق حسب اشارة معاوية وانضم اليهم مروان بن الحكم وقد ترك المدينة فرارا ويحيى بن أمية
حاكم اليمن وجاء معه بعض رجالات اليمن وذاع بأسير طائفة الى البصرة « كبره اهالي مكة لانهم
ما انتظروها ان تدخل في الفتنة بصورة جدية . وكان في مكة وقتئذ أه سلة وهي احدى أزواج
المصطفى فسارت اليها غير مرة واكثر لها النصيحة وذكرتها بكلمة سيدا علي عندا مصطفى عليهما
الصلوات والسلام واحاديثه الكثيرة التي تشير الى موتهما الحرج الذي وقفته والواجب ان تتحاشاها سمعت
لها نصيحة وكانت تقول لهما ضرورة تنفني

وعند ما حمت عزيمته هؤلاء العصاة على السفر طلبوا اليهودج عائشة بغيراً أبداً فجاءهم يبي
ابن أمية بغيره المسمى عسكر وكان عظيم الخلق شديداً فاما رأته عائشة اعجبها وانما الجمال يحدها
بشدته وقوته ويسمى في اثناء حديثه عسكراً فلما تكررت لفظه « عسكر » على اشد الجمل تشمت
من الجمل واسترجعت وقت ردوه لاحاجة لي به فتقدم منها عبد الله بن الزبير وهو ربيها وادل

عَادَتْ إِلَيَّ عَهْدَهَا فِي طَبِيعَةِ يَحْيَى طَهَ وَجَبَرْتُهُ الْفَرَاءَ تَوَوَّيْهَا
وَقَوْلُهُ نَسِيَتْهَا كَانَ قَائِلُهَا لَهَا هَوَّاتٌ : نَعَمْ ذَكَرْتُ مَوْنَهَا
فَإِنَّهُ كَانَ يَوْمًا بَيْنَ نِسْوَتِهِ عَقَفًا يُوَاسِيَهَا صَفْوًا يُفَاهِيَهَا
وَإِذْ بِهِ قَالَ مَنْ مِنْكُمْ تَنَبَّهَ كَلَابُ حَوَّابٍ فِي ضَافِي مَجَارِيهَا
فَاسْتَقْرَبَتْ قَوْلَهُ الْهَادِي نِسَاءَهُ تَدْرِي أَلَيْ يَسْنُ كَانُ يَمْنِيهَا
ثُمَّ رَنَا الْمُصْطَفَى عَقَفًا لِعَائِشَةَ وَقَالَ : إِيَّاكَ مِنْهَا أَنْ تَكُونِيهَا

الناس عليها وسألها عن سبب رفضها ركوب « عسكر » على شدته وقوته فقالت ان رسول الله كان ذكرها جلا هذا الاسم ونهاها عن ركوبه واسرته أن يطلب لها جلا غيره ففهي في هذه المهمة فوجد في اسواق مكة رجلا من عرنية ومعه جل اهر شديد القوى فاعترضه واشترى منه جل بهد أن أخيره انه لثلاثة ام المؤمنين وسأله ان كان يعرف طريق البصرة فيكون دليلهم فيها فقال سم وكان دليلهم . ولما عرض جل العرني على عائشة رضيته مطية لهودجها فرغف عليه الهودج وكان موشعا بمجلود الفم ووضعوا فوقه دروع الحديد والرؤف للزركشة ودخلت فيه عائشة وازالت السائر وسار في مقدمة الناس وكان رايهم ولم يكن لهم راية سواه ولذلك دعاهم الناس « اصحاب الجبل » وكان ذلك العرني دليل القوم ما سكا زمام الجبل وكانت عائشة فيه هي الامرة الناهية

وكان يولي بن امية أمير البين الذي هبط مكة بعد وصول كتاب معاوية اليه وقد سبق لنا نمره هو الذي يجهز الناس للرحيل وجاءهم بستمائة بئر وستماية الف درهم ومن هذا وحده تعلم كيف كان عمال عثمان يحكمون الناس ويسطون على أموالهم

وسار المادون في اسواق مكة وهم ينادون : « ان عائشة ام المؤمنين ، وطلحة ، والزبير ، شاخصون الى البصرة ، فن أراد اعزاز الاسلام ، وقتال الحلي ، والطلب بشأر عمال ، وليس له مركب وجهاز فليأت » فقبل الناس على النداء بين مكيب ومدنيين فكانوا ستمائة راكب وصار يتبعهم الناس حتى بلوا التسعماية ثم انضمت اليهم رجال القبائل في طريقهم فبلغوا نحو آمن ثلاثة آلاف ولما خرج اصحاب الجبل من مكة والجبل رايهم وقتدم اذن سروان بن الحكم في الناس ثم أقبل على طلحة والزبير وقال على ايكما أسلم بالامارة واؤذن بالصلاة فقال عبد الله بن الزبير وهل لها غير أبي وقال محمد بن طلحة وهل لها غير أبي وابتدأت بينهما الفتنة فتداركتها عائشة من وسط هودجها واستدعت مروان اليها وقالت له أريد ان تفرق أمرنا ؟ فليصل بالناس ابني عبد الله « وتريد به ابن اختنا عبد الله بن الزبير » فكان يصلي بالناس

وما زال اصحاب الجبل سائرين في طريقهم حتى انتهوا الى « الحوَّاب » وهو ماء لبني عامر ابن مصعبه فاخذت الكلاب تنبح وكانت كثيرة وفترت صباب الامل وقال قائل يقرب هودج عائشة « ألا ترون ما أكثر كلاب الحوَّاب وما أشد باها ؟ » وما كانت ترون هذه الكلمات في اذن عائشة وهي في هودجها حتى اصفر وجهها وقف الشعر في رأسها وارتحفت اعصابها وصاحت واماها الكلاب الحوَّاب !! ردوني ردوني وما زالت تصيح حتى اناخ الحادي جلها ووقف الركب وجاءها الزبير وولده عبد الله وطلحة ومروان ويولي بن امية وغيرهم يسألونها عما نالها فقالت ردوني ردوني اني للبيعة فقدت

تَدَكَّرْتُ وَهِيَ فِي وَسْطِ النَّبِيِّ مَقَامًا
وَأَسْتَرْجَعَتْ حَزَنًا كَانَتْ قَوْلُ: أَنَا
وَأَسْرَعَتْ فَأَنَاخَتْ وَهِيَ غَاضِبَةٌ
وَأَعْلَنْتْ أَنَّهَا لَا بُدَّ رَاجِعَةٍ
رَاحَتْ قَوْلُ: أَنَا تَالَلَّهِ صَاحِبَةُ أَلَمَاءَ الْيَتَامَى
رُدُّوا بَعِيرِي وَرُدُّوْنِي عَلَيْهِ إِلَى خِدْرِي فَقَسِي مَا قَدْ كَانَ يَكْفِيهَا

كان رسول الله بين نسائه في ذات يوم فطلب أن ينسل رأسه فجلسته بماء وجلت أصابه على رأسه وأخذت أم سلمة تحميه له وبينما نحن لكذلك رفع رأسه الشريف وهو مبتلئ بالماء وقال عليه الصلاة والسلام: يا ليت شعري إبتكن صاحبة الجمل الأذنب تنبها كلاب الحواري فتكون ناكبة عن الصراط؟ فرفعت أم سلمة يدها وقالت لعوذ بالله ورسوله من ذلك وامتنعت أنا عن صب الماء وقلت قولها وإذا بالمنطقي عليه عليه الصلاة والسلام يضرب يدها على ظهره ويقول: إياك أن تكونيها ثم قال ثانية: يا بنت ابني أمة إياك أن تكونيها يا حيرة أمة عائشة فاصبر وجمي وجزعت ولكن تجلدت وقلت لعوذ بالله أن أكونها يا رسول الله فبسم وهو رأسه الشريف وعدنا إلى غسله . وهـ
أتمت عائشة سرد قصتها حتى استرسلت بالوحي والكلام وهي تقول ردوني إلى بيتي فقد صدق رسول الله فما صاحبة الجمل الأذنب وهو كلاب الحواري تنبهي وقد كتبت عن الصراط غدا القوم يبتجعونها على المسير وهي ترفض إلى أن أعيانهم حالها وخافوا أن هي عادت إدراجها أن تقتل حلتهم وتضيع مجدهم ولهم ونحيت آمالهم ويصامهم في حيرتهم تلك وإذا بعبد الله بن الزبير ينادي ويقول: ويلنا يا أمة (وكان عبد الله يدعو عائشة أمة وهي كما تعلم خلته) فقد أدركتنا خيل ابن أبي طالب فجزعت غدا النبأ ورضيت بالمسير وهكذا استأنف القوم المسير في طريقهم

ولما انتهى أصحاب الجمل إلى « حفر أبي موسى » قريباً من البصرة أنالوا فيه وبلغ نائم عثمان بن حنيف وكان عامل عليّ على البصرة لخرجه من مقدمهم وأرسل لهم أبا الأسود الدؤلي يطمئنه لهم فسلم إليهم حتى إذا ما بلغ منزلهم قصد بناء عائشة وكان في وسط القوم وأسألها عن سبب مجيئهم بها؟ فقالت إني مطالبة بدم عثمان فقال ليس في البصرة من قتله غير أحد فأتهم فهم مع علي بن أبي طالب في المدينة وحيث أستمنض أهل البصرة لقتاله أنفض لكم من سوط عثمان ولا نفضب لثمان من سيفكم؟ فقال أبو الأسود ما أت من السوط والسيف؟؟ إنما أنت حبيس رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقد أمرتك أن تقرري في بيتك وتبني كتاب ربك ، وليس على النساء قتال ، ولا هنّ المطلب للمماء ، وإن علياً لأولى مشان منك ، وأمس رحمة فاجابته عبد مناف . فقالت عائشة لست بمعرفة حتى أمضي لما قدمت إليه أنطقن يا أبا الأسود أن أحداً يقدم على قتالي ، فبسم أبو الأسود وقال أما والله انطلقن قتلاً أهوته الشديدة وتركتها وسر عاضباً إلى الزبير فقال له : يا أبا عبد الله عبد الله بك وأنت يوم بوبع أبو بكر أخذ بقائم سيفك تقول : لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب ومن هذا الغناء من ذلك ؟ فقال الزبير ولكننا نطالب بدم عثمان فقال أبو الأسود أنت وصاحبك (ويرد صلحة) وإيتاه فم ابتنا ؟ فقلتم لسان

وَأَلْتَفَّ أَصْعَابُهَا مِنْ حَوْلِهَا وَلَقَدْ
وَعَالَجُوا أَنْ تَوَاتِبَهُمْ بِزُخْرَفٍ مَا
فَلَمْ يَكُنْ غَيْرُ أَنْ قَالُوا أَلْعَلِّيْ أَتَى
خَافَتْ عَلَيْهِمْ وَوَاتَتْهُمْ بِمَا طَلَبُوا
حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْوَيْلُكَ بَصَرَهُ أَلسِنُوا لَدَعْرَ فِي أَهْلِهَا كَانُوا مُشِيرِينَ
وَبَعْدَ أَنْ قَتَلُوا الْأَهْلِينَ وَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ قَدْ اسْتَمَلَمُوا شَيْئاً مَلَأَ جَبْهَهَا

الزبير وقال: فالتفت الى طلحة واسمع ما يقول فصرف أبو الاسود ان الزبير سبق الى الفتنة على غير ارادته فهو مغلوب على امره فتركه ومضى الى طلحة فوجده سادراً في غيه مصراً على الحرب والفتنة فنادى الى البصرة وأخبر عثمان بن حنيف بما رأى وسمع وقال لها الحرب قتأب لها أما عثمان بن حنيف فغار في امره واتفق يقرب أخساً لاسداس فما وجد له مخرجاً وإذا كره في الامر أهيان البصرة فوجدتهم مفرقين فتم من يقول ان أصحاب الجبل على الحق وفيهم عائشة وطلحة والزبير ومكانتهم من الاسلام والمصطفى لا يقدح فيها قاذح ومنهم من كانوا يقولون انه ولاء جازنا بعد أن يابوا علينا ما كثرين فعلينا أن نرد هم ومنهم من كانوا يقولون ما لنا ولها لا قدموا علينا يقتلوننا ويولوننا فإذا كانوا يطلبون دم عثمان فإن قتله عثمان عندهم لساذا لم يقتلوه وإذا كانوا يريدوننا لنتنازكهم يطلب قتله قالوا بذلك أرب واذا رأى أميرهم عثمان بن حنيف منهم الفرقة انكسر قلبه

ثم ان عائشة وطلحة والزبير أسروا أصحابهم باقتحام البصرة فساروا اليها حتى اذا ما بلغوا المريد دخلوا من أعلاه ولزبهم عثمان بأصحابه واقسم البصريون قسم قسم من شيعة سيدنا علي وأقرا بجماعت أميرهم عثمان بن حنيف وتسم كانوا من شيعة أصحاب الجبل واقسموا اليهم وخطب طلحة في الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكر عثمان وفضله وما استحل منه ودعا الى الطلب بدمه وحكمه عليه . ثم تبعه الزبير فقال قول طلحة . وكان البصريون يسمون الخطابين وفيهم من يقول صدقاً وراً ومنهم من يقول جراً وغدراً وأمرأ بالباطل فقد يابوا علينا ثم جاءوا . ثم ضاينا لمحاربتهم وكثر اللغط والمهرج . وحيثما تقدمت طائفة وهي في هودجها على جلها وقالت بصوتها الجدير « كان الناس يتجنون على عثمان ، ويزرون على عماله ، ويأتوننا بالمدينة فيستبدوننا فيما يجربوننا عنهم ، فننظر في ذلك ، فوجدناه برأ قياً وفيما ، ونجدهم جفرة غدره كدبة ، وهم يحاولون غير ما يظهرون ، فاما تووا كاثروه ، واتجموا عليه داره ، واستطوا الدم الحرام ، والشهر الحرام ، والبلد الحرام ، بلا ترة ولا عفر ، ألا ان لما يبني لابن أبي لابيغني الحكم غيره ، أخذ قتله عثمان ، وإقامة كتاب الله » فأزاد خطاب عائشة التمس بين البصريين ثم اشتبك القال بينهم وانضم أصحاب الجبل الى من تشيع لهم من البصريين فكثروا أصحاب عثمان بن حنيف وتسلوا عليهم ودخلوا البصرة عنوة في حديث يطول وكان قد لجأ عثمان بن حنيف الى بيته فأسروا يطلبه فقتلوه بيته وضربوه وأهانوه وشتراحيته وشاربه وحاجبه وأشقرعيه واستنوا عن قتله اكراماً لصحبته رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك جرى بأسر طائفة وحمل أصحاب الجبل على بيت المال في البصرة عبد الرحمن بن أبي بكر . على ان البصريين لم يرضخوا لتطلب أصحاب الجبل عليهم فرفضوا اليهم وحاربوهم بموقعة كبرى قتل فيها خلق كثير وكانت هذه الموقعة

دَرَى الْأَئِمَامُ بِذَا فَأَخْتَارَ طَلِبَةً مِّنْ حُلُوِّ الْأَعْرَاقِ وَأَثَرُوا فِي ضَوَائِجِهَا
وَأَزَجًا الشَّامَ حَتَّى يَسْتَتِبَ لَهُ أَمْرُ الْأَعْرَاقِ وَمِنْ ثَمَّ يُؤَافِقُهَا .

مسير أمير المؤمنين الى البصرة

سَهَّلَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يُبَدِّلِي مَلَأَمَتَهَا عَلَى أَلْفَعَالِ أَلَيْتِي الْحُكْمَ تُجَرِّبُهَا (١)
وَتُصَدِّرُ الْحُكْمَ فِي تَسْفِيهِهَا وَحَرِّمَ عِيَّ أَنْ نَخْصُ بِذَلِكَ الْحُكْمَ تَسْفِيَهَا
فَكَمْ جَهْلٌ رَأَى سَيْرَ الْأَئِمَامِ إِلَى صَحَابَةِ الْجَبَلِ الْمَلْعُونِ يَرْزِيهَا
تَسْرَعًا وَرَأَى إِهْمَالَ فِتْنَتِهَا أَوْكَى وَأَحْكَمَ وَالْأَفْدَارُ تُطْفِئُهَا
وَلَوْ تَدَبَّرَتِ اللَّوْثُ خَافِيَةَ الْأَمْرِ مَرَّ أَلَيْتِي الْمُرْتَضَى قَدْ كَانَ دَلِيلُهَا
لَا تَسْتَوْبِتُ عَزَمَةً كَانَتْ سَلَامَةً أَطْسُرَافِ الْأَعْرَاقِينَ فِيهَا مِنْ عِيُونِهَا
عَزِيمَةً مَالَهَا إِلَّا أَبُو حَسَنِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْأَخْطَارِ يُخْضِيهَا

الحس ليال بقين من شهر ربيع الاخر سنة ٣٦ للهجرة وانجلى عن قلب أصحاب الجبل فهرب من
ظلموا على ولاء سيدنا عبي عليه صلوات الله بقصدوه وبايع ملاحه والزيد وعاشة المستضعفون . وبعد
أن تم فرز أصحاب الجبل على البصريين أرسلوا بشرى به معاوية في الشام وأصحابهم في المدينة المنورة
وأرسلت عائشة الى أبي موسى الأشعري أمير الكوفة تطلب منه الانضمام اليها ونهية الرجال انجذبتا
على عارية سيدنا علي والطلب بدم ضئيل فما أجلبها وأمر على التزمه الجياد في هذه الفتنة

(١) عند ما سمع سيدنا أمير المؤمنين نأ أصحاب الجبل وتصدهم البصرة صحت عزيمته على
المحوى هم ومقاتلتهم قبل المسير الى الشام ومقاتلتها لأن ما خطر لمعاوية بدهائه لم يقت حكمه سيدنا
أمير المؤمنين وسد ادرايه وهو ابن القوم في الشام قد حملهم معاوية على الصبيان وكان من أسرهم ما كان
دليجة في حرب الشام كانتهم ما وراء ذلك من ضرر وأما القوي في العراق فانه ما راوا على الطاعة وأن
عشة وطلحة والزيد وبيعة العصابة ما قصدوا بلادهم الا استميلوهم الى أبيهم ويشدوا أزرهم بهم
فالصلحة تقضي بالجلولة بينهم وبين يطلبون وهي لغير الحق نظرة صادقة من سياسي حكيم
يرى من أين تؤكل الكتف . وكان يريد سيدنا أمير المؤمنين أن يتفرع بأصحاب الجبل وهم في
الطريق فيقاتلهم قبل أن يدخلوا البصرة ويبددهم . أدراجهم خائنين فلم يتوفى الى ذلك لاختلاف
الناس حوله في أمر غزوته فنهج من كان يقول له : دع القوم وما يصنعون من أطاعوك سرت بهم
على هيج الشريعة السمحاء وإن عصوك قال لك عمر عند ريثهم مات شهم . ومنهم من كان
يشتر عليه أن يبق في المدينة المنورة ويوصل سرية وراء أصحاب الجبل تحرسهم . ومنهم من كانوا
يقولون له الامر أسرك وبحي طوع رضاك . أما سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله فما أعجبه
الا امير وراء أصحاب الجبل صار بكل رأي يخاف ويأبه هذا عرض الخلف . والخالف أنه
كان قد سمع قرة الكلمة واضطراب جبل لامة . وتصور الآراء واختلاف المناهقين بلا ولاء

نَادَى بِمَنْزَوَى فِي النَّاسِ فَأَجْتَمَعَتْ حَوْلَهُ رَاكِبُهَا الْغَزَايِي وَمَا شَبَّهَا
وَمَا تَوَاتَى سِوَى أَهْلِ التَّفَاقِ قَلَمٌ تَحُلُّ بِدَعْوَةٍ حَقٍّ رَاحَ دَاعِبُهَا
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : دَعِ حَرْبَ طَلْحَةَ وَالزَّرِيرَ وَالرَّأْيَ عِنْدِي فِي تَلَاغِيهَا
قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَخِي الضَّبَاعَ بِإِهْمَالِ الْمَكَائِدِ مَعَ مَعْرِى مُكِيدِهَا
إِنَّ الضَّبَاعَ عَلَى اللَّذَمِ الطَّوِيلِ تَنَامُ مُشَرَّةً نَوْمَتِهَا وَاللَّذَمُ هَادِيهَا
حَتَّى تَرَى رَاصِدِيهَا تَمُوتُ خَلْفَهُمْ لَهَا وَقَدْ أَسْرَوْهَا فِي مَخَابِيهَا
لَكِنِّي أَضْرِبُ الْمُسْتَذِيرِينَ عَنِ الْحَقِّ الَّذِينَ أَذَاعُوا الْبُطْلَ تَمَوَّيَهَا
بِالْمُقْبِلِينَ إِلَى الْحَقِّ الَّذِينَ بِهِمْ أَتَقَى أَعَادِيهِ مَنْصُورًا وَأَفْنِيهَا
وَبِالسَّيِّعِ الْمَطِيعِ الْمُتَهْتِكِ يَهْدِي مُعَمِّدِ لُتْنِي أَتَقَى مُرْيِسِيهَا
حَتَّى النَّيَا تَلَاغِي يَسْتَهَا يَوْمًا كَمَا بَانَتْ سَامَانِي الْأَقِيمَا
حَسْبِي فَوَاللَّهِ أَنِّي لَمْ أَرْزَلْ أَتَشْكِي مِنْ ضِبَاعِ حَقْوَقِي أَوْ مُضْيِيهَا
مِنْ يَوْمٍ وَقَدْ قَبِضَ اللَّهُ الرَّسُولَ إِلَى يَوْمِ الْفَصَاةِ الَّتِي أَصْبَحْتُ غَارِيهَا
وَعِنْدَ مَا أَنَّ مَقَاتَ الْمَسِيرِ دَعَا أَبُو الْحُسَيْنِ الرَّعَايَا كَيْ يَفَاهِيهَا
مُودَعًا مُنْصَبِحًا عَنْ سِرِّ رَحْلِهِ مُجَلِّيًا كُلَّ لَبَثٍ وَقَدْ يُفْشِيهَا
قَالَ : عَائِشَةُ سَارَتْ بِمُضْبَتِهَا إِلَى الْفَرَاتِ لِتَسْتَفْوِي أَهْلِيهَا
وَطَلْحَةُ سَارَ مَعَهَا وَالزَّرِيرُ وَكُلُّ مَنْهُمَا أَمْرَةٌ إِلَّا سَلَامُ شَاهِيهَا

فقال : « والله لا أكون كالضبع نام على طول اللذم ، حتى يصل إليها طالها ، ويختلها واصدها ،
ولكني أضرب بالقتل إلى الحق ، والمدير عنه ، والسابع المطيع ، الدامى الحرب ، أبداً . حتى يأتي
عليّ يومى ، فوالله ما ركت مدفوعاً عن حقى ، مستأثراً على ، منذ قضى الله نبيه صلى الله عليه وعلى
آله وسلم ، حتى يوم الناس هذا » اه لا حرم ان سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله قد أصاب ، لآب
الصواب ، وقل ما فيه فصل الخطاب ، فيه التغاب عليه ، والتلاعب بحقوقه ، وكما به رضى بما
يرضى به الناس وهم مستترون ، مما أن ييدهم إلى الحق ، أو يدهم والباطل

وعلى ذكر الضبع التي قل سيدنا علي أنه لا يكون مثلاً مخدوعاً نقول : ان العرب تضرب
بها المثل في الحق فتقول « أحق من الضبع » وزعموا أن صائد الضبع يدخل عالمها وجارها وهو
يقول : أطرق أم طريق ، خاسري أم عامر ، ويكرر ذلك عليها فلجأ إلى أقصى مفارها فتقبض
فيقول الصائد : أم عامر ابست في وجارها ، أم عامر نأمة ، ولا يزال يكرر ذلك على سبيل اللذم

صَهْرُهَا ذَا وَذَا أَذْنَى عُمُومَتِهَا قُرْبَى فَسَارَا بِهَا لِلْحَرْبِ تُلْفِيهَا
وَاللَّهِ لَوْ ظَفَرُوا يَوْمًا بِطَلَبَتِهِمُ وَالْمُسْتَحِيلُ لِأَذْنَى مِنْ تُلْفِيهَا
لَا مَسْخَكَمَتْ فِتْنَةً شَعْرَاهُ يَنْتَهَمُ فِي الْحَالِ نِزَانُهَا تَعْبِي مُطْلَبُهَا
فِيهَا الرُّبُورَانُ كُلُّ جِدِّ صَاحِبِهِ يَهْرِي بِضَرْبَةِ سَيْفٍ لَا يُشْنِيهَا
وَاللَّهِ إِنَّ آلِي سَارَتٍ عَلَى الْجَبَلِ الْمَشْشُومِ وَهُوَ بِهَا الْآرَاضُ يَطْوِيهَا
فَلَا تَحُلُ وَقَدْ سَارَتْ وَتَقَطُّعُ عَقْدَةً وَشَوَّطًا بِلَا إِسْخَاطٍ بَارِيهَا
حَتَّى تَرَاهَا بَيْنَ مَعَهَا لَقَدْ وَرَدَتْ مَوَارِدَ أَهْلِكَ تَهْوِي فِي مَهَاوِيهَا
وَصَحْبُهَا سَوْفَ يَنْقُي ثُلُثُهَا وَيَقْصُرُ ثُلُثُهَا وَبِرْجُو الْعَوَاقِبِهَا
وَهِيَ آلِي فِي تَجَرُّهَا لَتَنْجِيهَا كِلَابٌ حَوَّابٌ إِذْذَارًا وَتَلْبِيهَا
كَذَا الرُّبُورَانُ قَدْ جَاءَا بِطَلَبِهَا خَطِيئَةٌ لَيْسَ مِنْ غَفْرِ لِحَابِهَا
وَرُبُّ صَاحِبِ عِلْمٍ فِي جِهَاتِهِ قَضَى وَمَا عَلِمَهُ عَنْهُ مُجْلِيهَا
وَحَسْبُنَا اللَّهُ هَلْذِي فِتْنَةً سَعَتْ لَكِنْ أَنَا فِتْنَةٌ مَبْرُورَةٌ فِيهَا
فَأَيْنَ يَأْنَسُ جَمْعُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلُ الْأَخْسَابِ فَإِنِّي الْيَوْمَ دَاعِيهَا
مَالِي وَمَا أَتْرِيشُ كُنْتُ قَاتِلَهَا فِي الْأَمْسِ كَافِرَةٌ مَا كُنْتُ مُبْقِيهَا
وَالْيَوْمَ أَقْتُلُهَا عَدَا وَفَدْتُ قِتْنَتَ أَرْبَابٍ تَتَوَّبُ وَتَتَأْنَى عَنْ مَسَاوِيهَا
وَعِنْدَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ خَطِيئَتُنَا دُخُولُهَا يَنْسَنَا مَا إِنَّ مُمَحِّبَهَا

وهو ما يقال للأطفال حتى يناموا الي أن تطمئن فمد يديها ورجليها وتستقي ، فيسحق عليها ويوتقها وهو يقول لها : ابصري أم حاسر ، بشاء هنلي ، وحوادعطي ، يقول هذا وهو يشد عراقيها وهي صابرة صامدة ولو شامت لقتله .

وبعد أن أعاد سيدنا علي عليه صلوات الله عنه ، انخروج إلى البصرة صبي في الناس في المسجد النبوي وعلا المنبر فوضع عن سر رحلته فحمد الله وأثنى عليه وقال « أيها الناس » إن عاتشة سارت إلى البصرة ، ومعهما طلحة والزبير ، وكل منهما يرى الأمر له دون صاحبه ، أمّا طلحة فأن عمها ، وأمّا الزبير فخفيها ، وأنهم لو ظفروا بما أرادوا ، ولئ يأتوا ذلك أبداً ، ليقربن أحدهما عنقي صاحبه ، بعد تنازع شديد ، والله أن رابكة أجل الآخر ، ما قطع عقبة ، ولا تحن عقدة ، إلا في مصبة الله وسخطه ، حتى تورد فيها ومن معها موارد أهل مكة ، أي والله ، ليقتنن ثلثهم ، وليربن ثلثهم ، وليتوبن ثلثهم ، وإني التي تمجها كلاب أخوئ ، وأنهما يلمان أنهما عظمتان ، ورب عالم قتله جهله ومسه علمه لا يعمه ، وحسبنا الله ومهم أوكيل ، وقد قامت الأمة ،

لَأَبْقِرَنَّ وَأَيُّمُ اللَّهِ بِأَطْلَمًا حَتَّى الْحَقِيقَةُ مِنْ أَحْشَاءِ أُبْدِنَهَا
 قَتَلَ غَدَاً لِقَرِيشٍ فَلْيَضْحَكُ ضَحِكُهَا وَلَوْ تَنِي كَمَا تَقْوَى مُلَاقِبَهَا
 كَذَلِكَ جِيشُ الْوَصِيِّ الْمُرْتَضَى قَصَدَ السَّعْرَاقَ كَيْفَا مِنَ الْإِفْسَادِ يُنَجِّبُهَا
 قَدَّمَ النَّاسَ غَازِيِ الْكَافِرِينَ إِمَّا مُمُ الْمُسْلِمِينَ بِمَوْلِ اللَّهِ يُخْطِبُهَا
 وَحَوْلَهُ حَسَنَاءُ مَعَ مُحَمَّدٍ كَوَاكِبُ نُورِهِ الْوَهَّاجُ يُسْنِيهَا
 وَفِي الطَّرِيقِ تَلَقَّى عَنْ رَعِيَّتِهِ أَنْبَاءَ عَادِلِهَا الْتَأَقَّى وَبَاغِبِهَا
 وَعَنْ مَمَالِكِهِ أَنْبَاءَ خَاصِمِهَا إِلَى خِلَافَتِهِ الْكُبْرَى وَعَاصِمِهَا
 كَانَتْ بِهَا الرُّسُلُ تَأْتِيهِ مُتَابِعَةً فِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ بِالْيَمِينِ يَطْوِيهَا
 وَقَابَلَتْهُ وَفُودُ الْغُرَبِ طَالِيَةً مِنْهُ إِلَى حَيْثُ يَنْغِي أَنْ يُمَاشِيَهَا
 وَلَوْ يَشَاءُ سَاقَ مِنْهَا تَحْتَ أَمْرِهِ الصُّفُوفَ بِمَلَأَ بِهَا تِلْكَ الْأَتَاوِيهَا
 لَكِنْ أَبِي وَهُوَ خَاشٍ مِنْ تَنَافُرِهَا أَنْ يَسْتَعِينَ بِيَادِهَا وَقَارِنَهَا
 فَكَانَ يُرْجِعُهَا عَنْهُ وَيُسْنِي عَلَى إِطَاعَةِ لَوْلِيِ الْأَمْرِ تُسْنِيهَا
 وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ كَانَتْ كَيْفَايَتُهُ وَكَانَ فِي نَفْسِهِ الْكُبْرَى يُوَازِيهَا
 وَهَلْ أَبُوحَسَنٍ فِي الْحَرْبِ يَنْتَظِرُ إِلَّا مَصْحَابَ فِي النَّصْرِ إِنْ ثَارَتْ لَوَاطِبُهَا
 وَهَلْ إِذَا اسْتَبَكَّتْ فِيهَا الرِّجَالُ وَحَقَّ الْقَتْلُ وَالضَّرْبُ إِلَّا هُجِّلَتْهَا
 وَلَمْ يَزَلْ ضَارِبًا فِي السِّبْدِ يَقْطَعُهَا وَخَيْلُهُ يَمْلَأُ الْأَفَاقَ مَهْبِيَهَا

فها الفئة الباقية - أين المحبسون ؟ ، أين المؤمنون ؟ ، مالي ولقريش ، أما والله لقد قتلتم
 كافرين ، ولأنتلهم مغنويين ، ومالنا إلى طائفة من ذب إلا أننا قد أدخلناها في حيزنا ، والله
 لأبقرن الباطل حتى يظهر الحق من خاتمته ، قتل لقريش : فلتضح ضحيجا « اه قتل الناس
 وكبروا خطابه وهم متحذرون للمير نحت رأته المنصورة

وكان خروج المرتضى عليه صلوات الله إلى البصرة في آخر شهر ربيع الآخر سنة ٣٦
 للهجرة خرج ومعه أولاده الحسن والحسين ومحمد (ابن الحقيق) ومن والاه من المهاجرين والانصار
 وأتباع المسلمين وبلغ عدد ركبهم نحو التسعمائة
 وكانت وفود العرب تمد عليه مقدمة الطاعة وطلب الانضمام اليه والسير معه فيجد لها طاعنها
 واخلاصها ويبيدها ادراجها وذلك لأنه عليه صلوات الله لم يكن خراجاً للزور والفتح ولكن لتأديب
 طائفة من المسلمين عصت عليه ورددتها إلى الطاعة فرأى بطرده البعيد ورأيه السيد انه لو صحب

خَلَّاهَا إِلَى الرَّبْدَةِ أَرْكَبَ أَنْتَهَتْ فَشَوَتْ فِي ظِلِّ حَيْدَرَةِ الْغَازِي ضَوَّاحِيهَا
وَلَمْ تَكُ الْبَصْرَةُ أَتَقْنَا لَتَبَدُّ عَنْهَا غَيْرَ بَضْعَةٍ أَمْيَالٍ لِمَا شِئْنَا

مرد الكوفيين لامير المؤمنين

لَمَّا اسْتَقَرَّ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ بِرَبْدَةِ وَأَنْصَارُهُ قَدْ خَبِثَتْ فِيهَا (١)
رَأَى بَدَأَةَ ذِي بَدْءٍ مُخَاطَبَةً أَلَا مِ صَحَابٍ فِي الْكُوفَةِ الزَّهْرَا بِنَادِيهَا
أَوْفَى لَهَا رُسُلُهُ كَيْمَا تُخَيِّرُهَا عَنْ حُسْنِ رَغْبَتِهِ حَتَّى تُمْلِكَ لَهَا
كَذَلِكَ أَوْفَى بِلَا يَطُءُ أَوَامِرُهُ أَوْلى ابْنِ قَيْسٍ ابْنِ مُوسَى لِيُضَيِّعَهَا

المرآن في خروجه لما أسست حال الحطب ولتتمر عليه حفظ النظام بين أصحابه وعدم الاختلاف
في المهمة التي هو خارج إليها وهي إعادة السلام إلى المسلمين واستئصال الفتنة وتأديب مثيريها
وكان عليه صلوات الله يتلقى في طريقه أبناء الممالك الإسلامية أصحابها وطائفتها حتى إذا ما بلغ
الربذة علم بأن أصحاب الجمل دخلوا البصرة محاربين يمدان قتلهم البصريون فقام في الربذة أياماً
موجهاً بصره نحو الكوفة لئله أن أهلها من أخلص الخطمين لحلافة

(١) عند ما نزل سيدنا علي عليه صلوات في الربذة وبلغه ما فعل أصحاب الجمل في البصرة من
اعتدائهم على الناس ودخولهم البلد محاربين رأى بداءة ذي بدء أن يستقر إلى أهل الكوفة وهم
مخلصون له مطيعون خلافه مبايعون له فكث اليهم الكسب الثاني « من عبد الله عن أمير المؤمنين
إلى أهل الكوفة » حمة الانصار ، وسنم العرب ، أما بدء في آخره عن أمرائنا حتى يكون
سمعه كياناً ، أن الناس طعنوا عليه ، فكنت رجلاً من المؤمنين أكثر استنابه ، وأقل عتابه ،
وكان طلحة والزبير أهون سبهما فيه الوجيف ، وأرفق حدابه الغنيف ، وكان من عائشة فيه قلقة
عتب ، أتبع له قوم خلوة ، وبني الناس غير مكرهين ولا محبرين . بل ضامعين بخبرين ، واعلموا أن دار
الهمجرة قلت بأهلها وقدرها ، وجاءت جيش المرجل ، وقامت الفتنة على القطن فغسي بكم أخواناً ،
وللذين انصاراً ، « قروا حنة وأتمالوا » ، وحاهدوا بأموالكم وانكمسكم سبيل الله لئلا يسلمكم فليقول « اه
وكتب عليه صلوات الله أني موسى الأشعري » وكان قد تولى إمارة الكوفة في آخر أيام عثمان
بطلب الكوفيين وإيرته سيدنا علي على أمرتها اتوا الاشترا له لن الناس فيها تريد « الكتاب
الباري » من عبد الله عن أمير المؤمنين ، إلى عبد الله بن قيس ، أما « قد قدشت إليك هاتم
ابن عتبة ، لتشخص أبى من قبلك من السامية ، ليوجهوا إلى قوم نكثوا بي . وقتلوا شيعتي ،
واحدتوا في الإسلام هذا الحدث العظيم ، فشخص بالناس إلى معي حين يقبض عليك ، فملي أولئك
المصر الذي أنت فيه ، ولم أفرك عليه ، إلا لكون من أعوانني على الحق » واصصاري على هذا
الامر والسلام اه

تقول أرسل سيدنا علي عليه صلوات الله هذين الكتابين إلى أبي موسى الأشعري وأهل
الكوفة مع هاتم بن عتبة بن أبي وقص وهو لا يشك أن أبا موسى سيهبط إلى تلبية بالطبعة
الواجبة له عليه صلوات الله كخليفة الساميين وكرتب المصطفى وابن عمه وصهره أما أبو موسى فلم

وَكَانَ مِنْ عَهْدِ عُثْمَانَ أَوَّاحٍ كَمَا أَبُو حَسَنِ أَبَقَاهُ وَالْبَيْتُ
وَالْأَشْعَرِيُّ لَقَدْ لَاقَى بِأَخْسَنِ مَا يُلْقَى الْوَامِرَ نَادَى لَسْتُ مُجْرِمًا
وَقَالَ: نَيْعَةُ عُثْمَانَ لَنِي عُنُقِي السَّعِيَّ مَا بَالُهُ قَدْ رَاجَ نَاسِبُهَا

يكن عند ظن سيدنا علي فحسب الكتاب الذي كتبه للكوفيين واخشن الجواب لهائم قائلاً : اذا كان يريد علي الصالح فانا معه واذا كان يريد الحرب فانا مخالفه وان نعيمه عثمان هي في حق علي وعنتي فلتبداً أولاً بقتل عثمان ثم ننظر في غير ما ذ الحصة عليه تهدد بالسجن والقتل وهكذا أظهر أبو موسى ابتذاده عن نصرة الامام ورغبته بمشاكته فكتب هائم الى سيدنا أمير المؤمنين يقول « اني قدمت بكنايك على امرء مشاك » بيد الرد ، ظاهر الغل والشناز ، فتهددني بالسجن ، وخوفي بالذل ، فلما انتهى جواب هائم الى سيدنا علي لام الاشترا الذي كان قد اشار عليه بالابقاء على أبي موسى أميراً للكوفة وبث الى الكوفة ابنه الحسن عليه السلام ومعه عمار بن ياسر وزيد بن صوحان وقيس بن سعد بن عباد وامرهم ان يزلوا ابا موسى عن اماره الكوفة وصحبهم الى الكوفيين بالكتاب التالي « من عبد الله علي أمير المؤمنين ، الى من بالكوفة من المسلمين ، اما بعد فاني خرجت عرجي هذا ، اما ظالماً واما مظلوماً ، واما باعياً واما مبيعاً علي ، فامثله الله رجلاً بلغة كتابي هذا الا نقر الي » فان كنت مظلوماً اعاني ، وان كنت ظالماً استعيني ، والسلام » اه

ولما بلغ سيدنا الحسن عليه السلام باصحابه الكوفة دعوا الناس الى المسجد فحضروا وفيهم ابو موسى الاشعري اميرهم فلما المنبر سيدنا الحسن خطيباً لحمد الله واثني عليه وقال : « ايها الناس انا جئناكم ندعوكم الى الله ، والى كتابه وسنة رسوله ، والى افقه من تفقه من المسلمين ، واعدل من عدلون ، وافضل من فضلون ، واوى من تبايعون ، من لم يمه القرآن ، ولم يجهل السنة ، ولم تقم به السابقة ، الى من قربه الله ورسوله قرابتين ، قرابة الدين ، وقرابة الرحم ، الى من سبق الناس الى كل مائة ، الى من اعان الله به رسوله والناس متحاذلون ، ففقر منه ودم متباعدون ، وصلى معه وهم مشركون ، وقتل معه وهم منزهون ، وبارز معه وهم محجرون ، وصدقه وهم يكذبون ، الى من لم ترد له ولا تكافأ له سابقة ، وهو يسالكم النصر ، ويدعوكم الى الحق ، وباسركم بالسير اليه لتولذروه وتزهروه على قوم نكنوا راية نيته ، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ، ومثلوا بماله ، واستبوا بيت ماله ، فاختصوا اليه رحكم الله ، قروا بالمرور ، وانها عن المسكر ، واحضروا بما يحضر به الصالحون » وبعد هذا الخطاب ملا عليهم كتاب سيدنا علي عليه صلوات الله فكان للكتاب والخطاب تأثيرهما في قوس الناس مما لم يخف على ابي موسى فلما المنبر خطيباً قاتل « الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ، فحسنا بعد الفرة ، وحسنا اخواناً متحابين بعد العداوة ، وحرماً علينا مماناً وأموالنا ، قال الله سبحانه : (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) وقال تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً جزاؤه جهنم خالداً فيها) فمقوا الله عباد الله ، وضوا ألسنتكم ، وكفوا عن قال اخوانكم ، أما بعد يا أهل الكوفة ، ان تطيعوا الله بادئاً ونظيومي ثانياً ، تكونوا حرثاً من جرائم العرب ، بأولي اليكم المضطر ، وبأمن فيكم الخلف ، ان علياً اما يستغفركم لحاد أمكم طائفة وطلحة والزبير حولي رسول الله ومن معهم من المسلمين ، وأنا أعلم بهذه الفتن ، انها اذا أقبلت شتت ، واذا أدبرت أسفرت ، اني أخاف عليكم أن يلقي غاران منكم فيقتلا ، ثم يتركوا كالحلحلى الملقاة بنجوة من الارض ، ثم يبقى حرحة من الناس ، لا بأسرون بمحروف ،

وَأَنْفِي لَسْتُ مَطْوَعًا لِرَغْبَتِهِ
لَكِنْ إِذَا كَانَ يَنْفِي الصَّلَحَ يَنْشُدُهُ
كَذَلِكَ رَدَّ سَعَاءَ الْمُرْتَضَى بِخَشْوِ
فَأَوْفَدَ الْمُرْتَضَى مِنْ بَعْدِهَا حَسَنًا
فَسَارَ وَاسْتَنْفَرَ الْأَصْحَابَ مُتَعِدًّا
وَأَجْلَبَ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَاوَةِ وَآلِ
وَعَنْ إِمَارَتِهَا نَحَى الْأَمِيرَ أَبَا
وَكَانَ سُكَّانُهَا أَنْصَارَ بَيْتَةِ مُوْسَى
سَارَتْ جُمُوعًا تُنَادِي بِأَسْمِ حَيْدَرِهِ
وَلَا يَبُورُ عَنْ مَنَكِرٍ ، أَمَا قَدْ جَانَبَكُمْ ذَمُّ كَافِرَةٍ لَا يَدْرِي مِنْ أَيْنَ تَوَقَّى ، تَتْرَكَ الْحَلِيمَ حَيْرَانًا ،
كَأَنِّي أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ يَذْكُرُ أَفْئِدَتِي يَقُولُ : أَنْتَ فِيهَا نَافِمًا خَيْرٌ مِنْكَ قَاعِدًا ، وَأَنْتَ فِيهَا جَالِسًا
خَيْرٌ مِنْكَ قَائِمًا ، وَأَنْتَ فِيهَا قَائِمًا خَيْرٌ مِنْكَ سَاعِيًا ، فَطَلَّوْا سِيُوفَكُمْ ، وَفَقَّسُوا رِمَاحَكُمْ ، وَانْصَلُّوْا
سِهَامَكُمْ ، وَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ ، وَخَلُّوْا قَرِيضًا تَرْتَقِي فَتَقْتَحَا ، وَتَرَأْبَ صَدْعِهَا ، فَإِنْ فُتِكَ فَلَا تَقْهَبْهَا
مَا فُتِكَ ، وَإِنْ أَنْتَ فِي أَنْفُسِهَا مَا جُنْتُ ، سَهَا فِي أَدْبِهَا ، اسْتَصْحَوْنِي وَلَا تَسْتَشْهَرُونِي ، وَأُضِيعُونِي
وَلَا تَصُونِي ، يَتَّبِعُ الْكِبَرُ رَيْدَكُمْ ، وَتَعْمَلُ هَذِهِ الْفِتْنَةُ مِنْ حِمَاها اهـ

قال الراوي كان ابو موسى يخطب في الناس وهم ينظرون اليه شزراً وولاء الذي رأوه من
وصاة وسعة صدر سيدنا الحسن وعمار بن ياسر فزقوه لرب لا لهم لا يكونوا يوماً راضين عن عمار
عثمان وقد عرفت كيف اكرهوه على نزل عامله عليهم سيد بن العاص كما رأيت نوارهم في المدينة
يشتركون بالنزوة ضد عثمان مع المصريين والبصريين . وما كاد ينهي من خطابه حتى ابتدره سيدنا
الحسن بأدابه العالية الخليفة بمن يكون جده المصطفى والماء المرتقى واهم ذممة الزهراء عليهم الصلاة
والسلام وقال لابي موسى « علام ياعم تنزع الناس عن فرائدهم لا لا يزيد الا الاصلاح وما من أمير
المؤمنين يخاف منه على شيء » قل أبو موسى صدقت في رأيي ولكن استشارهم ونعم والي أوردت ما سمعته
عن المصطفى عليه الصلاة والسلام عن العترة . فضبط عمار وقال ايها الناس ان قال رسول الله ذلك
لا في موسى خاصة . دعترسه رجل من نعم وتقده اس فانتصروا لدمر وطلق أبو موسى بكف
الناس عن الفتنة وبينما هم كذلك اذا رسول يحمل كتابين من عترة احداهما لابي موسى خاصة
والثاني لاهل الكوفة فترأها على الناس فدا بها تطلب من الكوفيين وأميرهم ان يقدموا عن
نصرة علي اذا امر عوا بالهوى والمطالبة به عثمان قتال يزيد بن موحى وكان من أصحاب علي رضي الله عنه
ايها الناس الى هذه المرأة أمرت أن تقر في بيتها واسرها نحن أن قتال حتى لا تكون فتنة فسرنا بما
أمرت به وركبت ما أمرنا به . وعقرضه رجل يدعي شيث بن رستم قتلاً : وما أت وذلك ايها
العالماني الا نحن نعرف أمس لخلوة فتمت له ونسب له المؤمنين فزعمه المقطوعة الى

وَقَبْلَمَا وَصَلَتْ أَنْبَا الْوَحْيِيُّ بِمَا تَعُدُّ كَانَتْ كَمَا أَنْبَا لِخُصْمَيْهَا
 وَقَابَلَتْهُ بِذِي قَارٍ وَكَانَ مَصِيَّ بِصَحْبِهِ نَحْوَهَا أَتَوْا صِيَابَهَا
 فَاسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ بِالْأَرْحَابِ حَيْدَرُهُ وَرَاحَ يَطْرِي وَقَدْ لَبَّتْ تَدَاعِيَهَا
 قَالُ: أَهْلًا بِكُمْ أَبْنَاءَ كُوفَةٍ فِينَكُمْ نَصْرَةُ الَّذِينَ أُنِي أَصَ يَغِيْبَهَا
 قَاتَلْتُمْ قَوْمَ كِسْرَى وَأَنْتَصَرْتُمْ فِي قَاتِلِهَا وَغَنِمْتُمْ مَا بِيَدَيْهَا
 مَنَعْتُمْ بِأَسْمِ رَبِّ الْأَرْشِ حَوَزَتَكُمْ أَعْتَمَتْ النَّاسَ فِي مَلَقَى أَعَادِيهَا
 وَقَدْ دَعَوْتَكُمْ دَعْوَى لِاشْهَدْكُمْ مَعَنَا الْأَمَلَى الْبَصْرَةُ الْفَنَاءُ نَاوِيَهَا
 فَلَمَّا رَأَيْتُمْ مِنْهَا الْإِنْصِيَاعَ قَدْ تَلَّاهُ بِقِيَّتِنَا الْكِبْرَى نَرْجِيَهَا
 وَإِنْ تَلَّجَ قِيَا لِحُسْنِي تَمَالِجُ أَمْ رَاضَا شَكَتْ وَبَكَتْ مِنْهَا لُشْنِيهَا
 وَإِنْ هِيَ ابْتَدَأَتْ بِالظُّلْمِ نَذْفَعُهَا بِمِثْلِهِ وَإِذَا أَرْغَتْ نُرَاشِيَهَا
 وَلَسْتُ أَتْرُكُ مَا فِيهِ الصَّلَاحَ وَلَا أَرْضَى الْمَغَايِدَ مَا رَاحُوا مُعِيْشِيَهَا

إني موسى وقال : آرد امرات عن أواجه دع عك مالت تدمركه تمقرأ قوله تعالى (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آسا) ثم ألمأ وجهه إلى الناس وقال : سبوا إلى أمير المؤمنين وصرأ سید المرسلین وانفروا أجمید . ولا زیدأ سیدنا الحسن علیه السلام فصاح : ایها الناس ، ایسوا دعوة لمامکم ، وسبوا إلى اخوانکم ، فاه سیوح لهذا الامر من ینفر الیه ، والله لبب الیه أولو النهی ، أمش فی الآجلة ، وخیر فی العاقبة ، فحببوا دعوتنا ، وأعینونا علی أمرنا ، احلمکم الله « وما کاد سیدنا الحسن ینتهی من دعوته حتی نرضی عبد خیر فقال : یا أبا موسى اخبرنی عن هذين الرجلین (ورید طلحة والریر) ألم یامانا علیاً ؟ قل : لی قل : أفاحدث علی حدأ یجل به نقض ینته ؟ هل أبو موسى لا أدري . هل : لا دریت ولا آتیت اذاکنت لا تنری فجن تارکوک حتی تدری . ثم مال إلى الناس وقال : هلوا إلى امیر المؤمنین فهناک الناس یطلبون نصرة الحق علی الباطل وهکذا کان الاجماع صدأني موسى فنزل عن المنبر وخف إلى بیته یخدولأ

وأرسل سیدنا الحسن رسولا إلى سیدنا علی علی المصطفى وعلیها الصلاة والسلام بیته ما کان من أبي موسى قنادی الاشترا وكان صحبته وقال له : آتت شفعت فی أبي موسى ان اقره علی الکوفة وذهب فاصبح ما أفسدت فارع الاشترا إلى الکوفة ووصلها بإسرع ما یمكن وجبل عمر بالناس ویقول اتبعونی إلى القصر فیتموا حتی ادلما انهی إلى نصر الامارة دخل علی أبي موسى وقال له : اخرج من نصر لا ام لك اخرج الله مسک فوالله انک لمن المنافقین قدیماً . فاصفر وجه أبي موسى وسأله أن یجعله عشية ذک الیوم فامله علی أن لا یبیت بعدها فی قصر الامارة . وحاول الکوفیون ان یقتحموا القصر وبقنوا ما فیهم من متاع أبي موسى فقبهم وقال انی قد أخرجه وعزله عنک وهذا حبنا وحسبکم فکف الناس عنه

بِأَبِي حَسَنٍ عَنْ كُنْزِ رَحْلَتِهِ أَمَّا كُلُّ لُثَامٍ قَدْ يُفْسِدُهَا
إِذَا بِهِ لَا يُرِيدُ إِلَّا عِتْدَاءَ عَلَى الْأَعَاصِينِ لَكِنَّهُ وَافَى مُؤَدِّيَهَا

مقالة أمير المؤمنين عليه السلام والزبير

وَجَدْتُ الصَّلَاحَ فِي الصَّلَحِ تُشَدُّهُ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ تَنْجُ مَسَاعِيَهَا (١)
كَانَتْ تَرَى عِنْدَ مَوْلَانَا أَبِي حَسَنٍ سَمَاحَةً وَلَدَى أَعْدَائِهِ تَبْهَامًا
حَتَّى إِذَا يَلِيتُ مِنْ مَنَعِ أُمَّةٍ طَسَسَهُ مِنْ مَوَاقِدِ شَرٍّ كَانَ آتِيهَا
لَاذَاتٍ بِحِدْرَةٍ حَامِي الْحَيِّ قِتَّةً مِنْهَا وَأُخْرَى تَوَلَّتْ فِي بَوَارِيهَا
وَأُسْرَعَتْ لِلْوُغَى جَنْدَ الْخِلَافَةِ قَبْلَ الْبَصَرَةِ الْمُبْتَلِي بِالْشَّرِّ ثَاوِيهَا
وَحَيَّتْ بِإِذَا الْمُعْتَدِينَ إِرَامَ ذَا الْكَيْدِ قَهْرًا وَأَثَوْتَ فِي ضَوَائِحِهَا
وَأَشْفَقَ الْمُرْتَضَى أَنْ يُهْرَقَ دِمَا الْمُسْلِمِينَ بِلا عِذْرِ وَبُغْيَانِهَا
فَرَأَسَلِ النَّاسَ يَدْعُوهَا لِحَاظِهِ بِأَسْمِ الْكِتَابِ وَبِالْتَفَتِ بِمُسَيِّمِهَا
فَمَا أَرَعَتْ وَعَلَى الشَّرِّ الَّذِي رَغِبَتْ فِيهِ أَصْرَتْ وَظَلَّتْ فِي تَرْغِيهَا
وَلَا تَعْبَلُهَا بِالْحَرْبِ حَيْدَرُهُ بِحُلُمِهِ بَلْ أَنَّى يَبْغِي تَلَاغِيهَا
وَبَادَرَ الْقَوْمَ فَرْدًا أَغْرَا وَصَحَا بِهِ فِعْلُهُ تَبْدِي تَحْزِينِهَا

وفي اليوم التالي أعلن الاشتار دعوة الجهاد تحت راية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه
صلوات الله عليهم فإمرهم سيدنا الحسن وعمار بن ياسر إلى « ذي قار » حيث كان يتوي جيش
سيدنا علي وكان عليه صلوات الله أيا أصحابه قائلا : سيأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل
فكان كما قال لهم ولم يعد الكوفيين الذين اجمدوا الحقيقة هذا العدد بزيادة كما كان محصينهم وما
هذه هي المرة الأولى التي أيا سيدنا علي عليه صلوات الله بها سيكون وصديق

(١) لم يكن سيدنا علي عليه صلوات في خروجه إلى البصرة يريد البغداد ولا البغداد ولكن
الادب وإعادة النظام ولذلك كان يتأخر كثيرا في قتال أصحاب البغداد ويتأخر في قتالهم
من غير أن يبالغ في تحكيم السيف وكان كثير من رواده المطلب والملاء على مثل هذه الصلوة
وجهدوا في صرف المشكلة بأقناع عائنة بالعودة إلى حفره وترك السياسة وأخرب الرجال واتدع
ضلعه والزبير بالرجوع عما أقدم عليه ولا سيما أن بيعة سيدنا علي في عتيقه قهر ففجروا ومن هؤلاء
من أقبلوا بشتاتهم على سيدنا علي بهروهم ومنهم من ضربوا في القلوات الشائعة ابتداء عن قننة
شجرت بين المسلمين وما استحلوها

وإذا أحببت الخيل سيدنا علي عليه صلوات الله وبها في فرق من المصنوع منزع من مصداقه

وَكَانَ يَسْتَعِي بِهٖ رَكْضًا مُّطَهَّرًا يَطْلُبُهُ تَحْمُكُ الدُّنْيَا مُوَحِّبَهَا
 حَتَّى إِذَا مَا دَنَا مِنْ مَبْرَكِ الْجَمَلِ الَّذِي أَعْدَاةُ حَوَالِهِ تَحْبِيبَهَا
 نَادَى الزَّرِيرُ وَنَادَى طَلْحَةُ عَلَنًا أَنْ أَقْبِلَا حَسْبُ أَهْلِ الدِّينِ نَفْوَاهَا
 فَأَقْبِلَا وَلِكُلِّ مِنْهُمَا طَمَعٌ أَعْنَى بَصِيرَتُهُ عَمَّا يُدَانِيهَا
 وَقَدْ تَدَرَّعَ وَأَشْنَكَ السِّلَاحَ وَوَا مَ فَاهُ بِشِدَّتِهِ مَا كَانَ مُكْبِهَا
 مَا سَلَّمَا عِنْدَ مَا مِنْ جَاهِهِ ذَنُوهَا وَلَا عُيُوهُمَا هَابَتْ مُلَاقِيهَا
 أَمَّا الْأَمَامُ فَعِنَ الْعَسْبِ أَرْسَلَ مِنْهَا نَظْرَهُ ذُو الْحَجَى يَذَرِي مَعَانِيهَا
 وَقَالَ : أَعَدَدْتُمَا لِلْغَرْبِ عِدَّتَهَا يَاصَاحِبَيَّ عَلَى بَادِي مَسَاوِينَهَا
 قَهْلَ لِرَبِّكُمَا أَعَدَدْتُمَا حُجْبًا لِعَضْبَةٍ سَقَمَتَاهَا قَبْلَ تَبَرُّبِنَهَا
 أَمَّا الشَّرِيفَةُ أَخْتُ بَيْنِ أُمْتِنَا أَمَّا حَرِيٌّ بِنَا نَزَعِي تَاخِيهَا
 أَمَّا خَلِيقُ بِنَا تَحْرِيمُ سَفَكِ دِمَا « الْمُسْلِمِينَ وَتَكْفِيهِمْ مُرْقِيهَا
 بِاللَّهِ هَلْ حَدَّثَ مِنِّي أَحَدٌ دَمِي أَمِ الْمُحَارِمُ قَدْ بَشِمَ مُجْلِيهَا
 فَقَالَ طَلْحَةُ : أَتَيْتَ الْفُصَاةَ عَلَى عُثْمَانَ لَوْلَاكَ لَمْ يَقُمْ تَعَصُّبُهَا
 وَتَارُهُ مِنْكَ نَحْنُ الْيَوْمَ نَطْلُبُهُ مَا دِمْتَ تَأْوِي أَعَادِيهِ وَتَحْبِيبَهَا
 قَهْقَرَهُ الْمُرْتَضَى سُخْرًا بِقَوْلِهِ وَقَالَ : شَوَّهَتْ صَاحَ الْحَقِّ تَشْوِيبَهَا
 هَلْ أَنْتَ يَاطْلُحُ قَدْ وَافَيْتَ تَطْلُبُنَا رَاتِ ابْنِ عَفَّانَ تَسْتَفْئِي مُدِينِيهَا

من ذي قار يريد البصرة وعل أصحاب الجمل مقدمه فخرجوا الى لقائه وعسكروا حيال البصرة ولم يبق الا أن يشتبك الحشنان ويحكم السيف في هذا الخلاف

وأراد سيدنا علي عليه صلوات الله بدافع حميته الدينية وغيرته الاسلامية ان يري آخر سهم في كسانه في سبيل الصلح فرك حواده وهو اعزل من السلاح وانطلق نحو معسكر اصحاب الجمل اما اصحابه فدهشوا لمسيره نحو أعدائه على هذه الحال وهم يملكون ان اقصى ما يمنوه قتله وحاولوا ان يرجعوه عن رغبته لما استطاعوا لذلك سبيلا . اما اصحاب الجمل فعندما رأوا عليا مقبلا عليهم تسميروه وفرقوا لمقدمه وهم لا يجهلون مبلغ شجاعة أبي الحسين عليه صلوات الله حتى اذا ما دنا منهم وصار صوته مسموعا من معسكرهم نادى الزبير وطلحة أن يقبلا اليه فما امتنعا عن تليته وإداراه وهما مدججان بالسلاح على حواديمهما حتى اذا ما دنوا منه صاح بهم قائلا لقد اعددتما للحرب عندهما ولكن هن اعددتما لها عدرا امتنونا به عند الله ؟ وهل أتيت ذنبا أو أحدث حدثا أحل دمي ؟ أما قل

فَلَمَّا أَتَى اللَّهَ تَقَى قَاتِلِيهِ وَأَخْشَى أَنْ يَنَالَكَ قِسْطٌ مِنْ غَوَاشِيهَا
يَاطْلُحُ قَدْ جِئْتَنَا مَكْرًا بِرِسْرَسُو لَ اللَّهِ عِدَّةَ حَرْبٍ رُحْتَ شَاكِهَا
وَجَزْتَ عَرْسَكَ فِي ضَافِي مَنَازِلِهَا أَمِينَةٌ تَنْهَى فِي تَقْلِيهَا
يَاطْلُحُ قُلْ لِي أَمَا بَايَعْتَنِي قَتْلِي مَ تَنَكُّ الْبَيْعَةَ الْمَحْمُودُ مُقْطِعُهَا
فَقَالَ طَلْحَةُ لَا خَاشَ وَلَا خَجَلُ مَقَالَةٌ قَدْ أَسَا مُسْتَعْلِرًا فِيهَا
بَايَعْتُكَ الْإِيمَانَ وَالْأَسْيَافُ شُهُرَةٌ كَافُوقَ رَأْسِي مِنْ أَيْدِي مُبِيعِيهَا
وَإِذْ رَأَى الْمُتَرَفَّى أَنْ النَّصِيحَةَ مَغْفُهُ غَيْرَ مُجِدِّيَةٍ فَقَامَ لِسَدِيهَا
أَمَالَ الْأَحَاطُ عَنْهُ وَسَدَّهَا إِلَى الزَّيْبِ فَلَمْ تُخْطِ مَرَامِيهَا
وَقَالَ: إِنَّ مَرَدَّ النَّاسِ أَجْمَعِهَا إِلَى الْإِلَهِ الَّذِي يَذَرِي خَوَافِيهَا
وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى أَمْرَهَا نَصَفًا عَلَى صَانِعِيهَا أَلَسْتُ يُكَافِيهَا
وَسَوْفَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مُسْعِدُهَا إِنْ أَحْسَنْتَ وَإِذَا أَخْطَتْ فَمُثْقِلُهَا
وَقَدْ دَعَوْتُكَ هَذَا الْيَوْمَ أَذْكَرُكَ الْفَاضِي فَقَدْ تَحَسَّنَ الَّذِي كَرَى لِنَاسِيهَا
مَقَالَةُ الْمُصْطَفَى إِذْ قَالَهَا لِكُلِّبِنَا هَلْ لَيْسَتْ تَنْظِيرِي صَاحٍ وَاعِيهَا
فَقَالَ: كَلَّا قَتَلَهَا عَلٌّ أَذْكَرُهَا قَالَ أَلَعَلِّي: أَصِيخُ سَمْعًا لِأَرْوِيهَا
فِي ذَاتِ يَوْمٍ لَقَدْ أَلْفَاكَ مَعْنِي عَنَاقُ ذِي مِقَةٍ يَهْوَى تَبْقِيهَا
فَقَالَ: هَلْ أَنْتَ يَهْوَى صَاحِبِي وَأَخِي وَهَلْ حَقُوقٌ وَلَاهٌ أَنْتَ مُؤَفِّيهَا

الله في كتابه العزيز « انما المؤمنون اخوة » فلاما سمعوا هذه الفتنة في قتل طلحة بلا خشية ولا وجل اتناجشنا فطالبك بدم عثمان فطرا اليه سيدا علي بن أبي طالب سيد الناس طالب هل انت يا طلحة تخالب بدم عثمان وهو لا يمدوك قال بل دم عثمان في عنقك مادمت تحمي قتلته فقال والملك انبت بدم رسول الله عدة حرب وترك عرسك في بيتها ؟ اما بايعتي يا طلحة عدا ؟ فقال طلحة قد كان ذلك واليوسف مشهورة على عنقي . فعرف سيدا علي من حديث طلحة انه لا يرعوي عن غية فتركه وارسل نفارة صادقة الى الزبير وقال : انما دعوتك لا ذكرك حديث قل لي ولك رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك ناسيه . قال قل لعلني اذكره . قال عني اذكر يوم آراك رسول الله معتنق قتلته انجبه ؟ قلت و. لي لا اذكره وهو اخي وابن خالي ؟ فقال اما انك ستحاربه وانت ضال به . فاطرق الزبير هنيهة كن يفكر ثم جثا واسترحم وقال : اذكرني يا ابا الحسن ما لسانه الدهر وقد نعمت على مصلحت فوالله لا احارب قومه . انت تحميم قال هذا الزبير وفي عثمان حواده رجلا الى مسكر اصحاب اهل وهو . دم . دم . و . طاعة وهو

قُلْتُ: مَا لِي لَا أَهْوَاهُ وَهوَ أَخِي هُوَ أَيْنُ خَالِي قُرْبَاهُ أَهَاوِيهَا
 نَادَى: فَإِنَّكَ قَالِيهِ وَظَالِمُهُ غَدًا وَمَا زَادَ عَمَّا قَالَ تَنْبِيهَا
 وَمَا أَنْتَهَى الْمُرْتَضَى مِنْ سَرْدِ قِصَصِهِ عَلَى الزَّيْرِ الَّذِي قَدْ كَانَ صَاحِبَهَا
 حَتَّى أَرْغَوَى مُرْجِيًّا يُؤْذِي أَصَابَهُ مِنَ الدَّامَةِ تَغْضِيضًا وَيُذْمِهَا
 يَقُولُ: أَذْكَرْتَنِي مَا الدَّهْرُ صَرَفَهُ عَنْ فِكْرَتِي يَا وَصِيَّ الْمُصْطَفَى أَوْنَهَا
 قَدْ أَرْغَوَيْتُ فَوَاللَّهِ الْعَظِيمِ يَمِينًا لَا أَحَارِبُ قَوْمًا أَنْتَ حَامِيهَا
 وَعَادَ أَذْرَاجَهُ يُغْنِي جَمَاعَتَهُ لِكَيْ يَتَوَكَّبَ الْحَصَنَاءُ يُنْسِيهَا
 وَعَوْدُهُ نَحْوَهَا بِالْيَأْسِ حَبْرَهَا فَلَا تَسْلُ كَيْفَ لَاقَى مُسْتَحْبِرَهَا
 وَطَلْحَةُ عَادَ مَعَهُ وَهُوَ مُنْتَعِضٌ مِنْهُ زِنَادُ الْوَعَى لِلنَّاسِ يُورِنَهَا
 وَالْمُرْتَضَى عَادَ مَسْرُورًا أَفْوَادًا إِلَى أَصْحَابِهِ طَالِبًا هَارِي مَثَاوِيهَا

صرح موقف الزبير

قَدْ هَالَ عَائِشَةُ عَوْدُ الزَّيْبِرِ عَنِ الْقِتَالِ وَكَتَبَتْ مِنْهُ حَوَاشِيهَا (١)

بحرق الارم على سيدنا علي بعد الذي رأى من ندم صاحبه الزبير . ولما وصلا الى مكر الجبل
 لقيهما زعماء القوم يستخبران منهما خبر علي فقال طلحة انه فتن صاحبكم وقال الزبير على البداية
 نادى علي بأسماء استأذنه وكان همرو أهلك الخير مذ حين
 فقلت حبك من عدل أباحسن بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني
 ترك الامور التي تخشى منيها والله أمثل في الدنيا وفي الدين
 فاخترت ما أوعى ناراً وموجعاً أني يقوم لها خلق من الطين

وسفرت وجوه القوم وعلما ان الزبير قد ندم على ما فعل ولم يد على رأيهم في محاربة سيدنا
 أمير المؤمنين وأخذوا يضربون أحاساً لاسداس لتلافي هذا الخطر الذي فوجئوا به
 أما سيدنا علي عليه صلوات الله فقد عاد الى أصحابه وهو مسرور منشرح الصدر فقالوا له
 يا أمير المؤمنين نزل الى طلحة والزبير حاسراً وما شاكاً السلاح وأنت تعرف مبلغ حقدكما عليك ؟
 فبسم عليه صلوات الله وقل : « انما ليسا بقاتلي » انما نحن رجل خامل الذكر ، مثيل النسب ،
 عيلة ، في غير محارب ، ولا معركة رجل ، ويل أمه الله أشقى البشر ، ليدون أن أمه هلت به ،
 أما انه وأجر محمود ففرونا في قرده »

(١) ما شاء بين أعيان أصحاب الجبل رجوع الزبير عن حرب علي حتى سقطوا في أيديهم لما
 ملوه من سوء تأثير رجسته على الناس وهم يبررون به وبطلحة وعائشة محاربهم لسيدنا علي ولزعموا

وَخَافَتِ النَّاسُ خُذْلَانَا بِزَوْرِيهِ عَنْهَا يَسْتَيْتُ تَشْنِيَتَا تَجَبُّهَا
وَهَاجَتُهُ لَتَغْوِيهِ وَتَرْجُمُهُ عَنْ تَوْبَةٍ قَدْ نَوَاهَا لَا يُخْلِيهَا
فَلَمْ تَدْعُ حُجَّةً مِمَّا تَخَالُ بِهَا الْإِلَٰهَ قَنَاعَ إِلَّا بِهَا جَاءَهُ تَذْلِيلُهَا
حَتَّى إِذَا عَجَزَتْ عَنْهُ وَعَزَمَتْهُ عَلَى الْإِنْبَاءِ أَوْهَتْ عَزَمَ مُشْنِيهَا
وَأَفَاهُ يَلْعَوُهُ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ قَامَ هُ بِأَسْمِ خَالَتِهِ مَعَ مَنْ يُؤَالِيهَا
قَالَ: يَا أَبَتِي أَوْرَيْتَ رِثْنَنَا حَتَّى إِذَا أَشْعَلْتَ حَاوَلْتَ تَطْفِئَهَا
أَهْبَدَ آيَاتِصْحَابِ الْمُرْتَضَى فَجَبُنْتُ أَمْ تَهَيَّبْتَ أَنْ تَلْقَى قَوَارِيهَا
أَمْ قَدْ رَشَاكَ عَلَيَّ كَيْ تَشَيْتَ أَغْرَاهُ فَيَنْتَعِمَ بِالسَّقْفِ يُقْنِيهَا
وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا بَنَيْتَ بَيْنِنَا إِلَّا الْخِلَاقَةَ إِذْ نَفَيْتَ رَاعِيَهَا
قَالَ الزَّيْبِيُّ: أَعْبَدَ اللَّهُ وَبِكَ تَغْشِي رَيْبِي بِحَرْبٍ لَقَدْ أَمْسَتْ آيِيهَا
فَلَا تَخَوَّفُ أَصْحَابَ الْعَلِيِّ وَلَا طَمِعْتُ بِالرَّشْوَةِ الْمَسْلُونَ عَاطِيهَا
لَكِنْ تَذَكَّرْتُ عَهْدِي فِي صَحَابَةِ طَهٍّ وَالْحَقُّوقِ الْيَاقِي حَتَّى أَرَا عِيَهَا
حَقُّوقُ هَاشِمٍ أَخُوَالِي وَأَحْمَدَ وَالْعَلِيِّ وَاضِحَةَ صَقَبٍ تَعَاشِيهَا
وَيَلِيَّيَا أَمَا الْمُرْتَضَى أَوْلى الْبَرِيَّةِ بِي إِنْ تَطْلُبُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا مُجِيبَهَا
وَمَا أَسْتَفَاعِي بِزِيَا الدُّنْيَا إِذَا هِيَ عَمِّي تَاقِي تُبْعِدُ الْآخِرَى وَتُقْصِيهَا
فَتَقُ بَنِي لَقَدْ عَادَ الصَّلَاحُ إِلَى نَفْسِي فَمَا عُدْتُ بِالْإِفْسَادِ أَمْنِيهَا
وَقَدْ حَلَفْتُ بِمَيْمَنَاتِي أَنْتَ تَارِكُهَا مَا يَرَى بِالْأَيْمَنِ الرَّهْرَاءَ آيِيهَا

حواله يقومونه بالرجوع عن عزمه بما أوتوا من زلافة لسان وقوة بيان فلم يخلعوا وفي الأخير لم يروا
من يفيهم بعينهم بالتأثير على أفكاره غير ولده عبد الله الذي كان متسلطاً عليه مستدعته عائشة وعلقت
منه أن يذهب إلى أبيه ويقتنه بالبقاء مع حلتها وسرع اليه وقال له : ما هذا يا أبتاه أتراك هبت سيوف
أصحاب علي أو خفت شجاعته ؟ أم تراه وشاك بالمارقة لثقت هذه الجموع التي عررت بها وجمعتها
للقال فخر من وجهه فعمل سيفه برقها ؟ قال الربيد : لا يا بني ليس هذا ولا ذاك وه ، علي من
برشو ولا أنا ممن يخاف لقاء المتنون ولكن هي حقوق أخوالي بني هشم وحقوق محمد بن عبد الله
وعلي بن أبي طالب مقدسة لدى المسلمين فلا نستطيع تجاهها وبني لقد خفت الآخرة وعلقت أن
الدنيا لا تمنني عن الآخرة شيئاً فبنت عن خطائي وأقسمت أن لا أحارب علياً ولا قومه بمجسمهم . فقال

أَنْ لَا أُحَارِبَ قَوْمًا كَانَ حَيْدَرُهُ زَعِيمًا وَهُوَ لِلنِّضَالِ مُتَّهِمًا
فَرَّاحَ يَضْحَكُ عَبْدُ اللَّهِ ضِحْكَةً مَقْهُورًا وَقَالَ: أَيْنِ حَوْشَيْتَ سَفِينَهَا
يَأْتِي أَبُو حَسَنٍ إِنْصَافًا قَيْسًا م وَنَا بِأَمْنِنَا حَتَّى أَدَانِيهَا
وَالْبِدَاوَةَ يَبْنِي أَنْ يُرْجَعَنَا أَذْرَاجَنَا تَارِكِي الدُّنْيَا لِأَهْلِهَا
وَإِنْ أَحْوَالُهُ ذِي غَيْرٍ صَالِحَةٍ لَنَا وَأَنْتَ رَعَاكَ اللَّهُ تَذَرِيهَا
أَشْفَقَ عَلَيْنَا وَلَا تُتْرَكْ جَمَاعَتَنَا فِي شَرِّ مَوْفِعِهَا إِلَّا رِيَاحُ تَذَرِيهَا
وَعَنْ يَمِينِكَ كَفَرًا إِذْ رَجَعَتْ بِهَا كُفَارَةٌ يَضْحِكُ الْأَسْلَامُ رَاضِيًا
وَلَا تَبْتَ مَضْفَةٌ إِلَّا فَوَاهٍ فِي التَّرَبِّ أَلَمْ تَرَبَّا يَلُوكَ بِمَا قَدْ جَنَّتْ لَا كَيْبَهَا
تُمَيِّ نِسَاءً قُرَيْشٍ وَهِيَ قَائِلَةٌ إِنَّ الزَّيْبَ جَبَانٌ فِي نَوَادِيهَا
وَبَعْدَ أَنْ لَجَّ عَبْدُ اللَّهِ صَاحَ أَبُو هُ إِنَّ عَزَمَنِي أَلْفَسَرَا أَوْ نَبَهَا
وَإِنْ عَيْدِي مَكْحُولٌ أَحْرَرُهُ كُفَارَةٌ لِيَمِينٍ عُدْتُ مُكْرِمَهَا
وَأَنْفِي نَازِلٌ لِلْحَرْبِ مُبْتَدِيٍّ بِهَا لَتَعْلَمَ أَنِّي لَسْتُ خَاشِمَهَا
وَكَيْ أَحَقَّقَ رُغْبِي أَنْتَ طَالِبُهَا لَكِنْ أَطْنُكَ يَا ابْنِي لَسْتُ مُلْفِيهَا
فَقَالَ: دَعْ عَنْكَ سُوءَ الظَّنِّ يَا ابْنِي فَصَحْبُنَا لَمْ يَسُوءَ يَوْمًا تَظَنُّنَهَا
وَسِرَّ لِحَرْبٍ عَلَيَّ مُسْرِعًا مَعَنَا وَنَزَلَ نَصِيبُكَ إِنْ كُنْتَ الْمُجَلِّبَهَا
وَذَلِكَ كُلُّ الَّذِي تَبْنِيهِ أُمِّي إِذْ عَلَيْكَ كَانَ بِلَا شَكٍّ تَرَكِبَهَا

يَا أَبَاهُ أَرَى مِنْ مَصْلَحَتِنَا أَنْ يَطْلُغَ عَلَيَّ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ مَسَاوِينَا مَعَ أَهْلِ النَّاسِ وَبِأَنِّي عَلَيْنَا أَنْ
يَعِزَّنَا فِيهِ أَوْ أَمَارَةً مَعَ إِنَّمَا أَقْطَعُهَا هَذِهِ الْفِتْنَةَ إِلَّا لَتَكُونَ أَنْتَ الْخَلِيفَةُ وَنَحْنُ مَعَهَا وَهَكَذَا مَازَالَ عَبْدُ اللَّهِ
يَسِرُّ أَبَاهُ وَيَتَلَقَّاهُ وَيَقُولُ لَهُ كَفَرْتُ عَنْ يَمِينِكَ بِتَحْرِيرِ رُبَّةٍ وَسَرَّ مَنَا إِلَى قِتَالِ عَدُوِّنَا وَعَدُوُّكَ وَلَا
تَجْلِسْنَا مَضْفَةً بِأَقْوَامِ النَّاسِ وَأُحْدُوْتَهُ لِسَاءِ قُرَيْشٍ فَقَوْلُ قَدْ جَبَنَ الرَّبِيرُ حَتَّى أَثَرْتُ عَلَيْهِ هَيْبَةَ ابْنِ أَبِي
طَالِبٍ وَرَجُلِهِ وَفِي مِثْلِ هَذَا أَثَرُ ثَمَرَةِ مَحْوَةِ قِتَالِ ابْنِ عَدِيٍّ مَكْحُولٍ حَرَّ كُفَارَتِهِ عَنْ يَمِينِ أَرَحِمِي
تَفْعِيلَهَا وَسَائِرِ مَعَكُمْ هُ بَتَدِي الْقِتَالِ حَتَّى لَا يَمَالَ أَنِّي جَبَنْتُ عَنْ حَرْبِ ابْنِ خَالِي أَبِي الْحَسَنِ وَلَكِنْ يُولَدِي
لَا أَظُنُّكُمْ يَمَالَ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ بِنَاحِيٍّ فَقَالَ عَيْدُ اللَّهِ دَعْ عَنْكَ سُوءَ الظَّنِّ هُنَا بَدْرُهُنَ كُلِّ مَنْ
يَسِيءُ ظَنَّهُ بِبَيْتِ هَذَا الْقِتَالِ أَنْ تَكُونَ لَنَا وَأَتَمُّ مَنَا وَهَذَا مَا تَمَنَّا هُ (وَرَبْدُ عَائِشَةَ) الَّتِي تَوَكَّلَ عَلَيْكَ
فِي قِتْلَتِهَا قَالَ أَنِّي عَلَى مَا تَرِدُ عَائِشَةَ وَتَرِيدُ أَنْتِ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

برء واقعة الجمل

لَمْ تَطْمَئِنَّ إِلَيَّ وَعَدَ الزَّيْبِرُ صَاحِبًا بَرءُ وَزَوْرَتُهُ عَنْهَا تَوَفَّرَتْهَا (١)
لِذَا رَأَتْ أَنَّ حُسْنَ الرَّأْيِ صَابِئُهُ أَنْ تَبْدَأَ الْعَرَبَ حَالًا لَا تَوَجَّحُهَا
وَتُكَلِّمُ النَّاسَ بِالْبَيْضَالِ عَائِشَةُ وَبِالْأَحَادِيثِ عَنْ طَهْ تَنْخَبِهَا
وَبِالْمَثُوبَةِ فِي الْجَنَاتِ طُطْعُمُهَا وَبِالتَّوَشُّعِ فِي الْأَوْزَاعِ تَقَرُّهَا
وَبِأَيِّ عَفَانٍ كَانَتْ تَسْتَشِيرُ عَلَى أَبِي الْحُسَيْنِ مِنَ الْأَحْقَادِ قَاسِمُهَا
وَكَانَ ثُمَّ دُعَاةً لِلصَّلَاحِ تُرِيدُ السَّلَامَ لَكِنَّمَا خَابَتْ مَسَاعِيهَا
وَتَارَتْ الْفِتْنَةُ أَلْهَوْجَاهُ تَحْرِقُ فِي نِزَاجِهَا كُلِّ مَنْ قَدْ رَاحَ صَالِبُهَا
وَقَدْ شَدَّتِ الْعَامِصِينَ عَائِشَةُ كَانَتْهَا رَايَةٌ فِي كَيْفِ مَقْلِبِهَا
وَكَانَ هَوْدَجُهَا يَسْعَى بِهِ جَمَلٌ بِهِ دَعَا هَاتِهِ الْمَأْسَاةُ دَاعِيَهَا
يَقُودُهُ كُلُّ ذِي جَاهٍ وَذِي حَسَبٍ مِنْ الْأَعَارِبِ مَكِينُهَا وَبَصَرُهَا
وَكَانَ مُنْتَجِحَ الْبَيْضَالِ صَاحِبُهَا يَبْنِي الْمَنَائِبَ لَا يُجَاشِيهَا
أَرْجَا الْبَعِثِينَ أَلَّتِي قَدْ كَانَ حَالُهَا لَوْ لَا أَبْنَتُهُ لَمْ يَكُنْ وَاللَّهِ مُرْجِيهَا
مِنْ غَيْرِ أَسْلِحَةٍ قَدْ كَرَّ كَرَّتُهُ عَلَى رِجَالِ عَلِيٍّ غَيْرَ خَاشِيهَا

(١) كان كثير من زعماء العرب حول عائشة وطئعة والزيد يشطون عزائمهم عن متبعة الفتنة حقا لدماء المسلمين وبقصصهم بمصالحة سيدنا علي والرجوع الى طاعته فريغوا وبينما كان هؤلاء يجردون في مساعهم السلمية ويرسلون رسالهم الى سيدنا علي فيقول لهم قوله المشهور وهو اني ما جئت للعرب ولكن للصالح كان اصحاب الجمل يتعفزون للحرب وهم يمتقدون انهم منصوبون على جيش أمير المؤمنين عليه صلوات الله لا لانهم اشجع منه واصبر على مكاره الحرب ولا لان من عندهم من الناس اعظم حولاً وطولاً من رجال امير المؤمنين بل لاعتقادهم بأن ما في المسلمين من بجرأ على الوقوف في وجه عائشة بصفتها احب لزوج النبي عليه الصلاة والسلام اليه وبعفتها امرأته لساناً تله من امتناع العرب عن محاربة النساء ولهذا الغرض احتمل المصدة عائشة في الحرب وجبوا جملهاواتهم فلما تقدم سيدنا علي عليه صلوات الله من مكر اصحاب الجمل ودت ضلعة والزبير اليه وخطبهم بما خاضهم به كما تقدم القول وعد الزبير وهو نائب عن العصيان معرض عن حرب أمير المؤمنين رغباً عن قتال اصحابه ذاكراً لانداز المصطفى له وتم الناس في اقتدعه لبقاء معهم حتى جاءه ابنه عبد الله واعراه بالرجوع عن عزيمته وتهديه الكفاية عن يمينه لكي لا يقول الناس قد بين حيلة من صحت عنمة اصحاب الجمل على البدء بالقتال محقة اذ يعود الزبير الى تونه فيكون سبباً لفرق الناس

كَيْ لَا يَقَالَ لَقَدْ خَارَتْ عَزَائِمُهُ كَمَا لَهُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ تَجَرَّبَهَا
وَإِذْ رَأَى الْمُرْتَضَى أَنَّ لَاسِلَاحَ مَعَ الزَّيْبِ فِي الْهَجَةِ الْمَقْتُولِ آتِيَهَا
نَادَى بِأَصْحَابِهِ عَنْهُ أَفْرَجُوا كَرَمًا فَإِنَّهُ مُعْرِجٌ لِلْحَرْبِ يُخْضِعُهَا
فَمَا تَصَدَّى لَهُ مِنْ صَاحِبِهِ أَحَدٌ لِأَنَّهَا عَرَفَتْهُ غَيْرَ رَامِيَهَا
فَأَقْبَلَتْ بَعْدَهُ أَصْحَابُ عَائِشَةَ إِلَى الْقِتَالِ وَشَدَّتْ فِي تَدَاعِيهَا
هَبَّالَتْهَا صَنَائِدُ الْخِلَافَةِ بِالْأَمِّ سِيَافِ تَطْلُبُ أَنْ تُفْنِيَ مُلْكَهَا
يَقُودُهَا أَقْهَرُ الْأَسْنَى أَبُو حَسَنٍ وَحَسِبُهَا أَنَّهُ لِلنَّصْرِ مُنْشِبُهَا
وَهَكَذَا اسْتَبَكَ لَجَمْعَانِ وَأَبْتَسَمَتْ يَفْضُ الظُّمَى وَبَنُو الْأَيْمَانِ فِي فِيهَا
وَالْمُصْطَفَى فِي أَسْمَاءِ يَشْكُو لِخَالِقِهِ مَانَالِ أُمَّتُهُ مِنْ مُسْتَحْزِنِيهَا

انتصار أمير المؤمنين في موقعة الجمل

وَطَلَّتِ الْحَرْبُ أَيَّامًا مُسَاجَلَةً وَالنَّاسُ فِيهَا لَقَدْ أَبَدَتْ تَقَارِينَهَا (١)
وَكَانَ حَيْدَرَةً فِيهَا الْمُبَارَزُ وَالسَّبَطَاشُ يَضْرِبُهَا بِالسَّيْفِ يَذْزِئُهَا
بِهَزْ هَزًّا وَيَهْوِي ذَا الْفَقَارِ عَلَى هَامَاتِهَا فِي تَدَاعِيهَا فَيُفْرِقُهَا

عن جلها ابتداءً به . والفعل كان الريد هو . ففتح القال ليذهب عن نفوس ولده واصحاب الجمل
ما لهموه به من أن نكوله عن حرب أمير المؤمنين هو لجنته فذل سان ربح . وحل على عكر علي عليه
صلوات الله فلما رآه سيدا أمير المؤمنين كالأعلى عسكره رومح لاسنان له عرف على البداة انه
مخرج على خوض شمات الحرب وانه لا يزال عند مجيئه فنادى بأصحابه ان افرجوا عنه فانه مخرج .
وهكذا دعا الريد من مسكر الخليفة اولاً وثانياً وثالثاً وطاد الى اصحاب الجمل ولم يصب بشر ووفي
المرّة الثالثة عند مارجعه الى اصحاب الجمل كرر اشاد آياته التي سبق لنا نرها فلما سمعها اصحاب
الجمل عرفوا انه لا من الحرب غير ثابت معهم على الاصطلاء ببارها فاسرعوا الى اشغال نار القتال
وهاجوا بمسكر سيدنا أمير المؤمنين فلقبهم عليه صلوات الله بأصحابه واشتبك القتال بين المسلمين
ذلك القتال الذي تألم له المصطفى عليه الصلاة والسلام و السباء فتشكا الى خالقه من جور أهل النفاق
الذين احادوا بين المسلمين هذا الشقاق

(١) لما نادى الريد الى اصحاب الجمل وهو يفتد اياه فتمم منه طلحة وسار به بين الناس
وهو يقول « ان علياً ان يطهره فبه فبيكم بأهل البصرة » دحوا حقيقكم منه ففاته لا يقي حرمه
الا انبها ، ولا حريماً الا هتكة ، ولا ذرية الا ذلها ، ولا ذوات خدر الا سباهن ، فقاتلوا
معانلة من يذب عن حرمه ، ويختار الموت على فضيحة يراها في ادله « الى مثل ذلك من الاقوال

بِنَفْسِهِ وَهَمَّوْا فَرْدُكَ كَانَ يَهْجُمُ مَا بَيْنَ الصُّفُوفِ وَيَسْتَقْبِلُ هَوَايَهَا
كَأَنَّهَا صَعَقَاتُ اللَّهِ بِحَمَلِهَا عَلَى أَلْدَى فَهِيَ تَقْنَى فِي تَلْقِيهَا
لِلَّهِ دَرْ عَلَى وَهوَ خَائِضُهَا تَيْكَ الْمَعَامِيعُ لَا يَخْشَى دَوَاهِيهَا
أَعَادَ ذِكْرَ مَغَازِي الْمُصْطَفَى وَعَالِيهَا كَانَ فِيهَا مُجَلِّبُهَا مُصَلِّبُهَا
ذِكْرِي تَفَرَّقَ أَرْبَابُ التَّفَاقُ لَهَا عَادَتْ إِلَى ذَهْنٍ مَنْ يَبْغِي تَنَاسِيهَا
فِي وَفْقَةِ الْجَبَلِ السُّودَا الَّذِي تَرَكْتُ أَصْحَابَهُ وَبَلَاءَ اللَّهِ دَاهِيَهَا
وَقَدْ رَأَى الْمُرْتَضَى أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَيَّ إِنِّهَا مَجْرَرَةٌ إِنْ شَاءَ يُنْهِبُهَا
إِلَّا إِذَا الْجَبَلُ الْمَغْرِيُّ الْعَصَاةَ هَوَى فَلَانَهَا تَصْبَاءُ وَيُرْدِيهَا
كَانَتْ حَوَالِيَهُ تَقْنَى وَهِيَ صَايِرَةٌ عَلَى أَرْزَايَا الَّذِي رَاحَتْ تَلَايِقُهَا
كَمْ فِرْقَةٍ قَدْ تَلَاشَتْ عِنْدَ مَوْقِفِهِ بِأَثَرٍ أُخْرَى وَمَا هَابَتْ تَلَايِقُهَا

التي كانوا يختلفونها ليخفوا بها البصريين ليدوا على مسكر المرتضى وشتموا على قتاله وهكذا استأنفوا
الناس إلى مهاجمة مسكر سيدنا أمير المؤمنين واخذوا يرتقون أصحابه بنابهم فكأنها صيب المطر
أما سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله فعمل عن مقابلة الشر بمثل إلى أن رأى نبال العصاة
تترامى على أصحابه وحيه له يبعس التلثم منهم فسلم لنضاه الله ونزل على منازل عليه القوم من
تحكيم السيف وأعطى رايته إلى ابنه محمد بن الحنفية وقال « نزول الجبال ولا تزل » وعرض على نازلكه
أمر الله جحمتك ، تد في الأرض قدمك ، لو لم يصرك انتهى القوم ، وغف بصرك ، وأمر أن
النصر من عند الله سبحانه »

قريب محمد وهو غلام بأصح موقفه وتوقف قليلاً قتال له أبوه أمير المؤمنين : أهل يا محمد .
فقال أما ترى يا أبناه السهام كأنها شارب المطر ؟ فدرقه في صدره وقال ادركك عرق من أمك . ثم
أخدمته الراية فزرها وقال :

أطمن بها طمن أليك محمد لا خير في حرب إذا لم توجد

بالصرفي والقا أشد

ثم حمل عليه صلوات الله فحمل الناس خفه فتبعن صكر البصرة وعاد للناس ذكر فعله
الطيبة في الغزوات النبوية وهو الحلي والمصل فيها على ما بين الامتلان
وبقيت الحرب أياماً حول أهل وكان كلف قتال قوم من أصحابه فمندوع عن جملها آخرون
وكانت عائشة في هودجها تمشي بالمصطفى عليه الصلاة والسلام يوم كان يخرج لزو الكوفة واشترك
لنصرة الدين وشتان بين اللوطين حتى أنها مرة بل غير مرة أخذت كفة من حصى فخصبتهم أصحاب
سيدنا علي عليه صلوات الله وهي تصيح بصوتها الجهوري شامت أوجوه كما صنع رسول الله يوم خيبر فإ
عذمت قائلاً يقول بقرها « وما رميت إذ رميت ولكن الغرير » فأخر رعد الله إلى أي أحد لم

حَتَّى تَظُنَّ بِهَا تَيْكَ الْتُفُوسِ عِبَا دَّةَ لَه تَدْرَجِي خُلْدَهَا فِيهَا
وَإِذْ رَأَى الْمُرْتَضَى أَنَّ الْجَمَالَ تُمَشِي النَّاسَ حَتَّى مَنَابَاهَا وَتُرْزِيهَا
نَادَى بِأَصْحَابِهِ : فَارْمُوا بِنَاكُمُ عَلَيْهِ حَتَّى تُنْشِيَهُ رَوَامِيهَا
فَسَدَدَتْ نَحْوَهُ أَقْوَامُهَا وَرَمَتْ نَبَالُهَا لَمْ يَكُنْ يَضْطَرُّ رَامِيهَا
حَتَّى غَدَا جِسْمُهُ الْمُرْمَى كَقَفْزَةِ لَاقَتْ بِأَشْوَاهِهَا الْكَثْرَى مَا جَبِهَا
ثُمَّ تَقَدَّمَ مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ وَمِنْ حَوْلِهِ عَصَبَتُهُ تُبَدِّي تَرَاغِيهَا
وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِيهَا تُبَاعُ نَفُوسُ مِنَ النَّاسِ مَرُخَصَةٌ وَالْمَوْتُ يُشْرِيهَا
صَاحَ الْغَلِي أَعْقَرُوهُ وَأَنْشَطُوا لِقِي فِي الْحَالِ كَانَ مُحِيرٌ عِنْدَ دَعْوَةِ مَوْتِ
وَبَادَرَ الْجَمَلَ الْمُسْلِمُونَ أَهْلَكَ لَنَا الْغَلِي بَلَا يَطْوِ مُلْبِسِيهَا
بِضْرَةِ السَّيْفِ عَاشَتْ كَفْ مُهْوِيهَا

اجتهاد ثالثة حتى حُصِبَتْ لَهَا مُحَلُوبٌ سِيدِنَا عَلِيٌّ وَقَوْمُهُ كَمَا كَانَ الْمُصْطَفَى يُحَارِبُ الْبَغِيَّانَ وَقَوْمَهُ عَلَى
أَنَّ الَّذِي قَالَ « اللَّهُ رَمَى » قَبْرُهُ هُوَ الَّذِي صَدَّتْهُ الْمَقَاتِلُ وَوَمِيةُ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ هِيَ الصَّادِقَةُ بِغَيْرِ جِدَالٍ
وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ لِلْمَوْقِعَةِ اصْصَحَ الْقَوْمَانِ عَلَى الْقِتَالِ فَحَفَّ سِيدِنَا عَلِيٌّ بِحَوْلِ الْجَمَلِ بِنَفْسِهِ فِي
كَيْتِيهِ الْخَضْرَاءِ مِنَ الْمَاهِرِينَ وَالْإِنصَارِ وَحَوْلَهُ بَنُوهُ حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ وَمُحَمَّدٌ فَدَفَعَ رَايَتَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَقَالَ
« أَقْدِمْ بِهَا حَتَّى تَرْتَكُزَهَا فِي عَيْنِ الْجَمَلِ وَلَا تَقْفَنْ دُونَهُ » فَتَقَدَّمَ مُحَمَّدٌ فَرَشَقَتْهُ نَبَالُ الْعَصَا قَتَلَ لِاصْحَابِهِ
وَوَيْدًا حَتَّى تَفْدَ سَهْمَهُمْ فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ إِلَّا رَشْقَةٌ أَوْ رَشْقَتَانِ وَإِذْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ بِرَقَبِ
الْحُلَّةِ تَبَاطَلَتْهُ أَرْسُلُ إِلَى مُحَمَّدٍ يَسْتَحِثُّهُ وَأَمْرُهُ بِالْمُنَازَعَةِ فَلَمَّا ابْطَأَ عَلَيْهِ جَاءَهُ بِنَفْسِهِ مِنْ خَلْفِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ
الْيَسْرَى عَلَى مَنْكِبِ الْإِمَامِ وَقَالَ لَهُ أَقْدِمْ لَا أَمَّا لَكَ ثُمَّ احْرَكْتَهُ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى وَلَدِهِ فَتَنَاضَلَا
الرَّايَةَ بِيَسْرَةٍ وَاشْتَرَا ذَا الْفَقَارِ بِيَمَانِهِ وَحُلَّ فَنَاصَ فِي عَسْكَرِ الْجَمَلِ فَاهْلَكَ خَلْقًا كَثِيرًا مِنْهُمْ وَعَادَ وَقَدْ
انْحَنَى سَيْفُهُ وَهُوَ يَقْطُرُ دَمًا فَاقَامَهُ بِرُكْبَتِهِ وَهُوَ يَزِيْرُ زُرَّةَ الْأَسَدِ فَمَالَ لَهُ بَنُوهُ وَاصْحَابُهُ وَالْأَشْرَ
وَعَمَارُ حَمْنِ نَكْفِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا أَحْيَا أَحَدًا مِنْهُمْ وَلَا رَدَّ إِلَيْهِمْ بِصَرِّهِ وَعَادَ ثَانِيَةً لَوْحَدِهِ
فَقَتَلَ وَسَطَ عَسْكَرِ الْجَمَلِ وَجَلَّ يَضْرِبُهُمْ بِبُذِي الْفَقَارِ وَهُمْ يَتَفَضَّلُونَ مِنْ حَوْلِهِ فَرَقَيْنِ خَائِفَيْنِ جَزَعَيْنِ
حَتَّى خَضَبَ الْأَرْضَ بِدَمَاءِ الْقَتْلَى ثُمَّ رَجَعَ وَقَدْ انْحَنَى سَيْفُهُ وَقَامَهُ بِرُكْبَتِهِ فَاعْصَوْصَبَ بِهِ اصْحَابُهُ فَبَاسَدُوهُ
اللَّهُ فِي نَفْسِهِ فِي الْأَسْلَامِ وَقَالُوا إِنَّ نَصَبَ يَذْهَبُ الدِّينَ فَمَسَكَ الدِّينَ كَيْتِيكَ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أُرِيدُ
بِمَا تَرَوْنَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ وَالْدارَ الْآخِرَةَ . ثُمَّ مَالَ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ وَقَالَ هَكَذَا تَصْنَعُ يَا ابْنَ الْخُنْفِيَةِ قَتَلَ النَّاسَ
مَنْ ذَا يَسْتَطِيعُ مَا تَسْتَطِيعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

وهكذا دام الحَرْبُ بِضَمَّةِ أَيَّامٍ قَتَلَ فِيهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَلَمَّا رَأَى سِيدِنَا عَلِيٌّ أَنَّ
الْمَوْتَ عِنْدَ الْجَمَلِ وَاهِ مَادَامَ قَتَمًا بِالْحَرْبِ لَا تَقْطَعُ نَارُهَا وَضَعَ سَيْفَهُ عَلَى عَاتِقِهِ الشَّرِيفِ وَعَظَفَ نَحْوَهُ
وَأَسْرَ اصْحَابَهُ بِدَاكٍ قَتَبُوهُ وَكَانَ زَمَامُ الْجَمَلِ قَدْ أَغْضَى إِلَى نَبِيِّ ضَبَّةٍ بِمَدِّ أَنْ تَدَاوَلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ لِلدَّفَاعِ

أَتَقَى وَعَجَّ عَجِينًا وَهُوَ يَضْرِبُ بِالْجُرَّانِ أَرْضًا تَجْبُغُ الْقَدَمَ رَاوِيَهَا
وَإِذْ رَأَتْ هُلُكَهُ أَنْصَارُ عَائِشَةَ تَهَارَيْتَ فَرَقًا تَبْغِي مَخَافَتَهَا
حَتَّى لَتَحْسِبَهَا سَرِبَ الْجَرَادِ إِذَا طَارَتْ وَكَانَ هُبُوبُ الرِّيحِ ذَاكِرَتَهَا
وَكَرَّ الْمُرْتَقَى أَنْ لَا يَسَاءَ إِلَيَّ الْجُرْحَى وَأَنْ يَتَوَلَّاهَا مُوَأْسِنَهَا
وَلَا تُتْبِعَ مَنْ فَرَّتْ مَوْجِبَةً سَلَامَةً وَأَوْتِ خَوْفًا مَا وَفِيهَا
وَأَنْ تُصَانَ فَلَا تُجْعَلْ مَنَازِلُهَا بِدَاخِلِيهَا لِيَلْقَى الْآلَمُ ثَاوِيَهَا
وَقَالَ : إِنْ هِيَ إِلَّا فَرْقَةٌ سَلِمَتْ مَدَّ أَسْلَمْتُ وَكِتَابُ اللَّهِ حَامِيَهَا
وَإِنْ تَخَطَّتْ حُدُودَ الشَّرْعِ جَاهِلَةٌ فَاللَّهُ يَغْفِرُ مَا ضَلَّهَا بِأَتْنَهَا

عنه فقتلوا دونه حتى اذا ما انهمى الامام واصحابه الى الجبل اشتبكوا بالقتال مع اصحابه ولا سيما بني ضبة الاخذين بخطامه وكان من واجهم ان يموتوا دونه فاستمر القتال فيهم وخلص على عليه صلوات الله في جماعة من البعض وهدموا الى الجبل فقال لرجل من النضج اسمه بحير : دونك اجل يا بحير فبادر هذا وضرب الجبل بسيفه ضربة فجاءه فوقه لجنه وضرب الارض بجراحه وعج عجيبة لم يسمع بأحد منه فما هو ان صرع الجبل حتى قرت الرجال كما يطير الحراد في الريح الشديدة الهبوب فصاح سيدها أمير المؤمنين ان تواتوا عائشة من الهلاك وأمر اخاهما محمد بن أبي بكر وكان في اصحابه ان يتولى أمر أخيه ثمة وينقلها يهودها الى البصرة ففعل وسار هالي دار عبدالله بن خلف وكانت أعظم دور البصرة وأمر عليه صلوات الله بالجلل ان يحرق ثم يبرق في الريح وقال « لعنه الله من دابة فدا نبيه لعجل بني اسرائيل » ثم قرأ قوله تعالى « وانظر الى الهالك الذي طلت عليه عاكفة لحرنته ثم لنفسه في الهم دفعا » الآية ويد أن رأى سيدها أمير المؤمنين ماحوله من جرحى أصحاب الجبل وأن أصحابهم قد فروا وتفرقوا أيدي سبا أمر اللنادي أن ينادي في أصحابه أن لا يتبعوا مدبراً ولا يجبروا على حريق ولا يدخلوا دور المسلمين فينبهونها ويسبون مخدراتها وكان أمره هذا مؤيداً لما كرر قوله به عليه صلوات الله وهو انه سائر تأديب عصاة المسلمين لا للتشكيل بآمة سيد المرسلين فهو مؤدب ومرتب لا غزي وفتح فأعجب الناس بأمره وخضوا لشيئته

ولما لزم أصحاب الجبل ركب علي على البقرة الشبيهة التي كان يركبها رسول الله عليه وعلى آلهما الصلاة والسلام وكانت عنده وسار في القتل يسترحمهم قر بكب بن سور قاضي البصرة وهو قتيل قتال اجلسوه فاجلسوه فقال له « ويل لك يا كب بن سور انك كان لك عز لو قتلت ولكن الشيطان أضلك وأغواك فجعلك الى الار اوسله . ثم سر بطاعة بن عبد الله قتيلاً (وسند ذكر كيفية قتله فيما بعد) فقال اجلسوه فاجلسوه فقال له عليه صلوات الله (أعزز عني ، محمد بن اراك مغرراً تحت نجوم السماء ، وفي يظن هذا الوادي ، أي هذا جارك في الله ودينك عن رسول الله تعرض نفسك الى ما تعرضت اليه ؟ » ومنه علي يقول هذا واذا رجى وف لي حابه وقال اشهد ، أمير المؤمنين لقد سررت عليه بعد ان أصابه السهم وهو حريق فصاح بي قتل من أصحاب من أنت ؟ قلت : من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قتل ، امد يدك لا يبع لامير المؤمنين فهدت اليه يدي

وَصَاحَ بِأَيِّنَ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٌ أَلَزَمَ خِذَرَ عَائِشَةَ كُنْ أَنْتِ أَوْنَهَا
وَبَعْدَ أَنْ تَقُولُوا بِاللَّطْفِ هُوَ دَجَّهَا وَصِيَّةُ النَّصْرِ فِي الْبَيْضَالِ تُشَجِّنُهَا
نَادَى لَوْ حَيٌّ: أَخْرِقُوا هَذَا الْبَيْعِرُودُ م رُوا فِي الرِّيحِ بَقَايَاهُ لِسَفِينِهَا
عَلَيْهِ لَعْنَةُ رَبِّي قَدْ تَشَبَّهَ بِالْمَجِيلِ الَّذِي قَدَعُوْا أَسْرَائِيلَ تَشْبِيْهَا
وَسَارَ لِلْبَصْرَةِ أَلْفَنَا فَوَاحِلَهَا مُسَالِمًا وَاعْتَنَى فَضْلًا بِأَهْلِهَا
أَلْفَى هُنَاكَ أَمْوَالًا فَخَصَّصَهَا بِنَاصِرِيْهَا بِهَا أَغْنَى مَفِيئَتِهَا
وَأَعْلَنَ الْغَوَّ عَمَّنْ قَدْ عَصَاهُ وَمَنْ مَالًا أَلْبَدَاةَ أَلْبَنِي قَدْ رَاحَ مُخْزِيْهَا
وَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مُنْتَقِمًا وَقَدْ أَطَاعَتْ وَعَدَّتْ عَنْ تَعَصُّبِهَا

صبر الزبير به العوام

فَرَّ الزَّبِيرُ مِنَ الْبَيْرَانِ خَلْفَهَا لِقَوْمٍ أَحَدًا قَلْبِهَا وَتَشَوُّبِهَا (١)

فَإِنِّي لَكَ قَتَالٌ عَلِيٌّ أُنِيَّ اللَّهُ ابْنُ طَلْحَةَ رَبِّهِ الْإِبْرَاهِيمِيُّ فِي عَتَقَةٍ ثُمَّ مَرَّ سِدَاةَ بَنِي خَلْفِ الْخَزَاعِي
وَكَانَ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ تَلَهُ يَدَهُ مَبَاوِزَةً وَكَانَ رَئِيسَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَتَالَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ فَاجْلِسُوا فَاجْلِسُوا قَالُوا
« الْوَيْلُ لَكَ يَا ابْنَ خَلْفٍ لَقَدْ عَابَتْ أَمْرًا عَظِيمًا » وَكَهَذَا كَانَ كَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ بُوْحِيهِ مِنْ
اِقْتُلِي يَقُولُ كَلِمَةً فِيهِ حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَ الْبَصْرَةَ دَخَلَ بَيْتَ الْمَالِ قَلِمًا رَأَى كَثْرَةَ مَا فِيهِ قَالُوا مَرَارًا « يَا بَيْضَاءُ
وَيَا صَفْرَاءُ غَرِيْبِيْ » ثُمَّ صَغَدَ نَظْرُهُ فِي هَاتِكِ الْأَمْوَالِ وَقَالَ اتَمِّمُوا بَيْنَ أَصْحَابِيْ خَمْسَةَ خَمْسِمَاةٍ
فَقَسَمَتْ بَيْنَهُمْ فَمَا قَسَمَتْ دَرَاهِمًا وَلَا زَادَتْ دَرَاهِمًا كَانَهُ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ كَانَ يَرِفُ مِثْلَهَا وَمَقْدَارَهَا وَكَانَتْ
سِتَّةَ آلَافٍ لَفْ دَرَاهِمٍ وَكَانَ أَصْحَابُ سَيِّدِنَا عَلِيِّ ثِنْتِيْ عَشَرَ أَلْفًا . وَبَعْدَ أَنْ تَوَزَعَتْ الْأَمْوَالُ بَيْنَ النَّاسِ
قَدِمَ إِبْرَاهِيمِيُّ لَمْ يَحْضُرْ وَصِيَّةُ الْحُلِّ وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كُنْتُ شَاهِدًا بِكَ بِقُلِي وَإِنْ غَابَ عَنْكَ جَسْمِي
فَعُظْمِيْ مِنَ النِّمَى شَيْئًا فَدَفَعْ إِلَيْهِ الَّذِي أَخَذَهُ لِنَفْسِهِ وَهُوَ خَمْسِمَاةٌ دَرَاهِمًا وَلَمْ يَصِبْ مِنَ النِّمَى شَيْئًا
ثُمَّ طَلَبَ النَّاسُ مِنْ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ أَنْ يَقْسِمَ بَيْنَهُمْ أَهْلَ الْبَصْرَةِ فَيَكُونُوا زُرُقًا
وَسِبَاةً لَهُمْ فَقَالَ « لَا » قَالُوا فَكَيْفَ نَحْمِلُ لَنَا دِمَاءَهُمْ وَنَحْرِمُ عَلَيْنَا سَيِّدَهُمْ ؟ فَقَالَ : « كَيْفَ يَحْمِلُ
لَكُمْ ذَرِيَّةَ نَيْفَةٍ فِي دَارِ هِجْرَةٍ وَاسْلَامٍ ؟ لِمَا مَا أَمْسَكَ بِهِ اِتَّقُوا فِي مَسْكَرِهِمْ عَلَيْكُمْ قَوْلَ لَكُمْ مِنْهُمْ
وَأَمَّا مَا وَارَتْ الدُّوْرَ ، وَغَلَقَتْ عَلَيْهِ الْأَبْوَابَ ، قَوْلَ لَا هَلْ وَلَا نَصِيْبَ لَكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ » فَلَمَّا
اِكْتَرَوْا عَلَيْهِ وَالْحَوَا أَرَادَ أَنْ يَقْسِمَ بِصَوَابِ حُكْمِهِ فَقَالَ : « دَعَوْعُوا عَلَيَّ ثَائِتَةً أَذُنَ لَا دَفْعًا لِي مِنْ
تَعْصِيَةِ الْقَرَعَةِ » قَالُوا فَتَسْتَعْرِضُ بِالْأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَسْبِيَّ زَوْجَ رَسُولِ اللَّهِ . فَاقْسِمَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ
عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَآلِهِ وَكَذَلِكَ الْمَسَامَاتُ هُنَّ جِيَاءُ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ فَاقْتَنَعَ الْقَوْمَ بِحُكْمِهِ وَاصْفَرُّوا
(١) فَرَّ الزَّبِيرُ مِنْ وَاتَةِ أَهْلِ قَبِيلِ لَشَبَاكِ الْفَرَقِيَيْنِ فِي الْقِتَالِ حَسْبًا فَرَارَهُ هُوَ النِّمَةُ
لَا أَنَّهُ ذَكَرَ فِي كَلَامِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ لَهُ وَفِي مَا ذَكَرَهُ مِنْ حَدِيثِ الْمَصْطَفِيِّ عَلَيْهِمَا وَعَلَى آلِهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
مَا جَدَّ فِي نَفْسِهِ الْمَوَاطِفَ الدِّيْنِيَّةَ وَالْإِنْسَانِيَّةَ مَاءً وَإِذَا كَانَ ذَا ضَمِيرٍ حَيٍّ وَوَجْدَانٍ صَحِيحٍ يَجْمَعُ

وَقَدْ تَدَنَّمَ عَمَّا جَرَّ مِنْ إِحْسَنٍ
وَكَانَ إِذْ غَادَرَ الْمَيْدَانَ مُكْتَسِبًا
وَسَارَ فِي فُلُوتِ الْأَرْضِ مُخْتَفِيًا
جَرَى بِهِ حَبِيبًا يَسْعَى مَطْلَعُهُ
حَتَّى إِذَا حَلَّ فِي وَادِي السَّبْعِ رَأَى
هُنَاكَ لَا أَمْرَةَ تُغْرِى الطُّنُوعَ وَلَا

عَلَى الْخِلَافَةِ مَسْهَلٌ تَلَا فِيهَا
عَلَى الشُّرُورِ الَّتِي قَدْ فَاتَهُ فِيهَا
عَنِ الْأَنَامِ فَلَا يَزُونُهُ رَانِيهَا
يَعْلُو الْجِبَالَ وَيَهْوِي فِي مَهَاوِنِهَا
أَنَّ أَلْهِنَا عِنْدَهَا فِي قَمَرٍ وَادِيهَا
نَاسٌ تُخْطِئُهُ قَصْرًا فِي مَمَاشِيهَا

امام عليه الصلوة الذي اتدم عليه فرأى انه في تلك اثمته مهيلا قبل كل شي الى الاسلام ومن ثم الى رسول الله ووصيه عليهما الصلاة والسلام ومن ثم الى المسلمين ومن ثم الى اخواله الطوائف فكتب ذلك عليه وعاد الى هدمه واذا كان يعرف ان ثلاث اثمته ليس في صوته ولا امر الصاة في يده فيصرفهم عن عصيانهم اكنفي بوعده سيدنا علي أمير المؤمنين بأن لا يحوض غمار الحرب وعزز وعده بمصادق الايمان على انه لم يمت بيمينه ولم يشكعه برضاه ولكن أرغم عليه بالحاج ابنه عبد الله ان يظل بين الصاة حتى لا يقال انه فر من القتال حباً لان الجيوش عند العرب داعية القتل والخرلان بل هو الصيب الكبير الذي لا يرضاه من كل ذا مكاة فيهم كالريز فصل سائرهم وبرز للقتال مفرداً متحزماً لنبال أنصار الخلافة وربما كان يتمنى في خروجه ذاك ان تصيبه نلة فتقتله كفارة عن الذنب الذي جناه بصيان أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين وما هذا بعيد عن مثل الزبير وخلصه ليدنه ونبيه وآل بيته هذا هو اعتقادنا فيه بل اعتقاد أمير المؤمنين قدس سره اي كـ يقول « مزال الزبير متاح حتى ليرابه عبد الله فصره عا »

وسد ان فر الزبير من الموقعة وفي حلقه من النسله واليس يدركها من يتصور حالته وهو فارّ وورائه المسلمون يقتلون فتنة كان يحس ان لا تكون لو خست التوايوعدمت المطامع وانصرف النعوس الى المصلحة العامة اخذ يتقل بجواده بين الجبال : نرديان حتى انتهى الى موضع يدعي « وادي السباع » فزل فيه

وكان في وادي السباع جمع من بني عجم زعيمهم الاحنف بن قيس وكبوا هناك متزينين اثمته التي شحرت بين المسلمين آفحين لحذوتها وبينما الاحنف جالس في تاسه والناس حوله واذا بواقف عليه من قومه ينشيه بوصول الزبير ورأى من القتال فحوقل ذلك الامير واسترحم وقل بصوت عال « ما اصعب فالريز وقد اتمت عرين من المسلمين حتى اخذت السيوف منها ما أخذها اسل وتركم أمانا له لخلق بالقتل قتله الله » ومن امس النظر في قول الاحنف هذا وأمره ملجأ الكمد الذي كان يشعره لحذوت هذه اثمته وانه كان يستعد أن الزبير هو في مقدمة الدين كانوا متيها

وكان في جهة الناس المنتهين على الاحنف في مجله ذلك رجل يدعي عمرو بن جرهمز وكان قائلاً هتكا فلما سمع كائنات الاحنف حدثته فسه ان يتقم للمسلمين من الزبير قسرك ذلك في نفسه وأعد له عدته اما الزبير فقد طلع قتال الاحنف فيه يخاف على نفسه القتل ويذر فاطمطي جواده طالبا القرار وما كاد يبعد قليلاً حتى رأى فارساً يجمع خطواته ومنا دأ منه وتنف ونال : ماشاك ؟ قال عمرو ابن جرهموز وكان هو المتعفي خطواته : جئت لاساك عن امر الناس الذين تركهم وراءك قال

كَانَتْ تَحْمِيَّتُ بَيْتِكَ لَا رُضْ نَارَ لَهْ وَأَلَا خُفَّ الْمُجْتَمَعِ ابْنِ الْقَيْسِ رَاعِيَهَا
وَلَمْ تَكُنْ عَنْ قِتَالِ الْقَوْمِ رَاضِيَةً فَحَايَدَهَا وَقَرَّتْ فِي مَنَاوِينَهَا
وَيَسْنَمَا الْأَخْفُ الْمُقَدَّامُ مُجْتَمِعٌ بِصَحْبِهِ بِالَّذِي يَجْرِي بِفَاهِيهَا
وَإِذْ دَرَى مُوَافَقَةَ الزَّيْبِ إِلَى السَّوَادِي وَقَدْ تَرَكَ الْقَوْضَى لِأَهْلِيهَا
نَادَى: وَمَاذَا أَنَا بِاللَّهِ أَقْبَلُ بِالزَّيْبِ مُشْتَقِي عِبَادِ اللَّهِ مُؤْذِنَهَا
قَدْ لَفَّ غَارِبِينَ مِنْ أَخْيَارِ أُمَّتِنَا بِفِتْنَةٍ نَارُهَا تَغْيِي مَطْفِئَهَا

الزيب : اني تركهم قياماً في الركب يضرب بعضهم وجهه بسيف . فسار بن جرموز معه وكل
منها يتن على أن ابن جرموز كان بين حين وآخر يعود فيسأله عن الناس وما هم فيه من
الحرب وما زالوا سائرين الى ان حضرتها الصلاة قال الزيب : يا هذا انا نريد أن نصلي فقال ابن
جرموز : وانا اريد ذلك قال الزيب : فتؤمنني واؤمك . قال نعم . وهكذا زلوا عن جواديهما عند
نبح ماله واخذوا يتوضآن ثم مال الزيب الى الصلاة فاكاد يسجد سجدة الأولى حتى شد عليه عمرو بن
جرموز بسيفه فحتر رأسه واخذ حلقه وسيفه وحنا على جنباه القربا ورجع على الفور الى الاخنف
ابن قيس فاخبره بما فعل وهو يحب انه قد أحسن صنأ . فقال الاخنف : والله ما أدري أسأت
أم أحسنت ؟ انذهب الى علي بن ابي طالب أمير المؤمنين ومعتي المسلمين واخبره بما صنعت فأسرع عمرو
ابن جرموز على حواده وخاتم الزيب وسيفه معه قاصداً أمير المؤمنين عليه صلوات الله
سار ابن جرموز قاصداً البصرة وهو يعلم أن أمير المؤمنين يحجم في ضواحيها محارب المصاة
على ما كان أشهر الزيب وكان يعلم نفسه بعيد الأمال فيحسب ان سيدنا علي سيقاها بصدره الرحب
وتفره الناس ويطلق لسانه على بلاغته المشهورة بالثناء على حمته ونجدته وينتدق عليه من الحيرات
النهي الكثير لأنه قتل كبيراً من عصاة خلافة وربما حلل نفسه في الحصول على اماره في مهر
من اهل المسلمين مكافأة على صنيعه هذا وما زال يطوي به حواده الارض وهو محلق في سماء
الحيال طاهماً بعيد الأمال حتى دنا من البصرة فلم من الناس بالخيلاء موقعة الجبل عن نصر سيدنا أمير
المؤمنين ودخوله البصرة ظافراً غامياً فزادات مطامه بال مكافأة قتلاً في نفسه : كم سيكون أمير المؤمنين
مستبسطاً مسروراً بعد انتصاره على أصحاب الجبل عند مسليق على بشرى مقتل الزيب الذي ماثر الا لاناارة
فتنة اخرى على خلافة ؟ وهذه انية دخل ابن جرموز البصرة وقصد رأساً سيدنا أمير المؤمنين في
دار الامارة قائفاً في مجلسه يصلح لاصلاح الفاسد ومداواة المتل والعمل على ما فيه خير المسلمين فلم
عليه بالامارة ووضع بين يديه خاتم الزيب وسيفه وقص عليه أمره معه لم يخف عنه شيء كل ذلك
وأمير المؤمنين عليه صلوات الله يصني وعيناه تحدقان بسيف الزيب الملقى امامه حتى اذا ما انتهى
ابن جرموز من سرد قصته صعد اليه بصره وقال له : أنت قتلت ؟ قال : نعم . قال أمير المؤمنين :
« والله ما كان ابن صفية جباناً ، ولا لثماً ، ولكن الحين ومصارع السوء » وصمت قليلاً ثم
قل : ناولني هذا السيف . فأسرع بن جرموز بالقاط السيف وتقدمه الى سيدنا علي فتناول يده
الشريفة واخذ به زماماً وقال : « هذا سيف الزيب وطالما حلى به الكرب عن وجه رسول الله »
قال ابن جرموز وقد بدأ بهم ان مطامه سيبة التحقيق : ابن الجائزة يا أمير المؤمنين وقد قتلت

حَتَّى إِذَا اخْتَكَمَتْ يَضُّ الطَّبْعِي بِرَقَا
وَلَّى عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَنْفِهَا هَرْبًا
أُخْرَى بِهِ الْقَتْلُ فَلَيْشَرْبُ ثَمَالَةً هَا
وَكَانَ عَمْرُو آيْنُ جَرْمُوزٍ بِحَضْرَتِهِ
فَهَبْ مُقْتَنِيًا أَثَارَ صَاحِبِنَا
وَصَحَّ مِنْ رَاحٍ يَرَوِي لِلزَّبِيرِ مَقَا
بِ النَّاسِ بِالْفَةِ مِنْهَا تَمَنِيهَا
وَحَلَفَ الدَّارَ تَنْحِي خَطْبَ بَانِيهَا
نِيكَ الْخُورِ آلَتِي فَكَانَ سَاقِيهَا
يُصْنِي قَوْلَتِهِ إِذْ رَاحَ مُقْتَنِيهَا
بَذِي الْقَتْلُ كَانَ اللَّهُ قَافِيهَا
لَهُ آيْنُ قَيْسٍ وَأَنَّ الْقَتْلَ تَالِيهَا

اعدى اعداء خلافة ؟ قدس عليه صلوات الله وقال أطلب الجائز يا ابن جرْموز وقد قلت الزبير حواري رسول الله؟؟ واقه لولا دخوله في الفتنة حتى اهدر الشرع دمه لقتلتك به ولكن جائزتك هي التي اعداها الله لقاتله قدس رسول الله يقول « بشر قاتل من صفة بار » لما رأى ابن جرْموز ان جائزته هي تبشيره بالزاد وانه لولا الشرع واحلاله دماء العصاة على الخلافة لكان مقتولا بالزبير هرولا هاربا ناقا راضيا من النتيجة بالسلامة وفي نفسه من العدا للسيدنا علي ما فيها ثم خرج على أمير المؤمنين مع أهل النهر لضجة مطامعه وغية آماة فقتله عليه صلوات الله معهم هكذا خنت حياة الزبير بن العوام الذي صرعه مصارع الحين كما قال سيدنا أمير المؤمنين والذي يستلذ النظر في هذه القصة هو كمال سيدنا أمير المؤمنين في اخلاقه العالية ذلك الكمال الذي رفعه عن الحقد والضينة وحسد الاقوام من رجل اقل ما يقال فيه انه كان من زعماء الدين ألبوا الناس عليه وجعلوه على أن ينتفع عهد خلافته بسفك دماء المسلمين . لا جرم ان هذا العدو في الاخلاق الفاضلة لا يكون الا في نفس من علا الناس بقداسته وطهارته وليمانه كالامام الاعظم أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب عليه صلوات الله ولو كان غيره في موته لما اهل ان صفق طربا لمن واقاه يبشره بهلك اعدى عداة خلافة . ولكن انتم عى قتله بالهيل والميلان وضمه الى من حوله من الانصار والاعوان ولكن حانا لا أمير المؤمنين ان يكون كذلك . امه عليه صلوات الله كان كميده للمسلمين ينظر الى جمهورهم طر الآب الى البنين فهو لا يحقد على العاصي ولا يحفظ في صدره ضغينة على المادي . ل يطلب للجميع الصلاح والاصلاح شأن الآب المرئي . انه ما كنتم اسفه لمصرع الزبير ولا نسي خدمات هذا الصالح الكبير الاسلام على عهد انصطي عليها الصلاة والسلام فذاه فضله هذا المساءة الاخيرة لخلافته ولا عجب في ذلك وهو يعرف معنى قول الله « الحسنات تذهبن السيئات » واني الا ان يزيف الزبير ويذكر لصاحبه موافقه في الفزوات النبوة كما ابت عليه نفسه الشريفة ان يكتم قتله بأن جرائه النار وانه لولا أن يهدر نثر شرع دماء العاصين على اخلافة لقمة الزبير . وبذلك كان سيدنا علي بن أبي طالب افضل قدوة للامرء المسلم في معامته وطايعهم فلا يحقدون عليهم ولا يهكرون بهم ولا يكيدون لهم احياء وامواتا

وأقول هنا والتيه بأني . يذكر ان هذه القصة كنت سمعتها من فم عظمة مولاي السردار ارفع الشيخ خزعل خال للمرة الاولى في سنة ١٩١١ ميلادية بقي تلك السنة كنت في المية السنية في الحمرة وحدث فيها حادث يحسن بنا تلخيصه للتاريخ لما فيه من الدرة البالغة وهو في خلال سنة ١٩١٠ عجب الاتحاديون الذين كانوا سيطرن على الدولة العثمانية وجلا

هَبَابَ مَوَاهٍ فِي تِلْكَ الْفَنَارِ وَلَمْ
وَسَارَ عَنْهَا وَرَجَوَاهُ النَّجَاةُ وَأَزْ
وَمَا خَطَا خَطَوَاتٍ فِي تَهَرُّبِهِ
حَتَّى إِذَا التَّقْيَا قَالَ أَلَزَّ بِيْرُ : وَمَا
أَجَابَ عَمْرُو : لَقَدْ وَافَيْتُ سَأَلَ عَنْ
وَبَعْدَ طَوْلِ حَدِيثٍ تَطْمِئِنُّ لَهُ

يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ إِنَّ ظَلَّ آوِيَهَا
ضُ اللَّهِ وَسِعَةً فِي وَجْهِ طَائِفِهَا
إِلَّا رَأَى خَلْفَهُ شَخْصًا يُتَلَسَّسُهَا
تَبَغَّى فَبَغَيْتُكَ الْحَسَنَاءُ الْكَبِيْرَاءُ
أَهْلُ الْحَنِيفَةِ قَالَ : الْحَرْبُ تُقْنِيهَا
فَقَسُ أَلَزَّ بِيْرُ أَلَّتِي خَافَتْ مُمَاشِيهَا

منهم يدعى سلمان لطيف والياً لولاية البصرة وهي كما تلم على حدود الحيرة وسر هذا الوالي بمصر
ماجتمعت به ودكرت له فساد السياسة التركية مع العرب وأمراتهم ووجوب تبديلها بسياسة انفع
للاتراك والعرب ولا سيما في العراق واليمن وذلك بمسألة الاسراء المجاورين وانصاف اهالي المدن الخاضعين
للعكم الثماني مباشرة وقلت انها السياسة الوحيدة التي يرجى من ورائها تجديد مجد الدولة الثمانية
كما يحب العرب والأتراك مما فاطر ذلك الوالي حسن البنية في سماع نصائحي التي هي نتيجة درس
واختبار طويلين وسار الى البصرة والقل سار عليها وتودد الى عظمة مولاي السردار أرفع الشيخ غزبل
خان وسكن الجنان الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت أجل تودد وكانت أجل مظاهر سياسته
تلك ان الامان قد استتب في ولاية البصرة لان الاشقياء الذين كانوا يقتسمون فرصة غضب هذين
الاميرين العظيمين وهما صاحبا الحول في هاتيك الاطراف من سوميانية الولاية الاتراك فيموتون في البلاد
فساداً قد تبيوا هذا الوقت لهم ان الدولة الثمانية اذا كانت تعجز عن تأديبهم فلا مبرر ان لا يعجزان
وهكذا بقي سلمان نظيف والياً في البصرة ثمانية أشهر والولاية على احسن ما يكون من الأمن لا بفضل
تدابيره ولا بسطوة دولته ولكن بفؤد الاميرين الجليلين المشار اليهما وهما في الحقيقة صاحبا الحول والطول
وكان من حسن حظ العرب توثق عرى الوداد بينهما حتى كنا كأنا كاثووين متضامنين

غير ان الطبع غلاب والاتحاديون لم تكن سياستهم في الدولة الثمانية سياسة تأمين وتعمير
بل سياسة ضغط وتوسع فقصم علي سلمان نظيف بل وعلى الوزارة الاتحادية في الاستانة نفسها
ان يكون الامر في سواحل العراق بيد هذين الاميرين العظيمين وكما على اتحادهم لخدمتهم بعوسهم
الشرية بالاعتداء عليها والقل اغلب سلمان نظيف بين عشية وضحاها على الاميرين وابتدأ
المدون ضد اماره الحيرة في حديث يطول وكانت نتيجة اعتدائه هذا ان تحوكت هذه السياسة الاتحادية
الحرقاء الى مشكلة دولية حلت الدولة الانكليزية لوفية على الطهور بمظهرها الحقيقي وهو المخامة
عن حقوق اسراء العرب واسرعت الوزارة الاتحادية لاختفاء خزلائها بزل سلمان نظيف عن البصرة
وكان لي في هذا الحادث يد معروفة لاني ذهبت وقتئذ الى بغداد وقابلت ناظم باشا الذي لرسله الاتحاديون
الى العراق لاكماره ما سها على الاستسلام لادارة الاتحاديين القاهرة وهي ترك لغتهم وبلستهم
المرية الشريرة ولقصر غدت ناظم باشا عن فساد سياسة سلمان نظيف وما ستجر على الدولة من
المشاكل وأما أحسبه عاقلاً زبهاً وهذا هو شر من أصحابه واذا لم يقنع من قولي لارسل التلغرافات
المديدة لطلب بك وشوكت باشا زعيمى الاتحاديين في وزارتهم وقتئذ . وعلى اتوهادي هذا واخلاصي
اعتدى ناظم باشا على حربي واخرجني من ممداد باستبداد التركي الغتوم في حديث غريب ليس هاهنا

عَلَيْهِمَا حَانَ مَيَّاتُ الصَّلَاةِ فَنَا دَاهُ الزَّيْبُ: هَلُمَّ كَيْ نُسَلِّيَهَا
وَقَالَ: تُوْمُنِي يَاعَمْرُو قَالَ: بَلَى وَعَجَلَتْ كُلُّ نَفْسٍ فِي تَوَضُّعِهَا
وَإِذْ جَاءَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَاجِلَهُ عَمْرُو بِضَرْبَةِ سَيْفٍ رَاحَ مَهْوِيَهَا
وَأَجْتَثَ رَقَبَتَهُ وَاخْتَارَ خَاتَمَهُ وَسَيْفَهُ وَأَنْشَى فِي زَهْوِهِ تَبْهًا
وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: إِنِّي أَنْتَقَمْتُ لَأُمِّهِ الرَّسُولِ وَقَدْ أَهْلَكَ طَائِعِيَهَا
وَعَادَ لِلْأَخْفَفِ الْمُرِّي يُخْبِرُهُ بِفَعْلِهِ فِي سَبِيلِ الدِّينِ آتِيَهَا

اذكر انني بعد عودي من بغداد الى الحمرة الحمية كنت مرة في حفرة عظيمة مولاي السردار
ارفع الشيخ خزعل خان في مجلسه العارياهل العلم والفضل واذا ذكر ذا كز الساجل نطيف وعزله وارحاله
عن الحمرة مخذولا فقال عظمت حفظه الله تعالى لانذ كروه شر قد قبل ما قبل تنفيدا لرغبات الدولة
التي اتممت على مصالحها واذا كان عمله قدجر عليه او على دولته الفرض فما القنب عليه بل على الوزاوة
التي علمت برأيه او حلت على السير على ما لو تأت وانني لست بمخاف عليه لها مشادة بين السرور والارتك
فهم يحاولون ان يستبدوننا ونحن نحاول ان لانكون عبيدا لهم : معجب الحاضرون بهذه الاخلاق
الفاضلة الزدانة بها تلك النفس البالية فس اخضرة السيدة الخزعية قتال وحي فساه لاتبجوا في
اما من أبي الحسن عليه السلام لم تسموا ما قاله يوم قتل الزبير بن العوام وجأه قتله يستعجزه موقس
علينا قصة الزبير . ثم قال حفظه الله : ألا ان من يريد ان يسم مكارم الاخلاق فليتب على يدي
سيدا أمير المؤمنين وليتأدب بأدبه فازدنا اعجابا بهذا الأمير العظيم اراك الله فيه وقلت في الحال سر تجلا :
الله أكبر يا من فأت أفضل من تسود في الاطراب أو حكم
وأبكر من تبع المني مقلدا أحكامه ومرددا عنه الحكم
لا عرو أنا أنحت بك الرب الكرا م مرق قسما نحمدها العجم
فقد حلت عن المدي حتى لنا في أن تنال وقد تمت بيت بدم
وكذاك كان المرتضى لمدته وكذا يكون اتحاده والكره

» ترجمة الزبير «

هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد الدزى بن قعي فجع مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقي . وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عمه المصطفى والمرفي
عليهما الصلاة والسلام . أسلم الزبير وهو في الخامسة عشرة من عمره وكان اسلامه سدا في بكر قليل
وهاجر الى الحبشة أولا والى اندية ثانيا . وهو أحد العشرة اشهودهم باخنة وأحد الستة الذين
خصهم عمر بن الخطاب . وقد شهد الزبير لشهادته كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أول من
سلم سيف الجهاد في الاسلام . وأخي الرسول بينه وبين سمة بن سلامة من الانصار . وكان يمتي
الزبير حوارى رسول الله والحواري مناه الخاصة أو المخلص تمون فلان خالصة فلان وخلصانه
وحواريه وسبب تلقيه هذا القب الشريف هو انه في يوم الاحرار في غزوة اخذت لبي دعوة
ارسلوا اذا اتدب ثلاثا ممن يأتيه بأ القوم فكان الزبير مائة فيها قتال ان لكل نبي حوارى
وحوارى الزبير . وكان الزبير مع عمرو بن العاص يوم فتح مصر عي عبد عمر بن الخطاب . وقد كان

قَالَ: لَمْ أَدْرِ إِنْ كُنْتَ الْمُسِيءَ بِهَا أَمْ الْحَيِّزَ صَنِيعًا فِي تَوَلِّيَهَا
فَأَقْصِدْ حَتَّى الْمُرْتَضَى وَاسْتَفْتِهِ عَجَلًا فَمَا لَأُمْتِنًا إِلَّاهُ يَفْتِنَهَا
فَسَارَ الْبَصْرَةَ أَنْفَاءً يَضْرِبُ فِي السَّبِيلِ مَطْلَعُهُ يَطْوِي قِيَافَهَا
حَتَّى إِذَا مَا أَنْتَهَى لِلْحَضْرَةِ الْعَلَوِيَّةِ الَّتِي لَا تُحَابِي مَنْ يُؤَالِيهَا
سَيْفَ الزُّبَيْرِ لَقَدْ أَتَى وَخَاتَمَهُ أَمَامَهَا بِمَا يَرْجُو تَرْضَاهَا
وَقَالَ: أَهْلَكْتُهُ أَبْنِي رِضَاءَ الْإِسْبِي وَالْخِلَافَةَ عَاشَتْ بَعْدَ عَادِنِهَا

الزبير أشد الصحابة تمسكا بالولاء لبي هاشم على عهد الرسول لانهم كانوا يحسبونه واحدا منهم
وكان الزبير أشد الناس كدرا لضياع الخلافة من سيدنا علي في يوم السقيفة ولم يبايع
أبا بكر إلا وهو مكره اذ لم يثقوا الى بيت سيدتنا فاطمة وجاهد عمر واليف مشر يده واستانه قهرأ
الى أبي بكر حتى بايه والقصة مشهورة وكان يصحب فاطمة الزهراء عليها السلام لاستفاض المهاجرين
والانصار لكثرة أبي بكر ومبايعة علي وأحاديثه في الانتصار لأمير المؤمنين عليه صلوات الله كثيرة
أجمع المؤرخون على صحته

وعند ما عاد عبد الرحمن بن عوف يوم الثوري من مشاورة الناس وأبأ الزبير بوجود
مبايعة عثمان أنكر عليه ذلك ونادى لبس لها الا علي بن أبي طالب عليه صلوات الله . ولم ينقلب
الزبير على سيدنا علي إلا بعد أن كبر ابنه عبد الله فآثر عليه وأبعد قلبه عن موالاته طمعا بالخلافة
على ما سترى في ترجمة عبد الله هذا

وكان الزبير شديدا على عثمان يشري الناس قتله كما كان يهيه وحوه الصحابة والانصار وكان
في مقدمة من بايعوا سيدنا علي بايه بعد طلعة ثم كان في مقدمة المنقلبين عليه على ما سبقت الاشارة
وتلا ذلك مسيره مع أصحاب الجمل لحربه فقراره الى ان قتل غيلة كما تقدم القول وكان مقتله وهو في
السابعة والسبعين من عمره . وكان الزبير أسمر اللون ربة في القوام معتدل اللحم خفيف اللحية
أسود الشعر فصيح اللسان

اما مدينة الزبير التي دعيبت باسمه فهي تبعد ثمانية اميال عن البصرة وقد ببيت على الارض
التي جرت عليها موقعة الجمل وكان في موضع هذه المدينة قبر الزبير ولم نجد فيها بين أيدينا من التواريخ
كيفية قتل رده من وادي الساع الى هذا الموضع ولا اسماء الذين قتلوها ولكن قبر الزبير كان هناك
من عهد عبيد وكان متهدما وكان يحواره حن تنزل فيه القوافل وهي سائرة من البصرة الى الشام
وبنيت بجواره بضعة بيوت من الآخر وسوق صغيرة من قبل سنة ١٠٠٠ الهجرية

وعند ما طهر الشيخ احمد عبد الوهاب الشير في نجد بدعوته وايداه الامراء آل سعود ترك
نحدا كثيرا من ذوي الليوات النجدية الكريمة منهم آل زهير وآل سام وآل تاجب وآل فداع
وآل مشري وآل مندبل وسكوا في هذا الموضع ودعوه على اسم الزبير وابنوا بجوار قبر الزبير مسجدا
للصلاة واخذ الناس يقيمونهم ويجاورونهم فكبرت بهم المدينة واشتهرت بتجارة الحيل يستوردونها
من نجد ويزيلونها بطريق البصرة أو الكويت الى بومباي لتباع في أسواق الهند ويبلغ عدد سكان
هذه المدينة الآن نحو عشرة آلاف نسمة وكان الحكم فيها لآل زهير ظلوا يحكمونها الى منذ اربعين سنة

فَانْكَرَ الْمُرْتَضَى هَذِي الْجَنَابَةَ اِنْكَاراً عَلَى عَزْوِ الْخِرْمُوزِ جَانِبِهَا وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا كَانَ الزَّيْبُرُ إِذَا خَاضَ الرِّجَالُ غِمَارَ الْحَرْبِ كَاعِيَهَا لَكِنَّا الْخَبِينَ مَعَ سُوءِ الْمَصَارِعِ بِرَمِي الْمَرْءِ فِي نَكْبَةٍ صَغَبَتْ قُبَيْهَا نَمَتْ تَنَاوَلَ ذَلِكَ السَّيْفَ فِي يَدِهِ وَهَزَهُ هَزَةً قَدْ كَانَ رَاصِبَهَا وَقَالَ : يَا طَالِمَا جَلَّ الزَّيْبُرُ بِهِ عَنِ الرِّسَالَةِ خَطْباً كَانَ فَاجِبِهَا

وكان آخر حكمها منهم المرحوم سلمان الزهير . ثم تسطت عليها الدولة العثمانية بعد ان تسطت على البصرة واستولت على حكم هذا البلعم آل سعدون وجعلتها قسبة تابعة للبصرة الا انها ابتت الزمامة فيها لاهلها العرب وكان حاكمها الاخير على ما اعهد نذاعوام صاحب السعادة عبد الكريم آل مشري وليس في الزبير وضواحيها زراعة لعدم وجود الماء هناك ولذلك عند كثيرين من اشراف الزبيريين الى الانتقال الى البصرة فصبحت اكثر الدلتات السكرجة التي اشرها اليها ساكنة البصرة اليوم ولكن ظل لها اقرامه وعلائق عقارية ومالية في الزبير

« ترجمة عبد الله بن الزبير »

هو عبد الله بن الزبير بن العوام وامه اسماء بنت أبي بكر اخت عائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم لايها وعند ما حاربت امه الى المدينة مع زوج ابيها ام رومان واختها عائشة كانت حاملاً به فولدته في « قباء » فكان أول مولود للمهاجرين وجاءت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت في حجره فدعا بتمرة فضنها ثم قل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ثم حنكه بتلك التمرة ودعا له وباركه . وكان فرح المسلمين بمولد عبد الله كبيراً لأن اليهود كانوا يقولون ان المسلمين سوف لا يلد لهم ولد . وقد دعاه رسول الله عبداً لله وكناه بكنية جده « ابي بكر »

وكان الزبير شديد الشف بولده عبد الله كما كان اسامون يحبونه بسبب الآف ذكره وبعد ما بلغ السابعة من عمره ارسله ابوه الزبير الى المصطفى ليأياه فقبضه صلى الله عليه وسلم وقبل بيته ثم ان عائشة اذ لم يرزقها الله ولداً انصرف الى تربية ابن اختها عبد الله بن الزبير والعناية به وكانت تحبه حباً جاً وقالت عائشة للمصطفى يوماً وقد شئت من الولد بماذا اكفي وليس لي ولد فقال عليه الصلاة والسلام بان اختك عبد الله فصارت تكنى « بأم عبد الله »

وسبب الزبير بين يدي خاله ومثرت على أمياله وابعدته عن ولائ سيدنا عبيد صلوات الله مع مواضع بني هاشم حتى اذا ما بلغ الشباب صار يؤثر على ابيه ويمدح من عني وبني هاشم . ودخل على نفس عبد الله بن الزبير الطمع بالخلافة من يوم حصر عمر حق ولا يشا بالست وابوه احدهم فكان يحلم بان يكون ابوه الخليفة وفي ايام خناب كان عبد الله بن الزبير من أشد الناس عني عثمان بقدر به ويحمرش الناس عليه . حتى اذا ما قتل عثمان وخاب قل خاله بولاية حدة اسرع الى مكة واضم اليها قبل مسير أبيه وضعة اليها . ورافق عائشة واصحاب اخن الى البصرة وكثر في مدة حلة الجل هو الذي يصلي بالناس باسمه عائشة كما تقدم . كما بان عبد الله هذا ذو توحيد بآب الناس وعائشة فهو الذي احضر لها جل العرنى لتركيه وهو الذي هددها بمحش سيد عني عند « الخواب » حتى جعلها على استئناف السير مدان عزمت على الرجوع . فبمئة ندمه . وكسبت كين هو الذي اتر

قَالَ عَمْرُو أَجَزَنِي وَالصَّنِيعَةُ قَدْ
قَالَ الْوَحْيُ: أَتَرْجُو أَنْ أُجِزَ عَلَى
قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُنْذِرُ مَنْ
كَذَلِكَ قَدْ رَدَّ عَمْرُو خَائِبًا بَيْسًا
لَوْ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةً فِتْنَاهُمَا دَوْدُ
لَمْ نَجَاعَمَرُو مِنْ عَدْلِ الْأِمَامِ وَإِنْ
جَلَّتْ بِجَائِزَةٍ كُبْرَى تُؤَاوِيهَا
صَنِيعَةُ الشَّرِّ وَالْآثَامِ مُسْتَوِيهَا
يَزِيدِي الزَّيْبُ بِنَارِ الْخُلْدِ بَصْلِيهَا
مِنْ الْأَمَانِي الَّتِي قَدْ كَانَ رَاجِيهَا
بِهَا الشَّرْعُ مُهْدِرُهَا مُفْ مُرْيِقِيهَا
نَجَى الْأَمَامَةَ مِنْ كَانَ شَانِيهَا

على ابيه الزبير ليحدث بالعين التي حلفنا لسيدنا علي ان لا يحارب . وعندنا ما اظن الله سيدنا هي
باصحاب الحل عرض عبد الله هذا ان يايه عليه صلوات الله واسطة محمد بن أبي بكر فرض يتهلمه بانه غير
صادق بما وعفا عنه فهرب الى الشام وانضم الى معاوية وحضر معه موقعة صفين الشهيرة
ومد مقتل سيدنا علي عليه صلوات الله ورضاء سيدنا الحسن بيعة معاوية ذهب عبد الله بن
الزبير الى المدينة واقام فيها وكان معاوية يصدق عليه نعمة شانه مع اعظم رجل قريش ووجوه الانصار
على ان عبد الله بن الزبير كان في جملة الذين اقبلوا على معاوية عند ما ارسل يطلب منه ومن امثاله
من كبار ابناء الصحابة والانصار الرضاء بيعة انه يزيد فرأى معاوية بد ان استوفى من أهل الشام
والعراق لابنه ان يسير بنفسه الى المدينة ليستعمل تقوذه عليهم ويحمله على الرضى يزيد وقبل وصوله
الى المدينة اسرع سيدنا الحسين عليه السلام وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير هذا الى مكة وهم
مصممون على رفض البيعة ليزيد ومقاومتها مهما كانت الحالة . وكان معاوية يهيم ببيعة هؤلاء قبل كل
كن في المدينة لانهم كانوا وتشتوا اكروا وجه اولاد المهاجرين فلما وصل المدينة بخيله ورجله وهيله
وهيلمانه وسع أن هؤلاء الرعاء ثلاثة قد تركوها وساروا الى مكة كرمها الله تبهم البها وهو نظاهر
انه يريد التمسك والجمع قاما بانها استدعاهم اليه وطلب منهم البيعة لابنه يزيد وعظهم بان يكونوا في
ولايتهم اصحاب الحل والمقد فلم يجب سيدنا الحسين وقل عبد الله بن الزبير ان الاولى ان تتركها
شاغرة كما تركها رسول الله فيختار الناس لها من يشاؤون أو ان تهدبها الى رجل ليس من نبي
ايك كافي بكر أو ان تمجها في ستة نفر ليس فيهم احد من ولدك ولا بنى ايك كما فعل عمر خاويل
معاوية ان يسترحمهم بالوعود الى موافقته على بيعة يزيد فلما افلح مهم وأصروا على اداء البيعة فقال:
احببت ان اتقدم اليكم ، انه قد أغر من أنذر ، اني كنت أخط فيقوم الي القائم منكم فيكذبني
على رؤوس الناس ، فحل ذلك وامسح ، واتي قائم بمقالة ، فقسم بالله لن رد علي احد منكم كلمة
في مقامي هذا لان ترجع اليه كلمة عبرها حتى يسبقها السيف الى رأسه ، فلا يبق رجل الا على
نفسه . وبعد ان اتهم كاتبه هذه دعا صاحب عسكره يحضرهم وقل : اقم على رأس كل رجل من
دولاء راجين ومع كل واحد سيف فان ذهب رجل منهم يرد علي كلمة بصديق أو تكذيب
فليضرباه بسيفيما تم قل : وهذا انا ذاهب الى المسجد فستقم اليه . وبالفضل خرج معاوية الى
المسجد وكان غاصا بالناس بدعوة معاوية واستيق اليه سيدنا الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير
وقام على رأس كل منهم رجلان مشهران سيفيها وعلا معاوية المنبر حمد الله واتى عليه وقال : « ان
هؤلاء الرءط » (و اشار الى الثلاثة) سادة المسلمين وخيارهم ، لا يترأسهم دونهم ، ولا يقضي

وَمَا كُنْتُمْ أَنْ يُجَافِيَهُ وَيَرْجِعَهُ
وَالْمُرْتَفَعِي كَانَ أَسَى هِمَّةً وَتَقَى
مَعَ الْبِشَارَةِ بِالْبَيْتِزَانِ يَتَوْنَهَا
مِنْ أَنْ يُؤَايِي عَلَى الْأَنَامِ مُجَرِّهَا
وَضَضَعَتْ عَزَمَ مَنْ أَمْسَى يُنَاوِنَهَا
وَأَنَّ تَكُنْ خُدْمَتُهُ فِي سِيَاسَتِهِ

الأ عن مشورتهم، وانهم قد رضوا وباعوا ليزيد فباعوا على أم الله « فلم يكن في الناس إلا الماييم لانهم لو أرادوا أن لا يبايعوا لما استطاعوا الى ذلك سبيلا ولأنهم راوا ساداتهم والسيوف مشهرة على رؤوسهم فتهبوا وقظهم وبعد أن أكرمهم هؤلاء الثلاثة على البيعة عادوا الى المدينة وفي قلوبهم ما فيها على الحق المنصوب والامر الساب

وعند ما مرض معاوية مرض الموت دعا اليه ابنه يزيد فأوصاه وصيته وأما ان بكرم أهل الحجاز ويبرهم وان بماليء أهل العراق بحيث اذا علموا منه في كل يوم أن يزل طاملاً قليل وأن ينضم بأهل الشام ويتقدم بملائمه ثم قال : ولست أخاف ان ينازعك في الخلافة سوى أربعة لوهم الحسين بن علي وهذا سوف لا يدته أهل العراق فإذا طفرت به فلا تترقب له بسوء لقراجه من رسول الله . والثاني عبد الله بن عمر وهذا وقته العبادة فإذا رأى الناس قد بايعوك بايع . والثالث عبد الرحمن ابن أبي بكر وهذا ليس له همة سوى في اللهو والنساء فيصنع ما يصنع الناس . والرابع عبد الله ابن الزبير وهذا لا يجيئ لك يوم الأسد ويروغك سراوغة التلب دن هو فعلها فظفرت به قطعه أرباً لرباً أه وتري من هذا ان معاوية لم يكن يحس حساباً الا لسيدها الحسين وعبد الله بن الزبير وعنده في معاوية في هلال رجب سنة ٦٠ للهجرة « ٧ ابريل سنة ٦٨٠ ميلادية » نادى ابنه يزيد بنفسه خليفة المسلمين فبايعه الناس في دمشق ثم كتب الى الامصار فبايعته وكان همه الاعظم أن يأخذ بيعة الفر الذين ذكرناهم فكتب بذلك الى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان حامل أية على المدينة ما نصه « أما بعد فخذ حيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير أحسناً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام » فلما ورد نعي معاوية على المدينة المنورة وهم الوليد بن عتبة بالعمل حسداً أمرهم يزيد أسرع عبد الله ابن الزبير الى مكة وقال للناس : اني عائد بالبيت . ولم يكن يصلي مع الناس أو يفيض في الحج فبايعهم . وفصل مثل ذلك سيدنا الحسين فخرج بأولاده ونسائه وأولاد ونساء أخيه الحسب الى مكة وبايع عبد الله بن عمر وعبيد الله بن عباس ليزيد بعد أن بايع الناس وعند ما أقبل سيدنا الحسين على مكة أقبلت الناس عليه وفيهم عبد الله بن الزبير وكان هذا يعلم يقيناً ان أهل الحجاز لا يبايعوه مادام الحسين موجوداً فكتم ما في نفسه واتضع لصاحبه . حتى اذا ما دعا الراقيون سيدنا الحسين اليهم ليبايعوه وإياهم وسار اليهم أخذ عبد الله بن الزبير يرتب سير الموائد وهو ينوي أن يعلن الدعوة لنفسه سواها ظفر الحسين على معاوية بمعاونة الراقيين أو خذل . فلما انتهى الى عبد الله بن الزبير نبأ فاجة المسلمين الكبرى بمقتل سيدنا الحسين عليه السلام دعا الناس الى بيعة فبايعه الحجازيون وكان سبق ذلك عصيان أهل المدينة وأرسل يزيد بن معاوية مسلماً ابن عتبة لقتالهم فثار اليهم وحارهم وانتك حرمة مدينة الرسول وأخضعهم باليف . وعلى أثر ذلك سار بأمر يزيد الى مكة لاختضاع عبد الله بن الزبير واللائد بالبيت المتيق فنتهى الى مكة لاربع بقين من ابرهم سنة ٦٤ هـ فصد له عبد الله بن الزبير وصال القتال ورمى رجل يزيد بمكة كرمها الله والبيت المتيق بالحنانيق وما زال القتال متعباً حتى ورد على مكة نعي يزيد وقد مات لاربع عشرة خلت من ربيع الأول سنة ٦٤ للهجرة « ١٠ نوفمبر ٦٨٣ ميلادية » فوقف القتال ولومته جيش الشام

وَكَانَ يَرْفُضُ عَوْنًا لِلْخِلَافَةِ لَا تَرْضَى الشَّرِيفَةُ عَنْهُ مِنْ مُعِينِيهَا
وَهُوَ الَّذِي قَدْ تَوَلَّاهَا لِيُخْدِمَ شَرْعَ الْمُصْطَفَى لَا لِإِطَاعَةِ يَوْحِيهَا

معبر طلحة بن عبد الله

أَعْمَالُ طَلْحَةَ فِي قَتْلِ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ أُمِيَّةٌ لَمْ تَجْعَلْ خَوَافِيهَا (١)
فَأَيُّهَا عَرَفَتْ مَاضِي عِدَاوَتِهِ لَهُ وَكَانَ عَلَى الْأَشْهَادِ يُبْدِيهَا
وَطَالَمَا كَانَ يَسْتَهْوِي الثُّغُورَ إِلَى عِصْيَانِهِ عَلَنًا بِأَقْتُلِ بَغْرِيهَا
قَهْرًا النَّاسَ تَهْوِشًا وَأَلْهَبًا عَلَيْهِ حَتَّى تَمَادَتْ فِي تَمِصِّهَا
وَعِنْدَ مَا اسْتَمْتَحَلَتْ إِذْ ذَاكَ قَتْنَهَا وَخَابَ مَسْعَى الْأُمِّيِّ رَامُوا تَلَا فِيهَا
قَدْ كَانَ طَلْحَةُ فِي بَابِ الْخَلِيفَةِ مَشْمُولًا بِسُمِّهِ مُسْتَخْفِيًا فِيهَا

أدراجه وظلَّ عبد الله بن الزبير ولي الأمر في مكة كرمها الله وكل الحجاز
وخلف يزيد بن معاوية الثاني وهذا لم تطل مدته فاعتزل ومات وخلفه مروان بن الحكم كاسر معاني ترجمة
مروان وهذا قاتل الضحاك وغلبه وكان هو اسم عبد الله بن الزبير ومات ولا يزال عبد الله بن الزبير ولي أمر
المسلمين في الحجاز . ولما مات مروان خلفه ابنه عبد الملك بن مروان وهذا رأى الحجاز وال عراق
منتفضين عليه فقرأه على أن يبدأ معارضة العراق ثم يذهب إلى أخضاع الحجاز فلم يفلح بحربها وامتدت
سلطة عبد الله بن الزبير إلى العراق . ثم إن عبد الملك سار بنفسه إلى العراق وحاربها وأخضعها
ووجه وهو في الكوفة حلة على الحجاز بقيادة الحجاج بن يوسف التتفي وذلك سنة ٧٢ للهجرة
وبوصوله إلى مكة حصرها ورمها بالمجانيق ولم يزل كذلك حتى أضنى أهل مكة الحصار وضرب المجانيق
فتفرقوا عن عبد الله بن الزبير وخرجوا بالأمان إلى الحجاج فأمنهم ودخل مكة فاعتصم عبد الله
ابن الزبير بالبيت الشيق فإرعى له الحجاج حرمة وضرب السكة بالمجنق واجتازها عنوة ودخل على عبد الله
ابن الزبير وهو متمسك بالسكة وله أشنع قتلة وكان في الثانية والسبعين من عمره إذا كان مولده في
السنة الأولى من الهجرة كما سبق القول وأما خلافة قدامت تسع سنين إذا كانت يمت سنة ٦٤ للهجرة
(١) سر بنا فيما تقدم أن طلحة كان في مقدمة الناقين على عثمان اللذين عليه وعلى عماله أعمالهم
وكان يفرى النافرين بقتله ويدعوهم إليه حتى أنه في يوم مقتله كان مشتلاً بسنبلته إطفاء لشخصه
وكان يرمي دلو عثمان ببله مع رملتها ولما تعرض على النافرين دخول دار عثمان لتصدي الحسن والحسين
وبقية أبناء الصحابة إلى منهم سار بهم إلى دار مجاورة لدار عثمان وأصدهم إلى سطحها وبذلك
دخلوا دار عثمان وقتلوه . وكان الأمويون يرفقون هذا كله ولا سيما مروان بن الحكم إلا أنهم
ما كانوا في الحقيقة مطالبين بدم عثمان بل كانوا يطلبون الخلافة ولذلك وجوا خصومتهم على أمير المؤمنين
عليه صلوات الله ولهموه ظلماً بالتحريض على عثمان وحماية قتلته والذين ثاروا عليه من العقاب ولو
تولاهم أي كان من غير ني أمية لكانت نسمهم واحدة باتخاذ دم عثمان حجة لهم بمحتجونها عليه

وَكَانَ فِي زِمْرَةِ أَثْوَارِ جَنِّ رَمَتْ دَارَ آيْنِ عَفَّانَ بِالْأَنْبَالِ يَزِمْنَهَا
وَصَارَ يَطْلُبُ مِنْهَا قَتْلَهُ وَيَبِ قَدْ كَانَ رَغَمَ نَوَاهِي الشَّرْعِ يَفْتِنَهَا
حَتَّى إِذَا هَاجَمَتْ دَارَ الْخِلَافَةِ تَبْنِي قَتْلَ صَاحِبِهَا صَبْرًا بِأَيْدِيهَا
وَحَالَ دُونَ مَنَاهَا مَوْفَ الْحَسَنِينِ مَعَ بَنِي الصَّحْبَاءِ إِذْ صَدَّوْا نَعْدَهَا
وَأَتَى بِهَا طَلْحَةَ دَارَ الْخَلِيفَةِ مِنْ سَطْحِ بَيْعَتِهَا الدُّنْيَا يُحَازِنُهَا
أُمِّيَّةٌ عَرَفَتْ هُدْيَ الْفِعَالِ لَهُ لَكِنَّمَا أَظْهَرَتْ عَنْهَا تَقَاضِيَهَا
لَمَّا رَأَتْهُ عَلَى عُدْوَانِ حَيْدَرَةٍ مُصَيَّمًا وَهُوَ فِي هَذَا مَرَاهِنَهَا
وَكَانَ يَعْرِفُ مِرْوَانَ حِكَايَتَهُ وَكَانَ مَعَ طَلْبِ الْأَثَرَاتِ يُحْكِيهَا
وَكَانَ مَعَ مَنْ سَعَوْا مَعِيًّا بِعَائِشَةَ لَوْضَعَةِ الْجَمَلِ السَّوْدَاءِ يُزِفْنَهَا
وَعِنْدَ مَا نَصَرَ اللَّهُ الْعَلِيَّ وَأَعْدَاهُ قَدَرٌ أَنْخَذَتْ وَاللَّهُ مُخْزِنُهَا

ليضفوا أسره ويؤلبوا الناس عليه توصلاً إلى الخلافة . ولهذا لا عجب إذا أغضوا عن طلحة والزبير وغيرهما من أتباع علي عمن وأسأوا لهم حلائلهم الشديدة على ذلهم الخليفة المتول أو تجاهلوا ذلك بعد أن انقضوا اليهم وأصبحوا في صفوقهم

الا ان مروان بن الحكم يختلف عن سائر الامويين بأنه هو الذئب انبشقر قتل عثمان واذا كان الثائرون على عثمان قمعوا عليه لأجل عماله فجاء قمعهم كانت على مروان الذي كان هو الخليفة « غير الرسمي » التصرف بشؤون الخلافة بينما كان عثمان كفواً على الصلاة والصوم وتلاوة القرآن العزيز ولم يكن له من الاسم غير الاسم . وهذا كان ضمير مروان يوجهه ويؤنبه ككل ما ذكر عثمان وصية طلبة وائمه مثل بجريرته وكان كمرتي برغم من صميم قلبه أن يثار له من قتله الاصلين وعلى رأسهم طلحة والزبير

وما زال مروان بن الحكم يحارب مع أصحاب الخيل إلى أن تشتت شملهم وامتلات الارض من دماء قتلاهم حتى اذا ما تمزقوا بعد هلاك الخيل أيدي سبا رأى امه مكرهه على التفرار كما فر من بقي حياً من اصحابه ولكن عز عليه أن يترك ميدان القتال وطلحة وهو عدوه الاكبر حي قتال لا أصاب نار عثمان من طلحة بعد اليوم واتضح له بهم أصاب ساقه وقطع أكله وكان طلحة قبل سهم مروان قد اصاب بجروح كثيرة وهونت على القتال يشجع الفر القليل الذين ثبتوا معه على حرب أنصار الخليفة فلما أصاب سهم مروان وقع من فوق جواده إلى الارض وتركه القين ظلوا به وولوا هارون يطلبون السلامة لا تقسم من بطش سيدنا أمير المؤمنين

وحل طلحة بين الجرحى الكثيرين الذين حوله وهو يقول « ما رأيت كاليوم دم شيخ تربي أضع من دمي » ولينا كان طلحة يجود بروحه ودمائه تسيل من جسده وشراها دم أكله حيث أصابه سهم مروان ولداً لعزائي سر به قتال له من محباب من أنت؟ قتال من محباب على عليه صلوات الله قتال اتراً أمير المؤمنين السلام وأطفه تونى وتدمي على ما كان في وامدد

مُرَوَّانُ نَادَى: وَتَارِعِي لَسْتُ تَارِكَةً وَنَسَائِي لَسْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ مِنْسِيماً
لَأَقْتُلَنَّ بِمُسْكَانٍ وَإِنْ طَلَبَ السَّائِرَ سَوَى طَلْحَةَ كَذِباً وَمَوْنِهَا
فَأَنَّهُ دُونَ كُلِّ النَّاسِ قَاتِلُهُ وَالْقَسُ فِي قَتْلِهِ تُفْنِي تَشْفِيهَا
وَيَسْنَأُ طَلْحَةَ بَاقٍ لِحَرْبٍ رَجَا لِمُرْتَضَى مَعَ بَقَايَا النَّاسِ يُخَيِّمُهَا
وَقَدْ مَلَتْ جِسْمَهُ نَبْلُ الْخِلَاقَةِ وَالْجِرَاحُ مِنْ دَمِهِ سَالَتْ مَجَارِيهَا
وَأُذِرَمِي طَلْحَةَ يَزِيدُ وَأَنْ رَمِيَةً مَوْ تَوْرٍ تَشْعِي بِهَا تَالَهُ رَامِيهَا
فِرَاحَ طَلْحَةَ يَشْكُو مِنْ جِرَاحِهِ وَقَدْ دَرَى لَيْسَ غَيْرُ الْمَوْتِ تَالِيَهَا
وَيَسْنَأُ هُوَ مَافَوْقَ الْإِتْرَابِ يَمَّا بِنِي سَكْرَةِ الْمَوْتِ مَعَ جِرْحَى تَمَازِيهَا

يدك لا يبيع لامير المؤمنين ثانية قد اليه يدع قابله وتركه الاعرابي ومعنى أما طلحة فرح وتأوه
وقال اللهم خذ لابن عفان مني وقته ثم مررنا في حاشية سابقة كيف مرر أمير المؤمنين بجثته
وهو قتل مفرج بدنه وما قاله عندها وهكذا انتهت حياة هذا الصحابي الكبير

﴿ ترجمة طلحة ﴾

هو أبو محمد طلحة بن عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة ويجمع
رسول الله ﷺ وأمه تدعى الصعبة بنت الحفصري وكانت قبل أن يتزوجها أبوه عبد الله زوجاً
لابي سفيان بن حرب والد معاوية فطلقاً ثم تبناها فقتل يقتلها قتيلاً قصيدة مطلعها
إني وصيبة فيهما أوى بيمدان والودّ ودّ قريب

وطالعة أحد الصحابة الشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين ترك عمر الاسر شوري
بينهم . وكان يقب بطالعة الحبر . وطالعة الفياض . وطالعة من السابقين الى الاسلام أسلم على يد ابن
عم أبيه أبي بكر قبل اظهار الدعوة وهاجر الى المدينة مع فناء أبي بكر وعيانه . ولم يحضر طلحة
موقعة بدر قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أرسله يومئذ مع سيد بن زيد ليتجسس
عبر قريش على انه شهد أغلب المشاهد النبوية

وأهم مواقف طلحة كانت في غزوة أحد وفيها شل أميمه وقد روى طلحة بنفسه ما جرى له في
أحد قال: «إني مالك بن زهير الجشمي بهم يريد رسول الله وكانت رميته لا تخطيء فاقببت السهم
بيدي عن وجه رسول الله فأصاب خصره فقتل » ولذلك كانوا يسمونه «أبا أصبع» كما رأينا عائشة
تدعوه . وروى الثقات ان طلحة عند ما انتهى السهم وأصاب أصبعه قال آم فقال رسول الله «لو قال
بسم الله لدخل الجنة والناس ينظرون » من أحب أن ينظر الى رجل يمضي في الدنيا وهو من هل
الجنة فلينظر الى طلحة بن عبيد الله » وإن سيدنا علي عليه صلوات الله وهو على ما علمت من انصافه
لأعدائه قبل صدقته ذكر ذاكر محضرته بعد موقعة الجمل طلحة بسوء خبره وقال: «انك لم تشهد
يوم أحد وعظم غناؤه عن الاسلام مع مكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله » فقال قائل وما
كان غناؤه وبلاؤه رحمه الله يوم أحد ؟ فقال عليه صلوات الله «نعم رحمه الله لقد رأيته وانه
يترس بنفسه دون رسول الله وإن السيوف لتفشاه والنبل من كل ناحية وما هو الا جنة لرسول

لَأَقِيَنَّ قُرْبَهُ يَسْمِيَنَّ قَالَ: أَحَا أَلَا م
عَرَابٍ بَاوَدَ عَزِيزًا فِي قُرَيْشِيهَا
عَنِ الرِّغَابِ أَلَيْسَ يَرْجُو لِقَاضِيهَا
أَجَابَ: أُمْرَتُهُ إِيَّانِي مُوَالِيهَا
ضَاعَتْ كَنَفِي وَإِيَّانِي كُنْتُ مُرْدِيهَا
يَاطْلِحْ ذِي الرِّغَابِ مَا إِلَاكَ مُطْلِحُهَا
وَأَطْلُبْ لِي الْغَوْرَ مِنْ عَلِيَّاهُ تَجْرِيهَا
بِهَا مُبَايَعَةٌ لِلَّهِ أُعْطِيَهَا
فَمَدَدُ يَدَا كُنِي أُنِّي آلَانَ يَمُتْهُ
وَتَلْقَى مِنْهُ يَمُتْهُ

الله فيه بنفسه » وهكذا كل علينا عليه صلوات الله لا يخفى الناس أشياءهم ولو كانوا عدائه ولا سيما أكابر الصحابة الذين أيدوا الاسلام ونشروا دعوته

ولم يحضر طلحة مجتمع السقيفة عند ما جوع ابن عمه أبو بكر الا انه لم يتأخر عن البيعة . وواسطة قرابته من أبي بكر كان يطعم أن ينال الخلافة وبعد نفسه له يدك على ذلك دخوله على أبي بكر وهو يجود بنفسه ياتبه على بيعة عمر كما قدم القول في حاشية سبقت . والظاهر ان عمر كان بحسب طلحة حساباً فاتخذ موضع شوراه وميزه بسلامة لواءه وكان طلحة على عهد عمر يغتلي بغضه ويتعادون بالطلاقة بعد عمر على أن يماسوه بها ويبلغ ذلك عمر فخطب في الناس محمراً غم العودة الى ماجرى في وقت بيعة أبي بكر قائلاً « انها فلتة ولكن وفقى الله شرها »

وكان طلحة غائباً عن المدينة عند ما قتل عمر فلم يحضر شورى السوء واليه يوم بيعة عثمان فلما علم بما داخله الهم والغم وكان في مقدمة الناقضين عليه ولكن ما تأخر عن بيعة ويظهر لي انه عرف بأن فوز عثمان كان بفضل ما ينال معاوية من المال في تحزب الاحزاب فراد أن يحضو حذوه ودينه على ذلك انه باع من عثمان أرضاً بمائة ألف درهم فحملها اليه فقتل طلحة « ان رجلاً بيت وهذا المال عنده وفي بيته لا يدري ما يطره من أمر الله تمرير بالله » وافعل شرع في تلك الليلة يوزعها بممرسه في شوارع المدينة المنورة على الناس حتى أصبح الصباح وما عنده درهم واحد . قال راوي هذا الخبر وهو حسن البصري فمل هذا طلحة ثم جاءه اليها يطلب الدينار والدرهم . وعلى مثل هذه الرواية وما عرفناه بعد من نفعه على سيدنا علي لانه راد اسأولة بيته وبين المسلمين بالعهدة لا يفسر توزيمه المال على الناس الا لا اكتساب قلوبهم يوم يعلن البيعة بنفسه والله اعلم

أما ظهوره بالبداء لعثمان فهو مالا ريب فيه وقد تضافرت عليه الروايات وأهمها في نظرتنا شهادة أمير المؤمنين الذي لا ينك . مؤمن في صدقها وقد شهد عليه صولات الله غير مرة بكل صراحة بأن طلحة كان أشد الناس على عثمان ومن هتفت بالشهادتين فيها وأصرحها قوله عند ما بلغه ان طلحة نكث بيعة ونهض يظا به بدم عثمان على شعار السيوف « قد كسرت وما أهدها بالحرب » ولا أروى بالضرر ، وأما على ما تقدم وعدي ربي من النصر : والله ما استحسن (طلحة) متجسداً لطلب بدم عثمان ، الا خوفاً من أن يغالب بدمه لانه مطهته . ولم يكن في الأمر أحرص عليه منه .

وَبَعْدَ ذَا طَلْعَةِ أَبْدَى تَأْوَهُ مَا يُوسِ وَمُنْجَتُهُ بَادٍ تَمَفِّيْهَا
وَصَاحَ: خُذْ لِي ابْنَ عَفَّانِ بَعْدَكَ يَا رَبَّاهُ مِنْجِي حَقُّوْقًا أَنْتَ رَاضِيْهَا
وَلَمْ يَزَلْ جِرْحُهُ النَّفَّارَ يُنْهَكُهُ حَتَّى قَضَى لَهِيبَ الْأَحْشَاءِ ذَاكِهَا

مصر عائشة أم المؤمنين

بِهَلَكَةِ الْجَمَلِ الْمَلُومِ صَاحَ عَلِيٌّ تِلْكَ عَائِشَةُ ابْنِي لَحَامِيْهَا
هِيَ إِلَى الْبَصْرَةِ أَنْفَاءً ذَهَبُوا وَأَحْطَسُوا هُنَاكَ فِي أَصْفَى مَبَانِيْهَا
وَكَانَ لِابْنِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٌ هَا تَيْكَ الْوَامِرُ بِالْتَّشْرِيدِ مَقْطَبِيْهَا
مَعَ ابْنِ يَاسِرٍ كُنِيَ فِيْهَا يُعَاوَنُهُ فَلَبِّيَا هَا عَلَى أَسْمَى مَعَانِيْهَا

فأراد أن يتألف بما أجب فيه ليتبس الاسم ، ويقع الشك ، ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث ، فمن كان ابن عفان ظالماً كما كان يزعم ، لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتله ، وأن ينأى ناصريه ، ولئن كان مظلوماً ، لقد كان ينبغي له أن يكون من المنتهين عنه ، والملمذين فيه ، ولئن كان في شك من الحصتين لقد كان ينبغي له أن يتزلزل ويكرن جانباً ، ويدع الناس معه ، فما فعل واحدة من الثلاث ، وجاء بأمر لم يعرف بابه ، ولم تلح مآذيره ، اه وفي هذا كفاية
ثم رأينا في سياق ما نحن فيه كيف بايع طلحة قبل كل الناس سيدنا علي وكيف نكث يمينه وكيف ألجأ الناس عليه وكيف سار إلى البصرة وكيف قتل . وما نحب الإشارة إليه هنا هو أن اشتراك طلحة والزبير في تقمهما على عثمان وعدلها لسيدهما علي قد جعل اسميهما مصطحبين ولذلك أطلق عليهما اسم « الزبيرين » حينما وجدت هذا الاسم فاعلم انما يراد به طلحة والزبير

وقتل طلحة بين من قتل مع الجمل وله من العمر ٧٥ سنة ودفن في موضع الموقعة وهو إلى الشمال الشرقي من بلد الزبير على مسافة مسيرة ومدفته معروف هناك إلى اليوم ويسمونه « قبر طلحة الخير » (١) لما قتل الجمل لئنه الله في موقعة الجمل على ما تقدم في حاشية سبقت أمر سيدنا علي عليه صلوات الله أن يحفظ الناس بالهودج وفيه عائشة ثم أمر محمد بن أبي بكر وهو أخوها على ما تامل وعمار بن ياسر بأن يسرعا إلى الهودج وينظرا في أمر عائشة وراحتها ويحملانها إلى البصرة فقلعا وقفلا الهودج بائثة وهي صاخبة باكية وأتزلها في دار عبد الله بن خاف وكانت أعظم دور البصرة وطلقا بأمر أمير المؤمنين يسمهان رايتها. وزارها سيدنا أمير المؤمنين منضياً عن كلال كان منها اجلالاً لحب المصطفى لها وأسمت في زيارته لها من قولرس الكرم ماوسه حلمه شأنه عليه صلوات الله مع المستضعفين والنساء ثم إن أمير المؤمنين أمر برجوع عائشة إلى المدينة المنورة وجهزها بكل ما ينبغي لها من مركب وزادوه ناع ونحو ذلك مما يوفر لها الراحة في سفرها وسمح لها أن تصحب من أصحابها الذين أتوا معها من أحب الرجوع إلى المدينة واختارها أربعين امرأة من نساء البصرة المرفقات لكن في صحبتها ويسرن على راحتها وجعل موكبها تحت اشراف وقيادة أخيها محمد بن أبي بكر

وَأَسْرَعًا مِثْلَمَا شَاءَ الْقَلْبُ بِهَا إِلَيَّ رَبِّي الْبَصْرَةَ أَنْفَتَا لَتَاوْنَهَا
وَقَدْ ثَوَّتْ دَارَ عَبْدِ اللَّهِ أَعْظَمَ دُؤًى رَالْبَصْرَةَ الرَّحْبَ نَهْنَاهُ فِي مَغَانِمِهَا
حَتَّى إِذَا مَا أَتَى تِلْكَ الْمَدِينَةَ مَوْءًى لَأَنَّا وَلَاقَى بَحْسَنَ الصَّبْحِ أَهْلِيهَا
وَأَتَى إِلَيْهَا كَرِيمًا صَافِحًا قَلْبُهُ عَلَى غَيْرِ مَا يُرْضِي مُحِبِّيَهَا
وَلَمْ يَكُنْ مَهْمِلًا تَرْفِيهِ عَيْشِيهَا وَلَا التَّقَاهَا يَوْمَ مَعَ مُلِيمِيهَا
وَبَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ لِمَكَّةَ قَدْ أَعَادَهَا بِجَلَالٍ مَعَ حَوَاشِيهَا
وَكَانَ مَعَهَا أَخُوهَا رَأْسَ مَوْكِبِيهَا وَهُوَ الْمُرِيدُ لَهَا رَعْدًا وَتَرْفِيهَا
وَأَرْبَعُونَ فِتْلَةً فِي رَكَائِيهَا تَسْعَى بِخِدْمَتِهَا كَيْتَا تَوَاسِيهَا
وَلِلْوَدَاعِ أَتَى الْمَوْتَى أَبُو حَسَنِ بِصَحْبِهِ كَرَمًا مِنْهُ بِحُسْنِيهَا
فَأَكْبَرَتْ بَعْدَ ذِيكَ الْفَدَاءَ لَهُ هَذِي الْأَيَادِي الَّتِي قَدَّرَاحُ يُسَدِّدُهَا
وَأَعْلَنْتْ شُكْرَهَا بَيْنَ الْأَكْثَرِ مَعَهُ لِنِعْمَةٍ لَمْ تَكُنْ تَرْجُو تَلْقِيَهَا
قَالَتْ: بَنِي تَصَافَوْا لَا عِتَابَ وَلَا مَلَامَ أَمْتُنَا أَنْبِي تَصَافِيهَا

وفي يوم السبت غرة رجب سنة ٣٦ الهجرة خرجت عائشة من البصرة واجبة الى الحجاز وخرج سيدنا علي ووجوه الناس لوداعها وقيل أن يتحرك هودجها قلت « يا بني » لايت بضنا على بعض ، انه والله ما كان بيني وبين علي في القديم ، الا ما يكون بين المرأة وأهلها ، وانه على ما ينبغي لمن الاخبار « فقال سيدنا علي عليه صلوات الله « صدقت والله ، ما كان بيني وبينها الا ذلك ، وانها لروجة نبيكم في الدنيا والاخرة » وسارت عائشة من البصرة قعدة مكة كرمها الله حتى اذا ما بلغتها بقيت الى الحج فحجت ثم استأغت مسيرها الى المدينة فستقرت في بيت وهي تقول « مكانك محمدني أو تستحيي »

وأجمع المؤرخون أن عائشة منذ حرب الجمل استسلمت الى اليأس والخرن والفجعة فكانت تكثر من البوح والبكاء اليه عما فعلت نادمة أشد الندم زاهدة بالدنيا رابعة عن أهلها متمنية الموت وكانت تقول ليها رزقت عشرة أولاد وقتلهم ولا كانت حرب الجمل أوليها ماتت قبل عشرين عاماً فلا رأت موصة الجمل ولا حضرتها . وعند ما بلغ عائشة مقتل سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله اشتد جزعها وتفاقم اضطراب عليها فأخذت تكثر من تصدق فضائه وتطيره وتندبه وقد تحسنت أمام عينها كلالته الباهرة وصفاته الزاهرة وما رالت كذلك الى أن رويها الموت من شقاها فصار الى ربه رهيبة عذره ونفوره في سنة ٥٧ للهجرة « ترجمة عائشة »

ان عائشة هي بنت أبي بكر وقد ذكرنا نسه فيما تقدموها أم رومان ابنة صهر بن عويم بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن عقيم بن مالك بن كنانة .

وَلَيْسَ بَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَدُنِي مِنْ مُنَازَعَةٍ مَا أَلْعَرُّ مَا حِينَهَا
وَلَمْ تَكُنْ يَفِينَنَا إِلَّا مُنَافَرَةً تَكُونُ بَيْنَ الْحَيِّ فَرَضَ تَنَاسُخَهَا
وَالْمُرْتَضَى خَيْرٌ مِنْ بَرٍّ حَيٍّ لِمَعْتَبَرِي وَإِنَّهُ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ تَاقِيهَا
وَقَالَ حِذْرَةٌ : وَاللَّهِ قَدْ صَدَقَتْ بِقَوْلِهَا قَلْبُنَا أَنْ نُدَارِيَهَا
وَوَاصَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ السَّيْرَ عَائِشَةُ بِرُكْبَتَيْهَا فِي صِيَامِي الْأَرْضِ تَطَوُّبِهَا
سَارَتْ مُبْلَبَلَةً إِلَّا فَكَارِ يَصْحَبُهَا بَلْبَالُهَا أَبْدَأُ تَلْعُو تَجَنُّبِهَا
تَبْكِي وَتَتَدَبُّ مَا قَدْ كَانَ نَادِمَةً نَدَامَةً كَالَّتِي تُنَى لِكِسْفِهَا
وَبَعْدَ مَا بَلَغَتْ أُمُّ الْقَرَى لَبَسَتْ لِوَعْدِ الْأَعْوَجِ فِي ضَائِي مَاشِيهَا
ثُمَّ أَنْشَنَتْ بِجَوَاهَا لِلْمَدِينَةِ لَا شَيْءَ عَلَى شَرِّ مَا جَاءَتْ يُعْزِرُهَا
فَمَا رَقَا دَمْعُهَا يَوْمًا بِتَوْبَتِهَا عَمَّا جَنَّتْ وَلَا جَنَّتْ مَا قَبِلَهَا
وَقَوْلُهُ الْمُرْتَضَى أُنِمَّتْ نَدَامَتُهَا وَأَحْرَمَتْهَا التَّكْرَرُ فِي لَبَائِهَا

عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في مكة وهي بنت سبع سنين وبنى عليها في المدينة وهي بنت تسع سنين وكان ذلك في شوال على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة . وكانت قبيصة راوية للشعر ذات حظ من رسول الله وميل ظاهر اليها وكانت أجراً نساءه وأدلهن عليه وما زالت تزداد جرأة ودلالاً حتى كان منها في أسره في قصة مارية ما كان من الحديث الذي أسره إلى زوجها حفصة بنت عمر وأدّى إلى تظاهر معاوية وأنزل الله فيها قرأاً ما يتلى في المحارب يتضمن وعيداً غليظاً عقوبتاً فخرج بوقوع الذنب وصفو القلب وخلاصة هذه القصة هي : بأن رسول الله كان يوماً عند زوجته حفصة بنت عمر فاستأذنته هذه لزيارة عاتكة فأذن لها ثم عادت فوجدت سريره مارية القبطية بين يديه في يدها ففضت فأسر إليها أنه سيجر مارية فأفشت سره إلى عاتكة واتفقت الثنتان على مقاطعته وأفضى ذلك إلى غضبه عليهما ما ثم رضاه عليه الصلاة والسلام عنها إلى آخر ما كان

وجرأة عاتكة وإدلالها على المصطفى قد أثرا أعظم تأثير على السياسة الإسلامية العامة منذ خلافة أبي بكر وقد أشار إلى ذلك المؤرخون الناقدون تعريفاً وتلميحاً مما مروا على بعضه في الحواشي السابقة وغاية ما نقوله هنا أن عاتكة تربت على يدي المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام فأزادت تزيينها هذه ذكاءها نمواً وشهوراً فكانت ذات دهاء واقتدار عجيبين يرفهما كل باحث في تاريخ صدر الإسلام . وصار لها تأثير عظيم حتى على كبار المهاجرين والانصار لأنهم كانوا يوسطونها لدى رسول الله في حوائجهم فاستعملت نفوذها في كل مهمة سياسية دخلت فيها

وبعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم أخذت تروي عنه الاحاديث فأصبح لرأيها نفوذ عظيم وتأثير كبير على نفوس المسلمين وبنات في المدينة المنورة مقصد القصاد للاقتداء مزاجية في ذلك أكابر صحابة من المهاجرين والانصار مزاجية جعلت لها مكانة ممتازة بينهم

وَمَا لَمَّا قَدْ تَمَنَّتْ لَوْ قُضَتْ وَمَضَتْ لِرَبِّهَا قَبْلُ أَنْ سَاءَتْ مَسَاعِيَهَا
أَوْ لَيْتَهَا عَشْرَةٌ مِنْ وَلَدِهَا وَلَدَتْ وَاللَّعْنُ فِيهِمْ جَمِيعًا كَانَ رَأْيُهَا
وَلَمْ تَكُنْ مَعَ أَعْدَاءِ الْعَلِيِّ إِلَى شَرِّ الْمَسَاعِي الَّتِي رَأَتْ تُمَاشِيَهَا
وَمَا لَمَّا ذُكِرَتْ جَهْرًا فَضَائِلُ مَوْلَانَا الْعَلِيِّ الْمَفْدَى وَهِيَ تُطْرِفُهَا
حَزِينَةٌ لَمْ تَزَلْ فِي يَلِينِهَا تَمَنَّى الْمَوْتَ مَا غَيْرُهُ قَدْ كَانَ يُؤْزِئُهَا
حَتَّى تَوَلَّتْ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ فَجَاءَ زَيْتُ فِي نَوَا الْقَبْرِ آلا مَا تَمَاشِيَهَا
لِسَبْعَةٍ بَعْدَ خَمْسِينَ لِهَجْرَةِ طَسَهُ بِالنَّيَّةِ قَدْ لَاقَتْ تَمَنِّيَهَا

مراقبة معاوية لموقعة الجمل

وَكَانَ يَرْقُبُ عَنْ بُعْدِ مُعَاوِيَةَ حَوَادِثَ الْجَمَلِ الشَّقِيِّ وَيَذَرِيهَا (١)
وَهُوَ الَّذِي بَدَّاهَا كَانَ أَوْجَدَهَا وَهُوَ الَّذِي كَانَ قَدْ أَغْرَى مُبِيرِيهَا
وَكَانَ يَطْمَعُ أَنْ تَكْفِيَهُ عَائِشَةُ مَوَاقِفًا مَعَ عَلِيٍّ كَانَ خَاشِيَهَا
فَغَابَ ظَنًّا كَمَا خَابَتْ وَمَنْ مَعَهَا زَوْجُ الرَّسُولِ بِأَمَالٍ تُرَجِّيَهَا
وَأَطْفَالُ الْفِتْنَةِ أَلْهَوْجَاءَ حَيْدَرَهُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ فَانْزَاخَتْ عَوَادِيهَا

وفي عهد عمر بن الخطاب لم يكن لها غير رواية الحديث والافتاء على أنها أظهرت اقتدارها على أشده . في عهد عثمان إذا اقتلب عليه مع الثقفين على نحو ما شرنا إليه في حاشية سبقت . ثم أعلنت المداه لسيدها علي عليه صلوات الله وكان من أمرها معه في يوم الجمل ما كان وقد ذكرنا أسبابه ولم تزل حاضرة على عهد انصطفى عليه الصلاة والسلام من قذف القاذفين قهقريها بصفوان ابن المطلب السلمي فأزول الله برأيتها في قرآن ريتل وينقل وجلسه فذفوها احدا . ولم تحمل عائشة ولا ولدت وتطيباً لحاضرها كنها المصطفى أين اختبأ أسبء عبيد الله بن الزبير فصارت تدعى « أم عبد الله » . ومات المصطفى عنها وهي دون العشرين من عمرها .

وتوفيت عائشة في ١٧ رمضان من عام ٥٧ للهجرة في عهد معاوية في المدينة المنورة وقد دفنت في البقيع فتراحت من آلامها النفسية التي كانت تمارها ليلاً ونهاراً منذ حرب الجمل الى يوم وفاتها وكان عمرها عند وفاتها ٦٤ سنة

(١) كان معاوية صاحب الرأي الاول في سير طلعة والزير الى العراق فهو رأس فتنة الجمل وكان يرقب عن بعد أبناء هاتيك الفتنة ويستطلع أخبارها فيقتطعها أولاً فـ « ولا » من اصحابه الذين كانوا يأتونه بها طمأ سبهاته صرف كل ما جرى وأهمه خيبة ظنه بلائته التي كان يرجو أن تكفيه بنفوذها حول مقاعة سيدنا علي عليه صلوات الله

فَنَ اطَاعَتْ عَلِيًّا مِنْ جَمَاعَتِهَا قَدْ اطَاعَتْ اِلَيْهِ وَهُوَ رَافِعُهَا
وَأَسْرَعَتْ هَرَبًا تَبْغِي مَعَاوِيَةَ مِنْهَا الْاُلَى لَمْ تَزَلْ تَنْوِي تَعَصِيهَا
فَإِنِّي الزَّيْبِيُّ وَمُرُؤَانٌ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْفَصَاةِ الَّتِي شَعَلَتْ مَرَامِيهَا
سَارَتْ اِلَى الشَّامِ تَرْوِي شَرَّ مَا شِئَتْ فِي حَرْبِ حَيْدَرَةٍ وَالْخَوْفِ فَارِشِيهَا
فَهَابَ لِإِنِّي أَنِي سَقِيَانُ مَوْقِفِهِ وَشَامَ اطَاعَةِ الْاَقْدَارِ تُنْشِيهَا
وَحَارَ فِي أَمْرِهِ لَمَّا رَأَى اَلْخَطَطَ السَّوِيَّ الَّتِي خَطَّهَا ضَاعَ الرَّجَا فِيهَا
لَكِنَّمَا نَفْسُهُ ظَلَّتْ تُحَدِّثُهُ بَنِيْلَ اطَاعِهِ أَوْ مَا يُدَانِيهَا
فَرَّاحَ يَعْزِي بَلَاءَ بَطْنِ بَعْسُكِرِهِ وَيَسْتَزِيدُ لَهَا مِمَّا يَقْوِيهَا
وَيَسْتَمِيلُ اِلَيْهِ مِنْ قُرَيْشٍ رُوُؤُ مَهَا الْاُلَى كَانَ مَا تَبْفِيهِ يُؤْلِيهَا
وَبِاللَّذِي هِيَ تَرْجُوهُ مِنَ الرُّتْبِ اَلْعَلِيِّ الَّتِي تَنْشَاهَا يُمْنِيهَا
فَأَصْبَحَتْ حَوْلَهُ فِي الشَّامِ طَائِفَةٌ مِنْهَا تُؤَيِّدُهُ سِرًّا وَتَجْرِيهَا
بِهَا اسْتَعَزَّتْ وَعَادَتْ نَفْسُهُ لِنَا مَهَا بَعْدَ مَا اَلْيَأْسُ أَمْنِي وَهُوَ مَوْهِيهَا

أما سيدنا علي بن أبي طالب عليه صلوات الله فانه كما رأينا قد بدأ صدره غواهاً عن التائبين بعد موقعة الجمل وسبق وأوصى أصحابه أن لا يتبعوا الهارين ولا يجهزوا على الجرحى فبرهن في هذا : أولاً على انه كان ولا يزال يعتبر نفسه من المسلمين بمنزلة الابن وأولاده فهو مؤدب عصاتهم وتأثيرهم لا منتقم منهم ولا طامع بما في أيديهم . وثانياً على انه السياسي الذي يضع الامور في مواضعها فيصو ويحل عند المقدرة ويستند في التأديب حتى لا يطعن به أعداؤه العجز . وثالثاً على انه ما كان يرهب الذين نجوا من زعماء التائبين أن ينضوا الى من ورائهم في الشام اعتماداً على الله سبحانه وعلى الحق الذي له وهو صريح لا يقبل التأويل ولذلك لم ينكل هم بل تركهم أحراراً

أما زعماء التائبين الذين نجوا من القتل في موقعة الجمل فكان المشهور فيهم مروان بن الحكم وعبد الله ابن الزبير وهذان أقامامدة في البصرة وعرضا بواسطة القريرين من سيدنا الامام الأعظم أن يعودا الى بيته فرفض قائلاًو بايامني كل يوم لا أمهل أن نكتايعني كما ضلنا وعرف هذان من جواب سيدنا أمير المؤمنين انه عليه صلوات الله لا يركن اليهما وعرضا من فسيهما ان فراسته فيهما صادقة فانتهزا الفرصة وأسرها بالهرب الى الشام وكذلك فعل غيرها من زعماء أصحاب الجمل ولاذوا جميعاً بمعاوية

أما معاوية فالظاهر لنا انه لم يتوقع انتصار عائشة وأصحابها على سيدنا علي عليه صلوات الله بعد أن تبهم ولكنه كان يطن عند ماذبر أمر الحلة على المراق ان الامام يستمد على حقه وتقوذه وعماله في ذلك الصنع ويلزم المدينة المنورة فيسهل على أصحاب الجمل اتياله الدرايين بحجة المطالبة بدم عثمان وبثأير نفوذ عائشة وطلحة والزبير على المسلمين واذا اعترض هؤلاء الخوارج معترض من أصحاب علي تغلبوا عليه بمجد السيف كما فعلوا في البصرة عند ما قدموا اليها . وربما كان هذا رأي عائشة

وَأَزْدَادَ فِي غَيْبِهِ مِمَّا إِلَيْهِ تَرَا مَيَّ مِنْ مُلَاةٍ أَلَا مُضَارَ قَاصِبَهَا
كَانَتْ نَوَادِبُ عُثْمَانَ تَجُولُ عَلَيْهِمَا بِأَسْمِهِ وَهِيَ بِالشَّيْءِ تُفْرِئُهَا
كَانَتْ تُنَادِي جَهَارًا: إِنَّ قَتَلْتُهُ تَمَّتْ بِأَمْرِ عَلِيٍّ وَهُوَ رَاضٍ بِهَا
وَإِنْ مِنْ قَتَلْتُهُ قَدْ أَوْتِ لِفُلَانٍ لِي فَأَمَّنَهَا مِمَّا يُؤْذِيهَا
فَلَمْ يَنْلُهَا قُصَاصٌ وَهِيَ قَاتِلَةٌ عَمْدًا وَلَيْسَ لَهَا عُذْرٌ يُبْرِئُهَا
يَعْلَلُ ذَا سَدَلَتْ فَوْقَ الْحَقِيقَةِ فِي قَتْلِ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ أَتَرَارَهَا
بِهَا مُعَاوِيَةُ صَحَّتْ عَزِيمَتُهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الْتَدْوَانِ تُخْضِبُهَا
فَلَا مَقَامَ عَلِيٍّ فِي الْخِلَافَةِ أَوْ مَصَالِحِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا تُشْنِبُهَا
وَلَا أَسْلَامَةَ لِلْإِسْلَامِ وَهُوَ لَقَدْ أَمْسَى عَلَى خَطَرٍ قَدْ كَانَ يَغِيْبُهَا
قَدْ كَانَ يَطْلُبُ أَنْ يَرْقَى الْخِلَافَةَ أَوْ تَدْرُكُ أَرْكَانَهَا مَا فَوْقَ رَاقِبَتِهَا
ثُمَّ أَلْزَمَ بَرَّانَ مَا نَا كَانَ مَوْهُمًا مُزِيدَ أَطْمَاعِهِ فِيهَا وَمُنْشِبَهَا
فَمَا خَلِيقٌ بِهَا إِلَّا هُ بَعْدَهُمَا وَبَعْدَ سَعْدٍ وَقَدْ أَمْسَى مُجَافِهَا

وأصحابها بل أبعد هؤلاء في ظنهم إلى أن حسوا أن المسلمين لا يجرون على محاربة عائشة بصفتها زوج المصطفى المحبوبة بدليل ما لته إلى أبي الأسود الدؤلي عد ملأه عثمان من حنيف عامل أمية المؤمنين على البصرة ليستطلع عليه سيرهما فساء ففأ وخذت في ظها

وما جرى ما ليس بالحسبان ووقف الناس في وجوه أصحاب اخل انتصار الخليفة الشرعي وتقديرًا لمكانته الرفيعة في الاسلام بصفته ابن عم المصطفى وربيته وصهره زوج أحب الناس اليه وأخيه ووصيه عليهما الصلاة والسلام سقط أصحاب اخل في أيديهم ولكنهم أصرروا على القتال وما اجبت الموقعة عن انتصار الخليفة ومقتل طلحة والزبير وهلاك أصحاب اخل وسارت الأنباء في ذلك إلى معاوية هاله الامر وعرف بعده ان الفوز على خلافة سيدنا علي ليس من الهبات الهبات فغضب يضرب أخاها لاسداس بما أوتي من الدهاء يخرج من هذه الشبهة عن شيء من ههنا منه البعد وهو متنع كل الاقتناع أن لاسل إلى الامام الذي يقى إلى أعداء المسلمين إلى عهد النبوة عن ما يرضى عنه الشرع . ولهذا أخذ يستدني أكابر القرشيين ومدق عليه الاموال ويسهم بالوعود واجتمعت لديه طائفة منهم ممن همهم الدنيا . وفي الوقت نفسه كانت وادب عثمان يسجون في الامصار مادية بثارات عثمان شهمة سيدنا علي بدمه وحماية قتليه فتصدع عليه الانى آباءه وواباؤه وكان نجاحها يزيد معاوية شجاعة في مواصلة الدهاء لسيدنا علي والامرار على عصيانه وغرضه من هذا كله معروف وهو الاستيلاء على الخلافة . ومما أزداد معاوية أملًا قبل اخلافة هو مقتل طلحة والزبير لانه سدهما وعدن ربهما سعد وهو قبة المشرك المشهود لهم بالحجة زاهد اخلافة وكفى مادونها

إِذَا أَزَاحَ عَلَيَا عَنْ مَعَالِمِهَا قَيْشَنِي دُونَ شَكِّ وَهُوَ وَإِلَيْهَا
هَذَا الَّذِي كَانَ فِي نَفْسِ ابْنِ هِنْدَ عَلَى قَاصِي مَطَامِعِهَا وَهُوَ الْمَقُورَةُ

أمير المؤمنين ومعاوية

مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ تَلَّاشَتْ فَتَةُ الْجَمَلِ أَلْسَمُونَ وَالنَّاسُ عَدَّتْ عَنْ تَعَادُلِهَا (١)
وَقَدْ أَعَادَ صَفَاءُ السَّلَامِ حَبْدَرَةً إِلَى رَأْيِ الْبَصْرَةِ أَلْفًا وَأَهْنِيهَا
أَنْضَى إِلَى الْكُوفَةِ الْخَضِرَ الْأَمَامُ خَطَا ۝ وَأَنْشَى بَالَهُنَا وَالْيَمِينَ ثَاوِيَهَا
وَقَدْ أَطَاعَتْ مُعَلَّاهُ غَيْرَ نَاكِثَةٍ أَهْلُ الْعِرَاقَيْنِ نَائِيَهَا وَدَائِيَهَا
إِذْ ذَلِكَ هَمٌّ بِأَهْلِ الشَّامِ يَطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تُبَايَعَهُ أَوْ أَنْ يُنَاوِيَهَا
أَوْفَى لِذَلِكَ جَرِيرًا نَحْوَهَا بِرَسَا لَهَا لَقَدْ كَانَ بِالْإِخْلَاصِ مُنْطَلِقَهَا
كَانَتْ بِاسْمِ ابْنِ صَخْرٍ وَالنَّوْصِي عَلَيْهِمْ عَارِفٌ أَنَّهُ حَتْمًا مُعْصِيَهَا

من الوظائف لم يمد امامه من يستطيع أن يقول انه أليق من معاوية للخلافة من شيوخ قريش هذا
إذا تلمب على سيدنا علي عليه صلوات الله واستانها من يده

(١) بعد أن أقام سيدنا أمير المؤمنين حيناً في البصرة رتب فيها التفتي الذي فتته أصحاب
الجل وأعاد إليها الأمان وأمن أهلها من الدوان ولي أمرها عبد الله بن عباس وأقبل عليه صلوات
الله إلى الكوفة وكان كما سبقت الإشارة على ثقة من ولاء أهلها فضلاً عن إخلاص الذين بصروه
منهم في موقعة الجبل فاستقبله الكوفيون بالاجلال والاحترام وألبوا من حوله يمتنون رضاه ولو بضحية
أرواحهم . وما كاد يستقر في الكوفة حتى أخذ بوسائل عمال عثمان في أطراف العراق وفارس يطلب
بيعتهم فلباه أكثرهم وكان في مقدمتهم جرير بن عبد الله البجلي وهو عامل عثمان على همدان فانه
ما كاد يتلقى كتاب أمير المؤمنين حتى دعا أهل همدان لبايعة فلبوه . ثم سار جرير إلى الكوفة
وبايع سيدنا علي وبينما هو في الكوفة صحت عنمة أمير المؤمنين على من يأتعته إلى معاوية
يطلب بيعة وذكر ذلك لأصحابه فقال جرير : ابشئ يا أمير المؤمنين إليه فانه لم يزل لي محضاً
الود فاني آتيه دعوته على أن يملك هذا الأمر ويجمع ملك على الحق على أن يكون أميراً من
أمرائك وطاملاً من عمالك ما عمل بطاعة الله وأتبع ما في كتاب الله كما وأرجو أن أعد أهل الشام إلى طاعتك
وولائك لجلهم قومي وأهل بلادي وقد رجوت أن لا يصوني . فقال الاشتري وكان في المجلس
لا يبعث يا أمير المؤمنين ولا تصدقه قوائمه أني لأطعن هواه هواهم ونيتهم فقال أمير المؤمنين دعه حتى
نظر ما يرجع به إلينا وباتصل كتب عليه صلوات الله كتاباً إلى معاوية هذا نصه : باسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين ، أما بعد ، فإن يمتني بالمدينة لزمك وأنت بالشم لا لك
بابني الزوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، على ما بويعوا عليه ، فلا يكن للشاهد أن يختار ، ولا
للعائب أن يرد ، وأما الشورى للمهاجرين والأنصار ، إذا اجتمعوا على رجل ، وسموه اماماً ، كان

وَكُلُّهَا حِكْمٌ مَسْرُودَةٌ وَمَوْا مِ عِظًا وَآيَاتُ إِرْشَادٍ لِقَارِبِهَا
قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ بَسْمَلَةَ غَرًّا وَحَمْدَةً تَحْلُو لِتَالِبِهَا
وَبَدْحُنْ صَلَاحٌ قَدْ زَكَّتْ وَصَفَتْ عَلَى مُحَمَّدٍ خَيْرَ الْخَلْقِ هَادِيَهَا
أَمَّا وَإِعْلَانُ أَقْطَابِ الْمَدِينَةِ يَنْسَعِي الَّتِي جَرَمَتْهَا قَبْلُ تَجْرِهَا
لَأَنَّ مُلْتَزِمَ شَرْعًا بِهَا مَعَ أَهْلِ الشَّامِ مُؤْمِنًا آتَا فِي وَدَّيْهَا
لِأَنَّ مَنْ بَايَعُونِي بِالْخِلَافَةِ بَايَعُوا الْإِلَهَ الَّذِي سَلَفُونِي فِي تَوَلِّيْهَا
وَبَايَعُونِي عَلَى مَا يُؤَيِّمُوا قَبْلِي عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبَاتِ رُخْتِ أَجْرِهَا
فَلَمْ تَكُنْ خِيَرَةً لِلشَّاهِدِينَ وَلَا رَدًّا لِمَنْ غَابَ إِنْ كَانُوا مُرِدِّهَا
وَلَوْ أَنَّ خُصَّتِ الشُّوزَى مِنْ هَجَرَتْ أُمُّ أَقْرَى لِنَبِيِّ اللَّهِ مُنْجِبِهَا
وَيَا لَأَلَى نَصْرَتِهِ فِي مُحَارَبَةِ الْكُفَّارِ وَأَسْتَنْزَلَتْهُ فِي مَعَانِيهَا
فَإِنْ هِيَ اجْتَمَعَتْ جَمْعًا عَلَى رَجُلٍ يَلِي الْأَمَامَةَ أَمْسَى وَهَوَ وَإِلَيْهَا
وَإِنْ رَبُّكَ رَاضٍ عَنْ وَلَايَتِهِ وَكُلُّ ذِي بَقِيَّةٍ حَسَنًا وَارِضِهَا

ذلك قد رُفِعَ ، فإن أبى قتلوه على اتباع سبيل المؤمنين ، ولولا الله ما تولى ، ووصله جهنم وساءت مصيباً ، وأن طلحة والزبير بإيماني ، ثم تقضا يدي ، فكان نقضاً كرهتهما ، فجاهدتهما على ذلك ، حتى جاء الحق ، وطهر أمر الله ، وهم كارهوه ، فدخل فيما دخل فيه المسلمون ، فإن أحب الأمور إلي منكم العافية ، إلا أن تترسوا للبلاء ، فإن ترسنت له فلتلك ، واستمعت بأقرب عليك ، وقد أكرمت في قتلة عثمان ، فأدخل فيما دخل فيه الناس ، ثم حاكم اليوم إلي أهلك وإياهم على كتاب الله ، فأما تلك التي تريدونها ، فغصة الصبي عن اللبن ، ولعمري ، إن نظرت بقلبك دون هواك ، لتجدني أبرأ نريش من دم عثمان ، واعلم أنك من الطلقاء الذين لانحن لهم خلافة ، ولا تترس فيهم التورى ، وقد أرسلت إليك جرير بن عبد الله البجلي ، وهو من أهل الإيمان والمجربة ، فبايع ولا قوة إلا بالله ، آمه

ثم إن سيدنا علي استدعى جرير إليه وسلمه الكتاب الآنف الذكر وقال له : إن حولي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ، من أهل الرأي والدين من قد رأيت ، وقد اخترت عليهم لقول رسول الله فيك أنك من خير ذي يمن . ثم معاوية بهذا الكتاب . وإن دس في دس فيه المسلمون قسماً ، والأهـ هذا إليه ، واعلمه أني لأأرضي . أميراً ، وإن العامة لا ترضي به خليفة . فتناول جرير كتاب أمير المؤمنين عليه صلوات الله ووعده . به سيبدل ما وسعه لانتفاع بالاطاعة وسار برسالة أمير المؤمنين متوجهاً إلى الشام

وعندما بلغ جرير دمشق استقبله معاوية ، وخافوه ولا كراهي ما هو معروف عن شتمه . ولـ منه

وَأِنْ قَرَدَ عَنْ إِجْبَاعِهَا رَجُلٌ يَمْلِكُنْ أَوْ يَرْغَبِي كَانَ يَنْفِيهَا
رَدَّتْهُ لِحَقِّ بِالْبَرْهَانِ نَاصِحَةٍ وَإِنْ أَبَاهُ عَلَيْهَا فَهُوَ عَادِيهَا
وَقَاتَلَتْهُ إِلَى أَنْ يَسْلُكَنَّ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَيْسَ مَا ضَلَّ مَا شَبَّهَا
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَلَا هُ مُنْتَصِفًا مَا قَدْ تَوَلَّى وَرُشْدَ الرُّأْيِ مُؤَلِّمًا
وَأِنَّهُ سَوْفَ يُصْلِيهِ جَهَنَّمَ إِذْ سَاءَتْ مَصِيرًا لِمَنْ قَدَّرَ أَحَاحَ يُصْلِيهَا
إِنَّ الزَّيْبَرَ وَمَعَهُ طَلْحَةُ تَقْضَى لِي نِيْعَةً بِأَيْعَاهَا مَعَ مُبِيعِيهَا
وَقَضَّيْهَا مِنْهُمَا بِنِزْلِ أَرْتِدَادِهِمَا عَنْ الْحَنِيفَةِ فِي أَحْكَامِ قَاضِيهَا
لِلذَلِكَ جَاهَدْتُ قَهْرًا فِي قِتَالِهِمَا بِعِزَّةٍ أَنْتَ قَبْلُ النَّاسِ تَذَرِيهَا
حَتَّى تَقْلَبَ أَمْرُ اللَّهِ وَأَنْتَصَرْتُ حَقُّوهُ وَأَخْرَوْتُ خَرْبًا أَعَادِيهَا
فَادْخُلْ مُعَاوِيَةَ فِيمَا أَلْمَبَادُ بِحَقِّ فِيهِ دَاخِلَةٌ وَأَتَّبِعْ مَعَاطِيهَا
فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا أَرْجُوهُ عَافِيَةٌ تَهْنَأُ بِهَا وَتُبَاهِي فِي تَكْسِيهَا
إِلَّا إِذَا كُنْتَ تَخْتَارُ الْخِصَامَ وَلَا تَبْغِي السَّلَامَ لِأَطْفَاعِ تَرْجِيهَا

كتاب أمير المؤمنين قراءه باسمان ثم ذكر له جرير النسي الكثير لاقناعه بالطاعة لامير المؤمنين وحضه على الدخول فيها دخل فيه السلمون . فلم يكن لمعاوية ان يبت في مجاوبته وأيا فاكنتي أن تطف بجرير وقال له انظر وتنظر واستطلع رأي أهل الشام وأعاقه عنده بين التسوية والمباظة رثما يستونق من أمره وتفق له حيلته ما يخرج من حيرته

« كُتِبَ فِي الْخِلاَفَةِ »

ويخلق بنا هنا أن نرسل نظرة الى كتاب أمير المؤمنين هذا الذي أرسله الى معاوية وفيه من التصريح في أمر الخلافة ما نتخذه فيما سديس العلماء كاساس لاختيار الخليفة فنقول :
ان حق سيدنا علي عليه صلوات الله بالخلافة صريح لا يقبل الحدل مواء بصفته كأرسول الله ورويه ووصيته وزوج أحب بناته اليه سيدتنا فاطمة الزهراء ووالدا ولدها الذين هم أبناء رسول الله عليهم جميعاً الصلاة والسلام أو بصفته أول من أسلم وأعظم من نصر الاسلام وأعلم من حقه وأقرب في الشريعة وأقرب وأزهد وأبر السليبي . على انه عليه صلوات الله لم يذكر حقه هذا لمعاوية مع انه ذكره في مواضع شتى من خطبه وكتبه لطمه بأن معاوية غير راض به ولا خاضع له بل ذكر له أموراً يرضاها ويستقدها تسهلاً لا قناعه بالحق الذي ينكره وفي ذلك من النظر البعيد والرأي السديد ما يخلق صدوره عن أرشد رشيد أعجبه الاسلام وهو سيدنا امير المؤمنين عليه صلوات الله
اكتفى سيدنا علي عليه صلوات الله أن يحج معاوية بما هو معترف به فقال له ان الذين يابوا أبا بكر وعمر وعثمان يابوني قتلك يعني فكأنه يقول له ما دمت ستقتد ان بيعة هؤلاء الخلفاء الثلاثة

فَلَيْسَ لِي غَيْرُ هَذَا السَّيْفِ مِنْ حَكَمٍ وَاللَّهُ عَوْنِي فِي بَلَوِي أَعَانِيهَا
يَا صَاحِبَ فِي قَاتِلِي عُثْمَانَ نَكْرًا كَشَارًا حَقِيقَتُهُ الْبُطْلَانُ غَاثِيهَا
أَطِيعْ كَمَا قَدْ أَطَاعَ النَّاسُ أَكْثَرُهُمْ خِلَافِي فَهِيَ لَمْ تَقْلُمْ مُطِيعِيهَا
وَحَاكِمِ الْقَوْمَ وَأَرْجِي الْإِنْصَافَ إِلَيَّ شَرِيعَةُ اللَّهِ إِذْ بِالْعَدْلِ أَمُضِيهَا
أَمَّا إِلَيَّ أَنْتَ تَبْغِيهَا وَتَشْدُهَا فَرَعْبَةٌ مَا اخْتَفَتْ عَنِّي خَوَافِيهَا
كَتَدْعَاةَ الصَّبِيِّ عَنِ تَدْيِ الظُّوُورِ وَقَدْ أَبَتْ رِضَاعَتَهُ إِذْ رَاحَ شَاهِيهَا
لَكِنَّ نَظَرْتَ بِمَنْ أَلْقَلَ دُونَ هَوَى وَأَعْيَنُ أَلْقَلَ مَا الْبُطْلَانُ يُعْمِيهَا
وَجَدْتَنِي مِنْ دَمِ الْمَقْتُولِ أَيْزًا عَزَّ بِالْأَرْضِ طَرَأَ قُرَيْشِيهَا وَعَامِيهَا
وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ مِنْ أَصْحَابِنَا الْطُّلُقَا وَهِيَ الَّتِي حَرَمْتَ مَعْنَا تَكَا فِيهَا
فَلَا يَحِلُّ لَهَا عَرْشُ الْخِلَافَةِ وَالشُّوْرَى إِذَا طُلِبَتْ مِنْ مُسْتَحَقِّهَا
وَمَا جَرِيرٌ إِلَيْكَ الْيَوْمَ أَبْنَتُهُ كَيْمَا لَهُ يَمْنِي الْكِبَرَى تُوَفِّرُهَا
بَايَعُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِرَبِّكَ وَأَعْلَمُ إِنَّهُ لِلَّذِي يَبْغِيهِ يُؤَلِّمُهَا
لَكِنَّ مُعَاوِيَةَ لَا قِيَّ جَرِيرٌ بِشَوْ شَا لَمْ يُجْبِهَةِ فِيمَا جَاءَ تَبْغِيهَا

صحيحة فليكن أن تمتد صحة يعني فتابع
ثم قال سيدنا أمير المؤمنين أن ليس للشاهد أن يختار ولا للعائب أن يرد وإنما الشورى
للمهاجرين والانصار وأراد بهذا عليه صلوات الله أن يقول لمعاوية ما دلم الناس قد قبلوا وانت منهم بيعة
المهاجرين والانصار لذلك الحفاء الثلاثة وما تركوا للذين شهدوا بينهم من سائر المسلمين حتى الخيرة
ولمن غابوا حتى الردة لا يجوز ذلك طالما بايعة هؤلاء المهاجرون والانصار ان يختار في البيعة أو ترد يعني
ثم أن سيدنا علي عليه صلوات الله صرح لمعاوية بأن الذي يبايعه المهاجرون والانصار يكون
الله فيه رضى لأن كل أمر لا يكون إلا بإسماح من الله وعلى هذا فخرج على الخليفة الذي يبايعه
المهاجرون والانصار على هؤلاء ان يردوه بالحجة فن أن كان عليهم أن يقتلوه
ثم ذكر عليه صلوات الله أن حكم الخراج على الخليفة حكم المرتد عن الاسلام يجب قتاله
وحسب هذا الحكم الشرعي قال الامام الاعظم طلحة واليزيد ومن معهما من أصحاب الجمل
ثم تبرأ عليه صلوات الله من قتال عثمان وقال له ان لو طردت بين العن إلى كيفية قتله لاعترفت
أنت بنفسك ببراءة فيها . امامسألة النظر في قتله عثمان والاعتصام بهم فقد صرح له عليه صلوات
الله ان دعواه بها في حل عصيانه على الخلافة غير مشروعة ولا مسموعة فن اوجاب عليه أن يطيع
خليفته ثم يحاكم القوم اليه فيحله وياهم على كتاب الله وفي هذا الخواب الحجة الباقية
ثم ذكر له عليه صلوات الله انه من الطلقاء وهم كفار قريش ومشركهم الذين أسلموا بعد

وَرَأَى بِطَلِّهِ مَطْلًا وَرَغِبَتْهُ يَبِينَةُ الْمُرْتَضَى قَدْ كَانَ يُرْجِيهَا
وَكَانَ فِي حَبْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ وَصُرُوهُ فِ الدَّهْرِ يَرْهَبُ أَنْ يَدَهَا دَاهِيَهَا

معاوية وعمر بن الخطاب

مَا أَتَاكَ فِي هَيْمٍ يَنْفَى مُعَاوِيَةَ وَحَالَهُ مَعَ عَلِيٍّ غَيْرَ رَاضِيًا (١)
فَكَانَ يَعْلَمُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ خَطَرٍ فِي حَرْبِهِ إِذْ سَعَى كَيْمَا يُلَظِّبَهَا

فتح مكة فهاهم رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال ان هؤلاء الطلقاء لا تحق لهم الخلافة ولا
تعرض فيهم الثوري ومنا محمد يجب الاتقاء اليه في مسألة الخلافة فاذا كانت لا تجوز للبقاء من
قرى فكيف تصاح المسلمون بها لمن لم يكن تربيًا بل ولم يكن عربيًا ؟

هذا ما عرفت لنا تسطيره فبلا لكتاب أمير المؤمنين عليه صلوات الله لمعاوية علمًا منا انه
لا يخلو من فائدة مستفيدة أو ذكرى للناس بالله ولي الهداية

(١) لم يكن أشد حيرة وأرتباكًا من معاوية في تلك الأيام المصيبة التي تلت قهر أصحاب
الجل وانتصار سيدنا علي عليه الصلاة والسلام وكان عندئذ القدر لا يعرف كيف يدبر في أمره بالرغم من
اطاعة أهل الشام له وكثرة الانباء التي تاتي من الأمصار متجهة له على المصيان وبينها هو في
حيرة وتردده جاءه اخوه عتبة بن أبي سفيان وقال له : استن بمرور بن العاص فإنه من قد علمت
في دمه رأيه وقد اعتزل عثمان في حياته وهو لأمرك أشد اعتزالًا إلا أن تمن له دينه فسيمك
فانه صاحب دنيا . فقال اصبت يا اخي فقد أذكرني بنهاية العرب هذا كنت ناسيه واسرع فكتب
الى عمرو بن العاص الكتاب التالي : أما بعد ، فإنه كان من أمر علي وطلحة والزبير ، ما قد بلغك ،
وقد سقط الينا مروان بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير ، في نفر من أهل البصرة ، وقدم علينا
جرير بن عبد الله البجلي في بيعة علي ، وقد حبست نفسي عليك ، فأقبل اذا كرك اموراً لا مدم
صلاح مقبها ، ان شاء الله . اهـ

وقد علمنا مما مضى من حواشي كتابنا هذا كيف ترك عمرو بن العاص المدينة قبيل مقتل
عثمان وسيره الى القدس وانزواته في دار كانت له في تلك المدينة المقدسة على انه كان كثير الاهتمام
بإنشاء الخلافة بتطلع الى ما يجري فيها وكانت جواسيسه تحمل اليه انباء ما عرف منها كل ما كان يغير
زيادة ولا نقصان وما جعل حجة معاوية وخوار عزائم الامويين بعد انتصار سيدنا علي على اصحاب
الجل وكان يعلم من نفسه انه اذا انضم الى معاوية قد يفوزان على أمير المؤمنين بدلهما إلا انه ما كان
يرى في ذلك ما يرضي ضميره ودينه كما انه ما كان يرى لدى سيدنا علي عليه صلوات الله ما يملكه مطامعه
في دنياه لعله أن أبالخيرين لا يملكه على رغبته ولا يرضى له إلا ما يرضى عنه الشرع

وبينما كان عمرو بن العاص في حيرة لا يدري ان كان يظن على عزله أو يخرج منها الى
معاوية لتبيل مطامعه اذ ولى اليه رسول معاوية ومعه كتابه فجدد الطمع في نفسه واستدعى ولديه
عبد الله ومحمد اليه واطلعهما على كتاب معاوية وطلب رأيهما فيما يقبل . فقال ابنه عبد الله
أرى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وهو عنك راض ، والخليفان بعده ماتا وهما راضيان

وَكَانَ لَا يَرْتَجِي قَعًا بَدَوَلِهِ لِنَفْسِهِ إِنْ غَدَا يَوْمًا مَوَالِيهَا
وَأَنَّهُ لَمْ يَصْبِرْ فِي خِلَافَتِهِ مَارَبًا يَشْتَوِيهَا لَا يُخْلِيهَا
وَكَانَ مُعْتَمِدًا الْمَوْتَى أَبِي حَسَنٍ يَدْعُوهُ لِلطَّاعَةِ الْمَقْبُوطِ مُسْلِمِيهَا
يُلِحُّ لَهَا عَلَيْهِ أَنْ يُجِيبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَارُ الْحَقْدِ يُطْفِئُهَا
وَيَنْتَمَا كَانَ فِي بَادِي تَرُدُّهُ فِي الْأَمْرِ لَمْ يَذَرِ أَمْرًا لَسُبُلِ يَمْتَنِيهَا
وَأِذْ أَشِيرَ إِلَيْهِ أَنْ يَعُودَ إِلَى ابْنِ الْعَاصِ فَهُوَ الَّذِي الْبَلَوَى بِجَلِيلِهَا
فَأَنَّهُ بِالذَّهَابِ مَا مَنْ يُسَاكِلُهُ وَأَنَّهُ يَطْلُبُ الذَّنْبَ وَيَتَّبِعُهَا
فَهُمْ فِي الْحَالِ يَدْعُوهُ لِحَضْرَتِهِ بِرُقْمَةٍ كَانَ بِالْأَسْرَاعِ مَوْفِيهَا
وَكَانَ فَاتِحُ مَضْرُودِ الذَّهَابِ لَدَى عُثْمَانَ فِي حَالَةٍ لَبَسُ خَوَافِهَا

هناك ، وحمل عثمان وانت عنه عائب ، قعر في مترك ، فليست بمجسولا خليفة ، ولا تزيد على ان
تكون حاشية لماوية ، على دنيا قليلة أوتكتها ان تهلكا وتتركاها ، فقتلوا في عقابها . وقال ابنه
محمد : أرى أنك شيخ قريش ، وصاحب أسرها ، وان تصرم هذا الامر وأنت عليه عاقل ، تصاغر
أسرك ، فلقى بجماعة أهل الشام ، وكن يدأ من أيديها ، طالباً بدم عثمان ، فانه سيقوم بذلك في
أمية . فقال عمرو : أما أنت يا عبد الله فأمرتي بما هو خير لي في ديني . وأنت يا محمد فأمرتي بما
هو خير لي في دنياي . وأنا ناظر مايقر عليه رأيي . وصرفها وبقي يبايخ يومه وسواد ليته وهو
يفكر ضارباً إغماً لاسداس تنازعهم عوامل الدين والدنيا وهي كجرات متضاربة . وما زال في حيرته
وتردده حتى اختلط عقله فهدأ غلامه وردان وكان داهية مارداً وقال : ارحل ياوردان . احطط
ياوردان . وكرر ذلك ثلاثاً . فقال له وردان خلطت أبا عدا الله أما أنك ان شئت انبأك بما في قلبك .
قال هات ويحك . قال اعتزكت الدنيا والآخرة على قلبك قلت ان علياً منه الآخرة في غير دنيا
وفي الآخرة عوض عن الدنيا . وان ماوية منه الدنيا بغير آخرة وليس في الدنيا عوض عن الآخرة
وانت واقف بينهما . فتبسم عمرو بن العاص وقال قاتلك الله ما أخطأت ما في قايي ف ترى ياوردان ؟
قال أرى ان تقيم في بيتك فان طهر أهل الدين عشت في عفو دينهم وان طهر أهل الدنيا لم يستفتوا
عنيك . فبسم عمرو قليلاً ثم رفع رأسه وقال بل أسير الى ماوية . وأسري الحال يشد الرحال الى الشام
وعند مابلغ عمرو بن العاص الشام استقبله ماوية بالأكرام وانزله عن الركب والسقة وبالغ
في إكرامه . وعرف عمرو من خفاوة ماوية به شدة حاجته اليه فبعده من شقه وكابد كل واحد
منهما صاحبه وما زال كذلك الى ذات يوم حيث جاءه ماوية وقال أبا عبد الله طرقتنا في ليلتنا
ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر . قل وما ذلك ؟ قل لو أن محمداً بن أبي حذيفة كسر سجن
مهر نخرج هو وأصحابه وهو من آفات هذا الدين . وثني ان يصير ملك الروم زحف بجماعته
على الشام . وثالثها ان علياً في السكوفة نيراً لمسير اليها . فتبسم عمرو تبسم من لا يبايأ بالخطر وقد
اعتماد صالحة الأقدار وقال ابن أبي حذيفة فما يتماظنك من رجل خرج في ابتاعه ان تبعته اليه رجلاً يقتله أو

يُرِيدُ مِنْهَا رَغَابًا غَيْرَ بِالنِّهَا وَكَانَ يُظْهِرُهَا آتَا وَيُخْفِيهَا
فَسَيِّدَ مَا ثَارَتْ الثَّوَارُ نَاقِمَةً عَلَى ابْنِ عَفَّانَ لَمْ يَنْكُرْ تَدَاعِيَهَا
وَكَانَ يُظْهِرُ بَيْنَ النَّاسِ نَصْرَتَهُ وَبِالتَّخَاءِ عَلَيْهِ كَانَ يَنْعِيهَا
حَتَّى إِذَا بَلَغَ السَّيْلُ الرَّثَى وَتَقَيَّنَ الْمَصِيبَةَ مَا أَلَا قَدَارُ تَنْشِيهَا
عَنِ الْمَدِينَةِ قَدْ وَلَّى وَخَلَفَ عُثْمَانًا لِأَعْدَائِهِ مَا بَيْنَ أَقْدِمِهَا
وَسَارَ لِلْقُدْسِ فِيهِ كَانَ يَمْلِكُ دَا رَأَ فَحْمَةً وَأَوَى ضَافِي مَبَانِيهَا
وَكَانَ يُرْسِي عَلَى حَسْبِ أَلْهَوَا سَفْنُ الْأَمِّ طِمَاعٍ حَتَّى إِذَا مَا هَبَّ يُجْرِيهَا
وَكَانَ يَسْنَعُ أَنْبَاءَ الْخِلَافَةِ مِنْ سَعَاتِهِ الْكَثْرُ تَأْتِيهِ قَتْرُوهَا
مِنْهَا دَرَى قَتْلَ عُثْمَانَ وَكَيْفَ جَرَى قَال : قَتَلْتُهُ مَا كُنْتُ آيِبَهَا

بانيك به وان قاتل لم يضرك . واما قصر فهدر له الوصائف وآية الذهب والفضة وسله الوداعة فانه الهاسر مع
واما علي فلا والله يامعاوية مايوسى بينك وبينه في شيء من الاشياء وان له في الحرب حظاً ماهو
لاحد من قرشي . وانه لصاحب ماهو فيه الا أن تظلمه . قال معاوية ولكن انت تعلم انه شق
عصا المسلمين ، وتدل الخليفة ، واطهر الفتنة ، وفرق الجماعة ، وقطع الرحم . فقال عمرو شقفت عنك
يامعاوية ما انت وعلي حلا بمر ، ليس لك هجرته ولا سابقته ولا صحبتته ولا جهاده ولا
فقهه ولا علمه ، والله ما انت بكف ، لحربه ، ولكني قد تمودت من الله احساناً وبللاً جليلاً ،
فما تجمل لي ان شايتك على حربه وانت تعلم ما في ذلك من الضرر والخطر ؟ قال معاوية احتكم علي
واني لراض . قال عمرو : اتجمل صراً طمعة لي ؟ فتسكاً عليه معاوية وقال يا ابا عبد الله اني اكره
لك ان تتحدث العرب عنك انك انما دخلت في هذا الامر لغرض الدنيا . قال عمرو : اذن فدعني
عنك اما انت تريد بحرب علي الدنيا ايضاً ؟ قال معاوية اني لو شئت ان امنيك واخذت لك لقلت .
قال عمرو : لالسر الله ما شئت لي بخد لا تأكيس من ذلك . وما زالوا يتشاوران حتى وعد معاوية عمراً
بمصر واقسم على ذلك فهاهده عمرو على ان يتاصر على سيدنا علي وهكذا اتفقا لاسره بريد الله

« ترجمة عمرو بن العاص »

هو أبو عبدالله (ويكنى أبو محمداً ايضاً وهو اسم ثاني أولاده) عمرو بن العاص بن وائل بن
هاشم بن سيد بن سهم بن عمرو بن حصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر
وكان أبوه العاص بن وائل احد المستنزين برسول الله صلى الله عليه وآله والمكاشفين له بالدعوة
والأذى وفيه وى اصحابه نزل قوله تعالى « انا كفيناك المستنزين » وابوه هذا لقبه المسلمون
(بالابر) لانه قال لقرشي « سيموت هذا الاثر غداً (ويريد رسول الله) فينقطع ذكره »
لانه عليه الصلاة والسلام لم يكن له ولد ذكر يقب منه فانزل الله قوله « ان شئتك هو الاثر »
وكان عمرو بن العاص كأيه يؤذي رسول الله بمكة ويقتله ويضع في طريقه الحجارة يوم كان عليه
الصلاة والسلام يخرج من منزله ليلاً فيطوف بالكعبة فكان عمرو بن العاص يضع في طريقه الحجارة

وَيَسْتَعِزُّ الْمُرْتَضَى مِنْهَا تَلَقَّيْهَا مَعَ مَا جَرَى بَعْدُ مِنْ عَضِيَّانٍ عَاصِيَهَا
وَلَمْ تَقْتَهُ رَغَابُ الصَّائِحِينَ بِنَا رَاتِ ابْنِ عَمَّانَ خَافِيَهَا وَبَادِيَهَا
وَحَسَلَةُ الْجَبَلِ الْمَسْلُونِ إِذْ خَرَجَتْ عَلَى الْخَلِيفَةِ أَيْضًا كَانَ يَدْرِيهَا
وَوَظَلَّ فِي كُلِّ هَذَا وَهُوَ مُعْتَزَّلٌ حَوَادِثُ اللَّهْرِ يَأْتِي أَنْ يُعَاشِيَهَا
حَتَّى إِذَا مَا تَلَاسَتْ قَسْنَةُ الْجَبَلِ الْمَسْلُونِ وَأَنْتَذَلَتْ فِيهَا أَهْلَانَهَا
أَمْسَى يُفَكِّرُ فِي أَمْرِ يُورِصُهُ إِلَى مَطَامِيهِ مَا كَانَ نَاسِيَهَا
وَيَسْنَا هُوَ فِي هَذَا أَتَى رَسَا لَهُ ابْنُ هِنْدٍ فَلَمْ يَقْضِ مَعَانِيَهَا
مِنْهَا دَرَى أَنَّهُ أَمْسَى بِحَبْرَتِهِ مُضْغَعُ الرَّأْيِ بَسَى فِي دِيَابِجِهَا
مَمَّةٌ أَمِيَّةٌ قَدْ خَارَتْ عَزِيمَتُهَا وَمَا لَهَا غَبْرُهُ شَخْصٌ يَقُورِيهَا

ليست بها . وكان عمرو بن العاص في القوم الذين خرجوا الى زيف ابنة رسول الله عند ما خرجت
مهاجرة من مكة الى المدينة فروعوها وقرعوا هودجها بكعوب الرماح حتى أجهضت جنباً مبيتاً من
أبي العاص بن الربيع بلها فلما انتهى صنيح هؤلاء الى سمع رسول الله نال منه وشق عليه مشقة
شديدة ولتهم . وكان عمرو بن العاص يهجو رسول الله هجاء شديداً ويبلغه صبيان مكة فينشدونه
فكان هؤلاء الصبيان يصيحون برسول الله اذا سرهم راضين أصواتهم بذلك الهجاء واذ علم
المصطفى عليه الصلاة والسلام هذا قال وهو يصلي في الكعبة « اللهم ان عمرأ بن العاص هجاني
ولست بشاعر فآله يبدد ما هجاني » . وفي ذات يوم بنوا كان رسول الله ساجداً يصلي في فناء
الكعبة عمد عقبة بن أبي ميط والنضر بن الحارث وعمرو بن العاص الى سلاسل قمرهوه بأيديهم
ووضعوه على رأسه الشريف فعبر عليه الصلاة والسلام ولم يرفع رأسه وبكى في سجوده ودعا عليهم
بغياض ابنته فاطمة الرهراء وهي باكية فحتضت ذنك السلاسل ورهته والفته وقامت على رأس
أبيها عليها الصلاة والسلام تبكي فرفع رأسه الشريف وقال « اللهم عليك بقريش » قلها ثلاثاً ثم
قال راضاً صوته « أتي مظلوم فأنصر » قلها ثلاثاً ثم قم فدخل منزله وكان ذلك بعد موت عمه أبي طالب
بشهرين . ولشجرة عمرو بن العاص بنداوة المصطفى عليه الصلاة والسلام فوفده قريش الى النجاشي
ملك الحبشة ليزهده في الاسلام فيطرد عن بلاده من هاجر اليها من المسلمين فصار الى الحبشة وقام
بجهته جهده ولكن ما أصفى النجاشي الى قوله وظل على اكرام المسلمين .

ان الاسلام يجب ما قلته فان عمرأ بن العاص مازال عدواً للاسلام والمسلمين يحارب رسول
الله مع الكفار والمشركين الى ان هداه الله للايمان وقد حدثت هو نفسه عن اسلامه وهذه روايته
قال : لما انصرفنا من غزوة الخندق جئت رجلاً من قريش كانوا يرون رأبي ويسمعون مني فقلت
لهم والله اني لأرى أمر محمد يلو الامور علواً منكراً وانني قد رأيت رأياً ما ترون فيه ؟ فقالوا
مارأيت ؟ فقلت أرى ان تلحق بالنجاشي فكون عنده فان ظهر محمد على قومه أقتنا عند النجاشي
فان نكون تحت يديه أحب الينا من ان نكون تحت يدي محمد لما اذا ظهر قومنا على محمد فنحن

وَإِنَّهُ إِنْ سَعَى مَعَهَا يُؤَيِّدُهَا حَتَّى تَقُوزَ بِأَمَالِ تَوَخَّيْهَا
 قَدْ يَبَالُ بِهَا قَاصِي مَطَامِيهِ وَمَا أَلْعَلِّي إِذَا وَافَاهُ يُعْطِيهَا
 وَكَانَ أَبْنَاهُ مَعَهُ فَاسْتَشَارَهُمَا بِدَعْوَةٍ لَيْسَ يَذَرِي مَا يَتَأَلَّبِهَا
 قَالَ الْكَبِيرُ: فَحَازِرٌ مِنْ مُبَاوِيَةٍ وَدَعْوَةٍ لَا يُرِيدُ الْحَقُّ دَاعِيَهَا
 أَرْضَيْتَ أَخِي وَأَلِصَدِيقَ مَعَ عَمْرِى حَتَّى قَضُوا بِفِعَالٍ كُنْتُ آتِيَهَا
 وَإِنْ قَتَلَهُ عُثْمَانُ لَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ شِرَاكِهِ بِأَعْيُنِهَا وَجَانِبِهَا
 وَلَسْتَ تَطْمَعُ فِي نَيْلِ الْخِلَافَةِ بَلْ هِيَ تَابِ يَأْتِيَهُ أَنْ تُدَانِيَهَا
 فَلَنْ يَنْزِلَ بِتَوَلِّيَهَا مُبَاوِيَةٌ فَلَسْتُ أَفِيكَ إِلَّا مِنْ مَوَالِيهَا
 وَإِنِّي مُشَقِّقٌ أَنْ تَتْرَكَهَا سَرِيحًا حَامِلِينَ إِلَى الْأُخْرَى مَسَاوِيَهَا

من قد عرفوا قالوا انا على رأيك فقلت فجمعوا مانهدي له وكان أحب ما ياتي به من أرضنا الا هم
 لجمعنا له أدمأ كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله اننا لفي الحسنة موضع اكرام وخفاوة النجاشي
 الذي سر من هديتنا واذا قدم عمرو بن امية الضمري وكان بشه رسول الله عليه الصلاة والسلام
 في شأن جعفر بن أبي طالب واصحابه فقلت لاصحابي هذا عمرو بن امية لو قد دخلت على النجاشي
 على ما تاملون من ادلالي عليه وسألته اياه فاعطانيه فضربت عنقه فاذا هلك ذلك رأيت قريش
 اني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . فاستحسن اصحابي عزمي ودخلت على النجاشي
 وسجدت بين يديه فرحبت بي كمادته معي فقلت له ان الرجل الذي اناك من الحجاز هو رسول
 عدو لنا فاعطنيه لانتله فانه قد اصاب من اشرافنا وخيارنا . فغضب النجاشي وضرب الله
 باصبعه ضربة شديدة هي اشارة الغضب عند القوم قال عمرو بن الماس : فوالله اذ رأيت هذا
 وددت لو انتقت الأرض ودخلتها فرأته منه . ثم قلت ايها الملك والله لو ظننت انك تكره هذا ما
 سألتك . فقال النجاشي ويل أمك اتسألني أن اعطيك رسول رجل يأتيه المأموس الاكبر الذي كان
 يأتي موسى لنتلته ؟ فقلت ايها الملك كذلك هو ؟ قال أي والله اعطني ويحك واتبعه فوالله لعلحق
 ويظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قال عمرو بن الماس : فلما سمعت
 هذا من فم النجاشي صوبت الى الاسلام وعدت الى اصحابي فاختبرهم بالامر واسرعت الى المدينة
 فلما اتيتها قصدت خالد بن الوليد وكان صديقي ولسرت اليه بما في نفسي فسار معي الى رسول الله
 صلى الله عليه وآله فلما دخلت عليه قلت يا رسول الله أبأيمك على أن تنفري ما تقدم من ذنبي ولم
 اذكر ما تأخر فقال بايع يا عمرو فان الاسلام يجب ما قبله وان الهجرة تجب ما قبلها فبايعته واسلمت اه
 هذه رواية عمرو بن الماس عن اسلامه وكان اسلامه سنة ثمان من الهجرة وعرف المصطفى مكانته
 من الشجاعة والهداء فاستدناهم منه وارسله يسرية الى ذوات السلاسل من بلاد قضاة على رأس ثلاثمائة
 مقاتل وكانت ام الماس بن وائل من (بني) فبعث رسول الله عمراً الى ارض (بني) وكعدرة ليشالف
 اهلها ويدعوهم الى الاسلام فسار حتى اذا كان على ماء ارض جناب يقال له السلاسل وبها سميت تلك

وَقَالَ ثَانِيهِمَا : كَلَّا فَمَزَلْتَهُ فَلْيَسْلُحْنِ بِأَرْضِ الشَّامِ مُضْطَلِبًا فَقَالَ عَمْرُو : قَبِدُ اللَّهُ يَطْلُبُنِي لَكِنَّمَا رَغْبَةُ الدُّنْيَا يَجُولُ بِهَا وَبَعْدَ أَنْ طَالَ فِي هَذَا تَفَكُّرُهُ وَسَارَ لِلشَّامِ يَسْتَرْثِي مَعَاوِيَةَ وَمَا أَرْتَفَعِي غَيْرَ مِصْرَ رَشَوَةَ لِيَمَّا وَمِصْرُ طُغْيَ أَرْبَابِ الْمَطَامِعِ بِالسَّخِيرِ الْوَفِيرِ الَّذِي يُلْفَى بِوَادِيهَا

السرية (ذات السلاسل) خاف فكتب الى رسول الله يستعجده فامده بجيش فيه مئتا فارس فيهم أهل الشرف والسوابق من المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر وأمر عليهم أبو عبيدة بن الجراح فلما قدموا على عمرو بن الماس قال هذا أنا أميركم وانما اثم مددي فقال أبو عبيدة بل أنا أمير من معي وأنت أمير من معك فأبى عمرو ذلك فقال أبو عبيدة لقد أمرني المصطفى أن اطاعك ولا اخالفك فان خالفني اطعتك قال عمرو اني اخالفك فلم اليه أبو عبيدة بالامارة وصلى خلقه في الجيش كله وانتهت الحجة بنصرة المسلمين

ثم ان رسول الله ولى عمرأ بن الماس على عمان وظل في ولايته حتى قبض عليه الصلاة والسلام ثم عمل عمرو لابني بكر في مدة خلافة . وعند ما فتحت سوريا وفلسطين على عهد عمر بن الخطاب كان عمرو بين القوادى المتاخمين تحت أسرة ابي عبيدة بن الجراح وبعد الفتح ولى عمر على دمشق وببلبك معاوية وعلى فلسطين والاردن اخاه يزيد بن ابي سفيان ولم تطل أيام يزيد فمات فولى عمر مكانه عمرأ بن الماس ثم جمع عمر فلسطين والاردن لولاية معاوية ولول عمرأ بن الماس لفتح مصر ففتحها ولم يزل عليها حتى مات عمر وخلفه عثمان فقتله عليها لربيع سنوات ثم عزله عنها وولاهما عبد الله بن سعد بن ابي سرح الماسري فكان هذا بدء الشر بين عمرو بن الماس وعثمان على ان عمرأ كان على ماعرف عن دهائه يداري ما في نفسه فيظهر الود ويخفي البغضاء والحقد وقد عرفنا ما تقدم كيف ترك عمرو بن الماس عثمان بين يدي قتله ولورتحل عن المدينة الى داره في القدس . وكيف اظهر الشامة عند ماسع بمقتل عثمان . وكيف ارتحل الى معاوية واتفق معه . وستذكر ما كان منه في حرب صفين فيما يجي . ان شاء الله

وقد برر معاوية بهبه فاطلق يد عمرو بن الماس في مصر قسار اليها فتحها وكانت خاضعة لسيدها علي وكان يحكمها من قبله محمد بن أبي بكر فخاربه ودخها عنوة ثم ظفر به فاحرقه بمجوف حمار وقام بهذا الاثم الفطيع معاوية بن حديق . وما بلغ ذلك عاتية في المدينة لرداد كرها وعملوا حوزت حزا شديدا وصارت تلين معاوية وعمرو بن الماس ومعاوية بن حديق عقب كل صلاح وضمت عيال اخبا محمد اليها وستأتي فيما بعد على ذكر المؤامرة التي دبرت لقتل عمرو بن الماس ومعاوية بن أبي سفيان وسيدنا امير المؤمنين عليه صلوات الله في موضعها

وَعَزُّوْهُ فَاتَّحَبَّهَا وَهُوَ الْخَيْرُ بِهَا فَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ إِنْ بَاتَ بِأَغْنِيهَا
وَمَا مُعَاوِيَةُ لَوْ لَا تَحَوُّجُهُ إِلَى مُعِينٍ كَثُرُوا كَانَ يُؤَلِّمُهَا
وَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ إِذْ ذَاكَ مَا لِكَمَا لَدَّا بِهَا فَفَسَّ عَزُّو رَاحَ شَارِبُهَا
وَكَمْ أَتَى السَّامَ كَأَنَّ الْعَصَى ذُوجِشِعَ فَسَالَ شَهْوَتُهُ أَوْ مَا يُؤَاوِزُهَا
وَفِي الْخِلَافَةِ مَا يُنْزِي الطُّمُوعَ بِهَا إِلَّا إِذَا خَافَ رَبَّ الْعَرْشِ حَامِيَهَا

معاصرة بعلمه العجيبه

كَفُّ نَصَافِحُ كَفًّا وَهِيَ طَائِفَةٌ يَحْضُرُ نَارَ الْوَعْيِ وَالْقَلَمُ تُوْرِيهَا (١)
وَحِلْفُ شَرٍّ بِهِ نَحْتُ مُحَافَظَةٌ ضِدُّ الْخِلَافَةِ مَا الْإِسْلَامُ رَاضِيَهَا
قَدْ فَازَ عَزُّوْهُ بِوَعْدٍ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِأَنْ يُؤَوِّدَ لِحَصْرِ وَهُوَ وَالِئِهَا

وما زال عمرو بن الماس والياً لمصر متمتاً بخيراتهما ولم يكن لمأوية فيها غير الاسم الى ان توفي سنة ٤٣ هـ هجرة عن تسعين عاماً ودفن في المقطم من ناحية السجج
وكان عمرو بن الماس من فرسان قريش وقادتهم وحكامهم المحكين وكان شاعراً حسن الشعر وله حكم مأثورة وكان اظهر مظاهره الدهاء حتى ان عمر بن الخطاب كان كما استغفر رجلاً في عقه ورأيه يقول اشهد ان خالكت وخالق عمرو واحد يريد ان يسهل سبانه خالق الازداد
اما أم عمرو بن الماس فهي سلمى وتلقب (بالناتنة) وهي بنت حرمة من بني صلان بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن تزار أصابها سباً فشتراها عبد الله بن جدعان السهمي بمكة ثم اعتقها فصارت بنتاً فوقع عليها أبو طرب بن عبد المطلب وامية بن خلف الجهمي وهشام بن المنيرة الخزومي وأبو سفيان بن حرب والماس بن وائل السهمي في طهر واحد فولدت عمراً فأدماه كلهم لحسكت امه فيه فقالت من الماس بن وائل قاتل لها ابو سفيان اشرف نسباً فقاتل ان الماس بن وائل كثير النفقة علي وابو سفيان شحيح قالوا ولكن عمراً كان اقرب شياً بابي سفيان وكان الناس كثيراً مايجون عمراً بامه ويقدمون بنسبه وسببونه فيه

(١) شعر معاوية بعد ان استوتق من معونة عمرو بن الماس بكفائه لمقاومة سيدنا امير المؤمنين عليه صلوات الله فصعدت عزيمته على اعلان البداء فأمر منادياً ينادي الصلاة الجامعة فلما اجتمع الناس وقيم جرير بن عبد الله البجلي رسول الحليفة حلا معاوية المنبر وقال : الحمد لله الذي حمل الدعائم للإسلام أركاناً ، والشرائع للإيمان برهاناً ، يتوقد فيه في الارض المقدسة ، حملها الله محل الانبياء والصالحين من عباده ، فأحلبهم أرض الشام ، ورزقهم لها ، كما سقى في مكنون علمه من طاعتهم ، ومناصحتهم خلفاءه والقوأم بأسره ، والذابين عن دينه وحرمانه ، ثم جعلهم لهذه الامة نظاماً ، وفي سبيل الحريات اعلاماً ، يردع الله بهم النساكتين ، ويجمع بهم الامة المؤمنين ، وبالله نستعين ، على ما تشبب من أسر المسلمين بعد الانشام ، وتباعد بعد التقرب ، اللهم انصرنا على أقوام يوقطون نائماً ، ويحيفون آمناً ، ويريدون اراقة دماءنا ، واخافة سبلنا ، وقد علم الله انا لا نريد

لِقَاءَ تَضِيدٍ رَضِيَ كَانَ صَاحِبُهُ مِمَّا تَعَارَضَتْ أَلَا حُثَاتُ يَتَوْنِهَا
وَلَمْ يَكُنْ قَطُّ مَضْبُونًا مَؤَاوِيَةً بِصِنْفَةٍ كَانِ بِالتَّوْفِيقِ جَانِبِهَا
أَلَا يَهْوَنُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ أَنْ يُعْطَى بَغِيرَ وَتَى مِصْرًا لِرَاجِبِهَا
هَذَا إِذَا لَمْ يَخْتَهُ بِعَدِّ نَصْرِيهِ خِيَانَةً كَانِ عَمَرُو مِنْهُ خَاشِبِهَا
وَكَانَ يَتَرَفُّ عَمَرًا فِي حَقِيقَتِهِ تَأَلَّهَ صَاحِبُهُ يَذَرِي خَوَافِهَا
وَأَنَّهُ وَاحِدٌ فَدُّ يُقَابِلُ بِالْإِذَا لُوفَ وَلَا يَخْشَى تَجَحُّبِهَا
لِذَا اسْتَعَزَّ بِهِ عَزَا مَؤَاوِيَةً وَلَمْ يَعُدَّ يَرْهَبُ أَلَا خَطَارَ دَاهِبِهَا
وَرَدَّ رَدًّا جَرِيْرًا قَائِلًا عَلَنًا : مَا أَمْرُهُ الْمُرْتَضَى بِاصْحَاحِ أَذْرِبِهَا
وَقُلْ لَهُ مَا أَنَا رَاضٍ بِأَمْرِيهِ وَلَسْتُ وَاللَّهِ أَخْصَى مِنْ مُطِيعِهَا
كَذَلِكَ عَادَ جَرِيرٌ خَائِبًا حَجَلًا بِخِيبَةِ أَسْعَى يَشْكُو مِنْ مُخَيَّبِهَا

لهم عقاباً ، ولا تنتك لهم حجاباً ، ولا توطئهم زلفاً ، غير ان الله الحميد كسانا من الكرامة ثوباً
لن نزهه طوعاً ، ما جلوب الصدى ، وسقط الندى ، وعرف الهوى ، حلهم على ذلك البني والحسد
فلمستين الله عليهم ، ايها الناس ، قد علمت اني خليفة امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وامي
المؤمنين عثمان بن عفان ، عليكم ، اني لم اقم رجلاً منكم على خيائتي قط ، واني ولي عثمان ،
وقد قتل مظلوماً ، والله تعالى يقول : (ومن قتل مظلوماً ، فقد جعلنا لوليه سلطاناً ، فلا يسرف
في القتل انه كان منصوراً) وانا احب ان قتلوني ذات افسكم في قتل عثمان ، اه وما كاد ينتهي
مماوية من خطابه الذي على ما رأيت بين سطوره من الدهاء والمكر حتى نادى الناس بالمطالبة بدم
عثمان وبأبوا مماوية على ذلك ولوثقوا له على أن يذلوا بين يديه او لهم وأقسم حتى يدركوا بشره
أو تلحق أرواحهم بأته . ثم انصرف مماوية فأنصرف الناس حتى اذا ما خلا في قصره استدعى اليه
جريراً وقال له لقد طال مكنوك عندنا واعلمت الفكرة طويلاً فرائني لايديني الا المطالبة بدم
عثمان وانا وليه فارجع الى صاحبك واخبره اني لا اباليه ولا اطيعه وكذلك أهل الشام أو يدفع لا
قتل عثمان فتصلهم به وهذا كتاب مني اليه فحمله له فحاول حرب كثيراً ان يثنيه عن عزمه فا اطلع
وهكذا عاد خائباً الى الكوفة يخبر امير المؤمنين بكل ما رأى وسمع بعد طول غيبتته

اما الكتاب الذي حمله جرير الى سيدنا علي عليه صلوات الله فهذا نصه « من مماوية بن
صخر الى علي بن أبي طالب ، اما بعد ، فسلمري ، لو بايكم اتقوه الذين يأمرك وانت بريء من
دم عثمان ، كنت كافي بكر وعمر وعثمان ، ولكنت اغريت منهم المهاجرين ، وخفدت عنه الانصار ،
فاطاعك الجاهل ، وقوي بك الضعيف ، وقد أتى أهل الشام الا قد كنت ، حتى تدفع عنهم قمة عثمان ،
فان قلت كانت (الخلافة) شورى بين المسلمين ، ولعمري ليست حجتك علي ، كحججك على
طلحة والزيبر ، لانهما بايائك ولم بايائك ، وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ،

ثُمَّ اتَّخَذَ بِاللَّهْمَا بَيْتِي مُعَاوِيَةَ أَصْحَابَهُ وَمِمَّا تَرْضَى بِمُسْتَبَاحِهَا
يَقُولُ: أَصْبَحْتُ يَا أَخُوَانُ مُلْتَزِمًا حَرْبَ الْخِلَافَةِ ابْنِي أَنْ أَقَاوِمَهَا
فَقَدْ حَمَت قَاتِلِي عُثْمَانَ فَهِيَ إِذَا مَسْئُولَةٌ عَنْ دِمَائِهِ أَضَتْ أَجْرَهَا
بِمِثْلِ ذَاكَ كَانَ يَسْتَهْوِي السَّامُ إِلَى الْمِصْصِيَانِ وَالْحَرْبِ بِمُسْتَبَاحِهَا وَيُزْجِيهَا
فَأَسْتَسْلِمَتْ وَبَكَتْ مَعَهُ قَتِيلَ بَيْتِي . أُمِّيَّةٌ كَيْتَ يَذَرِي الْحَقَّ بِأَكْبَانِهَا
صَاحَتْ بِثَارَاتِ عُثْمَانَ تُرِيدُ عَلَيَّكَ مِثْلَمَا بُلِقَتْ مِنْ مُسْتَشَارِيهَا
وَبَايَعَتْ بِاسْمِهِ أَخْذَ الثَّارِ مُقَدِّمَةً عَلَى الصَّعَابِ الَّتِي تُخْشَى مُعَاوِيَةَهَا
وَالسَّامُ بَوْرَةٌ شَرٌّ أَصْبَحَتْ وَبِهَا سَكَّانُهَا قَدْ تَمَادَّتْ فِي تَوَاغِبِهَا
فِيهَا عِدَا الْمُرْتَضَى ظُلُمًا قَدْ اجْتَمَعَتْ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَحَذَبٍ فِي تَقَعُّبِهَا
هُنَاكَ ذَاهِيَةُ الدُّنْيَا مُعَاوِيَةُ يَرْجِي الْخِلَافَةَ كَيْ يَصْطَادَ بَارِيَهَا
مَاهِمُهُ دَمُ عُثْمَانَ وَمَنْ سَفَكْنَاهُ أَصْبَحَتْ عِنْدَهُ إِذْ رَاحَ أَوْبَاهَا
وَلَا قَيْصُ ابْنِ عَفَّانَ الْمُطْلُخُ بِالدَّمِ الَّذِي أَهْرَقَهُ فِي تَقَعُّبِهَا

لأنَّ أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام ، فاما شركك في الاسلام ، وعراجتك من النبي عليه
الصلاة والسلام ، وموضك من قریش ، فقلت ادفعه ، والسلام اه
واما نود فنقول ان معاوية ما كان همه في الحقيقة قتل عثمان ولا كان يشجيه قيصة الملوخ
بالدم واصابع نائلة التي قدَّت يوم مقتله . ولكنها ذريعة كان يتنوع بها للوصول الى الخلافة ،
وسيلة يتوسل بها لتأليب الناس على سيدنا علي عليه صلوات الله توفلاً لحلمه عن الخلافة واستئثارها
أما أهل الشام فهم صفان صنف من خالصة العرب وقد اتفقوا حول معاوية طمعاً بالاستفادة
من كرمه الجلم الخاتمي والوصول الى ما يحلمون به من الرتب العالية لو هو تولى الخلافة . وصنف
من طامة العرب وسواد أهل الشام وهم خاضعون لمعاوية من عهد عمر وعبد وند ملك قياهم وسيطر
عليهم فاما كان لهم الا ان يرضوا بما يرضى وان يسيرا وراءه كيف سار وهكذا استفحل أمر معاوية
واصبح خطراً على سلامة المسلمين وباتت الحرب بمساعيه ضد أمير المؤمنين على قلوب قوسين
أما يمة أهل الشام لمعاوية يودئته قد كانت على الطلب بدم عثمان وعلى أن يكون أميراً لا يطعم
في الخلافة بل يترك أسرها شوري . قالوا وكان في المسجد يومئذ ارمائة رجل من المهاجرين
والانصار ممن صحبوا المصطفى عليه الصلاة والسلام على رأسهم عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير
وعبيد الله بن عمر ومروان بن الحكم ونحوهم فاعجب لهذا الدد الكبير الذي اتفقوا لمساوية
طمعاً بالدنيا وكانت لاتزال هذه الدنيا غرارة باهلها ولا حول ولا قوة الا بالله
« ترجمة جبر »

هو جبر بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلبة بن جهم بن عوف بن حرب

وَلَا أَصَابِعُ ذَاتِ الْخِذْرِ نَائِلَةً وَإِنْ هِيَ انْتَفَرَتْ مِنْ قَدَمٍ مَضِيئَةٍ
لَكِنَّ نَفْسَ آتِي حَرْبٍ فِي شَرَاهِنِهَا لَا شَيْءَ عَنْ طَلِبِ الثَّارَاتِ يُفْنِيهَا
وَلَمْ تَكُنْ تَطْلُبُ الثَّارَاتِ مُلْجَةً إِلَّا تُبْلِيهَا أَفْصَى أُمَانِهَا
فَتَرْتَمِي سِدَّةَ الَّذِينَ الْحَنِيفِ بِنَا رَابِ تَنَادِيَهَا فِي النَّاسِ تَمَوُّنَهَا
وَأَلْفٌ مِنْ حَوْلِهَا مَنْ كَانَ يَضْطَلِبُ الدُّنْيَا وَأَغْرَهُ بِالسَّوْءِ مَلَاهِنَهَا
مِنْ كُلِّ مُرْتَقِبِ الْغَلِيَةِ ذِي وَلَعٍ بِهَا وَمَا هُمُّ إِلَّا رَقَبُهَا

سير أمير المؤمنين إلى الشام

وَبَعْدَ عَوْدِ جَرِيرٍ لِلإِمَامِ بِأَنْبَاءِ الشَّامِ وَمَا يَتَوْنِي مَوَانِيهَا (١)
أَبَى أَبُو حَسَنِ إِلَّا مُرَاسَلَةَ السَّامِعِ ابْنِ صَخْرٍ بِأَيِّ النَّصْحِ يُسَدِّدُهَا
طَالَتْ وَلَكِنَّهَا مَا انْتَمَرَتْ تَمَرًا فِي أَفْصَى طَوْتِ الْبَغْضَاءِ مَطَاوِنَهَا

ابن علي بن مالك بن سعد بن تميم بن قيس بن كلاب قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في
رمضان سنة عشر للهجرة فبايعه وسلم وكان جرير مسيح الوجه جليلاً . قال رسول الله فيه « كان علي
وجهه مسحة ملك » وكان عمر يقول جرير يوسف هذه الامة . وكان طويلاً ينقل في ذروعه البحر
من طوله . وكانت نعله ذراعاً . وكان يخطب لحيته بالزعفران من النيل ويضله اذا اصبح فتخرج كانه
واستمله عمر وعثمان يده وأخر عمل له كان في همدان استمله عليها عثمان وقد مر . منا كيف انه
بايع سيدنا علي واهل اهل همدان على يمينته بعد انتهاء موقعة الجمل . ثم عرفا كيف وجهه المرتضى
عليه صلوات الله الى معاوية في الشام بعد ان عرض هو عليه ذلك بناء على ثقته بتفوضه هناك

ولما عاد جرير بالقتل والحياة اتهمه اصحاب سيدنا علي بمعاوية معاوية وانه ما اطلع المكوث
في الشام وطاول في مخابرة معاوية الا ليكتب هذا الوقت الكافي ليدع عنه نصيبان والظاهر
ان سيدنا علي عليه صلوات الله داخله الشك باخلاصه فاهمل شأنه فتتزل ولم يحضر حرب صفين
على انه اعتزل معاوية ايضاً وأقام في الجزيرة في العراق ملتزماً به حتى توفي بالسرعة من أعمال العراق
سنة ٤٤ للهجرة في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة

(١) قدم سيدنا علي عليه صلوات الله من البصرة الى الكوفة حد موقعة الجمل لانتقامه
ليلة من شهر رجب سنة ٣٦ للهجرة . فدخل الكوفة ومعه اشراف الناس من اهل البصرة وغيرهم
فاستقبله اهل الكوفة بالتهليل والتكبير والتهليل وفيهم قرأوه واشرافهم ودعوا له بالبركة وتزل في الرجة
ثم دخل المسجد الاعظم فجلس فيه وكتب وصية المنبر لحيد الله واتي عليه وصلى على رسوله وقال :
« أما بعد ، يا اهل الكوفة ، ان الحكم في الاسلام فضل ، ما تيدلوا وتغيروا ، دعوتكم الى
الحق فانيتم ، وبدأتم بالانكفر فنيتم ، الا ان فصلكم فيما بينكم وبين الله ، ولا الاحكام والناسم ،
فتم اسوة غيركم من اجابكم ، ودخل فيما دخلتم فيه ، الا ان تخوف ما اخاف عليكم ، اتباع
الطوية المباركة — ٤٤ »

وَكَانَ يَطْلُبُ فِيهَا السَّلَامَ حَيْذَرَةً مِمَّنْ يَجِدُ وَرَاءَ الْحَرْبِ يَنْوِيهَا
كَيْمَا يَشِيدَ لَهُ مُلْكًا عَلَى اسْسِ الْخِلَافَةِ الْمُسْتَهْمَى مِنْهُ تَدَاعِيهَا
وَكَانَ يَسْمَعُ أَعْمَالَ الْأَنْصَاةِ أَبْنَاءَ الْحُسَيْنِ مِنْ فَمِ رَاوِيهَا وَشَا كَيْهَا
فَيَسْتَعِيدُ بِكَارِيهِ وَيَنْشُدُ مَنْ حَوْلَهُ مِنْ صَحْبِهِ لِلْحَرْبِ يُنْخَبِهَا
فَلَا يَرَى غَيْرَ أَرَاهُ يُشْتَبِهَا الْخَوْزُرُ مَا لَنْ تَلِيَّ صَوْتَ دَاعِيهَا
وُظَلَّ فِي ذَا شُهُورًا وَهُوَ مُضْطَرُّ عَلَى عِدَاهُ الَّتِي وَالَتْ تَعَدِّيَهَا
وَقَدْ تَمَادَتْ فَلَا صِقِقَ وَلَا بَلَدَ لَمْ تَقْشُ فِي أَهْلِ شَيْ مَسَاوِيهَا
وَلَمْ يَمُدَّ لِيَلِيَّ أَنْ يَخَارَ سَوَى حَرْبٍ يَنْزِيهَا يَكُونِي مُلْظِيهَا
فَأَعْلَنَ الْحَرْبَ مُضْطَرًّا وَحَمَّ قَضَا ۝ اللَّهُ أَنْ تُزْعِجَ الْأَنْبِيَا تَمَاسِيهَا
كَيْمَا يُرِيَّ بِهَا أَهْلَ الشَّامِ وَقَدْ جَارَتْ بِمَا أَظْهَرَتْهُ مِنْ تَعَصِّيَهَا

الهمي ، وطول الامل ، أما اتباع الهوي فيصعد عن الحق ، وأما طول الامل ، فيفسد الآخرة ،
ألا ان الدنيا قد رحلت مدبرة ، وان الآخرة قد رحلت مقبلة ، ولكل واحد منهما بنون ،
فكفونا من أبناء الآخرة ، اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل ، الحمد لله الذي نصر
ولي ، وخذل عدوه ، وأعز الصادق الحق ، وأذل الناكث البطل ، عليكم بتقوى الله وطاعة
من أطلع الله من أهل بيت نبيكم ، الذين هم أولى بطاعتكم فيها أطاعوا الله فيه ، من المستحلين
المذمومين ، للقاتلين البنا ، يتفضلون بفضلنا ، ويحاجدوننا أمرنا ، وينازعوننا حقنا ، ويدافعونا عنه ،
فقد ذاقوا وبال ما اجتروا ، فسوف يلقون غيا ، إلا أنه قد قدم عن نصرتي رجال منكم ، وأنا
عليهم عاتب ذامر ، فاهجروهم ، وأسموهم ما يكرهون ، حتى يمتبوا ، ليرف بذلك حزب الله
عند الفرقة ، وعند ما انتهى أمير المؤمنين من خطابه تقدم إليه وجوه الذين قدموا عن نصرتهم فاهتدوا
قبل اعدائهم ورخي عنهم بعد أن أكثر من عتابهم ولومهم

وقد سقت الإشارة بأنه عليه صلوات الله ما كاد يستقر به المقام في الكوفة حتى انصرف الى
دعوة امراء العراق وارس الى الطاعة طلبوه واطاعوه واهبوه ثم انصرف الى مخاطبة معاوية ومخاربه
فارس له جبراً كما تقدم وكانت نتيجة رسالته ما رأينا من التسوف والماطلة ثم رجوع جبري الى
أمير المؤمنين بالحجة والفشل وتلا ذلك مراسلات كثيرة بين سيدنا علي ومعاوية لم تنجم عن خير
وقد تمادى معاوية مع سيدنا علي في رسالته تمادياً ما وجدت في السلاء والمؤرخين من رضى له حتى
ولا الذين يتشيون الى الامويين واني لا عرض عن كل ذلك واتزه هذه العلوية المباركة عن سر
هاتيك الرسائل واكتفي بالإشارة إليها ولا حول ولا قوة الا بالله

وقد صبر سيدنا علي عليه صلوات الله على معاوية أشبراً ممدودة حاول فيها جهده ان يستميله
الى الحق ويحوّله عن الباطل فما أحدث مساعيه نفساً وظل مساعيه واعوانه يبيتون فساداً في ممالك الخلافة
فيحملون الناس باسم ثار عثمان على كره سيدنا علي وتكث يمتع حتى اذا ما استفحل الخطب وتقام

ذَا بَعُدَ أَنْ ضَاعَ مَسْعَاهُ بِوَدَّهَا إِلَى الْهَدَى وَأَطَاعَتْ مُسْتَضْلِيهَا
كَذَلِكَ قَدْ سَارَ يَنْفِي الشَّامَ حَيْدَرُهُ يُرِيدُ تَطْوِيعَ عَاصِمِهَا وَبَاغِيهَا
وَحَوْلُهُ مِنْ كُمَاةِ الْحَرْبِ طَائِفَةٌ يَفُوتُ قَافِزُهَا فِي السَّبْرِ مَا شَبَّهَا
وَكَانَ مَسْعَاهُ مَا بَيْنَ الْفَرَاتِ وَدَجَسَلَةَ بِحَيْثُ بَيْتِكَ الْأَرْضُ يَطْوِيهَا
وَكَانَ عِنْدَ مَوَاقِفِ الصَّلَاةِ إِنَّا دِي النَّاسِ عَنْ وَرَعٍ كَيْمَا تَصَلِّيَهَا
وَمَرَّةً لَمْ يَحِذْ أَرْضًا مُلَاعِمَةً إِلَى الصَّلَاةِ يَوْفَتُ الْعَصْرَ يَقْضِيهَا (١)
فَجَدَّ حَتَّى أَنْتَهَى وَقْتَ الْفُرُوبِ إِلَى أَرْضٍ أَرَادَ يُصَلِّي عَصْرَهُ فِيهَا
وَإِذْ دَعَا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ خَالِقَهُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةَ فِي أَسْنَى تَلَالِيمِهَا
ظَلَّتْ تَلَالِي حَتَّى مَا الصَّلَاةُ كَمَا يَرْضَى الْإِلَهُ أَنْتَهَى مِنْهَا مُصَلِّيَهَا

المطر لم ير سيدنا أمير المؤمنين غير تحكيم السيف لإعادة السلام إلى بلاد الخلافة فنادى بالجهاد على أهل الشام فلباه أكثر أهل الرقاق وتقاضى الاقلون ممن تأكلهم الترف وخرت منهم الغزائم وكان خروجه عليه صلوات الله من الكوفة في أوائل ذي الحجة سنة ٣٦ للهجرة

سار المرتضى بأصحابه إلى النخلة وهي إحدى ضواحي الكوفة وهناك رتب صفوفهم وركب في مقدمتهم ودعا فقال « اللهم » أي أعوذ بك من وعاء السفر ، وكآبة المنقب ، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد ، اللهم أنت صاحب السفر ، وأنت خليفة في الأهل ، ولا يجمعهما غيرك ، لأن المستخلف لا يكون مستصحباً ، والمستصحب لا يكون مستخلفاً (تقول : وأبتداه هذا الكلام بروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قصاه أمير المؤمنين عليه صلوات الله بابتداء كلامه بحسن تسمية من قوله ولا يجمعهما غيرك إلى آخر ما نقل فجاء وأعجز لأن من يستصحب لا يكون مستخلفاً لاستحالة وجود الشيء الواحد في مكانين بالطرف إلى الجسم البشري وأما الله جل جلالته القدسية ليست مكانية بل هو جل جلاله موحود في كل زمان ومكان فيحيط علمه وقضاؤه وقدره وعزائمه بالمستصحبين والمستخلفين معاً فهو سبحانه المرجو لنصرة السائرين لنصره وحماية المستخلفين من الأهل والولد) وقد ولي سيدنا علي عليه صلوات الله على الكوفة عند خروجه منها حبيب بن مالك فقال له وهو أخذ إيمان دابته عند رحيله : أخرج يا أمير المؤمنين بالمسلمين فيصيبوا أمر الجهاد بالقتال وتخلفني بالكوفة لحشر الرجال ؟ قال : لن يصيبوا من لا يرشيه ، إلا كنت شريكهم فيه ، وأنت هنا أعظم غناء عنهم ، منك لو كنت معهم » وعند ما قطع سيدنا علي برحاله اتهم أسمر ناديه فنادى بالصلاة فقدم عليه صلوات الله فقبل ركعتين حتى إذا قضى الصلاة أقبل على الناس بوجهه فقال : « أيها الناس ألا من كان مثيباً أو مقبلاً فليتم الصلاة ، فأنا قومه سفر ، ألا ومن صحبته يصومون ألفروا ، والصلاة للفرصة ركعتان. » وهذا سار أمير المؤمنين بركبة صد الشام لحرب معاوية

(١) روى عمر بن عبد الله بن يحيى بن مرة الشنقي عن أبيه عن عبد خيرة قال كنت مع علي أمير في أرض بابل في سيرة إلى صفين وحضرت صلاة العصر فجئت لأتاني مكا ، ألا رأيتاه أقبج

غَابَتْ وَقَدْ عَادَتْ الدُّنْيَا لِظُلُمَتِهَا
وَتِلْكَ مُعْجَزَةٌ كَثُرَتْ لِحَيْدَرَةٍ
ثُمَّ عَلَى كَرْبَلَاءَ مَرَّ حَيْدَرَةٌ
نَادَى: الرَّحَالَ هُنَا تَتَوَيَّرُ بِكَرْبَتَيْهَا
مَا كَرْبَلَاءَ سِوَى كَرْبٍ وَمَمَّةٌ بَلَاءُ
بِذَاكَ أَنْبَاءٌ عَنْ خَطْبِ الْحُسَيْنِ وَكَمْ
وَعِنْدَ مَا بَلَغْتَ سَابِاطَ حَلَّتْهُ
وَأَقْبَلَتْ نَحْوَ مَوْلَانَا أَبِي حَسَنِ
عَلَيْهِ قَدَرٌ ضَرَّتْ شَاهِي الْمَا كُلِّ مَعٍ

وَبَاتَ صَحْبٌ عَلَيَّ فِي دِيَارِ جَنِينَا
ذَلَعَتْ وَشَاعَتْ وَكُلُّ النَّاسِ تَحْكِيهَا
فَأَوْفَقَ النَّاسَ حِينًا فِي بَرَارِيهَا (١)
هُنَا الدِّمَاءُ عِدَاةُ اللَّهِ تُنْمِئُهَا
لِللَّهِ سَوْفَ تَتَوَيَّرُ فِي مَثَاوِينَهَا
مِنَ الْحَوَادِثِ قَدْ شِئِنَاهُ يُنْمِئُهَا
حَلَّتْ بِأَمْرِ عَلِيٍّ فِي ضَوَاحِيهَا (٢)
مِنْهَا الدُّهَاقِينَ فِي أَجْلِ نَصَائِفِهَا
ضَافِي آسَازِلِ نَادَى: لَسْتُ رَاضِيهَا

من الآخر حتى اتينا على مكان أحسن ما رأينا وكادت الشمس تتيب فزل على قتل الناس معقدنا
الله فرجعت الشمس كمدارها من صلاة العصر فضلينا العر وغابت الشمس فأكبرنا معجزة صنعا
الله سبحانه بكرامته عليه صلوات الله

(١) روى سيد بن حكيم الديلمي عن الحسن بن كثير عن أبيه أن علياً عليه صلوات الله
أتى كربلاء في طريقه إلى صفين فوقف فيها قليلاً فليل له يا أمير المؤمنين هذه كربلاء فقال ذات
كربلاء وبلاؤهم أودى بيده إلى مكان فقال ههنا موضع رحلهم وشمسناخ ركابهم ثم أومأ بيده إلى
مكان آخر فقال ههنا مراق دهرهم ثم مضى إلى سباط وكان هذا من جملة آياته بالنبى التي اختصه
الله بها وقد أشار بها إلى مصرع سيد الشهداء الحسين عليه وعلى آية وحده وآل البيت الصلاة والسلام
(٢) ولما سريداً على سباط وهي بالقرب من الأنبار استقبله بنوخشوشة وهم دعاها فيها فزولوا
عن خيولهم وتقدموا منه وهم يرادون قد أوقفوها في طريقه فقال عليه صلوات الله ما هذه الدواب
التي معكم؟ وما أردتم بهذا الذي صنعتن؟ ويريد نزولهم عن خيولهم في ملاقاته قالوا أمّا هذا الذي
صنعنا فهو منا نظم به للإسراء وإما هذه البراذين فهدية لك وقد صنعنا للسليبي طعاماً وهياً
لدوابكم علفاً كثيراً فقال عليه صلوات الله أمّا هذا الذي زعمتم أنه فيكم خلق تطعون به إسرائكم
فواقة لا تنفع به للإسراء وانكم تشقون به على أنفسكم وإداسكم فلا تعودوا له . وأمّا دوابكم
هذه فإن أحببت أن أخذها منكم وأحببنا لكم من خرابكم أخذنا ما منكم . وأمّا طعامكم الذي
صنعتم لنا فإنا نكره أن نأكل من أوانيكم إلا شئنا . قالوا يا أمير المؤمنين نحن قومهم ثم تقبل
نعمه قل أذن لا تقومونه بشئ نحن نكتفي به هو دونه . قالوا يا أمير المؤمنين قل لنا من الرب
موالي ومعزوف أتعلمون أن يهديهم؟ ونعصمهم أن يفلوا منا؟ فقال كل الرب لكم موالي وليس
بنيي لأحد من المسلمين أن يقبض هديتكم وإن غضبك أحد وعلوهم قالوا يا أمير المؤمنين إنا نحب
أن تجلب هديتنا وكرامتنا قل ونعصمك فحق غنى معكم وتركم وسار
قول من يصر هذه النعمة تتجلى له صدقت أمير المؤمنين العالية ومبادئه السامية عما لم يبلغ

فَمَا عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ اللَّهُ تَكَلَّفَتْ لَنَا وَكُلَّفَتْكُمْ لِي أَنِّي أَحَاشِينَا
وَحَنَلَةُ الْمُرْتَضَى مَرَّتْ بِهَجْوَةٍ أَرْضٍ لَمْ تَجِدْ عِنْدَهَا مَاءً تَرَوْنَهَا (١)
وَقَدَرْتُ أَنْصَحْرَةَ ضَرْسًا كَرَابِضَةَ السَّمْعِزِ الْمَقِيمَةِ فِي ضَافِي مَرَاغِبِهَا

حده ديموقراطية هذه الأيام التي يفتني بها المتفنون فقد نصح سيدنا أمير المؤمنين دهااتين الفرس
أن يمدلوا عن التزول عن خيولهم أكراماً للآراء إذا مروا بهم أو استقبلوهم ولسان حاله يقول بالأساوي بين
الناس حتى لا يكلف أحدهم مشقة لأكرام الآخر بما ليس وراءه وهدية لمستفيد . وامتنع عن قبول
هديتهم إلا بشئنا وذلك غاية العدل لا مير يقود حينا محاربا سائرا للقتال . وعند ما احتجوا بقولهم أن بعض
الفرس لهم أصدقاء يريدون أن يهادوهم أجابهم أمير المؤمنين بل أن كل العرب أصدقاؤكم لا بعضهم
مشترأ إلى أن وجود العرب الفاتحين بارضهم لا يمنع أن يجمل الفالين والمطوبين بحكم الأصدقاء .
لا جرم أن الديموقراطية الحقيقية التي هي من أعلى المبادئ الإسلامية قد تجلت في كلمات سيدنا علي بن أبي
طالب المسجدة التي خاطب بها دهااتين الفرس وهي التي يوجبها الإسلام على تابعيه من الحكام
اللهم إذا كان القائم على تنفيذها تقي صالح طارف بالحكم الله كسيدنا علي أمير المؤمنين عليه صلوات الله
ويحفظ بنا في هذا المقام أن نذكر اعترافاً بالحق وإقراراً بالفضل ما شهدناه شهادة عيان ونحن
في خدمة مولانا صاحب العظمة الشيخ خزعل خان أدامه الله مدى الدوران فطلما رأه الناس وهو
يجول على بجنه الملوكي في شط العرب ونهر يمشي وقارون ينادي بالناس الذين يجولون على إلامهم
فيشكلون الوقوف لأخذ سلامه وتقديم الاحترام لشخصه الملوكي أن اجلسوا يا أولادي ولا تتكلموا
هذه المشقة فأنا إلا " أبوك وصاحبكم وشهدت هذا بنفسي وأنا بين يدي عظمت الملوكة فثقت
على هذا الطيف واللطف فقال حفظه الله : هذا ما تلقيناه عن سيدنا علي أمير المؤمنين عليه صلوات الله
وذكر لي قصة دهااتين ساباط وقال بدعته الممودة للشهيرة ومن أكون أنا بجانب أمير المؤمنين
الذي أبدى مثل هذا الطيف لأولئك الدهااتين ؟ وذكرنا هذا الطيف والخطب الخزاعي وأنا معجب
لكثيرين من أهالي الرافق فحدثوني أمثال ذلك من عظمت النبي والقيهم أكثر إعجاباً
مني بأخلافه الفاضلة التي تركته في أرفع مقام من الاحترام في هيون العرب والاعجاز

كذلك كنت بخدمة عظمت الملوكة سنة ١٩١١ فصحبني إعر الله به الإسلام إلى الأهواز
وكان خارجاً إلى لقاء البختيارية الذين اعتدوا طائفة على حدود إمارته لخصية فندد ماحل في الأهواز
واخذت قد عليه رجال القبائل للحرب أخذت أيضاً ترد عليه الهدايا من القبائل المجاورة من قح ولرز
وغنم ودجاج وسمن فكان لا يقبل شئ منها إلا " بسمه على أنه حفظه الله كان يدفع للذين يهادونه أصناف
أثمان هداياهم فكانوا يتابون عن قبولها وهم يقولون أن إرواحهم وإموالهم هي وقف خدمته
فيقول لهم لا والله قال سيدنا علي ما قبل الهدايا فغير نعمتها عند ما سألني عن مقب . شهدت هذا بنفسي
وعرف الرافقيون أكثر من عظمته الملوكة في جميع حروبه وهم يذكرونها لعظمته الأعاجيب
ولقد كنت أعجب من هذه الاخلاق الفاضلة والسجالات الكريمة التي خصها الله سبحانه بها هذا
الأمير العربي العظيم الذي تتبعه تاليم سيدنا علي عليه صلوات الله وتدب به به العنوي فبارك الله
فيه واكتب حسامه وأخاه وأخاه به المحبة وسريته

(١) روى سيد التميمي المعروف بقصصه قال كنا مع علي عليه صلوات الله في مسيره إلى
الشم حتى إذا كنا في السواد غطى الناس واحتجوا أني أساءة فنطق بإسدينا علي حتى أتى إلى

فَجَدَّ حَذِرَةً جَدًّا لِمَرْبُضِهَا حَتَّى غَدَا مَعَ مَنْ مَعَهُ مُلَانِيهَا
وَصَاحَ هُبُوا لَهَا يَاصْحَبُ وَأَقْتَلِعُوا هَامُوا شَرِبُوا مِنْ مِيَاهِ النَّبْعِ صَافِيهَا
فَبَادَرُوهَا بِأَيْدِيهِمْ كَمَا أَمَرَ السُّمُوكَى أَبُو حَسَنِ رَاهُوا مَرْبُضِهَا
فَفَجَّرَ اللَّهُ عَيْنًا تَحْتَ مَرْبُضِهَا وَأَسْرَعُوا وَتَسْقُوا مِنْ مَجَارِيهَا
وَأَكْفَأُوا قَوْعَهَا فِي الْحَالِ صَخْرَهَا وَوَصَلُوا السَّيْرَ يَطُورُونَ إِلَّا نَاقِيهَا
وَكَانَ بِالْقُرْبِ دَيْرٌ بِمَوْتِهِ وَهَشَّ وَاقِصَّةَ الْعَيْنِ لَا سَتِيحْلَاهُ خَافِيهَا
فَقَالَ صَاحِبُهُ: تَاللَّهِ مَا بَنَيْتُ عِمَارَةً إِلَّا كُنِيَ تُجَرِّبُهَا
وَلَيْسَ غَيْرُ نَبِيٍّ أَوْ وَصِيٍّ نَبِيٍّ مِنْ خَلَاتِي رَبِّ الْفَرَسِ يُجَرِّبُهَا
فَأَكْبَرُوا عِنْدَ هَذَا الْقَوْلِ مُعْجِزَةً كَانَ الْخَلِيفَةُ بِاسْمِ اللَّهِ آتِيهَا
ثُمَّ مَضَى الْمُرْتَقَى بِالصَّحْبِ يَسْلُكُ فِي طَرِيقِهِ أَمْنًا فِي سَبِيلِهِ السَّبِيحَا
حَتَّى إِذَا الرِّقَّةُ الْمَعْرُوفُ مَوْضِعُهَا عَلَى الْفَرَاتِ أَنْتَهَى أَقْوَى ضَوَائِجِهَا (١)
وَأَهْلُهَا لَمْ تَكُنْ طَوْعَ الْخِلَافَةِ كَمَا نَتَّ مَعَ مُعَاوِيَةَ تُبْدِي تَعَصُّبَهَا
فَكَانَ مَنْزِلُهُ عِنْدَ الْبَلِيخِ عَلَى الْفَرَاتِ يَقْرُبُ مِنْهَا لَا يُقَاصِهَا

صغرة ضرس في الأرض كأنها رابضة عترة فأمرنا فقتلناها فخرج لنا من تحتها ماء فشرب الناس
وزاد عن حاجتهم ثم أمرنا فأسكناهما عليه. وسار الناس حتى إذا مضوا قليلاً قال عليه صلوات الله أنتمكم
أحد من مكان هذا الماء الذي شربتم منه؟ قالوا نعم يا أمير المؤمنين. قال فأنطلقوا إليه فأنطلق منا
رجل ركباً ومشاة فالتصصنا الطريق إلى حيث انتهينا إلى المكان الذي حسبنا أنه فيه فطلبناه فلم
نجد للماء أثراً حتى إذا عجزنا أنطلقنا إلى دير قريب منا فسألناهم أين هذا الماء الذي شربنا منه. منذ
قليل؟ قالوا ليس قربنا ماء فقلنا بلى قد شربنا منه. قالوا أنتم شربتم منه؟ قلنا نعم. فقال صاحب
الدير ما نبي دبرنا هذا إلا بذلك الماء وما استخرجه إلا نبي أو وصي نبي فأكبروا ما سمعوا
وعلموا أن الماء خرج لتعظيم بكرامته عليه صلوات الله وعادوا لخدمته أمير المؤمنين عليه صلوات
الله بما كان لخدمته الذي خصه بكرامته وعيافته جداً كثيراً

(٢) إن الرقة بلد صغير على الفرات معروف لا يزال طامراً إلى يوم الناس هذا. وكان
أهله عند ما انتهى إليه أمير المؤمنين عليه صلوات الله شيعته لمعاوية وذلك أن سالكين معاوية
الأسدي كان قد هرب سيدنا علي في نحو متي رجل من بني أسد وترك الكوفة وجاء إلى الرقة ونزلها
ودخل في ضاعة معاوية ثم تبعه أناس من بني أسد فلبثوا السبعين. فلما وصل أمير المؤمنين إلى
الرقة امتنع هؤلاء به في سيدنا علي أن يحاربهم ونزل في القرب من الرقة في موضع يسمى البليخ
على الفرات أيضاً وجهه مسكراً

وَجَاءَهُ رَاهِبٌ ثُمَّ وَأَخْبَرَهُ
فَقَالَ أَصْحَابُ عَيْنِي سَطَرْتُ قَدَمًا
مَخْضُوطَةً قَدْ وَرِثْنَاهَا نَحْنُ عَنْ
وَعَنْ حُدُوثِ شُرُورٍ بَيْنَ أُمَّتِهِ
وَعَنْ مَرُورٍ قَبِيحٍ مِنْ صَحَابَتِهِ
وَإِنْ مِنْ أَدْرَكَ أَلْهَادِي وَذَانِ لَهُ
وَإِنْ نَصْرَةَ ذِيكَ أَتَيْتِي لَفَرَّ
وَقَالَ لِلْمُرْتَضَى : مَوْلَايَ إِنْ رَأَى
مَاعُذْتُ أَنْزَلْتُهَا حَتَّى أَصَابَ بِمَا
وَقَوْلُهُ أَرَاهِبِ الْتَاقِي وَصَحْبَتُهُ
وَقَالَ : أَحْمَدُ رَبِّي فَهُوَ ذَا كَرْنِي

(٣) بعد أن نزل سيدنا علي البليخ جاءه راهب من صومعة قريبة منها وقال له عندنا كتاب وروناه عن أبائنا كتبه أصحاب عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام أحب أن أعرضه عليك ؟ قل نعم . فقرأ الراهب الكتاب فإذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، الذي قضى فيما قضى ، ودار فيما كتب ، أنه باع في الاميين رسولا منهم ، يعلمهم الكتاب والحكمة ، ويغنم على سبيل الله ، لا فظ ولا غليظ ، ولا صاحب في الاسواق ، ولا يجزي بالبيئة البيعة ، بل يغفو ويصفح ، أُمته المحمديون الذين يحمدون الله على كل نثر ، وفي كل صورة وهبوط ، تدن ألتهم بالكبر والتهليل والتسيح ، وينصره الله على من ناواه ، فإذا توده الله ، اختلفت أُمته من بسده ، ثم اجتمعت فليت ما شاء الله ، ثم اختلفت ، فيسر رجل من أُمته بشاطئ هذا النهر ، يسر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، ويقضي بالحق ، ولا يركس الحكم ، الدنيا أهون عليه من الرماء ، في يوم عصفت به الريح ، والموت أهون عليه من شرب الماء على الضمان ، بحاف الله في السر ، وينصح له في العلانية ، لا يخاف في الله لومة لائم ، فن أدرك ذلك النبي ، من أهل هذه البلاد قامن به ، كان نوابه رضوانى والجنة ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح ، فينصره ، دن القتل معه شهادة » اه . وبعد ان تلا الراهب على سيدنا علي الكتاب قل له : وأنا مصاحبك فلا أؤرتك حتى يصيبني ما أصابك . فبكى عليه صلوات الله ثم قل : اخذ الله الذي لم أكن عنده مفسد ، اخذ الله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار . ثم لن الراهب طم مع سيدنا علي لا يفرقه وكان يتفدى معه ويمشي حتى أصيب يوم صفين . فلما خرج الناس يفتنون قتلاهم . قل سيدنا علي : ادلبوا الراهب فظنوه وذا هو قتيل . فبلى عليه أمير المؤمنين واستقر له مورا وقال : هذا من أهل البيت . لاجرم ان من أخلص لآل البيت الضاهر فهو منهم ويحرمهم

سير معاوية للنار حيث أمير المؤمنين

قَدْ كَانَ يَقْظَانِ يَسْتَنْبِي مُعَاوِيَةَ ۝ حَوَادِثُ الْمُتَرَفِّعِ يَغْنَى لِيَذْرِهَا (١)
وَكَانَ يَرْشُوا الَّذِي يَأْتِي إِلَيْهِ بِهَا ۝ مِنَ الْجَوَائِسِ عُرْبُهَا وَعُجْبُهَا
وَكَانَ يَرْجِعُ فِي كُلِّ أَلْمُورِ إِلَى ۝ عَمْرُو وَآرَاؤُهُ كَأَنَّهُ تُمَشِّبُهَا
وَعِنْدَ مَا شَاعَ فِي أَرْضِ الشَّامِ مَسِيرُ الْمُتَرَفِّعِ نَحْوَهَا لِفَتْحِ يَغْنِيهَا
نَادَى مُعَاوِيَةَ عَمْرُو: سَرَّاعٍ إِلَى ۝ لِقَائِهِ فِي طَرِيقِ رَاحِ يَمْشِيهَا
وَلَا تَدْعُهُ يُوَافِي أَشْأَمَ قَرْبُهَا ۝ بَلْ لَا تَدْعُهُ بِمَنْ مَعَهُ يُدَانِيهَا
وَسِرْ بِفَيْكِ فِي رَأْسِ الْجُنُودِ وَلَا ۝ تَدْعُ فَيَادَتَهَا كُنْ أَنْتَ رَاعِيهَا
وَلَا تَقِبْ عَنْهُ غَيْبًا بِالْمُكَايَدَةِ ۝ لِمَنْصُورٍ يَنْصُوكُمَا تَأَلَّهُ رَاصِيهَا
فَلِنْ حَيْدَرَةَ صَبَّ الْأَرَامِ وَلَا ۝ تَهُونُ حَرْبَ عَوَانٍ هَمَّ يُظْلِيهَا
وَخَافَتِ النَّاسُ مِنْ مُلْقَى أَبِي حَسَنِ ۝ لَمَّا دَرَّتْ أَنَّهُ بِالْجَيْشِ آتِيهَا
فَرَّاحَ يَنْطُوبُ عَمْرُو فِي الْمَجَالِسِ كِي ۝ يَجْلُو مَخَافَهَا عَنْهَا وَيَقْصِيهَا

(١) كان معاوية منذ جاءه عمرو بن الناس إلى دمشق وعاهده على مناداة سيدنا علي عليه صلوات الله شديداً الزكول إليه عظيم الثقة به لطمه أنه أدهى دهاة العرب وكان لا يرم أسماً دون مشورته ولا يجري عملاً إلا بإشارته ولم يمت معاوية خطر موقفه في عصيان سيدنا علي عليه صلوات الله ولذلك كان دائماً السهر على تلم أخباره والوقوف على ما يجريه في الكوفة وكان له قوة تجسسون مسكر أخلافه في الكوفة وأتوا به بصحيح الاختيار طمأ بهاته .

وعند ما عرف معاوية أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سائر إليه بخيله ورجله وقد خرج من الكوفة فلما سقط في يده وأسرع إلى عمرو بن الناس يستشيريه فقال له هذا : ما دام علي سائر إليك نفسه فبيك أن تسير إليه بنفسك لكي لا يعدم حيثك سداد رأيك ولا عدوك مكيدتك وعليك أن لا تدعه يصل إلى الشام فيحاربك فيها بل أسرع إليه واعتز به في طريقه وطره بعيداً عنها . ومن نصيحة عمرو هذه بطهر لما أن قُح مصر كان مقدراً سيدنا أمير المؤمنين حق قدره طوقاً أن الانتصار عليه ليس من الهدات الهينات وأن محاربه عليه صلوات الله تحتاج إلى مكايده واضلة روية . ثم أن عمرأ عى ما بطهر كان يدرك حق الإدراك أن انتصار أمير المؤمنين على معاوية من الأمور السكنة القرية أوقع ولذلك أشار على معاوية أن يترسه بطريقه وبحول دون وصوله إلى الشام مقدراً أنه إذا انتصر على معاوية يستطيع هذا أن يسود بقلوب جيشه إلى الشام وينضم لها خرب أخرى خلافاً لما جرت الحرب في الشام وتمت العبرة لسيدنا علي حينئذ يدخل الشام منصوراً كما دخل البصرة وبسده اخر معاوية نهائياً . وفي الأخير نطن أن اعتماد عمرو بن

قَالَ: إِنَّ عَلِيًّا بَاتَ أَضْعَفَ مِنْ أَنْ يَغْلِبَ الشَّامَ أَوْ يُلْقَى أَهْلُهَا
وَأَنَّ أَصْحَابَهُ خَارَتْ عَزَائِمُهَا وَعَادَ أَهْوَى شَيْءٍ أَنْ تُلَاشِيَهَا
وَشَتَّ اللَّذَهْرُ أَهَالَ الرِّاقِ فَأَمْسَتْ يَسْتَحِيلُ وَلَا يُرْجَى تَجْبِيهَا
وَأَصْبَحَتْ مَالِكًا مِنْ شَوْكَةٍ وَرَقْوَى وَقَلَّتِ الْغَيْرُ الْكَثْرَى مَوَاضِيهَا
وَعَزْوَةُ الْجَبَلِ الْكُبْرَى مُضِيعَةٌ رَجَالُهَا بَيْنَ كُوفِهَا وَبَصْرِهَا
وَأَنَّ حَيْدَرَهُ آتٍ بِشِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ إِنَّا لَأَشْكُ نُزْدِنَهَا
يَأْنَسُ ثَارَاتُ عُثْمَانَ لَطَلْبُهَا وَمَا أَتَى أَخُو الْأَيْمَانِ نَاسِيَهَا
اللَّهُ اللَّهُ فِي صَوْنِ الْحَقِّوْقِ فَلَا تُضَاعُ مِنَّا وَمَا كُنَّا مُضِيعِيهَا
وَفِي دِمَائِكُمْ مِنْ أَنْ تَهْلُلَ سُدَى أَوْ أَنْ تَأْمُوا عَلَى عُدْوَى مُطْلَبِيهَا
يَعْمَلُ ذَا كَانَ عَمْرُو يَسْتَشِيرُ نَفْوَ مِ سِ النَّاسِ يَدْفَعُهَا لِلْعَرَبِ يَغْرِبُهَا
حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَتْ تِلْكَ الْجُمُوعُ لَدَيْهِ سَاقَهَا لِلْوَعَى ظُلْمًا مُعَاوِيَهَا
وَكَانَ يَصْحَبُهَا عَمْرُو فَبَارَ بِهَا حِمَاةَ مَعَ حَلَبٍ مَعَا يُتَالِيهَا
حَتَّى آتَيْتُ وَأَنَاخْتُ فِي الْأَفْرَاتِ عَلَى ضَفَائِهِ وَتَدَاتِ مِنْ أَعَادِيهَا

الماضي في هذه الحرب قد كان بالأكثر على المكابدة لئله أن أمير المؤمنين بيده من الكيد
يتحاشى الختل والخديعة لما عرف عن صحة دينه وصدقه في عاده أما عمرو ومعاوية فكانا لا يتحاشيان
كل عمل يقضي إلى النصر . ولقد أصبى معاوية إلى صاحبه عمرو وأمر على السير مع جيشه يقوده بنفسه
أما أهل الشام فلم يذعن بينهم ناس سيدة علي طار بهم حتى تولاهم الفرق لما سمعوه من
صحابة المنصفي وأنصاره عن موافقة الطبيعة في الزوات النبوية حتى كان يحصل عن ألسنتهم قول
جبريل من السماء له « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » وكانوا يخرّبون بشجاعتهم الأعداء
وأزادهم فرقة من بطنه ماسمعه من الملاح بأصحابه من أفواه الذين نجوا بهم فمسموه وقصدوا الشام .
وقول هذا كانوا يرهقون أهل الرقاق لما اشتهر عنهم من البسالة في حروبهم . ولقد كبرت عزائمهم
وصاروا لا يحفون بخلافهم فهم هذا معاوية وعمرو بن العاص فأخذ عمرو على عاتقه تبديد ما تخطى
على نفوس أهل الشام من أخوف فطفق يخطب في مجالسهم فيقول إن علياً أمسى بغير حول ولا حول
وإن أصحابه تولاهم الحور وتفرقت كلمتهم وإن أهل الرقاق قد تفرق جمعهم ووهنت شوكتهم وقيل
حدثهم وأن أهل البصرة يخفون لئلي يمد أن تلت منهم الخلق الكثير وقدة نت صناديدهم وصناديد أهل
الكوفة يوم الجمل وأما سائر علي في شرذمة قليلة سهل لقاؤه قريب خذله والاتصال عليها . وكان يبيع
هذا الخديان في تضييف سيد علي والاشباهة بحملته باستنارة حبيتهم ونحويتهم بذكر مقتل عثمان
فيقول : وقد قتل خليفةكم والله الله في حقكم أن تضييروه وي دمكم أن تطلّوه . وهكذا نجح

موضع موقعة صفين وتاريخها

وَفِي الْفُرَاتِ لَتَحَى الْقَوْمَانِ وَأَصْطَلَمَا وَالْحَرْبُ يَنْهَمُ فَتَتْ أَفَاعِنَهَا (١)
فِي فُجوةٍ بِأَسْمِ صَفِينٍ لَقَدْ عُرِفَتْ بِالْقُرْبِ مِنْ رَقَّةٍ أَوْ مَا يُنَاحِيهَا
وَإِنْ هِيَ أَنْدَرَسَتْ مَا زَالَ ذَا كُرْهَا يُكْبِي أَلْدِمَاءَ الْكَبِي رَوَتْ أَرَا ضِيَهَا
وَأَمَّةُ الْمُصْطَفَى الشَّانُ فَرَقَهَا حَتَّى تَعَادَى عُرَاقِيهَا وَشَامِيهَا
وَكَانَ مَقْبَلَهَا لِلْحَرْبِ حَجَّةً رَمَسَتْ وَالْثَلَاثِينَ فِي تَارِيخِ هِجْرِيهَا

ابتراء موقعة صفين

وَأَمَرَ الْمُتَرَفِّعُ أَنْ لَا تُبَادَأَ أَعْدَاؤُهُ أَلْعَدَا قَبْلَ أَنْ تُبْدِيَ تَعَدِّيَهَا (٢)

هذا الدعاية عمرو بن العاص من جمع أهل الشام وتبديد الخوف من نفوسهم فنادوا واجتمعوا - وول معاوية فارسهم بجنار حماة طلب حتى بلغ الفرات فسكر على ضفافه بالقرب عن مسكر سيدنا علي عليه صلوات الله في موضع الرقة بقرب صفين

(١) وجرت الموقعة بين سيدنا علي ومعاوية في موضع يسمى صفين على الفرات وهذا الموضع قريب من بلدة «الرقة» أو من قرية «جرايس» وهي قرية من الرقة على أن هذا الموضع لم يعرف إلا بهذه الموقعة الحزنة ولم يكن معروفا قبلها ولا صار له شأن بعدها . وقد يكون اسم صفين مشتق من صفن الرجل أي صفّ قدميه فكأنهم يريدون الموضع الذي صفّت فيه أقدام الرجال أو ربما أخذوا هذا الاسم من صافن القوم لما أي انتصوه بالحس لأن بدء موقعة صفين كانت على الماء إذ منع رجال معاوية رجال علي من الاستقاء فغضبهم وغلبوهم حتى إذا ما تغلبوا على الماء أمر سيدنا علي أن يسمعوا رجال معاوية المغلوبين أن يستقوا كراماً منه وفضلاً . هذا إذا اعتبرنا أن اسم صفين وضحه المسلمون في أثناء تلك الموقعة أو بعدها إما إذا كان هذا الاسم قد اطلق على ذلك الموضع قبل الموقعة فقد يكون تسميته مشتقة من صافن على تقدير أن الناس كانوا يستقون منه بالمحاصرة أو قد يكون هذا الاسم معرفة عن السريانية أو الفارسية لأن قبل الاسلام كانت هاتيك الامارات في حكم السريان فالفرس والله أعلم

وقد اطلق القوم على هذه الموقعة اسم هذا الموضع فسميت بموقعة صفين كما عرفت موقعة سيدنا علي مع عائشة والريز وطلحة في البصرة باسم موقعة اجل نسبة الى اجل الذي كان يحمل هودج عائشة وقد تقاضى الناس من حوله

اما تاريخ موقعة صفين فقد كان ابتداءها في اواخر ذي الحجة سنة ٣٦ هـ وفي محرم سنة ٣٧ تهادن القوم لانه شهر حرام وحدثت الحرب فشتت ثائرة في شهر صفر سنة ٣٧ على ما سئرى (٢) عند ما أصبح جيشا سيدنا علي ومعاوية متجاوزين على ساحل الفرات اخذا يتحفظان للقتال . واول ما كان من أمرهما أن أبا الاحور السلمي وكان على مقدمة جيش معاوية اخذ يناوش مقدمة الجيش البلوي فكان ثم قتال غير ذي شأن وكان على مقدمة جيش سيدنا علي الاشترا النضي

وَكَانَ يَرْغَبُ فِي عَوْدِ السَّلَامِ إِلَى
وَكَانَ قَاتِمَةً أَلْيَنِيضَالِ مَنْ رَجَا
قَتَلَتْهَا وَفَارَتْ بِالْمَيَاوِ فَنَا
أَبْدَى بِذَلِكَ مِنْ قِيَاضِ رَحْمَتِهِ
وَرَامَ مِنْ فَوْقِ ذَاخِنِ الدِّمَا وَرَعَا
وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ لِلْأَعْدَاءِ تَنْشُدُهَا
قَلَمَ يُقَدِّسُ سَعْيَهَا سِلْمًا وَقَدْ رَجَعَتْ
قَلَمَ يَدُّ غَيْرِ تَحْكِيمِ السُّوْفِ فَعَا

أَهْلُ الْحَبِيقَةِ مَعَ مَا ضِي تَأَخُّبُهَا
لِ الشَّامِ عَنْ صَحْبِهِ أَلَا مَوَاهُ تُسْقِنُهَا
دَى الْمُرْتَضَى فَأَتْرَكُوا وَرَدَا لِظَارِمِهَا
عَلَى أَعَادِيهِ مَا يَكْفِي لِيَهْدِيهَا
بِدَعْوَةِ رَاحِ التَّوْفِيقِ دَاعِيَهَا
لِلْسَّلَامِ كَانَ بِذَا فَضْلًا مُوَافِيَهَا
إِلَى أَبِي حَسَنِ تَعْنِي مَسَاعِيَهَا
رَ اللَّهُ حَبْرَةً فِي شَهْرِ مَا ضِيهَا

على أن أبا الأعور بعد أن كرر مناوشاته ليجم عود الجيش اللوي عاد إلى مسكر معاوية العام
وفي عودته استولى على « قنصرين » وهو الموضع الذي كان يستقي منه الجيشان الماء فلما بلغ ذلك
الاشتد هجم على أبي الأعور بأربعة آلاف مقاتل واجلاء عن الماء فإكان من معاوية إلا أن هجم
بقضه وقضيضه على الاشتد قضييه وانسحب إلى مسكر سيدا على تاركا الماء لمعاوية ففتح هذا الورد
عن الجيش اللوي . أما سيدنا علي عليه صلوات الله فلما رجع إليه الاشتد فبش بتظب معاوية على
الماء أقدم بجيحه الجبلر وكان يربو على مئة ألف مقاتل إلى موضع صقين وهدمت طلائع هذا الجيش
المظيم من جيش معاوية وأخذت ترميه بباها فلحقها جيش معاوية بالليل واشتد القتال هوبا وإنهى
باتصار اللويين على أهل الشام فستولوا على الشربة وقلة لهم أنا فامل أعداءنا بما عاملونا به
فتمنهم الماء وعرضوا ذلك على سيدنا أمير المؤمنين فقال « خذوا من الماء حاجتكم » وارجعوا إلى
مسكركم وخلوا بين أهل الشام وبين الماء ، فإن الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبنيهم » فترى اللويون
حسب أمر خليفهم عليه صلوات الله الماء حرا فصار الراتيون والشاميون يستقون منه أحرارا ولا
يؤذي أحدهم صاحبه وكانت تلكمنة من أمير المؤمنين أبي معاوية وهرو بن العباس أن يتره بها
ويسرة لصنو المصطفى وأنيه قضه وعطفه . على أن المرتضى عليه صلوات الله مالبت بعد هذا أن
اعان بين اصحابه « لقد خيلنا الماء لاهل الشام ، لانا لا نقبل فعل الجاهلية » وسنعرض عنهم
كتاب الله ، وندعوهم إلى الهدى ، فن أجابوا والآن في حد السيف ماينى ، أن شاء الله »
كذلك كان يري سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله إلى الساعة الأخيرة إلى تلاي الشر بالقي هي
لحسن وباقمل كتب إلى معاوية الكتاب الثاني :

« من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية ومن قبله من قريش ، سلام عليكم ، وإنني
أحمد اليكم الله الذي لا اله إلا هو ، أما بعد ، فإن الله عبادا آمنوا بالنبيل ، وعرفوا التأويل ،
وقهوا في الدين ، ودين الله فضلهم في القرآن الحكيم ، وأنهم في ذات الزمان ، أعداء رسول .
تكذبون بالكتاب ، مجموع على محاربة المسلمين ، من تحم منهم حسنوه أو عذبتوه أو قتلوه ،
حتى أراد الله قتالي أعزاد دينه ، وأطهار أمره ، فطلب الرب في الدين أوفاجا ، وأسلف له
هذه الأمة ضوعا وكرها ، فكنت ممن دخل في هذا الدين ، أما رغبة ، وأما رهبة ، على حين

كَذَلِكَ سَلَّطْنَاهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ آلِ عَمَادٍ وَأَنْجَلَتْ الْقُرْآنَ تَنْصِيحَهَا
وَنَارَتْ لِحَرْبِ تَقِيّ الْمُؤْمِنِينَ عَوَا دِيهَا قَوْلٌ لِمَنْ كَانُوا مُشِيرِينَ
فِي شَهْرِ حِجَّةٍ قَدْ كَانَتْ مَوَاقِعُهَا السُّعُورَا سِجَالًا فَشَتَّتْ دَوَاهِيهَا
فَلَمْ تَكُنْ نَصْرَةً تُنْهِي الْفَجِيعَةَ أَوْ رَأْيٌ سَدِيدٌ لِأَهْلِ الْخَيْرِ يُنْهِيهَا

هجرة محرم سنة ٣٧ هجرية

وَلَا يَجُوزُ لَدَى الْأَرْبَابِ لِقَاءُ الْأَشْهُرِ الْحَرَامِ فَتَأْتِي خَوْضُهُ فِيهَا (١)

فاز أهل السبق بسبقهم ، وفاز المهاجرون الأولون بفضلهم ، ولا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقهم
في الدين ، ولا فضائلهم في الاسلام ، أن ينازعهم الامر الذي هم أهله وأولى به ، فيحارب ويظلم ،
ولا ينبغي لمن كان له عقل ، أن يجادل قدره ، ويصدو طوره ، ويشقي نفسه بالتماس ما ليس بأهله ،
فإن أولى الناس بأمر هذه الامة قديماً وحديثاً ، أقربها من الرسول ، وأعلمها بالكتاب ، وأقربها
في الدين ، وأهمها اسلاماً ، وفضلهم جهاداً ، واشدهم بما تحمله الائمة من أمر الامة اضطلاعاً ،
فأتوا الله الذي اليه ترجعون ، ولا تلبسوا الحق بالباطل ، وتكتسبوا الحق وانتم تعلمون ، واعلموا
أن خيار عباد الله ، هم الذين يسلمون بما يعلمون ، وإن شراؤهم الجبال الذين ينازعون بالجهل
أهل العلم ، فإن للعلم يلمه فضلاً ، أن الجاهل لا يزداد بمنازعة العالم إلا جهلاً ، والآياتي ادعوكم
إلى كتاب الله ، وسنة نبيه ، وحقق دماء هذه الامة ، فإن قلتم أصبتم وشدكم ، وهاهنا خطكم ،
وإن أيتنا الله الفارقة ، وشق عصا هذه الامة ، لم تزدادوا من الله إلا بدءاً ، ولا يزداد الرب
الا سطواً ، والسلام . آمه

سار رسول أمير المؤمنين سيده علي بن أبي طالب بهذا الكتاب وفيه ما فيه من الراحة
إتي يوحيا الاسلام وتقي بها الحكة ويدعو اليهاحب السلام حتى اذا مادفهال معاويةبن أبي سفيان
تلاء هذهالفتي وثلاث واستدعى عمرأبن الماصواملته عليه فا اتوت صائحهومواعطه على عواطفهحاولا تانها
عن مزههما واقرا على مجلوته بيت واحد من الشعر وهو

ليس يني ويب قيسر عتاف غير ضمن السكلي وضرب الرقاب

فلما عاد رسول أمير المؤمنين إليه بهذا الجواب الخاف الشكر الي تصمم اعدائه على حربه
استأذ بالله واسترجع وتأملاً ما سيعيب المسلمين وتوهم وتلا آية « لا تمهد من اجبت ، ولكن
الله يهدي من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين » وأمر الناس أن يتجاوزوا المسير إلى القتال فاطاعوا فمر
بهم على الفرات وسبقته مقدمته إلى لقاء مقدمة أهل الشام واجتدا القتال بين المؤمنين وكان أهل
الشام اليابدين لأن سيدنا علي أمر مقدمته أن لا تبادي القوم القتال وكان قتالهم تزامياً بالسهم
فقطعت بالرمح قضايباً بالسيوف ويتخلل ذلك مبررات بين الأبطال وقضوا في ذلك ما بقي من
شهر ذي الحجة سنة ٣٦ وكان القتال بينهما سجلاً لم يسفر عن فصل لأحد الفريقين

(١) كان بدء القتال في صيف في اواخر ذي الحجة وهو كما قلنا من الأشهر الحرم المحرم فيها
القتال ولكن معاوية وأصحابه عيشوا . تنحروا فاندأوا فيه الحرب وما كان لأصحاب سيدنا علي

كَانَتْ تُحَرِّمُهُ كَيْمَا تَحِيَّ إِلَى أُمِّ الْقُرَى وَفُرُوضُ الْحَجِّ تَقْضِيهَا
كَذَا الشَّرِيفَةُ قَدْ نَصَّتْ بِحُرْمَتِهِ بِمَنْزِلِ آيَةٍ فِي أَجْلِ نَوَاهِيهَا
لَكِنْ مُعَاوِيَةُ مَا كَانَ يَعْصِي بِالنَّصِّ بَلْ كَانَ بِالتَّأْوِيلِ يُلَوِّهِيهَا
بِأَذَى يَذِي الْحِجَّةَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ رَجَا لِمُتَرَفِّعِ الْحَرْبِ فِي صِفَتَيْنِ تَجْزِيهِمَا
فَقَالَ لَهُ دِفَاعًا وَهِيَ مُكْرَهَةٌ عَنْ نَفْسِهَا وَبِهَا لَاقَتْ مُبَادِيَهَا

عليه صلوات الله إلا الدفء عن أنفسهم وتلقوا ضرباتهم ولما والشر والبادي أظلم على أن الحرب كانت سجالاتاً فلما انسلف ذوالحجة ودخل محرم نادى سيدنا علي بتوقيف القتال على أمل تهو المشكلة بالصلح ببدان ظهرت قواته الكبرى أمام معاوية بأعظم مظاهرها واولى له رسله في ذلك فكان جوابه واحداً « وهو أن يسلم له قتلة عثمان ليقبلهم به ويترك الاسم شورى » وهكذا انتهى شهر محرم بطوله والرسل تندو وتروح بين معاوية وأمير المؤمنين على غير جدوى لأن معاوية كان مصرّاً على رفض الطاعة لأمير المؤمنين ويطعم اذا تخلى عن الخلافة أن ينال بعدها مائة المسلمين وعرف الناس بعد ذلك أن لا بد من استئناف القتال ليحكم السيف في هذا الخصام

« الأشهر الحرم »

ذكرنا في حاشية سبقت عنابة العرب بالحج إلى البيت الحرام منذ الجاهلية واذ كانت معيشة العرب وتشتت على النزو والحرب وكان بعضهم أعداء لبعض راوا بضرورة أخال ضرورة تحريم القتال في زمن الحج حتى لا تعطل الناس عنه وهو فرض ديني عند جميعهم عزموا الشهر الذي يكون فيه الحج وهو ذو الحجة والشهر الذي يسر فيه الناس إلى الحج وهو ذو القعدة والشهر الذي يودون فيه إلى منازلهم وبلادهم وهو محرم ليكون احتجاج آمين في هذه الأشهر الثلاثة على تقربهم عند قضاء القرىضة وعلى منازلهم وبلادهم اذا تركوها للحج وهذه الأشهر ثلاث الحرم من أسمائها ما يدل على هذا التحريم فشاروا بذى القعدة إلى قعود الناس عن الحرب وبذى الحجة إلى أنه الشهر الذي تقام فيه فريضة الحج ويعمر إلى أنه الشهر الذي يحتره فيه الناس بعضهم بعضاً فيحرمون فيه القتال . وكان العرب أيضاً يحرمون شهر رجب فيسمونه الأعم أي الذي لا يسمع فيه صوت قرعة سلاح أو أنثى جريح أو حشجة تليل . والسبب في تحريم هذا الشهر هو لأنهم كانوا يرصدونه لاتباع حوائجهم والقيام بشؤونهم الخاصة قبل مسيرهم إلى الحج

والناس في اختلاف في تعيين هذا الشهر فكانت مفرقة تفرقه قس الشهر الذي يتقدم شعبان وأما ربيعة فكانت تعتبر رمضان رجاءاً وتحريمه فيه القتال ذلك يقولون رجب مضر ورجب ربيعة لتبيين وقت كل منهما . ويطلق العرب كلمة انفرد على رجب إشارة لكونه عن الأشهر الحرم الأخرى . وربما كانوا يستعملون رجب لقضاء العمرة ويسمونها الحج الأصغر أو الحج الرجبي

وسمى تحريم هذه الأشهر عند العرب أنهم كانوا يحترمونها ويهتدون بالسلامة فيها ويتركون النزو الذي كانت عليه مايتهم . وكانت هذه الشهور هدية طاعة عند العرب جبه حتى لا يحوّل القتال دون قضاء فريضة الحج . وكانوا يستحقون لحروب الأريمة التي ثارت فيها فسموها بالهجاز (بكسر الفاء) إشارة إلى أن الذين حاربوا فيها قد فارقوا وفسقوا وداسوا وأميس القوم وقد قل في ذلك شاعرهم خدش من زهير العامري

وَالْأَنْثَىٰ فِيمَا يُحِلُّ الْمُحْرَمَاتِ بَلَا شَكٍّ عَلَىٰ هَامٍ مِّن رَّاحُوا مُجْلِبِيهَا
وَفِي الْمُحْرَمِ نُودِي بِالْمَوَادَّةِ أَلَسَّحَنَّا فَكَانَتْ كَمَا نَادَىٰ مُنَادِيهَا
وَعَادَتِ النَّاسُ وَالْتَحَرِيمُ مُسْكِيهَا عَنِ الْقِتَالِ إِلَىٰ ضَافِي مَا وَبِهَا
وَبَادَرَ الْمُتَرْضَىٰ حِلْمًا مَّوَايَةً بِدَعْوَةِ السَّلَامِ وَافَاهُ يُثْنِيهَا
أَوْفَىٰ بِهَا رُسُلُهُ حُبًّا بِحَقِّ دِمَا «السُّلَيْنِ» فَمَا أَلْفَتْهُ مُصْنِيهَا

فلا تودعني بالقجار فاته أهل يطعاه المحبون الخازنا

وقد اقر الاسلام الحريم في الاشهر الحرم على اثر ماحدث في سرية عبد الله بن جحش الى نخلة وقد اشرنا اليها في حاشية سبقت فان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بث عبد الله هذا الى نخلة واعطاه كتاباً وأمره ان لا يقتحمه الا بعد مسيرة يومين فلما فتحه وجد فيه « امير حتى تزل بنخلة فألقنا من اخبار قريش بما اتصل اليك منهم » فسار باصحابه وكانوا ثمانية حتى نزلوا « نخلة » فرأى بهم عمرو بن الحضرمي بنقر من قريش ومعهم تجارة وكان ذلك في آخر يوم من شهر رجب الاسم قتلوا ابن الحضرمي ولسروا رجلاً من قومه وساقوا العير الى المدينة فأنكر رسول الله على عبد الله فعلته وقال « والله ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام » ولما بلغ قريشاً فسله عبد الله في الشهر الحرام استجبوها ه ايضاً واقبل قوم منهم على المصطفي محبتين قائلين « أيجل القتال في الشهر الحرام ؟ ؟ » فنزلت حيث في آية « يسألوكم عن الشهر الحرام قتال فيه ؟ قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله » ثم نزل بعد ذلك قوله تعالى « فاذا انسلخ الاشهر الحرم وقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » وهكذا ابداه تحريم القتال في الاشهر الحرم فلا يحارب فيها المسلمون الا مدافعين لقوله تعالى : الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم « تحريم النساء »

وكانت العرب تسمي الشهور أي تؤخرها فتحل القتال في شهر حرام وتحرمه في شهر ناز وقد اختلف الباحثون في فهم هذا التأخير الذي زلت فيه آية التحريم فقال بعضهم ان العرب كانوا يؤخرون سنهم كل اربع سنوات شهراً ليؤفقا بين الدورة القمرية والدورة الشمسية رغبة منهم في جعل موسم الحج في زمن ثابت . وقال آخرون بل هو تلاعب منهم يريدون بأن يحلوا الحرم حتى لا تحرم عليهم ثلاثة أشهر متتالية وهم متمنون عن القتال الذي كان عليه مدار تبييتهم . وكان يتولى منهم النساء قوم من بني كنانة يطلق عليهم اسم « النساءين » أو « القلاص » فكان يقوم احد هؤلاء اذا صدر احتجاج من منى فيقول : « انا الذي لا أعاب ولا أخاب ولا يرد في قضاء » فيقول الناس : صدقت أنشأنا شهراً فيحل لهم الفرم ويحرم عليهم صفر من السنة التالية وكان هؤلاء يقتضون هذا الحق وقال فيه شاعرهم عير بن قيس جد الطعان أحد بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة يقتضى بالنسبة على العرب

لقد علت مدد ان قومي
ففي الناس وتونا بوتر
أنا الناس على مدد
كرام الناس ان لهم كراما
واي الناس لم نملك لجاما
شهور اخل محفلها حراما

مَرَّ الْمُحَرَّمُ فِي تِلْكَ الْمَسَافَةِ الْمَسْحُودِ رَاغِبًا الْمَذْمُومَ آيِبًا
وَالنَّاسَ قَدْ سَمِعَتْ طَوْلَ الْجِدَالِ بَلَا جَذْوَى وَعَادَتْ إِلَى مَا ضَيَّ تَجَالِيهَا
وَهَكَذَا ضَاعَتِ الْأَمَالُ ثَانِيَةً بِالصَّلَاحِ وَالسَّلَامِ مَا أَشَقَى مُضِيغِيهَا

عودة الحرب في صفر

وَحَرْبُ صِفِّينَ فِي أَهْلِهَا اسْتَعْرَتْ وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْأَعْنَاتُ يُوزِنُهَا (١)
كَانَتْ بَدْءًا لَهَا مِنْذُ ابْتَدَأَ صَفَرُ بَيْنَ الْقَبِيلَيْنِ فِي تَالِي تَلْظِيهَا

والذي نراه ان النبي لم يكن عملية حياية يريدون بها جل الحج في زمنه ثابت كما ذهب بعضهم ولو كانت كذلك لوجب ان يزداد شهر في كل سنة رابعة يستغرق تقريباً المرق بين الدورتين الشمسية والقمرية كما يفعل اليهود في شهورهم فهم يماشون القمر ويمحسون دورته شهراً ولكنهم في كل سنة رابعة يريدون على شهورها شهراً فتكون ثلاثة عشر شهراً ويسمونه آدواراً ثانياً فيكون فيها آدواران لا آدار واحد فلو صحَّ زعم هؤلاء لكان من الواجب ان يكون للحرب شهر مزاد في كل سنة رابعة يسمونه محرماً ثانياً لا أن يؤخروا تحريم محرّم الى صفر كما كانوا يفعلون . وما يؤيد رأينا هذا آية تحريم النبي وهي « اتقوا النبي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطأوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله » ومن هذه الآية الكريمة يظهر سبب النبي بكل صراحة وهو تحليل ما حرمه الله من القتال في الشهر الحرام فقال سبحانه وتعالى انه زادني الكفر وحاشا لله سبحانه وتعالى ان يجعل من الكفر رغبة قوم ارادوا جل الحج في زمنه ثابت لو ارادوه والله سبحانه أعلم

(١) لما قُتِلَ المَسَاحِي السَّلْمِيَّةُ الَّتِي بَدَّلَهَا سَيِّدُنَا عِزِّ امْرِئٍ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَكَانَتْ عَنْ مُحَمَّدٍ حَلِمٍ وَدَفِيعٍ قَوِيٍّ فِي فُرْصَةِ مُوَادَعَةِ الْمُحَرَّمِ لَمْ يَبْقَ فَرَارٌ مِنْ اسْتِثْنَاءِ الْقِتَالِ فَصَرَفَ لَيْلَةَ أَوَّلِ صَفَرٍ كُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ يَحْتَفِزُ لِلْقِتَالِ وَيَسْتَعِدُّ لَهُ جِهَهُ

أما سيدنا أمير المؤمنين فقد أصبح ودعا بالصلاة الجامعة فجمع الناس فبصلي بهم وبعد ان انتهت الصلاة ناداهم قائلاً : « أيها الناس ، لا تقاتلوا الاعداء حتى يقتلوك ، فأنتم بمحمد الله على حجة ، وترككم قتالهم حجة أخرى ، فإذا هزمتموهم ، فلا تقتلوا مديراً ، ولا تؤذيوا نبيهم ، ولا تخرجوا على جريح ، ولا تكسفوا عودة ، ولا تقتلوا بقتيل ، وإذا وصلتم الى رجال القوم ، فلا تهتكوا سراً ، ولا تدخلوا داراً ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم ، ولا تهبجوا امرأة ، وان شئتم نأوهم اعراضكم ، وسين اسراءكم وصلحاتكم ، فتهبج ضائف القوي والانس ، عباد الله ، اتقوا الله ، وغضوا الابصار ، وانخفضوا الاصوات ، وأطوا الكلام ، ووضئوا أنفسكم على المنازلة والمناضلة والمناقطة والمكادمة والملازمة ، فثبتوا ، واذكروا الله كثيراً ، فليحكم قتلحون ، ولا تنازعوا فقتلوا وتذهب بحكمكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين » ثم رفع أمير المؤمنين يده الى السماء ودعا قائلاً : « اللهم المهيم الصبر ، وأزل عليهم النصر وأعظم لهم الأجر » ثم انه عليه صلوات الله جل الاشرع على خيل الكوفة . وسبل بن حنيفة على جند البصرة . وعمار بن ياسر على رجال الكوفة . وقيس بن سعد

وَلَمْ تَكُنْ حَرِيماً إِلَّا مُنَاوِشَةً مَا بَيْنَ بَعْضِ الْأَعَادِي دُونَ بَاقِيهَا
 ثُمَّ مُبَارَزَةً بَيْنَ الْمُقَاتِلَةِ إِلَّا مَا بَطَّلَ مَا أَنْتَجَتْ نَصراً مُقَارِبَهَا
 وَفِي مَسَابِعِ الْأَيَّامِ وَأَفْأَمِ السَّرِّ الْمُؤْمِنِينَ رَعَايَاهُ يُحَسِّنُهَا
 وَقَالَ: أَخَذْتُ رَبَّ النَّاسِ وَهَوَّيَهَا أَذْرَى وَرَغْبَتُهُ الْعُلْيَا لِيُضْفِيَهَا
 فَلَيْسَ يُبْرَمُ مَا قَدْ كَانَ نَاقِضُهُ مِنَ الشُّؤْنِ الَّتِي الدُّنْيَا تُتَلَقِّيَهَا
 وَلَيْسَ يُقْضَى مَا قَدْ كَانَ مُبْرَمُهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ شَاءَ يُجْزِيَهَا
 لَوْ شَاءَ مَا أَتَانَا فِي دُنْيَاهُمَا اخْتِلَافًا وَلَا شَكَّ أُمَّةٌ مُؤْذِي تَجْزِيَهَا
 وَلَا تَحْدَى أَخَا فَضْلٍ وَمَكْرَمَةٍ مَفْضُولُهُ جَاوِدُ آلَاءِهِ نَاسِبُهَا

على رجالة البصرة . وسلم رواية الحرب الى هاشم بن عتبة المرقل . وجعل على قرأه الكوفة والبحرة
 مسر بن قنك .

وأما معاوية بن أبي سفيان فأصبح يجمع أصحابه وانصاره ففصل بهم ثم انه جعل على ميمنة
 ابن ذبي الكلاع الحميري . وعلى يسارته حبيب بن مسلمة القهري . وعلى مقدمته أبا الاعور السلمي
 وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص . وعلى رجالة دمشق مسلم بن عقبة المري . وعلى الناس كلام
 الضحاک بن قيس

وإذا كان رجل سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله قد أمروا أن لا يبادئوا أعداءهم القتال
 ظنوا في مسكرهم متحزين لقتل أعدائهم لو هم هاجوهم على أن أهل الشام ما تأخروا عن الابتداء
 بالقتال فبايع رجال منهم على الموت وعللوا أنفسهم بمأثمهم فكانوا خمسة صفوف وهاجوا مسكر
 أمير المؤمنين في صبيحة أول صفر الحار وكانوا بقيادة حبيب بن مسلمة فخرجت للقائهم طائفة من
 رجال الخلافة من أهل الكوفة بقيادة الاشترا وانكبوا بالقتال يومهم بطوله وكان القتال شديداً
 ثم تراجعوا وقد اتصف بعضهم من بعض

وفي صباح يوم ٢ صفر خرج لقتال أبو الاعور السلمي بطائفة من أهل الشام فخرج
 للقائهم هاشم بن عتبة بطائفة من جنود الخلافة وقتلوا معظم يومهم ثم تفرقوا وكانت الحرب سجالاً
 لم يبق فيها نصر لأحد القريتين

وفي صباح يوم ٣ صفر الحار خرج عمار بن ياسر بطائفة من جنود الخلافة فخرج للقائه عمرو بن
 العاص بطائفة من أهل الشام فلما رأى عمار عمراً خرجاً لقتاله نادى بين ممة قتلاً يا أهل العراق
 أتريدون أن تطردوا الى من عدى الله ورسوله وحادهما ، ونفى على المسلمين ، وظاهر المشركين ،
 فلما رأى الله يزيه دينه ، ويظهر رسوله ، نفي الذي عليه ، وعلى آله الصلاة والسلام ، وهو فيها يرى
 راهب غرأب ، ثم بعض النبي ، فزال واقفه سده مروءة يداوة نسله ، واتباع الحر ، فدونكموه فأتبوا
 له وقوة الله ، ثم مات عمر يزيد بن النضر وهو على الخيل وقال له : أهل على أهل الشام . فحمل
 يزيد وقائه الناس وصبروا له . فحمل عمار فزال عمراً بن العاص عن موضعه . ثم ان زاداً بلوز
 عمراً بن معاوية من بني المنفق وكان أخاه من أمه فضا التقياً تمارقاً فصرف كل منهما عن صاحبه

وَهُوَ ذَا غَيْرِ الْأَقْدَارِ تَدْفَعُنَا مَعَ أَلَدَيِ لِمَآوٍ لَا نَحَاشِيهَا
وَنَحْنُ مِنْ رَبِّنَا الْوَافِي الْجَلَالِ بِمَسْمَعٍ وَرَأَى أَمَانِيهِ نُجَارِيهَا
فَلَوْ يَسَا الثَّقَمَةُ الْكُبْرَى لَمَجَلَهَا وَكَانَ عَنْ رَحْمَةٍ بِالْأَنْسِ مُرَجِيهَا
وَكَانَ مِنْ فَضْلِهِ التَّقْيِيرُ يُخَذُّهُ فِي الْمُضْطَلَّاتِ الَّتِي تَدْجُو دِيَارِجِيهَا
حَتَّى يَرَى الظَّالِمَ الْكَذَّابَ كَذِبَتُهُ لَاحَتْ لَدَى الْأَنْسِ مَهْمَا شَاءَ بِكُفْرِيهَا
وَإِنَّمَا الْحَقُّ حَقٌّ لَا يَضِغُ وَكَوْ فِي أُمَّةٍ أَصْبَحَتْ تَهْوَى التَّرَارِيهَا
وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا دِيَارَةَ أَغْشَالٍ يَهْوُزُ الْأَلَى قَدْ أَحْسَنُوا فِيهَا
نَعَمْ وَقَدْ جَعَلَ الْأُخْرَى دِيَارَ قَرَارٍ نَحْنُ نَقْبُطُ فِيهَا مُسْتَشِيرِيهَا
إِنَّ الثَّفُوسَ الَّتِي قَدْ أَحْسَنَتْ فَلَهَا أَلْحَسَنَى جَزَاءً وَفَاقَ مِنْ مُجَازِيهَا
وَإِنْ أَسَاءَتْ لَهَا السُّوءَى جَزَاءً مَسَا وَبِهَا أَلَّتْ خَالِقُ الْأَلَى كَوَانُ مُخْصِيهَا
أَلَا وَإِنَّكُمْ لَأَقْوَى عِدَانِكُمْ غَدَاً وَخَيْرُكُمْ تَقْوَى مُعَادِيهَا

وتراجع الناس ولم يكن ثمة فصل في الحرب

وفي صباح يوم ٤ صفر الحشر خرج محمد بن سيدنا عبي (ان الحشية) بطائفة من رجال الخلافة فخرج لقاتله عبيد الله بن عمر بطائفة من أهل الشام (وكان هذا من رجال معاوية وسبب انضوائه الى معاوية هو انه كان ناقداً على سيدنا علي عليه صلوات الله لانه عندما قتل الذين اتهموا بمقتل أبيه عمر بن الخطاب طلب سيدنا علي من عثمان أن يجري عليه الحد عني ما تقدمت الإشارة الى ذلك في حاشية سابقة) واشتبك الفريقان وكما عظيمي بطل هائل خيف كثير فيه القتلى والجرحى على غير جدوى فطلب عبيد الله محمداً الى المبارزة فسرع اليه فلما رأى سيدنا علي عليه صلوات الله تقدم ابنه محمد للمبارزة عبيد الله بن عمر أسرع على جواده فرد ابنه وتقدم للمبارزة عوضاً عنه تخاف عبيد الله من بطش سيدنا أمير المؤمنين وفر من وجهه وهكذا انتهى القتال في ذلك اليوم

وفي صباح يوم ٥ صفر الحشر خرج عبيد الله بن عباس بطائفة من جنود الخلافة فخرج اليه بعض أهل الشام بزعمه الوليد بن عقبة واستمر القتال وعمّ الويل وفي أثناء الحرب تقدم الوليد من عبيد الله بن عباس وسببه وسب منه بني عبد المطلب فغضب عبيد الله غضباً هاشمياً وطلبه للبراز فبين الوليد عن لقاته شئ الجبان الذي يطلق لسانه بالسب ويضرب بجسمه عن القرب وانصرف من امامه فزداد غضبه وهاجم جمع الشام واعمل بهم سيفه وهو غضب لبني أبيه فأبى فيهم بلاء عظيم وفي صباح يوم ٦ صفر الحشر هجم من جيش أمير المؤمنين قيس بن سعد الانصاري بطائفة من المقاتلة فلقه ابن ذي السلاع الحنظلي بطائفة من أصحاب معاوية فكان القتال بينهما شديداً سجالاً ثم اقرت وقد تسلى التبار من غير فصل

وفي صباح يوم ٧ صفر الحشر جرى القتال بين صلاح القومين وعي أصحاب الخلافة الاشتهر

تَهْجِدُوا وَاسْجُدُوا لِلَّهِ لَيْلَتَكُمْ وَأَلَايُ قَاتِلُوا قُوَيْنَكُمْ مَتَانِيهَا
وَالْتَصُرْ فَاطْلُبُوهُ مِنَ إِلَهِكُمْ أَخْلُقْ بِهِ طَلِبَةً آتَاتِينَ يُولِيهَا
وَأَقْوُوا أَلَيْدِي بَغُوسَ يَلُوكَهَا قَتَّةً بِاللَّهِ كَيْ تَنْفُذُوا عَنْ تَزِينِهَا
بِذَا أَبُو حَسَنِ أَنْبَا الصَّحَابِ بِهِجَسَةً بِهَا حَرْبُ أَهْلِ الشَّامِ يُنْفِيهَا
وَلَمْ تَكُنْ تَبْلُغُ الْأَصْحَابَ دَعْوَتُهُ حَتَّى اسْتَجَابَتْ وَقَرَّتْ أَنْ تَلْبِسَهَا
وَكَبُرَتْ بِحِمَاسٍ وَهِيَ صَائِحَةٌ هَوْلُ نَصْرَةِ رَبِّ الْعَرْشِ يُغْفِيهَا
وَفِي الصَّبَاحِ لَقَدْ شَدَّتْ بِغَيْرِ وَتَى عَلَى أَلَيْدِي وَعَلَى الْقَرْمِ هَادِيهَا
فَقَاتِلْنَهَا جَيْوشَ الشَّامِ وَأَسْتَعِرَتْ حَرْبٌ مَلَتْ أَفْقَ صِفْنِ سَوَافِيهَا
دَامَتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَشُدُّهَا الْقُصُوصَى وَأَنْهَرُهَا تَثْلُوَ لِيَا لِيهَا
وَالنَّاسُ يُهْرَقُ مَضُومٌ الدِّمَاءُ فَجَجَرِي لِلْفَرَاتِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَسْقِيهَا
وَعَشَّتْ أَلَا رَضُ قَتْلَى الْمُسْلِمِينَ وَجَرَّ حَاهُمْ وَلَا مَنْ يُدَاوِي أَوْ يُوَارِيهَا

وعلى اصحاب معاوية حبيب بن مسلمة ودام القتال بينهما الى الطهر ثم افرق الفريقان من غير جدوى متعبة . حيثئذ رأى سيدا على عليه صلوات الله ان هذه المطالوة في حرب الطالاح لانهم حرباً ولا تفصل في لشكة قتال ابن حوله « حتى متى لاننا هاض هؤلاء القوم باجمنا ؟؟ » واخذ يفكر بهجوم عام ويهدد له عدته بفكره الذير .

ويعد ان صبي امير المؤمنين بالناس صلاة المشاء في ليلة الاربعاء (٨ صفر الحبر) ثم فيهم خطيباً فقال : « الحمد لله الذي لا يرم ما يقضى ، وما أبرم لم ينقضه الناقضون ، ولو شاء ما اختلف اثنين من خلقه ، ولا اختلفت الامة في شيء ، ولا يجد المفضول ذا الفضل فضله ، وقد ساقنا وهؤلاء القوم الانذار ، فتعين بمرأى من ربنا وسمع ، فلو شاء عجل النعمة ، وكان من التنبيه ، حتى يكذب الظالم ، ويملك الحق أين مصيره ، ولكنه حل الدنيا دار الاعمال ، وحل الآخرة دار القرار ، ايجزي الذين اسأثوا بما عملوا ، ويجزي الذين أحسنوا بالحق ، ألا وانكم لاقوا القوم غداً ، هيلوا لثيلة القبياء ، واكنوا تلاوة القرآن ، واسأثوا الله الصبر ، وألقوا أعداءكم بالجد والجزء ، وكونوا صادقين » ثم فكبر القوم ملين وأسرعوا الى تعهد سلاحهم فرأهم كتب بن جيل وشهد استعدادهم للحرب فقال

أصبحت الامة في أسوأ عجب وانك مجموع عداء لمن غلب
فقلت قولاً صادقة غير كذب ان غداً تهلك أعلام الرب

وقضى امير المؤمنين ليلته وهو يصلي آونةً وتعهد اصالح الرجال اخرى حتى اذا ما لاح الفجر صبي بالناس وخرج بهم الى القتال بهجوة صده . وما هت معاوية وعمر بن الماس استعداد سيدنا امير المؤمنين عليه صلوات الله بهجوم الغم فملا في تلك ائيلة قتلوا واخذوا يتهدن اصحابها ويستحاثهم

وَكَانَ حَيْدَرُهُ فِي صَحْبِهِ أَسَدًا
وَكَانَ يَلْقَى أَعَادِيهِ بِصَارِمِهِ
وَدَوَّ الْقَتَارَ وَلَا سَيْفَ يُمَادِلُهُ
وَلَا فَتَى كَهْلِيٍّ وَأَلْمَلِيٍّ فَتَى الْإِلَهِ
وَمَنْ يُنَاوِي قَرِيشًا وَهِيَ مُشْرِكَةٌ
وَمَا عَجِيبٌ إِذَا أُمْسَتْ يَبْطِشَتِهِ
أَجَلٌ فَإِنَّ عَلِيًّا فَازَ وَأَنْتَصَرَتْ
وَلَمْ يَعُدْ مِنْ سَبِيلٍ لِلنَّجَاةِ لَدَى الْإِلَهِ
إِلَّا مُكَائِدَةً يَسْعَى مُعَاوِيَةُ

تَنَارُهُ أَسَدٌ تُمَلِّي عَيْنَ رَائِيهَا
فَيَنْتَرُ أَهْلَامَ صَيَالًا وَيَذَرِيهَا
إِنْ جَازَ مِنْ كَيْفِهِ أَلْمَلِيَا هَوَاوِيهَا
سَلَامٌ مَا تَطْلُبُ أَلْمَلِيَا مُكَافِيهَا
فَعِنْدَ فَتْنَتِهَا أَيْضًا يُنَاوِيهَا
مَقْهُورَةٌ مَا سَوَى التَّسْلِيمِ يُنْجِيهَا
جُبُوشُهُ وَإِلَهُ الْعَرْشِ حَامِيهَا
عَدَاءُ إِنْ طَلَبْتَ خَوْفًا مَنَاجِيهَا
يَا وَمَا غَيْرُ ابْنِ الْعَاصِ يُنْشِيهَا

على القتال . وبعد الفجر أمر معاوية حيوشه أن يصطفوا للقتال . ثم اشتبك القومان بقتال مخيف سالت فيه السماء اتهازا وأغطت جثث القتلى الأرض وافتراقا عند الماء وكل غير ذلك . وفي صباح الخميس ٩ صفر أخير صلى على عليه صلوات الله بالناس غلما وخرج بهم إلى أهل الشام وكان على ميمنته عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعلى يسارته عبد الله بن عباس والناس على راياتهم وسراكرهم وكان في قلب الجيش من معه من أنصار الصطفى عليه الصلاة والسلام من أهل المدينة وعدد من خزاعة وكساعة . وأما معاوية فقد رفع في ذلك اليوم قبة عظيمة وألقى عليها أثواب ورايمه أكثر أهل الشام على الموت وأحاط بقتله خيل دمشق . ووقف عبد الله بن بديل أولا على جيش معاوية فقيه حبيب بن مسلمة فلم يزل يحوزه ويكشف خيله حتى اضطرهم إلى التقهقر حيث قبة معاوية في يوم ذلك اليوم فنادى عبد الله بن بديل بضعايه قائلا « ألا إن معاوية ادعى ماليس له ، وأزاع أخفى أهله ، وعادى من ليس مثله ، وجادل بالباطل ليدحض به الحق ، وصالح عليكم بالأعراب والأحزاب ، الذين قد زينت لهم الضلالة ، وورع في قلوبهم حب الفتنة ، ولبس عليهم الأسماء ، وزادهم رجسا إلى وجسهم ، فقاتلوا الظلم الجفاسة ولا تخشوهم ، قاتلوهم يذبحهم الله بأيديكم ، ويخزهم وينصرهم عليهم ، ويشتر صدور قوم مؤمنين » ثم صفق بحسبهم مثل هذا الكلام . وبنه زيد بن قيس الأرحبي نفس ابنه يحرش الناس بكلامه المشجع على مداومة القتال وهكذا ظل رجال عبي داومون ملاصقة رجال معاوية لانتقيرين المغلوبين . ولما رأى معاوية اكتشاف أصحابه ودنواهم من قبته مداهم بمجد كبير كشف أهل المراق وردهم إدارهم فلما رأى سيدنا عيسى اكتشاف جيشه خرج بنفسه مددا له فتنشط خروجه عليه صلوات الله عزائم القوم فاستمر القتال على أشده وكان يومئذ ما تشب له الأفضل من ضرب الاستعصومي النبال ودام الحال على هذا المنوال وعم النكال في ثلاثة أيام بين الأعراب والنبال لم ينقطع فيها القتال وكان ثم مجرة هائلة انتشرت فيها رؤوس الرجال وتجدلت من ورائها الأبطال وكان قهرا سيدنا عيسى عليه صلوات الله فرق جواده برق الموقية بنفسه وتهدد صفوف جيشه لشخصه منتظلا ذات العجب وذات الشمال قد كان يرى لمة في جيشه ألا سده سبعة النار . حيث غربت دي القنار . حتى إذا !

أصبر المؤمنين يطلب مبارزة معاوية

وَحَرْبُ صَبِيحٍ مَازَالَتْ بِشِدَّتِهَا وَنَارُهَا تَأْكُلُ إِلَّا بَطَالَ قُتَيْبُهَا (١)
فَاسْتَهْدَتْ قِتَّةً مِنْ خَيْرِ صَحْبِ رَسُولِ اللَّهِ دُونَ عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى فِيهَا
فَقَالَ حِذْرَةٌ قَتَلَنِي بِلَا عَدَدٍ أَطْمَاعُ ابْنِ أَبِي سَفْيَانَ تُزِيرُهَا
وَكَانَ يَفْجُمُهُ اسْتِشْهَادُهَا عَبَّأً فَجِئَةً صَاحِبُ الْأَوْثَمَانِ يَذِيرُهَا
وَإِذْ دَرَى أَنَّ عَمَّارًا قَتَى وَمَضَى فِي حَوْمَةِ الْعَرَبِ أَمْسَى مِنْ أَضَاحِمِهَا
بَكَاهُ حَزَنًا عَلَى وَافِي صَدَاقَتِهِ لِذِينِهِ وَأَنْبَرَى فِي النَّاسِ يَنْعِيهَا
وَكَانَ عَمَّارُ خَيْرَ الْمُسْلِمِينَ جِهَا دَأً وَالصَّحَابَةِ مَكْنِهَا وَطَيْبِهَا
وَقَالَ أَحْمَدُ فِيهِ كُلُّ مُحَنَّدَةٍ حَسَنَاءَ مَازَالَتْ إِلَّا قَوَامُ تَرْوِيهَا

ما يقين معاوية بالانكسار مال الى صاحبه عمرو بن العاص وكان عندهما كبر مستشار واخذا يتداولان بحيلة تنقذهما من الانخدال والنار وتوصلهما الى ما يملكان به من بيد الاوطار (١) كثرت التبر في ذلك اليوم من الحائنين حتى غشت اشلاؤها أرض صيفين وكان سيدنا علي عليه صلوات الله حزين على هذه النفوس الملهمة البرية التي تستشهد ظلماً وعدواناً لالسبب سوى لطعم معاوية بالخلافة وازاده حزن مقتل عمار بن ياسر وهو من اكابر الصحابة وقد كان عزيزاً عليه كما كان عزيزاً على المصطفى عليه الصلاة والسلام قال حتى متى هذه الجزرة ؟ قال هذا وراق جواده طالباً مسكراً معاوية مع تفر من أبطال اصحابه وحمل حملة شعواء على أهل الشام فنقض صفوفهم تنقضاً وشتت جوعهم تشتيتاً وقال

أقتلهم ولا أرى معاوية الجاحظ العين العظيم الخاوية
ثم نادى معاوية للبرازة فلا على - يقتل الناس بيتنا هم احاكمك الى الله ، فأبنا قتل صاحبه ، استقامت له الامور

اما معاوية فلما رأى هجوع سيدنا علي عليه صلوات الله على مسكره واشتاق منصف حيث نسيب موافقه وولى الى اخريات الناس حيث رأى عمرأ بن العاص فسأله أن يمينه رآه يثلاثي الصبر وينبها ما لكذلك واذا جاءها من اصحابها من اخبرها بطلب علي معاوية للبراز قتال عمرو بن العاص : لقد انفصلك والله فخرج اليه واقته ولى الخلافة قل هذا وبسة اخبره على شقيقه . فصاح معاوية وركب ما انصفني انتك لنعم نبي علياً لم يبرز اليه أحد الا قتله فقال عمرو ولكن لا يمحس بك وانت ضع نفسك في موضعه وتزاحم على خلافة ان تترك مبارزته جيت تكسب به سبة الابد . فنضب معاوية وقال ومن امك لقد ضمت باخلافة من يهدي تتطلب أن أهلك لنالها والله لا يبرزه ابداً وسد أن رأى سيدنا علي عليه صلوات الله أن معاوية قد حين عن الخروج اليه عاد فاعمل بيه فيمن اتيه من أهل الشام تخلف الأرض بمائهم علي ما عهد الملا من شجاعت وبلشه

وَأَنَّ أَعْمَالَهُ فِي الدِّينِ بَاهِرَةٌ مَحْمُودَةٌ تُطْرَبُ الدُّنْيَا أَمَانِيهَا
وَأَنَّ قَتْلَتَهُ تَأَلَّاهُ فَاجِعَةٌ وَمَا فَجَائِعُ صِغِيرٍ تُحَاكِمُهَا
نَادَى لَهَا الْمُتَرَفِّعُ وَأَنْحَزْنَ مَالِكُهُ حَتَّى مَتَى يَأْتِرَى صَحْبِي أُضْحِكُنَا
وَسَاقَ نَحْوِ أَلْدَى حَالًا مُطَهَّمَةٌ بِسُرْعَةٍ طَالِبًا مُلْقَى مَعَاوِيَهَا
وَعِنْدَمَا الْمُتَرَفِّعُ وَافَى مَسْكِرَاهُ لِي الشَّامُ خَافَتْ وَوَلَّتْ عَنْ مَثَاوِيهَا
وَصَاحَ ابْنُ ابْنِ حَرْبٍ كَيْ أَحَاكِمُهُ إِلَى عَدَالَةِ رَبِّي وَهُوَ آيِنُهَا
عَلَى مَقْتَلٍ فِي الْمِيدَانِ أُمْتَنَا ظُلُمًا وَنَحْنُ زَنَادُ الشَّرِّ نُورُهَا
إِلَى فَايُزُزْ مَعَاوِي دُونَ أُمْتِنَا فَنَنْ يَفْزُ مِنْ كَلْبِنَا كَانَ وَإِلَيْهَا
فَهَابَ دَعْوَةَ مَوْلَانَا أَبِي حَسَنِ إِلَى الْبِرَارِ ابْنُ صَخْرٍ رَاحَ خَاشِعًا

« ترجمة عمار بن ياسر »

أما عمار بن ياسر الذي أُلْحِقَ مَقْتَلُهُ سِدْنَا عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَعَمْرُو الْمَسَاءَةِ لَهَاكَ تَرْجُمَةً مَعَ قَتْلِهِ
هُوَ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ بْنِ طَاهِرٍ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ قَيْسِ التَّمِيمِيِّ الْمَدَنِيِّ يَكْنَى أَبُو الْيَقْظَانِ وَكَانَ حَلِيفَ
بَنِي عِزْزٍ . كَانَ يَاسِرُ وَالِدُ عَمَارٍ قَطَطَانِيًّا عَرَبِيًّا مِنْ عَنَسٍ فِي مَنَاحِجٍ أَمَا ابْنُهُ عَمَارٌ فَكَانَ مَوْلَى لِبَنِي
عِزْزٍ لِأَنَّ أَبَاهُ يَاسِرًا قَدِمَ مَكَّةَ مَعَ اخْوَيْنِ لَهُ يُقَالُ لَهُمَا مَالِكُ وَالْحَارِثُ فِي طَلَبِ أَخٍ لَهُمْ وَابِعٍ فَرَجَ
الْحَارِثُ وَمَالِكُ إِلَى الْبَيْتِ وَأَقَامَ يَاسِرٌ فِي مَكَّةَ خَالِفَ أَبِي حَذِيفَةَ بْنِ الْغُبَرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ
عِزْزٍ فَرَوَّجَهُ أَبُو حَذِيفَةَ أُمَّةً يُقَالُ لَهَا « سَمِيَّةٌ » فَأَوْلَدَهَا عَمَارًا فَأَعْتَقَتْهُ أَبُو حَذِيفَةَ فَهَذَا كَانَ
عَمَارُ مَوْلَى بَنِي عِزْزٍ عَلَى أَنَّ أَبَاهُ عَرَفِيٌّ قَطَطَانِيٌّ لَا عَشْرَ فِيهِ .

وَكَانَ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ مِمَّنْ سَبَقُوا إِلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَتَشَدَّدَتْ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ وَعَذَبَتْهُ حَتَّى
اضْطُرَّ أَنْ يَجْعَلَ الْإِسْلَامَ بِلِسَانِهِ مَعَ اِطْمِئْنَانِ قَلْبِهِ بِالْإِيمَانِ قَتَلَ فِيهِ قَوْلُهُ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » مِنْ أَكْرَمِهِ
وَقَلْبِهِ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ . وَقَدْ هَاجَرَ عَمَارُ إِلَى أَرْضِ الْخَثْعَمَةِ ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ فَكَانَ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ . وَشَهِدَ بِدْرًا وَانْتَاهَدَ كُلَّهَا وَأَطْلَى بِلَاءَ حَتَّى قُبِيحًا ثُمَّ زَيْدَ الْجَمَّةِ وَقَطَعَتْ أَذَنَهُ
فِيهَا . وَكَانَ عَمَارُ آدَمَ طَوَالًا يَضْطَرِبُ فِي مَشْيِهِ أَشْبَلَ الْبَيْتِ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمُسْكِبِينَ شَابَّ الْبُحْيَةَ لَا
يُخْضِبُهَا بِالْحَمَاءِ . وَكَانَ يَقُولُ إِنْ تَرَبَّ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَنَةٍ لَمْ يَكُنْ أَقْرَبَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
بِالْعَمْرِ مِنْهُ . وَكَانَ يَقُولُ عَنْ الْمُصْطَفَى « إِنْ عَمِرْتُ مِائَةً أَيْمَانًا إِلَى أَتَمِّسَ قَدَمِيهِ » وَكَانَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ « مَنْ أَبْغَضَ عَمَارًا أَبْغَضَ اللَّهَ فَارْزُقْ أَحِبَّهُ مِنْ يَوْمِنِي » وَسُئِلَ الْمُصْطَفَى
يَوْمًا إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ فَمِنْ تَأْمُرُهُ أَنْ تَتَّبِعَ قَوْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « إِنَّ سَمِيَّةَ (أَيَّ عَمَارٍ)
وَهُوَ لَنْ يَفَارِقَ الْحَقَّ حَتَّى يَمُوتَ .

وَعِنْدَمَا شَرَعَ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ وَغَى آلُهُ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ بِنِهَاةِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ
كَانَ السُّلَمِيُّونَ يَنْظُرُونَ الْبَيْتَ الْمَدَنِيَّ الْأَعْمَارَ قَدْ كَانَ يَقَعُ لِبَتَيْنِ بَدَلِ لِبَتَيْنِ خَمْسٍ فِي دِينِهِ
وَزِيَادَةِ رَغْبَتِهِ فِي الْأَجْرِ وَمَا زَالَ عَمَارٌ فِي ذَلِكَ حَتَّى عَشِيَ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَمْرِ قَوْلُهُ رَسُولُ اللَّهِ

وَمَا رَأَى فِي سِوَى ابْنِ الْوَاصِ مِنْ عَصِدٍ عَنْهُ الْكَوَارِثُ وَالْأَخْطَارُ يُدْرِيهَا
فُجَاءَهُ مُنْشِئَرًا وَالْقُنُوطُ قَدْ اسْتَوَى عَلَى نَفْسِهِ وَالْعَزَنُ بَارِيهَا
قَالَ عَمْرٌ وَسَدَّادُ الرَّأْيِ عِنْدِي أَنْ تَلْقَى عَلِيًّا وَهَدْيِي الْحَرْبُ نُسَيْبُهَا

وجعل بمسح التراب عن رأسه يده الشرفة ويقول « ويحك يا ابن سمية » الناس ينقلون لبنة لبنة وانت
تنقل لبنتين لبنتين ، رغبة في الاجر ، وانت مع ذلك تتلك الثلة الباغية » وذاع قول المصطفى
هذا يمار بين المسلمين وحفظوه كما حفظوا الاقوال الشريفة النبوية الاخرى التي قالها له وكانوا يمد
ان افرقوا يفرقون الحق في الفرقة التي يكون منها عمار ويقولون لاسمعه الا « الثلة الباغية »

وظل عمار يجاهد في سبيل الاحلام فكانت له يد يضاء في فتوحات الشام وال عراق على عهدي
ابن بكر وعمر ثم استعمله عمر بن الخطاب على الكوفة وارسل معه عبد الله بن مسعود مستشاراً
وزيراً وكتب الى أهل الكوفة يقول « اما بعد فاني بشت اليكم عماراً اميراً ، وعبد الله بن
مسعود وزيراً ، وهما من النجباء من اصحاب محمد ، فاسمعوا لهما وامتدوا مما هما ، فاني قد اترككم بهم على نفسي »
وكان عمار من اشد الناس على عثمان لا ينفك يمني عليه عمل عماله وجعله الخلافة طعة لبني
أمية ولشدته هذه حل غلمان عثمان عليه ونالوا منه من الضرب الموحع انتهى الكثير حتى انفق
له قتي في بطنه وزعموا انهم كسروا ضلعاً من اضلاعه وكان ضربه هذا سبباً لانقلاب بني مخزوم وهو
من مواليهم على ما تقدم على عثمان وجاهرتهم بمداة

وكان عمار في عهد سيدنا علي عليه صلوات الله من سيوفه المشهورة فسار معه الى قتال الجبل
وقد رأينا مسيره مع سيدنا الحسن الى الكوفة عنده ابي أبو موسى الاشعري مناصرة امير المؤمنين
كما تقدم في حاشية سابقة وأبلى أفضل بلاء واحسنه في حرب الجبل

وفي حرب صفين كان عمار بن ياسر في مقدمة قوات سيدنا علي ومن اكار الطائرين معه
على شيخوته لانه كما سبق القول كان ترب المصطفى بالنس فبكون عهده يومئذ بين ٩٤ و ٩٥
سنة ومع ذلك كان من القوة ما يدعو الى الدهش يدلي ما رواه المؤرخون من آيات البسالة التي
أبداهها في تلك الحرب وكان آخر امره انه في يوم ٩ صفر الحزير سنة ٣٧ للهجرة وموتة صفين
على اشد ما خرج على الناس فقال « اللهم ، انك تعلم ، اني لو اعلم ان رزائي في ان اذف نفسي
في هذا البحر (ولواد الفرات الذي يجري بقربه) لفلته ، اللهم ، انك تعلم ، اني لو اعلم ، ان
رزائي في ان اضع ذبة سيفي في يطني ، ثم اخني عليها حتى تخرج من ذهري ، لفلته ، وانني لا
أعلم اليوم عملاً هو ارضي لك من جاد هؤلاء الفلبيين ، ولو أعلم عملاً هو ارضي لك من لفلته ،
ايها الناس ، اني لأرى قوماً ليس بركم ضرباً يرتاب منه انبطلون ، وام الله ، لو ضربونا حتى
يلفوا بنا سفات هجر ، لعلنا اما على الحق ، وانهم على الباطل ، » ثم قال « من يبتغي منكم
رضوان الله ربه ، ولا يرجع الى ما ولا ولد ، فليصحبني » فته عصاية من الاصلال مليئة
نفاءه متحفة بحمله فقل نعم « أقصدوا ب هؤلاء القوم ، الذين يطبلون دة عثمان ، والله ما
ارادوا الطلب بدعه ، ولستكمم ذنبوا الدنيا واستحبوها ، وعلموا ان الحق لهم ، حال بينهم وبين
ما يشرفون فيه منها ، ولم يكن لهم سابقة يستحق بها حانة الناس ، والولاية عليهم ، فغدعوا
اتباعهم ، وقاوا اماناً قتل مطلوباً ، ليكنوا بذلك حبايرة وملوكاً ، فلبوا ما نزلهم ، فلو لا هذا
ماتبهم من الناس رجلا ، اللهم ، ان تصبرنا فطائنا نصرت ، وان تجمل لهم الامر ، ودخر لهم

فَأَبْرَزَ لَهُ بَرَزَةً تَقْضِي عَلَيْهِ بِهَا
أَجَابَ وَبِكَ هَلْ يَلْقَى أَبَا حَسَنٍ
تُرِيدُ لِي مَوْتَةً شَغَا تَنَالُ بِهَا
وَقَدْ تَبَسَّمَ عَمْرُوً وَابْتَسَامَتْهُ
وَعَادَ حَيْدَرَةً مِنْ بَعْدِ صَبْحَتِهِ
وَأَعْمَلَ السِّيفَ فِي الْأَعْدَاءِ جَدَلَهَا
وَتَسْتَبِدُّ بِيَدِي الْأَنْبِيَا وَأَهْلِيهَا
مِثْلِي وَتَقْبِيهِ الْأَهْلَاكُ تَالِيَهَا
بِعِزِّي الْخَلَقَةَ لِكُنِّي أَجَافَهَا
لِقَوْلِهِ قَالَهَا لَهَا هَوَاً وَتَقْبِيهَا
وَلَمْ يَكُنْ إِبْنُ حَرْبٍ مِنْ يَلْبِسُهَا
قُتِلَ وَفَرَّقَ فَرَقًا تَجَمُّعَهَا

بما أعددوا في عبادك المذاب الآليم « قال عمار هذا في أصحابه ومضى بهم إلى المسعة فكان لا يمر
بواحد من أودية صفين إلا وتبته من كان فيها من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام حتى إذا ما انتهى
إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهو سرمد وكان صاحب راية سيدنا علي وكان أعور فقال له
« يا هاشم أعورا وجيتا ؟ لاخير في أعور لا ينشئ البأس ، لو كذب يا هاشم ، فركب ومضى معه وهو يقول :
أعور بيني أهله مجللا
لا بد لي فقل أو يغلا
قد طالع الحياة حتى ملا
يتلهم يدي الكموب تلا

وعمار يقول : « تدم يا هاشم ، الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت تحت أطراف الاسل ،
وقد فتحت أبواب السماء ، وترتبت الحور المني ، اليوم التقي اللاحية ، عمدا وحزبه » وهكذا
انقض عمار وأصحابه على الأعداء والموقعة على أشدها فقتل عمار بن الماس بوجهه بمحارب قتاده
قتلا « وبك يا عمرو ، بدت دينك عمر ، تبأ لك « فقال عمرو : ولكن اطاب بدت عثمان .
قال عمار « أشهد على علمي فيك ، انك لا تطلب بحي من فلك وجه الله ، وانك ان لم تقتل اليوم
تمت غدا ، ف نظر اذا أعطى الناس على قدر نياتهم ما نيتك ، لقد قتلت صاحب هذه الراية (ويريد
علياً) قتلا وهو مع رسول الله وهذه الراية ما هي ابر وانقي « قال هذا عمار وانرى القتال بقلب
كأنه قد من المضر الاسم فما زال يبي بالناس طاملا السيف برة فمهم حتى قتل خلقا كثيرا على
انه اصيب بجروح كثيرة خرت معها قواه فوقع على الارض مضرجا بدمه بفرة سيف ضربه بها
أبو القارئة واحتد رأسه ابن الكسبي

و من غريب أمر الناس في موقعة صفين أنهم كانوا عند ما تبسبى القتال يختلط بعضهم ببعض
ويتحدثون كاخوان متصافين كالمقومون به من القتال ليس بالامر الكبير وروى عبد الرحمن
السلمي من مقاتلة الخلافة قال « لما قتل عمار دخلت عسكر معاوية لأرى هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ
منه فإذا أرى معاوية وعمراً بن الماس وعبد الله بن عمرو على خيولهم يتحدثون فدنوت منهم
بجوادي لاسمع حديثهم فسمعت عبد الله بن عمرو يقول لايه يا أبت رقتهم عمراً في يومكم هذا
وقد قال رسول الله فيه ما قال قال عمرو وما قال ؟ فروي عبد الله لايه قول رسول الله بعمار يوم
بناء المسجد في المدينة قال عمرو بن الماس اني معاوية وقد أما تسع ما يقول عبد الله ؟ فبهز معاوية
كنتفيه استخفاً وقال أنحن قتلنا عماراً ؟ انما قتله من جاء به

وعاش أبو العارفة قتل عمار بن ياسر إلى زمن الحجاج بن يوسف الثقفي ودخل هذا يوماً
على الحجاج وهو يحكم المراق بشدته وظلمه وحوله أصحابه فذكره وسأله قتلا هل أتت عمار بن

مؤامرة معاوية وعمرو بن العاص

رَأَى مُعَاوِيَةُ أَنَّ الْأُمُوزَ عَلَى رَأَى جُبَيْشٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَكَأ رَأَى حَوَالَيْهِ أَبْطَالُ الْأَوْغَى جُشَاء رَأَى الْجُبُوعَ اللَّيْلِ وَافَى بِهَا سَمِثَتْ رَأَى أَبَا حَسَنٍ قَدْ جَاءَ يَطْلُبُهُ وَفِي الْأَخْبَرِ رَأَى أَنَّ الْأَهْزِمَةَ قَدْ وَانَهُ مُشْرِفٌ فِي شَرِّ مَوْقِعِهِ فَصَاحَ وَالْيَأْسُ يَطْوِيهِ وَيَنْشُرُهُ مَا لَا يُحِبُّ فَأَحْرَى أَنْ يُدَارِبَهَا (١) دُ تَبْلُغُ النَّصْرَ مِنْهُ فِي مَقَارِبَهَا وَالطَّيْرُ نَائِلَةٌ مِنْهَا تَقْدِرُهَا هَوْلَ الْقِتَالِ فَعَدَّتْ عَنْ قَدَاعِبِهَا إِلَى مُبَارَزَةٍ يَلْقَى الرَّدَى فِيهَا حَلَّتْ بِأَصْحَابِهِ صَبَبٌ تَلَا فِيهَا عَلَى ضِيَاعِ أَمَانٍ كَانَ رَاجِبِهَا يَاعْمُرُوْا خُذْ يَدَيَّ حَاشَا تَخْلِسُهَا

يأمر ؟ قال نعم باسم الحجاج وقال لأصحابه من سره ان ينظر الى عظيم الباع يوم القيامة فينظر الى هذا الذي قتل ابن سمية . ثم ان أبا الغارة سأل الحجاج حاجة له فلم يجبه اليها فقال نومي لهم الدنيا ولا يسطونا منها وزعم اني عظيم الباع اتى عظيم الباع حتى استلنى وقال : «أجل والله» من سره مثل أحد ، ونفذه مثل حبل ورفق ، ومجاسه مثل المدينة والريدة ، انه لعظيم الباع يوم القيامة ، والله ، لو أن عملاً ، قتل أهل الأرض كلهم ، لدخلوا ظلم النار » (١) ان التجساء معاوية وعمرو بن العاص الى المؤامرة والحديدة قد كان على اثر لية الحرير وهي اللية العظيمة التي اشتد فيها القتال وما ادراك ما لية الحرير ما نحن نذكرها اجالاً والتفصيل يحتاج الى بلد كبير

غلس على عليه صلوات الله فعلاه الجمعة عاشر صفر الحيرة سنة ٤٧ هجرية فصلى بالناس ثم زحف بسكره على أهل الشام وكانت الحرب قد اكلت من الفريقين ولكنها في أهل الشام أشد نكابة وأعظم وقسا . وكان انزال من الحرب على كثرة ضحاياها قد نال مثاله من النفوس وتنازع على مقدمة جيش الخلافة فنى الهجاء الاشتهر النخعي فسار على فرس كبيت وهو مدجج بالسلاح وبيده الرمح بقليل يفر ب رؤوس أهل المراق بقتله ويقول سوا صفر فكم وحكم الله حتى اذا عدل الصفوف والرايات استقبلهم بوجهه وهداه ولى عليه وقال : الحمد لله الذي جعل فينا ابن عم نبيه ، اقدم المسلمين هجرة ، ولولهم اسلام ، وانه لسيف من سيوف الله ، صبه الله على اعدائه ، فاطمروا اذا حيي الومئس ، وثار الفداء ، وتكرس المران ، وجاءت الجبل بالابطال ، فلا أسمع الا عصفرة وهمسة ، دتيموني وكونوا في اثرى . قال الاشتهر هذا ومال نحو مسكر أهل الشام فقتلته الصفوف وهي تنزأ بالختوف ه بلوا اعظم بلاء باصحاب معاوية وكانت موقعة عظيمة كثر فيها الضحايا حتى قدروا القتل والجرى يومئذ بنحو سبعين ألفاً وقد دامت الموقعة ذلك اليوم بطوله وكل الليل وهي لية الحرير وكان سيدنا عبي في قلب الجيش والاشتر على الميمنة وابن عباس على

قَالَ عَمْرُو: أَرَى أَهْلَ الشَّامِ لَقَدْ
وَأَنْ صَحْبَكَ يَا ابْنَ الْوَدِّ عَاجِزَةٌ
وَلَمْ تَكُنْ فِي لِقَاكَ الْيَوْمَ نَبِيَّةُ
فَلَوْ أَنَّ تَارَكَ الدُّنْيَا وَزَخْرَفَهَا
وَفَوْقَ هَذَا فَأَهْلُ الْفِرَاقِ إِذَا
لِقَاكَ عَنْ نَفْسِهَا وَافَتْ مُدَافِعَةٌ
لَكِنَّمَا الشَّامُ لَا تَخْشَى الْوَصِيَّ إِذَا
لِحْصَنٍ مَا ذَاعَ عَنْ سَابِغِي فَضَائِلِهِ
وَحَيْثُ مَشُورَةٌ عِنْدِي أَشُورُ بِهَا
أَنْ تَطْرَحَنَّ إِلَى الْأَعْدَاءِ مَسْأَلَةً
تَدْعُو لِفِرْقَتِهَا سِيَانٍ إِنْ قِيلَتْ
قَالَ: عَجَلٌ بِهَا وَالْوَقْتُ دَارَكَهَا
وَأَوْشَكَتْ أَنْ تَحْزُونَ النَّصْرَ أَبْهَرَهُ
خَارَتْ عَزَائِمُهَا مَا أَنْ تَقْوِيهَا
عَنْ صَحْبٍ حَذِرَةٍ مَا أَنْ تُكَافِيَهَا
كُنِيَّةُ أَنْتَ فِي لِقَائِهِ تَقْوِيهَا
وَأَنْتَ تَطْمَعُ فِي هَانِي مَلَاهِمِهَا
بِهَا ظَلَمْتَ لَهَا أَنْ تُؤَاذِمَهَا
بِحَرْبِهَا وَلَئِنْ تُبْدِي فَضَائِلَهَا
مَا سَادَ فِيهَا وَأَسَى وَهُوَ رَاعِيهَا
بَيْنَ الْبَرِيَّةِ عَزِيمِهَا وَرُؤُوسِهَا
عَلَيْكَ وَالْقَوْرُ مَضْمُونٌ لِحَرْبِهَا
وَاللَّهُ تَعَجُّزٌ عَنْ إِذْرَاكِ خَافِهَا
أَوْ قِيلَتْهَا أَوْ أَيْتَهَا وَفِي الْعَالَيْنِ تَقْوِيهَا
رَكِبُ الْفِرَاقِ قَدْ اسْتَأْنَقَتْ مَهَارِهَا
بِرُفْعَةٍ أَبْتَنِي حَمًا تَوْقِيهَا

المبسرة . ولما انجلت الموقعة عن نصر عظيم لجيش الخلافة وقد ولى من بقي سليماً من جيش معاوية
هاربين وقف في القوم خطيباً سيدنا علي عليه صلوات الله وكان قد بدأ إهزيم ذلك من ليلة الهزيمة
حمد الله والى عليه وقال «أيها الناس» قد بلغ بكم وبمديركم الأمر ما قد رأيتم ، ولم يبق من أهل
الشام إلا آخر نفس ، وإن الأمور إذا قبلت اعتبر آخرها بأولها ، وقد صبر لكم القوم على
غير دين ، حتى بلغنا منهم ما بلغنا ، وأنا غادر عليهم بالنداء ، أما كهم إلى الله ، فليل الناس وكبروا
ودعوا لأمر المؤمنين وقد اشتد نشاطهم إلى غزوة المد وهم موقنون أن الحرب تنتهي فيما والنصر
الآخر بات على قيد خطوات منهم

لا جرم أن توفى جيش أمير المؤمنين على جيش معاوية قد بدأ بأسى مظهره حتى أبى معاوية
بالقهر والاحتفال وأزاد بلبه قهقهة الامام الأعظم سيدنا علي منه يريد مبارزته فصر من وجهه
مخفياً في أقصى مسكره ولم يبد له إلا الالتجاء إلى الدهاء عمرو بن العاص عسى أن يمينه برأيه على حيلة
تخرجه بيجيته من المأزق المخرج الذي بات فيه لجناء والحواف بلباً نفسه وقال : يا عمرو إن غداً
لمصبحنا علي بالفصل ولا أرى إلا القهر والذل فأتري ؟ فتبسم عمرو بدهائه المشهور وقال : إن
رجالك لا يقومون لرجله ، ولست مثله ، هو يغاضبك على أمر ، وأنت تقتلهم على غيره ، أنت تريد
البقاء ، وهو يريد الفناء ، وأهل العراق يخافون منك أن تغترب بهم ، وأهل الشام لا يخافون

قَالُ عَمْرُو : وَلَكِنْ مَضَرْتُ اِنِّي لَا اَزَالُ اُلْمَعُ اَنْ اَفُوِي بِوَادِيهَا
وَلَمْ اَزَلْ اَسْتَهِي النَّيْلَ السَّيِّدَ وَخَيْتِي اُقَيِّتُ عَلَيْهِ لَسْتُ نَاسِيَهَا
قَالَ : وَاللَّهِ مَا اِلَّاكَ يَخُكُّهَا وَمَا لِفَعْرِكَ يَا ابْنَ الْغَاصِ مُطْلِبَهَا
فَهَاتِ رَايَا بِهٍ صَحْبَ الْخِلَافَةِ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ عَسْكَرِي فِي الْحَالِ يَقْعِبَهَا
اَوْ تَسْطُونَ عَلَى جَيْشِي وَتَقْهَرُنِي وَاِنِّي بْتَ أَخَى مِنْ تَسْطِيبَهَا
قَالَ : حَسْبُكَ لَا تَجْزُغُ مُعَاوِيَةَ فَفَكَرَ عَمْرُو بِالْأَعْدَاءِ يُؤْهِبَهَا
أَسْرِعْ اِلَيَّ نَسْخَ الْقُرْآنِ دُونَ وَتَنِي وَقُلْ لِّصَاحِبِكَ بِالْأَرْمَاحِ تُغْلِبَهَا
بِهَاتَا قَابِلُ أَصْعَابِ الْوَيْمِيِّ وَكُنْ جَرًّا اِلَيَّ حُكْمِهِ الْقَدَمِي دَاغِيهَا
بَذَا تَقْوُزُ بِعَبْفَاكَ اَلَّذِي عَجِزَتْ سَيُوفُ صَحْبِكَ عَنْهُ مَعَ عَوَالِيهَا
وَاِيَّهَا جَيْلَهُ قَدْ كُنْتُ مُعَذِّدَهَا لَوْ قَتَ حَاجَتِكَ اَلْقَصْوَى وَمُرْجِيَهَا
فَاقْبِضْ لَهَا وَادْكُرْ مِصْرًا وَخِصْبًا رَا ضَبَّهَا وَلَا تَسْتَسِنْ فَضْلَ ابْنِ عَاصِيهَا
قَالَ دَاهِيَةُ الرُّبَيَّانِ : اِنَّكَ حَيَّةٌ أَجَابَ : وَلَكِنْ أَنْتَ حَاوِيهَا
وَهَبْ لِلْمَكْرِ عَمْرُو مَعَ مُعَاوِيَةَ بِحِيلَةٍ لَمْ يَكُنْ اِبْلِيسُ رَاصِيَهَا

علياً ان ظفر بهم . قل ولك وما الحيلة ؟ قل لا تجزع يا معاوية قد أعددتها من قبل ولكن هل
هزمت عزماً لا رجوع بعده على ان تطعني مصر ؟ قال نفسي لم تزل تترع الى خيمني التي نصبها
يجول النبل . قل معاوية لقد سبق واتقنا على هذا ونسأ بالله لست ناكثاً عهدي فامددي رايك
قبل قوات الوقت . قل عمرو وهو مطعم الببال يزأ بمعاوية والطاوف التي تاورده وقال : القى .
الى القوم اسماً ان قبلوه اختلقوا وان ردوه اختفوا وفي الحالين تفرق كلمهم وتترس عليهم . قال
معاوية وما هو روعي فذاك ؟ قال : وزع نسخ القرآن على جنودك فتعلبوا في صباح الله على
وماحيا في وجوه رجال معاوية وارسل منهم من يدعوهم الى تحكيم كتاب الله في هذا الخلاف .
وانك بالفي هذا حاجتك لاعاصي . واني لم ازل اؤخر هذا الامر لوقت حاجتك اليه . ولكني
اعود فاذكر كبحر وانا فانحيا واحق الناس بالفتح بخيراتنا . ولما سمع معاوية حيلة عمرو بن العاص
صفق لها ضرباً . وقال صدقت ورب الكعبة انها حيلة من خطر على بل ابلبس وانها لتاجحة باذن
الله وانك لحاكم مصر وصاحبها وانك لحية يا عمرو فضحك عمرو بن العاص وقال ولكن لسوء
الحظ انك انت الحاوي

هكذا اتفق معاوية وعمرو بن العاص على الاحتيا لاحتيا على سيدنا على عليه صلوات الله باسم القرآن
واسرها بدعوة قوادهم اذ انابا هم جا وامرهم بتفديدها فاسرعوا الى ذلك كما ستري . .

رفع المعافى وطلب الحكم

وَلَيْلَةٍ مِنْ لَيْلَانِي اللَّهْرِ قَاعَةٍ لَيْلَاءُ عَمَّتْ بِلَا اسْتُسْنَاءَ كَوَادِرِهَا (١)
فِيهَا لَقَدْ هَرَبَ النَّاسُ أَفْتَالُ هَرَبٍ رَأً وَهِيَ تَطْلُبُ أَنْ تُجْلَى دِيَارِجَتِ
حَتَّى إِذَا لَاحَ نُورُ الْفَجْرِ صَاحَ عَلَيَّ أَسْرِعُوا فَأَلَيْدِي فُلْتُ مَوَاضِيهَا
قَدْ أَذْبَرْتُ عَنْكُمْ وَالْخَوْفُ سَايِدُهَا يَدُوسُ عَائِدَهَا الْمَجْرُوحَ كَأَيْبِهَا
وَاللَّهُ مُؤَيِّنُكُمْ ذَا الْيَوْمِ نَصْرَتَهُ وَلَا مَرَدٍّ لِنَعْيٍ كَانَ مُؤَيِّنَهَا
فَأَسْرَعَ النَّاسُ لَاسْتِسْنَاءَ هَجَنَتِهِمْ وَكُلُّهُمْ مُطْمَئِنُّ النَّفْسِ هَادِيهَا
فَشَاهَدُوا فَوْقَ أَرْمَاحِ الْيَدَى نُسْخَ الْقُرْآنِ كَانَتْ مَعَ التَّكْبِيرِ تَغْلِيهَا
وَمَنْ نَصِيحُ بِهِمْ يَأْمُرُ الْعَرَبِيَّ لَا مَجْرَادٍ حَتَّى مَتَى الْبَلَوَى فَعَانِيهَا
اللَّهُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ وَنَسَاكُمْ مِنْ مَوَاقِفِ إِيْهَوَانِ تَلَاقِيهَا
إِذَا فَنِيْتُمْ فَلَنْ الْفُرْسَ غَازِيَةً دِيَارَكُمْ وَجُوعُ الرُّومِ تَسْبِيهَا
وَالْتَرَكُ نُسْرُ فِي اسْتِسْنَاءِ شَأْنِكُمْ وَأَكْبَرُ الشَّرِّ فِي مَغْزَى مَغُولِيهَا
اللَّهُ اللَّهُ فِي الدِّينِ الْحَنِيفِ إِذَا أَنْصَارُهُ كَانَ هَذَا الشَّرُّ مُقْسِيهَا
هَدْيِي مَنَانِي إِلَهُ الْعَرْشِ يَنْصُرُكُمْ وَنَيْنَا مِثْلَنَا كُونُوا مُطِيعِيهَا
وَأَيُّهَا الْيَوْمَ تَدْعُونَا لِحُطَّاعِيهَا دَعْوَى وَأَفْضَلُنَا قَوَى يُلَسْبِيهَا
وَإِذْ وَعَتْ دَعْوَةُ الدَّاعِي صِحَابِ عَلَيٍّ وَالْمَصَاحِفُ تُعَلَى فِي أَيَادِيهَا

(١) عند ما أصبح صباح السبت ١١ صفر الحشر اصطفى اصحاب اخلافة لقتال وما كادوا
يعضون اليه حتى راوا اشياء الرايان امام اهل الشام في وسط الفيلق لجعلوا يحدقون بها ففرقوا انها
للمصاحف في اطراف الرماح وهي عظام مصاحف السكر وراوا بينها ثلاثة رماح شددت الي بعضها
وعليها مصحف المسجد الاعظم وكان يرفقه عشرة من الجنود وكان عدد المصاحف التي رفها يومئذ
اهل الشام نيف وخمسة مصحفاً ولا بد لنا من القول ان المسلمين الاولين كانوا يحرمون على
استصحاب مصاحفهم معهم في حروبهم وفي جميع اسفارهم فلا عجب اذا وجد في جيش ماوية خمسة
مصحفاً وقد قدره المقرون بنيف ومئة ألف مقاتل

وبينما كان اصحاب سيدنا علي ينظرون الى هاتيك المصاحف وقد اعليت فوق الرماح تقدم
من رجال معاوية الطليل بن آدم وكان حيل وسط جيش سيدنا علي وابو سريح الجندي حيل
البيعة وورقاء بن المعسر حيل الميسرة وتادوا بجلء اصوتهم بحيث يسمع اصحاب سيدنا علي قهقهة

قَالَتْ يَقُولُهُ عَنْ خَشْيَةٍ وَهِيَ وَرَدَّهَا وَلَمْ تَقْنَعْ مَسَازِينَهَا
وَقَدْ قَسَمْتَ إِلَّا رَأَاهُ قِسْمَتَهَا فِيهَا كَمَا شَاءَ مُوَحِّجَهَا وَمُشْرِفَهَا
فَهَرَّةٌ قَدْ رَأَتْ حُكْمَ الْكِتَابِ وَأَخْرَجَتْ خَالَفَتَهَا قَوْلُ الْحَرْبِ نَيْفَهَا
بِذَلِكَ حَالُهَا قَدْ بَاتَ مُخْتَلِطًا بِنَائِلِ مُنْبِيًا بِالْعُجْزِ سَادِيهَا
وَصَاحَ حَيْدَرُهُ: رَبَّاهُ إِنَّكَ أَدْرَى بِالْأَعَادِي وَمَا تَطْوِي مَطَاوِينَهَا
وَلَانَهَا لَمْ تُرْذِ أَصْلًا كِتَابَكَ أَوْ تَبَغَّى هِدَايَتَهُ وَالشَّرُّ غَاوِيهَا
فَأَحْكُمْ إِلَهِي فِيمَا بَيْنَنَا وَلَأَنْتَ أَلْعَاكِمُ الْأَعْدَلُ قَدْ نَزَّهَتْ تَنَزُّهَا
عَمَّا تُكِيدُ الْيَدَى لِي فِي مَصَاحِينَا وَقَطُّ مَا تَبِعْتَ سَابِغِي مَبَادِيهَا

مذكرة أمير المؤمنين أصحابه بالحكم

ثُمَّ أَتَنَشَّى لِكِبَارِ الْقَوْمِ حَيْدَرُهُ يُرِيدُ مِنْهَا بِذِي الدَّعْوَى تَرْوِيهَا (١)
فَمَا أَصْرَتْ عَلَى اتِّخَاكِمْ مُجِيعَةً وَلَا عَلَى الْحَرْبِ شَدَّتْ كَيْيُجَارِيهَا
ثُمَّ رَأَى النَّاسَ حَوْلَهُ قَدْ اجْتَمَعَتْ وَصِيحَةُ السَّلَامِ تَقْلُو مِنْ نَوَاحِيهَا

« يا ميسر العرب ، الله الله في النساء والبنات والأبناء ، من الروم والأتراك وأهل فارس غدا ، إذا فُتِحَ ، الله الله في دينكم ، هذا كتاب الله بيننا وبينكم » وما كادت تدوي هذه الكلمات في آذان أصحاب سيدنا عي حتى اختلف حاليهم بناليهم واختلت صفوفهم وانقسموا فرقا بعضهم رأوا عدالة الطلب فنادوا بالحكم وبعضهم أبوا إلا مداومة القتال وحدث ما قدره عمرو بن العاص من تحريق كلمة الطويل بحيلة فقال سيدنا عي حينئذ « اللهم ، انك تعلم ، انهم ما الكتاب يريدون ، حكم بيننا وبينهم انك انت الحكم . الحق انين »

(١) فاز عمرو بن العاص بمكيدته وقال ملاوة بنيتهدوب الاقسام ديبه في أصحاب سيدنا علي أمير المؤمنين قتال عدي بن حاتم الطائي يا أمير المؤمنين انه لم يصب منا عصابة الا وقد أصيب من أعدائنا منها وكل مقروح ولكننا أمثل بقية منهم وقد جزع القوم وليس مد الجزع الا ما نحب فنجزهم . وأيد كلامه الأشتر النخعي قتل يا أمير المؤمنين ان ملاوة لاخط له من رجلاه ولكن بحمد الله فك الحلف ولو كان له مثل رجلك لم يكن له مثل صبرك ولا نصرك فافزع الحديد بالحديد واستمن دابة الحديد . ونهض عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين انار الله ما أجنبناك ولا هزناك على البازل ولا أجنبنا الله ولا طيب الا الحق ولودعنا غيرك الى ما دعوتنا اليه لاستقرى فيه الأجاج وضلت فيه النجوى وقد بلغ الحق مقطعه وليس لنا ملك راي . فاعترض هؤلاء الاثنت وقد كلن وجهه الغضب وقال يا أمير المؤمنين اننا لك اليوم على ما كسا عليه أمس وليس آخر أمرنا كأوله وما من القوم أحد حتى على أهل العراق ولا أوزر على أهل الشام مني ومع ذلك

فَأَمَّا كَرَمًا كَيْفَا بُشَّافُهَا
وَقَالَ : إِنْ يَأْقُومِي أَحْكُمُ
لَكِنْ دُعَاةُ كِتَابِ اللَّهِ قَدْ طَلَبَتْ
إِنِّي لَأَعْرِفُ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ بِهَا
صَحْبُهَا طِفْلَةٌ مِنْ يَوْمِ نَشَأَتْهَا
يَأْقُومُ دَعْوُهَا حَقٌّ أَرِيدُ بِهِ
بَلْ كَيْ تَخَادِعَكُمْ تُوْهِمِي عَزَائِمَكُمْ
أَهْلَ الْبِحَادِ أَعِزُّونِي سَوَاعِدَكُمْ
قَدْ أَنْهَى الْحَقُّ يَأْقُومِي بِمَقْطَعِهِ
فَأَيْدُوهُ أَعِزُّوهُ جَمَاعَتَكُمْ
وَكَانَ حَبْرَةٌ يُلْقِي خُطَابَهُ
قَلَمٌ تُؤَوِّزُ عَلَى السَّمَاعِ وَالْأَسْفَلِ
وَصَاحَ عَشْرُونَ أَلْفًا مِنْ جَمَاعَتِهِ
أَلَا أَجْنِبُهَا إِلَى حُكْمِ الْكِتَابِ وَحَا

بِمَا لَهْ أَجْتَمَعَتْ لَا كَيْ يَمَارِئُهَا
بَآيَ رَبِّي إِنْ نَادَى مُنَادِيَهَا
بِمَا دَعَتْ أَنْ تَرَأَيْشِي مُسْتَجِيبُهَا
وَبِالَّذِي تَبْتَغِيهِ فِي مَرَامِئِهَا
حَتَّى أَشَابَتْ كِلَابُهَا نَوَاصِيَهَا
بُطْلٌ يُفْشِي عَلَى أَبْصَارِ مُصْغِيهَا
تُكِيدُكُمْ بَعْدَ أَنْ أَعْيَا تَلْطِئُهَا
سُوءَةً فِيهَا وَاللَّهُ أَفْئِئُهَا
إِلَى الْعِدَّةِ الَّتِي جَارَتْ لِيُزَوِّئُهَا
لِيَجْلُوْنَ عَنِ الدُّنْيَا التَّرَارِيئُهَا
يُفِيْرَةُ تَأْسُرُ الْأَلْبَابَ تَسْبِيْهَا
سَلَامٌ تَأْلَهُ لَمْ تُذْرِكْ مَعَانِيَهَا
بِهِ : أَلَا أَبْلِيْغُ الْأَعْدَا أَمَانِيَهَا
شَايَ أَنْ نَعَادِي مَنْ يُصَافِيَهَا

اقول أحب القوم الى كتاب الله عز وجل ذلك الحق به منهم وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال
أضنى سيدنا أمير المؤمنين الى ما قال اصحابه بصدور رجب حتى اذا ما امسى كل منهم ما
عنده أرسل اليهم نظرة فخرت مكنونات صدورهم وقال : ايها الناس ، اني الحق من اجاب الى
كتاب الله ، ولكن معاوية وعمر بن الماس وابن ابي ميط وابن ابي سرح وابن مسلمة (وهؤلاء
كانوا الباقيين من زعماء أهل الشام) ليسوا اصحاب دين ولا قرآن ، اني اعرف بهم منكم ، محبتهم
صغاراً ورجلاً ، فكانوا شرّ صغار وشر رجلا ، ويحكم انها كلمة حق براد بها اجل ، انهم ما رفضوا
المصاحف وهم يرففونها ويمسكون بها ، ولكنها الحديدية والوهن والسكرية ، اعيروني سواعيدكم
وجاجكم ساعة واحدة ، قد بلغ الحق مقصده ، ولم يبق الا ان يقطع دابر الذين ظلموا « وما
كاد يشهي أمير المؤمنين من كلاله الدرة التي برهن بها على انه ادرك حق الادراك سر مكية عمرو
ابن الماس ومعاوية وانه يرى ان ساعة العر قد دنت حتى دوت اصوات عشرين ألفاً من رجاله
ابتهل نوحه زمامة مسمر بن فديك وزيد بن الحصين وعصابة من اترائه لذي صاروا خوارج فيما
بعد وطفقوا ينادون على اصواتهم « يا أمير المؤمنين ، يا عبي ، أحب القوم الى كتاب الله ، اذ
دعيت اليه ، والا فقلنا كما قلنا بن عفان : فوالله ان لم نجبه « نخرج سيد عبي

أَجِبْ وَإِلَّا فَلَنَا قَاتِلُوكَ كَقَتْلِكَ أَنِّي عَفَانٌ هَا إِنَّا نُسَيِّبُهَا
وَبَعْدَ ذَلِكَ أَلَحَّتْ فِي مُوَادَعَةِ أَلِـمَدَى وَمَا قَبِلَتْ إِلَّا تَوَخُّبَهَا
وَقَدْ أَصَبَتْ وَمَا أَصَفَتْ مَسَامِيحَهَا عَنْ بَيِّنَاتٍ عَلَيَّ وَهُوَ يُبْدِيهَا
وَهِيَ الْخَوَارِجُ فِيمَا بَعْدَ قَدْ خَرَجَتْ عَلَى الَّذِي أَكْرَهْتُهُ أَنْ يُهَايِبَهَا

الشغب في جيش أمير المؤمنين

وَيَسْتَمِمْ عَنَّا كَانَتْ تَعَارِضُهُ وَكَانَ فِي حِلْيَةِ السَّامِيِّ يُرَاضِيهَا
كَانَتْ طَلَانِعُهُ تَقَى أَعَادِيَهُ وَبِالْخَسَائِرِ وَالْأَرْزَاءِ تُنْمِنِيهَا

اليهم وطلق يلاطهم ويملقهم في مثل قوله « ويحكم » أنا أول من دعا إلى كتاب الله ، وأول من
أجاب إليه ، وليس يحمل لي ولا يعني في ديني ، أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله ، أفي إمام
قاتلهم ليدنوا بحكم القرآن ، فأنهم قد صعدوا الله فيها أسرهم ، وقصصوا عهده ، ونبذوا كتابه ،
ولكنني قد اعلمتكم أنهم قد كادوكم ، وأنهم ليس الممل بالقرآن يريدون « على أن هؤلاء أسروا
على طلبهم وما كانت هذه الكلمات وامتلأوا من في الحفرة المقدسة الحيدرية لتنتهي عن طلبهم فآخذوا
بمجادورته مصرين على أجابة أهل الشام وترك الحسام وتحكيم القرآن

(١) عند ما خرج سيدنا أمير المؤمنين للقاء أولئك الألوف المؤلفة الطالبة اجابة أهل
الشام إلى ما يطلبوه من تحكيم القرآن خرج الاشتراطة من أبطال العراق قاصدا نحو الحرب على
شغار السيوف متقدما أن أهل الشام خلعت عزائمهم فلا يلبثون أن يسلموا إليه ويدنواهم إلى أمير
المؤمنين على أنه ما كاد يدنو من أصحاب معاوية إلا وتيمه بعض أصحابه بئنه بأن طالبي الصلح
والنزول على ما عرضه أهل الشام من تحكيم القرآن قد استفعل أسرهم حتى أنهم يهددون سيدنا
أمير المؤمنين بالقتل وأنه عليه صلوات الله قد رجب هم صدره كثيرا وتلطف بهم جمده وتر ملهم
من مواظبه الشيء الكثير وما رعووا الحقول واسترجع وتردد في أسر هجومه وبينما هو في تردده
جاءه يزيد بن هاني من قبل أمير المؤمنين يدعو إليه فلما انتهى إليه أخبره بحجج موقف سيدنا علي
مع الناس وأنه يدعو إلى الرجوع فقال الاشتراطة لأمير المؤمنين قل له : ليس هذه الساعفة التي
يبني لك أن تربطني عن موطني التي قد رجوت الفتح فلا تمطني فرجع يزيد إلى أمير المؤمنين وأخبره
بقول الاشتراطة فلما علمه الناس إردادوا هرجا ومرجا وقالوا يا علي وأهله ما تروك إلا أسرته بالقتال قال
أرايتوني ناحيت رسولنا سرا ؟ أما كنته علانية ؟ أما مكتم واسم تسعون ؟ قالوا فثبت إليه فليأتك واللا
قواته اعتزلتكم وقتلتكم فقال أمير المؤمنين ويحك يا يزيد اسرع إلى الاشتراطة قل له ان يقبل إلى فإن
الفتنة قد وقتت فسرع يزيد إلى الاشتراطة فها هو قد عمل السيف برقب أهل الشام ولاحت الظلمة لرجال
أمير المؤمنين فخيرهم بصر المرتضى وأبوه نبأ الفتنة فقال الاشتراطة أرفع المصالح فارت قتلهم ؟ قال
يزيد نعم قل للاشتراطة أما والله لقد ضللت أنا حيا رقت ستوق خلافا وفرقة بين رجالنا أنها مشورة
ابن الناجية ثم قل لابن هاني ويحك ألا ترى إلى الفتنة ؟ ألا ترى إلى ما يلقي أعداؤنا ؟ ألا ترى
إلى ما يصنع الله لما ؟ أليست لي نذع هذا ونصرف عنه ؟ فقال له يزيد أحب إليك بطرقت هنا

يَقُودُهَا الْأَشْتَرُ أَتَفَارِغِي الْمَقْبُ بِالسَّكَنِ الْفَرِاقِي التَّغْلِبِ بِمُشَبِّهَا
وَلَوْ ذَرَرَى ذَا بِالْخَفَاءِ الْخَوَارِجِ مَعَ تَشْدِيدِهَا عَادَ يَنْبَغِي أَنْ يَرُضِيَهَا
بِهَا لَقَدْ صَاحَ : يَا أَهْلَ الْمَدْلَةِ وَالْأُمِّ هَانِ يَا مَنْ أَبَتْ إِلَّا تَوَاجُحَهَا
أَمْذُ عَلَتْ رَايَةُ النَّصْرِ إِلَّا كَيْدَ عَلَى صَحْبِ الْوَصِيِّ وَهَابِ الْقَهْرِ عَادِيَهَا

وان أمير المؤمنين بمكانه الذي هو فيه يفرج عنه ويسلم إلى عدوه ؟ قل الاشترا سبحانه الله ، لا والله ، لا أحب ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله . وثني عثمان جواده وعاد إدراجة قتيبه اسماءه وكلهم آخون على فوت النصر الذي لاحت لآعينهم بشأته وكاد يتم لهم وعند ما بلغ الاشترا موقف أمير المؤمنين وجده بين الناس على مثل ما حدثه يزيد بن هانيه وهم يتهددونه بالاعتزال عنه وقتله أيضاً فصاح بهم والنض أخذ منه مأخذه « يا أهل القل والوهن ، أحيين علوتكم القوم ، وظنوا انكم لهم قاهرون ، وفخوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها ، وتركوا سنة من أنزلت عليه ، فلا تحييوم ، املوني فوفاً ، فاني قد أحسست بالفتح » . فاجابوه بلسان واحد لا تمهلك كلاً لا تمهلك . قال قاهلوني عدو القوم ، فاني قد طمعت بالنصر . قالوا اذن ندخل معك في خطيتك . فازداد كرب الاشترا وغيظه وقال حدوثي عنكم ، وقد قتل امانتكم ، وبقي لراذلكم ، متى كنتم محققي ؟ احيين كنتم تقتلون أهل الشام ؟ فأنتم الآن حين امسكنم عن قتالهم بطلون . أم انتم الآن في امساكنم عن القتال محقون ؟ قتلاك اذن القين لا تنكرون قضاهم ، وانهم خيبر منكم في البراءة ، قالوا دعنا منك يا اشترا فاننا هم في الله ، وندع قاهلهم في الله ، انا لسنا نطمعك فاحتبنا . فقال خدمهم والله فتخدمهم ، وودعهم إلى وضع الحرب فأجبتهم ، يا اصحاب الجباه السود ، كنا نظن صلاحكم زهادة في الدنيا ، وشوقاً إلى لقاء الله ، فلا أرى فراركم الا إلى الدنيا من الموت ، ألا فقبضاً لكم يا أشباه الرجال ، ما أنتم برأيين بعدها عزاً أبداً ، فابعدوا كما يبعد القوم الطالون . وكان القوم والأشترا يخاطبهم بهذه الكلمات وهم قاطعونه ويصرفون له ويمتنونه ثم سبوه وسبهم وضربوا بسياطهم وجه دابته

واذ رأى سيدنا أمير المؤمنين ان الخطب قد استفتح صاح ولئلا تفكفروا وقال الاشترا : يا أمير المؤمنين اهل الصف على الصف قصرع القوم . فمأخ الناس قائمين إلى أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ورضي بحكم القرآن . فقال الاشترا ان كان أمير المؤمنين قد قبل ورضي فقد رضى به أمير المؤمنين . فصاح الناس بجله أصواتهم : قد رضي أمير المؤمنين ، قد قبل أمير المؤمنين كل هذا جرى وسيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله ساسك واجم مطرق إلى الأرض لا يلبث يبت شقة ثم وضع رأسه الشريف وأرسل قفزة إلى الناس أمأبت بهم فسكوا فقال « ايها الناس : ان أسري لم يزل معكم على ما أحب » ، إلى ان أخذت منكاه الحرب ، وقد والله أخذت منكم وتركتم ، وأخذت من عدوكم فلم تترك ، وابها فيسه أرى وابهاك إلا اني كنت أؤس أمير المؤمنين ، فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت ناهياً ، فأصبحت نهي ، وقد اجبت البقاء ، وليس لي أن أحللكم على ما تكرهون » وما انتهى سيدنا أمير المؤمنين من خطابه الفموس الدال على الآلام التي تنمر بها نفسه الطاهرة من فرقة الناس واختلافهم . ألا وعد الناس إلى الجدل بين موافق على التكلم وقائل باستئناف القتال والمخرج أخذ أخاه منهم حتى مات جمع كلهم من استجبل

وَقَدْ تَلَجَّتْ أَعَادِيكُمْ إِلَى نُسْخِ الْقُرْآنِ حَاسِبَةً فِيهَا مَنَاجِيهَا
وَقَدْ دَعَتْكُمْ لآيَاتِ مُطَهَّرَةٍ وَاللَّهُ لَمْ تَنْحُ فِي يَوْمٍ نَوَاجِيهَا
خُدْعَتُمْ يَا لَدِي قَالَتْ وَخَدَعَهَا قِيلَتْ لَهَا كَمَا يَهْوَى مُعَاوِيَهَا
وَاللَّهُ قَدْ تَرَكْتُ أَيْ الْكِتَابِ وَسُئِلَ النَّبِيُّ فَكَلَّا لَا تُلَاحِظُهَا

« زجة الاشت »

هو مالك بن الحارث بن عبد يثوث بن مسلمة بن ربيعة بن خزاعة بن سعد بن مالك بن النضر
بن عمرو بن علة بن خديج بن مالك بن أدد . أدرك الاسلام على عهد المصطفى فأسلم وحسن اسلامه
وأخلص لرسول الله فكسب رضاه وحمته وفي الحديث انهم ذكروا الاشت امام المصطفى يوماً فقال
« انك المؤمن » مشيراً بذلك الى قوته لجمانه وصحة عقيدته

وكان الاشت أشهر أنصار سيدنا علي وأعوانه والقائلين بخلافته منذ وفاة المصطفى حتى قالوا
انه كان لا يرى شرعية الخلافة لغير سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله . ولذلك يحملونه أقدم
وأعظم المنتسبين وأفضل من دافع عن حقوق وصي النبي الامين

وكان الاشت في المسلمين الذين فتحوا العراق وفارس فأقام في الكوفة وبقي بها وكان هناك
في مدة عثمان وكان مجاهداً بداوة عثمان والنفقة على عماله الامويين . واتفق في أواخر أيام عثمان
ان الوليد بن عتبة عمله على الكوفة كان يجبر بشرط الحر واتبان المهرمات فكانت أعماله هذه به
شكوى الكوفيين من عثمان فأخذوا يكتبون له عن أحوال حامله ويطلبون منه زله وكان الاشت
زعم هؤلاء الشاكين ولم يروه من بدأ من لورائهم يزلوه وولي بدله سيد بن العاص فلما قدم هذا
الكوفة رأى من حسن السياسة أن يتألف من في تلك المدينة من العرب لجل يكثر من دعوتهم
الى مجاله ومسامرتهم والعمل على اكتساب قلوبهم وهم لا يفتكون نافرين غير راضين مما يجري في
الخلافه وفي ذات ليلة يوماً كان وجهه قريش في الكوفة يسرون في دار الامارة عند سيد بن العاص
فل هذا ان سواد العراق يستأن لتريش طامه ولبي أمية خاصة فنضب الاشت لقوله وقال أنزعهم ان
السواد الذي أفاءه الله على المسلمين بأسياقتنا يستأن لك ولقومك ؟ ولم يكذبهم كلامه حتى انهم
صاحب الشرطة قلاً وبك يا اشت أترد عن الامير مقالته ؟ وأغلظ له في الكلام فأزداد الاشت
غضباً ومال الى من كان حوله من النضر وغيرهم من أشرف العرب المقيمين في الكوفة وقال ألا
تسمعون ؟ فأخذتهم نفخة العرب وروثوا على صاحب الشرطة بحضرة سيد ووطئوه بأرطهم وطأاً خفيفاً
وحروهم من رجله فنضب سيد من هذه الموقعة وامتنع عن مسامرتهم وزادوا هم كراهة لثمان
وعمله وطفوا يجهرون بينهم واتشيع أعينهم حتى استفحل أمرهم فأرسل سيد يشكوكهم الى
شعثون فكذب هذا اليه . سره بإداعهم الى الشاء فلما انتهى الى سيد بن العاص أمر عثمان استدعي
اليه الاشت ومنك من كعب الارحبي والأسود بن يزيد النخعي وعطمة بن تيس النخعي وصمصمة
بن صوحان البجلي ومن تحم نخوهم مداوة عثمان من العرب التارلين في الكوفة فلما اجتمعوا اليه
قل لهم « انكم قوة من العرب ، ذوو اسناد (أي شيوخ) وأئمة ، وقد أدركتم بالاسلام
شرافاً ، وغلبت الامم وجنيت مؤثرهم ، وقد فني انكم ذمتم قريشاً ، وتقمتم على الولاة فيها ،
ولولا قريش لكنتم أنله ، ان اتمتكم جيشكم ، ان اتمتكم ليسيروا لكم على الجور ،

يَا صَحْبَنَا أَمْسِلُوا فِي قَدِّ شَعَرَتِ بَقَرٍ بِ النَّصْرِ أَعْدَاؤُكُمْ حَاقَتْ مَخَازِينُهَا
وَكَانَ أَشْتَرْنَا يَتَلَوُ مَقَالَتَهُ وَالنَّاسُ يَصْخَبُ دَانِيَهَا وَقَاصِيَهَا
وَمَا لِمَا قَاطَعَتْهُ غَيْرَ رَاضِيَةٍ عَنْهَا تُصَفِّرُ تَصْفِيرًا لِنَا لِيَهَا

ويحثلون فيكم الشاب ، والله لتنتن أو ليتبينكم الله من يسومكم الحنف ، ولا يحلحكم على الصبر ،
ثم تكونون شركاءهم فيما حرم على الرية في حياتكم ، وبعد وفاتكم ، ليجوه وردوا قوله
وأغلظوا له وهو يحاول أن يحلمهم على الخضوع فيأبون فلم ير ألا أن ينفذ أمر عثمان فتفاهم إلى الشام
ولما بلغ الاشتراك أصحابه الشام أكرم معاوية متواهم وتلطف بهم وأعقد عليهم الخير وهو
يريد أن يتألفهم فما أظيع وظلوا يشنون بشأن وعمله في مجاله وبين الناس حتى أعجزه أمرهم
فكتب إلى عثمان يستأذنه لبراجهم إلى الكوفة حتى لا يغدوا عليه أهل الشام فأذن له بذلك
فأرسلهم بطريق حمص وكتب إلى طاهلها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أن يوقعهم عنده ويشدد
عليهم فاستقبلهم عبد الرحمن بوجوه طيب وقال لهم « يا بني الشيطان ، لا سرجاً بكم ، ولا أهلاً ،
قد رجح الشيطان محسوراً ، وأثم يد في بساط ضلالكم وغيكم ، حذى الله عبد الرحمن (ويريد
نفسه) أن لم يؤذكم يا معشر من لأدري أعربهم أم عجم ؟ أتراكم تقولون لي ما قلتم لمعاوية ؟ أنا
ابن خالد بن الوليد ، أنا ابن من عجمته الماجات ، أنا ابن فقي عين الردة ، والله يا لأشتر ويا ابن
صوحان ويا جيمكم ، لا لأمرين بكم طيرة بيده المهوى ، أن يلقي عنكم ما أكره ، وبعد هذا أمر
أل يقيموا في دابر وأن يجري عليهم رزقهم بالتبذير وكان كلما ركب أشتام في ركابه أذلاً ، فغيبوا
شدته وسبروا على أذاه وطفقوا يطهرون له التوبة قصدتهم وكتب إلى عثمان يستأذنه لبراجهم إلى الكوفة
وأنه كسح جامهم وأكرهم على الطاعة فطاعوا . فأذن عثمان بروجهم فرجوا إليها وكان أول عمل
أنوه فيها أن ساروا بأهل الكوفة إلى المدينة يطلبون خلع واشتروا فلا يحصلوه فقتله على عامر
بنا في حادثة سابقة

وكان الاشتراك أول المناذير بعد مقتل عثمان بخلافة سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله
وأقرب القرين إليه وكان الأمير يستمد عليه وثق بخلاصه ويستشير بهما الخلافة ويحترمه غاية
الاحترام . وحدث أن سيدنا علي ولّى على الحجاز واليمن والرقاق بني أبناء عمه العباس فقال
الاشتراك علناً في أحد مجاله « ما عني قد استعمل أبناء عمه على عمالات المسلمين فلماذا قتلنا الشيخ
(ويريد عثمان) بالاسم ؟ » فلغز قوله هذا ما سمع الحضرة الثالثة الحيدرية فاستبدها إليه وقال
له : « بلغني يا مالك أنك قلت كيت وكيت ولك الحق والله فيما قلت ولكن هل وليت حسناً أو
حسيناً أو أحداً من أولاد أخي جعفر أو أخي عقيلاً أو أحد أولاده عملاً من أعمال المسلمين ؟
اللهم لا . وإنما وليت أولاد عمي العباس لأنني سمعت عمي العباس رحمه الله يطلب من رسول الله صلى
الله عليه وسلم الأمانة مراراً فقال له « يا عم إن الأمانة إن طليتها وكتلت إليها وإن طليتها أعنت
عليها » وقد رأيت بنيه في أيام عمر وعثمان يجنون في أنفسهم وإن ولي غيرهم من أبناء الطلقاء ولم
يولّى أحد منهم فأجبت أن أصل رحمهم وأزيل ما كان في أنفسهم . وبعد أن علمت أحداً من أبناء
الطفقاء هو خير منهم وفتني به « فلما سمع الاشتراك اعتذار أمير المؤمنين عنده على عمله واعتذر عما
قال فقال أمير المؤمنين : لا تستنر فن النصيحة إخلاص في الصداقة . ومن هذه القصة يتضح لنا
ما كان عليه الاشتراك من الاخلاص والصراحة في قوله وعمله

حَتَّى إِذَا مَا أَنْتَهَى مِنْ سَرِّهِ هَا بَدَرْتَهُ بِالْأَصْرَاحِ وَهَجَرُ الْقَوْلِ فِي فِئْمَا
قَالَتْ: فَلَا تَهْمَلْ تَخْطِي خَطِيئَتَكَ الْكُبْرَى بِهَا فَلْيَخَفْ بَارِيَهُ مُخْطِئَهَا
فَاغْتَاظَ مَا لَكَ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ وَأَتَسَلَّى صَحْبَهُ الْقَوْلَ تَأْنِيْبًا وَتَأْنِيْهَا

والاشتر هو الذي أشار على سيدنا علي عليه صلوات الله بالبقاء على أبي موسى الاشعري
في اماره الكوفة عند بيعته وقبل الامام مشورته لنته به ولعلمه انه أخبر الناس بأهل الكوفة
فلما حل أمير المؤمنين الربذة عند ماسار الحرب الجبل وارسل يستعمر بأهل الكوفة واطهر
ابو موسى التراخي في نصرته على ما تقدم القول في حاشية سبقت نادى سيدنا علي الاشتر وقال له
صاحباً هذا صاحبك الذي اثرت ان نقيه على الكوفة فغضب الاشتر وسار على القور الى الكوفة
وعزل أبا موسى وجاء عفاة الكوفة لحرب الجبل على ما رأينا

وقد أبل الاشتر في حرب الجبل اعظم بلاء ومن موافقه انه بلز عبد الله بن الزبير وكلاما
على ظهر جواده وتماما متصارعين ولونما الى الارض فكان الاشتر فوق عبد الله بن الزبير الجبل
عبد الله يصرخ من تحت

اقولني ومالكاً واقولوا مالكاً
ولشدة اختلاط الناس ونوران النقع ما فهم اصحاب الجبل قوله ولو قال اقولوني والاشتر لتقولوا
وقتلهم ما على ان عبد الله بن الزبير قلت بعد جهاد كثير من تحت الاشترا ان هذا كعادته كان يخرج
الى الحرب بعد ان يمتنع عن الاكل ثلاثة ايام
وبعد نهاية وقعة الجبل زار الاشتر عائشة فقالت له يمالك أنت الذي صنعت يا بن اختي ما صنعت ؟
قال نعم ولولا اني كنت طارئة ثلاثة ايام لارحت امة محمد منه . فقالت أما علمت أن رسول الله قال
« لا يجهل دم المسلم الا بعدى امور ثلاث : كفر بعد ايمان أو زنى بعد احسان أو قتل نفس بغير
حق؟؟؟ » فقال الاشتر على بعض هذه الثلاثة فالتناه يا أم المؤمنين وأيم الله ما خاني سبي قبلها ولقد أقسمت
ان لا يبخونني بعدها ثم قال على البداة

أطيش لولا انني كنت مأوياً	ثلاثاً لا فئت ابن اختك هالكاً
غداة بنسادي والرحال تموزة	باضف صوتي اقولوني ومالكاً
فلم يرفوه اذ دعاهم وعمه	خدب عليه في العجاجة باركا
فجاء مني اكله وشبابه	واني شيخ لم اسكن متاسكا
وقالت على أي الخصال صرته	بقتل أي أم ردق لا أبالكاً
أم الحصن الزاني الذي حل قتل	فقلت لها لا بد من بعض ذلكا

فقطبت عائشة وجهها وقالت لحد الله الذي اتقد عبد الله لاساءه واني عند ما سمعت انه خرج
لبارزتك صحت « واتكل لاساءه »

وقد رأينا كيف كان الاشتر من اعظم القواد الذين محموا سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله
الى صفين واشرنا الى بعض موافقه النظمة فيها ويقول ان سيدنا أمير المؤمنين بعد أن رجع الى
الكوفة وكان ما كان من امر التحكيم على ما سمر بنا أناط بالاشتر عمالة الجزائر فكان مقامه في
« نصيبين » وارسل محمد بن أبي بكر أميراً على مصر فلم يقو محمد على حكم البلاد لكثرة الناس
التي كان يسما معاوية وعمر بن العاص له ففرس يشكو امره الى سيدنا علي فما رأى عليه صلوات

وَقَالَ أَنْجَابُكُمْ مَاتَتْ وَوَأَسَفًا هُ أَيُّ خَيْرٍ لِرَجْسِي مِنْ بَوَاقِيهَا
يَا وَيْحَكُمْ أَخْبِرُونِي عَنْ مَوَاقِفِكُمْ مَتَى بَعَثْتُمْ كُنْتُمْ مُحِبِّينَهَا
أَأَمْسِرُ كُنْتُمْ عَلَى حَقٍّ بِقِتْلَةِ أَهْلِ الشَّامِ وَأَلْيَوْمَ مَاعَدْتُمْ مُحِبِّينَهَا

الله لضبط حكم مصر الا الاشرع عامله على الجزيرة فكتب اليه يقول « اما بعد ، فانك بمن استظهر
به على اقامة الدين ، واقع به نخوة الائمة ، وأيدته به انشور الخوف ، وقد كنت وليت محمداً بن
أبي بكر مصر ، فخرجت عليه خولج وهو غلام حدث السن ، ليس بندي تجربة للحروب ، فأقدم
عليّ لنظر فيها يبقني ، واستظف على عمك أهل الثقة والنصيحة من اصحابك والسلام » فلما وصل
هذا الكتاب الى يد الاشرع اسرع الى الكوفة وتباحث ملياً في أمر مصر ومطامع عمرو بن العاص
ومعاوية فيها وقرّر رأياهما على أن يخرج الاشرع الى مصر وهكذا سار متوجهاً اليها

وكان لماوية في الشام الميون والارصاد في الكوفة فيادروه بنياً تمين الاشرع لصر وخرجه
اليها فظم ذلك عليه ودعا واحداً من اهوانه وكان من موالي آل عمر وطلب منه أن يستعمل دهائه
في اغتيال الاشرع بحيلة فسار الرجل الى المياه التي كان يقصدها المسافرين من العراق الى مصر على
البحر الاحمر لانهم كانوا يقصدون مصر برأ واقام فيها الى ان وصل الاشرع فقترب منه بما ذكره له
من فضل سيدنا علي وبني هاشم وذم الامويين حتى وثق به واطمان اليه فاحمال ان دس له
السهم في شرايه فأت ذلك في اليوم الثالث لوصوله الى انيناه التي كان يقصدها مصر على السفن
ثم اغتفى الرجل ظم يستر عليه اصحاب الاشرع

وكانت وفاة الاشرع سنة ٣٩ للهجرة ولما بلغ سيدنا علي عليه أكبر انصاب فيه وجزع عليه
وقال « انا لله وانا اليه راجعون » واجدته رب العالمين ، اللهم اني احسبه عندك فان موته من
مصائب الدهر » قل هذا وبكى ثم قل « رحم الله مالكا » فتدفق بدمعه ، وتقى نحوه ، ولقي
ربه ، وقد ولنا اقتسنا أن نصبر على كل مصيقر ، بدمعنا برسول الله ، نبي اعظم المصليات اه
وعلى ذكر الاشرع هذا يخلق لنا ان نشر عهد سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله اليه
عندما ولاد مصر وفي هذا العهد من ضروب السياسة وفتون الحكمة في سياسة الرعية ما يخلق به
ان يكتب على الواح بماء الذهب ويعلق على حدران دور الحكماء ليتأدبوا بأدبه ويسلوا به لتعمد
الرعية وتثمر البلاد وهو وحده يشهد لسيدنا أمير المؤمنين بأنه افضل من حكم الناس وغير من جاء
لحكم بالفسطاط واحكم من سطر السياسة الحكيمية على صفحات القمص وهاك العهد

العهد العلوي العظيم

(وهو افضل ما كتب في سياسة الرعية على الخطط الديموقراطية)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به أمير المؤمنين عبد الله عني بن أبي طالب ، مكث بن اخاوت الاشرع النخعي ،
في عهده اليه ، حين ولاد مصر ، بجاية خراجه ، وجاهد عدوها ، واستصلاح أهلها ، وعمر بلادها
أمر بتقوى الله وإيثار طاعته ، وتبج ما أمر به في كتابه من فرائضه وسنته ، التي لا

قَالُوا : قَبِيَّ اللَّهُ عَادَيْنَا لَلشَّامِ وَنَحْسُنُ الْآنَ فِي اللَّهِ صَوَّالُودٍ نَصْفِيهَا
لَسْنَا نَطِيعُكَ دَعْنَا مِنْكَ وَآجَتَيْنِ جَمَاعَةً لَسْتُ أَهْلًا أَنْ تَدَانِيهَا
فَأَشَدَّ غَيْظُ قَبِيَّ الْأَهْنِجَاءِ وَهُوَ يَرَا هَا تَرَفُّضُ الْنَصْرَةِ الْغَطْيِ وَتَقْصِيهَا

يسمى أحد الألبان بها ، ولا يثنى إلا مع جلودها وإضاعتها ، وأن ينصر الله سبحانه قلبه ويده
ولسانه ، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره ، واعتزل من أعزّه .

وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات ، ويزعم عند الجحانات ، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله .
ثم أعلم يا مالك : اني قد وجهت لك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل و جور ،
وإن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون قبلك
ما كنت تقول فيهم ، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عياده ، فليكن أحب
الخلق إليك ذخيرة العمل الصالح ، فمالك هو لك ، وشع بنفك ، على ما لا يحمل لك ، فإن الشخ
بالنفس الانصاف منها فيما أحببت أو كرهت ، واشعر قبلك الرحمة للربة والحببة لهم والالطف بهم ،
ولا تكونن عليهم سباً ضاراً تنتم أكلهم ، فانهم صنفان : إما أخ لك في الدين ، أو نظير لك في
الخلق ، يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم الملل ، ويؤتى على أيديهم في الممد والخطأ ، فأعطيهم من
هفوك ومضغك ، مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه ومغفحه ، فأتك فقومه ، ووالي الاسر
عليك فوقك ، والله فوق من ولائك ، وقد استكفأك أسمرهم ، وابتلاك بهم .

ولا تنصبن نفسك لحرب الله ، فإنه لا يدي لك بنقته ، ولا غنى لك من عفوه ورحمته ،
ولا تنصبن على عقوبه ، ولا تبصن بمقوقه ، ولا تسرعن إلى بادق وجبت منها متدوحة ، ولا تقول
اني مؤمر أسر فأطاع ، فإن ذلك ادغال في القلب ، ومتهكة للدين ، وتقرّب من القبر ، وإذا
أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أوبة أو محيلة ، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك ، وقدرته
منك ، على ما لا تقدر عليه من نفسك ، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك ، ويكشف عنك من
غربك ، وفيه إليك بما غرب عنك من عقلك .

إياك وساماة الله في عظمته ، والتشبه في جبروته ، فإن الله بذل كل جبار ، وبه كل مختال .
أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك ، ومن لك فيه هوى من
وعيتك ، فإنك ألا تمل تنظر ، ومن ظم عباد الله كان الله خصمه دول عبادته ، ومن خاصه الله
أدعنى حجة ، وكان الله حرباً له حتى يترع ويتوب ، وليس شيء لا أدعى إلى تغيير نعمة الله ، وتبجيل
نقته ، من إقامة على ظلم ، فإن الله سميع دعوة المضطهدين ، وهو المظالمين بالمرصاد .

وليكن أحب الأمور إليك ، أو سعادتها في الحق ، وأعماها في العدل ، وإجمها لرضي الرعية ،
فإن سخط العامة ، يحجب برضى الخاصة ، وإن سخط الخاصة يمتنع مع رضى العامة ، وليس
أحد من الرعية يميل على الوالي مؤونة في الرخاء ، وأقل مؤونة له في البلاء ، وأكره للانصاف ،
وأسأل بالاحناف ، وأقل شكراً عند الاعطاء ، وأبطأ عنراً عند المنع ، وأضعف صبراً عند
الدهر ، من أهل الخاصة ، وإنما عماد الدين هو جوع المسلمين ، والعدنة للاعداء ، والامانة من الامنة ،
فيكن صفوك لهم ، وميلك معهم .

وليكن أهد رعيتك منك ، واشتوهم عندك ، أطلقهم لمأب الناس ، فإن في الناس عيوباً

وَأَكْثَرَ أَلْوَمٍ وَأَتَعْنِيفٍ وَأَخْتَدَمَ السَّجْدَ كُلَّ مَن تَلَا حِي مَن يَلَا حِيهَا
وَأَوْفَيْتَ فَنَّةً شَعَوَاهُ وَالْتَهَبْتَ نِيرَانَهَا وَعَلَيْ هَمَّ يُطْفِئُهَا
فَصَاحَ بِأَقْوَمٍ لَا تَعْبُوا فُؤُوسَكُمْ أَهْوَاهَا حَسْبُهَا مُؤَذِّي تَلَا حِيهَا

الوالي ألقى مَن سترها ، فلا تكسفن عَمَّا غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله
يحكم على ما غاب عنك ، فاستر المودة ما استطعت ، يستر الله منك ما تحب ستر من رعيته .
أطلق عن الناس عقدة كلِّ حقد ، واقطع عنك سبب كلِّ وتر ، وقاب عن كلِّ ما لا يصح
لك ، ولا تعجلن إلى تصديق ساع ، فإن الساعي غاشي وإن تشبه بالناسمين .
ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يدل بك عن الفضل ، ويصدك الفقر ، ولا جباناً يصدك
عن الأمور ، ولا حريصاً يرين لك الشره بالجور ، فإن البخل والجبن والحرس غرائز شتى يجبها
سوء الظن بالله .

إن شرَّ وزرائك من كان للاسترار قبلك وزيراً ، ومن شرهم في الآثام فلا يكون فك
بطانة ، فإنهم لعوان الائمة ، وانحوا الظلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلف ، ممن لم يملأ أرائهم
وقاذمهم ، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ، ممن لم يمان ظاناً على مله ، ولا أتماع على اعمه ،
أولئك أخف عليك مسؤولية ، وأحسن لك مودة ، وأخفى عليك علة ، وأقل لتريك الف ، فاعتد
أولئك خاصة لخبرتك وخلافتك ، ثم ليكن آخرهم عندك ، أقولهم بحر الحق لك ، وأقلهم مساعدة
فما يكون منك ، مما كره الله لأوليائه ، واقفاً ذلك من هواك حيث وتم .
والصق بأهل الورع والصدق ، ثم رضهم على أن لا يطروك ولا ينجحوك بياض لم تعله ،
فإن كثرة الاطراء تحذل الرهو ، وتدني من العزّة .

ولا يكون الحسن والمسي عندك بمنزلة سواء ، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الاحسان في الاحسان ،
وتنديباً لأهل الاساءة ، والزم كلاً منهم ما ألزم نفسه ، واعلم أنه ليس شيء يدعي إلى حسن من
راع رعيته ، من احسانه اليهم ، وتخفيفه المؤات عليهم ، وترك استكراهه إياهم ، على ما ليس قبلهم ، فليكن
منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيته ، وذو حسن الظن يقطع عنك نهب ضلوا ، وإن
أحق من حسن ظنك به ، لمن حسن بلاؤه عنده ، وإن من ساء عنك به من ساء بلاؤه عنده .
ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة ، واجتمعت بها الائمة ، وصنحت عليها
الرعية ، ولا تحذثن سنة تقهر بشيء من منفي تلك السنة ، فيكون الأجر لمن سنها ، وأوزر
عليك بما قصت منها . وأكثر مدارسة العلماء ، ومناقشة الحكماء ، في تثبيت ما صلح فيه أمر
بلدك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلك .

واعلم أن الرعية طبقات ، لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى ببعض ، عن بعض ، فبها
يجود الله ، ومنها كسب البامة والخاصة ، ومنها قضاء العدل . ومب عمل الانصاف والرفق ،
ومنها أهل الجزية والخراج من أهل اللمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة
السفلى من ذوي الحاجة والمكسنة ، وكل قد سمي الله سهمه ووضع على حده قرضه في كتبه وأوسنة
فيه صلى الله عليه وآله ، عهداً منه هداً عفوفاً .

فليجود بأذن الله حصون الرعية ، وزين لولاه ، عز الدين وسبل الامن ، وليس تقوى الرعية
الا بهم ، ثم لا قواء للوجود الا بما يجرح الله لهم من اخراج الذي يتوون به في جهاد عدوهم ،

قَالَ مَالِكُ : بَادِرٌ بِالصُّوفِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْأَعْدَا لِرُؤْيِيهَا
فَصَاحِبًا لِلنَّاسِ رَاضِيًا لِرُتْقَى حُكْمِهِمْ كِتَابُ اللَّهِ أَلْتَرَى قَاضِيَهَا
ثُمَّ تَوَالِي صِيَاحُ النَّاسِ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرْتَضَاهَا لَا تُؤْتِيهَا

وَيَسْتَدُونَ عَلَيْهِ فَمَا يَصْلَحُهُ ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ ، ثُمَّ لَا قَوْمَ لِهَذَيْنِ الصَّنِيعَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّالِثِ
مِنَ الْقَضَاءِ وَالْعَمَالِ وَالْكَتَابِ ، لَا يَحْكُمُونَ الْعَاقِدَ ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ ، وَيُؤْتَمِنُونَ عَلَيْهِ مِنْ
خَوَاسِ الْأُمُورِ وَعَوَامِهَا ، وَلَا قَوْمَ لَهُمْ جَيْبًا إِلَّا بِالْتِّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ ، فَمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ
سَرَائِقِهِمْ ، وَيَقْبِضُونَهُ مِنْ أَسْوَأِهِمْ ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفِقِ بِأَيْدِيهِمْ ، مَا لَا يُلْفِزُهُمْ غَيْرُهُمْ ، ثُمَّ الطَّبَقَةُ
السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ الَّذِينَ يَحْتَزُّونَ رِفْدَهُمْ وَمَوْنَهُمْ ، وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبِيلٌ ، وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي
حَقٌّ قَبْلَ مَا يَصْلَحُهُ ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَوْمَرَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ، إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالِاسْتِثْنَاءِ
بِأَنَّهُ ، وَتَوَلَّى نَفْسَهُ عَلَى رُومٍ أَحَقَّ وَالصَّبْرُ عَلَيْهِ ، فَمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقَلَ ، فَوَلَّى مِنْ جُنُودِكَ ،
أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ وَلَا مَمْلَكَةٍ ، وَأَنْتَاهُمْ حَيًّا ، وَأَفْضَلُهُمْ حَلْمًا ، مِمَّنْ يَظْطَرُّ عَنْ النُّصْبِ ،
وَيَسْتَرْجِعُ إِلَى الْمَنْرِ ، وَيُرَافُ بِالضُّفَاءِ ، وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ ، وَمِمَّنْ لَا يَشِيرُهُ النُّفُوسُ ، وَلَا يَقْبِضُهُ الضُّعْفُ .
ثُمَّ الصَّقْبُ بِذَوِي الْأَحْسَابِ ، وَأَهْلُ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ ، ثُمَّ أَهْلُ النُّجْدَةِ
وَالشَّجَاعَةِ ، وَالسَّعَاءِ وَالسَّجَاعَةِ ، فَهُمْ جَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ ، وَشَكَبٌ مِنَ الْعَرَفِ ، ثُمَّ تَقْدَمُ مِنْ أُمُورِهِمْ
مَا يَتَقَدَّمُ الْوِلْدَانُ مِنَ الْوَدْعَاءِ ، وَلَا يَتَنَاقَضُ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ لَا قُوَّتَهُمْ بِهِ ، وَلَا يَحْتَرِقُ لُطْفًا تَهَانَتُهُمْ بِهِ
وَأَنْ قُلْ ، ذَهَبَ دَاعِيَهُمْ إِلَى الْبَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ ، وَحَسَنَ الظَّنِّ بِكَ ، وَلَا تَدْعُ تَقْدِيرَ طَلِيفِ أُمُورِهِمْ
إِتِّكِلًا عَلَى جَيْبِهَا ، فَإِنَّ لِي سِيرِمًا لَدُنْكَ مَوْضِعًا يَتَقَوَّنُ بِهِ ، وَلِلْجَيْبِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَنْتُونَ عَنْهُ .
وَلَيْكِنْ أَتَى رُوُوسُ حَنْدِكَ عِنْدَكَ مِنْ وَسَائِهِمْ فِي مَوْتِهِ ، وَأَفْضَلُ عَلَيْهِمْ مِنْ جَدِّهِ ، بِمَا يَسِيهِمْ
وَيَسِيحُ مِنْ وَرَائِهِمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْمَدُونِ ، فَإِنْ عَطَفْتَكَ عَلَيْهِمْ ،
يَعْصِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ .

وَأَنَّ أَفْضَلَ قَرَّةً عَيْنَ الْوَلَاةِ ، اسْتِثْمَاءُ الْمَدِينِ فِي الْبِلَادِ ، وَظُهُورُ مَوْدَعَةِ الرِّعْيَةِ ،
وَأَنَّهُ لَا تَطْهَرُ مَوْدَعَتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ ، وَلَا تَصِحُّ نَفْسُهُمْ إِلَّا بِحَيْثُمُ عَلَى وَلَاةِ أُمُورِهِمْ ،
وَقَدْ اسْتَمْتَلَ دَوْعُهُمْ ، وَتَرَكَ اسْتِثْمَاءَ انْقِطَاعِ مَدِينِهِمْ ، فَانْصَحْ فِي أَمَلِهِمْ ، وَوَاوِلْ فِي حَسَنِ التَّنَاقُصِ
عَلَيْهِمْ ، وَتَعَدَّدْ مَا أُبْلِيَ ذَوِي الْبِلَادِ مِنْهُمْ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحَسَنِ أَهْلِهِمْ تَهْزِيلُ الشَّجَاعِ ، وَتَحْرِضُ
النَّاسَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ مَا أُبْلِيَ ، وَلَا تُضَيِّقْ بِإِلَاءِ امْرِيٍّ إِلَى غَيْرِهِ ،
وَلَا تَقْصُرْ بِهِ دُونَ غِيَةِ بِلَادِهِ ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِيٍّ إِلَى أَنْ تَقْطَعَ مِنْ بِلَادِهِ مَا كَانَ مَشْرِعًا ،
وَلَا ضَمَّةَ امْرِيٍّ إِلَى أَنْ تَقْصُرَ مِنْ بِلَادِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا .

وَارْجِعْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يَضِلُّكَ مِنَ الْخُطُوبِ ، وَيَشْتَبِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى لِقَوْمِهِ أَحْسَنُ لَوْ شَاءُوا ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) وَأَوَّلِي الْأَمْرِ مَعَكُمْ ،
فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) فَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ ، الْآخِذَ بِحُكْمِ كِتَابِهِ ، وَالرَّادُّ إِلَى
الرَّسُولِ ، الْآخِذَ بِسُنَنِهِ لِمَا مَعَهُ عِبَرٌ لِمَنْ رَفَعَهُ .

ثُمَّ اخْتَرُ لِحُكْمِكَ بَيْنَ النَّاسِ ، أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ ، مِمَّنْ لَا تُضَيِّقُ بِهِ الْأُمُورَ ، وَلَا تَحْكُمُ
أَخْصَرَهُ ، وَلَا يَتَنَاقَضُ فِي الْوَلَاةِ ، وَلَا يَحْصُرُ مِنْ أَمْرِ إِلَى الْخُفَى إِذَا عَرَفَهُ ، وَلَا تَشْرَفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ ،

وَكَانَ حَيْدَرُهُ وَسَطَ الْمَشَاغِبِ فِي جَالٍ مِنَ الْهَمِّ هَالَتْ قَلْبَ رَائِبِهَا
قَلَمَ يَمُّهُ وَهُوَ سَاهٍ سَاكِتٌ يَتَرَى وَيُحْكُمُةً يُبْلِي الْمَكْرَ غَاثِهَا
حَتَّى إِذَا خَفَّتْ صَنِيعَاتُهَا نَهَضَ الْإِمَامُ مَامٌ يَنْخُطُّ فِيهَا وَهُوَ رَائِبِهَا

ولا يكفى بأذى فهم دون أفسادهم ، وأوتقهم في الشبهات ، وأخذهم بالحجج ، وأقلمهم تبرُّماً بمراجعة
الضمم ، وأصبرهم على تكشف الأمور ، وأصرهم عند اتضاح الحكم ، ممن لا يرد به أطرافهم ولا
يستميله اغترافاً ، وأولئك قليل ، ثم أكثر تماهد قضائه ، وأفسح له في البذل ما يزيل عنه ، وتقل
ممه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المترلة لديك ، ما لا يطعم فيه غيره من غاسقتك ، ليأمن بذلك
اغتيال الرجال له عندك ، فانظر في ذلك نظراً ألبناً ، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار ،
يسمل فيه بالهوى ، وتطلب به الدنيا .

ثم انظر في أمور عمالك ، فاستملهم اختياراً ، ولا تولهم محابةً واردة ، ففهم جاع من شرب
الجور والحياة ، وتوخ منهم أهل التجربة والحياة ، من أهل البيوتات الصالحة ، والقدم في
الاسلام المتقدمة ، فانهم أكرم أخلاقاً ، وأصح أعرافاً ، وأقل في المطامع إشراقاً ، وأبلغ في
عواقب الأمور نظراً ، ثم أسبغ عليهم الارزاق ، فان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى
لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجة عليهم ان خالفوا أمرك ، أو تلبوا أمرك ، ثم تقدر أعمالهم ،
وابت البيوت من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فان تماهدك في السر لأمورهم ، حدوة لهم على
استعمال الامانة ، والرفق بالبيعة ، ونحفظ من الاعواز ، فان أحد منهم يسد يده إلى خيانة ، اجتمعت
بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطت عليه العقوبة في بدته ، وأخذته بما
أصاب من عمله ، ثم نصبت بمقام المنلة ، ووسمته بالخيانة ، وتلدته عار التهمة .

وتقدر أمر الخراج بما يصلح أهله ، فان في صلاحه صلاحاً لهم صلاحاً لمن سواه ، ولا صلاح
لمن سواه الا بهم ، لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهله ، وليكن نظرك في عمارة الارض ،
أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لان ذلك لا يبرك الا بالمادة ، ومن جلب أخراج يغير
عمارة أخرج البلاد ، وأهلك البعاد ، ولم يستقم أمره الا قليلاً ، فان شكوا نقلاً أو علة ، أو
اقتطاع شرب أو بالة ، أو إحالة أرض اعتسرها غرق ، أو اجحف بها عيش ، خفت عنهم بما ترجو
أن يصلح به أمرهم ، ولا يثقلن عليك شيء لا خفت به أنفة عنهم ، فانه خسر يمددون به عليك
في عمارة بلادك ، وتزين ولايتك ، مع استجلابك حسن نتائجهم ، وتبجحك باستمالة العدل قيمهم ،
مستنداً فضل قوتهم بما دخرت عندهم من اجامتك لهم ، والتمعة منهم ، بما هودتهم من عندك عليهم
في رفقتك بهم ، فربما حدث من الأمور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد احتلوا منيبتة أنفسهم به ،
فان العمران يحتل ماحلته ، وانما يؤتى خراب الارض من اعواز أهل ، وانما يموز أهلها اشراف
أنفس الولاة على اجمع ، وسوء ظنهم بالبدء ، ووقفة انتدعهم بالغير .

ثم انظر في حال كتبك ، فوالله على أمورك خيرهم ، والخصم رست التي تدخ فيه ، كل ذلك
وأسرارك ، أجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ، ممن لا تبطره الكرامة ، فيجتري به عليك في خلاف
لك بمحضرة ملازم ، ولا تنصر به بغفة عن ايد مكاتيب تحملك حيت ، وأصايد رجواتك ، على انصواب
عنك ، فيها يأخذك ويضيئك ، ولا يضعف عقماً اعتقه لك ، ولا يجز عن املاق م عقد

قَالَ: يَا قَوْمِ أَمْرِئِي لَمْ يَزَلْ مَعَكُمْ كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ فَتَنِي أَهْلِيهَا
إِلَى مَوَاقِفِنَا ذَا الْيَوْمِ حَيْثُ رَأَيْنَا الْحَرْبَ قَدْ كَثُرَتْ فِينَكُمْ أَضَاحِيهَا
وَإِنْ تَكُنْ أَخَذْتَ ذِي الْحَرْبِ مِنْكُمْ لَكِنْ فِي عِدَائِكُمْ أَرَبِي تَقْبَلُهَا

عليك ، ولا يجمل مبلغ قدر نفسه في الامور ، فان الجاهل بقدر نفسه ، يكون بقدر غيره أجهل منهم
لا يمكن اختيارك اياهم على غراستك ولستامتك وحسن الظن منك ، فان الرجل يترفعون لمراسات
الولاة بتصنعهم ، وحسن خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شي ، ولكن اختبرهم
بما ولوا للصالحين فذلك ، فاعمد لاحسنهم كان في الامة أمراً ، وأعرضهم بالامانة وسوءاً ، فان ذلك
دليل على نصيحتك فله وإن وليت أسره ، واجعل لرأس كل أسير من أمورك رأساً منهم ، لا
يقهره كبيرها ، ولا يقتل عليه كثيراً ، ومهما كان في كتابك من عيب فتناوب عنه ألزمت .

ثم استوص بالتيجار وذوي الصناعات ، وأوص بهم خيراً ، القيم منهم ، والمضطرب بماله ،
والمتفرق بيده ، ففهم مواد النافع ، وأسباب المرافق ، وجلبها من الباعد وأشارح ، في بررك
وبحرك ، وسهلك وجبك ، وحيث لا يتم الناس لمواضعها ، ولا يجتزون عليها ، فانهم سلم التخلف
باعتها ، وصلاح لا تخفى غائته ، وتقدم أمورهم بحضرتك ، وفي حواشي بلادك ، يعلم مع ذلك أن
في كثير منهم ضيقاً محتاً ، وشحاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافع ، وتحكماً في البيئات ، وذلك باب
مضر في الامة ، وعيب على الولاة ، فامنع من الاحتكار ، هل رسول الله صلى الله عليه وآله منع
منه ، ولا يمكن البيع يداً سحر ، بملزعين عدل ، وأساور لا تحجب بالرفيق من البائع والمبتاع ، فمن
قارف حكرة ، بدخلك اياه ، فافسلك به ، وعقبه من غير اسراف .

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، والساكنين والمحتاجين ، وأهل البؤس
والزمن ، من في هذه الطبقة قد صدمت ، واحتفظت ما استحققتك من حقه فيهم ، واجعل لهم
قسماً من بيت مالك ، وقسماً من غلات صواني الاسلام في كل بلد ، فان اللائع منكم مثل الذي
للأدنى ، وكل قد استرعى حقه ، فلا يتشكك عنهم بطل ، فانك لا تقدر بتضييع الاله ، لاحكامك
الكثير المزم ، فلا تخصهم عنهم ، ولا تصغر خدك لهم ، وتقدم أمور من لا يصل اليك منهم
من تتحصه الميوز ، وتجرحه الزجدة فترفع لاولئك فتتلك من أهل الخشية والتواضع ، فغيرك اليك
أمرهم ، ثم عجب فيها لاعداد الى الله يوم نقده ، فان هؤلاء من بين الرعية أحوج الى الانصاف
من غيرهم ، وكل ، وعذر الى الله في تدة حقه اليه ، وتعد أهل اليتيم ، وذوي الرقة في السن من
لا حيلة له ، ولا يتصل بساكنة نفسه ، وذلك على اولاة قليل ، وقد يحفظه الله على أقوام طلبوا العاقبة ،
فصبروا أنفسهم ووتوا بصدق موعد الله لهم .

واجعل لدوي الخبث منتم تهم تفرغ لهم فيه شخصك ، وتعلم لهم مجلساً طاماً ، فتواضع
فيه لله الذي خلقت ، وتقدم عنهم جندك وأعدائك من أحرارك وشرطك ، حتى يكلمك متكلمهم
غير متعصب ، ففي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن ، (لن تغدس أمة
لا يؤخذ لها نصيب فيه ، حقه من اتقوي غير متعصب) ، ثم احتل الحرق منهم والهي ، ونوح عنهم
الضيق والافتقار ، يسط الله عليك بسنك أكره رحمة ، ويوجب ثواب طاعته ، وأعط ما أعطيت
هنيئاً ، وامنع في اجل واعذار .

قَدْ أَهْبَكْنَاهُ وَأَنْكَتَ فِي جَمَاعَتِنَا وَخَلَفْنَا يَخَافُ أَتَهْمَزُ طَاعِنَهَا
أَنَا عَلَيْكُمْ قَدْ كُنْتُ أَمْسِي أَمِينُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمَّا لِي أَجْرُهَا
فَصَبْرُ ذَا الْيَوْمِ مَا مُورًا أَنْفَذَ طَمَاحًا لَكُمْ وَأَمَّا نَيْكُمُ أَوَانِيهَا
لِنْ أَلْقَاءِ لَقَدْ أَحْبَبْتُمْ وَأَنَا مَاعِذْتُ أَمْنَعُ عَنْ رُغْبِي مُحِبِّينَهَا

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها ، منها اجابة عمالك بما يسا عنه كتابك ،
ومنها اصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك ، بما تخرج به صدور أعوانك ، وأمر لكل
يوم عمله ، فإن لكل يوم مافيه ، واجل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقف ، وأجل
تلك الاقسام ، وإن كانت كلها لله ، إذا صلحت فيها النية ، وسلمت منها الرعية .

وليكن في خاصة ما يخص به لله دينك ، اقامة فرائض التي هي له خاصة ، فاعط الله من
بدنك ، في ليك ونهارك ، ووفد ما تجرت به الى الله من ذلك كاملاً غير منقوص ، ولا مقصود ،
بالأمر من بدنك ما بلغ ، وإذا قت في صلاتك للناس ، فلا تكون منغراً ولا مضيقاً ، فإن في الناس
من به الله ، وله الحاجة ، وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهني الى اليمن كيف
أصلي بهم ؟ قال (صلّ بهم كصلاة أنفسهم) ، وكن للمؤمنين روحياً .

وأما بعد هذا ، فلا تطول في احتجابك عن رعيته ، فإن احتجاب الولاء عن الرعية شعبة من
الضيق ، وقلة علم الامور ، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجوا دونه ، فيفسد عندهم الكبير
ويظم الصغير ، ويضيع الحسن ، ويحسب التيسع ، ويثاب الحق بالباطل ، وإنما الوالي بشر لا يرف
ما توارى عنه الناس به من الامور ، وليست على الحق سبب ترف بها ضروب الصدق من
الكذب ، ونما أنت أحد رجلين ، اما اسرؤ سخط نفسك بالبل في الحق ، فقيم احتجابك ، من
واجب حق تطعه ، أو قل كريم تسديه ، أو مبتلى بانته ، فما أسرع كيف الناس عن مسألتك ، اذا
أيسوا من بدلك ، مع ان أكثر حاجات الناس اليك ، بما لا مؤونة فيه عليك ، من شكاة مظلة ، وأوطاك
انصاف في ماملة .

ثم ان للوالي خاصة وبلائاً ، فيهم انتشار وتطول ، وقلة انصاف في ماملة ، فحسم مادة أولئك
يقطع أسباب تلك الاحوال ، ولا تطعن لاحد من حاشيتك وخاضعتك تطيعه ، ولا يطعن منك في اعتقاد
عقده تضر بمن يليها من الناس ، في شرب أو عمد مشترك ، يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون منها
ذلك لهم دونك ، وعيه عليك في الدنيا والآخرة .

والزم الحق من لزمه من القرب والبيد ، وكن في ذلك صابراً محتسباً ، وأما ذلك من قربائك
وخاضعتك حيث وقع ، واجتنب عابته بما يتقل عيبك منه ، فإن مية ذلك محمودة .

وإن ضلت الرعية بك حيفاً فأمحر لهم بسررك ، واعدل عنك ضنونهم باحسارك ، فإن في ذلك
رواية منك لنفسك ، ورفقة برحمتك ، واعذر لتبلغ به حاجتك من قومهم على الحق .

ولا تدفن مسلحاً ذلك اليه عيوك وثقه فيه رضى ، فإن في الصلح دعة لجندوك ، وراحة من
همومك ، وأمناً لبلادك ، ولكن اخضر كل الخبر من عيوك بد صلحه ، ذن الدلو ، وما قرب
ليقتل ، فخذ بالخبر واتهم في ذلك حسن الطن ، وإن عقدت بينك وبين عيوك عقدة ، أو أثبتته
منك ذمة ، فخط عهدك بالوفاة ، وارعدعتك بالامانة ، واجعل تحت جنة دون ما أعطيت ، فإنه

وَلَمْ يَزِدْ دَفْقَ هَذَا الْمُرْتَضَى فَكَفَى بِهِ الْخُصُوفَةَ بِأَغْنِيهَا وَأَيْبَاهَا
وَأَيَّدَتْ أَقْسُومَ آرَاءِ مُنَوَّعَةٍ هَيْهَاتَ مَا جُلِبَتْ عَنْهَا غَوَاشِيهَا
نَمَتْ عَلَى فِرْقَةٍ بِالرَّأْيِ مُفَضِّيَةٍ إِلَى بُلُوغِ الْإِدْيِ أَقْصَى أَمَانِيهَا

ليس من فرائض الله تعالى الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم ، وتشتت آرائهم ، من تنظيم
الوقائع بالهود ، وقد لزم ذلك المتركون فيما بينهم دون المسلمين ، لما استولوا من عواقب الفتن ، فلا
تقدر بدمتك ، ولا تخفين بجهلك ، ولا تختلن عدوك ، فإنه لا يجتري على الله إلا جاهل شقي ،
وقد جعل الله عهده ودمته أمناً أفضاه بين المباد برحته ، وحرماً يسكنون إلى منتهى ، ويستفيضون
إلى جوارحه ، فلا ادغال ولا مدالعة ولا خداع فيه ، ولا تمد عدواً تجاوز فيه الملأ ، ولا تمول على
حُر قول بمد التأكيد والتوثيق ، ولا يدعونك ضيق أسمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انقضاءه
بضر الحق ، فإن صبرك على ضيق أسمر ترجو اقترابه ، وفضل عاقبته ، خير من غدره تخاف بته ،
وأن تحيط بك من الله طلبه ، لا تستحل فيها دنياك ولا آخرتك .

إياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فإنه ليس شيء أدعى لثمة ، ولا أعظم لثمة ، ولا أخرى لزوال
نفسه ، وانتطاع مده ، من سفك الدماء بغير حضا ، والله سبحانه مبدي في الحكم بين المباد فيما تسفكوا
من الدماء يوم القيامة ، فلا توهين سلطانتك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضمقه ويوهنه ، بل
يزله وينقله ، ولا غدر لك عند الله ولا عندي ، في تل المبد ، لأن فيه قولاً بالبدن ، وإن ابتليت بخطأ
وأفرط عليك سورك أو سيفك أو يدك بقوبة ، فإن في الكثرة فارقاً بامتعة ، فلا تلمعن بك نخوة
سلطانتك ، من أن تؤدي إلى أولياء المتول حقهم .

وإياك والأعجاب بنفسك ، والثقة بما يجيب منها ، وحب الاطراء ، فإن ذلك من أوثق فرس
الشیطان في نفسه ، ليعشق ما يكون من احسانه .

وإياك والمن على رعبك بأحسانك ، أو اتزبد فيما كان من هلك ، أو أن تمدهم فتتبع موعذك
بخلفك ، فإن أن يبطل الاحسان ، والترزب يذهب بنور الحق ، ولخلف يوجب المقت عند الله والناس ،
قال الله تعالى (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) .

وإياك والمجبة بالأمور قبل أوانها ، أو التسقط فيها عند إمكانها ، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت ،
أو الوهن عنها إذا استوضحت ، فضع كل أمر موضعه ، وأوقع كل أمر موضعه .

وإياك والاستئثار بما للناس فيه أسوة ، والتناهي عما تنهى به مما قد وضع للبر ، فإنه مأخوذ
منك لتتركه ، مما قليل تنكشف عنك أغصية الأمور ، وينتصف منك المظلوم ، ملك حية أذك ،
وسورة حدك ، وسطوة يدك ، وغرب لسانك ، واحترس من كل ذلك ، بكف البادرة ، وتأخير الخطوة
حتى يكن غضبك ، فمك الاختيار ، ولن تحكم ذلك من تنك حتى تكثر هومك ، بدكر المالدالي ربك .
والواجب عليك أن تذكر ما مضى من تقدمك ، من حكومة فاذلة ، أو سنة فاضلة ، أو أثر
عن نبينا صلى الله عليه وآله ، وفريضة في كتاب الله ، فتعدي بما شاهدت مما علمناه به فيها ، وتجتهد
لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا ، واستوفت به من الحجة لفس عليك ، لكيلا تكون
لك علة عند سرع نفسك إلى هواها .

وإنما أسأل الله بسمه رحته ، وعظيم قدره ، على إعطاء كل رغبة أن يوفقني وإياك لما فيه
رضاه ، من الإقامة على البصر الواضح إليه ، وإلى خلقه ، مع حسن التناهي في المباد ، وجيل الأثر في

المرضاة بالحكيم

وَيَسْتَمِ الْإِنْسَانُ فِي هَذَا التَّضَارُبِ بِالْأَمْرِ رَأً مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْفُضَ نَادِيَهَا (١)
وَإِذْ بِصَانِحِ أَهْلِ الشَّامِ يَطْلُبُهَا إِلَى الْحُكُومَةِ يَسْتَهْوِي مُرِفَتِهَا
بِرُقْمَةٍ كَانَ مُوفِيهَا مَعَاوِيَةَ إِلَى الْوَحْيِ يُرِيدُ الْكَيْدَ مُوفِيهَا
مَقُولٌ: بَادِرْ عَلِيٍّ لِلْحُكُومَةِ كَيْ نَكْفِيَ الْبَرِيَّةَ أَهْوَالًا تَعَانِيهَا
وَأَنْتَ أَفْضَلُ مَنْ يَتِمُّ أَوَامِرَ بَا رِيهِ أَلَيْسَ حَرِيٌّ أَنْ تُؤَاتِيَهَا
وَأَنْتَ مِثْلِي مُسْتَوْثِقٌ وَحَقِّكَ عَنْ هَذِي الدِّمَاءِ الَّتِي بِالظُّلْمِ نَمْنَمِيهَا
أَسْرِعْ إِلَى دَعْوَةٍ قَدْ جِئْتُ أَشْهَدُهَا فَالْصُّغُورُ مَا يَنْسِنَا لَأَشْكُ نَالِيهَا
وَأَقْبَلْ قَبُولِي أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ وَهِيَ الْعَدْلُ إِنْ كُنْتُ حَقًّا مِنْ أَهْلِهَا
وَعِنْدَ مَا كَانَ يقرأ الْمُرْتَضَى عَلَنًا تِلْكَ الرِّسَالَةَ يَسْتَجْلِي خَوَافِهَا
كَانَتْ صَحَابَتُهُ تُزْغِي وَتُزِيدُ مِنْ حَوْلِهِ قَائِلَةٌ: مَا الْعَرَبُ نَبِيَهَا
وَقَدْ أَمَرْتُ بِلَا فِكْرٍ عَلَى طَلِبِ السُّخَّيْمِ لَمْ يَكْ مِنْ يُشْفِي مُصْرَبَهَا
وَقَدْ تَقَلَّبَ رَأْيُ أَقْبَالِنِ بِهِ نَقِ الشَّامِ عَلَى مَنْ لَيْسَ رَأْيِهَا
فَحَقَّقَ الْمُرْتَضَى وَأَكْثَرُ تَكْرَهُهُ عَلَى مُسَيَّرَةِ الْأَعْدَاءِ تَكْرَهُهَا
وَحَظَّ أَسْطَرُهُ فِيهَا يُجِيبُ عِدَا هُ لِلْحُكُومَةِ كُرْهًا وَهُوَ آيِبُهَا

البلاد، وتمام النعمة، وتضيف الكرامة، وأن يحتمل في ذلك بالسلطان والجاه، وإما الله راجعون، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً والسلام آه (١) وبينما كان الشفيعي أشهد بين أصحاب سيدته علي عليه صلوات الله وأذ برسول من قبل معاوية قدم عليه برقة منه فيها يقول «أما بعد» «وإن هذا الأمر قد طرد بيننا وبينك» وكل واحد منا يرى أنه على الحق فيها يطلب من صاحبه، وإن يحضي واحد منا الطغاة الآخر، وقد قتل فيها بيننا بشر كثير، وأنا أخوف أن يكون ما بقي أشد من مضي، وإننا سوف نأل من هذه المواطن، ولا يحاسب غيري وغيرك، وقد دعوتك لي أسيرك ولك فيه حياة وعفر، وبراءة وصلاح للامة، وحق للدعاء، وألفه لدين، وذهاب لضمن والفتن، وذلك أن تحكيم بيني وبينك حكيمين مرضيين، أحدهما من أصحابي، والآخر من صحابك، فيحكمان بيننا بما أنزل الله، فهو خير لي ولك، وأطمح لهذه الفتنة، فالتقى الله فها دعيت إليه، ولرض بحكمه القرآن، إن كنت من أمه، والسلام آه

قَالَ يَا ابْنَ أَبِي سَفْيَانَ أَفْضَلُ مَا أَلَا مَنَسَكَ يَسْخُلُ فِيهِ النَّفْسُ يُزَيِّنُهَا
 هَوَا تَبَاعِ الَّذِي يَحْلُو وَيَحْضُنُ مِنْ خَيْرِ أَفْعَالٍ بِهِ يَتَنَا لِيَا تَبَا
 بِهَا لَقَدْ أَتَيْتَنِي فَضْلُهُ وَعَيُّو بِهِ وَإِنْ كَثُرَتْ حَضَمًا تَوَارِيهَا
 وَأَلْبَغِي وَالزُّورُ فَأَعْلَمُ يُزَيِّنُ بِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَالْأَنَامُ يَجْنِبُهَا
 حَذَارِ دُنْيَاكَ مَا مِنْهَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ مَا بِهِ فَرَحٌ وَأَرْهَقَ مَلَاهِبُهَا
 وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ الْكَفْرَ ضَائِعَةً وَبَدَّ يَوْمَكَ أَبَدًا أَنْ تُلَاقِيَهَا
 وَإِنْ قَوْمًا بِخَيْرِ الْحَقِّ قَدْ طَلَبْتَ أَمْرًا وَطَلَبَتْهَا هَيْهَاتَ تَلْفِيهَا
 لَهُ تَأَوَّلْنَا الْكَذِبَ الْمُرَاحَ عَلَى الْبَارِي وَأَيَّاهُ قُلْ جَلُّ مُحِجَّتِهَا
 وَاللَّهُ أَكْذَبُهَا وَالْبَطْلُ مَتَمَّهَا هَوْنًا بِمَا شَوَيْتَهُ مِنْ أُمَانِيهَا
 فَاضْطَرَّهَا لِعَذَابَاتِ الْجَحِيمِ وَيَا وَيْلَ لِمَنْ فِي مَسَاوِيهِ يَلَاقِيهَا
 فَاحْذَرِ مَوَاقِفَ يَوْمٍ لَا أَغْنِيَاكَ بِهِ إِلَّا لِمَنْ حُدِثَتْ أَعْمَالُهُ فِيهَا
 إِذْ ذَاكَ يَنْتَدِمُ مِنَ الْقِيَامِ إِلَى الْإِسْطِطَانِ يُغْنِدُ أَعْرَاضًا يُؤَخِّرُهَا
 إِذْ أَطْلَعْنَا إِلَى الدُّنْيَا وَغَرَّ بِهَا وَبَاتَ مُزْدَرِي الْأُخْرَى وَنَارِهَا
 لِحُكْمِ آيَاتِ رَبِّي قَدْ دَعَوْتُ وَأَذَرِي لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا لَسْتُ تَبِغِيهَا
 قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَوْنِي عَلَيْكَ وَمَا مَعُونَةُ اللَّهِ غَيْرَ الْبَرِّ يَتَنَبَّهِيهَا
 وَمَا أُجِيبُكَ كَلًّا بِمَا وَارِيَهُ بَلْ آيَةُ عَنْ قَتْلِي بِنَا مُجِيبِيهَا

قرأ المرتضى عليه صلوات الله كتاب معاوية - ههنا على الناس فزادوا به إصراراً على طلب
 التحكم وأردعت وأزبدت على من لا يريد حتى تلعب رأي القدين يريدونه على رأي القدين يرفضونه
 حيثك حوقل عليه صلوات الله واسترجع وكتب إلى معاوية هذا الجواب « من عبد الله على أمير
 المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، قل أفضل ما شئت به المؤمن نفسه ، اتباع ما حسن به
 فعله ، واستوجب فضله ، وسلم من عيبه ، وإن البني والزور يزوران بالبر في دينه ودنياه ، فاحذر
 الدنيا فإنه لا فرج في شيء وصلت إليه منها ، ولقد علمت أنك غير مدرك ما تقضي قوائمه ، وقد
 أقم قوم أمراً بشير الحق ، وتأزوا على الله جل وعز ، فكلهم ، ومنهم قلة ، نعم اضطرمهم
 إلى عناصر غليظ ، فاحذر يوم يتبط فيه من جد عاقبه هله ، ويند فيه من أمكن الشيطان من
 قباذه ، وغرقه الدنيا واضطرب إليها ، ثم أنك قد دعوتني إلى حكم القرآن ، وقد علمت أنك لست
 من أهله ، ولا حكمه تريد ، ووقع المستعان ، وقد جئت القرآن إلى حكمه ، ولست أبتك أجبنا ،

وَمَنْ أَبِي حَكَمٍ أَمَى اللَّهُ ضَلَّ وَمَنْ بِهِ أَرْتَضَى فَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ نَاقِبَهَا
وَبَعْدَ ذَلِكَ بَدَأَ حُسْنَ التَّفَاهُ مَا بَيْنَ الْخُصُومِ عِرَاقِيهَا وَشَامِيهَا
وَقَدْ أَنَابَتْ لِنَفْيِ الْحُكُومَةِ عَنْهَا نَوْبَةً قَالَتْ أَلْقُرْآنُ يَهْدِيهَا

نعيمة الحكيم

وَفِي الْمَوَادِّعِ الْكَثْرَى تَوَسَّطَ أَشْمَتْ لِيَجْزِي صَفَهَ فِي مَجَارِيهَا (١)
فَكَانَ يُظْهِرُ إِخْلَاصًا لِحَيْدَرِهِ وَإِنْ أَمْرُهُ يَنْبَغِي تَعَالِيهَا
فَجَاءَهُ قَائِلًا أَذِنَ فَأَذْهَبَ لِأَسْتَفْهَارِ نِيَابِ أَهْلِ الشَّامِ أَنْتَبَهَ
فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ سِرّاً صَاحٍ فَأَنْصَرَفَ أَلَوْ سَيْطُ نَحْوِ الْأَعَادِي فِي مَثَاوِيهَا
لَاقَى مُعَاوِيَةَ فِيهَا وَأَنْبَأَ وَأَسْتَنْبَأَ وَجَاءَ ذَوِيهِ وَهُوَ مُنْهَبِهَا
أَنْ الشَّامُ تُؤْتِي أَمْرَهَا قَرَأَ مِنْهَا لِيَتَخْتَارَ فِي التَّحْكِيمِ قَاضِيهَا
كَذَلِكَ نَعْنُ نُؤْتِي مِثْلَهَا قَرَأَ وَخِزْرَةُ الْحَكَمِ الْمَسْئُودِ نَظِيمَهَا

ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضلّ ضللاً بعيداً ، والسلا « آه
وعلى أثر هذا الكتاب والجواب تمام الترياق على اختيار نواب عنهم يتذكرون بشعين
الحكمين للوصول إلى الصلح على ما سترى ..

(١) عند ما تمّ التفاهم بين سيدنا عبي ومعاوية وأمر أصحابها على التحكيم تقدم الأشعث
من أمير المؤمنين عليه صلوات الله وكان من جهة أصحابه وقال له : يا أمير المؤمنين ، ما أرى الناس
الآن قد رضوا ، وسرهم أن يجيبوا القوة إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن ، فن شئت أثبت
معاوية فسأله ما يريد ، ونظرت فيما يال . قال : آه ان شئت . فسار الأشعث إلى معاوية وهو في
مسكره وسأله قائلاً : لماذا رفضت هذه المصاحف ؟ قال معاوية : ليرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله
به ، فقبضوا رجلاً منكم ترضون به ، ونمت منا رجلاً ، وأخذ عليها أن يملأ بما في كتاب الله ، ولا
يسدوا عنه ، ثم تتبع ما اتفق عليه . قال الأشعث : هذا هو الحق ، ولكن ألا ترى أن نتعد على قوة
من قهنا ، نتجارتون من ينوب عنه ، وتقولون أنتم كذلك ؟ قال معاوية : لا بأس بهذا . فساد الأشعث
إلى أمير المؤمنين وأبأ بما كان من أمره مع معاوية فزار مرضى وسمى أصحاب سيدنا عبي تقرأ من
فقهاهم وأرسلوا إلى معاوية فسمى هو أيضاً تقرأ من فقهاء أصحابه وطلق عبي هؤلاء وأولئك اسم القراء
أي الذين يقرأون القرآن ويلمون أحكامه وابتاع هؤلاء القراء عريقهم وشاهدين بين الصفوف ومعهم
المصحف الشريف فنظروا فيه وتدارسوا ونهسوا على أحياء ما أحيا القرآن وإمامة ما أمات القرآن
وأنسوا على المصحف الشريف ورجع كل فريق من هؤلاء القراء إلى صاحبه

أما قراء الشام فتأدوا بمسرو من المص حكم عنهم فرضه معاوية بن قائل معاوية كان الموهز
إليه به وكان ذلك في حل وصوله إلى معاوية كأنه متفقون عليه من قبل وضار خبره في الحال إلى

وَقَالَ ذِي الْفِكَرَةِ لَسْنَا مَصَالِحُهُ
فَلَمْ يُعَارِضْ عَلِيٌّ فِكْرَهُ بَدَرَتْ
وَبَعْدَ ذَلِكَ صَحْبُهُ مَعَ صَاحِبِهِ
دَعَا الْمُنَابِذِينَ بِالْقُرَاءِ إِلَيْهِمْ
وَعِنْدَ مَا ظَهَرُوا بَيْنَ الصُّوفِ تَلَا
وَبَعْدَ ذَلِكَ سَمِعَتْ عَمْرُو نَائِبَهَا
وَالْأَشْعَرِيُّ أَنَابَتْهُ صِحَابُ عَلِيٍّ وَهُوَ قَدْ كَانَ عَنْ جَفْوٍ مُنَابِئَهَا

أمير المؤمنين. وأما قراء العراق فذهبوا إلى أن علياً هو الذي خلق الله نادوا باسم أبي موسى بن قيس الأشعري حكماً بنوب عنهم . فقال علي : اني لا أرضى بأبي موسى ولا أرى أن أوليه فقال الأشعث وزيد بن الحصين ومسر بن فدكي في عصاة من القراء اننا لا نرضى إلا به فإنه قد كان حطونا عما وقفنا فيه . فقال علي أنه ليس لي برضى وقد قارفتي وخذل الناس مني وهرب مني حتى أمتهت بعد خعة أشهر (وذلك بعد انتهاء موقعة الجمل وذهاب سيدنا علي من البصرة إلى الكوفة) ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك . قالوا والله ما نبالي أكننت أنت أو ابن عباس ولا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ليس لي واحد منكما أدنى من الآخر . قال علي فني أجل الأشعث . فقال الأشعث وهل سر الأرض علينا إلا الاشترا ؟ وهل نحن إلا في حكم الاشترا ؟ قال علي وما حكمه ؟ قال الأشعث . حكمه أن يقرب بضنا بضاً بالسيف حتى يكون ما أردت وما أراد . فبسم سيدنا أمير المؤمنين وقال : ان معاوية لم يكن يضع هذا الاسم أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وأنه لا يصلح للقرشي إلا مثله فليكم ببيعة بن العباس فرموه به ، قال عمرو لا يعقد عقدة إلا حياها عبد الله ، ولا يحل عقدة ، إلا عقدها ، ولا يبيع أسراً إلا نقضه ، ولا يتقاضى أسراً إلا أبرمه . فقال الأشعث لا والله لا يحكم فينا مضران حتى تقوم الساعة ، ولكن نجعل رجلاً من أهل اليمن اذ جملوا رجلاً من مضر . فقال علي اني أخاف أن يفتدح بينكم فان عمرو ليس من الله في شيء ، اذا كان له في أمر هوى . فقال الأشعث والله لن يحكمنا بعض ما نكره وأحدهما من أهل اليمن أحب إلينا من أن يكون بعض ما نحب في حكمهما وهما مضران . فقال أمير المؤمنين عليه صلوات الله وهو يجيل عينه الكريمين فيمن حوله من القراء قد أديتم أبا أبا موسى الأشعري ؟ قالوا نعم . قل فصنوا ما شئتم . فاعتز بهم الاشترا وقال يا أمير المؤمنين أترني عمرو بن العاص يقول الذي لا اله غيره لن ملأت عيني منه لا تقتله . وقال الاخنف بن تيسر : يا أمير المؤمنين انك ريمت بحجر الأرض ، ومن حارب الله ورسوله ، وانف الاسلام ، وانني قد عجنت هذا الرجل ، (ويريد أبا موسى) وحلبت اشطره ، فوجدته كليل الشفرة ، قريب المقعر ، واه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يكون في اكفهم ، ويقاعدتهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم ، فان شئت ان تحملي حكماً فاجلني ، وان شئت ان تحملي ثانياً او ثالثاً ، فان عمرو لا يعقد عقدة إلا حياها ، ولا يحل عقدة إلا عقدت لك اشد منها . فرض سيدنا علي

قَدْ كَانَ مُعْتَزِلًا صِفِينَ مُسْتَعِدًّا عَنْ حَرْبِهَا تَارَكَ كُلَّ آلَاكَ فِيهَا
وَمَا نَبِيْنَا لَهُ مَا ضِي فَضَائِلُهُ فِي كُوفَةٍ عِنْدَ مَا قَدْ كَانَ وَالِئِهَا
وَمَا خِلَافَةُ مَوْلَانَا أَنِّي حَسَنٌ يَوْمًا لَقَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ مُؤَيِّنِيهَا
وَمَا أَنْقَضَتْهُ مَحَابِبُ الْمُتَرَفِّعِي لِيُؤَيِّ أُنْتِمَادِهِ فِي هَوَاهُ عَنْ مُؤَيِّنِيهَا
فِيهِ لَقَدْ رَغِبْتَ دُونَ الْأَعَارِبِ إِذْ كَانَ آيُنُ قَيْسٍ أَبُو مُؤَسَى يَمَانِيَهَا
وَمَا أَرَادَتْ قُرَيْشِي الْأَصْحَابُ لِمِذَا الْأَمْرُ أَوْ هَاشِيئِهَا أَوْ عِرَاقِهَا
وَذَلِكَ يَكْفِي لِنَبِيَانَا لَتَعَاذُلِي فِي صَحْبِ الْعَلِيِّ وَيُنْبِي عَنْ تَجَرُّهَا

هذا على التراء فأبوه وقولوا لا يكون حكنا الا ابا موسى . قال سيدنا أمير المؤمنين موجها خطابه
إلى الاشتر وحليف بن قيس : ان القوم آمنوني بعد الله بن قيس مبرئا فقالوا ابست هذا رضىنا به
والله بالغ أسره . قال عليه صلوات الله هذا ومال للقرامحلا : اتوني بصاحبكم
وكان أبو موسى معتزلا القتال متزويا بإحدى جهات الشام فبعثوا اليه رسولا فأسرع إلى
صديق فأنه سيدنا علي وقوع اختيار أصحابه عليه وطلب منه أن يكون عند ظنهم به فقام أن
يكون صادقا غلصا لا يحكم الا بما يحكم به القرآن

ومن تأمل هذا عرف حال أصحاب سيدنا علي وما كانوا عليه من شتات الرأي فلا عجب إذا
وقع اختيارهم على رجل أقل ما يقال فيه أنه كان مسترهم وهم يقاتلون . كما لا بد لنا من الإشارة
إلى أن القوم كانوا يحاولون أن لا يدعوا السلطان لى قريش وكانت فكرتهم هذه هي التي أوجدت
في قلوبهم الرغبة بأبي موسى كما قول ان هؤلاء الذين أصروا على اختيار أبي موسى الاشعري هذه
الهمة هم زعماء الخوارج الذين خرجوا فيما بعد على أمير المؤمنين بحجة أنه رضي بتحكيم ورثي
بأبي موسى الاشعري حكما مع أنهم هم الذين أكرهوه على كل ذلك أكرهه والآخر . فله من قبل ومن بعد

« ترجمة الاشعث »

هو ابو محمد مدي كرب الملقب بالاشعث بن قيس بن مدي كرب بن معاوية بن جينة بن عدي بن ربيعة بن
الحارث بن معاوية بن الحارث الاصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن سريج بن
معاوية بن ثور بن غير الكندي الصحافي . واه كبتة بنت يزيد بن شرحبيل بن زيد بن اسريه
القيس بن عمرو مقصور الملك

عرفنا الاشعث في الجاهلية شجاعا نبيلاً وحدث ان بني مراد قتلوا قيساً اب الاشعث في
بعض حروبهم فخرج الاشعث لطلب ثار أبيه وخرجت معه كعدة وخبطوا أعداءه في مراد وقتلوا
على بني الحارث بن كعب فدارت الدائرة عليه واسر الاشعث واقتدى نفسه كد غتة بثلاثة آلاف
بغيراً وهي فدية عطية لم يند بها عربي قبله ولا بعده قتل في ذلك عمرو بن مدي كرب الزيدى
فسكران فداؤه أني بغير وألفاً من ضرة تـ وتـ

وحدث ان كعدة قدموا حجاجاً قبل الهجرة فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عذته عليه
الصلاة والسلام يمرض نفسه على القبائل فدفعه بنو وليمة من بني عمرو بن معاوية وذ يقبوه فما

أَمَّا عَلِيٌّ فَلَاقَى النَّاسَ مُتَمَلِّئًا أَنَّ النَّبَاةَ مَا لَاقَتْ مُكَافِئَهَا
وَصَاحَ وَالْفَيْظُ يَنْدُو مِنْ جَوَارِحِهِ بِصَحْبِهِ وَهِيَ تَحْتَمِي فِي غَوَاسِمِهَا
هَلَا ذَكَّرْتُمْ أَبَا مُوسَى وَخَذَلْتُهُ لِأَمْرِي عَلَنًا مَا كَانَ يُخْفِيهَا
نَسِيتُمْ فِعْلَهُ فِي وَقْعَةِ الْجَمَلِ أَلَسَلْتُمْ إِذْ كَانَ عَنِّي النَّاسُ يَقْصِرُهَا
وَقَرَّ مِنِّي شُهُورًا خَمْسَةً وَأَنَا نِي خَاضِعًا بَعْدَ مَا قَدْ هَلَّ سَادَتُهَا
وَقَوْقُ ذَا فَهَوٍ لَاحِزَمَ لَهُ وَذَكَرَا كَيْ يَلَاقِي مِنَ الْأَعْدَاءِ ذَا كَيْهَا
وَذَا مَعَاوِيَةَ قَدْ خَارَ ذَاهِيَةَ الْأَمْرِ غَرَابَ عَمْرَأَ لِيَرْضِيهِ وَيُؤْذِنَهَا
وَلَيْسَ يَكْفَاهُ رَأْيَا وَحُسْنَ دَهَا إِنْ تَذَكَّرَ النَّاسُ فِي يَوْمٍ دَوَاهِيَهَا

هاجر الى المدينة المنورة وتهدت دعوته وجالته وفود العرب كان فيهم وقد كئدت وفهم بنو وليمة
فاسلموا قاطعهم رسول الله طمة من صفقات حضرموت . وكان قد استعمل المصطفى على حضرموت
زيد بن ليد البياضي الانصاري فدفعها زياد اليهم فأبوا أخذها وقتلوا لاطهر لنا قاتلها الى بلادنا
على ظهر من عندك فأتى زياد وحدث بينهم وبينه شرًا كاد يكون حرباً . فرجع قومه بهم الى رسول الله
وكتب زياد اليه عليه الصلاة والسلام مما جرى فقال المصطفى لبي ولية « لنتن » يا بني ولية ، أو
لا يفتن عليكم رجلاً عدل قسي ، يقتل مقاتلكم ، ويسبي ذراريكم » وكان في مجلس المصطفى
وقد عثر عمر بن الخطاب وقد روى هذه الحادثة فقال « فما تمنيت الامارة الا يومئذ » وجعلت انصب
له صدري ، وجاء ان يقول هو هذا ، فآخذ بيد علي عليه الصلاة والسلام وقال : هو هذا « ثم
كتب لهم رسول الله كتاباً الى زياد يحسم المشقة . وكان في جلة وقد كئدت الاشمت قاطعهم معهم

وعند ما توفي المصطفى صلى الله عليه وسلم وطار الخبر الى قبائل العرب اوردت بنو وليمة عن
الاسلام وتمنحت بغلباتهم وخضعت بأيديهم شامة مموتة فأمر أبو بكر زياداً على حضرموت وأمره
بأخذ البيعة على أهلها واستيفاء صدقةهم قايضه الا بني ولية فلما خرج ليأخذ الصدقات من بني
عمرو بن معاوية أخذ باقة لنلاء منهم يعرف شيطان بن حجر فتمه الغلاء عنها وقال له خذ غيرها
ففي زياد ذلك وج « فستأن شيطان بأخيه العلاء بن حجر وانتهى الخلاف الى اعلان بني ولية
ردتهم ومجربة زياداً واصحابه قتل خلق كثير وكانت الغلبة للمسلمين واستأنت بنو ولية بالاشمت
فقال لا اغشكم الا اذا ملكتموني عليكم فلكوه وتوجوه كما تتوج ملوك قحطان فخرج الى
زيد في جمع كبير واستنجد زياد باني بكر فكتب هذا الى مهاجر بن أبي أمية وكان عامله على صنعاء
أمره بنجدة زياد فخرج الى حضرموت وانجد زياداً وحزب الاشمت واصحابه وقهرهم ولجأ
الاشمت ومن سلم من اصحابه الى الحصن المعروف « بالجبر » فحاصروهم للمسلمون حصاراً شديداً
حتى حاصروهم وضيقوا قتل الاشمت ليلاً الى زياد ومهاجر وألهمها الايمان على نفسه مع عشرة من
اصحابه حتى يقدموا على أبي بكر وعليه الايمان له ومن طلب فسلمها الحصن فدخله بالمسلمين
وقتلوا الاشمت اعز اصحابك المثرة فزهم وقتلوا الباقيين وكانوا ثمانمائة وقطعوا أيدي النساء اللواتي
أظهرن الشامة بموت رسول الله وحلوا الاشمت الى أبي بكر مصفاً بالحديد مع اصحابه البشرية

إِلَّا ابْنُ عَبَّاسٍ عَبْدُ اللَّهِ فَهُوَ إِلَى ابْنِ الْعَاصِ كَفٌّ بِأَرَاهُ يُجَلِّسُهَا
فَقَدْ رَمَيْتُمْ بِهِ عَمْرًا رَأَيْتُمْ دَبَّاسًا تَقْبَحُهَا لِلصَّيْدِ بِأَرَاهُ
قَالَتْ النَّاسُ: لَا تَرْضَى لِأَمْتِنَا تَحْكِيمَ ابْنَيْنِ فِيهَا مِنْ قُرَيْشِيهَا
كَذَلِكَ بَاتَ أَبُو مُوسَى مُسْتَلِصًا بِمُتَرَفَضِي كَانَ قَاصِمِي الدَّارِ نَائِمًا
فَارْسَلَتْ نَحْوَهُ رُوَادَهَا فَأَتَتْ بِهِ إِلَيْهَا وَآلَى أَنْ يُؤَالِيَهَا

فَمَا هُوَ وَعَمَّهُ . وَأَزَادَ أَبُو بَكْرٍ فِي أَكْرَامِ الْأَشْتِ وَأَلَيْفَ طَبِيعِهِ فَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ أُمَ غُرُوهَ بِلَتْ أَبِي
تَحَافَةً وَكَانَتْ عَمِيَّةً قَوْلَتْ لَهُ عَمَّأُ وَإِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ قَالُوا وَخَرَجَ الْأَشْتُ يَوْمَ بَنَاهُ عَلَى أُمِّ
غُرُوهَ إِلَى أَسْوَاقِ الْمَدِينَةِ فَأَمْرٌ بِذَاتِ أَرْبَعِ الْأَعْقَرُهَا وَقَالَ لِصَاحِبِهَا هَذِهِ وَلِيَّةُ الْبِنَاءِ وَغَمَّهَا فِي مَالِي
وَدَفَعَ أَقْلَامَهَا إِلَى أَرْبَلِيهَا . وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ فِي تَارِيخِهِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَلْعَنُونَ الْأَشْتِ
وَلَيْسَتْ الْكَافِرُونَ بِأَيُّهَا وَلَمْ تَلْعَنُ سِوَا قَوْمِهِ وَسَمَاءُ نِسَاءِ قَوْمِهِ « عَرَفَ النَّارَ » وَهُمْ لَمْ يَلْعَنُوا عَنْدهُمْ
وَاعْتَمَدَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْأَشْتِ فِي حُرُوبِهِ وَكَذَلِكَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَنَّهُ كَانَ بِإِسْلَامِهِ شَجَاعَةً فَتَمَدَّدَ
وَقَعَهُ أَنْبَرُ مَوْكٍ فِي النَّارِ وَمَوَاطِنُ الْقَادِسِيَّةِ وَالرَّاقِ وَالْمَدَائِنِ وَجُلُولَاءُ وَنَهْاوْنَدَ وَأَبْلَى فِيهَا الْبَلَاءُ
الْحَسَنُ وَذَلِكَ عَلَى عَهْدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ

وَعِنْدَ مَا أَهْمَتْ الْخِلَافَةَ إِلَى عُمَانَ وَلَا أَمْرَ بِيحَانٍ وَكَانَ لَهُ مِنْ خَرَاجِهَا أَلْفُ دَرَاهِمٍ سَنَوِيًّا
ثُمَّ عَزَلَهُ عَنْهَا بَعْدَ سَنَوَاتٍ وَكَانَ قَدْ أَتَرَى فَتَقَلَّ إِلَى الْكُفَّةِ وَسَكَنَهَا عَلَى إِسْطِطْلٍ عَلَى وِلَاةِ الْأُمَوِيَّةِ
فَلَمْ يَشْتَرِكْ فِي ثَوَرَةِ الْكُفَّيْنِ مَعَهُ عُمَانُ وَلَا اشْتَرَكْ فِي حَرْبِ الْبَحْلِ بَيْنَ تَقَاتُلِهَا . وَقَدْ أَقْسَمَ
إِلَى سَيِّدَانِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هُنَا مَا دَخَلَ الْكُفَّةَ بَعْدَ حَرْبِ الْبَحْلِ وَأَصْبَحَ مِنْ رَجُلَيْهَا وَاشْتَرَكَ مَعَهُ فِي
حَرْبِ صِفِّينَ وَكَانَ لَهُ فِي اسْتِخْلَاصِ الْمَاءِ مِنْ رَجُلَيْ مِائَةِ شِجَاعَةٍ وَغَزَاةٍ بِمُحَمَّدِ بْنِ كَالِيبٍ وَرَجُلَيْ مِائَةِ
بَعْدَ ذَلِكَ بِاخْلَاصٍ حَتَّى إِذَا مَا رَفِضَتْ الْمَصَاحِفُ كَانَ عَلَى رَأْسِ الْقَاتِلِينَ بِفَرُودَةٍ أَجَابَةً أَهْلَ النَّارِ إِلَى التَّحْكِيمِ
وَعَرَضَ نَفْسَهُ لِلْوَسَاةِ بَيْنَ سَيِّدَانِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمِائَةِ مِائَةٍ وَهُوَ الَّذِي أَوْحَدَ فِكْرَهُ تَمِييزَ أَبِي مُوسَى الْأَشْمَرِيِّ
حُكْمًا عَنْ أَهْلِ النَّارِ وَكَانَ عَلَى رَأْسِ الْقَاتِلِينَ بِهِ وَقَدْ كَانَ لَهُ بِمِائَةٍ مِائَةٍ مِنْهُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي مَقْدَمَةِ النَّادِمِينَ
عَلَى هَذَا الْحَدِّ الْمَطْمُحِ الَّذِي ارْتَكَبَهُ أَصْحَابُ سَيِّدَانِ عَمْرُ بْنُ مُوسَى وَأَكْرَامُ سَيِّدَانِ عَمْرُ
عَلَيْهِ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَى قَبُولِهِ وَخَرَجَ الْأَشْتُ اجْتِمَاعَ دُومَةِ الْجِدَنِ ثُمَّ عَدَّ بَعْدَ ظُهُورِ حِلَّةِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ إِلَى
الْكُفَّةِ وَهُوَ نَاقِمٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ وَعَلَى التَّحْكِيمِ وَعَلَى كُلِّ مَاجَرٍ وَتَشْتَدُّ لُجْرًا مَاجَرٌ مِنَ الْقِتَالِ
وَالْفَتْحِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَرَهْنٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُنَاقِقِينَ أَوَّلًا وَخَيْرًا .

وَمَا يَذْكُرُ أَنَّ سَيِّدَانِ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَهُمَا كَانَ مَرَّةً فِي الْمَسْجِدِ يَخْطُبُ فِي مَوْقِعِ صِفِّينَ وَنَمَرِ
الْخَوَارِجِ يَطْلُقُ خَاوِرَهُ الشَّرِيفَ وَزَعَجَهُ إِذَا نَزَّاجٌ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَقَالَ لَهُ نَيْبُهَا عَنْ الْحُكُومَةِ
ثُمَّ أَمْرُتَاجُهَا فَا نَدْرِي أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَسَدٌ . قَصَفَ عَلَيْهِ صَلَواتُ اللَّهِ بِحَدِي يَدَيْهِ عَلَى الْأَخْرِيِّ وَقَالَ
« هَذَا جِزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْمَقْدَةَ » وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ الشَّرِيفَ بِالَّذِي تَرَكَ الْمَقْدَةَ جِزَاءَ الْمُشَاقِقِينَ الَّذِينَ أَصْرُوا
عَلَى قَبُولِ التَّحْكِيمِ وَرَفَضُوا قَبُولَ صَحْبِهِ . وَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَشْتِ حَسِبَ أَنَّ أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ
صَلَواتُ اللَّهِ أَرَادَ بِقَوْلِهِ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي تَرَكَ الْمَقْدَةَ فَدَلَّ جِزَاءَهُ وَصَاحَ : « يَا أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
هَذِهِ عَلَيْكَ لَا لَكَ » فَغَضِبَ عَلَيْهِ صَلَواتُ اللَّهِ وَخَفَضَ إِلَيْهِ بَصَرَهُ وَقَالَ : « مَا يَدْرِيكَ مَا عَمْرُ بْنُ مُوسَى
عَلَيْكَ أَمْنَةُ اللَّهِ وَلَسْنَا بِاللَّاعِينَ ، حَاطَتْ أَيْنَ حَاطَتْ ، مَنَاقِقُ ابْنِ كَافِرٍ ، وَاقَعَهُ لَقْدَ أَسْرَكَ الْكُفْرَ مَرَّةً ،

صحيفة الهرة

وَبَعْدَ ذَلِكَ قَرَأَهُ الْقِرَاقُ وَقَرَأَ هـ الشَّامُ تَوَكَّنَ فِي تَنَادِيهَا
وَضَمَّ أَشْرُوطَ الْبَيْتِ بِأَمْنِهَا إِلَى مَهَادَةِ كَانَتْ تُرْجِيهَا
حَتَّى إِذَا مَا أَنْتَهَتْ مِنْ بَعْثِهَا كَتَبَتْ صَحِيفَةَ الْهَدَى فَاسْتَوَتْ مَعَانِيهَا
كَانَتْ خَلَاَصَتَهَا أَنْ يَحْكُمَ الْحَكَمَاءُ نِ وَفَقَ آيِ الْهَدَى أَوْ مَا يُجَارِيهَا
وَأَنْ يَكُونَ مَدَى التَّحْكِيمِ دَوْرَةً عَامًا لَا تَقَاتِلُ مَا بَيْنَ الْمَلَأِ فِيهَا
وَأَيُّهَا هُدْنَةُ فِيهَا أَمَانٌ جَمِيعُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَا وَى مِنْ مَا وَىهَا

والاسلام أخرى ، لما فداك من واحدتر منها مالك ولا حسبك ، وإن امرأ دل على قومه السيف ،
وساق اليهم الخلف ، لحري أن يحقته الأقرب ، ولا يأمنه الأبعد ، وللمري ما فيه سيدنا أمير
المؤمنين الأشعث على ما عهد الناس من علمه الألفيق صدوه الشرف من ثقاه الذي ابتدا
بالتحكيم واتصى بشر الخوارج العظيم

وزوج الأشعث في سنة ٢٩ هـ إحدى كرامهم الحسن عليه السلام وتوفي في الكوفة سنة ٤٢ هـ
(١) بيد أن تم اختيار الحكيمين شرع القراء بتسطير صحيفة الهدنة والموادعة فبحثوا في
ذلك طويلاً وفر رأيم في الأخير على أن تكون صورتها هكذا :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا منقاضي عليه عي أمير المؤمنين ، ومماوية بن أبي سفيان وشيما ، فيه تراضيا به من
الحكم بكتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله نضية علي على أهل العراق ، ومن كان من
شيعة ، من شاهد وخاب ، وقضية مملوية على أهل الشام ، ومن كان من شيعة من شاهد وخاب ،
اننا رضينا أن نزل عند حكم القرآن فيما حكم ، وأن تقف عد أمره فيما أمر ، فانه لا يجمع بيننا
الآن ذلك ، واننا جعلنا كتاب الله سبحانه حكماً بيننا فيما اختلفنا فيه ، من فمحتة الى خاتمة ، محمي
ما أحيا القرآن ، ونميت ما أمات القرآن ، على ذلك تراضينا ، وبه تراضينا ، وإن علياً وشيعة ،
رضوا أن يحثوا عبد الله بن قيس ناضراً ومحاكاً ، ورضي مملوية وشيعة ان يثبوا عمرأ بن الماس
ناظراً ومحاكاً ، على انهم أخذوا عليهم عهد الله وميثاقه ، وأعطهم ما أخذ الله على أحسن من خلقه ،
ليتخذان الكتاب اماماً ، فيما يتنا اليه ، لا يمدوانه الى غيره ، ما وجداه فيه مسطوراً ، وما لم
يجدهم مسمي في الكتاب ، ودناه الى سنة رسول الله الجامعة ، لا يتمدان لها خلافاً ، ولا يتجان
هوى ، ولا يغلان في شبة ، وقد أخذ عهد الله بن قيس ، وعمرو بن الماس ، على علي ومملوية ،
عهد الله وميثاقه ، بالرضاء بما يحكمنا به من كتاب الله وسنة نبيه ، وليس لها أن ينقضها ذلك ، ولا
يخالفاه الى غيره ، وانها آمان في حكمها ، على دماثها وأموالها وأهلها ، ما لم يبدوا الحق ،
رضي بذلك راضيه ، أو أنكره منك ، وإن الامة انصار لها ، على ما يقتضيان به من العدل ، فإن
تولي أحد الحكيمين ، قبل انقضاء الحكومة ، أمير شيعة واصحابه ، يجتازون مكانه رجلاً ، لا
يؤلون عن أهل المملعة والاقساط ، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق ، والحكم بكتاب الله

وَفِي الصَّحِيفَةِ قَدْ سَمَوْا الْعَلِيَّ أَيْسَرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا آلُوهُ تَوْجِيهًا
حَتَّى إِذَا مَا تَلَقَّاهَا مُعَاوِيَةُ نَادَى: إِمَارَتُهُ مَا كُنْتُ أَذْرِيهَا
بَلْ تَكْتُمُونَ أَسَنَّهُ وَأَسْمِي كَمَا وَجَدَا صَرْفًا وَمِنْ بَعْدِ ذَا يَأْصَحِبُ أُمُومِيهَا
وَسَارَ عَمْرُو مَهَاتِكِ الصَّحِيفَةِ نَعَسُوا الْمُرْتَفَعِي طَالِبًا تَحْوِيرَ مَا فِيهَا
وَقَالَ مَا أَمْرُهُ الْأُسْلَامُ نَرَفُهَا أَصْلًا عَلَيْكَ فَكَلَّا لَسْتُ رَاعِيهَا
قَالَ حَيْذَرُهُ: فَاغْمُوا الْأِمَارَةَ لَكِنَّ الْمُهَيَّمِينَ عَنِّي لَيْسَ مَا حِجَبَهَا
وَقَالَ: قَدْ صَدَّقَ الْأَمَادِيُّ بِقَوْلِهِ لِي: سَوْفَ تَلْقَى رِزَايَاتٍ لَا فِيهَا
وَقِصَّةُ الْمُصْطَفَى يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ السَّمُورُ قَدْ رَاحَ بِالْأَشْجَانِ يَرُونَهَا
قَالَ: قَدْ أَنْكَرْتُ كِفَارًا مُكَّةَ أَنَّهُ أَرْسَلُوا وَآلَى أَنْ يُرَاضِيَهَا

وسنة رسوله ، وله مثل شرط صاحبه ، وإن مات أحد الاميرين قبل القضاء ، فليشيته أن يولوا مكانه رجلاً يرضون عدله ، وقد وقعت هذه القضية ، وسهما الامن والتفاوض ، ووضع السلاح والسلام والمواخعة ، وعلى الحكمين عهد الله وميثاقه أن لا يألوا احتداداً ، ولا يتمدداً جوراً ، ولا يدخلوا في شبهة ، ولا يبدوا حكم الكتاب ، فقل قبله ، برئت الامة من حكمهما ، ولا عهد لهما ولا ذمة ، وقد وجبت القضية ، على ما قد سمي في هذا الكتاب ، من مواعير الشروط ، على الحكمين والاميرين ، والفريقين ، والله اقرب شهيداً ، وأدنى حفيظاً ، والناس امنون على اسمهم وأهلهم وأموالهم ، الى انقضاء مدة الاجل ، والسلاح موضوع ، والسبيل محلاة ، والشاهد والمائبين الفريقين سواه في الأمن ، وللحكمين أن يتزلا متزلاً عدلاً ، بين أهل الرقاق والشاه ، لا يحضرها فيه الا من أحبا من ملأ منهنما وتراضى ، وإن المسلمين قد أجلوا هذين القاضيين ، الى انقضاء شهر رمضان (سنة ٣٧ هـ) ، فن رأيا تحجيل الحكومة فيما وجها اليه مجملها ، وإن أرادا تأخرها مد شهر رمضان الى انقضاء الموسم (موسم الحج) فذلك اليهما ، وازدها بل يحكما بكتاب الله وسنة نبيه ، الى انقضاء الموسم ، فسلمون على أسرهم الاول في الحرب ، ولا شرط بين الفريقين ، وعلى الامة عهد الله وميثاقه ، على التهاء والوهد بما في هذا الكتاب ، وهم يد على من أراد فيه اخذاً وظلماً ، وأحاوله قضاء آه ، وكان ترجع هذه الصحيفة لليلة بقيت من صفر الحيرة سنة ٣٧ هـ وبعد الانتهاء من وضعها على صورتها المشار اليها نسخوها نسختين ساراجهاها اصحاب سيد اعلى اليه ليضيها ويشهد اليهود من يطوها الى معاوية وسار اصحاب معاوية ولقحة ليضيها ويشهد عليها اليهود من يطوها الى سيد اعلى ولما انتهت نسخة الصحيفة الى يد معاوية وكان يجانبه عمرو بن العاص انكر ان يلف سيدنا علي بغانجها بلف « أمير المؤمنين » وقال معاوية : بئس الرجل أنا لن اقررت لن علياً أمير المؤمنين ثم قتله . وقال عمرو بل نكتب اسمه ولم ايه انما هو أمير أهل الرقاق وما لعمرى فلا . قال هذا واحتمل الصحيفة وسار بها الى سيدنا علي عليه صلوات الله في خيمته وقال له اننا لارضى بهذه الصحيفة ما لم تمنح منها عن لسك تمب « أمير المؤمنين » فانا لو عرفناك اميراً المؤمنين لنا

قُلْتُ أُعْجِبُ إِنْ أَنَسَلَهَا نَكَرْتُ إِمَارَتِي وَحَرِيَّ أَنْ أَدَارِيهَا
 إِنْ أَمْنَهَا مَا أَمَحَّتْ عَنِّي وَرَبُّكُمْ لَأَشْكُ رَغْمَ عِدَاةِ الْخَلْقِ مُبِغِيهَا
 لِي أُسُوَّةَ بِرَسُولِ اللَّهِ لَسْتُ سِوَى رَيْبِهِ وَبِهِ نَفْسِي أَعْرِبُهَا
 فَقَالَ عَمْرُو: وَيَا سُبْحَانَ رَبِّي قَدْ شَبَّهْتَنَا بِدُعَاةِ الْكُفْرِ تَشْبِيهًا
 فَقَالَ حَيْدَرَةَ: خَفِضْ عَلَيْكَ مَتَى الْكُفْرُ لَمْ تَكُ قُلْ لِي مِنْ مَوَالِيهَا
 بَلْ قُلْ مَتَى كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْخَنِيفَةِ السُّمَحَاءِ تَعْنِي بِهَا مَا كُنْتَ شَانِيهَا
 فَأَغْثَاظَ عَمْرُو وَنَادَى: مَا مَجَالِسُكَ السُّوْتِي عَلَى إِفْرِ يَوْمِي ذَا أُخْطِبُهَا
 وَعَادَ أَدْرَاجُهُ يَتَنَا أَلْعَلِّي يَنَا حَيَّ اللَّهُ أَنْ يَقَهَّرَ الْأَعْدَا وَيُخْرِجَهَا
 وَهَكَذَا أَمْضَيْتَ تِلْكَ الصَّحِيفَةَ مِنْ كَلَامِ لَقَرَقَيْنِ كَيَّ تَجْرِي مَجَارِيهَا
 فَكَانَ مُسْتَبْشِرًا فِيهَا مُعَاوِيَةُ إِذْ أَقْدَرَهُ مِنَ الْبَلَوَى أَمَالِيهَا
 أَمَا أَلْعَلِّي فَأَمَتَى وَهُوَ مَكْتَتِبٌ مِمَّا تَجَرُّ عَلَيْهِ مِنْ مَسَاوِيهَا

قُلْنَا نَك: تَقَسَّم سَيِّدَنَا عَنِ مَالِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَقَالَ لِهَوَاكَةَ «أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ» وَلَكِنْ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ لَا
 يَجْعَلُهَا عَنِّي فَضَالَ الْأَحْفَافَ كُلَّهَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَمُحُ هَذَا الْقَلْبَ عَنْكَ فَاتِي أَخْشَوْهُ أَنْ يَحْوِيَهُ أَنْ
 لَا يَرْجِعَ إِلَيْكَ أَبَدًا وَلَا تَمُحُهُ . فَقَالَ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ لَقَدْ صَدَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
 إِذْ قَالَ لِي يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ سَلِّقْنِي مَطْلَاقًا عَلَى النَّاسِ كَيْفَ يَنْكُرُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمُصْطَفَى لِقَبِّ «رَسُولِ اللَّهِ»
 يَوْمَئِذٍ وَطَلَبُوا مِنْهُ مَعْوَةَ وَكَيْفَ ابْنُ سَيِّدِنَا عَنِّي وَكَانَ يَكْتُبُ الصَّحِيفَةَ مَعْوَةَ قَدْ سَبَقَ لَنَا تَفْصِيلُ ذَلِكَ فِي
 حَاشِيَةِ سَبَقْتُمْ قَالَ لِمُتَرَفِّقِي ذَلِكَ الْكِتَابَ أَمَا كَيْتُهُ يَتَنَا وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَوْمَ اكْتُبُهُ إِلَى ابْنَائِهِ
 كَمَا كَتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى آبَائِهِمْ شَيْئًا وَمِثْلًا . فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْمَاسِ: سَبَّحَانَ اللَّهَ أَتَشَبَّهْنَا بِالْكَفَّارِ
 وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا ابْنَ النَّافِثَةِ وَمَتَى لَمْ تَكُنْ لِلْكَافِرِينَ وَلِيًّا وَالْمُسْلِمِينَ عَدُوًّا . فَهَضَّ عَمْرُو بْنُ
 الْمَاسِ وَهُوَ غَاضِبٌ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَجْمَعُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ جَمْعٌ يَوْمَ الْيَوْمِ . فَقَالَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ أَمَا وَاللَّهِ
 فِي لَا رُجُوَ أَنْ يَظْهَرَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ

وما كاد يَخْرُجُ مُعَاوِيَةُ حَتَّى تَوَلَّى الْجُلُوسَ الْحَاضِرِينَ فَضَوَّاهُ سِوَقَهُمْ وَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 مَرَدٌ مَا شِئْتَ . فَقَالَ لَهُمْ سَبِيلُ نَحْبِيبٍ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّبِعُوا رَأْيَكُمْ قَدْ شَهِدْنَا صَلَاحَ رَسُولِ اللَّهِ
 وَمِنْ الْحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ رَأَى قَاتِلَانَا ثُمَّ لَمْ تَرَى فِي ذَلِكَ الصَّلَاحَ إِلَّا خَيْرًا .

وَبَدَأَ عَمِي بِأَمْرِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ لِقَبِّ «أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» عَنْ اسْمِهِ الشَّرِيفِ وَرَفَعَ عَلَى الصَّحِيفَةِ بِخَاتَمِهِ الْبَارِكِ
 وَسَارَ الْفَرَسَ بِسَبْحَتِهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَوَضَعَهُ عَلَيْهِمَا خَاتَمَهُ . وَكَانَ خَتَمُ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ مِنْ أَعْلَادِهِ وَفِيهِ «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»
 وَخَتَمُ مَعَاوِيَةَ مِنْ أَصْلَابِهِ وَفِيهِ «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» أَيْضًا . . .

فَأَصْبَحَتْ تَسْجَى بِالْمَخَافِ مِنْ سَوْءِ الْمَصِيرِ وَلَا تُلْقِي الْمُسْجِبَهَا
وَالْعَلِيَّ مَضَتْ تَبْدِي مَخَافَهَا مِنْ آيِنِ قَيْسٍ الَّذِي قَدْ صَارَ قَاضِيَهَا
صَاحَتْ مُجَاهِرَةً لِحُكْمِ الْإِلَهِ مِ بَ الْعَرْشِ هِيَ إِلَى آتِهِجَاءِ نُلْطِفِيهَا
قَالَ حَيْدَرَةٌ : لَا أَرْتَقِي نَكَلًا عَنْ عَهْدِهِ أَنْتُمْ كُنْتُمْ مُسَيِّفِيهَا
وَاللَّهُ أَمَرَ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ فَلَا نَقْدُوا أَوَامِرَهُ لَا بُدَّ نُوْفِيهَا
فَسَارِعُوا الدَّوِينَكُمْ وَارْقُبُوا سُنْ أَلَا م قَدَارِ مَاخِرَةٍ تَبْنِي مَرَاْفِيهَا
وَبَعْدَ ذَا رَحَلَتْ أَجْنَادُ كُلِّ قَرْنٍ فِي صَعَابَةٍ مَوْلَاهَا لِأَرْضِيهَا
فَسَارَ لِكُوفَةٍ أَلْنَا أُيُّ حَسَنِ وَلِلشَّامِ بِلَا بَطْنٍ مُعَاوِيَهَا
وَكَانَ هَذَا يُرَاعِي صَحْبَهُ وَيُرَا شِيْهًا وَبِالْمَالِ وَالْأَقْطَاعِ بَرَشِيْهًا
وَذَلِكَ يَقْصُدُ إِرْجَاعَ الْبَادِ إِلَى عَهْدِ النَّبُوَّةِ فِي أَهْلِ مَجَالِيهَا

هؤلاء من سيدنا علي ويري عليه صلوات الله منهم واستحل الشر
ثم ان محمد بن جريش تقدم من سيدنا علي وقال : أما الى الرجوع من هذا الكتاب سيل؟
والله اني لا اخاف ان يورث ذلًا . فقال عليه صلوات الله : أريد ان يكتبه تنقذه ؟ ان هذا
لا يخل ، ولعمري قد قلت ما قلت ، لما بدا فيكم من الخور والقتل عن الحرب . وبينما الناس
في هذا الحiran تقدمت مهادن من سيدنا علي وقال زعيمها سيد بن قيس : ها أنا ذا وقومي لا
نردك لك أسراً يا أمير المؤمنين ، قتل ما شئت نفسك . قتل عليه صلوات : أما لو كان هذا قبل سطر
الصحيقة ، لازلهم عن عسكرهم ، أو نفرد سالفتي ، ولكن كتب ما كتب فأنصرفوا راشدين
على ان سيدنا علي عليه صلوات الله مما اتصف به من الحلم وسعة الصدر والتجمل لدى زرادف
الاحداث شاق صدره وهيل صبره من قوم أكرهوه على صلح لم ير فيه مصالحة المسلمين وعلى
تحكيم من ليس بثقة ولا مقتدر وجأثوه في الاخير يلحون ويلغفون بان ينكت عهده وينقض وعده
فغضب لله وشرفته ورسوله وضيعه وتولاه الجزع والحلم وخرج الى الناس غليظاً فقال : ان هؤلاء
القوم ، لم يكونوا لينبيوا الى الحق ، ولا يجيبوا الى كلمة سواء ، حتى يرموا بالنار ، تبسما الصاكر ،
وحق يرجوا بالكتائب ، تقوها الجلاب ، وحتى يجير يبلادهم الجيش يتلوه الجيش ، وحتى يرهوا
الخيول في نواحي أرضهم ، وإحياء متاريمهم وسلاحهم ، وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج
وحق يلقاهم قوم صدق خب لا يزيدهم هلاك من ذلك ، من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله ، الا
جدا في طاعة الله ، وحرماً على لقاء الله ، ولقد كنا مع رسول الله قتل أبائنا وابنائنا واخواننا
وأعمامنا لا يزيدنا ذنب الا إيماناً وتسلماً ، ومضيئاً على أمم العالم ، وجهداً على جهاد العدو ،
والاستقلال بمبارزة الاقربان ، ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان ، يتصاول الفحلين
يتخالسان نفسيهما ايها يستقي صاحبه كأس انشور ، فرمة لنا ورملة لعدونا منا ، فلما رآنا الله
صدة صمراً ، أنزل عدونا السكبت ، وأنزل علينا النصر ، ولعمري لو كنا نأتي ، مثل الذي

لَمَّا الْخَوَارِجُ كَانَتْ مِنْ فَصِيحٍ عُلِيِّ فِي خِلَافِهِ تَبْنِي تَدَايِعُهَا
فَبَاتَ يَجْهَدُ فِي تَأْلِيفِهَا عَسَاءً بِلُطْفِهِ قَبْرَى لَا شَيْءَ يَرْضِيهَا
وَمَنْ أَرَادَ رِضَاءَ اللَّهِ يَتَّبِعْ مَعَ عِبَادِهِ وَلَيْعِيَا عَنْ قَرْضِهَا
الحكماء

وَدُومَةُ أَلْبَعْدَلُ الْحَصْنُ الْحَصِينُ غَدَا أَخَذُوهُ النَّاسُ فِي شَيْءٍ مَثَاوِيهَا (١)
كَانَتْ عُمُونَ عِبَادِ اللَّهِ تَرْقُبُهُ لَمَّا غَدَتْ فِي مَعَارِنِهِ أَمَانِيهَا
فَلَوْ مَا حَكَمَاهَا فِيهِ قَدْ نَزَلَا لِيَخْلُوَ وَضَعَتْ فِيهَا تَرْجِيئَهَا
هَذَاكَ الْأَشْعَرِيُّ الشَّيْخُ يَصْحَبُهُ عَمْرُو مُصَاحِبَةٌ تَخْشَى تَوَالِيَهَا
وَهَا هُمَا أَنْزَوِيَا حَوْلًا لِحُضْرَةِ أَعْبَتْ مَسَاكِلَهَا الْكَثْرَى مُحِيلِيهَا

أَتَيْتُمْ ، مَا قَامَ الدِّينَ ، وَلَا عَزَّ الْإِسْلَامَ ۝ اهـ

ويدان التي سيدنا أمير المؤمنين هذا الخطاب على أصحابه أمرهم التحفظ لا ودالي الكوفة وسرعان
ما عاد بهم إليها وهم بين خوارج نافرين عليه ، ومطيعين يتقانون في سبيل رضاه . وكذلك قبل
مباوية إلا أن قومه كانوا طواغية له يأمرهم بأسره ويتهون بنبيه ولا يتوخون غير رضاه . فجاء
بهم الشام ولا هم له ولهم إلا أن يفرز صاحبه عمرو بن الناس بخديمة إني موسى الأشعري وما كان
ذلك باعتقاده بعيد المثال أو في حكم الحال .

على أن الناس قبل أن يهودوا إلى مواطنهم أسرعوا إلى دفن موتاهم واحتملوا جراحهم ومما
يسترعي الانظار أنهم جماً كانوا متصافين ولم يفرق بينهم إلا أن بعضهم شيعة نواوية وبعضهم شيعة أمير المؤمنين
(١) سار أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري وعمرو بن الناس إلى « دومة الجندل »
وهي حصن للساميين يبعد عن المدينة المنورة نحو ١٥٠ فرسخة وعن الكوفة نحو ٨٠ فرسخة سرحا
اختاراه لخلوتها وأرسل سيدنا أمير المؤمنين مع أبي موسى أرساة مقاتلاً بقيادة شرح بن هاني
الحارثي وأرسل مباوية مع عمرو بن الناس أرساة مقاتلاً أيضاً فأوصلوهم إلى حصن « دومة الجندل »
وتركوها فيه . وقيل أن يترك رجل أمير المؤمنين صاحبه أبو موسى تقدم منه شرح بن هاني وأخذ
يده وقال : يا أبا موسى ، انك قد نصبت لأمر عظيم ، لا يجبر صدعه ، ولا تستقل فتته ،
ومهما تقول من شيء عليك أولئك ، ثبت حق ، ويرى صحتي ، وإن كن طاعلاً ، وإنه لا بقاء لأهل
العراق إذا ملككم مباوية ، ولا بأس عني أهل الشام إن ملككم عني ، وقد كنت منك تليطة أيام
الكوفة والجل ، فن تشفعها بمنها يكن الشئ بك شيئاً ، وأرجاه منك يا - ، وانشده شعراً :

أيا موسى ربيت بشر خهم
وأعز أخق شامهم وخفهم
وإن غداً يجيئ بما عليهم
ولا يخذل عمو إن عمرواً
فلا تضع العراق فدت قسي
فيس اليوم ذا مهز كأمس
بحكمهم من سعدهم ونحس
عدو أخق مطع كس شمس

وَبَاتَ دَاهِيَةُ الْأَعْرَابِ يَلْبَسُ بِالسَّجُورِ أَلْعَابَ مَكْرِ كَانَ رَاصِبَهَا
وَإِنْ عَمَرَا عَلَى عِلْمِ أَلْعِبَادِ بِهِ مَدَرَهُ الْأَشْعَرِيُّ أَلْفَمَرُ تَدَرِيهَا
هُنَاكَ كُنْتَ تَرَى عَمَرًا يُبَالِغُ فِي إِكْرَامِ صَاحِبِهِ يَخْبُوهُ تَجْوِيهَا
فِيَا تَجَلَّةَ وَالْإِكْرَامِ مَقْدَمَةَ يَلْقَى إِذَا جَاءَهُ مَكْرًا وَتَجْوِيهَا
وَكَانَ يُنْصَلِّي مَعَ الْأَجْلَالِ مَجْلِسُهُ يَقُولُ : صُحْبَتُكَ الْهَادِي لَا تَقْبِهَا
وَكَانَ يَخْلُقُ آثَارًا لَهُ حُدِثَ مَا كَانَ يَهْدِيهَا كِذْبًا وَيُطْرِيهَا
وَكَانَ بِالْمَدْحِ يُغْرِفُ وَيَخْذَعُ بِلاَ اتَّقَطَّعَ وَآيَ الْحَمْدِ يُسْذِيبُهَا
وَكَانَ يَنْعَتُهُ نَعْنًا بِأَفْضَلِ أَنْسَوَاعِ الثَّغُوتِ لَيْسَتْهُنَّ زَاهِيهَا
وَلَمْ يَزَلْ بِأَبْنِي مُوسَى يَكِيدُ لَهُ كِيدًا وَأُمِّيَّاهُ مَكْرًا يُرَانِيهَا
حَتَّى تَمْلِكَهُ وَاحْتَالَ حِيلَتُهُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذَرِي مَنَازِلَهَا
فَرَامَ بَادِيٍّ بَدَهُ أَنْ يُجَرِّدَهُ إِلَى جَمَاعَتِهِ كَيْفَا يُمَاشِيهَا

له خُدْع بحار النقل منها
ولا تجمل معاوية بن حرب
هده الله للإسلام فرداً
مجموعة مزخرفة بلوس
كشيخ في الحوادث غير تكسر
سوى عرس النبي وأبي عرس

وتقدم منه عبد الله بن عباس وكان يصحب الأرسمة ويصلي بهم بالنبابة عن سيدنا علي عليه
صلوات الله وقال له : يا أبا موسى ، أن الناس لم يرضوا بك ، وتجنسوا عليك ، لفضل لا تشارك
فيه ، وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار والتقدمين قبلك ، ولكن أهل البراق أبو الـ
أن يكون الحكم ناعياً ، ورأوا أن معظم أهل الشام يمانين ، وأهم الله أني لا أظن ذلك شراً لك
ولنا ، فإنه قد ضم إليك داهية العرب ، وليس في معاوية خلة يستحق بها الخلافة ، فان هدف
بجعتك على يافعه ، تدرك حاجتك منه ، وإن يطعم ناطه في حقك ، يدرك حاجته منك ، وأعلم
يا أبا موسى أن معاوية صديق الإسلام ، وأن أباه رأس الأحزاب ، وأنه يدعي الخلافة من غير
مشورة ولا نية ، وإن زعم لك أن عمر وعثمان استملاه ، فلقد صدق ، استمله عمر وهو المراقب
عنه ، بمجلة الطيب ، بحسبه ما يشتهي ، وبؤخره ما يكره ، ثم استمله عثمان برأي عمر ، وما
أكثر من استملاه ممن يدعي الخلافة ، وأعلم أن لمروى مع كل شيء يدرك ، خبثاً يهوكه ،
ومحب نيت ، فلا تنس أن علياً به القوة ، الذين يابوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وأنها نية هدى ،
وأنه لم يفتن إلا الماصي والنكثي ، قال أبو موسى : رجع الله ، والله مالي امام غير علي
وإني لو اتفعد ما ريت ، وإن حق الله أحب إلي من رضا معاوية وأهل الشام ، وما أنت وأنا
لا والله . ثم مالي إلى شريح قول : ولكن ما ينبغي لقوم انهموني ، أن يرسلوني لأدفع عنهم باطلاً ،
أو أجزئهم حقاً !!

فَخَابَ سَعِيًّا وَلَيْسَ إِلَّا شَعْرِي بَنَّا رَكَ عَلِيًّا لِيَسْتَنْصِفِي مُعَاوِيَةَ
وَأَيْمًا كَانَتْ الشُّورَى شِعَارًا بَنِي مُوسَى يَقُولُ : لِمَاذَا لَا تُنْصِفُنِيهَا
فَنَخْلَعُ الرَّجُلَيْنِ الْقَائِمَيْنِ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ وَنُعْطِي الْقَوْمَ بَارِيهَا
مَنْ تَرَفَضِيهِ جُمُوعُ الْمُسْلِمِينَ إِذَا مَا نَالَ سَامِي التَّسْيِي مِنْ مُشِيرِيهَا
وَكَانَ عَمْرُو يُنَاوِيهِ بِمُكْرَتِهِ ذِي وَهْوِيَا بَنِي إِبَاءَ أَنْ يُخْلِيَهَا
وَبَعْدَ طَوْلٍ جِدَالٍ كَانَ يَنْهَمَا مِنْ غَيْرِ جَدْوَى لِابْنِ الْعَاصِ بِجَنِيهَا

أما أصحاب معاوية فأنهم ودعوا عمراً بن العاص من غير أن يكلموه كأنهم كانوا على ثقة من أمره غير أنه عند ما ودع معاوية قبل لرحاله عن صفين قال له هذا يا عمرو : إن أهل الكوفة أكرهوا علياً على أبي موسى وهو لا يريد ، ونحن بك راضون ، وقد ضم إليك رجل ، طويل اللسان ، قليل المدة ، وله بسد خط من دين ، فإذا قال فدعه يقل ، ثم قل فأوجز ، واقطع المفضل ، ولا تلقه بكل رأيك ، واعلم أن خبء الرأي زيادة في العقل ، فإن خوفك بأهل العراق ، فخوفه بأهل الشام ، وإن خوفك ببلي ، فخوفه بمعاوية ، وإن خوفك بمصر ، فخوفه باليمن ، وإن أنك بالنفصل قائم بالجليل . فتبسم عمرو تبسم الهذلي وقال : خفف عنك يا معاوية ، فأنت وعلي اليوم رجلا قريش ، ولم تزل في حريك ما رجوت ، ولم تأمن ما خفت ، ذكرت أن ألبس الله ديناً ، وصاحب الدين منصور ، وأيام الله لأقنين علله ، ولا تستخرجن خباءه ، ولكن إذا جاءني بالآيمان والهجرة ومناب علي ما عبت أن أقول ؟؟ . قال معاوية : قل ما نرى . فقال عمرو وهل تدعي وما أرى ؟ قال بلى . قال عمرو فاسكت اذن . وتركه وخرج مضطرباً كأنه كره أن يوصيه نفع منه بنفسه . وقال عمرو بن العاص وهو خرج من حضرة معاوية لبعض أصحابه : إنما أراد معاوية أن يصغر أمر أبي موسى لأنه علم أني خادعه غداً فحب أن يقول أن عمراً لم يصدق أرباباً فكذبه بالخلاف عليه وأنشد :

يشتجي معاوية ابن حرب	كأنني لأحداث مستكين
والتي من معاوية غني	بحمد الله والله المين
قتلت له ولم أردد عليه	مقاتله وفشاكي أنين
ترى أهل العراق يندب عنهم	وعن حيلهم رجل مدين
فلو جهلوا لم يجهل علي	وغت القول يحمله النمين
ولكن خطبه فيهم عظيم	وفضل الرء فيهم مستين
فإن أشر ظم أظفر بوغده	وإن يظفر فقد قطع الوتين

وعند ما خلا عمرو بن العاص ببسب الله بن قيس الأشعري تجرد لخدمته وانصرف إلى استوائه وطلق بحمد سبقه للإسلام وصحة دينه وذكاءه وقامه وبخلق له من الأعمال الباهرة في سبيل الدين ما أتاه وما لا يأتاه وكان يجلسه في صدر المجلس ويجلس بين يديه ويألفه بتجلته واحترامه وكرامه وما زال كذلك حتى خدعه وكسب نفعه وفدى يوده .
وكان أبو موسى هذا كثير التشيع إلى عمر بن الخطاب مجباً بآعاليه متوفراً على حمد

أَجْعَى أَخْبَرَهُمْ أَنْتُمْ خُشَنَ فِكْرِيهِ وَقَالَ: هِيَ بَنَاتُ يَصَاحُ تُغْنِيَنِيهَا
أَعْيَا قَوَاقِفُهُ عَيَا وَتُمْ لَصَى إِلَيْهِ فِي خُدْعَةٍ قَدْ رَاحَ نَاوِيَهَا
وَقَالَ: إِنِّي أَرْضَى أَنْخَلُجَ أَحْكُمُ فِيهِ ثُمَّ شَوْرَاكَ قَدْ أَصْبَحَتْ يَلِغْنِيهَا
وَأِنْ إِرْضَاءَ رَبِّ الْقَرَشِ أَفْضَلُ مِنْ إِرْضَاءِ صَحْبِي فِي إِرْغَابِ بَارِيهَا
وَكَانَ عَمْرُو يَذِي أَلَا قَوْلًا يَخْذَعُ عُبْدَ اللَّهِ مُتَسَرِّسَلًا فِيمَا يُصَاهِبُهَا

مَاتِهِ وَكَانَ رَأْيُهُ أَنَّ خَيْرَ حُلِّ لِهَذِهِ الْمَشْكَةِ أَنْ يَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ يُقَدَّرُ
أَنْتَ سَرَّ أَيْهِ فَيَجِدُ لِلْمُسْلِمِينَ مَعْنَةً وَإِنْ لَا سَبِيلَ لِلْوُصُولِ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ يَجْلُجُ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَتَرِكَ
الْخِلَافَةَ شُورَى كَمَا تَرَكَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِسِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَكَانَ أَبُو مُوسَى كَلِمًا اجْتَمَعَ بِسَرِ بْنِ الْمَاسِ يَقُولُ لَهُ: هَلْ لَكَ فِي أَمْرِ هُوَ لِلْأَمَةِ صَلَاحٌ
وَلِصْلَاحِ النَّاسِ رَضَى أَنْ تَتَوَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الَّذِي يَدْخُلُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ وَلَا
هَذِهِ الْفِتْنَةُ ؟ وَكَانَ عَمْرُو يُجِيبُهُ قَائِلًا: فَأَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى مِنْ مَعَاوِيَةَ. فَيَقَاطِعُهُ أَبُو مُوسَى قَائِلًا:
لَا تَذْكُرْ صَاحِبَكَ إِلَّا تَرَانِي أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ صَاحِبِي. فَيَقُولُ عَمْرُو أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ عُمَانَ قَتَلَ مَظْلُومًا
فَيَقُولُ أَبُو مُوسَى: بَلَى. فَيَقُولُ عَمْرُو مَا يَمْنَعُكَ إِذَنْ مِنْ مَعَاوِيَةَ وَهُوَ وَلِيٌّ عُمَانَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
(مَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا) . ثُمَّ كَانَ عَمْرُو بْنُ الْمَاسِ يُسَبِّحُ بِهَذَا هَذِهِ الْآيَةِ
الْكُرْئِيَّةِ فَيُفَسِّرُهَا عَلَى هَوَى صَاوِيَةٍ يُفَسِّرُ سُلْطَانًا وَلِيَّ الْمَظْلُومِ بِالْإِسْتِغْلَاءِ عَلَى وَظِيفَتِهِ فَيَقُولُ لَهُ أَنْ
أَقْبَلِي كِتَابَهُ الْكُرْئِيَّ قَدْ وَلِيَ مَعَاوِيَةَ الْخِلَافَةَ الَّتِي كَانَتْ لِعُمَانَ وَقَتْلُهُ عَنْهَا وَهَذَا أَغْرَبُ مَا سَمِعَ بِأَوَّلِ الْقُرْآنِ وَقَدْ
نُوبَ هَذَا لِلتَّفْسِيرِ الْفَاسِدِ عَلَيْنَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ خُطْبَةِ النَّوَاءِ. ثُمَّ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ بَيْتَ مَعَاوِيَةَ مِنْ قَرِيشٍ مَا قَدَّ
عَلِمَتْ. فَالْخَيْبَةُ لِلنَّاسِ أَنْ تَتَوَلَّى مَعَاوِيَةَ وَلَيْسَ لَهُ سَابِقَةٌ فَنَظَرْتُ لَكَ حِجَّةً أَنْ تَقُولَ وَجَدْتُهُ وَلِيَّ عُمَانَ الْخَلِيفَةَ
الْمَظْلُومِ وَالْخَطَّابِ بِدَمِهِ وَالْحَسَنِ الْيَاسَةَ وَالْحَسَنَ لِلتَّدْيِيرِ وَهُوَ أَخُو أُمِّ حَبِيبَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زَوْجِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ. وَقَدْ مَحَبَّبَهُ وَهُوَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ. وَأَعْلَمُ يَا أَبَا مُوسَى أَنَّ هُوَ وَلِيَّ الْأَمْرِ أَكْرَمُ كَرَامَةً لَمْ يَكِرْ مَكَ
أَحَدٌ قَطْرًا مِثْلَهَا. فَيَقُولُ أَبُو مُوسَى: اتَّقِ اللَّهَ يَا ابْنَ الْمَاسِ أَمَا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَرَفِ مَعَاوِيَةَ فَإِنَّ
هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ عَلَى الشَّرَفِ يَوْلَاهُ أَهْلُهُ وَلَوْ كَانَ عَلَى الشَّرَفِ لَكَانَ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَرْبَعَةٌ
ابْنُ الصَّبَّاحِ أَمَّا هُوَ لَا هَلْ لَدُنْهُ الْفَضْلُ. مَعَ أَنِّي لَوْ كُنْتُ أُعْطِيهِ لَأَفْضَلُ وَأَشْرَفُ قَرِيشٍ لَأَعْطَيْتُهُ عَلِيًّا
ابْنَ أَبِي طَالِبٍ. وَلَمَّا قَوْلُكَ أَنَّ مَعَاوِيَةَ وَلِيَ عُمَانَ فَوَلَّاهُ هَذَا الْأَمْرَ فَأَنْتَ لَمْ تُكُنْ أَوَّلِيهِ إِذْ لَنَسَبَتْ
مِنْ عُمَانَ وَأَدْعُ الْمَاهِجِينَ الْأَوَّلِينَ. وَأَمَا تَرَى بِضْكَ لِي بِالْأَمْرِ وَالسُّلْطَانِ فَوَاللهِ لَوْ خَرَجَ لِي مِنْ
سُلْطَانِهِ مَا وَلَيْتُهُ وَمَا كُنْتُ أَرْقِي فِي أَفْقِهِ وَإِنْ شِئْتُ وَاقْتَنَيْتُ عَلَى سِتَّةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْجُرُوعِ إِلَى
شُورِهِ. وَهَذَا وَامْتَالَهُ كَالَّذِي يَدُورُ الْجِدَالُ بَيْنَ عَمْرُو بْنِ الْمَاسِ وَابْنِ مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ بَيْنَ جَدِّهِ دَوْمَةَ
الْجَنْدَلِ. وَعَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَوَادِثِ قَدَّمْتُ الْإِيَّامَ لِأَسْبَحَ قَالَا شَهْرًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَلِينَ عَدُوْلَانِي مُوسَى إِذَا كَانَ صَلَبُ
الرَّأْيِ لَا يَرْضَى أَنْ تَحُلَّ هَذِهِ الْمَشْكَةُ إِلَّا عَلَى طَرِيقَتِهِ وَهِيَ خَلَعَ عَلَى مَعَاوِيَةَ مِمَّا تَرِكَ الْأَمْرَ شُورَى
لَا عِيَانَ قَرِيشٍ كَمَا تَرَكَهُ عُمَرُ لِسِتَّةِ شُورَى بَيْنَهُمْ

وَبِمَا أَنَّ عَمْرُوَ بَدَاهُ الْمَشْهُورُ عَنْ زُجْرَةِ أَبِي مُوسَى عَنْ رَأْيِهِ أَخَذَ يَنْتَظِرُ بِإِقْتِنَاعِهِ
بِهِ وَتَحْكُمُهُ بِهِ وَحَقٌّ لَا يَدْعُ إِلَّا بِمُوسَى سَبِيلاً لِلتَّحْكُمِ طَفِقَ هُوَ إِضْطَافًا بِذِكْرِ مَحَسَنِ الشُّورَى عَلَى طَرِيقَةٍ

حَتَّى اسْتَنْتَمَ إِلَى مَا كَانَ يَسْرُدُهُ مِنْهَا وَمَا خَالَهُ يَهْرًا بِهِ فَبَيْنَمَا
وَهَكَذَا اتَّفَقَا أَنْ يَتَرَكََا عَلَنًا خِلَافَةَ الْمُصْطَفَى شَوْزَى لِأَهْلِيهَا
وَيَخْلَعَا جَهْرَةً عَنْهَا مَعَاوِيَةَ وَالْمُرْتَضَى خِلْفَةً مَا أَلْكَلَ رَاضِيهَا

اعمالهم الحكمية

مَرَّتْ عَلَى هَذِهِ الْأَسْلَامِ يَدُهَا وَالنَّاسُ تُسْتَطْلِعُ الْأَخْبَارَ مُنْبِئِيهَا (١)
وَلَمْ تَكُنْ تَدْرِي أَنْ يَسُودَ عَلَى رُبُوعِهَا السَّلَامُ أَوْ تَقْصُوْهُ لِيَا لَيْلَهَا
لِيَلْبِهَا أَنْ فِي أَرْضِ الشَّامِ أَنَا مَنْ لَا تَرُومُ سِوَى تَأْمِينِ وَالْيَا
وَمَا أَلَوْعِي بِرَاضٍ أَنْ يُضَيِّعَ حَقُّهُ وَيُغْضِي عَلَى مَسْعَى مُغْضِييَهَا

عمر ويطري عبد الله بن عمر ويذكر له ما سيكون من أمر إدارة الخلافة وتنظيمها بعد خلع علي
ومعاوية وشرح يذكر أسماء إعيان قريش الذين سيكون من حتمهم للقبول في الشورى إلى آخر ما
كان يقين فيه ويحيد لاكتساب ثقة صاحبه عبد الله الذي فرح فرحاً عظيماً بكسبه عمر ابن الماس
إلى رأيه وحسب نفسه انه قد قام بأفضل خدمة للإسلام والمسلمين

واما عمرو بن الماس فقد كان يضحك في سره من سلامة نية أبي موسى الأشعري حتى وثق
به وحسب يواقفه على خلع معاوية ويساعده على تسليم زمام الخلافة لعبد الله بن عمر بن الخطاب
حسب الله تعالى من غير أن يتفق معه على أخذ ولاية مصر لنفسه

(١) لم تكن دومة الجندل سجناً لعمر بن الماس ولبي موسى الأشعري ولا موصلة
انزوا فيها فلا يقابلان أحداً بل كان يقصدهما الناس بين حين وآخر وعرفنا من الذين زاروها المنيرة
ابن شعبة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وغيرهم وكانوا يجتمعون بها ويحادثونها على أن
هؤلاء الزوار كان منهم من هواء مع معاوية كالمعيرة وكان مقتول القتال ومنهم من كان يطلبها لنفسه
كعبد الله بن الزبير ومنهم من كان هوى بعض الناس معه كعبد الله بن عمر بن الخطاب ومع أن
استئطاف الناس بالحكمين مما يؤثر على آرائهما مع ذلك فأحب أن مسألة التحكم ابتدأت بالبيعة
وانتهت بالبيعة فلم يؤثر عليها مؤثر ما وخلاصة ما في الأمر أن الأشعث الذي كان يشجع الناس على
قبول التحكم لم يكن قط مخلصاً بطريقته لافي حجة على ولا ضده وإن أبا موسى كان متمسكاً بحكم
عمر بن الخطاب وكل عمل يبنى إليه فقد دعي إلى الحكومة وضع نصب عينيه شيئاً واحداً وهو
فوك الأمر شورى في قريش كما تركها عمر ولبلاهة لم يفرق بين حالة الناس عند وفاة عمر وحالهم بعد
موقعة صفين وإن الناس إذا قبلوا بالشيء الذين حصر فيهم عمر الخلافة فذلك لأنهم من أصحاب رسول الله
الذين جاهدوا معه ولأن معاوية والأمويين كانوا وراءهم يكرهونهم على ذلك الرضا ولكن هيئات
ان قبلوا بينهم فلا تفرق بينهم ولا سيما إذا كان النزاع على الخلافة معاوية وهو كما نعلم من الظلفاء
وهم مشركو قريش الذين ظفروا بمحاربين رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن نصره عليهم بنحوه
مكة المكرمة عنوة وده انتيراً أن معاوية لا يتخفى عن أخلاقه سواء الحكم الحكمان بتطهير عنها

وَقُلْ مَنْ ظَنَّ خَيْرًا فِي الْحُكْمَةِ مَا دَامَ ابْنُ قَيْسٍ مَعَ ابْنِ الْمَاصِ مُجْرِمًا
وَعِنْدَ مَا حَانَ نَقْلُ الْحُكْمِ وَالسَّيِّئَةُ الْمَضْرُوبَةُ أَلْوَعْدُ قَدْ وَفَّتْ مُجِيلُهَا
وَأَفَّتْ وَفُودٌ عَلَى دَوْمَةٍ وَوَفُودُ الشَّامِ وَالضُّفْنُ بَادٍ مِنْ مَاقِبِهَا
«وَالَّذِينَ تَعْرِفُونَ مِنْ عَيْنِي مُحَدَّثِينَ» إِنْ كَانَ مِنْ حُزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِهَا
وَعِنْدَ مَا عَقَدْتَ تِلْكَ الْوَفُودَ جَاءَ هَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا لِلْحُكْمِ نَادِيهَا
وَأَتَى إِلَيْهَا أَبُو مُوسَى عَظَمَ مِنْ حَقِّ شَرَعِ إِلَهٍ الْعَرْشِ مُؤْنِهَا
وَكَانَ يَتَّبِعُهُ عَمْرُو بِمَشْيَةٍ مُخْتَلَةٍ فَخُورٌ يُجِيدُ الدَّلَّ وَالْتِمِهَا
فَاسْتَقْبَلَ الْحَكَمَيْنِ النَّاسَ مُبَشِّرَةً وَقَدْ حَقَّ بِهِمَا بِأَصْفَوْ حَافِهَا
وَقَالَ عَمْرُو: أَبَا مُوسَى فِدَاكَ أَيْ مِنْ سَيْدٍ بَلَغَ الْجُورَاءُ تَوَجِهَا
أَقْدَمَ صَحْبَتِ رَسُولِ اللَّهِ قَبْلِي ثُمَّ قَسِي سِيَّيَ الْعُمَرِ طَاوِيهَا

أو لم يحكما . أمّا عمرو بن الماس وهو أبو حيلة التحكيم وأمّا فكان هواه مروقاً وهو عامل على تنفيذه كيفما كانت الحالة

ولقد عرفنا أن الأيام انقضت بعضها تلو البعض وعمرو بن الماس يروغ من أبي موسى وروغان التلبو وهذا لا يتحول عن رأيه وفي الأخير تطاهر عمرو بالاعتناق برأي أبي موسى والنزول على حكمه وورسل الحكمان في رمضان سنة ٢٧هـ إلى سيدنا علي ومعاوية يطلبان منهما أن يتدبا من يحفر من قبلهما إلى دومة الجندل لسماع الحكم فوعد سيدنا علي لوريمائة مقاتلاً بقيادة شريح بن هانيء الحباري ومعه عبد الله بن عباس يصلي بهم وصحبهم الاشتأ أيضاً وورسل معاوية لوريمائة مقاتلاً أيضاً بقيادة يزيد بن أسد القسري فلما بلغ الفريقان دومة الجندل خرج إليهم الحكمان أبو موسى الأشعري وعمرو بن الماس فقال هذا لأبي موسى كما دته من خداعه تكلم يا عبد الله فأنت مقدم علي وقد صحبت رسول الله قبل فأنت أكبر مني سنًا وقدرًا ثم أنكم أنا فتقدم عبد الله بن عباس من أبي موسى وقد رأى من عيني عمرو بن الماس الحديثة وقال له : ويحك والله ، أني لا ظنه خدعك ، أن كنتما اتفقتا على أمره فقدمه قبلك ليحك به ، ثم تكلم أنت بعده ، فإنه رجل غدور ، ولا آمن أن يكون قد اعطاك الرضى فها بينك وبينه ، فإذا فتى الناس خالفك . فجابه أبو موسى فقال : إياها عنك أنا قد اتفقتا وتركه وأقبل على الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إياها الناس ، أنا قد نظرت في أمر هذه الأمة ، فلم نر شيئاً هو أصلحة لأمرها ، وألم لتشتبا ، من أن لا يتباين أمورها ، وقد أجمع رأيي ورأي صاحبي ، على خلق علي ومعاوية ، وإن نستقبل هذا الأمر ، فيكون شورى بين المسلمين ، يولون أمورهم من أجور ، وأنى قد خلعت علياً ومعاوية ، فاستقبلوا أموركم ، وولوا من رأيتوه هذا الأمر أهلاً . وتحتي بعد هذا القول الآخر قد قبل عمرو بن الماس وهو يتهادى تهادي المنصر ، وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أن هذا قل ما سمعتم ، وخلق صاحبه ، وأنا أخلق صاحبه كما خلقه ، وأثبت

لَكَ أَتَقْدُمُ فِي أَقْوَالِ الَّذِي أَذْنُ الْأَمِّ سَلَامٌ تُصْنِي إِلَيْهِ كُنْ مُنَاجِبَهَا
وَزُخْرُفُ أَقْوَالِ غَوَّالٍ شَعْرِي فَلَمْ يَفْطَنْ لِحَيْلَهُ عَزَّوْكَى يُحَاشِيهَا
وَوَاجَهَ النَّاسِ بِالْحَمْدِ أَلَوْ فَرَّ عَلَى السَّرْبِ أَتَقْدِيرِ إِلَهِ النَّاسِ ذَارِبَهَا
ثُمَّتْ عَلَى الْمُصْطَفَى صَلَّى صَلَاةُ أَمِينٍ مُسْلِمٍ كُلِّ ذِي قُوَى يُصَلِّيَهَا
وَقَالَ : يَا نَاسُ بَيْنَنَا نَاطِرِينَ مَلِيكَ فِي أَمُوزِكُمْ كَيْمَا نَوَاسِيهَا
فَلَمْ نَرَ الْخَيْرَ فِي أَسْتُصْلَاحِ أُمَّتِكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ عَاشَهَا بِالشَّرِّ عَاشِيهَا
وَكُنِي نَلَمْ يَصَافِي وَذَهَابَ شَعْنًا بِهَا فَفَرَّقَ قَرِيبًا مُجِيبَهَا
إِلَّا بِخَلْعٍ عَلَيَّ مَعَ مُعَاوِيَةَ خَلَعًا بِهِ الشَّرْعُ أَسْتَحَا نَزْضِيهَا
وَأَلَا مَرُّ نَبِيٍّ شَوْزَى بَيْنَ أُمَّتِنَا لَسْتَنِي مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بُمَالِيهَا
ذَا مَا عَلَيْهِ لَقَدْ تَمَّ أَلَوْ فَاقُ مَعَ آبْنِ الْعَاصِ أَعْلَنِي فِي النَّاسِ تَجَرِبَهَا

صاحبي معاوية في الخلافة ، فانه ولي هناك ، والطالب بعده ، وحق الناس بمقامه . وما كاد يفوه
عمرو بن العاص بهذه الكلمات حتى نزلت على سبع ابي موسى كالمصافحة متمتع لونه وارتفعت اعصابه
وصاح بجله فله : مالك لا وفك الله قد غدرت وجررت ، انما مثلك مثل الكلب ، ان تحمله عليه يلهث ،
وان تركته يلهث . فقال عمرو وهو يتسم الساهر بيلاهته : انما مثلك مثل احمق ، يحمل اسفارا ، وينما
كان ابو موسى وعمرو بن العاص يتلاحيان كان الهرج والمرج قد ساد الناس فتقدم شرحبيل بن هاشم
من عمرو بن العاص وقتنه بالسوط وحمل عبد الله بن عمرو بن العاص على شرحبيل وقتنه بالسوط وقام
الناس لحجروا بينهما فجعل شرحبيل يقول اخطأت اذ لم اضرب عمرا بالسيف بدل السوط اتي الدهر
ما اتي . وانغم فرصة الهرج عمرو بن العاص وابو موسى فهربا من بين الناس مخفيين وصاح في
الناس سعد بن قيس الغمداني وكان من اصحاب سيدنا علي عليه صلوات الله فقال :
واقه لو اجتمع الحكمان على هدي ، ما زادوا باعلى مما نحن عليه ، وما ضللاهما
بلازم لنا ، وما رجعا الا بما بدأ به ، وانما اليوم ليس ما كنا عليه امس . فعتزته يزيد بن اسد
القسري وهو امير اصحاب معاوية قتل : يا اهل العراق ، اتقوا الله ، من اهوون ما تردونا ولا اكم
اليه الحرب ، ما كنا عليه بالامس ، وهو اثمنا ، وقد شخصت الابصار الى الصلح ، ولشرفت
الا قس على الهلاك ، واصبح كل اسري يكي على قتيل ، ما لكم رضيتم باول امر صاحبكم ،
وكرهتم آخره ؟ انه ليس لكم وحكم الرضى . فجهه اهل العراق وسفوه . وقال شاعرهم

بعمرو وعبد الله في لجة البحر
وبالله ربنا والنبي وبالذكر
رضينا هذا الشيخ في السر واليسر
امام الهدى في احكام والنهي والا سر

لايت من يرضى من الناس كلهم
رضينا بحكم الله لا حكم غيره
وبالاصح الهادي عليه اماننا
رضينا به حيا وميتا وانه

وَلِإِنِّي خَالَجٌ مَعَهُ مُعَاوِيَةَ وَلِتَخْتَرِ النَّاسُ مَنْ تَرْضَى لِأَمْرِهَا وَمَا أَنْتُمْ قَوْلُهُ لِمَخْدُوعٍ وَهَوَّيْهَا حَتَّى تَصْدَى لَهُ عَمْرُو بَلَا خَجَلٍ وَقَالَ : يَا نَاسُ هَذَا قَالَ قَوْلُهُ فِيهَا لَقَدْ خَلَعَ الْيَعْسُوبُ صَاحِبَهُ وَإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ الْيَوْمَ حَيْدَرَهُ لَكِنِّي مُثَبِّتٌ جَرًّا مُعَاوِيَةَ هَذَا وَلِي أَنِّي عَفَانٌ وَرَبُّكَ أَعْطَاهُ الْوَلَايَةَ فَهُوَ مِنْهُ عَاطِيهَا وَإِنَّهُ بِاللَّحْمِ الْمَهْدُورِ يَطْلُبُ أَعْدَاءَهُ الَّتِي قَلَعَهُ فِي تَمَصُّبِهَا إِذَا بَاغَرْتُمْ قَدْ كَانَ أَجْدَرُ مِنْ وَأَخَذْتُ الشُّبَّاقُ لَقَوْلَانِ وَأَضْطَرَبَتْ

وَالْمُرْتَضَى خَلْعُهُ كَوْنُوا مَرِيضِيهَا كَيْفَ مَا كَرِهْتُمْ يَرْقُبُهَا وَيُهْنِيهَا يَجِدُ مَا كَانَ يَدْرِي أَنَّهُ لِي يُعْصِيهَا بِشَوِّهِ الْحَقُّ بِالتَّضْلِيلِ تَشْوِيهَا وَكُنْتُمْ سَامِعِينَهَا وَهُوَ نَالِيهَا عَنِ الْخِلَافَةِ أَضْحَى مِنْهُ مُخْلِيهَا مَعَهُ وَخَلَعَهُ بِالْقَدَلِ نَاتِيهَا فَوْقَ الْخِلَافَةِ تَمْلِيهِ وَيُعْلِيهَا أَعْطَاهُ الْوَلَايَةَ فَهُوَ مِنْهُ عَاطِيهَا كَلَّ الْوَرَى فَهُوَ بِسْمِ اللَّهِ رَاقِبِيهَا مَعَاشِرُ النَّاسِ مِنْ مَعْنَى مَكِيدِيهَا

فمن قال لا قلنا بلى إن أمره
وما لا ين هتديمة في رقابنا
وضرب بربيل الهام من مستقره
أبت لي أشياخ الأرقام سنة
وهكذا انصرف أهل العراق للعراق وأهل الشام للشام وفي القوس ما فيها من الأحقاد
والأضغان وأيقنت الناس أن لا صلح ولا سلام
« ترجمة أبي موسى الأشعري »

هو عبد الله بن قيس بن سلم بن حصار بن حرب بن طاهر بن عمر بن بكر بن طاهر بن
عمر بن وائل بن ناعية بن الحارث بن الأشعر . وأمه بنت أدد بن زيد بن يشجب بن عروب بن
كهلان بن سبأ بن يشجب بن سرب بن قحطان . قدم على رسول الله وأسلم وهو عليه الصلاة والسلام
في مكة قبل هجرة الحبشة والأكثرين على أن « أبا موسى لم يهاجر إلى الحبشة بل أسلم وطاد إلى
اليمن ولم يزل فيها حتى قدم هو وناس من الأشعرين على المصطفى فوافق يوم قدمهم فقدم أهل
السبتين جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة فوافوا رسول الله في خير فظن قوم أن أبا موسى
قدم من الحبشة مع جعفر . وصحب أبو موسى المصطفى مدة ثم ولاه عليه الصلاة والسلام عدناً
والساحل بجوارها (لحج وأبين وما جاورهما) . وولاه أبو بكر زبياً من مخاليف اليمن . وفي عهد
عمر بن الخطاب كان أبو موسى مع قاتمي الشام وشهد خطبة عمر في الجابية ووافاه عمر بن الخطاب
ثم إن عمر ولي أبا موسى على البصرة سنة ١٧ هـ لما عزل المنيرة عنها وبأمره فتح أبو موسى

وَهَالَ صَحْبَ عَلِيٍّ أَنْ يَقُوَزَ بِمَنْبَدِ اللَّهِ عَمْرُو فَيَقْوِيَهُ وَيُخْرِجَهَا
وَأَغْتَاطَ غَيْظًا أَبُو مُوسَى لِيُخْرِجَهُ أَمَامَ أَصْحَابِهِ وَالْحَقْدُ قَاشِبُهَا
وَقَالَ : مَا لَكَ يَا عَمْرُو غَدَرْتَ بَنَا وَقَدْ فَجَرْتَ فَلَا لَاقِيَتَ تَرْفِيهَا
نَمْ تَبَادَلْ هَذَانِ السَّبَابَ . بِأَقْسَمِ وَالْإِدَاءُ كَانَ الْحَقْدُ يُمْلِيهَا
وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ عَمْرُو شَرِيحُ بَصَرٍ بَاتَ السِّيَاطُ يُؤْذِيهِ تَقَالِيهَا
كَذَاكَ صَحْبُ عَلِيٍّ بِالْعَجُوزِ لَقَدْ هَمَّتْ تُرِيدُ بِهِ أَسْوَأَ مَا بَيْنَهَا
فَلَمْ تَنْلَهُ اخْتَفَى عَنْهَا وَمَارَ إِلَى أُمِّ آقَرَى خَلَسَتْ إِذْ رَاحَ لَا جَبِيهَا
وَعَادَ كُلُّ قَرِيبِي نَحْوَ مَوْطِنِهِ وَفِي الثُّغُوسِ حَزَاوَتْ تَلْظِيهَا
وَأَقْنِ النَّاسُ أَنْ لَا يَسْلَمَ يَرْفُهَا وَالْعَرْبُ بِالْفِتْنَةِ مِنْهَا أَمَانِيهَا

نصيين في تلك السنة وفتح بأسره أيضاً الأهواز واصدها سنة ٢٢ هـ وعاد الى البصرة فظل فيها
الى صدر من خلافة عثمان حيث عزله هذا الخليفة وولي على البصرة عبد الله بن عامر بن كرز سنة
٢٩ هـ فغضب وسار الى الكوفة فسكنها وفي نفسه ما فيها على عثمان وعمله

وبقي الاشعري في الكوفة الى وانحرأ اليه عثمان حيث هب الكوفيون لما واد عثمانوا أكثروا من
الشكوى على واليه عليهم سيد بن العاص فطلبه عثمان اليهم من طلب من الولاء ثم أعاده الى الكوفة
فأبى أهلها قبوله وأعادوه الى عثمان وبادوا بأبي موسى والياً عليهم وذلك ما أنسوه فيه من الانصراف
الى الصلاة والتم بالكتاب ولشرف صحبته لرسول الله وقتل عثمان والكوفة بولاية أبي موسى
ويومع سيدنا علي خليفة المسلمين فخذ عليه صلوات الله ينظر في أمر المال ويستبدل الدين كثر
منهم الشكوى فأمره الاشتار على ابقاء أبي موسى على ولاية الكوفة محسناً الطين به شاهداً باستقامته
وعده فوافقه سيدنا علي على ذلك . ولما خرج اصحب اجل الى البصرة وتلبوا عليها وبتشوا
بتشتم بمامل سيدنا علي عليها كتبوا الى أبي موسى أن يغمم اليهم مع أهل الكوفة فأبى وأعلن
حياده منهم أن لا يكون ضد هم وقال لهم أفتنة يتحاشاها فمات تبع سيدنا علي أصحاب اجل
ووصل الى الرقة كان عليه صلوات الله متأكداً أن أهل الكوفة شيعة له وأن أبا موسى من
الامناء ليسته فكتب اليه يطلب المدد فرفض وكان بعد ذلك ما مر بنا تفصيله من ذهاب الاشتر
الى الكوفة ومردة أبي موسى منها فخرج أبو موسى الى داخلية العراق وظل خمسة أشهر مقاضاً
سيدنا علي ثم عاد اليه قائماً وبإيماء ومضى بعد ذلك الى الشام فأقام في إحدى قراها في موضع سموه «عريف»
وما عرفت أين موقعه وظل هناك الى أن انتهت موقعة صفين بالتحكيم واختاره الناس حكماً عن
أهل العراق وكان من أمره في التحكيم ما قد رأينا

وبعد قتله في التحكيم وظهور خديته فر إلى مكة غضباً على عمرو بن العاص وعلى نفسه وعلى
كل ما حوله وكان يزعم أنه اراد نصيحة الامة وظل في هاتيك المدينة المنقصة الى أن مات واختلف
الناس في سنة موته فقالوا لها سنة ٤٤ هـ وقالوا سنة ٥٠ هـ ولله أعلم .

معاوية بعد نبأ الحكم

خِدَاعُ عَمْرٍو خَفَافٌ لَطِيفٌ قَدْ حَمَلْتَنِيهِ لَأَبْنَ حَرْبٍ سَرِيفًا فِي خَوَافِهَا (١)
 أَوْ الْخَدِيعَةُ كَانَ الرِّيحُ نَاقِلَهَا إِلَى مَسَامِعِهِ حَالًا وَرَاوِيَهَا
 فَأَعْلَنَ النَّاسَ خَلَعَ الْمَرْتَضَى وَدَعَا هَا كَنِي تَبَايَعُهُ جَهْرًا بِأَيْدِيهَا
 وَإِنْ دَعْوَتُهُ أَلْفَتْ بِأَنْفُسِهَا هَالِ الشَّامِ هَوَى وَأَفَتْ تُلْسِبِنَهَا
 وَعَادَ عَمْرٌو إِلَيْهَا وَهُوَ مُنْتَصِرٌ فَاسْتَقْبَلَتْهُ بِأَيِّ الْمَدْحِ تُسَدِّدِنَهَا
 وَحَلَّ أَسَى مَحَلٍّ عِنْدَ صَاحِبِهِ وَبَاتَ مِنْهُ قَرِيبُ الْعَيْنِ هَانِيَهَا
 لَكِنَّ يَمَّةً إِنْ أَلْصَحَّ قَدْ قَصُرَتْ عَلَى الشَّامِ وَمَا جَارَتْ أَهَالِيهَا
 وَإِنَّمَا كَانَ يَرْجُو فَتَحَ مَمْلَكَةِ الْأُمِّ سَلَامٍ بِالسَّيْفِ قَاصِمِنَهَا وَدَارِنَهَا
 فَوَاصِلَ الْعَزَمِ فِي تَخْيِيقِ رُغْبَتِهِ وَمِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ وَاللَّهِ مُرْجِنَهَا
 إِذْ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّ النَّاسَ تَوَجَّدُ فِي ظِلَالِهِ نَزَقَةٌ يَحْلُو قَفْسِنَهَا
 لَدَا تَفَضُّلُهُ عَمَّنْ يُحَاوِلُ أَنَّ بَعُودَ مَمَّا إِلَى قَاسِي تَبَدِّلِنَهَا
 وَلَمْ يَكُنْ جَاهِلًا مَا فِي أَلْعِرَاقِ مِنَ الشِّقَاقِ وَالنَّاسُ يُؤْهِبُنَهَا تَجَزِّئِنَهَا

وابو موسى هذا هو الذي به عمر بن الخطاب الى وجوب تأريخ كتبه وذلك عند ماتولى
 البصرة سنة ١٧ هـ فكان تبيينه هذا سبباً لوضع التاريخ الهجري على ما تقدم القول في حاشية سبقت
 وكان ابو موسى قصيراً خفيف اللحم حسن الصوت جيد القراءة الا أنه كان قائل الرأي على
 بساطة سهل معها خديته على ما رأينا من أمره في التحكم سامحه الله

(١) هرب عمرو بن العاص من بين الناس ولحقه عن البيوت والأرصاد في إحدى هزرف

دومة الجندل مطشاً الى نجاحه مرتاحاً الى عمله وأخذ القريظاس فكتب الى معاوية

أتتك الخلافة مزفوفة هزناً سريراً تُقَرُّ اليونا

تُزَفُّ اليك زفاف الروس بأهون من طمك الدار عينا

وما الاشمري بصلد الزناد ولا خامل الذكر في الاشعرينا

ولكن أتيت له جنة يظل الشجاع لها مستكينا

فقالوا وقتت وكنت امرءاً أحججه بالحقم حتى يلينا

فقتها ابن هند على يدها فقد دافع الله ما يحذروننا

وقد صرف الله عن شامكم عدواً مبيتاً وحرراً زبوننا

وما انتهت أثمار عمرو بن العاص الى معاوية حتى طار فرحاً وسروراً بها وازداد فرحاً عندها

وَأَنَّهُ مَعَ عَمْرٍو بِأَخْتِيَا لَهَا قَدْ يَنْظُرَانِ يَدِي الْأَنْبِيَا وَمَا فِيهَا
وَيَنْلُغُ الْأُمْرَةَ الْعَلَمِيَا بِسُودُودِهَا مِمَّا الْمَصَاعِبُ حَالَتْ دُونَ بَاغِيهَا
وَبَاتَ يَطْمَعُ فِي نَهَبِ الْخِلَافَةِ أَقْسَطَاعًا وَكَانَ اخْتِلَافًا لِنَاسٍ مُّغَيَّبِيهَا

أمير المؤمنين بعد نبأ الحكميم

أَمَّا الْأُمَامُ فَلَمْ يَجْعَلْ مَكِيدَةً عَنْهُمْ وَكَانَ مُنْتَظَرًا كَيْدًا يَمَّا كَيْهَا (١)
وَكَانَ أَدْرَى الْأَوْزَى بِالْأَشْمَرِيِّ وَمَا فِي نَفْسِهِ مِنْ خَوَارٍ كَانَ مُؤْمِنِيهَا
فَقَدْ تَبَلَّغَ مَا قَدْ كَانَ مِنْ نَبَأِ الْحَكِيمِ وَالْحَيْلَةِ الْأَسْوَى وَمُجَرَّبِيهَا
وَأَقْبَى إِلَى النَّاسِ فِي سَامِي عَزِيمَتِهِ وَالنَّاسُ تَعْرِفُهُ مَا هُمْ يُخْفِيهَا

اطلع على نتيجة التحكيم وأسرع فطأ الناس إلى مبايعة فبايعه أهل الشام خليفة واستقر حكمه فبهم
لا يتعداهم وأخذ يكر بتوسيع أمره في بلاد الخلافة رويداً رويداً ابتكالا على سعة حياته وتعامله
مع الناس وعلى نفرة الناس من حكم سيدنا أمير المؤمنين الذي يأتي الأراجيح إلى القرآن وسنة
المصطفى عليه الصلاة والسلام وكان ابتكاله بالأكثر على ما عرفة شيئاً من اختلاف أهل العراق
فيما بينهم مما يضيف أسمرهم أمامه وما كان في ذلك قائل الرأي ضائع الحساب
وبعد قليل وصل عمرو بن العاص إلى الشام فاستقبله معاوية بناية التجلة والاكرام وأحله الخلل
اللائق به من الاجلال والاحترام

(١) هرب أبو موسى الأشمري من أيدي اصحاب سيدنا علي وهو موقن بأنهم قد ظفروا به
لو ظفروا به وقصد رأساً مكة متمصلاً بالكعبة كرمها الله محتياً بها وهو على أشد الندم والنيظ
وكان يقول لمن يصادفه : والله لقد حذرني ابن عباس غدرة التماسق ولكنني أضلأت إليه وظننت
انه لا يؤثر شيئاً على نصيحة الامة . ونحن يدورنا نقول لا ندري والله ما هي نصيحة الامة التي
ارادها ابو موسى بخلافه الخلافة من أمير المؤمنين عليه صلوات الله وهو من الامة على ما نعلم ويطم
في محل القطب من الرحي كما يجمل ما كان يريد بترك الأمر شورى بين قومه كلهم منهم يريد بها نفسه
وما فهم باجماع الامة من يبادل سيدنا أمير المؤمنين بوجه من الوجوه ولكن قدّر فكان

ولما انتهى نبأ ما كان من امر التحكيم وخديعة أبي موسى الأشمري إلى سيدنا أمير المؤمنين
عليه صلوات الله لم يقع منه في موقع الفرابية لأنه كان مقدراً هذه النتيجة السوداء المحزنة وخرج
إلى الناس في المسجد فلامن خطيباً قال : « اخذته » وإن أتى الدهر بالخطيب الفادح ، والحدث
الجليل ، واشهد أن لا إله الا الله ، وحده لا شريك له ، ليس معه له غيره ، وإن تمخدا عبده
ورسوله ، صلى الله عليه وآله ، اما بعد ، هـ مصيبة الناصح الشقيق ، السامع الجرب ، تورث
الحسرة ، وتمتّب الندامة ، وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة امري ، ونخلت لكم مخزون
رثي ، لو كان يطاع لتصير امر ، فبتم هي إياه الخائبي الجفدة ، ولما يدين العصاة ، حتى لو تاب
الناصر بخصه ، ومن ارتد بقدحه ، فكنت أنا وإياكم كقول اخو هوازن

وَقَالَ اللَّهُ حَتَّى قَاخَدُوهُ مَعِي وَإِنِّي شَهِيدٌ أَنْ لَا إِلَهَ سِوَا
وَإِنْ أَحَدٌ خَيْرَ الْخَلْقِ أَجْمَعِهَا رَسُولُهُ الْمُصْطَفَى لِلنَّاسِ يَهْدِيهَا
صَلَّى الْأَلَهُ عَلَيْهِ كُلَّمَا سَطَّتْ شَمْسٌ عَلَى أَرْضِنَا تُجَلِّي دِيَابِجَهَا
وَيَبْدُو بِأَصْحَبِنَا قَالَهُمْ دُوْغَيْرِ فَإِنْ أَنَا هَا قَابِئُ أَنْ نُعَاشِيهَا
وَإِنْ مَضِيَّةُ النَّدْسِ الشَّفِيقِ أَخِي الصَّخِ الْمُجْرِبِ لَمْ تُؤْمِنْ مَخَاشِيهَا
فَوَرِثَ الْهَسْرَاتِ الْكَثْرَ صَاحِبِهَا وَتَغَيَّبَ النَّدَمُ الْمَوْفُورَ آتِيهَا
وَفِي الْحُكُومَةِ أَمْرِي قَدْ أَمَرْتُكُمْ إِذْ كُنْتُ أَعْرِفُ خَافِيهَا كِبَارِهَا
وَقَدْ تَخَلْتُ لَكُمْ مَعَزُونَ رَأَيْ فِيهَا مَوْصِلًا حَالَهَا الْمُشْجِي بَاتِيهَا
لَكِنْ عَرَفْنَا «قَصِيرًا» لَا يُطَاعُ لَهُ أَمْرٌ إِذَا ذَكَرَ الْأَمْثَالَ نَاسِيهَا
وَقَدْ أَيْسَمْتُ وَيَا ذَلَالَهُ مَسُورِي إِبَاءَةً لَيْسَ مِنْ شَرِّ يُوَارِيهَا

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى فلم تسبقينوا النصيح إلا ضجعي الندم
«ال» أن هذين الرجلين ، الذين اخترعوهما ، قد نبذا حكم الكتاب ، وأحيا ما أمات ،
واتبع كل منهما هواه ، وحكم بشير حجة ولاينة ولا سنة ماضية ، واختلفا فيما حكما ، فكلامهما لم
يرشد الله ، فاستعدوا للجهاد ، وتأهوا للمسير ، وأصبحوا في معسكرهم « اه » وعند ما نزل أمير
المؤمنين عن المنبر اعترضه الناس بين متعقم بلومه على الحكومة وهو غير ملوم ومتفان بالانتصار
له يطلب منه أن يسرع بالهجوم
« قصة قصير »

استشهد سيدنا علي عليه صلوات الله بالمثل المشهور «لو كان بطاع قصير أمر» الحسن لما أن
نرد قصة قصير هذا فنقول :

كان في سنة ٢١٥ مسيحية ملك على الحيرة يدعى جذيمة بن مالك الأزدي وكان ذكياً شجاعاً
انصر في حروب كثيرة وكان أبرص ولكن الناس نادياً كانوا يلقبونه بالأبرص أو الوضاح وكان
جذيمة يألف من منادمة الناس منفرداً بنفسه وكان سلوته الوحيدة ابن أخته رقاش ويدعى عمرو ففقد
خلة وجرح عليه أشد الجزع وبعد مدة عثر بسرو هذا رجلاً من بني القين فأثاب به إلى جذيمة
ففرح فرحاً عظيماً وخبرهما في المكافأة فاعادوا منادته ما طاش وعاشا فادبها أربعين سنة وسر
من محبتها ولم يفرق بينه وبينها إلا الموت وضربت للناس بهما مثل في دوام الصحة قالوا
« كندماني جذيمة » وقال متهم بن «يرة يري أخاه مالكا مضمناً هذا المثل
من الدهر حتى قيل لن تصدقا
لما طول احتلام لم نبت ليله ما
وكنا كندماني جذيمة حقه
فما تهرقنا كافي ومالكا

خَالَفْتُمُونِي جُثَّةً فِي تَلَبُّعِهَا نَابَذْتُمُونِي عُصَاةً فِي تَحَدُّرِهَا
 حَتَّى قَدِ ارْتَابَ رَبِّبَا فِي نَصِيحَتِهِ نَصِيحَتُكُمْ هَوَى بَأْسِي أَنْ يُثْنِيَهَا
 وَرَنْدُ فِكْرَتِهِ مَا عَادَ يَدْحُ نِسْرَانِ الرَّوِيَّةِ فَالْعُصَيَانُ مُطْفِئُهَا
 وَكُنْتُ مَعَكُمْ كَمَا كَانَتْ هَوَازِنُ مَعِ نَصِيحَتُهَا إِذْ عَصَتْهُ فِي مَخَاطِبِهَا
 وَهَاهُنَا حَكْمَاكُمْ كَمَا كَانَ حُكْمُهَا مُخَالِفَاتَا آيِ رَبِّي لَا يُرَانِيهَا
 هُمَا لَقَدْ نَبَذَا أَحْكَامَ شَرْعِيهَا إِلَّا مَ غَرَّ لَمْ يُرْسِيَاهَا فِي مَوَاسِيهَا
 وَأَخْبِيَا مَا أَمَاتَ الشَّرْعُ مِنْ بَدْعٍ وَمَوْتَا سُنَنَّا وَالشَّرْعُ مُخْبِيهَا
 وَكَانَ كُلُّهُمَا وَاللَّهُ مُتَّبِعَا هَوَاهُ وَالنَّفْسُ تُقَوِّي مَنْ يُهَاوِيهَا
 قَضَى بِلَا حُجَّةٍ زَهْرَاءَ وَاضِحَةٍ وَسُنَّةَ لِرَسُولِ اللَّهِ نَذْرِيهَا

وكان على عهد جذيمة ملك من المالقي يدعى عمرو بن الطرب وكان يملك الجزيرة وأهالي
 القرات ومشارق الشام وكانت خاصته « تدمر » فزحف إليه جذيمة وناسبه الحرب حتى قتله وخلف
 جذيمة على الحيرة ابنته زينب الملقبة « بالزباء » وكانت وافرة الجمال وافية الذكاء كاملة الاحتيايل وما
 كادت تستلم زمام الملك حتى أقامت فيه من معالم الإصلاح ما جعلها مغرب الامثال . وكانت وهي
 مجدة وراء سياسة مملكتها طاملة على رقبها تتكر بالانتقام لآسيها من الأبرش قتله واذا رأت أن
 اخذه عنوةً يجرب بتدبير عليها عدوت الى الحيلة فلفقت تحسن مخاطبته وتكثر من مراسلته بحجة
 تأييد السلم بين بلاديهما حتى اذا ما شمرت من كنهه انه بات على ثقة منها أرسلت تحطبه لنفسها
 وتدعوه اليها ليقترنا وبها مملكتيهما الى مملكة واحدة . فلما انتهى كتاب الزباء الى جذيمة الأبرش
 لورناح اليه وشاور بما فيه من أسر زواجها أهل خاصته فوافقوه عليه الا وزيره قصير بن سعد اللخمي .
 وكان هذا في الأصل من عيد جذيمة ولما ظهر عليه من الذكاء وحسن الرأي حرره واستوزره
 فان قصيراً هذا خالف أصحاب جذيمة وما فات سداد رأيه . ما في نفس الزباء من سيده وقلة
 « الرأي ان تكتب الى الزباء ان تحضر اليك فن كانت صادقة النية لب التلب وأما أنت يامولاي
 فإياك ان تذهب اليها وتقع في حبائها وقد وترتها بقتل أبيها فأبى جذيمة الاضاء اليه . وقد خالف
 مشيره وأزاده تشجيعاً على اجابتها ابن اخته عمرو بن عدي . فبرز قصيرته وقول « لا يطلع قصير أمر »
 وصحت عزيمة جذيمة على الذهاب الى الزباء واستخلف عمرأ بن أخته على ملكه وسار بخاصته
 الى تدمر وفيهم قصير وما كاد يدنو منها حتى أرسلت الزباء وقدأ من قبلها لاستقباله ومعهم
 الهدايا فقال جذيمة لقصير ما رأيك في هؤلاء القادمين عليا ؟ فقال : اعلم أن هؤلاء هم جنود
 الزباء فن ساروا أمامك فلا تتخضم وسر معهم وان أحاطوا بك وعلم أنهم عدوون فاهرب على جوادك
 وما هو الا القليل حتى وصلد رجال الزباء فأحاطوا ببجذيمة ودمت قصير المكيذة دبر راجعاً الى الحيرة
 ولما بلغ جذيمة تدمر سار به أصحاب الزباء الى قصرها وعند ما أدخلوه عليها بأمرته جواربها
 فأخذت بتبشيعه وأجلسته على التطلع لوططن رهاشيه ومددن نواحية على طست كي لا يضيع شيء من

لَقَدْ اخْتَلَفْنَا فِيمَا قَدْ اخْتَكَمَا
كَلَامُنَا اللَّهُ لَمْ يَرْتُدْ قَدَّ غَوَا
فَلْيَجَادِ اسْتَمِدُوا وَالْمَصَادُ كُنَّا
وَكَانَ يَحْطُبُ بَيْنَ النَّاسِ حَيْذَرُهُ
لَقَدْ أَسَاءَتْ إِلَيْهِ أُمْسِي وَأَنْصَرَفَتْ
عَلَيْهِ قَدْ خَرَجَتْ ظُلُمًا تَرَاخِذُهُ
مَا اسْتَطَاعَ تَحْوِيلُهَا عَنْ شَرِّ رَغَبِهَا
وَالْيَوْمَ تَقِيمُ مِنْهُ فِي تَلَبُّجِهَا
كَذَا الْخِلَافَةُ بَاتَتْ فِي مَنَاعِبِهَا
فِي أَمْرِكُمْ لِيَنَّى فَسَلَّ تَوَخَّيْنَا
غَوَاةً نَحْنُ نَعْمِي فِي غَوَايِشِهَا
بِي أَنْ يَكُونَ سِوَى الْبَيْضَالِ قَاضِيهَا
وَنَقَمَةُ الْخَزَلِ فِي خَائِفِي مَطَاوِنِهَا
إِلَى عَدَاوَتِهِ ذَا الْيَوْمِ تُبْدِيهَا
يَرْغَبِي قَدْ أَصْرَتْ أَنْ تُجَرِّبَهَا
بِأَمْسِهَا عِنْدَ مَا وَافَى بِفَاضِلِهَا
بَقِيًا وَشِرُّهَا صَبَّ تَلَاوِفِهَا
مَحَالَةٍ لَمْ تَكُنْ تَرْضِي مُعِيْبِهَا

دمه وما زال دمه يسيل حتى قامت روحه وجمت الزباه دمه في ريقه (وءاء الطير) وحفظته في خزانها . وفي خلال مقتل جذبة على هذا الشكل كان رجال الزباه أوثقوا برجاله فأهلكوهم أما قصير فعند ما بلغ الحيرة أخبر الناس بما ينتظر من الكيد لجذبة فاجتمعوا وملكوا ابن اخته عمراً بن عدي عليهم وكان قصير يحرض عمراً على الأخذ بفارغاله جذبة إلا أن عمراً كان يهاب الإقدام على ذلك لما سمعه من حيلة الزباه لنفسها وكثرة ما لديها من قوة فمهد قصير إلى الحيلة وجدهم أنهم وصلم أذنيه وسار إلى الزباه وهو يظهر الحقد على عمرو بن عدي مدعيًا أنه هو الذي قتل به ما فعل انتقاماً لحاله بحجة أنه هو الذي أشار عليه بالسير إلى الزباه فلما رأته هذه قصيراً على ما ذكرنا وسمعت قوله انطلقت عليها حيلته وأنزلته في قصرها وأكرمت مثواه وجملته موضع شوراها فغشم القرصة واطلع على دخالها في قصرها وهرب فيه نفاقاً متعللاً بخارج الصور فأسر ما عرف بنفسه ثم ادعى أنه يملك أموالاً وفيرة في الحيرة واستأذن أن يسير إليها ليأني بها فأذنت له فخرج إلى الحيرة واطلع عمراً بن عدي على سر النفاق وجاءه بألفي فارس شاكبي السلاح وجليهم في غرار (أي أكياس كبيرة) وحمل كل غراريتين على حمل وجعل عمراً حاذي تلك الجمال ومضى بها إلى قصره حتى إذا ما دخلها أسرع قصير إلى الزباه وقال لها أيعري فقد جئتكم بما صأى وصئت أي الابل والذهب فمضت إلى أعلى سدر القصر لتنظرها فصعدت وأرسلت طرفها إلى لمدينة قرأت الجمال تكاد تسوخ أقدامها في الأرض من ثقل أحمالها وبينما كانت تنظر إليها وإذا بها قد انبعثت وخرجت الرجال من غرارها وجمت تمل السيف بأهل المدينة

وكان قصير عند ما بلغ قدس سار يسرو بن عدي إلى باب النفق الخارجي وادخله فيه وقال اسرع إلى داخل القصر وقف عند باب النفق الآخر حتى إذا ما جاءت الزباه لتدخل النفق وتهرب استقبلها يسيفك وانتم منها تلك الفضل . وبالفعل عند ما رأت الزباه المكيدة أسرعت إلى النفق لتهرب فوجدت عمراً في وجهها مشتهراً سيفه فسرعت إلى خاتم مسموم بأصبعها فامتصته وقالت « يسدي لا يبد عمرو » ووقعت ساقطة عند قدميه تجود بنفسها فأجهز عليها واستحوذ على أموالها وذلك ما لم

فَنِي الْفِرَاقَيْنِ قَدْ هَبَّ الْخَوَارِجُ لِلْحَرْبِ أَنْوَانُ فَلَمْ تَهْدَأْ سَوَافِيهَا
وَفِي الشَّكَمِ أَيْنَ حُرْبٍ بَاتَ يَطْمَعُ فِي أَرْضِ الْخِلَافَةِ طَرَأَ فَهَوَ غَايِهَا
وَالْمُرْتَضَى كَانَ يَلْقَى الْكَارِثَاتِ بِعَزٍّ لَا يَفْلُ قَلْعُهُ تَمَاسِيهَا
وَصَحْبُهُ أَنْصَرَفَتْ لِلْحَرْبِ تَنْصَرُّهُ عَلَى الْإِلْيَا لِي أَلْيَى أَدَجَتْ دِيَارِجِيهَا

أمير المؤمنين ومؤملوه

أَتَى الْوَرَمِيَّ فَمَا لَا فَوْقَ طَاقَةٍ أَهْلُ الْأَرْضِ مَا مِنْهُمْ تَالَلَهُ يَا تَبِيهَا (١)
يَمِي الْخَوَارِجُ قَدْ أَضْحَى عَلَى يَدِهِ السَّرْحُ خُنُ خَالِقُهُ لِلنَّاسِ مُجْلِيهَا
فَكَانَ بِالْأَنْبِيَاءِ الْوَأَقِيَّاتِ يَمَا يَمِي النَّاسُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَجْزِي وَيُنْشِبِيهَا
وَبِالْبَوَاهِرِ مِنْ نُصْحٍ وَمِنْ حِكْمٍ يُزِينُ أَقْوَالَهُ الْفَرَا وَمُجْلِيهَا

تصرا . وكان ذلك سنة ٢٧٢ هـ مسيحية أي بعد أربع سنوات من قتل خاله ومات عمرو سنة ٢٨٨ هـ مسيحية.

هذا خلاصة ما أورده الرب عن الزباه أما مؤرخو الافرنج فيدعون الزباه ملكة تدمر ويقولون لها حُرِبَتِ الرُّومَانُ وانتصرت عليهم غير مرة إلى أن اتعز عليها الامبراطور الروماني « اورليان » فأمرها ونقلها إلى رومه وماتت فيها « ابيات هريذ بن الصمة »

أما البيت الذي استشهد به سيدنا علي أمير المؤمنين عليه صلوات الله فهو من قصيدة حماسة منسوبة لـهريذ بن الصمة شاعر هوازن وهالك بعضها :

نصحت لمرأى واصحاب تارض	ورهد بني السوءاء والقوم شهدي
علانية فلتوا بالقي مدحج	سراهم في القارسي السر
امرهم امري بمتخرج اللوى	فلم يستينوا النصح الا ضحي النذر
فلما عصوني كنت منهم وقد لوى	غوايتهم لو انني غير مهتدي
وما انا الا من غزوة ان غوت	غوت وان ترشد غزوة ارشد

(١) لا جرم أن ما أتى أمير المؤمنين عليه صلوات الله من الخوارق التي يحيز عن انبيائها انبهر قد جل في أعين مناصره ومشاهدي كآلاته ومعجزاته شكاً في حقيقته فذهب قوم إلى أنه نبي ولكن ما يمتنعون بقول المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو « لا نبي بعدى » ؟ وقال غيرهم ان الجوهر الالهي حل في بدنه على نحو ما قال النصاري في عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام وغلا آخرون فقالوا انما هو الاله الواحد الخالق الرزاق تزه الله مما كفروا وقد روى الرواة الثقات عن هؤلاء الكفرة الذين الهوا المرتضى وعبدوه رويات شتى وأجموا على أنه عليه صلوات الله عند ما عجز عن اطاقته إلى الهدى امرتهم باللو ليلاتي بدعتهم ويبد كفرهم ولقد عرف المصطفى بما كشف الله عن بصيرته لمعرفة الميب ما سيكون لابن عمه واخيه

وَأَرْقَفَ الشَّسَّ عَنْ مَرْبِيِّ دَوْرَتِهَا أَوْ اسْتَضَاءَ بِأَنْوَارِ نُحَاكِهَا
وَبَحَسَ الْمَاءَ مِنْ صَخْرٍ وَمِنْ سَقَى جَبُوشَهُ وَأَرْتَوَتْ مِنْهُ مَوَاشِيهَا
وَبِالْكَمَالِ تَجَلَّى إِذْ تَنْزَهُ عَنْ قَاضِيَ النَّاسِ بِالْأَجْمَاعِ تَزِيهَا
لَدَا غَلَّتْ فِتْنَةٌ فِيهِ بِقَوْلِهَا وَالْهَيْتُ مَعَاذَ اللَّهِ تَالِيهَا
وَنَبَأَ الْمُصْطَفَى مِنْ قَبْلِ حَيْدَرَةٍ بِأَمْرِهَا وَهُوَ خَاشٍ مِنْ تَقَالِيهَا
فَقَالَ: يَهْلِكُ مَنْ يَغْلُو بِحُكِّكَ أَوْ يَغْلُو بِغَضِّكَ وَالنِّبْرَانُ يُثَوِّبُهَا
لَوْلَا الْمَخَافَةُ مِنْ قَوْمٍ قَوْلُ كَمَا قَالَ النَّصَارَى يَمِيشُ فِيكَ تَجْرِبُهَا
لَقُلْتُ فِيكَ مَقَالًا يَسْتَشِيرُ هَوَى السُّفُوسِ تَحْوِكَ مِنْ أَفْصَى مَطَاوِينِهَا
وَالْتَبَرُّكَ هَتَمِي أَنَا أَنْزِيَةً مِنْ تَحْتِ نَعْمِكَ إِذْ فِي السَّيْرِ تَقْدِيرُهَا
وَكَانَ مَا قَالَتْ لَهُ وَأَنْجَلَتْ فِتْنَةً وَحُبُّ حَيْدَرَةٍ بِالْشَّرِّ مَقُومُهَا
فَالْهَيْتُ وَصَلَتْ فِي مَحَبَّتِهِ عَنِ الْهَدَايَةِ وَأَجْنَزَتْ مَشَاوِينِهَا
أَجَلَ قَدِّدَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ سَبَا لِلشَّرِّ قَائِدَهَا جَبْرًا وَمُغْرِبُهَا
وَذَاتِ يَوْمٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَا فِي ذُرْوَةِ الْمَنْبَرِ الْكُوفِيِّ عَالِيهَا
وَرَأَى يَنْفُرُ هَاتِكَ الْجَوَاهِرَ مِنْ فِيهِ عَلَى النَّاسِ فِي زَاهِي تَلَالِيهَا
وَأَعْيَنُ النَّاسَ لَا تَغْفُكَ تَحْذِجُهُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَحَذَبَ وَهُوَ مَا لِيهَا
كَذَلِكَ آذَانُهَا تُصْنَعِي لِحِكْمَتِهِ السُّفْرَ الَّذِي كَانَ بِالْإِخْلَاصِ يُلْقِيهَا
وَيَلِينَا هُوَ فِي غَرَاءِ خُطْبَتِهِ مُسْتَرْسِلًا يَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ يُشْجِيهَا

ووصيه وصنوه المرتضى عليهما الصلاة والسلام من الشأن العجيب عند الناس ففيه الى ذلك وقال
« يهلك فيك رجلان يحب غال ومبغض قال » وقال له مرة « والذي نفسي بيده لولا اني استفيق ان
يقول طوائف من امتي فيك ما قلت النصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك قتالا لا تمر ببلاد من
الناس الا اخذوا التراب من تحت قدميك للبركة »

- اما قصة اولئك الذين اتهموا المرتضى قائل من جهر بهذا الكفر منهم هو عبد الله بن سبأ
وتبعه نفر من الناس قالوا كانوا مرة في المسجد الجامع في الكوفة فعلا المرتضى عليه صلوات الله
النبر خطيباً وبينما هو يخطب في الناس قاضيه عبد الله وطلق يصيح أنت أنت ولا يزيد فقال له
المرتضى وياك من أنا فقال عبد الله أنت الله وأمر أمير المؤمنين بالقبض عليه مع شيعته ورجعهم في

وَاِذْ دَوَّىٰ صَوْتُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ يَنُوتُ
وَقَالَ: وَيْلَكَ يَا ذَا مَنْ اَكُونُ اَنَا
فَاظْلَمَ النَّوْزُ فِي عَيْنِي اَبِي حَسَنٍ
وَقَالَ: هِيَ اَمْسُكُوهُ مَعَ جَمَاعَتِهِ
حَتَّىٰ اِذَا حَبَسُوهُمْ رَاحَ يَقْنَعُهُمْ
قَلَمٌ يَبْذُرُ وَعْظُهُ فِيهِمْ وَلَا قَبِيحُوا
فَهَا لَهُ اَمْرُهُمْ هُوَ لَا وَدَعَوْهُمْ
وَقَالَ: هِيَ اَحْرِقُوهُمْ اِنْ اَنْفُسَهُمْ
وَطَهِّرُوا الْاَرْضَ مِنْ طُغْيَانِهِمْ فَتَدَارَ
وَاَعْلَنُوا الْكُفْرَ وَالْكَفَّارَ لَيْسَ لَهَا
فَبَادَرَتْ حَضْرَتُ اَعْوَانُ حَيْدَرِهِ
وَاَوْصَلَتْهَا بِاُخْرَى الدُّخَانِ وَيَا
فَجَاءَهَا وَهِيَ فِي وَسْطِ الدُّخَانِ يَنُوتُ
قَالَ: هِيَ اَقْلُوها لِّلْمَعِيرِ فَمَا اَزْ
فَارْسَلُوها اِلَى الْبَيْرَانَ نَحَرُهَا
كَانَتْ تَقُولُ جِهَارًا: لَا يُعَذِّبُ بِالْاَسْبِرَانِ اِلَّا اِلَٰهُ النَّارِ ذَارِيهَا

السجن وهو محتاط ثم أسرع الى جحيم فلقبهم فيه وطلق بقتلهم بانه انسان مثلهم وعبد من عبيد الله يحاكمهم ووضعه خده على التراب وقال لهم ولحكم انما انا عبيد من عبيد الله فتموا الله ولوجوا الى الاسلام فصرخوا على الكفر واستمعوا على طغيانهم وهم يصيحون بل انتا لظنا وعاقتنا ورازنقنا وعند ما اعته الحيل معهم هاب ان تنقش دعوتهم في الناس فامر عرفت لهم حفرة تان تصلان بعضهم بسرب وامر ان توقد النيران باحداهما وان يوضع اولئك الكفرة في الاخرى ليؤذيهم دخانها فيرتدعون فلما صاروا في حفرة الدخان استنابهم وتوعدهم ما بوا واصروا على الكفر فامر بزرهم في حفرة النار وعند ما بنفوها صاحوا « الان ظهر لنا ظهوراً بينك انت الاله لان ابن عمك الذي ارسلته ان لا يذب بالنار الا رب النار » وكان هذا آخر كلامهم واحترقوا وروى بعضهم ان زعم هذه القصة الضالة عبد الله بن ساء أظهر التوبة وتوسط له سفر الناس لدى أمير المؤمنين ففاد عنه ونفاه من الكوفة الى المدائن وثل فيها عقاب كفره حتى قتل أمير المؤمنين

إِنْ أُنِيتَ عَلَيْكَ طَعَامٌ كَانَ أَنْبَاءَنَا يَذًا وَتَبَهُنَا مِنْ قَبْلِ تَبِيْهَا
وَقَدْ أَصْرَتْ عَلَى طُعْيَانِهَا وَمَضَتْ فِيهِ وَمَا أَتَمَّكَتْ حَتَّى تَلَا شَبَهَا

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَصَاحِبُ الْحُلُوفِ

وَأَتَى أَبَا حَسَنِ يَوْمًا أَخُو طَمَعٍ يَشْرِي وَلَاهُ بِحُلُوفٍ رَامَ يُهْدِيَهَا (١)
وَكَانَ يَطْلُبُ مِنْ تِلْكَ الْمُصَانَعَةِ السُّوْمَى مِنَ الْمُتَرَفِّعِي رُغْبَى يَرْجِيَهَا
وَأَفَاهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ وَقَدْ كَانَ الْأَمِيرُ يُنَاجِي رَبَّهُ فِيهَا
فَبَادَرَ الْبَابَ يَسْتَجْلِي خَبِيئَتَهَا تِلْكَ الزِّيَارَةُ وَالْأَهْلَاءُ غَاشِيَهَا
وَإِذْ بِشَخْصٍ وَفِي يَمْنَاهُ بِحُلُوفٍ حَلَسُوهُ فَسَلَّمَ وَهُوَ مِنْهُ يُدْنِيهَا
فَصَاحَ: وَاعْجَبِي مِنْ طَارِقٍ بِظُلَا مِ اللَّيْلِ ذَارًا بِهَا قَدْ قَرَأَ أَوْنَهَا
وَفِي يَدَيْهِ لَنَا مَلْفُوفَةٌ بِرُوعَا كَانَ فِيهِ عَنِ الرَّائِي مُغْطِيَهَا
مُعْجَزَةٌ عَجِزَتْ فِيمَا إِخَالَ يَرِنُ فِي الصَّلَاةِ أَوْ قَبْلَهُ أَفَرِ لَطَائِفِهَا
وَقَالَ: هَلْ ذِي زَكَاةٍ أَمْ لَنَا صِلَةٌ أَمْ فِي عَطَا صَدَقَاتِ الْبَرِّ تُغْطِيهَا
مُحَرَّمٌ ذَا عَلَيْنَا نَحْنُ أَلْ رَسُو لَ اللَّهِ هَبَاتٍ مَا كُنَّا مُجِلِّيَهَا
نَادَاهُ: لَا ذَا وَلَا ذَا ذِي هَدِيَّةٍ مَنْ يَرْجُو رِضَاكَ بِهَا ذَا سُوْلٍ مُهْدِيَهَا
فَهَبْ لَ الْمُتَرَفِّعِي رَبِّ الْهَدِيَّةِ نَا دَى إِيَّاهَا خِدْعَةٌ يَا صَاحِبَ تَائِيَهَا
وَأَفَيْتَ تَحْدَعُنِي عَنْ دِينِ رَبِّي بَا ذَا فِي هَدِيَّةٍ مِطْمَاحٍ يَرْجِيَهَا

عليه صلوات الله فلما بلغه ثبأ قتله قال وائمه لو حشموا بدماعه في سبعين سنة لعلنا انهم لم يموتوا
يموت حتى يسوق الرب نصاءة فلو اواضع حول عداقه بن سبأ هذا بالذات جماعة على هذا الكفر
وكانت لهم دعوة تبها كثيرين وبقيت بينهم رحمة صالحة

(١) خطر لاحد ذوي الطمع ان يبيع عن الحق المقدمين على الباطل الى يتقرب من سيدنا
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِحُلُوفٍ يَكْتَسِبُ بِهَا رِضَاً وَفِي سَبْقٍ لَهُ بِحَاجَتِهِ وَإِذَا كَانَ يَرِيفَانِ عَمَلُهُ غَيْرِ شَرْعِي
أَنَّهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مُحْتَمِلٌ فِي وَجْهِ حُلُوفٍ ضَخْمٍ وَسَارَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ
فَقَرَعَ الْبَابَ وَالنَّاسُ نَامَ تَخْرُجُ بِنَفْسِهِ الشَّرِيعَةُ إِلَى الْبَابِ وَهُوَ مُسْتَرْفٍ تِلْكَ الزِّيَارَةُ فِي جَمْعِ الظَّلَامِ وَقَدْ
رَوَى سَيِّدُنَا فِي نَفْسِهِ مَا كَانَ يَتَنَوَّبُ بِهِ مِنْ حَبِ الْخَوِي قَوْلُ: «أَعْجَبُ مِنْ طَارِقٍ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وَجْهِهَا»
وَمِنْ حَقِّ شَرَفِهَا كَأَنِّي عَجِزْتُ بِرِقِّ حَيْثُ وَفِيهَا قَتْلُ: أَصْلُهُ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذَلِكَ عَمَلُ عَلِيٍّ

هَلْ أَنْتَ مُخْتَبِطٌ أَمْ أَنْتَ نَهَجَرٌ مَخْمُومٌ مَا أَمَّ إِلَهَهُ الْكُفْرَى تَوَاحِيَهَا
وَاللَّهُ لَوْ كُنْتَ اعْطَى مَا قُلَّ أَقَا لَيْمُ الْبَرِيَّةِ شَرَفِيهَا وَغَرَبِيهَا
عَلَى مُعَاوَةِ رَبِّي بِأَغْتِصَابِ تُمَيْلِهِ جَلْبَبُ شَعِيرٍ كُنْتُ أَيْبَهَا
أَهْوَنُ بِدُنْيَاكُمْ يَا نَاسُ فِي نَظَرِي مَهْمَا تَفَاكَ الْمَغَالِي فِي قَهْنِيهَا
لَمْ تَنِي لِأَحْسَمِهَا مِثْلَ الْوَرَقَةِ فِي فَمِ الْجِرَادَةِ أَسْرِعُ أَنْ تُلَاشِيَهَا
مَا لِلْعَلِيِّ وَلَلَّتَاتِ تَزُولُ وَلَا تَبْقَى وَتَفْنَى كُرُورُ اللَّغْرِ يُفْنِيهَا
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ السَّبَاتِ لِقَدْسِي أَوْ خَطِي زَلِّي قَدْ ضَلَّ خَاطِبُهَا
وَأَسْتَعِينُ بِهِ وَهُوَ الْمُعِينُ عَلَى حَقُوقِ دِينِي وَأَرْجُو أَنْ أَوْفِيَهَا
قَدْ قَالَ هَذَا لِذِي الْحُلُوفِ وَعَادَاكِي صَفَاءَ خَطْوَتِهِ طَوْبَى لِرَاضِيهَا
وَسَارَرَاتِيهِ بِالْحُلُوفِ وَرَحْبَةِ مَنْعَاهُ بِرَشْوَتِهِ الْغَزْلَانُ تَالِيَهَا

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْرُهُ عَقِيلٌ

فِي ذَاتِ يَوْمٍ أَتَى رُبْعَ الْأَمِيرِ عَقِيلٌ طَالِبًا مِنْهُ جَدْوًى كَانَ يَبْغِيهَا (١)
نَادَاهُ : أَنْتَ شَقِيقِي وَالْأَمِيرُ عَلَى طَوًى وَمَنْ يَأْتَرَى إِلَاكَ يَكْفِيهَا
قَالَ : أَبَشِّرْ عَطَائِي يَا أَخِي أَنَا أُعْطِيكَهُ وَالْعَطَايَا قَدَرُ مُعْطِيهَا
وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا وَجَدَتْ مَهْمَا يَمُرُّ عَلَيْهَا قَدَرُ عَافِيهَا

آل البيت ، فقال لا ذوا ولا ذاك ولكنها هدية . فقلت هبلك الهول ، آمن دين الله أتيتني
لتخدمني ، ؟ أختبئ ؟ أم ذو جنة ؟ أم نهجر ؟ والله لو أعطيت الآلهة السجدة ، بماي تحت أقدامها
على أن أعصى الله ، في غلة أسلها جاب شعيرة ، ما قلته ، وإن دنياكم عندي ، لا هون من
ورق ، في فم جرارته قضمها ، ما لي وليهم رفق ، وقد تم لا تبق ، فودع الله من سيات العقل ،
ويصح الزلل ، وبه نستعين « آه قل أمير المؤمنين هذا وعد إلى داخل دلوه مستأقاً مناجاة ربه
على مادته ورجيم صاحب الطوى بحلواه يستتر ياذن القتل وقد ضاع وجهه

(١) أن أعظم ما صرف الناس عن سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله من بده خلخته
إلى نهايتها هو عدم عبايته الناس في توزيع الأموال عليهم والمدن في قسمتها بينهم على السوية كما أن أعظم
الاسباب التي مكنت معاوية من مناهضة سيدنا علي لولا وفوزه بأخلاقه ثانياً هو توزيعه الأموال
بغير حساب على كل من كان يرجو نفسه أو يخاف شره . وكان سيدنا علي مقيداً نفسه بأوامر القرآن
الشرف وسنة ابن عمه رسول الله عليهما الصلاة والسلام ومن جنتها المساواة في العطاء بين عموم المسلمين

قَالَ: هَبْنَاهُ يَكْفِينِي عَطَاؤُكَ وَاللَّهِ نَسَاؤُ لَا يُدْنِي هَاشِمِيَّتَهَا
فَافْتَحْ خِزَانَةَ بَيْتِ آلِكَ عَنْ كَرَمٍ إِلَى عَفَانِهِمْ مِثْلِي لِغَنِيَّتِهَا
وَلَا تَدْعُ صَبِيحِي فِي شَرِّ مَقَرَّةٍ فِي عَهْدِ عَمٍّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
قَالَ الرَّحْمَنِيُّ: فَبِحَسْبِي لِلصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الظُّهْرَ صَلِّ مَعَ مُصَلِّيَيْهَا
وَبَعْدَ ذَلِكَ أَرَى تَحْقِيقَ مَسْأَلَةٍ قَدْ جِئْتَ تَطْلُبُ مِنِّي أَنْ أَقْضِيَهَا
لَكَ عَقِيلٌ وَوَأَفَى لِلصَّلَاةِ مَعَ النَّاسِ الَّتِي أَقْبَلْتَ طَوْعًا لِإِدَاعِهَا
وَالْمُرْتَضَى أَمَّا يَرَأُ كَهَادِيهِ وَقَامَ فِيهَا خَطِيبًا لَا يُدَاخِجُهَا

شربهم ومتروهم قديمهم في الإيمان وحديثهم لانه كان يعرف قدر الاية العظيمة التي نزلت على محمد
ابن عبد الله وهي « نَمَا الْمُؤْمِنُونَ اخوة » وكان يترك حق الادراك وهو امام المشرعين ان من
شروط الاخوة المساواة في الحقوق ولا تكون اخوة حيث لا يكون تساوي . وكان يدخل في هذا
التساوي جميع المسلمين حتى اولاده واخوته وابناء عمه وفي اعتقاده ان آل البيت الطاهر وآل بيت
النبوّة لا يجوز ان يكونوا دالة على المسلمين او على بيت مال المسلمين كما انه عليه صلوات الله كان
يرى ان من كان ذا فضل في المسلمين او جهاد في سبيل الاسلام فان جزاءه على ربه في يوم الدين
وحدث ان عقيلاً وهو اخ شقيق لأمير المؤمنين كان كثير البيال وقد مال الى الترف شأن
أكثر المسلمين الذين مالوا اليه بعد ان اتست السلطنة الاسلامية وتوفرت أسباب الترف للمسلمين فيها وبعد
أن استأن الامويون على عهد عثمان سنة التوسعة على ذومهم وحبهم بدعوى انهم آل البيت المالك مقصد سيدنا أمير
المؤمنين عليه صلوات الله يسترفده في أولغرسنة ٣٨ للهجرة على ما أرجح مدعياً انه كثير البيال وان عطاءه
من بيت مال المسلمين لا يكفيه فيما خيرات الخلافة تساق الى اخيه وهو أمير المؤمنين فتلطف به سيدنا
علي وقال له : ان بيت المال هو لمسلمين وليس لي ، وما انا الا واحد من المسلمين ، فانهظر في رثا
اقبض عطائي فعطيك بعضه . فغضب عقيلاً والحف بالسؤال وقال : لست أسألك ان ترقدني في عطايتك
وهو لا يكاد يكتفي ولكن اعطني من بيت مال المسلمين ونحن احق به من سوادهم . فغضب عليه صلوات
الله وقال : اقم الى يوم اخية واتقي في الخاتم فظن عقيلاً انه بعد صلاة الجمعة سيحقق سؤاله ويقض له
خزائنه بيت المال فيوسع عليه منها وانصرف على أن يعود اليه في اليوم الموعد

وفي يوم الجمعة امتلأ جامع الكوفة بالمصلين واقامت الصلاة وعند نهايتها دعا سيدنا أمير المؤمنين
المنبر كعادته فخطب في الناس مرهياً سرغياً فصاحته المشهورة وبلاغته المأثورة تخط الاسماع واشاح الفوس
بما تدر من درر الكلام ثم نزل عن المنبر فاستدعى اليه اخاه عقيلاً وكان بين المصلين وقال له : ما
تقول في من خان هؤلاء ؟ قال عقيلاً : ناس الرجل هو . فضحك أمير المؤمنين وقال :
فئت تطلب مني أن اخونهم واهبوك عنهم بالعطاء . فاستاء عقيلاً وتركه ومضى

ثم ان عقيلاً صبر مدة على القصد وشبه تطعم بالتوسعة في الرزق وكان ينالم مما هو فيه
من خشن البيش مع عياله فرجع الى اخيه أمير المؤمنين ملحفاً بالسؤال طامعاً بالنوال فرض عليه
عطاءه : نية فأبه . وهو لا يرى فيه ما يلزمه معاهة فضلاً عما يورث أخاه من الضيق لو أخذ عطاءه وسار

فَكَانَ يَأْمُرُهَا بِالْبَرِّ يَطْلُبُهُ
 حَتَّى إِذَا مَا انْتَهَتْ تِلْكَ لِصَلَاةٍ دَعَا
 فَقَالَ: يَا بِنْتُ أَبِي مَاذَا تَقُولُ بَيْنَ
 أَجَابَ: إِنَّ أَشْرَّ النَّاسِ خَائِنُهَا
 فَقَالَ: إِنَّكَ قَدْ وَافَيْتَ تِلْكَ بَيْنِي
 فَسَارَ عَنْهُ عَقِيلٌ غَيْرَ مُقْتَنِعٍ
 وَعَادَ ثَانِيَةً مَعَ وَدَّهِ لِأُمِّهِ
 فَقَالَ: جِئْتَنِي مَسَاءً يَاعَقِيلُ قَدْ
 فَبَاءُ بَعْدَ أَنْ صَلَّى الْغُشَاءَ فَلَا
 وَقَالَ: دُونَكَ يَا صَاحِبَ الْعَطِيَّةِ خُذْ
 فَمَدَّ يَمْنَاهُ حَتَّى مَا تَنَاوَلَهَا
 وَصَاحَ: مَالِكَ تَكُونِي أَخِي وَذِي
 فَقَالَ حَيْدَرَةٌ: أَلَيْسَ لَكَ مُشْتَكِيَا

مِنْهَا وَعَنْ مُنْهَيَاتِ الشَّرْعِ يَنْهِيهَا
 عَقِيلٌ دَعَا فَطَنَ الْمَالِ تَالِيَهَا
 يَحُونُ هَذِي الرِّعَايَا أَوْ يُحَايِبُهَا
 إِنَّ الْخِيَانَةَ تُزِرُّنِي قَدَرِ آتِيهَا
 خِيَانَةً صَاحِبُ الْقُوَى يُحَاشِيهَا
 مُحِبَّةٌ لَمْ تَنْلِ جَدْوَى لِزَاجِعِيهَا
 الْمُؤْمِنِينَ يُنَادِي أَنْتَ كَافِرِيهَا
 يَنَالُ مَبْعَاثُ مِنْ قَوْمٍ مُمِيسِيهَا
 قَاهُ الْوَحْيُ سَوْحُ الْقَسْرِ رَاضِيهَا
 هَا تِلْكَ غَايَةُ مَا فِي الطُّلُقِ أُعْطِيهَا
 أَلْقِي بِهَا لِأَرْضٍ يَشْكُو الدَّعْحَامِيهَا
 حَلِيقَةُ مَا أَتَيْتَنِي بِقَدِي مُحِبِيهَا
 نَارًا بِذُنُوبِكَ سَهْلٌ أَنْ تُطْفِئَهَا

غاضباً متظاهراً بجمع صيته وجاءهم إلى أخيه أمير المؤمنين والبؤس والفرس ظاهران عليهم ظمراوى عليه صلوات الله اخاف عقيلا قال حتى في النساء لادفع اليك شيئا فتركه وعد بولاده وفي النساء عد إلى أخيه وفي حال وصوله له مد أمير المؤمنين شيئا في يده ولم يدونك هذا فهو عقيلا على العطية يخرج من عليها وقد غلبه الخشوع وتكد تلمس يده حتى طر كالحجور والخور تحت يد جازره لانها كانت حديدة كحماة بالار فضحك أمير المؤمنين وقال: شككت امثا في الخنجر من حديدته وأودعت لها نار الدنيا فكيف بك وفي غدا ان سلكتنا في سلاسل جهنم ؟ ثم قل له ليس لك عدي الا ما ترى . فغضب عقيلا وانهرف عنه وسرعان ما انجلى بيماله إلى الله يطلب رفة البش في حل مفاوية

وعند ما بلغ عقيلا الشام استقبله مفاوية بالرحلة والاكرام شانه مع كل الذين كانوا يعضدونه من اشراف قريش ليتمسكوا بهم ويتخذوا منهم حوله حجة على رضاء المسلمين بخلافته وكرامتهم لخلافة سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله . وأمر له يوم قدومه بمئة الف درهم وقال له رفته بها عيالك ولك منها كما فدت . ثم قل له وهو يحس انه امتك منه بقاءه : اأما تريد ان أأخذ مني ؟ وكان عقيلا حريصا بديه الجواب فقال : وجدت عليا أكثر لنفسه منه لي ، ووجدت أنظر لي منك لنفسك . وحتل مفاوية هذا الجواب وكان حولا ' اسطة قريش فيها يجهونه به قمره ' لنداء سيدنا عبي وحده ولعله ان قريت . فيهما تعتبره معتصبا ' الخلافة فهو مضطر إلى مداراتها والصر عليها حتى لا تجتمع كتب ضده وتنفذ إلى سيده عبي وتؤمره تحت رايه الخلافة .

فَكَيْفَ لَوْ أَنَّنَا مِرْنَا عَدَا لِرَبِّي جَنَّتُمْ مِثْلَمَا تَهْوَى لَنَاوِنَهَا
فِي أَخِي لَيْسَ عِنْدِي فَوْقَ حَقِّكَ مِنْ عَطِيَّةٍ مِثْلَمَا تَرْجُو أَوْدِيَهَا
فِيرَ لَأَهْلِكَ وَأَقْصُدْ فِي حَوَائِجِهَا وَلَا تَرْمُ زَرْقَةً تَخْشَى مَسَاوِنَهَا
فَسَارَ عَنْهُ عَقِيلٌ وَهُوَ مَكْتَشِبٌ يَا بَنِي عَلِيٍّ قَالَ أَلَيْسَ يَنْبَغِيهَا
وَعَمَّ الشَّامَ يَرْجُو فِي مَرَايِهَا يُسْرًا وَمَا أَلَيْسَرُنَا عَنْ مَثَاوِنَهَا
مَا دَامَ فِيهَا مُعَاوِنَهَا يَجُودُ عَمَّا لِالْمُسْلِمِينَ كَفَيْضِ السُّحْبِ هَامِيهَا
وَكَانَ يَلْقَى قُرَيْشًا بِالْأَنْصَارِ يُرْجِي أَنْ يُعَوِّلَهَا عَنْ نَصْرِ عَالِيهَا
وَمَا لَمَّْا خَدَعَ الْمَالُ الثُّغْمَانَ شَطَطًا: فِي تَوَخُّيهِ عَنْ أَحْكَامِ بَارِيهَا
وَلَمْ يَنْبَغِ بِأَبْنِ حَرْبٍ عَلَى صَاحِبِنَا قَدْ رَأَى عِنْدَهُ يُسْرًا وَتَرْفِيهَا
حَبَاهُ مِثَّةَ أَلْفٍ مِنْ دَرَاهِمِهِ بَدَاءَةً قَالَ فَأَشْكُرُ بِرَّ مَوْلَانَا
أَتَّقِ بِغَيْرِ حِسَابٍ غَيْرَ مُقْتَصِدٍ مِنْهَا وَرَزْدَ مَعَ مَنْ تَهْوَاهُ تَرْفِيهَا
وَقَالَ: هَلْ أَنَا خَيْرٌ يَا عَقِيلُ أَمْ أَلْمَلِيُّ لِلنَّاسِ إِنْ تَزَجَّيْنَا أَمَانِيهَا
نَادَى عَقِيلٌ: أَخِي وَاللَّهِ يَرْقُبُ السَّجَنَاتِ يَطْلُبُ أَنْ يَفُوتِي أَعَالِيهَا

وغلَّ عَقِيلٌ فِي الشَّامِ يَنْتَمِ بِأَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي كَانَتْ بِنَدَقِهَا مُعَاوِيَةُ عَلَيْهِ اسْتِجْلَاءً لِرِثَائِهِ وَكَانَ كَاسِيَةً مِنْ قُرَيْشٍ وَاسْتَوَى فِي الشَّامِ بِكَرَمِ مُعَاوِيَةَ مِنْهُ وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ بَيْنَمَا كَانَا مُعَاوِيَةُ فِي عَجَلِهِ وَوَجَّهَ النَّاسَ حَوْلَهُ وَفِيهِمْ عَقِيلٌ . خَطَرَ لِمُعَاوِيَةَ أَنْ يَلْقَى كَلِمَةً يَحْتَدُّ بِهَا مِنْ قَبْلِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ وَيَرْفَعُ نَفْسَهُ فَقَالَ : هَذَا أَبُو بَرْدٍ يَنْتَكِمُ ، لَوْلَا عَلِيٌّ لَمْ يَكُنْ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَخِيهِ ، لَمْ أَقُمْ عِنْدَنَا وَتَرَكَهُ . فَغَضِبَ عَقِيلٌ هَذَا التَّحَرُّشُ بِأَخِيهِ وَقَالَ : إِنَّ أَخِي خَيْرٌ لِي فِي دِينِي ، وَأَنْتَ خَيْرٌ لِي فِي دُنْيَايَ ، وَقَدْ أَتَرْتُ دُنْيَايَ ، أَسْأَلُ أَهْلَ خَلْقَةٍ خَيْرَ . فَغَضِبَ مُعَاوِيَةُ وَسَكَتَ .

عَلَى أَنَّ سَبِيحَ عَقِيلٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَاقَعَتْ عِنْدَهُ قَدْ تَرَكَ سَبِيلًا لِإِعْدَاءِ سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ أَنْ يَطْلُبُوا بِحُكْمِهِ وَيَتَلَوُّوا مِنْهُ مَخْتَلِفًا لِرِثَائِهِ عَنْهُ أَسْبَابًا مُخْتَلِفَةً كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ تَرَكَهُ وَمَعْنَى لَاهُ أَلَنَاءُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ . وَقَوْلُ آخَرِينَ أَنَّ عَقِيلًا تَرَكَ أَخَاهُ وَمَعْنَى لَاهُ رَأَى مُعَاوِيَةَ أَفْضَلَ مِنْهُ وَأَحَقَّ بِالْخِلَافَةِ . وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الَّتِي أَرَادُوا بِنَشْرِهَا بَيْنَ النَّاسِ تَنْفِيرَهُمْ عَنْهُ . وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ يَصْدُقُونَ كُلَّ مَا يَسْمَعُونَ مِنْ غَيْرِ تَحْقِيقٍ وَلَا تَدْقِيقٍ وَقَدْ أَتَصَلَ لِنَهْطِهِمْ لَاهُ الْإِعْدَاءِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَمِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَنْتَلِ أَعْدَاؤُهُ مِنْهُ وَيَحُولُوا قُضِيَّتُهُ فِي عَدَمِ تَمْيِيزِ مَا لَهُ عَنْ سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى تَقْصِيرِهِ قَبْلَهُ فَصَدَّقَ الشُّعْبُ فِي صَلَاةِ الْحَمْدِ خَطِيئًا لِحَمْدِ اللَّهِ وَأَثَمِي عَلَيْهِ وَقَالَ :

« وَاللَّهِ لَأَنْ أَيْتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مَسْهَدًا ، أَوْ أَجْرٌ فِي الْأَغْصَانِ مَصْفَدًا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَمِّيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ طَالَمَا لَبِضَ الْعِبَادُ ، وَغَاصِبًا شَيْءٌ مِنَ الْخَطَايَا ، وَكَيْفَ أَظْلَمُ

وَأَنْتَ تَرْتَبُ الدُّنْيَا لَدُنْهَا وَتَبْتَغِي بِالْطَّيَا كَسْبَ أَهْلِهَا
وَمَا تَعْلَمُ مِنْ هَذَا مُعَاوِيَةَ أَنْ يَقْصِرَ الْقَوْلَ الْمَذْمُومَ حَاكِمَهَا
فَقَالَ فِي ذَاتِ يَوْمٍ وَهُوَ مُجْتَمِعٌ بِصَحْبِهِ كَانَ عَنْ صَفْوِ بَنَاتِهَا
لَوْلَمْ يَحْذِرْنِي عَقِيلٌ مِنْ أَخِيهِ لَهُ خَيْرٌ لِمَا جِئْتَنِي قَدْ رَاحَ رَاضِيهَا
أَرَادَ فِي ذَلِكَ أَنْ يُزِرَنِي بِقَدْرِ عِلْسِي ثُمَّ مِيزَتْهُ عَنْهُ يَحْمِلُهَا
وَكَانَ ثُمَّ عَقِيلٌ عِنْدَهُ فَأَبَى وَرِقَّةٌ بِأَخِيهِ هَمَّ يَقْبِضُهَا
وَصَاحَ: إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ أَخِي لِي فِي دُنْيَايَ مَا دُمْتُ دُونَ الَّذِينَ بَاغِبُهَا
وَإِنَّهُ أَخْبَرُ فِي دِينِي وَأَسْأَلُ رَمَّ بَ الْعَرْشِ خَائِئَةً حَسَنًا أَلَا قَبِيهَا
هَذَا عَقِيلٌ وَذِي تَالِهٍ قِصَّتُهُ قَدْ شَوَّهَتْهَا أَلْبَدَى بِالْكَذِبِ تَشْوِيهَا
قَالُوا: أَبُو حَسَنٍ أَضَحَّتْ بِخَلَاقِهِ مَا إِنْ لَهَا فِي الْبَرَايَا مِنْ يُؤَالِهَا
حَتَّى أَخُوهُ عَقِيلٌ قَدْ عَصَاهُ بِهَا وَسَارَ لِلشَّامِ يَسْتَصْفِي مُعَاوِيَةَ
فَقَاظَلَهُ مِنْ أَعَادِيهِ رَوَاتِنَهَا أَلْكَذِبِ الصَّرَاحَ وَلَمْ تَرْهَبْ تَمَنِيهَا
وَوَاجَهَ النَّاسَ مِنْ أَعْلَى الْمَنَابِرِ فِي هَذِي الْحَقِيقَةِ بِدِينِهَا وَخَافِيهَا
بِحُطْبَةٍ تَحْلُبُ الْأَسْمَاعَ مُعْرِبَةً عَنِ التَّرَاهَةِ فِي أَسَى مَكَارِنِهَا

أحدًا لنفسه يرمي إلى البلي قولا ، وطول في التري حلوها ، والله لقد ربيت عقيلا وقد سبق
حتى استأخري من يركم صاعا ، ورأيت صبياته تمت الشهور ، غير الأثون ، من فقرهم . كما
سوءت وجوههم بالظلم ، وعاودني وكذا ، وكرر عبي القول مرددا ، فصفيت إليه سمعي .
فظن أني أيسه ديني وأتبع قياده ، فافوتنا طريقي ، فحيت له حديدة ثم أدبته من جسمه بغير
بها ، فضج ضجيج ذي دنف من ألهما ، وكاد يحترق من مسها . فقلت له مكتبتها اشوا ، كرا ياقين
أنت من حديدة أحاما انسان للبه ، وتجبرني إلى دار سجرها جبارها . فقصه لي . فقلت من لا تدني ولا
أنت من لقي ؟ اه

قال هذا أمير المؤمنين عليه صلوات الله وتزل عن المنبر وهو منزع الضمير إذ شفه نفسه
بحقيقة ما كانوا عليه مختفين . أما الناس فلما عوا هذا القول الصراح وقبه نفس خطه ،
إلى رشدهم في قصة عقيلا ، واجتمعوا عن الظن والتأويل ، وتركوا مكاويفه من قول وبي .
وانصرفوا مجيبين ، من عدل أمير المؤمنين ، وإياه خيابة المسلمين ، ولؤيهم عدة أخيه وهو من الأشرار . لا دين
وقد تقع لي موقع القراءة قصة عقيلا مع سيدنا علي همد عند الناس في هذه الأيام فمحجوب
من سيدنا أمير المؤمنين الذي أبى مساعدة أخيه من يب مال السبدين وكل مالم صرفه .

قَالَ وَهَوَ أَمِيرُ أَقْوَالٍ مُبْدِعُهُ
لَيْزَنٌ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ شَائِكِهِ
أَوْ أَنْ اجْرُرَ فِي الْأَغْلَالِ مُحْتَمِلًا
أَحْبُّ لِي مِنْ لَقَى رَيْتِي وَأَحْمَدُ فِي
حَالِ الظُّلُومِ غُصُونِ الْمَالِ حَالِ قَيِّ
وَكَيْفَ تَظْلُمُ نَفْسِي النَّاسَ وَهِيَ إِلَى آلِهِ نَزُولُ اللَّتْرِ بِ تُمَشِينِي وَأَمْسِينَا
وَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا فِي خِصَاصَتِهِ
وَحَوْلَهُ صَبِيَّةٌ شَعْتُ الشُّعُورَ بِالْأَسْوَدِ
كَأَنَّهَا سَوَدَتْ تِلْكَ الْوُجُوهُ بِظُلْمِ
وَلَحَّ مُسْتَجِدِّيًّا لِحَاً وَعَادِدِي
وَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَنْ صَفَيْتُ لَهُ
وَأَلَّاسُ تَخْذُجُ بِالْأَنْظَارِ رَاعِيهَا
أَيُّتُ بِأَقْوَمِ لَيْلَاتِي فَأَحْسِينَا
أَتَقَالَهَا كَجُنَاوِ النَّاسِ أَحْكِينَا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي حَالِ أَحَاشِينَا
كَأَنَّ الْأَمِينَ فَخَانَ الْعَهْدَ تَجَرُّمَهَا
وَأَمْسِينَا
مِنْ بَرِّكُمْ يَرْجِي صَاعًا بِمَلِينَا
وَأَنْ غَدَتْ غُبْرًا وَالْجُوعُ مُكِينَا
وَكَاثَتْ تَغْيِي قَبْلًا بِوَادِينَا
فِي حَاجِهِ يَنْتَغِي مِنِّي تَقَاضِينَا
صَغِيًّا بِمَاطِفَةِ الْأَشْفَاقِ أَبْدِينَا

يستطيع ان يعطيه منه ما يشاء على نحو ما كان يفعل عثمان مع الامويين وعلى نحو ما يهدون بالملك والاسراء في سائر ازمته للاربع القديس ولكن الذين يعرفون بمصوص الشريعة الاسلامية التي تقضي بان يكون الخليفة امة على باب امان غير متصرف فيه والتي لا ترضى بتمييز مسلم على آخر سواء في ذلك الشريف والمشرف والتبريد والحيد ويضيف الى هذا معرفة اخلاق امير المؤمنين ورغبته الاكيدة بان يكون بنو هاشم قوة الداس في الزهد ومعد العيش يتحول محبه هذا الى اعجاب بذلك لامام العظمى الذي اخذ على عاتقه الشرف بنقيد بمصوص الشريعة وانه عليه صلوات الله كان يرى ان لا تنفصا بين الناس الا اذا فسد على نفسه وابناؤه واخوانه ليكونوا قدوة لغيرهم وموحاشا به ان ينجيز امير المؤمنين لمسه ما كان يسكره على عثمان وان اجازته معاوية ومن تبعه من الخلفاء

« ترجمة عيسى »

هو عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وامه وطمعة بنت أسد بن
هم فواح شقيق لسيد علي أمير المؤمنين عليه صلوات الله وابن عم المصطفى عليه الصلاة والسلام
وكان طمعة باب سعد من بني طالب بن عبد المطلب أربعة أولاد ذكرور بين الواحد والآخر عشر
سنوات مكبرهم عذاب وإثني عقيل وأثنى جعفر والرابع سيدنا علي فهو أصغرهم ويكبره عقيل
حجرتهم ثمانية وعشرين سنة . ولأبي طالب من غيره طمعة أولاد آخر وسبق لذاكرهم وحاشية سبقت
ومن بعد ذلك كثير الشعب يعقبن يدنو عن ذلك قوله لأخيه العباس وابن أخيه المصطفى
عليه الصلاة والسلام عند ما قصدهما ليخدا منه بعض أولاده فيحققون عنه مؤثرهم في سنة العلماء كما
تتمب الآخرة « دعواي عقيلاً وخديراً من تشؤون » وقد أشار المصطفى إلى هذا قوله لمعقل:
(يا بني ربك أي أحد حديثك أحب نقرت مثلي ، وجا مسكنت اعلم من حب عمي إياك)

فَقُلْ أَنِّي بِالْإِنْعَاحِ مُتَّبِعٌ قِيَادُهُ وَطَرِيقُ الْإِيْمِ خَاطِبُهَا
وَأَنَّ أَحْكَامَ دِينِي بِثَبَاتِهَا لَهُ وَبَاتَ كَمَا قَدْ شَاءَ شَارِبُهَا
وَلَمْ يَكُنْ لِي إِلَّا أَنْ حَبِيتُ لَهُ حَدِيدَةٌ مِنْهُ قَدْ سَارَعَتْ أَذِنُهَا
أَرَدَتْهَا عِزَّةٌ كُبْرَى مُؤَثَّرَةٌ لَهُ إِذَا مَا أَكْتَوَى مِنْ مَسِّ دَافِئِهَا
وَكَادَ يَنْسَمُهَا أَنَارِي بِحَوْقِ بُمْنَاهُ قِيَادَرَنِي بِشَكْوَى تَلْطِئِهَا
وَضَجٌّ مِنْ أَلَمِ قَاسٍ تَأَلَّمُهُ ضَجِيجٌ مِنْ فِيهِ آلَامُ بُعَانِهَا
نَادَيْتُهُ تُكَلِّمُكَ أَتَاكَ عَقِيلٌ مِنْ قَيِّ رَاهِبِ الْبَيْتِ خَاشِئِهَا
فَهَلْ تَبْنُ أَيْنَا مِنْ حَدِيدَةٍ إِنْ سَانَ أَرَادَ بِهَا لَهْوًا وَتَفَكِّهًا
وَأَنْتَ تَسْتَحْبِي قَهْرًا نَارَ جَهَنَّمَ وَرَبُّكَ لِلْظُّلَامِ مُؤَرِّبُهَا
أَمِنْ أَدَى أَنْتَ فِي هَذَا الْإِنِّ وَلَا أَتْنُ مِنْ سَعَرَةِ الْبَيْتِ أَنْصِلِهَا
فَيْلِكَ يَا نَاسُ حَالِي مَعَ عَقِيلٍ أَخِي عَلَى الْمَلَا جَهْرَةً أَصْبَحَتْ رَاوِيهَا
وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا مَامُ الْبَرِّ خُطْبَتُهُ حَتَّى أَهْتَدَى وَأَوَى لِلْحَقِّ وَاعِيهَا
نَادَتْ: عَدَاةُ مَوْلَانَا أَبِي حَسَنِ مَا الظُّلُمُ بِقُرْبٍ مِنْهَا أَوْ يُنَاجِيهَا
وَمَنْ يُسَاوِي الرِّعَايَا فِي إِمَارَتِهِ فَرَادَهُ اللَّهُ تَعَزُّزًا وَتَوَجُّيَهَا
تِلْكَ أَشْرَاقُ الْإِسْلَامِ لَيْسَ لَهَا إِلَّا أَبُو حَسَنِ أَنْفَضَالُ مُجَرِّبِهَا

والمصطفى عليه الصلاة والسلام كان أحرم عباد الله حُجَّينَ عَنِ صِلَةِ وَجْهِهِ وَخَفِضَ النَّاسُ رُؤُوسَهُمْ
لِلْحَسَنِ إِلَيْهِ وَهَلَى رَأْسُهُمْ أَبُو مَالِكٍ فَلَاغَرُو إِذَا كَانَ حَيْهَ الشَّرِيفِ مُقْبِلٍ مَصْعَفٍ
وَكَانَ يَكْنَى عَقِيلَ بَابَهُ يَزِيدُ كَمَا كَانَ كَثِيرَ الْعِيَالِ وَقَدْ رَأَيْنَاهُ يَسْقُوهُمْ لِي أَخِي مُبِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ لِيَسْتَرْزِلَ شَفَقَتُهُ عَلَيْهِمْ فَيُحْسِنَ إِلَيْهِمْ مِنْ بَيْتِ مَا لَمْ يَسْمَعُوا
وَالْعَقِيلُ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ مَا لَمْ يَجِيعْ لِي هَدْمَ قَبْلِ هَاجِرَةٍ وَحَرَّتْ هَاجِرَتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ
فَهَاجَرَ إِلَيْهَا مُسْلِمًا قَبِيلَ غَزْوَةِ الْخُدَيْيَةِ وَشَهِدَ غَزْوَةَ مَوْثِقَةٍ مَعَ أَخِيهِ حَقْفَرٍ وَضَى فِي الْمَدِينَةِ كُلِّ مَدِينَةٍ
خِلَافَةَ أَبِي كَرٍّ وَعُمَرَ وَعُمَرَ وَخَرَجَ إِلَى الْكَوْفَةِ بَعْدَ مَوْثِقَةٍ صَفِيٍّ وَاقَةٍ فِيهَا وَدُشْتُ شَيْئًا مِنْ حُرُوبِهِ
مَعَ أَخِيهِ سَيْدَانَا عِيٍّ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَلَاوَةِ عَدُوٍّ رَأَى أَخَاهُ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ يَقُولُ لِي بِجَبْرِ عَنْ غَرَبِهِ
مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِأَعْيُنِهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ الْقَوْلُ
وَأَصْرَفَ عَقِيلٌ عَنْ مَلَاوَةِ عَدُوٍّ إِلَى الْمَدِينَةِ لِلنُّورَةِ تَقِيهَا دَارُهُ الْمُرُوقَةُ فِي يَوْمِ الْإِسْوَاسِ عَدَا
بِسْمِ « دَارِ عَقِيلٍ » وَسَكَنَهَا إِلَى آخِرِ عَمَرِهِ
وَكَانَ عَقِيلٌ حَافِظًا رَاوِيًا الْأَسْبَابَ وَابْخَارَ الْعَرَبِ يَنْ كُنْ سِدْرُ الْإِسْوَاسِ فِي هَذَا وَكَانَ لَيْسَ

أُمير المؤمنين والربيع بن زياد

كَانَ الرَّبِيعُ قَتَى الْإِسْلَامَ يَنْصُرُهُ بِسَيْفِهِ مَادَعَا لِلْحَرْبِ دَاعِيَهَا (١)
وَكَانَ مِنْ وَجْهَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَمِنْ عُمَالِ دَوْلَتِهِمْ بِالْبَيْتِ يُرْضِيهَا
وَيَنْسَأُ كَانَ فِي حَرْبِ الْخَوَارِجِ فِي ظِلِّ الْوَصِيِّ يَلْقِيهَا وَيُزِدُهَا
مَرَّتْ بِجُنْهَتِهِ نَشَابَةُ جَرَحِهَا وَالْجِرَاحَةُ قَدْ أَغْيَتْ مَدَاوِيهَا
كَانَتْ تُعَاوِدُهُ آلَامُهَا أَبَدًا أَنَا قَاتِنًا وَلَا يَنْفُكُ يَشْكِيهَا
فَعَادَهُ الْمُرْتَضَى يَوْمًا بِطَفْتِهِ مُخَفِّفًا عَنْهُ أَصْقَامًا يُمَانِيهَا
وَقَالَ: مَا بَكَ قُلُّ لِي كَيْفَ أَنتَ قَنَّا دَاهُ الرَّبِيعُ: بِحَالٍ لَسْتُ رَاضِيَهَا
لَوْ كُنْتُ أَعْنَى وَأَشْفَى لَأَرْضَيْتُ عَمَى عَيْنِي وَالْأَلَامُ جُرْحِي لَا أَقَامِيهَا
فَقَالَ: مَا قِيَمَةُ الْإِبْصَارِ عِنْدَكَ حَتَّى أَضَتْ تَبْذُلُهُ نَادَى بِهِ: إِيَّهَا
لَوْ أَلْوَالِمُ لِي أَفْرِي بِهَا بَصَرِي إِيَّانِي بِهِ هَذِهِ الْآلَامُ أَفْرِيهَا
فَقَالَ: مَثُوبَةُ الْبَارِي بِقَدَرٍ مُصَا بِ الْمَرْءِ فَأَصْبِرْ بِتَقْوَى كَيْ تَلْقِيهَا
ثُمَّ الْآمِرُ أَجَالَ الطَّرْفَ رَدَدَهُ بِالذَّارِ إِذْ شَمَعَتْ شَمْعًا مَبَانِيهَا

يفسدونه فيخبرهم بأخبار الجاهلية غناها ويمينها على أن الناس كانوا يكرهونه لسرده مساوهم وكان ربيع البادرة في أجواب قوي أخجة في الجدل فصيحاً ملساً . وكان من عادة أن يخرج كل يوم إلى المسجد الجامع في المدينة المنورة فيصلي مع الصالحين ثم يسط سجادته ويجلس إلى الناس فيحدثهم بينه الجدد وأنسابهم وقد بصره في آخر عمره وتوفي عام ٥٠ للهجرة في خلافة معاوية وله من العمر ٩٦ سنة (١) زعم الشريف الرضي جامع كتاب نوح اللاغة أن أمير المؤمنين عليه صلوات الله عاده العلاء ابن زياد الحارثي وهو من اصحابه ولم يقف على رجل بهذا الاسم بين الذين اشتهروا بصعته عليه صلوات الله ولكنما عرف رجلاً آخر يدعى ربيع بن زياد الحارثي فقله هو وترجعه هذا مع انه الربيع بن زيد بن أنس بن قطر بن زياد بن الحارث بن مالك بن أدد وهو الذي انتبح بعض خراسان على عديمي وقال في هذا الحقيقة «دوني عن رجل إذا كان في القوم أميراً فكأنه ليس أميراً وإذا كان في القوم يسيراً فكأنه الأمير امينه» وهذا خير ما يمدح به رجل وكان خيراً متواضعاً ومن نوادره مع عمر . نقله عن لسانه قل :كنت طاملاً لأبي موسى على البحرين فكتب اليه عمر بالتقدم عليه هو وعمر . فـ قدم المدينة أتيت « برقا » حاجب عمر فقلت يا صاح جئتك مسترشداً وابن سبيل قتل في أي الخيانت أحب إلى أمير المؤمنين ان يرى عليها عماله فأومأ اليّ بالحشوة فنخذت خفين مطريتين ولبست حية صوف ولبست عمامتي على رأسي ثم دخلت مع بقية العمال على عمر فصفنا بين يديه وصعد

قَالَ : مَا تَبْتَغِي مِنْهَا بِرَأِيَّةِ الدُّنْيَا عَلَى وَسْمِهَا مَا دُمْتَ مُخْلِيبَهَا
وَأَنْتِ أَخْرَجِي فِي الْأُخْرَى لَهَا سَكَنًا رَحْبًا وَفِي ظِلِّ رَبِّ الْعَرْشِ تَأْوِينًا
عَلَى مَا تَبْلُغُ الْأُخْرَى يَطْرُقُ فِيهَا أَنْ تَطْلُعَ حُقُوقُ النَّاسِ مَطْلِعَهَا
وَأَنْ تُوَصِّلَ فِيهَا بِالْوَلَا رَحِمًا مِنْ ذِي الدِّيَارِ قَرَضِي مُسْتَحِقِّهَا
وَأَنْ تُصَاحِبَ الرَّيُّعُ : جَزَاكَ اللَّهُ حَبْدَةً وَأَنْ تُنَاقِشَ فِيهَا الْأَضْيَافَ قَرِيبًا
قَدْ عِدْتَنِي فَبِكَ الْآلَامُ قَدْ شَفِيتُ خَيْرًا عَنِ النَّاسِ إِذْ لِلْخَيْرِ نَهْرُهَا
وَأَنْتِ مَهَّدْتَ لِلْأُخْرَى أَمَامِي سُبُلًا صِرْتُ بِالْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ أُمُشِينَهَا
وَقَالَ : فَاتَّصَحَّ أَخِي لِي إِلَيْكَ لِأَشْكُوهُ وَقَدْ قَاطَعَ الدُّنْيَا وَأَهْلِيهَا
قَالَ : هِيَ أَطْلُبُوه مَا قَاطَعَةُ الدُّنْيَا بِمُكَيَّةِ الْأُخْرَى لِإِعَانِهَا
فَجَاءَ عَاصِمٌ فِي وَاهِي عِبَاءَتِهِ وَكَانَ عَنْ رَغْبَةٍ بِالزَّهْدِ كَاسِمِهِ
نَادَى بِهِ الْمُرْتَضَى بَعْدَ السَّلَامِ : لِمَا ذَا الْيَوْمِ فَسَّكَ عَنْ جَهْلِ تَعَادِيهَا

بهره فينا وصوب فلم تأخذ عنه احداً غيري فدعاني وقال من أنت ؟ قلت الريح بن زياد الحارثي
قال وما تقول من أعمالنا ؟ قلت البحرين . قال كم تزوق ؟ قلت ألفاً قال ذلك كثير فما تصنع به ؟
قلت اتقوت منه شيئاً وأعود يائيه على أقرب لي فما فضل منهم فعل فقرأه المسلمين قل لا بأس
ارجع إلى موضعك فرجعت إلى موضعي من الصف فصد عمر فينا بصره ثانية وصوب فلم تقع عنه
الاعنى فدعاني إليه ثانية وقال كم سكت ؟ قلت خمس ورمون فقال الا ان حيث استجتمت ضد الى
مكانك فصدت ثم دعا عمر بالطعام واصحابي حديثو عهد بدين العيش فوقي بجيز يأسوا كياربير فجعل
اصحابي يمانون ذلك وجعلت آكل فحيدوا وانظر الى عمر فذا هو يلحقي من بينهم ثم سكت فني
كفة تخميت لها اني سكت في الارض فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس يخشونك الى صلاحك فلو عمدت
الى طمام أبين من هذا فزحرتي ثم قل كيف قلت ؟ فقلت يا أمير المؤمنين ان نظرت الى مؤنتك من
الطحين فيجرب قبل ارادتك ليل يوم ويطلب لك اللحم كذلك فوقي باخذ لينا وبالجم غريضا فمكن
من غربه وقال يارب اننا لو نشاء ملأنا هذه الحباب من سبائك وصناب ولكني رأيت الله نسي
على قوم شهورهم فقال « اذهب طياتكم في حياتكم الدنيا » ثم اسرأ موسى بقراي في عمالي
وان يستبدل باصحابي اه وثل الريح عملاً على البحرين الى ولاية عثون حيث استقبله مع بقية
عمال الخلافة بالامور وشيخهم وفي خلافة أمير المؤمنين عليه صلوات الله طرأ الريح من الاخلاص له
النبي الكثير وتولى بعض اعماله وحارب معه الخوارج فخرج في احصى الواقع بجهته بنشابة فظل
جرحه نثاراً فكان يماوده حياً بعد حين وتوفي على عهد معاوية وهو معمر
وعند ما عاده أمير المؤمنين قال كيف نجدك ؟ عبد الرحمن ؟ قال اجدي يا أمير المؤمنين

فَرَأَيْنَاهُمْ بِكَ الشَّيْطَانَ وَهُوَ وَأَبْنَاهُ يَلْعَبُ بِالْأَهْقَاءِ يُغْوِيهَا
أَمَّا رَحِمَتُ الْأَنْبِيَاءِ حَوْلِكَ مِنْ وَلَدٍ فَرُحْتَ فِي عَيْشَةِ الرُّهَادِ تُؤْذِنُهَا
وَهَلْ حَبِيبَتُ بَأَنَّ اللَّهَ حَلَّلَ هَذِي الطَّبِيبَاتِ وَيَأْتِي أَنْ نُوَافِقَهَا
لَأَنْتَ أَهْوَى مِنْ هَذَا عَلَيْهِ فَزَرَّ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ فِي نِعْمَ طَبِيبَا
صَالَّ عَاصِمٍ: لَكِنْ يَا خَلِيفَتَنَا أَرَأَيْكَ لَذَاتُ ذِي الدُّنْيَا تُحَاشِيهَا
فَأَنْتَ تَأْكُلُ مِنْ خَشْفِ الطَّعَامِ وَتَلْبَسُ الْخِشَانِ الَّتِي يُؤْذِي تَكْسِيَتَهَا
قَالَ: وَيَنْتَكِلُ إِنْ تَنَزَّلْتَ مِثْلَكَ أَصْلًا فِي الْفَرُوضِ الَّتِي ذُو الدِّينِ يُخْضِيهَا
عَلَى أَعْيُنِنَا تَقْدِيرُ أَتُسَيِّمُهَا قَدَرُ الضَّعَافِ كَذَا يَقْضِي مَوْلَاهَا
كَيْ يَأْتِي الْفُقَرَاءَ الْمُتَعِدِّينَ بِهَا إِذَا أَنْجَلَتْ وَجَلَّالَ الْفَقْرِ غَاشِيَهَا
بِنِعْمَةِ اللَّهِ حَدَّثَ صَاحِبُ قَوْلِكَ وَأَظْهَرَهَا وَهَيْبَاتِ أَنْ تَبْقَى لِمُخْضِيهَا
وَالطَّبِيبَاتِ الَّتِي أَرَحْنُ أَنْتُمْ أَنْتُمْ مَا فَسَلَّ بِهَا فَسَلَّ بِهَا فَسَلَّ بِهَا
بِذَلِكَ نَزَلَتْ الْآيَاتُ وَهِيَ هُدًى لِلْمُسْلِمِينَ إِذَا بَاتُوا مُطِيعِينَهَا
بِذَا أَرْغَوَى عَاصِمٌ عَنْ غَيْبِهِ وَقَضَى أَيَّامَهُ بَعْدَ ذَا رَغْدًا وَتَرَفَّيَهَا
كَذَلِكَ حِدْرَةٌ كَانَتْ مَجَالِسُهُ عِلْمًا وَهَدْيًا وَإِرْشَادًا وَتَقْفِيَتَهَا
فَإِنْ رَأَى النَّاسُ وَالْأَسْقَامُ تُزْعِجُهَا فَفِي مَوَاطِلِهِ الْفَرَا يُؤَاسِيهَا

لو كان لا يذهب ما بي الا بذهاب بعري لتحت ذهابه قل وما قيمة بصرك عندك ؟ قال لو كانت
لي الدنيا لقدمت بها قل لا حرم ليطينك الله على قدر ذلك ان الله يطعي على قدر الالم والمصيبة
وعنده تضيف كثير قطعت كلمات الامير اخيكية هذه من آلام الريح حمد الله على بلواه ونجلاه
ثم اجمال امير المؤمنين بصره في دلو الريح فوجدها ذات سعة ورياض تمين فقال ما كنت تصنع
بسة هذه الدار في الدنيا ، وان اليها في الآخرة كنت احوج ؟ ؟ وبلى ان شئت بلغت بها الآخرة
تقري يا الضيف وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق مطالعها فذا أنت قد بلغت بها الآخرة فكان
لهذه الكلمات موقعها الطيب من نفس اربع ففكر وحمد ثم قل يا امير المؤمنين الا أشكو اليك
عاصم بن زياد أخني ؟ فان الله قل ليس البياء وترك الملاة وغم أهله وأخزى ولده فقال عليه صلوات
الله ادعوا لي عاصم فلما أدع عسى في وجهه وقال وبمك يا عاصم ترى الله أياح لك اللذات وهو يكره
ما أخذت منها لانت أهوى على الله من ذلك اما سمعته يقول « واما بنة ربك لحدث » وقوله
« يا ايها الذين آمنوا اكلوا من صييات ما رزقناكم واعملوا صالحا » قال عاصم فلم أنصرت يا امير

وَأَنْ رَأَى نِعَمَ الْبَارِي تُحِيطُ بِهَا
وَأَنْ رَأَاهَا أَسَاءَتْ فَهَمَّ مَا نَزَلَتْ
كَانَ الْأَمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبَا
لَهَا عَلَى سِتْرِ الْهَادِي يُرَبِّهَا

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَادُمُوهُ

فِي ذَاتِ يَوْمٍ أَتَى دَارَ الْوَجْهِ جَمَاعَةً ثُمَّ لَقِيَ وَصَفًا وَتَشَبَّهًا (١)
وَأَسْتَرْسَلَتْ بِالنَّاسِ وَأَلْحَدَتْ ذَا كَرَّةٍ آثَارُهُ وَمَضَتْ بِالْمَدْحِ ظُهُرُهَا
ظَلَّتْ وَقَدْ أُنْمِتَ فِي الظَّنِّ أَنْ عَلَيْهَا يَرْتَفِعُ عَنْ ثَنَا يَدَيْهِ مُثْنِبُهَا
فَاغْتَاظَ مِنْهَا وَبِالتَّوَيُّخِ بِأَدْرَاهَا مِطْبَعِيَّةٌ قَدْ تَسَامَتْ فِي مَعَانِيهَا
وَقَالَ: أَحَدُ رَبِّي وَالصَّلَاةُ عَلَى طَهٍّ وَيَا صَحْبَنَا جُوزُوا الْتَوَارِيخَ
مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ اللَّهُ الْعَظِيمَ بَيْنَيْنِي وَأَكْبَرَهُ قَدْرًا وَتَوَجَّهَ
وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ وَدَرَى بِأَنْ قُوتِهِ مَا مَنِ يَقَارِبُهَا
أَنْ يَصْغُرَنَّ سِوَاهُ مِنْ خَلْقِهِ لَدَيْهِ سِيَانُ أَنْسِبِهَا وَجَنِبِهَا
يُمَيِّزُ كَذَلِكَ مَنْ نَعَمًا خَالِقِهِ عَلَيْهِ قَدْ عَظُمَتْ حَمْدُهَا لِمُدْنِهَا
وَاللَّهُ مَا عَظُمَتْ نَعْمَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا وَأَعْظَمُ مِنْهَا حَقُّ مُعْطِيهَا
وَأِنْ أَسْخَفَ حَالَاتِ الْوَلَاةِ وَقَدْ سَادَتْ رَعِيَّتُهَا كَيْفَا تَرَايُنَا

المؤمنين على أيسر الحسن وأكمل الحب ؟؟ قال إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا انفسهم
بضفة الناس كيلا يتسبغ بالتغير فقره وما احرف عي عليه صلوات الله حتى تزح تصم العباء ولبس
الملاء وعش بالزهد والرهه بعد ذلك

(١) فتنخرس شفاه المتكلمين للحكام ، ولتتكسر يدي المتكلمين الخادعين الاقلام ، ولينطق
بالحق كل ذي شفة ولان ، وليخط كتبات الصدق كل ذي فم ساحة ويان ، ذلك ما يامر به
الرفعي صنو المصطفى عليهما الصلاة والسلام ، وذلك ما جاء به الاسلام .

ظن أناس « وكل الظن اثم لا يفضه » في أمير المؤمنين سيد بني أبي طالب ، وش
غيره من ذوي مراتب ، يرضيه المدح والثناء ، ويشجيه الحمد والاعزاز ، فاسترسلوا بحضرته وبلغوا
من القول الهراء ، خير حياء ، خير به ، عرف عنه من الدعاية والمكاد ، ميت لهم كراهته للحمد
والاعزاز حتى ولو كان حقيقة خير مرء ، ومكفاه هذا حتى شفه بنصائح ومواعظ يدرك منازلها
الآباء ، ميت لهم انه يود سماع الحقائق من رعاياه ، سانه من الخداع والرياء ، وللمرئ لني خطابه

أَنْ تَحْضِبَ النَّاسُ حُبًّا لَفَخَرَنَزَعْتَهَا وَالْكِبَرُ شَيْئَتَهَا وَالْمَذَحُ يُرْضِيهَا
كَرِهْتُ مِنْكُمْ أَنْ جَاءَتْ ظُنُونُكُمْ بِي جَوْلَةً مَا أَنَا تَاللهِ رَاضِيهَا
طَلَسْتُوَنِي مَغْرَى بِالنَّاءِ وَبِالْأَمِّ طَرَاءُ زَهْوًا وَشَرُّ النَّاسِ زَاهِيهَا
كَلَّا فَلَسْتُ بِحَمْدِ اللهِ مَوْضِعَهَا تَيْكَ لَظُنُونُ وَأَعْجِبَ مِنْ تَقْلِيْبِهَا
حَتَّى وَلَوْ كُنْتُ أَهْوَى أَنْ تَقَالَ لِي الْمَدَائِحُ الزُّهْرُ فِي سَامِي مَعَانِيهَا
لَكُنْتُ تَارِكَهَا اللهُ وَهُوَ بِهَا أَوْلَى مِنَ النَّاسِ مَا تَسْمُو مَعَالِيهَا
وَالْكِبَرِيَّاهُ لَهُ مُبْجَاهَةٌ وَلَهُ عَلَى الْبَرِيَّةِ أَيْ أَحْمَدُ تَسْبِيْحُهَا
وَرُبَّمَا اسْتَحَلَّتِ النَّاسُ النَّاءَ عَلَى أَثَرِ الْبَلَاءِ نَعَمْ هَذَا يُعْزِيهَا
لَا تَحْدُونِي وَلَا تُشْنَوْا عَلَيَّ لِإِخْرَاجِي إِيْكُمْ نَفْسِي طَوَّعَ بَارِيهَا
مِنْ بَاقِيَّاتِ حَقَّقِي بِتْ أَبْذُلَهَا مَعَ الْفَرُوضِ الَّتِي مَارَلَتْ أَقْضِيهَا
كَلَّا وَلَا تُسَبِّحُونِي مَا جَابِرَةُ الدُّنْيَا بِهِ تَفَرَّضِي عَنْ مَفَاهِيهَا
كَلَّا وَلَا تَتَّقُونِي كَأَقْبَائِكُمْ أَهْلُ الْبَوَادِرِ خَوْفًا مِنْ تَعَدِّيَهَا
وَلَا مُصَانَةً أَبْنِي أَخْلَاطَكُمْ بِي لَيْسَ يُنْصِفُنِي تَاللهِ آتِيهَا
لَا تَحْسَبُوا أَنَّنِي أَنْفُسِي إِعْظَامًا وَمَا الْكِبَرُ أَرْضَى أَنْ يَدَانِيهَا
وَلَا تَظُنُّوا بِي أَسْتَيْقَالَ قَوْلَهُ حَقٌّ يَنْتَعِي النَّصَحَ وَالْإِرْشَادَ مُبْلِرِيهَا
وَمَنْ تَتَأَقَّلَ مِنْ حَقٍّ يُقَالُ لَهُ أَوْ أَلْمَدَالَةِ مِنْ رَاجٍ يُرْجِيهَا

هذا لحيي بان يكون قبله انظار الخاكين ، وشرعة الملوك والسلاطين ، وفيه الديموقراطية الحقيقية التي بنتى بها المنتصرون ، وينتصروا دعاتها الراشدون ، قال عليه صلوات الله : « لن من حق من عظم جلال الله سبحانه في نفسه ، وجل موضعه في قلبه ، أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه ، وإن أحق من كان كذلك أن عظم نعمة الله عليه ، ولطف احسانه اليه ، فأن لم تعظم نعمة الله على أحد ، إلا إذا ازداد حق الله عليه عظمًا ، وإن من أسخف حالات الولاة ، عند صالح الناس ، أن يظن بهم حب الفخر ، ووضع أسرهم على الكبر ، وقد كرهت أن يكون جلال في ظنكم أني أحب الأمراء ، واستماع الثناء ، ولست بحمد الله كذلك ، ولو كنت أحب أن يقال ذلك ، لتركه انحطاطًا لله سبحانه ، عن تناول ما هو أحق به ، من العظمة والكبرياء ، وربما استحل الناس الثناء ، بعد البلاء ، فلا تتنوا عني بحميل ثناء ، لا خراجي نفسي الى الله سبحانه واليكه ، من البقية في حقوق : أفرع من ثنائها ، وفرائض لابد من امضاها ، فلا تكلموني بما

لَا تَكُ يَسْتَحِلُّ الْأَعْمَالُ يُغْنِيهَا بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ كَيْ يَرْضَى مُرِيدُهَا
فَلَا تَكُونُوا صِغَارِي عَنْ مَقَالَةٍ حَقِّ أَوْ مَشُورَةٍ عَدْلٍ تَسْمُونُ بِهَا
فَمَا أَنَا فَوْقَ أَنْ أُخْطِئَ وَلَسْتُ أَمِينًا مِنْ فِعَالِي أَلَيْسَ فِي الْحُكْمِ أُخْرِجُهَا
إِلَّا إِذَا عَصَمَ الْخَلَاقُ نَفْسِي مِنْ ذَلَالَتِهَا وَهَاهَا عَنْ تَشْوِيهِهَا
وَأَمَّا أَنْتُمْ مِثْلِي عَيْدُ إِلَهٍ وَاحِدٍ مَالِكِ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا
وَإِنَّهُ مَالِكُ مَا لَيْسَ تَمْلِكُ مِنْ نَفْسِنَا مِثْلًا يَنْغِي بِمِثْلِهَا
سُبْحَانَهُ مِنْ لِبَالِي الْبَشَرِ أَخْرَجَنَا إِلَى الْهُدَى وَيَهْدِي دُبَابِجَهَا

اغارة معاوية على بلاد الحيرة

يَبْنَى الْخَلِيفَةُ مُشْتَى بِالْخَوَارِجِ لَا تَفْكَ تُبْدِي لَهُ ظُلْمًا تَصْنَعُهَا (١)
وَالنَّاسُ حَوَالِي شَيْ لَيْسَ بِجَمْعِهَا رَأْيِي عَلَى نَصْرَةِ الَّذِينَ تَأْتِيهَا
كَأَنَّ حَرْبَ بَارِضِ الشَّامِ يَرْقُبُ أَحْوََالَ الْأَوَامِرِ وَيَسْتَقْفِي خَوَافِهَا
فَلَمْ يَفْهَمْ دَقِيقَ مَنْ تَضَعُهَا وَلَمْ يَفْهَمْ أَلِيمَ مَنْ دَوَاهِيهَا
وَكَانَ يَرْفُقُ مَا لِلْحَكِيمِ أَوْزَانُهَا مِنْ الصَّعَابِ وَمَا سَهْلُ تَلَاْفِيهَا

تسلك به الجباية ، ولا تحفظوا مني بما تحفظ به عند أهل البادية ، ولا تخالطوني بالمصانعة ،
ولا تظنوا في استئصال في حقّه قيل لي ، ولا الناس اعطاء نفسي ، فنه من استئصال الحق أن
يقال له ، أو العدل ان يرض عليه ، كان العدل بما أقل عليه ، فلا تكفوا عن مقلد بحق ، أو
مشورتي ببدل ، فني لست في نفسي فوق أن أخطيء ، ولا آمن ذلك من فعيه ، إلا أن يكتم
الله من قسي ما هو أملك به مني ، ومما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرؤس لا رب غيره ، بمك منا
ما لا تملك من أنفسنا ، وأخرجنا مما كنا فيه ، إلى ما صلحنا عليه ، فأبدنا بعد الخلافة بالهدى
واعطانا الصيرة بد المي « أ »

(١) أتماماً للمرض المقصود من حواشي هذه الطوية المباركة نأتي هنا على خلاصة ما ضله
معاوية بعد التحكيم قسطنطيني على املاك الخلافة الاسلامية مصرأ بعد مصر وبدأ بعد بنديقول :
« حديث مهر »

أن أول ما عمل معاوية في سبيل اغتصاب مصارف الخلافة هو الدليل الضرورية اذ قد علمنا أن عمرأ بن
الناصر ما رضى أن ينصر معاوية إلا بعد أن وعده بولاية مهر وما وسه إلا أن يبادر بطلب يوعده
لأنه وجد نفسه في كل يوم محتاجاً إلى عمرو طائفا سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله في الكوفة
قابضاً على زمام الخلافة رغبة بالقضاء على عصيان معاوية وأصحابه
وكانت مصر في اواخر ايام عثمان في يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني هاشم بن

بِهَا غَدَتْ صَحْبُ مَوْلَانَا أَنِّي حَسَنٌ
وَلَمْ تَكُنْ طَوْعَةً إِن رَأَى يَفْعَاهُ
خَارَتْ عَزَائِمُهَا عَنْ نَصْرِهِ وَغَدَتْ
وَطْلَمًا قَامَ فِيهَا يَسْتَشِيرُهَا
فَكَانَ تَصْوِيتُهُ فِيهَا كَصَرْخَةِ طَوْ
دَرَى مُعَاوِيَةَ ذَا كُلَّهُ فَتَوَى
وَإِخْتَارُ قُرْصَةَ ذَلِكَ لِأَنِّي قَسَامٍ وَإِلَى الْغَزَاةِ أَمْلَاكُهَا أَمْسَى مُفَاجِئَهَا

لؤي . وكان زعيم التآمرين على عثمان في مصر هو محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فلما خرج المصريون بثورتهم الى المدينة هجم ابن أبي حذيفة على طامل عثمان وخلعه من ولايته وطرده من مصر فزل على نحوها عما يلي فلسطين منتظراً ما يكون من أمر عثمان فلما بلغه مقتله فرّ الى معاوية متصيحاً به لعله بنقمة المسلمين على العمال الامويين وولي سيدنا علي على مصر قيس ابن سعد بن عباد فصار الى مصر بنصرته من أهله ودخلها من غير ان يمارسه معارض ويأبى معظم الناس علياً بواسطته وكان ذلك في اواخر صفر سنة ٣٦ الهجرة . واعتزل البيعة قليلون من شيعة عثمان

وبعد ان انتهت وقعة الجمل وتفرغ سيدنا علي لمحاربة معاوية في الشام خلف هذا أن يأتيه سيدنا علي من العراق وقيس بن سعد من مصر فأخذ يكتب قيساً بالانضمام اليه في المطالبة بدم عثمان ويغريه ان يحكمه الراعين ويملك أهل بيته الحجاز فأبى قيس محالته على ما يحب على انه لم يكشفه الدواة جهرة بل ظل معه بين مبادع ومقارب فاكأن من معاوية الا ان ذاع بين أهل الشام أن قيساً بن سعد عامل علي على مصر قد صالح معاوية وطارت الانباء بذلك الى الكوفة فالتصفت بسيدنا علي فأوجس منه شراً وأوشك باخلاصه ثم ازداد شكاً به بما كان يراه في كتب قيس من الاخلاص بترك المعتزلين في مصر وشأنهم من غير ان يتعرض الى اكرامهم على بيته وإشارة عليه بعض اصحابه لدى هذه التكوكة ان يزل قيساً ويولي في موضعه محمداً بن أبي بكر لان هذا كان طامعاً في مصر منذ قتل عثمان ولان المتبدي بتوليته كان عبد الله بن جعفر وهو أخو محمد بن أبي بكر لانه فرضي سيدنا علي بتوليته وارسله الى مصر فما عارضه قيس لانه كان زوج عمته بنت أبي تصافة المساة « قرية » وسلمه حكم الديار المصرية وسار الى المدينة نافعاً على سيدنا علي . ولكنه ما عت ان عذر سيدنا علي وسار مع سهل بن حنيف الى الكوفة طائفة من راضين وشهدا معه موقعة صفين

واول عمل اتاه محمد بن أبي بكر في مصر انه كتب الى المعتزلين منهم وهم الذين ما كانوا طوع عي ولا معاوية ان يبايؤوا أو اخرجوا من مصر فكتبوا له يرجونه ان يعلمهم ريتا تنهي المشقة فأصر عليهم فامتنعوا فتركهم وهو يحذرهم وهم يحذرونه فلما انحلت موقعة صفين عن التحكيم وقتل معاوية الى الشام وعي الى الكوفة اجترأوا على محمد بن أبي بكر واطهروا له الدماء فأرسل عليهم قوة من جنوده اولاً وثانياً فقهروها واشتد بذلك ساعدتهم ومالت الناس اليهم مطالبة بدم عثمان وكان علي رأسهم رجل يدعى معاوية بن حديج بن الكاسك جهل يدعو الى المطالبة بدم عثمان وضم اليه كتيون

قَالُوا إِنَّمَا أَهْلُهَا مَا عَنِ رَضَى خَضَتْ لِلْبُرْتَقَى مَالَهُ تَصَفَوْ مَطَاوِيهَا
 مِنْ بَعْدِ مَا هَلَكْتَ أَبْطَلَهَا وَعَلَى كَانِ فِي الْجَبَلِ الْمَشْهُورِ مَرْوِيهَا
 وَيَادِرَ الْبَصْرَةِ أَتَقْنَا مَحَلَّتْ بِقُوْدَهَا الْحَضْرَى الْقَدَمُ مَحَلَّتْ بِهَا
 فَمَا لَهُ خَضَتْ أَهْلَهَا وَأَبَتْ حَرْبَ الْخَلِيفَةِ قَالَتْ: لَا تَوْحِيهَا
 وَلَا تَرُوْمُ بَدِيلاً عَنْ أَبِي حَسَنِ وَلَا خِلَافَهُ الْقَرَا نَعَاوِيهَا
 وَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ مَكْرَأً طَاوُلَهُ وَلَمْ يَزَلْ مَعَهَا مَكْرَأً يُدَارِيهَا
 حَتَّى إِلَيْهَا أَنْهَتْ مِنْ عِنْدِ حَيْدَرَةٍ جُنُودُهُ تَبْتَغِي نِيْضَالَ مَعُونَهَا

الله عما يقتلونك ، ولو لم يكن منهم اليك ما قالوا ، يقتلك الله بأيديهم ، أو بأيدي غيرهم من أوليائه ، وأنا احبوك وانذكرك ، فإن الله مقيد منك ، ومقتضى لولي وخليفته ، بظلمك له ، وبنيك عليه ، ووقيتك فيه ، وعدوانك يوم الدلو عليه ، تظلم بمقتضك قبا بين احسانه واوداجه ، ومع هذا فاني اكرمك تلك ، ولا أحب ان اتولى ذلك منك ، ولني يملك الله من النعمة أين كنت أبداً ، فتنتع وانج نفسك والسلام آه

لا جرم ان معاوية وعمراً بن الماس ما كتبوا هذين الكتابين الى محمد بن أبي بكر الا وما يريدان ان يرهبا ويحملا على التنحي عن مصر بنير حرب لاسيما قانا بحسان حسابا كبيرا لقاموته وامداد سيدنا علي عليه صلوات الله رعاها عما كانا بملامنه من افتراق كل أصحاب الخلافة وتشتت أميهم . أما محمد بن أبي بكر فقد عرف من هذين الكتابين ومما سمع عن وصول حلة عمرو بن الماس الى حدود مصر وما شهد من استفحال أمر شيعة عثمان القائم بها معاوية بن حديج أن موقفه قد تغير . وإن لا قيل له على المقاومة طويلاً إلا أنه لم يسه أن يتنحي عن مصر ويتركها لقمة سائفة لعمرو ابن الماس على ما كان عليه من الاخلاص لمير المؤمنين فبادر الى اصحابه يستنصرهم من جهة واوقد مع سابع خصيس كتابي معاوية وعمرو بن الماس الى حيدنا علي مع كتاب منه يذهب به عن حقيقة موقفه وما يهدده ومصر من الاخطار من الجهة الثانية

أما عمرو بن الماس فما أميل ان قصد مصر فأخرج محمد بن أبي بكر الى لقاءه كنانة بن بشر في أثني مقاتل قصدوا حيش أين الماس في ضواحي القسطنطينية وجرت هناك مواضع عظيمة بين الجيشين كان النصر في اولها لجيش كنانة وكاد يقتل عمرو بن الماس لو لم ينجده في آخر الوقت معاوية بن حديج بمن معه من مقاتلة المصريين المنضوين الى رايته حيث شتموا قتلوا على حيش كنانة وقتل هذا شيداً وهدم عمرو بن الماس نحو القسطنطينية فدخل الطارف . أما اصحاب محمد بن أبي بكر فلما بلغهم مقتل كنانة وهلاك جيشه خارت عزائمهم وارفضوا من حوله واذا وجد هذا قسه وحيداً هرب في الخال من وجه بن الماس وأوى الى غربة فاختفى فيها . وعندما تم الطفر لابين للماس رأى من الحكمة أن لا يدع محمداً بن أبي بكر محتجباً متللاً في بلاد مصر مخافة ان يهب المصريون لتجده فيضطروا ان يشترك معهم بحرب ثانياً فإرسل معاوية بن حديج يطلبه .

خرج معاوية بن حديج يطلب محمد بن أبي بكر ليعمل يتنصم اخباره من الناس في ضواحي القسطنطينية

فَأَوْقَعَتْ. بِغَزَلِهِ الشَّامُ مُقْنِيَةً جُبُوعَهَا كَانَ رَبُّ الْأَعْرَاشِ مُقْنِيَهَا
وَالْحَضَرِيُّ لَقَدْ لَاقَى الْأَوْدَى مَعَهَا وَهَكَذَا تَأْكُلُ الْبَيْرَانُ مُقْنِيَهَا
وَحَابَ فِينَا أَتَيْتَنِي جَمَلًا مُعَاوِيَةً مِنْ قَتَحَ بَصَرَتَنَا أَوْ مِنْ تَمَعِيَهَا
وَكَيْفَ يَبْلُغُ مِنْهَا سَوْأَهُ وَرَجَا لُ الْمُرْتَفَعِي بِأَسْوِ سَاكَتْ مَذَاكِبَهَا
لَكِنْ مُعَاوِيَةُ مَا أَفْكَكَ يَحْبُطُ فِي غُلَاوَاهُ يَتَابَى أَنْ يُحْلِلِيَهَا
فَعَادَ ثَالِثَةً لِشَرِّ يَطْلُبُ إِفْلَاقَ الْخِلَافَةِ يَنْفِي قَهْرَ حَامِيَهَا

أحد العلوج بأنه رأى رجلاً في خربة بالقرب من الحبل الذي كانوا فيه قصد الخربة من معه من أصحابه فوجدوا محمداً بن أبي بكر فيها وكانوا يطشون بهلكة فقبضوا عليه وأرسل معاوية بن حديج أحدهما وأنه ينسب عمراً يوقوع محمد بن أبي بكر في قبضته وأنه عزم على قتله فلما وصل رسول معاوية بن حديج إلى عمرو بن العاص كان في حضرة عبد الرحمن بن أبي بكر إذ كان هذا في بيته فأكبر قتل أخيه وقول لعمرو بن العاص : لا والله لا يقتل أخي صبراً فأبى إلى معاوية بن حديج قائمه أرسل عمرو رسولاً إلى معاوية بن حديج يقول : أتاني محمد حياً . فلما وصل رسول ابن العاص إلى معاوية بن حديج قال هذا والنضب أخذته مأجده : أقتلت كنانة بن بشر بن عسي وأخني عن محمد ؟ هيهات . أكفاركم خير من أوليائكم ؟ أم لكم براءة في الزبر ؟ قال هذا وهو عازم على قتله فقال محمد بن أبي بكر شرية ماء فقتل له معاوية بن حديج لاستغاثي الله أن سبقت قطرة أبداً أنكم منتم عنان أن يشرب الماء حتى تلتهموه صامعاً محمداً فسماه الله من الرحيق المحنوم . والله لا تلتك يا ابن أبي بكر وأنت ظمان وسبقت الله من الحميم والفيلين . فقال محمد بن أبي بكر : يا ابن اليهودية النساجة ، ليس ذلك اليوم إليك ، ولا إلى عنان ، إنما ذلك إلى الله ، يستحي أوليائه ، ويظلم أعداءه ، وهم أنت وقرناؤك ، ومن تولاك ومن توليت ، والله لو كان سيفي في يدي ما بليت مني ما بليتكم ، فقتل معاوية بن حديج وهو يتنسم بتنسم الحانق : أتدري ما سأصنع بك ؟ أضغتك جوف هذا أحجار الميت ، ثم أحرقه عليك بالنار ، قال محمد : إن فعلت ذلك في ، فظلمنا فقتل مثله بأولياء الله ، وإيم الله في أن أرجو أن يبطل الله هذه النار التي تخوفني بها ، برأاً وسلاماً ، كما جعلها الله على إبراهيم خليله ، وإن يبطلها عليك وعلى أوليائك ، كما جعلها على غرود وأولياءه ، وإني لأرجو أن يحرقك الله وأمامك معاوية وصاحبك عمرو بن العاص ، بنار تنطلي ، كما خبت زاحها الله صبراً ، فقتل معاوية بن حديج : إني لا أفتك ظلم ، إنما أفتك بستان . قال محمد : وما أنت وعثمان ، رجل عدل بأخو ، وبذل حكم الله والقرآن ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ﴾ فتفتنا عليه أشياء عليها ، فأردناه أن يتخلع نفسه من أخلاقه فلم يفعل ، فقتله من قتله من الناس . فغضب معاوية بن حديج وأمر محمد فغضب أحد أعوانه عنقه ثم أمر قائمي في جوف حنر ميت كان في هاتيك الخربة وأحرق بالنار . وهكذا بلغ عمرو بن العاص أميته وعد إلى حكم مصر أما سيدنا علي عليه صلوات الله فشد ما انتهى إليه كتاب محمد بن أبي بكر مع كتاب معاوية وعمرو بن العاص الذين أرسلهما إلى محمد ليعرف في الحق إلى المسجد ودعا الناس وأخذ يجرهم عن الذهاب إلى

أَوْفَىٰ بِذَلِكَ بِسْرًا غَيْرَ مُنْتَبِرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ يَرْوَاهَا وَيُؤْذِنَهَا
هُنَاكَ قَدْ وَدَلَ الْأَنْصَارَ حَقْرَهَا وَلَمْ يَكُنْ ذَاكِرًا زَاهِي مَا تَبْنَاهَا
وَجَاوَزَهَا قَاصِدًا أُمُّ الْقُرَى فَأَتَى بِهَا الْأَعْمَالُ الَّتِي آذَتْ قُرْبَيْبَهَا
وَحَلَّ فِي الْأَعْيَانِ الْخَضِرَ وَأَخْضَعَ كُرَى هَا لِأَيْنِ حَرْبٍ بِلَا حَرْبٍ أَهْلَ لَبْنَاهَا
وَوَاصِلَ السَّبْرِ بِسْرٍ طَالِبًا يَمْنًا فَكَانَ فَاتِحَ دَانِيهَا وَقَاصِيهَا
كَذَاكَ شَذَبَ أَغْصَانُ الْخِلَافَةِ بِسْرٍ بَيْنَ مَرْهَرِهَا أَرْزَاهِي وَدَاوِيهَا

ممروراً لاعدائها فما لبوه الا بعد جهد جهيد ونسوف طويل - لباه منهم نحو الالفين فصار بهم ملك بن كعب مبدأاً لعمدين أي بكر على اعمهم ما كادوا يمدون عن الكوفة يضع مراحل حتى ورد على سيدنا علي بن محمد بن أبي بكر وسقوط مصر في يد عمرو بن الناس لحزن حزناً شديداً وخرج الى المسجد والناس مجتمعون وقام فيهم خطيباً لخدمته واتي عليه وقال : ألا وإن مصر قد افتتحتا الفجرة ، أولياء الجور والظلم ، الذين صدوا عن سبيل الله ، وبخوا الاسلام عوجاً ، ألا وإن عمداً بن أبي بكر قد استشهد ، ورحمة الله عليه ، وعند الله تحقبه ، أما والله لقد كلن ما علمت ، ينتظر القضاء ويصل للجزاء ، وينض شكل الفاجر ، ويجب سحت المؤمن ، اني والله لا ألوم نفسي على تقصير ولا عجز ، واني بمقاساة الحرب لجدي بصير ، اني لأقدم على الحرب ، ولأعرف وجه الحزم ، وأقوم بال رأي المصيب ، فستمرحكم ملئنا ، واتادبكم مستيناً ، فلا تسمعون لي قولاً ، ولا تطيعون لي أمراً ، حتى نصير الامور الى عواقب المساءة ، وأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر ، ولا تنفقي بكم الاتار ، دعوتكم الى غياث اخوانكم منذ وضع وخمين ليلة ، فخرجتم على جريرة الجمل الاثر ، وتناقمتم الى الأرض تناقل من لا نية له في الجهاد ، ولا رأي له في الاكتساب للاجر ، ثم أخرج اليكم منكم جند متذائب ضعيف ، نأفأ يساقون الى الموت وهم ينظرون ، فأفتر لكم « أه قال هذا سيدنا علي وهو غضب حزناً ونزل - ثم إن سيدنا علي عليه صلوات الله اجتهد كثيراً لتأليف عيش بيت فتح مصر ثانية واستسعى لهذا الغرض عهد الله بن عباس وكان عامه على البصرة الى الكوفة لما توقع لأن الناس كان قد أوهى عزائمهم تفرق كلمتهم بتأثير الخوارج الذين كان سيدنا علي تماًجداً في معاونتهم وهكذا كانت الخوارج من كل جهة تعمل على اطلاق خلافته وتشيع بهجة حكمه »
« ترجمة محمد بن أبي بكر »

لا ضرورة لقد كتب محمد بن أبي بكر من ابيه بعد ان سبق لنا ذكر ابيه وانما نذكر هنا امه فهي لباه بنت عيسى بن النعمان بن كعب بن مالك بن حنيفة بن خشم كانت تحت جعفر بن أبي طالب وهاجرت معه الى المدينة فولدت له هنالك عبد الله بن جعفر المولود ثم قتل جعفر يوم مؤتة فتزوج أبو بكر زوجته لباه بنت عيسى فولدت له محمداً هذا ولما مات أبو بكر تزوج اسماء هذه سيدنا علي عليه صلوات الله وحض ولدها محمد وهو غلام يتزعم فتنب في حجر سيدنا علي وترقى على يديه وكان يجري مجرى أولاده فيقول محمد ابني وإن يكن من صلب أبي بكر . وكان محمد بن أبي بكر يحب علياً جداً ويتشيع له ولا يعرف له أباً غيره ولا يعتقد لاحد فضيلة تقارب فضيلته وكان له في الثورة التي قتل فيها عثمان يدان على ما تقدمت الاشارة في الحواشي السابقة وصحب سيدنا

وَمَا اسْتَطَاعَتْ دِفَاعاً فِي مَوَاقِعِهَا وَلَا حَيْدَرَةً عَسْماً بِأَيْدِيهَا
وَلَا اسْتَطَاعَ عَلِيٌّ أَنْ يَرُدَّ عَنْ آلِهِ مَلَائِكُ إِذْ شَاقَّهَا تَقْزِي حُفَيزِهَا
إِذْ لَمْ تَكُنْ صَحْبَةً تُرْضَى لِنَصْرَةِ رَأْيِهَا خِلَافَةً أَنْ تُنْصِفِي مَوَاضِعِهَا
وَمَا عَلَى دَفْعِ ذِيهَا إِلَّا زُرْاقٌ وَجَدَتْ رَأْيَا وَمَا رَأْيُهُ إِلَّا لِيَانِي تُمْرُضِهَا
أَغْرَاضُهَا جَزْأَتٌ مَجْمُوعَةٌ فَرَقًا وَقَدْ أَضَاعَتْ قَوَاهَا فِي تَجَرُّبِهَا
وَأَطْمَعَتْ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِالْمُلْكِ الَّذِي كَانَ يَحْمِيهِ أَعَادِيهَا

علي في يوم الجبل وحارب معه وهو الذي تولى أمر عائنة بعد أن ثلاث أصحاب الجبل وعاد بها إلى مكة المكرمة مكرمةً حسب أمر علي عليه صلوات الله ثم عاد إلى محبة سيدنا علي وهو في الكوفة فلولاً مصر كما تقدم القول وكانت ختمته كما رأينا القتل شديداً بيد معاوية بن حديج والحرق بمجوف حار في تلك الحفرة التي أوى إليها وكان عمره وتشتت نحو أودين حاماً

« هجوم أصحاب معاوية على البصرة »

كان استيلاء عمرو بن العاص على مصر ومقتل محمد بن أبي بكر واليه في سنة ٢٨ هـ جرة ولما تم لمعاوية هذا الفوز البين طلع بسيدنا علي وخلائقه وعزم على مواصلة الحرب لتتح إمصار الخلافة وقال في نفسه أن عمار بن ياسر ومالك الاشتر كانا يدا للخلافة قطعتا وأصبحت يدهما جزءاً فاعدت أخلفها . قال هذا وأجال بصره بمصار الخلافة فما وجد أولى بالمعجوم غير البصرة فقال ان البصريين ما اصابوا علياً برضاهم بل بأيامه مقهورين وفي نفوسهم من كرهه يمدان قتل منهم المخلق الكثير في يوم الجبل ما فيها وانهم يرون رأينا في عثمان وقد دلوا حول الجبل في الطلب بدمه فهم بذلك حقون يودون أن يأتيهم من يجمع كلمتهم وينهش بهم في الطلب بتارهم ودم لعامهم . ولم يفت معاوية أيضاً انه لو تملك البصرة أصبح على عنق الخلافة المستقرة في الكوفة فيسهل عليه استهواء الكوفيين بامواله ثم الخلة على سيدنا علي وتهمه واستخلاص الخلافة من سلطانه . وعلى هذه الوسواس التي خطرت لمعاوية استدعى عبد الله بن الحضرمي وأمره أن يسير بصرية من الجيش إلى البصرة مينا له اهواء قبائلياً ليوالي التي من حزب عثمان ويخدر التي من حزب سيدنا علي فسار عبد الله بن الحضرمي بهذه الهمة ضارباً في البرية حتى اذا ما دنا من البصرة نزل في بني عجم واتاه الناس يستطلعون طلع مقدمه فأخذ يرغهم بعيان سيدنا علي ويحضرهم على التياح مع معاوية للمطالبة بدم عثمان فغترضه الضعفاك بن قيس الهلالي وكان على شرفة البصرة وقال : قمع الله ما جئنا به وما تدعوننا اليه أئمتنا والله يمثل ما أثنانا به طلحة والزبير أئمانا وقد بائنا علياً واستقامت أئورتنا فعملنا على الفرقة حتى ضرب بعضنا بعضاً ونحن الآن نجتصون عي يمينه وقد أقل الترة وعفا عن السي ما قترنا ان ننفضي أسانفنا وضرب بعضنا بعضاً ليكون معاوية أميراً ؟ والله ليؤم من ياله عي خير من معاوية وآل معاوية . وما كاد الضعفاك يتم كلامه حتى اتهمه عبد الله بن خازم الحلبي قتلًا أسكت فليست أهل أن تتكلم ثم أقبل عي ابن الحضرمي وقال نحن انصارك ويدك والقول قولك فقرأ كتابك فخرج الحضرمي كتاب معاوية واخذ يقرأ عليهم وكانت خلاصته انه يذكر لاهل البصرة موت عثمان وانه قتل مظلوماً ويستنهضهم إلى الانتصار له ويهددهم انه اذا تمت له البيعة يسل فيهم بالسنة وسطيهم

فَهَا هِيَ أَجْتَمَعَتْ مِنْ حَوْلِ سُدِّيٍّ
وَلَا مَمَالِكُهُ مِنْ نَفْسِهَا أَمْنَتْ
وَمَا لَهَا طَلَبَتْ عَمَّا لَهُ مَدَدًا
وَأُذِ دَرَى كُلِّ مَا بَسْرَاتَاهُ مِنْ آلَا^م
عَلَّا عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَنْبَرَهُ
قَالَ: مَا هِيَ إِلَّا كَوْفِي وَأَنَا
مُحَدِّقًا بِرِعَايَاهُ يَفَاهِيهَا
دَوْمًا لَا بَسْطَهَا بَسْطًا وَأَطْوِيهَا

عطائين في السنة (وهذا بيت التصيد والتفيع المقبول) فلما فرغ الحضري من كتاب معاوية قام
الاحنف وقال : لا ناقي في هذا ولا جلي وقضى رداءه وانصرف . وقام همر بن مروحوم البدي
فقال : ايها الناس ، الزموا طاعتكم وجماعتكم ، ولا تنكثوا بيمينكم فمقتع بكم الواقعة . فاعتزله
عباس بن حجار البدي وقال لتعزبن معاوية بأيدينا وألسنتنا فأنهره للثني بن خزيمة البدي وقال :
والله لئن لم ترجع الى مكانك الذي جئتنا منه لتجاهدك لمسايقنا ورماحتنا ولا يتركك هذا الذي
يتكلم ويتبع ذلك سجي بين القوم ظهر معه الحضري ان شيعتنا علي هي النافذة غلاف على
نفسه وعلى السرية التي يقودها ومال الى صبرة بن شيان وهو من وجوه عجم وقال له انك ناب من
أنياب العرب فنعزري فقال له لو نزلت في داري لعزرتك فسار الى داره وأصبح نزله
وكان عامل سيدنا علي على البصرة وقتل عبد الله بن عباس الا انه كان تركها متوجها الى
الكوفة بعد سقوط مصر كما تقدم القول ثم بدأ الى سيدنا علي في الكوفة مستخفا عليها زياد بن أبيه فلما
وصل عبد الله الحضري بمجنود معاوية ليقتل الناس ويسطو على البلد خلف زياد من مجيئه
واضمام الناس اليه واستدعى اليه حصين بن النضر ومالك بن مسع وقال لهما : انتم يامعز
بكر بن وائل انصار أمير المؤمنين وقتلته وقد كان من ابن الحضري ما تزون وأتامن أتاه فامتنوني
وبيت المال حتى أتيتني أسير أمير المؤمنين فقال حصين ليك وقال مالك : ولم يكن غلصا لعل - هذا
أسر لا أبت فيه رأيا لأن في فيه شركاء استخبرهم ثم نظروا رأى زياد تنازل مالك عن اجلوته
خلف ان تختطف عليه ربيعة فأرسل الى صبرة بن شيان الحداني الا زدي يطلب منه ان يجيره مع
بيت مال المسلمين فقال ان حملته الى داري ويحتج احيرا كما فرح بما لديه من اموال المسلمين الى
دار ابن شيان ونقل اليها النضر ايضا وكان يصلي الجمعة بمسجد الحدان

وكان زياد في حال وصول ابن الحضري الى البصرة يادر فبدأ سيدنا علي بمقدمه فادور عليه
صلوات الله فأرسل جارية بن قدامة السدي وهو من سعد بن عجم وبنت معه خمسمائة قتالا (وقول
من الرواة ان سرية جارية كانت خسين مقاتلا خطأ ببقية العقل لأن من المستحيل أن يسير جارية
لفتح الحضري ومن معه من جيش معاوية ومن يحتمل ان ينضم اليه من قبائل البصرة باقل من
خمسائة مقاتل) ولما بلغ جارية واصحابه البصرة زل على الازد وجع البصريين وقرأ عليهم كتاب
سيدنا علي الذي كان يحمله وفيه يحرضهم على الثبات على بيعته ويهددهم لو نكثوا البيعة يوم انقطع
من يوم اجل ففصاحوا جميعا انا موالون أمير المؤمنين ما نقول في طاعته وساروا مع جارية للقاء عبد
الله الحضري فثاروه مع من انضم اليه من قبائل البصرة وما هي غير ساعة حتى انحلت الموقعة من قهر

إِنْ لَمْ تَكُنْ لِي إِلَّا أَنْ تَهْبِ أَعَا صِرْ بِأَرْضِكَ عَالِيَهَا وَوِاطِيَهَا
إِلَّا إِنْ لَمْ يَكُنْ مُلْكُ قَبِيحِكَ الْخَلْقُ مِنْ بَلَدَةٍ أَصْبَحَتْ ثَاوِيَهَا
يَانَاؤُ أَنْبِثْتُ بِشْرًا قَدْ غَزَا بِمَنَا وَقَدْ طَفَى وَبَنَى مَا بَيْنَ أَهْلِيهَا
إِخَالٌ وَاللَّهُ أَنْ أَقَوْمَ ظَافِرَةٍ بِكُمْ وَبِالْفَتْةِ مِنْكُمْ أَمَا نِيهَا
لِسَوْءٍ فَرَّقَكُمْ عَنْ حِكْمِكُمْ وَلَا نَ حَوْلَ بَاطِلِهَا الْمُخْزِي تَجَمُّعِيهَا
لِشَرِّ عَصِيَانِكُمْ حَقًّا لِمَا حِكْمِكُمْ وَحَسَنَ طَاعَتِهَا بَطْلًا لِرَاعِيهَا

أصحاب المظفرى وفر هذا مع عبد الله بن عازم السلمي وكان لركان حربيه وتبهما سبعون من مقاتلتها وهم الذين سلموا من جيش الشام وكان يربو على الحماة وأروا الى قصر سنبل وهو من قصور فارس القديمة وكان حوله خندق فهو بمقام حصن فتحصنوا فيه قتيهم جلوة وأحرق ذلك القصر بين فيه فهلكوا جميعاً . وهكذا انتهت حلة معاوية بالقتل وعلم منها هذا حقيقة ما أراد الشاعر بقوله كل ما ترنجيه سهل ولكن عثرات الأمال ليست بمهلة

« اسليلا يسر بن لوطاة على الحجاز واليمن »

كلا ازداد أصحاب سيدنا علي عليه صلوات الله صنفًا باتسامهم على انفسهم كلا كان أصحاب معاوية يزدادون قوةً بأعضائهم الى بعضهم البعض تحت راية معاوية والسبب في ذلك بسيط جداً لا يحتاج الى بحث وتقيب وإعمال روية . هن الناس عند سيدنا علي كانوا يطمون قيناً بأنهم يجاهدون لله والاسلام وليس لهم من خيرات الخلافة الا ثواب الآخرة . أما أصحاب معاوية فهم موقوفون أن الخيرات التي تصيب صاحبهم هم شركاؤهم فيها كل على قدر وجاهته وغفوه وتل في الناس الذين يكفرون بأعضائهم ويتبرج دون عن أهوائهم ويصرفون الى آخرتهم والاكتفون بمتنوع ما جلدتهم ويطمون بملاذ دنياهم على ما نشاهد باعينا وطم اختارنا من طيبة هذا الانسان ومبلغ خضمه بهذا الوحد فكأن في بهم محبون أعضائهم خالدين وما الخلود الا الله رب العالمين

فان معاوية وأصحابه ما ضعضع هزيمتهم فتلاهم في البصرة بأداء ما تسدوه من تخاذل أصحاب سيدنا علي عن الذهاب الى مصر واستخلاص من عمرو بن العاص فرأى أن يقصد الحجاز واليمن حتى اذا ما تمكن من تدوينهما وفصلهما عن الخلافة الطوية هاجم العراق بخيله ورجبه بصدان تنكسر تقوس أهلها بإعتداد سلطانه الى سائر امصار اسلمه بنوقها اندبنة السورة ميط الرسله ولكه المسكرمة مقر الكعبة المرفقة اما أصحاب معاوية فكانوا لهم غير رأي كانوا يرون ان راجع معاوية سيدنا علي في العراق حتى اذا ما ملكها وثال أربه من سيدنا علي عليه صلوات الله دانت له الامصار نبر قال لخالفهم وظل على رأي اذ كان يتخوف من نتيجة مهاجمة سيد علي في عقرداره ولا رجا بعد أن انخضت حملته في البصرة

وبعد أن أعلن معاوية دويته ضولاً أقر على تنفيذ خطته واختار فقهه انهمة رجلاً من أصحابه يدعى بسر بن أرطه العامري من بني عمر بن لؤي بن غالب وكان هذا الرجل فثاً غليظ القلب سفاكاً للدماء لا رافة عنده ولا رقة فستطاع اليه وأمره أن ياخذ ضريق اندبنة فكة حتى يقتل الى اليمن وقال له : لا تنزل على له انه على ضعة علي الا بسطت عليهم لسانك حتى يروا انه لا نجاة لهم

وَلَا تَكُنْ خُنُوفًا مَعَ أَمَانَتِهَا إِلَى مَوَايَةِ صِدْقًا تُوَقِّرُهَا
وَلَفْسَادِ الَّذِي أَتَيْهِ عِنْدَكُمْ مَعَ الصَّلَاحِ الَّذِي يَمْلَأُ مَوَايِعَهَا
لَا هُمْ قَدْ سَيَّئُوا إِذْ سَمِعْتُمْ أَبْدَلْتُمْ بِهِ شَرًّا مِنْ خَلِيفَتِهِمْ
كَذَّابِهِمْ كَرَّمَا أَبْدَلُوا خَيْرَ مَنْهُمْ فَقَسَّ صَاحِبُهُمْ يَكْفِي تَعْنِيهَا
وَمِثْ وَقَدْ قَسَيْتَ هَذِي الْقُلُوبَ كَمَا بُمَا فِي الْمَاءِ مِلْحٌ كِي تَطْرَبَهَا

ملك وانك محط بهم ثم اكفبت عنهم وادعهم الى البيعة لي فن ابى قتله واقتل شيعة علي حيث كانوا
فخرج بسر بأمر معاوية ومعه ثلاثة آلاف مقاتل وسار في طريق المدينة فدخلها وكان حامل سيدنا علي عليها أبو
أيوب الأنصاري صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه وآله تخرج هذا عند وصول بسر برجله هاربا لعله أنه
يسر عن قتله فاستولى بسر على المدينة وخطب في الناس فقتلهم وتهددهم وتوعدهم وقال شامت
الوجود ان الله تعالى ضرب مثلا قربة كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها وقد أوتى الله تعالى ذلك المثل
بكم وجعلكم أهله . كان يلذكم مهاجر النبي ومثله وفيه قبره ومنازل الخلفاء من بعده فلم تشكروا
نعمه ربكم ولم تروا حق نبيكم . وقتل خليفة الله بين أظهركم فكنتم بين قاتل وخاذل ومترس
وشامت ان كانت للمؤمنين قاتل ألم تكن ممك ؟ وان كان للكافرين نصيب قلتم ألم نستوفِ عليكم
وغمسكم من المؤمنين ؟ ثم شتم الأسماء فقال يامسر اليهود أبناء الميدين بني زريق وبني النجار وبني سالم وبني
عبد الأشهل أما واقعة لادن ؟ بكم وقعة تشفي غليل صدور المؤمنين وبني أمية وأصحابهم المطالبين بهم فقال .
أما واقعة لادن ؟ بكم وقعة تشفي غليل صدور المؤمنين وبني أمية وأصحابهم المطالبين بهم فقال .
فزعوا الى حريق بن عبد المزي فصار اليه وناشده فقال عترتك وانصار رسول الله وليسوا بقتل
عثمان ولم يزل به حتى نظاهر بالرضى والنفو ودعا الناس الى بيعة معاوية فبايعوا وما اكتفى بهذا بل
أراد ان يبقى بينهم آثار يطمه فحرق دورا كثيرة في المدينة المنورة منها دار زرارة بن حروم
أحد بني عمرو بن عوف ودار قاعة بن رافع الزرقى ودلوا بني أيوب الأنصاري . وقام بعد ذلك
أياماً ثم هم بالخروج الى مكة وقيل سفره جمع رؤساءهم وقال لهم : اني قد عفوت عنكم وان لم
تكونوا لذلك باهل . ما قوم قتل امامهم بين ظهرانيهم باهل ان يكف عنهم الذباب . ولئن
نالكم الغومني في الدنيا اني لا رجوا ان لاتالكم رحمة الله في الآخرة . وقد استخلفت عليكم
أنا هزيمة ذياكم وخلافة . فطاع القوم واكدوا توبتهم وهكذا تركهم وسار قاصداً مكة كرمها الله
وعند ما بلغ بسر مكة هرب منها حامل سيدنا علي عليها وكان تم بين الناس فدخلها وشم
أهل مكة وأتبعهم وتهددهم وتوعدهم كما فعل في المدينة فجاءوه طائفتين مبايعين لمعاوية ففما عنهم واستخلف
عليهم شيعة بن عثمان . وكان قد هرب من مكة تين دخول بسر . انقري سليمان وداود ابنا المباس واهما
حورية ابنة خالد بن فرقة السكتانية وهما غلامان فقتل بهما بسر وذبحهما . ثم سار بسر الى الطائف
فسلمت له . ثم خرج منها فاقى نجران فتهدها فسلمت له . ثم أتى موضع اسمه « أرحب » فقتل
فيه أبابكر وهو سيد من كان في البادية وكان من شيعة سيدنا علي عليه صلوات الله . واتي بعد
ذلك الجمن قتاله الجانيون مقاتلين فقاتلهم وغلبهم وقتل منهم خلقا كثيرا ودخل صنعاء فقتل فيها مئة

هُنَاكَ لَوْ رُحْتُ أُدْعُوهُمَا مَا مَهَلْتُ أَن يَأْذِرْنِي كَسَلُ الشَّعْبِ هَاهُنَا مِنْهَا
وَمَا أَنْتَهَى الْمُتَرَفِّي مِنْ سَرِّ وَخُطْبِي عَلَى رِعَايَاهُ حَتَّى أَنْصَاعَ غَاوِيَهَا
وَأُسْرَعَتْ نَحْوَهُ فِي الْحَالِ طَائِفَةٌ مِنْهَا لِتَصْرِيفِ تَبْدِيدِي تَنْجِيهَا
وَكَانَ «جَارِيَةً» السَّعْدِيَّ قَائِدَهَا إِلَى مُنَاصَلَةِ الْأَعْدَاءِ وَمُغْضِبَهَا
وَأَقَى بِهَا يَمْنًا وَالنَّاسُ قَدْ لَقِيتُ مِنْ بَسْرٍ مَا قَدْ عَلَا مِنْهُ تَشْكِيهَا
فَكَانَ قَاهِرَهُ فِيهَا وَنَاصِرَهَا عَلَى الظُّلُومِ الَّذِي أَجْرَى الدِّمَا فِيهَا

شيخ من أبناء درس لأن ابنه عبد الله بن عباس الذي كان عامل سيدنا علي على اليمن وفرّ قيل
قدوم بسر كانا غائبين في بيت أسرته من ابنائهم تعرف بأبنة بزرج واستولى على اليمن
كل هذا ضله بسر بن اوطاة في زمن يسير وبمجرد الوعيد والتهديد ومنه تضح لنا الاندروج
بسر الى الحجاز واليمن بأمر معاوية لم يكن مقابله غير منتظرة من الحجازيين واليمانيين بل لا بد
ان يكون معاوية قد سبق واستوثق من ولاء كثيرين من وجهاء هذين المعربين وأهل النفوذ فيهما
كما ان عمال سيدنا علي ما كانوا يهرون من وجه بسر كل بدور من جن أو خيانه ولكن لتقها بأن
الناس ليسوا مهم بل أكثرهم قد كانوا من شيعة معاوية وعلى ارتباط معه واذا كان قد اغفل المورخون
ذكر هذه الملاحظة فإن واقع الحال لتبينها والا فما معنى ان تدن المدينة المنورة ومكة المكرمة
والطائف وعموم الحجاز الى بسر وهو قادم عليهم بثلاثة آلاف مقاتل فقط ؟ وما معنى هرب عمال
سيدنا علي عليه صلوات الله من وجه سر وما منهم من يشك بإخلاصه أو من كان يطعم بحجر من
معاوية وقد عرفناهم فيها بعد تدبثوا على ولاء سيدنا علي الى النهاية ؟ لا جره ان معاوية اشتغل
بدهائه كثيراً حتى استأهل الناس اليه كما ان ما ذاع وشاع عن تمأجل اصحاب سيدنا علي قد كسر قلوب
الناس وهماها الى الخضوع لحكم معاوية

وكانت أعمال بسر تصل الى السامع الحديدة الشريفة في لوفتها فيثاء عليه صلوات الله منها
وكان يندل كل ما يمكن ان يندله راع حاكم لرعيته من الخس على قتال هؤلاء الذين آوا على انفسهم
ان يسيئوا فساداً في بلاد الخلافة فلا يجد ملياً وضالاً قرع الاسباع بمخبطه فا أثرت على تلك الاقيدة
التي تأكلها انفسها على انفسها وأبى سيدنا أمير المؤمنين ان يعطش بها بيشة اخب كم انطلق الذي
يضرب العاصي بالطبع ويسوقها يد حديدية الى نصر خلافته . وما زال هذا حال أمير المؤمنين مع
أصحابه في الكوفة حتى دخلها عبد الله بن عباس عامله على اليمن وقد رآناه قد هرب من وجه بسر
ومعه سعيد بن عمران صاحب الخراج فلامها عليه صلوات الله على تركه اليمن لندوها وسار يتأقل
متضرراً الى المسجد الكوفي فعدا الناس الى أصلاة وصني به ثم صد المنذر فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال : « ما هي الا الكوفة اقبضها وابسطها ، ان لم تكوني الا » أنت نهب أو صيرك ، فقبضك
الله (وتمثل بقول الشاعر)

لعمري ايكم اغبر يا عمرو أشي عى وضرب من ذ الاناء قليل
ثم قال : « أنبت بسرأ قد اصنع اليمن ، وأنى والله لا أشي أن هؤلاء القوم ، سيدلون
منكم ، بأجتماعهم على باطلهم ، وتمزقكم عن حقاكم ، ومعصيتكم امامكم في اخو » ، وضاعتهم امامهم

وَرَأَيْتُ الْمُتَرَفِّعَ قَدْ رَاحَ نَاشِرَهَا
وَوَطَّدَ الْبَيْمَةَ أَتَرَا لِحَيْدَرَةٍ
وَهَكَذَا حِمْلَةٌ صُغْرَى لَقَدْ بَلَّتْ
فَكَيْفَ لَوْ كَانَتْ أَلَا مِثَالُ صَادِقَةٍ
ثَالِثٌ مَا كَانَ فِي كُلِّ الْخِلَافَةِ مَنْ
وَكَمْ رَأَيْنَا عَطْبًا بَيْنَ أُمَمٍ
فَكَانَ يَخْطُبُ فِيهَا وَهَرَّ نَاصِحَهَا
لَكِنْ رَأَى عَزَمَاتُ الْقَوْمِ خَائِرَةً
وَإِنْ أَقْرَأَهُ مَا أَنْتَرَتْ نَمْرًا
مِنْ يَدْرِ أَنْ بَاتَ ظُلُمًا بِسَرِّ طَائِفَتِهَا
وَكَانَ يَنْعَمُ رَبِّ الشَّامِ مُلْفِيهَا
بِاسْمِ الْأَوَامِي مِنَ الْأَعْدَاءِ أَمَانِهَا
مِنْ حَوْلِ حَيْدَرَةٍ مَا الْحَدُّ فَاشِيهَا
يَجْرَأُ عَلَيْهَا وَيَتَوَنَّى أَنْ يُنَاقِبَهَا
يُرِيدُ تَوَجِّدَهَا عَطْفًا يَدُلُّ لِبَهَا
مُبْسِيئًا شَرًّا مَا يَجْنِي تَرَاخِيهَا
مِنْ حَوْلِهِ قَدْ تَنَاقَشَتْ فِي تَبَاطُيْهَا
يَا لَلْأَسَى بَيْنَ قَوْمٍ خَابَ دَاخِلُهَا

في الباطل ، وباداتهم الامانة الى صاحبهم وخيانتكم ، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم ، فلو اتبنت
أحدكم على قصب ، لحسبت أن يذهب بسلامته ، اللهم ، اني قد ملتهم وملوني ، ووشتهم ووشوني ،
فأبديني بهم خيراً منهم ، وأبدلهم في شرأ مني ، اللهم ، مت القلوب كما يمت الملح في الماء ، أما
والله ، لوددت أن لي بكم ألف دوس من بني فراس بن غنم

هناك لو دعوت أباك منهم فوارس مثل أرمية المجيم

ثم نزل عليه صلوات الله عن النبي والنضيب ظاهر على وجه الكريم قتنخي بعض الناس
بكلماته قال منهم حلة ببيادة جارية بن قدامة السدي قسيرا وراء يسر وكانت في التي مقاتل
فشخصت الى البصرة ومنها سلوت الى الحجاز فالتين وعلمهاك « جارية » أن يسراً أصبح في بلاد بني
نجم وتماد النين الى حكم سيدنا عبي وهربت شيعة عثمان الى الجبال واخذ جارية بعد ذلك بتقب
يسراً حتى أخرجه من النين والحجاز فعاد الى صاحبه معاوية وهو يقتخر بمن قتل من المسلمين بسيف
رجاله وبلغ عدد القتلى ما يقرب من ثلاثين أنثاً وكان رجوعه في أوائل سنة ٤٠ للهجرة

ومن تامل مجاح حلة « جارية » وهي لا تتجاوز الألفي مقاتل وانه بهذه الحلة القليلة
استطاع ان يهد الحجاز والين الى حكم أمير المؤمنين ظهر له ان تراخي أصحاب سيدنا علي في الكوفة
وانقسامهم على انفسهم هو الذي قوى معاوية وهياه للخلافة وانهم لو كانوا على غير ما عرفناهم متضامين
مع أمير المؤمنين على نصرة اخلافة يطهونه في السير الى معاوية ومحاربته منذ ظهور خديجة عمرو
ابن العاص لأبي موسى الاشعري كما كان يلح عليهم لسكان بلا جدال قد انتهى ذلك الشر وزال
وخيم الأمن على ربوع الاسلام ولكن تدر فكان ولا مرد لقضاء الله

وكان سيدنا علي عليه صلوات الله متناً مما فعله يسر بالمسلمين فكان يقول « اللهم ، ان
يسراً ناع دينه بالدين ، وانهك محارمك ، وكانت ضاعة مخلوق فجر آثر عنده مما عندك ، اللهم ،
فلا تمته حتى تسلبه عقله ، ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار ، اللهم ، الن يسراً ، وليحل
عليه غضبك ، وتنتزل به نعمتك ، وليصب بأسك وزجرك الذي لا ترد من القوم الجرمين » ولقد

فَسَاءَ مَا رَأَى فِيهَا وَمَا سَمِعَتْ أَذْنَاهُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ عَنْ أَعَادِيهَا
وَمَا يُسِيءُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُسِيءَةً لِّلشَّرِيفَةِ مَا يُؤْذِنُهُ يُؤْذِنُهَا

هجوم أبو عامر على النصارى

وَبَعْدَ أَنْ عَادَ يَسْرَعُنْ رِبِّي يَمَنْ وَقَسَهُ لَمْ تَلْ مِنْهَا تَمَسُّبَهَا (١)
رَأَى مَعَاوِيَةَ أَنْ يُزْعِجَنَّ عَلِيًّا فِي الْأَذْيَارِ الَّتِي قَدْ كَانَ يَتَوَلَّاهَا
بِحَسَنَةٍ مِنْ كُتَاةِ النَّسَاءِ أَرْسَلَهَا إِلَى الْعِرَاقِ فَجَدَّتْ فِي مَقَارِئِهَا
وَأَوْقَعَتْ يَتِيمِي الْأَنْبَارِ جَائِرَةً فِي حَرْبِهَا وَأَسْطَلَّتْ فِي تَعَمُّرِهَا
فَأَغْطَا حَيْدَرَهُ مِنْ خَزَلِ صُحْبَتِهِ دَعَا إِلَى الْجِهَادِ الَّتِي أَمْسَى مَوْحِشَهَا
وَسَارَ وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ مُطْلَبًا أَرْضَ النَّجِيلَةِ غَارِي النَّفْسِ رَاغِبَهَا
وَقَدْ عَلَا رُبُوعَهُ عَلِيًّا وَأَرْسَلَ مِنْ أَلْحَاظِهِ شَرًّا بَادٍ تَلْظِيهَا

استجاب الله سبحانه وتعالى دعاء سيدنا علي عليه صلوات الله فذبح أسيراً في محسنة لله للهجرة ذهب عقله فجاء فمكأن بهذي بالسيف ويقول اعطوني سيفاً أقتل به لا يزال يردد ذلك حتى اتخذوا له سيفاً من خشب وكانوا يدنون منه المرققة فلا يزال يقر بها حتى ينشئ عليه فلبث كذلك الى ان مات (١) بعد ان عاد يسر من الحجاز واليمن متهوراً غير متلبه ولاء معاوية ما ربه من تأييد يئته على ذنبك التطيرين عاد معاوية الى رأي الذين اشاروا عليه من اصحابه بأن يقصد سيدنا أمير المؤمنين في العراق لينهي منه المشقة رأساً أملاً عليه وأما له على انه أراد ابادي هذه أن يجمع عود أمير المؤمنين فوجه الى العراق سرية بقيادة أبي غنم وهو - فميراث بن عوف بن المفضل الفارسي نسبة الى غنم وهي قبيلة من اليمن تنتمي الى الأزد وكان زعيمها يلقب بغنم واسمه عمر بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك من نضر بن الأزد وسمي غنماً لانه عاجل شراً قد انتشر بين قومه فسلحه وتمدهم بذلك فسموه غنماً . وقد روى سفيان بن عوف الفارسي عن هذه الغزوة التي غزا بها الانبار فكانت آخر قتال بين سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله وبين معاوية بن ابي - فميراث قل : دعاني معاوية قتال اني يا عنك في جيش كفيف ذي اداة وجلادة ففرم لي جانب انمراة حتى تمر ببلدة « هيت » فتقطعها من ووجدت بها جنوداً لبي ففرع عليهم والامض حتى تقم على الانبار وأهل الانبار فكأنك اغرت على الكوفة . واعلم يا سفيان ان هذه القارة على أهل العراق ترعب قلوبهم وتفرح كل من له فيها هوى منهم وتدعو اليها كل من خاف ان تدور الدوائر عليه . فليكن ان تقتل كل من اقبله ممن لا يكون من حزبنا واخرى كل ما تم عليه من القرى . واخرى الاموال في حرب الاموال شيه بلقتل في اوجع لقلب . فاسفيان : فخرجت من عنده فسكرت وقام معاوية في أهل الشام فخطب فقال : ايها الناس ! انتدبوا مع سفيان بن عوف فنه وجه عظيم فيه اجر ، سرية اوتبكم ان شاء الله آمه . ثم نزل . فسرع اليه فبوسه آلاف

وَصَاحَ صَوْتًا جَهِيرًا عِنْدَمَا اضْطَرَبَتْ تِلْكَ أَلْفُؤُسُ الَّتِي التَّقْرِيقُ مَوْجِبُهَا
وَقَالَ: حَدِّثْ لِرَبِّ مَا سَوَّاهُ عَلَى السَّكْرَةِ مُحَمَّدُ أَيْ الْحَمْدُ أُسْنِدُهَا
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى أَلْهَادِي أَرَدَدَهَا بِحُرْقَةِ النَّفْسِ أَنْ تَطْلُبَهَا
وَمَدُّ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْجَادَ لَكُمْ بَابًا لِبَيْتِهِ يَا بَيْتَهُ رَاجِبَهَا
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ كَانَ فَاتِحَهُ لِلْأَوْلِيَاءِ الَّتِي تَسْمُو مَا نَبَهَا
وَأَنَّهُ لَلْبَاسِ لِلتَّقَى قَدْ أَرَادَهُ مَنْ يُنْشِدُ الْآخَرَى وَيَغِيْبَهَا
وَأَنَّهُ دَرْعُ رَبِّي بَلْ وَجُنَّتْ لِيَنْ يُلَاقِي مِنَ الدُّنْيَا فَوَاجِبَهَا
فَمَنْ غَدَا زَاهِدًا فِيهِ وَتَارَكَهُ لِيَطْلُبَ الْغَيْبَ تَعِينًا وَتَرْفِيَهَا
فَاللَّهُ مُكْسِبُهُ أَنْوَاعَ الْمَدَدِ وَالْهَوَانِ يُغْنِيهِ بِالسَّيْرِ ضَافِيَهَا
وَهُوَ الْمَدِيْتُ فَضْلًا بِالصَّغَارِ وَالْبَقَمَاءِ أَلْتَالُ التَّعْيِيرِ رَاضِيَهَا
وَقَدْ غَدَا وَهُوَ مَسْنُوٌّ بِضَرْبَةِ أَسْهَابٍ وَأَمْسَى سَفِيهُ أَقْوَمِ هَازِيَهَا
وَقَدْ أُدِينَتْ بِتَضْيِيعِ الْعِبَادِ حَقُّهُ قَدْ هُوَ بِالتَّهْدَارِ مُلْفِيَهَا
وَسِيمٌ خَسَفًا وَمَا أَلْفَى لَهُ نَصْفًا مِنْ قَوْمِهِ وَأَنْشَى لَوْ كَأَنَّهَا
أَلَا وَإِنِّي قَدْ نَادَيْتُكُمْ لِقَاءَ لِ الشَّامِ مِنْ بَعْدِ أَنْ سَاءَتْ مَا بَيْنَهُمْ
وَكُنْتُ أَدْعُوكُمْ لَبَلًا لَنَا وَنَهَا رَأَى دَعْوَةً بَحًّا صَوْتُ دَاعِيَهَا
وَكُنْتُ أُعَلِّمُهَا طَوْرًا عَلَى مَلَأَ مِنْكُمْ وَطَوْرًا عَنِ الْفَوَغَاءِ أَخْبِيَهَا

مقاتل فرست بهم طالباً الفرات حتى اذا ما وصلته لومت شاطئه واغدت السرخى امر يبلده « ميت »
فلحق أهلها اني عشيتهم فقطعوا الفرات فررت بهاوليس فيها عرب كأنها لم تكن قطعاً فوطئها
حتى امر يبلده « صدوداء » وكان أهل ميت قصدوها قرواً من وجهي فلم اتق بها أحداً قضيت
اتصد الانبار وكان أهلها قد بلنهم نياي فخرج صاحب السلحة الي قوقف لي فلم اقدم عليه حتى
اخذت غلماناً من أهل القرية قتلتم لهم اخبروني كم في الانبار من اصحابي قالوا كانوا اقرام مسلحين
لا يتجاوزون الحماية ولكنهم قد تبددوا ورجعوا الى الكوفة ولا ندري كم بقي منهم
فطلبهم لا يتجاوزون اللتين . قال سفيان : فاستبشرت وقسمت رجالي الى كتائب واخذت ايهم
كريمة ياتر اخرى فيقاتلهم صاحب السلحة وافته وبصرهم ويطاردهم ويطاردونه في الازقة فلما رأيت
ذلك ازلت اليهم نحواً من ميتين مقاتلاً واتبهم اخيل فلما حلت على رجال علي الخيل وامامها الرجال
تمشي ما أهلوا ان هم قوا وقتل صاحبهم حسان في نحو ثلاثين رجلاً وحلما ما كان في الانبار من

وَقُلْتُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَفْرُوكُمْ عَتَلًا
وَاللَّهِ مَا أُمَةٌ فِي دَارِهَا غُرَيْتٌ
وَذَا أَخُو غَامِدٍ بَانَأْسٌ قَدْ وَرَدَتْ
أَزَالَتِ الْخَيْلَ ظُلُمًا عَنْ مَسَالِحِهَا
وَقَدْ تَعَدَّتْ عَلَى الْأَعْرَاضِ نَهْجَكُمْ
وَمَا نَجَتْ مَرَأَةٌ مِنْ هَتْكَ حُرْمَتِهَا
وَلَمْ يَلْ وَاحِدًا مِنْهَا بِفَعْلَتِهَا
فَلَوْ قَضَى مُسْلِمٌ مِنْ بَعْدِ ذَا أَسْفَا
بَلْ كَانَ عِنْدِي جَدِيرًا بِاللَّسِيَةِ إِذْ
إِنِّي لَأَعْجَبُ أَيُّمَ اللَّهِ مِنْ فَتْنَةٍ
ثُمَّ لَأَعْجَبُ مِنْ بَادِي تَفْرِقِكُمْ
فَبَحَالَكُمْ حِينَ صِرْتُمْ لِهَدْيِ غَرَضًا
فَلَا تَفْتِرُونَ لَكِنْ تَمْكُثُونَ هَوَا
تَفْرُونَ غَرَوًا وَلَا تَفْرُوتُهَا جُبْنًا
وَاللَّهُ يَعْصَى وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ وَتَرَى
فَإِنْ أَمَرْتُكُمْ هَبُوا لِهَاصِقَةٍ

هَبُوا إِلَيْهَا أَطْلُبُوهَا فِي مَثَاوِهَا
إِلَّا وَذَلِكَ عَلَى أَيْدِي مَدْرَسِهَا
أَنْبَارَنَا رَكْبُهُ وَالْأَشْرُ حَادِثُهَا
وَأَهْلَكَتْ صَاحِبِي حَسَانًا وَإِلَيْهَا
مِنْ أَهْلِ مُسْلِمِهَا هَتْكَ وَدُقْمَتَا
إِلَّا بِمَا بَدَّلَتْهُ مِنْ لَأِلَيْهَا
شَرٌّ وَقَدْ أَمِنْتُ إِذَا مُؤَفِّفَتَا
مَا كَانَ فِي قَوْمِهِ مِنْ مُسْتَلْبِئِهَا
تُخْفِي مَذَلَّتُهُ عَنْ عَيْنِ رَائِيهَا
عَلَى ضَلَالَتِهَا شِمْنَا تَجَبُّهَا
عَنْ حَقِّكُمْ فِرْقَةً ذُو الْعَزَمِ يَزُرُّهَا
يُرْتَمَى إِذَا مَا رَمَى الْأَنْبَالَ رَامِيهَا
نَا صَابِرِينَ عَلَى عُدْوَى مُغِيرِهَا
بِأَنْفُسٍ قَدْ تَوَلَّتْ مُسْتَهْبِئِهَا
ضَوْنُ الْمُنَاصَاةِ فِي إِهْمَالِ عَاصِيهَا
قُلْتُمْ حِمَارَةً قَيْطَرُ الْأَصْفِ تَقْفِيهَا

الاموال ثم انصرفت . قال شيخان : فواتر مغفوت غزاة كانت أسلم ولا أقر لسيون ولا
أسر للفوس منها ويلغي إنها لوعبت الناس آه

ومن هذه الرواية تلح هول هذه المؤفة التي أزعجت سيدنا عي عند ما بلغه ما كان فيها من
اعتدله ابن خاند على أهل الأنبار حتى على النساء الذين جردهم من حلين واعتدى على عظامهن
وحرمتن بيان في ذلك المسلة والمأهدة . فلو وقد قدم على من أهل الأنبار على سيدنا عي عليه
صلوات الله فغزوه الخبر فنادى بالأس وسرهم إلى النعقة فخرج السكوة ووقف فيهم خطيباً فقال :
« بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ، والصلاة والسلام على خاتمة النبيين ، أما بعد ، فإن
الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله خاصة لأولياءه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ،
وجنته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عقه ، ألسه الله ثوب القتل ، وشمله البلاء ، ودرجته بالصغار
والقمامة ، وضرب على قلبه بالاسهاب ، وأزيل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسبح الخسف ، ومنع

وَلِنْ أَمَرْتُ شِتَاءَ بِالسَّيْرِ آجِسْتُمْ صَبَارَتُهُ نَأَى تَلَقَّيْنَاهَا
فَمِنْ شِتَاءِ إِلَى صَيْفٍ وَعَكْسُهَا تَمَاطَلُونِي بِحَرْبٍ رُمْتُ الظِّلْمَ
فَلِنْ فَرَزْتُمْ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ وَحَرِّ الصَّيْفِ كُنْتُمْ إِنْ تَارَتْ مَعْرِفَتَا
فَيَا شِبَاهَ الرِّجَالِ الْخَائِرِينَ قَوَى وَلَا رِجَالٌ هَآوِي مَنْ يَفَاوِنَا
لَكُمْ حُلُومٌ بَيْنَكُمْ مَعَ عَقُولِنَا كَمْ حَبْدًا لَوْ خَبِسْتُمْ فِي مَخَابِنَا
وَدَدْتُ لَوْ أَنَّ نِي مَا كُنْتُ أَعْرِفُكُمْ وَلَا رَأَيْتُ بِكُمْ بَلَوَى أَعَانِنَا
فَرُبَّ مَعْرِفَةٍ قَدْ أَوْرَثَتْ نَدَمًا وَأَعَقَبَتْ سَدَمًا مِمَّا يُتَالِفَا
قَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي اللَّهُ قَاتِلُكُمْ شَحْمًا وَنَفْسِي غَيْظًا فَهَوَ مَوَهِبَا
جِرْعَتُونِي نَهَامِي عَلَى ثَقْبٍ أُسْقِنَهَا وَأَنَا الْخَوَ مُسْقِنَهَا
وَيَا الْمَصَاةَ وَالْخَيْلَانِ رَأَيْتُ قَدْ أَفْسَدْتُمْ زُدْتُمْ خَرَبًا وَسَفِينَا
حَتَّى رَسَمْتَنِي قُرَيْشٌ بِالْجَهْلَةِ فِي صِنَاعَةِ الْحَرْبِ قَالَتْ لَسْتُ أَذْرِنَا
وَيْلُ أُمَّهَاتٍ قَتَى مِنْهَا أَشَدُّ مَرَا سَاءَ فِي الْحَرْبِ إِذَا تَلَطَّوْا ظِلْمَنَا
وَهَلْ قَتَى قَدْ قَضَى أَعْوَامُهُ بِظِلَالِ لِ الْمَشْرِفَةِ بَيْنَا فِي تَطْلِيلِنَا
مِثْلِي أَنَا فَارِسٌ لَهْجَا إِذَا اشْتَبَكَتْ فِيهَا الصُّوفُ وَهَلْ غَيْرِي مُجْلِبِنَا

التصف ، ألا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً واعلاماً ، وقلت لكم
لفزروهم قبل أن ينزوكم ، فوافقه ما غزى قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا ، فتواكلمتم وتخاذلتم
حتى شئت عليكم الفارات ، وملكتم الارطان ، وهذا آخر غامد قد وردت خيله الانبار ،
وقد حصل حسان بن حسان البكري ، وأزال خيلكم ، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يسئل هل
المرأة المسلمة ، والاخرى الماهدة ، فيتزعج حطبها وقلها وتلاذدها ووعنها ، ما تمتنع منه الا
بالاسترجاع والاسترحام ، ثم انصرفوا واقرين ، ما قال رجلاً منهم كلمة ولا أريق له دم ، فلو أن
امرءاً مسلماً ، مات من يده هذا اسفاً ، ما كان به معلوماً ، بل كان به عندي جديراً ، فبالحجاء واقفة ،
بحيت القلب ، وبحجب الهم ، اجتمع هؤلاء القوم على باطلهم ، وتوهمتمكم عن حكمكم ، فحججاً لكم
ونوحاً ، حتى صرتم غرضاً يرمى ، يشار عليكم ولا تقيرون ، وتفتخرون ولا تحزون ، ويمسح الله
وتوضون ، هذا امرتكم بالسراييم في أيام الحر ، فلم تحار القبط أمهاتنا يتجهعنا الحر ، واذا امرتكم
بالسراييم في الشتاء ، فلم هذه صبارة القرا أمهاتنا ينسلخ عنا البرد ، كل هذا فرأوا من الحر والقرا ، فاذا
كنتم من الحر والقرا تفتخرون ، فانتم واقف من السيف اقر ، يا أشباه الرجال ولا رجال ، حلوم الاطفال ،
وعقول ربات الجبال ، لوددت أنني لم أرك ، ولم اعرفكم ، معرفة واقفة جيت ندماً ، واعقب

بِهَا نَهَضْتُ وَمَا الْمُسْرُونَ بِأَلْفَهَا
وَهَا أَنَا الْيَوْمَ فِي السِّبْتَيْنِ أَبْسَلُ مَنْ
لَكِنْ مَنْ لَمْ تَطْعُهُ النَّاسُ لَيْسَ لَهُ
وَكَانَ يَهْدُرُ بَيْنَ النَّاسِ حَيْدَرُهُ
بِخُطْبَةٍ مَا أَلْذَرَارِي الزُّهْرُ سَاطِعَةٌ
يَجُولُ فِيهَا لِسَانٌ قَدْ تَعَوَّدَ أَنْ
«فَكَهْرَبَ» النَّاسَ فِي سَامِي خُطَابَتِهِ
وَصَاحَ صَائِحُهَا هِيَ بِنَا لِسَلَا
وَهُمْ يَذْهَبُ بِالْأَبْطَالِ حَيْدَرُهُ
فَعَاجَلَتْهُ الْمَنَابَا وَالْقَضَاءُ قَضَى

مِنَ الْهَوُولِ الَّتِي قَدْ كُنْتُ طَائِبُهَا
خَاصَّ الْمَعَاصِمِ أَوْ لَا قِي مَذَاكِهَا
رَأَيْتُ بِهِ لِاعْتِرَازِ الْحَقِّ يُجَسِّدُهَا
بِمِثْلِ ذَا يَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ يُؤْذِنُهَا
تَرْصَعُ الْأَفْقَ تَدْنُو مِنْ دَرَارِيهَا
يَجْتَنَسُ أَنْفُسَ مُصْغِبِهَا وَوَاعِيَهَا
فَاصْبَحَتْ كِتْلَةً فِي «كَهْرَبَانِيهَا»
قِي مَعَ خَلِيفَتِنَا الْأَعْدَا وَزَوْدِنَا
إِلَى الشَّامِ سَرِيحًا كَتِي يُرْبِنَا
عَلَيْهِ أَنْ يَبْرُكَ الْأَنْبَا لِأَهْلِيهَا

أجمال المال

مِنْ بَعْدِ خَبِيرَةِ أَمَالِ الْجَمَاعَةِ بِالسَّخِيكِمْ بَاتَتْ وَتَارَتْ لَشَرِّ تَكْوِينِهَا (١)
وَمَرَّتِ الْحُجُجُ السُّوءَى فَلَا تُبْهَا عَلَى الْخِلَافَةِ فِي أَقْسَى دَوَاهِيهَا
فَلِنُخْرَاجٍ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ حُرُوبٌ لَا يَقْضَاءُ لَهَا إِبْنُ لَيْسُ مُلْظِمِيهَا

سَدَمًا ، فَتَلَكَّمِ اللَّهُ ، لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قِيحًا ، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غِيظًا ، وَجَرَعْتُمْ فِي نَسَبِ التَّهْمَاءِ
أَنْفُسًا ، وَأَفْسَدْتُمْ عِيَّ رَأْيِي بِالْمِصْيَانِ وَاخْذَلَانِ ، حَتَّى لَقِدْتُمْ قَرِيضَ أَنْ أَنْ أَبِي صَالِبٍ وَجِلِّ
شِجَاعٍ ، وَلَكِنْ لِأَعْلَى لَهُ الْخَرْبُ ، اللَّهُ إِيوَهُمْ ، وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ طُغْرًا سَاسًا ، وَاقْدَمَ مِنْهَا مَقْدَمًا ،
مَنْ ؟ لَقَدْ نَهَضْتُ بِهَا وَمَا بِلَفْتِ الشَّرِّينَ ، وَهَذَا نَقْدٌ ذُرِفَتْ عَلَى السَّيْفِ ، وَلَكِنْ لَأَرَى لِمَنْ لَا يُطَاعُ لَأَمَّهُ
وَلَمَّا انْتَهَى سَيْدَانِي عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ مِنْ خُطْبَةٍ تَحْمَسُ النَّاسَ وَقَدْ رَأَوْا أَنَّ عَدُوَّهُمْ قَدْ دَنَا مِنْهُمْ
وَقَدَّمُوا مِنْهُ طَائِفِينَ مِلِينَ فَاسْرَهُمْ أَنْ يَسْتَعْدُوا لِمُسِيرِهِ إِلَى الشَّيْءِ لَنْهُ هَذِهِ الشُّكْلَةُ عَلَى شَفَارِ
السُّيُوفِ وَلَكِنْ لَسَوْهُ لِحْظٌ وَتَكَدَّ الطَّائِفُ أَبَتْ الْأَقْدَارُ أَنْ تَهْ هَذِهِ الْحَلَّةُ إِذْ بَلَغَ الْعَامُ الْإِسْلَامِي
بِالصَّابِ الْأَكْبَرِ بِمَقْتَلِهِ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى مَا سَتَرَى ...

(١) اجْلُزْنَا هُنَا خِلَاصَةَ الْحَلَّةِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْهَا الْخِلَافَةُ فِي السَّنَوَاتِ اثْنَلَاثِ الَّتِي تَمَّتِ التَّحْكِيمُ
وَذَكَرْنَا مِنْ سَبَابِلِهَا فِيهِ الْكَلَفِيَّةُ فِي الْحَوَائِجِ السَّابِقَةِ وَهَمَّاهُ بِهِ انْتَقَى عَلَيْهِ صَوَاتُ اللَّهِ أَنْ
يُوشِى النَّاسَ بِأُمُورِ الْإِسْلَامِيِّينَ وَيُخْرِجُ مِنْهُمْ عَلَى بَعْضِ نَخْرَجَتْ عَلَيْهِ أَمْوَالُ حُرُوجٍ بِحُجَّةِ قَوْلِهِ التَّحْكِيمُ وَقَدْ
عَلِمْنَا أَنَّ الْمُرْتَقَى لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي التَّحْكِيمِ رِضَى وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْحَوَارِجَ هُمْ الَّذِينَ أَصْرَحُوا عَلَى التَّحْكِيمِ
وَأَبَوُ الْإِسْلَامِ قَوَيْفُ الْقِتَالِ مَعَ مَوَاوِيَةِ بَيْنَا كَأَنِّي لَأَسْمَعُ دَفَائِي الْقَطُوفِ لَوْ أَمَلَوَهُ سَاعَةً وَاحِدَةً

وَفِي السَّامِ أَعَادَ غَيْرُ غَافِلَةٍ عَنِ الْخِلَافَةِ بِالْأَرْزَاءِ تَرَمِيهَا
وَالطَّمَاعِ تَأْثِيرُ وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْأَطْمَاعِ آيِنَهَا
سَوَى الْخَلِيفَةِ بَيْنَ النَّاسِ أَجْمَعِهَا أَعْيَانَهَا لَمْ يُمَيِّزْ عَنْ أَدَانِهَا
كَانَتْ جَمِيعًا لَدَى الشَّرْعِ الشَّرِيفِ سَوَاءً بِالْحَقُّوقِ فَلَمْ تَقْبَلْ تَسَاوِيَهَا
وَالْمُرْتَضَى كَانَ يَأْتِي أَنْ يَجُوزَ حَدُّو دَا الشَّرْعِ كَيْمَا رَعَايَاهُ يَرْضَاهَا
فَكَانَ يُغْنِي فِي هَذَا شَرِيفَةَ طَلَسَ مِثْلَمَا أَنْزَلَتْ وَخِيًا فَعَاوِيَهَا
وَكَانَ فِي كُلِّ اسْبُوعٍ يَفْرَعُ يَنْتَ الْمَالِ بِالْأَعْطِيَاتِ الْكُفْرِيُونِ لَهَا
ثُمَّ يَقْبَلُ بِذَلِكَ الْبَيْتِ مُنْهَجًا بِمَخْلُوقَةٍ مِنْ حِطَامِ الْأَرْضِ مُخْلِجَهَا
يَقُولُ فَلْتَحْدَعْ الصَّغْرَاءُ غَيْرِي وَالْبَيْضَاءُ سِوَايَ فَلَوْ لِي لَسْتُ شَاهِدَهَا
لَكِنَّهُ كَانَ يُعْطِي النَّاسَ أَجْمَعِهَا الْأَمْ مَوَالٍ سِيَانِ عُلُونَهَا وَسَفْلِيْنَهَا
وَلَا يُحَاوِلُ إِرْشَاءَ الْوُجُوْهَ بِهَا حَاشَا لَمْ يَكْ بِالْأَمْوَالِ يَرْضَاهَا
حَتَّى قُرَيْشٌ أَيْ إِبْلَاحَ سَادَتِهَا مِنْ جَاءَ دَوْلَتِهِ الْقُلُوبَا أَمَانِهَا
وَإِنْ عَشَاقُ صَفْرَاءِ النَّضَارِ وَيَنْضَاءُ اللَّجْبِينَ أَبَتْ إِلَّا تَصَبَّيْنَهَا
كَانَتْ تُرِيدُ عَلِيًّا لَا لِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ بَلْ لِكَيْ بِالْمَالِ يَفْنِيْنَهَا
وَكَانَ كُلُّ زَعِيمٍ يَرْجِي عُنْمًا مِنَ الْخِلَافَةِ أَوْ بِمَنْحِي مَسَاوِيْنَهَا
وَالنَّاسُ إِنْ طَمِعَتْ بِالْحَاكِمِينَ رَجَحَتْهُمْ أَنْ يَكُونُوا كَمَا شَاءَتْ مُمَيِّزِيْنَهَا
وَإِنْ أَبَتْ دَوْلَةٌ تُمَيِّزُ مَنْ طَمِعُوا بِهَا تَوَلَّوْا وَأَسْوَأُ مُسْتَمَيِّزِيْنَهَا
وَذَلِكَ شَأْنُ عَلِيٍّ مَعَ خَوَارِجِهِ وَذَلِكَ سِرُّ الَّذِي قَدْ كَانَ يُنْشِيْنَهَا

وهاج جيش معاوية الذي كانت قد خلوت عزائم في موقعة صفين . اما الذين لم يخرجوا على سيدنا
علي وظلوا على ولائه فكانوا مترافين عن نصرته متباينين في تلبية أوامرهم يسوقونه ويماطلون له لانه
كان يدعوهم الى الجهاد معه فبعضهم نصحهم الحق ونواب الآخرة وهم من أهل الدنيا يريدون خيرات
ويطمعون بها وكانوا يسمعون عن الثناء ما ينال أصحاب معاوية من خيرات دنياهم فطمعوا بمثلها وهيئات
لأن أبي طالب عليه صلوات الله ان عمالهم على رغباتهم ويسل على مرضاتهم فيغضب الله ويمتد
حدود الشرعة السمحاء . وهكذا كانت سني سيدنا علي في العراق سني جهاد واستبهاد الله يعلم ما
دخل على قلبه الشرعة فيها من الاوصاف والاولجاع وتندر أن ظم بعض الآلاء التي كان يعانها من

كَانَتْ تَحْجُ عَلَيَّ بِالْحُكْمَةِ وَهِيَ دُونُهُ طَلَبَتْهَا وَهُوَ جَانِبُهَا
وَكَانَ عَصِيَانُ أَهْلِ الشَّامِ يُطِيعُهَا وَأَصْبَحَتْ وَهُوَ بِالشَّنَانِ يُغْرِبُهَا
وَالْمُرْتَضَى كُلَّمَا دَاوَى بِأَمْرِهِ جِرَاحَةً تَقَرَّتْ أُخْرَى تَضَاهِيهَا
وَكَانَ صَاحِبُنَا فِي الشَّامِ يُزْعِجُ أَمْسَارَ الْخِلَافَةِ غَرْبِهَا وَشَرْقِهَا
فَمِصْرُ قَدْ سَادَهَا عَتَرُوْا وَكَانَ كَمَا بَقِيَ عَلَى رَغَمِ أَهْلِ الدَّعْوِ وَالِئِهَا
وَبَسْرُ لَمْ يَبْرُكْ مِنْ شَرِّهِ يَمْنًا وَلَا الْخِجَازَ فَأَمْسَى الْبُؤْسُ فَأَشِيَهَا
وَعَسَتْ الْحَرْبُ أَطْرَافَ الْخِلَافَةِ طُورًا وَالْمَصَائِبُ نَالَتْ كُلَّ مَنْ فِيهَا
لَوْلَا عِنَايَةُ رَبِّي بِالْحَنِيفَةِ لَمْ تَسْلَمْ خِلَافَتُهَا مِنْ سَطْوِ عَادِيهَا
وَقَدْ تَحَكَّمَتْ أَلْفُؤُحِي بِأَرْبِهَا وَالظُّلُمُ حَلَّ بِقَارِيهَا وَبَاذِيهَا
وَسَاءَتْ أَلْحَالُ سُوءًا لِأَصْلَاحِ لَهْ وَكَانَتْ نَجْرٌ عَلَيْهَا مِنْ دَوَاهِيهَا
وَمَا دَرَّتْ مُوجِبًا يَدْعُو لِسَفْكَ دِمَا ۝ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي فَاضَتْ مَجَارِيهَا
وَمِثْلَمَا كَانَ طَهَ مَعَ أُمِّيَّةٍ أَمْسَى الْمُرْتَضَى مَعَهَا يَقْلُوهُ قَالِيهَا
وَمَا مُعَاوِيَةُ فِي حَرْبٍ حَيْدَرَةٍ وَقَدْ تَمَادَى بِهَا مَا أَتَقَكُّ يُوْرِيهَا
إِلَّا مِثَالُ أَيْ سَفِيَانٍ وَالِدِي مَعَ الشُّبُوهِ فِي مَا ضِي مَغَارِيهَا
أَغَيْتْ أُمِّيَّةً عَنْ مَحْوِ الْهِدَايَةِ وَالرَّحْمَنُ مُشِيْهَا مَعِي مُمَحِيْهَا
لَكِنْ خِلَافَتُهَا قَدْ حَوَّلَتْهَا إِلَى مُلْكٍ عَضُوضٍ وَنَاتَهُ بِأَيْدِيهَا
نُبُوَّةُ الْمُصْطَفَى تَمَّتْ بِذَلِكَ كَمَا قَدْ كَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مُنْبِيَهَا

خطبه الكثيرة التي كان يدعو بها الناس الى نصرته وهم متهاونون متدعون ورجاء معاوية يوتون
في اعمار خلافة فسادا حتى ملكوا مصر والحشوا في الخيـجاز واليمن وادعوا مصر من اعمار
الخلافة ينالونه باذى فاستحكمت القوضى وعم البلاء واصبحت الناس ولا تعرف له فرج من هذا
انصاب المصم الشامل . وسرعان ما عاد الترخ فيه فكان سيد . عي و سجدوه هو الله يخررون
خلافته كما كان المصطفى واصحابه مع كفار قريش يجرعون بؤسه وكان معاوية لم يرتقي كما ذكر ابو
بوسيان لمحمد . واقسبحه عر النبوة عى اعدته وسمع الخلافة ان تدعى وتتحو الى ملك
عضوض في ايدي معاوية وبى امية لاسرير يده الله وقد سبق و ب عن ذلك المصطفى عليه الصلاة والسلام

المؤامرة على أمراء المسلمين

عَثَّتْ فُتُوسٌ جَمِيعَ السُّلَيمِيِّينَ تَبَا رِيحُ الْحُرُوبِ أَلْفِي عَثَّتْ عَوَافِدُهَا
فَأَصْبَحَتْ ضُجِرَاتٍ غَيْرَ مُبَشِّرَةٍ بِمَا مِنَ الْفَيْرِ الشَّقِ يُنْجِنُهَا
وَسَاوَرَتْهَا كُرُوبٌ غَيْرُ نَازِحَةٍ عَنْهَا وَكَانَ عَلَيْهَا أَنْ تَعَانِيَهَا
فَجَنَّ مِنْ أُمَّةٍ الْهَادِي ثَلَاثَةُ أَشْخَاصٍ لِنَشَلَتِهَا مِمَّا يُؤْذِنُهَا
ثَلَاثَةٌ مِنْ بَنِي الْأَمْلَامِ قَدْ هَوَسَتْ عَقُولُهُمْ وَتَنَاءَتْ عَنْ تَرَوِيحِهَا
هُمْ بَنٌ مُلْجِمٌ مَعَ عَمْرٍاءِ بَكْرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ كَانُوا لِذِي أَلْبَلَوَى أَثَا فِيهَا
رَأَوْا الشُّرُوزَ أَلْفِي شَاعَتْ مَصَائِبُهَا فِي النَّاسِ لَا شَيْءَ غَيْرُ الْقَتْلِ يُنْهِيهَا
وَقَدْ قَضَوْا أَنْ عَمْرًا مَعَ مُعَاوِيَةَ مَعَ الْوَحْيِ قَدْ كَانُوا مَدِينِهَا
وَأَنَّ قَتْلَهُمْ تَقْضِي لِرَاحَةِ خَلْقِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَرْضَى عَنْ مُؤَقِرِهَا
تَأْمَرُوا بِحِمَى الْبَيْتِ التَّقِي عَلَى جَنَابِهِ كَانَ يَنْزِلُ يُولُ مَوْجِبِهَا
كَانُوا نَكْمَةً يَحْمِيهِمْ مَعَاهِدُهَا الْقُدْسِيَّةُ الْكَاسِبُ الرُّضْوَانُ آتِيهَا
وَكُلُّهُمْ كَانَ مَجْدُوبًا أَخَا هَوَسٍ يُرِيدُ زُلْفَى مِنَ الْخَلْقِ يَقْنِيهَا
يَا قَتْلُ مَا كَانَ قَتْلُ النَّاسِ لَوْرَشْدُوا يُثَابُ آتِيهِ بِالْجَنَاتِ يَثْوِيهَا

(١) ثلاثة من الخوارج الذين خرجوا على سيدنا علي عليه صلوات الله علماً وعدواناً لانه واقفهم على التكليم الذي اكرهوه عليه هالهم بطش أمير المؤمنين بذوهم واثلمهم من الخوارج في أطراف المراق ولا سيما في موقعة النهروان وهالهم ما سموه من هجوم جيوش الشام على اعمار الخلافة والوث فيها فساداً فقرأوا على اتيان عمل كبير يتقنون به الممالك الاسلامية من الفوضى التي استحكمت فيها بدسائس معاوية على ما زعموا ولا يزال صنيع هؤلاء المجرمين الثلاثة سراً من اسرار التاريخ الاسلامي ما استطاع مؤرخ مدقق من المؤرخين يكشف عنه الفظاء

ان اسما هؤلاء الثلاثة الذين تأمروا على قتل سيدنا علي ومعاوية ومهرو بن الماس غيلة في صبيحة يوم واحد مروية فهم عيد الرحمن بن ملجم صاحب سيدنا علي والبرك بن عبد الله التميمي صاحب معاوية ومهرو بن بكر التميمي صاحب بن الماس . فهم عرفنا هؤلاء المجرمين الفوضويين وعرفنا ايضاً انهم من الخوارج وقد اجتمعوا في الكعبة في موسم الحج حجاجاً في حجة ٣٩ للهجرة وتآمروا على قتل اولئك السراء . ولكن هل كانت مؤامرتهم من عند انفسهم ام كانوا مدفوعين اليها من جهة فوضوية سرية ؟ هذا ما لم يثبت به حكماً أحد المؤرخين . وهل كان اجتماع هؤلاء الاشقياء صدفة في موسم الحج في مكة المكرمة نظراً لهم هناك خاطر البطش بالامراء أم قصدوا الحج على هذه

عَابُوا الثَّلَاثَةَ مَا اسْتَشْنَوْا الْفَضِيلَ وَلَا هُمْ مَبْزُؤُ الْمُعْصِيْنِهَا مِنْ مُسِيئَتِهَا
كَلَّا وَلَا ذَكْرُوا فِي مَكَّةَ قِصَصًا مَا كَانَ مِنْ أَحَدٍ فِي النَّاسِ نَاسِهَا
نَسُوا حَدِيثَ أَبِي سَفْيَانَ وَهُوَ عَدُوٌّ لِلنَّبِيِّ يَسَى فِي تَلَاثِهَا
يَسْتَفِرُّ النَّاسُ مِنْ أَقْصَى الْفَقَارِ لِلْمَسْكِينِ الْمُسْلِمِينَ جُمُوعًا كُلِّ مُصْصِيهَا
كَأَنَسُوا الْمُرْتَضَى إِذْ كَانَ أَبْسَلَ مَنْ لَاقَى قُرَيْشًا حَدِيثَ النَّفْسِ قَاهِيهَا
إِنَّ الْحَقِيقَةَ لَوَلَا ذَوَا الْفَقَارِ وَعَوْنُ اللَّهِ مَا قَهَرَتْ يَوْمًا مُلْدَرِهَا
وَأَنَّ أَعْمَالَ رَبِّ الْفَضْلِ حَيْدَرُهُ فِيهَا لَكَاشِشٌ فِي زَاهِي تَلَايِهَا
قَدْ نَسِكِرْنَا لِنَفْيِ نُورِ الشَّمْسِ جَاهِلَةً لَهَا الْبُضْيَاءُ الَّذِي يُلْفِيهِ رَائِيهَا
وَالرُّمْدُ قَدْ تَأَدَّى مِنْ أَشْيِهَا الْزَهْرُ فَتَشْكُو وَلَكِنْ مِنْ تَأَقُرِّهَا
وَالشَّمْسُ تَبْقَى كَمَا كَانَتْ مُلَاثَةً بِهَا الْبَرَايَا إِلَهُ الْعَرْشِ يُحْيِيهَا

الفكرة السوداء ؟ هذا أيضاً لم أجد من ذكره وفي الأخير من نتيجة هذه المؤامرة بعد تنفيذها قد يقرر بنفس الباحث المنطق شك بما أراد المؤرخون أن يثبتوه من قسرة الجريمة على المتأسرين انقسم دون سواهم إذ رأينا ابن ملجم عليه لمة الله والناس اجمعين الى يوم الدين قد فتك بيدنا على عليه صلوات الله ولكن رأينا البرك صاحب مملوكة يضربه بسيفه على آليته وهي أبعد الواضع من الخطر على الحياة وحسم الانسان وإنا نعلم أن الناس معرضون وأما مرض في ذلك اليوم فبرئ من غيوب عنه في الصلاة فيقتل . أفلا يجوز بعد ظهور هذه النتيجة أن نخطر الى أنه مني أن عمر ابن الماس داهية الرب كان صاحب تلك المؤامرة أو على الأقل كمن وفساً على سرها ؟ والله أحكم الحيلة فرسل ثلاثة في وقت واحد لتطاهر بالفتك ثلاثهم مخافة أن يرسل واحداً ليدناهي عليه صلوات الله وحده فيقتله وتطهر يد الامويين وقتله ولو على سبيل التشبه فيقوم الناس لمطالبة مملوكة ولا مؤمن بمسئدنا على كما قاموا لمطالبة سيدنا علي وأصحابه بدعته . وإن عمر ابن الماس أوصى صاحب مملوكة أن لا يفتك به على أنه لم يخبر مملوكة قتلاً في نفسه إذا هلك هذا أيضاً منا للخلافة . وما يدعوني الى الاعتقاد بمسرو ابن الماس في هذه الجريمة هو أن صاحبه الذي تولى قتله يتولى عن قتل من ناب عنه بالصلاة إذ لا يقتل إن الرجل الذي أخذ على عاتقه أن يقتل عمر أو يري أمة محمد عليه الصلاة والسلام من شره على ما كان يزعم قد أقدم في « القساطر » من محرم الى رمضان ولم يعرف شخص الرجل الذي كان يريد قتله حتى يقتل شخصاً آخر في اليوم المنضروب بخبر داهيه أقبل على المسجد يريد أن يصلي بالناس عوضاً عنه . إن المؤرخين يصورون لنا هؤلاء المجرمين ذوي هوس في الدين وإن هوسهم هو الذي حلهم على إتيان جريمةهم وهو هوس في دينه . إن ولا شك وهو يريد أن يرتكب جريمة نفس لوضاء وبه والتزلف اليه عز وجل أن يقدم على قتل شخص يستأنف في قتله مشوبة من غير أن يتحقق من شخصيته . كما أننا نعرف من التاريخ أن عمر ابن الماس كان يصلي بالناس في القساطر في كل يوم

كُذِّبَ الْأَمَامُ وَإِنْ عُمَةُ الْبَصَائِرُ أَوْ
فَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي أَوْجِ سُوْدُوهِ
لَكِنْ مِنْ أَيْنَ يَذَرِي ذَا عَتَاهِيَةِ الْأَمَامِ
أُخْصِتْ مَعَ الْمُجْرِمِينَ الْمُرْتَضَى سَفَهَا
صَاحَ ابْنُ مُلْجِمٍ شَرَّ النَّاسِ أَجْمَعِيهَا:
وَصَاحَ فِي الْحَالِ عِنْدَ اللَّهِ صَبَحَتْهُ
وَصَاحَ عَمْرُو ابْنِ بَكْرٍ قَائِلًا: وَأَنَا
وَقَدْ أَقَرْتُ عَلَى يَوْمٍ تُنْفِذُ فِيهِ
لِسَبْعِ عَشْرَةٍ مِنْ شَهْرِ الصِّيَامِ لِمَا
ثُمَّ عَلَى الْكُفَّةِ الْأَعْلَى تَدَحَّلْتُ
مَرْخَى الْقُلُوبِ دَعَتْهُ الْيَوْمَ مُؤَدِّيهَا
بَعْدَ الرَّسُولِ أَجَلَ النَّاسِ تَوَجُّبَهَا
مُ سَلَامَ فِيمَا رَوَيْنَا عَنْ تَنَادِيهَا
ثُمَّ عَلَيْهِ قُضِيَ بِالْمَوْتِ تَغْيِيهَا
إِنِّي لِحَيِّدَرَةٍ أُرْدِيهِ تَجْرِبَهَا
قَالَ: أَكْفِي الْبَرَايَا مِنْ مَعَاوِيهَا
عَلَيَّ قَتْلُهُ عَمْرُو لَا أُوْرِنَهَا
مُ الْأَرْبَعِينَ وَقَالَتْ: فِيهِ نَجَّيْنَاهَا
أَنْ لَا تَهَابَ الْمَنَايَا فِي مَسَاوِيهَا

جمة فلا يقل أن إبراهيم الذي تقدم التمساح لا لجل سوى قوله ان يتم ينحشور في هاتيك المدينة
ولم يشهد الصلاة في « جامع عمرو » وصرح مع الجماعة فيشرف شخصية عدوه المريد دمه كما لا
يقل أيضاً انه في كل هاتيك الذمة لم ير عمراً بن الماس متجولاً في شوارع النسطاط للإشراف على
البلد . اني والحق يقال انقفا فيما امامي من كتب التاريخ على رأيي كهذا ولم أجدها المؤرخين يهتمون
بهذه المؤامرة عمراً بن الماس أو عمراً ومعاوية ماساً ولكن نتيجة المؤامرة أدتني الى هذا الخاطر
فقد أكون فيه غلطك واسأل من يقرأ علوي المباركة وهو على علم بشي من اسرار هذه المؤامرة
ان يوافيني بما يعلم خدمة للتاريخ

أما حادثة المؤامرة هذه فكل ما اتصل بي منها انها حوت كما يأتي: اجتمع في مكة كرهها الله
ثلاثة من الخوارج في موسم الحج سنة ٣٩ للهجرة فتداركوا في حالة المسلمين التهمة والفوضى السائدة
على ديارهم فذكروا هجوم جيش معاوية على مصر فلبصرة فالحجاز «لبن واسقوا لما جرى من
القتل والنهب في هذه الامصار ثم ذكروا علياً ومعاوية وعمراً بن الماس فابوهم واباوا اعصاهم
ومطامهم بنذر استثناء فذكروا فضيلة سيدنا علي عليه صلوات الله ولا خدماته الكبرى للاسلام
ولا تخافيه في سبيل نصره القرآن ولا احقيقته بالخلافة بل ضموه مع صاحبه وجوهم جيداً في صيدم واحد
وذكروا أهل النهروان وهم الخوارج الذين يطش سيدنا علي بهم فترجوا عليهم وقالوا بذلك : لو اننا بدلنا
أنفسنا لهم وجل فأتينا أئمة الضلال (كذا) وطلبتنا غرتهم لا رحنا الباد والبلاد وثأرنا باخواننا الشهداء
بالنهر وان . وهكذا تفاقموا عند انقضاء الحج سنة ٣٩ للهجرة على تنفيذ حرمهم فتشهد عبد الرحمن بن
ملجم لانه الله بقتل سيدنا علي عليه صلوات الله والبرك بن عبد الله التميمي بقتل معاوية وعمرو بن
بكر التميمي بقتل عمرو بن الماس وضربوا الجراحهم موعداً واحداً هو صبيحة يوم ١٧ رمضان من
السنة التالية ٤٠ للهجرة واقسموا على الكعبة بان يغفوا جرائمهم بالدفعة والاحكام وانهم قد سمو

وَرَفَقَتْهَا أَلْيَانِي فِي مَنَاجِيهَا وَالْأَيْثُمُ سَاقِيهَا وَالشَّرُّ نَالِيهَا
سَارَتْ تَيْبِيمُ مِصْرَ أَوَّالِ الشَّامِ مَعَ السَّيْرَاقِ قَطْلُبُ عَنْ بَغِي أَصَاحِبِهَا

موتورة الشهر وانه

مَلِيحَةٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ أَرْبَابِ لَهَا مِنْ الْمُحَاسِنِ رَاحِيهَا وَرَاضِيهَا (١)
إِذَا نَضَتْ عَنْ مُحْيَاهَا بِرَاقِيهَا شَعُ السَّاءِ فَتَشَى عَنْ رَاحِيهَا
فَوَجْهَهَا أَلْبَدُ لَكِنْ لَيْسَ تَنْقُصُ مِنْ لَأَلَاءِ طَلْعَتِهَا أَرْهَرَا لِيَالِيهَا
وَقَدْ تَذَلَّتْ حَوَالِيهِ صَفَائِرُهَا أَلَسْوَدَا وَلَوْ نُشِرَتْ أَدْبَتُ دِيَابِجِهَا
تَحْلَاهُ عَشَائُهَا يَاطْلُمَا سَحَرَتْ بَلْخَطُهَا مَارَقِي أَلْكُهَانِ تَرْقِيهَا
لَسِيَاءِ تَنْسَمُ عَنْ حُلُولِ الرِّضَابِ وَكَمْ قَدْ أَشْتَهَتْ رَشْفَةَ الْعُشَاقِ مِنْ فِيهَا
وَعُفْقُهَا صَبَغَ مِنْ مَحْضِ اللَّجَيْنِ فَمَا بِحَتَاجِ اللَّحْلِيِّ لَكِنْ كَانَ حَالِيهَا

سيوهم حتى تكون ضرباتهم قاضية على أولئك الاسراء لا محالة وتقرقوا بعد ذلك ققصد الملوك ابن
ملجم الكوفة والبرك دمشق الشام وعمرو بن بكر مصر ليعتدوا بقتلهم لقتل في اليوم الموعود ومما
يستلفت النظر ايضاً انهم اسألو موعده تنفيذ جرائمهم وهذا ايضاً مما يدعو الى التثني هذه الرواية
لان الجرم الناري الاجرام اذا حل عليه موعد تنفيذ جرمه قد يرضى له ما يحمله من عزمه اذ يظن
التفكر ببقى عمله فيعود الى رشده فيضن ببحائه وهو يعلم انه متعرض للموت وان يرضى له امر يحمله
عن شره فكيف ظل هؤلاء الثلاثة كالاشعة بين عمره ورضاه ولم يتحدث ولو لاحدهم ما يحمله
عن حميمه على القتل من غير ان يكون وراءه دافع يدفعهم الى اخرائهم كما كانوا يرونها ايضاً
مما يدعو الى التفكير ولا يحسن منه السكوت مما قالوا ان هؤلاء الخوارج كانوا مهوسين بحسبون
انهم يترقبون الى الله يقتل عمرو ومعاوية وأمير المؤمنين وانهم حلقوا على تنفيذ جرائمهم خبز الاسلام
والسلمين الى آخر ما قرأنا من روايات المؤرخين

(١) ان مشكلة الخوارج من أعرض انشاكل التي عرمت لبيداً أمير المؤمنين عليه صلوات
الله في خلافته وقد تخاصى حلها واستفحل أمرها فكان من أشهر دواعي غيبة معاوية على الخلافة
الاسلامية وتحولها الى ملك عضوض لبني أمية . وحكاية هؤلاء الخوارج فقد تكررت الاشارة اليها
غير مرة في الخواشي السابقة وخلاصتها ان معاوية عند امر اصحابه أن يرضوا انصاف بوجوه اصحاب
سيدنا عي وأمرهم أن يدعوا الناس الى تحكيم كتاب الله بينهم حسب اشدوة عمرو بن العاص قدس
عن أهل العراق ان يحسنوا الغنم من الشام ويحسوا دعوتهم صدقة وبوا لا موافقتهم على تحكيم
القرآن في ذلك الشجر وأصموا مسامعهم عن نصيحة سيد عي الذي عرف ان دعوة معاوية
للقرآن حيلة يريد بها ان ينتهي الاكسر وقد لاح له بوادره وقد رأينا هؤلاء الناس يتهددون
سيد عي ان يقتلوه كما قتلوا عثمان بن عنيب أهل الشام الى التحكيم ورايت ايضاً الاشتر يقول للناس

مِيسَةً أَفْتَرِ لَا تَخْتَلُ مِائَةً
قَدْ أَفْتَنْتَ يَهْوَاهَا كُلٌّ مَنْ عَرَفَتْ
تَحَكَّمَتْ بِمُحِبَّتِهَا فَحَسِبَهَا
أَوِ الْإِلَهِةَ وَالنَّسَاقَ عَابِدَةً
وَطَلَمَا عَيْتَ بِالْعَاشِقِينَ فَمَا
هَذَا قَطَامُ الْبَنِيِّ الرَّحْمَنِ سَلَطَهَا
مَا وَاصَلَتْ مِنْهُمْ صَبَاً وَلَا رَضِيَتْ
كَانَتْ تَحَاوُلُ أَخْذَ الثَّارِ إِذْ صَدَّتْ
رَا حَا ضَجِيَّةً عَصِيانَ التَّخْلِيفَةِ فِي
كَانَتْ قَبِيلَتُهَا بِالشَّرِّ خَارِجَةً
وَالْمُرْتَفَى مُحْسَامُ اللَّهِ أَذْهَبَهَا
وَحَرْبُهَا دُعِيَتْ بِالنُّهْرَانِ وَكَمْ

إِلَّا لَتَحْتَلَّ بِالْأَدْلَالِ رَانِيهَا
مِنْ قَوْمِهَا فَغَدَوْا صَرَعَى تَصْصِيهَا
مَلِيكَةً وَهُمْ طَرَأَ حَوَاشِيهَا
جَمَالَهَا عِنْدَهُ ضَعَتْ أَصَاحِبَهَا
فَازُوا بِغَيْرِ هَوَانٍ مِنْ تَجَسُّبِهَا
عَلَى الْأَكْمَلِ عَشِقُوا زَاهِي مَعَانِيهَا
بَعْلًا وَلَكِنْ تَجَافَتْ عَنْ مُحِبَّتِهَا
أَبَا لَهَا وَأَخَا وَالْحَزْنَ مُشْجِبَهَا
حَرْبَ الْخَوَارِجِ إِذْ قَعَتْ أَفَاقِيهَا
عَلَى الْوَرَعِيِّ وَجَدَتْ فِي تَصْصِيهَا
إِذْ رَاحَ بِغَيْرِي بِهِ قَرِيْبًا هَوَادِيهَا
لَأَقَى الْفَنَاءَ مِنْ عِدَاهُ نَهْرَ وَادِيهَا

امهلوني ساعة لا كسب لكم الحرب فيها فأبوا الا التحكيم حتى اذا ما كتب مك التحكيم امضاء سيدنا علي وومأوىة مفي به الاثنت قرأه على الناس قبله أهل الشام لانه في مصلحتهم واقل ما فيه من الفائدة لهم انه يقيم ذل الانكسار واعر الخزلان أما اهل العراق فاتبهوا الى غلظهم وأخذوا ابتادون ان الحكم لله ولا تقبل بالتحكيم ورجعوا الى سيدنا علي يطلبون منه ان ينكت هذه ويرجع بوعده ويؤايبهم على العودة للقتال فرفض عليه صلوات الله عليهم الثاني لانه مخالف للشرع ومعارض لنص القرآن ومعنى كل سيدنا علي يرضى ان لا يغي باليهود التي يرميها ولو قبل هذا لانتفت ثقة الناس باليهود وهال تصور ذوعقل ان سيد قريش وصنو المصطفى يأتي بمثل هذه الذلة فتكون عليه سبة الا بدسات الله ذلك وجامد سيدنا علي طويلاً لينتج لولك الماريجي عليه بالحجة ميئاً لهم انهم هم الذين اكرهوه اكرهاً على قبول التحكيم وحمله رغم لوادته على امضاء العهد بينه وبين معاوية وان النكت به مد امضاه بمخالف نص القرآن الصحيح فما اقتنوا وطقوا يهددونه بالاغلاب عليه ان لم يرجع بالمهد وينكت به كما تهددوه من قبل ان لم يقبل التحكيم . وفي هذا متبى الترابية قتل الانسان ما اكفره ابتدا أمر الخوارج في صيفي على اثر امضاء العهد بين سيدنا علي ومعاوية وعاد اهل العراق الى ديارهم وهم مفترقون بعضهم من شيعة سيدنا علي يعتقدون انه اكمره على قبول التحكيم وان اصحابه هم الذين اكرهوه عليه وبعضهم اعدوا له ينادون بحربه وعصيان خلافة لقبوله التحكيم . واضرف سيدنا علي عليه صلوات الله الى ملافة الخوارج واقتناعهم بالحجة انه لم يكن مخطأ بقبول التحكيم وانه مثله يعتقد ان التحكيم خلافة يصدر تلافياً وانه غير ميد للمساكين السلام الذي يتوخونه

فَأَقْبَلَتْ هَاتِيهِ الْخَوْذَ الْوَاقِحَ عَلَى مَرَابِعِ الْكُوَّةِ الزَّهْرَاءِ تَبَوَّيْنَاهَا
وَأَسْتَعْدَمَتْ لِأَمَانِيهَا مَحَاسِنَهَا بِهَا تَرِيدُ أَنْتِقَامًا مِنْ مُعَادِيهَا
كَانَتْ بِهَا تَقْصِي أُنَاسٍ طَالِبَةَ مِنْهُمْ جَرِيئًا عَلَى الْكُدَى يُؤَايِسُهَا
وَلِنِسَا سُلْطَةً تَأَلَّهْ نَافِذَةٌ عَلَى الرِّجَالِ كَمَا تَهْوَى تُشْمِسُهَا
وَإِنْ حَقْدَنْ وَرَمَنْ الْأَنْتِقَامَ فَلَا يَهْمُنُ عِبَادُ اللَّهِ تُشْفِيهَا
وَمَا قَطَامٍ سِوَى إِحْدَى كَرَائِمِ حَسَوَاهُ وَهَيْهَاتَ أَنْ تَبْدُو مَبَادِيهَا
وَفِي مَصِيبَتِهَا لِحَقٍّ مَا نَظَرْتُ وَلَا لَهْ أَنْتَبَهْتُ وَالْعَزَنُ مُعْجِبُهَا
كَانَتْ عَوَاطِفُهَا لِلشَّرِّ تَذَفُّهَا بِقُوَّةٍ مَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَقَاوِيَهَا
رَأَتْ أَخَاهَا مُسْجَى قُرْبٍ وَإِلَيْهَا عَلَى التَّرَى بَيْنَ قَتْلَى خَابَ مُصْصِيهَا
فِي مَشْهَدٍ مُنْجِعٍ يُذِي أَلْقُلُوبَ وَيُؤْ رِي سَعْرَةَ الْحَقْدِ فِي خَافِي مَطَاوِيهَا
فَأَرْسَلَتْ دَمْعَهَا حَزَنًا بِمَاطِفَةِ الْأَمِّ شَفَاقٍ وَالْخُطْبُ مُؤَذِّنَا وَمُسْجِيهَا
وَفِيهِ مَا ذَكَرْتَ أَنَّ الْمَصَائِبَ قَدْ حَلَّتْ بِأَصْحَابِهَا مِنْ كَسْبِ أَيْدِيهَا
وَأَتَاهَا خَرَجَتْ بَغِيًّا بِبَغْرِ هُدَى عَلَى الْأَوَامِرِ فَلَا تَقِي إِلَهَكَ بِأَعْيُنِهَا

من ورائه ولكن لا بد من الصبر الى ظهور النتيجة من دومة الجندل فاكال في الخوارج من يرضى
الى نصيحته ويؤد عن الحقد عليه ويؤد على رايه
وعند ما ظهرت نتيجة التحكيم على ما علمنا من قتل أبي موسى الذي جاء به هؤلاء الخوارج
انقسم مع ما علموا من انحرافه عن ولاه الحقرة السنية الحيرة تماضم نثر هؤلاء الخوارج فطفقوا
يتمضون لشيعة سيدنا علي ويستبدون على اصحابه ويقطعون الطرق على السابية ويسمون في أرض العراق
فساداً وفسطراً سيدنا علي عليه صلوات الله اضطراراً الى محاربة هؤلاء الخوارج وتدييم فكان له
مهم مواقع نصر الله باعنيهم نصر أسيادنا حتى ضعف شأنهم وثلاث سلطتهم وعد الأمن او كديسود
الى اطراف العراق الا ان هذه الحروب الداخلية اورت الحلة العوية ضعة ينكسب اونها
ان اصحاب سيد عي قد شمو الحرب اذا كانوا في كل وقت مضطرين الى حل السلاح لقتال
الخوارج فتناقلوا عن دعوته عليه صلوات الله حرب الله وشيخ في حرب الخوارج هذه قد
قلت افسر سيد عي واصحابه لان الخوارج تسبهم كانوا من انفسهم واغفلوا عنه واصبحوا عداوه
فهلك منهم خلق كثير وهلك من اصحاب سيد عي خلق كثير ايضاً

واهم مواقع سيدنا علي عليه صلوات الله كانت في « الثروان » وهو نهر يقال لاعلامه
« ناسر » و« لاسه » « الثروان » بين « الحافيق » و « حرفة » قد هلكت هناك الخوارج فلم
يسم منهم اكثر من عشرة و« ين » من اصحابه اكثر من عشرة وكان عليه صلوات الله قد أب اصحابه

فَمَنْ نَسَتْ كُلُّ هَذَا وَهِيَ طَالِبَةٌ
وَالثَّارُ فِي صَدْرَهَا مَا كَانَ غَيْرَ هَلَا
مَا هَمَّهَا إِنْ أَنْتَ ظَلَمْتَ جَرِيْمَتَهَا
وَأَنْ تُضَيِّعَ حَقُوقَ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ
لِنَفْسِهَا الثَّارَ عَنْ هَلَكِي تَرْتِيهَا
لِأَلْمُتَرَفِّي عَلَانًا شَيْءٌ يُطْفِئُهَا
أَنْ تَظْلُمَ أَلِشَّرْعَةِ أَلْسَحَا وَأَهْلِيهَا
مِنْتَ بِهِمَّتِهِ إِذْ كَانَ حَامِيَهَا

غرام ابيه ملجئ لعنه الله

أَبَى إِلَى الْكُوفَةِ أَلْزُهْرَاءُ يَسْكُنُهَا
وَكَانَ ذَا حَذَرٍ يُخَفِّي جَرِيْمَتَهُ
وَكَانَ فِي سَمٍّ مِنْ شَرِّ نَيْبَتِهِ
يَسْتَنْظِرُ الْمَوْعِدَ الْمَضْرُوبَ يُطْلَبُ أَنْ
وَإِذْ تَعَرَّفَ بِالْحَسَنِ قَطَامَ لَهَا
قَلَمٌ قَرَأَ تَتَصَبَّاهُ وَتَدْعُهُ
ذَلِكَ الَّذِي كَانَ يُنَوِي قَتْلَ عَالِيْنَهَا (١)
بِصَدْرِهِ لَيْسَ لِلْأَصْحَابِ يَفْشِيهَا
يَمُدُّ أَيَّامَهُ يَطْوِي لِبَاسَهَا
يَأْتِي جَنَائِثَهُ فِيهِ وَبُخْصِيهَا
بُخْسِنَهَا وَغَدَا صَفْوًا يُبْلَاهِيهَا
حَتَّى تَدْلَهُ فِي ذَا الْحَبِّ تَذْلِيهَا

بهذا قيل الواقعة فصدقت نبوءته وكان الخوارج هناك ذو « تم الرباب » فهلكت مقاتلتهم جميعاً ومن بينهم الاخضر وابنه وما من وجاه هاتيك القبيلة قدامهم من قتل في تلك الواقعة الشواء وكان للاخضر هذا ابنة تدعى قطام فعز عليها مصرع ابيها واخيها بين اسطال قومها وآلت على نفسها ان تقتل لها من سيدنا عبي عليه صلوات الله وكانت هذه من الجمال على اعظم جانب حتى قالوا انها كانت اجل نساء زمانها فرأت ان تستخدم جمالها في سبيل انتقامها فتركت النهروان وقدمت الى الكوفة فاقامت في دار أحد مواضعها من بني تم الرباب وجعلت تخدع الرجال وتستميلهم الى هواها بنية أن تعجز مجنوناً منهم يقع بحياض حما فتغريه على قتل سيدنا علي وابت تلم ان النساء اذا حقدن ومطبن الانتقام لا يفيق في سبيلهن عتق . وهكذا أصبحت قطام في الكوفة ولا هم لها الا ان تباذلها للشبان نظرات التراموتصاهم الى هواها توصلها الى مجنون ذي هوس منهم يعينها على بلوغ ما تحسوا به من الانتقام وما كان يردعها عن هذا الشر الذي كسى اليه دين ولا اسلام

(١) أتى عبد الرحمن بن ملجم الكوفة بعد قتوله من مكوهو عاقد الزعامة على تنفيذ الجناية التي أخذ على عاتقه أسر تنفيذها وكان وصوله اليها في محرم سنة ٤٠ للهجرة وكان مضطراً حب القصد الذي قتله مع صاحبه أن يتطهر يوم ١٧ رمضان للتنفيذ وسبق لنا أن اظهرنا المصعب من ضرب اولئك الجرميون يوم ١٧ رمضان لجنايتهم مع انهم كانوا يوم تهاودوا على هذا الشر في ذي الحجة والمساءة بين اموعةين ضوية كما لا يخفى يتعذر فيها على الجاني ان يثبت على عهده ويظل مصعباً عليه لان علماء الاجتماع قد قرروا ان جريمة القتل اتيها الجرم في اثنا ثورة خون ومهما طالت هذه الثورة لا يغفل ان تغفل في رأس صاحبها بضع ظهور غنى التواني ولا يبرح له ما يوجه الى هداه

وَقَدْ تَنَاسَى بِمَرَاكَا مُوَمَّتَهُ أَلَسُوهُمُ الْيَقِي كَانَ قَبْلَ الْحُبِّ نَاقِيهَا
وَجَاءَهَا خَاطِبًا يَنْبَغِي تَزَوُّجَهَا وَذَلِكَ الْحُبُّ وَالتَّوَلُّوهُ يُبَدِّلُهَا
فَكَثُرَتْ عَنْ نِيَّوْبِ الشَّرِّ بِاسْمَةٍ وَقَابَلَتْ بِالرَّحَى وَالْبِشْرِ ذَاعِيهَا
وَبَيْنَ بَسْتِنَهَا رَاحَتْ قَتْعُ سَمُو مَهَا وَتُظْهِرُ مَعَ هَذَا قَدَلِيهَا
قَالَتْ: وَمَاذَا تُسَمِّي لِصَدَاقِ حَبِيبِي وَالَّذِي يُخْطَبُ الْحَسَنَاءُ يُرْضِيهَا
قَالَ: مَا لِكُنِّي إِيَّانِي عُيْبُذِكُ فَأُخْصِكُنِّي عَلَيَّ بِأَمْوَالٍ أَوْ قَرْنِيهَا
قَالَتْ: وَهَلْ أَنْتَ تُعْطِينِي مَا رَبِّ قَسَمِي قَالَ: لَوْ تَطْلُبِينَ أَلْفَ غَنِيهَا
قَالَتْ: ثَلَاثَةُ أَلْفٍ مُؤَلَّفَةٍ مِنْ الدَّرَاهِمِ قَدْ لَالَا لُجَيْنِيهَا
ثُمَّ وَصِفَتْ يُدَارِيْنِي وَجَارِيَةً لِيُخْذِمَنِي أَنْتَ تَشْرِيهِ وَتَشْرِيهَا
وَبَعْدَ ذَلِكَ قَبْلَهُ وَهِيَ قَائِلَةٌ وَالْفُجْجُ قَدْ زَادَ فِي زَاهِي مَمَانِيهَا
وَقَتْلُ الْمُتْرَفَى جَرًّا وَقَتْلَهُ يَدُويْ إِنْبَاتِيهَا فِي الْأَرْضِ دَاوِيهَا
وَعِنْدَ مَا سَمِعَ ابْنُ الْمُلْجَمِ الْمُنْهَوَّ مِنْ الْأَنَادَةِ ثُمَّ الْقَتْلُ تَالِيهَا
وَكَانَ حُبُّ قَطَامٍ قَدْ أَعَادَ لَهُ حُبَّ الْحَيَاةِ فَأَمْسَى غَيْرَ سَالِيهَا

ههنا كان الباعث له على خيانته قوداً حتى ولو كان يدافع وهي اقتنع به من موجب الدين مما رضى عنه وبها المأثور
وصل عبد الرحمن بن ملجم الى الكوفة حافظ سره في صدوره لا يوح به الى احد ويظهر
لي انه كان في سن الشباب وذات سنة يسار دليل عشقه قضاء ن الاخر اتي سبقت الاشارة اليها
وبله في سبيل خطبتها طلبته وهو ثلاثة آلاف درهم وغلام وجارية وهو بدل لآتيه دوو اخصاصة
تسرف عبد الرحمن بن ملجم بقضاء لانه من اخوارج ولا يها هي ايضا من اخوارج فتعارفها
ليس فيه شيء من المراهبة لان اهل الحزب الواحد سر من ما يعرف بعضهم بعضا اذا كانوا في بلد واحد
واخذت قطام تصلى عبد الرحمن وتشغفه بحسن ودلاها ويظهر انه لم يكن اوضح حديق ارجل
الدين اوقتهم بشره هواها حتى اذا مومت من حبه لها اخذت تمنجي عليه وتبديد بين الجفوة وازمنة
حتى قنته وذهبت بله بجدها خاضعاً وهذا يدعى ان قطامه تكون فجرة زانية والام يطلبا
حيلة بل طلبها خيفة كما يدانا ايضا على انه كان شاعراً في مقتبل العمر كما سبق القول ولو كان كلاً لما تمكنت
مثل قطام ان تلعب بقلبه ليس قطام حتى عشقها بل وقته من خطبه يريد ان يتزوج
وفي رأي ان عبد الرحمن بن ملجم عند ما اشتعل قلبه بهوى قطام اخذ يمدى عهده يقتل
سيدنا هي عليه صلوات الله حتى اذا ما دفعه الحب اعرض عن تبيين تلك الجريمة اشتهاء بتة بدليل
تقدمه من التزوج قطام ولو كان مصرّاً على نية القتل لخطر له زواج ببلاد لا بد له من وصل
بطام الى تلك البرجة من الحب الا بعد ان افضى بضع شهر في الكوفة وبقي له حتى موعد

نَادَى فَرِيضَتُكَ هَلْ تَبَيَّنَ هَلَكَةُ نَفْسِي كَانَ حُبُّكَ بِعَذَابِ الْمَوْتِ مُحْسِنًا
لَوْ لَا هَوَاكَ لِمَا رُمْتُ الْحَيَاةَ وَلَا أَمْسَيْتُ قَبْلَهُ هَوْلِ الْمَوْتِ خَاشِعًا
فَإِنْ قَتَلْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا سَلَامَةَ أَتَرْجَى أَنْ أَلَاقِيَهَا
وَلَا أَفُوزُ بِفَرْقَتِي بِتِ أَنْشِدُهَا بِمَنْ أَحَبُّ وَمَا تَبَيَّنَ بِقُصْبِهَا
فَأَرْسَلْتُ شَرًّا تِلْكَ الْقَبِيحَةَ مِنْ أَلْحَاطِهَا وَبِهِ لَاقَتْ مُنَاجِبَهَا
وَأُظْهِرْتُ عِزَّ مَاتٍ لَا تُحَوَّلُهَا عَنْهَا أَلْحَوَالُ تَبَيَّنَ أَنْ تُجَرِّبَهَا
وَبِأَيِّ مُلْجَمٍ صَاحَتْ: إِنْ جُنْتُ وَمَا شَفَيْتُ غُلَّةَ نَفْسِي مِنْ مُطْمَئِنِّهَا
وَمَا أَخَذْتُ بِأَرَا لَأَخْضَرَ الْبَطْلَ أَلَمْ يَقْتُولْ فَأَبْنَتْهُ لَا تَطْمَئِنُّ فِيهَا
وَمَا أَخِي صَارَ: أَخْتَاهُ لَا تَدْعِي لِقَائِي عِيشَةً بِالرَّفَقِ بِقُصْبِهَا
وَأَنْنِي لَمْ أَزَلْ أَبْكِي أَبْنِي وَأَخِي بِلَوْعَةٍ مَا كُرُورُ الْكُفْرِ بِطُفْئِهَا
فَأَشَقُّ عَلَى أُمِّ مَفْجُوعَةٍ عَظُمَتْ أَرْزَاؤُهَا لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُعْزِيهَا
مَوْتُورَةٍ لَا تَرَى حِلَّ التَّمَتُّعِ بِالزَّوْجِ إِنْ هِيَ لَمْ تَبْلُغْ تَشْفِيهَا
حَبِيبَ قَلْبِي إِنَّمَا زِلْنِي وَفَرِّغَا مِنِّي وَأَغْنِنِي حَيَاةً أَنْتَ بَاغِيهَا
أَحْيَا لِأَجْلِكَ أَصْفِيكَ أَوْ لَا أَقْضِي أَلْعُمَرَاءُ كَمَا تَخْتَارُ تَرْفِيهَا

تنفيذ الجريمة غير وقت قصير يلقي سده جيته لانه كان يدرك حق الادراك ان لاسلامه له من القتل سواء أطلع بالجريمة الشفاء التي كان مقدماً عليها أو لم يطلع

وبعد هذا نورد النص التاريخي الذي أورده المؤرخون عن هذه الحادثة قالوا: وزلزل عهد الرحمن بن ملجم عندما قدمه السكوفه بدلاؤاسرة رجلا من اصحابه ذات يوم من بني تيم الرباب فصادف عنده قطام بنت الاخضر من بني تيم الرباب وكان علي قتل اخاها واباها بالهروان وكانت من أجل نساء أهل زمانها فلما رأها شغفها واشتد انجاء بحسها فخطبها فقالت له ما نسبي من الصداق فقال احكمي ما بدا لك فقالت احكم عليك ثلاثة آلاف درهم ووصيفا وخداما وأن تقتل علي بن أبي طالب فقال هاتك جميع ما سألت وما قتلت علي بن علي بنك؟ وكيف ترضين أن أتمرر بهذا الخطر بدأن شملت هوائك وغدوت اطمح بالحياة لالحك؟ فخذت تلح بتنفيذ ما رساها وهي تتباعد عليه وتقبله وما زالت به حتى اغرته على القتل فقال وكيف استطيع الفوز بقتل علي؟ قالت تلتمس غرته فان أنت كتلته شقيت نفسي وهناك العيش معي (على أرغد ما يحب) وان قتلتك فما عند الله خير لك من الدنيا فقال لها أما والله ما أقدمني هذا المصير وقد كنت هاربا منه لا آمن أهله إلا ما سألتني من قتل علي. قالت له فانا طالبة لك بعض من يساعدك على هذا ويقولك نعم متى الى وردان بن

قَالَ وَالْيَأْسُ قَدْ أَوْهَى جَلَادَتَهُ وَالنَّحْبُ مِنْ قَبْلِ وَالْإِذْ لَأَلْمُومِيهَا
 قَطَامَ رَهْطًا يَصْبِرُ تَبْتَيْنَ بَأْنُ يَسِيرَ نَحْوَ الْمَنَآيَا لَا يُمْلِكُونَهَا
 قَالَتْ: حَبِيبِي إِنْ تَسَلَّمَ فَإِنَّكَ لِي أَوْ إِنْ نَمَتْ فَكَ الْجَنَاتِ تَوْنِيهَا
 وَتَقِ بَأْنِي لَا أَنْتَى هَوَاكَ كَمَا قَطَامَ مَا كُنْتُ يَا أَيْنَ الْوَدِّ نَاسِيهَا
 فَيَا سُبَيْرِ إِلَى مَلَقَى الْوَمِيِّ وَجَنَادَتِهِ قَبِيلًا وَهَذَا أَقْتُلُ بِمَنْبِيهَا
 فَبَادَ لِلْهُوسِ الْمَسْمُونُ مُطْلِبًا حَيَاةَ خَيْرِ الْوَرَى يَرَأُ وَتَقِيهَا
 وَمَصَاح: مَا جِئْتُ إِلَّا لِفَتْوَاكَ بِهِ تَاللهُ كُفَّةً بَلْ مَا كُنْتُ أَوْنِيهَا
 وَقَدْ هَرَبْتُ نَفُورًا مِنْ حُكُومَتِهِ أَسْأَلُ اللهَ بِأَلَا هَوَالٍ يَمْنِيهَا

وراع ابن ملجم بحبيبه

فِي لَيْلَةِ الْخُصَّةِ الْمَضْرُوبِ مَوْعِدَهَا لِقَاتِهِ أَلَا مَرًّا مِنْ مُسْتَبِحِيهَا (١)
 وَاقِي أَيْنَ مُلْجَمٍ مُسْتَقَافًا حَبِيبَهُ شَوْقَ الَّذِي لَمْ يَمُدَّ يَرْجُو تَلَاقِيهَا
 قَبْلَتَهُ عَمَرَ الْمَاكِرَاتِ وَأَبْشَدَتْ غَيْرَ مَا كَانَ يَخْفَى فِي مَطْلُوعِيهَا
 وَأَظْهَرَتْ صَبُوءَ تَاللهُ مَا شَعَرَتْ بِهَا لَهُ وَهَوَى فِيهِ وَتَذَلَّلِيهَا

جمادى الأولى يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الأول سنة ١٢٠٠ هـ (ولا يعرف ان كان هذا منه لانه هو ايضا كان من عشاقها اولاه كان من الحنفين على سيدنا عبي هلاك قبيته في النهروان) وخرج ابن ملجم قاتل رجلا من اشجع بني تميم بن ببيعة وقتل له : يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ فلو ما ذلك ؟ قل نعدني عى قتل عبي وكان شبيب عى رأي الحولج فقال له هلتك الهوى فتمدلت عينا اذا وكيف تقدر ويحك عى قتل ابن أبي صاب ؟ قل ابن ملجم نكمن له في المسجد الاعظم (في الكوفة) فاذا خرج صلاة فجر فكنت به وقتله وشيئا اتقنا منه وادركنا ثارنا فلم يزل به حتى اجابه فقبل به حتى دخلا عى قتلها فغيرها ابن ملجم باضها شبيب اليه ايضا لقتل سيدا عى فرحت بشبيب وشجته عى الجريمة ووعدهما ان تكون يوم الجناية في المسجد الكوفي آه وما يستفاد من رواية المؤرخين هذه ان اغراء قطام بن ملجم باضها وردان وشبيب الذي ذلك المسون تحت اشراقها وسيطرتها لم يكن في وقت ببيعتهم يوم ١٧ رمضان وهو اليوم الاسود الذي ضرب به بولك الاحتياط الانواع نكت باسماء السمين

(١) اشرا في هذا القصر اني اجمع التي تلي تحتها الخولج عى سيدنا عى عليه صلوات الله وكلها تنحصر بقوله ان الحكم لله واذا التحكيم خروج عى القرآن وسروق من الدين وان سيدا عى قد انقضت بقبول التحكيم وانه كان من الواجب عليه ان يكت عهده مع معاوية بمد كتابته واذا لم يفعل فم تعد له بعة في اعناقهم وامبحوا اعداء خلافتهم يحرقونها . هذه كل حججهم عى سيدنا عى التي لاجلها اعتلوا

وَسَجَّسْتَهُ عَلَى الْجُرْمِ الْقَطِيعِ بِسِسْمَةِ الرِّضَى وَالْهَوَى وَالذَّلِيلِ مِنْ فِيهَا
وَوَدَّعْتَهُ وَدَاعًا لَيْسَ يَنْقَبُهُ لَقَى بِدَمْعٍ هَتُونٍ مِنْ مَاقِنِهَا
رَبَّاحَتْ تُسْعِرُ نِيرَانَ الْكَرَاهَةِ وَالْبَغْضَاءِ فِي نَفْسِهِ ظُلُمًا وَتَوَرَّيْهَا
تَقُولُ: حَيْدَرَةٌ خَانَ الشَّرِيفَةِ بِالسَّخِيمِ وَالْحُكْمِ لِلْخَلْقِ مُوَحِّبِهَا
فَمَارَضَتْهُ أَنْاسٌ وَهِيَ طَالِبَةٌ إِرْجَاعُهُ لِهَذِي طَوْعًا لِبَارِنِهَا
فَمَا أَرْتَقَى رَجْعَةً عَنْ هَذِهِ ذَهَبَتْ بِحُكْمِهِ مِثْلَمَا كُنَّا نُوَحِّبُهَا
وَمَا أَكْفَى عِنْدَمَا لَاحَتْ تَبِيجُهَا بِأَنَّهُ مُخْطِئٌ مُذْ رَاحَ مُضِيبُهَا
فَقِيلَ: التَّوْبَةُ الْكَثْرَى عِلَاقِيَّةٌ حَتَّى نُصَالِحَهُ وَالنَّارُ نُظْفِئُهَا
لَكِنْ أَصْرٌ عَلَيْنَا أَنْ نَعُودَ إِلَى مَنُشَوِّدِ طَاعَتِهِ قَهْرًا قَلَسْنَاهَا
وَإِذْ أَيْنَا أَنْصِيَاءَ مَا سَاقَ حَمَلَتُهُ عَلَى قَبَائِلِنَا الْكَثْرَى لِنُفِئِهَا
وَاللَّهُ مَا رَحَّتْ قُنْيَانَنَا وَشَيْرُ خَنَا قَبَاتٍ وَهَوَلُ النُّوبِ غَاشِمِهَا
وَيَلَاةُ أَشْلَادُهَا كَانَتْ مُعْطِيَةً دِيَارَنَا وَالذِّمَّاءُ تَجْرِي قَلَسْنَاهَا
وَكَانَ مِنْ بَيْنِ قُلَلَانَا أَبِي وَأَخِي لَوْنِي لِأَبْنَيْهِمَا دَوْمًا وَأَبْنَيْهَا
وَلَمْ يَجِرْ الرِّزَايَا غَيْرُ حَيْدَرَةٍ عَلَى الْعِبَادِ فَأَخْلَقَ أَنْ يُلَاقِيَهَا
فَسِرَّ حَبِيبِي بِلَا خَوْفٍ لِمَسْجِدِهِ وَأَبْلَغَ قَنَاتِكَ إِذْ يُرْدَى تَشْفِيهَا
فَإِنْ أَعِشْ بَعْدَهُ يَوْمًا فَقَدْ بَلَّغْتَ قَسَمِي قَبْشَرِي لَهَا أَقْصَى تَمْنِيهَا

عليه الحرب وفاقوا يتصدون لشيء ويمثلونها ويموتون في الرقاق فساداً لا جلاها وما كانوا يصيغون
السع لبيدا علي عليه صلوات الله اذ كان يدعو زعماءهم اليه ومنهم بالحجة بان حججهم باطلة
ماهي من الدين ولا في مصلحة المسلمين وكان يذكركم بانهم هم الذين اكرهوه على قبول التحكيم
وتهددوه بالقتل اذا رفضوا وانه بعد ان نزل على حكمهم قبلوها ورضي بها وكتبت الصحيفة فامضاهما
اصح مقيداً بها طوعاً للقرآن العظيم الامر بالوهد بالهود امر اجلياً لا يقبل التأويل . واغرب
ما كان يطلبه الخوارج من سيدنا علي عليه صلوات الله هو ان يعلن توبته ووالله هم انفسهم ما كانوا
يمكرون كنهه طلبهم هذا وكيفية القيام به فذا كانت التوبة عن خطيئته قد سيدنا علي لم يخطئ . بقبول
التحكيم ليتوب فهو من بدء الخديعة عرفها وادباً بها فجهلوا وامسروا عليه بقبول الحكومة فكان
عليهم هم ان يتوبوا ويتوبوا اليه ويجردوا سيوفهم لحرب معاوية بعد ان ظهرت الخديعة بانهم معانينا
في دومة الجندل حيث خدع عمرو بن العاص بالامس بالامس والاشري وسخره وقال غير ما كان الاتفاق عليه

وَأَنِّي مَعَكَ يَا خُلِي قَدَاهِبَةٌ
أَرَى بَيْنِي ذَاكَ الْإِنْتِقَامَ وَمَا
وَقَبَلْتُ بَعْدَ ذَا الْمَلْعُونِ صَاحِبَهَا
وَأُظْهِرْتُ جَزَعًا مِنْ شَرِّ وَقْتِهِ
وَاللَّهُ مَا جَزَعَتْ حَقًّا وَلَا نَقَلَتْ
وَأِنَّمَا خَدَعْتَهُ فِي تَلْهِيئِهَا
وَمَثَلْتُ «دَوْرَهَا» مِمَّا كَمَا شِئْتُ
وَأَرْسَلْتُهُ يُضْحِكِي النَّاسَ يَهْلِكُهَا
بِقَتْلِ مُنْزِلِهَا الْأَتَمِّ وَعَايِلِهَا الْأَمِّ
فَرَأَى بِخَطْوِهِ إِلَى الْأَنْثَى الْفَطِيحِ خُلِي

لِكِي أَرَى الْقَسَلَةَ الْمُنْبُوطُجَانِيهَا
يَتَلَوُّهُ مِنْ لَدُنْهُ ذُو الْحَقِّ يَذَرِيهَا
وَأَرْسَلْتُ دَمْعَهَا كَذِبًا وَتَوْنِيهَا
عِنْدَ الصَّبَاحِ لِأَهْوَالِ يُبْلَاقِيهَا
صَدَقًا وَمَاهِلِكُهَا الْمَحْتَمُومُ مُبْكِئِيهَا
عَلَيْهِ كَذِبًا وَفِي مُشْجِي تَبَاكِئِيهَا
تَرَى فِرَاقَ الْأَيْدِي تَهْوَاهُ يُشْفِيهَا
وَالْحَنِيفَةَ بِالْبَلَوَى يُفَاجِيهَا
م عَلَى وَعَايِلِهَا الْأَسْمَى وَقَاضِيهَا
آثَارُهَا كَانَ بِمَلْزُومٍ قَافِيهَا

المصطفى والمرضى عليهما الصلوة والسلام

مَنْ لِي يَعْلَمَ عَلَيَّ مَعَ بَلَاغِهِ كَيْتَا أُبَيِّنُ آثَامًا يُعَانِيهَا (١)
يُرِيدُ إِحْبَاءَ سِنَاتِ الرَّسُولِ فَيَلْسُقِي حَوْلَهُ مُمْرِضِيهَا أَوْ مُبَيِّتِيهَا
وَتَلْتَفِيهِ خُرُوقٌ فِي الْخِلَافَةِ لَا تَرَفًا فَاعِيَةً عِيَةً وَهُوَ يَرْفِيهَا
مَا أَعَزَّزَتْهُ أَسَالِبُ آلِهَاءٍ وَلَا سِوَاهُ أَدْرَى يَبَادِرُهَا وَخَافِيهَا
لَكِنْ هُنَاكَ أُخْرَى كَانَ يَرْهَبُهَا وَلَا يَرَى هَاتِيهِ الدُّنْيَا تَوَازِيهَا

بينهما على انهم لم يقبلا وما اكتفوا مصيبتهم خليفتهما والاعتماد عن نصرته فاحذروا المحذور به الاعتداء على اصحابه ونيته فكان عليه شرعا ومصلحة ان يجرد نفسه لأديبه ففقد فكوا به الخائبين على انفسهم وعلى الخلافة من اذ هبت مطعمهم وضرب دية الخلافة في حربه وقبور عزيمته يسبيهم على انهم ما لعوا وبكل هذا حتى ائتمه مهوس منهم على انتم اجرائم وشره عقبة بقتل سيد الخلائق بعد المصطفى سيدنا عبي عليه الصلاة والسلام

(١) يستحيل على ائمة الكتاب والفتح الخفاء تفصيل اخبة حمية التي كان عليها سيدنا هي عليه صلوات الله في سني خلافته الارومة ما عده من اروزيا واحطوب فيها فقد كانت كل حروباً وتورارات داخلية ومساخر شتى وقد واضطراب حتى اسبح كل داوى حربه في جبهه الخلافة سالت بروج وحتى صبح وهو لا ينسى على الله لا يبقى وجهه الكريم عذراً لا راحته الا

لَئِكَ قَدْ سَمِعَ الْأَمْرَ الَّذِي يَتَقَا
وَلَيْلَةٍ مِنْ لَيْلِي الصَّوْمِ مُطْلِمَةٍ
وَيَسْأَلُ اللَّهُ فِيهَا أَنْ يُرِيحَهُ
وَأَذِيهِ سَحَرًا بَدَأَ الْوُضُوءَ وَمِنْ
عَلَى وَسَادَتِهِ الْخَشَنَاءَ تَمَدَّدَ هُوَ
وَأَذِيهِ مَلَكَتْهُ عَيْنُهُ فَفَنَّا
فِي الْحَالِ قَدْ سَمِعَ الْهَادِي الْأَمِينَ لَهُ
قَالَ أَمَلِي: رَسُولُ اللَّهِ بِأَسْتَدِي
أَشْكُو إِلَيْكَ الَّذِي أَقَامَهُ مِنْ أَوْدٍ
قَالَ: مِنْ أَمْنِي تَشْكُو أَلَا أَدْعُ عَلَيْهَا دَعْوَةً فِي السَّمَاءِ رَبِّي يُلَبِّسُهَا
قَالَ: أَبْذِلْنِي رَبِّي بِأَخْبَرَ مِنْهَا وَهِيَ بِالْشَّرِّ مِنِّي ذَاكَ يَكْفِيهَا
ثُمَّ صَحَا الْمُرْتَضَى وَالْفَجْرُ مُنْبِتٌ
فَأَحْمَدُ اللَّهَ قَدْ قَارَبْتُ مُنْصَرِفِي
وَقَدْ دَعَا حَسَنًا فِي الْحَالِ أَنْبَاءُ
وَسَارَ يَنِي صَلَاةَ الْفَجْرِ يَنْشِدُهَا
فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْكُوفِيِّ بِقَضِيهَا

في جنات النعم . وكانت عادته عليه صلوات الله أن يحجج لياليه في تلاوة الذكر الحكيم وذكر الله عز وجل ولا سيما ليالي رمضان المباركة وكذلك تقى ليلة ١٧ رمضان سنة ٤٠ للهجرة ساجداً مصلياً ذاكرة متعبداً حتى إذا ما ابتقى الفجر باشر وضوءه وإذا كان موعد الصلاة لم يحن بعد تمدد على وسادته الحشنة وطلق يجول بنفسه في ماضيه ذاكرة ما مر عليه من المتاعب والألم في جهاده المتواصل في سبيل الإسلام وكيف كانت النهاية السوداء بشارت أعدائه وتنافس أصحابه لكثرة ما في هذه الدنيا من محبيها وقلة من يهتمون منهم بأخوتهم فيملكون لها وينبأ هولكذلك غفث حيناً ففتح له رسول الله عليه الصلاة والسلام وكان بينهما ما رواه سيدنا الحسن عليه السلام عنه قال في صبيحة اليوم الذي استشهد فيه أمير المؤمنين دعاني إليه وحدتي قائلًا : ملكني عيني وأنا جائس ، ففتح لي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم ، فقلت : يا رسول الله لا أخبرك ما ذا لقيت من لبتك من إلا دوداً لا يدرك فقال : أَدْعُ عليهم ، فقلت : أأبدني الله بهم خيراً أم بهم ، وأبدهم في شرٍّ أم هم مني ، فأبديت ، وعلمت من رؤيتي همة في موعد ميعتي قد دعا ، وقد دعوتك لا تحرك بذلك ، وهيبك بأمة محمد خيراً . قل سيدنا

صرح أمير المؤمنين

فِي الصَّوْمِ كَانَتْ تُشْفِي فِي الْمَسَاجِدِ عَنْ تَوَى الثَّغَاةَ بِإِخْبَاتٍ لَيْلِيهَا (١)
وَالْمَسْجِدَ الْأَعْظَمَ الْكَوْفِي كَانَ يَلْكَ اللَّيْلَةَ النَّاسُ فِيهِ وَهُوَ أَوْنَهَا
وَكَانَ مِنْ يَنْبِهَا فِي قُرْبٍ مِنْبَرِهِ رَهْطٌ تَصَلِّي وَلَا يَتَيَا مُصَلِّيَهَا
تَتَلَوْ قِيَامًا قُودًا غَيْرَ وَائِيَةِ أَيْ الْكِتَابِ قَشَّجِيهَا مَنَابِيهَا
يَذَا قَضَتْ لَيْلَهَا سَهْرَى مُهْجَةً فَمَا غَفَا أَوْ شَكَأ أَلَا وَصَابَ جَائِيهَا
وَعِنْدَ مَا لَاحَ نَوْرُ الْفَجْرِ أَقْبَلَ نَوْرُ وَصَاحَ فِي النَّاسِ هُبُوا لِلصَّلَاةِ عِبَا
وَمَا أَنْتُمْ عَلَيَّ هِمْلِيَّةٌ إِلَّا بِرَيْقٍ سُيُوفٍ كَانَ تَالِيَهَا
وَصَائِحٌ قَائِلٌ: مَا الْحُكْمُ حَيْدَرَةٍ إِلَّا لِرَبِّكَ رَبِّ الْخَلْقِ ذَارِيهَا
وَالْمُرْتَضَى بِجُبُوعِ النَّاسِ صَاحَ: فَلَا يَفُوتُكُمْ قَائِلِي وَالْأَعْرُ فَاشِيهَا
أَمَّا تَفَاصِيلُ مَأْسَاةِ الْأَمَامِ قَدْ جَرَتْ كَمَا قَتَلَ الزَّائِي لِرَاوِيهَا
فَقَالَ: أَنَّ شَبِيبًا كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَهْوَى بِضْرَةٍ سَيْفٍ رَاحَ نَابِيهَا
ثُمَّ أَنَّى مُلْجَمٌ أَهْوَى ضْرَةً ثَبَّتَتْ فِي رَأْسِ حَيْدَرَةٍ لَا كَانَ مُهْوِيهَا
وَقَرَّ بِسُدِّ شَبِيبٍ نَحْوَ مَنْزِلِهِ يَنْبِي السَّلَامَةَ لَكِنْ لَيْسَ لَاقِيهَا

الحسن : فمتمع لوني ، ووجف قلمي ، وقف الشعر في رثي وجسمي ، وأبقت به نقضاء أجل أمير المؤمنين ، ثم سار إلى المسجد فكان مقته عليه السلام « آه

(١) كانت ليلة ١٧ رمضان ليلة الجمعة وكان الناس يرجون أن تكون ليلة القدر ولئن هذا الزمان هو الذي حل لولئك المشهورين على تخصيص صباح اليوم المذكور بخرمهم المثلثة إذا سلمنا مع المؤرخين بأن الجريمة لم توجد في أدمية أولئك الفاجرين المفسدة بدسيسة أحد بني هُرْدٍ القُتْرَبِ إلى الله سبحانه بارتكاب هذا الأثم العظيم . وكان من عدة المسلمين في رمضان أن يقضوا قسماً من لياليهم في المسجد ولا تترك هذه عدهم حتى يوم النحر . بأوول الليل صلاة الأذكار والعبادة وكان بعض الزهاد المتعبدين يعمون ليالي رمضان بطواف في المسجد ولا سيما ليالي الجمع على اعتقاد أن تكون إحداها ليلة القدر التي العادة فيها أفضل من عبدة ألف شهر

وقد نقل الرواة الثقات عن عبد الله بن محمد الأزدي وكان شاهد عيان في مصر عبيدنا عبي عليه صلوات الله . قال « أتى لأصلي في تلك الليلة ليلة الجمعة ١٧ رمضان في المسجد الأعظم (في

إِذْ جَدَّ فِي أَثَرِهِ مِنْ آلِهِ بَطْلٌ شَمَّ إِسَاءَتُهُ مَا كَانَ غَاضِبَهَا
وَقَالَ: وَيْلَكَ أَهْلَكَتَ الْخَلِيفَةَ لَوْ مَا أَلْخِلَافَةُ تَبْقَى بِنْدَ حَامِيهَا
خُذَهَا عَلِمَتِكَ مِنِّي غَيْرَ خَائِتَةٍ وَرُحْ بِهَا لِيَجِيئَ النَّارَ تَصْلِيهَا
وَرَاخَ ضَارِبُهُ بِالسَّيْفِ قَاتِلَهُ فَخَرَّ مُخْتَبِطٌ إِلَّا حُشَاءَ دَامِيهَا
وَالنَّاسُ قَدْ لَزِمَتْ شَرَّ الْخَلِيفَةِ طُسْرًا لَزِمَةً أَوْ شَكَتُ تُودِي بِهِ فِيهَا
كَانَتْ تَعْصِفُهُ عَصَا وَتَضْرِبُهُ ضَرْبًا وَمَا بَلَّغَتْ مِنْهُ تَشْفِيهَا
كَانَتْ تَقُولُ: عَدُوَّ اللَّهِ وَيْلَكَ فَجُمْتُ الْخَلِيفَةَ فِي أَسَى مُدِيرِيهَا
وَأَمَّةُ الْمُصْطَفَى أَهْلَكْتَهَا بِسَبَا السَّيْفِ الَّذِي فِيهِ قَدْ أَهْلَكَتَ رَاعِيَهَا
وَذَلِكَ الْمَجْرِمُ ابْنُ الْمُلْجَمِ الشَّهْرُ مِنَ اللَّيْلِ صَوْتُ لَا يَفَاهِيهَا
لَوْ لَا خِطَابُ شَوْيْدِ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا نَجَا مِنَ الْمَوْتِ تَمْزِيقًا بِأَيْدِيهَا
قَالَ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ وَالَّذِي يَكْسُوهُ مِنَ الْحُلَلِ الْحَمْرَاءِ قَانِيهَا
وَصِيتِي لَكُمْ يَا نَاسُ فَاسْتَمِعُوا هَاوَا أَطْلُبُوا الْقَوَا الْحَسَنَى لَوْ صِيهَا
أَنْ تَبْذُرُوا رَبِّكُمْ لَا تُشْرِكُوا أَحَدًا مَعَهُ عِبَادَةٌ بِرٍّ فَازَ آتِيهَا
وَسَنَةُ الْمُصْطَفَى الْفَرَا أَحْضُوا وَقَدْ خَابَتْ مَسَاعِي الْأُولَى بِأَتَوَا مُضِيْعِيهَا
ذَانِ الْقَمُودَانِ يَا صَحْبِي مَقِيْنُهُمَا تَاللَّهِ يُلْفِنِي مِنَ الْأَمَالِ سَامِيهَا
ذَانِ السَّرَاجَانِ يَا صَحْبِي مَضِيْعُهُمَا لِيَأْمَنُ الْفَرَّ السَّوْمَى وَيَقِيْعِيهَا
نَصِيْحَتِي فَاسْمَعُوا سَمْعًا خَلَائِكُمْ ذُمْ حَازِرُوا أَنْ تَكُونُوا مُسْتَهْزِئِيهَا

الكوفة) مع رجال من أهل المعركاوا يصلون في ذلك الشهر من اول الليل الى آخره اذ نظرت الى رجال يصلون قريبا من السدة قياماً وقعوداً وركوعاً وسجوداً ما يأمون اذ خرج عليهم علي بن ابي طالب الفجر فأقبل ينادي : الصلاة الصلاة . فرأيت بريق السيف وسمعت قولاً يقول : الحكم لله يا علي لا لك . ثم رأيت بريق سيف آخر وسمعت صوت علي عليه السلام يقول : لا يفوتكم الرجل « وذيّل ابو الفرج الرواية وهو ناقلها قولاً اما بريق السيف الاول فانه كان سيف عيب بن بحيرة ضربه فاخطأ وقتضضته في الطاق . واما بريق السيف الثاني فانه سيف الملون عبد الرحمن بن ملجم ضربه فأثبت الضربة في وسط رأسه وشدّ الناس عليهما فأفلت شبيب وتمكن من الهرب : فرسح الى منزله فدخل عليه ابن عم له فرآه يحمل الحرير عن صدره فقال له يا

قَدْ كُنْتُ يَأْتُونِي فِي أَمْنِي مُصَاحِبَكُمْ صَحَابَةً لَمْ أَكُنْ تَأْتِيهِ رَاضِيَةً
وَمَا أَنَا بِدِمَائِي عِبْرَةً لَكُمْ ذَا الْيَوْمِ يُتَذَرُّنِي بِالْمَوْتِ هَامِيَةً
وَفِي غَدٍ يَا بَنِي أُمِّي مُفَارِقُكُمْ بِرُيَّةٍ لَمْ أَكُنْ يَوْمًا مُبَالِغَةً
أَنَا وَلِيٌّ دِمِّي إِنْ أَبَى يَنْكُمُ أَعْدَاؤُهُ مِثْلًا أَهْوَى أَقَابِيهَا
وَإِنْ فَنَيْتُ فِيمَا دِي الْقَنَاءَ وَقَدْ بَلَّغْتُهُ وَحَيَاتِي اللَّهُ مُقْنِيهَا
وَإِنْ عَوْتُ فَرَفَّقِي لِلْمُهِنِينَ عَفْوِي بَلْ مَبْرُئَةٌ عَنْكُمْ أَوْدَرَهَا
فَاعْفُوا قَهْرِي أَلْعَوْ خَيْرٌ ثُمَّ مَثْوِي إِنْ أَلَكِرَامُ تَعَفُّوْا عَنْ مَسِيئَتِهَا
أَلَا تَوَدُّونَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ غُفْرَانًا خَطِيئَاتِكُمْ وَالْكَلْمُ مَخْطِئَتِهَا
وَاللَّهُ مَا جَاءَهُ الْمَوْتُ أَرْوَاهُ كَرَاهَتِهَا وَلَا رُئْتُ عَنِّي أَنْ أَفْجَحَهَا
وَلَا لَهُ ظَالِمٌ أَنْكَرْتُ طَلْعَتُهُ وَإِنْ تُكْرَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ تَكْرِيحَهَا
وَلَمْ أَكُنْ غَيْرَ ظَالِمٍ شَامَ مَوْرَدُهُ وَطَالِبٍ بَعِيَّةٍ أَضْحَى مُلَاقِيَهَا
وَمَا لَدَيَّ اللَّهُ خَيْرٌ لِلْأَكْلِ زَهْدُوا فِي ذِي الْحَيَاةِ وَقَدْ جَافُوا مَلَاحِيَهَا
نَعَمْ لَقَدْ أَثَرْتُ أَقْوَالَ حَيْدَرَةٍ كَمَا أَرَادَ شَهِيدُ الدِّينِ مُلْقِيَهَا

هذا ما نال ملك قتل أمير المؤمنين واتقى سيفه وقتله . وله الميمون عبد الرحمن بن ملجم وحديق به الناس وطفوا ينهشون لحمه باستنهم كأنهم السباع ويقولون يعدو الله ماذا صنعت ؟ أهلك لمة محمد وقتلت خير الناس كل هذا وهو الله صامت لا ينطق بيت شقة وكاد الناس يقتلونه لولا ان يدوي في الجوامع صوت أمير المؤمنين عليه صلوات الله واله يتدفق من ربه الشريف فقال : أياها الناس ، وصني لكم أن لا تتركوا بالله شيئا ، ومحمد بن الله عليه وآله ، فلا تقضيوا سنته ، أقيموا هذين المامودين ، وأوقدوا هذين المصباحين ، وخلاكم الله ، أيا لاس صابكم ، واليوم حيرة لكم ، وغدا مفارقتكم ، ان ابق ، فانا ولي دمي ، وان أفي فافقه مبيدي ، وان لعف فالنفو في قربة ، وهو لكم حسنة ، وعفوا ، فلا تجبون أن يفر الله لكم ؟ ، والله انا خفي من الموت واراد كرهته ، ولا صالح تكرهته ، وما كنت الا كغارب وود ، وضاب وجد ، وما عند الله خير للابرار » آمه .

وعند ما انتهى سيده علي عليه صلوات الله من غنجه هد روح الش من ميمون حكمتهم راضين لرضائه ونقلوه وهم جرعون ان منزله الشريف واستفوا الميمون بن ملجم بن الحسين رهي ما بحري به الاعتدال على أمير المؤمنين فما ان ينفى ويحكم أمره وقد يفره كما قال في خطابه وأما أن يقضي فلا يكون له غير الموت جزاء فلعنه الشفاء على ما يقضي به القرآن الشريف « ولكم في القصاص حياة يا ذوي الألباب »

وَسَارَتِ النَّاسُ بِالْمَوْتِ إِلَى دِيَارِهِ وَالتَّبَكَّا نَيْلًا مَا قَبِهَا
وَسِيرَ بِالْمَجْرِمِ الْمَلُوفُونَ إِذْ حَبَسُوا : حَبَسَهُ لَمْ يَكُنْ قَاتِلَهُ فَاجِبَهَا

مرح معاوية وسلاوة

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَوْمَ الشُّومِ قَدْ حَدَّثَتْ جَرِيَّةُ الشَّامِ فَاهْتَزَّتْ نَوَاجِيهَا
يَلْنَا مُعَاوِيَةَ فِي الْجَامِعِ الْأَمَوِيِّ فِي الصَّلَاةِ وَقَدْ وَافَى يَوْمَ فِينَا

(١) خرج معاوية في فجر يوم الجمعة ١٧ رمضان سنة ٤٠ للهجرة إلى الصلاة في الجامع الأموي وما كاد
يجهل على الصلاة حتى أقامه البرك بن عبد الله التميمي بضرية سيف أصابت أخته ففهم الناس عليه
واستاقوه مقيداً إلى السجن وحمل معاوية إلى داره وولس فاستدعى إليه البرك وسأله عن سر جريمته
وأخى أن يروح بشيء غير قوله أن عندي خبراً أسرك به فأنشرك هل تفوه عني قال معاوية قل
لنرى قال البرك أن أخاً لي قد قتل علياً في صباح هذا اليوم . قل معاوية : قلله لم يقدر على
ذلك . قال البرك بل يقدر فأن علياً ليس منه أحد يحرسه ومع هذا فتركني حياً حتى إذا ما قتل
أخني يقتل علي فنجبت أنا وقتله . فبسم معاوية وقال كلاً لا يكون هذا أبداً وأمر به فقتل في الحال .
وبعث معاوية إلى الساعدي وكان من أشهر أطباء الشام وتكثف فلما نظر إليه قال اختر إما أن أحمي
حديقاً فأضربها بالسيف وإما أن ألقيك شربة تقطع منك الولد وتبرأ منها فإن شربتك مسمومة
فقال معاوية أما النار فلا صر لي عليها وأما الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تهر به عيني فسقاه
شربة ذرية ولم يولد له ولد بعدها . وأمر معاوية بعد ذلك أن تقام له مقصورة في الجامع الأموي
يصلي فيها ولرسد حراساً لتحصنه يحرسونه ليلاً ونهاراً وهو أول من عمل هذا في الإسلام
تقول ولقد سألتنا كثيرين من اصدة ثنا الأطباء عما إذا كان يوجد دواء يطهر الإنسان من سم
دخل إلى جسمه بواسطة جرح وقطع الولد فأجابوا أنهم لا يعرفون دواء يفعل هذا الفل لا في
الطب القديم ولا في الطب الحديث

« ترجمة معاوية »

وهنا يتخلق بنا أن تأتي على ترجمة معاوية بن أبي سفيان إذ لا رحمة لنا إلى ذكره في علوقنا المباركة فنقول:
هو أبو يزيد ويُدعى أبو عبد الله معاوية بن أبي سفيان صغر بن حرب بن أمية بن عبد
شمس بن عبد مناف بن قصي . وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن
قصي . وهي أم أخيه عتبة بن أبي سفيان . وأما يزيد بن أبي سفيان ومحمد بن أبي سفيان وعيبة بن
أبي سفيان وحظلة بن أبي سفيان وعمر بن أبي سفيان فهم من أمهاتش . وأبو سفيان هو الذي ساق
قريناً في حروبا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو رئيس بني عبد شمس بعد قتل عتبة بن ربيعة في
غزوة بدر الكبرى ولذلك دعي أبو سفيان صاحب البير وعتبة صاحب التفير ومنها جرى على السن
الناس المثل المأثور « لا ي البير ولا في التفير » يقال ذلك للرجل الحامل . ودعي أبو سفيان صاحب
البير إشارة إلى البير التي كان قداماً بها من الشام وهي تحمل المطر والبرق فلما سمع بخروج المسلمين
للتقاء لوسل إلى مكة يستصرأه لها وضرب بوجوه عبده إلى البحر فاحلها حتى اقتذها من الخطر الذي
كان محققاً بها وكانت غزوة بدر الكبرى التي سر من تلخيص حوادثها لاجلها . وسي عتبة صاحب

إِذَا بَصُرْتَهُ سَجَدَ فِي عَجَازِهِ فَلَمَّا صَبَحَ أَلْبَرَكُ الْمَفْتُونُ مُنْضِيهَا
وَمَا عَلَيْهِ قَصَتْ لَكِنَّمَا شَفِيتَ مِنْ بَعْدِ مَا أَحْكَمَ الْأَمِي تَدَاوِيهَا
وَأَنْبَأَ أَلْبَرَكُ الْمَخْذُولُ صَاحِبَهُ عَنْ فَجَعَةِ الْكُوفَةِ السَّوْدَاءِ تَجَرَّهَا
وَقَالَ: لَا تَسْتَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَقِفُوا عَلَى حَقِيقَتِهَا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهَا

النفير لانه نقر الى نضرة أبي سفيان برحلة فريش واشتبك مع المسلمين في موقعة بدر وقتل فيها فدعي صاحب النفير وهو جد معاوية لاه . وكانت هند أم معاوية تذكر في مكة بفجور وعبر حتى كان الناس يتكلمون في نسب أولادها فيمزون معاوية الى اربنهم مسافر بن أبي عمر ومارة بن الوليد بن المنيرة والعباس بن عبد المطلب ومن لا يسيان يقال له الصباح . قالوا وقد كان أبو سفيان دمهياً قصيراً وكان الصباح خادماً لابي سفيان ونديماً وهو شاب وبسم الوجه حسن الطلعة فدعته هند الى نفسها فنشها . وقالوا ان عتبة بن أبي سفيان من الصباح ايضاً وقالوا انها كرهت ان تضعه في منزلها فخرجت الى أحياد فوضته هناك . ومن الناس من يبرئون هنداً من الهر ويدافعون عن طهارتها وحسانتها والله أعلم . وطالما كان الناس يسيرون معاوية بانه في الجاهلية والاسلام هو يقول ما هند بغير نساءكم وولد معاوية في مكة انكرمة قبل الهجرة بخمس عشرة سنة وكان عمره يوم فتح مكة ٢٣ سنة واسلم في ذلك اليوم مع أبيه ومن أسلم من فريش وهم الذين يطلق عليهم اسم « اللطفاء » واصبح بعد الفتح من كعبة الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في جلة الكتاب . وفي خلافة أبي بكر تولى قيادة جيش لرسله ابو بكر مدداً لجيش الذي كان يقوده اخوه يزيد بن أبي سفيان في فتح الشام فشارك مع يزيد في فتح صيدا وعرقوقيس وبردستان وسواحل سوريا . وفي عهد عمر تولى ولاية الاردن ولما توفي زيد اخوه في طاعون حماس وكل والي لدمشق ولما عمر بن الخطاب دمشق ثم سوريا بحملتها . وكان له اوبة ادهى دهاة العرب فلما كاد يستلم ولاية سوريا حتى ضمت نفسه الى الاستتار بما فطنك بجميع المل ويدخره علمه انه « قضي الخراج » ولرغم عما اشتهر عن شدة عمر بن الخطاب على عمله وعزله كل من استمر به . وما الى الترف بالرغم من كل هذا أبقى على معاوية في ولاية سوريا وما استطاع حله على التخلي عن الاموال التي كان يخرنها وعن الترف الذي صار اليه حتى انه كان يشتبه علوك الروم في ملبسه وما كاله ونجمة رياض بيته وعظمة مواكب قتلوا وقد لاه عمر يومه على ترفة فقال له ان القوة في الشدة قد اعتدوا على رؤية ملوكهم في العظمة والترف فلا يهابوه ان يروه منهم قالوا فرضي عمر بن الخطاب بهن الخواص وفتح به اما نحن قبي قلة علينا نقول ان عمر بن الخطاب لم يفتح بحواب معاوية ولا كان راضياً عن حاله ولكنه كان ريشداً ذكياً في حمل ان امره قد انفلج وانه يميز عن عزله في عليه وسكت عنه والمسيح اهدى بالحقيقة واعلم وعند ما قتل عمر بن الخطاب وتولى عثمان خلافة حسب الشورى التي أوصى بها الخليفة انقول ذهب لك شئ في ان معاوية هذا يد في تولية عثمان مع عدة ارجحته على السنة ولا سيما سبنا على كما ذهب لنا انك في ما هو أحد من ذلك في ان عمر بن الخطاب ترك الامر شورى لئلا الا وهو يعلم ان امره وصيهاً واحد يتق غير عثمان فيرضيه به وثقته فتنته لله سبحانه أعلم بهذا ايضاً وفي عهد عثمان كانت خلافة رهن ارادة وتمهيد وتعكم مروان بن الحكم في المدينة المنورة ومعاوية بن أبي سفيان في الشام وكل ما تمه المسلمون على عثمان كان بحريزهما والله اعلم والتاريخ

فَلِنْ قَضَى الْمُرْتَضَى أَنْتُمْ وَشَأْنُكُمْ مَعِيَ وَبُعَيْتُكُمْ لِي كُنْتُ بَاغِيهَا
وَإِنْ نَجَا فَأَتِرْكُونِي كَمَا أَبْرَأَ إِلَيْهِ إِنْ قَتَلْتُهُ مَا زِلْتُ نَاوِيَهَا
فَمَا إِلَى قَوْلِهِ أَصْنَى مُعَاوِيَةَ وَلَا إِمَاتَتُهُ قَدْ كَانَ مُرْجِيهَا
قَضَى عَلَيْهِ سَرِيحًا بِالْإِمَاتَةِ تَمَثُّلًا فَرَّاحَ إِلَى النَّبَرَانِ بِأَوِيهَا

يشهد أن عثمان لم يكن راضياً عن كلا كان ولكنه كان ضيقاً باذاه صاحبيه وبني أمية من ورائها
فاسلم لارادحما فساقاه الى تلك النتيجة السوداء

وبعد مقتل عثمان اتهم معاوية سيدنا علي بقتله وهو يعلم قبل غيره ان الذي قتله في الحقيقة ليس
علي ولا سواء بل هو قسه وسروان بن الحكم ومناشر الامويين الذين تعجلوا بالسيطرة على الخلافة
وجز منافسا لاقسم وما كان بينهم معاوية سيدنا علي بقتل عثمان زوراً الا لجل الناس على كرهه
وعصيان امره حتى كان ما قد ورد لنا يانه فيها تقدم ومع أن اتهام سيدنا علي بمقتل عثمان كان في
مصلحة معاوية والامويين لرغبتهم باستخلاص الخلافة لاقسم فيسودون العرب في الاسلام كما كانوا
يسودونهم في الجاهلية مع ذلك كان معاوية شخصياً يكره سيدنا علي ويبغضه ويحقد عليه ويتم لانه
قتل يوم بدر اظه حنظلة وخاله الوليد بن عتبة واشترك في قتل جده عتبة فسه وقتل عليه صلوات الله
عدا هؤلاء عدداً كبيراً من بني عمه عبد شمس ونزات معاوية هذه على سيدنا علي مردي السكفار
والشركين هيهات ان ينساه له ويخضع لاسمه ويذل على حكمه

وظل معاوية وهو والي سوريا الى قبل حرب صفين حيث بايحه الناس على ان يدع الامر
شوري يختارون لاقسم الخليفة الذي يرضونه ولكنه بعد التحكيم ادعى ان حيلة عمرو بيمه مسيحية
له فتادى بنفسه خليفة للمسلمين قبايحه أهل الشام ثم أخذ يرسل جيوشه لنزو بلاد الخلافة واكرامه
الناس على يته قبايحه أهل مصر بمجزه ودهاء عمرو بن الناس وبايحه أهل الحجاز واليمن كرهاً على
عهد يبرم رفضوا يته بعد ان جاءهم جارية من قبل سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله ولذلك
لم يعتبر الفقهاء والمؤرخون يته مسيحية متبركة . وقول حضرة الشيخ الخفري في محاضراته في الجاهلية
المصرية ان أهل الشام اتخبوا معاوية خليفة لهم تضليل للحقيقة والتاريخ قال معاوية كان متطلباً على
أهل الشام يكرهم على ما يريد اكرهاً قبايحه مكرهين غير مختارين ولا متتخين وان أهل الشام لا
يملكون حق انتخاب الخلافة ولا جزماً من ذلك الحق بل الذين يملكوه هم قبايحه المهاجرين والانصار
واولاد الذين ماتوا منهم ومعظم هؤلاء اتخبوا سيدنا علي للخلافة وبايحه بما يسه عليه في المسجد
النبوي في المدينة المنورة . وبعد قتل سيدنا علي عليه صلوات الله تولى الخلافة سيدنا الحسن عليه السلام
بيسة أهل العراق غير أنه عليه السلام رأى بعد ستة أشهر ان يتغلب عن الخلافة لمعاوية فقل لاسباب
ستأتي عليها عند ذكرنا ترجمة سيدنا الحسن في حاشية نجي . ان شاء الله

وظل معاوية على عرش الخلافة الى سنة ٦٠ للهجرة في جمادي الثانية من تلك السنة مرض
مرض الموت ومات خلال وجب من السنة المذكورة « ٧ افريل سنة ٦٨٠ مسيحية » وكانت
وفاته في دمشق ودفن فيها ومما لاجدال فيه ان معاوية كان من الدهاء ومضاء الغيرة على اعظم جانب
وكان طامحاً الى اللام يستعمل كل شي في سبيله على ما رأى ينام أعماله فيها تقدم من حواشي هذه العلوية المباركة

نجاه عمرو بن العاص

هَلْ أَلْقَضَا أَمْ وَفُورًا لَحَظَ أَقْدَعُ عَمْرًا مِنْ مَنِيبَةٍ إِذْ رَاحَ مُنْسِيهَا (١)
 أَمْ يَخْبُطُ الْمَوْتَ كَالْمَشْوَا بِنِيرْهُدَى فَمَا يُصِيبُ مِنَ الْأَرْوَاحِ يُرِيدُهَا
 أَمْ أَنْ عَمْرًا لَهُ فِي بَنِي الْأَفْعَالِ يَدٌ سَوْدَاءُ أَمْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ يَدْرِهَا
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَمْرُو عَلٌّ وَأَطْلَبَ السَّطِيبَ لِلْعِلَّةِ أَلْفَجَحَى يُدَاوِيهَا
 أَوْ قَدْ تَمَارَضَ كَيْ يَفْقَى بَعْزِلَهُ مُحَاشِيًا ضَرْبَةً صَعْبٌ تَوَقَّيْهَا
 وَنَابَ عَنْهُ بِأَمْرِ مِنْهُ خَارِجَةٌ لَكِنِّي يُقِيمُ صَلَاةَ الصُّبْحِ يَقْضِيهَا
 فَأَمَّ جَامِعَ عَمْرٍو غَيْرَ مُكْثَرٍ إِلَى الْأَلْيَانِي وَمَا فَجَأَ فَوَاجِيهَا
 وَإِذْ يَعْتَرِوْا ابْنَ بَكْرِ رَاحَ بَاغَتُهُ بِضَرْبَةٍ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مُشْنِيهَا
 وَضَجَّتِ النَّاسُ فِي الْأَنْسُطَاطِ ضَجَّتِهَا لِفَعْلَةٍ جَلَّتْ جَلًّا خَوَافِهَا
 وَمَاتَ خَارِجَةٌ مِنْ جَرْحِهِ غَدَهُ ضَحِيَّةٌ مَا أُرِيدَتْ مِنْ مُضْجِعِهَا
 وَيَلُ أَمَةٍ كَيْفَ لَمْ يَعْرِفْ حَقِيقَةَ مَنْ قَدْ رَامَ قَتْلَهُ مَا أَفْكَ يَنْوِيهَا
 أَمَا رَأَى عَمْرُو يَوْمًا فِي الصَّلَاةِ وَلَا فِي السُّوقِ أَوْ سُبُلِ الْأَنْسُطَاطِ يَعْمِيهَا
 أَمَا تَبَيَّنَ مَنْ يَنْبِي إِيمَاتَهُ قَبْلًا لِيَأْمَنَ فِي إِجْرَامِهِ أَلَسِيهَا
 إِنِّي أَشْكُكَ فِي هَذِي الْحَوَادِثِ مَا أَظُنُّ عَمْرًا بِمِيدَأٍ عَنْ مَنَاجِيهَا
 لَكِنَّ عَمْرًا لَقَدْ أَرْدَى لِسَاعَتِهِ أَلَسَمِعْتُوهُ أَرْسَلَهُ لِلنَّارِ يَصْلِيهَا
 لَوْلَا أَلَدَّهَا مَا نَجَا عَمْرُو بِمَهْجَتِهِ مِنْ الْمَنِيَّةِ يَا سُبْحَانَ مُنْجِيهَا

(١) في آخر ذلك اليوم الأسود أيضاً أي يوم الجمعة ١٧ رمضان سنة ٤٠ للهجرة مرض عمرو بن العاص أو غمارس « الله اعلم بالحقيقة » قالوا اشكى بطنه فأمر خارجه من أبي حية وكان صاحب شرطته وهو من بني حاسم بن لؤي يخرج ليصلي بالناس فشد عليه عمرو بن بكر بيده فضربه فقتله وهجم الناس على قتله واستاقوه إلى عمرو بن العاص ومرضه بقتله في الحال قتال امهاني وعندي خير يسرك قال وما هو؟ قال ان اخا لي قتل الساعة علياً بن أبي طالب في الكوفة . قال لعله عجز عن قتله قال انسى قتلي اذن وهذا عجز عن قتله أمفي أنا واقتله قال بل امتلك الساعة وأمر بقتله فقتل . ثم ان عمرو بن الناس زار خارجه وهو يختصر فطبت خاطره وهو ضجته وقال أرادني القاتل والله لم يرد . فقال خارجه ولكي كت بديك وبلاسم الله

وصية أمير المؤمنين للحسين

سَلَامَةُ الْمُرْتَضَى هَمَّتْ صَحَابَتُهُ فِيهَا السَّلَامَةُ مِنْ دَهْرِ يُنَاوِيهَا (١)
كَذَلِكَ هَمَّتْ جُمُوعُ الْمُسْلِمِينَ وَفِيهَا لِلْخِلَافَةِ صَوْنٌ مِنْ أَعَادَتِهَا
وَعَمْرُكَ اللَّهُ قَدْ كَانَتْ جِرَاحُهُ فِي قَلْبِ كُلِّ قَعِيٍّ مِنْ أَهْلِهَا
ضَاقَتْ لَهَا الْكُوفَةُ الرَّحْبَاءُ بِسَاكِنِهَا وَالْعُزْنُ حَيْمٌ فِي ضَائِفِ مَغَانِيهَا
وَبَاتَتْ النَّاسُ فِي هَمٍّ وَفِي جَزَعٍ عَلَى الْخَلِيفَةِ مَا مَنَّ تَحْزِينُهَا
وَأَصْبَحَتْ بِجَوَاهِهَا تَسْنِينَ نَبَا عَيْنَيْهَا الْمُفْتَدَى وَالْخَوْفُ قَاشِيهَا
وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُبْرِئِي الْوَصِيَّ مِنَ الْجِرَاحَةِ الْمُشْتَكِي مِنْهَا وَيُبْرِئَهَا
وَعَادَتِ الطُّسُ الْخُذَّاقُ خَيْرَ شَيْءٍ تَرْجِيهِ بُرْءُهُ وَالطُّبُّ مُعِينُهَا
وَكَانَ يَحْدُقُ تَطْلِيْبَ الْجُرُوحِ أَفْئِسُّ فِي مَوَاهِيهِ الشَّيْءُ يُدَاوِيهَا
وَإِذْ تَكْشَفُ جِرْحُ الْمُرْتَضَى وَرَأَى قَدْ سَمَّ نَادَى : فَلَا رَجْوَى لِرَاجِيهَا
وَقَالَ : فَأَعِدْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلَاءً وَنِي التَّهْوُدَ الَّتِي تَرْضِيكَ تُجْزِيهَا
فَإِنَّ سَيْفَ عَدُوِّ اللَّهِ وَاصِلٌ أَمِ الرَّأْسِ قَدْ كَانَ يَا لِلَّهِ مَذْمِيهَا
فَلَمْ يَخَفْ مِنْ أَخَافِ الْمَوْتِ مَوْتَهُ لَكِنْ بِهَا نَفْسُهُ أَمْنِي بِمُسْنِيهَا
وَقَالَ فِي يَوْمِهِ مَا كَانَ قَائِلُهُ فِي الْأُمْسِ قَالَ : أَحِبَّابِي أَوَافِيهَا
فَقَالَ يَجْتَدِبُ : أَمَرْنَا نَطْعَكَ وَنَزَّ جُوْ أَنْ تَعِيشَ لِقَوْمٍ أَنْتَ هَادِيهَا
فَهَلْ لِأَمْرِكَ إِنْ حُمِّ الْقَضَا حَسَنٌ وَهَلْ لَهُ الْبَيْعَةُ الْكُبْرَى نُودِيهَا

(١) عند ما قتل سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله إلى داره وهو مريح دعوا لبيادته ابناء الكوفة فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أمير بن عمرو بن هاني السكوني وكان مطيعاً صاحب كرمي صالح الجراحات وكان من الاربعين غلاماً الذي كان ابن الوليد اصاحه في عين التمر فبصره فلما نظر أمير إلى جرح أمير المؤمنين دعا برثة شاة حلوة واستخرج منها مرةً ادخله في الجرح ثم وضعه ثم استخرجه واذا عليه يياض الدماغ فقال يا أمير المؤمنين اعبدك من عدو الله قد وصلت خبرته إلى أمه رأسك . قسم عليه صلوات الله بسم من يبرأ بالموت وقال الحمد لله ذني ذاهب إلى احباب طيبي وهكذا لم يخف من النية من اخلاقها وتقدم منه جندب بن عبد الله فقال : ان فقدانك ولا تفقدك فتبايع الحسن فقال عليه صلوات الله ذلك حق المسلمين فلا أسرك ولا انهاركم ام ابصر

قَالَ: ذَلِكَ حَقُّ الْمُسْلِمِينَ فَلَنْ رَأَوْهُ أَهْلًا لَهَا رَأَوْا مُبِينَهَا
 ثُمَّ أَجَالَ بَيْنَ حَوَالِهِ نَظْرَةً تَوَّ دَبَعَ بِعَيْنِ أَيْتُمُ الْجَرْحِ مُطْبِعَهَا
 وَشَافَهُ الْحَسَنَيْنِ الطَّاهِرَيْنِ بِمَا فِي نَفْسِهِ مِنْ وَصَايَا رَاحِ تَالِبِهَا
 فَقَالَ: أَوْصِيكُمْ يَا صَاحِبِي بِتَقْوَى اللَّهِ هِيَ أَسْمَاها مِنْ مَوْصِيهَا
 وَإِنْ دُنِيََا كُنَّا لَا تَبْغِيَا وَلَكِنْ بَغْتَكُمْ فَهِيَ لَا تَصْفُو لِيَاغِبَهَا
 وَمَا زَوَتْ عَنْكُمْ مِنْ زُهُورِ خُرْفَتِهَا عَلَيْهِ لَا تَأْسَفَا بَلْ وَأَزْهَدَا فِيهَا
 وَالْحَقُّ قَوْلَاهُ جَهْرًا فَهُوَ حِفْظُكُمْ عَلَى الْأَعَادِي الَّتِي تَبْغِي الْتَرَارِيهَا
 أَلَا أَعْمَلَا لِنَوَالِ الْأَجْرِ جَهْدُكُمْ أَعْدَالُ بَرٍّ إِلَهُ الْعَرْشِ يُجْزِيهَا
 وَنَاصِرًا كُلِّ مَظْلُومٍ شَكَوًا عَلَى الظَّلَامِ كُونَا وَكُونَا عَوْنًا شَاكِهَا
 أَوْصِيكُمْ وَجَمِيعَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ الْأَنْجَابِ وَالْعِزَّةِ الْمُسَوِّدِ نَاشِيهَا
 وَمَنْ إِلَيْهِ أَنْتَهَى هَذَا الْمَقَالُ بِتَقْوَى اللَّهِ إِلَهِي بِمَا أَوْصِي أَتْبِئَهَا
 أُمُورُكُمْ فَظَنُّوْهَا فَالْإِظَامُ عَلَى مَا تَشْتَهُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ يُعْشِيهَا
 وَأَصْلِحُوا بِصَفَاءِ ذَاتِ يَنْبِكُمْ لِأَشْيَاءِ النَّاسِ أَجْدَى مِنْ تَصَافِيهَا
 فَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ جَدُّكُمْ يَقُولُ قَوْلَهُ حَقٌّ لَسْتُ أَرْوِيهَا
 إِنَّ الصَّلَاحَ لَذَاتُ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ صَوْمٍ وَخَيْرُ صَلَاةٍ مِنْ مَصْلِيهَا
 اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ لَا تَدْعُو هَاتَشْتَكِي وَأَزْهَبُوا الْبَارِي مُشْكِبَهَا
 أَفْوَاهُهَا لَا تَتَّبِعُوا فِي الطَّعَامِ وَلَا تَضِيعُ مَعَكُمْ فَمَا أَشَقَى مُضِيْعِيهَا
 اللَّهُ اللَّهُ فِي حَبْرَانِكُمْ فَلَهَا حَقٌّ أَوَّلًا وَأَصْفَا كُونُوا مَوْقَرَهَا

ثمَّ أَجَالَ سَيِّدَنَا عَلِيٍّ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ حَوَالِهِ وَفِيهِمُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَمُحَمَّدٌ مِنَ الْحَفِيَّةِ
 وَخَاصَّةُ اصْحَابِهِ وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ نَظْرَةً وَدَاعٍ وَقَالَ غَاطِبًا الْحَسَنَيْنِ بِلَاغٍ مُتَقَطِعٍ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ»
 وَإِنْ لَا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ سَمَكُمَا ، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زَوْيَ عَنَّا ، وَقَوْلَا الْحَقَّ ، وَأَعْمَلَا لِالْأَجْرِ ،
 وَكُونَا لِلْعَالَمِ خَصْمًا ، وَالْمَظْلُومِ عَوْنًا ، أَوْصِيكُمْ وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي ، وَمَنْ لِيهِ قَوْلِي هَذَا ، بِتَقْوَى
 اللَّهِ ، وَنَظْمِ أَسْرَمِكُمْ ، وَصَلَاحِ ذَاتِ يَنْبِكُمْ ، فَإِنِ سَمِعْتُ جَدُّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : إِصْلَاحُ
 ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَّامِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ ، فَلَاتَضِعُوا أَفْوَاهَكُمْ ، وَلَا يَضِعُوا
 بِحَضْرَتِكُمْ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي حَبْرَانِكُمْ ، فَاسْمِعُوا وَصِيَّةَ نَبِيِّكُمْ ، مَا زَالِ يَوْمِي بِهِمْ ، حَقٌّ فُتْنَا أَنَّهُ

مَا زَالَ يُؤْمِنُ بِهَا الْهَادِي نَبِيِّكُمْ
 اللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ فَاحْفَظُوا
 لَا تَتْرَكُوا غَيْرَكُمْ يَأْقُومُ سَبْقُكُمْ
 اللَّهُ اللَّهُ فِي خَيْرِ الصَّلَاةِ فَرُّوْهُ
 فَهِيَ الْعَمُودُ الَّذِي شَدَّتْ خَيْفَتُكُمْ
 اللَّهُ اللَّهُ فِي يَتِّبِ الْأَوَّلِ فَأَمْوُهُ حَاجِبًا يَنَالُ الْفَقْرَ سَاعِيَهَا
 وَلَا تُخْلَوْهُ مَا عَشْتُمْ قَدْرَكَهُ نُسُورُهُ السَّمْعَةُ الْوَضَاءُ تَشْوِيَهَا
 اللَّهُ اللَّهُ فِي حُسْنِ الْجَادِ لِسُبُلِ اللَّهِ حَتَّى تُنْقَى مِنْ خَوَاشِيهَا
 فَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرُهَا دِ بِالْقَوْمِ فَمَا أَسْنَى تَقَادِرَهَا
 كَذِبًا بِالسِّبْكِ يَسُو الْجَهَادُ وَيَالَا م مَوَالٍ يُنْقِهَا فِي الْخَيْرِ قَانِيَهَا
 وَوَاوَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا مُوَاصِلَةً حَسَنًا الْقُلُوبُ بِهَا يَسُو نَصَافِيَهَا
 وَأَكْثَرُوا مِنْ هَذَا يَا كُمْ فَإِنْ ذَوِي الْأَمْ رَحَامٍ يُشْفِيهَا وَدَا مَهَادِيَهَا
 وَحَادِرُوا وَاجِدْكُمْ شَرَّ التَّدَابِيرِ وَالسَّقَاطِ الْمَوْرُثِ الْفَلْيَا تَدَاعِيَهَا
 لَا تَتْرَكُوا إِلَّا مَرَّ بِالْمَعْرُوفِ فَهَوَلَكُمْ شَرُّ وَأَسْوَأُهُ تُخْشَى عَوَاشِيَهَا
 يَذِينَ لَا يَقُولُ كُمْ شَرَارُكُمْ وَنَكْبَةُ النَّاسِ تُذْهِى مِنْ تَوَاشِيَهَا
 وَإِنْ تَهَاوَنْتُمْ عَنْهَا فَذَعُونَكُمْ لَا يُسْتَجَابُ وَلَا يُصْنَى لِذَاعِيَهَا
 لَا تُفِينَكُمْ يَا آلَ مُطَلَبٍ بَعْدِي وَقَدْ بَلَغَتْ رُوحِي تَوَاقِيَهَا
 سَتَفِيكُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ لِأَخِيذِ النَّارِ لِي سَفَكَةً مَا كُنْتُ رَاضِيَهَا
 سَتَلَاوَنَ أَلْفَا لَا عَلَى بَصِيحَتِكُمْ لِقَتْلِي صِيحَةً قَدْ بُتْ حَاشِيَهَا

سَيُورِجُهُم ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ، لَا يَسْتَقِمُ بِالْمَلِكِ بِغَيْرِكُمْ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ ، فَانْهَاهُمْ وَدِينَكُمْ ،
 اللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِكُمْ ، لَا تَخْلَوْهُ مَا جَبْتُمْ ، فَتَنْهَى أَنْ تَرَكَ لَمْ تَنْظَرُوا ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ
 وَاتَّقِسْكُمْ ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَّاصِلِ وَالتَّبَاضُلِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابِيرِ وَالتَّقَاطُعِ ، لَا
 تَتْرَكُوا إِلَّا مَرَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّبِيَّ عَنْ الْمَذْكَرِ ، فَيُؤْتِي عَلَيْكُمْ إِثْرًا لَكُمْ ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ ،
 أَمْ . قُلْ هَذَا سَيِّدُنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَكَتَبَ قَبْلًا مَعَهُ عَيْنِيهِ قَبْلًا ثُمَّ قَتَلَهَا وَقَالَ : « يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَلَبِ ،

فَلَيْسَ يَقْتُلُ إِلَّا قَاتِلِي نَصَا
فَإِنْ أَنَا مِتُّ مِنْ تَأْثِيرِ ضَرْبِي
وَلَا يُعْتَلُّ قَطْعًا بِأَبْنِ مُلْجَمٍ
وَكَانَ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ يُنْزِلُهَا
وَلَمْ يَكَدْ يَنْتَهِي مِنْهَا وَزَفَرُهُ
حَتَّى تَلَّشَتْ قِوَاهُ فَوْقَ مَقَرِّهِ
وَنَفْسُهُ انْصَرَفَتْ لِلَّهِ خَالِقِهَا
كَانَتْ تُنَاجِي رَسُولَ اللَّهِ شَيْقَةً
وَحَوْلَهَا مَعَشَرُ الْأَمْلَاقِ قَائِمَةٌ

وفاه أمير المؤمنين وسأؤه

فِي لَيْلَةٍ أَلَا حَذَرَ الْمَشْهُومِ طَالِعُهَا
حُمٌّ أَقْضَاوَتِي النَّاعِي أَلْهَدَى وَمَضَى
وَسَاوَرَا النَّاسَ حَزَنٌ مَا بِهِ شَعَرَتْ
خُطْبُ أَلَمْ يَأْهَلِ الْأَرْضُ إِذْ خَسِرَتْ
وَأَوْرَثَ الْحَزْنَ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ مَدَى الْأَجْيَالِ مَا أَنْ يُلَاشِي أَوْ يَلَاشِيهَا
لِيُثْلِقَ خُلُقَ الْأَمْعِ السَّخِينُ بِأَغْسَبِ الْأَوْرَى فَهُوَ هَامٍ مِنْ مَا قَبِهَا

لَا لَيْسَكُمْ تَخَوُّنٌ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ غَوْضًا ، تقولون قتل أمير المؤمنين ، قتل أمير المؤمنين ، ألا لا يتقن
بي الأ قاتلي ، انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه ، فاضربوه ضربةً بضربتي ، لا تمثّلوا بالرجل
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (ياكم والمثله ولو بالكلب المقور) « آه ثم اغمض
سيدنا علي عيني وظلّت قواه وأخذ لسانه يتألّج بالاذكار والحمد وقسه منتخلة بمناجيرها ورسوله
والملائكة حولها ترحب بملقاتها

(١) جرح سيدنا علي عليه صلوات الله في صباح يوم الجمعة وظلّ جرحاً يمانيه غصات الموت
الى ليلة الاحد حيث راحت نفسه الى خالقتها راضيةً مرضيةً فأضمت الى محبها في جنان النعم حيث الابرار
والصالحون ولقيا المصطفى وفاطمة بعد طول التراق واصبحت حول العرش الاسنى عرش الله تسبح
ذاته القدسية مع المسبحين وكانت فرحة في السماء لا يبادلها الجزع الذي همّ المسلمين عند ما نسي
الائمة لهم خير الخلائق اجمعين بعد سيد المرسلين عليهما الصلاة والسلام

تَبَكَّى عَلَى أُمِّهِ قَدْ ضَاعَ مُرُودُهَا وَدَوْلَةٌ عَنْ حِمَاها غَابَ حَامِيهَا
 وَرَمَلَةٌ قَعِدَتْ قَدْ أَمُتَتْهَا وَغُرَّةٌ خَسِرَتْ خُسْرًا مُوَسِّسَهَا
 مَنْ لِلْحَنِيفَةِ مِنْ بَعْدِ الْوَحْيِ فِيهَا حَقًّا حَسْبًا قَدْ شَاءَ مُؤَجِّبَهَا
 مَنْ لِلشَّرِيفَةِ مِنْ بَعْدِ الْفَقِيهِ إِذَا اسْتَفْتَتْهُ أُمُّهَا بِالْهَدْيِ يُفْتِيهَا
 مَنْ لِلْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِ الْخَلِيفَةِ يَرَى عَى عَهْدَ مُسْلِمٍ عَدْلًا وَذَمِّهَا
 مَنْ لِلْعَدَالَةِ مِنْ بَعْدِ الْأَمِينِ يُسَا وَيُنَاسِ فِي الشَّرْعِ سَفْلِيهَا وَعُلْوِيهَا
 مَنْ لِلْعَمَامَةِ مِنْ بَعْدِ الْكَمِيِّ إِذَا مَا دَوْلَةُ الَّذِينَ فَاجَنَهَا أَعَادِيهَا
 مَنْ لِلْحَوَادِثِ مِنْ بَعْدِ الْخَيْرِ بِهَا وَإِنَّمَا بِضَمِيرِ الدَّهْرِ يَحْكُمُهَا
 مَنْ لِلْخِطَابَةِ مِنْ بَعْدِ الْخَطِيبِ إِذَا رَأَى الثَّقَاةَ أَهْبَدًا مِنْ مَفَاهِيهَا
 مَنْ لِلْبَلَاغَةِ مِنْ بَعْدِ الْبَلِغِ وَأَيَاتُ الْبَلَاغَةِ قَدْ وَلَّى مُوَشِّسَهَا
 مَنْ لِلْمَوَاهِبِ مِنْ بَعْدِ الْجَوَادِ إِذَا وَافَتْ عَوَافِدَ الْإِحْسَانِ يُفْنِيهَا
 فِي ذِمَّةِ اللَّهِ صِهْرَ الْمُصْطَفَى وَأَخَا هُوَ إِنَّهُ نَازِلُ الْجَنَاتِ أَوْنَهَا
 وَالْمُصْطَفَى يَتَلَقَّاهُ بِفَرْحَةٍ مُشْتَقٍ لَطْفُهُ الزُّهْرَا يُحَيِّيَهَا
 بِهِ يَسِيرُ لَتَسْبِيحِ الْمُتَّهَمِينَ وَالْأَمَلِ مَلَأَكَ حَوْلُهَا تَشْدُو أَعَانِيهَا
 وَفِي السَّمَاءِ قُومُ الْأَصَالِحِينَ نَلَا فِي الْمُرْتَضَى وَبِهِ عَمَّتْ تَهَانِيهَا
 يَنْتَ الْبَرِيَّةُ تَبْكِيهِ وَقَدْ قَعِدَتْ بَعْدَ الرَّسُولِ بِهِ أَسَى ذَرَارِيهَا
 إِذَا الْمَلَائِكَةُ الْأَبْرَارُ مُبَشِّرَةٌ وَقَدْ أَتَاهَا وَأَثْوَى فِي عَلَالِيهَا

« ترجمة سيدنا علي »

لقد سرَّ معنا ترجمة سيدنا علي عليه صلوات الله في هذه الملوية المباركة اسباباً فقد ذكر
 هنا منها ما لم نَرِ موضعاً لذكره من قبل فنقول
 ان نسيبه الشريف هو نفس نسب المصطفى عليهما الصلاة والسلام كلاهما قرنا دوحه واحده في اعالمها
 ومولدهم ونشأته وامله الباهره ذكرناها كلها . ولما أزواجه فانه عليه صلوات الله لم يتزوج على سيدتنا
 فاطمة الزهراء في حياتها وصرَّ مما اتها ولدت له سيدنا الحسن وسيدنا الحسين وسيدنا عمن وهذا
 لم يشي وولدت له ايضاً زينب الكبرى وام كلثوم الكبرى . وبعد وقتها تزوج عليه صلوات الله
 ام البنين بنت حرام الكلبيه فولدت له العباس وجعفر وعبد الله وعثمان وعاشوا وشبوا وقلوا مع
 سيد الشهداء سيدنا الحسين عليه السلام في الطف بكرة بلاء ولم يفلوا نللاً الا العباس فقد

فَدَىٰ آلَ الْمُؤْمِنِينَ فَنُومِ الْإِنْسَانِ أَجْمَعِمْ وَنَفْسُهُ مَا نُومُوا الْإِنْسَانِ تَجَزِيهَا
 نَفْسٌ مَطْمَئِنَّةٌ قَدْ نُورَتْ بِنُورِ الْقُرْآنِ وَاللَّهُ بِأَلْفَامٍ مُّسْتَنِهَا
 تَرَفَّتْ عَنْ دُنْيَا الْآرِضِ جَمَلَتِهَا وَلِلْمَلَائِكَةِ حَاكَّتْ فِي تَمَالِيهَا
 لِذَلِكَ قَدْ أَكْثَرَ الْإِنْسَانُ أَلَدَاءَ لَهَا إِذْ لَمْ تَكُنْ بِسَجَائِهَا تُحَاكِمُهَا
 وَأَتَقَبَّسَهَا أَلْيَابِي وَهِيَ ظَالِمَةٌ وَلَمْ تَزَلْ بِمَسَاوِينِهَا تُنَاجِحُهَا
 فَلَمْ تَجِدْ دُونَهَا إِلَّا مُقَارَعَهَا وَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهَا إِلَّا دَوَاهِيَهَا
 وَأَفْجَعَةُ الَّذِينَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَأَهْلُوهُ نُشْرُهُ طَوْلُ الْخَيْرِ تَأْوِينُهَا
 وَإِلَهُهُمْ مَعَهُ وَاللَّهُ قَدْ قَدَّرُوا رُوحَ الشَّرِيعَةِ فَأَعْتَصَمَتْ مَعَانِيهَا
 وَبَعْدَهُ ذَكَرُوا شَجْرًا مَقَالَتُهُ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَنْفِي تَنَاسُطِهَا
 يَقُولُ: هِيَ أَسْتَلُونِي فِي شَرِيعَتِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدَرُنِي يَا أَهْلَ لَيْلَى
 بِلِي قَدِّمَاتِ مَفْنِي الشَّرْعِ وَأَنْظِلْنَا أَلْسُنُورًا لَوِي بِكُشْفِ الْأَضْلَالِ وَاللَّيْسِهَا
 وَمَاتَ مِنْ عُمَرُ فِيهِ شَهَادَتُهُ قَدْ أَصْبَحَتْ مَثَلًا يَذَلُّوهُ رَاوِيهَا
 لَوْلَا أَعْلَى لَلَأَقَى هُلُكُهُ عُمَرُ وَبَاتَ فِي النَّارِ تَشْوِيهِ لَوَاطِئِهَا
 وَكَانَ يَسْتَعِي إِلَى ذَارِ الْوَمِيِّ لَيْسَ تَفْنِي الْفِتَاوَى وَمَا إِلَاهٌ قَاتِنُهَا
 أَجَلٌ وَقَدْ قَدَّ الْأِسْلَامُ مُنْجِعًا إِنْ الْخِلَافَةَ فَانْهَارَتْ مَبَانِيهَا
 وَأَصْبَحَتْ بَعْدَهُ تَالَهُ دَوْلَتُهُ مُلْكًا عَصُوصًا يُجَافِي مِنْ مُجِيبِهَا

تزوج ليلى بنت مسود بن خالد التميمية فولدت له عبيدة وأبا بكر قلام سيدنا الحسين
 أيضاً وقيل ان عبيدة بن العباس بن علي قتل المختار بالنار وقيل لا بقية لها . وتزوج عليه صلوات
 الله اسماء بنت عيسى الخثعمية فولدت له محمداً الأصغر ويحيى ولا عقب لهما وقيل أن محمداً لم
 ولد وقتل مع سيدنا الحسين . وتزوج عليه صلوات الله الصبياء بنت ربيعة التغلبية وهي من السبي الذين
 أغار عليهم خالد بن الوليد بين الحمر وولدت له عمر بن علي ورقية بنت علي وعمر عمر هذا حتى بلغ
 خمسا وعشرين سنة لحاز نصف ميراث علي ومات يونس . وتزوج عليه صلوات الله امامة بنت أبي
 العاص بن الربيع بن عبد الزمى بن عبد شمس وامها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله
 فولدت له محمداً الأوسط . وتزوج عليه صلوات الله خولة بنت جعفر من بني حنيفة فولدت له محمد الأكبر
 وهو المعروف بابن الحنفية وكان يحبه كثيراً ويوم مصرعه اوصى به خصيماً للحسين عليها السلام
 واوصاه بطاعتها قال الرازي « فطر علي الى محمد بن الحنفية (بعد ان اوصى الحسين وصيته التي

وَمَا خَرُوبٌ عَلَيَّ مَعَ مَتَاعِهِ
إِنَّ الْخِلَافَةَ تَبْكِي بِاعْبَادِهِ
تَبْكِي عَلَى صِنُوطِهِ فِي قَدَاسِهِ
تَبْكِي عَلَى صِنُوطِهِ فِي نَبَاهِهِ
تَبْكِي عَلَى صِنُوطِهِ فِي وَجَاهِهِ
تَبْكِي عَلَى صِنُوطِهِ فِي فِقَاهِهِ
تَبْكِي عَلَى صِنُوطِهِ فِي ذِكَاثِهِ
تَبْكِي عَلَى صِنُوطِهِ فِي تَجَادِيهِ
تَبْكِي عَلَى صِنُوطِهِ فِي سَخَاوَتِهِ
تَبْكِي وَسَوْفَ تَنْظُرُ اللَّهْرُ بِأَكْبَرِهِ
هِيَ الْخِلَافَةُ حَقُّ الْأَرْبِ دُونَ سِوَا
مِنْ آلِ أَحْمَدَ مِنْ نَيْبِ النَّبِيِّ مِنْ
وَالْمُرْتَضَى عَاشَ شَقِيئاً لِرِزْنِهَا
إِلَيْهِ آتَى مُلْجَمٌ يَأْشُرُ الْخَلِيفَةَ قَدْ

إِلَّا لَبَقِيَ عَلَى تَسْيِيقِ مُنْشِيهَا
مُصْنِيهَا بِقَاءِ مِنْ مُهْدِيهَا
خَلَا النَّبُوءَ تَبْكِي وَتَبْكِيهَا
خَلَا النَّبُوءَ تَنْعِيهِ وَتَنْعِيهَا
خَلَا النَّبُوءَ بِزِ النَّاسِ تَوْجِيهَا
خَلَا النَّبُوءَ فَاقِ النَّاسِ تَقْقِيهَا
خَلَا النَّبُوءَ مَا خَابَتْ مَرَامِيهَا
خَلَا النَّبُوءَ تَرْزِيهِ وَتَرْزِيهَا
خَلَا النَّبُوءَ مَا أَهْنَى هَوَامِيهَا
حَتَّى تَعُودَ بَاتِنَهَا لِمَا ضَمِيهَا
هَا لَا يَقُومُ بِهَا إِلَّا قُرَيْشِيهَا
صُلْبِ الْعَلِيِّ بِهِ تُلْفِي تَمْنِيهَا
وَكَانَ يَالَا مَسَى أَعْلَى أَضَاحِيهَا
وُجِدَتْ فِي هَاتِهِ الدُّنْيَا لِتُؤْذِيهَا

سبق لنا ذكرها () وقال : هل حفظت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم قال : فاني أوصيك به
وأوصيك بتوفير أخويك العظيم حتما عليك وتزيب أمرها ولا تقطع أسراً دونها . ثم أرسل نظره
إلى الحسين وقال : أوصيكما به منه أخوكا وابن أيكما وقد علمنا أن لباكا كان يحبه . آه .
وتزوج عليه صلوات الله سعدة ابنة عروة بن مسعود الثقفية فولدت أم الحسين ورملة الكبرى وأم
كلثوم . وكان له عليه صلوات الله بنات من أمهات شتى لم يذكرن لنا منهن أم هانئ وميمونة وزينب
الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وإمامة وخديجة وأم السكرام وأم سلمة وأم
جنانة وثقيبة كلهن من أمهات اولاد . فجميع ولده أربعة عشر ذكراً وسبع عشر امرأة وكان
النسل منهم للحسين والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس بن الحنفية وعمر بن النخيلة
أما صورته عليه صلوات الله كما وصفه الذين أسددهم الخط فقتلوا برويته ومما ذكرته فهي
أنه كان ربة القوام ، أدهج العينين ، كان وجهه القمر ليل البدر حسنة ، ضخمة البطن ، عريض
المسرة ، شدة الكفيرة ، ضخم الكسور ، كان عنقه أبيض فضة ، أصل الرأس من خلفه شدة الخفيف ،
لمسكه مشاش كشاش الأسد ، إذا منى تكلفاً وماد به جسده ، ولطهره سنام كسنام الثور لا يبين
عضده من ساعده قد ادججا ادماجاً ، لم يمسك بذراع رجل قط إلا أمسك بنفسه فلم يستطع أن

يَا لَيْتَ أَمَكُ لَا كَانَتْ وَلَا وَلَدَتْ أَفَنِي قَحْ سَمُومًا فِي تَحَوْنَهَا
عَلَيْكَ لَعْنَةُ رَبِّي مَعَ مَلَائِكِهِ مَعَ الْبَرِيَّةِ فَإِنِهَا وَنَاشِيهَا
فَجَعَتْ أُمَّ طَهَ بِالْوَحْيِ فَلَا تَفْكَ لِحَشْرِ حَرَى فِي تَعَارِيهَا
فَلْ جَزَاءُكَ نَارًا لَا أَنْفَاءَ لَهَا وَسَبَّةً الْأَبْدِ الْمَلْعُونُ فَإِنِهَا

غسل أمير المؤمنين ودفنه

مَا اسْتَأْثَرَتْ رَحْمَةُ الْبَارِي بِمُحَمَّدٍ وَغُصْبَةِ الْخُلْدِ قَدْ أَمْسَى مُوَافِيهَا (١)
حَتَّى أَنْبَرَى حَسَنٌ حَالًا لِنَسْلَتِهِ بِنَفْسِهِ وَأَلِيمٌ أَلْخَطِبُ مُشْجِيهَا

بنفسه ، ولونه ابيض يميل الى شيء من السمرة ، وهو اقنى الألف ، اذا مضى للحرب هرولا ، وكانت عيناه السوداوان تبدقان ذكاء ، فاذا سدهما بالناس ادخلتا على قلوبهم الرهبة ، وكان آية من آيات الذكاء اذا حدث تدفق كالبحر الداخل ، وقصيح اللسان اذا خطب غلب الالباب ، وجاء بقصص الخطاب ، وكان عظيم اللحية ، كثير شعر الصدر ، وكان شعره اسود ذا لسان ، ثم أراه الشيب ، وكان يمس على مبياع على بساطه ، فقرأ عليه صلوات الله يتربع على وسادته الحشنة ، في اطلاله الرقة ، فاذا الهية والجلال يشيانه ، وزهده يزخرل الدنيا يزيد رقة وجلالا . هذا ما نجمله من صورته السنية وسأني على صفاته وعلومه وفضائله بهاء فيها يجي ان شاء الله تعالى أما مدة خلافته عليه صلوات الله فقد راينا انه ببيع بالخلافة يوم مقتل عثمان في المدينة المنورة وكان مقتله عليه صلوات الله في الكوفة يوم ١٧ رمضان سنة ٤٠ للهجرة وله من العمر ٦٤ سنة (١) توفي سيدنا علي عليه صلوات الله ليلة الأحد ١٩ رمضان سنة ٤٠ للهجرة وقام بالفضل سيدنا الحسن وسيدنا الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس وكفئوه في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص ثم خرجوا به ليلا من منزله حتى مروا به على منزل الاشعث بن قيس ثم خرجوا به الى الظفر بجبب الغري حيث واروه القى وهو القبر الذي اصبح يد اليتامى في مكة المكرمة والروضة النبوية في المدينة المنورة مقصد الناس يزورونه ويتبركون به فينالهم ثواب الآخرة وسعادة الدنيا

« تاريخ الكوفة »

الكوفة بالقلم هو المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسمى قوم خد الغدراء وسميت الكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب للريلة المستديرة كوفانا يضم الكاف وقصها . وقيل غير ذلك وقيل سميت الكوفة لاجتماع الناس بها من قلوبهم قد تكوّن الرمل اذا اجتمع بضه لبعض . وهذا البلد يقع في طول درجة ٦٩ ونصف وعرض درجة ٣١ وثلثين . وكان تحصر الكوفة مع البصرة سنة ١٦ للهجرة على عهد عمر وذلك ان سمداً بن أبي وقاص لما فرغ من وقعة رسم بالقادسية وضمن أرباب القرى ما عليهم ونظم شؤونهم توجه نحو مدائن كسرى الى يزدجر قدم لحربه هناك خالد بن عرطة حليف بني رهرة من كلاب فلم يقدر عليه حتى فتح خالد بن الوليد سايط ثم توجه الى المدائن فلم يجد مهابر فقلوه على مخاضة عند قرية الصياد من أسفل المدائن فمير منها بجيلة وهرب يزدجر الى اصطخر فأخذ خالد كربلاء عنوة وسبي أهلها فتمسها سعد بين اصحابه ونزل

وَكَانَ مَعَهُ حُسَيْنٌ وَالْحَمْدُ وَالسُّمُّهُمُ أَنْبَى عَبَّاسٍ كَانُوا عَوْنَهُ فِينَهَا
وَكَفَنُوهُ بِأَكْفَانٍ مُثَلَّثَةٍ وَبِاللَّهُمَّوعِ الْيَتِي تَهْنِي هَوَامِينَهَا
وَفِي دُجَى اللَّيْلِ قَدْ سَارُوا بِحُجَّتِهِ وَنُورُ خَالِقِيهَا الْأَسْنَى مُغْشِيهَا
إِلَى الْغَرَى بِجِوَارِ الظُّهْرِ إِذْ حُفِرَتْ لَهَا حَفِيرَةٌ تَمْجِيدُ تَأْوِينَهَا

كل قوم في الناحية التي خرج منهم فيها فكنوها. وكتب سعد بما كان الى عمر بن الخطاب فكتب
اليه عمر ان حول الناس نحوهم الى سوق حكمة وقال الى كوفة ابن عمرو وما في ذلك الجوار فقتلوا
فكتب اليه ان العرب لا يصلحها من البلدان الا ما أصحح الشاة والبعر فلا تجل بيني وبينهم بحراً
وعليك بالرف فلما بلغ سعد كتاب عمر سأل من حوله عن الرف فقال له ابن بيلة اني لا ذلك على
أرض انحدرت عن القلاء وفيها خصب كثير هي سورستان فسار اليها سعد وحسن في عينه ففرب
فيها خيام جندته وهي الكوفة المروية الى اليوم واثار بناء دار له فيها فكانت اول دورها وعرفت
بدول سعد وكتب بذلك الى عمر فاجابه ان اختط فيها مسجداً يسم مقاتلتكم فاختط مسجدها وكان يسم
أربعين الف رجل بجوار دولته التي اتينا على ذكرها. وكان في ظاهر الكوفة منازل للثمان بن النضر والحيرة
والنجف والمزورق والدير والقرابان وما هنالك من المنزهات والديرة الكبيرة

وأصبحت الكوفة على عهد سيدنا علي عليه صلوات الله حاضرة الخلافة الاسلامية استقرت
فيها بعد نقله على اصحاب الجبل في البصرة فازداد بذلك عمرانها ونموها وكان في ظاهرها عينان يقال
لاحداهما الربيع وللأخرى النجف تسقيان عشرين ألف نخلة وكان هنالك مسناة تمنع سيل الماء
ان يلو الكوفة ومقابرها وكانت هنالك الحدائق والبساتين وصفتها ابراهيم الموصلي في قصيدته قال:

أصفى هواء ولا أغدى من النجف	ما ان أرى الناس في سهار ولا جيل
أو عتبر دافقه المطار في صدف	كأن تزيته مسك يقوح به
فالبر في طرفه والبحر في طرف	حفت بين وبحره من جوانبها
نهر يفيض بحاري سيله التصف	وين ذلك بساتين يسبح بها
يا نيك منه برقي ووضو أنف	وما يزال نسيم من أيامه
تشفي المقيم اذا أشقى على التلف	تفكك منه قيل الصبح رائحة
اذأ شفاه من الاسقام والدق	نوحك مدنف يرجو الشفاء به

« الروضة الدلوة »

لم يتأ سيدنا الحسن واخوه سيدنا الحسين وعمد بن الحنفية وابن عمه عبد الله بن العباس ان
يدفوا سيدنا علي عليه صلوات الله في مقابر الكوفة وأقرأوا على ان يكون دفنه في موضع لا يمتدعي
اليه الا خاصة أولاده وإجابه مخافة ان ينال رفته الشرقة شيء من أذى إعدائه الكثيرين سواهم
يحي أمة الدين كان أسرهم قد استعمل بعتله أو الجوارج في العراق فدقته في ظلمة الليالي الظهر
بجانب القرى وعدوا الى الكوفة وقد انبتت نور الفجر. قالوا وزيادة في الاحتياط حفرها حفاظ
هدية احداها في المسجد السكوني واخرى برجة قصر الامارة وثالثة في حجرة من دور آل حمدة
ابن هبة المخرومي ورابعة في أصل دار عبد الله بن يزيد القسري بمهذاه باب الرواقين ما يلي قلة المسجد
وخامسة في الكناسة السادسة في الثوية . فصبح الناس صباح الاحد ٩ ربيع الثاني ووجدوا هذه

فَمَوْضِعُ النَّجْبِ الْمُسْتَبْنَى لِمَنْعِ سُبُوهِ لَ الْمَاءِ عَنْ كُوفَةٍ مَافَاضَ جَارِهَا
هُنَاكَ كَثْرَ خَسَاً خَاشِئاً حَسَنٌ عَلَى الْهَدْيِ وَهِيَ تَذَنُّوْنَ مِنْ تَوَارِئِهَا
وَبَعْدَ ذَٰلِكَ أُولَٰئِكَ النَّجْبُ الْكَرَامُ عَلَى السَّرَفَاتِ سَوَتْ وَمَا أَشْجَى تَسَوَّيْهَا
فَقَسِي فِدَى تَرْبَةٍ قَدْ غَيَّبَتْ وَطَوَتْ خَيْرَ آلَوْرَى وَلَهُ أَبَدَتْ تَحْنِيْهَا
وَأَذْمَعُ الْأَعْيُنَ الشُّكْرَى تَفِيضُ سِحَا بَاتٍ عَلَيْهَا فَسَقِيْهَا وَتَرَوْنَهَا

الحرف قد سويت ثانية وما وقوا على حقيقة موضع القبر الشريف واختافت روايتهم في ذلك اختلافاً
شدداً وما فهم من يهرب الحقيقة إلا الذين تولوا دفته حتى ادعى قوم أن جماعة من طيء وقصوا
على جل في تلك الليلة وقد أضله أصحابه يلاذهم وعليه صندوق فظنوا فيه مالا فلما رأوا ما فيه
(كذا ولهم ارادوا انهم راوا في ذلك الصندوق الجسد الشريف) خافوا أن يطلبوا به فدفنوا
الصندوق بما فيه ونحروا البعير وأكلوه وشاعت هذه الحرافة في بني أمية وشيئهم واعتقدوه حقاً
وصدقاً فقال الوليد بن عقبة من آيات يذكره عليه صلوات الله فيها
فَأَنْ يَكْ قَدْ ضَلَّ الْبَعِيرُ بِحِمْلِهِ فَكُلَّ كَانْ مَهْدِياً وَلَا كَانَ هَادِياً

وقول نحن أن أبناء الناس اعرف بقبور موتاهم لانهم هم الذين وسدوهم فيها فبالأولى
ان يكون أولاد سيدنا علي أدري الناس بقبر أبيهم العظيم واعرف وهذا القبر الذي بالنري هو
الذي كان بنو سيدنا علي عليه صلوات الله يزورونه قديماً وحديثاً ويقولون هذا قبراً يئنا لايتك أحد
في ذلك لا من الشيعة ولا من غيرهم . وقد روى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في
تاريخه المعروف بالمنتظم وفاة أبي النائم محمد بن علي بن ميمون الرسي اللقري قال : توفي أبو النائم
هذا في سنة عشرين وخمسة وثمانين وكان محدثاً من أهل الكوفة ثقة حافظاً وكان من قوائم الليل من أهل
السنة وأصحاب الحديث وغيره . وكان يقول : مات بالكوفة ثلثماية صحابي ليس قبر أحد منهم معروف
إلا قبر أمير المؤمنين سيدنا علي وهو هذا القبر الذي يزوره الناس الآن جاء جعفر بن محمد عليه السلام وابوه
محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام فزاراه ولم يكن اذ ذلك قبراً معروفاً طاهراً وإنما كان به ممالم
وأثار حتى جاءه محمد بن زيد الداعي صاحب الديلم فأطهر القبة .

وقد ذكر الحطيب أبو بكر في تاريخه أن قوماً يقولون إن هذا القبر الذي يزوره المسلمون
إلى جانب القري هو قبر المنيرة بن شعبة وقد غلطوا غلطاً يئناً في قولهم هذا أن قبر المنيرة وقبر زياد
ابنه بالثورة من أرض الكوفة ونحن نمرهما ونقل ذلك عن آبائنا واجدادنا وبنته قول أبي تمام :

صلى الله على قبره وطهره	عند الثورة يسقى قوته المور
زفت اليه قبريش نمت سيدها	فأخلى والجود فيه اليوم مقبور
أيا المنيرة والدينا مفجة	وان من غرت الدنيا لمزبور
فدكان عندك للمعروف معرفة	وكان عندك للتكوير تشكير
وكنت تقي وتطي المال من سحق	فليوم قبرك أضحي وهو ميجور
والناس بمدك قد شفت حلوههم	كأنما تفتت فيها الاطهر

وقال قطب الدين قتيب الطالبيين أبو عبد الله الحسين بن الاساسي : نحن نعرف مقابر ثمانية

تَرَىٰ فَهَلْ عَرَفْتَ تِلْكَ الْخَبِيرَةَ أَ نَ الشَّمْسَ فِيهَا اسْتَقَرَّتْ وَهِيَ تُخْفِيهِمَا
وَإِنَّهَا أَصْبَحَتْ أَرْضًا مُّقَدَّسَةً بِالْمُرْتَضَىٰ كُلِّ ذِي قُوَىٰ لَيَّا تِيهَا
وَإِنَّهَا سَتَظَلُّ الدَّهْرَ مَظْهَرُ دِينِ اللَّهِ إِذْ يَتَلَاوَنَ مَعَانِيهَا
كَذَّبَ الْبِلَادُ كَاهِلِيَهَا فَتُسَدُّهَا لَا قَدَارُ عَفْوًا بِلَا سَعْيٍ وَتُسْقِيهَا

الاقصاص منه الملعون ابمه ملجم

وَعَادَتِ الْوُلْدُ مِنْ دَفْنِ الْأَمَامِ إِلَى رَحَابِ مَسْجِدِهَا وَالْحَزَنُ غَاثِيهَا (١)
هُنَاكَ صَلَّتْ صَلَاةَ الْفَجْرِ خَاشِعَةً يَوْمَئِذٍ الْحَسَنُ الْمُبْرُورُ حَامِيهَا

الى التوبة وهي الى اليوم مرفوعة وقبر المغيرة فيها الا انها لا تعرف قد ابتلها السبخ وزبد الارض
وقوراتها قطعت واختلف بعضها بعض . وجاء في كتاب الاغاثة في ترجمة المغيرة « انه مدفون
في مقار تقيف » وامثال هذا كثير وكله مثبت بأن سيدنا علي عليه صلوات الله قد دفن في النري
في الموضع الذي فيه روضته الشرفة اليوم . وقد ظل هذا القبر الشريف مخفياً عن الناس لا يعرف
به غير آل البيت العلوي الطاهرين كل مدة حكم بني أمية وأوائل حكم الباسيين حيث كانت المنافسة
بين الباسيين والطالبيين على الخلافة شديدة مخافة أن يسيء مهيء لاجر الى تلك العربة المقدسة حتى
سنتت الفرصة لشيئت عليه صلوات الله فأقبلت بحملتها على تلك الروضة الشرفة فأقلعت لها القبر وبنت
بجوارها المسجد ثم أجتت حوالها دور الاقياء الراغبين بحجته وطلبة العلم الذين يتوسمون أن يفتح
الله على قلوبهم بمدد روحانيته وبركات جوارحه وهكذا أصبحت النجف بيوتاً لبداً كبيراً يحمل اليها الناس
من السكوفة وغيرها من أمصار العراق ويران وأصبحت اليوم تلك البقعة الشرفة وفيها من طلبة
العلم وحدهم نفوس ثلاثون ألفاً عدا المجاورين الذين تركوا ديارهم وأقبلوا على القبة الحيدرية المقدسة
رغبة المجاورة عن حب صادق وعدا الروار الكثيرين الذين باتوا هذه الثبات الباركة زرافات
ووجداناً من جهات العراق ويران واهند وغيرها من أمصار المسلمين

أما وصف الثبات الشرفة والمسجد الحيدري الذي يجابها وما دنها وقبها المكسوة بالذهب
الوهاد حتى اذا ما أشرفت عليها الشمس اسكنت أشعتها فراكها الناس من مسافة ساعتين وثلاثة وما
في المسجد والروضة من التحف الثمينة والزيات الغالية الثمن والجواهر النادرة والسجاجيد الوفيرة
التيبة فما يجز القلم عن وصفه ومما يشير الى المسكاة القدسية العلية التي له عليه صلوات الله في
قلوب المسلمين بل وكل المالكين أو ضاقت عليه بركاته وكراماته مع صنوه سيد المرسلين

(١) بد أن عدد أولاد سيدنا علي وخاصة من دفنه عليه صلوات الله وقد انشق الفجر صلى
سيدنا الحسن بالنسي ثم خط الملعون ابن ملجم فجاء به وهو يرسف بقبوده وأغلاله ولعنة الله المنشة
وجهه التيسيح فمادته سيدنا الحسن عليه السلام بقوله قتل الامام قتلك الله فأجاب بكل قعة وجور
لقد بلغت قميتي هذا ولكن خذك يا حسن أني اتقت وصاحبي في علي قتل صاوية وعمرو بن الماس
مع أيث جور بكمة وانفسا على ذبت وأخاف أن يقتل صاحبي بميمتها فأهمني ريثما يتبين بأها
وما كان من أمرها فإذا قتلنا أسير نفسي فأقتل معاوية فمرو بن الماس ثم أعود اليك لتجري علي القصاص

ثُمَّ إِلَى الْمَسْجِدِ الْكَوْفِيِّ حَتَّى بَسَّسَ النَّاسَ أَرْضَهَا طَرّاً وَطَافَ بِهَا
وَكَانَ يَرْسِفُ بِأَلَا غَلَّالٍ مَرْتَجِبٍ أَلَا مَ عَصَابٍ مُضْطَرِبٍ أَلَا فَكَّارٍ هَافٍ بِهَا

فَقَالَ الْحَسَنُ : لَا وَاللَّهِ لَا تَرَيْنَ الْمَاءَ حَتَّى تَتَوَيَّ فِي جَهَنَّمَ وَبَشَّ الْمَصِيرَ قَالَ هَذَا وَشَرَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَهُ بِهِ
ضَرْبَةً وَاحِدَةً جَنَدَهُ بِهَا قَتِيلًا وَأَرْسَلَتْ أُمُّ هَيْبٍ فَاسْتَوْهَبَتْ جَسَدَهُ وَأَحْرَقَتْهَا فَنَرَتْهَا الرِّيحَ وَهَكَذَا انْتَهَتْ
حَيَاةُ هَذَا النُّفِيِّ الْمَلُودِ .

أَمَّا قِطَاعُ فَلَمْ يَذْكُرْ لَنَا الْمُؤَرِّخُونَ شَيْئاً عَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِهَا بَعْدَ قَتْلِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ
وَالطَّاهِرِ إِنَّ سَيِّدَنَا الْحَسَنَ لَمْ يَمُتْ بِأَمْرِهَا لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَمُرُّ أَنَّ أَهْلَ التَّهْرَوَانِ بَعْدَ أَنْ تَكَلَّمَ
بِهِمْ أُمَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا كُلُّهُمْ مُتَوَرِّينَ فَلَا عَجَبَ إِذَا شَمَتُوا بِقَتْلِهِ أَوْ عَمَلُوا لَهُ إِذْ كَانُوا وَلَا يَزَالُونَ ظَالِمِينَ
وَيُخَلِّقُونَ بَنَاهَا أَنْ نَذْكُرْ شَيْئاً عَنْ آلِ الْبَيْتِ الطَّاهِرِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْمُسْطَفَى الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
تَتَبِعْنَا لِتَارِيخِ حَوَادِثِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ الَّتِي كَانَ تَأْتِيهَا عَلَى مُسْتَقْبَلِ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَظِيماً فَقُولُ :

« كَلِمَةٌ فِي الْحُسَيْنِ »

هَذَا فَرَاغَ الدُّوْحَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرَّافِ وَنَجْمِ سَمَاءِ الدِّينِ الْحَمِيدَةِ الْمُضِيئِ وَأَخِيرَ مَنْ نَجَّيَتْهُ الْيَدُ الْبَاهِيَّةُ
فِي بَيْتِ الْإِنْسَانِ هَذَا سَيِّدُ رُسُلِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمَا وَعَلَى أَبِيهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
وَلَدَ سَيِّدَنَا الْحَسَنَ فِي الْعَامِ الثَّلَاثِ لِلْهِجْرَةِ وَلَدَ سَيِّدَنَا الْحُسَيْنَ فِي الْعَامِ الرَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ وَامَامَا
سَيِّدَنَا قُلُومَةَ الزَّهْرَاءِ وَأَبُوهُمَا سَيِّدَانَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَجَدَاهُمَا مُحَمَّدٌ وَهَاشِمٌ الْإِلَهِ رَسُولُ اللَّهِ وَتَزَلَّتْ فِي هَذِهِ الْمَقَرَّةِ
الْمُقَدَّسَةِ آيَةٌ « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَجْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » وَعِنْدَ مَا تَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ
عَلَى النَّبِيِّ الْأَمِيِّ ضَمَّ إِلَيْهِ عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَالْحُسَيْنَ وَطَرَحَ عَلَيْهِمْ كَاءً وَقَالَ « أَهْمُ هَؤُلَاءِ
أَهْلَ بَيْتِي فَادْهَبِ الرِّجْسَ عَنْهُمْ » وَمَا بَعْدَ هَذَا الْقَوْلِ سَكَتٌ بِأَتَمِّهِ الْحُسَيْنِ وَأَسْأَلُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِنَّمَا
صَحِيحاً صَرِيحاً لَا يَنْكَرُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ

وَقَدْ أَزَادَ الْحُسَيْنِ الْإِصْفَافُ بِرَسُولِ اللَّهِ وَقَدْ وَلَدِيهِ الْقَائِمُ وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِحَفْظِ الْقَلْبِ الشَّرِيفِ إِلَّا هَذَانِ الْبَتْرَانِ الْمُضِيئَانِ فَهَذَا وَاسْتَأْذَنَ لَهَا لَمَّا لَمَسَ
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ يَدْعُو الْحُسَيْنَ وَلَدِيهِ وَكَانَ يُحِبُّهُمَا كَثِيراً وَطَالَمَا
أَحْلَمَهُمَا عَلَى طَائِفَةِ الشَّرِيفِ وَمَا غُلَامَانِ وَمَا لِلصَّحَابَةِ مَنْ لَمْ يَتَّهَدِ عَنَاتِيهِمَا بِمَا وَلَمْ يَسْمَعْ تَسْمِيَتِهِ
لَهُمَا « زَهْرَةُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ » وَكَانَ رُبَّاً لِلرَّقِيقِ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ أَنْ يَرْجِعَهُمَا فِي مَنَاصِفِ الْحَرْبِ حَرَصاً
عَلَى حَيَاتِهِمَا الثَّمِينَةِ الَّتِي إِذَا أَصِيتَ بِمَكْرِهِمْ انْقَطَعَ نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ وَرِسَالَتُهُ فِي مَوْقِعَةٍ مَقْتَدِرِ أَرَى سَيِّدَنَا
أُمَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ ابْنَهُ الْحَسَنَ يَتَسَرَّعُ إِلَى الْقِتَالِ فَصَاحَ عَنْ حَوْلِهِ : « أَمْلِكُوا هُنَا هَذَا الْعِلَامَ لَا يَجِدُ فِي » فَإِنِّي أَقْسَى
بِهَذَا (وَبَرْدِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ) عَلَى الْمَوْتِ ، ثَلَاثًا يَنْقُطُ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . اه .
وَقِيلَ يَوْمَئِذٍ بِمُحَمَّدٍ بْنِ الْحَقِيقَةِ مَا يَزِيدُ بَكَ ابْنُكَ فِي الْحَرْبِ وَلَمْ يَزِدْ بِالْحُسَيْنِ ؟ فَقَالَ : لَأَنْمَا عَيْنَاهُ وَأَنَا عَيْنُهَا
يَذُبُّ عَنْ عَيْنِيهِ يَسِيئُ . وَهُوَ تَشْبِيهُ لَا أَبْذَعُ مِنْهُ وَلَا أُعْجِبُ حَسْبَ مَا صَدَّوهُ عَنْ ابْنِ أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ
وَحَاوَلُوا إِعْدَاءُ سَيِّدَانَا عَلِيٍّ وَأَوْلَادِهِ فِي حِمْلَةٍ مَا حَاوَلُوهُ مِنَ الْخَطِّ مِنْ أَقْدَارِهِمُ الْعَالِيَةِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ
فَنَكَّرُوا أَهْمَ عَرَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَإِنَّ الْحُسَيْنَ وَلَدَهُ لَقَوْلُهُ تَمَالَى « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ »
وَاسْتَشْهَادَ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْغَرِيفَةِ مِنْ تَبْيِيلِ الْمَعَالَةِ وَالْإِنْصِلَالِ لَهَا نَزَلَتْ فِي زَيْدٍ وَكَانَ
هَذَا عَيْداً لِرَسُولِ اللَّهِ وَحَرَّتْ عَادَةُ الْعَرَبِ أَنْ يَسْبُوا الْعِيدَ لِمَا يَمِينُ قِيُولُونَ قَلَّ مِنْ فَلَازِي وَيُرِيدُونَ
عَيْدَهُ فَلَمَّا حَدَّثَتْ حَالَةَ امْرَأَةِ زَيْدٍ وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ مَا بَعْدَ خَلَاهَا بِأَمْرٍ مِنَ السَّيِّئِ دَفَقَ الْمُنَافِقُونَ

فَأَرْسَلَتْ أَعْيُنُ النَّاسِ إِلَى رَأْسِهِ وَكَادَ . يَحْزَنُهُ . تَأْتِيهِ حَامِيَتُهَا
حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى فِي شَرِّهِ وَقَفْتِهِ مُسْتَقْبِلَ الْمَوْتِ أَلْسَنًا مُنَاجِيَةً

ينظرون فإن رسول الله تزوج مطلقة ابنة فزتك هاتيك الآية الشريفة مينة أن رسول الله بصقته
للنبوة الخاصة ليس أباً لأحد من المسلمين حتى ولا عبيده بل هو رسول الله إليهم جميعاً . ولكن
من افن الرأي وفساد البصيرة أن تتخذ هذه الآية تنفي الابوة الطبيعية عن المصطفى فلا يقال أنه أبو القاسم وأنه
أبو إبراهيم فإنه عليه الصلاة والسلام أبوها الطبيعي وكذلك يقال أيضاً أبو الحسن وأبو الحسين
أما قول هؤلاء الاعداء بأن اولاد البنات لا ينتسبون إلى آباءهم فهذه أصح في الاصطلاح
وغير صحيح في الطبيعة البشرية فمن الوجهة الطبيعية نرف أن الحسين يتكون من نطفة أبيه ودم
أمه بالاشتراك بإذن الله تعالى وخلقته فأبواه هما اللذان أعطياه من دمه ولحمها وعظامه ودمه ولحمه
وعظامه بقدرته الخالق العظيم وما كان لإنسان أن يوجد من امرأة وحدها أو من رجل وحده وذلك
تقدير التزويج العلم . ومن جهة الطفل والحضانة نجد الجد يطف على ابن ابنته مثل عطفه على ابن ابنة
فلا يفرق بينهما بل هما في عواطفه الأبوة بميزة واحدة وأما في الاصطلاح فقد اصطلاح الناس على نسبة
الأبن لأبيه دون أمه فيجعل اسم عائلة أبيه وهذا لم يكن في الحسين لأنها يحمل اسم الفترة النبوية
الخاصة لأن أبها وجدها من نسب واحد . وفي الميراث لقد جعلت الشريعة السمعة تقاسماً في
الارث بين الذكور والاناث وأنسأهم لحكمة تقتضيها الاجتماع البشري لا لسكر النسيب والرحم
والتراب في هذا كفاية للمصنفين

وقد دخلت سيدتنا فاطمة الزهراء على أبيها المصطفى ذات يوم ومعهما الحسنان غلامان يترعرعان عليهم
الصلاة والسلام وقالت : يا رسول الله هذان ابناك فورهما شيئاً فقال أما الحسن فإن له هيتي وسؤدي
وأما الحسين فإن له جرعني وجودي . صدق رسول الله فكان الحسن والحسين كما ذكر
تربى الحسنان بين أيدي جدتهما المصطفى وإبيهما الرقيضي وإمامهما فاطمة الزهراء لئلا يخالط
بهما وشباً على أعلى الاخلاق الموروثة والمكتسبة ولم يأتيها أمرأ يستلفت النظر في عهد أبي بكر وعمر
وعثمان إلا يوم مقتل عثمان حيث أرسلهما سيدنا علي ليمتا عنه الناس فساروا إلى بيت عثمان وحالا
هون الثأرين والدوا حترهما الكثر ولم يؤذوهما وصدقهم منهم إلى سطح بيت عثمان من بيت بجوارده وقتلوه
كما تقدم ومن هذا الحادث قل مبلغ الاحترام الذي كان لولدي رسول الله هذين حتى في نفوس
التأثرين منهم وفي أشد أوقات ثورة خواطرهم

ومحب الحسنان سيدنا علي إلى البصرة يوم الحجل ومحباه إلى صفين ولكنهما لم يحاربا معه
لأنه كان يمتنع عن خوض غمرات الحرب خوفاً عليهما كما تقدمت الإشارة

وعند ما جرح سيدنا علي عليه صلوات الله وأسر أسماؤه من حياته مثل أن كان يريد أن
يوصي بالخلافة إلى سيدنا الحسن فقال : ذلك حق المسلمين لا أتمره ولا أنهي عنه وسبق لما ذكر
هذه الرواية في غير هذا المكان ونحن شاكون في صحتها فإن الحق الصريح الذي كان يطالب به
سيدنا علي في الخلافة هو نفس الحق الذي لا بنة الحسن عليه السلام لا جدال في هذا ولا نكران .
وعلى فرض صحة هذه الرواية وإتمام تدريس من الامويين لا تفيد إلا معنى واحداً وهو أن سيدنا علي كان يعلم من حال
المسلمين وتفرق قلوبهم واضطراب حياتهم واستفحال أمر الامويين بينهم ما جعله أن يزهدهم بالخلافة
والحياة أيضاً كما مر معنا فلا بدع اذا كان قد أشفق على ولده وفلذة كبده أن يقبلي في الخلافة ما

نَادَى بِهِ حَسَنٌ : مَاكَ الْإِيمَانُ حَسَنًا قَلْتَ أَنْتَ يَا مَقْمُونُ جَانِبَهَا

فأساء من الارزاء والاوهال والمصائب والمتاعب فما أسره بالولاية ولا نهاء عنها . أما حق المسلمين في تولية الخلافة فما لا ينكره منكر فإن التورى الاسلامية لا تترك الولاية العامة لوثا بنيروضاء المسلمين الذين هم أهلها ولكن تختلف عليه هو في هل حق المسلمين في الخلافة يطلق أيديهم في يمة من يشاؤون حتى لو كان تركياً أو يهود المسلمين في دائرة محدودة لا يصح لهم أن يتجاوزوها؟ وبمجال الخلاف واسع حول الخلافة فمن الناس من يرون أنها من حق الطالبين لأنها لو لم تكن من جهم المصطفى وأبيهم المرتضى ومنهم من قال بجواز استخلاف الهاشميين على التميم ومنهم من قال ان الخلافة من حق قريش وذكروا لذلك حديثاً نسبوه الى المصطفى عليه الصلاة والسلام . ولكن ليس من المسلمين من قال بجواز الخلافة في غير قريش على ما علم . حتى آخر الزمان اذ جئنا ابن خلدون المؤرخ المشهور فقال في مقدمته عند ذكره الخلافة ونجوز يمة السلاطين التمانيين بما انها تصح لتفقدان القوة والعصية من قريش ووجودها في التمانيين على ان مقاتله هذه هي قول ذي غرض أو سقطه من يتوخى رضا التمانيين لمصلحة والمصلحة ان الاسلام ابطل عصية الجاهلية والرجوع اليها ليس من الاسلام فيشي مؤرق هذا لو أجمع العرب على الطالبين لما فقدوا عصيتهم

ولقد تابع الناس سيدنا الحسن على أثر مقتل أمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام في المسجد الأعظم في الكوفة وكان أول من يابيه هو قيس بن سعد الانصاري فقال له : ابط يدك أباييك على كتاب الله وستة نبيه وتقال الطين « وهم الذين أطلوا يمة أيه سيدنا علي عليه صلوات الله وهم الخوارج وأصحاب معاوية » فقال الحسن : « بل على كتاب الله وستة رسوله فأنتما يا أيان على كل شرط » فبابه وتبته الناس فبابوه وكان سيدنا الحسن يشترط على مبايعة أن يكونوا معه فيسألون من سألهم ويحارون من حاربهم

ومرّ منا فما تقدم ان الناس تجمهروا قبيل مقتل سيدنا علي عليه صلوات الله للمسلمين الى حرب الشام حال قتله الفاجم والأسفام دون سير هذه الحلة قالوا وكان عدد رجالها أربعين ألفاً . وما كاد يتبع سيدنا الحسن على دست الخلافة حتى لفته أن معاوية قد سار الى حمارته وأنه قد بلغ « مكته » وهي قرية على الفرات قريبة من حلب ولا تبعد كثيراً عن موضع مقين فخصف سيدنا الحسن الى لقاءه بالجيش الذي كان أهله أبوه وجبل قيس بن سعد بن عباد الانصاري على مقدمته في اثني عشر ألف مقاتل واجبه سيدنا الحسن الى الشام ومعه عبد الله بن عباس مستشار له ورئيس أركان حربه ولما نزل الحسن في المدائن ظهر الخلل في جنده وأكثروا من التعمق عليه والتراخي في محبته وما كفاهم هذا حتى سادت عليهم الفوضى ففروا كلاً تمام الجفل لدى صاحبهم أن قيس بن سعد قد قتل ونهبوا في قارهم هذا كل ما كان مع الحلة من زاد ومتاع حتى نازعوا سيدنا الحسن بساطاً كان تحته قيس عليه السلام من الانتصار على معاوية يد أن خزله أصحابه ورجع الى الكوفة منكسر القلب أنا أن اعتقد اجتهداً ما لا أظنه تدعى الذي حصل فإن معاوية ما كاد يلقه نأ قتل سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله حتى أرسل جواسيسه بأحوال الاموال الى الرقاق فن بها الاصدقاء وجمع بها كلة الخوارج الاعداء ونهض بعد ذلك بنفسه لزوة سيدنا الحسن فأقام في « مكته » ينتظر نتيجة دسائسه في الاطوار الراقية . ولا أحسب ما جرى في مدائن كسرى في جيش سيدنا الحسن الا دسيسة مدبرة من أولئك الجواسيس فصاح الصائح كذباً ينفي للناس قيس بن سعد الذي كان

قَالَ أَنِّي مُلْجَمٌ : حَسْبِيَ إِنْ قُتِلْتُ ۖ قَدْ أَبْلَغْتَ مَهْجَتِي أَقْصَى تَشْهِيهَا

على القدمة وظل عليه السلام في مكره وحيداً بعد أن نازعوه سباده لا نصير له ولا موين هذا هو مبلغ رأيي في هذه الحادثة بنيت على ما أماني من التوريع الضامضة التي تذكر الحوادث عنها وبمبناها كما اتصلت بكاتبها من غير أن تبدي رأياً فيها بملوغوا مضها . وقالوا أن سيدنا الحسن عليه السلام عند ما بقي في مدائن كسرى وقد تركه الجيش طمع بالاستفادة من حالته تلك شاب غريدي المختار بن أبي عبيد قصد عمه سعيد بن مسعود التقفي وكان حاكم المدائن من قبل سيدنا علي وقال له هل لك في الشرف والذي قال سعد وما ذاك ؟ قال المختار تستوثق من الحسن وتستأمن به إلى معاوية فقال سعد : عليك لمة الله أأنت على ابن بنت رسول الله وأوثقه واسلمه لعدوه ؟ لبس الرجل أنت . ومن هذه الرواية يتضح لنا أن فكرة الاتراء بخدمة معاوية وكسب الشرف « ويراد به نيل الوظائف » تحت رايته كانا شائعين يملآن عقول الناس فلا يزالون في سيئتهما أي السبل سلكوا

وزعموا أن سيدنا الحسن عليه السلام عند ما رجع من المدائن وقد خزله أصحابه يئس وكتب لمعاوية يرض عليه التسليم له والتزول على حكمه وأن معاوية كتب له قبل وصول كتابه يرض عليه التسليم له بالشرط الذي يريد هاهذه الرواية ماضيتها ولا اقتضت بصحتها لأن أئمة سيدنا الحسن لتحملة على الموت دون هذا التسليم المشين الذي أول صدمة اصطلم بها في حياته السياسية . وعندني أن معاوية « وكان معه عمرو بن العاص » في « مسكنه » كان يدبر المكيدة بدهامود كاه فابلته فغرو الناس من حول سيدنا الحسن ورجوعه عليه السلام إلى الكوفة وهو منكسر القلب حتى أسرع يرض عليه الصلح فأرسل إليه عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس ومعهما صحيفة يضاء ختمها بختمه فجاءا سيدنا الحسن وعرضا الصحيفة الختومة بختم معاوية عليه ومعه كتاب منه يقول فيه « أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك » فلما أنهت إليه الصحيفة صحت عزيمته على التسليم مشترطاً أن يعطى ما في بيت مال الكوفة وكان يبلغ نحواً من خمس ملايين درهم وخراج دارا مجرد من فارس وأن يتمتع عن سب سيدنا علي . قالوا فرجع رسولاً معاوية إليه بهذه الشروط فرفضها إلا الامتناع عن سب سيدنا علي فرجع الرسول إلى سيدنا الحسن بذلك فرفض عليه السلام على أن لا يسب سيدنا علي بحضرته وهذه الرواية لا أصديها أيضاً لأن الذي يرسل صحيفة يضاء مختومة ويقول اشترط ما تشاء لا يتمتع عن قبول شرط بسيط كافي اشترطه سيدنا الحسن وعندني أنها ملفقة من رواية لا يزنون القول بميزان العقل بل يتقنون كل ما يرض عليهم على علاته وعدا عن بساطة هذا الشرط الذي قالوا امتنع معاوية عن قبوله قلنا موقوفون أن سيدنا الحسن عليه السلام كان أهون عليه أن يلقى معاوية وحيشه بصدوه وحيداً ويعوت تحت ظلال الاسته ولا يسلم بالخلافة لمعاوية إن لم يتعهد بالامتناع عن سب أبيه عليهما صلوات الله والصحيح أن معاوية تعهد بالامتناع عن السب فيما تعهد به للحسن ولكنه نكث عهده فيما بعد وهذا شأنه

وعند ما جاءه رسولاً معاوية إلى سيدنا الحسن بالصحيفة البيضاء الختومة رأى عليه السلام أن يستشير الأمة في الأمر فقال الناس إلى المسجد الأهم في الكوفة وصلى بهم صلاة جامعة ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : « أيها الناس ، أنا والله ما يتينا عن أهل الشام شيئاً ولا ندم ، وإنما كتبنا تعاتيل أهل الشام بالسلامة والصبر ، فثبيت السلامة بالصدادة ، وأصبر بالجزع ،

وَمَا تَفْعَلِي بِهَذَا الْيَوْمِ مِنْ طَلَبٍ بِهِ وَحَقَّ أَنْتِجَانِي كَيْ أُمْنِيهَا

وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم ، وأصبحتم اليوم وديناكم أمام دينكم ، ألا وأصبحتم اليوم بين قتيلين ، قتيل بعين تكون له ، وقتيل بالهروان تطيلون بآثره ، وأما الباقي فتعادل ، وأما الباقي فتأثر ، ألا وإن مملوئة دنانير لا أمر ليس فيه عز ولا نصفة ، فإن أردتم الموت ، رددناه عليه ، وحاكمناه إلى الله عز وجل بطيئ السيوف ، وإن أردتم الحياة ، قبلناه وأخذنا لكم الرضى ، وما انتهى سيدنا الحسن إلى هذا القول حتى دوت في الجماع أصوات الناس وهم يقولون : البقية البقية وأمنى الصلح . فذل عليه السلام عن المنبر وهو يقول ويسترجع وقد زال من صدره الشريف كل أملر بالتصاير الناس لهو ملق يتخاير رسول مملوئة بالشروط التي يرمتها حتى إذا ما تم التفاهم بينهما بواسطة الرسولين وهو في الكوفة ومماوية في « مسكنه » أحب أيضاً أن لا يتحمل مسؤولية هذا الصلح وحده فجمع الناس في المسجد وقف فيهم خطيباً فقال « أيها الناس ، إنما نحن إسمراؤكم وضيقاتكم ، ونحن أهل بيت نبيكم ، الذين أذهب الله عنهم الرحس ، وطهرهم تطهيراً » وكرر ذلك حتى صبح الناس بالبكاء فبكاء سيدنا الحسن معهم وبينما شبهات البكاء كانت تملأ جوانب المسجد وقف قيس في الناس وهو الذي عرفناه قائداً لقدتم فقال « أيها الناس : اختاروا الفشل في طاعة امام ضلالة ، أو التثاقل مع غير امام » فقال بعضهم نصلح وقال البعض بل نحارب ، قال سيدنا الحسن عليه السلام « بل نصلح ، فقد رأيتمكم لا يثق بكم أحد الا غلب ، ليس أحد منكم يوافق الآخر على رأي ولا هوى ، مختلفين لا نية لكم في خير ولا شر ، لقد لقي أبي منكم أموراً عظيماً ، فليت شعري لمن تصلحون بمدي ؟ » ونزل فأمنى شروط الصلح وأرسلها مع الرسولين إلى مماوية فأقبل هذا بجيشه ومعه عمرو بن العاص إلى الكوفة ودخلها دخول الظافر وقصد الجامع الأعظم فخطب بالناس وطلب يديهم فقاموه ثم تقدم عمرو بن العاص وأسر في أذن مماوية أن يأمر سيدنا الحسن بالخطابة فيقول كلمة تزيد في نفوذ مماوية على أهل العراق وتسقط من قدر آل البيت فأمره بذلك فقال سيدنا الحسن بأفق هاشمية ونمرقة نبوية طالبة : أيها الناس ، إن الله هداناكم بأولنا ، وحقق دماءكم بأخربنا ، وإن لهذا الأمر مدة ، والدينا دول ، وإن الله عز وجل قال لتبيه (وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين) فنضب مماوية وأمر سيدنا الحسن بالكسوت والجلوس ونظر إلى عمرو عاضباً وقال « هذا من رأيك »

ثم إن سيدنا الحسن عليه السلام سار إلى المدينة المنورة مع اخواه وغلانهم وحشتمهم وما وفي له مماوية بالشروط التي اشترطها فلا أعطاه خراج دارا ولا امتنع عن سب سيدنا علي عليه صلوات الله وما صب على مماوية أن ينكت بهوده وقد اعتاد هذا من قبل وقد لام كثير من سيدنا الحسن عليه السلام على تسليمه للمماوية فكانت أجوبته لهم متحصرة في معنى ما أجاب به المسيب بن نجبة قال « يا مسيب ، لو أردت بما ضلت الدنيا ، لم يكن مماوية بأصبر عند اللقاء ولا أثبت عند العربيعي ، ولكني أردت صلاحكم ، وكف بفسادكم عن بعض ، فامضوا بقدر الله وقضائه ، حتى يستريح بر ، ويستراح من فجر » أم وكانت مدة خلافة سيدنا الحسن عليه السلام ستة أشهر فقط إذ تم صلحه مع مماوية في ربيع الآخر سنة ٤١ للهجرة

أما قيس بن سعد وهو أكر قواد سيدنا الحسن فإنه رأى نية سيدنا الحسن بالتسلم للمماوية أكبره وإباه وحدث وقته أن عبيد الله بن عباس وكان أمير جنود سيدنا الحسن قد أرسل

سَوَى الْمَسِيرِ إِلَى أَرْضِ آشَمَ فَأَقْسَلُ آتَيْنِ حَرْبٍ وَمِنَهُ الْتَأْسُ أَنْجِيَهَا

مماوية بعد ان شمر برغبة الحسن بالتسليم يسأله الامان لنفسه بما اصاب من مال وماشية فاجابه الى ذلك فترك الجيش الذي كان يقوده وسار الى جيش مماوية الذي كان يدنو من الكوفة بقيادة عبد الله بن عاصم فاما كان من قيس بن سعد الا ان تقدم من جيش عبيد الله بن عباس وعرض نفسه لقيادته واستلم زمامه وتهدد ان لا يسلم للمماوية الا " بعد ان يستوثق منه لشبهة سيدنا علي عليه صلوات الله ولما كان معه على دماهم واموالهم فلم يقبله مماوية بل عاهده على ذلك وهكذا دخل قيس ومن معه في طاعة مماوية ولكن في دخولهم لم يسلم مماوية في تسوده على العراق بنذر حرب كما كان يريد قتار عليه الخوارج وانتظر الى محاربتهم فاربهم بشدة عرفوا من ورائها فضل سيدنا علي عليه صلوات الله الذي ما كان يرضيهم عدله وحلمه وشفقتهم وهكذا استقر الامر للمماوية في العراق وبالتالي في محوم البلاد الاسلامية

وكان سيدنا الحسن عليه صلوات الله حليماً شفوفاً صالحاً ورعاً زاهداً جابياً ومات في المدينة المنورة في سنة تسع ولربيعين عن سبع واربعين سنة وسبب وفاته ان مماوية دس اليه سماً على يد جندته بنت الاشعث بن قيس زوجة الحسن قيل ان مماوية ارسل اليها جاسوساً فرشها بمئة الف درهم ووعدها ان يزوجه من ابنه يزيد لو هي قتلت سيدنا الحسن بالسّم ففعلت فوفى لها بالمال ولكنه لم يزوجه من ابنه قائلاً قد لا تمتنع عن خيانة ابني التي ما تمتعت عن خيانة الحسن. وقد اجمع المؤرخون على ان سيدنا الحسن عليه السلام قد توفي مسموماً وان زوجته جندته هي التي دس له السم واكترهم اتهموا مماوية بجرمة قتله ولكني لما اجد فيها امامي من التواريخ من ذكر سبب اقدام مماوية على قتله مسموماً ويظهر لي ان مماوية اراد بقتله تمجيد الطريق امامه ليمتد ابنه يزيد اذ كان لا يجهل ان وجوده عليه السلام في الحياة يحول دون هذه الرغبة التي ما كان يتمم مماوية بنيتها بعد ان دانت له الخلافة الاسلامية وقضى على عنتها يده الحديدية

اما سيدنا الحسين عليه السلام فانه كان في حياة المرتضى طائفاً في ظله وكان منصرفاً الى العلم والفقه متبحراً في الترميم حتى اجمع الرواة على انه كان احسن مثالاً لسيدنا أمير المؤمنين علماً وفضلاً وعند ما عقد سيدنا الحسن الصلح مع مماوية لم يقاومه سيدنا الحسين ولم يارضه في ذلك لائمين أحدهما احتراماً لسنه لانه الاكبر منه وثانيهما لانه هو أيضاً كان يرى ان البقاء على عداء مماوية وبلاد المسلمين على ما نهد من الفوضى وانتصار الطويلين على ما نطم من الانقسام لا نتيجة له سوى زيادة القتل والقتل وسفك الدماء وسافر مع سيدنا الحسن وآل البيت الطوي الطاهر الى المدينة وأقاموا فيها كل مدة حكم مماوية وكان معه على خير لا هو راض عنه ولا هو غاضب عليه وكان معروف المسكاة في مدينة جده عليهما السلام يأتيه الناس للاقتسام والتبرك

« ذجة الماين في مقتل الحسين »

وفي سنة ٦٠ هـ للهجرة خطر للمماوية وقد وثق من الخلافة وأمن المعارضين والمقاومين والخوارج واستقر حكمه فيها وغدا الناس في قبضته على ما يجب أن يبايع ابنه يزيد فلم يكن في وجوه قريش من واجهه يرفض هذه اليمية عبر ثلاثة وهم سيدنا الحسين وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وكان من أمرهم مع مماوية في ذلك ما ذكرناه في حاشية سابقة

ومات مماوية سنة ٦٠ للهجرة فخلقه ابنه يزيد بعد أن أعد له أبوه اليمية بداهته كما تقدم

إِنْ لَمْ يَزِرْكَ قَبْلِي بِقَتْلِيهِ وَكَانَ قَدْ أَتَاهَا يَنْفِي مُعَاوِيَةَ

القول ولم يكن له ثم بعد أن يسه الناس إلا أن يأخذ يمة النفر الذين رفضوا بيعته من قبل وأتكروما على معاوية وهم سيدنا الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير لأنه كان يعلم مكانة هؤلاء الثلاثة في الإسلام وأن رضاه الناس كلهم يبعثه لا يوازي رضاهم فكاتب إلى ابن عمه الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان وكان طاملاً إليه على المدينة المنورة ينمي إليه معاوية ويطلب منه أن يأخذ أولئك الوجوه أخشاً لا رخصة فيه حتى يأمروا فاستدعى الوليد مروان بن الحكم وأخبره ب وفاة معاوية وخلفه يزيد وأمره القاطع بخصوص أولئك النفر قتال مروان وكان غير راض عن معاوية لأنه عزله عن حكم المدينة أن الرأي عندي أن تدعوهم في الحال اليك قائماً أن يأمروا يزيد أو تضرب أعناقهم قبل أن يملوا يموت معاوية فاتهم إذا علموا بموته وبكل منهم إلى ناحية في الحال ودعا الناس إلى نفسه واشتعلت نيران الفتنة في البلاد . أما الوليد بن عتبة فتهيب تنفيذ هذا الرأي ولم يجمل ما يتلوه من الفتنة ولكنه تظاهر لمروان بقبوله وقال اجلس لا يمت بظلمهم وأرسل في الحال عبد الله بن عمرو ابن عثمان وهو غلام حدث إلى سيدنا الحسين وعبد الله بن الزبير يدعوها إليه فسار إليها فوجدوها في المسجد النبوي فأبلغها أمر الوليد قتالا في مثل هذه الساعة لا يجلس الوليد للناس ومع ذلك فذهب أنت ونحن نوابه فتركهما وانصرف قتال عبد الله بن الزبير ما تظن في دعوة الوليد هذه؟ فقال الحسين أظن أن طاعيتهم قد هلك فبعت البنا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يشقوا غيره في الناس فقال الزبير وأنا على هذا الظن لما يزيد أن تصنع ؟ فقال الحسين : اجتمع فتيتي الساعة ثم أسير إليه واجلسهم على الباب وادخل عليه قتال ابن الزبير فاني لا أخاف عليك منه فقال الحسين لا أتبه إلا وأنا قادر على الامتناع والقتل نهض سيدنا الحسين فسار لجمع أصحابه ومواليه وأقبل بهم على باب الوليد حتى إذا ما انتهى إليه قال لهم البشوا هنا فإذا دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فدخلوا علي بأجكمم والا فلا تبرحوا هذا المكان حتى أخرج وتركهم ودخل على الوليد فاذا مروان عنده فعجب سيدنا الحسين من اجتماعها ويرحمها متافرين وقال : الصلة خير من القطيعة والصلاح خير من القصاد وقد آن لكما أن تجتمعا وأصلح الله ذات بينكما . وكان في كلمات سيدنا الحسين هذه اشارتان أحدهما إلى ما كان بين الوليد ومروان من المحبب بخصوص ولاية المدينة كما سبق في الاشارة الثانية إلى أنه قد شرب به ومعاوية وانها هي التي جتمها ولم تخف هاتان الا اشارتان على الوليد فصارحه القول ونسي إليه معاوية وطلب منه البيعة ليزيد فاسترحم الحسين وطلب لمعاوية الرحمة وقال وأما البيعة ليزيد فإن لم يلبس رداءا خرج إلى الناس ودعوتهم لبيعة ودعوتنا معهم كان الأمر واحداً فقال له الوليد حسنة نصرف إلا أن قتال مروان هامساً لأن فارقك الساعة ولم يبايع لا بقيت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتل بينكم وبينه فأجبه في الحال ودناهم وقال ضربت عنقه فوتمت هذه الكلمات في أذن سيدنا الحسين فغضب غضبة هاشمية وقال لمروان وابن الزرقاء أنت تفتني أم هو؟ كذبت والله ولؤمت ثم تركهما وخرج غير خائف وعيلاً ولا تهدياً حتى أتى منزله أما مروان ففلا الوليد اتركه الحسين قال أما والله وقد عصيتني فوالله لا يمكنك من نفسه تايه أبداً فقال الوليد واقفاً ما أحب أن تأتي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه وأني قتلت حسناً أن قال لا أبايع والله أني لا ظن أن أمره يحاسب يدم الحسين لحقيف الغزان عند الحساب يوم القيامة فهز مروان كفيه وقال عسى أن لا تندم . أما عبد الله بن الزبير فسار من المسجد إلى بيته واعتصم فيه وجمع إليه أصحابه فاحتج بهم وأخذ يلح الوليد عليه بالحضور وهو يمتنع حتى إذا ما تكاثرت رسل الوليد أرسل إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال

ثُمَّ أَعُوذُ إِلَيْكُمْ لِقَصَاصٍ كَمَا تَقْفِي الشَّرِيعَةُ إِنِّي لَسْتُ خَاشِعُهَا

له: لقد اكرمت بطلب عبد الله حتى انزعته فرسلته ان يصرفوا عنه وهو غداً يوافيك ان شاء الله فرضي بذلك واسرسله بالانصراف عن عبد الله بن الزبير وما خيم الفسق حتى قرع عبد الله بن الزبير واخوه جعفر الى مكة وليس معها ثالث وفي ثاني يوم علم الوليد بهربهما فارسل رجاله بطلبهما فبا عثروا عليهما وفي الليلة التالية هرب الحسين الى مكة مصطحباً بنيه واخوته وبني أخيه الحسن وجبل أهل بيته الا محمد بن الحنفية فقد قال له يا أخي أنت أحب الناس اليّ واعزهم عليّ ولست ادخر النصيحة لاحد من الخلق احق بها منك نتج بيتك عن يزيد وعن الامصار ما استطعت وابعث رسلك الى الناس وادعهم الى نفسك فان يأمروا لك حدث الله على ذلك وان أجمع الناس على غيرك لم ينقص بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك اني أخاف ان تأتي مصر أو جماعة من الناس فيختلفوا عليك فمنهم طائفة معك وأخرى عليك فيقتلون فتكون لاول الامة فاذا خبر هذه الامة كلها قساً وأباً وأماً وجداً أنيها دماً وانها اهلاً فقال الحسين فابن اذهب يا أخي ؟ قال انزل مكة فان اطمانت بك الدار فسيل ذلك وان ثأت بك لحت مال المال وشرف الجبال وخرجت من بلد الى بلد حتى تنظر الى ما يصير أمر الناس ويغرق لك الرأي اصوب ما يكون رأياً واحزانه عملاً حين تستقبل الامور استقبالا ولا تكون الامور ابداً أشكل منها حين تستدبرها فأصني الحسين الى نصيح أخيه ووعده باتباع رأيه وقصد مكة كرماً لله . أما عبد الله بن عمر بن الخطاب فارسل اليه الوليد يطلب يمه فقال ابايح اذا بايح الناس فتركه لان الامويين ما كانوا يتخوفونه وعند ما بلغ سيدنا الحسين واهله مكة هرع الناس للسلام عليه واخذوا يختلفون اليه وكان عبد الله بن الزبير عندما بلغ مكة اعلن انه طائر بالكعبة وصار لا يقاتها يلاً ونهاراً الا انه كان يختلف الى سيدنا الحسين ويظاھر بصحبته ولكنه كان يستغل وجوده هناك لئله أن الناس لا يبايونه ما دام الحسين بقرية

اما أهل الكوفة فتد ما اتصل بهم من مائة وامتناع الحسين وعبد الله بن الزبير من البيعة لرحموا يزيد واجتمعت شيعه سيدنا علي عليه صلوات الله في منزل سلمان بن صرد الخزاعي واقروا على يمة الحسين والانتصار له وكتب زعمائهم له الكتاب التالي « بسم الله الرحمن الرحيم ، سلام عليك ، فانا محمد اليك الله ، الذي لا اله الا هو ، اما بعد ، فالحمد لله الذي قسم عدوك الحبار المنيد ، الذي اتزى على هذه الامة ، فبئرها أسرها ، وغصبها فيأها ، وتأمس عليها بنير رضى منها ، ثم قتل خيالها ، واستبقى شرلوها ، وانه ليس علينا امام ، فقبل ليل الله أن يجمعنا بك على الحق ، والتمنا من ينير في نهر الامارة لنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد ، ولو بلغنا اقبالك الينا أخرجناء ، حتى تلحقه بالناس ، ان شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » آه وقد أمضى هذا الكتاب سلمان بن صرد الخزاعي ، والمسيب بن نجيعة ، ورفاعة بن شداد ، وحبيب بن مظاهر ، وغيرهم من رواده أهل الكوفة وارسلوه مع عبد الله بن سبع المهداني وعبد الله بن وائل وما اكتفوا بهذا الكتاب حتى شفوه بتأمر مثله وجوه اليه مد يومين وكتب الناس اليه كتاباً خاصة بهذا الذي بلغ عددها نحو مئة وخمسين كتاباً أرسلوها مع حامل الكتاب الثاني ثم يدبونه آخرين سيروا له كتاباً ثالثاً يأنى يشدون عليه بالقدوم الى الكوفة ويدعون بالضرورة ثم كتب اليه شيب بن ربيح وحجار بن أمجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن روم وعمرو بن قيس وعمر بن الحجاج الزبدي ومحمد بن حمير التميمي بذلك

وَقَصَّ قِصَّتَهُ مَعَ صَاحِبِهِ بِمَكَّةَ وَمَا أَخْطَأَ فِي إِفْشَاءِ مَطْرِبِهَا

فلما انتهت رسل أهل الكوفة بضما تلو البعض بهذه الكتب إلى سيدنا الحسين عليه السلام رأى أن يتوثق إلى نفسه من أمر أهل الكوفة بعد أن عرف حالهم مع أبيه عليهما صلوات الله ذرسل إليهم مسلم بن عقيل بن أبي طالب لينظران كانوا كما كتبوا له عن إجماعهم على نصرته ومحبته بكتاب كتبه إليهم وهالك فيه « أما بعد ، فقد فهمت كل الذي اقتصصتم ، وقد بعثت إليكم ماخي وابن عمي وتثني من أهل بني مسلم بن عقيل ، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم ، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي مثلكم ، وذوي الحجي منكم على مثل ما قدمت به وسلمكم ، أقدم إليكم وشيكا إن شاء الله ، فلمعري ما الامام ، إلا العامل بالكتاب ، والقائم بالقسط ، والدائن بدين الحق ، والسلام » آه ولبت سيدنا الحسن عليه السلام في مكة ينتظر ما يكشف الله عليه بواسطة ابن عمه مسلم بن عقيل

سار مسلم بن عقيل إلى الكوفة مستخفياً ونزل في دار المختار وأقبلت عليه شيعه سيدنا علي عليه صلوات الله وكان كلما اجتمع بطائفة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين فيكون ويمدونه من انفسهم القتال والنصرة . غير أن « أمر مسلم بن عقيل لم يطل » مكتوماً فلم به النعمان بن بشير أمير الكوفة من قبل الامويين وكان هذا حلماً ناسكاً يحب المافية فلما المنبر والصلاح جاء وقال « أما بعد فلاتارعوا إلى الفتنة والفرقة ، فإن فيها تهلك الرجال ، وتسفك الدماء ، وتفسد الاموال ، ألا وإني لا اقاتل من لم يقاتلي ، ولا أتب على من لا يتب هي » ، ولا ابنه « انكم » ، ولا اتحرش بكم ، ولا آخذ بالثرف ، ولا المظنة ، ولا التهمة ، ولكنكم ان ابدتم صفحتكم ، وسكنتم بيعتكم ، وخالفتم امامكم (يريد يزيد بن معاوية) ، فواته الذي لا اله غيره ، لا ضربتكم بسيفي ما مئت قائمه يدي ، وان لم يكن لي منكم ناصر ولا معين ، أما وإني أرجو ان يكون من يعرف الحق منكم ، أكثر ممن يرديه الباطل » وعند ما انتهى النعمان بن بشير أمير الكوفة من خطبه قام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي وكان من شيعه بني أمية وقال « لا يصلح ما ترى الا اننضم ، ان هذا الذي أنت عليه رأي المستضعفين » فقال النعمان « لن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الاعززين في مصيته » ونزل عن المنبر . واذا رأى عبد الله بن مسلم ان النعمان لم يتصح بنصحه اسرع فكتب إلى يزيد بن معاوية يخبره بقدم مسلم بن عقيل إلى الكوفة لجميع كلة أهلها على يمة الحسين ونظم كتابه بقوله « اذا كان لك في الكوفة حاجة فابست إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك ويسل مثل علك في عدوك فإن النعمان رجل ضيف أو هو يتظاهر بالضعف » ولم يكن عبد الله بن مسلم هذا هو الوحيد الذي زلف إلى يزيد هذه الفتنة بل تيه في مثل ذلك كثير من عساة بن الوليد ابن عتبة وعمر بن سعد بن أبي وقاص وغيرهما ممن يطلبون المنافع لا قسم

وعند ما رأى مسلم بن عقيل اقبال الناس على يمة سيدنا الحسين والتفافهم حوله وتراخي النعمان وصفه كتب إلى سيدنا الحسين بواقعة الحال وقال له ان لديه ثمانية عشر ألفاً يابسون على القتال ويستجسسون على التجنيل بالسير إلى الكوفة فلما انتهى إلى سيدنا الحسين كتاب عقيل أخذ يتحفز للسير وجاءه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنصحه أن لا يسير إلى الرقاق طالما عاملها أمويون ومعهم مفاتيح بيت المال مذكراً له بأن الناس عبيد الاموال فلا عجب اذا اشتراهم الاممرون بهاء فطبوا عليه وجاء ابن عباس فنصحه أن لا يسير إلى الرقاق الا اذا كان المراقبون قد تاروا على معاملهم الامويين وأجلوهم عن بلادهم وجاءهم بعد هذا عبد الله بن الزبير وسبق لنا القول أنه كان يستعمل

فَأَذْهَبَ النَّاسُ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِرِ وَالسُّودِ الْبَرِّ رَاحَ بِالْإِفْصَاحِ بِرَوْنِهَا

لَقَامَتْهُ فِي مَكَّةَ لَمَلُهُ أَنَّ الْحِجَازِينَ لَا يَأْمُونُهُ وَالْحِجِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ قَالَهُ أَوَّلًا عَنْ سَيِّدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ
وَأَقَالَ لَوْ أَنَّ لِي شَيْعَةً كَشَيْعَتِكَ فِي الرِّقَاقِ لَسَرْتُ إِلَيْهَا ثُمَّ خَافَ أَنْ يَسْتَنْتَهَ قَتَالُ وَلَوْ أَرَادَتْ أَنْ تَظْهَرَ
الدَّعْوَةُ هُنَا بِلَايَتِكَ وَنَصَحْتَكَ فَقَالَ الْحِجِينُ « إِنْ أَتَى عَلَيَّ صَلَواتُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَنَّ الْكُتُبَةَ كَبِيتُ
بِهِ تَسْتَحِلُّ حَرَمَهَا فَأُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْكُتِبِيُّ » فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ أَقْمِ هُنَا وَلِيْنِي أَنَا
وَيَكُونُ الْأَمْرُ الْأَعْلَى لِي فِي خِلَافِي فَقَالَ الْحِجِينُ وَلَا أُرِيدُ هَذَا أَيْضًا ثُمَّ قَالَ وَأَقَالَ لَنْ أَقْتُلَ خُرْجًا عَنْ الْكُتُبَةِ
بَشَرٍ أُحِبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَ فِيهَا وَأَقَالَ لَيَعْتَدَنَّ عَلَيَّ كَمَا اعْتَدَتْ الْيَهُودُ فِي السَّبْتِ فَتَرَكَ الزَّيْرَ وَانْصَرَفَ
وَمَا قَامَتِ الْحِجِينُ رَغْبَةً صَاحِبَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْحِجَازِ لِيُظْهِرَ لَهُ الْجُورَ . ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَأَخْبَرَهُ عَلَيْهِ
بِالْأَمَةِ بِالْحِجَازِ وَحُلُولِ كَثِيرٍ أَتَقَنَاعَهُ بِالْعُدُولِ عَنْ الْمَسِيرِ إِلَى الرِّقَاقِ فَأَخْرَضَ فَرَسَهُ عَلَيْهِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى
الْحِجِينَ فَمَا قَبِلَ قَتْلَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ إِذْ سَافَرَ بِنَفْسِكَ فَلَا تَأْخُذُ مَلِكَ مَدِينَتِكَ وَنَسَاءُكَ تَهْتَافُ أَنْ
يَتَلَوَّكَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ فَمَا سَمِعَ مِنْهُ وَأَسْرَعَ عَلَى الْمَسِيرِ فَقَالَ لَقَدْ أَقْرَرْتُ عَيْنَ بِنِ الزَّيْرِ بِخُرُوجِكَ
مِنَ الْحِجَازِ وَخَرَجَ مِنْ مَعْنَاهُ غَاضِبًا فَرَّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ صِدْقَةً قَتَالَ لَهُ وَهُوَ يَبْسُمُ
يَا لَكَ مِنْ قِسْرَتِهِ بِمَعْرِ خَلَائِكَ الْجُورِ فِيْهِ وَاصْفَرِي

وَقَرَّيْ مَا شِئْتَ أَنْ تَقَرَّيْ

فَبَسَمَ ابْنُ الزَّيْرِ وَقَالَ لَا تَنْتَهِ الشُّطْرَةُ الْآخِرَةُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَنْ يَدْرِي إِنَّمَا سَتَمُ
وَالشُّطْرَةُ الْآخِرَةُ هِيَ « لَا بَدْءَ مِنْ صَيْدِكَ يَوْمًا قَاصِي »

وَارِدَ سَيِّدُنَا الْحِجِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَحَفَّزُ لِلْمَسِيرِ إِلَى الرِّقَاقِ وَلَنَزَجَ إِلَى دِمَشْقٍ قَدْ كَانَتْ فِيهَا
يُرِيدُ كَمَا سَبَقَ الْقَوْلُ شَدِيدَ الاضطرابِ وَالتَّلَقُّقِ مِنْ أَسْرِ الْحِجِينِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ وَامْتِنَاعِهِمَا عَنْ
يَمِينِهِ وَهَرَبِهِمَا إِلَى مَكَّةَ الْمَكْرُمَةِ وَاعْتِمَادِهِمَا بِالْكُتُبَةِ الْمَشْرُفَةِ وَالتَّقَافِ النَّاسِ حَوْلَهَا وَبَيْنَهَا وَهَوِي
مَقْدَمِهِ مِنْ أَسْرِهِمَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ كُتُبُ الْفَرَسِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَهَرَفَ مِنْهَا أَنَّ الْحِجِينَ يَدْعُو
إِلَيْهِ نَفْسَهُ وَأَنْ رَسُولَهُ وَابْنَ عَمِّهِ مَسْلَمُ بْنُ عَقِيلٍ فِي الْكُوفَةِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى يَمِينِهِ وَقَدْ بَايَعُوهُ فَرَأَى
أَنْ خَوْفَهُ مِنَ الْقِتْنَةِ فِي مَحَلِّهِ وَاسْتِثَارِ أَحَدِهِمْ إِلَى آيَةٍ مَعَاوِيَةَ وَيَدْعَى سِرْجُونَ وَكَانَ مَعَاوِيَةَ كَثِيرَ التَّقَةِ بِرَأْيِهِ
فِيمَنْ يُولِي عَلَى الْكُوفَةِ وَيَكُونُ شَدِيدًا صَلْبَ الْعُودِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِصِيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَرَضِيَهُ مَعَ أَنَّهُ كَانَ
حَافِدًا عَلَيْهِ طَوْعًا لَرَأْيِ سِرْجُونَ وَوَلَّاهُ الْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ فَتَوَجَّهَ إِلَى الْبَصْرَةِ أَوَّلًا وَكَانَ سَيِّدُنَا
الْحِجِينَ كَتَبَ إِلَى أَشْرَافِهِمَا يَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابَةِ اللَّهِ وَسِتَّةَ رَسُولِهِ قَالُوا : إِنْ السَّعْدُ مَاتَ وَالْبَلَدَةُ قَدْ
أَحْيَتْ . فَكَتَمَ الْبَصْرِيُّونَ جَوَابَ الْأَمْرِ مِنَ الْمُنْزَنِ الْجَارُودِ قَدْ حَسَّ حَوَابِ الْحِجِينَ دَسِيسَةً مِنْ ابْنِ زِيَادٍ
الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ الْبَصْرَةَ فِي طَرَفِهِ إِلَى الْكُوفَةِ فَسَارَ إِلَيْهِ بِالْكِتَابِ وَحَامِلُهُ فَأَسْرَ ابْنَ زِيَادٍ بِقَتْلِ حَامِلِ
كِتَابِ الْحِجِينَ وَخَفَّ فِي النَّاسِ قَتَالُ « أَمَا بَدْءَ » فَوَاقَهُ مَا بِي تَرَمُّزِ الصَّيْغَةِ ، وَبِاضْتِمَاعِ بِلِشْتَانِ ،
وَإِنِّي لَنُكَلِّ لِمَنْ عَادَنِي ، وَبِسَلَمٍ لِمَنْ سَافَرَ ، وَانْصَرَفَ الْمَاوِيَةُ مِنْ رَامَاهَا ، بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ ، إِنْ أُمِرَ
الْمُؤْمِنِينَ (وَبِرِيدِ زَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ) قَدْ وَلاَتِي الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ مَأً ، وَأَمَا غَارِي إِلَى الْكُوفَةِ بِالْمَدَنَةِ ،
وَقَدْ اسْتَظَفْتُ عَلَيْكُمْ أَخِي شَيْخَانِ بْنِ زِيَادٍ ، فَأَيُّكُمْ الْخَلَّافُ وَالْإِرْجَافُ ، فَوَاقَهُ لَنْ يُلْفَنِي عَنْ رَجُلٍ
مِنْكُمْ خِلَافَ ، لَا قَتْلَهُ وَعَرَفِيَهُ وَوَلِيَهُ ، وَلَا خَشَنُ إِلَّا ذَنْبِي بِالْأَتَمِّ ، حَتَّى تَسْتَقِيمُوا أَوْ لَا يَكُونُ
فِيكُمْ مَخَالِفٌ وَلَا مِتَاقٌ ، وَإِنِّي أَنَا ابْنُ زِيَادٍ ، اسْمُهُ مِنْ بَيْنِ مَنْ وَطِئَ الْعَصَى ، قَلَمٌ يَنْتَرَعُنِي شَبَهَ
خَلٍّ وَلَا ابْنَ عَمٍّ ، لَهُ نَكَلَانُ لِحَظَابِهِ هَذَا تَأْتِيهِ عَلَى نَفْسِ الْبَصْرِيِّينَ أَظْهَرُ قَلَمٌ يَزْعُمُوا إِلَى نَعْرِ
سَيِّدِنَا الْعَصِينَ وَسَارَ بَدْءَ ذَلِكَ ابْنُ زِيَادٍ إِلَى الْكُوفَةِ

لَكِنَّهُ لَمْ يَسُخَّ عَمَّا يُحِيطُ بِهَا . مِنَ الْخَفَايَا الَّتِي كَانَتْ تُفْسِدُهَا
فَمَا عَرَفْنَا إِذَا كَانَتْ جَنَائِتهُ قُرْبِيَّةً هَوَسًا قَدْ كَانَ آتِنَهَا

ومن اغرب ما يروى ان عبيد الله بن زياد عند ما بلغ الكوفة حسب الناس سيدنا الحسين عليه السلام فقبلوا عليه عند دخوله وهم يقولون مرحباً بك يا ابن رسول الله ونحن أعوانك وبين يدك ياسيد شباب الجنة فساء ما رأى من تلقى الناس بسيدنا الحسين . وسمع النعمان بن بشير أمير الامويين في الكوفة لفظ الناس بوصول الحسين واحتفاء الناس به فاقبل باب الامارة قرناً واعتصم فيها فاما اقبل عبيد الله بن زياد على دار الامارة جمل يطرق الباب فاطل عليه النعمان وهو يحسب انه الحسين وقال « انشدك الله الا » نتجت عني ، فوالله ما أنا بمسلم اليك ام تي ، وما لي في قتلك من حاجة » فغضب عبيد الله بن زياد وقال له افتح وذاك لاحتفت فانا بالهجين فسمع الناس قوله وقال بعضهم لبعض ويلكم ما هذا بالحسين وانصرفوا وفتح النعمان لمبيد الله فدخل دار الامارة واختلأ فيها وهناك ابلغه نبأ عزله

وفي صباح اليوم التالي خرج عبيد الله بن زياد الى المسجد الكوفي فعلى الناس ثم علا المنبر خطيباً فقال « أما بعد فان أمير المؤمنين (ويريد يزيد) ولاني مصركم وتزكم وفشكم ، وأمرني بانصاف مظلومكم ، واعطاء محرومكم ، والاحسان نلى ساممكم ومطعمكم ، والاشدة على سريكم وعاصيكم ، وأنا متبع فيكم أسره ، ومغذ فيكم عهد ، فأما لمحسنكم كالوالد ، وللمطعمكم كالأخ الشفيق ، وسوطي وسيفي على من ترك أسري ، وخالف عهدي ، فليق كل أسره على نفسه » وزل وقد ترك الناس في وجل من تهديده ووعيده

واخذ عبيد الله الناس على التهمة وجل يشدد على من يئن بهم الليل الى الحسين عليه السلام ويشكل بهم تنكيلا اما مسلم بن عقيل الذي كان مختفياً في الكوفة فصار يرى ان الناس يضاقون من اقامته بينهم مخرج من دار المختار التي كان فيها وقصد هاني . بن عروة المرادي فدخل داره فكره هذا ضيافته وقال له لقد كنتني شططاً ولولا دخولك داري لاحنت ان تصرف عني غير انه أخذني من ذلك ذمام فاقم عندي وهكذا أقام مسلم بن عقيل في دار هاني مختفياً والشيعة تختلف اليه سرّاً ويتأملون على ابن زياد الذي كان دائم الدهر على ما يجري حوله في طي الحفاء وما زال يتجسس اخبار مسلم بن عقيل حتى عرف انه يقيم في دار هاني فاستداه اليه واتهمه بالميل الى العلويين وشد عليه بتسامي مسلم بن عقيل زله في فقره عبيد الله بن زياد بيده فشم وجهه وقات الفتنة في الكوفة وكادت شيعة سيدنا الحسين تنقلب على ابن زياد لو لم يكن هذا مستوثقاً من اشراف البلد عما ادره عليهم من الاموال فخرج هؤلاء الى الناس وفرقوهم بحيث لم يبق مع مسلم بن عقيل غير ثلاثين تقرأ بعد ان كانت البلد بمجملتها معه حشنة هرب الى بيت عجوز فأوى اليه ولكن ابنا في اليوم التالي اوصل خبره الى ابن زياد فأرسل هذا سبعين رجلاً من مقاتله الى بيت العجوز فخرجهم مسلم بنفسه وتكل بكثيرين منهم ولكن كثرتهم تلبت عليه فأوصلته الى ابن زياد منها فأسر بقتله قتل . على ان مسلم بن عقيل في أثناء هذه اللدة وبعد أن رأى أن الناس خزنه استطاع أن يرسل رسولا الى سيدنا الحسين يخبره بأن يمدل عن القدوم الى الكوفة لتكن ابن زياد من استأله اشرافها اليه بالاموال وذلك ان مسلم بن عقيل عند ما تلب عليه رجال ابن زياد واحتلوه على بقر دمت عيناه قتال له عند بن الامت وكان على رأس رجال ابن زياد مالدني يكيك والقوم (ويريد بنو أمية) بنو عمك وليسوا بقاتلوا ؟

أَبُو أَنَسٍ مُّنفِقٌ فِيهَا مَوَازِرَةً سَوْدَاءَ يَعْلَمُ إِنَّهُ أَلْمَاسٌ مُّثَنَّبِيهَا
لِذَا بِهِ حَسَنٌ نَّادَى فَلَا تَرَدُّ نَ الْمَاءِ حَتَّى تَلْقَى النَّارَ تَصْلِيهَا

قَالَ وَلَكِنْ تَسْلِي أَوَّلَ غَدْرِكِي ثُمَّ بَكَى فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ السُّلَمِيُّ وَكَانَ مَعَ رَجُلٍ ابْنِ
زِيَادٍ مِنْ يَطْلُبُ مِثْلَ طَلَبِكَ لَا يَكْفِيكَ إِذَا نَزَلَ بِهِ مَازِلُ بَكَى فَقَالَ مَا بَكَى لِنَفْسِي وَلَكِنْ أَبْكِي لِأَهْلِي
الْمُنْتَظِّينَ إِلَيْكَ أَبْكِي لِلْحُسَيْنِ وَآلِ الْحُسَيْنِ ثُمَّ مَالَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْثَمِ وَكَانَ قَدْ آمَنَهُ حَتَّى اسْتَسْلَمَ إِلَيْهِ
أَنِّي أَرَاكَ تَجُزُّ عَنْ أَمَانِي وَحَتَّى دَعَا قَبْلَ تَسْلِيمِهِ أَنْ يَمُتَّعْنِي عَنْكَ رَجُلًا يُخْبِرُ الْحُسَيْنَ بِحَالِي وَيَقُولُ
لَهُ عَنِّي لِيَرْجِعَ بِأَهْلِي بَيْتَهُ وَلَا يَفْرَأَ أَهْلَ الْكُوفَةِ فَاتَّخَذَ أَصْحَابُ يَهُدْيَةَ الْقَبِيلَةِ كَانَتْ تَتَّبَعُ فِرَاقَهُمْ بِالْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ ؟
قَالَ لَهُ ابْنُ الْأَشْثَمِ وَاقِفَةً لَا تُفْلِحُ وَقَدْ بَرَّ هَذَا الرَّجُلُ وَكَتَبَ إِلَى الْحُسَيْنِ بِمَا أَوْصَاهُ بِهِ مُسَلِّمًا وَأَرْسَلَ
كِتَابَهُ إِلَيْهِ مَعَ رَسُولٍ خَاصٍّ رَغِمَ عَنْ الشَّدَّةِ الَّتِي كَانَ يَبْدِيهَا لِلْمَعُونِ بْنِ زِيَادٍ حَتَّى انْصَارَ الْحُسَيْنِ

وَقَتْلَ ابْنِ زِيَادٍ بِمُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ هَاشِمِيِّ الْقَبِيلَةِ الَّذِي كَانَ مُسْلِمًا نَزَلَهُ وَأَرْسَلَ بِرَأْسِهِمَا إِلَى يَزِيدَ فَكَتَبَ
لَهُ هَذَا يَشْكُرُهُ وَيُوصِيهِ بِالْمَهْرِ عَلَى الْبِلَادِ وَمَحَارِبَةِ الْحُسَيْنِ إِذَا قَصَدَهَا بِكُلِّ شَيْءٍ وَبَلَا رَحْمَتِ

أَمَّا سَيِّدُنَا الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ (يَوْمَ الْجُمُعَةِ ٨ ذُو الْحِجَّةِ قَبْلَ لَهُ
ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرْوُونَهُ فِيهِ) سَنَةَ ٦٠ لِلْهِجْرَةِ فَاعْتَرَضَهُ جَلْعَةُ عُمَرَ بْنِ سَيِّدِ بْنِ الْمَاسِ أَمِيرَ الْحِجَازِ
مِنْ قَبْلِ الْأُمَوِيِّينَ وَكَانَ عَلَى رَأْسِهِمْ أَخُوهُ يَحْيَى بْنُ سَيِّدِ بْنِ الْمَاسِ فَقَاتَلَهُمُ الْحُسَيْنُ وَقَتَعَ نَفْسَهُ طَرِيقَهُ
وَمَقَّى حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَ التَّنَمِيمَ رَأَى هُنَاكَ عِبْرًا مَرْسَلَةً مِنَ الْبَيْتِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَلُوءَةَ وَعَلَيْهَا الْوَرُوسُ وَالْحُلُلُ
فَاقْبَضَهَا وَخَبَرَ أَصْحَابَ الْأَبْلِ أَنْ يَسِيرُوا مَعَ آلِ الرِّاقِ بِأَجْرَتِهِمْ أَوْ أَنْ يَمُودُوا أَدْرَاجَهُمْ بِمَا يَسْتَحْضِرُونَ
مِنْ الْأَجْرَةِ فَفَلَّرَهُ بَعْضُهُمْ وَمَنَاهُ الْبَعْضُ . وَلَمَّا انْتَهَى الْحُسَيْنُ إِلَى الصَّفَّاحِ لَيْلَةَ الْفَرَزْدَقِ الشَّاعِرِ هَذَا
لَهُ بِالنَّصْرِ وَأَخْبَرَهُ بِأَنْ قُلُوبَ أَهْلِ الرِّاقِ مَعَهُ وَسَيُوفُهُمْ مَعَ بَنِي أُمِيَّةَ . وَلَمَّا بَلَغَ الْحُسَيْنُ الْحَاجِرَ كَتَبَ إِلَى
أَهْلِ الْكُوفَةِ مَعَ ثَمَامِ بْنِ مِهْرٍ الصِّدَاوِيِّ يَسْتَعِينُهُمْ بِقُدُومِهِ وَيُأْمُرُهُمُ بِالْجِدِّ بِأَسْرِهِمْ . وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُهُ
الْقَادِسِيَّةَ قَبِضَ عَلَيْهِ الْحَصْبِيُّ بْنُ غَيْرِ التَّيْمِيِّ وَكَانَ صَاحِبَ شُرْطَةِ ابْنِ زِيَادٍ فِي الْكُوفَةِ وَقَدْ أَوْفَاهُ هَذَا
الْيَهُودِيُّ لَتَرْصُدَ الْحُسَيْنَ بِدَنْ بَلَنَّهُ بِأَخْرُوجِهِ مِنْ مَكَّةَ قَاصِدًا الْكُوفَةَ فَأَرْسَلَهُ مَعَ الْكِتَابِ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ
فَفَرَّقَ هَذَا كِتَابَ الْحُسَيْنِ وَقَتَلَ حَامِلَهُ

ثُمَّ إِنَّ سَيِّدَنَا الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقْبَلَ نَحْوَ الْكُوفَةِ فَانْتَهَى إِلَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ فَادَّاعَاهُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَطِيحٍ فَرَحِبَ هَذَا بِهِ وَقَالَ يَا بَنِي أَنَسَ . وَأَيُّ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا أَتَيْتُكَ ؟ وَحَاوَلَ كَثِيرًا
أَنْ يَتْبَعَهُ عَنْ عِزِّهِ فَا أَفْلَحَ . وَعِنْدَ مَا بَلَغَ سَيِّدَنَا الْحُسَيْنَ الثَّلَاثِيَّةَ أَنَّاهُ رَسُولُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْثَمِ وَقَتَلَ
إِلَيْهِ كَلَامَ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ وَمَا جَرَى لَهُ فَا فِي هَذَا عِزِّهِ وَوَأَصَلَ السَّيْرِ فَكَانَ كَلَامًا مَرَّ عَلَى عَيْنِ مَاءٍ
أَتَبَهُ مِنْ عَلَيْهِمَا قَدْ وَصَلَ إِلَى الزَّمَالَةِ بَلَنَّهُ أَنَّ ابْنَ زِيَادٍ قَدْ تَمَكَّنَ مِنْ رَقَابَةِ الْبَاسِ وَلَا يَرْجِي أَنْ
يَنْصُرُوهُ فَأَعْلَمَ النَّاسَ بِذَلِكَ وَقَالَ لَهُمْ قَدْ خَذَلْتُنَا شَيْئًا فَمَنْ شَاءَ فَلْيَقْبِضْ عَلَيْنَا وَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْصَرِفْ فَانْصَرَفَ
عَنْ كُلِّ الدِّينِ مَشُوا مَعَهُ فِي طَرِيقِهِ وَهُمْ يَطْنُونَ سَائِرًا إِلَى بَلَدٍ قَدْ اسْتَقَامَ لَهُ أَهْلُهُ وَلَمْ يَبْقَ مَدْفِعُ الدِّينِ
خَرَجُوا مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ فَاسْتَأْذَنَ بِهِمُ السَّيْرَ حَتَّى وَصَلَ بِطَنِ الْقَبِيَّةِ فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ فَخَبَرَهُ أَنَّهُ قَادِمٌ
عَلَى الْأَسِنَّةِ وَالسُّيُوفِ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَمُودَ فَا سَمِعَ لَهُ وَوَأَصَلَ السَّيْرَ حَتَّى إِذَا مَا اجْتَازَ شَرَفًا وَقَدْ
انْتَصَفَ النَّهَارَ كَبُرَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُ مِمَّا كَبُرَتْ ؟ قَالَ رَأَيْتُ النَّعْتَلَ فَقَالَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ
مَاهِمُهُ الْأَرْضَ نَخْلَةً قَطَعَ قَتَالَ الْحُسَيْنِ فَا هُوَ ؟ فَقَالَا لَا تَزَاهُ الْإِلاَّهُ هُوَادِي الْحُلِيِّ قَتَالَ وَأَنَا أَيْضًا أَرَاهُ
كَذَلِكَ أَمَا لَنَا لِمَا طَلَبَ إِلَيْهِ وَنَجَّاهُ فِي ظُهُورِنَا وَنَسْتَجِبُ الْقَوْمَ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ؟ فَقَالَا بَلَى هَذَا

ثُمَّ نَصَى سَيْفَهُ حَالًا وَأَوْقَعَهُ مَافِقَ هَامَتِهِ إِذْ أَصَحَّ فَارِسُهَا
فَخَرَّ حَالًا صَرِيحًا لَا حَيَاةَ بِهِ مُصَرِّجًا بِدِمَاهُ غَائِصًا فِيهَا

ذو جشم الى جنبك تخيل اليه عن يسارك فان سبقت القوم اليه فهو كما تريد فقال اليه فما كان بأسرع
من أن طلعت الخيل وعدلوا اليهم فسبقهم الحسين الى الجبل فنزل فيه وجاءه القوم وهم ألف فارس
بقيادة الحر بن يزيد التميمي فوقفوا مقابل الحسين وأصحابه في نحو الظهيرة فأمر الحسين أن تستقي
الخيل فسبقت ثم نظم أصحابه صفوفًا وإذا بصلاة الظهر قد حضرت فأذن المؤذن ووقف الحسين
بالناس خطيبًا حمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ، انما منصرف الى الله واليكم ، اني لم آتكم
حتى آتيني كتبكم ورسلكم : ان أقدم الينا ، فليس لنا امل ، لئلا آتينا الله أن يمجنا بك على الهدى ،
وقد جئناكم ، فان تطوفوني ما أطعتم اليه من يهودكم ، أقدم مصركم ، وان لم تحملوا أو كنتم بمقدسي
كارهين ، انصرفتم عنكم ، الى المكان الذي أقبلت منه « قال هذا سيدنا الحسين وهو ينظر في وجوه
الناس فما كان فيهم حبيب وبعد سكوت قصير قالوا للمؤذن أقم فأقام الأذان وصلى سيدنا الحسين بالناس
فصلي معهم العصر ورجلهم بعد الصلاة خلا بكثيرين من وجوه الناس يذكركم بالأمر ثم أقم صلاة العصر
كل هذا والحر بن زياد وجاعته مع الحسين لا يادئونته العناء وهو عليه السلام يحب انهم من أهل
الكوفة وقد جاءوا لنعرضه غير أن الحر بن يزيد سأل الحسين عن الكتاب الذي ذكره غير سؤلها وصلته
من أهل الكوفة فأخرج له خرجين ممتلئين كتباً فقطر الحر في تلك الكتب قليلاً وقال : نحن
لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك نحن رجال ابن زياد وقد أمرنا اذا نحن لقيناك أن لا نتفارقك حتى
تقدمك الكوفة فقال الحسين الموت أدنى اليك من ذلك ومال الى أصحابه فأمرهم أن يركبوا الخيل ليقتل
بهم راجعاً الى الحجاز فسمع الحر من الرجوع وتجادلأملياً في الكلام ثم اتفقوا أن يأخذوا الحسين
طريقاً لا تؤدى الى الكوفة أو الحجاز وإنما يكتب الى ابن زياد ويرى رأيه على أن يطل بأصحابه حراً له .
فأخذ سيدنا الحسين عليه السلام طريق المذيب والقادسية حتى انتهى الى عذيب المهجانات فإذا بأربعة
نفر قد أقبلوا من الكوفة على هيجهم فأخبره أحدهم وهو مجمع بن عبيد العامري فقال : أمّا
أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملكت غرائزهم فهم أب واحد عليك وأماسائر الناس بدمهم
فإن تلوسهم تهوي اليك وسيوفهم غداً مشهرة عليك . وقال له الطرماح بن عدي وهو ثانيهم والله
ما لرى ملك كبير احد ولو لم يقاتلك الا هؤلاء الذين يلازموك لكنني وقد رايت في الكوفة قبل
خروجي جوعاً كثيفة شهياً لقتالك والراي عندي ان تدير معنا الى أجاقتك فيه وتستدعي طي
لنصرك فليلك وأنا ضيق أن يأتيك منهم عشرون ألف مقاتل فأبى الحسين دعوته وشكره .
واصراف نفر الاربعة عنه وهم وجولون عليه

ثم سار الحسين حتى بلغ نصر بني مقاتل فرأى هناك عبيد الله بن الحر الجعفي فطلب نصرته
فرفض قائلاً ما تركت الكوفة الا مخافة ان تمسخها وأنا فيها ثم استأنف الحسين السير وكان قد
هجم الليل فاما هي الا ساعة حتى غفا غفوة وهو على ظهر جواده ثم اتبعه نفسه لخميد واسترجع
فسمعه ابنه علي بن الحسين فدنا منه بخواده وقال : فذلك نفسي ما الذي جرى ؟ قال الحسين : لقد
غفوت فمن لي فارس على فرس فقال « القوم يسبون والتايا تسير اليهم » فقلت أن أقسنا قد
نسيت اليها فقال علي بن الحسين : يا أبت لا أراك الله سوء ألسنا على الحق ؟ قال بلى والذي يرجع
اليه الهاد قال اذن لا نبالي ان نموت محبتين قتال الحسين : جزاك الله من ولد خير أما جزى ولداً عن والده

فَانْتَقَبَتْ رُوحَهُ اَهْلُ الْبَحْرِمْ وَالْقَهْمَا لِنِيَرَانِهٖ اَلْحَمَرَا لَتَشْوِيَهَا
بِهَا شَيْءًا طَيِّبُهُ قَدْ رَحِبَتْ وَغَدَتْ لَهَا وَمِنْهَا وَمَعَهَا فِي مَخَازِنِهَا

وظل سيدنا الحسين سائراً طول ليله الى الصباح حيث نزل بمن معه ففصل بهم الفجر ثم
جعل الركوب فأخذ يتياس بأصحابه يريد ان يعرفهم فتصدى له الحر يريد أن يمنعه من رغبته وما
زلا يتشادان والباس سائرون حتى بانوا نيتوى فتركوا هناك وبعد قليل اقبل فارس من الكوفة
واعطى الحر كتاباً من ابن زياد فذا فيه « أما بعد ، بجميع الحسين حين يملك كتابي ، وبقدم
عليك رسولي ، فلا تنزله الا بالراء ، في غير حصن وعلى غير ماء ، وقد أمرت رسولي ان يلزمك
فلا يغارك حتى يأتيني بما تذاك أسري والسلام » أه . حينئذ انقلب الحر من مسلم يحترم ابن رسول
الله الى وحش ضلوع وأمر سيدنا الحسين عليه السلام ان يقبض الى الدراء فجعل يلج عليه ان يبقى
في نيتوى أو يسير الى الخاضرة أو شفة واذا لم يرق الحر للباس الحسين اشار عليه أحد أصحابه
وهو زهير بن القين بان يقتل الحر فملا أن قتاله مع من معه أهون من قتال الذين وراءهم فأبى الحسين قتله
لا ابداهم بالقتال قال اذن سر بنا الى هذه القرية حتى ننزلها فنها حصينة وهي على شاطئ النمرات
قتال الحسين وما هو اسمها قال المقر قال اللهم اني اعوذ بك من المقر وأنى المسير اليها . وكان ذلك
يوم الثلاثاء السابع من محرم سنة ٦١ للهجرة

اما ابن زياد فمند ما ارسل رسوله بكتابه الى الحر اسرع فأرسل عمر بن سعد بن أبي وقاص
بالمسير لغاتة الحسين بأربعة آلاف مقاتل فلما انتهوا حيث ابن رسول الله نازل ارسل اليه عمر رسولاً
يسأله عن مقدمه فأجابه قائلاً كتب الي أهل مصركم هذا ان اقدم عليهم فذا كانوا قد كرهوا مقدمي
فأعصر عنهم فأرسل عمر بحجوب الحسين الى ابن زياد فكتب اليه هذا بأمره أن يمرض على الحسين
بيمة يزيد فذا قبل ينظر في أمره وان يمنع عنه الماء فلما انتهى كتاب ابن زياد الى عمر بن سعد
أرسل عمر ابن الحجاج على خصمية فارس فتركوا على الشربة وحالوا بين الحسين والماء حتى اذا ما
عطش الحسين وأهله وأصحابه أمر الحسين أخاه الباس بن علي فصار في عشرين راحلاً يحملون
القرب وتلاتين فارساً فدنا من الماء وقاموا عليه وملأوا قريهم وحادوا وفي اليوم الثاني بث الحسين
ابن قرقه بن كعب الانصاري الى عمر بن سعد يطلب مقابلته في الليل بين المسكرين والفصل تقابلا
وكان ذلك في الليلة الثانية التي منع عن الحسين وأصحابه الماء فيها ومحادثا طويلاً ليجدوا للمشكلة حلاً
فأذا عمر لا يرضى الا ان يبيع الحسين بزيد والحسين يرى الموت أهون من بيع دينه بيمة يزيد
على انه كان يطلب ان يدعوه فيعود الى الحجاز ثم تكررت هذه اللقاءات وقال الناس ان الحسين
طلب ان يسير الى يزيد في دمشق ويتفق معه على رأي أو ان يسير الى أي ثمر من ثمر المسلمين
ويكون واحداً من أهله الا ان أهل السنة من المؤرخين يقولون هذا . والظاهر ان عمر بن سعد
كان يميل الى مساعدة الحسين والسماح له بالرجوع الى الحجاز وكتب بذلك غير مرة الى ابن زياد في الايام الثلاثة
التي منع الماء فيها عن الحسين . فلما وقف ابن زياد على ما دار بين عمر والحسين نادى شمر بن
ذي الجوشن وقال له اخرج هذا الكتاب الى عمر فليعرض على الحسين وأصحابه التزول على حكمي
فان قملوا فليمت الي بهم سلماً وان أتوا فليقاتلهم فان قمل (ويريد عمر بن سعد) فاسمع له واطع
وان أبى فانت الامير عليه وعلى الناس وأضرب عنقه (عن عمر) وامت الي برأسه وكان في كتاب
ابن زياد الى عمر ما يأتي « أما بعد ، فلم أبعثك الى الحسين ، لتكف عنه ، ولاتجنبه ، ولا لتطاوله ،

وَلَعَنَهُ اللَّهُ تَنَشَّاهَا وَتَضَحَّيَهَا إِلَى الْخُلُودِ قُزِّدْنِهَا وَكُشِفْنِهَا
وَالْجَنَّةُ أَسْتَوْهَبَتْهَا أَمْ هَيْشَمٌ نُسِمَ أَحْرَقْنَهَا وَكَانَ الرِّيحُ دَارِيَهَا

ولا لتقدم له عندي شقياً ، انظر فان نزل واصحابه على حكمي ، واستسلموا لي ، فانت هم الي
سلماً ، وان أبوا فاحذف اليهم ، حتى يقتلهم ويمثل بهم ، فانهم لذلك مستحقون ، فانزل الحسين ،
فاوطيء الحبل صدره وظهره ، فانه حاق شاق ، قاطع ظلوم ، فان أنت مضيت لاسر ما حزيناك
جزاء السامع الطمع ، وان انت أبيت فاعتزل جندنا ، وخل بين شمر وبين المسكر ، والسلام .
ساو شمر بكتاب بن زياد الى عمر بن سعد وسار معه عبد الله بن ابي المحل بن خزام فأخذ
هذا من ابن زياد اماً للعباس وعبد الله وجعفر وثمان اولاد سيدنا علي عليه صلوات الله من عمته
ام البنين بنت خزام بصقته خالهم . ولما انتهى شمر وعبد الله بن خزام الى عمر بن سعد اسرع عبد الله
فارسل كتاب الامان الى من ذكرنا من اولاد سيدنا علي عليه صلوات الله مع رسول فرفضوه ثابن امان
الله خيبرن امان ابن سية (أي معاوية) أما شمر فلم يكتف كتاب بن زياد الى شمر فقرأ هذا
ولرئفت فرائسه وقال له : مالك وملك ؟ قبح الله ما شئت به ، والله اني لأظنك أنت فتيته أن
يقبل ما كنت كتبت اليه به ، فقد أضدت علينا أمرأكتنا رجونا أن يصلح ، والله لا يستسلم الحسين
ابداً والله انّ نفس أبيه لبن جنيته . فقال له شمر أحسب ما شئت وتل لي ما أنت صانع الآن ؟
فاستأذ عمر بن سعد في سره من شمر ما هو مقدم عليه وحب الدنيا غالب على نفسه وقال اتولى ذلك .
وعند ما سمع عبد الله بن خزام أن حرب الحسين واقعة لاعالة اسرع الى مكر سيدنا الحسين
عليه السلام ودعا العباس ابن سيدنا علي واخوته اليه فجاءوه فقال أتم يا بني عني آتون قدموا الحسين
وسيروا مبي فقالوا بصوت واحد : لنك الله ولن املك لن كنت خالداً مؤمناً وابن رسول الله
لا أمان له ؟ فرجع عبد الله محزولاً الى صاحبه شمر

وفي عصر الخميس تاسع محرم ركب عمر بن سعد وشمر والناس ممها قاصدين بمكر سيدنا
الحسين عليه السلام وقد كان الحسين وقتئذ جالاً امام خيمته محتباً بسيفه ذفت عباه وسقط رأسه
على ركبته بينما كان الاعداء يقصدونه قسمت زيب بنت علي ضجيج المهاجرين فأسرعت لاجلها الحسين
فألفته غافياً ورأسه على ركبته كما تقدم فابقطته فقال لها : رأيت حدي رسول الله في الحلم قتال امك
تروح النينا . فلطمت زيب وجهها وقالت يا ولاتاه . قال ليس لك الولي يا أخية اسكني رحمتك الله .
وبينما كان الحسين يخاطب اخته واذا بأخيه العباس أقبل عليه وقال : انظر قد أتاك الناس . فرفض
عليه السلام وقال يا أخي لا ركب نفسي فقال العباس بل أروح أما . فقال الحسين اركب أنت حق
تلقاهم فاسألهم ما يدا لهم وعما جاءهم فأتاهم في نحو عشرين فارساً فيهم زهير بن النخعي فسلمهم عن
مقدمهم فقال عمر بن سعد ان ابن زياد أسرنا ان ينزل الحسين ومن معه على حكمه فيسرون اليه
سلماً أو نكرهه على التسليم على شقار السيوف قتال امهلوني ربنا ارجع اليه بالخبر وأرى رأيي فيه
فقبلوا وعاد الى الحسين مبقياً واصحابه بين اعداء الله ورسوله يذكروهم الله وكتابه وعاقبة ما هم قدمون عليه
اما العباس فاسرع على جواده الى اخيه الحسين فاطلمه خبر القوم قتل له عليه السلام :
ارجع اليهم فان استطعت تؤخرهم الى غدوة لملنا نصلي لربنا هذه الليلة وندعوه ونستغفره فربو يعلم
اني كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار فرجع العباس أمر اخيه حتى اذا
ما بلغ موقف القوم دنا من عمر بن سعد وقال له ارجع رجالك عنا المشية حتى ننظري في هذا الامر

فَخَفَّتْ عَنْ نَجِيمِ الْأَرْضِ تَنَسُّهَا وَنَزَّهَتْ تَرْبَهَا عَنْ أَنْ تُسْتَرْهَهَا
بِذَا حَيَاةُ أَشَرِّ النَّاسِ أَجْمَعِهَا قَدْ أَنْتَهَتْ إِثْمًا ظَلَّتْ مَسَاوِيهَا

فاذا أصبحنا التفتنا ان شاء الله فأمّا رضيته به وأمّا وددناه . قال عمر بن سعد الى شمر وقال له
ما ترى في هذا ؟ فقال شمر أنت الامير والرأي لك . فأقبل عمر بن سعد على الناس وهو يتنقّى أن
يتهمي الخلاف بينه أن يصرّ على عظام أم في محاربة سيدنا الحسين وقتله وقال لهم : ان الحسين يستعملنا
الى الصباح فما ترون ؟ فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي : سيعان الله ، والله لو كان من الديلم ثم
سألكم أن تمهلوه الى غده ، لكان ينبغي لكم أن تحيوه . وقال قيس بن الاشعث بن قيس :
أجبه الى ما طلب ، لعمرى ليصبحنك غدوة بالقتال . فرجع عمر بالناس الى مسكرهم ينتظر الفد
اما سيدنا الحسين عليه السلام فجمع اصحابه حوله ووقف فيهم خطيباً فقال : أيّي على الله
أحسن البناء ، وأحمد على السراء والضراء ، اللهم اني احمدك على أن اكرمتنا بالنبوة ، وجلت
لنا اسماعاً واصباراً واثقة ، وتعلمتنا القرآن ، وفقتنا في الدين ، فجللنا لك من الشاكرين ، أمّا
بعد ، فاني لا أعلم أصحاباً أوى ولا أخبر من اصحابي ، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي ،
جزاكم الله فني خيراً ، ألا واني لا ظن يومنا من هؤلاء الاعداء غداً ، واني قد أذنت لكم جميعاً
فانتقلوا في حلّ ليس عليكم مني ذمام ، هذا الليل قدغشيتكم فأتخذوه جلاً ، وليأخذ كل رجل منكم
ييد رجل من أهل بيتي ، جزاكم الله جميعاً خيراً ، ثم تهرقوا في البلاد في سوادكم ومداينكم ، حتى
يفرج الله ، فإن القوم يظلموني ، ولو أصابوني لهما عن غيري « آه . وسد ان انتهى من خطابه
نظر اليهم ليري رأيهم . فقال له اخوته وابناؤه وابناء اخوته وابناء عبد الله بن جعفر : لا تفعل هذا
لنبتي بذك ، لا أرانا الله ذلك أبداً . فقال الحسين يا بني عمي هتيل بن أبي طالب ، حسبكم قتل
مسلم بن عقيل ، اذهبوا فقدأذنت لكم . قالوا فما نقول للناس ؟ أنقول تركنا شيخاً ، وسيداً ،
وبني عمومنا خير الاعمام ، ولم نرمهم بهم ، ولم نطعن منهم برمح ، ولم نفر ب سيف ، ولا
نذري ما صنعوا ؟؟؟ لا والله لا تفعل ، ولكننا نقديك بأنفسنا ، وأموالنا وأهلينا ، وقاتل معك ،
حتى نرد ووردك ، فحقب الله العيش بذك . وتقدم منه مسلم بن بن عوسجة الأسدي فقال :
أنحن نتخلى عنك ولم ننس الى الله في اداء حقت ؟ أما والله لا افرتك ، حتى اكر في صدورهم
رحمي ، وأضرهم ببيني ما تحب قومه يدي ، والله لو لم يكن مني سلاحي ، لقدفهم بالمجاعة دونك ،
حتى أموت معك . وتكلم بقية اصحابه بنحو هذا فتكرهم الحسين وصرهم وهو مستلم لقضاء الله
وقدره وواد الى خيائه يجيى اليه بالصلاة والنساء

لم يتم سيدنا الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء وكيف ينالم وهو يعرف انه بعد ساعات سائر
باخوته وبنيه واقربائه الادين الى المنية لكثرة الاعداء وخيبة الامل بالاصدقاء فصلى الى الله طويلاً
ودعا كثيراً وطلب الرحمة والنفرة والشهادة والاجر وما زال كذلك الى منتصف الليل فاستند الى وسادته واتند

يادهر أفدّ لك من خليل

من صاحب أو طالب قتيل

واقفا الأسم الى الجليل

وكل حي ممالك السيل

ثم بكى قليلاً لا عن جزع ولكن على هذا الانسان الذي أبى الا أن يطلم أخاه الانسان
وعاد فكرر هذه الايات قائماً والثاء وسمعت أخته السيدة زهبة بكاءً ونشيداً فلم تملك نفسها

فَأَصْبَحَتْ أُمُّ الْهَادِي هَيْدُ عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى تَعْنَى فِي تَلَقِّيْهَا
فَكَانَ أَحْوَجُهَا أَنْ الْخِلَافَةَ بِأَنَّ لَبَّيْنِ حَرْبٍ فَأَمْسَى وَهُوَ رَاعِيَهَا

فسفلت عليه وهي تقول : واتكلاه ، ليت لولت أعدمني الحياة ، اليوم ماتت قاطمة أمي ، وعلى أبي ،
ومحمد جذبي ، والحسن أخي ، آه يا خليفة الماضي ، وتعال إليّ ، إلى ماذا أنت صائر ؟ فنظر إليها
سيدنا الحسين بقلب بقطر دماً . وقال : صبراً يا أختي لا يذهب حلك الشيطان . قالت استقلت
بأبي أنت وأمي ، نفسي لنفسك فداء ، فردّد سيدنا الحسين عليه السلام غصته وترقررت عيناه بالدموع
وقال : لو ترك القطا لنام فطمت السيدة زينب وجهها وقالت : واوليتاه ، أغصنك نفسك اغتصاباً ؟
فذلك أفرع قلبي ، وأشدّ على نفسي . قالت هذا ولطمت وجهها ، وشقت جيبها ، وخرّت على الأرض
منشياً عليها . فحوّل سيدنا الحسين واسترجع ونهض إليها وصبّ على وجهها الماء وما زال يالجأحني
أفادت فقال : أقي الله ، وتزوّي بزاء الله ، وإعليه أن أهل الأرض يموتون ، وأهمل السماء
لا يبقون ، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله ، جذبي خير مني ، وأبي خير مني ، وأمي خير مني ،
وأخي خير مني ، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة . وما زال عليه السلام يلفظ مصابها
بمثل هذه الأقوال المنيبة حتى أنس منها التجلّج فقال لها : يا أختي ، اني أقسم عليك ، أن لا تشقي عليّ
حياً ، ولا تحشي عليّ وجهاً ، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور ، أن أنا هلكت . وبعد هذا أرجعها
إلى خباء النساء وهي في أشد الجزع وجلس لنفسه فكى قليلاً على حال النساء اللواتي معه ذكراً نصيحة
عبدالله بن عباس أن لا يصحبهن . قال : انه القضاء ولا رادّ لما تقى به الله . ثمّ عاد إلى الصلاة
فأحيا جنة إليه مصلياً ساجداً داعياً مسلماً أمره وأمر أهله إلى الله . وهكذا أجا بقية أصحاب
الحسين ليلتهم بالنساء والاستغفار والصلاة إلى الصباح وهم لا يعلمون ما خبأ لهم القضاء
وعند ما انتق نور فجر اليوم الأسود يوم عاشوراء من سنة ٦١ للهجرة وهو اليوم الذي له
كل محب لرسول الله وآل البيت الطاهر يتفجع قلبه وتكسر نفسه خرج عليه السلام إلى أصحابه
فأمرهم أن يدنوا خيامهم بعضها من بعض ويحيطوا بالخيام وهي وراءهم ويستقبلوا الأعداء بوجوههم
فعلوا بأمره واستعدوا للقتال فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه وحبيب بن مظاهر في ميسرهم
وأعطى رايته إلى أخيه العباس وكان كل من معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً فقط بيننا
كان يربو عدد جيش ابن الزيات الذي يقوده عمر بن سعد على الأربعة آلاف . وأمر سيدنا الحسين
أصحابه أن يجمعوا حطباً وقصباً في مكان منخفض كان وراء تخيمهم فقلوا فأمر بشله لحماية قوتهم
أما عمر بن سعد فانه عند الصباح صلى بالناس ثمّ خرج بهم للقتال فجعل على ربع أهل المدينة
عبد الله بن زهير الأزدي . وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الاشعث بن قيس . وعلى ربع مذحج
وأسد عبد الرحمن بن أبي سبرة الجفني . وعلى ربع تميم وهمدان الحرّ بن يزيد الرياحي وهو الذي تصدى
للحسين ومنه من الرجوع . وكان عمرو بن الحجاج الزبيدي على ميمنة عمر بن سعد . وعلى ميسرته شمر
ابن ذئب الجوش الذي انتدبه للملون ابن زياد لمراقبة تنفيذ هذه الجريمة افطحة . وعلى الخيل عروة
ابن قيس الأسدي . وعلى الرجال شيب بن ربيعة اليربوعي النخعي . واعطيت راية الأثم والشر
والكفر إلى جريد . وكان عدد المقاتلين الاشرار يربو على الأربعة آلاف مقاتل . وهنا لا يبع المؤرخ
النصف إلا أن يسيدي الدهش والاستغراب من تجمع هذه الجموع الكثيفة بهذا الاستعداد
الحربي العظيم لمقاتلة فئة قليلة لا يربو عددها على الاتي والسبعين رجلاً فقط كانوا نازلين تحت الخيام في

عُنْمًا تَخْلِي لَهَا فِي رَغِيهِ حَسَنٌ مِنْ بَعْدِ سِتِّ شَهْوَرٍ مِنْ تَوَلَّيْنَهَا
لَمَّا رَأَى نَفْسَهُ فَرَدًّا وَقَدْ هَرَبَتْ مِنْهُ أَخْلَاؤُهُ طَوْعًا لِرَاشِيَتِهَا

أرض جراده قبل سماع الاولون والآخرون بحجامة كهذه وهل كان يخطر على قلب بشر ان قوماً من المسلمين يهاجون البقية الباقية من آل رسول الله وصيه عليهما الصلاة والسلام فيقوموا بهم بمثل هذه الوحشية . لا والله لا يستطيع العقل البشري ان يحمد مبلغ بشاعة هذه الجريمة وقضاعتها بل ان يدي لتزجيف وهي تلخص حوادثها ودموعي لتنهل على القرطاس قتمحو الحروف التي اكتبتها وقواذي يتقطر حزناً وألماً وأنا ادون وقائماً القضيمة ولا اعرف كيف اعبر عن قضاة هذه الموهبة التي اقل ما يقال فيها انها غدر وكفر . وليت شعري ما كان يضر هؤلاء القوم وابن زياد في الكوفة على رأسهم وزيد في دمشق ولي أسرمهم لو تركوا سيدنا الحسين يرجع بأهله وأولاده وأخوانه واصحابه من حيث أتوا كما كان يطلب منهم عليه السلام وقد يقال انهم كانوا يخافون ان يزيد على يزيد المتقلب على الخلافة فتنة جديدة في موضع آخر وهذا كل حجةهم ولكن التجربة علمتهم ان السيادة لمن معه المال وانهم طامنا هم قابضون على بيت مال المسلمين ينفقونه حزافاً على الذين يبيعون آخرتهم بغيرهاهم وكثيراً هم فلاخوف عليهم من محارب ولا هم يحزنون حتى لو كان ابن رسول الله بل لو كان رسول الله نفسه عليهما الصلاة والسلام . وبعد هذه التجربة التي حاربها معاوية غير مرة ونجحت أما كان خلق بهم ان يطهروا شيئاً من التثمين والورع والاحترام لشخص رسول الله بالابقاء على ذرته الطاهرة وتفتح الطريق لها لتزجج اندراجها من حيث أتت ؟ انهم لو فعلوا هذا لما كان من المستحيل عليهم الاحتفاظ بديارهم واستجلاب رضاء سيدنا الحسين وآل البيت الطاهر بالامر الواقع ولا سيما بعد ان علم بالاختيار بان اصحابه لا يركن اليهم طالما يسهل على يزيد وعمله ان يشتروا ذمهم بالاموال كما جرى في الكوفة . ومن ثم ما كان يجمل يزيد من معاوية وعمله ان تلهم الله ان سيدنا الحسين عليه السلام ليس وحده المطالب بالخلافة بل هنالك آخرون يرون مفسداً للخلافة ويطمعون بها وعلى رأسهم عبد الله بن الزبير ونعم ان هؤلاء ليس لهم من الشأن والتفوذ في الاسلام ما لآل البيت الطاهر ولكنهم على كل حال اصحاب كلمة عليا في الاسلام ما كان يجملها الامويون وحرث بلعل اذ قام عبد الله بن الزبير بالدعوة للخلافة وحارب الامويين السنوات الطويلة كما رأينا في ترجمته . ولكن الله احكاماً نجعل حكمهما فقد سمح الله سبحانه بهذه الجريمة القضيمة بقضاء وقدر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم رأى سيدنا الحسين عليه السلام اعداء الله ورسوله متحفرين لهاجته فاعتسل وتمطر استمداداً للموت وخرج فرك حواده ودعا بالقرآن فوضعه امامه ودعا الثغر الذين حوله الى الاستعداد فلقوا مشهري سيفهم فرقع يديه الى السماء وقال : اللهم ، أنت تقى في كل كرب ، ورجائي في كل شدقة ، وأنت لي في كل أمر تزل بي ثقة وعدة ، كم من هم يصف في التؤاد ، وتقل فيه الحيلة ، ويخجل فيه الصديق ، ويثبت به العدو ، انزله بك ، وشكوتك اليك ، رغبة فيك ، مما سواك ، فخرجت ، وكشفته ، وكفنيته ، فأنت ولي كل معة ، وصاحب كل حسنة ، ومنتهى كل رغبة ، سبحانه أرحم الراحمين . ثم أمر سيدنا الحسين بالاستعداد للقاء الاعداء على ان لا يبدؤهم القتال فيما كان لسان النار يتدلع من وواه خيامه كما سبقت الاشارة

اما اصحاب عمر بن سعد هذ رأوا النار تلتهم وراء خيام الحسين اطهروا الدهشة وهجموا على معسكره حتى اذا ما دنوا من الحسين واصحابه قال شمر مخاطباً سيدنا الحسين « تعجلت النار

وَكَانَ أَبْعَدَهَا شَرًّا فَفَاعَةً مَقِيلِ الْحُسَيْنِ الَّتِي لَا شَرَّ بِحِكْمِهَا

في الدنيا قبل القيامة » فرعه عليه السلام وقال « أت اولى بها حلياً » ثم تقدم من اعداته بقلب
فقد من الحديد وصاح بهم بصوته الجهر بحيث يسمونه كلهم فقال : « ايها الناس ، اسمعوا قولي ،
ولا تعجلوني حتى اعطىكم بما يجب لكم علي ، وحتى اعترف اليكم من مقدي عليكم ، فان قلبم
علري ، وصدقت قولي ، وانصتوني كنت بذلك اسعد ، ولم يكن لكم علي سبيل ، وان لم تقبلوا
مني المنذر ، فجمعوا امرهم وشركاءكم ، ثم لا يكن امرهم عليكم غم ، ثم اقضوا علي ولا تنتظروني ،
ان وليي الله ، الذي نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين » ولما انتهى الى هذا المقام من قوله
ارفعت اصوات النواح والمويل والولاويل من خيام الحسين من اخواته ونسائه وبناته فدوت باذان
الجميع فادى سيدنا الحسين اخاه العباس وابنه علياً واسمها ان يذهب اليهن ويسكنانه وقال لعمرى
ليكثر بكاءهن بعد اليوم فلما ذهب قال : صدق عبد الله بن عباس قد نصحتني ان لا اذهب بهن
ولكن هذا ايضا بقضاء الله ومن كان يعلم ان الناس يطلبوني ويتهمدون بصرتي ثم يقولون علي ؟ ؟
وصبر سيدنا الحسين عليه السلام قليلاً ربنا سكنت النساء في الخيام فماد الى مخاطبة الناس
لحمد الله وانني عليه وصلي على محمد وعلى الملائكة والانبياء وقال ما لا يحصى كثرة فاسمع ابلغ منه
ثم قال : أما بعد ، فانسوني ، فانظروا من أنا ؟ ؟ ثم راجعوا انفسكم فاقبلوها ، وانظروا هل
يصالح لكم قلبي ، وانتهاك حرمتي ؟ ألت ابن بنت نبيكم ؟ ؟ وابن وصيه ؟ ؟ وابن عمه ؟ ؟ واولى
المؤمنين بالله ؟ ؟ والمصدق لرسوله ؟ ؟ او ليس حزة سيد النبوة عم أبي ؟ ؟ او ليس جعفر
الاشهد الطيار في الجنة عمي ؟ ؟ أو لم يلفكم قول مستفيض : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لي ولا أخ لي انما شباب أهل الجنة وقررة عين أهل السنة ؟ ؟ فان صدقتوني فيما قلت ، وهو الحق
والله ما تمددت كذباً ، مذ علمت ان الله يحقت عليه ، وان كذبتموني ، فان فيكم من ان سألتوه
عن ذلك أخبركم ، سلوا جابر بن عبد الله ، أو أبا سعيد ، أو سهلاً بن سعد ، أو زيدا بن أرقم ،
أو أنساً ، يخبروك انهم سمعوه من رسول الله ، أما في هذا حازر يحجزكم عن سفك دي ؟ ؟ فاعترض
شعر لعنه الله سيدنا الحسين قائلاً اني لاعبد الله على حرف ان كنت أدري ما تقول . فقال له
حبيب بن مطهر وملك يا شمر والله اني أراك تبتد الله على سبب حرفاً وان الله قد طبع على قلبك
فلا تدري ما تقول . فاعبى سيدنا الحسين مما جال بين الاثنين واسقتلى خطابه فقال « ايها الناس ،
ان كنتم في شك مما أقول ، أو تشكون في أبي ابن بنت نبيكم ، فوايه ما بين الشرق والغرب ابن
بنت نبي غيبي ، لانكم ولا من غيركم ، أخبروني هل تطلبوني بقتيل منكم قتله ؟ أو مال لكم
استهلكته ، أو بقصاص من جرحة ؟ » وسكت قليلاً عله يسمع جواباً فما اجابه أحد فوجه خطابه
الى شيث بن ربيعة وحجار بن ابجر وقيس بن الاشعث وزيد بن الحارث واسمهم باسماهم وقال لهم
« ألم تكتبوا الي أن اقدم عليكم ؟ » فقال هؤلاء بكل قحة كلام فقلع فقال عليه السلام بلى قتلتم
وكتبكم عندي . ثم قال « ايها الناس ، أما وقد كرهتموني ، فدعوني انصرف الى ما أمني من
الارض » فقال له قيس بن الاشعث حشنة وكأنه قد خجل عند ما ذكره الحسين بكتابه يستدعيه
الى الكوفة ثم خرج مع الظالمين الذين خرجوا لقتاله : ألا تنزل على حكم ابن عمك ؟ (ويريد يزيد
ابن معاوية على اعتبار العمومة الموجودة بين الهاشم والامويين) فذلك لن ترى الا ما تحب .
فقال الحسين « أنت اخو أخيك » تريد ان يطلبك بنو هاشم ، باكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ ،
لا والله ، ولا اعطيهم يدي عطاء الدليل ، ولا أفر فرار البعد ، عباد الله ، اني هذت بربي

جَرِيْمَةُ مَا رَوَى اَلْاَثَرِيْنُ اُبْشَعَ مِنْهَا فِي اَسَاطِيْرِهِ اَوْ مَا يُحَاكِئُهَا

وربك ان ترعوني ، اعوذ بربي وربكم من متكبر لا يؤمن بيوم الحساب » وادار وجهه فرسه . فقدم من الناس زهير بن القين على فرسه وهو مدجج بالسلح وقال « يا أهل الكوفة ، بدار لكم من عذاب الله بدار » ان حقاً على السلم ، نصيحة المسلم ، ونحن حق الآن أخوة على دين واحد ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، فاذا وقع السيف ، انقطعت العصمة وكنا نحن أمة واتهم أمة ، ان الله قد ابتلانا وإياكم بفرصة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ، لينظر ما نحن واتهم عاملون ، اننا ندعوك الى نصر الله ورسوله بنصر ابن رسوله ، وخذلان الطاغية ابن الطاغية ، يزيد بن معاوية ، وعامله هبداثة بن زياد ، فانكم لا تتركون منهما الا سوء ، يسلا أعينكم ، ويقطمان أيديكم وأرجلكم ، ويمتلان بكم ، ويرضانكم على جزوع النخل ، ويقتلان أمثالكم وتراءكم ، أمثال حجر بن عدي وأصحابه ، وهاني بن عروة وأشياحه ، فاغتناظ الناس مما سمعوه وسبوا زهير وأثروا على يزيد وابن زياد وقتلوا والله لا تخرج حتى تقتل صاحبك ومن معه ، أو نبث بهم سماً الى الامير عبيد الله بن زياد ، قتال زهير : بأعباد الله ان ولد فاطمة حق بالود والنصر من ابن سمية (ويريد يزيد بن معاوية وهو ابن سمية لأن سمية أم معاوية وحيدة يزيد) فان كنتم لا تصرونهم ، فاعيدكم بالله أن تقتلوهم ، خلوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية ، فدمري أن يزيد يرضى من طاعتكم يدون قتل الحسين » وما كاد ينتهي زهير عند قوله هذا حتى خاف الملون شمر أن يؤثر به على الناس قيادته بسهم رماله به . وقال : اسكت أسكت الله ناصتاك ، أبرمتنا بكثرة كلامك . فضبه زهير وقال : والله ما ظنك تحمك من كتاب الله آيتين وابشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الاليم . فضحك شمر وقال ان الله قال لك وصاحبك عن ساعة . قتال زهير أقبل الموت تخوفني ؟ والله لموت مع الحسين أحب الي من الخلد مكم . ثم رفع صوته وقال : عباد الله ، لا يفرنكم من دينكم هذا الجلف الجاني ، فوالله لا تتال شفاعته محمد قوماً أهرقوا دماء ذريته ، وأهل بيته ، وقتلوا من نصرهم ، وذبح عن حرمهم . واذا رأى سيدنا الحسين عليه السلام ان مثل هذا الكلام لا يؤثر على قوم خشم الله على أبصارهم وأذانهم فأمره أن يسكت ويرجع فامتل

وعند ما عزم عمر بن سعد على تنفيذ تلك الجريمة الشنعاء التي ترتجف ذكرها فرائس المسلمين تقدم منه الحر بن يزيد فقال له : أصلحك الله يا عمر أمقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال عمر : أي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الايدي . قال : أقال لكم في هذه الحصال التي عرضها عليكم رضى ؟ فقال عمر والله لو كان الامر الي لقطعت ولكن أميرك (ويريد عبيد الله بن زياد) قد أبى ذلك . فتركه بغير جواب ورجع وهو نادم على ما فعل من حيزه الحسين أولاً وقد عرض عليه العودة الى الحجاز وأخذ يتردد في أمره بين الاقدام على نصرة الحسين وهو لا يرى وراءها الا الموت الزؤام مع كسب الجنة وبين حرب الحسين ويرى وراءها الحياة مع غوص نار الجحيم وبينهما هو في تردده اعترضه رجيل يدعى للمهاجر بن أوس قائلاً : والله يا بني ان أمرك اريب ، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل ما أراه الآن ، ولو قيل من أشجع أهل الكوفة ؟ لما عدوتك . قتال الحر . اني والله أخبرتني بين الجنة والنار ، ولا أختار على الجنة شيئاً ولوقطعت أرباً وحرقت جني . قال هذا وهزني خصرة جواده فطار به نحو مسكر سيدنا الصين فقصده وقال : جاني الله فذاك يا ابن رسول الله ، أما صاحبك الذي حبستك عن الرجوع ، وسارتك في الطريق ، وجعجت بك في هذا المكان ، ووالله ما طننت ان التوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً ، ولا

جَرِيْمَةُ دُونِهَا كُلُّ الْجَرَائِمِ لَا يَنْفَكُ ذُو الدِّينِ يَشْكُو مِنْ تَمَاسِيْهَا

يبلون منك هذه المأزلة أبداً ، قتلت في قسي لأتالي أن أطيع القوم في بعض أسرههم ، ولا يرون أني خرجت من طاعتهم ، ولما هم يقبلون بعض مائدعوهم اليه ، ووالله لو ظننت انهم لا يقبلونها منك ، ما تركتها منك ، واني قد جئتكم تائباً بما كان مني الى ربي ، مواسياً لك بنفسي ، حتى أموت بين يديك ، اقتري ذلك توبة ؟ قال الحسين نعم يتوب الله عليك ويفر لك . وحينئذ استبشر بالحر توبته وكره على اعداء الحسين وصاح بهم فقال : ايها القوم : الا تقبلون من الحسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم ، فيعاقبكم الله من جريرة قتاله ؟ فأجابهم عمر بن سعد قائلاً : لقد حرصت لو وجدت الى ذلك سبيلاً . فقال الحر : يا اهل الكوفة ، لا تمكروا الهبل والشكل ، ادعوا الحسين ، حتى اذا اتاكم ، استلمتموه ، وزعمتم انكم قاتلو انفسكم دونهم ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه ، امسكتم بنفسه ، واحطم به ، ومنتموه من التوجه في بلاد الله الرعيضة ، حتى يأمن ويأمن اهلها ، فأصبح كالأسير لا يملك لنفسه نقماً ، ولا يدفع عنها ضرراً ، ومنتموه ومن معه من مائة الفرات الجاري ، يشرب اليهودي والنصراني والمجوسي ، ويشرب فيه خنازير السواد وكلابه ، وما هو واهله قد صرعهم العطش ؟ بشما خلفتم محمداً في ذريته ، لاستقام الله يوم الظما ، ان لم تتوبوا وتزعموا عما انتم عليه . فلما سمع الناس من الحر هذا التوبيخ بادرهم بنبأهم فكره رجاء الى الحسين عليه السلام . وعلى الاثر رمى عمر بن سعد معسكر الحسين بسهم وقال لاصحابه اشهدوا لي اني اول دأمر قبضه الناس برمي نبأهم غير خاطئين الله ولا يحترمون رسوله في ذريته عليهم لعائن الله اليوم الذين وبينما اصحاب يزيد يرون اصحاب الحسين بنبأهم برز منهم يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله وطلبا العزاز فخرج عبيد الله بن عمير الكلبي وكان قد أتى مع زوجة لصرة الحسين من الكوفة فقال له من أنت ؟ لا نعرفك . فالتفت لهما فقالا لا نعرفك فليخرج الينا زهير بن القين أو حبيب ابن مطهر أو بربر بن خضير فقال الكلبي ليسار : يا ابن الرائية ترغت عن مبارزة أحد من الناس ولا يخرج إليك أحد الا وهو خير منك وحمل عليه فضر به بسيفه وثق وثقت لحمل سالم على الكلبي وضربه فأنقضى ضربته بيده اليسرى فطاروت اصابعها فما كان من الكلبي الا أن مال على سالم بسيفه فأهلكه ورأت امراته وتسمى ام وه ما كان من امره مع خصمه فادرعت اليه بمود في يدها وهي تقول : فداك أني وامي ، قاتل دون الطيبين ، ذرية محمد فداها الكلبي نحو النساء فامتنت وقالت : لن ادعك دون ان أموت ملك فناداها الحسين عليه السلام قائلاً : حزين من أهل البيت خيراً لرجعي ورحم الله ليس الحجاج الى النساء فرجعت .

وبينما هذا البراز يجري زحف عمرو بن الحجاج وكان على ميمنة عمر بن سعد فمرسانه سمحوا ومعسكر الحسين جثا انصار الحسين على ركبهم واشرعوا رماحهم ليتلقوا هؤلاء الهاججين الطغام غافقت الحيل من الدنو منهم ورجعت هم فرماهم رجال الحسين بنبأهم فقتلوا منهم رجالاً وجرحوا آخرين وتقدم رجل منهم يقال له ابن حوزة وقال أفيكم الحسين ؟ قتلوا نعم فما حاجتك قال لعنه الله أبشر يا حسين بالنار فأجابه عليه السلام كذبت بل أقدم على ربه رجم وشنع مطاع فن أنت ؟ قال ابن حوزة . فرقع الحسين بيده قتال اللهم ، حره الى النار . فغضب واتعم قمره في نهر بينهما فقتلت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط منها فانتظمت نغذه وساته وقدمه وبقي جنبه الآخر متعلقاً بالركاب يضرب به كل حجر وشجر حتى مات وذهبت روحه الى النار . وكان مسروق بن وائل الحفري قد خرج معه رجال ابن زياد وهو يملئ قسه ان يقتل الحسين ويصيب بذلك منزلة عند ابن

جَرِيحَةٌ أَلْبَسَتْ قُوتَبَ الْمَرْوَةِ وَالْأُمِّ مَ هَوَانٍ وَاللَّعْنَاتِ الْكَثْرَ جَانِبَهَا

زُيَادٌ قُلَمَّا رَأَى مَا حَلَّ بِأَبْنِ حَوْزَةِ بَدَاةِ الْحُسَيْنِ أَرْعَى وَتَابَ وَرَجَعَ إِدْرَاجَهُ وَهُوَ يَقُولُ . لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ شَيْئًا مَخْفِيًّا فَلَا أَقْلَهُمْ أَبَدًا

واعتبك القتال بعد هذا وكثرت المبارزة بين رجال الحسين ورجال ابن زياد وكان الله في عون رجال الحسين القلائل فقتلوا خلقاً كثيراً من الجوع الكشيقة الحاجة عليهم وكان قتلاً تسبب له الاطفال والحقيقة ان رجال الحسين وهم ٣٢ فارساً و ٤ من المشاة قد ابوا اعظم بلاء رجال يزيد وذلك بكرامة المصطفى وآل بيته عليهم الصلاة والسلام وما انتصف النهار حتى كان قد استمر القتال وكثر عدد الهلكى واستبسل الالوف الذين كلنهم لمة الله وانبيائه والناس اجبين الى يوم الدين فمقروا خيولهم واصبحوا مشاةً وهاجوا مسكر سيدنا الحسين وخيامه وما زالوا يأتونه بقطائهم التي ترتجف انمئاض عند ذكرها حتى انتهى شمر الى فسطاط الحسين فادى علي بالنار حتى احرق هذا البيت على أهله فصاحت اخوات الحسين وبناته وخرجن وصاح به الحسين انت تحرق بيتي على أهلي احرقك الله بالنار واعترض حميد بن مسلم وشيث بن ربيعة شمر وكفاه عن حرق بيت الحسين واهلاك نسائه واهله وذهب لينصرف لحمل عليه زهير بن القين في عشرة رجال فكشفهم عن البيوت بعد ان هلك من رجال ابن زياد خلق كثير اهلكهم رجال الحسين ولكن قلعة هؤلاء كان اذا قتل منهم واحد أو اثنان يظهر فيهم خلافاً لأولئك الذين لكثرتهم لم يؤثر عليهم هلاك من هلك منهم ثم كانت قد خابت الطهيرة فقدم ابو غمامة السائدي من سيدنا الحسين وقال له تقسي لنفسك فداء ذني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك واهة لاقتل حتى تقتل دوك واحب ان القي ري وقد صليت الظهر منك فقال الحسين أذكرني بالصلاة جملك الله من المصلين الذكربين دم هذا اول وقتها ثم نادى بمن حوله سلوهم ان يكفروا عنا حتى نصلي فقتلوا فلم يجيبهم اصحاب ابن زياد بل واصلوا القتال فكثر القتل واخرج نحو الساعة قتل الحر بن يزيد في جملة من قتل من اصحاب الحسين وفي هذه الاثناء صلى الحسين بالبقية الباقية من اصحابه صلاة الخوف ثم استأفوا القتال فكان على اشده قتل خاق كثير من اصحاب بن زياد واصحاب الحسين القلائل وفيهم زهير بن القين وعند العصر رأى اصحاب الحسين وباتوا لا يتجاوزون عدد الاصابع اجمعهم يجزون عن حياته فأخذوا يتنافسون على السبق للقتل بين يديه متفائين دون حتى قتلوا جميعاً فارك الله في هذا الاخلاص الذي أبدوه وباتوا معه في الجنة شهداء

وما يذكر ان سيف بن الحارث بن سريع ومالك بن عبد بن سريع جاءا الحسين وهما يكيان فقال عليه السلام وما يكيكما ؟ اني لأرجو ان تكونا عن ساعة قريري عين . فقالا والله ما على أنفسنا نبي ولكن نسبي عليك نراك قد احبط بك ولا تقدر ان تمحك . قتال حزا كما الله جزاء التقين . وتقدم بعد ذلك من الناس فما زالوا يرايهم بالنبال ويضربونهم بالسيف حتى قتلوا . وجاء حنظلة ابن ابي السد الشامي قوقوف بين يدي الحسين وجعل ينادي : يا قوم ، اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب ، مثل دأب قوم نوح ، وعاد وعمود والذين من بعدهم ، وما الله يريد ظلماً للعباد ، يا قوم ، اني اخاف عليكم يوم التناد ، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ، ومن يفضل الله فليس له من هاد يا قوم ، لا تقتلوا الحسين ، فيسحقكم الله بمذاب ، وقد خاب من اقرى . فأعرضه الحسين عليه السلام فثلا رجمك الله ، قد استوجبا العذاب ، حين ردوا ما دعوتهم اليه من الحق ، ونهضوا ليستيحوك واصحابك ، فكيف هم الآن ، وقد قتلوا اخوانك الصالحين ؟ فما كان من حنظلة الا ان سلم على الحسين وصلى على جده المصطفى وايه المرتضى وآلهما الاخيار وتقدم وقاتل حتى قتل . وهكذا كان

جَرِيْمَةُ كُلِّ عَاشُوْرَاءَ نَذَرْنَا بِهَا وَلَيْسَ كُرُوْرُ الدَّهْرِ يُنْسِيْنَهَا

بغل أصحابه القلائل الباقون فيقتلون وكان آخر شهيد منهم سويد بن أبي المطاع الحنصلي
وكان أول من قتل من بني أبي طالب في ذلك اليوم المشؤم الأسود هو علي الأكبر ابن
الحسين وإمه ليلى بنت أبي سرة بن عروة بن مسعود الثقفية فإن هذا البطل الملوي الحنصلي حل على
أعداء الله ورسوله لنهم الله وهو يقول

أنا علي ابن الحسين ابن علي نحن ورب البيت أولى بالنبي

ثأله لا يحكم قيا ابن الدهي

فحل عليه سرة بن متقد لفته فطعن فصرع فجهم عليه أولئك الوحوش وأعملوا في جسده
الشريف سيوفهم فلما رأى سيدنا الحسين ما حل بإبنه ولفنة كبده عليهما السلام قال : قتل الله قوماً
تتلوك يا بني ، قاتلهم الله ما أجزأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسوله ، على الدنيا من يدك الغناء :
واقبل عليه ومعه قتيانه فقال لهم : أعملوا أخايم . فخلوه حتى وضوه بحجاب القسطاط الذي كانوا
يقاتلون أمامه . وقتل بعد ذلك نفر فيهم أولاد عقيل بن أبي طالب . وتقدم القاسم بن علي ويده السيف
فحل عليه عمرو بن سعد بن قنيل الأزدي لفته الله فضرب رأسه بالسيف فسقط القاسم إلى الأرض
وهو يصيح بأعماه فأتى الحسين إليه كالصقر ثم شدَّ شدَّةً لبث أعضب فضرب عمراً بالسيف فأتاه
بيده فقطع يده من المرفق فصاح وحلت خيل الكوفة ليستبقوا عمراً فاستقبلته بصورها وجالت
عليه فوطئته حتى مات وأنجلي النجار والحسين واقف على رأس القاسم بن الحسن وهو يغصن برجليه
والحسين يقول بدأ أقوم تتلوك ، وخصم فيك يوم القيامة حداك المصطلي المرتضى . ثم قال :
« عز والله على عمك ، أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك ثم لا ينقم صوته ، والله هذا يوم كثر
واتره ، وقل ناصره » ثم أن سيدنا الحسين عليه السلام حل القاسم على صدره وسار به فأتاه
بحجاب ابنه علي ومن قتل معه من الطالبيين بمجوار القسطاط

وكان الملعون عدالله بن عقة التنوي قد قتل أبا بكر بن الحسين بن علي بهم فجهم اخوته
العباس وعبد الله وجعفر وعثمان أولاد الحسين على الناس فقتلوا خلقاً كثيراً منهم عن آخرهم كما
قتل أيضاً محمد بن علي بن أبي طالب قتله رجل من بني إبان لفته الله
ومما يحسن ذكره هو أن سيدنا الحسين عليه السلام كان متربصاً طول مدة القتال إلى أعدائه
الاشترار وهم يكرهون قتله فلا يقدمون عليه ولو راموا أن يقتلوه من بدء الموقعة لما تمدد ذلك
عليهم وما زال متربصاً لباهم وسيوفهم إلى عصر ذلك النهار المشؤم والقتل دائر والأرواح تباع فيه
يبع السباح وحيث تنه تقدم من الحسين خيبت زنديق كافر من كتبة يقال له مالك بن النضر فصره
لنه الله على رأس الشريف بالسيف فقطع البرنس وأدمى رأسه وامتلاً البرنس دماً . فقال له الحسين :
لا أكلت يمينك ولا شربت وحشرك الله مع الطالبيين وألقى عليه السلام البرنس ولبس القنسوة
وأخذ الكندي البرنس

ثم أن سيدنا الحسين على ما ذكرنا من جرحه في رأسه الشريف دعا بإبنه عبد الله وهو
طفل صغير كان على شفير الهلاك من العطش فيصيح الماء الماء وأجلسه في حجره وقال أيها الظالمون
الأتسقوا هذا الطفل البارئ من الماء ؟ فريما زنديق من بني أسد لفته الله فنبلة قضت عليه فأخذ
الحسين دم طفله فصبه في الأرض وقال : رب إن تكن حبست عنا النصر من السماء ، فأجل ذلك
لما هو خير ، وانتقم من هؤلاء الطالبيين .

لَوْلَا جَرِيئَةُ ذِيكَ الْآثِمِينَ لَمَا هَلَكَ نَفْسًا بِنَفْسٍ هَذَا الْمَصَابِيحُ قَدْ عَمَّتْ دَوَاهِيهَا

ثم ان سيدنا الحسين عليه السلام اشتد عليه العطش فجر نفسه الى الفرات وهو قريب من مجشمة ليحرب وكان الدم المتدفق من جرح رأسه قد صبغ شيتته الطاهرة حلة أرجوانية فرماه للملئون حصين بن غدير بهم فوق في فقه الطاهر عليه السلام يحمل يتلقى الدم يمتناه ويرمي به الى السماء وهو ناظر اليها بجشوع وعيناه مفرورتان بالدموع . ثم حمد الله وأثنى عليه وقال : اللهم ، اني أشكو اليك ، ما يصنع هؤلاء ، يا بن بنت نبيك ، اللهم ، أحصهم عدداً ، واقتلهم بدءاً ، ولا تبق منهم أحداً . قال هذا وحمل نفسه جرحاً رها يريد الرجوع الى فسطاطه فاعترضه الملئون الأكبر شمر بن ذي الجوشن ومعه عشرة رجال لحالوا بينه وبين الفسطاط فقال لهم الحسين عليه السلام : عليكم ، ان لم يكن لكم دين ، ولا كنتم لا تخافون يوم الماد ، فكفونا أحراراً ذوي أحساب ، امنعوا رحلي وأهلي من طغائكم وجعالكهم . فقال شمر للملئون : ذلك لك يا بن فاطمة . قال شمر هذا وهجم على الحسين بأصحابه الفجار الملاعين وهم عبد الرحمن الجعفي ، والقاسم بن نذر الجعفي ، وصالح بن وهب البزفي ، وستان بن أنس النخعي ، وخولي بن يزيد الاسدي ، ونجر بن كعب بن تميم الله ، وأريمة آخرين وعلق شمر الملئون بحمصهم على الأقدام على قتل الحسين وهو يحمل عليهم فيكتفون رهبة لقماته النبوي العظيم . ثم انهم لنهم الله أحاطوا بالحسين . وفي هذه الأثناء تقدم أحد عبيد الحسين فاعترق أولئك الأشرك ووقف الى جانب سيدنا وسيدنا يريد الموت دونهم . فتقدم الملئون بحمصهم بن كعب والياف مشهر يدهم يريد الفتك بسيد شباب الجنة فاعترضه العبد قائلا : يا بن الحبيبة أقتل عني ؟ (وكان السبيديسون موالئهم أعماماً من يوم نزلت آية (ما كان محمداً بأحد) في قصة يزيد وكانوا قبلها يسمونهم آبائهم وما زال هذا حال الموالئ مع أسيادهم في العراق الى يوم الناس هذا فانهم يسمونهم أعماماً) فما كان من الملئون بحمصهم الا انه ضرب الفلام فأتى العبد السيف يمتناه فاضت الى الجملدة . فنادى العبد بالأمته فاعتقه الحسين وقال له : يا بن أخي اصبر على ما زل بك ذل الله ياحقك بأبائك الطاهرين الصالحين (ويريد أسيادهم) رسول الله وعلي وحمزة وجعفر والحسن . ثم رفع سيدنا الحسين عيفيه الى السماء وقال : اللهم أمسك عنهم قطر السماء ، ولمنهم بركات الارض ، اللهم ، فان متتهم الى حين ، فقررهم فرقة ، واجعلهم طرائق قديداً ، ولا ترضي عنهم الولاة أبداً ، فانهم دعونا لينسرونا ، قعدوا علينا فقتلونا . ثم ان سيدنا الحسين عليه السلام هجم على أولئك الأشرار هجمة علوية طالعية متعفداً من الضيف قوة وحاله معهم ما عرفنا فكتفهم عنه ثم عادوا اليه وقد أناهم غيرهم مدداً لهم فأحاطوا به عن يمينه وشماله فحمل على الدين عن يمينه فقررهم وكره على الذين عن يساره فقررهم ولم يرور التارخ عن شجاع مقهور كالحسين قتل أبناؤه واخوانه وأصحابه ولم يبق قربه غير النساء ينحن ويولولن ويصولن وهو رابط الجأش ثابت الجنان اجراً ما يكون في موقف الطعان بينما يرى أعداءه يتكاثرون عليه وليس له من مين وقصير وأولئك الأعداء ينكتفون من حوله انكشاف المعزى عن القديم ماذا الله بل قل عن الأسد الفاضل ولعمري من كان جده المصطفى وأبوه المرتضى خليق به أن يكون واحداً بمقتدائف

وبينا كان سيدنا الحسين عليه السلام في موقفه المحزون امام أولئك الوحوش المفترسة خرجت أخته زينب وهي محمولة الشمر دامة العين وكانت تقول : ليت السماء انطبقت على الارض . وما كادت عليها السلام تدنو من الحسين حتى كان عمر بن سعد قد دأبته عليه السلام مدداً لشمر وأصحابه الذين عجزوا عن قتل سيد الشهداء فقتلته : يا عمر . أهتلي أبو عبد الله ، وأنت تنظر ؟ فبكي حتى سالت دموعه

مَصَائِبُ لَزِمَتْ شَرَعَ الرَّسُولِ وَأَهْلِيهِ إِلَى الْخَشْرِ لَمْ تَلَقِ الْمُجَلِبِينَ

على خديه ولحيته وحرف وجهه عنها وكان الحسين في ذلك الوقت يجول بين أعداء الله ورسوله جولة الأسد الغاضب ويقول: أعلى قتي نجتمعون؟ أما والله لا تقتلون بيدي عبداً من عباد الله أسخط عليكم قتلته مني، وأيم الله أني لأرجو أن بكرمني الله بهوانكم، ثم ينتقم لي منكم، بسقت دماءكم، ثم لأرضي بذلك متكم حتى يضاعف لكم الذذاب الأليم يوم القيامة

وغلَّ الحسين مدةً غير قصيرة على هذه الحال بين أعدائه ولو شاؤوا قتلوا لقتلوه فاتهم جماعة وهو فرد مهما كانت قوته عظيمة وشجاعته نادرة ولكن كان أولئك الاشرار يهيبون قتل البضة النبوية الطاهرة فيتقي بعضهم يعض ويحب كل منهم أن يكون القاتل سواء فلما طال المطال عليهم ناداهم الذين شمر قاتلاً: وبحكم ماذا تنتظرون؟ اقتلوه تكتسبكم أمهاتكم. فخلوا عليه لنهزم الله من كل جانب حملة لثام أشرار كفره لا يهابون الله ولا يحترمون رسوله. فغرب المليون ذرعة بن شريك التميمي يسفه كف الحسين وتنى القرية على عاتقه فجعل عليه السلام يقوم ويكبو فجعل عليه المليون سنان بن أنس النخعي فطنه برمحه ونادى بالمليون خولي بن يزيد الأصمحي قاتلاً أشرَّ رأسه بالحال فحاول هذا الشرير أن يفعل ضعف وأرصد فصاح به المليون سنان قاتلاً: فت الله عضدك وزل إليه عليه السلام فذبحه واحترَّ رأسه الشريف فدفعه إلى المليون خولي

فباساه اغضي وبأرض انتقي وبأشس أظلمي وبأطوب تطري لوعة وأبي فأن ابن رسول الله وسيد شباب الجنة قد ذبح ذبح الحروف بأيدي فسقة كفار أشرار يدعون الاسلام كذباً وتفاقاً فياويلهم وبانكبتهم ولا حول ولا قوة الا بالله والاسم لله

ومد ان تم القضاء وقتل سيدنا الحسين قتل الشهداء بقطاعه وحشيقه ترجف لها القلوب وتفتت لهولها الضلوع هجم اولئك الفساق الفجرة فأخذوا اسلحة فكانت سراويله من حظ المليون بحر بن كعب وقطيقة من حظ المليون قيس بن الأشعث فصار يسمى بعدها قيس قطيفة وتلاه من حظ المليون الاسود الاودي وسيفه من حظ مملون من رجال دارم ومال اولئك الاشرار بمد ذلك على الفرش والحلل والابل فهوها ونهبوا قتله ومتاعه وما على ناله واخوانه حتى كانت هاتيك السيدات الشريفات الملويات الهاشميات عرضة لاولئك الفساق ينتزعون عنهن بثوحس اثوابهن ويتركوهن عرايا قبل سماع الاولون والآخرين بشر مثل هذا الشر وقطاعه مثل هاته القطاعة وهل يحظر على قلب بشر ان يؤمادعون الاسلام ويأتون مثل هذا الاثم والفظائع مع اشرف اشرف المسلمين بالاجماع ويستكون بهم حرمة المصطفى المرتضى عليهما الصلاة والسلام؟

وما اكتفى هؤلاء الفساق الكفار بهذه الشرور حتى ارادوا ان يسألو النسل الطاهر فطلبوا سيدنا علي زين العابدين بن الحسين وكان صبياً محمواً بين النساء يريدون قتله أراد ذلك المليون شمر فأعرضه حميد بن مسلم قاتلاً سبعان الله اقتل الصبيان المرضى فدعه بين النساء وبينه كان حميد يمتز شمر وصل عمر بن سعد فدخل فسطاط الحسين واخرج اولئك الفساق منه ومنع شمر عن إتمام جرائمه العظيمة بقتل سيدنا علي زين العابدين وأمر الناس ان يردوا ما نهبوا من النساء ثم ردوا أحدهم شيئاً مما أخذ

ثم خرج عمر بن سعد لئله الله خارج الفسطاط وصاح بالناس من يتنذب إلى الحسين فيؤسره فرسه فأتدب عشرة منهم المليون اسحق بن حياة الحضرمي قاتلوا فداسوا الجسد الحسيني الشريف بجيولهم حتى رضوا ظهره وصدره ووجد بعد ذلك في جسده الطاهر ثلاث وتلاتون طعنة وأربع

وَهِيَ الَّتِي أَوْجَدَتْ هَذَا التَّحْزِينَ فِي الْأَعْرَابِ وَأَشْرُ مِنْ مُشْجِي تَجْزِيئِهَا

وَيَلْتَوِنُ ضَرْبَةً غَيْرَ الرِّيمَةِ . ثُمَّ دَفِنَ سَيِّدَنَا الْحُسَيْنَ وَأَوْلَادَهُ وَأَخُوهُ وَأَصْحَابَهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الْمَسْمُومِ كَرَبْلَاءَ أَهْلِ الْقَاهِرَةِ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ لِمَقْتَلِهِمُ الْقَاطِعِ .
ثُمَّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ سَمْدٍ وَشُرَكَاءَ بَنِي ذِي الْجَوْشَنِ أَرْسَلُوا رَأْسَ سَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ وَرُؤُوسَ أَصْحَابِهِ إِلَى الْمَلُوءِ عِيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ مَعَ خَوْلِي يَزِيدَ وَحَمِيدِ بْنِ مَسْلَمٍ الْأَزْدِيِّ لِنَهْمِ اللَّهِ قَلْعًا قَدَمَا الْكُوفَةَ قَصْدًا الْمَلُوءِ بْنِ زِيَادٍ بِالرُّؤُوسِ الشَّرِيفَةِ لِيَجْلِسَ لِنَهْمِهِ جَلْسًا حَامًا وَأَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَأَسْرَ بِالرُّؤُوسِ فَاحْضَرَتْ يَدَيْهِ قَدْ قُضِيَ بَيْنَهُمَا وَجِلَّ يَنْتَكُ بِهِ ثَنِيَّتِي سَيِّدَنَا الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا ذَلِكَ طَوِيلًا قَتَادَهُ زَيْدُ بْنُ الْأَوْقَمِ قَائِلًا : أَعَلَ هَذَا الْقَضِبُ عَنْ هَاتَيْنِ الشَّقَتَيْنِ ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، لَقَدِ مَرَّتْ شَفَتِي رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، عَلَى هَاتَيْنِ الثَّنَتَيْنِ يَدَيْهِمَا . قَالَ هَذَا زَيْدُ بْنُ الْأَوْقَمِ وَبَكَى فَصَاحَ بِهِ الْمَلُوءُ ابْنَ زِيَادٍ قَائِلًا : أَبْكَى اللَّهُ عَيْنَكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْكَ شَيْخُ خِرْفَةٍ ، وَذَهَبُ عَقْلِكَ لَضَرَبْتُ عَيْنَكَ . فَغَضِبَ زَيْدٌ وَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ : أَنَّمْ يَأْمُرُ الْعَرَبُ ، لَسِيدَ بَدِ الْيَوْمِ ، قَتْلَمُ بْنُ قَاطِمَةَ ، وَأَمْرُئِمْنَ مِنْ مَرْجَانَةَ (وَبَرِيدَ عِيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ) فَهُوَ يَقْتُلُ خِيَارَكُمْ ، وَيَسْتَبِدُّ شَرَارَكُمْ ، بِالْقَتْلِ ، فِيمَا لَمْ يَرْضَ بِالْقَتْلِ .

أَمَّا عُمَرُ بْنُ سَمْدٍ فَهُوَ أَقَامَ يَوْمَيْنِ بَعْدَ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ الْفُظْيَةِ الَّتِي أَوْرَثَتْ الْمُسْلِمِينَ الْحُزْنَ وَالشَّجْنَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي اسْتَشْهَدَهَا خَيْرُ الشَّهَدَاءِ ثُمَّ قَدِمَ الْكُوفَةَ وَمَعَهُ بَنَاتُ الْحُسَيْنِ وَأَخَوَاتُهُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الصَّبِيَّانِ وَعَلِيَّ بْنِ الْمُبَادِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ وَهُوَ مَحْمُومٌ مَرِيضٌ فَاجْتَزَأَ بِهِمْ عَلَى مَدَائِنِ الشَّهَدَاءِ فَصَاحَتِ النَّسَاءُ وَطَلَعْنَ خُدُودَهُنَّ وَصَاحَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ : يَا عَمَّاهُ ، صَبِيَّاتُ عَلَيْكَ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ ، هَذَا الْحُسَيْنُ بِالْعَرَاءِ ، مَزْمَلٌ بِالْمَاءِ ، مَقْطَعُ الْأَعْضَاءِ ، وَيَنَالُكَ سَبَابِيَا ، وَذَرِيَّتُكَ مَقْتَلَةٌ تَفْنِي عَلَيْهَا الصَّبَا . وَكَانَ قَوْلُهَا هَذَا مَكْبِيًّا أَوْلَتْكَ الْأَعْدَاءُ الْفَسَاقَ الْأَشْرَارَ

وَالْمَانِي عُمَرَ بْنِ سَمْدٍ بِهَا تَكِ السَّبَابَا إِلَى الْكُوفَةِ سَارَ بِهِمْ إِلَى بَيْتِ الْمَلُوءِ عِيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَوَضَعَهُمْ فِي غُرْفَةٍ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمْ أَنْ زِيَادٌ لَمَنَّهُ اللَّهُ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَحَكُمْ وَقَتْلَكُمْ وَكَذَّبَ أَحَدُكُمْ تَكْمُ فَنَالَكَ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ بِشَمْسِهَا الْمُحَمَّدِي : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، الَّذِي أَكْرَمَنَا بِمُحَمَّدٍ ، وَطَهَّرَنَا بِطَهْرٍ ، لَا كَمَا تَقُولُ يَا كَافِرُ ، وَإِنَّمَا يَفْضَحُ الْفَاسِقُ ، وَيَكْذِبُ الْفَاجِرُ . فَقَالَ لَمَنَّهُ اللَّهُ : فَكَيْفَ رَأَيْتَ صَنَعَ اللَّهُ بِأَهْلِ بَيْتِكَ ؟ قَالَتْ : لَقَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ ، فَخَرَّجُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَسَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، فَتَتَخَصَّمُونَ عَنْدَهُ . فَغَضِبَ الْمَلُوءُ ابْنَ زِيَادٍ وَقَالَ : قَدْ شَفَى اللَّهُ غِيظِي مِنْ طَائِعِيَّتِكَ ، وَالصَّاعَةَ الْمُرْدَةَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ . فَكَبَّتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ وَقَالَتْ : لِمَ مَرِي لَقَدْ قَتَلْتَ كَبْلِي ، وَابْرَزْتَ أَهْلِي ، وَقَطَعْتَ فَرْعِي ، وَاحْتَسَتَ أَصْلِي ، فَأَنْ يَشْفَكَ هَذَا الدَّاءُ ؟ فَقَدْ اسْتَفْتَيْتُ . فَقَالَ الْمَلُوءُ : هَذِهِ شَجَاعَةٌ وَلِمَ مَرِي لَقَدْ كَانَ أَبُوكَ شَجَاعًا . فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ : مَا لِلْمَرْأَةِ وَالشَّجَاعَةِ ؟ فَخَرَّجَ اللَّهُ وَكَسَتْ

ثُمَّ لَقِيَ الْمَلُوءُ ابْنَ زِيَادٍ إِلَى سَيِّدِنَا عَلِيٍّ بْنِ الْمُبَادِينَ فَقَالَ لَهُ مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ . فَقَالَ لَمَنَّهُ اللَّهُ : أَوْ لَمْ يَقْتُلْ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ ؟ فَكَتَبَ ذَلِكَ السَّيِّدُ الصَّبِيَّ وَلَمْ يَكْمُ . فَقَالَ الْمَلُوءُ ابْنَ زِيَادٍ : مَا لَكَ لَا تَكْمُ ؟ فَقَالَ : كَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَيْضًا عَلِيُّ فَقَتَلَهُ النَّاسُ . فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ لَمَنَّهُ اللَّهُ : إِنَّ اللَّهَ قَتَلَ فَقَالَ ذَلِكَ السَّيِّدُ الصَّبِيَّ : إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يَتَوَلَّى الْأَنْفُسَ عِنْدَ مَوْتِهَا وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ . فَهَرَّ الْمَلُوءُ ابْنَ زِيَادٍ رَأْسَهُ وَقَالَ وَاللَّهِ إِنْ هَذَا الصَّبِيَّ لَمِنْ تِلْكَ الدَّوْعَةِ . ثُمَّ أَمَّلَ رَأْسَهُ إِلَى أَحَدِ أَتْبَاعِهِ وَقَالَ : أَنْظِرْ هَذَا الصَّبِيَّ هَلْ أَدْرَكَ ؟ أَنِّي لِأَحْسِبُهُ وَجَلًا فَكَشَفَ عَنْهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ وَكَانَ يَدْعِي سُرِيَّ بْنَ مَعَاذٍ الْأَحْرِيَّ وَقَالَ نَعَمْ تَقْدَارُكَ قَتَالُ الْمَلُوءِ

فَالْمُصْطَفَى بِالْهَدَى قَدْ كَانَ جَامِعَهَا وَإِنْ حَرْبٌ قَدَّ كَانَ الْمُسْجِدَ نَهَا

ابن زياد انه وبك . فاهترض سيدنا علي زين العابدين بجرأته هاشمية قائلاً : وبلك ان انا قتلت فحق
توكل بهذه النسوة ؟ وما كاد يتم عليه السلام كلامه حتى اسرعت السيدة زينب واعتنقت ابن أخيها
وقلت : يا ابن زياد حبك منا ، أما رويت من دماثنا ؟ وهل أقيمت منا أحداً غير هذا الفلام ؟
فأسألك بالله ان كنت مؤمناً ان تقتلي معه مادمت مصرأ على قتله . وما انتهت من قولها حتى قال
سيدنا علي زين العابدين : ان كان بينك وبين هاته النساء قرابة فابست منهن رجلاً يصحبن بصحبة
الاسلام وبمعد ذلك فقتلني . فصمت ابن زياد مدة ففكر ثم قال : دعوا الفلام ينطلق مع نسائه وخرج
وبعد ان خرج المملون ابن زياد من غرفة النساء قصد المسجد الاعظم ونادى الصلاة الجامعة
فاجتمع الناس فصلي بهم ثم علا المترخطين فقال : الحمد لله الذي ظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين
وحزبه ، وقتل الكذاب ان الكذاب الحسين بن علي وشيعته . قال هذا ذلك المملون ابن المملون
ولم يخف الله ولم يحترم رسوله ولا راسي ضميره وذهمه وما خلا المسلمون وقلته من ذي حية ودين
وهو عبد الله بن عتيق الاردي وكان شيخاً ضرباً من بقايا السلف الصالح قد فقد احدى عينيه
يوم الجمل والاخرى يوم صفين في اثناء جهاده تحت راية سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله فلما
سمع هذا الصالح ان المملون ابن زياد يتهجم على سيدنا الحسين وابيه بالهجر والنفو والسفاهة وتب
عليه وقال : يا ابن مرجانة ، ان الكذاب ابن الكذاب ، هم انت وأبوك ، والذي ولاك أبوه ،
يا ابن مرجانة ، انتقلون أبناء النبيين ، وتكلمون بكلام الصديقين ؟ فنضب المملون ابن زياد من
ذلك الصالح المجاهد في سبيل الله الملازم المسجد للصلاة من الصباح الى المساء عبد الله بن عتيق
الاردي وأمر بأخذه فأمسك به زنايته الملاهي ثم نادى بشعار الازد « يامرور » فوثب اليه
فنية من الازد فانتزعوه من بين الناس وقتلوه مشرقتلته . وما اكتمى المملون ابن زياد هذا حتى زاد
عليه ان أمر بصلبه فصلب على ملا من الناس ليكرس قلوبهم

ثم ان المملون ابن زياد أمر ان يطاق رأس الحسين في الكوفة فطاف اصحابه لئنه ولعنهم
الله بالأس الشريف ولراد بذلك ان يدخل الرهبة على أهل الكوفة الذين كان يعلم تشييم سيدنا
علي واولاده عليهم وعلى المصطفى وآل البيت الطاهرين والصلاة والسلام

ثم ان المملون ابن زياد كتب الى المملون يزيد بن معاوية ينبئه بهذه الفاجعة فقال : يا
أخبر المؤمنين ، فبح الله ونصره ، وبعد ، قد ورد علينا الحسين بن علي ، في ثمانية عشر من أهل بيته
وأرمد وخسب من شيعته ، فسرنا اليهم فأسألهم ان يتلوا على حكم أمير المؤمنين (ويريد يزيد) أو يقتلوا ،
فأخاروا القتال ، فعدا عليهم جيش عمر بن سعد مع شروق الشمس ، فأحاطوا عليهم من كل ناحية ، حتى
اذا أخذت السيوف أخذها من هام القوم ، جملوا ليريون الى غير وزر ، ويلوذون بالأكاد والحفر ، كالآذنت
الحمار من صقر ، فواقعة ما هو الا جزر جزور ، أو نومة قاتل ، حتى أتينا على آخرهم ، فأسحبت أجسادهم
مجردة ، وثيابهم مرملة ، وخدودهم مقفرة ، تصهرهم الشمس ، وتسفي عليهم الريح ، وزأروهم القبان
والرغم ، في بجاج سبب « آه فلما انتهى الكتاب الى يزيد بن معاوية فرح به واستبشر وأرسل
الى ابن زياد يحمده له منيه ويشره برضائه الا أنه تخوف من غضب الناس عليه ان هم سمعوا ما
فعله عامله لنسما الله بال البيت الطاهر مالا يغله الكفار بالمؤمنين فحل يقول بين اصحابه انه ما
كان يريد قتل الحسين واخوته وابنائهم وانه مستاء من هذه الجريمة الشنعاء وخلق هؤلاء يتبعون
ذلك عنه مع ان قلبه كان يتهلل فرحاً بما كان بل ان ما كان لم يكن الا بأمره وما كان ابن زياد

وَمَا سَوَى خَزَعَلِي فِي ظِلِّ نَيْتِ رَسُولٍ لِي اللَّهُ يَجْمَعُهُمَا يُخَيِّبِي أَمَانِيهَا

ليقدم على فضله الشمامه لولا ان يستأنس برضاه
على ان يزيد أرسل الى ابن زياد مع شكره له بأمره أن يرسل الرؤوس الشريفة والسبايا
الكريمة الى دمشق فأولها له ابن زياد مع شمر بن ذي الجوشن وعمر بن ثابة فلما وصلوا بركبهما
الى دمشق الشام ملقاً يتناديان بالاسواق قائلين جئنا برأس أحق الناس فكان الناس يلتفون حولهما
ويرددون مقالاتها حتى اذا ما انتهيا الى دار الامارة دخلا على يزيد وكان جلسه طامراً بلية الناس
فوضعا الرأس الشريف بين يديه وحدهما بشر ما صنعت جنوده مما أغضب الله ورسوله وملائكته وأنبياءه
والصالحين وأفرح الكفار والمشركين والفسقة الفاحشين وكان يزيد وأصحابه يصفون الى ذلك الحديث
وهم مندهلون وكان أكثرهم انفعالاً يزيد لا يكبره الجرعة وهو الأسر بها وانها على عنقه قبل
غيره لا خوفاً من الله ورسوله بل لحنوه من سوء وقها في غرس المسلمين وبينها هول وكذلك واذا بهند بنت
عبد الله بن عاصم بن كرز وكانت زوج يزيد قد سمعت من وراء الحجاب قصة تلك المفاجأة الخيفة
فتنقمت بشو بها وخرجت فقالت يا أمير المؤمنين أهذا رأس الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليهم وسلم ؟ قال يزيد نعم فعولي عليه وحدي فأخذت تمول وتبكي وتندب
صرخة فريش وسيد شباب الجنة عليه السلام جمل الملون يزيد ينكت نثر الحسين بقضيبي في يده
فعرضته أبو رزة الأسلمي قائلاً : أتنتكت بقضيبيك في نثر الحسين ؟ أما لقد أخذ قضيبك في نثره
مأخذاً طلالاً رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام يرشقه ، أما انك يا يزيد نجي يوم القيامة وابن
زيد شفيك ، وبجي هذا محمد شفيه . قال هذا وولي هاربا واكده وجه الملون يزيد ولم يجر جواباً
ثم ان يزيد صرف الناس وطلب نساء الحسين والرأس الشريف بين يديه فجلت فاطمة وسكينة
ابنتا الحسين تطاولا لتنظرا الى الرأس وجعل يزيد لهنه الله يتناول ليسره عنهما فامارتا الرأس صاحتا
صاحت بنة نساء الحسين وصاحت نساء يزيد من داخل الدار وولوت بنات معاوية . ثم ان فاطمة
بنت الحسين تقدمت بجرأته من يزيد وقالت له : أبنات رسول الله سبايا يا يزيد ؟ فقال يزيد وهو في
أشد الهمة والقلق اني لهذا كنت أكره . قلت وأفقه ما ترك لآخرس . فقال يزيد لهنه الله : ما يوثني
اليكن أعظم مما أخذ منك . وكان أحد أهل الشام حاضر أقرب يزيد فقال له هب لي هذه (ويريد
فاطمة) فأخذت فاطمة يثياب أختها زينب مستجيبة فقالت زينب كذبت ولؤمت ماذلك لك ولا ليزيد .
فغضب يزيد لهنه الله وقال كذبت أنت وأنت والله ان ذلك لي ولو شئت أن أضله لقلته . قالت : كلا
والله ما جبل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين نبي ديننا . فزاد يزيد لهنه الله غضباً
واستطار حقداً وقال أياي تستقبلين بهذا ؟ انما خرج من الدين أبوك وأخوك . قهقهت زينب ساخرة
به وقالت انما يدين الله ودين أبي وأخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدي . قال لهنه الله كذبت
يا عدوة الله . قالت أنت أمير تتم ظلالاً وتهرب بسلطانك . فاستحي يزيد من نفسه وسكت عن
سقاها ورفاها وأمر بالسيدات آل البيت الطاهر عليهم السلام ان يدخلن داره فدخلن واجتمعت
عليهن نساء يزيد وأقرن منهن الملائكة . فكان بذلك أحسن تدبيراً من رجلهم
ثم ان الملون يزيد بن معاوية أمر بسيدتنا علي زين العابدين عليه السلام ان يؤتى به اليه
فدخلوه عليه وهو مصنف بالاغلال قائما وقمت عينا ذلك الصبي الليل على الملون يزيد قال : والله
لو رأنا جدنا رسول الله متوليين لفكنا عما . قال يزيد صدقت وأمر بك اغلاله فككت . فقال سيدنا
علي زين العابدين : والله لو رأنا جدنا ببدء لأحب ان يقر بنا فأمر به فقر به منه وقال له متندراً :

وَهُوَ الَّذِي فِي رِضَى طَهٍّ وَحِدْرَةٍ يَسِيرُ بِالنَّاسِ لِلْعُلْيَا وَيَهْدِيهَا

إِمْرًا علي بن الحسين أن أباه هو الذي قطع رحلي وذهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما رأيت
فتبسم سيدنا علي زين العابدين وقال : ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب
من قبل أن نراها أن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله
لا يحب كل مختال فخور . قتال يزيد لنته الله : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم

وأقام سيدنا علي زين العابدين وسيداتنا الطاليات عند يزيد مدة ثم سهرن معه بالأكرام
والهدايا إلى المدينة المورة فأقاموا فيها ووضع أجلال المسلمين بجوار جدهم المصطفى
ولقد اكبر المسلمون هجرة سيد الشهداء سيدنا الحسين وكرهوا يزيد لأجلها وأخذوا يملكونه
سراً وجهرًا وما زالوا يملكونه وسيطرون يملكونه إلى يوم الدين وما فهم إلا من يرد قول الشاعر
أبها القاتلون جهلاً حياءً أبشروا بالذباب والتنكيل
كل من في الساء يدع عليكم من نبي وملاك وقيل
قد لنتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الأجيل

وعند هذه المفاجأة الكبرى تقول رداً على الذين يحسبون أن حماد البلي والحسين عليهما
وعلى المصطفى الصلاة والسلام في سبيل الخلافة هو من قيل التزام على الملك ورغبة في التوسد أن
هذا لم يحضر لهما على بل بل كانا ازهد اللبس بالدنيا وزخارفها وإنما كانا بريان أن مصلحة الاسلام
والمسلمين تدعو إلى جهادها ليقبأ حدود الله ونفذنا أحكامه وقسطنا بين الناس ويجري فيهم سنة نبيهم
وان هذا واجب على كل مسلم على التمسك فكيف لا يجب عليهما واحدهما ومسي رسول الله والثاني حفيده؟؟
لا جرم أن حماد البلي والحسين عليهما وعلى المصطفى الصلاة والسلام كان ليجرد اعزاز الدين
وارضاء رب العالمين والثغاني في سبيل مجد الاسلام وخير المسلمين شأن الصالحين المتقين .
على أن الامويين والذين تشبوا لهم في عهد بني أمية أرادوا ان يجعلوا حماد سيدنا علي أولاً وجهاد
سيدنا الحسين ثانياً سياسياً أو شبه سياسي مسبب عن طمع ديوي ليصنوا عدواً أو شبه عدو لماوية
وزيد فيها فعلا وتابهم كثيرون من المسلمين بعد ذلك بقوة استمرار هذه الفكرة التي نبها دعاة
الامويين من عهد سلطانهم حتى رأينا ان خلدون بنى أو يتناسى الفكرة الدينية في هذه المسألة
ويقول ان قوة عصية الامويين تبلت على ضعف عصية الهاشميين ورأينا في آخر الزمان الشيخ
محمد الحفصري في محاضراته في الجامعة المصرية يدافع عن لماوية وزيد ويرثما من مطعم الامم الذي
ابترماه في محاربة آل البيت طمناً للخلافة والبحث بهذا متفيسير دعاوجنا اليه بكتاب اذا فصح الله بالاجل

﴿ كربلاء ﴾

وقال للارض التي قتل فيها سيدنا الحسين واخوته وانناؤه عليهم السلام « كربلاء » وكان اسمها
هكذا منذ القدم قالوا انها سميت كذلك لرخاؤها أخذاً من قولهم « جاء زيد مكربلاً » أي
مرتخي الاقدام . وموضع كربلاء هو الموضع الذي قالوا عنه المقر قتلنا سيدنا الحسين من النزول
فيه . وقالوا انه عليه السلام سأل في الموضع الذي عوّه فيه الحر بن يزيد ما اسم هذه الارض؟؟ قالوا
كربلاء فقال أرض كرب وبلاء وموضع قبره الشريف عليه السلام في كربلاء لا جدال فيه ولا خلاف
ومن عهد قتله عليه السلام قالت عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل زوج الحسين في رثائه

واحييتاً فلا نسيت حياءً ساطيل على الحسين البكاء

غادروه بكربلاء صرياً لاسقى الليث بمده كربلاء

بُشْرَاهُ قَدْ بَاتَ فِي سَاجِي رِضَائِهَا ذُخْرَ آلِ عَارِبٍ قَاصِبَتِهَا . وَدَانِيَهَا

وقال لارض كربلاء ايضاً الطيف كما قال أبو دهيل يرنى سيدنا الحسين واصحابه
مردت على آيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلت
فلا يمد الله الديار وأهلها وإن أصبحت منهم برغمي تحلت
ألا أن علي الطيف من آل هاشم أذلت رقاب السليين فذلت
وكانوا غيائاً ثم أضحوارزته ألا عظمت تلك الرزايا وجلت
وتال أيضاً

نيت سكارى من أمية نوياً وبالطفر قنلى ما بنام حبيها
وما أفسد الاسلام إلا عصابة تأسر نوكاها قدام فيمها
فصارت فتاة الدين في كفر ظالم إذا أعوج منها جاب لا يقيها
ومعنى الطيف لغة ما أشرف من لرض الرب على ريف العراق . وحسب تدقيق الجغرافيين
لرض من ناحية الكوفة في طريق البصرة في موضع القفر أو كربلاء
« ترجمة يزيد »

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وامه ميسون بنت محمل ولد في دمشق الشام سنة ٢٦
الهجرة في أثناء وجود أبيه أميراً للشام على عهد عثمان بن عفان ولما شب أخذ أبوه معاوية يرشحه
للخلافة فولاه إمارة الحج مرتين بعد أن استتب له أمر الخلافة وولاه الصائفة وولاه في الجيش الذي
سار لنزو القسطنطينية وكان يزيد هذا مكرماً بالصيد مولع بالخرقة ميالاً للهو ومداعبة النساء منصرفاً
عن العلم والشرعة فصبح ذلك موضع نقد الناقدين إلا أن هذا لم يمتد معاوية عن استخلافه فأخذ
له البيعة قهراً من رؤساء الامصار لا كما قال الشيخ الحضري بأن معاوية استشار أهل الامصار في
بيعه والله يعلم والناس لا يكرهون أن أهل الامصار في ذلك الزمان لو كان لهم حرية الاختيار لما
اختاروا يزيد ولما لهذا الخلافة بل لما ارتضوا مخالفة معاوية نفسه . وبعد موت معاوية نادى يزيد نفسه
خليفة للمسلمين فادعاه الناس وبايعوه مكرهين الاسيدنا الحسين وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر
إبن الخطاب لحسب لتخلفهم ألف حساب وحساب ولولا علمه بأن الناس يكرهون خلافته وهم على
استعداد الى الانقلاب عليه لدى أول فرصة تسع لهم لما كان نخوة من أولئك القوم الثلاثة بعمله
فعلى م الشيخ الحضري استخف بأولئك الثلاثة في محاضراته وقد رأى هو نفسه كيف تمبت الخلافة بمجرّد
امتناعهم عن بيعته السنوات الطوال

وامتاز عهد يزيد بفاجعة سيدنا الحسين واخوته واولاده عليهم وعلى جدمهم الصلاة والسلام
وهي الفاجعة التي جملت يزيد قريبن اللة الى يوم يحشرون . ومن أغرب ما قرأته في محاضرات
الشيخ الحضري قوله أن الناس الذين كتبوا لسيدنا الحسين يستدعونه اليه كانوا من محبي الشر
ودعاة الفتنة مع انهم في الحقيقة كانوا لا يعرفون صاحب حق الخلافة غير ابنه رسول الله ولكن
للمال والسلطة الجائرة تأثيرهما على انفرس وهما اللذان جلا أهل العراق كما قال للحسين احد اصحابه
الحطين « ان قلوبهم مدموسيههم عليه » وكان مد ذلك ماسر باراً أسفاه

ولم يقف ش يزيد عند فحة سيد الشهداء سيدنا الحسين واخوانه واولاده على قطاعتها
ووحشيتها بل حرى له ما يبادل قطاعتها وذلك بانها كرهة مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام
وذلك ان يزيد ولي على المدينة المنورة ابن عمه عثمان بن محمد بن أبي سفيان فوجد الناس يتحفزون

وَلَا عَارِبَ بَشَرٍ يَأْتِيهِ حَيْسِبِ الْمُرْتَضَىٰ وَبِهِ الدُّنْيَا تُهْنِبُهَا

للاقتلاب على يزيد على اثر غمته بصقوة آل البيت ذلك التمثيل المنجم وما سموه بعد ذلك من انصرافه الى الهوى والخر فأرى عثمان هذا أن يوجه شرأ من وجهاء أهل المدينة الى يزيد فيستلمهم اليه بهباته ويتلقى الفتنة بذلك والقتل وجه عبد الله بن حنظلة الانصاري وعبد الله بن أبي عمرو ابن حمص بن المغيرة الخزوي والنسر بن الاير ونحوهم من كبار المهاجرين والانصار الى دمشق فاستقبلهم يزيد بالاكرام واعقد عليهم الهبات غير اهم رأوا عياناً ما كرهوه منه على السماع من انصرافه وهو خليفة المسلمين الى ما حرم الله من الموبقات والخطايا فرجعوا الى المدينة وهم اشد نفقة على يزيد فاطلقوا الستم بيبه وسبوا أشنع السب واعلنوا انهم علموا بيبه فتابهم الناس وكابوا كما سبق القول بكرهول خلافته وحصرها من في المدينة من الامويين بدار مروان بن الحكم فوجه عليهم يزيد حيناً من اثني عشر الف مقاتل بقيادة مسلم بن عقبة المري فلما وصل مسلم الى المدينة دعا أهلها للعضوض فلبوا لخاريم وحاربوه فكانت الليلة لاهل الشام بعد أن قتل من الفريقين خلق كثير وما اكتفى مسلم بهذا الشر بل أباح مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثة أيام ففعل رجاله فيها ايدي التهب والسبي والقتل غير محترمين جيرة رسول الله وانها واقعة لجرأة لم يقدم عليها ذو سلطان في الاسلام وبعد ذلك دعا مسلم الناس للبيعة ليزيد على انهم خول له بحكم في دماهم واموالهم واعراضهم فن امتنع عن ذلك قلة وكانت هذه الواقعة لليلتين بقينا من ذي الحجة سنة ٦٣ للهجرة . وقد تال الشيخ الحفري من أهل المدينة المنورة وهم جيران المصطفى باليوم والتفريق والزهم بجزء عظيم من تيمة انتهاك حرمة المدينة المنورة غير انه هداه الله رأى من ياب « الذوق » ان يقول انه كان من اللازم على يزيد وأمر حيوشه مسلم ان لا يسرفا بمعاملتهم هذا الاسراف قتال . على ان الذي يسول عليه قتل اولاد رسول الله لا يصعب عليه انتهاك حرمة مدينته والوقعة بجزيرة

وتلا هذان الحادثان العظيمان حادث ثالث لا يغفل عنها فظاعة في عهد يزيد ومشيربه وهم من علمنا من تحليل كل محرّم وذلك الحادث هو حصار مكة المكرمة وانتهاك حرمة كتبها المشرفة . وذلك ان عبد الله بن الزبير بصدان بطنه مقتل سيدنا الحبيب عليه السلام دعا أهل مكة وهو فيها الى بيعته فتألب عليه الناس لما علمنا من كرههم لخلافة يزيد فلما وجه هذا مسلماً لحرب المدينة المنورة امره أن يسير بعد أن يطش بأهلها الى مكة لمحاربة عبد الله بن الزبير فصدع مسلم بالامر وسار من المدينة المنورة الى مكة المكرمة وهلك في الطريق في موضع يدعى المشلل خلفه في قيادة جيش يزيد الحصين ابن قيس بن زيد قسار بالجند الى مكة فوصلها لاربع بقين من الشهر سنة ٦٤ للهجرة وقدم عليه ابن طاهر الحنفي الحجازي نجله له نخرج اليهم عبد الله بن الزبير وحلهم فقلعوا على جيشه فارتد الى مكة فاقاموا عليه بمحاربته بقية الحرم وصفر كله غير مكترين بحرمة القتال في محرّم وفي اليوم الثالث من ربيع الاول ردوا مكة كرمها الله بالمتجنق وحصروها وما زالوا يحاصرونها حتى بلغهم ان صاحبهم يزيد لئنه الله قد هلك فارتدوا راحين

ولمصر الحق أن هذه الحوادث الفظيعة التي حدثت على عهد يزيد وبأمره لتدهش عقول الناس فاستقبل بها كل فظاعة يأتيها طلبة البركة فلا يجب اذا زادت زينة الله المصلحة . انه يوم الدين . حرر في صاحبنا الشيخ الفاضل في ربيع الاول سنة ١٠٥٠ للهجرة . كل يوم في الحرم وهو أبوها ولما بل يحمل نصيبه منها الجزء الصغير هذا حكم الشيخ الحفري في رأي المسلم ٩٩ وهلك يزيد لاربع عشرة خلف من شهر ربيع الاول سنة ٦٤ للهجرة ١٠٥٠ نوفمبر سنة

فَعَائِلُ أُسْرِ الْمُؤْمِنِينَ

فَعَائِلُ الْمُزْتَضَى كَالشَّهْبِ نَيَّرَهُ وَكُلُّ ذِي بَصَرٍ فِي النَّاسِ رَأَيْنَهَا (١)
مَا أَنْ تُعَدَّ لِيُخَصِّبَهَا الْحَسْبُ وَهَلْ تُخَفَى أَلْتَجُومُ وَتُسْتَعْفَى دَرَارِهَا
وَلَيْسَ يُنْكِرُهَا إِلَّا الْكَافِرُ وَالْحَسُودُ وَالْإِنْسَانِي أَلْبَاغِي تَوَارِهَا

٦٨٣ مسيحية » وكانت وفاته بخوران من أرض الشام وله من العمر ٣٩ سنة وكانت مدة خلافة
المتاثلة من الكوارث والفتن ثلاث سنوات وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً والحمد لله إلهنا لم نل
أكثر من ذلك سبحانه لطيف بالعباد

فلما إن يزيد كان مسرفاً بالمهرات ومن جعلها ادمان الحرة فحدثته في حبه الأولى في صديقه
نزل في مدينة الرسول وعوضاً عن زيارة الروضة الشريفة جلس على الشراب وجاءه سيدنا الحسين للزيارة
فدخله عليه فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب فقال مستنزيماً : لله درك طيبك ما أطيبه قال
هو طيب يصنع في الشام ثم دعا بقدر فشربه ثم دعا بأخر وقال لاسقي اسقى أباً عبد الله فقال له
الحسين عليه السلام عليك بشارك يا صاح لا عين عليك مني فقال يزيد وكان شاعراً حسن الشعر

ألا يا صاح للعجز دعوتك ذا ولم نجبر
إلى التيمات والتهوا ت والصبا والطرب
وبايطم مكلّم عليها سادة الرمد
وفين التي تبت فؤادك ثم لم تدر

فمن سيدنا الحسين عليه السلام وقال بل فؤادك يا ابن معاوية تبت . ومن هذه القصة
يتم حال يزيد ولا تجمع بينهما من استحلله المحرمات واقدامه على شر القاطع والمكرات
(١) لا بدّ للمؤرخ المصنف ان يرسل نظرة قنّار حارم الى الظروف التي تبنت عهداً من
المؤمنين عند ما بحث في فضائه السامية الطيبة التي جعلته على رأس الخلائق بد المصطفى لا حرم
انه لو قبل ذلك لوف ان ماقي امامنا منها هو جزء يسير مما غاب عنا بجهلنا وهذا ما يزيد ان
نوضحه في هذه الحاشية

ان معاوية استلم الخلافة الاسلامية اعتصاماً وهذا لا خلاف فيه لاننا راينا حارب الخليفة
الشرعي الذي تولى الخلافة كما تولاها الدين سبقوه بيعة الذين لهم حق بالبيعة وهم الصحابة
المهاجرون والانصار في المدينة المنورة وهذا الخليفة الشرعي فضلاً عن صحة بيعته وشرعيته له من
نسبه وحسبه وسابق جهاده في سبيل الاسلام وقديم محبته للمصطفى ما ليس لمعاوية شيء منه على
الاطلاق وهذا ذلك فرغبة المصطفى فيه ظاهرة بكل جلاء في الاحاديث الثابتة المروية عنه عليها
الصلاة والسلام وهذه الاحاديث الشريفة السوية الثابتة لها من التأثير الديني على تديس المسلمين
ما لا يستطيع القوة القاهرة التخلّص عليه كما لا يخفى من الضرورة قد أصبح معاوية ومن تبعه من
خلفاء بني أمية في اسغراب دائم من تأثير هاتيك الاحداث الشريفة على خلافتهم بحيث يجعلها دائماً
أبداً تلقفهم وأصبح يسمعون جداً أن يصغوا تأثيرها بأسرهم اولها ان يمنوا تداولها بين الناس
وأنبا ان يوجدوا احاديث تشابهوا الله بيلم مقدراً صحتها ويوتها يدعون ان المصطفى قلها لغير سيدنا علي من

وَهُبُّهُمْ نَكْرًا وَسَمْنًا لَصَحَّى أَفَيْتَسْبِي النَّاسُ تَأَلَّهَ عَنْ زَاهِي تَلَابُهَا
وَهَلْ أَكْفُهُمْ بِالشَّيْءِ طَائِفَةٌ وَقَدْ أَفَاضَتْ سَنَاهَا كَيْ تَحْفَظَهَا
لَوْلَا الْمَطَامِعُ تَسْتَفْوِي النَّفْسُ لَمَّا شُمْنَا جَعُودًا لَهَا فِي النَّاسِ شَانِهَا
وَلَا سَمِينَارُ وَادَّاءُ الْكَذِبِ تَطْلُبُ ذُنُوبَهَا بِمَا قَدْ رَوَّهَ مِنْ تَمَنِّيَهَا
وَاللَّهْرُ نَقَى أَبَا طَيْلٍ الرَّوَاةِ وَلَا شَاهَا وَضَمَّضَ شَارِبَهَا وَمُنْشِيَهَا
وَأَظْهَرَ الْحَقَّ وَضَاحًا لِأَعْيُنِ أَهْلِ الْأَرْضِ كَالشَّمْسِ فِي أَسْنَى تَجَلِّيَهَا
وَلَا حَ حَيْدَرَةٌ أَسْنَى الْخَلَائِقِ إِفْضَالًا وَأَرْفَعَهَا قَدْرًا وَتَوَجَّهَهَا

عناية الله بأمر المؤمنين

قَالَ الرَّسُولُ الْمَقْدِيُّ فِي أَبِي حَسَنِ مُنَوَّهًا بِأَسْمِهِ فِي النَّاسِ تَوْنُهَا (١)
فَقَالَ رَبُّ الْأَبْرَارِ فِي الْعَلِيِّ أَخِي قَدْ قَالَ لِي قَوْلُهُ عَصَمَاءُ أَرْوِيهَا

الصَّابَةِ وَلَا سِيَّاهُ الَّذِينَ تَوَلَّوْا الْخِلَافَةَ مِنْهُمْ وَلِلْوَصُولِ إِلَى هَذَا الْغَرَضِ اسْتَعْمَلَ مَعَاوِيَةَ الْمَالِ فَكَانَ يَبِ
الْأُلُوفِ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الَّذِينَ صَحَّبُوا الْمُصْطَفَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لِيَكْتُمُوا السُّمُّهُ عَنْ ذِكْرِ الْأَحَادِيثِ
الشَّرِيفَةِ الَّتِي قِيلَتْ فِي سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَنْ ذِكْرِ بَوَاهِرِ أَعْمَالِهِ فِي الزُّبُرِ النَّبَوِيَّةِ وَلِيَقْوَتْهُمْ
مِنَ الْأَحَادِيثِ مَا لَمْ يَقْلَهُ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْ لِيَزِيدُوا عَلَى مَا قَالَهُ مَا فِيهِ مَصَاحِدُهُ وَهَذَا
نُطْقُ بَعْضِ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ تَأْوِيلُهُ صِرَاحَةً وَطَوْرًا ضَمْنًا بِدَرْوَالِ الْإِلَاحِ مِنْ نَبِيِّ أُمِّيهِ ، عَلَى أَنَّ مَعَاوِيَةَ
لَمْ يَسْتَعْمِلِ الْقُوَّةَ ضِدَّ الَّذِينَ كَانَ يَصْرِفُ عَنْهُمْ مِنْ أَنْصَارِ الْحَقِّ لَا بِخَفْوَتِهِ عَلَى مَا أَعَامَ خِلَافًا لِلَّذِينَ
تَوَلَّوْا الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ فَاتَّهَمُوا بِمُضْطَهَدُونَ كُلٌّ مِنْ حَرِّ فِضَائِلِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ أَوْ رَوَى الْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ
الَّتِي قِيلَتْ فِيهِ سِوَاهُ بِالرَّجِّ مِنَ الْجَبُوسِ أَوْ بِالْقَتْلِ أَحْيَاءً . وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْخِلَافَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ طَلَتْ فِي
أَيْدِي الْأُمَوِيِّينَ نَحْوَ الْمِائَةِ عَامٍ « مِنْ سَنَةِ ٤١ هـ إِلَى سَنَةِ ١٣٢ هـ الْهَجْرَةِ » فَفِي كُلِّ هَذِهِ الْمُدَّةِ
الطَوِيلَةِ كَانَ النَّاسُ يَتَزَلَّدُونَ إِلَى الْأُمَوِيِّينَ بِدَمِّ سَيِّدِنَا عَلِيِّ وَهُمْ يَتَعَرَّضُونَ لِنَقْمِهِ لِهَذَا إِلَى أَنْوَاعِ
الْعَطَامِ وَالْمَارَمِ فَلَا جَبَّ بَعْدَ هَذَا إِذَا قُلْنَا أَنَّا فَقَدْنَا كَثِيرًا مِنْ مَعْرِفَةِ فِضَائِلِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ وَبَوَاهِرِ أَخْبَارِهِ
وَإِذَا عَرَفْنَا أَنَّ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَسِيَابِ التَّدْيُونِ وَالْفِتْرِ مَا لَدُنَا الْآنَ
فَمَا كَانَ كَدَاهِمُ كَثِيرِينَ وَلَا كَانَ عَنْدهُمْ مَطَامِعٌ وَلَا مَا يَشْتَهَى وَكَانَ حُلُّ اعْتِدَادِهِمْ عَلَى الْحِفْظِ لَا سَجَبٍ
بَعْدَ هَذَا إِذَا قُلْنَا أَنَّ الْمَسَاحِينَ اصْهَوْا فِي أَوَاخِرِ الْمِائَةِ الْأُولَى مِنَ الْهَجْرَةِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ عَنْ فِضَائِلِ
سَيِّدِنَا عَلِيِّ وَأَعْمَالِهِ الْبَاهِرَةِ إِلَّا مَا جَرَّ الْأُمَوِيُّونَ عَنْ اخْتِصَامِهِ وَهُوَ مَا طَمَحَ طَيْلٌ مِنْ كَثَرِ عَلَى أَنَّ هَذَا
التَّقْيِيلَ يَكْفِي لِنَعْرِفَ كَيْدَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْعَظِيمِ الْكَامِلِ الَّذِي لَا يَغْفُلُهُ إِنْشَاءٌ فِي خِلَافَتِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
الْمُصْطَفَى عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

(١) إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي سَيِّدِنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الْقَدِيمِ لَمْ
يَطْنِ بِصَحَّتِهِ طَاعَنٌ وَلَمْ يَشْكُ فِي صَدِّهِ شَاكٌّ لَكِنِّي النَّاسَ اعْتِقَادًا بِبِرَارَتِهِ وَعَيْنَاةً اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ

قَالَ سُبْحَانَهُ : أَنْ أَلْعَلِّي غَدَا
وَأُورِيَانِي مَنْ كَانَ الْأَمَامَ لَهَا
وَأَنَّهُ نَوَّرَ مَنْ فِي طَاعَتِي نَشَأَتْ
وَأَنَّهُ غَايَةُ الْقَوْمِ التَّقَاةَ وَقَدْ
أَحْبَبَنِي مَنْ لَهُ بَاتَ الْمَحَبُّ وَقَدْ
بَشَّرَهُ فِي ذَاكَ دَيْتُ الْأَيْلَةَ : عَلَى
قَالَ : إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ نَفْسِي فِي
فَإِنْ قَضَى بَعْدَ أَبِي لَيْسَ يَطْلُمُنِي
وَأِنْ يُتِمَّ إِلَيَّ قَدْ كَانَ وَعَدَنِي
وَقُلْتُ : رَبِّاهُ إِنْ قَدْ دَعَوْتُ لَهُ
لَاهُمْ طَاهِرٌ خَائِبًا قَلْبُهُ وَبِكَ الْأَمَامُ
قَالَ سُبْحَانَهُ : أَبَشَّرْتُ وَلَكِنْ دُونَهُ نُوْبٌ لَأَشْكُ لَاقِيَهَا
خَصَصْتُهَا بِبَلِي لَمْ أُخْصَرْ بِهَا مِنْ أَوْلِيَانِي قَتَّى فَهُوَ الْمُعَانِيهَا
قُلْتُ : لَاهُمْ رَبِّي رَحْمَةً لِعَلِّي صَاحِبِي وَأَخِي إِنْ تَرَجَّحَتْهَا
قَالَ سُبْحَانَهُ : قَدْ كُنْتُ مُبْتَلِيًا وَمُبْتَلَى تِلْكَ بِلَوَى لَسْتُ مُرْجِيهَا
وَذَا بَسَاطِي عَلِي كَانَ وَأَكْتَسَبْتُ حُرُوفَهُ وَقَضَائِي كَانَ مُمْلِكِيهَا
هَدَيْتِي رَوَايَةَ طَهَ فِي أَبِي حَسَنٍ لَقَدْ جَرَتْ مِثْلَمَا قَدْ كَانَ رَاوِيهَا
وَأَيْهَا وَحَدَّثَا تَكْنِي أَلْعَلِّي فَخَا رَأَيْتُ تَوْجِيهَهُ فِي النَّاسِ تَوْجِيهَهَا

وعالي منزله عند ربه سبحانه وتعالى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَدَدَ لِي فِي عِلِّيَّ عِدَةً ، قُتِلَ : يَارِي بِهِ لِي ، قُلْتُ : أَسْمِعْ ، إِنَّ عَلِيًّا رَايَةَ الْهَدْيِ ، وَأَمَامَ أَوْلِيَائِي ، وَتَوَرَّعَ مِنْ أَطَاعَتِي ، وَهُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي الرَّمَاهَا الْمُتَّقِينَ ، مَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، فَبَشَّرَهُ بِذَلِكَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : قُلْتُ قَدْ بَشَّرْتَهُ يَرْبُ ، قُلْتُ لِي : أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَفِي قَبْضَتِهِ ، فَإِنْ بَدَأَنِي فَبَدُونِي لَمْ يَطْلُمَ شَيْئًا ، وَإِنْ نِمَّ لِي مَا وَعَدَنِي فَهُوَ أَوَّلِي . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : وَقَدْ دَعَوْتُ لَهُ فَقُلْتُ : لَاهُمْ ، لَاجِلُ تَلْبِهِ ، وَلَاجِلُ رِيْبِهِ الْإِيمَانُ بِكَ . قَالَ سُبْحَانَهُ : قَدْ قُلْتُ ذَلِكَ ، غَيْرَ أَنِّي مُخْتَصَمٌ بِشَيْءٍ مِنَ السَّلَامِ ، لَمْ أَدْعُ بِهِ أَحَدًا مِنْ أَوْلِيَائِي . قَالَ الْمُصْطَفَى : قُلْتُ رَبِّي ، هُوَ أَخِي وَصَاحِبِي قَالَ

عبادة أمير المؤمنين

عِبَادَةُ اللَّهِ مِنْ أَسْفَى الْفُرُوضِ عَلَى أَهْلِ أَتَقَى فَارَ بِالْعَتَى مُوقِرَتَهَا (١)
بِهَا أَتَقَى بُرْقَى حَقَّ خَالِقِهِ حَمْدًا عَلَى نِعَمٍ مَا أَنْفَكَ يُسَدِّدُهَا
وَالْمُرْتَضَى أَعْبَدُ الْعِبَادِ أَجْمَعِهَا لِرَبِّهِ بِيَادَاتٍ يُتْلِيهَا
وَأَكْثَرُ النَّاسِ صَوْمًا عَنْ قِيٍّ وَصَلَاةً كَانَتْ عَنْ وَرَعٍ دَوْمًا يُصَلِّيَهَا
مِنْهُ تَمَلَّتِ النَّاسُ الْهَجُودَ فَخُجِّي بِالصَّلَاةِ لِإِبَارِنَهَا لِإِلَهِهَا
وَعَنْهُ قَدْ تَخَذَتْ مَبْدَأَ مُلَازِمَةٍ إِلَّا م وَرَادٍ يَكْتَسِبُ الْفُزْنَ تَالِيَهَا
كَذَا نَوَافِلُهَا عَنْهُ قَدْ أَقْتَبَسْنَا فِي الْعِبَادَةِ وَأَنْصَاعَتِ تَوَقِّرَتِهَا
وَمَا يَنْظُرُ بَيْنَ يَتَلَوُّ الْوَرُودَ بِلَيْلَةٍ الْهَرِيرِ الَّتِي عَمَّتْ كَوَادِنَهَا
جَنَّا عَلَى الْيَطْلَعِ وَالْأَنْبَالِ مُرْسَلَةً حَوْلَهُ تَتَرَى وَلَمْ يَرْهَبْ رَوَائِبَهَا
وَمَا يُطْنُ بَيْنَ تَأَلَّهِ جَبْهَتُهُ قَدْ شَوَّهَتْ بِلِئَاسِ الْأَرْضِ تَشْوِينَهَا
مِنَ السُّجُودِ فَحَاكَتْ نَفْسَهُ الْجَحْلُ الْبَرَّكَ أَوْ فِي جَاهَا مَا يُحَاكِهَا
وَمَنْ وَعَى دَعَوَاتِ الْمُرْتَضَى وَمُنَا جَاءَ بِهَا الْعِزَّةُ الْعُلْيَا يُنَاجِيهَا
وَمَا حَوَتْهُ مِنْ اتِّعْظِيمِ أَسْطَرُهَا اللَّهُ فِي كُلِّ حَرْفٍ مِنْ مَبَانِيهِ
مَعَ الذُّشُوعِ وَإِظْهَارِ الْخُضُوعِ لَهُ سُبْحَانَهُ حَسْبَمَا تَرْمِي فَحَاوِيَهَا
دَرَى حَقِيقَةً مَا فِي نَفْسِ حَيْدَرَةٍ وَمَا أَسْرَتْ مِنْ اتَّقْوَى لِإِبَارِنَهَا

سجده : انه سبق في علمي انه ليلتي ومبتلي « آه لاجرم ان عناية الله سبحانه بعبادته أمير المؤمنين عليه صلوات الله لشكفي للدلالة على وجاهته العليا عنده جل جلاله

(١) ليس ممن يخالفنا اذا قلنا ان سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله قد كان أكثر المسلمين إخلاصاً لله سبحانه وتعالى بل وأطهرهم نية في عبادته وروعهم وروعاً في سجوده وقيامه ولا عجب في هذا همد أن عرفنا انه نشأ في حجر المصطفى عليهما الصلوات والسلام وتربى على يديه وحضر مواعيد يندوا به وروح بالوحي الإلهي ومن نشأ نشأ القدسي لاجرم ان يظل الدهر صائماً مصلياً متقائاً في مسرعة ربه منصرفاً الى الآخرة بكلية

وأجمع المؤرخون على أن الناس تعلموا منه عليه صلوات الله صلاة الليل وملزمة الاوراد وقيام النافلة وما يبلغ الظن برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطم في صفين ليلة الهرير وهي أشد ليالي تلك الحرب الشدواء قتلاً فيصلي عليه وردع والسهام تقع بين يديه وتقر على صاعبه ميمناً

وَلَمْ يَكُنْ يَفْضُ مَا فِي نَفْسِهِ بَدَرَتْ مِنْ رِفْدِهِ وَالْقَلْبُ بِالْإِخْلَاصِ مُثْلِيهَا
وَالْمُرْتَضَى كَانَ لِلْخَلْقِ مُنْجَذِبًا بِرُوحِهِ كَانَ بِالتَّقْوَى مُحْجَبًا
وَقَدْ تَجَلَّتْ لَهَا ذَاتُ الْمُتَهِنِينَ فِي أَنْوَارِهَا قَسَمْتُ مِنْ تَجَلِّيهَا
وَمَا لَمْ تَشَارِكْ جَمْعَ الْمَلَائِكَةِ فِي السُّبُحِ مُنْشِدَةً فِيهِ أَغَانِيهَا
عِبَادَةً مَا لَهَا إِلَّا أَبُو حَسَنِ وَمَا سِوَاهُ حَقُّوقُ اللَّهِ يَقْضِيهَا

أصبر المؤمن ونفسه القراءه

لَا يَذْرُوكُ إِلَّا الرَّاخُونَ بِسَلَامِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ سَامِي مَعَانِيهَا (١)
وَهُمْ لَقَدْ قَرَّوْهَا بَدَأَ أَنْ دَرَسُوا مَقَاتِ تَزِينِهَا مَعَ قَضَائِ مُؤَحِّبِهَا
عَلَى الْأَلَى صَحْبِهَا وَقَدْ شَهِدُوا هَا نَازِلَاتٍ عَلَيْهِ فِي مَثَانِيهَا
وَلَمْ يُلَازِمِ كَيْفَ الْمُرْتَضَى أَحَدٌ مُحَمَّدًا صُحْبَةً بَتَّ أَوَاحِيهَا
وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ذِكْرِي مِثْلُهُ بَيْنَ طَيْبِيهَا وَمَكِيهَا
يَعْنِي وَيَذْرُوكُ آيَاتِ الْكِتَابِ وَأَفْئَالِ الرَّسُولِ وَبَسْجَلِي خَوَافِيهَا

وشهلاً فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من صلاته ؟ وما الطن ؟ برحلته كانت حبه كشفته البير
لطول سجوده ؟ ومن تأمل دعوات المرتضى وما طوي ملي مناجاته لربه ووقف على ما فيها من
تعظيم الله سبحانه وإجلاله وما يتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته والاستغناء له عرف
ما انطوت عليه نفسه الشريفة من الإخلاص لله عز وجل وفهم من أي قلب خرجت تلك الادعية
الصادقة الصالحة وعلى أي لسان طهوت حررت

(١) ان تفسير القرآن الشريف الذي لا يدرك آياته الا الله والراسخون في العلم هو من
أجل العلوم التي تتوقف عليها الهداية الى الحقائق وأوامر الله ونواهي . وبالهداية ان اتدبر الناس على
تهم الآيات وادراك لحاويهاهم الذين تفقوها من فهم المصطفى عليه الصلاة والسلام ولا يهتم هذا الا
للذين تفقوها بصحبة وشهدوا الظروف التي نزلت فيها وتلقوا من فهم الحضرة النبوية تفسيرها وليس
في أصحاب رسول الله من المهاجرين والانصار من لازمه ملازمة سيدنا علي وقد عرفنا انه لزمه
وهو حق وتزني على يديه وأدب ياديه وساعده ذكأؤه الفطري العجيب على وعي هاتيك الحقائق
الالهية وادراك سامي معانيها فما عجيب والحالة هذه اذا ما كان عليه صلوات الله أفضل من تهم الثاني
وفسرهما للناس وقال غير مرة « سألوني قبل أن تفقدوني » بل وهل غيره يستطيع ان يقول هذا
القول فيجمع الناس على انه ما ادعى دعوى لم يدعها برهان ولا لة قوله يكذبها الامتحان

ومن المعلوم ان علماء التفسير من صدر الاسلام حتى يومنا هذا يستندون الى ما روتوه الصحابة
في تفسير الآيات ومقالات نزولها والضرورة التي نزلت لاجلها وتفسير المصطفى عليه الصلاة والسلام

فَمَا عَجِبْتُ إِذَا مَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ قَدْ فَسَّرَ الْآيَ وَأَسْتَقَمَى فَحَاوِيهِ
وَقَالَ: هِيَ أَسْأَلُونِي فِي شَرِّهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُونِي عَنْ مَرَامِيهَا
وَبَاتَ كُلُّ عَلِيمٍ قَدْ تَعَرَّضَ لِلتَّفْسِيرِ آثَارُهُ الْقُرْآنَ قَارِئُهَا
إِلَيْهِ يَرْجِعُ فِيمَا قَدْ رَوَى وَقَصَى وَقَوْلُهُ الْمُرْتَضَى كُلُّ الْهَدَى فِيمَا
أَوْ لَا بِنِ عِبَّاسٍ تَلْمِيزًا لَوْحِي وَقَدْ رَوَى الْأَحَادِيثَ عَنْهُ فَهُوَ رَاوِيهَا
وَقِيلَ يَوْمًا لِعَبْدِ اللَّهِ: أَيْنَكَ مِنْ عَلِيٍّ مِنْ مَنَّا قَدْ فَاقَ فَتَقِيهَا
فَقَالَ: نِسْبَةُ عَلِيٍّ لِعَلِيٍّ كَنِسْبَةِ الْقَطْرِ إِلَى الْبَحْرِ ضَافِيهَا

أمير المؤمنين وقراءة القرآن

مَا كَانَ يَحْفَظُ إِلَّا الْمُرْتَضَى بِحَيَاةِ الْمُصْطَفَى الْآيَ فِي سَامِي تَابِلِيهَا (١)
وَلَمْ يَكُنْ غَيْرُهُ مِنْ صَحْبٍ أَحَدًا وَأَنْصَارِهِ الْمَعِي النَّفْسَ وَأَعِيْنَهَا
فَكَانَ جَامِعًا بَعْدَ الْأَشْتَاتِ بِقُرْآنِ كَمَا نَزَلَتْ هَدِيًّا لِأَهْلِهَا

لها واكثر ما يشهدون به هو مرويات سيدنا علي أمير المؤمنين وعبد الله بن عباس واقوالهما. أما سيدنا علي غاله من جهة الرأي وصدق التفسير ما لا يحال الى التفسير فيه . وأما عبد الله بن عباس وهو ابن عم رسول الله العباس فقد تربي وتنقف علي يدي سيدنا أمير المؤمنين وصحبه طول حياته منذ شب إلى يوم فرق بينهما الموت ما قرته لحظة فيكون كل ما نقل عن عبد الله بن عباس كأنه منقول عن معلمه وسريه وهكذا يرجع فن تفسير القرآن الى سيدنا أمير المؤمنين بنير جدال

وبعد وفاة أمير المؤمنين عليه صلوات الله أصبح المرجع الأكبر لتفسير القرآن عبد الله بن عباس فكان موضع ثقة المسلمين وقوله حجة عندهم وما زالت منزلته العلمية تلو في نظر المسلمين حتى حووه مدانيا مرتبة علي بن أبي طالب وجاهه منهم من سألته ثلاثا : أين علمك من علم ابن عمك علي ؟ فبسم عبادة وقال : إن نسبة علمي الى علم أمير المؤمنين كنيسة القطرة الى البحر المحيط . وعبد الله بن عباس كان يعرف مبلغ علم سيدنا علي أكثر من جميع الناس وشهادته فيه لها نصيبها من الاعتبار (١) اجمع الرواة على ان المرتضى عليه صلوات الله كانا كبر ثمة في حفظ القرآن على حياة المصطفى عليهما الصلاة والسلام كما ان آيات الوحي كان يكتبها على الواح الجمل ويحفظها عنده ويتن عن رسول الله قراءتها كما كان يروي واعندما توحى اليه . وعندهما توفي المصطفى انصرف أمير المؤمنين الى جمع الآيات وتنسيقها صيانة لها من التحريف والتصحيف وكان يقرئها الناس ايضا لكي لا ينحسوا في قراتها وسبق لنا القول ان نسبة القرآن الى عثمان بن عفان ليس لانه هو الذي جمعها كما يبادر الى أذهان بعض الناس ولكن لحادث آخر وهو ان حروف الكتابة في ذلك الزمان كانت خالية من النقط والحركات كما نرى من بقايا نسخ القرآن الشريف المحفوظ بمض نسخها في المكتبة السلطانية بمصر فتدما

وَضَاطًا بَعْدَ تَذْقِيقِ قِرَائَتِهَا كَيْ يَأْمَنَ الْخَطَأَ الْمَجْهُودَ قَارِيَهَا
أَرَادَ فِي ذَلِكَ صَوْنَ الْآيِ مِنْ خَطَرِ الْبَسْخَرِفِ إِنْ تَرَكْتَ فَوْضَى لِتَالِيَهَا
وَأَنْ يُسَهِّلَ لِلنَّاسِ الْوُقُوفَ عَلَى وَحْيِي بِهِ الْمُصْطَفَى قَدْ جَاءَ يَهْدِيهَا
فِيهِ تَعَلَّمَ أَحْكَامَ الشَّرِيفَةِ وَالسُّدُنِ الْحَنِيفِ كَمَا قَدْ نَصَّ مُؤَرِّجُهَا
وَتَمَّ الْبَغْيَةَ الْمُطْلَى بِهَيْئَةِ الشَّيْءِ الَّتِي تَحْمَدُ الدُّنْيَا مَسَاعِيَهَا
وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ الْمُتَعَوَّنَ عَلَى الْأَمِّ قَرَارَ بِالْتَّمَعَةِ الْكُبْرَى لِسُدُنِهَا
كَذَلِكَ كُنْ بِقِرَاءَتِهَا لِي تُشْرَتْ تَجَلُّوْ حَقِيقَةً مَا قَدْ لَدْنَا وَتُبْدِيهَا
أَمَّا أُمَّةٌ قَرَأَتْ الْكِتَابَ إِلَى السَّيْلِ تَرْجِعُ فَأَعْلَمُ أَنَّ سُلْمِيهَا
قَدْ كَانَ تَلْمِذُهُ عَنْهُ قَدْ أَخَذَ الْقُرْآنَ مَجْمُوعَةً صَحَّتْ أَمَالِيهَا
كَذَا أَنْتَهَى عَنَّا فَنُ أَقْرَأُ وَلَاؤُ م مَامٍ مِثْلُ فُنُونِ الْتَرْنِ بِأَقْبِيهَا

علم أمير المؤمنين

بِهِرُ الْمَلُومِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَلَا رَيْبَ وَفِي صَدْرِهِ مَثْوَى لآلِيهَا (١)
هَمَّاتٍ مَا فِي عِبَادِ اللَّهِ ذُو بَصَرٍ إِلَّا وَعَنْهُ تَلْقَاهَا وَبَرَوِيهَا
مَا قَاتَهُ أَبَدًا إِذْ رَأَى ظَاهِرَهَا أَوْ الْوُصُولُ إِلَى أَخْفَى خَوَافِيهَا
وَالْمُصْطَفَى شَاهِدٌ حَقٌّ شَهَادَتُهُ فِيهِ وَإِنْ عِبَادَ اللَّهِ تَذَرِيهَا

نقل المسلمون القرآن كما جمعه سيدنا علي وتداولوه فيها بينهم نظرأ اليه شيء من الخطأ في القراءة
وأغلوا يختلفون في أي النسخ هي الصحيحة وصاروا يقولون قرآن فلان يقول كذا وترآن فلان
يقول كذا وكان ذلك على عهد هتمان فجمع هذا نسخ القرآن وأمر بمعاونة سيدنا علي وإكابر الصحابة
التقاء على الصحيح منها وكتب منه سبع نسخ فكانت هي موضع اعتبار المسلمين وبذلك نسب القرآن
إلى عثمان مع أن جمعه ومنه هو سيدنا علي اشتغل في ذلك على أو وفاة المصطفى عليهما الصلاة
والسلام بما كتب القراءات فرحمها كلها إلى قراءة أبي عمرو بن العلاء وطاسم بن أبي النجود وأمثالهما
من الأئمة وهؤلاء كلهم تلاميذ أبي عبد الرحمن السلمي الفاري فتفقوا على يده والتفقوا قراءة القرآن
عنه وأبو عبد الرحمن السلمي الفاري هو تلميذ سيدنا علي ومن فقه الشريف تعلم قراءة القرآن ذورواها
وهكذا يكون جمع القرآن وصيافته من التحريف واتقان قراءة فضل سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله
(١) لا جدال ولا اشكال أن سيدنا علي عليه صلوات الله قد كان أعلم العلماء وافقه الفقهاء
واسمى من جمع في صدره علوم الدنيا والآخرة وهذا مسلم به من كل عالم وفقير من الاولين

قَالَ: لَوْ تَيَّ لِعِلْمِ الْمَدِينَةِ وَالسَّبَابِ الْعَلِيِّ وَمِنْهُ قَارَ آتِيهَا
وَقَالَ: خَازِنٌ عَلِيٍّ كَانَ حَيْدَرُهُ وَكَانَ عَيْنَتُهُ قَوِيٌّ وَتَقْيِيهَا

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ

أَسْنَى الْعُلُومِ وَأَعْلَاهَا وَحِكْمُ الْعِلْمِ الَّذِي كَانَ مُخْتَصًّا بِآرِنِهَا (١)
عِلْمٌ بِهِ يَعْرِفُ الْمَخْلُوقُ خَالِقَهُ حَتَّى يَهْتِمَ بِهِ حُبًّا وَتَذَلُّبًا
وَالْمُرْتَضَى كَانَ بِالْأَحْكَامِ وَاضِعُهُ هِدَايَةً لِلْوَرَى مَا ضَلَّ هَادِيهَا
وَعَنْهُ قَدْ أَخَذَ النَّاسُ الْهِدَايَةَ لِعِلْمِ الْإِلَهِيِّ فِي أَسْنَى مَجَالِهَا
وَإِنْ مُتَزَلِّبًا هُمْ تَلَامِيذُهُ لَمْ يَنْتَبِهِرُوا مَعَ أَشْعَرِيَّتِهَا
كَذَا الْإِمَامِيَّةُ الْمَحْمُودَةُ مَنَشَأُهَا مَعَ الزُّيُودِ فَمَا إِلَّا مُنَشِئَهَا
طَرَائِقُ خَطْبَاهَا رُشْدًا أَبُو حَسَنِ لِسَالِكِيهَا فَمَا ضَلُّوا مَآسِيَهَا
فِيهَا الْفَدَاةُ وَالْوَحِيدُ وَالنَّظَرُ السَّعِيدُ لِلْحَقِّ يَهْدِي خَطَا مَآسِيَهَا

وَالْآخَرِينَ وَقَدْ شَهِدَ لَهُ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ قَالَ: «أَمَّا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعِلِّيُّهَا
فَمَنْ أَرَادَ الْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ» وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا «خَزَنَ عَلِيٌّ» وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا «عِيَّةٌ عَلِيٌّ»
وَالْعِيَّةُ حَقِيَّةٌ مِنْ آدَمَ يَجْمَلُ فِيهَا الْكِيَابُ

(١) لِاجْتِدَالِ أَنَّ أَشْرَفَ الْعُلُومِ هُوَ الْعِلْمُ الْإِلَهِيُّ لِأَنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ يَعْرِفُ الْمَعْلُومَ وَهَذَا
الْعِلْمُ مَصْدَرُهُ الْوَحْيُ الْإِلَهِيُّ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَالْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ وَكَانَ أَوَّلُ وَأَفْضَلُ مِنْ نَظَرٍ فِي
الْقِرَآءِ وَالسَّنَةِ وَأَتَى بِهَا وَأَظْهَرَ جَلَامِلَ مَرَامِهَا هُوَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ بِاجْمَاعِ الْمَاهِرِينَ
وَالْإِنصَارِ وَحَسْبُنَا أَنْ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ وَغَنَاهُ كَانُوا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ لِيَقْتَنِبَ بِمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ فَضْلًا عَمَّا
فِي خَطْبَتِهِ الْقُرَاءِ وَأَقْوَالِهِ الْمَأْثُورَةِ مِنْ دُرَرِ هَذَا الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ حَتَّى أَصْبَحَ هَذَا الْعِلْمُ بِغَيْرِ مَرَامٍ مُقْتَبَسًا
مِنْ كَلَامِهِ وَقَتْلَ عَنْهُ وَمَتَّأْتِدًا وَإِلَيْهِ انْتَهَى . وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُتَزَلِّبُونَ الْمَرْوِفُونَ بِالتَّوْحِيدِ وَالْمَدْلُ حَتَّى
أَصْبَحُوا بِهَا أَسَاتِذَةَ النَّاسِ هُمْ تَلَامِيذُهُ وَقَدْ ائْتَفَقُوا مِنْ يَمْرِ عِلْمِهِ الرَّآخِرِ لِأَنَّ كِبَرَهُمْ وَأَصْلَ بِنِ
عَطَاءٍ هُوَ تَلْمِيزُ أَبِي هَاشِمٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ وَأَبُو هَاشِمٍ هَذَا أَخَذَ عِلْمَهُ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ
الْحَنَفِيَّةِ وَمُحَمَّدٌ هَذَا تَتَفَقَّ عَلَى يَدَيْ أَبِيهِ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ . وَكَذَلِكَ نَقُولُ عَنْ الْأَشْعَرِيَّةِ
الَّذِينَ هُمْ تَلَامِيذُ الْمُتَزَلِّبِ فَلَهُمْ يَتَمَتُّونَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ الْأَشْعَرِيِّ
وَهَذَا تَلْمِيزُ عَلِيِّ الْجَبَائِيَّ وَعَلَى يَدَيْهِ تَتَفَقَّ فِي التَّوْحِيدِ وَالْمَدْلُ وَأَبُو عِيٍّ الْجَبَائِيُّ هُوَ أَحَدُ مُتَأَخِّخِ الْمُتَزَلِّبِ
الَّذِي يَتَنَا أَنَّهُمْ تَلَامِيذُ الْمُرْتَضَى عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ . وَأَمَّا الْإِمَامِيَّةُ وَالزُّيُودَةُ فَاتَّسَاهَا إِلَى سَيِّدِنَا أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ مَعْرُوفٍ مَشْهُورٍ وَزَعِيَاهُمَا وَلَدَاهُ وَعِلْمُهُمَا مُقْتَسَبٌ مِنْ عِلْمِهِ وَقَضَاهُمَا مُتَبَقٌّ مِنْ فَعْلِهِ

أمير المؤمنين وعلم الفقه

وَالْمُرْتَضَى جَلَّ أَلْفَهُ الْمَشْرِفِ عَلَمًا ذَا أُصُولٍ لَهُ تُنْتَى أَمَالُهَا (١)
وَعَنْهُ قَدْ أَخَذَ النَّاسُ التَّفَقُّهُ فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ سِنِينَ وَسِتِّينَ
وَأَيْتُمَا قَهْمَاهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ عِيْلَةٌ حَاجِبًا مَا أَنْفَكَ كَافِيَهَا
عَلَيْهِ قَدْ قَرَأَتْ قِيَّةَ الشَّرِيعَةِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ وَأَبْدَتْ فَضْلَ مَقَرِّهَا
قَدْ آتَى عِبَّاسَ عَبْدُ اللَّهِ صَاحِبُهُ مِنْهُ قَهْمُهُ الْقَرَاءَةُ جَانِبَهَا
وَهُوَ ذَا عَمْرِو أَحْكَامٍ إِمْرِيَّةٍ قَدْ كَانَ حَسْبَ قَنَاطِيهِ بُحْرَانُهَا
وَكُلُّ مُجْتَهِدٍ فِي أَهْلِ شَيْعَتِهِ مِنْهُ أَلْفَاوَى تَلْقَاهَا وَبُرُوقُهَا
وَمَا تَجَاوَزَ آرَاءَهُ مُسَدَّدَةٌ لَهُ بِأَحْكَامِهِ مَا هُمْ بِمُضْهِئِهَا
وَمَا أَيْتُمَا أَهْلَ السُّنَّةِ أَلْفَقَاهَا «الْمُسْتَجَاوِزَةُ فِي الدُّنْيَا قَنَاطِيهَا

(١) ان علم الفقه عليه مدار الاحكام الشرعية وبه يصل العالم الى درجة الاقامة السامية ولا خلاف ان سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله هو أصله وأساسه وكل فقهاء المسلمين قديمهم وحديثهم عيال عليه قد اغترفوا من بحر علمه الراغر بذلك على ذلك استاد هؤلاء على ما يروى من أقواله الدرية وأملوا به تلاميذه الذين اقتبسوا الفقه منه

وقد اشتهر عبد الله بن عباس بلم الفقه حتى كان أفقه الصحابة بالاجماع وأقواه حجة عند الفقهاء لا يشكون بصحتها وقد سبقت لنا الإشارة بأن عبد الله بن عباس قد تعلم وتنفق على يدي سيدنا علي وكان من أنجب تلاميذه

وهذا عمر بن الخطاب قد كان يرجع الى أمير المؤمنين في كل ما يشكل عليه من الاحكام والروايات في ذلك كثيرة لا منكر لها ولا جاحد وكان يقول «لولا علي لهلك عمر» ويريد لولا علم علي. كما كان يقول «لا تبقي لمصلحة ليس لها أبو الحسن» وكان يقول أيضاً «جيرة «لا تبين» أحد في السجود على حاضر» وأقوال عمر بن الخطاب هذه هي التهامة الدنيا بأنه كان متفهماً على يديه مهتدياً بعلومه مستزقاً لها التفوق في التفسير والتشريع

وأت تعلم ان المسلمين ينقسمون الى مذاهب أخصها السنة والشيعة ورجوع علماء الشيعة الى علم أمير المؤمنين واستنادهم الى فقهه لا يحتاج الى بحث طويل فهم تلاميذه بالأسل ورايه هو الأعلى عندهم فهم اذن يقرنون علمه ويحكمون بفقهه . وأهل السنة يرجعون بفقههم الى مجتهدهم الارسة المشهورين وهم أبو حنيفة والثاني وماك بن أسر وأحمد بن حنبل . فأبو حنيفة كما تقرأ في ترجمته قد قرأ عن جعفر بن محمد بن الحنفية وهذا أخذ العلم عن أبيه فيكون أبو حنيفة تلميذ سيدنا علي ويرجع بفقهه اليه . وأما الشافعي فقد قرأ على محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة فيكون مرجعه بفقهه الى أبي حنيفة الذي رآه تلميذ أمير المؤمنين . وأما أحمد بن حنبل فقد قرأ على الشافعي

لَا تَلَامِيذُهُ عَنْهُ لَقَدْ أَخَذَتْ عُلُومَهَا وَعَهْدَانَهُ مَرَبِّهَا
كَذَا إِلَى الْمُرْتَضَى بِالْفَقْهِ تَرْجِعُ أَرْ
فَإِنْ تَدَبَّرْتَ تَذَقُّقًا نَسْلُهَا
وَالْمُصْطَفَى قَالَ: أَفْضَاكُمْ أَبُو حَسَنِ
وَجَدْتَ فِي بَابِهِ الْعَالِي أَوَائِلَهَا
وَالنَّاسُ قَدْ شَهِدَتْ رُشْدًا بِهَا ضَمِنَهَا

امير المؤمنين وعلم التصوف

إِنَّ التَّصَوُّفَ فِي شَيْ طَرِيقِهِ لِتَابِعِيهِ الْأَلْفَى بِالزُّهْرِ تَمْشِيهَا (١)
جَمِيعُهَا الْمُرْتَضَى قَدْ كَانَ مَصْدَرَهَا وَعَنْهُ قَدْ أَخَذَتْ سَائِمِي مَبَادِيهَا
بِذَلِكَ صَرَّحَ أَقْطَابُ الطَّرِيقِ تَصَرُّيحًا وَنَادَوْا بِهِ فِي النَّاسِ تَبَجْرِهَا
وَإِنْ خَرَقَتْهُ كَانَتْ شِعَارَهُمْ وَلَمْ يَزَالُوا بِقَوَاهُمْ مُصَيِّنِيهَا
لَى الطَّرِيقِ فِي الْإِسْلَامِ أَجْمَعِهَا إِلَيْهِ تَنَحَّى بِلَا رَيْبٍ مَسَارِيهَا
وَهُوَ الَّذِي كَانَ هَادِيَهَا وَمُرْشِدَهَا إِلَى الْعِبَادَةِ بِالْإِخْلَاصِ تَقْضِيهَا
وَهُوَ الَّذِي كَانَ فِي الْإِخْلَاصِ قُدْوَهَا مَا أَخْلَصَتْ فِي تَرْجِي عَفْوَ بَارِيهَا
بَلْ أَنَّهُ قُدْوَةُ الصَّلَاحِ أَجْمَعِهَا إِلَى الْفَرَادِيسِ قَدْ كَانَ الْمُخْطِئُهَا

فهو تلميذ الشافعي الذي هو تلميذ أبي حنيفة الذي هو تلميذ أمير المؤمنين وأما له بن أنس قد قرأ
على ربيعة الرأي وقرأ ربيعة على عكرمة وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس وقد علمنا مما تقدم أن
عبد الله بن عباس قد اقتبس علمه من أمير المؤمنين فيكون مرجع مالك إلى سيدنا أمير المؤمنين.
والأحرى يكون فقه أهل السنة مقتبس من شمس علم سيدنا علي أمير المؤمنين عليه صلوات الله
ومثل هذا يقال عن زعماء بقية المذاهب الإسلامية الأخرى فإن علماء المالكيين الذين تنتمي إليهم
لو دقت في تراجمهم وجدتهم ينهون إلى ما به العالي وأهم تلاميذه ولولا التطويل وما هنا محل لآتيانا
على ذكر هذه المذاهب والمشتريين فيها وكيف كان زعماءها تلاميذ له وعيالاً عليه. وخبر ما قوله
هنا هو شهادة سيدنا محمد لأمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام فقد قال بحديث ثابت لا جدال في
صحته « أفضاكم علي » وما اتقى الفضاة إلا أفضلهم في علم الفقه

(١) من بحث في الطرائق المختلفة الإسلامية وما فيها من التصوف وعلم الحقيقة ورأى زعماءها
وواضعيها تنهي علومهم إلى علم سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله وأهم تلاميذه وعيال عليه
وقد صرح بذلك الشبلي والجنيد وسري وأبو يزيد البسطامي وأبو عوف مروف الكرخي وغيرهم
من فقهاء الحقوقيين وحسبنا دلالة على ذلك الحرة التي هي شعارهم إلى يوم الناس هذا فهم يستندونها
بأسناد متصل إلى سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله وما احتفاظهم بها إلا اعترافاً منهم بأن طرائقهم
مقتبسة من نور علمه واجبة إلى فقهه واجتهاده

اميد المؤمنين وعلم النور

مَا كَانَتْ تُرْبُ تَذَرِي لِكَلَامِ قَوَا عِدَاً وَمَا لَاحِنٌ فِي الْقَوْلِ لِأَغْنِيهَا (١)
 إِنْ حَدَّثَتْ أَوْ عَوَّدُ الشَّرِّ قَدْ نَظَمَتْ عَقَواً فَلَا غَلَطٌ يَنْفَى أُمَالِيهَا
 حَتَّى إِذَا اخْتَلَطَتْ مَعَ غَيْرِهَا لَحَنَتْ فَلَا يُبْلَغُ مَقْصُوداً مِمَّا هِيَ
 وَرَاحَ يَلْحَنُ بِالْآيَاتِ مُنْشِدُهَا وَصَارَ يَفْطُ بِالتَّجْوِيدِ قَارِيهَا
 وَلَمْ تَكُنْ حَرَكَاتٌ فِي كِتَابِيهَا تَصُونُ عَنْ لَحْنِ قَارِيهَا فَحَاوِيهَا
 فَهَذَا ذَا الْمُرْتَفَعِ هَوَلاً وَلَحْنُهُ لَحْنُ عَلِيٍّ سَمِيهِ حَرَّتْ مَسَاوِيهَا
 فِي آيَةِ ضَلَّ قَارِيهَا أَلْهَدَى وَعَوَى بِفَتْحَةٍ كَانَ كُفْرُ الْقَوْلِ تَالِيهَا
 فَقَالَ: إِنْ لَمْ نَضَعْ شَيْءَ الْقَوَاعِيدِ لِلْكَلَامِ شَوْهُهُ الْعُرْبَانُ تَشْوِيهَا
 وَضَاعَ مَعَهُ كِتَابُ اللَّهِ وَاخْتَلَطَتْ آيَاتُهُ وَاخْتَفَتْ زَهْرًا مَعَانِيهَا
 وَبَادَرَ الْعَمَلُ الْمَحْمُودُ تُسْفِهُ فِيهِ زَكَاتُهُ وَاللَّهُ مُدْكِنُهَا
 وَجَاءَ بِالْمُعْجَزَاتِ الْحُكْمَاتِ مِنَ الْقَوَاعِيدِ الزَّهْرُ فَهُوَ الْحَقُّ مُنْشِيهَا
 بِذَلِكَ قَدْ أَوْجَدَ النَّحْوُ الَّذِي لَفَّهُ الْآءُ مَ عَرَابٍ لَوْلَا مَا صِدِّقَتْ مَبَانِيهَا
 فَقَالَ: أَلْفَاظُهَا مَهْمَا تَوَعَّتْ أَسْمُ ثُمَّ فَعَلَّ وَحَرَفَ فِي تَجَرِّيهَا

(١) كل ما نسيه اليوم نحواً وصرفاً وماتى وبدياً وعروماً لم يكن مبروراً لاسلافنا أقطاب
 هذه اللغة ولحقها قبل الاسلام فاتهم ما عرفوا هذه الاسماء لقنول تدرس وتحفظ كقوانين تصون
 شتم من الخطأ والخلل وتحسن آدابها من نثر ونظم بل كانوا على السليقة والفطرة يتكلمون ويخطبون
 ويقرضون الشعر فاذا كل ما قله صواب لالحن فيه من جهة الاعراب ولا ركاكة في ما شروا .
 كتاب وخطاب ولا خلل فيما نظموا على البديهة من الشعر الحلاب . وقد اتخذ العلماء بعد الاسلام
 كلام العرب المنطوق والمنثور ونعموا بالاساليب وتركه وفصلوه تفصيلاً كقواعد قيدونا بها فلا
 يخطئها وذلك بعد أن خالط العرب غيرهم من الاعاجم الغرائب عن العرب بالاسان فاقصدوا عليهم لنتهم
 افصحى برطانهم الاجمعية . ثم ان العرب انقسم لم يكونوا يتكلمون لغة واحدة بل كانت لهم لئى
 مختلفة وانما نزول القرآن في لغة قريش جعل هذه اللغة هي اللغة العربية الفصحى وامات كل ما
 هداها من لغات العرب ايضاً

واول من تنبه الى وضع قانون للغة العرب القريشية ليصونها عن اللحن والخطأ هو سيدنا علي أمير
 المؤمنين السابق الى كل مكرمة عليه صلوات الله قالوا فيها كان ذات يوم سائر في شوارع الكوفة
 يهدد الناس شأن الأب الرحيم والحاكم العادل سمع أحدهم يتلو من كتاب الله قوله عز وجل

وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِي الْأُسْمَاءِ مَعْرِفَةً وَشَامِلٌ نِكَرَاتِ الشَّيْءِ يَغْنِيهَا
وَهُوَ التَّوَابِعُ بِالْتَّخْفِيقِ فَصْلَاهَا مُبَيِّنًا كَيْفَ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا
وَهُوَ الَّذِي قِسَمَةُ الْأَعْرَابِ يَغْنِيهَا رَفْعًا وَنَصْبًا وَخَفَضًا فِي تَنَابُهِهَا
وَهُوَ الَّذِي جَاءَ فِي شَيْءٍ قَوَاعِدِهِ إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الْمَرْوُوفِ يَرَوْنَهَا
وَقَالَ: يَصَاحُ هَذَا التَّحْوِ أَنْحُ بِلَا بَطْءٍ وَتَمَّتْ مَهَامًا كُنْتُ بَادِيهَا
لِذَلِكَ قَدْ دُعِيتَ تِلْكَ الْقَوَاعِدُ نَحْصًا حَسْبَ أَمْرِ عَلِيٍّ وَهُوَ مُوجِبُهَا
لَوْلَا الْأَمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَبَسْنَا نَشْتَكِي فِي لَفِي قُرْآنَنَا أَلْتَبْهَاهَا
وَفَضْلُهُ أَنَّهُ أَتَانَا قَوَاعِدُهَا أَلْفَرَاءُ وَهُوَ بِهَا لَا شَكَّ مُحْبِسُهَا
فَمَا رَطَانَةُ أَعْجَامٍ بِنَا أَخْتَلَطَتْ تُضَيِّنُهَا أَوْ كُرُورُ الْفَرِّ مَا حَبِسُهَا

سُبَّاحَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ لِلْعَذَرَاتِ مِنْ رَجُلٍ كَالْمَرْتَضِيِّ كَيْتٌ لَا عَذَاءُ يُنْكِبُهَا (١)
تَحْشَى الْأَلُوفَ لِقَاءَهُ وَهُوَ مُنْفَرِدٌ لَهَا وَمَا كَانَ إِذْ تَلَقَّاهُ خَاشِعُهَا

« وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا جئني ألقى الشيطان في أميته فيدفع الله ما يلقي الشيطان » قرأ ذلك الرجل اسم الملائة منصوباً « الله » فتحوّل بذلك معنى الآية الشريفة إلى كفر صريح إذ جعل فاعل النسخ ما يلقيه الشيطان والندوخ هو والدات الأزلية الواجبة الوجود الدائمة وتعالى الله عن ذلك . فلما سمع سيدنا علي هذا : - قال الذي أدعى إليه ابدال منقو بقتعة هاله ذلك وقال في نفسه ان لم تتدارك هذه الملة بتدوين قواعدها يرجع إليها انفراد متشوّهت وقدست وقدس معها كتاب الله ووحيه وفي الحال انصرف عليه صلوات الله الى وضع قواعد للنحو فكان اول ما قل ان الكلام كله ثلاثة اشياء اسم وفعل وحرف ولان الاسم منه معرفة فومته تكررتم تناول التوابع فيها وقسم الاعراب الى رفع ونصب وحرف وتكسب وسدائتم له بمجوعته في ذلك استدعى اليها يا الاسود الدؤلي وكان من نهاء اصحابه القراء ولذا كاهم ذلك في عليه واجمع وقال له اني هذا النحو اني قصد هذا القصد فسمي حيث شئت فن قواعده الملة العربية محو أي تصدأ وذلك لان يا الاسود الدؤلي كان كما امل ما تلقاه عن الامام وما اهتدى اليه من اكتشاف قواعد الملة الأخرى على أحد تلاميذه بكر وعلي مسامحه قوله عليه صلوات الله « اني هذا النحو » لاجرم ان اهتداء سيدنا أمير المؤمنين الى وضع قواعد للملة العرب يصونها من اللحن والخذأ هو من كراهاته المشهورة وتوارد اعماله العظيمة ويوارد آثار ذكائه البادر ويواهر خدماته التي تترف الامة ويعترف الاسلام لها

(١) ان الكلام على سبَّاحَةِ سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله من قبيل اتقول الشمس طالمة ونورها يبرر الابصار في راتمة النهار وثاقه لو تجسمت الشجاعة وتمثلت في شخص لكان ذلك

لَهُ الشَّجَاعَةُ تَنْسَى فَوْهُ سَيْدَهَا أَلَا م عَلَى وَفَدَ رَضِيَتْ مِنْهُ تَأْتِيهَا
أَنْسَى بِهَا النَّاسُ شَجَاعَاتًا لَهَا سَلَفَتْ قَدَمًا وَلَمْ يُبْقِ مِنْ فَخْرِ لَاتِيهَا
وَذِي مَوَاقِفُهُ فِي الْحَرْبِ ذَائِمَةٌ يَدْوِي حَوَادِثُهَا بِالْعُجْبِ رَاوِيهَا
بِهَا لَوْرِي تَضْرِبُ أَلَا مِثَالُ تَذَكُّرِهَا إِلَى الْقِيَامَةِ عَفْوًا فِي نَوَادِيهَا
وَمَا نَسَتْ نَوْمَةً قَدْ نَامَهَا بَعْدَ شِ الْمُصْطَفَى وَهُوَ هَادِي النَّفْسِ هَانِيهَا
وَالنَّاسُ تَطْلُبُ خَيْرَ الْخَلْقِ رَاغِبَةٌ لَهُ الْهَلَاكُ وَدَاعِي الشَّرِّ دَاعِيهَا
وَأَمَّا نَوْمَةٌ تُؤْهِئُ الْعَزَائِمَ مَا غَيْرُ الْمَسِيَةِ إِنْ فَكَرْتَ تَالِيهَا
وَكَمْ تَصْدَى وَحِيدًا لِلْعَدَى فَكَفَى الْإِسْلَامَ وَاللَّيْنِ وَالْذَّنْبِ تَعْلِيهَا
مَافَرِ يَوْمًا إِذَا نَارُ الْوُغَى اسْتَعْرَتْ بَلْ كَانَ وَاللَّهِ قَبْلَ النَّاسِ صَالِيهَا
وَلَمْ يَهَبْ أَنْ يَلْقَى فِي الْحُرُوبِ كُنَّا بَابُ الْعَدَى مَا تَمَادَّتْ فِي تَجَسِّيهَا
وَعَلَامَا رَهْبَتُهُ مَا تُجَرِّدُ ذَا الْقِفَارِ يُنْمَاهُ إِذْ يَهْرِي هَوَادِيهَا

الشخصي سيدنا أمير المؤمنين بل لو عرف قدماء اليونانيين ثاني سادات قریش لانخدعوا بالهالشجاعة في جملة آلتهم التي اقترضوا وجودها وعبدوها لاجرم ان سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله قد أنسى ذكر من تقدمه في الشجاعة ولم يبق ذكره لمن يأتي بعده . وقاماته عليه صلوات الله في الحروب مشهورة تقرب ما الامثال إلى يوم القيامة . وهو الشجاع الذي « افرغ قط ولا ارتاع من كتيبة بل ولم يعرف في حياته الشرقة بطولها معنى انزعج . وهو الذي ما بارز احداً الا وقتله . ولا ضرب ضربة وتناها بل كانت الاولى هي القاضية على عدوه وفي الحديث الشريف « كانت ضرباته وتروا » وانا لارجع بالفاري الكريم الى ما تقدم في هذه القصيدة المباركة وحواشيها من مواقف سيدنا أمير المؤمنين في الغزوات النبوية وحروب الكتيبة في المراق : ونذكر على الخصوص نومه على فراش المصطفى عليهما الصلاة والسلام يوم طلب كفار قریش وهـمركوهم رسول الله يريدون قتله قس من وجوههم الشريرة وهاجر الى المدينة المنورة على ما ترى تفصيل ذلك في موضعه

وكانت شجاعة المرتضى عليه صلوات الله تخيف أعداءه الاشرار وترهب قلوبهم وترجف فرائصهم . وقد رأينا في موقعة صفين كيف هجم أمير المؤمنين بنفسه وحيداً على جيش معاوية فبذره ثم طلب معاوية للبارزته فاعتنى هذا من وجهه هارباً الى مؤخرة جيشه ومن الضحكات ان عمراً ابن العاص قال وتشتد لماوية وهو هارب من امام سيدنا علي هرب المصفور من الشاهين ان بارزه وانه هذه الحرب وكيف أجاب معاوية عمراً بقوله : ما غشتني منذ نصحتني الا اليوم أناصرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم انه الشجاع المطرق وأراك طمعت بمبارة الشام بيدي . ولعمري الحق ان هذه الشهادة من معاوية وهو شر أعداء أمير المؤمنين لتكفي وحدها للدلالة على اجماع الناس انه أشجع شجعانهم بنير نزاع

وَحَسْبُنَا الْمُصْطَفَى قَدْ قَالَ ضَرْبُهُ
بَلْ حَسْبُنَا غَزَاةُ الْمُصْطَفَى لِحَيَا
وَكَانَ يَشْهَدُهَا اللَّهُ مُضْطَلِبًا
وَذَا مُعَاوِيَةَ قَدْ هَابَ بَرَزُهُ
وَقَدْ دَعَاهُ إِلَيْهَا أَقْرَمُ حَيْدَرُهُ
فَقَالَ : وَيْلَكَ هَلْ يَلْقَى الْعَلِيِّ قَتَى
وَهَلْ أَبُو حَسَنٍ مِمَّنْ يُبَارَزُ وَهُوَ
وَمَا إِخْلَاكَ إِلَّا قَدْ طَمِعَ بَارِضِ
وَطَالَمَا أَفْتَحَرْنَا لِقَرُبِ الْكَرَامِ بِمَلَأَ
لِيْلِمَهَا أَتَمَّا تَلْقَى بِبَطَلًا
مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَبْدُ اللَّهِ مُفْتَخِرٌ
شَجَاعَتِي هَلْ أَيْتَ لَلْعَنَ تُنْكِرُهَا
وَتُرْ قَلَمَ يَكُ فِي الْأَعْدَا يُشْنِيهَا
وَالَّذِينَ وَالْمُرْتَضَى الْأَسْمَى مُجَلِّبِهَا
رِضْوَانُهُ بِمَسَاغِرَ فَازَ سَاعِيهَا
فِي حَرْبٍ صِفِينَ تَادَى لَسْتُ رَاضِيهَا
وَقَالَ عَمَرُو إِذَا لَبِثْتَ تُنْهَبِهَا
يَهْوَى الْحَيَاةَ وَيَنْغِي أَنْ يُبْقِيَهَا
وَالْأَزْوَاعُ الرَّائِعُ الْأَنْبِيَا وَمَنْ فِيهَا
ضِ الشَّامِ تَطْلُبُ مِنْ بَعْدِي تَوَلَّيَهَا
وَإِنْ كَانَ بِالْأَهْوَالِ لَا قِيَهَا
فَذَا لَهَا أَنْعَدُ إِمَّا رَاحَ يُرْدِيهَا
فِي الشَّامِ لَمَّا هَزَا مِنْهُ مُعَاوِيَهَا
وَقَدْ لَقِيتُ عَلِيًّا قَالَ : صَهْ إِيهَا

ثم ان العرب لا تشتم وعزة نفوسهم كانوا يستحون اذا قتل واحدا منهم حيا او من كان
غير مشتهر بالشجاعة كما انهم كانوا يغفرون بجلالهم اذا قتلهم الاكفاء الشجعان وقد اثبت التاريخ
ان اهالي القتلى الذين شرفهم سيدنا امير المؤمنين عليه صلوات الله بقتلهم بيده الشريفة او الذين قزوا
بشرف الوقوف امام ذاته الملية في موقف قتال واسدهم الحظ ان نجوا من القتل رحمة منه او
قضاء وقدراً يتيجون هذا الشرف العظيم ويذكرونه في أشعارهم وعمالهم كما ان بعضهم كانوا
يدعون شرف هذه الوتفة للافتخار كذبا وبهتاناً اثباتاً لادعائهم الشجاعة والبطولة

من ذلك ان عبدالله بن الزبير ولم يكن حياً وان كانت لا تذكر شجاعته بشيء بجانب
شجاعة سيدنا امير المؤمنين دخل يوماً على معاوية بعد فراره من موقعة الجمل الى الشام فوجده نائماً
جلس عند قدميه بقرب سريره حتى اذا ما اتبه قال له عبدالله مداعباً لقد هممت ان أفتك بك يا أبا
يزيد فتبسم معاوية وقال هاذن : لقد شجعت بعداً يا أبا بكر فغضاب عبدالله بن الزبير وقال : وما
الذي تنكره من شجاعتي وقد وقتت في الصف بنزاه عني بن أبي طالب فرداد معاوية ضحكاً وقال
لا جرم انه تملك وأياك ييسرى بيده وقيت اليمنى ذرعة يطلب من يده له بها . وفي الحقيقة لو تصدى
عبدالله بن الزبير لسيدها علي عليه صلوات الله يوم الجمل لآلته بأية بطرف ذي افتقار المشهور يمينته بنير سره
ومن ذلك ما قاله أخت عبد ود الذي قتله سيدنا علي في غزوة الخندق ولم تعرف العرب
أشجع منه هناك قالت ترميه وتفتخر بان قاله سيدشعجان العرب بذلك قد تفتت عن مقتله قالت :
لو كان قاتل عمرو غير قاله بكيت أبدأ ما دمت في الأبد

إِذْ يَسْرَاهُ قَتْنَى مَعَ أَيْكَ وَبِمَسْنَاهُ يَرُومُ بِهَا قَوْمًا لِيَفْنِيهَا
وَكَانَ أَرْهَاطُ قَتْلَاهُ قُتَاخِرُ فِي أَنَّ الْوَصِيَّ وَمَا إِلَاهُ مُضْنِيهَا
وَهُوَ ذَا عَبْدُ وَدٍّ وَهُوَ قَاتِلُهُ وَكَانَ إِنْ تَذَكَّرَ الشَّجْعَانُ سَامِيهَا
وَأَخْتُهُ كَفَكَفَتْ هَامِي مَدَامِيهَا قَوْلُ: قَتْلَهُ مِنْ كَفٍ كَافِيهَا

قوة أمير المؤمنين

لَمْ تَهْلِكِ النَّاسُ أَقْوَى مِنْ أَيْ حَسَنِ إِنْ تَذَكَّرَ الْأَقْرَبِيَّاتُ وَمَا وَشَحْصِيهَا (١)
وَقَدْ تَرَدَّدَ فِي مَقْتُولٍ سَاعِدِيهِ بِقُوَّةٍ لَيْسَ مِنْ مَرَّةٍ يَقَاوِنِيهَا
حَتَّى يَقُوْمَهُ الْأَمْثَالُ تُضْرَبُ يَنْزِلُ النَّاسُ رَاوِيَةً شَقَى مَا تَبِيهَا
فَلَمْ يَصَارِعَ قَتْنَى إِلَّا وَخَرَّ صَرِيحًا لِلْعَرَى خَائِرَ الْأَعْصَابِ وَاهِبِيهَا
وَبَابُ خَيْبَرٍ فِي إِبَانِ عَزْوَتِهَا قَدْ رَاحَ رَافِعُهُ مِنْ دُونِ أَهْلِيهَا
بِهِ تَرَسَّ لَمَّا أَلْتَرَسَ مِنْ يَدِهِ قَدْ طَبَّرَتْهُ الْأَعَادِي وَهُوَ لَا قَبِيهَا
وَحَمَلَهُ أَعْجَزَ الْأَعْوَانِ إِذْ طَلَبَتْ تَجَرِبَتُهُ وَوَهَتْ عَنْ ذَلِكَ أَيْدِيهَا

لكن قاتله من لا يصاب به
من هاشم في ذراعه وهي صاعدة
قوة أي الله إلا أن تكون لهم
يا أم كلثوم فابكيه ولا تدعي
وكان يدعي أبوه بيضة اللد
إلى السماء فميت الناس بالحسد
مكاره الدين والدنيا إلى أمد
بكاء مولود نكلي على ولده

(١) وكانت قوة أمير المؤمنين لا تماثلها قوة وما عجزت قط إلا عن حل البيوت كما رأينا
في فتح مكة المكرمة وما عرف الله القوة عند اليونانيين القدماء إلا ما ليدنا أمير المؤمنين وأجمع رواة
التاريخ على أنه عليه صلوات الله ما صارع أسبأ قط إلا صرعه
وقد رأينا في قوة خير التي سررت منا مثالا لقوته إذ عند ما طار الترس من يده أحمل
يساره باب القلعة وقد عجز جمهور من الناس عن حمله فقتل به وحارب أعداءه فهو إذا حارب من
الجباة بل سيد الجباة أهل القوة بغير حداد . وإليك يوم فتح مكة بعينه جهل وهو أعظم
اصناء الرب وكان ميت بالانقاد على سلاح الكعبة شرفها الله على علمه وكبره فتناوله يمينه وهو على
كتفي رسول الله واتزعه ابتزاعا واتى به إلى الأرض فجعله تحطيا . ومثل هذا ضربه بالصخرة التي
اتزعا وأخرج من تحتها الماء في طريقه إلى صفيب وهو سائر إلى قتال معاوية كما سر بنا قد عجز
رجاله عن تزعا فقدم منها واتزعا وهي متنتة في الأرض وفي ذلك ما فيه من قوة الحارثة لطيفة
البشر التي أرهبت أعداءه فجعلوا يتقوه ويتحاشون مبارزته . وأمثال هذا كثير رواه عنه عليه صلوات
الله المؤرخون وسكتني بالإشارة إليه لشهرته

وَمَا تَعَاَصَتْ عَلَيْهِ فَوْقَ كُتُبِنَا تَأْتِي دُمُيْهَا إِذْ رَاحَ رَامِيهَا
وَقَدْ تَنَادَاهَا مِنْ فَوْقَ كُتُبِ رَسُولِ اللَّهِ يَهْزَأُ هُزْءً مِنْ مُقِيمِيهَا
وَهُوَ الَّذِي الصَّخْرَةَ الْكُبْرَى مَوْحِجَهَا لِيُخْرِجَ الْمَاءَ لِلْأَجْنَادِ يُسْقِيهَا
مِنْ بَعْدِ أَنْ عَجِزَتْ عَنْهَا صَحَابَتُهُ وَأَعْلَنَتْهُ بِأَنَّ الْأَمْرَ مُقِيمِيهَا
وَقُوَّةُ الْمُرْتَضَى بِاللَّهِ قَدْ تَرَكْتَ اِعْدَاءَهُ وَهِيَ تَخْشَى أَنْ تَلَاقِيَهَا
وَلَمْ يَزَلْ ذِكْرُهَا يَدْعُو إِلَى دَهْشِ الْأَمْرِ بِطَالِ مَا ذَكَرْنَاهَا فِي نَوَادِيهَا

مهراج أمير المؤمنين

قَدْ أُنْزَلَ اللَّهُ آيَاتِ الْجِهَادِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَخُو الْأَيْمَانِ وَاعِيْنَهَا (١)
وَنَصْرَةُ الدِّينِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَبِأَصْحَابِ لَقَدْ أَظْهَرَتْ مَعَهُ قَوَائِمُهَا
وَمِنْ بِجَاهِذِ لَوْجِهِ اللَّهُ كَانَ لَهُ مِنْ رَبِّهِ الْيَقِينُ الشَّيْءُ يَلَاقِيهَا
وَفِي الْجِهَادِ جَلَالٌ لِلْمُجَاهِدِ فِي الدُّنْيَا وَمَثُوبَةٌ تُرْضِي مَوْحِشَهَا
وَأَنْ يَمْلَأَ النَّوْرَى أَهْلَ الْجِهَادِ فَمَوْ لَأَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْبَرُّ سَامِيهَا
قَدْ كَانَ سَيْفًا بَكْفِ الْمُصْطَفَى وَبِهِ عَدَى النَّبُوءَةُ نَائِتُهَا مَخَازِنُهَا
وَكَانَ سَيِّدَ أَرْبَابِ الْجِهَادِ جَمِيعًا بَيْنَ سَاقِيهَا الْمَاضِي وَآتِيهَا
وَمَا الْجِهَادُ لِيَنَازَ غَيْرُهُ أَبَدًا مِنْ أُمَّةٍ الْغُرَبِ بِأَدْنَاهَا وَقَارِنُهَا
وَقَدْ أَقْرَبَتْ أَعَادِيهِ بِذَلِكَ عَلَنًا وَكَانَ إِخْوَائِهِ وَاللَّهُ مُقِيمِيهَا
وَهِيَ الْحَقِيقَةُ لِأَبْطَلِ قِيَادَتِهَا كَلَّا وَلَا سَفَهَ الْأَعْدَاءُ بِخَفِيَّتِهَا
وَقَدْ رَأَيْنَا مَغَازِي الْمُصْطَفَى وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِلَا رَيْبٍ مُجْلِسِهَا

(١) الجهاد فرض على المسلم يقوم به لنصرة الدين ومحاربة المشركين والكافرين وقد سبق

لنا ان ذكرنا فيها معنى شيئا عنه فلا نود اليه . وتقوى سيديا أمير المؤمنين عليه صلوات الله
بجهاده في سبيل نشر الاسلام لا يختلف فيه شئ بل قد ان قول انه نسا وشب وكهل وشاخ
الى ان توفاه الله شهيدا وهو يجاهد في سبيل الله بيده ولسانه وقلبه . واعمله الباهرة في جهاده
ساطعة كالشمس في رامة النهار يترف بها كل مسلم أو قاريه تاريخ صدر الاسلام وقد سبق لنا ان
فصلناها تفصيلا فلا نود اليها الآن . وستطيع ان تقول انه سد المصطفى عليهما الصلاة والسلام

وَقَدْ رَأَيْنَاهُ فِيهَا وَهُوَ يَنْتَرُ ثَمَرًا هَامَ أَعْدَاءُ دِينِ اللَّهِ يَفْنَاهَا
وَكَانَ قَوْداً يَلْقَى غَيْرُ مُكْتَرٍ بِالْمَوْتِ أَعْدَاءُ هَدْيِ اللَّهِ يُزِيدُهَا
مُكْتَرًا مُخْلِصًا لِلَّهِ مُعْتَبِدًا عَلَى الْعَيْنَاةِ بِرِ الْفَسْ تَابِقِهَا
وَمَا مُجَاهِدَةُ الْمَغْوَارِ حِدْوَةٌ لِلدِّينِ خَافِيَةٌ وَالَّذِينَ مُبْدِيَهَا
كَلَّا وَلَيْسَ لَهَا مِنْ مُنْكَرٍ لِنَجْهِهِ يَلْبِثُهُ غَرًّا نُودِرْهَا
لَسَكُنَ بِهَا أَغْرَفَ الْإِسْلَامِ وَأَنْتَرَتْ رَايَاتُهُ فَهُوَ بِسْمِ اللَّهِ مُزِينَهَا
تَاللَّهِ لَوْلَاهُ لَمْ تُنَلَّنْ هِدَايَةُ طَسَهُ فِي الْجَزِيرَةِ قَاصِبَهَا وَدَانِيَهَا
وَلَا تَلَأَشَتْ جُبُوعُ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ شِينَا عَلَى أَحْمَدِ الْهَادِي تَجَمُّعَهَا
وَتَلَكِ إِنِّي وَالْهَدْيُ غَرًّا مَوَاقِيهِ تُخْنِي رُؤُوسَ الْوَرَى شُكْرًا لِآئِنِهَا
وَأَصْبَحَتْ مِثْلَ هَدْيِي لَشَمْسٍ سَاطِعَةً وَكُلُّ ذِي بَصَرٍ فِي النَّاسِ رَانِيَهَا

علم أمير المؤمنين وعفوه

أَلْحَمُ فَضْلَهُ إِذَا مَا الْأَقْوِيَاءُ بِهِ لَاقَتْ وَقَدْ قَدِرَتْ غَفْوًا أَعَادِيَهَا (١)
وَأِنَّهُ أَلْعَازُ إِنْ جَاءَ الضَّعِيفُ بِهِ يَزِيدُهُ عِنْدَ أَهْلِ الرَّأْيِ تَسْفِيَهَا
وَأَيُّ مَكْرَمَةٍ أَسْمَى وَأَجْمَلُ مِنْ نَفْسِ الْحَلِيمِ الَّتِي تَأْتِي تَسْفِيَهَا
مِنْ بَعْدِ مَا بَاتَتْ الْأَعْدَاءُ فِي يَدِهَا فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَرَّتْ قَرِينًا هَوَادِيَهَا

كان السبيل الأكبر في نشر الإسلام في جزيرة العرب وأنه كان السيف المشهيد رسول الله على المشركين والكفار وما زال يجاري في جاب الحق فيزهق الباطل أمامه إلى اندراج شهيداً لصحبة الأبرار الأخيار في جنات النعم نقول هذا ونحن نفترق أن الله سبحانه هو العامل الأكبر لنشر دينه ولكن اعتقادنا هذا لا يحطر علينا الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي سخر سيدنا أمير المؤمنين وسيدنا محمد سيد المرسلين لنشر دينه القيم في العالمين

(١) ألحلم من الفضائل المحمودة والكلمات التي تشرّف صاحبها ولا سيما إذا كانت عن قدرة إذ لا يكون الظلم حملاً إلا إذا كان صاحبه قد قدر نفعا والآخر هو العجز والضعف والصغار. ومتبعو سيرة سيدنا علي عليه صلوات الله يجدون ألحلم في أسمى معانيه وأشرها في هذا الرجل الكامل صنو المصطفى عليهما الصلاة والسلام

كان سيدنا علي عليه صلوات الله مؤمناً بكل معنى الإيمان والإسلام ولذلك كان قلبه لا يعرف الخقد والضغينة على مسلم إلا إذا كان قد أساء إلى الشريعة السجدة وعمل على الإصرار

وَمَا عَرَفْنَا حَلِيمًا كَالْوَحِيِّ إِذَا
فَكَانَ أَحْلَمَ خَلَقَ اللَّهُ أَجْمَعًا
وَحِلْمُهُ لَمْ يَكُنْ عَجْزًا وَلَا هُوعًا
وَأِنَّمَا كَانَ مِنْهُ بَعْدَ قِدْرَتِهِ
فُكَانَ أَوْسَعَ صَدْرًا أَنْ يُمَا مِلَهَا
وَقَدْ رَأَيْنَاهُ يَغْفُو عَنْ إِسَاءَةِ مِرٍ
وَبَاتَ فِي يَدِهِ مِنْ بَعْدِ نَصْرَتِهِ
وَلَوْ أَرَادَ لَأَسْنَى وَهُوَ قَاتِلُهُ
لَكِنَّمَا الْمُرْتَضَى مَا كَانَ مُنْتَقِمًا
وَقَالَ : يَغْفُو هَيْهَاتَ أَقْبَلَهَا
فَرَأَى لِلشَّامِ يَزُونِي حِلْمَ حَيْدَرَةٍ
وَذَا أَرْزِيهِ وَمَا كَانَ أَرْزِيهِ نَحْبِي
بَلْ كَانَ بِجَهْرٍ جَهْرًا بِالْعَدَاوَةِ لِلْوَحِيِّ
وَمَا كَانَ أَوَّلَ مَنْ عَاصَى الْأَمَامَةَ جَهْرًا
مَعَ كُلِّ ذَاكَ كَانَ مَوْلَانَا أَعْلَى يَغْفُو
يَقُولُ : مَا زَالَ مِنَّا نَحْنُ آلَ رَسُولِ اللَّهِ

بها حيث لم يغضب غضبه الهاشمي ولا يهود فيرضى أبداً أو تلم شريعة الله التي أوجبت إلى ابن عبد المطلب عليها الصلوة والسلام من الأذى

وحوادث سيدنا أمير المؤمنين في الحلم كثيرة لا تسع لها حاشية كهذه وعلى سبيل الاستنباط نذكر بعضها . فقد رأينا يغفو عن مروان بن الحكم بعد أن ظفر به في البصرة على أثر القتل الذي أحاق بأصحاب الجبل وسروان في الأصل لم يكن مبيتاً شخصياً إلى سيدنا أمير المؤمنين بقدر إساءته إلى الخلافة الحمدية والإسلام والمسلمين باستبداده بأمره ابن عمه عثمان بن عفان وهو في الحقيقة ممي إلى عثمان بن عفان أيضاً أكثر مما هو ممي إلى سيدنا علي نفسه في حوادث الخلاف التي شجرت بينهما على عهد عثمان بن عفان في المدينة المنورة ومع ذلك عندما طرأ سيدنا علي بمروان وأوصيحه هذا في قبضته أي أن يقتله به بل أطلق سبيله ليذهب حيث يشاء وهو عليه السلام كان يعرف أنه ذاهب إلى الشام إلى ابن عمه معاوية للعمل على إقلاق واحة الخلافة وأحداث الاضطرابات فيها والقلاقل

حَتَّى إِذَا شَبَّ عِنْدَ اللَّهِ أَبَدَهُ عَنَّا بِأَطْمَاعِ نَفْسٍ كَانَ يَتَوَنَّمُهَا
وَقَدْ رَأَيْنَا عَلِيًّا وَهُوَ يَجِبُهُ مَرْ دِيهِ يُبَشِّرُهُ بِالنَّارِ يُضْلِلُهَا
لِمَا أَتَاهُ يَرْجِي أَجْرَ قَلْبِهِ مِنْهُ وَيَحْضِبُهُ قَدْ كَانَ بَاغِيَهَا
فَقَالَ: مَا كَانَ وَاللَّهِ الرَّزِيئُ جَبَا نَا فِي مُصَاوَلَةِ الْأَقْدَارِ خَاشِيَهَا
لَكِنْ مَصَارِعُ عَادِيٍّ لَدُنْهُ قَدْ صَرَغَتْهُ الْيَوْمَ وَأَسْنَمَكْتَ مِنْهُ عَوَادِيَهَا
وَأَظْهَرَ الْجَلْمَ فِي ذِكْرِي فَضَائِلِهِ فِي خِدْمَةِ الْمُصْطَفَى إِذْ رَاحَ يُبَشِّرُهَا
كَذَا لَقَدْ أَظْفَرَ اللَّهُ الْعَلِيَّ بَعِيدَ اللَّهِ فِي الْبَعْرَةِ الْفَنَاءِ يَتَوَنَّمُهَا
مِنْ بَعْدِ نَصْرَتِهِ فِي وَقْعَةِ الْجَمَلِ أَلَمْ يَهْزُدْ إِذْ خَذَلَ الْبَارِي مُشِيرِيَهَا
هُنَاكَ قَالَ لَهُ: سِرْ غَيْرَ مُكْتَرِبٍ بِشَرِّ آثَامِهِ يَنْبَغِي تَنَاسُيَهَا
وَلَوْ أَرَادَ لَهُ هُلُكًا لَأَرْسَلَهُ إِلَى مَنِيَّتِهِ أَقْنَاهُ فِي فِيهَا
وَهُوَ الَّذِي شَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ أَوْزَنَهُ الرَّزِيئُ فَأَنْصَاعَ بِشْنَاهَا وَعَالِيَهَا
وَهُوَ الَّذِي عَاشَ فِي أَرْضِ الْخِلَافَةِ إِنْ سَادَا وَنَاوَا عَلِيًّا وَهُوَ وَالِيَهَا
وَطَلَمَا سَبَّ سَبًّا وَقَالَ: هُوَ أَلْوَعْبُ اللَّئِيمِ فِعَالُ السُّوءِ يَا تَبِيهَا

ومما يذكر أنه عرض على سيدنا علي وهو في البصرة بعد الجمل أن يأمه خوفاً من بطش واسطة محمد بن أبي بكر فرفض عليه صلوات الله قبول بيته قائلاً: لم يصدق في الأولى « لا يأمه في المدينة » ليعقد في الثانية وفي هذا من الحلم وسعة الصدر ما هو خليف بيدينا أمير المؤمنين عليه صلوات الله ومثل هذا حلمه عليه صلوات الله مع الزبير الذي هرب من المدينة على أثر يمة سيدنا علي وبعد أن يأمه قصد مكة وحمل عائشة على السير إلى البصرة للاعتصام بأهلها على قنص بيته وتقدير أن يقول أنه كان أحد زعماء أعدائه الذين حملوا أيام خلافته كلها فلاقوا وقتل ومع ذلك كان عليه صلوات الله انفرط حلمه إذا ذكر أماله الزبير يقول « ما زال الزبير ما نحن أهل البيت حتى كبر ابنه عبد الله » فكانه بهذا كان يريد أن يرفع من حريصة عصيانه على خلافه . ومما يشير إلى حلمه العظيم عليه صلوات الله أنه جبهة تل الزبير عند ما قصده يشره بقتله ويشره بالار وقال وقتله في الزبير كل كلمة طيبة على ماسر بنا

ومثل هذا حلمه عليه صلوات الله على عبد الله بن الزبير . فذ سيدنا علي كان يعتقد أن الزبير ابن العوام ما زال صادقاً في حب آل البيت مخلصاً لهم حتى كبر ابنه عبد الله لحمله على عدائهم . ومن علم أن هذا الهداء الذي احبته عبد الله بن الزبير في صدر أبيه قد أضره الاسلام ذلك القرار العظيم بفتح باب الشر على سيدنا علي منه خرج خلافة نجم في نظره اتم هذا الرجل وعظمت لديه اسماؤه الكبرى للاسلام عموماً ولسيدنا علي خصوصاً ومع ذلك أبي سيدنا علي عليه صلوات الله أن ينتقم منه بعد أن قتلت

كَذَلِكَ عَائِشَةُ قَدْ رَدَّهَا كَرَمًا إِلَى الْمَدِينَةِ كَيْ بِالرَّغْدِ تَأْوِينَهَا
أَحَاطَهَا بِنِسَاءِ قَبَسٍ مُعَمَّةٍ مِثْلَ الرِّجَالِ سَرَتْ مَعَهَا تُمَاشِيَهَا
كَانَتْ لَهَا خَفَرًا فِي طَوْلِ رَحْلَيْهَا وَعَنْ مَصَائِبِهَا أَلْشَى تَسْلِيَهَا
وَهِيَ الَّتِي نَاوَأَتْ ظُلُمًا خِلَافَتَهُ وَلَيْسَ فِي النَّاسِ أَشَقَى مِنْ مُنَاوِنَهَا
وَهُوَ الَّذِي قَدَّعَمَاعَنْ صُحْبَةِ الْجَمَلِ الْأَغْرَارِ نَادَى ذَوِيهِ أَنْ تَوَاسِيَهَا
بِالْجَلْمِ أَمْسَهَا مِنْ بَعْدِ أَنْ غَلِبَتْ وَأَسْرَعَتْ هَرْبًا تَأْوِي مَخَابِيَهَا
وَعِنْدَمَا كَانَ يَسْعَى الْمُرْتَضَى بِحُمَاةِ الدِّينِ لِلشَّامِ إِذْ أَبَدَتْ تَعَصُّبَهَا
أَلْفَى الْعَصَاةَ عَلَى شَطْرِ الْفُرَاتِ أَبَتْ لَوْمًا عَلَى قَوْمِهِ الْأُمَوَاءَ تُسْقِيهَا
فَكَانَ بِالسَّيْفِ عَنْ تِلْكَ أَلْيَاءِ يَحْوِي لَ اللَّهِ قَاهِرَهَا قَهْرًا وَمُجْلِيَهَا
لَكِنْ أَبِي عَنْ وَرُودِ الْمَاءِ نَمْنَمَهَا وَكَانَ مَهْلِكُهَا لَوْرَامَ يُظْلِمِيهَا
وَكَمْ لِحَيْدَرَةٍ مِنْ وَهْةٍ يَتَجَلَّسَى الْجَلْمُ فِيهَا لِسَانُ الشُّكْرِ يَحْكِيهَا
وَأُيُنَمَا وَقَفَاتُ لِمَلَا بَهْرَتِ وَمَا سِوَى الْمُرْتَضَى تَأَلَّهْ يَا تَيْهَا

مساعي أصحاب الجبل وتلاشت جوعهم وفر عبد الله بن الزبير إلى البصرة واحتق في أحد دورها ففجعت
أحلم الخلاء عليه صلوات الله واطلق سراحه فسار إلى معاوية

ومثل هذا أيضاً ما بذله سيدنا علي من الأكرام لثلاثة بنت أبي بكر بعد وفاة الجبل مع انها
اساءت اليه أكبر اساءة بجهرها بنير سبب ولا ذنب بعدئذ ورد رأيناه عليه صلوات الله كيف اعطى بأسرها
واجتهد توفير اسباب الراحة لها في مدة اقامتها القصيرة في البصرة وفي تسريحها الى مكة قالدنية
ومثل هذا أيضاً عقوه عليه صلوات الله عن سلم من أصحاب الجبل اذ اعلن اصحابه بعد أن
نصرهم الله أن لا يجهزوا على جريح ولا يقتبوا قاراً ولا يستدوا على بيت من بيوت البصرة
ومثل هذا أيضاً بل واعظم منه ما رأيناه يمل به في صفين اذ رأيناه أصحاب معاوية يملكون
الشرية ويعنمون الماء عن أصحاب سيدنا علي فلما امتلأ دواخلهم بالقوة جأوا الى سيدنا علي وهرضوا
عليه أن يمتنعوا الماء عن أصحاب معاوية فأبى حلياً ومكرمةً وفضلاً وقال بل نسقيهم مع انه ما كان
يجعل انه لو منع الماء عن أصحاب معاوية في صفين وقتلتهم لسماوا اليه ظمناً ولكن ما كان يرضى مثل
هذا لقوم من المسلمين غرر بهم معاوية وساتهم الى قتال

ومن حوادث حله ما شهدناه منه عليه صلوات الله من سمة الصدر في ملاطفة الخوارج
الدين ارنمموه على قبول التحكيم ثم تقوا عليه ونادوا ببدله لانه لم يماثلهم على نكث العهد الذي
قطعه على نفسه في ذلك التحكيم ومن يراجع تاريخ اولئك الخوارج يجد أن سيدنا علي عليه صلوات الله
حلم كثير اعليهم وجاهد طويلاً ليردهم بالحسنى الى هدايتهم وحلول جهدهم فيفساد مزاعمهم من قبل

وَكَانَ آخِرُهَا إِعْلَانُ رَغْبَتِهِ
عَنْ قَتْلِ قَاتِلِهِ الْمَلْعُونِ إِنْ يُرِيتَ
وَإِنْ ذَا فَوْقَ مَا نَذَرِي وَتَعْرِفُ مِنْ
ذَا رَحْمَةٍ مِنْ رَحِيمِ نَفْسُهُ عَلَيْهِتَ

يَا لَمَعُوا عَلَيْنَهَا فِي النَّاسِ تَجَرُّبَهَا
جِرْوُحُهُ وَدِمَاءُ سَالٍ قَانِيهَا
حَوَادِثُ الْحِلْمِ مَا وَاللَّهِ يَحْكِيهَا
عَنِ الْخَلَائِقِ أُنْسِيهَا وَجِنِّيهَا

رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَرْبِيَهُ

كَانَ أَلْمَلِي لَدَى آلِ خَطَارٍ مَا دَهَمَتْ
وَفِي الْمَصَائِبِ أَذْرَى مِنْ يُبْدِ دَهَا
يَرَى بِصَائِبٍ رَأَى مَا تَجِي بِهِ آلًا
وَكَانَ يَلْقَى صُرُوفَ الْأَذَى يَدْفَعُهَا
وَكَانَ رَبُّ سَدَادٍ فِي الْأُمُورِ إِذَا
بَرَأِيهِ عُمَرُ أَمْضَى عَزَمَتُهُ
فَدَوَّخَ الشَّامَ مَعَ أَرْضِياءِ لِعِرَاقٍ وَطَا
وَلَوْ أَصَاحَ إِلَى مَا مَجِي نَصِيحَتِهِ

أَذَى الصَّحَابَةِ فِي تَلْطِيفِ دَاهِنِهَا (١)
بِحِكْمَةٍ مَا تَنَاهَتْ فِي تَقْصِيهَا
مِ يَأْمُ مِنْ قَبْلَمَا تَذَهَى دَوَاهِيهَا
بِحُسْنِ تَذْيِيرِهِ عَنْهُ وَيَتَقِيهَا
مَا أَعْمَلَ الرَّأْيَ فِيهَا لَيْسَ بِخَطِيئَتِهَا
لِلْفَتْحِ وَالْفَتْوَى فَهُوَ الْحَقُّ مُضْطَرِّبُهَا
عَنْهُ إِلَّا هَالِي عُرَاقِهَا وَشَامِيهَا
عُثْمَانُ إِذْ رَاحَ بِالْإِخْلَاصِ يُسَدِّرُهَا

أَنْ يَبْطِشَ بِهِمْ بِطَلْتِهِ الْمَشْهُورَةِ وَمَا كَانَ حِلْمُهُ إِلَّا لِيُزِيدَهُمْ شَطَطًا

وليدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله وتقات في الحلم كثيرة هذا القليل منها يفي عن تفصيل
كثيرها وآخرها إعلانه رغبته الشريفة بالقوعن للملوعن الأثيم ابن ملجم أن شفيت جراحه على
مارأينا في خطابه عند ما جرح وذو الله فوق حوادث الحلم التي نعرفها بل هذا راحة من رحيم
عليه نفسه من نفوس الملائك

وقصارى القول أن سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله كان من الحلم على أعظم جانب بل ما
كان في الناس أحلم منه وسوف لا يكون ولا عجب في ذلك فإنه تربى على يدي سيد الخطاء سيدنا
محمد عليهما الصلاة والسلام

(١) كان أمير المؤمنين عليه صلوات الله أسد الناس رأياً وأحكم تدبيراً وأبدهم نظراً في
الأمور يبرف في يومه ما يجي به المد شأن الذي الحازم العارف مما كان ماسيكون فما أخطأت
فريسته ولا طاش في إمارة غرضه سهه . وهو الذي اشر على عمر بن الخطاب ينزرو النرس والروم في
العراق والشام بعد أن كان متردداً بين الأقدام والاحجام فقوت بسديد رأي المرتضى عزيمته فيرد
حيوشه وقبح الامصار تلك الفتوحات الاسلامية الطيبة وايده فيها أحسن تأييد . ولا جدال أن
عثمان بن عفان لو أضنى الى النصائح الرشيدة العلوية والاراء الصائبة الحيدرية لما قامت تلك الفتنة
على عهده فكان أوّل منحاياها ولما في المسلمون بعدها بما منوا به من التذائد التي لا يزال تأثيرها

لَمَّا تَقَاسَمَ الْقَوْصَى وَلَا قُتِبَتْ
فَنَمَ وَلَوْلَا نَصُوصُ الشَّرْعِ يَحْفَظُهَا
لَسَكَانُ أَذَى رَجَالَاتِ الرِّثَاسَةِ فِي الْأَسْلَامِ إِنْ تَشَدُّ الدُّنْيَا سِيَاسَتِهَا
لَكِنْ شَرِيعَةُ طَهَ حَسْبَمَا نَزَلَتْ
فَمَا بِهِ الْقَوْمُ فِي تِلْكَ الْقَبُودِ وَقَا
أَجَابَ: لَوْلَا اتَّقَى وَالَّذِينَ كُنْتُ بِلَا
أَجَلَ جَوَابٍ عَلَيَّ قَدْ أَصَابَ بِهِ
فَلَوْ أَتَيْتُ أَنْ تَوَاتَيْتُ صَحَابَتَهُ
وَعَمَرَكُ اللَّهُ هَلْ يُرِضِي الشَّرِيعَةَ مَنْ
وَهَلْ مَطَامِعُ أَهْلِ الْأَرْضِ يُنْفِذُهَا
وَهَلْ تَسَاوَى الَّذِي يُنْفِذُهَا مَوْزَعًا عَلَى
وَالنَّاسُ تَطْلُبُ دَوْمًا مِنْ يُسَارِئُهَا
كَلَّا وَحَاشَا فَلَا يَنْبَغِي أَبُو حَسَنِ
وَلَا يَنْبَغِي بِدُنْيَاهُ وَزَخْرَفُهَا

على العالم الاسلامي عظيمًا الى هذا اليوم. ولقد شنع أعداؤه عليه صلوات الله به فقالوا انه كان ذئب الرأى
لنظرهم نظراً سطحياً الى ما قام في وجهه من المصاعب في سنوات خلافته القليلة ولكن ذات هؤلاء
النظر الى الظروف التي احاطت به في خلافته والى حقيقة شخصه الاقدس ولو امنوا النظر وتزهدوا
عن الفرض لوجدوا أن المصاعب التي اعترضته وجملت ايام خلافته ملائ بالقتال والفتنة لم تكن من
سوء تدبيره وقصر نظره في عواقب الامور بل لتسكه باهداب الشرع وابائه بيع آخرته بدنيته في
وقت كثرة طلاب الدنيا وعدم طلاب الآخرة وقد قال عليه صلوات الله لا مثالمهم من جاهلي
مبلغ سداد رأيه ودهائه « لولا الدين والتقى لكنت أدهى الرب » وهو القول الحق الذي
لا بد انيه الباطل. ولسمري أن من كان يعمل بمقتضى ما يتصلحه ويلائمه سواء اطابق الشرع الشريف
أو خالفه لابد أن تكون احواله الدنيوية أقرب الى الانتظام عن لا يخطو خطوة في سياسته وأحكامه
الا إذا كان للشرع فيها رضى بينهما نرى الناس يطلبون متافهم ويسمون وراء مطامعهم ويملكون لدنياهم
وهم غافلون عن آخرتهم. وعلى هذا فتكون المصاعب التي اعترضت سيدنا أمير المؤمنين في خلافته
ناجئة عن تدينه وورعه واستمساكه باهداب الشريعة السمحاء لامن فساد رأيه وسوء تدبيره
كما يشنع اعداؤه الاغرار الجاهلاء

سيرة أمير المؤمنين في سياسته

فِي اللَّهِ مَا كَانَ مَوْلَانَا أَلَا مِيرُورًا عِي دَا طَاعِيَةً قَدْ رَاحَ بَاغِيهَا (١)
وَكَانَ فِيهِ شَدِيدًا مَا لِلشَّيْءِ هُونٌ هُونٌ لِعِزَّةِ دِينِ اللَّهِ يُبْذِنُهَا
فَكَانَ يَشْجُبُ مَنْ جَازَ الشَّرِيفَةَ مِنْ عَمَالِهِ رَاقِبًا شَقَى مَا تَبْنَاهَا
سَيِّانٍ مَنْ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ عَفْوَتِهِ أَوْ كَانَ فِي الْعَرْبِ مِنْ أَسْنَى قُرَيْشِيهَا
حَتَّى أَخُوهُ عَقِيلٌ كَانَ جَاهَهُ لَمَّا أَتَاهُ بِالطَّمْعِ يُؤْخِشُهَا
وَعَايَةُ الْقَوْلِ مَا كَانَ الْأَمَامُ يُرَا شَيْءِ النَّاسِ كَيْ يَتَّقِيَ قَاسِي تَعَادِيهَا
لَوْ كَانَ مَا تَرْتَجِبُهُ مِنْ مَطَامِيحِهَا مِنَ الْخِلَافَةِ وَالْإِسْلَامِ يُعْطِيهَا
لَمَّا تَكَلَّفَ فِي أَيَّامِ أُخْرَتِهِ حَرْبَ الرِّعَايَا وَلَا تَأْدِيبَ عَاصِيهَا
وَلَا أَرْزَئُ عَصَا يَوْمًا خِلَافَتَهُ كَلَّا وَلَا أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةُ
كَلَّا وَلَا الْأَشْأَمُ عَاصَتُهُ يُعْطِيهَا وَقَدْ أَطَاعَتْ مُعَادِيَهُ مُمَازِيهَا
كَلَّا وَلَا عَزَّ وَابْنُ الْأَمَاسِ جَاهَرًا بِالسَّعِيَّانِ يَرْجُو بِهِ مِصْرًا وَيَنْغِيهَا
كَلَّا وَلَا خَرَجَتْ يَوْمًا خَوَارِجَ أَرْضِ الشَّهْرَوَانِ عَلَيْهِ فِي تَعْصِيهَا
وَمَا حُرُوبُ عَلِيٍّ فِي خِلَافَتِهِ قَدْ يَسْتَحِيلُ وَلَا يُرْجَى تَلَا فِيهَا
لَوْ أَنَّ تَسَامَعَ فِي أَحْكَامِ خَلْقِهِ مَعَ الرِّعَايَا وَأَوْلَاهَا أَمَانِيهَا
وَإِنَّ حَبِيرَةَ أَنْفَى وَأَقْدَسُ مِنْ أَنْ يَسْتَمِيلَ الرِّعَايَا أَوْ يُجَارِيهَا
بِمَا يُعَارِضُ أَحْكَامَ الشَّرِيفَةِ جَهْرًا فِي أَوَامِرِهَا أَوْ فِي نَوَاهِيهَا

(١) كان أمير المؤمنين عليه صلوات الله شديداً في سياسته خشناً في تنفيذ أحكام الله لم يراف في ذلك غير الحق سبحانه وتعالى فإنه لم يراف في ذلك ابن عمه في عمل ولا أباؤه ولا أخاه في مطامعه التي ردها . وتلك حروبها في الجمل وصفين والنهر وان كلها كان في طوته تلافيها من أهون الطرق لوراشي الناس وصانها وواتها على مطامعها وانغضب الله في سر مناهلها لكنه كان أعظم تدبيرا واسمي حتى وتورعا أن يعمل ما ينضب الله ليرضي عباده وأشقى الناس من أغضب المولى وأرضى السيد . وشدة هذه هي التي صرف الناس عنه وحلتهم على التآلب على عدائه فهم لم يطمعوا عليه بظلم ولا اتهموه بجريرته ولكنهم طلبوا منافعهم وملذاتهم وألم يجدوها عنده انصرف بعضهم الى عدائه وتراخى البعض عن نصرته وفيه الامر من قبل ومن بعد

الراعى والرعية فى نظر أمير المؤمنين

هَذِي مَبَادِي عَلَى فِي حُكُومَتِهِ إِنَّ تَغْضِبَ النَّاسَ كَانَ اللَّهُ رَاضِيًا (١)
وَسَنَ سُنَّتَهُ فِيهَا لَتَنْتَبَهَا مِنْ بَعْدِهِ النَّاسُ عَجَبِيهَا وَعَرَبِيهَا
قَالَ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ قَوْلَهُ حَقٌّ وَالْعَبِيدُ الَّذِينَ قَدْ بَاتَ صَاحِبُهَا
لِلَّهِ سُبْحَانَهُ كُلُّ الْحَقُّ عَلَى عِبَادِهِ وَاجِبٌ قَرْضٌ تَقَاضِيهَا
وَحَصَنٌ بِالْبَعْضِ مِنْهَا بَعْضًا وَيَعْصِي بَعْضًا حَيْثُمَا أَمَى مُعْزِيهَا
قَفَى بَأَن تَسْكَفًا فِي أَوْجُوهَ عَلَى جَمِيعِنَا وَدَعَانَا أَنْ نُرَاعِيَهَا
وَلَيْسَ لِبَعْضٍ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ عَلَى أَلْيَادٍ مُقَرَّضًا مِنْ دُونِ بَاقِيهَا
وَلَنْ أَعْظَمَ هَاتِكَ الْحَقُّ بِلَا رَبِّ وَأَفْضَلَهَا فِي عَيْنِ وَاعِيهَا
حَقُّ الرِّعَايَا عَلَى الْوَالِي بِقُدْرَتِهِ بِلَا تَرَخِي بِهِ كَيْتَا يَرْضِيهَا
وَحَقُّهُ وَهُوَ مَقْرُوضٌ وَمُحْتَرَمٌ عَلَى رِعِيَتِهِ مَا دَامَ رَاعِيهَا
فَرِيضَةً قَدْ تَعَالَى اللَّهُ فَارِضُهَا عَلَى الْجَمَاعَةِ قُلْ إِفْلَاحًا فِيهَا
وَاللَّهُ جَاعِلُهَا خَيْرَ النِّظَامِ لِأَلْفَةِ الْجَمَاعَةِ مَعَ زَاهِي تَاخِيهَا
وَالِئِهَا سَبَبٌ أَسْنَى لِيَزُو دِنْسِنَهَا وَعِزَّتُهُ كُلُّ يَوْخِيهَا
وَفِي صَلَاحٍ وَلَاةٍ أَلَا مَرِ تَصْلُحُ أَشْنَاتُ الرِّعِيَةِ عَافِيَهَا وَمُثْرِيهَا
وَفِي اسْتِقَامَةِ أَخْلَاقِ الرِّعِيَةِ تَصْلُحُ الْوَلَاةُ الْآتِي لِلْعَدَلِ تَبْغِيهَا
فَإِنْ تُوَدَّرِي إِلَى الْوَالِي الرِّعِيَةُ حَقُّهُ وَأَدَّى إِلَيْهَا الْحَقُّ وَالِئِهَا

(١) لقد أشرنا في الفصلين السابقين حيث نوهنا بدهاء سيدنا على عليه صلوات الله وشدة

في سياسته إلى تلك الروح الطيبة الطاهرة التي ما كانت تعرف إلا العدل بأوسع مبادئه حسبما يقضي الشرع الشريف ولقد وضع عليه صلوات الله أساساً وطيداً لحقوق الرعاة والرعية قل عليه صلوات الله: «ثم حمل سبحانه من حقوقه، حقاً افترضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تسكفا في وجوهها، ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إلا بعضاً، وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق، حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل، فجعلها نظاماً لا لفتهم، وعزاً لدينهم، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية، فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عز الحق بينهم، وقامت مهادج الدين، واعتدلت

قُلْ يَنْفَعُهَا الْحَقُّ قَدْ عَزَّتْ جَوَانِبُهُ
وَقُلْ مَنَاهِجُ دِينِ اللَّهِ قَائِمَةٌ
وَقُلْ قَدْ اعْتَدَلَتْ لِلنَّاسِ أَجْمَعِهَا
وَقُلْ جَرَتْ مُسْلِمًا يَرْجُو الْحَكِيمُ عَلَى
بِذَلِكَ يَصْلُحُ تَأَلُّهُ الزَّمَانُ وَتَلَفَى النَّاسُ فِيهِ كَمَا تَرْجُو أَمَا نَبِهَا
نَعَمْ وَنَطْمَعُ فِي طَوْلِ الْبَقَاءِ لَدُو
وَمِنْ تَضَعُضِهَا أَوْ مِنْ تَبْدُدِهَا
أَمَّا إِذَا غَلَبَ الرَّايُ رَعِيَّتُهُ
أَوْ جَارَ وَالْ فَلَمْ يُنْصِفْ رَعِيَّتَهُ
قُلْ هُنَالِكَ أَرَأَا مُبْعَثَةٌ
وَالْجَوْرُ قَدْ ظَهَرَتْ شَيْ مَعَالُهُ
وَالَّذِينَ قَدْ كَثُرَ الْأَدْعَالُ سَيِّئُهُ
كَذَلِكَ فَالَسَّنُ الْفَرَا مَذَاهِبُهَا
وَبِالْهُوَى تَمَلُّ الْأَعْمَالُ أَجْمَعِهَا
وَقَدْ تَعَطَّلَتْ إِلَّا أَحْكَامُ وَأَنْدَرَسَتْ
وَفِي النَّفْسِ تَفَشَّتْ جَهْرَةٌ عُلُّ
فَلِنْ تَعَطَّلَ حَقٌّ أَوْ تَأَيَّدَ بَطْلٌ
وَالَّذِلُّ وَالْقَهْرُ لِلْأَبْرَارِ يَصْحَبُهَا

معالم العدل ، وجرت على اذلالها السن ، فصلح بذلك الزمان ، وطمع في بناء الدولة ، وشت مطامع
الاعداء ، واذا غلبت الرعية واليهما ، وأجحف الولي برعيته ، اختلفت هنالك الكلمة ، وظهرت
معالم الجور ، وكثر الادغال في الدين ، وتركت محاج السن ، فصل بالهوى ، وعطلت الاحكام ،
وكترت علل النفوس ، فلا يستوحش لطمع حق عطل ، ولا لظلم باطل فضل ، فهناك يذل
الابرار ، ويتر الأشرار ، وتطمع ثمات الله سبحانه عند المبادء فطليكم بالتناصح في ذلك ، وحسن
التعاون عليه ، فليس احد وان اشتد على رضائه حرمه ، وطال في العمل اجتهاده ، يبالغ حقيقة
ما الله سبحانه أهله من الطاعة له ، واسكن من واجب حقوق الله سبحانه على عبادته النصيحة بمبلغ

وَبَعْدَ ذَا تَبَعَاتُ اللَّهِ تَعْلُمُ عَنِ النَّاسِ وَهِيَ الَّتِي بِالشَّرِّ تَجْنِبُهَا
تَنَاصَحُوا بِإِعْبَادِ اللَّهِ أَجْمَعِكُمْ فِي ذَلِكَ دَعْوَى يُرِيدُ الْخَيْرَ دَاعِيَهَا
وَلِإِنِّي أَبْتَغِي مِنْكُمْ مُعَاوَنَةً حَسَنًا عَلَى الْحَقِّ يُلْقَى الْآخِرَ آتِيَهَا
وَمَا أَجْتَهَدْتُمْ بِأَعْمَالِ الْبِرَارَةِ وَالسُّقَى يَخْزِرُ فِعَالٌ لَا خَطَأَ فِيهَا
وَمَا حَرَضْتُمْ عَلَى رِضْوَانِ رَبِّكُمْ بِأَنْفُسِ تَقِي إَغْصَابَ بَارِيهَا
فَلَيْسَ يَنْلِغُ مِنْكُمْ حَقٌّ طَاعَةٍ رُبَّ الْعَرْشِ حَقٌّ بِقَوَاهُ يُؤَدِّرُهَا
لَكِنْ عَلَى النَّاسِ مِنْ حَقِّ الْمُتَمَيِّنِينَ أَنْ تُبْدِيَ النَّصِيحَةَ عَفْوًا لَا تُخْبِئُهَا
وَأَنْ تُقِيمَ حُقُوقَ اللَّهِ أَجْمَعَهَا عَلَى اتِّمَاعٍ فِي أَسَى مَبَادِيهَا
وَلَا أَمْرًا مَاعَلَتْ فِي الدِّينِ رِئْبَتُهُ وَفِي الْفَضِيلَةِ نُسْبُهُ وَيُسْمِيَهَا
بِفُوقِ أَنْ يَتَلَقَّى مِنْ صَحَابَتِهِ مَعُونَةً وَهِيَ بِالْإِخْلَاصِ تُسَدِّدُهَا
كَيْمَا يَقُومُ بِمَا الرِّحْنُ حُمْلُهُ مِنْ حَقِّهِ فِي الرِّعَايَا وَهُوَ حَامِيهَا
وَلَا أَمْرًا مَادَتْ فِي الْبَجَاءِ رِئْبَتُهُ وَكَانَ فِي النَّاسِ مِنْ أَذَى أَذَانِهَا
بِدُونِ أَنْ يَذِلَّ الْعَوْنُ الْعَجِيلُ وَأَنْ يُعَانَ تِلْكَ حُقُوقُ اللَّهِ يَقْضِيَهَا
ذَارَأِي حَيْدَرَةً بَلْ ذَاعَدَا شَرَّ عِ اللَّهِ حَيْدَرَةً قَدْ رَاحَ يُبْدِيَهَا
أَيَّامٌ كَانَتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ آلِهَةً وَنَاسُهَا مَا تَعَالَتْ عَنْ مَوَاسِيهَا
وَلَمْ تَكُنْ مِنْ حُقُوقِ الرَّعِيَةِ تَرْعَاهَا عَاهَا الْمُلُوكُ وَتَرْضَاهَا وَتَقْدِرُهَا
فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَعْطَى الشُّعُوبَ بِحُقُوقِهَا قَيْدًا قَسِيدًا مَوَالِيَهَا
وَمَا أُرْبَةُ فِي ذَا التَّهْدِ نَارَةٌ إِلَّا عَلَى حُكْمِهِ وَهُوَ الْمُقَوِّنُهَا
فَإِنْ نُورِخَ شُورَاهَا تَقُولُ عَلَيَّ الْمُرْتَضَى دُونَ شَأْنٍ كَانَ مُتَشَبِّهًا

جهدهم ، والتماعون على إقامة الحق بينهم ، وليس امرأ وان عظمت في الحق مترلة ، وتقدمت في
الدين فضيلته ، بفوق أن يمان على ما حله الله من حقه ، ولا امرأ وان صغرت الفوس ، واتجعت
الميون ، بدون أن يمين على ذلك ، أو يمال عليه « آه

أقول ولو طلب اليوم من أبلغ بلغاء أوروبا وأخطب خطبائهم أن يجعل ناموس العبران
والاجتماع والشورى والربط بالناس بعضهم ببعض وحكامهم بمحكوميهم لمجزوا عن الاتيان بمثل خطبة

سماه أمير المؤمنين

أَنهَى وَأَزْهَى سَجَايَا الْعَرَبِ أَجْمَعِهَا
فَإِنْ تَجَدَّ عَرِيًّا لَيْسَ ذَا كَرَمٍ
وَالْمُرْتَضَى كَانَ أَسْخَى الْعَرَبِ أَفْضَلَهَا
لَوْ أَنَّ فِي يَدِهِ السُّخْنَى حَشَّاشَتُهُ
كَمْ بَاتَ جُوعَانٌ مَطْوِيَّ الْحَشَا نَفِيًّا
فَلَا يَأْتِي وَلَا يَنْتَامُ كَانَ غَدَا
« وَيُطْعَمُونَ » بِحَقِّ فِيهِ قَدْ نَزَلَتْ
وَكَانَ يَوْمًا لَدَى عَلِيَّاهُ أَرْبَعَةٌ
يُوحِدُ حَادَ كَيْلًا ثُمَّ جَادِيهَا
وَقَدْ تَصَدَّقَ عَنْ تَقْوَى بَنَاتِهَا
فِي ذَلِكَ قَدْ نَزَلَتْ بِالْحَقِّ آيَةٌ « يُنْفِقُونَ » وَهِيَ الَّتِي جَبْرِيلُ مُلْقِيهَا
بِهِمْ جَنَى الْمُرْتَضَى أَفْزَى وَقَدْ مَجَلَّتْ
يَدَاهُ مِنَ أَرْضَيْنِ النَّاسِ يَسْقِيهَا

أمير المؤمنين هذه وأرقى من مبادئها وأرقى من أغراضها صرف النظر عن بلاغة التعبير التي هي من مميزات عليه صلوات الله حتى قيل بحق أن كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، ولعمري أن هذه الثغرى التي تمحبت عليها أوروبا في هذا الزمن فلفت بها سوددها المشهور ما هي إلا من بعض مفشحات أمير المؤمنين وموضوعات القرآن المبين الذي أزاله الله سبحانه على سيد المرسلين

(١) أن الصغاء سجية خلقية في العرب والكرم شعبة طبيعية في قلوبهم والسجاعة من مميزاتهم التي لا يدايم بها غيرهم من الناس فإذا وجدت عرياً بخيلاً شجاعاً فاحكم على البداهة أنه ليس من العرب بل دخيل عليهم . وعلى هذا الصغاء الذي يقول الحكماء أنه يخفي البوب ويستمد القلوب ليس بالأمر العرب أن يتصف به سيدنا أمير المؤمنين وهو المصطفى صفوة قريش وأعرق الناس شرفاً ورؤدداً بين الناطقين بالصاد عليها الصلاة والسلام . وأجمع رواة التاريخ أن المرتضى عليه صلوات الله كان أسخى أسقياء العرب وأصحهم نفساً وأوفرهم جوداً حتى لا يجد على عقائه بنفسه لو وجد إليها سبيلاً . فلا غرو والحالة هذه إذا قالوا أن نفسه الشريفة لم تفر بالمال قط ولا صبت إليه ولا عرفت له ثمة وأنه لقد صدق يوم قال « إن دنياكم عندي كقطعة عذ »

وما اشتهر سيدنا أمير المؤمنين بالصغاء عند ما تدفقت خيرات الله على المسلمين ببدان فصراته سبحانه دينه وتم لمبادئه ذلك التبع العظيم فكان له مثل غيره من وجوه المسلمين النصيب الوافي من الغني . ولا بد أن أصبح خليفة المسلمين وباتت مفايع خزائن بيت المال في قبضته الكريمة بل

وَكَانَ يُؤْثِرُ أَرْبَاحًا يُحْصِلُهَا بِكَدِّهِ وَهُوَ جَوْعَانٌ يَبِغِضُهَا
وَإِنَّمَا الْجُودُ أَنْ يُشْفَى الْفَتَى وَبِمَا لَدَيْهِ يَلْقَى مِنَ الْأَثَرِ عَافِيَةً
لَا الْجُودُ أَنْ يَبْدُلَ الْإِنْسَانَ فَضْلَهُ أَمْوَالٍ لَدَيْهِ بِلاَ قَعٍّ مَحْشَبِهَا
كَذَلِكَ كَانَ سَخَاءُ الْمُرْتَضَى وَعَطَا
أَيَّامَ كَانَتْ جَمَاعَاتُ الرَّسُولِ عَلَى خِصَاصَةٍ يَرْضَى الْبَارِي تَصَانِهَا
وَالْمُرْتَضَى لَمْ يَقُلْ يَوْمًا لِسَائِلِهِ لِأَنَّ لَفْظَةَ لَا مَا كَانَ يَدْرِيهَا
وَلَمْ يُخَيِّبْ رِغَابًا لِاتِّخَالُفِ شَرِّ عِ اللَّهِ أَوْ سِنَةِ الْهَادِي لِرَاجِعِهَا
وَذَا مُعَاوِيَةَ وَهُوَ الْغَدُوُّ أَنَا مُحَقِّنٌ لِهَجَةِ التَّمْلِيْقِ يُبْنِيهَا
قَالَ: يَا صَاحِبِي مِنْ عِنْدِ أَنْظِلْ أَهْلَ الْأَرْضِ جُنُكَ بِالْأَمَالِ أَرْجِيهَا
قَالَ: مِنْ أَيْنَ قَدْ وَاقَيْتَ مُرْتَبِعِي أَجَابَ: مِنْ كُوفَةٍ مِنْ عِنْدِ عَالِيهَا
قَالَ: وَيُنْطِقُ تَرْجِي الْمُرْتَضَى بِصِفَا تِ الشَّعْ حَاشَاءُ حَاشَا أَنْ يُدَانِيهَا
لَوْ كَانَ يَمْلِكُ يَبْنِي مِلْؤُهُ ذَهَبٌ وَمَسْبَنًا وَأَنْجَلِي فِي النَّاسِ يُعْجِبُهَا
لَأَفْذَكَ التَّبَرُّ قُلُ التَّبَرُّ بَدَلُهُ بُمْنَاهُ بِرَأٍ وَإِحْسَانًا لِجَادِيهَا

قبل ذلك يوم كان مترباً فقيراً على خصاصة يومئذ كان يصوم ويطوى ويؤثر بزاده المساكين فأرضى بإحسانه رب العالمين فأنزل فيه قوله عز وجل « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً » وإنما يطعمكم لوجه الله لا يزيد منكم جزاء لا تنكروا » ولعمري أن من شهد الله سبحانه له بالسخاء بهذه الآية الكريمة هو السخي الحسان

وكان سيدنا علي في صدر الهجرة يشتغل بقرى جيبته لينفق على نفسه وزوجه فاطمة الزهراء عليهما وعلى المصطفى وآل البيت الطاهر الصلاة والسلام فتوفر له يوماً من ربحه الحلال أربعة دراهم فتصدق بأحدها نهاراً والثاني ليلاً وبالثالث سرّاً وبالرابع جهرة فرضي الله عن هذا الاحسان الكثير احسان الرجل بكل ما جنى برقى جهته وأنزل فيه آية « الذين ينفقون بالليل والنهار سرّاً وعلانية » ولعمري الحق أن هذا الاحسان لا يبادل احسان

وكان سيدنا علي عليه صلوات الله يسقي نخيل رجل من اليهود في المدينة المنورة حتى مجلت يده وكان يتصدق بما يكس ويشتد على بطنه حجراً من الجورع وهذا فوق الكرم والسخاء وروى النخاعة ان سيدنا أمير المؤمنين ذكر يوماً في مجلس التهي قال هذا فيه « كان علي الحق الذي يجب الله السخاء والجود ما قال لسائل (لا) قط وهذا معروف مشهور يعرفه ويسترف به كل من وفقوا على سيرة أبي الحسنين سواء كانوا من محبيه أم مبغضيه

وهذا معاوية وهو عدو الرقيق للهدود كان معجباً بسخاء أمير المؤمنين عليه صلوات الله

وَهِيَ الشَّهَادَةُ مِنْ مَرَّةٍ عَدَاوَتُهُ لِلْمُرْتَضَى لَمْ يَكُنْ يَوْمًا يَدَارِيهَا
فَمَا قَوْلُ وَنَحْنُ الْأَصْدِقَاءُ بِهِ وَبِالْأَيَادِي الَّتِي قَدْ كَانَ يَسُدُّهَا
وَهُوَ الْمُكْنَسُ يَبْتَ أَلْمَالِ مَفْرَعُهُ عَلَى الْمَغَاةِ إِلَّا لِي الْأَقْدَارُ تُشْفِيهَا
يَقُولُ: مَا غَرَبَ أَلْبَيْضَاءُ مِثْلِي وَالصُّفْرَاءُ كَلًّا وَلَا أَرْضَى نَصَبِيهَا
وَحَسْبُهُ لَمْ يُخْلِفْ مِنْ خِلَافَتِهِ لِأَهْلِهِ مِنْ مَوَارِيثَ تَرْجِيهَا
نَعَمْ أَبُو حَسَنِ مَا كَانَ يَنْدِلُ أَمْوَالِ الْخِلَافَةِ لِلْأَعْوَانِ يَرْشِيهَا
وَلَمْ يَنْبُلْ رُوسَاءَ النَّاسِ رَغْبَتَهَا فَيُظْلِمُ الْفُقَرَاءَ ظُلْمًا وَيُغْنِيهَا
لِكِنَّهُ كَانَ يَلْقَى بِالْمَوَاهِبِ أَرْبَابَ الْخِصَامَةِ يَنْبِي وَجْهَ بَارِيهَا
وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ الدُّنْيَا بِرَأْسِهِ وَلَمْ يُصْرَفْ فَأَقْبَاهَا لِأَهْلِيهَا
وَالْمَالُ عَارِيَةٌ فِي جَنِبِ خَازِنِهِ لِكِنِّي يَوْمُهُ الْأَعْقَابُ يَهْنِيهَا
فَإِنْ وَفَى مِنْهُ حَقُّ اللَّهِ سَارَ إِلَى الْخُلُودِ بِالْأَصْفَحَاتِ أَلْبَيْضِ يُسْنِيهَا
وَإِنْ صَفَحَتْ مَوْلَانَا أَيْ حَسَنٌ يَصْفَاءُ أَزْهَى مَجَالِي يَرِي فِيهَا

تقدست الحدوث أن محض أن أي عن الذي جاء يوماً متعلقاً وهو أمير الشام فسأله من أين
أنت قادم يا عفت؟ قال ويريد أن يتلقه من الكوفة من عند أبي جعفر النعماني . فجهده ماوية قائلاً:
ويحك كيف تقول عن علي أبي جعفر النعماني وهو الذي لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبرين لا نقد تبره
قبل تبره فجل محفت وصمت واجبا . ولم يرد أن شهادة ماوية لسيدنا هي بالسفاهة هي الحجة
الكبرى لما تعلم ما كان يضمره في نفسه له من العداوة والفضل ما شهدت به الأعداء
ولقد ذكرنا فيما مر معنا في هذه الطولية المباركة وحواشيها أن سيدنا علي عليه صلوات
الله كان في كل يوم جمعة بعد الصلاة يوزع على المساكين ما في بيت مال المسلمين من ذهب وبلين
ثم يكنس البيت ويصلي فيه لربه ويقول: يا صفراء ويا بياض غري غيري
وقد تربع سيدنا أمير المؤمنين على دست الخلافة وأصبغ خراجها بأنيمة من كل صوب
وحذب ومع ذلك كان يتفق على نفسه وعياله الكفاف ولم يرش أن يتخص بئتي من المال يتركه
لأولاده من بعده بل كان جميع حقه الشرعي من الفقه يتفقه على الموزن والمساكين لوجه الله الكريم
على أنه عليه صلوات الله كان يحسن بهذا الكرم العجيب في حاله يصره وعصره ولكن لوجه
الله تعالى لا يريد من وراء إحسانه جزاء ولا شكوراً ولا يرمي به إلى مصلحة دنيوية خلافاً لنبيه
من الذين كان أحاسنهم تجارة يرمون بها إلى تكثير أعيانهم وتوفير دواعي القوة بهم للتلب على الخلافة
ما رأينا تناهجه فيما تقدم من هذه الطولية المباركة وهي الأكثر من أعلام سيدنا علي من طلاب الدنيا
وتراخي أصحابه عن نصرته الله ورسوله وشريعته تحترايته العليا

قصيدة أمير المؤمنين وبطله

إِنَّ أَفْصَحَ مَا دَأَتْ لِي لِسَنٍ مِنَ الْبَرِيَّةِ عَزِيْهَا وَعَجِيْهَا (١)
 كَمَا أَنْشَأَتْ بِهَا هَوِيَّ خَاضِعٍ لِّلرَّتَقَى اللَّسَنِ الْقَوَالِ رَاعِيَهَا
 كَأَنَّمَا خُلِقَتْ خُلُقًا لَهُ وَكَأَنَّ نُهُ مِنَ الْقَدَمِ الْمَحْجُولِ مُبْدِيَهَا
 قَدْ بَدَأَ كُلُّ فَصِيحٍ قَبْلَهُ عُرِفَ أَكْثَرُ آدَابِهِ وَالنَّاسُ قَرَوِيَهَا
 وَلَمْ يَدْعُ بِمُدَّةٍ مُّسْبَلًا لِّلطَّلِبِ سَبَقًا بِمُضَامَرِهَا إِنْ رَامَ يَحْشِيَهَا
 لَمْ يُبْقِ ذِكْرًا لِّقِسٍ وَهُوَ أَفْصَحُ مَلْسَانٍ وَلَا خُطْبٍ قَدْ كَانَ يُلْقِيَهَا
 نَعَمْ فَصَاحَتُهُ مَا مِنْ يَقَارِبَةٍ فِيهَا وَحَسْبِي عَلِيٌّ كَانَ يُنْشِيَهَا
 وَإِنَّهُ دُونَ رَبِّ سَيِّدِ أَفْصَحَا « النَّائِرِينَ مِنَ الْأَقْوَالِ دُرِيَهَا
 وَإِنَّهَا فَوْقَ أَقْوَالِ الْبَرِيَّةِ طُورًا إِيْمًا دُونَ مَا قَدْ قَالَ بَارِيَهَا
 وَهِيَ أَلْفِي تَسْعَرُ إِلَّا لَبَابًا تَلِيَتْ سَحْرًا حَلَالًا يُفْشِي قَسَّ تَالِيَهَا
 هِيَ الشُّؤْلُ بِالْبَابِ لَوْرِي لَعِبَتْ لِبَابِ الشُّؤْلِ بِلا إِثْمٍ لِّسَاقِيهَا

(١) لا جدال أن سيدنا علي أمير المؤمنين عليه صلوات الله هو امام القضاة واستاذ البلاء وأعظم من خطب وكتب في عرف أهل هذه الصناعة الالباء وهذا كلامه عليه صلوات الله قد قيل فيه بحق انه فوق كلام الخلق ونحت كلام الخالق قال هذا كل من عرف فنون الكتابة واشتغل في صناعة التعبير والتحرير بل هو استاذ الكتاب للرب ومعلم بلا سراة فما من أديب لبيب حاول اتيان صناعة التحرير إلا « بين يديه القرآن ونهج البلاغة ذلك كلام الخالق وهذا كلام أشرف المخلوقين وعليهما يقول في التحرير والتعبير اذا أراد ان يكون في مباشر الكتابة المجيد. ولعل أفضل من خدم لغة قريش الشريف الرضي الذي جمع خطب وأقوال وحكم ورسائل سيدنا أمير المؤمنين من أقوال الناس واماليهم وأصاب كل الاصابة باطلاة عليه اسم « نهج البلاغة » وما هذا الكتاب الا سراة المستقيم لم يحاول الوصول اليها من مباشر المتأدين ولعل أحسن وصف قرأته نهج البلاغة قول الاستاذ الكبير الفيلسوف الشيخ محمد عبده المصري رحمه الله قد وصف ما كل يتشبه به وهو بين يدي تلك الدرر الحسان الزرية بقود الجمان قال « كان يخجل لي في كل مقام ، ان حروبا شبت ، وغارات شكت ، وان للبلغة دولة ، وللقصاحة صولة ، وان للاوهاء عرامة ، وللبعد دارة ، وان جفاط المطابة ، وكتاب التوبة في عقود النظام ، وصفوف الانتظام ، تنافع بالصفيح الالج ، والقويم الاملاج ، وتلج الحج ، برواض المحجج ، قتل دتارة الوسواس ، وتصيب مقاتل الحواس ، فاما إلا « الحق متصرع والباطل منكسر ، ومرج الشك في خود ، وهرج الريب في ركود ، وان مدبر تلك الدولة ، واسل تلك الصولة ، هو حامل لوائها الطالب ،

صَوَّدُ دَرِّ لِيَجِدَ الشَّرْعَ قَدْ نُظِمَتْ فَهَا كَهْ قَدْ نَحَلَى مِنْ لَا لِيَهَا
فِي حُسْنِهَا جُلِيَتْ مِثْلَ الْقَرَائِسِ فِي طَبِيبِهَا تَبَهَّرَ الدُّنْيَا مَجَالِيهَا
أَصَتْ تَلَاوُثُهَا وَاللَّهِ مُطَرِّبَةُ الْأَمِّ سَمَاعِ مَا نَفَسَاتِ الطَّيْرِ تَحْكِيهَا
فَمَنْ تَلَاهَا تَلَاهَى عَنْ فَرَائِضِهِ إِنْسَانُهَا نَابِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
صُمَّتْ مَوَاعِظُهَا الْقَرَأَوْ حُكْمَتُ الْكَزْبَى وَأَخْلَقَتْ الزُّهْرَ أَفْحَاوِيهَا
وَجَاءَ فِيهَا بِأَحْكَامٍ تَوْضِيحُ آيَاتِ الْكِتَابِ عَلَى مَا شَاءَ مَوْجِيهَا
وَكَانَ يَكُونُ مَعَانِيهِ السَّنِيَّةُ الْفَاعِلُ تَلِيْقُ بِهَا أَعْظَمُ بَكَاسِيهَا
وَكَانَ يُرْسِلُهَا عَفْوًا بِلَا تَقَبِّ عَلَى الْمَنَابِرِ بَيْنَ النَّاسِ يَشْجِيهَا
كَذَا رَسَائِلُهُ الْقَرَأَتْ كَانَ بِهَا تَكْلُفٌ بِدَرَارِيهِ يُوشِيهَا
ظَلَّتْ وَحَيْكَ كَنْزًا لَا تَفَادُّهُ مِنَ الْفَصَاحَةِ لِلْأَعْرَابِ يَغْنِيهَا
مِنْهَا تَعَلَّمَتِ النَّاسُ الْفَصَاحَةَ لَكِنْ أَعْجَزَتْ كُلَّ مَنْ يَغْنِي تَحْدِيثُهَا
بِذَلِكَ اعْتَرَفَتْ أَهْلُ الصَّنَاعَةِ بِالْأَمِّ جَمَاعٍ مُصْدِرَةٌ فِيهِ قَنَاطِيهَا
وَعَزَّكَ اللَّهُ هَلْ أَجَلِي وَأَفْصَحُ مِنْ أَقْوَالِ حَيْدَرَةٍ أَوْ مِنْ مَعَانِيهَا

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، بل كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع ، أحس بتغيير
المشهد ، وتحول الماهد ، فتارة كنت أجدني في عالم تسمه من الماني أرواح عالية ، في حل
من العبارات زاهية ، تطوف على النفوس الراكية ، وتدنو من القلوب الصافية ، توحى اليها رشادها ،
وتقدم منها مرادها ، وتقر بها عن مباحض الزوال ، الى جواد الفضل والكمال ، وطوراً كانت
تكتشف لي الجمل ، عن وجود مسرة ، وأنياب كثيرة ، وأرواح في أشباح الغور ، ومخالب
النور ، قد تحفرت للوثاب ، ثم انتقضت للاختلاب ، فظلت القلوب على هواها ، وأخذت الحواطر
دون مرماها ، واغتالت فاسد الهواء ، وباطل الآراء ، وإحياء كنت اشهد ، أن عقلاً نورانياً ،
لا يشبه خلقاً جسدياً ، فصل عن المركب الالهي ، واتصل بالروح الانساني ، فظمه على غاشيات
الطبيعة ، وسما به الى المسكوت الأعلى ، ونما به الى مشهد النور الأجل ، وسكن به الى هارجانب
التقديس ، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس ، وآيات كافي أسمع خطيب الحكمة ، بأعلاء الكلمة ،
وأولياء أمر الامة ، يترفعهم مواضع الصواب ، ويعبرهم مواضع الأوتاب ، ويعبرهم مراقي
الاضطراب ، ويرشدهم الى دقتى السياسة ، ويهديهم طرق الكياسة ، ويرتفع بهم الى مصات
الرئاسة ، ويصدمهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن التصير ، له هذا ماراه الأستاذ الامام
رحمه الله وما شعر به وهو يجر في درس نهج البلاغة سائر اليها فلاعجب اذا فؤ منها بالعصيب الأعلى
فكان أفصح من كتب في التأخيرين وقد قل لي رحمه الله مرة اذا رمت ان تكون كاتباً فخذ

فِي كُلِّ مَا ظَلَمْتَ أَوْ كُلِّ مَا تَنَزَّلَتْ أَهْلُ الرُّكَاةِ فِي شَيْءٍ أَمَّا لِيهَا
لَوْلَا أَلْتَقَى قُلْتُ آيَاتٍ مُنْسَقَةٍ فِيهَا الْهَدَايَةُ أَوْ تَجْرِي مَجَارِيهَا
وَذِي كِتَابَتِهِ «نَهْجُ الْبَلَاغَةِ» فِي سَطُورِهَا وَيَدِ هَدْيٍ لِقَارِيهَا
وَحَسْبُنَا مَا رَأَيْنَا لِلصُّحَابَةِ آ قَارَأَتْ حَاكِي الْأَدْيِ أَبْقَاهُ عَالِيهَا
وَهُمْ لَقَدْ وَرَدُوا مَعَهُ مَنَاحِلَ دِينِ اللَّهِ وَالْمُصْطَفَى قَدْ كَانَ مُجْرِيهَا
فَلَوْ قُلَّ غَيْرَ هَيَّابٍ فَصَاحَتُهُ لِلنَّاسِ مُعْجِزَةٌ لَمْ تَلَقَ تَسْفِيهَا
وَذَاتُ يَوْمٍ أَتَى مَوَى مُعَاوِيَةَ لِجَذْبِهِ مَحْفُوفٌ قَدْ كَانَ يَنْفِيهَا
فَقَالَ: مِنْ عِنْدِ أَعْيَى النَّاسِ جُنُكُ يَا رَبَّ الْفَصَاحَةِ أَتَشِدُّنِي مِثْلَ مِثْلِهَا
فَقَالَ: وَيَبْحُكُ تَرْجِي بِأَفْقَاهَةِ وَالْأَمِّ غِيَاءَ حَيْدَرَةٍ كِذْبًا وَتُخَوِّمُهَا
وَلَمْ يَسْنُ قَوَائِنَ الْفَصَاحَةِ إِلَّا مِثْلُ الْأَمْنِ حَتَّى قُرِيشُهَا
وَتِلْكَ قَوْلُهُ حَقٌّ مِنْهُ قَدْ بَدَرَتْ عَفْوًا بِمَجْلِسِهِ مَا أَسْطَاعَ يَزْوِيهَا
وَالْفَضْلُ لِلْعَرَّةِ مَا أَعْدَاؤُهُ شَهِدَتْ لَهُ بِدِرِّهِ وَرَوْنُهُ فِي نَوَادِيهَا

الامام أمير المؤمنين عليه صلوات الله استأذنا واتخذ أقواله الدرية في ظلمات ليك نبراساً . وذكر
مرة في المرحوم الشيخ إبراهيم البازي كتب كتاب العرب وإمام أساتذة اللغة فيهم في العهد
الآخر بالاجماع قال « ما اتقنت الكتابة الا بدرس القرآن العظيم ونهج البلاغة القويم فهما كنز
العربية الذي لا ينفد وذخيرتها للتأديب وهبات أن يطفر أديب بحاجته من هذه اللغة الشريفة ان لم
يجي لياليه سهراً في مطالعتها والتبحر في غالي أساليهما » وهذا ما نقوله هنا ان يريد ان يكون كاتباً
بلغة الاعراب أو متفوقاً في مواقف الجدل والخطاب

ومع هذا فاننا نشير هنا الى شهادة معاوية بن أبي سفيان عن سيدنا أمير المؤمنين وإقراره
الصريح بتفوقه عليه صلوات الله في هذه الصناعة والفصل ما شهدت به الاعداء وهو قل لحسن الذي
وأفاده متعلقاً فقال جشك من عند اعني الناس كما سبق وقال له جشك من عند أمجل الناس فجبه
معاوية قائلاً ويحك كيف يكون علي أعني الناس فوافقه ما سن الفصاحة لقرش غيره وهذا حبس .
وفي هذه المناسبة يخفق بنا أن نشير الى ما يتداوله الناس من التصائد الحكيمة المنسوبة الى
سيدنا علي عليه صلوات الله وأجمع المؤرخون على انها ليست للامام بل نسبها اليه تاطوها رعا من
تقى وربما عن احتباس . ولهؤلاء حجج كثيرة منها ان ما يتداوله الناس من الامثال المنسوبة لاهل
ماهي من البلاغة بمنزلة المنسوبة لاهل الشريعة ومنها ان الشريف الرضي لم يذكر في نهج
شيئاً من شعره ولا ذكر مع حرصه على كل ما يقرب لاهل المؤمنين ان له شيئاً من الـ
على هذا الرأي والله أعلم

زهد أمير المؤمنين

قَبِي لَدَى سَيِّدِ الزُّهَادِ وَاعْتَبِرِي
مَنْ تَكُونِينَ فِي جَنْبِ الْإِمَامِ وَقَدْ
قَالَتْ مَا آمَنَّا مِنْ مَطْعَمٍ أَبَدًا
وَكَانَ مَا كُلُّهُ خَشَنًا وَمَلْبَسُهُ
وَقَدْ تَدَثَّرَ ثَوْبًا كُلُّهُ رِقْعٌ
وَإِنْ رَأَى كُمُهُ طَالَتْ عَلَى يَدَيْهِ
وَيَعْتَدِي يَقُولُ الْأَرْضُ مُتْرَكًا
وَقَلَّمَا أَكَلَ اللَّحْمَ الشَّهِيَّ وَاللَّبَنَ
يَقُولُ لَا تَجْلُوا هَذِي الْأَبْطُونُ قُبُورُ
فَانْظُرْ لِمَلِكٍ بِلَادَ اللَّهِ فِي يَدَيْهِ
وَإِنْ خَيْرَاتُهَا تُجَبَى إِلَيْهِ وَلَا
اللَّهُ أَكْبَرُ فِي الْفَضَالِ حَيْدَرُهُ
يَعْرِى وَيَطْرَى وَيُكْفَى فِي مَكَارِمِهِ
وَمَنْ تَزَهَّدَ وَالْأَمْوَالُ فَائِضَةٌ
أَسْنَى وَأَفْضَلُ مِنْ زُهْدِ الْفَقِيرِ عَلَى
هَذَا هُوَ الزُّهْدُ هَذَا ثَانِي تَوَرُّعُ السَّاقِي الَّذِي يَقْصِدُ الْجَنَاتِ يَغِيثُهَا
هَذَا وَصِي رَسُولِ اللَّهِ وَارِثُ آ
عَلَيْهِمَا صَلَوَاتُ اللَّهِ خَالِدَةٌ تَحْتَلِي مَدَى الدَّهْرِ وَالرَّحْمَنُ رَاضِيهَا

(١) أن من أحلى صفات أمير المؤمنين عليه صلوات الله زهده وسجود القلوب وتضييق الصحف عن استيعاب أبناء زهده التي طالما أشرنا إليها في هذه القصيدة المباركة فلا غرو إذا قلنا انه سيد الزهاد وبطل الأبدال واليه تشد الرحال وعنده تنقش الأحلاس فإنه ما شيع من طعام قط وكان أغشن الناس ما كلاً وملبساً دل عبد الله بن أبي رافع دخلت على علي يوم عيد فقدم له حراب مختوم فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرصوصاً فأكل كل منه الكفاف وختمه وأعاده فقلت يا أمير المؤمنين لماذا

وصف أمير المؤمنين زهراء

وَذَاتَ يَوْمٍ دَعَا فِي بَصْرَةِ رَجُلٌ إِلَى وَلِيْمَتِهِ بِالصُّومِ وَالْبَهَا (١)
فَمَا تَأَخَّرَ عَنْهَا وَهُوَ مُطْلَبٌ أَشْهَى وَأَطْيَبَ مَا يَطْهَرُهُ طَاهِرُهَا
وَقَدْ دَرَى الْمُرْتَضَى بِالْأَمْرِ كَبْرَ قِيَمِهِ تَرْقَةً لَا يَصُونُ الْقَدْلَ ثَابِتِهَا
قَبَادَرُ الْعَامِلِ الْمَدْعُو بِرَدْعِهِ عَنْ مِثْلِهَا رَاغِبًا أَنْ لَا يَنْسِنَهَا
وَقَدْ أَرَادَ أَنْ تُنْمِي رِسَالَتَهُ أَمْثُولَةً يَسْفِيذُ الرُّشْدَ قَارِنِهَا
فَقَالَ: يَا أَبْنَ حَنِيفٍ قَدْ عَرَفْتُ وَلِيْمَةً ذُعِنَتْ إِلَيْهَا أُضْتُ دَارِنَهَا
أَقَامَهَا دُوْرَاهُ مِنْ أَكْرَمِ بَصْرَةٍ فَكُنْتُ بِهَا بِطْءٌ مُوَافِنِهَا
إِيَّاكَ قَدْ قَبِلْتُ فِيهَا الْجَنَانَ وَإِنَّكَ أَسْتَطَبْتَ مِنَ الْأَلْوَانِ شَاهِنَهَا
إِخَالَهَا بِسُطَّةِ وَالنَّاسِ دَائِرَةً حِيَالَهَا بَيْنَ جَانِبَيْهَا وَمَقْعِبِهَا

تختمه قال أخاف من هذين الولدين أن يثاء سمن أو زنت اه أقول وقد كان توبه مرقوعاً بجملد نارة ولبيف أخرى وكان تلاء من ليف وكان يلبس الكرياس الطليط فاذا وجد كنه طوبه قطعها بسكين ولم يخطأ فكات لا تزال متناطقة على ذراعه حتى تبقى سدى لا لحمة له . وكان يأتمم إذا اتهم بجمل أو يملح فإن زاد على ذلك فيبيض نبات الأرض وإذا اسرف فيقبل من لب الابل وما كان يأكل اللحم الا قليلاً ويقول « لا تجملوا قلوبكم مقابر الحيوان » وكان مع ذلك أشد الناس قوة واعطهم يداً فلا أتعى الجوع قوته ولا خور الاقلال عزمه وهو الذي طلق الدنيا ف يماً بخيراتها مع أن الأموال كانت تجي اليه من جميع بلاد الاسلام الا من الشام التي كان مقتصبها مياوية

(١) خليف بناها ان نظم إحدى رسائل أمير المؤمنين عليه صلوات الله وقد وصف فيها زهراء أحسن وصف وهذه الرسالة الصماء أرسلها الى عثمان بن حنيف عامله على البصرة وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم من أهلها ففسي إليها قال :

« أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من قتيه أهل البصرة دعاك الى مأدبة فأسرت إليها ، تستطاب لك الألوان ، وتنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تحبب الى طعام قوم ، عليهم عقوق ، وغيبهم مدعو ، فانظر الى ما تهمسه من هذا المقضم ، فما اشبه عليك علمه ولفظه ، وما أيقنت بطيب وجهه قتل منه ، ألا وإن لكل مأموم اماماً يقتدي به ، ويستقي به بنور علمه ، الأولون امامكم قد اكفني من دياه بطمره ، ومن طعامه بقرصه ، ألا وإنكم لا تقدرين على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، وعفة وسداد ، فراقته ما كثر من دنياكم تبرا ، ولا ادخرت من غناها وفراً ، ولا أعددت ليلي توبي طمراً ، ولا حزت من أرضها شراً ، ولا اخذت منها الا كسوت أنان دبيرة ، ولهي في عيني أوهي وأهون من عصاة مرة » اه
ويخلق بنا عند ذكر هذه الرسالة الكريمة التي سطرها أمير المؤمنين عظمة للحكام والناس

خَرْتُ لِأَذْقَانِهَا تَبْنِي مُسَابِقَةً
وَمَا عَفَفْتُ وَمَا أَهْلُ الْعَفَافِ يَرَوْنَ
وَلَمْ تَنْفَخْ تَخْتَةً تُؤَدِّي بِصَاحِبِهَا
وَأَكَلَتْهُ نُحْرُمُ الْإِنْسَانَ لَذَّةُ
وَمَا ظَنَنْتُ تُلَبِّي دَعْوَةَ بَدَرْتُ
تَدْعُو إِلَى زَادِهَا أَهْلُ الْيَسَارِ وَتَجْزِي
فَأَنْظُرْ إِلَى مِقْصَمِ أَمْسَيْتَ قَاضِيَهُ
فَمَا أَشْتَبَهَتْ بِهِ فَأَلْفَظَهُ صَاحٍ وَنَلَّ
وَأَعْلَمَ بِأَنَّ أَلْفَى الْمَأْمُومِ قَدْوَتُهُ
وَيَسْتَضِي بِأَنْوَارِ مُلَائِكَةٍ
وَهَا إِمَامُكُمْ قَدْ رَاحَ مُكْتَفِيًا
وَبَاتَ مَقْنَعًا بِالْخُبْرِيَا كُلِّ أَقْرَاصًا لَقَدْ يَبْسُتْ يَا بِي يَطْرِبُنَهَا

فِي حَلْبَةٍ أَنْتَ فِي ظَنِّي مُجَلِّبُهَا
دُونَ أَوْلَادِي حَبًّا فِي أَشَاهِبِهَا
حَذَارِ أَنْ تَكُ يَوْمًا مِنْ أَضَاحِبِهَا
إِلَى زَمَانٍ خَلِيقٌ أَنْ تُجَافِئَهَا
مِنْ زِمْرَةٍ قَدْ تَمَادَتْ فِي مَلَاهِبِهَا
فَوَ الْمُنْتَرِينَ وَلَا تَقْرِي عَوَافِئَهَا
بَنَهْمَةٍ قَدْ يَكُونُ الْأَنْثَى تَالِيَهَا
مَا كُنْتُ تَوْقِنُ فِيهِ الْحُلَّ تَجْرِئَهَا
إِمَامُهُ فِي خَطِيئَةٍ قَدْ رَاحَ خَاطِبُهَا
مِنْ عَلَيْهِ عَن هُدَى مَا أَفَكَ يُسْنِبُهَا
مِنَ الشَّيَابِ الَّتِي رَأَتْ بِيَا لِيَهَا
لَقَدْ يَبْسُتْ يَا بِي يَطْرِبُنَهَا

أجمعين ان تنبه الى أمور ترى في التنبيه اليها دفاعاً عن حق أضعاء أكثر شارحي كتاب « نهج البلاغة » اذ ذهبوا في هذه الرسالة الى انه عليه صلوات الله أراد بها ذم أهل البصرة بقوله « عاثلهم مجفوعونهم مدعو » والذي أراه ان الأمير لم يرصد الدم عموم أهل البصرة ولكن زمره معينة من أهلها كان صاحب الولية واحداً منها وحاشى له على عدائته التي لا يختلف فيها اثنان ان يرمي البصريين كلهم بما يوي طائفة منهم لا يخلو من مثلي بلد من بلاد الدنيا كان هذه الولية قد أولت قبل حرب الجبل فامر داع لهم البصريين وبعضهم فيها وبهذا كفاية. وارجع الى الرسالة التي نحن بصدد ما فقد كتبها أمير المؤمنين عليه صلوات الله وهو في المدينة المنورة قبل ان يخرج منها لموقعة الجبل ودليلي على هذا هو ان عثمان بن حنيف الانصاري الذي كتب له هذه الرسالة هو الذي كان حامل الامام على البصرة تولاه عليها عند خلافة ومنه استخلصها طلحة والزبير عند ما قدما البصرة باقصة وجعلها وكان استخلاصها المدينة من يده قوة ونهراً وعلى هذا لم يكن لأمير المؤمنين ما يمش على ذم أهل البصرة كما تقدم وما يجدر بي قوله ان « ما هو منشور ومشهور من أقوال أمير المؤمنين عليه صلوات الله في ذم أهل البصرة في مختلف خطبه لم يكن موجهاً لعموم أهلها كما يستفاد من أقوال أكثر شراح نهج البلاغة واني مع كل عارف بالنفس اللووية المالية من العدل والفضل انزهه عن تسميم الدم في كل البصريين وانما كان الدم مقصراً على الطائفة التي عصت خلافة وانضمت الى أعدائها وهي خلافة شرعية لا عفو ولا غفران لمن عمى عليها وانكرها والتابت ان كثيرين من البصريين كانوا مواليين لخلافته وكثيرين منهم نصرها بسببهم فكانت موقعة بينهم وبين أصحاب الجبل عند ما قدموا بلدهم

أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَىٰ هَذَا وَفِيهِ مِنَ الْأَوْصَابِ قَاسِمَتُهَا
لَكِنْ أَعِينُوا بِقَوَائِمِ إِمَامِكُمْ مَعُونَةً لَمْ أَزَلْ مِنْكُمْ أَرْجِيهَا
وَبِالْعَفَافِ وَبِالرَّأْيِ السَّيِّدِ وَالْبَحْثِ الَّذِي يُبْلِغُ الْخَيْرَاتِ بَاقِيَهَا
وَإِنِّي وَأَسْمُ رَيْتِي مَا كُنْتُ مِنْ أَلَدُنْيَا الْكُنُوزِ وَإِنِّي زَاهِدٌ فِيهَا
وَلَا أَذْخَرْتُ لِنَفْسِي مِنْ غَنَائِمِهَا وَقَرَأَ وَلَا حَزْتُ شَيْئاً مِنْ أَرْضِهَا
وَلَا طَلَبْتُ لِقَوِي فِي رِثَائِمِهَا طَبَرْتُ وَحَسْبِي ثِيَابُ الطُّهْرِ كَاسِمَتُهَا
وَمَا أَخَذْتُ مِنْ الْأَقْوَاتِ كَثَرٍ مِنْ قُوْتِهَا لَا تَانِ أَلَّتِي إِلَّا سَقَامُ نَوَاسِمِهَا
وَإِنْ دُنْيَاكُمْ أَوْهَى وَأَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عَفْصَةٍ مَرُ تَعَاظِمِهَا
هَذِي نَصِيحَةٌ مَوْلَانَا ابْنِي حَسَنٍ إِلَى الثَّقَاةِ جَمِيعاً كَانَ مَوْفِيهَا
فَلَا يُقِيمُ أَخُو جَاهٍ وَلَا يَمُتُ لِلْأَغْنِيَاءِ وَأَهْلُ الْفَقْرِ يُقْصِمِهَا
وَكُلُّ مَنْ وَصَلَتْهُ دَعْوَةٌ لَوْلَيْسَ تَرَوِي بِهَا ثُمَّ يُلْبِسُهَا
مَا كُلُّ دَعْوَةٍ دَاعٍ تُسْتَجَابُ وَلَا كُلُّ الْمَا كُلِّ تُفْذِي مُسْتَجِيبُهَا

على ما هو صريح في التاريخ وكثيرون منهم اعتزلوا القتال وبعضهم جاهدوا جهاداً كبيراً في تسوية الخلاف ومنع القتال وحل العصاة على الطاعة فكل هؤلاء لا يتناولهم القم الموجه من أمير المؤمنين بحق إلى الدين ماثلوا أعداء خلافة ونصروهم من البصريين

وأرى في الرسالة التي نحن بسندها أن أمير المؤمنين عليه صلوات الله أراد فيها مطلق النصيحة فلم يحسب مؤاكلة عاملة للناس جريمة ولكن الذي أراد هو تنبيه خاصة وتنبيه كل حامل على التمسك بل أهل العدل أجمعين أن يلفطوا ما اشبه عليهم علمه وإن يثألوا مما أختاروا بطيب وجهه وإن لا يواكلوا قوماً لا يقرنون الجوع ويدعون إلى موأدهم الاغنياء فوق هذا أفني أرجح أن أمير المؤمنين عليه صلوات الله قد أراد أيضاً أن يحظر على المال قبول دعوات فئة الناس أي كرامهم مخافة أن تؤثر مثل هذه الولائم عليهم فلا يقيمون العدل في أحكامهم بين الناس والله أعلم

أما ترجمة عثمان بن حنيف بضم الحاء وفتح النون فهو ابن وهب بن الحكم بن ثعلبة بن الحارث الانصاري ثم الأوسي أخو سهل بن حنيف ويكنى أبا عمرو وقيل أبا عبد الله صاحب المصطفى عليه صلوات الله في مفازيه ولولا مهر بن الخطاب في خلافة مساحة الأرض وجبايتها في العراق وضرب الخراج والجزية على أهلها ثم عزل في خلافة عثمان وما زال معزولاً حتى ولي أمير المؤمنين عليه صلوات الله الخلافة فولد على البصرة وعندما وصلها طلعت والزيد باصحاب الجمل أخرجاه منها فمهر وألظاهر انه ملا أصحاب الجمل لأن أمير المؤمنين بمدتصارعه عليهم وفي مدى خلافة لم يوله عملاً وبدوة فاته عليه صلوات الله قدم عثمان بن حنيف الكوفة وسكنها إلا انه لم يش طويلاً بذلك فاته في أوائل خلافة معاوية

محاسن أمير المؤمنين

كَانَ الْأَمِيرُ عَلَى سَائِي مَكَاتِيهِ
فَمَا سِوَى الْمُصْطَفَى تَأَلَّفَ مِنْ بَشَرٍ
كَانَتْ بِشَاشَتِهِ فِي النَّاسِ دَائِمَةً
وَكَانَ أَطْيَبَ أَهْلِ الْأَرْضِ أَجْمَعِهَا
وَكَانَ فِي أُمَّةٍ أَهْلَادِي كَوَاحِدِهَا
فَمَا تَعَالَى وَلَيْسَ الزُّهْرُ شَيْئُهُ
وَلَا تَرْفَعُ عَنْ قَوْمٍ يُجَالِسُهَا
وَكَانَ مَعَ صَاحِبِهِ صَفْوًا يُمَارِحُهَا
وَكَانَ يُخَدِّمُهَا فِي يَدَيْهِ كَرَمًا
وَكَانَ يَلْقَى وَفُودَ النَّاسِ مُبْتَسِمًا
وَكَانَ يُجْلِسُ فِي الْأَسْوَاقِ يَحْكُمُ يَنْبَغُ النَّاسِ بِالْعَدْلِ وَالْأَحْكَامِ يُجْرِيهَا
وَكَانَ بِالْعَطْفِ يُجْرِي الْأَشْرَافَ الْكَلْبَاءِ الَّتِي سَهَّهَا الْإِسْلَامُ تَجْرِيهَا
فَكَانَ فِيهَا مِثَالًا صَادِقًا لِمُلُوكِ الْأَرْضِ مَا تَبِعُوا سَائِي مَبَادِيهَا
وَعَايَةُ الْقَوْلِ أَخْلَقَ الْأَمِيرُ نَسَايَ فِي الْمَحَاسِنِ بَادِيهَا وَخَافِيهَا
مَعَ ذَلِكَ هَيْبَتُهُ كَانَتْ بِأَنْفُسِ أَهْلِ الْأَرْضِ أَجْمَعِهَا وَالْكَلُّ خَاشِيهَا
وَأَمَّا هَيْبَةُ الْعِلْمِ الَّتِي صَحِبَ الْقَوَى مَعَ الْبِرِّ فِي أَسْنَى مَجَالِيهَا
وَذَاتِ يَوْمٍ تَلَاقَى مَعَ مُعَاوِيَةَ قَيْسٌ بِذَوْدَةٍ صَفْوٍ كَانَ نَادِيهَا

(١) كان أمير المؤمنين عليه صلوات الله طلق الحياء ورحب الصدر يمشي بالثغر سمح النفس
لين العريكة طاهر السريرة كثير التواضع ودياً يجالس الناس على اختلاف مراتبهم ويشتي بصنعهم
قبل كبيرهم ويخدهم بنفسه اذا كانوا في بيته وكان يجلس للناس في الاسواق فينصف مظلومهم من ظالمهم
وبالاجال انه كان المثال الاجل للاشتركية المحمودة التي بها الاسلام بل خير مثال للملوك الذين يوقراطيين
وقد رويت عن محاسن اخلاقه الروايات وضربت فيها الامثال ما لو اردنا احصاءه لاحتجنا الى القول
الكثير وحسبنا ما قاله فيه صمصمة بن صوحان قال « كان عليّ فينا كاحدنا اين جاني وشدة تواضع

وَالصَّفْوُ جَرَّهُمَا لِلْمُرْتَضَى وَحَوَّاهُ
 فَقَالَ فِي الْمُرْتَضَى هُزْءٌ مُعَاوِيَةُ : قَدْ كَانَ مَجْلِسُهُ بِمَلَأَهُ تَفَكُّيْهَا
 أَرَادَ فِي ذَلِكَ أَنْ يَرِي الْأَمِيرَ يُنَاسِيَانِ اللَّعَابَةَ فِي أَسْوَأِ مَسَاوِينِهَا
 فَقَالَ قَيْسٌ كَذَا كَانَ الرَّسُولُ يَمْزُحُ أَقُولُ يَلْقَى ذَوِيهِ فِي مَثَاوِينِهَا
 أَرَى نُسِرَ لَهُ حَسَوًا بِقَوْلِكَ فِي أَرْزَاقِهِ أَظْهَرَ رَغَابًا أَنْتَ تُخْفِيْهَا
 نُعِيبُ مَزْحًا لَطِيفًا فِي مَجَالِسِهِ يَلْقَى بِهِ صَحْبَهُ عَقْلًا فَيُهْنِيْهَا
 فَمَعَ فُكَاةً مَعَ أَنْسٍ طَلَعَتْهُ مَا يَنْبَغُ أَصْحَابِهِ صَفْوًا بِفَاهِيْهَا
 قَدْ كَانَ أَهْيَبَ مِنْ ذِي لُبْدَيْنِ عَلَى طَوَى وَفِي زُمَرَةِ الْأَسَادِ ضَارِيْهَا
 وَابْنُهَا هَيْبَةُ الْقَوَى وَلَيْسَ كَمَا تَهَابُكَ الْأَشْأُمُ قَسْرًا بِأَمْعَاوِيْهَا

مِرَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ النَّاسِ

لِلْمُرْتَضَى رِثَةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ لَدَى أَهْلِ الْبَقِيَّةِ تَنَاهَتْ فِي تَعَالِيْهَا (١)
 دُونَ الْعِلْمِ بِمَرْفَعَاتِ الدُّنَى وَالْكَفْرِ بِكَيْفِيَّتِهَا
 وَإِنَّ فِي ذَلِكَ إِجْمَاعًا بِغَيْرِ خِلَافٍ فِي الْمَذَاهِبِ مَعَ شَيْءٍ مِّنَاجِمٍ
 وَإِنْ أَقْرَبُ بِهَا الْأِسْلَامُ لَا عَجَبَ فَإِنَّهُ مِنْذُ بَدْءِ الْوَحْيِ دَارِيْهَا
 وَإِنْ تُنَادِي جُمُوعُ الْمُسْلِمِينَ بِهَا قَدَّرَتْ قَدَرَهَا مِنْ هَذِي هَادِيْهَا
 لَكِنْ مَا قَصُرَتْ قَصْرًا تَجَلَّسَتْ عَلَى بَنِي الْقُرَيْنِ مَعَ زَاهِي تَجَلَّسَتْهَا

وسهولة قياد وكنها بهابه الاسير المربوط السيف الواقف على رأسه « وقال معاوية لقيس ابن سعد يوماً رحم الله أباه الحسن فقد كان هنأ بشاً ذا فكاكة فاجابه قيس نعم كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمزح ويهيم الى اصحابه ولواك نسر حشوا في ارتعاض تريد ان تسيه أما والله لقد كان مع فكاكته وطلاسته أهيب من ذي لبدتين قد مته الطوى تلك هية القوى ليس كما بهابك طاه أهل الشام يا معاوية فاخزوى هذا وسكت

(١) ان الكلام في مِرَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَدِّ انْوَه بها رسول الله عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام من باب تحصيل الحاصل أو اللغو من المسلمين على اختلاف مذاهبهم يجمعون على انه أفضل فاضل في الاسلام بعد المصطفى لا بل هو صنوه في كل شيء الا النبوة على ان مِرَّةُ المرتضى العالية هذه لم تقتصر على المسلمين فرفوها بل تمتد الى غير المسلمين فهوذا أهل البهامة وهم لا يقرؤن النبوة ولكنهم يحجون به ويحزموه وهوذا الفلاسفة تعظمه وتبجل مقامه وتوجب بحكمته واكثرها معلقة او جاحدة

بَلْ جَاوَزْتَهُمْ إِلَى الْآغْيَارِ فَأَنصَرَفَتْ نَفُوسُهُمْ نَحْوَهَا بِالْحَمْدِ فَطَرِيهَا
 وَذِي فَلَاسَةِ الْجُحَادِ مُنْجِبَةً بِهَا وَقَدْ أَكْثَرَتْ عُجْبًا تَسَامِيهَا
 وَرَدَّدَتْ بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ مِذْحَنًا فِيهِ وَقَدْ صَدَقَتْ وَصْفًا وَتَشْبِيهَا
 كَذَا النَّصَارَى بِحُبِّ الْمَرْتَضَى شَغَفَتْ أَلْبَابُهَا وَشَدَّتْ فِيهِ أَغَانِيهَا
 فَلَسْتَ تَسْمَعُ مِنْهَا غَيْرَ مِدْحَةٍ الْفِرَاءِ مَا ذَكَرْتَهُ فِي نَوَادِيهَا
 فَأَرْجِعْ لِقَسَائِهَا بَيْنَ الْكَنَائِسِ مَعَ رُحْبَانِهَا وَهِيَ فِي الْأَذْيَارِ تَأْوِيهَا
 تَحِذُ مَحَبَّتَهُ بِالْإِحْتِرَامِ أَوْتِ نَفُوسَهَا وَلَهُ أَبَدَتْ تَصَبُّيَهَا
 وَأَنْظُرْ إِلَى الدَّيْلَمِ الشَّجْعَانِ خَانِضَةِ السَّحْرُوبِ وَالْتَرِكِ فِي شَقَى مَعَارِيهَا
 ثَلَفَ اسْتِعَاذَتَهَا بِالْمَرْتَضَى وَلَقَدْ زَانَتْ بِصُورَتِهِ الْحَسَنَاءِ مَوَاضِيهَا
 وَأَمِنَتْ أَنْ تَرْتَضِعَ السُّيُوفُ بِصُورَةِ الْوَصِيِّ يُنِيلُ التَّعَرُّضَ مِنْضِيهَا
 وَمَا أَقُولُ بَعْنَ تَنْمَى الْأَنَامُ لَهُ تَرَى بِذَلِكَ تَمَجِيدًا وَتَعْوِيهَا
 وَتَنْسِي لِمَلَأَهُ تَسْتَعِزُّ بِهِ وَتَسْأَلُ اللَّهَ فِيهِ أَنْ يُنَسِيَهَا
 حَتَّى أَفْتَوُهُ تُنْشِئُ لِلْعَلِيِّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى سَائِمِي مَرَامِيهَا
 قَوْلُ: إِنْ أَفْتَى مَنْ لَا يَرَى حَسَنًا مِنْ نَفْسِهِ وَهُوَ يَنْغِي أَنْ يَرْتَبِيهَا
 مَا كَانَ مُسْتَعْبَجًا مِنْ نَفْسِ صَاحِبِهِ مِنْ الْخِلَالِ أَلْفِي سَاءَتْ مَسَاوِيهَا
 وَقَدَرَأَتْ مِنْ دَوَائِي الْفَخْرِ نِسْبَتَهَا إِلَى عَلَى الْمَرْتَضَى مَا بَيْنَ أَهْلِيهَا
 فَأَلَفْتُ كُتُبًا فِيهَا مُعَزَّةَ الْأَمْرِ سَنَادٍ قَدْ عَنَنْتُهُ فِي حَوَاشِيهَا
 وَأَسْتَشْهَدُ بِالَّذِي قَدْ قِيلَ فِي أَحَدٍ مِنْ أَسْمَاءِ وَعَلِيٍّ الْقَرْمِ غَارِيهَا
 لَا سَيْفَ إِلَّا الَّذِي يُنْضِي الْعَلِيَّ وَلَا قَى سِوَاهُ لَدَى الْأَعْدَاءِ يُنْكِبُهَا
 وَقَدْ دَعَتْ سَيِّدَ الْفَتَيَانِ حَيْدَرَهُ وَإِنَّهُ سَيِّدُ الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا

وفوق هذا قال الملوك الترك والدليم قد صوروا على سيوفهم صورته الشريفة توبيخاً لهم وطلباً للنصر باسمه
 الشريف وبركانه فقد كانت الصورة الملوية المباركة على سيف ركن الدولة وعلى سيف ابنه عضد
 الدولة وعلى سيف آل أرسلان وعلى سيف ابنه ملكشاه وعلى سيوف غيرهم من الإبطال الأتراك
 لكثيرين وبقصارى القول إن المرتضى عليه صلوات الله له من الاجلال في النفوس ما يجب الى كل

محبو أمير المؤمنين وصفوه

رَوَتْ رِوَاةُ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ بِتَخَقُّقِي حَدِيثًا صَحِيحًا فِي أَمَالِهَا (١) قَالَتْ: لَقَدْ قَالَ طَهٌ فِي الْوَصِيِّ مَقَامًا لَمْ يَصْطَفِ فِي أُذُنٍ وَأَعْيُنَا يُحِبُّكَ الْمُؤْمِنُ أَلَا فِي وَبُغْضِكَ الْمُنَافِقُ الْمُطْطَرُّ الْأَوْثَمَانُ تَوْنِيهَا وَقَدْ رَوَتْ بَعْدَ هَذَا عَنْ صَحَابَتِهِ مَقَالَةً سَمِعْتُهَا مِنْ مُفَاهِيهَا قَالَتْ: وَكُنَّا عَلَى عَهْدِ الرَّسُولِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ نَتَلَقَّى بِالْأَوْثَمَانِ مِنْ فَيْهِنَا بِيُغْضَى الْمُؤْتَقَى صَهْرُ الرِّسَالَةِ نَعْرِفُ الْمُنَافِقَ مِمَّا رَاحَ يُخْبِنُهَا وَقَالَ حَيْدَرَةٌ وَالنَّاسُ مَا سَلِمَتْ مِنْ التَّنَاقُ وَلَمْ يَجْهَلْ خَوَافِهَا لَوْ أَنَّ وَجْهَ أَخِي الْأَوْثَمَانَ أَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ مَا بَغْضَنِي قَدْ كَانَ رَاضِيًا وَلَوْ صَبَبْتُ عَلَى هَامِ الْمُنَافِقِ ذُنُوبًا لِحُبِّي أَبَاهُ وَهُوَ بَاغِيهَا هَلْ فِي مَوَاقِفِي رَيْي كَانَ آخِذَهَا مِنْ الْخَلَائِقِ لِي فَضْلًا وَمُعْطِيهَا

شهادة سيد المرسلين لأمير المؤمنين

وَمَا لَمَّا نَوَّهَ الْهَادِي الْأَمِينَ بِيُغْضَى الْمُؤْتَقَى بَيْنَ أَهْلِ الْبَيْتِ تَوْنِيهَا (٢) لَنَا بِهَذَا أَحَادِيثُ مُعْتَمَنَةٌ غَرَاءُ ثَابِتَةٌ نَسْمُو مَعَانِيهَا

أحد ان يتكثر به ووده كل أحد ان يتجمل وتحسن بالانتساب اليه سواء كان مسلماً أو غير مسلم موحداً أو مشركاً أو كافراً حتى الفتوة أو أحسن ما ينالني حدها « ان لا تستحسن من نفسك ما تنتجحه من غيرك » فان أصحابها نسبوا أنفسهم اليه وصنفوا في ذلك كتباً وجعلوا لذلك اسناداً اتهموا اليه وتعرضوا عليه وعضدوا مذهبهم باليت المشهور الذي سمع من السماء في يوم أحد وعسى يقتل كفار قرش وبشكل بهم « لا سيف الا ذو الفقار ولا قتي الا علي » وهم يدعونه عليه صلوات الله « سيد القتيلان »

(١) قد اقتفت الاخبار الصحيحة التي لا ريب فيها عند الحديثين على ان النبي قل لأمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام « لا ينفضك الا منافق ولا يجبك الا مؤمن » وقد روى كثير من أرباب الحديث عن جماعة من الصحابة قولوا « ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله الا ينفض علي بن أبي طالب » وقال أمير المؤمنين عليه صلوات الله « ان الله عز وجل أخذ ميثاق كل مؤمن على حبي وميثاق كل منافق على بغضي فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ما انفضني ولو صببت الدنيا على المنافق ما احبني »

(٢) قال رسول الله ﷺ مخاطباً أمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام « يا علي ، ان الله قد نزيك

مِنْهَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ الشَّانُ مُتَبَرِّمٌ رَوَتْهُ أَصْحَابُ طَبَةِ فِي أَمَالِهَا
قَالُوا لَقَدْ لَقِيَ أَهْلَادِي الْأَمَامَ يَوْمَ م فِي تَبَارِنِجٍ أَكْذَارٍ يُعَارِنِهَا
فَقَالَ : أَتَبِيرُ عَلَيَّ أَنَّ رَبَّكَ قَدْ أَعْطَاكَ أَفْضَلَ مَا أَلَمَدَانُ مُعْطِيهَا
أَزَانَ شَخْصَكَ أَسْتَى مَا أَزَانَ بِهِ أَلَمِيَادَ زَيْنَةَ يَرِيَّتْ قَانِيهَا
فَلَسْتَ تَرَوْنَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مِنْ تَرُ زَا مِنْكَ سَوَاكَ رُشْدًا زَاهِدًا فِيهَا
حَبَاكَ نِعْمَةً حُبِّ الْمُعْزِزِينَ فَهَمُّ رَعِيَّةٌ لَكَ قَدْ خَارَتْكَ رَاعِيهَا
طُوبَى لِمَنْ رَاحَ مَشْغُوفٌ الْقَوَادِي بَا لَاهُ حِسَانٍ لَقَدْ زَاتَكَ يَوْمِيهَا
وَيْلٌ لِمُبْغِضِكَ أَرَاوِي عَلَيْكَ كَا ذِيَبَ الْمَسَاوِي وَبَيْنَ النَّاسِ يُشْهِبُهَا
لِلشَيْخِ خَزَعْلٍ طُوبَى الْمُصْطَفَى وَلَقَدْ أَمَسَتْ نَصَاحِبُ عَلَيْهِ أَحَاظِيهَا
يَحِبُّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ بَرَّ الْمُحْسِنِينَ تَوَلَّيْنَاهَا وَتَذَلَّيْنَاهَا
وَقَوْلِهِ الصَّدَقِ فِي سَائِي فَضَائِلِهِ جَرَأَ فَيُشْجِي بِهِ شَجْوًا مُحْسِبِيهَا

عجوز تصف أمير المؤمنين

حَجَّ ابْنُ حَرْبٍ يُبْدِي جَاهَ إِمْرَتِهِ مِنْ بَعْدِ مَا فَازَ فِي تَدْوِينِهَا أَهْلِيهَا (١)
وَيَسْنَا هُوَ فِي أُمِّ الْقُرَى ذِكْرُهَا لَهُ كُنَايَةُ شَمَطَاءَ تَوْنِيهَا
قَالُوا لَهُ : إِنَّهَا تَقُولُكَ مُعْلِنَةً هُوَى الْوَصِيِّ بِتُبْدِي تَحَجِّبِيهَا
فَقَالَ : هِيَ أَطْلُبُوهَا إِنِّي كَيْفَ بِمَثَلِهَا أُنَمِّي أَنَّ أَحَاجِيهَا
وَعِنْدَمَا مَثَلَتْ كَرَاهَا بِحَضْرَتِهِ مَا هَابَتْ أَنْظَرَاتِ الشَّدْرِ يُقَلِّبِيهَا

زَيْنَةُ بَرِّينَ الْعَبَادِ زَيْنَةُ أَحَبِّ إِلَيْهِ مِنْهَا ، هِيَ زَيْنَةُ الْأَبْرَارِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، الزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا ، جَعَلَكَ لَا تَرَوْنَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا ، وَلَا تَرَوْنَ الدُّنْيَا مِنْكَ شَيْئًا ، وَوَهَبَ لَكَ حُبَّ السَّائِكِينَ ، جَعَلَكَ تَرْضَى بِهِمْ إِنْبَاعًا ، وَبِرِضْوَانِكَ أَمَامًا ، فَطُوبَى لِمَنْ أَحْبَبَكَ وَصَدَّقَ فَيْكَ وَوَيْلٌ لِمَنْ يُفْضِكُ وَكَذِبَ فَيْكَ « اه (١) بعد أن استتب أمر الخلافة لحاوية يضع سفين طلب الحج حتى إذا ما بلغ مكة كرمها الله بلفه أن امرأة فيها من بني كنانة تسبه وقد اشتهرت بالبغض له فارسل بطلبها وعند ما مثلت بين يديه قال لها علام واليت عليا وعاديتني ؟ قالت لقد أحبت عليا على عدله في الرعية وقسمته الاموال بالسوية وعنايته بالسائكين واعطاهم لامر الدين وعاديتك على قتالك من هو أولى بالولاية منك وطلبك ما ليس لك بحق وسفكك الدماء وجورك في الرباء فقال وهل رأيت عليا وسمعت كلامه ؟ قالت لقد

نَادَى بِصَوْتٍ حَلِيمٍ بِالْعَجُوزِ : عَلَا
عَلَامٌ بِاللَّهِ وَالَيْتَ أَلْقِيَتْ مَوَا
قَالَتْ بَلَا وَجَلْ : أَحْبَبْتُ حَيْدَرَهُ
فَكَانَ يَمْدُلُ فِي الْأَحْكَامِ يُنْفِذُهَا
وَكَانَ يَقْسِمُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى
وَكَانَ يَعْزِي بِأَهْلِ الْفَقْرِ يَرْحَمُهُمْ
وَكَانَ يُعْظِمُ أَمْرَ الَّذِينَ مُتَّعِيًا
وَقَدْ قُلُوْتُكَ إِذْ قَالَتْ مَنْ هُوَ أَوْ
وَقَدْ سَفَكَتَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِلَا
وَجُرْتُ فِي الْحُكْمِ لَمْ تُنْصِفْ بِهِ أَحَدًا
قَالَ : هَلْ أَنْتِ شَاهِدَتْ أَلْقِيَتْ عِيَا
وَهَلْ سَمِعْتَ عَلِيًّا فِي مَجَالِسِهِ
قَالَتْ : رَأَيْتُ عَلِيًّا وَالْخِلَافَةَ لَمْ
كَلَّا وَلَا أَظَرْتُهُ نِعْمَةً وَجِدْتُ
كَذَا خِطَابَهُ كَأَنَّهُ وَحَكَ تَجْد
فَكَانَ يَنْتَرُ مِنْ فَوْقِ الْمَنَابِرِ مِنْ
وَعَى آيِنُ حَرْبٍ يَكَانَتِ الْعَجُوزُ وَلَمْ
وَقَالَ : هَلْ لَكَ عِنْدِي حَاجَةٌ فَأَنَا

مَ تَشْهَرِينَ عَلَيَّ الْحَرْبَ تَجْزِيهَا
لَا سَمِعْتُ صِيحَانِي عَنْكَ تَزِينُهَا
لِمَا تُرَاتِ حِسَانِي كَانَ آيِنُهَا
عَلَى رَعَايَاهُ عَلُونُهَا وَسُفْلِيهَا
جُمُوعُهُمْ وَبِهِ قِسْطًا يُسَاوِينَهَا
وَبِالْآيَاتِ وَالْأَيَاتِ يَكْفِيهَا
وَرَأَيْتُ الشَّرْعَ بِالْإِجْلَالِ يُزِينُهَا
لِي بِالْإِمَامَةِ مِنْ شَيْءٍ مُرِيدُهَا
حَقٌّ بِمَجْزَرَةٍ عَمْتُ مَسَاوِينَهَا
مِنْ الرِّجِيَةِ عُنْجِينَهَا وَعَرَبِيهَا
نَا هَلْ شَوَدْتُ لَهُ الْأَحْكَامَ يُجْزِيهَا
مَاتِينَ أَصْحَابِهِ يَوْمًا يُنَادِيهَا
تُفْتِنُهُ عَنْ دِينِهِ مَذْبَاتَ حَامِيهَا
لَهُ وَلَمْ تُلْهِهِ لَهْوًا مَلَاهِيهَا
لَوْ عَنْ صُدُورِ الْأَلَى أَصْفَادًا وَعِيبُهَا
دُرُ الْمَوَاطِظِ وَالْآدَابِ غَالِيهَا
يَغْضَبُ وَكَانَ وَحَقٌّ اللَّهُ يَذَرِيهَا
ذَا الْيَوْمِ حَلَمًا وَفَضْلًا صِرَتْ أَفْضِيهَا

كنت رأيت فإذا الملك الذي فتتك لم يفتنه والنمة التي شلتك لم تشفه وكان كلامه يجلو المهوم عن
القلوب فوامة ما علا المنبر الا وكان ينتر على الناس دور المواقظ والآداب فقال معاوية وهو كظم
غيطه وهل لك من حاجة ؟ قالت نعم أريد مئة ناقة فيها لحها وراعيها لاغذي الصغار واستحيي
الكبار بإلبانها قال وهل أحلّ عنك عمل علي ان اعطيتك ذلك ؟ قالت ماء ولا كصداه « هذه مثل
عربي يراد به اثبات الجوده للواحد من انحطاطه عن رتبة الآخر » فتجلد معاوية بحقها غضبه وأمر
لها بما طلبت كفا لها عن سبه وان أعلنت انها تأتي حبه والمفاوة به وأنشد

قَالَتْ : مُعَاوِيَ اِوْنِي اُبْتَنِي مَتَّ مِنْ اَلنِّبَاكِ لَهَا فَحَلَّ وَرَاعِبَهَا
اُغْذِي بِالْبَانَا وَلِدِي اَصْغَارُوا سَتَحْيِي الْكِبَارَ وَاغْنِي مِنْ ذَرَارِيهَا
قَالَ : عِنْدَكَ هَلْ لِي اَنْ اَحْلَ مَحَلَّ الْمُرْتَضَى يَا تَرَى اِنْ رُحْتَ اَعْطِيهَا
قَالَتْ يَجُرُّنَهَا : مَا وَلَيْسَ كَهَذَا اَوْ وَمَا رَهَبْتُ فِي ذَا مُفَاهِيهَا
قَالَ فِي اَلْعَالِ : اَعْطِيكَ اَلنِّبَاكِ وَلَمْ يَزِدْ وَغَيْظُهُ قَدْ اَصَّ يَخْضِيهَا
وَقَالَ : هِنَاهَا اَنْ تَلْقَى اَلَا عَارِبُ جَلَسًا مِثْلَ حِلْيٍ مِنْ مَلِكٍ يُرَاضِيهَا
خُذْنِي اَلنِّبَاكِ وَلَا تَنْسِي صَنِيعَ قَيَّ بِالسَّلَمِ ذَاتُ اَلْعَدَا وَاَلْبَغْضِ يَصْفِيهَا
أَمَا وَحَقِّكَ لَوْ كَانَ اَعْلَى لَمَّا اَلْقَيْتَهُ مَا اَطْلَبَ اَقْوَلَ مُعْطِيهَا
فَقَهَمَتْ وَأَجَابَتْهُ : وَلَا وَبَرَا ثَ مِنْ نِيَاكِ عِبَادِ اَللّهِ يُولِيهَا
وَهَرَوَلَتْ بِعَطَاهُ وَهِيَ صَاحِكَةٌ مِنْهُ وَفِي قَسِيدٍ مِنْ ذَلِكَ مَا فِيهَا

نصائح أمير المؤمنين لابنه الحسن

نَصَائِحِي لِبْنِي اَلْأَشْيءِ اَلْحَسَنِ السَّرَّاءِ كِي بِرَحْمَةِ رَبِّي رُحْتُ اُسْدِيهَا (١)
فَقِنْ أَبَ زَاهِدِ الدُّنْيَا وَرُخْوْفِهَا اِلَى اَلْقَسَى اَلْعَاشِقِ اَلدُّنْيَا مُوَاْفِيهَا
وَمِنْ مُسَاكِ مَوْتِي فِي دِيَارَتِهَا حِينَ وَلَا بُدَّ يَوْمًا اَنْ يُخْلِيهَا
اِلَى غَيْرِهَا اَلْمَسْنَا وَهُوَ وَاَرِثُ مَوْ تَاهَا حَلِيفُ هُمُومٍ غَيْرِ نَاجِيهَا

اذا لم اكن يوماً حليفاً عليكم
فن ذا القدي بدي يؤمل اللحم
خفيها هنيئاً وادكري فل ماجد
حراك على حرب الدواة بالس
واردف قتلأ اما واقه لو كان علي لما اعطاك منها شيئاً فقالت وهي ضاحكة لاواقه ولاورة
من مال المسلمين واهرقت وفي ناب معاوية ما فيه

(١) هذه نصائح سيدنا أمير المؤمنين كتبها السيدنا الحسن على ما قال الشريف الرضي وهو في موقعة
صدين وفي رأي انه كتبها له يوم ولادته أو بعد ذلك بقليل فانه جعل مطلبها الى بني عمر لا يزال في مقبيل
السر مع ان سيدنا الحسن كان في موقعة صفين في الثالثة والثلاثين من عمره وهاك هي :
من الوالد الثاني ، المتر ، لزامان ، الدبر ، السر ، المستلم ، الدهر ، الدائم ، الدنيا ، الساكن
مساكن الموتى ، الظاعن عنها غداً ، الى المولود المؤمل ما لا يدرك ، السالك سيل من قد هلك ،
غرض الاسقام ، وروينة الايام ، ورمية المصائب ، وعبد الدنيا ، وتاجر الفرور ، وغريم النايا ، وأسير
الموت ، وحاييف الهوم ، وقرين الاحزان ، ونصب الافات ، وصريح الشهوات ، وخليفة الاموات :

وَبَعْدُ يَا ابْنِي دُنْيَايَ لِمَذْبُورَةٍ صَنِيَتْ وَلِيَّيَ لَا أَزْجُو تَبَقِيهَا (١)
وَلَنْ أَخْرَجَنِي خَمًا لِمَقْبَلَةٍ عَلَيَّ إِنِّي بِلَا رَبِّ مَوَافِيهَا
وَلَنْ لِي شَاغِلًا عَنْ سِوَايَ بِنَفْسِي إِنِّي لِقَا رَبِّي أَهْبِيهَا
لَكِنْ رَأَيْتُكَ بَعْضِي مَا يَصْرُكَ يَوْمَ لَيْلِي الْمَضَرَّةُ أَبِيدُ أَنْ أَحَاشِيهَا
لِذَا عَنَانِي مِنْ إِصْلَاحِ فَسْكَ مَا مِنْ أَمْرِ نَفْسِي يُعْنِينِي لِأَهْنِيهَا
فَجِئْتُ أَسْئِدُكَ نَصْحًا تَسْتَعْفِي بِهِ إِذَا كَيْلُكَ قَدْ أَذْجَتْ دَوَاجِيهَا
سَيِّانٌ إِنْ ظَلَمْتُ حَبَابِي فِي جَوَارِكَ أَوْ رَحَلْتُ عَنْكَ إِلَى الْجَنَاتِ أَثْوِيهَا
أَوْ مِصِكَ يَاحْسَنِي أَنْ تَتَّقِي أَبَدًا بَارِيكَ قُبَّةَ بَرِّ النَّفْسِ نَاقِيهَا (٢)
وَأَنْ تُلَازِمَ مَا تُحِبُّ أَوْ أَمْرَهُ السُّفْرَا وَتَحْذَرَ أَفْصَالًا تَنَافِيهَا
وَأَنْ تُغَيِّرَ تَغْيِيرًا بِذِكْرِكُهُ السُّنْسَ الَّذِي هُوَ مُخْبِيهَا وَمُنْجِيهَا
وَأَنْ تُبَوِّغَهَا بِالزُّهْدِ تَأْلُفُهُ وَبِالْمَوَاعِظِ وَالْإِرْشَادِ تُخْبِيهَا
وَحَذَرَ النَّفْسِ مِنْ غَدْرِ الزَّمَانِ وَمِنْ صُرُوفِهِ عَلَيْهَا بِالْعَزْمِ تَغْيِيهَا
وَعُدَّهَا لِلْمَنَآيَا فَفِي مُسْرَعَةٍ بِأَقْرَبِ مَنْ سَبَقَتْهَا كَيْ تُلَاقِيهَا
وَلَا تَبِعْ يَافَدُكَ النَّفْسُ آخِرَةَ تَبْقَى بِزَائِلَةِ الدُّنْيَا قَشْرِهَا

(١) أمّا بعد ، فإنّ فيها تبيين من احوال الدنيا عني ، وجوهر الدهر عليّ ، واقبال الآخرة اليّ ، ما يرعي عن ذكر سواي ، والاهتمام بما وراني ، غير أنّي ، حيث تحرد بي دون موم الناس ، هم نفسي ، فصدفتني رأبي ، وصرفتني عن هواي ، وصرح لي بحس أسري ، فأفنى بي الى جنة لا يكون فيه لب ، وصدق لا يشوبه كذب ، وجدتك بعفي ، بل وجدتك كلي ، حتى كأنّ شيئاً لو أصابك أسابي ، وكأنّ الموت لو أتاك أتاني ، فنتاني من أسرك ، ما يبتغي من أسر نفسي ، فكسبت اليك كتابي مستظراً به ، ان أنا قيت لك أو فويت .

(٢) فإني أوصيك بتقوى الله ، أي بني ، ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله ، وأي سبب أوتيت من سبب بينك وبين الله ان أنت اخذت به ؟ أي قلبك بالموعظة ، وأمت بالزهادة ، وقوة باليقين ، ونوره بالحكمة ، وذكلك بذكر الموت ، وتورده بالفناء ، وبصره بطائم الدنيا ، وحذره صولة الدهر ، وحش قلب الليالي والايام ، وأعرض عليه أخبار الماضين ، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الاولين ، وسر في ديلهم وآثارهم ، فانظر فيها فلو ، وعم انتقلوا ، وأبين حلوا وتزلوا ، فانك تجدهم انتقلوا عن الأحبة ، وحلوا دار النرية ، وكأنك عن قليل قد صرت كاحدهم ، فأصلح مثواك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيها لا تعرف ،

دَعِ الْخُطَابَةَ إِلَّا إِنْ دُعِيتَ لَهَا وَلَا تَقُلْ قَوْلَهُ إِلَّا وَتَذَرْنَهَا
وَلَا تَسِرْ فِي طَرِيقِ أَنْتَ تَعْمَلُهَا لِتَأْمَنَ الْبَيْتَ فِي خَافِي مَآشِيهَا
وَكَُنْ لِقَوْمِكَ بِالْمَعْرُوفِ أَمْرَهَا وَعَنْ خَطَا الْمُنْكَرِ الْمَكْرُوهِ نَاهِيهَا (١)
فِي اللَّهِ جَاهِدْ وَلَا تَأْخُذْكَ لَوْمَةُ لَوْ أَمِ بِقَوْلِهِ حَقٌّ أَنْتَ حَاكِمُهَا
وَأَخْلَصَ لِرَبِّكَ فِي شَيْءٍ صَانِعُكَ الْحَسَنَاءُ وَكُنْ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ مُجْرِيهَا
لِلْحَقِّ خَضَّ غُرَاتِ الْحَرْبِ مُعْتَمِدًا عَلَى رِضَى اللَّهِ لَا تَرْهَبْ دَوَاهِيهَا
وَعَوِدِ النَّفْسِ صَبْرًا يَأْتِي عَلَى الْمَكْرُوهِ مِنْ نُوْبٍ صَغِيرٍ تَحَاشِيهَا
وَأَخْلَصَ لِرَبِّكَ فِي مَا أَنْتَ سَائِلُهُ مِنْهُ أَلْطَابًا وَمَا إِلَّاهُ يُعْطِيهَا
وَأَفْهَمَ وَصَايَايَ لَا تُهْمِلْ فَوَائِدَهَا وَلَا تَجُرْ إِنْ تُرِذْ خَيْرًا مَرَامِيهَا
بَنِي جِسْمِكَ عَنْ خَيْرٍ وَتَجَرِبَةٍ بِصَفْوَةِ النَّصِيحِ أَلْقِيهَا وَأَمْلِيهَا (٢)
وَأَنْتَ بَعْدُ قَمِي لَمْ تَقَسْ نَفْسُكَ عَنْ قُبُولِ قَوْلِهِ ذِي نَصِيحٍ يُؤْتِرْنَهَا
وَأَمَّا أَنْفُسُ الْأَطْفَالِ صَالِحَةٌ لِكُلِّ مَا تَلْقَى مِنْ مَفَاهِيهَا
فَاقْبَلْ عَلَى قَوْلِي إِقْبَالَ مُقْتَبِرٍ بِمَا اسْتَفَذْتَ مِنَ الْأَيَّامِ فَاسِيهَا

والخطاب فيها لم تكلف ، وأمسك عن طريقه إذا خفت ضلالتة ، فإن الكف عند حيرة الضلال ، خير من ركوب الأهوال .

(١) وأمر بالمعروف نكح من أهله ، وانكر المنكر يدك ولسانك ، وباين من فعله بمحمد ، وجاهد في الله حق جهاده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وخض الغمرات الحق حيث كان ، وفتح في الدين ، وعودت نفسك التصبر على المكروه ، ونم الخلق التصبر في الحق ، والحياء نفسك في أمورك كلها إلى الله ، فإنك تلجأ إلى حزم حريم ، ومانع عزيز ، وأخلص في المسألة لربك ، فإن يده المطاء والرحمان ، وأكثر الاستخارة ، وتهم وصيتي ، ولا تذهبن عنك صفحا ، فإن خير القول ما نفع ، وأعلم أنه لا خير في علم لا ينفع ، ولا ينفع بعلم لا يحق تعلمه .

(٢) أي بني ، أني لما رأيته قد بلغت سنا ، ورأيتني أزداد وهنا ، بادرت بوصيتي إليك ، وأوردت خصالا منها ، قبل أن يسجل في أحلي ، دون أن أقضي إليك بما في نفسي ، لو أن أنقص في رأيي ، كما قصت في جسمي ، أو يسبتي إليك بعض غلبات الهوى ، وهن الدنيا ، فتكون كالصعب الثور ، وإنما قلب الحدث ، كالارض الحالية ، ما أقي فيها من شيء قبلته ، فبادرتك بالادب قبل أن يسو قلبك ، ويستغل لك ، لتستقبل بجد رأيك من الامر ، ما قد كفك أهل التجارب بعينه ونجربته ، فتكون قد كتبت مؤونة الطلبة ، وعوقبت من علاج التجربة ، فأناك من ذلك ما قد كنا نأمله ، واستبان لك ما رما أظلم علينا منه .

فَتَسْتَبِينَ أُمُورًا كُنْتُ أَجْهَلُهَا
بُنَيَّ إِنْ لَمْ أُعَيِّرْ عَمْرَ مَنْ سَلَفَتْ
قَدْ نَظَرْتُ إِلَى شَيْءٍ فَمَا لَهَا
حَتَّى غَدَوْتُ كَأَنِّي يَنْسَهَا بَعْدَى
وَقَدْ عَرَفْتُ الَّذِي قَدْ سَاءَ مَا وَأَسْرَ
وَهَذَا لَكَ أَسْتَعْفِي خُلَاصَةً مَا
وَكُنْتُ أَرْغَبُ أَنْ أَتْلُو عَلَيْكَ ذُرُوءَ
لَكِنْ خَشِيتُ التَّيْسَاسَ فِي تَقَوُّهَا
وَكَمْ لَذَلِكَ مِنْ هَلَكَى بِمَا التَّبَسَّتْ
لِذَا كَتَمْتُ بِمَا فِيهِ النَّصِيحَةُ فِي
وَأَعْلَمُ بُنَيَّ أَحَبُّ الصَّالِحَاتِ إِلَيَّ
أَنْ تَقِي اللَّهَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَلَا

وَمَا أَمِنْتُ عِثَارًا مِنْ تَوَلِّيهِ
مِنَ الْخَلَائِقِ لَمْ أَجْهَلْ مَا تَبَيَّنَا (١)
وَإِنْ أَثَارَهَا قَدْ كُنْتُ قَارِيهَا
تِلْكَ الدُّهُورَ الَّتِي عَاشَتْ أُمَامِشِهَا
هَا وَمَا كَانَ يَنْهِنُهَا وَبُشُقِيهَا
يُقِيدُ مِنْ جَبَرٍ كَانَتْ تُلَاقِيهَا
سَاءَ فِي الشَّرِيفَةِ مَعَ تَأْوِيلِ خَافِيهَا
يَسْطُرُ عَلَى فَضِيكَ السَّمَحَا فَيُؤْذِنُهَا
مِنَ الْمَعَانِي عَلَيْهَا فِي تَلْقِيهَا
وَصِيَّتِي فَأَصِيخُ سَعَاءَ لِمُوسِمِهَا
وَأَلْتِي أَنْتَ مِنْ نَصِيحِي لَجَانِهَا (٢)
تَجْتَازُ فِيهَا فُرُوضًا كَانَ مُضْمِنُهَا

(١) أي بني ، اني وان لم أكن عمرتُ عمر من كان قبلي ، فقد نظرت في أعمالهم ، وفكرت في أخبارهم ، وسرت في آثارهم ، حتى غدت كأحدكم ، بل كأي ما انتهى إلي من أمورهم ، قد عمرت من أولهم إلى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفسه من ضرره ، فاستخلصت لك من كل أمر جليله ، وتوخيت لك جليله ، وصرفت عنك مجهوله ، ورأيت حيث عناني من أمرك ، ما يعني الوالد الشفيق ، وأجعت عليه من أدبك ، أن يكون ذلك واثقاً من قبل العمر ، ومقبل الدهر ، ذوقية سليمة ، ونفس صادقة ، وان ابتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله ، وشرائع الاسلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه ، لا اجاوز ذلك بك الى غيره ، ثم اشتقت ان تلتبس عليك بما اختلف الناس فيه ، من أهوائهم وآرائهم ، مثل الذي التبس عليهم ، فكان احكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له ، أحب الي من اسلامك الى الأمر ، لا آمن عليك به الهلكة ، ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك ، وأن يهديك لتصدق ، فهدت اليك وصيتي هذه .

(٢) واعلم يا بني ، أن أحب ما أنت آخذ به الي من وصيتي ، وهوى الله ، والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأخذ بما مضى عليه الاولون من آياتك ، والصالحون من أهل بيتك ، فبهم لم يدعوا ان ينظروا لانفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردوهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا ، والامساك عما لم يكتفوا ، من أبت عليك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا ، فليكن طلبك ذلك بتهم وتعلم ، لا بتورط الشبهات ، وعلت المحصومات ، وابداً قبل نظرك في ذلك ، بالاستماتة بالهلك ، والرغبة اليه في توفيقك ، وترك كل شائبة لولجك في شبهة ، أو اسلمتك

وَأَتَيْعَ خُلَى الْمَلْعَمِينَ أَلْ يَنْتَبِهُ فِي أَحْكَامِ رَبِّكَ لَا تَجْتَزِ مَنَا حِينَهَا
فَلَيْسَ بِهَا قَهَتْ أَمَى الْكِتَابِ وَلَمْ تَفَتْ رَغَابًا إِلَهُ الْفَرَشِ مَوْجِبَهَا
وَأَعْلَمَ بِأَنَّ الْبَرِيَاءَ اللَّهُ خَالِقَهَا سُبْحَانَهُ وَهُوَ بِالْتَّحْقِيقِ مُفْنِنَهَا (١)
وَهُوَ الَّذِي يَنْتَلِيهَا بِالْكَوَارِثِ خَسَمًا وَهُوَ عَنْ رَحْمَةٍ عَلِيًّا يَمُفْنِنَهَا
وَأَنَّ ذُنُوبَكَ ذِي لَمْ تَسْتَقِرَّ عَلَى حَالَاتِهَا مُشْلَمًا ذُو الرُّأْيِ يُفْنِنَهَا
إِلَّا بِدَرْتِهِ الْعَظْمَى وَرَغْبَتِهِ الْعَظْمَى لَيْسَ مَنْ يَذَرِي خَوَافِهَا
فَلَنْ رَأَيْتَ بِهَا مَا أَنْتَ جَاهِلُهُ مِنَ الشُّؤْنِ أَلَيْسَ الْإِشْكَالُ غَاشِيَهَا
قَدْ لَيْسَ بِهَا وَالْجَهْلَةُ تَضَحُّبُ أَلْفَتَى وَهُوَ مَا يَخْبَأُ مَدَانِهَا
وَكَمْ جَهْلَتْ أُمُورًا لَا عِدَادَ لَهَا ثُمَّ رَأَيْتُكَ يَا أَيْنَ الْوَدِّ تَذَرِيهَا
وَكُنْ بِرَبِّكَ يَا ابْنِي خَيْرَ مُقْتَصِمٍ فَهُوَ الْمُسَوِّبُكَ وَالْذَّنْبُ الْمُسَوِّبُهَا (٢)
وَمَا وَحَّكَ عَنْهُ مِثْلُ جَدِّكَ قَدْ أَنْبَأَ الْبَرِيَّةَ هَادٍ فَهُوَ هَادِيهَا
فَخَذَهُ رَأَيْدَكَ الْأَسَى وَقَائِدَكَ الْأَمَى عَلَى إِلَى الْجَنَّةِ الْخَضْرَاءِ لَتَاوِيهَا
وَأَعْلَمَ فَذُنُوبَكَ أَنَّ اللَّهَ مُفَرَّدٌ فَمَا لَهُ شُرَكَاءُ كَي تَوَاعِبُهَا (٣)

إلى ضلالة ، فإن أيقنت أن قد صفا قلبك بفتح ، وتم رأيك فاجتمع ، وكان همك في ذلك همًا واحدًا ،
فانظر فيما فسر لك ، وإن أنت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك ، وفراغ نظرك وفكرتك ، فأعلم
أنك تخطب المشواء ، وتتورط الظلمات ، وليس طالب الدين من خطب أو خلط ، والامساك من ذلك أمثل .
(١) فتعلم يا بني وصيتي ، واعلم أن ملك الموت هو مالك الحياة ، وأن الخالق هو المميت ،
وأن المقيت هو المميت ، وأن المبتلي هو الممالي ، وأن الدنيا لم تكن تستقر ، إلا على ما جعلها
عليه من التمام ، والالتزام الجزاء في الماد ، أو مانشاء مما لا تملك ، فإن اشكل عليك شيء من ذلك ،
فاحله على جهالتك ، فإنك أول ما خلقت به جاهلاً ، ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمر ،
ويجب فيه رأيك ، ويضل فيه بصرك ، ثم يصره بعد ذلك .

(٢) فاعلم يا بني ، ووزعتك وسوءك ، فليكن له تمديدك ، وإليه رغبتك ، ومنه
شفقتك ، واعلم يا بني ، أن أحداً لم ينبيء عن الله سبحانه ، كما أنبأ عنه جدك المصطفى صلى الله
عليه وآله ، فزنى به رائداً ، وإلى النجاة قائداً ، فني لم آك صمحا ، وإنك لن تبلغ في النظر
لنفسك وإن اجتهدت مبلغ نظري لك .

(٣) واعلم يا بني ، أنه لو كان لربك شريك لانتكسره ، ولرايت آثار ملكه وسلطانه ،
ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه اله واحد كما وصف نفسه ، لا يضاد في ملكه أحد ، ولا يزول

وَأَنَّهُ أَزْيَى لَا أَبْنَاءَ لَهُ وَلَا أَنْسِبَاءَ وَهُوَ مُبْدِي الْخَلْقِ مِنْهَا
وَذَاتُهُ مَا عَقُولُ النَّاسِ تُدْرِكُهَا وَلَا قُلُوبُهُمْ تُدْرِي مَعَانِيَهَا
وَلِنْ عَرَفْتَ كَذَلِكَ اللَّهَ جِئْتَ إِلَى عَلَيْهِ بِالطَّاعَةِ الْمَأْجُورِ مُسَوِّبًا
وَأَنْتَ لَوْلَاهُ فِي ضَعْفٍ وَفِي خَوَرٍ عَنْ كُلِّ رَغْبَةٍ نَفْسٌ رُمَتْ تَقْضِيهَا
وَرِهَتْ يَوْمَ التَّنَادِي مِنْ تَسْخَطِهِ وَمِنْ عَقُوبَتِهِ الْكَبْرَى تُلَاقِيهَا
فَلَا تَهْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا إِلَى حَسَنِ يَدْعُو الْعِبَادَ وَعَمَّا سَاءَ يُنْهِيهَا
بُنَيَّ أَنْبَاءُكَ الدُّنْيَا وَحَالَتِهَا وَكَمْ سَرِيعَ لِقَائِهَا تَلَاقِيهَا (١)
وَقَدْ تَطَرَّأَتْ لِلْآخِرَى وَبَنَاتِهَا وَمَا أُعِدَّ مِنَ الْبَارِي لِأَهْلِهَا
وَفِيهَا جِئْتَ بِالْأَمْثَالِ طَلِبُ فِيهَا الْعِبْرَةَ الْآلَمِ الْأَعْنَارِ جَانِبِهَا
وَأِنْ مِنْ خَبَرِ الدُّنْيَا لَيَعْرِفَنَّ أَنَّهُ إِلَى مَنْزِلٍ أَهْنَى مُخْلِيهَا
يَحْتَارُهَا وَهُوَ مُسْرُورٌ وَمُبْتَهَجٌ إِلَى دِيَارِهِ أَفْرَاحَ يُوَافِيهَا
وَمَنْ بِهَا أَغْتَرَّ يَحْشَى أَنْ يَفَارِقَهَا إِلَى دِيَارِ الشَّقَا بِالْكَرْهِ يَفُوتُهَا
أَحْسِبْ لِعَيْنِكَ يَا ابْنِي مَا تَحِبُّ لِنَفْسِكَ الْطَمُوعَةَ وَآخِذَ مِنْ تَشْبِهَا (٢)

أبداً ولم يزل ، أو قبل الأشياء بلا أولية ، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية ، عظم أن تثبت ربوبيته بأحاطة قلبه أو بصره ، فاذعرفت ذلك ، فأفضل كما ينبغي لمالك أن يغله في صفر خطر ، وقلة قدرته ، وكثرة مجرته ، وعظم حاجته إلى ربه ، في طلب طاعته ، والخشية من عقوبته ، والشفقة من تسخطه ، فانه لم بأمرك إلا بحسن ، ولم ينك إلا عن قبيح .

(١) يا بني ، قد أنبأتك عن الدنيا وحالها ، وزوالها وانتقالها ، وأنباتك عن الآخرة وما أعد لها ، وضربت لك فيها الامثال ، لتتبر بها ، وتحذو عليها ، انما مثل من خبر الدنيا ، كمثل قوم سفر ، نابههم منزل جديد ، قاموا منزلاً خصباً ، وجناباً مريماً ، فاحتلوا وعناه الطريق ، وفراق الصديق ، وخشونة السفر ، وحشوة المظلم ، لبأوا سمة دارهم ، ومنزل قرارهم ، فليس يحسبون لشيء من ذلك إلا ، ولا يرون نفقة فيه منفرما ، ولا شيء أحب اليهم مما قرء بهم من منزلهم ، وأدناهم إلى هملتهم ، ومثل من اغتر بها ، كمثل قوم كانوا بمنزل خصب ، فمباهم إلى منزل جديد ، فليس شيء أكره اليهم ، ولا أفضح عندهم ، من مفارقة ما كانوا فيه ، إلى ما يجعون عليه ، ويصبرون إليه .

(٢) يا بني ، اجعل نفسك ميزاناً ، فما بينك وبين غيرك ، فحسب لعينك ما تحب لنفسك ، وأكره له ما تكره لها . ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك ، واستجب من نفسك ما تستجبه من غيرك ، ولرض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم

وَلَا تَقُلْ غَيْرَ مَا قَدْ كُنْتَ عَارِفَهُ كَيْ لَا يُسْفِكَ السَّمْعُ تَسْفِيهَا
وَلَا تَكُنْ مُنْجِبًا وَلَا لَعُجْبٌ مُقَصَّةٌ بِالنَّفْسِ دَعَاكَ يَا ابْنِي الْكِبَرِ وَالْتِمِهَا
إِخْشَعْ لِرَبِّكَ إِنْ تَهْدَى لِقَصْدِكَ وَأَعْلَمْ أَنَّ نِعْمَكَ كَانَ اللَّهُ مُعْطِيهَا
وَأَعْلَمْ طَرِيقَكَ طَوْلَى وَالْمُسْقَى فِيهَا لَا تَهْوُنُ عَلَى مَنْ رَامَ بِمَشِيئَتِهَا (١)
وَأَحْسِنْ لَهَا الْأَوْزِيَادَ الْمُبْلَغَ الْأَرْبَابَ الْأَسْمَى وَعَدَّ مِنَ الْأَزْوَادِ كَافِيهَا
وَحَفِظْ الْحَمْلَ يَا ابْنِي عَنْكَ جَهْدُكَ حَسْبِي لَا تَخْوَزُ الْقَوَى عَنْهُ قِيُوهَا
وَإِنْ وَجَدْتَ أَنَا سَا عَنْكَ تَحِيلُهُ مِنَ الْغَفَاةِ الْآتَى بِرُ تَوَلَّيْهَا
فَاغْنِمْ مَعُونَتَهَا فِي الْمَخْفِئَةِ الْآمِ خَمَالٍ فِي الرُّحْلَةِ الْمُسْتَوْبِ بَاغِيهَا
وَأَنْتَ مِنْ بَعْلِهَا لَا بُدَّ تَبْلُغْ جَنَّةَ الرِّضَى أَوْ إِلَى الْبَتْرَانِ تَصْلِيهَا
وَأَعْلَمْ قَدَيْتُكَ مِنْ طَوْعًا لِرَاحَتِهِ خَزَائِنُ الْأَرْضِ وَالْجَنَاتِ مَا لِيهَا (٢)
قَدْ كَانَ مُؤَذِّنُكَ الرَّاضِي بِدَعْوَتِهِ وَقَدْ تَكْفَلُ عَطْفًا أَنْ يُلَبِّيَهَا
وَهُوَ الْمَوَامِرُ بِالْأَخْبَاتِ تَبَا لُهُ قَضَا حَوَائِجِكَ الشَّيْ لِيَقْضِيَهَا
وَأَنْ تَوَافِيهِ تَبْنِي فَيَضِ رَحْمَتِهِ وَهُوَ الرَّحْمُومُ بِلَا شَكٍّ لِيُسَدِّيَهَا
وَلَمْ يَقُمْ حَاجِبًا مِنْ دُونِ قُدْرَتِهِ يَزِيدُكَ عَنْهُ وَعَنْ رَجْوَاكَ يَزِيدُهَا

وَأَنْ قُلْ مَا قُلْتُ ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَحْجَابَ ضِدَّ الصَّوَابِ وَأَقَّةَ الْأَلْبَابِ ،
فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ ، وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِنَبْرِكَ ، وَإِذَا أَنْتَ هَدَيْتَ لِقَصْدِكَ ، فَكُنْ أَخْشَعُ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ .
(١) وَاعْلَمْ ، أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ ، وَمُسْتَقَى شَدِيدَةٍ ، وَأَنْتَ لَا غِنَاءَ بِكَ فِيهِ عَنْ
حَسَنِ الْإِرْتِيَادِ ، وَتَقْدِيرِ بِلَاغِكَ مِنَ الرَّادِ ، مَعَ خَفَةِ الطَّهْرِ ، فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ ،
فَيَكُونُ ثَقْلَ ذَلِكَ وَبَلَاءًا عَلَيْكَ ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ ، مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
فَيُؤَافِقُكَ بِهِ غَدًا ، حَيْثُ نَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، فَاعْتَنِمْ وَجْهَهُ إِلَيْهِ ، وَأَكْثَرُ مِنْ تَزْوِيدِهِ ، وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ ،
فَامْلِكْ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدْهُ ، وَاعْتَنِمْ مَنْ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ ، لِيَجْمَلَ قَضَاءُكَ لَكَ فِي يَوْمِ عَسْرَتِكَ ،
وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَثُورًا ، الْمُخَفِّ فِيهَا أَحْسَنُ مِنَ الْمَتَلِّ ، وَالْبَطِيءُ عَلَيْهَا ، أَنْ يَفْجَحَ حَالًا مِنَ
الْمَسْرَعِ ، وَأَنْ مَهْطَكَ بِهَا بِلَا عَاقِلَةٍ ، أَمَا عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ ، فَارْتَدُّ لِنَفْسِكَ قَبْلَ تَزْوَلُّكَ ، وَوُطْئِهِ
الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ ، فَلْيَسِّرْ بِمَدِّ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ ، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ .

(٢) وَاعْلَمْ ، أَنَّ الَّذِي يَدُهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، قَدْ أَذْنُكَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ ، وَتَكْفُلُ
لَكَ بِالْإِجَابَةِ ، وَأَمْرُكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ ، وَتُسْتَرْجَعُ لِرَجْحِكَ ، وَلَمْ يَجْمَلْ يَنْتَكِ وَيَبْنِيهِ مِنْ يَحْبُجِكَ
عَنْهُ ، وَلَمْ يَلْجِئِكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَمْنَحْكَ أَنْ تَسْأَلَ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَلَمْ يُلْجِئِكَ بِالْغَفَةِ ، وَلَمْ

وَلَا إِلَى الشُّعْمَا قَدْ كَانَ مُلْجِيكَ أَلرَّجِيْنُ إِنْ رُحْتَ بِالْأَمَالِ تُرْجِيْهَا
وَلِنْ أَسَاتَ فَلَمْ يَخْنُكَ يَا وَلَدِي مِنْ تَوْبَةٍ عَنْ خَطَايَا كُنْتَ مَخْطِيْهَا
وَلَمْ يَكُنْ مُعْجِلًا تَوْفِيْعَ قَعْمَتِهِ عَلَيْكَ فَاجْهَدْ بِلَا بَطْءٍ لِنَتِيْجَتِهَا
وَلَمْ يَكُنْ مُظْهِرًا يَوْمَ مَا فَضِيْحَتِكَ أَلْسُوْءِي إِذَا كُنْتَ بِأَلْتَعْجِيْلِ مُخْفِيْهَا
وَلَمْ يَدْعُكَ يَأْسٌ مِنْ مَرَاحِيهِ إِنْ رُحْتَ بِأَلْبِرِّ وَأَلْتَقْوَى تُرْجِيْهَا
بَلْ إِنَّهُ كَرَّمَ مَا قَدْ كَانَ تَوْبَتَكَ أَلْكُورَى مِنْ أَلْحَسَنَاتِ أَلزُّهْرِ مُخْصِيْهَا
وَأَلْسَيِّئَاتِ فُرَادَى كَانَ حَاسِبَهَا عَلَيْكَ إِنْ ثَبَتَ عَنْهَا فَهُوَ مَا حِيْهَا
وَحَاسِبُ أَلْحَسَنَاتِ أَلزُّهْرِ وَاحِدَةٌ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِنْ أَنْتَ تَأْتِيْهَا
إِنَّ أَنْتَ نَادَيْتَهُ لَا شَكَّ يَسْمَعُ أَوْ إِنْ كُنْتَ نَاجَيْتَهُ نَجْوَاكَ يَذَرِيْهَا
لَهُ هُوْمُكَ تَشْكُوْهَا فَيُفْرِجُهَا وَأَلْمُرُجِيَّاتِ أَلَّتِي تَذْهِي فَيُجْلِيْهَا
تَجِيْئَتُهُ طَالِبًا مِنْ فَضْلِهِ نَعْمًا مَا أَلْعِيْرُ يَمْلِكُهَا أَصْلًا يُؤَلِيْهَا
زِيَادَةُ أَلْعَمْرِ مَعَ رِزْقٍ وَعَافِيَةٍ مَنِ جَمِيعُ عِبَادِ أَللَّهِ تَبِيْهَا
تَنَالُهَا بِأَلدُّعَا فِي بَابِ رَحْمَتِهِ وَبِأَلصَّلَاةِ أَلَّتِي بِرَأ تَصْلِيْهَا
لَا تَيَاسِّنْ إِذَا أَرْجَا إِجَابَتَهُ عَلَيْكَ يَوْمًا وَقُلْ أَلْخَيْرِ يُرْجِيْهَا
فَرْبٌ مَسْأَلَةٍ فِيْهَا أَلْهَلَاكُ وَلَا تَذَرِي قَسْأَلَهَا جَهْلًا وَيُلْفِيْهَا

يفضحك حيث تمررت للفضيحة ، ولم يشدد عليك في قبول الانابة ، ولم يناقشك بالجرمة ، ولم يوثك من الرحمة ، بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة ، وحسب سيئتك واحدة ، وحسب حسنك عشرًا ، وفتح لك باب المتاب ، وباب الاستجاب ، فذا ناديت سمع نداك عواذًا ناجيته علم نجواك ، فافضيت اليه بحاجتك ، وأبنته ذات فلك ، وشكوت اليه هومك ، واستكشفته كرويك ، واستسته على أمورك ، وسألك من خزان رحته ما لا يقدر على اعطائه غيره ، من زيادة الاعمار ، وصحة الابدان ، وسمة الارزاق ، ثم جعل في يدك مفاتيح خزائنه ، بما اذن لك فيه من مسأله ، فتي شئت استفتحت بالدعاء ابواب نعمته ، واستطرت شأيب رحته ، فلا تقطنك ابطاء اجابته ، فان العطية على قدر النية ، وربما أخرت عنك الاجابة ، ليكون ذلك أعظم لأجر السائل ، واجزل لمطاء الآمل ، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه ، واوتيت خيراً منه طاجلاً أو آجلاً ، أو صرف عنك لما هو خير لك ، فغرب أمره قد طلبته فيه هلاك دينك لو اوتيته ، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جاله ، وبنى عنك وباله ، فالال لا يبقى لك ولا تبقى له .

سَلُهُ الرِّغَابَ الَّذِي بَقِيَ مَعَهَا
وَلَا تَحْجُ وَرَا الْأَمْوَالَ تَجْمَعُهَا
وَأَعْلَمْ حَيَاتِكَ يَا ابْنِي لِفَنَاءٍ
وَأَنْتَ يَا ابْنِي طَرِيدُ الْمَوْتِ فِي وَجَلٍ
لَكُنَّا الْمَوْتُ لَا تَنْجُو فَرَائِسُهُ
فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِنْ فَجْهِ هَجَمِهِ
أَكْثَرُنِي أَذْكَارُ الْمَوْتِ وَأَذْكَرُ الْأُخْرَى
لَا تَفْتَرِزْ بَيْنِي الدُّنْيَا وَخُدْعَتِهَا
فَاللَّهُ مُنْشِئُكَ عَنْهَا وَهِيَ نَاعِيَةٌ
وَأَنْظُرْ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الْقَلْبِ هِيَ قَدْ
وَأَهْلُهَا كِكَلَابِ الْهَيْجَةِ نَابِغَةٌ
يَهْرُ بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ وَيَأْكُلُ كُلُّ أَرْ
كَائِهِمْ نَعْمَ فِي الْأَرْضِ سَارِحَةٌ
بِهِمْ لَقَدْ سَلَكَتُمْ سُبُلَ الْفَوَايِدِ ذُنُوبُهُمْ فَمَا أَمِنُوا فِي سَبْرِهَا أَلَيْسَ
وَيْلٌ لَهُمُ الْهُوَ الدُّنْيَا وَقَدْ لَمِبَتْ بِهِمْ وَهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُسْتَشِينِينَ

(١) واعلم ، انك انما خلقت للأخرة لا للدنيا ، والنفاء للبقاء ، وللموت لالحياء ، وانك في منزل قلعة ، ودار بلمة ، وطريق الى الآخرة ، وأنت طريد الموت ، الذي لا ينجو منه هاربة ، ولا يفوته طالبه ، ولا بد أنه مدركه ، فكن منه على حذر أن يتركك وأنت على حاله سيئ ، قد كنت تحذث نفسك منها بالثوبة ، فيحول بينك وبين ذلك ، فإذا أنت قد اهلكت نفسك ، يا بني اكثرت من ذكر الموت ، وذكر ما يهجم عليه ، وتقضي بعد الموت اليه ، حتى باتيك وقد أخذت منه حذر ، وشددت له أذرك ، ولا باتيك بقتة فيبهرك ، وإياك أن تفتر بما ترى من اغلاد أهل الدنيا إليها ، وتكالهم عليها ، فقد نبأك الله عنها ، ونمت لك نفسها ، وتكشفت لك عن مساوئها ، فأما أهلها كلاب طارية ، وسباع ضارية ، يهر بضعها على بعض ، ويأكل عزيزها ذليلها ، ويهر كبيرها صغيرها ، نعم معلقة ، وأخرى مهملة ، قد أضلت عقولها ، وركبت جهولها ، وروح طاعتهم يواحد وعشر ، ليس لها راع يقيها ، ولا مسمير يسببها ، سلكتم هم الدنيا طريق الدمي ، وأخذت باصبارهم عن منار الهدى ، فقاموا في حيرتها ، وغرقوا في نعمتها ، وانخدعوا رباً ، فغلبت بهم ولبوا بها ، ونسوا ما وراءها عروياً يسفر الظلام ، كأن قد وردت الأنظار ، يوشك من اسرع ان يلحق .

وَقَدْ نَسُوا مَا وَرَآهَا لَا أَبَا لَهُمْ كَلَّهْمُ أَمِنُوا طُولَ الْيَتَامَى فِيهَا
وَأَعْلَمُ فَدَيْنُكَ يَا ابْنِي مِنْ مِطْيَةِ زَمَانِهِ نَهْرُهُ تَمْلُو كِلَابِلَيْهَا (١)
بِهِ يُسَارُّ وَلَا يَدْرِي وَيَخِيبُ جَمَلًا أَنْ رَحَلْتَهُ مَا أَلْهَرُّ مُتَمِئِنَا
وَأَعْلَمُ يَقِينًا بَأَنَّ النَّاسَ قَدْ طُوبِتَ وَسَوْفَ يَطْوِيكَ مَنْ قَدْ كَانَ طَاوِنَا
لَنْ تَعْدُوا إِلَّا أَجَلَ الْمَحْدُودِ ثَانِيَةً وَلَنْ تَقُوزَ بِأَمَالِ تَوَخِينَا
فَخَفِيفِ الْطَلَبِ الْمُضْئِي الْمَكْتَسِبِ يَجْرُ جَرًّا مِنَ الْأَرْزَاءِ قَاسِينَا
مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْأَرْزَاقَ نَائِلُهَا مَا كُلُّ مَنْ أَجَلَ الْمَسْعَى لِقَطْعِينَا
وَأَرَبًا بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْغَى مَهَانَتَهَا لِنَيْلِ مَا قَدْ تَعَاصَى مِنْ أَمَانِينَا
وَاللَّهُ سَوَّاكَ حُرًّا لَا تَكُنْ أَبَدًا عَبْدًا لِقَيْرِكَ فِي رُغْبَى تَرْجِينَا
لَا تَتْرِكْ نِعْمَةَ الْقَيْرِ فَاصِلَةً مَا بَيْنَ نَفْسِكَ وَالرَّحْمَنِ بَارِينَا
وَنِعْمَةُ اللَّهِ مَا قُلْتَ لِأَعْظَمُ مِنْ نَعْمَى خَلَقِيهِ الْكَثْرَى تَوَدِّعِينَا
وَإِنْ تَكُنْ نِعَمَ الذَّنْبِ بِجَمَلَتِهَا مِنْ قَيْضِ إِحْسَانِهِ لِلنَّاسِ مَقْلَعِينَا
وَلَا زِمِ الصَّنْتَ لَا تَنْطِقْ بِغَيْرِ تَرِ وَ إِنْ تَجَالِسَ أَصْحَابًا تَفَاهِينَا (٢)
فَالصَّنْتُ سَهْلٌ تَلَا فِي ضَرِّهِ وَلَقَوْ لَهْ تَضُرُّكَ مَا سَهْلٌ تَلَا فِيهَا
وَحِفْظُ مَا أَنْتَ قَائِمٌ لَأَهْوَنُ مِنْ سَأَلِكِ النَّاسَ عَمَّا فِي أَيَادِيهَا
وَأَلْيَأْسُ مِنْ رَغْبَاتِ أَنْتَ رَاغِبُهَا أَحَقُّ مِنْ أَنْ لِي ذِي الشَّحْرِ تَرْجِينَا

(١) واعلم يا بني أن من كانت مِطْيَتُهُ الليل والنهار ، فإنه يسار به وإن كان واقفاً ، وقطع المسافة وإن كان مقبياً ، وادعاً ، واعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملاكه ، ولن تصوم أجلك ، وإنك في سبيل من كان قبلك ، تخفى في الطلب ، وأجل في المكتسب ، فإنه وب طلب قد حر إلى حرب ، وليس كل طالب بمرزوق ، ولا كل مجمل بمحروم ، وأكرم نفسك عن كل دنية ، وإن ساقطت إلى الرغائب ، فإنه لن تنافس بما تبذل من نفسك عوضاً ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعل الله حرّاً ما عجز وما خبر خير لا ينال إلا بشر ، ويسر لا ينال إلا بسر ، وإياك أن توجب بك مطايا الطمع ، فتورثك مناهل الهلكة ، وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة ، فقل ، فإنه مدرك من قسمك ، وأخذ سهمك ، وإن اليسير من الله سبحانه ، أعظم وأكرم من الكثير من خلقه ، وإن كان كل منه . (٢) وتلافيك ما فرط من صمتك ، أيسر من إدراكك ما فات من منطقك ، ودهن ما في الوعاء يشد الوعاء ، وحفظ ما في يديك أحب إلي من نظرك إلى ما في يدي غيرك ، ومراعاة اليأس ، خير من الطلب إلى الناس ،

وَإِنْ مَتَرَبَّةٌ مِمَّهَا الْغَفَّاءُ لَخَبِيرَةٌ مِنْ عَنَى فَجَرَةٍ تُخْرِجِي مَوَافِيهَا
وَلَيْتُمَا الْمَرَّةَ أُخْرَى أَنْ يَصُونَنَّ عَنْ الْإِمْ خَوَانِ أَسْرَارُهُ مَا رَامَ يُخْفِيهَا
وَرُبُّ سَاعٍ مُجْدٍ فِي مَضَرَّتِهِ فَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ أَنْ يُحَاشِيَهَا
وَمَكْثَرُ الْقَوْلِ نَالُ الْهَجْرِ مَنْطِقُهُ فَأَقْصَدُ إِذَا كُنْتُ فِي قَوْمٍ تُنَادِيهَا
وَمَنْ يُكْثِرُ زِيَارَاتِ الصَّحَابِ فَلَا يَدْعُ إِذَا لَقِيْتَهُ فِي تَجَافِيهَا
بَابِنِ ذَوِي الشَّرِّ حَازِرًا أَنْ تُشَاكِلَهُمْ هَا فِي حَقَائِقِهَا مِنْ قَبْلِ يَأْتِيهَا
وَبَشِ الْأَطِمَةِ الْإِنْسَانِ مَا حَرَمَتْ وَقَارِنِ الصَّلَاحِ تُصْبِحُ مُحَاكِهَا
وَالرَّفِيقُ يُحَدِّثُ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ بَلْ وَالْوَيْلُ مُتَّبِعٌ مَوْتَى مُحَلِّهَا
وَرُبُّ دَاءٍ شَقِيٍّ دَاءٌ مُنِيَّتُ بِهِ وَظَلَمُ الْفُحْشِ وَلَكِنْ كَانَ أَفْحَشُهُ
وَرُبُّ قَوْلَةٍ ذِي مَكْرٍ نُصِيحَتِ بِهَا فِي الشَّدَةِ الْخُذْ أَحْيَانًا لِمُجَرِّهَا
وَالْإِتْكَالُ عَلَى الْأَمَالِ مُتَجَرِّأَلِ حَقُّى وَتَجَرَّبَهَا الْخُسْرَانُ نَالِيهَا
إِنَّ التَّجَارِبَ قَدْ نُوْنِي الْحَكِيمَ مَوَا عِظًا بِهَا يَنْتَبِي الْأَخْطَارَ يُجَلِّهَا
وَلَنْ تُضَيِّعَ فُرْصَةً لِلْخَيْرِ سَانِحَةً تُصْبِحُ بَغْضَةً مِنْ رَاوَا مُضْيِعِيهَا
مَا كُلُّ مُبْتَعِدٍ يَوْمًا يُؤْوِبُ وَلَا كُلُّ الْمَطَالِبِ يُلْفِيهَا مُرَجِّهَا
إِضَاعَةُ الزَّادِ مَعَ شَرِّ الْمَعَادِفِ دُ لِلْعِبَادِ وَخَيْرُ النَّاسِ نَاقِيهَا
لِكُلِّ أَمْرٍ إِذَا فَكَّرْتَ عَاقِبَةً فَلَا تَمَالِجْ أُمُورًا كُنْتَ خَاشِيَهَا
لَا تُحِلِّ النَّفْسَ جُهْدًا فَوْقَ طَاقَتِهَا فَكُلُّ مَا كَانَ مَقْدُورًا لِيَأْتِيَهَا

والحرفة مع الفة خير من الفنى مع التجور ، والمرء احفظ لمرء ، ورب ساع فيما يضره ، من
أكثر أهرج ، ومن تفكر تبصر ، قرن أهل الخير تكن منهم ، وبابن أهل الشر تبين عنهم ، بش
الطعام الحرام ، ظلم الضيف أغش الظلم ، اذا كان الرفق خرقا كان الحرق رها ، ربما كان
الدواء داء والداء دواء ، ربما نصح غير الناصح وغشى المستنصح ، اياك والانتكال على المنى
فإنها بضائع النوى ، والمقل حفظ التجارب ، وخير ما جربت ما وعظك ، بادر الفرصة قبل أن تكون

وَلِلتِّجَارَةِ أَخْطَارٌ وَرُبَّ قَوٍّ
لَا خَيْرَ فِي عَوْنِ مَرءٍ مَعَ إِهَاتِهِ
أَوْ فِي صِدَاقَةِ إِخْوَانٍ يَسُوهُ بَيْنَ
وَسَاهِلِ الدَّهْرِ مَا ذَلَّتْ شَوَامِسُهُ
وَلَا تُخَاطِرُ بِأَشْيَاءَ ظَفَرَتْ بِهَا
وَلَا تَلُجُ عِنَادًا لِلْجَاجِ مَطَا
وَأَحْمِلْ صِحَابَكَ إِنْ صَدَّتْ عَلَى صَلَةٍ
إِنْ أَخْطَأْتَ لَكَ كُنْ بِالْجِلْمِ عَازِرَهَا
وَكُنْ كَأَنَّكَ عَبْدٌ فِي آلِوَلَاءِ لَهَا
وَأَحْذَرْ فِعَالِكَ ذِي يَوْمٍ تَضَيِّعُهَا
لَا تَتَخَذَ مِنْ بُعَادِي صَدِيقًا إِخْوَانًا
وَأَمْنُضْ نَعَائِكَ الْإِخْوَانِ إِنْ وَفِيَّ الْوَدَّ يُضَحِّكُهَا صِدْقًا وَيُبْكِيهَا
تَجَرَّعَ الْغَيْظَ وَأَعْلَمَ أَنَّ جُرْعَتَهُ
وَكُنْ لِمَنْ لَكَ قَدْ لَاقَى بِغَلْظَتِهِ
بَادِرٌ عِدَاتَكَ بِالْحُسْنَى فَتَقَهَّرَهَا
وَأِنْ قَطَعْتَ أَخَا فَلْتَسْبِقْ نَفْسُكَ مَوًّا
وَمَنْ بِشَخْصِكَ ظَنَّ الْخَيْرَ ظَنَّتُهُ

قصة ، ليس كل طالب يصيب ، ما كل عائب يشوب ، من الفساد ابتاعة الراد ، ومفيدة المباد ، لكل أمر عاقبة ، سوف يأتيك ما قدر لك ، التاجر مخاطر ، ورب يسير أمني من كثير .
(١) لا خير في معين مهين ، ولا في صديق خذيل ، سهل الدهر ما ذل لك تعود ، ولا تخاطر بشيء رجا ، الاكثر منه ، اياك ان تجمع لك مطية اللجاج ، احمل نفسك من أخيك عند حرصه على الصلة ، وعند صدوده على اللطف والمقاربة ، وعند جوده على البذل ، وعند باعده على الدنو ، وعند شدته على اللين ، وعند حرمة على المنز ، حتى كأنك له عبد ، وكأنه ذو قوة عليك ، واياك ان تضع ذلك في غير موضعه ، أو ان تقطعه بغير أهله ، لا تتخذ عدو صديقك صديقاً فتبادي صديقك ، وبعض أهلك النصيحة ، حسنة كانت أو قبيحة ، وتجرع الميظ ، فاني لم

وَلَا تُضَيِّعْ حَقُوقَ الصَّعْبِ مُتَكِلًا ۖ عَلَىٰ مَوَدَّتِهَا بَلَّ كُنَّ مُوقِرَتِهَا
وَكُنْ لِأَهْلِكَ مُمْنِيهَا وَمُسْنِدُهَا ۖ أَوَّلًا فَتَشْفَىٰ بِهَا جَمَلًا وَتَشْفِيهَا
مَنْ عَنكَ يَزْهَدُ لَا تَرْغَبُ بِهِ أَبَدًا ۖ خِلَا ۖ وَصُحْبَتُهُ فَاقْطَعْ أَوَاحِيَهَا
وَكُنْ عَلَىٰ صَلَوةِ الْأَصْحَابِ أَقْدَرُ مِنْهَا فِي أَقْطِيفَةِ إِنْ هَمَّتْ لِتَأْتِيَهَا
وَكُنْ عَلَىٰ الْخَيْرِ أَقْوَىٰ مِنْ مُبَادَاةِ الْأَصْحَابِ بِالشَّرِّ كُنْ خَيْرًا مُبَادِرَتِهَا
لَا يَكْبُرُونَ عَلَيْكَ أَظْلَمَ ۖ فَالْظُّلْمَا ۖ تَسْعَىٰ لِنَفْعِكَ وَالْأَضْرَارُ تَجْنِيهَا
وَلَا تَسُوْ أَنْفُسًا سَرَّكَ يَارَ لَدِي ۖ حَاشَاكَ أَنْ تَكُ بِالسُّوَىٰ مُجَازِيَهَا
وَالرِّزْقُ رِزْقَانِ رِزْقُ أَنْتَ تَطْلُبُهُ ۖ تُضَيِّعُ خَطَاكَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُعْجِبُهَا (١)
وَأَخْرَجَ دُونَ سَعَىٰ مِنْكَ تَطْلُبُهُ ۖ يَأْتِي دِيَارَكَ بِالتَّوْفِيقِ يَتَوْنَهَا
أَقْبَحُ بِدِي حَاجَةٍ يُبْدِي تَلْفُفُهُ ۖ لَهَا وَيَخْشَنُ إِمَّا رَاحَ قَاضِيَهَا
وغيرُ مَا يَصْلُحُ الْمُسَوَىٰ وَحَقَّ مَا لِلْمَرْءِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
وَأِنْ جَزَعْتَ عَلَىٰ مَا قَدْ تَقَلَّتْ مِنْ يَدَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ قَدْ كُنْتَ تَقْنِيهَا
فَاجْزَعْ عَلَىٰ كُلِّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ نِعَمٍ ۖ إِلَيْكَ مَا وَصَلْتَ قَالَتْ نَفْسُ تَقْبِيهَا
إِنَّ الْأُمُورَ لِأَشْبَاهَ فَحَاضِرُهَا ۖ قِسُهُ إِذَا كُنْتَ ذَارِئِي بِمَا ضِيَهَا
وَلَا تَكُنْ مِنْ أَنَاسٍ لَيْسَ بِنَفْعِهَا ۖ وَعَظُّ إِذَا لَمْ تَقْرَعْ مِنْ مِلِيْنِيهَا
قَدُّو الْمَدَارِكَ بِالْأَدَابِ مُتَعَطِّ ۖ أَمَّا الْبَهَائِمُ فَالضَّرْبُ الْمُرَبِّيَهَا

أَرَجَعَةً أَهْلِي مِنْهَا عَاقِبَةً ۖ وَلَا أَلَدٌ مِّنْهُ ۖ وَلَنْ لَّنْ غَالِظُكَ ۖ وَنَهْ يَوْشَكَ إِنْ يَبْلُغْ لَكَ ۖ
وَحَدَّ عَلَىٰ عِبَادِكَ بِالْفَضْلِ وَنَهْ أَحَدُ الظُّفَرَيْنِ ۖ وَإِنْ أَرَدْتَ قِطْعَةَ أَخِيكَ ۖ فَاسْبِقْ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةَ
يَرْجِعُ إِلَيْهَا ۖ إِنْ بَدَأَ لَهُ ذَلِكَ يَوْمًا ۖ وَمَنْ ظَنَّ لَكَ خَيْرًا فَصَدِّقْ طَنَهُ ۖ وَلَا تُضَيِّعْ حَقَّ أَخِيكَ
اتِّكَالًا عَلَىٰ مَا يَدِيكَ وَبَيْنَهُ ۖ فَهُوَ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مِنْ أَصْحَابِ حَقِّهِ ۖ وَلَا يَكُنْ أَهْلَكَ اشْتَقَىٰ الْخَلْقُ بِكَ ۖ
وَلَا تَرْغِبْ فِيمَنْ زَهَدَ عَنْكَ ۖ وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَىٰ عَلَىٰ قِطْعَتِكَ مِنْكَ عَلَىٰ صِلَتِهِ ۖ وَلَا يَكُونَنَّ
عَلَىٰ الْإِسَاءَةِ أَوْسَىٰ مِنْكَ عَلَىٰ الْإِحْسَانِ ۖ وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ ۖ وَهَذَا يَسْمَىٰ فِي مَضَرَّتِهِ
وَتَقْلَقُ ۖ وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوْهُ .

(١) وَاعْلَمْ يَا بَنِيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ ۖ رِزْقُ تَطْلُبُهُ وَرِزْقُ يَطْلُبُكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ ۖ
مَا أَقْبَحُ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ ۖ وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْفَنَىٰ ۖ إِنْ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَحْكَمْتَ بِهِ مِثْلَكَ ۖ
وَإِنْ جَزَعْتَ عَلَىٰ مَا قَلَّتْ مِنْ يَدَيْكَ ۖ فَاجْزَعْ عَلَىٰ كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ ۖ اسْتَدْلُ عَلَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا

سَرَّحَهُمْ مَكَاتِ الْعَصْرِ الْجَبِيلِ وَالسَّيِّئِينَ بِاللَّهِ وَالْأَفْئَادُ تُجْلِبُهَا
 مَنْ يَتْرُكُ الْقَصْدَ فِي أَعْمَالِهِ فَقُلْ أَلَا مَقْدَارٌ قَدْ تَبَيَّنَ فِي دِيَارِهَا
 وَصَاصِبُ الْمَرْءِ أُخْرَى أَنْ يُنَاسِبَهُ فَانْظُرْ حَقِيقَةَ أَصْحَابِ تَوَاجِبِهَا
 مَنْ كَانَ يَصْدُقُ فِي أَلْمِيبِ الصَّدِيقِ قَدْ أَلْصَقَ صُحْبَتُهُ ذُو الرَأْيِ يَنْفِيهَا
 إِنَّ الْهَوَى لَشَرِّكَ لِمَعْنَى وَأَخُوهُ مَا هِدَايَتُهُ تَأَلَّهُ رَائِبِهَا
 وَرَبُّ مُبْتَدِعِ أَذَى لِفَنِكَ مَنْ دَانَ إِلَيْهَا وَلَكِنْ لَا يُهَاوِيهَا
 وَمَا الْغَرِيبُ غَرِيبُ الدَّارِ نَازِحُهَا لَكِنَّ مَنْ مَالَهُ صَعْبُ يُوَالِيهَا
 مَنْ جَاوَزَ الْحَقَّ قُلْ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ يَوْجُهُ لَيْسَ يَذَرِي كَيْفَ يَنْشِئُهَا
 وَمَنْ عَلَى قَدَرِهِ قَدْ بَاتَ مُقْتَصِرًا فَمَا الْمَصَاصِبُ تُشْقِيهِ فَوَاجِبِهَا
 وَخَيْرٌ مَنْ تَرْتَجَى يَوْمًا مَعُونَتُهُ هُوَ الْمُهَيِّجِينَ كُنْ مِنْهُ مُوَحِّبِهَا
 مَنْ لَمْ يُبَالِكْ إِنْ كُنْتَ أَلَمِيرًا قَدْ أَلَمِ الْيَأْسُ قَدْ كَانُوا إِذَا تَبِعَ الْهَلَاكُ أَطْمَاعَ يَرْجِبِهَا
 لَيْسَتْ غُيُوبُ الْعَدَى تَبْدُو بِأَجْمَعِهَا لَعَيْنُ مَنْ رَامَ يَغْرُوهَا وَيُرْدِبِهَا
 وَلَا تُصَابُ إِذَا بَادَرَتْهَا فُرْصُ الْخَيْرَاتِ طَرَأَ فَلَا تَحْزَنُ لِخَالِهَا
 وَرَبِّمَا بَلَغَ الْأَعْنَى مَقَاصِدُهُ دُونَ الْبَصِيرِ الَّذِي قَدْ كَانَ رَائِبِهَا
 لَا تَعْجَلَنَّ بِشُرُورِ أَنْتَ رَاغِبِهَا قَدْ يَكُونُ صَوَابًا أَنْ تُؤْنِسِهَا
 قَطِيعَةُ الْجَاهِلِ الْمَغْرُورِ تَمْلِكُ إِنْ تَرَشَّدَ مُوَاصِلَةَ الذَّاكِرِ وَتَحْكِمِهَا
 مَنْ يَأْمَنُ اللَّغْوَ فَلْيَنْظُرْ خِيَاتَتَهُ وَمَنْ يَعْظُمُهُ يَلْقَى الْهَوْنَ تَجْرِبِهَا

كان ، ولا تكون من لانتفه العظة الا اذا بالفت في ايلامه ، ذن العائل يمتط بالاداب ،
 واليهام لانتط الا بالضرب ، اطرح عنك واردات الهوم ، بزام الصبر وحسن اليقين ، من
 ترك القصد جار ، والصاحب مناسب ، والصدق غيبه ، والهوى شرك الدناء . رب
 قريب أبعد من بعيد . ورب بعيد أقرب من قريب . والغريب من لم يكن له حبيب . من تعدى
 الحق ضاق مذهبه . ومن اتصر على قدره كان أبغى له . وأوتى سبب اخذت به ، سبب بينك ومن
 الله سبحانه ، ومن لم يبالك فهو عدوك ، قد يكون اليأس ادراكا ، اذا كان الطمع هلاكا ،
 ليس كل عودٍ تظهر ، ولا كل فرصة تصاب ، وربما أخطأ البصير قصده ، وأصاب اللاعي ورشده ،

مَا كُلُّ رَمِيَةٍ رَامَ قَدْ تَصَيَّبُ وَكَمْ
إِذَا تَغَيَّرَ سُلْطَانٌ تَغَيَّرَتِ الْأَمَامُ فِي أَهْلِهَا مَا دَامَ حَامِيهَا
سَلَّ عَنْ رَفِيقِكَ مِنْ قَبْلِ الطَّرِيقِ وَقَبْلَ الدَّارِ عَنْ جَبَرَةِ تَثْوِي نَوَاحِيهَا
لَا تَذْكُرَنَّ مِنَ الْأَقْوَالِ مُضْجِكُهَا وَلَوْ عَنْ الْغَيْرِ قَدْ أَمْسَيْتَ رَاوِيَهَا (١)
وَاحْذَرِ مَشَاوِرَةَ الْبَنَاتِ الْمُجْتَنِبِ أَرَءَاهُنَّ فَإِنَّ الْأَفْنَ تَالِيَهَا
وَكَفَّ أَبْصَارَهُنَّ بِالْحِجَابِ وَحِينَ دِيَارَهُنَّ عَنِ الْأَغْيَارِ تَابِتِيهَا
إِنَّ الْبَنَاتِ رِيَاحِيْنَ وَلَيْسَ بِهِنَّ الْقَهْرَ مَانَةً فَالْأَخْطَارُ تَقْبِيهَا
وَاحْذَرِ مُفَايِرَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا مَا يَنْهَنُ يَلِيهَا الشَّرُّ تَلْقِيهَا
وَاجْعَلِ لِكُلِّ مِنَ الْخُدَامِ عِنْدَكَ أَعْمَالًا مُنْصَصَةً لَا يَدْ بُجْرِيهَا
بِذَلِكَ تَأْمَنُ مِنْ مُؤْذِي تَوَاطُلِهَا بِمَا يُنَاطُ بِهَا أَوْ مِنْ تَوَانِيهَا
أَكْرَمِ عَشِيرَتِكَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ لَا تَعْلُو وَتُكْرَمُ إِلَّا فِي تَعَالِيهَا
فَهِيَ الْجَنَاحُ بِهِ فِي أَفْقِ سُوْدُوكَ الْأَمَامُ سَمَى تَطِيرُ إِلَى الْعُلْيَا تَذَانِيهَا
وَهِيَ الْأَصُولُ الَّتِي مِنْهَا نَشَأَتْ وَمَا تَعْلُو تَصِيرُ إِلَيْهَا لَا تُنَاوِيهَا
وَهِيَ الْيَمِينُ الَّتِي تَسْطُو بِهَا وَتَصُو لُ إِنْ دَهَكَ مِنَ الْأَرْزَاءِ دَاهِيهَا
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ رَبَّ الْأَعْرَاشِ دِينَكَ مَعَ دُنْيَاكَ ذِي بَغْيِي لِلَّهِ أُسْلِيهَا

أَخْرَجَ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَجْعَلُهُ وَقُطِيْعَةُ الْجَاهِلِ ، تَعْدِلُ صِلَةُ الْمَائِلِ ، مِنْ أَمَنِ الزَّمَانِ خَانَهُ ،
وَمِنْ أَعْظَمِهِ أَهَانَهُ ، لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ ، إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ ، سَلَّ عَنْ الرَّفِيقِ قَبْلَ
الطَّرِيقِ ، وَعَنْ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ .

(١) إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْجِكًا ، وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ ، وَإِيَّاكَ
وَمَشَاوِرَةَ النِّسَاءِ ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ ، وَعِزَّهُنَّ إِلَى وَهْنٍ ، وَكَفَّ عَيْنَهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحُجَابِ
إِيَّاهُنَّ ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَتَمَّتْ عَيْنَهُنَّ ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِإِشْدَادٍ مِنْ إِدْخَالِكَ مِنْ لَا يَوْقِي بِهِ
عَلَيْهِنَّ ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَمُرَّ غَيْرُكَ فَاضِلٌ ، وَلَا تَهْلِكُ الْمَرْأَةُ مِنْ أَسْرَاهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا ،
فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ ، وَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا ، وَلَا تَطْمَئِنُّ بِأَنْ تَتَفَعَّلَ بِغَيْرِهَا ،
وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيْحَةَ إِلَى السُّقْمِ ، وَالْوَرِيْثَةَ إِلَى الرَّبِّ ، وَاجْعَلِ
لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خِدْمَتِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ ، فَهَذَا آخَرُ أَنْ لَا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ ، وَكَرَمِ عَشِيرَتِكَ ،
فَانْهَيْهُمْ عَنْ خِدْمَتِكَ الَّتِي بِهَا تَطِيرُ ، وَأَصْلِكَ الَّتِي إِلَيْهَا تَصِيرُ ، وَبِذَلِكَ الْوَلِيٍّ مَا تَصُولُ ، اسْتَوْدِعْ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ ،
وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ ، فِي الْمَاجِلَةِ وَالْآخِلَةِ ، وَالسَّلَامُ .

مقتبسات من حكم أمير المؤمنين (١)

« قليل الظماء خير من الحرمان »

وَاقْبَلِ إِلَى الْبَصْرَةِ أَلْفَنًا الْمَعْرُومِينَ فِي لَيْلَةٍ عَمَّتْ تَهَاوِينَهَا (٢)
وَكُنْتُ مَا بَيْنَ مَنْ حَوْلَهُ مِنْ شَعْرًا ۝ الْقُرْبُ بِصْرِهَا الدَّائِي وَكَوْنُهَا
فَأَقْبَلَتْ شَعْرَاءُ الْقَوْمِ تَنْشُدُ فِي عِلَافٍ كُلُّ بَدِيعٍ مِنْ قَوَائِمِهَا
فَكَانَ بَارِكُ رَبِّي فِي مَكَارِمِهِ يُجِيزُ مُنْشِدَهَا الشَّادِي وَرَاوِيهَا
يُسْطِي الْكَثِيرَ وَلَا يَنْفَكُ مُعْتَدِرًا بِقَوْلِهِ الْمُرْتَضَى يَرْوِي مَعَانِيهَا
يَقُولُ: لَا تَكْ فِي بَذْلِ الْعَطَاءِ حَيْبًا مَا يَحُلُّ فَخِيرُ النَّاسِ سَاخِيهَا

(١) إن الحكمة لأثورة عن سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله فهو ولا جدال سيد الحكماء وعنه تروى الحكمة في مواطن السراء والفرء وقد وردت الحكمة على لسانه الشرف في كثير من رسائله وخطبه وأقواله حتى قالوا إنه كان ينطق بالحكمة في كل موطن أقام فيه ويجلس جلسه وموقف وقفه بل كانت جميع أقواله الشريفة وأعماله المنيفة حكماً مأثورة منبثقة عن توقد ذكاهوسة تجربة واختيار ولتد جمع الشرف الرضي بعض هاتيك الحكم في آخر كتاب نهج البلاغة فكانت حلية في الآداب ملاي بما يبدد خطي الناس إلى الرشد والصواب وقد اقتبسنا بعضها فنظمناها حلية لجيد علوقتنا المباركة والأمل أن تتم تودتها ونحس على القراء الاقيامها تودتها وبالله المستعان (٢) عند ما شرعنا باقتباس الحكمة عن سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله اخذنا ندرسها وتبصر في مآنها العالية حكمة بد حكمت حتى وصلنا إلى قوله الشريف « لا تستع من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه » تلونا هذه الحكمة وذكرنا في الحال عظمة مولانا من السلطنة الردار أرفع الشيخ خزعل خال آدم الله شريف وجوده مدى الدوران ذنه على سخائه المهود وعطائه الحم المشهود يولي عوافيه العطايا بدعاء ويتنثر على كثرتها بقلتها متملاً بقول سيد الحكماء واذكراني سمعنا من فقه الشريف لأول مرة في شتاء سنة ١٩١١ مسيجة حيث كنت في خدمة ذاته السنية فصحبني معه إلى البصرة في مساء يوم دعي فيه إلى حفلة حافظه أقامها كرام البصريين لمظمتهم الملوكية شكرأ له على ما تبه الطبية لخير بلدهم واذ سمع شعراء المراق تلك الحفلة اقبلوا زرافات إليها وهم يحملون إليه قصائدهم فلما بلغنا موضع الاحتفال في العثار وتزلنا الدار التي كانت موزانة بالاعلام والالوان مدت ابسطه الطعام فاكلنا هنيئاً مريئاً ثم جلس عظمة مولانا في صدر المجلس يحف بحضرته السية الوالي وكبار المأمورين وسادات البصرة وعلماءها واعيانها وهدم الشعراء من حضرته الملوكية يشدونهم قصائدهم انشاداً بإمام شجية على عادة أهل العراق ومن كان منهم لا يحسن الانشاد كان يتمد به على روايته على طريقة قدماء الشعراء وكان عظمة مولانا المعز يرتز للمدح افتراز النقص المورق المنثر بهوب الريح ويتبسم ابتسامة الرضاء والانشرح للمجيد من من اولئك المدح وكما انتهى شاعر من تلاوة قصيدته أمر له بمطية ملوكية هي فوق ما كان بمطية خنفاء بني عباس وكرام امراء

إِنْ أَعْطَايَا وَإِنْ قُلْتَ لَأَفْضَلُ مِنْ
وَتِلْكَ عَادَتُهُ مَعَ مَنْ يُبْلِغُهُ
لِلَّهِ دَرْكُ يَامُولَايَ خَزَعْلُ مِنْ
لَوْ أَنَّ نَفْسَكَ فِي كَهْفِكَ تَبَدَّلَهَا
تَرَى الْكَثِيرَ الَّذِي لِلنَّاسِ تَبَدَّلَهُ
قُلْ لَنَا كَثْرَةٌ مِنَ الْإِعْطَاءِ كَيْفَ تَكُونُ
أَمَّا كَثِيرٌ بِأَنْ نُلْفِي عُفَاتَكَ بِالْأَلَا
تَأْتِي خِفَافًا وَيَا أَثْقَالَ تُرْجِعُهَا
وَأَنْتَ رَازِقُهَا مِنْ بَعْدِ خَالِقِهَا
إِنْ كَانَ هَذَا قَلِيلًا وَهُوَ مُبْلِغُنَا
فَمَا الْكَثِيرُ الَّذِي تَبْغِيهِ نَظْلُهُ
فَنِي حَيَاتِكَ لِلْعَرْبِ الْحَيَاةُ وَمَا

حُرْمَانُ مَنْ جَاءَنَا بِاصْصَبُ يَغْنِيهَا
أَقْصَى الْأَمَانِي أَلَيْ وَأَفَاءُ يُرْجِيهَا
سَمَحَ عَطَايَاهُ قَدْ أَغْنَتْ مُرْجِيهَا
عَفْوًا وَأَنْتَ لِنَهْنِي الْإِنْسَانُ تُشْفِيهَا
يَقُلْ وَهَوَ وَأَيْمُ اللَّهِ مُغْنِيهَا
نَ مِثْلًا أَنْتَ يَامُولَايَ تَذَرِيهَا
م لَافٍ يَسْتُرُ غَادِيهَا بِأَتِيهَا
إِلَى مَوَاطِنِهَا بِالْيَمِينِ تَتَوْنِيهَا
وَأَنْتَ عَنْ كُلِّ خَلْقٍ اللَّهُ مُغْنِيهَا
مَجْدًا وَيُمْنًا وَإِسْعَادًا وَتَرْفِيهَا
إِلَّا كَثِيرَ حَيَاةٍ أَنْ تُنَاقِيهَا
أَمَلَهَا الْكَثْرُ إِلَّا أَنْتَ مُغْنِيهَا

العرب الاكياس وكان يتبع العطاء بالاعتدال قائلاً : « اعنر يا صاح فسروك أغلى من هذا العطاء
واذكر قول أمير المؤمنين عليه السلام فانه قال : لا تستع من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه »
ووالله الذي نفسي بيده ما كان في اولئك الشعراء من يطعم بيض مائال ولو كان اسلافنا الشعراء في عصر
عظمت لما ساءتهم الحال وشكوا من دهرهم على ما ايقوه لنا من التسب على الدهر في مأثور الاقوال فذهبت
بالكرم الخور على الحاتمي ايما اعجاب وملت الى من حولي من الاصحاب وقلت : اذا كان هذا العطاء الجلم
هو القليل فكيف يكون الاحسان الكثير ؟؟؟؟ تبسم الحاضرون من قولي وقالوا ان السرداد ارفع
ليغي الناس ويستمر قلت في الحال

ومن حسنات الدهران ت لا تنأ
يلاتي المواني وهو مستتر لهم
فتبسم عظمة مولاي لقولي وما رايته والله غير مبتم وقال في الحال

قليل علي بذل مالي جميعه
ومن بي دون الناس احسن ظنه
وان كنت لا أشري التناه من الوري
على م الهي خس بي الجاه والنسب

اقول قد كانت آيات عظمة مولانا الايات لتربو على ما نر من وفيه الهبات فتعالت اصوات
الدعاء لمطمته الملوكة ممن حضر وشهد هذه الصفات العالیه والاخلاق الراضية

« وصية المعز لنصرة الملك »

رَوَتْ وَتَرَوِي عَلَى مَرِّ الزَّيْمَانِ حَوَا
فَكُلُّ يَوْمٍ لَهَا مِنْهَا الْجَبِيدُ مِنَ الْآ
وَحَسْبُهَا أَنَّهُمَا فِي ظِلِّ خَزَعَلَا
وَحَصْبَهَا بِابْنِهِ الْمَقْدَامِ جَاسِبِ خَا
وَقَدْ دَعَاهُ إِلَيْهِ كُنِّي يَوْصِيَهُ
فَقَالَ: فَأَذْكُرُ هَذَا اللَّهُ يَا وَلَدِي
فَقَالَ: إِنَّكَ مِنْ أَسْتَعِينُ بِهِ
أَقِمَّ شَرِيعَةَ طَهَ فِي أَوَامِرِهَا
وَأَقْمِعْ بِهَا نَخْوَةَ الْفُجَّارِ مَا أَمِنْتَ
وَأَمِنَ النَّاسُ مِنْ ذَاهِي مَخَاوِفِهَا
وَفِي الْهُمُومِ أَسْتَعِينُ بِاللَّهِ فَهَوَّ بَلَا
وَفِي الرَّعِيَّةِ كُنْ ذَا شِدَّةٍ مُرْجَتْ
فَارْفُقْ بِهَا إِنْ وَجَدْتَ أَرْفُقْ يَنْفَعُهَا
وَأَخْضِصْ جَنَاحَكَ لَاهَوْنًا وَلَا ضِعَّةً

وَيْتَ الْمُحَنَّرَةِ الزَّهْرَا أَهَالِيهَا (١)
لَا تَشْهَدُهَا مِنْ فَضْلِ حَامِيهَا
فَارْتِ بِكُلِّ بَعِيدٍ مِنْ أَمَانِيهَا
نِ نَصْرَةِ الْمُلْكِ إِذْ سَاءَ وَإِلَيْهَا
بِأَمَّةٍ بِأَسْمِهِ قَدْ بَاتَ رَاعِيهَا
وَصِيَّةُ الْمُرْتَضَى أَعْظَمُ بِمَوْصِيهَا
مِنْ الصَّحَابِ عَلَى الْأَحْكَامِ تَجَرُّبِهَا
بَيْنَ الْعِبَادِ وَفِي شَقَى نَوَاحِيهَا
وَالْبَرَادَةِ يَا ابْنِي كُنْ مُنْجِيهَا
وَمِنْ صُرُوفِ اللَّيَالِي أَنْ تَقَاجِيهَا
شَكَّ بِرَحْمَتِهِ الْكَبِيرِ يُجَلِّسُهَا
بِالْإِنِّ فِي ذَلِكَ لِلْإِنْصَافِ تَحْشِيهَا
وَأَشْتَدَّ يَوْمَ يَكُونُ أَرْفُقُ مُؤْذِنِهَا
لَهَا وَبِالْجَلْمِ كُنْ يَا ابْنِي مُمَاشِيهَا

(١) يخلط بنا ونحسب الحكمة عن سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله أن تذكر ما سبق لنا ذكره من تمثل مولانا السردار أرفع صاحب العظمة الشيخ خزعل خان بالحكم العلوية من ذلك أنه حفظه الله عند ما ولي كبير الأجنال حضرة نصرة الملك صاحب السمو الشيخ جاسب خان ولاية الحصرة وسكها دعاه إليه وقال له : يا ولدي انك لائثر وانت في مقبل العسر لحكمكم فمة من رطايي هم سكان الحصرة ولريد أن أوصيك ولكني لا أوصيك من عند نفسي بل اذكرك بوصية سيدنا أبي الحسن عليه السلام وقد كتبها إلى أحد عماله فقال « أمّا بعد » فانك بمن استظهر به على إقامة الدين ، وأقم به نخوة الأئمة ، وأسد به هامة الثغر المحوف ، فاستعن بالله على ما أمرك ، واخطب الشدة بضمت من اللين ، وارفق ما كان الرفق أرفق . واعتزم بالشدة حين لا يفي عنك إلا الشدة ، واخضص للرعية جناحك ، وإسط لهم وحك ، وأن لهم جابك ، وآس بينهم في اللحظة والنظرة ، والاشارة والتجبة ، حتى لا يطعم البطماء في صنيك ، ولا يأس الضمفاء من عدلك ، والسلام » أقول بهذه الوصية الطوية الثمينة أوفي عظمة الذكر كبير انجاله إلى الحصرة حاكماً عليها فسار سمو نصرة

وَأَبْسَطَ لَهَا وَجْهَكَ الْمَسِينُونَ طَالِمُهُ
وَأَسَ مَا يَنْسَهَا حَتَّى بِظُرَّةِ عَيْنٍ رُحْتَ مُرْسِلَهَا وَأَخْكِمَ تَسَاوِيَهَا
فَمَا بِحَيْفِكَ فِي ذَا تَقَطَّعَ الْعَظْمَا يَوْمًا وَتَأْتِي كَمَا تَهْوَى مَسَاوِيَهَا
وَلَا مِنْ أَلْعَدَلِ يَسْتَوِي عَلَى الْأَصْعَمَا يَأْمُنُ فَإِنْ يَلِيسَتْ لَا شَيْءَ يُرْضِيهَا
أَوْصَى الْمُعْزُ أَيْتُهُ تِلْكَ الْوَرِصَةُ مُبْسَدِيًّا لَهُ مَا تَعَالَى مِنْ مَرَامِيهَا
فَكَانَ مُتَّعِيًا أَخْكَاءَهَا أَبَدًا بَيْنَ الرَّعِيَّةِ سَفْلِيهَا وَعُلْوِيهَا
فَاسْتَرْسَلَتْ بِدُعَاهَا أَنْ يَدُومَ لَهَا مُعْزَاهَا وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَاعِيَهَا

« حسن التجة وشكر النعمة »

كُنَّا وَكَانَتْ لَنَا التَّغْنَى بِمَجْلِسِ مَوْ لَنَا الْمُعْزَى الْمُنْدَى وَهُوَ مُؤَلِّيهَا (١)
فِي خَلَّةٍ هِيَ أَغْلَى مَا الزَّمَانُ بِهِ قَدْ جَادَ يَا لَيْتَ لَمْ تَفْعُدْ تَوَائِيهَا
وَإِذْ أَمَّا أَيْتُهُ عَبْدُ الْحَمِيدِ يُرِيدُ الْأُذُنَ فِي رَحْلَةٍ قَدْ كَانَ نَاوِيهَا
وَكَانَ لِلْبَصْرَةِ الْفَيْحَاءَ يَقْصُدُ كَيْ يُرْوِحَ النَّفْسَ فِي زَاهِي مَعَانِيهَا

الملك بها وهو يدرس معانيها العالية قطبها اجل تطبيق في حكومته فاطلقت ألسن الناس بالدعاء
لمعطة مولانا ومولاه السردار ارفع واه الدعاء المستجاب ان شاء الله

وعلى ذكر سمو نصره الملك قول انه تولى المحمرة للمرة الاولى في سنة ١٩٠٧ ثم تولى
ناصرية الاهواز في سنة ١٩١٠ ثم عاد فولى المحمرة سنة ١٩١٤ ولا يزال حاكمها الى الان وهو
ساهر على اجراء العدل في البلد والعمل على انتاج اهله واسماهم تحقيقاً لواباء عظمة والده العظيم
الحيدرية التي تخدمها الرعية وتذكرها بالثناء عموم البلاد العربية وقد تفرغنا بالالتقاء الى سموه فكنا
ولا نزال مبهجين بسداد رأيه وجم كرمه وباهر آلائه ولا غرو في ذلك فهو ابن خزعل خان
مصدر البر والرفان والولد سريه فلا عجب وقد نجب أن يحكيه بير اباده

(١) اشرنا في فاتحة علوقتنا المباركة الى ما اعتاده عظمة مولاي ولي النعم صاحب العظمة الشيخ
خزعل خان العظيم من تزييد حكم سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله في مجالسه العالية عظمة للناس
وذكرى وما محال على عظمة الا عكاز الادب والعلم والشعر تنص دائماً أبداً بالعلماء والشعراء
والادباء فيمشون بيرة ويتأدبون باده . وقلنا اننا تربينا على يدي عطته على حب المحمرة المقدسة
الحيدرية وتلقينا من فمه اقوالها الشريفة وخطبها النيقة . فلما أخذنا تقس من الحكمة العلوية دروها
اشبهنا الى قول أمير المؤمنين عليه صلوات الله « اذا حيت بتجة عني بأحسن منها عاذاً اسديت
ايك يد فكاشها بما يربي عليها ، والفضل مع ذلك للبادي » فذكرت حادثة سررت بي عندها كنت
مترقفاً بخدمة هذا الامير الجليل الذي

قَالَ : يَا وَلَدِي سِرِّي حِمَايَةَ رَ
وَكُنْ بِرَحْلَتِكَ الزَّهْرَاءَ ذَا أَدَبٍ
وَاحْظْ وَصِيَّةَ مَوْلَانَا أَبِي حَسَنٍ
حَبِيبِي الْمَحْسَبِيِّ بِأَوْفَى مِنْ تَحِيَّاتِهِ
وَإِنْ إِلَيْكَ يَدٌ قَدْ أُسْدِيتْ فِيمَا
وَالْفَضْلُ مَعَ ذَلِكَ لِلْبَادِي وَبَدَأَتْهُ
يَمِثِلُ ذَا خَزَعْلٍ مَا زَالَ يَغْرُسُ فِي
حَتَّى غَدَتْ أَنْجُمًا فِي أَفْقِ سَوْدُودِهِ
بِالْعَرْشِ فَازَ الَّذِي يَنْغِي تَقَلُّبَهَا
مَعَ كُلِّ مَنْ أَنْتَ مُلَفِّ فِي مَثَاوِنِهَا
مَعَ الْكِرَامِ الْأَلَى تُنْمِي مُلَاقِيَهَا
وَإِنْ تَمَرَّ بِقَوْمٍ رُحٌّ مُعَيِّنَا
يُرْبِي عَلَيْهَا بُنْيَ كُنْ مُكَافِيَهَا
مَشْكُورَةً لَا تَكُنْ مَا عِشْتَ تَأْسِيَهَا
أَذْهَانِ أَبْنَائِهِ الْآدَابِ زَاهِيَهَا
وَأِنَّهُ شَمْسُهَا الْبَادِي تَلَالِيَهَا

« التناقب الخزعية »

تَسَاوَتْ النَّاسُ إِلَّا فِي خَلَاتِيهَا هُنَاكَ يَظْهَرُ عَالِيهَا وَوَاطِيهَا (١)
وَلَيْسَ يَظْهَرُ أَخْلَاقُ الْخَلَائِقِ غَيْرُ الدَّهْرِ هُوَ الَّذِي يُبْدِي خَوَافِيهَا
وَهُوَ ذَا خَزَعْلٍ أَبْدَى الزَّمَانَ لَهُ مِنْ الْمَآثِرِ وَالْآلَاءِ سَامِيهَا

مضت الدهور وما أتين بمثله ولقد أتى فمجز عن نظرائه

وذلك أنا في ضحى ذات يوم من صيف سنة ١٩١١ مسجحة بينما كنا في الحفزة السنية
الخرزعية في القصر الممور في الكمالية من ضواحي الحفزة النحوية وإذا بالشل النجيب توني الانجال
صاحب السمو الشيخ عبد الحميد خان حاكم الاهواز اليوم دخل بعد الاستئذان على عطته وهو
شاب صبور الوجه باهر الأدب لم يكن وقتئذ في أكثر من الثالثة عشرة من ربيع عمره وكان
مقدم سموه للاستئذان لقضاء بعض أيام في البصرة ترويحاً لنفسه بعد عناء المطالعة والدرس فقيم
عظمة مولانا ولي العم تيسم الأب الشفيق الحنون واطهر لسو نجله من الخنو الأيوي ماتمناه
على كل أب نحو أولاده وقال حفظه الله : يا ولدي ، انك ذاهب للبصرة ، فبرعاية الله ، واوصيك
أن تطهر لاهلها من آدابك ، ما هو خلق مقامك ، ولا تنس حكمة سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام
وهي « اذا حيت تحية خفي بأحسن منها ، واذا اسديت اليك يد فكافئها بما يري عليها ، والفضل
مع ذلك للبادي » فقال سمو الامير الحبيب وهو مائل امام عظمة والده بنائة الادب والاحترام :
أها لحكمة ربيتنا عليها يا ابتاه ، وحاشا لي ان اعمل الامافيه رضا امير المؤمنين ورضاك . فعجبنا
بالولد والوالد ، وقلنا ألا هكذا فلتكن المحامد ، وهكذا فليرب الماجد ابتاه الامام . نقول وهذه
الحكمة العلوية القسم الاول منها آية من كتاب الله على ما لا يخفى

(١) أى والله ان عظمة مولانا السردار ارفع روعي فداء لقد تمجبل بالاخلاق الراضية
والمآثر المتتالية حتى ليعجز اللسان عن شكرها والبيان عن نياتها فمن سماح الى حر الى كرم الى ما

فَمَنْ سَمَّحَ إِلَى حِلْمٍ إِلَى كَرَمٍ إِلَى جَلَالٍ خِلَالٍ جَلٍّ مُسْنِينَهَا
بِالْعَفْوِ يَلْقَى أَعَادِيهِ وَيَصْنَعُ عَنْ آثَامِهَا وَهَوَ كَيْفَ أَنْ يُرَبِّينَهَا
يَقُولُ: أَوَّلَى أَلَوْرَى بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ إِنِّي لَسْتُ أَجْزِيهَا
وَيَنْذِلُ الْمَالَ مِنْ قَبْلِ السُّؤَالِ إِلَى عَفَاتِهِ وَيَهْ عَفْوًا يُفَارِجِيهَا
يَقُولُ: إِنَّ السَّخَامَا كَانَ يَصْدُرُ عَفْوًا وَأَبْتَدَاءَ وَخَيْرُ النَّاسِ سَاخِيهَا
فَإِنْ يَجِدُ دُوَّ عَطَا مِنْ بَدْرِ مَسَاءَةٍ فَعَنْ حِسَاءِ عَطَايَاهُ يُؤَقِّرِيهَا
قَدْ أَلْمِزُ وَذِي غَرًّا خَلَاتُفُهُ يُبْدِي الزَّمَانَ لَنَا زَاهِي لَآلِيهَا

« خيار الرجال »

قَدَّرُ الرِّجَالِ عَلَى مِقْدَارِ هِمَّتِهَا فَهِيَ الَّتِي فِي مَجَالِي الْمَجْدِ تُعْمَلِيهَا (١)
وَصِدْقُهَا مِنْ جَنَى سَائِي مَرُوءَتِهَا وَهِيَ الَّتِي عَنْ هَوَانِ الْكَذِبِ تُنْشِيهَا
وَقَلَّ شَجَاعَتُهَا مِنْ فَضْلِ نَخْوَتِهَا بِه تَلَايِي بِلَا خَوْفٍ أَعَادِيهَا
كَذَلِكَ عَفَّتُهَا مِنْ فَضْلِ غَيْرَتِهَا تَصُونُ آدَابَهَا صَوْنًا وَتُرْقِيهَا
فِيهِ خَلَاتُفُ مَوْلَانَا الْمُرْزِي بِهَا قَدْ نَالَ مِنْ رَتَبِ الْعُلِيَاءِ سَامِيهَا

« الشفيع جناح الطالب »

إِنَّ الْخَوَائِجَ لَا تُقْفَى بِغَيْرِ شِفَا عَةٍ إِذَا عَظُمَتْ أَوْ عَزَّ مُسْنِينَهَا (٢)
كَذَا الشَّفِيعُ جَنَاحٌ قَدْ يَطِيرُ بِهِ إِلَى رَغَائِيهِ فِي الْحَالِ رَاجِيهَا

شاء الله من حماد الحلال والقال وطالما شهدناه ينفون عداته وهو قادر على التمكن بهم ثم يشتم
يقول سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله « أولى الناس بالعتو أقدرهم على العقوبة » وكما شهدناه
اعز الله به العرب يندل أمواله إلى عفاتة بسخاء وغير طلب بل يفاجئهم به مفاجأة بمافوق الأرب ويقول
لن حوله من الاعوان واعظاً مذكراً مقالته سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله « السخاء ما كان ابتداءً
فإن كان عن مسألة لحياء وتدمم » فهذا هو أميرنا المحبوب الذي يمشي في ظله الطليل فهل نلام إذا
اقتديناه بنفوسنا ؟

(١) قال أمير المؤمنين عليه صلوات الله « قدر الرجل على قدر همته ، وصدقه على قدر
سرورته ، وشجاعته على قدر اقته ، وعفته على قدر غيظه » وأما والله الحلال الزاهرة التي تجمل
ها عظمة مولاي السردار ارفع روعي فداء

(٢) قال سيدنا أمير المؤمنين « الشفاعة جناح الطالب » وخير شفيع للناس هم المصطفى والمرتضى
وآل البيت الحرين عليهم الصلاة والسلام

« فاعل الخير خير منه »

لَمْ تَعْرِفِ النَّاسُ جَوَادًا كَخَزَعَلْنَا بِالْبَرِّ وَالْأَيْسَرِ وَالْحُسْنَى يُلَاقِيهَا
وَأَدْرَكَتْ فِي حِمَاهُ أَنْ هَيْبَتُهُ تَزِينُ جُودَتَهُ الْحَسَنَاتِ وَتُسَمِّيهَا
وَأَنَّهُ يَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ وَهُوَ وَأَيْسَمُ اللَّهُ أَخِيرُ مِنْهَا يَوْمَ يَأْتِيهَا (١)
وَأَنَّهُ يَزْعُ الْأَشْرَارَ يَعْرِفُ أَنَّ الشَّرَّ مِنْ بَعْضِ مَا تُخْفِي مَطَاوِينَهَا
هَذَا الَّذِي تَغْنَى بَيْنَ أُمَّتِنَا بِمَدْحِهِ الزَّاهِرِ الزَّاهِي فَتُسَبِّحُنَا

« المرء كثير باخوانه »

حَفَظَ عَهْدَ الْأَلَى أَصْفُوكَ وَدَهْمُ مِنَ الْأَجِبَةِ دَانِيهَا وَتَانِيهَا
فَالْمَرْءُ يَكْثُرُ بِالْإِخْوَانِ إِنْ كَثُرَتْ بِهَا عَوَادِي الْقَضَاءِ السُّوءِ يُلَاقِيهَا (٢)
وَأَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ أَعْبَتَهُ حِيلَتُهُ عَنْ كِتَابِ قُلُوبِ النَّاسِ يَنْقُصُهَا (٣)
وَكَانَ أَعْجَزَ مِنْهُ مَنْ أَضَاعَ صِيحَا بَةَ لَقَدْ صَدَقَتْهُ فِي تَأْخِيهَا

« حب الخلود »

عَجِبْتُ لِلنَّاسِ تَغْنَى بِالْحَيَاةِ وَتَرَى جَوَّانَ تُخَلِّدُ فِيهَا لَا تُحْلِلُهَا
وَهُمْ كَرَكِبَ يَنَامِ وَالزَّمَانُ بِهِمْ بَسَقَى وَسَاعَاتُهُ تُخَذُّ وَتَوَانِيهَا (٤)

« رب أخ لم تلده أمك »

إِنْ لَمْ يُعْنِكَ عَلَى الْأَخْطَارِ ذُو رَحِمٍ فَقَدْ يُعْنِكَ غَرِيبٌ فِي تَوَقُّبِهَا
وَقِيلَ رَبُّ أَخٍ يَخْنُو عَلَيْكَ وَلَمْ تَعْرِفْهُ أُمُّكَ يَوْمًا فِي ذَرَارِهَا (٥)
وَإِنْ أَضَاعَكَ فِي الشَّدَاتِ صَاحِبُكَ لَا مَذَى أُنَبِّحُ لَكَ الْآقَصَى لِقَاصِهَا

- (١) ان عطمة مولانا السردار أطال الله بقاءه لحري ان نقبس في مدحه الاسنى الحكمة
الجبدة التالية وهي « فاعل الخير خير منه » وفاعل الشر شر منه « على محمول رأيت فبارك الله فيه
(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قتل جعفر بمؤة « المرء كثير باخيه »
(٣) قال امير المؤمنين عليه صلوات الله « اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان،
واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم »
(٤) قال سيد الحكماء سيدنا امير المؤمنين عليه صلوات الله « أهل الدنيا كركب يساريهم وهم ينام »
(٥) قال صنو المصطفى عليهما الصلاة والسلام « رب أخ لم تلده أمك » وقال عليه صلوات الله

« من ضيحه الاقرب اتبع له الأبد »

«الصدق الخداع»

قُلْ لِلَّيْمِ الَّذِي يُخْفِي الدَّاءَ وَالسُّبْغَاءَ وَالْعَقْدَ تَضْلِيلًا وَتَمْوِينًا
لَا بُدَّ مِنْ قَلْبَةٍ يَجْرِي اللِّسَانُ بِهَا عَفْوًا فَتُظْهِرُ أَخْلَاقًا تُخَفِّئُهَا (١)
وَالْوَجْهَ تَأَلَّهَ تَمَامٌ بِصَاحِبِهِ عَلَى سِرِّيَّتِهِ لِلنَّاسِ يُبْذَرُهَا
وَقَلَمًا يَخْدَعُ الْإِخْوَانَ يَخْتَلِهَا إِلَّا إِلَى أَجَلٍ يُقْضَى مُنَازِلُهَا

«الحق والباطل»

خَبِرُ الْإِبَادِ الَّذِي قَدْ بَاتَ يَنْصُرُ حَقَّ اللَّهِ فِي حَرْبٍ مِنْ يَبْغِي التَّوَارِيهَا
وَشَرُّهُمْ مَنْ أَبَاطِلُ التَّوَرَى نَصَرُوا وَمَا لَوْ رَغِبَ الدُّنْيَا مُوَالِيهَا
أَمَّا أَلَا تَحْذَرُوا حَقًّا وَمَا نَصَرُوا بَطْلًا فَسَفَهَهُمُ تَأَلَّهَ تَسْفِيهَا (٢)

«ان أفلت اللسان عقر»

إِنَّ اللِّسَانَ إِذَا أَطْلَقَتْهُ لَحْكِي مِنَ الْوَحْشِ الَّتِي تُؤْذِي صَوَارِيهَا (٣)
فَيَعْقُرُ النَّاسَ عَفْوًا وَهُوَ مُنْطَلِقٌ فِي هَذَرِهِ حَيْثُ يَبْغِي أَنْ يُرَاسِيَهَا

«اللسان يجلب الهوان»

صِنَّ اللِّسَانَ وَحَازِرَ أَنْ تَقْوَهُ بِهِ لَفَوْا وَشَرُّ عِبَادِ اللَّهِ لَاغِيهَا (٤)
وَمَنْ عَلَى نَفْسِهِ يَسْطُو بِلَا حَذَرٍ لِسَانُهُ فَهُوَ فِي الْإِهْوَانِ مُلْقِيهَا

«الغفو شكر القدرة»

إِنَّ الْكَرِيمَ يَصُونُ النَّفْسَ عَنْ نَزَعَاتِ اللَّوْمِ إِنْ قَهَرَتْ يَوْمًا مُعَادِيَهَا
تُفْنِيهِ بِصَفْحٍ حَلَمًا وَهُوَ مُقْتَدِرٌ عَلَى الْعِدَى لَوْ يَشَاءُ أَمْسَى مُلَاشِيهَا
وَيَجْعَلُ الْغَفْوَ شُكْرًا لِإِقْبَادِ عَلِيَّهَا حَامِدًا لِقُوَّتِهِ وَمَوْهِبًا (٥)

(١) قال الامام علي عليه السلام «ما أضمر أحد شيئاً الا ظهر في فلتات لسانه» وصفحات وجهه»

(٢) قال ابو الحسن عليه السلام في الدين اعترلوا القتال معه في صقين «دخلوا الحق ولم

ينصروا الباطل» فذهب كنهه مثلاً وحكمة

(٣) قال سيدنا أبو الحسين عليه صلوات الله «اللسان سبع ان خُلي عنه عقر»

(٤) قال سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله «هانت عليه نفسه من أمر عليه لسانه»

(٥) قال المرتضى عليه صلوات الله «اذا قدرت على عدوك فاجعل الغفوة شكر القدرة عليه»

« مخالطة الناس »

خَيْرُ الْخَلَائِقِ مَنْ كَانَتْ خَلَاتُهُ مَحْنُودَةً قَدْ تَنَاهَتْ فِي تَسَامِيهَا
يُخَالِطُ النَّاسَ بِالْحُسْنَى مُخَالَطَةً يَسُرُّ ظَاهِرُهَا أَلْبَادِي وَخَافِيهَا (١)
فَإِنْ يَمُتْ تَبَكُّهُ حِزْنًا عَلَيْهِ وَإِنْ يَحْيَى يَفْرَحُ بِجَلِيلٍ مِنْ تَمَنِّيهَا
« الدنيا وأهلها »

يَا أَهْلَ وَدَّيْ هِيَ الدُّنْيَا الْفَرُورُفَمَا مِنْهَا أَمَانٌ وَلَا صَقَرٌ لِأَهْلِيهَا
نَعَمْ فَإِنْ أَقْبَلَتْ يَوْمًا عَلَى فِتْنَةٍ تَمَيُّزُهَا مِنْ صِفَاتِ الْفَرَزَاةِهَا (٢)
أَمَّا إِذَا أَذْبَرَتْ عَنْهَا قَسْلِبَهَا مَحَاسِنًا عُرِفَتْ بَيْنَ أَلُورَى فِيهَا
« من رضي من نفسه كثير السخط عليه »

بِالنَّفْسِ لَا تَقَرَّرْ يَا صَاحِبَ هَيْبَةٍ مَطِيئَةً الْفُرُورِ وَحَازِرٍ أَنْ تُجَارِيَهَا
وَلَا تَكُنْ رَاضِيًا عَنْهَا فَيَسْخَطُ أَكْثَرُ آلَاكِ نَلَتْ مِنْهُمْ فِي تَرَضُّبِهَا (٣)

« المسألة خبء الصوب »

مَنْ سَأَلَ النَّاسَ يَسْلَمَ مِنْ عَدَاوَتِهَا فَلَمْ تَنَلْهُ يَفِيهَا فِي نَوَادِيهَا
وَفِي الْمُسَالَمَةِ الْحَسَنَاءِ خَبَاءٌ عِيُونُ بِي الْمَرْءِ فَهُوَ أَمِينٌ مِنْ تَفْشِيهَا (٤)

« القناعة مال لا ينفد »

مَا لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ عَلَى طَلِبِ الْآلِ مَوْالٍ مُنْعَكِفًا يَقْنَى لِجَنِينِهَا
أَعْلَنَ بِحُبِّهَا خُلُودًا أَمْ بِهِ عَمَهُ عَنْ الرِّزَايَا الَّتِي حَوَالِيهِ يُلْفِيهَا
وَفِي الْقَنَاعَةِ مَالٌ لَا نَفَادَ لَهُ لَدَى الْحَكِيمِ إِذَا مَابَاتِ رَاضِيًا (٥)

(١) قال أبو الحسنين عليه صلوات الله « خالطوا الناس مخالطة » ان من معها بكوا عليهم ،
وان عشم حنوا اليكم »

(٢) قال سيدنا علي عليه السلام « اذا أقبلت الدنيا على قوم ، اطارهم محاسن غيرهم ،
واذا ادبرت عنهم ، سلبت محاسن أنفسهم »

(٣) قال سيف الله المالب عليه صلوات الله « من رضي من نفسه كثير السخط عليه »

(٤) قال بصوب الدين عليه صلوات الله « المسألة خبء الصوب »

(٥) قال صنو المصطفى عليهما الصلاة والسلام « القناعة مال لا ينفد »

« المني والمنون »

لَا تُشْتَلَن بِأَمَانٍ لَا تُتَالُ فَإِنَّ النَّفْسَ لَا تَقْضِي يَوْمًا أَمَانِيهَا
وَمَنْ جَرَى فِي مَيَادِينِ الْمَنَى صَدَمَتْهُ فَاجَعَاتُ الْمَنَايَا وَهُوَ نَاسِيهَا (١)

« الزهد ثروة »

إِنْ لَمْ تَقْزُ بِكُنُوزِ الْأَرْضِ تَكُنْزُهَا فَارْزُقْ بِهَا وَتَرْفَعْ عَنْ مُحِبِّينَهَا
وَالْزُهْدُ لِلْمَذْرُوكِ الْمَحْرُومِ أَكْبَرُ نَوْعٍ وَهُوَ عَلَى رَغَمِ أَنْفَالِ الدَّهْرِ يَقِينُهَا (٢)

« السلامة في التسليم »

سَلِّمْ أُمُورَكَ لِلْخَلَاقِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِ فَهُوَ عَلَى مَا شَاءَ يُعْشِيهَا
وَالْمَقَادِيرُ أَحْكَامٌ مُنْفَذَةٌ عَلَى الْخَلَاقِ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا
لَهَا قُدْرَةُ أُمُورِ النَّاسِ أَجْمَعِهَا حَتَّى لَتَمُجِزَ عَجْزًا عَنْ تَوْقِينِهَا (٣)

« صدر العاقل صندوق سره »

مِنْ فِي سِرِّهِ تَكْ لَا سِرَّ لَكَ تَرُ نَارًا تَقْوُهُ بِهَا لِلنَّاسِ تَزِينُهَا
وَأَنْ أَمِنَتْ عَلَيْهَا الْغِيْرَ عَنْ سَفَهٍ فَلَا تَلْمُهُ إِذَا مَارَحَ يُفْشِيهَا
وَصَدْرُ رَبِّ الْهَيْ لَلْسِرِّ يَجْعَلُهُ خِرَانَةً وَيَعْيِيهِ فِي مَطَاوِينِهَا (٤)

« الصبر »

أَصْبِرْ قَبْلَ الصَّبْرِ مَنَاجَاةً مِنَ الْغِيْرِ أَلْسِي دَهَتْ رَيْثَمَا بِالصَّبْرِ تُقْصِيهَا
وَأَصْبِرْ أَخِي عَلَى مَا أَنْتَ تُكْرَهُهُ وَعَنْ أَمَانٍ مَضَتْ قَدْ كُنْتَ رَاجِيَهَا (٥)

« عيبك مستور ما أسعدك جِدُّكَ »

إِنْ أَسْعَدَ الْجَدُّ إِنْسَانًا وَأَسَفَّهُ أَخَى مَعَايِبُهُ عَنْ عَيْنِ رَائِيهَا (٦)
وَبَاتَ وَالنَّاسُ طُرًّا عَنْهُ رَاضِيَةً تَرَوِي مَعَايِسَهُ الْغُرَا وَطُطْرِيهَا

(١) قال صنو المصطفى عليهما الصلاة والسلام « من جرى في عنان أمله ، حتر باجله »

(٢) قال وصي رسول الله عليهما الصلاة والسلام « الزهد ثروة »

(٣) قال امام المتقين عليه صلوات الله « تدل الامور للمقادير ، حتى يكون الخلف في التدبير »

(٤) قال أمير المؤمنين عليه صلوات الله « صدر العاقل صندوق سره »

(٥) قال المرتضى عليه صلوات الله « الصبر صبران ، صبر على ما تكرهه ، وصبر عما تحب »

(٦) قال يسوب الدين عليه صلوات الله « عيبك مستور ما اسعدك جِدُّكَ »

وَيَسْمَا كُنْتُ فِي قَصْرِ الْكَمَالَةِ السَّمَايَ بِفَرْقِي أَعْلِيَاءَ ثَاوِنَهَا (١)
مُفَكِّراً بِسُوءِ قَدْ خُصِصْتُ بِهَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي رَاضٍ عَنْ تَقْسِيمِهَا
وَلَاذِ بِنَارِشِ أَنْجَالِ الْمُعَزِّ مَجِيدِ لِزِيَارَةِ وَفَارِي يُؤَدِّيهَا
فَقَالَ لِي: مَرَجَبًا وَأَفَيْتَ دَارَ أَبِي مُنَمَّا وَنَالَ الْمُنَى حَنَمًا مُوَافِقَهَا
وَنَحْنُ أَبْنَاؤُهُ سَلْنَا حَوَاتِجَكَ الْكَثْرَى قِيَاسَ أَيْنَا الْبَرِّ تَقْضِيهَا
فَعَرْتُ كَيْفَ الْآفِي عَطْفَ زَائِرِي السَّمِجِيدِ أَوْ أَيِّ آيِ الْحَنَدِ أَرْجِيهَا
ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَيْهِ مُعْجَبًا بِشَمَا ثَلِ حِسَانِ عَلَيْهِ لَاحَ زَاهِبَهَا
فَشَيْتُ فِي شَخْصِهِ الْآدَابَ بَاهِرَةً وَالرُّشْدَ وَالرَّفْدَ مِنْ أَسْنَى مَعَالِيهَا
ثُمَّ أَنْتَنِي رَاجِعًا بِالْيَمِينِ نَفْعَهُ قَضِي الْآفِي عَطْفُهُ قَدْ رَاحَ سَابِقَهَا
وَقَدْ ذَكَرْتُ لِمَوْلَايَ الْمُعَزِّ زِيَا رَةِ الْأَمِيرِ وَبُشْرِي مِنْ تَلْقِيهَا
فَقَالَ: إِنْ أَوْرَثَكَ الْبُشْرَ فَهُوَ بِهَا يُثَابُ مَثُوبَةً ذُو الدِّينِ يَغْنِيهَا
إِذْ قَالَ حَيْذَرُهُ قَضِي الْفَيْدَاهُ لَهُ مَقَالَةً فَازَ بِالْثَمَاءِ مُضْغِيهَا
مَنْ يُودِعُ الْآنْفُسَ الْأَفْرَاحَ فَهُوَ بِهَا هَا فِي الْتَوَائِبِ إِنْ يَفْشَاهُ غَاشِبَهَا
وَاللَّهُ يَخْلُقُ مِنْهَا الْلُطْفَ يَبْعَثُهُ عَلَى شِدَائِدِهِ كَيْمَا يُجَلِّلَهَا
فَقُلْتُ: مَوْلَايَ أَفَرَحْتُ النَّغْمُوسَ جَبِينِ مِمَّا لَكَ الْأَجْرُ مِنْ إِحْسَانِ بَارِيهَا
وَأَسْلَمَ لِأَمَّةٍ طَهَ وَالزَّمَانُ بِأَيْدِيكَ الْإِحْسَانِ الْآفِي عَمَّتْ مَهْمِنَهَا

(١) قلنا وكررنا القول أن عظمة مولانا السردلوارفع رعا الله يمتثل دائماً أبداً بالحكم العرفية
المنيفة ويطبقها على أعماله الشريفة شأن الحب الصادق والورع الصالح . وحدث اني بينما كنت يوماً
في الخدمة السنية الخزعية في القصر المسمور في الكمالية وأنا مذكور في غزوتي التي تفضل عظمة
مولاي وليي النعم تفضني بها في الدور الخارجي الممدد لتزول خاصة عييده ومما ليكه واذا بمولاي صاحب
السمو الشيخ عبد المجيد خان ثالث الالهال الكرام مقبل لزيارتي فخرجت للقاءه واحتضنت بمقدمه فبادرني
بالترحاب منطلقاً بي ويهمني بالآمال من قبض مراحم الوالد الكبير المحامد ولقيت من عطفه ولطفه ما غل
لساني عن الشكر والثناء فأصرفت الى الدعاء بطول بقائه مع اخوانه النجباء في ظل ظليل الحضرة السنية
الملوكية وبسد أن مكث طويلاً وشهدت من جلاله العجب المدهش مع انه حفظه الله لم يكن وقتئذ في اكثر من

العلم والعلماء

وَلَا نَ عَهْدِي بِالْأَهْوَا زِ أَذْكَرُهُ مَا عِشْتُ كُنْتُ بِهِ بِالْيَمِينِ آوِيَهَا (١)
إِذْ كَانَ مَوْلَايَ فَخْرًا الْغَرْبُ خَزَّ عَلَهَا بِحَيْثِهِ يَطْلُبُ الْأَعْدَا لِزَوْدِهَا
لِكَيْتَهَا أَسْتَدْرَكَتْ حَرْبًا تَبَادُّ بِهَا وَأَذْرَكَتْ أَنَّهُ لَا شَكَّ مَقْنِبِهَا
وَسَلِمَتْ وَبَدَا تَأَلَّهُ قَدْ سَلِمَتْ مِنْ الْمَصَائِبِ وَالْأَزْرَاءِ قَاسِمِهَا

الحادية عشرة من ربيع عمرة الزاهر انصرف بحاشيته الكريمة وقد فضل بالوعد المودة الى زيارتي فشكرت وجدت. وحظيت بعد هذه الزيارة المباركة بشرف المثل لدى الحضرة السنية الخزعية فذكرت لعظمة مولاي امتناني وتشكري لزيارة سمو الشيخ عبد الحميد وما أورتني زيارته المباركة من السرور والنفطة فتبسم مولاي ولي النعم تبسم الارتياح وقال هل ادخلت زيارة عبد الحميد السرة على قلبك ؟ قلت أي والله يا مولاي قال فهو المصاب بها وله الاجر فقد قال سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله: لأكمل بين زياد النضي « يا كميل أو من أهلك » ان يروحوا في كسب المكرم ، ويدخلوا في حاجة من هو قائم فوالذي وسع سمع الاصوات ، ما من أحد أودع قلباً سروراً ، إلا « وخلق له من ذلك السرور لطفاً ، فاذا زلت به نائبة ، جرى اليها كالماء في التحدار ، حتى يطرد منها كالتفرد غريبة الابل » قد هشت لهذه الاخلاق العالية التي خص الله بها نفس عظمة مولاي السردار أرفع بفضل صلته بسيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله فعمل بها وروى عليها ابناءه الانجاب . وقلت مولاي روعي فذاك فان كل تناء هو دون فضلك وبرك فاعيا أن اتول غير أطال الله عمرك فانتا لانتبشر الا يبشرك ولا نمر الا في بحاج برك

وعلى ذكر سمو الشيخ عبد الحميد خان قول أن سمو خطه الله يقم في قصر خاص به كاخوانه الانجال الكرام في روضة تبرد عن الكمالية مسافة ثلاثين دقيقة وقد تشرفت بزيارته السنية غير مرة في المية السنية اذ حرت عادة عظمة مولانا أن يزور ابناءه الكرام في اوقات مختلفة لما هو معروف عنه من المبالغة في « مواصلة الرحم » وهي أبر المبرات

(١) خرج عظمة مولانا ولي النعم السردار أرفع العظيم في صيف سنة ١٩١١ الى الاهواز وأمر بان تحتشد جيوشه المنصورة وقبائله المخلصه لتأديب الخوارج الذين طموا بمحايله فنشروا عن طاعته واغرامهم الشيطان بدوانه فاتاح في الحط وقتنهم أن أرى ببني « حلة » عربية اذكرني بمحملات الحضرة المقدسة الخيرية فتهدت وتشتم المجد الخزعلي العالي باجلى مجاليه وابهى تلايه بارك الله فيه ولقد خرج عظمة مولانا السردار أرفع على يخته « ايران » يحيط بذاته السنة اعيان الشيوخ اسراء العائلة الجاسية الكريمة وكبير وزرائه صاحب السادة الحاج محمد علي خان رئيس تجار عربستان والحاشية الكريمة ومن حسن حظي اني كنت بينها وكان يقبع البيعت ايران البيخت « ممشير » وكان يقل اسراء العسكرية واركان الحرية فليخت « مطفري » وكان يقل الخدم والختم وعند خروج هذه البيخوت من ماء القليلة اطلقت المدافع من القلاع وما زالت تمخر في نهر قارون حتى انتهت الى ناصرية الاهواز التي اتخذها عظمة مولانا ممكراً لجيشه المنصور فاستقبلها حضرة الامير النذيل صاحب السمو فصرة الملك الشيخ جاسب خان كبير انجال الحضرة الخزعية وحاكم

وَأَقْبَلَتْ نَحْوَ مَنْصُورٍ أَلَوَاءَ طَوِيلٍ أَلْعَمْرُ سَيِّدَنَا تُبْذِي تَدَلِّيَهَا
تَرْجُو إِمْصِيَانَهَا مِنْ فَيْضِ رَحْمَتِهِ عَفْوَاً قَنَالَتْ مِنَ الْمَوْلَى تَمْنِيَهَا
وَجَاسِبَتْ نَصْرَهُ الْمُلْكِ أَلْهَمَامٍ لَذًا لَكَ أَلَوْفَقْدَ كَانَ فِي الْأَهْوَازِ أَلِيَهَا
وَكُنْتُ بِأَسْمِ آيَةٍ فِي ضِيَاغَتِهِ مُتَمَعًا بِالْعَمَّا بَعْنًا وَتَرْفِيَهَا
أَقَمْتُ فِيهَا بِعَمَاءِ الْمَعْرِ مَدَى سِتِّينَ يَوْمًا طَوَالًا مَعَ لَبَا لِيَهَا
فَكُنْتُ بِأَقْرَبٍ مِنْ أَنْجَالِ سَيِّدِنَا أَلَسَّرَ دَارَ أَرْفَعٍ يَوْمِيًّا أَلَا قِيَهَا
كَانَتْ صِفَارًا عَلَى الْأَدَابِ عَاكِفَةً وَأَلَكْتُبُ مِنْ حَوَالِهَا تَقْرَأُ أَمَّا لِيَهَا
وَحَوَالِهَا أَلْمَلَا تَلْقِي أَلْدَرْوَسَ عَلَيْهَا وَهِيَ تَجِدُّ دَوْمًا فِي تَلْقِيَهَا

الاهواز مع اركان حكومته فيها كانت المدافع تطلق والموسيقى الموزعية تشف الاسماع . وهناك طلب سمو نصره الملك بكرمه الخ من عظة مولاي ولي النعم أن يكون أنا البند الملوك بضيافة سموه في قصره الممورة ففضل عظمته قبول المنس ومكنا انتقلت الى ضيافة سموه تخفي بنايته وجبل رايته ثم أخذت قد على الاهواز ابطل اقبائل في كل بكرة وعشة وكان كل قوج منها عندما ينهي الى الاهواز يقوم بمظاهرة عربية فيخرج الهازج ويردد امداج الحضرة السنية الموزعية بشكل مبهج مفرح وما هي الا بضع ايام حتى انتشرت خيام الجيش الخزعي المنصور حوالي الاهواز الى مسافة شاسعة وكان عظة مولانا يتهد هؤلاء الجنود بنفسه الشرفة ويسترضها يومياً ويشهد احنا ورفاقها ويجتمع بروسائها وزعمائها ويذاكرهم بالامر

وعند ما انتهى للقبائل الناشئة بأ احتشاد الجنود الموزعية المنصورة خافت مقبة حروب لا قبل لها بما فاسرعت تطلب العفو والمفرة مستترلة شفقة هذا الامير الجليل الطليم وتوسط في امرها جناب قنصل دولة بريطانيا العظمى في المحمرة وارسلت الوزارة الايرانية من طهران التلغرافات بعضها تلو البعض الى عظمته تطلب منه الفرق باولئك الناشزين فرأى عظمته حفظه الله بعد اللاحاح بالمتنس أن يصنع عن اولئك الناشزين ويقفر لهم ذلتهم على أن لا يسودوا الى الصيوان وأن يتركوا زعماءهم رهينة لديه وهكذا وسمت رحمة الذب فصنع وعقابيد القدرة وانصرفت النازلة بمحق السماء بفضل حلم ورحمة عظمة مولانا الامير الجليل

ومن حسن حظي اني في هذه المدة التي اقبها في الاهواز وطالت ستين يوماً تشرفت بمصحة حضرات الاسراء العظام انجال عظة مولانا السردار ارفع الثلاثة الصغار وهم صاحب السمو الشيخ عبد العزيز خان شقيق مولاي نصره الملك وسمو الشيخ عبد الكريم خان وسمو الشيخ عبد الله خان وهو اصغرهم همراً وكان حاكم الفلاحية تولاهما وهو يافع لان ربة الصوت والدته ابنة أميرها وقد كنت مندهماً مما اشهد من هؤلاء الاسراء الانجاب من الذكاء الباهر والادب الجم والكمال والجلال مع صغر السن وكانوا حفظهم الله منصرفين الى طلب العلم على ايدي اساتذتهم العلماء الذين اناط بهم عظة مولانا تقيهم وتريتهم على آداب الدين الحنيف ليشبوا على ما تقرر به العيون وتلج

كُنَّا كَقَدْ كَانَ عَهْدِي بِالْعَزِيزِ شَقِيبِ الْجَسِبِ الْبَاهِرِ الْإِلَهِ مُسْنِيهَا
وَبِالْكَرِيمِ الْمَعْدَى ذِي الْقُوَّةِ عَرَفْتُ فِي نُجُومِ الْمَجْدِ بِهَا مِنْهَا
وَبِالْمُؤْتَمِلِ عَبْدِ اللَّهِ مَظْهَرِ آيَاتِ التَّجَابَةِ هَذَا الشَّهْمِ سَاجِدِهَا
كَانَتْ نُجُومًا وَمَا زَالَتْ نُفُوسُ سَنَاءِ مِنْ نُورِ خَزَعْلٍ حَامِيْنَا وَحَامِيْنَا
لَمْ أُنْسَ لَا أُنْسَ يَوْمًا يَمُوتُ بِهِ إِلَى سَفِينَتِهِ إِذْ كَانَ يَشُوتُهَا
فَكَانَ بِالْبَشَرِ وَالْإِنْسَانِ مَقْرَحًا وَبَابْتِسَامَتِهِ الزَّهْرَا مُحْسِنِهَا
وَقَالَ: لَعَلِّمْ يَا وَلَدِي أَنْشُطُوا فِيهِ السَّلَاحَ تَدْنُو مِنَّا لَا مِنْ مَرَجِيْنَا
وَقَالَ حَيْدَرُهُ فِيهِ مَقَاتُهُ فَرَدَدُوا أَبَدًا غَرَا مَعَانِيْنَا

له للصدور من تزيين اخلاصه العاليه المتنبقة من اعظم رجل في الرب هو عظمة مولاي ابيهم
بحلى العلوم والآداب

ولا أنس لم أنس مجلأ خزلياً عظيماً إذ أقبل على الحضرة السلفية الخضرية بالعود والاقبال
في البيت للملكية « ابرار » هؤلاء البدور الثلاثة للثلاثة في ساء المفاخر لمرض عودتهم على والدهم
ولي النعم دلم سودمفتش لهم عظمتهم وبش واستقبلهم بطفه الابوي وأخذ يسألهم عن العلوم التي
يتلقونها ويحضرهم على الانصراف الى العلم والأدب الى أن قال حفظه الله : وتعلمون يا أولادي ان
معلمنا الاكبر وهريننا الاعظم هو سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وهذا اذ كرر كما قاله عليه السلام
لصاحبه كيل بن زياد يوم اخذه الى الجبان ليحظه بالاموات قد قال له :

« يا كيل بن زياد ان هذه القلوب اوعية تحريها أوطاها ، فاحفظني ما أقوله لك ، الناس
ثلاثة ، فاعلم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاته ، وهمج رجاج اتباع كل ماعق ، يميلون مع كل ربح ،
لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا الى ركن وثيق ، يا كيل ، العلم خير من المال ، العلم يحرك
وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الاتقاق ، وصنيع المال يزول بزواله ،
يا كيل بن زياد ، معرفة العلم دينٌ يداين به ، به يكسب الانسان الطاعة في حياته ، وجيل الاحوية
بهدوئه ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كيل بن زياد هلك خزائن الاموال وهم احياء ،
والعلماء باقون ما بقي الدهر ، اعيانهم مفقودة ، وامثالهم في القلوب موجودتهم ، هان هنا لعلها
جسا (و اشار بيده الشريفه الى صدره) لو اصبته حلة ، بل اصبحتنا غير مأمورين عليه ، مستعلا
آلة الدين للدين ، ومستظهِراً بنم الله على عباده ، وبحججه على اوليائه ، أو متقاداً لحمة الحق ، لا
بصيرة له في احتائه ، بتقدح الشك في قلبه ، لا أول عارضه من شبهة ، ألا لا ذا ولا ذاك ، أو
منهوماً بالذمة ، سلس القياد للشبهة ، أو منوماً بالجمع والادخار ، ليسامن رعاة الدين في شيء ،
أقرب شيء هما الانعام السائمة ، كذلك يموت العلم يموت حامله ، اللهم بل لا تغفلوا الارض
من قائم لله بحجة ، أمّا ظاهراً مشهوراً ، وأمّا خائفاً منموراً ، لتلا تبطل حجج الله وبيئاته ، وكم
ذا ، وأين اولئك ، والله الأولون عدداً ، والاعظمون عند الله تدراً ، يحفظ الله بهم حججه وبيئاته

وَرَاخَ يَسْرُدُهَا سَرْدًا وَيُظْهِرُ مِنْ آدَابِهِ مَا تَسَامَى مِنْ فَعَاوِيهَا
فَأَذْهَبْنَا وَقَدْ لَأَلَتْ زَكَاتُهُ اللَّهُ أَكْبَرُ مَا أَزْهَى تَلَالِينَهَا
وَقُلْتُ بَارِكْ رَبِّي بِالْمُعْزِ وَيَالَا م نَجَالٌ وَهُوَ عَلَى اتَّقْوَى يَرْبِينَا
مَا لِلْمَعَارِفِ وَالْآدَابِ غَيْرُ عَلَا هُوَ قَوِي فِي الْعَرَبِ الْغَرَبَاءِ مُخْبِينَا

« ان الله يحب المحسنين »

مَوْلَايَ خَزَعَلْ يَا مَنْ عَمَّ الْإِنْسَمُ الْكَثْرَى وَأَغْنَى بِهَا بِرًا عَوَافِينَهَا (١)
لَا يُزْهِدُكَ فِيهَا أَنْ نَائِلَهَا لَمْ يَشْكُرْكَ لَوْ مَا رَاخَ نَاسِينَهَا
قَدْ تَقَوُّمُ بِفَرْضِ الشُّكْرِ طَائِفَةٌ بِهَا لَقَدْ سَعَتْ مِنْ دُونِ مُلْفِينَهَا
وَقَدْ بَلَاقِكَ مِنْ شُكْرَانٍ شَاكِرَهَا أَضْعَافُ كُفْرَانٍ مِنْ أَسْوَأِ مُضْبِعِينَهَا
وَحَسْبُكَ اللَّهُ أَنْ الْمُحْسِنِينَ لَهُ صَحْبٌ بِحَبِّهِمْ حُبًّا وَتَوَلَّيْنَا

« قيمة كل امرء ما يحسنه »

لَا تَقْتَحِرْ بِعِظَامٍ يَا أَخِي فَخَرْتُ إِنْ كُنْتُ تُنْتَى إِلَى مَا ضَيَّيْتُمَا لَيْلَهَا (٢)
فَقِيَمَةُ الْمَرْءِ مَا قَدْ رَاخَ يُحْسِنُهُ فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَأَفْخَرْ فِي مَا تَبْنِيهَا

حتى يودعوها نظراءهم ، ويزرعوها في قلوب اشيائهم ، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ،
وباشروا روح اليقين ، واستلنوا ما استوعبه المتقون ، وأنشوا بما استوحش منه الجاهلون ،
ومحبوا الدنيا بأبدان ارواحها مملقة بالحل الا على ، اولئك خلفاء الله في أرضه ، والدعاة الى دينه ،
آه آه شوقاً الى رؤيتهم ، انصرف يا كميل اذا شئت « له وبعد ان تلا عظمة مولانا ولي النعم المزمع
المعظم هذه الاحوال الدورية على انجاله الاحباب اخذ يشرح لهم ما فيها المالية بادبه العمم وعلمه الكثير
حتى حسبناه حفظه الله استاذاً يلقي محاضرة في العلم ثم تقصّل بارك الله فيه قتال لهم ما قال أمير
المؤمنين لصاحبه كميل انصرفوا الآن يا اولادي اذا شئتم فانصرفوا بعد أن دعوا لمعطته الملوكية
بطول البقاء وهو الدماء المستجاب ان شاء الله تعالى

أما كميل هنا فهو ابن زياد بن بديل بن هشام بن سعد بن مالك ينتهي بنسبه الى النعم
فأدركه وكان من اصحاب سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله وكان من أدنى المقربين من ذاته القدسية
وأعظم أنصاره وشيخته اخلاصاً قتله الحجاج للشبهة مع من قتل من اصحاب سيدتنا علي وسريده
(١) قال أمير المؤمنين سيدنا علي عليه صلوات الله « لا يزهدنك في المعروف ، من لا
يتذكره لك ، قد يتذكرك عليه ، من لا يستمع بشي من الله ، وقد تترك شكران الشاكر ، أكثر
بما أضاع الكافر ، والله يحب المحسنين » ويخلق بنا أن نواجه هذه الحكمة الملوية النقية عظمة
مولانا السردار أرفع روحه فداء ، وطالما غمط الناس فضله ، وتناسوا بلوهم شكره ، على انه
حفظه الله ، يسدي الاحسان لوجه الله الكريم ، لا يطلب عليه شكر الناس ولكن رضاه الله الرحيم
(٢) قال أمير المؤمنين عليه صلوات الله « قيمة كل امرء ما يحسنه »

« وأما بنعمة ربك فحدث »

يَا صَاحِبِي لَا تَضِعْ لِيهِ أَنْعَمَ وَكُنْ لِقَوْلِكَ بِالشُّكْرِ أَنْ تُبَيِّنَهَا (١)
وَحَدِّثْنِي بِهَا الْإِخْوَانُ مُفْتَخِرًا مِنْ غَيْرِ زَهْوٍ وَحَازِرًا أَنْ تُؤَارِنَهَا

« لم يذهب من مالك ما وعظك »

مَا ضَاعَ مَالٌ لَقَدْ أَصْبَحْتَ مُخْتَصِرًا بِهِ الْخَسَائِرَ وَالْأَرْبَاحَ دَارِئَهَا (٢)
إِنَّ الْخِسَارَةَ إِنْ تَذْهَبِ الْفَنَى وَبِهَا قَدْ بَاتَ مُتَعَطِّيًا فَالْزَبْحُ قَالِبُهَا

(١) قال الله سبحانه في كتابه العزيز « وأما بنعمة ربك فحدث » وقال سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله « لا تضيقن نعمة من نعم الله عندك ، وليس عليك أن تر ما أنعم الله به عليك » أقول ولا غرو أن يقتابه القولان والمرضى ويب كتاب الله متأدب بأدبه . وعلى ذكر هذه الحكمة الباهرة ما روي لقراءه طوبى المباركة حديثاً أحب أن أشركهم به فقد كنت يوماً في خدمة عظمة مولاي السردار أرض روحى فداه في الكسالية وإذا يساع من سماء الشر كان متصلاً بالجلس الخزعلي العالي فسمى رجل من الخاصة وما هو فيه من بحاج النعم فذكر أنات بيته وما يقى من تحيل وخيل ومال وما يبدل للناس من الأموال فأصنى عظمة مولاي لذلك الساعي التهام بما عهد الناس فيه من سمة الصدر إلى أن انتهى من سعيته فقال حفظه الله : لقد سررتني يا هذا بما رويته عن فلان فهو يحدث الناس بنعمة الله ويشكره بظهارها وعلى أن أزيد له بالطاء ثم مال أطال الله بقاءه البنا وقال : إن تحدث بالنعمة فهو الشكر بعينه لمسديها وهل يسرني إلا أن يكون فلان في الخير الذي سمعته وقد عرفه الناس من خاصتي وقد قال الله سبحانه « وأما بنعمة ربك فحدث » وقال أبو الحسن عليه السلام « ولا تضيقن نعمة من نعم الله عندك ، وليس عليك أن تر ما أنعم الله به عليك » ألا واني لمحدثكم حديثاً قديماً فيه العزة البالغة فقد خرج الرشيد يوماً مع وزيره جعفر مستخفين لزيارة الاممي الشاعر المشهور وصحب معه ألف دينار نوى أن يسله بها فلما بلغا داره وجداهما يكساه جرداه وبأية سلاء وحسير مقطوع وخباه قديمة وأباريق من خرف وحيطان مملوءة من نسج المنكبوت ووجداه جالاً على بساط رث في شمال بالية وبين يديه دواة من زجاج ودقات عليها التراب فوجم الرشيد لتسكم شاعره بنعمه وطالما أغدقها عليه وجلس إليه من غير أن يسرف بنفسه وسأله مسائل غتة وانصرف بدنانيره الالف مع وزيره جعفر حتى اذا ما خرجا قال الرشيد لصاحبه : ألا ترى الى نفس هذا المهن فقد برزناه بمخمين ألف دينار وهذه حاله لم تظهر عليه آثار نعمتنا وانه لا دفت اليه شيئاً بعد اليوم . أقول تفجل الساعي من سعيته واصفر وجهه ونمى لو فترت الارض فاها وابتلعت . أما نحن فاعجبنا بالحكمة الخزعلية المالية في تربية المتصلين بذاته السنية اذ ردعهم بمثل هذا الظرف والظف عن السعاية والتمية ويسلكهم السالك القويم كما أعجبنا بتناهيه في الكرم حتى لا يسر الا اذا ظهرت على عيده آثار ما يصدق عليهم من وفور النعم . واتصل بنا ان قوماً ذكروا لعظمة مولانا ولي النعم ظهورنا بنعمته في مصر على ما يليق بشر فاثبتنا الى ذاته السنية فقال لهم : كذلك يكون المبد الشكور فمن لم تظهر عليه نعمتنا فهو غير خليق بها فوجوا ساكتين .

(٢) قال امام الراشدين عليه صلوات الله « لم يذهب من مالك ما وعظك »

« البشاشة جبال المودة »

إِنَّ الْمَوَدَّةَ فَاعْلَمَ مَا جَبَّالَتَهَا إِلَّا الْبَشَاشَةُ كُنَّ صَاحِبَاتِ الْمُهَيَّبَاتِ (١)
وَصَدَّ بِهَا أَنْفُسًا تَخْشَى عَدَاوَتَهَا وَأَنْفُسًا تَتَّقِي أَنْ تُصَافِيَهَا

« أيها الطبيب اشف نفسك »

إِنَّ الَّذِي يَتَصَدَّقُ لِلْإِمَامَةِ كَيْ يَكُونَ النَّاسُ أَوْ كَيْمَا يَرْبِيهَا (٢)
فَنَفْسُهُ أَوْ لَا يَبْدَأُ بِهَا قَبْرَ بَشِيئَةٍ وَعَنْ كُلِّ مَا يُزِيهِ يُنَجِّبُهَا
وَلِيَجْزِلَ الْمَثَلُ الْمَحْمُودُ سَيْرُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَضْرِبَ الْأَمْثَالَ يَزِيهِهَا
إِنَّ الَّذِي نَفْسُهُ رَبِّي لِأَخْلَقَ بِالْإِيمَانِ جَلَالِ مِيقَاتِ يَرْبِي النَّاسَ يَهْدِيهَا

« خير الوصايا »

أَوْصِيكَ يَا ابْنِي خَلَا لَوْ عَمَلَتْ بِهَا لَا تَرْجُونَ سِوَى بَارِيكَ مُضْطَلِبًا
لَيْتَ أَوْسَعَ خَلَقَ اللَّهُ تَرْفِيهَا (٣)
مِنْهُ رَغَائِبُكَ أَلْهَنَّا لُتْلِفِيهَا
وَلَا تَخَفْ غَيْرَ مَا قَدْ كُنْتَ جَانِيَهُ
مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي مَا فَازَ جَانِيَهَا
لَا تَسْتَحِ الْقَوْلَ لَا أَذْرِي إِذَا سَأَلُو
كَ عَنْ أُمُورٍ بِحَقِّ لَسْتَ تَذَرِيهَا
وَسَلَّ بَلَا وَجَلَّ مَا أَنْتَ جَاهِلُهُ
مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَذَرِيهِ وَإِعْيَا
وَقَابِلُ بَصِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَصَا
يُبِ أَلْزَمَانِ إِذَا يَذْهَبُ دَاهِيَهَا
هَلْ فِي وَصَايَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
عُشَائِهِ أَنْ يَعْمُوا غَرَا فَحَاوِيَهَا
وَأَنْ يَوْمُوا عِلَاقَهُ مُرْتَجِينَ رِضَا
هُ مَعَ شَفَاعَتِهِ وَهُوَ الْمُؤَقَّرِيهَا

(١) قال أبو تراب عليه صلوات الله « البشاشة جبال المودة »

(٢) قال سيد الواعظين عليه صلوات الله « من نصب نفسه للناس إماماً ، فليعلم أنه يندبهم ، قبل أن ينصب نفسه ، ولكن تأديبه بغيره ، قبل تأديبه بلسانه ، وهلم نفسه ومؤدبها ، أحق بالاجلال من معلم الناس وهدوهم »

(٣) قال سيف الله الثالث سيدنا علي بن أبي طالب « أوصيكم بخمس ، لو ضربتم إليها كباط الابل ، لكانت لذلك أهلاً ، لا يرجون أحد منكم إلا ربّه ، ولا يخافون إلا ذنبه ، ولا يستعين أحد منكم إذا سئل عما لا يعلم ، أن يقول لا أعلم ، ولا يستعين أحد إذا لم يعلم الشيء ما من يتعلمه ، وعليكم بالصبر فإن الصبر من الأيمان ، كالرأس من الجسد ، ولا خير في جسد لا رأس منه ، ولا في إيمان لا صبر منه »

« الهية والحياة »

مَنْ أَسْتَحْيَ مِنْ تَقَا ضِي حَتَّ لَشَكَّى الْخِرْمَانِ شَكْوَى أَخْوَالِ الْعِزْمَانِ بِذَوِيهَا (١)
وَمَنْ يَهَبْ دَهْرَهُ مَا نَالَ حَاجَتَهُ وَخَابَ فِي كُلِّ رَجْوَى رَاحَ رَاجِيهَا

« الجبن منقصة »

إِنَّ الشَّجَاعَةَ يَلْقَى الْفَخْرَ صَاحِبُهَا مِنْ قَوْمِهِ حَيْثُ يُنْسَبُ وَهُوَ حَامِيهَا
وَالْجُبْنَ مَنَقَصَةٌ فِي الْمَرْءِ تَجْعَلُهُ أَحْطَ أَقْرَانِهِ أَذْنَى أَدَانِيهَا (٢)

« العقل والجبل والأدب والمشورة »

خَيْرُ الْغِنَى الْعَقْلُ مَا نَفَعَ الْغِنَى إِذَا مَا كَانَ مُخْتَلِطاً أَلْفَكَارِيسَ هَيْبِهَا (٣)
وَالْجَبَلُ قَهْرٌ وَإِنْ كَانَ الْجَبَلُ غَنِيّاً جَامِعاً بِذَرِ الْأَمْوَالِ قَانِيهَا
وَإِنَّمَا الْأَدَبُ الْمَحْمُودُ أَفْضَلُ مَا لَمْ يَلَمْ بِالْهَيْبَةِ قَدْ وَرَثَتْ يَوْمًا ذَرَارِيهَا
وَإِنْ مَشُورَةُ الْأَخْوَانِ أَفْضَلُ عَوْنٍ لِلْعِبَادِ إِذَا نَفَقَتْ مُشِيرِيهَا

« الافراط والتفريط »

لَا تَسْرِفَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَارِشِدٍ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ بِتِ الْمُنَافِيهَا (٤)
فَلَا تَرَى جَاهِلًا إِلَّا ابْتِغَاطُ فِي أَعْمَالِهِ أَوْ تَوَاهُ مَقْرُطًا لِيَهَا

« صروف الدهر »

يُجَدِّدُ الدَّهْرُ فِي النَّاسِ الرِّغَابَ وَيُخْلِقُ الْجُسُومَ قَدَنُوهُ مِنْ تَلَاشِيهَا (٥)
وَهُوَ الْمُقَرَّبُ لِلنَّفْسِ الْمُنِيَّةِ إِذْ يُنْسِي بِهَا رَحْمَةً عَنْهَا أَمَانِيهَا
وَإِنْ قَوْمًا تَوَلَّوْهَا لَقَدْ شَقِيَتْ بِهِ وَإِنْ صَدَّ عَنْهَا فَهِيَ مُشْقِيهَا

(١) قال دمي المصطفى عليهما الصلاة والسلام « قرنت الهية بالحياة . والحياة بالحرمان »

(٢) قال الامام علي عليه صلوات الله « الجبن منقصة »

(٣) قال سيدنا حيدرة عليه صلوات الله « لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل ، ولا ميراث كالادب ، ولا ظهير كالمشاورة »

(٤) قال سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله « لا ترى الجاهل الا مفراطاً أو مفرطاً »

(٥) قال حيدرة عليه صلوات الله « الدهر يخلق الأبدان ، ويجدد الآمال ، ويقرب

لنية ، ويباعد الامنية ، من ظفر به نصب ، ومن فاته تب »

« المرء وعمله »

وَإِنَّمَا الْحَسَبُ الْمَرْزُوقُ تَالَهُ
وَالنَّسْرُ يُسْرِعُ بِالْإِنْسَانِ سَوْدُودَهُ
إِنْ أَبْطَأَتْ وَهُوَ مِكْسَالٌ فَصَالَهُ
عَنْهَا بِهِ بَلْ بَعِيدٌ أَنْ يُدَانِيَهَا
يَزْدَادُ بِالطَّارِفِ الْمَكْسُوبُ تَوَجُّهَهَا
إِلَى الْمَعَالِي الَّتِي مَا أَفْكَ يُغْنِيهَا (١)

« المقلَّ غريب في بلده »

عَجِبْتُ لِلنَّاسِ نَهْوَى الْمَالِ تَعْبُدُهُ
كَأَنَّمَا هُوَ ذُوْنَ اللَّهِ كَافِيهَا
تَجْفُو الْفَقِيرَ وَتَخْفَى بِالْغَنِيِّ وَلَا
يَهْمُهَا غَيْرُ أَنْ تَدْنُو لِغُرْبِهَا
فَكَمْ غَنِيٍّ يَرَى فِي وَسْطِ غُرْبَتِهِ
أَجَبَةً تَتَمَتَّى تَوْ يَصَافِيهَا
وَكَمْ مُقِلٍّ غَرِيبٍ وَسْطَ بِلَدِهِ
مَا مِنْ صَدِيقٍ لَهُ مَا بَيْنَ أَهْلِيهَا (٢)

« المبتدون اخوان الشياطين »

مَا بَيْنَ بُخْلِ الْفَتَى بُخْلًا يُشَانُ بِهِ
وَبَيْنَ تَبَرُّرِهِ آلَاءِ مَوَالٍ يُغْنِيهَا
تَالَهُ مَرَّتَبَةً وَسْطَى يَنَالُ بِهَا
مَقَاحِرًا ذُو الْحَيِّ وَالَّذِينَ يُغْنِيهَا
فَلَا تَدْعُ يَدَكَ الْمَلَأَى بِأَصْفَرِهَا
لِلْعُنَى مَقْلُودَةً شَعًّا بِمَا فِيهَا (٣)
وَلَا تَكُنْ مُسْرِفًا لِلنَّاسِ تَبْسُطُهَا
فَإِنَّ بَسْطَهَا مَا أَلَّهُ رَاضِيهَا
وَالْمُسْرِفُونَ لِأَخْوَانٍ بَشَرٍ جَدًّا
لِلشَّيَاطِينِ فَأَحْذَرُ أَنْ تُوَاجِهَا (٤)
وَكُنْ سَمُوحًا وَحَازِرًا نَكُونُ مَبْشِيرًا
بِجَدْوَالِكَ إِنْ وَافَاكَ رَاجِيهَا (٥)
وَلَا تُقَسِّرْ وَقَدَّرْ مَا تَجُودُ بِهِ
عَلَى الْعَوَاقِي فَهَنَا ثُمَّ تُهْنِيهَا

(١) قال سيدنا أبو الحسن عليه صلوات الله « من أبطأ به عمله ، لم يسرع به حسبه »

(٢) قال استاذ البلاء وأمير النصحاء عليه صلوات الله « المقلَّ غريب في بلده »

(٣) قال الله عز وجل في كتابه العزيز « ولا تجعل يدك مظلومة الى عنقك ، ولا تبسطها

كلَّ البسط ، فقد ملوماً محسوراً »

(٤) قال الله سبحانه في هديه « ان المبتدئين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفوراً »

(٥) قال سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله « كن سمحاً ، ولا تكن مبشراً ، وكن

مقدراً ، ولا تكن مقترأ »

« إذا لم يكن ما تريد فلا تبلى كيف تكون »

إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ يَا ابْنِي مَا أَنْتَ رَاغِبُهُ فَلَا تُبَالِ بِحَالِ كَيْفَ تُلْقِيهَا (١)
فَلَمَّا بَغِلِبُ الْأَيَّامُ بِقَهْرُهَا مِنْ رَاحٍ يَرْضَى وَلَا يَجْزُو مَا نَبِيهَا

« الشكوى لغير الله مذلة »

إِنْ نَالَكَ اللَّهُرِيُّوَمَا بِالْمَصَائِبِ فَاسْتُمْهَا وَلَا تَكُ لِلْإِخْوَانِ مُبْدِيهَا (٢)
فَلَمَّا مَنْ نَالَهُ ضَرٌّْ وَأَظْهَرَهُ فَقُلْ مَذَلَّتُهُ قَدْ بَاتَ رَاضِيهَا
وَكُلُّ شَكْوَى لِغَيْرِ اللَّهِ ذَاهِبَةٌ سُدَى وَمَا نَالَ غَيْرَ الدَّلِّ شَاكِهَا (٣)

« من حذر كمن بشرك »

إِنْ أَلْدِي جَاءَ بِالْحَذِيرِ يَطْلُبُ أَنْ يُنْجِيكَ مِنْ غَيْرِ الْأَيَّامِ تَقِيهَا (٤)
كَمَنْ يَحْذِرُكَ بِالتَّشْيِيرِ يَطْلُبُ أَنْ تَهْنَأَ بِعُنَى وَشَيْكَ أَنْ تَلَاقِيهَا
بَلِ الْمَحْذَرُ مَا فَوْقَ الْمُبَشِّرِ إِخْسَانًا بِقَوْلَةِ صِدْقٍ رَاحٍ مُقْلِيهَا
يَهَا أَلْفَنَى يَتَلَاقَى دَاهِيَاتٍ أَدَى لَوْلَا مُحْذَرُهُ صَبَّ تَلَاقِيهَا

« ذوو المروآت »

ذَوُو الْمَرْوَاتِ أَهْلٌ لِاحْتِرَامِ عِبَا دَاللهُ يُكْرِمُهُمْ تَاللهُ تَاقِيهَا
فَلَمَّا هُمْ عَزُّوْا لَا شَيْءَ عَنْهُمْ تَقَالُ وَاللهُ رَاضٍ عَنْ مُقْبِلِيهَا (٥)
وَأِنْ عَاثَرَهُمْ بَارِيكَ يُنْهَضُ مِنْ هَوْلِ عَثَرَتِهِ حَتَّى يُخْطِيهَا

(١) قال سيد الوطاء والمرشدين عليه صلوات الله « إذا لم يكن ما تريد فلا تبلى كيف تكون » وهذا القول العلوي الشريف لقد حمل الكثيرون منزاه وهم يحفظون عن الحكماء قولهم « إذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون » على أن قول سيدنا علي عليه صلوات الله أيده صرى وأبلغ فصحا ومنه إذا لم يكن لك يا صاح ما تريد فلا تبلى أي لا تنكث بالحل التي تكون فيها مهماصبت ولا تحمل لذلك هما

(٢) قال سيدنا علي عليه صلوات الله « رضي بالذل من كشف ضره »

(٣) قال سيدنا أمير المؤمنين عليه صلوات الله « الشكوى لغير الله مذلة »

(٤) قال سيدنا المرتضى عليه صلوات الله « من حذر كمن بشرك »

(٥) قال سيف الله الناب علي بن أبي طالب عليه صلوات الله « اقبلوا ذوي العثرات

عثراتهم ، فإ يثر منهم طائر ، إلا ويده بيد الله يرقه »

« البخل عار »

جُدْ بِالْبَيْضَارِ فَإِنَّ الْجُودَ مَحْمُودٌ وَأَفْضَلُ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ سَاخِبُهُ
وَالْبَخْلُ عَارٌ وَرَبُّ الْبَخْلِ عَرَضَةٌ لَوْ لَيْدَ النَّاسِ فَلْيَحْذَرِ الْمُنْزِي لَا كَيْفَهَا (١)

« الفقير أخرس »

إِذَا أَنْتَا أَخُو عَيْسٍ بِحَاجَتِهِ فَكُنْ وَلَوْ لَمْ يَجُلْ فِيهَا مُلْكُهَا
فَالْفَقْرُ يَخْرُسُ عَنْ حَاجَاتِهِ الْفَطْنُ أَلْسَانُ فَهُوَ لِي فِي تَرْجِيئِهَا (٢)

« دولم التعم »

إِنْ كَانَ رَبُّكَ قَدْ أَوْلَاكَ نِفْمَتَهُ وَلَمْ تَكُنْ طَائِعًا يَأْصَاحُ مَوْلِيَهَا (٣)
فَاحْذَرُهُ لَا تَمَادَى فِي الْعَصَاوَةِ فَالرَّحْمَنُ يُخْرِمُكَ النَّعَى وَيَقْصِيهَا

« التكفير عن الذنوب »

غِيَا أَخَا الْفَضْلِ مَلُوفًا وَكَرْبَتُهُ نَفْسٌ وَحَقِيقٌ مَنَى قَدْ جَاءَ يُسْذِنُهَا (٤)
بِذَا تُكْفِرُ عَنْ شَيْءٍ ذُنُوبُكَ عِنْدَ اللَّهِ حَاضِرُهَا الْمُنْزِي وَمَا ضَمِيهَا

« الصبر شجاعة »

أَصْبِرْ عَلَى مَضْعُضِ الْأَيَّامِ صَبْرُ كَرِيمٍ حَازِمٍ لَمْ يَهَبْ فَاجِي لِيَا لِيَهَا
فَلَوْ نَحْنُ أَشْجَعُ الشُّجْعَانِ أَصْبِرُهَا عَلَى الْمَكَارِهِ قَاسِيَهَا وَذَا هِيَهَا (٥)

« انهاز القرص »

بَادِرْ إِلَى فُرْصِ الْخَيْرَاتِ مَا سَنَعَتْ وَلَا تَنْتُمْ يَا بَيْنَ وَدِّي عَنْ تَوَلِّيَهَا
فَلَوْ نَحْنُ فُرْصُ الْخَيْرَاتِ أَسْرَعُ مَا تَمَرُّ مَرَّ سَحَابِ الْأَفْقِ صَيْفِيَهَا (٦)

(١) قال ابو المصطفى عليهما الصلاة والسلام « البخل عار »

(٢) قال امام الحكماء عليه صلوات الله « الفقير أخرس »

(٣) قال سيد الناصحين عليه صلوات الله « يا ابن آدم ، اذا رايت ربك سبحانه وتعالى ،

يتابع عليك قمه ، وانت قمصه ، فاحذر »

(٤) قال الامام علي عليه صلوات الله « من كفارات الذنوب العظام ، اعانة الملهوف ،

والتنقيس عن الكروب »

(٥) قال سيدنا وهولانا سيف الله المال عليه صلوات الله « الصبر شجاعة »

(٦) قال سيدنا المرتضى عليه صلوات الله « الفرصة تمر مر السحاب ، تهزوا فرص الخير »

مسك الحتام

يَا أُمَّ الْمُصْطَفَى يَا مَنْ أَعِيشُ لَهَا وَلَسْتُ أَرْغَبُ إِلَّا فِي تَعَالِيهَا
إِلَيْكَ مَلْحَمَتِي بِاسْمِ الْمُزَّرِّ أَمِيرِ الْعُرْبِ قَدْ جُلِيَتْ غَرًّا قَوَافِلُهَا
جَمَعْتُ فِيهَا حَدِيثًا كُلَّهُ عِبَرٌ تَقِيدُ قَارِعَهَا رُشْدًا دَرَارِيهَا
مُبِينًا كَيْفَ قَدْ نَادَى الرَّسُولُ إِلَى الْهَدَى الْخَلَائِقَ عُرْبِيهَا وَعُجْمِيهَا
وَكَيْفَ قَدْ نَادَتْ بِالْجَهْلِ دَعْوَتَهُ قَوِيْنُ وَهُوَ أَبْنَاهَا لِلْخَيْرِ دَاعِيهَا
وَكَيْفَ قَدْ أَعْرَضَتْ عَنْ نُورِ شَرِيعَتِهِ لَمَّا أَضَاءَ بَلَقَى فِي دِيَارِ جَنَّتِهَا
وَكَيْفَ بِالْصَّبْرِ قَدْ دَامَ الْمَصَائِبَ حَتَّى أَلْحَقَ أَزْهَقَ فِي الدُّنْيَا أَلْتَرَارِيهَا
وَكَيْفَ كَانَ جِهَادُ الْمُخْلِصِينَ عَظِيمًا فِي تَائِيهِ الْبَادِي تَجَلِيهَا
وَكَيْفَ كَانَ عَلَيَّ خَيْرَ صَاحِبِ رَسُولٍ لَ اللَّهُ يَلْقَى أَعَادِيهِ وَيَقْنِيهَا
وَإِنْ آثَارُهُ فِي الدِّينِ خَالِدَةٌ عَلَى الْمَدَى خَيْرًا لِبَارِي مُضِيغِيهَا
فَمَنْ تَدَبَّرَ حِرْمَانَ الْوَحْيِ حَقُّهُ قَهَّ أَلْبَى الشَّرْعِ رَاضِيهَا وَمُنْضِيهَا
وَصَبْرُهُ وَهُوَ مَطْلُومٌ عَلَى غَيْرِ الْأَمِّ يَوْمَ حَتَّى غَدَا تَالَلَّهِ مُقْنِيهَا
وَعَلَّ أَصْدَقَ أَهْلِ الدِّينِ أَجْمَعِينَ سَعْيًا لِأُمَّتِهِ يَنْفِي تَرْقِيهَا
هَاتَتْ عَلَيْهِ حَقُوقَ مِنْهُ ضَائِعَةٌ بِنَفْسٍ حَرٍّ تَنَاهَتْ فِي قَفَائِنِهَا
نَعَمْ فَاسْوُونَا بِالْصَّبْرِ حَيْدَرُهُ وَكُلُّ نَفْسٍ بِهِ تُنْفِي تَائِيَهَا
كَذَلِكَ قَدْ كَانَ بِالْأَفْئَامِ قُدُوتَنَا عَلَى الْإِصْطَابِ فَلَمْ يَرْهَبْ تَوَلَّيَهَا
فَلَنَسْتَبِيعَ خَطَوَاتِ الْمُتَرَفِّعِي لَنَا لَ الْمَجْدَ مَا تَالَهُ إِلَّا مُحْطِيهَا
وَبَا بَنِي الْعُرْبِ الْأَجْوَادِ زَادَكُمْ رَبِّي يَنْهَضِيكُمْ مَجْدًا وَتَجْوِيهَا
أَرَدْتُ خَيْرَكُمْ فِي نَظْمِ مَلْحَمَتِي وَهَذَا إِخَالِكُمْ تَسْتَشِدُّونَهَا
فَادْعُوا مَعِيَ لِأَمِيرِ الْعُرْبِ خَزَعْلَ أَنْ يَحْيَا فَلَوْلَاهُ مَا كُنْتُ الْمَوْشِيهَا
أَتَابَهُ اللَّهُ عَنَّا مَا يَسَابُ بِهِ عَلَى الْفَضَائِلِ وَأَخْبِرَاتِ مُسْنِيهَا



نظم العلوية في فصول الحجرة السعوية

فِي ظِلِّ خَزَعَلٍ فِي قِيَاضِ أَنْعَمِهِ
 وَإِنِّي عَائِشٌ رَغْدًا بِنِعْمَتِهِ
 مَا كُنْتُ أَهْلًا لَهَا إِنْ كُنْتُ مُتْرَكًا
 لِيُنِي لِأَشْكُرُ مَوْلَايَ الْمُمِيزُ وَقَدْ
 وَمَا أَفْتِخَارِي إِلَّا أَنْ مَنَزَلْتِي
 تُظِلُّنِي حَيْثُمَا أَتَوِي عِنَايَتُهُ
 مَلْتُ الْمُنَى وَأَنَا بِالشُّكْرِ أَبْتَرِنَهَا
 فَالْحَمْدُ يُسَدِّي إِلَى أَعْتَابِ مَوْلَانَا
 شُكْرَانَهَا بَيْنَ قَوَّيْ مَا أَفَاهِيهَا
 بِرَغْنِيَتْ عَنْ الدُّنْيَا وَأَهْلِيهَا
 مَنْ مَجْلَبِهِ مِثْلَمَا تَبْدُو لِوَارِثِيهَا
 وَمَا أَنَا بِسُوءِ شُكْرِي مُكَافِئَهَا

المصاحبة العشرة

نشرت في حاشية صفحة ٢٢٤ كفة في الصحابة العشرة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ فقد ذكرت قيمهم خالد بن الوليد خطأ لا أعلم كيف تسرب إلى قلبي مع أنه ليس منهم ونسيت سيد بن زيد وهو منهم مقداراً لهذا الخطأ عقدت هذا الفصل لذكر شيء مفيد عن هؤلاء العشرة ونسبهم إلى رسول الله مع ترجمة سيد هذا فأقول إن هؤلاء العشرة هم السابقون الأولون في محبة رسول الله عليه الصلاة والسلام وكلهم من قريش وهاك جدول يتضمن قربانهم من المصطفى مع ذكر شجرته النبوية الطاهرة

ابن ابی طالب علی

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد المطلب بن

عبد شمس بن
الخاص بن أبي
عمال بن علف بن أبي

ابن ہاشم بن عبدمنزف بن فہ بن فہ بن

سید بن زید بن عمرو
ابن قلیل بن عبد المزی
ابن رباح بن عبد اللہ بن
قرط بن ذراح بن عدی بن

ابن سعد بن شبيب بن
عثمان بن عمرو بن كعب
طلحة بن صبيد الله ابن

سعد بن مالك بن أهدب

ابن زهرة بن
ابن عبد مناف بن كعب

کلاب	بن	مروة	بن	که
------	----	------	----	----

عمر بن الخطاب بن نفيل
ابن عبد المزي بن رباح
ابن عبد الله بن قريط

فصل في بيان
الحال

زهرة بن
أبو بكر بن أبي قحافة

عبد الرحمن بن عوف بن

ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن
مدركة بن الياس بن مضر بن معد بن عدنان الى سيدنا اسماعيل

وقد جاء محمد بن أحمد بن خلف بأبناء هؤلاء الصحابة العشرة يضع آيات من الشعر قال:
 صلاة ربي دائماً والطيبين البررة على النبي المصطفى وآله والعشرة
 قاله من فاطمه ومن أخيه جعفر وشيبة الحمد لهم أصل أطاب الثمره
 ويسد عنان من عبد مناف الخير ومن قصي لحق الزبير سردي الكفره
 سعد المقتدى من كلا بوابين عوف أزروه صدقنا وطلحة من سرقة ما أشهره
 قاروقنا من كبرهم سعيد بقو أثره وطامر الامين من قهر كمال الشره

والمسلمين أو الممتنابنة في هؤلاء الصحابة العشرة فيضهم يرى أنهم غير مشوثين بمافعلوا والبعض
 يسامحونهم والبعض يؤاخذونهم ونحن لا نعرض لهذا ولا نطيل في بيانه لأن عملنا في علوقنا المباركة
 مقتصر على الوجه التأويحي فقد رويانا ما كان على ما قدرنا أن نقصه وتجنبنا على قدر الامكان ما أثبتته الناس
 ثوباً دنيئاً فهم أدرى بذلك منا ونحن نعتز بالجزء والتقصير ولا سيما بأزاء كل ما له علاقة بالدين
 « ترجمة سيد بن زيد »

هو سيد بن زيد بن عمرو بن قنيل بن عبد المزي بن رباح القرشي المدوي المكي الصحابي
 من اقدم رجال الصحابة وأحد العشرة الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وكان
 متزوجاً فاطمة أخت عمر بن الخطاب وأسلم معها وهو من المهاجرين الاولين وأخى رسول الله بينه
 وبين أبي بن كعب وشهد مع رسول الله جميع المشاهد بعد بدر الكبرى وبعضهم يجعله بنبأ أي
 انه حضر غزوة بدر الكبرى . وكان صالحاً زاهداً طاباً قائماً مقتصراً على نفسه لا يتعداها ولذلك
 لم يرد له ذكر بعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم يدخله عمر بن الخطاب في أهل الثوري الستة
 انه نسيه وهذا ما جاني انسى وجوده بين العشرة فلم أحصه معهم فوفقت في الخطأ الذي اعتقر منه
 وكذلك لم يرد له ذكر في الحوادث التي جرت لثمان بن عفان في مدى خلافه ولا سيما في وقت
 الثورة . ولم أجد له ذكر في بيعة سيدنا علي ولا وجده بين مبائيه أو العاصين عليه بل كان في
 كل هذه المدة الطويلة مقبلاً في المدينة المنورة متسكفاً على الصلاة والمباةة مروقاً بالصلاح يتبرك
 به الناس ويستقدون به الكرامة . وكان ذا هوة مستجابة عند الله من ذلك ان امرأة تدعى
 أروى بنت أوس خاصته زوراً الى سروان مدعية أنه اغتصب لها حقاً وجاءت بشهود زور فما
 استطاع أن يرد دعواها الباطلة فقال : اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها في أرضها ويألفل
 فقدت بصرها في اقرب وقت ووقت في حفرة وماتت . وعاش سيد طويلاً كما قلنا في خلوته فلم
 يتعرض لكل ماجرى حوله ومات سنة ٥٠ وقيل بعدها ودفن في البقيع من المدينة المنورة

وما يذكر عن هذا الصحابي ان اياه زيد بن عمرو بن قنيل كان أحد من اعتزل عبادة الاوثان
 في الجاهلية وامتنع عن أكل كل ما ذبح لها وكان يقول لقومه : يا معشر قريش ابرس الله قطر السماوي بيت بل
 الارض ويخلق السائمة قترعى فيه وتذبحونها لغيره ما هذا منكم بدل ما والله ما أعلم على وجه الارض احداً
 على دين ابراهيم غيري . وكان قول زيد هذا يفضب عمومته قريش ويسدان عجزوا من تقيمه لهم متنومه
 من دخول مكة وكان اشدهم عليه الخطاب بن قنيل والد عمر بن الخطاب . وكان زيد اذا خلص الى
 البيت استقله قائلاً : يا مولاي ليك حقاً حقاً تعبد أوروباً البر أرجو لا الحال وهل يحجر من قال :
 عذت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم
 يقول أجي لك فان راغم مها تبحسني في جاشم

وظهور مثل زيد من متبلي عبادة الاوثان في ذلك الزمان كان من مقدمات ظهور النبوة
 وقد ذكر امام رسول الله صلى الله عليه وسلم قائني عليه وقال سييمت يوم القيامة أمة وحده

استدراك واعتذار ورجاء

لا يدرك الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يمانها
توليت الاشراف على طبع هذه القصيدة المباركة بالشكل الكامل بنفسى وفي اثنائه رجوهي
اليها رجوعاً ابدل شكلها تماماً عما نشرته منها في السمران وضاعف فصولها واياتها ولذلك ما استطعت
مع كل ما نلت من الجهد اخراجها سليمة من الاغلاط الطبيعية أو الاغلاط التي ذل بها القلم من
غير اقباله لتراكم العمل علي بين فظم وتاليف ومراجعة التواريخ المدينة وتبيين وتصحيح الامثلة
الاولى قبل الطبع وما كان يتعدى علي الرجوع الى هذه الاغلاط وتصحيحها بمجدول على ما قبل
غيري لولا اني وجدت العمل يستغرق وقتاً آخر لا متسع أمامي له وما هذه الاغلاط بذات شأن
جوهرى بل أكثرها بدئية يدركها القاري القليل عند مروره عليها وجلها اغلاط في بعض
الحركات حدث معظمها عن سقوطها أو كسرهما وتصرف العامل بوضع بدلها من غير مراجعتي ومنها
ما فات علي أنا ولا نكران للحق وجل من لا يخطئ موافقي لا رجوان تكون الطبعة التالية أكثر دقة وأوفر
محة سواء في الاغلاط الطبيعية أو غير الطبيعية أوقعا وهي من المواضيع التاريخية ولا سيما في التراجم
ولا بد لي من استغاثات أطوار أهل الفضل الى حقيقة يخلق الجهر بما وهي اني كنت انطم
هذه القصيدة المباركة واطلق حواشيها بروح اغلاص وصداقة مزرعة عن جميع المؤثرات الاخرى
اني يترغم لها الآخرون فاذا تدبر المنصفون هذا اصغوا لي عنراً اذا ما رأوا فيما ذهبت اليه
ما يخالف احواءهم وأغراضهم والكريم يذمر والله سبحانه من وروايات ولا يكلف الله نفساً الا وسعياً
ثم اني أرجو كل منصف غيور من أهل العلم والأدب وحفظة التاريخ أن لا يخلوا علي
بنقد هذه القصيدة المباركة من الوجهتين الأدبية والتاريخية لاستدراك ما فاتني في طبعة أخرى تكون
اتم من هذه وأدنى أن شاء الله واني لو الله لا استحي من الحق اذا عرقتة أن لا أرجع اليه والحق
حيث الله واني علي اتم استمداد لنشر ما يرد علي من النقد علي صفحات جريدتي السمران على شرط
أن يكون خالياً مما اعتاده بعضهم من اللغو قد اعتدت أن أسر علي اللغو سر الكرام واني اذكر
النقادين بأن الحقيقة لا تظهر بالمهارة بل بالحلم وسعة الصدر والانيان بساطع البرهان وحيثما يصح
قولهم « ان الحقيقة بت البحث » وعندي انه لا يطمس مالمها شيء مثل الغرر والخزيان
والذي أقوله بكل صراحة هنا هو أن هذا العمل الكبير يحتاج الى تب آخر كالتمب الذي
هائنت لتخرج هذه الطوية المباركة على ما أحب من الدقة وما سيزر علي مولاي ولي النعم صاحب
المظلة الشيخ خزعل خان الذي اعد علي مواهبه حتى وحدث سنة من الوقت لتنظها وتعليق حواشيهما
أن يوجد لي في ظله العليل متسعاً آخر من الوقت لاعمل على زيادة اتقانها واخراجها للناس في ثوب
نقي يقول معه أهل الفضل « ليس في الامكان ابيع مما كان » وأقول أخيراً ما فلت أولاً ان الفضل
كله لسطمت الملوكية اداها رب البرية وأماه أعظم ثواب في الدارين على اعماله المبرورة الخيرية ووقفي
الى حمده واتمام عليه والدعاء له في كل مرة وشية . واجدته على نعماته في البدء والختام سبحانه
مصدر كل فضل واحسان وامام

وكان القراغ من طبع هذه الملوية المباركة في يوم الاثنين ١٦ رجب القرد سنة ١٣٣٨ للهجرة
الموافق ٣ افريل (نيسان) سنة ١٩٢٠ م . مدينة مصر القاهرة عاصمة السلطنة المصرية

عبر المسح انطاكى

آيات العلوية المباركة

بلغ عدد آيات العلوية المباركة ٥٥٩٥ يتألف من ٥٥٩٥ آية فكانت بذلك أكبر قصيدة نظمت في اللغة العربية حتى يوم الناس هذا فضلاً عن أنها فذة في بابها لتضمنها حادثاً تاريخياً بمخافيه وما هي إلا قصيدة من قصائد سيدنا أمير المؤمنين جلالة عظمة السردار أرفع أفضل المحسنين



صفحة		صفحة
٢	صورة عظمة السردار أرفع	٢٤
٢	المقدمة	٢٤
٤	انواع الشعر	٢٦
٤	الشعر القصصي	٢٦
٥	معنى الملحة	٢٧
٦	كلمة في العلوية المباركة	٢٧
٧	عرض العلوية على الحضرة الخزعية	٢٨
٧	فريضة الحج	٢٩
٧	كلمة في الحج	٢٩
٨	خطاب أمير المؤمنين في الحج	٣٣
٩	جهاد عظمة السردار أرفع للعرب	٢٤
٩	تاريخ الحرب الاوربية العامة	٣٥
٩	نصيب العرب من الحرب الاوربية	٣٥
١٢	مساعي الناطم في سبيل العرب	٣٧
١٤	مناقب عظمة السردار أرفع	٣٧
١٧	شجاعة عظمة السردار أرفع وحروبه	٢٨
١٧	فضل عظمة المزمع في خدمة العرب	٣٨
١٨	ناصرة من نواصر عظمة السردار أرفع	٣٨
١٩	كرم عظمة السردار أرفع	٣٩
٢٠	قوى عظمة السردار أرفع	٤٠
٢١	دعاء الحجاج لعظمة السردار أرفع	٤١
٢٣	سبب نظم العلوية المباركة	٤٢
		٤٤

صفحة		صفحة
٤٤	شيء عن جزيرة العرب	٨٨
٤٥	الشعر العربي	٨٨
٤٧	إخلاق العرب	٩٠
٤٨	تضامن العرب	٩٢
٤٨	حلف الفضول	٩٢
٤٩	الاستراكية عند العرب	٩٤
٥٠	تاريخ قريش	٩٥
٥٢	إدراك العرب	٩٦
٥٤	حسب أمير المؤمنين ولسبه	٩٦
٥٥	والد أمير المؤمنين	٩٨
٥٥	ترجة أبي طالب وأولاده	١٠٠
٥٩	والدة أمير المؤمنين	١٠١
٥٩	ترجة والدة أمير المؤمنين	١٠٢
٦١	ولادة أمير المؤمنين	١٠٣
٦٢	ترية أمير المؤمنين	١٠٥
٦٢	حضانة المصطفى لأمير المؤمنين	١٠٥
٦٤	حديث أمير المؤمنين عن نفسه	١٠٦
٦٤	خطبة أمير المؤمنين عن نفسه	١٠٨
٦٥	كلمة في بداعة الوحي	١٠٨
٦٧	أمير المؤمنين ومعجزة الشجرة	١٠٩
٦٧	رواية أمير المؤمنين عن معجزة الشجرة	١١٠
٧٠	سبق أمير المؤمنين بالإسلام	١١٢
٧١	زواج المصطفى بتخديجة وترجتها	١١٤
٧٥	أمير المؤمنين وأظهار الدعوة	١١٤
٧٦	كيف أظهر المصطفى الدعوة لبني هاشم	١١٤
٧٩	أمير المؤمنين والمهجرة	١١٧
٨٠	استعداد قريش لبني هاشم	١١٧
٨١	المصطفى يمرض نفسه على القبائل	١٢١
٨٢	بيعة أهالي المدينة المصطفى	١٢٢
٨٥	مؤامرة قريش على المصطفى	١٢٥
٨٦	نوم المرتضى في فراش للمصطفى	١٢٨
٨٧	مجرة المصطفى إلى المدينة المنورة	١٢٧
٨٧	مجرة المرتضى إلى المدينة المنورة	١٢٨
٨٨	أمير المؤمنين وتاخي المسلمين	١٣٣
٨٨	المصطفى في طريقه إلى المدينة المنورة	
	كلمة عن أبي أيوب الأنصاري	
	تاريخ المدينة المنورة	
	كلمة عن الحرم المدني	
	كلمة في الأوس والخزرج	
	كلمة في الأخوة الإسلامية	
	تكنية أمير المؤمنين بأبي تراب	
	قرآن فاطمة الزهراء بأمير المؤمنين	
	بنات المصطفى	
	منزلة فاطمة الزهراء عند المصطفى	
	كيفية زواج المرتضى بسيدتنا فاطمة	
	كيف عقد المرتضى على فاطمة الزهراء	
	أمير المؤمنين والغزوات النبوية	
	كلمة في التوحيد الإسلامي	
	كيف شرع القتال في الإسلام	
	أمير المؤمنين في غزوة بدر الكبرى	
	تلخيص الغزوات النبوية التي قبل بدر	
	خلاصة ما كان في غزوة بدر الكبرى	
	أمير المؤمنين في غزوة أحد	
	تلخيص الغزوات التي كانت بين بدر وأحد	
	قتل كعب بن الأشرف	
	خلاصة ما كان في غزوة أحد	
	أمير المؤمنين وغزوة بني النضير	
	أمير المؤمنين في غزوة الخندق	
	تلخيص الغزوات بين النضير والخندق	
	خلاصة ما كان في غزوة الخندق	
	قتل المرتضى عمر بن ود	
	كلمة عن عمرو بن ود	
	أمير المؤمنين في يوم الحديبية	
	الحج قبل الإسلام	
	كيف يحج المسلمون	
	قصة الحديبية	
	أمير المؤمنين في غزوة خيبر	
	ما كان من نتائج صلح الحديبية	
	خلاصة غزوة خيبر	
	نادوة جرت بالمؤلف في المجلس الخزعلي	

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
١٣٤	أمير المؤمنين وأبو سفيان	١٣٤	مسير المصطفى للحج
١٣٤	مسير المصطفى للحج	١٣٥	غزوة مؤتة
١٣٥	مسير أبو سفيان إلى المدينة المنورة	١٣٥	كلمة عن الأسرة العلوية الطاهرة
١٣٨	أمير المؤمنين في فتح مكة	١٤٠	تاريخ مكة المكرمة
١٤٠	كلمة في إهالي مكة اليوم	١٤١	الزائرات في مكة المكرمة
١٤١	الزائرات في مكة المكرمة	١٤٣	النساء صالح الحديث
١٤٣	النساء صالح الحديث	١٤٥	خروج المصطفى لفتح مكة
١٤٥	خروج المصطفى لفتح مكة	١٤٩	فتح مكة المكرمة
١٤٩	فتح مكة المكرمة	١٥٠	عفو المصطفى عن كفار قريش
١٥٠	عفو المصطفى عن كفار قريش	١٥٠	تحطيم أصنام الكعبة
١٥٠	تحطيم أصنام الكعبة	١٥١	ترجمة أبي سفيان
١٥١	ترجمة أبي سفيان	١٥٣	تاريخ الكعبة المكرمة ومنها
١٥٣	تاريخ الكعبة المكرمة ومنها	١٥٨	أمير المؤمنين يصلح ما أفسد مخالف
١٥٨	أمير المؤمنين يصلح ما أفسد مخالف	١٥٩	سيرة خالد بن الوليد لبني جذيمة
١٥٩	سيرة خالد بن الوليد لبني جذيمة	١٦٠	ترجمة خالد بن الوليد
١٦٠	ترجمة خالد بن الوليد	١٦٣	أمير المؤمنين يهدي الجانيين
١٦٣	أمير المؤمنين يهدي الجانيين	١٦٣	أعمال المصطفى الحربية بعد فتح مكة
١٦٣	أعمال المصطفى الحربية بعد فتح مكة	١٦٤	إرسال خالد بن الوليد إلى همدان
١٦٤	إرسال خالد بن الوليد إلى همدان	١٦٤	هداية همدان على يد أمير المؤمنين
١٦٤	هداية همدان على يد أمير المؤمنين	١٦٦	كلمة في فتح قسطنطين
١٦٦	كلمة في فتح قسطنطين	١٦٦	أمير المؤمنين يحطم صنم طيء
١٦٦	أمير المؤمنين يحطم صنم طيء	١٦٦	ترجمة حاتم الطائي
١٦٦	ترجمة حاتم الطائي	١٦٩	مقارنة بين الكرم بين الخوارج والحقاني
١٦٩	مقارنة بين الكرم بين الخوارج والحقاني	١٧٠	حجة أمير المؤمنين على طيء
١٧٠	حجة أمير المؤمنين على طيء	١٧٢	أمير المؤمنين في غزوة تبوك
١٧٢	أمير المؤمنين في غزوة تبوك	١٧٢	أجمال ما كان في غزوة تبوك
١٧٢	أجمال ما كان في غزوة تبوك	١٧٢	تخلف أمير المؤمنين عن غزوة تبوك
١٧٢	تخلف أمير المؤمنين عن غزوة تبوك	١٧٤	أمير المؤمنين في حجة أبي بكر
١٧٤	أمير المؤمنين في حجة أبي بكر	١٧٤	حجة أبي بكر على عهد المصطفى
١٧٤	حجة أبي بكر على عهد المصطفى	١٧٥	إرسال الزهراء مع أمير المؤمنين
١٧٥	إرسال الزهراء مع أمير المؤمنين	١٧٥	حج المشركين بعد فتح مكة
١٧٥	حج المشركين بعد فتح مكة		
١٧٦	أمير المؤمنين يهدي مذبح		
١٧٦	نجاح أمير المؤمنين في بداية مذبح		
١٧٨	وصاية المصطفى للمرضى		
١٧٨	حجة الوداع		
١٨٠	وصاية المصطفى للمرضى في غدير خم		
١٨٣	أمير المؤمنين في مرض المصطفى		
	ووفاته عليهما الصلاة والسلام		
١٨٤	مرض المصطفى		
١٨٦	وفاة المصطفى		
١٨٧	غسل المصطفى وتكفينه		
١٨٧	دفن المصطفى وترتبه الشرفة		
١٨٩	عرض الخلافة على أمير المؤمنين		
١٩٠	نسب رسول الله		
١٩٠	أزواج المصطفى		
١٩٢	أولاد المصطفى		
١٩٣	كتاب المصطفى		
١٩٣	شعر المصطفى		
١٩٣	أشهر الحوادث التي تمت في حياة المصطفى		
١٩٧	أمير المؤمنين في خلافة أبي بكر		
١٩٧	سيرة أسامة بن زيد		
١٩٨	اجتماع قريش في سقيفة سعد		
١٩٨	بيعة أبي بكر		
٢٠٠	إباء أمير المؤمنين مباينة أبي بكر		
٢٠١	ترجمة أبي بكر		
٢٠٣	أمير المؤمنين في وفاة فاطمة الزهراء		
٢٠٣	حزن فاطمة الزهراء ووقاتها		
٢٠٥	تربة فاطمة الزهراء		
٢٠٦	أمير المؤمنين وخلافة عمر		
٢٠٧	عهد أبي بكر بالخلافة لعمر		
٢٠٩	مدفن أبي بكر		
٢١٠	تلقب عمر بأمير المؤمنين		
٢١١	أمير المؤمنين في خلافة عمر		
٢١١	رأي أمير المؤمنين في عمر		
٢١١	التزام على الخلافة		

٢٧١	وصاء أعداء أمير المؤمنين	٢١٢	عمر في دار أمير المؤمنين
٢٧١	ذكر هؤلاء الروساء وسبب هداوتهم	٢١٣	ترجمة عمر بن الخطاب
٢٧٢	عداء عائشة لأمير المؤمنين	٢١٦	لماذا ترك عمر الخلافة شورى لسته
٢٧٢	حيرة الناس في عداء عائشة	٢١٧	أمير المؤمنين والتاريخ الهجري
٢٧٤	عداء طلحة والزبير لأمير المؤمنين	٢١٧	كيف وضع التاريخ الهجري
٢٧٤	شيء عن طلحة والزبير	٢١٨	أمير المؤمنين في خلافة عثمان
٢٧٨	عداء معاوية لأمير المؤمنين	٢١٨	مقتل عمر بن الخطاب
٢٧٨	شيء عن عداء معاوية	٢٢١	وصية عمر بالشورى
٢٨١	ابتداء النزاع بين معاوية وعلي	٢٢٢	وفاة عمر
٢٨١	ترسل بنو أمية ومعاوية بدمقتل عثمان	٢٢٢	الملسكة الإسلامية على عهد عمر
٢٨٦	اعلان معاوية عداء أمير المؤمنين	٢٢٢	الشورى بعد عمر
٢٨٦	مسير أصحاب الجمل إلى البصرة	٢٢٣	بيعة عثمان
٢٨٦	مسير عائشة لمكة قبل مقتل عثمان	٢٢٤	الشرة الذين مات المصطفى وهو
٢٨٧	مسير طلحة والزبير لمكة بديعة علي	٢٢٤	راض عنهم وصفة ٥٩٠
٢٨٩	اجتماع طلحة والزبير وعائشة على عداء علي	٢٢٤	ترجمة أبي عبيدة بن الجراح
٢٩٠	سيرهم إلى البصرة	٢٢٥	ترجمة عبد الرحمن بن عوف
٢٩٠	عائشة وماء الجواب	٢٢٧	ترجمة سعد بن أبي وقاص
٢٩١	اصحاب الجمل على ابواب البصرة	٢٢٨	أمير المؤمنين في مقتل عثمان
٢٩٢	دخول اصحاب الجمل البصرة عنوة	٢٢٨	اسباب التفتيم على خلافة عثمان
٢٩٢	مسير أمير المؤمنين إلى البصرة	٢٣١	كلمة في أبي ذر رقيقه
٢٩٣	تهيب أمير المؤمنين للسير إلى البصرة	٢٣٧	الثورة على عثمان
٢٩٥	سير أمير المؤمنين إلى البصرة	٢٤٤	مقتل عثمان بن عفان
٢٩٦	وقود العرب على أمير المؤمنين في طريقه إلى البصرة	٢٤٥	كلمة انتقاد إلى الشيخ محمد الحفري
٢٩٧	مدد الكوفيين لأمير المؤمنين	٢٤٨	ترجمة عثمان بن عفان
٢٩٧	استنثار أمير المؤمنين الكوفيين للحرب	٢٥٠	مصنف عثمان
٢٩٧	ما كان من أمر أبي موسى في الكوفة	٢٥٠	ترجمة مروان بن الحكم
٣٠١	وصول مدد الكوفيين لأمير المؤمنين	٢٥٣	خلافة أمير المؤمنين
١٠١	مقابلة أمير المؤمنين لطلحة والزبير	٢٥٣	كلمة في سيدنا أمير المؤمنين يوم بيته
٣٠١	حقيقة عرض أمير المؤمنين من الحقوق بأصحاب الجمل	٢٥٤	التأثرون بعد مقتل عثمان
٣٠٢	ما كان بين أمير المؤمنين وطلحة والزبير	٢٥٤	كبار المهاجرين بعد مقتل عثمان
٣٠٤	اعراض الزبير عن أصحاب الجمل	٢٥٥	زعامة الامويين بعد مقتل عثمان
٣٠٤	حرج موقف الزبير	٢٥٦	كيفية بيعة أمير المؤمنين
		٢٦٠	خضعت أمير المؤمنين في خلافته
		٢٦٠	حال الخلافة عندما تولاه أمير المؤمنين
		٢٦٤	أول مشاكل خلافة أمير المؤمنين
		٢٦٧	شرح اسباب الانتفاض على سيدنا علي

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٣٠٤	امروا أصحاب الجبل على الزير	٣٠٤	امروا أصحاب الجبل على الزير
	للبقاء معهم		للبقاء معهم
٣٠٧	بدء واقعة الجبل	٣٠٧	بدء واقعة الجبل
٣٠٧	كيف ابتدأت موقعة الجبل	٣٠٧	كيف ابتدأت موقعة الجبل
٣٠٨	قرار الزبير من الحرب	٣٠٨	قرار الزبير من الحرب
٣٠٨	انتصار أمير المؤمنين في موقعة الجبل	٣٠٨	انتصار أمير المؤمنين في موقعة الجبل
٣٠٨	اغراء طلحة أصحاب الجبل على حرب	٣٠٨	اغراء طلحة أصحاب الجبل على حرب
٣٠٨	أمير المؤمنين	٣٠٨	أمير المؤمنين
٣٠٨	اشتداد موقعة الجبل	٣٠٨	اشتداد موقعة الجبل
٣١١	هلاك الجبل وانتصار أمير المؤمنين	٣١١	هلاك الجبل وانتصار أمير المؤمنين
٣١١	دخول أمير المؤمنين البصرة	٣١١	دخول أمير المؤمنين البصرة
٣١٢	مسير الزبير بن العوام	٣١٢	مسير الزبير بن العوام
٣١٢	فرار الزبير ومقتله وقاتله	٣١٢	فرار الزبير ومقتله وقاتله
٣١٥	حادثة في الحيرة تظهر حلم عظيمة	٣١٥	حادثة في الحيرة تظهر حلم عظيمة
	السرदार أرفع		السرदार أرفع
٣١٧	ترجمة الزبير	٣١٧	ترجمة الزبير
٣١٩	ترجمة عبد الله بن الزبير	٣١٩	ترجمة عبد الله بن الزبير
٣٢٢	مسير طلحة بن عبد الله	٣٢٢	مسير طلحة بن عبد الله
٣٢٢	كلمة في طلحة وعدائه لثمان	٣٢٢	كلمة في طلحة وعدائه لثمان
٣٢٤	ترجمة طلحة	٣٢٤	ترجمة طلحة
٣٢٦	مسير عائشة أم المؤمنين	٣٢٦	مسير عائشة أم المؤمنين
٣٢٦	ما كان من أمر عائشة بعد الجبل	٣٢٦	ما كان من أمر عائشة بعد الجبل
٣٢٧	رجوع عائشة للمدينة بطريق مكة	٣٢٧	رجوع عائشة للمدينة بطريق مكة
٣٢٧	ترجمة عائشة	٣٢٧	ترجمة عائشة
٣٢٩	مراقبة معاوية لموقعة الجبل	٣٢٩	مراقبة معاوية لموقعة الجبل
٣٢٩	معاوية وموقعة الجبل	٣٢٩	معاوية وموقعة الجبل
٣٣١	معاوية بعد موقعة الجبل	٣٣١	معاوية بعد موقعة الجبل
٣٣٢	أمير المؤمنين ومعاوية	٣٣٢	أمير المؤمنين ومعاوية
٣٣٢	دخول أمير المؤمنين الكوفة	٣٣٢	دخول أمير المؤمنين الكوفة
٣٣٣	إرسال أمير المؤمنين رسوله لمعاوية	٣٣٣	إرسال أمير المؤمنين رسوله لمعاوية
٣٣٣	رسول أمير المؤمنين عند معاوية	٣٣٣	رسول أمير المؤمنين عند معاوية
٣٣٤	كلمة في الخلافة	٣٣٤	كلمة في الخلافة
٣٣٦	معاوية وعمر بن العاص	٣٣٦	معاوية وعمر بن العاص
٣٣٦	ارتباك معاوية في أمره بعد الجبل	٣٣٦	ارتباك معاوية في أمره بعد الجبل
٣٣٦	دهوة معاوية لابن العاص	٣٣٦	دهوة معاوية لابن العاص
٣٣٧	انقسام ابن العاص لمعاوية	٣٣٧	انقسام ابن العاص لمعاوية
٣٣٨	ترجمة عمرو بن العاص	٣٣٨	ترجمة عمرو بن العاص
٣٣٩	معاوية يعلن العصيان	٣٣٩	معاوية يعلن العصيان
٣٤٢	كيف أعلن معاوية العصيان	٣٤٢	كيف أعلن معاوية العصيان
٣٤٣	بيعة أهل الشام لمعاوية	٣٤٣	بيعة أهل الشام لمعاوية
٣٤٣	رد معاوية رسول أمير المؤمنين	٣٤٣	رد معاوية رسول أمير المؤمنين
٣٤٤	ترجمة جبريل رسول أمير المؤمنين لمعاوية	٣٤٤	ترجمة جبريل رسول أمير المؤمنين لمعاوية
٣٤٥	مسير أمير المؤمنين إلى الشام	٣٤٥	مسير أمير المؤمنين إلى الشام
٣٤٥	كيف دخل أمير المؤمنين الكوفة	٣٤٥	كيف دخل أمير المؤمنين الكوفة
٣٤٧	كيف سار أمير المؤمنين إلى الشام	٣٤٧	كيف سار أمير المؤمنين إلى الشام
٣٤٧	رجوع النخس لأمير المؤمنين	٣٤٧	رجوع النخس لأمير المؤمنين
٣٤٨	إشارة أمير المؤمنين لفاجعة كربلاء	٣٤٨	إشارة أمير المؤمنين لفاجعة كربلاء
٣٤٨	عظمة أمير المؤمنين للدهاقين	٣٤٨	عظمة أمير المؤمنين للدهاقين
٣٤٩	شيء عن عظمة السرदार أرفع	٣٤٩	شيء عن عظمة السرदार أرفع
٣٤٩	إخراج أمير المؤمنين الماء من الصخرة	٣٤٩	إخراج أمير المؤمنين الماء من الصخرة
٣٥٠	شيء عن الرقة والبيشم	٣٥٠	شيء عن الرقة والبيشم
٣٥١	شهادة الزاهد لأمير المؤمنين	٣٥١	شهادة الزاهد لأمير المؤمنين
٣٥٢	مسير معاوية للقضاء جيش العراق	٣٥٢	مسير معاوية للقضاء جيش العراق
٣٥٢	نصائح عمرو بن العاص لمعاوية	٣٥٢	نصائح عمرو بن العاص لمعاوية
٣٥٣	تحذير أهل الشام من محاربة أمير المؤمنين واضطرام	٣٥٣	تحذير أهل الشام من محاربة أمير المؤمنين واضطرام
٣٥٤	موضع موقعة صفين وقاربها	٣٥٤	موضع موقعة صفين وقاربها
٣٥٤	شيء عن موضع صفين	٣٥٤	شيء عن موضع صفين
٣٥٤	مقدمات موقعة صفين	٣٥٤	مقدمات موقعة صفين
٣٥٤	ابتداء موقعة صفين	٣٥٤	ابتداء موقعة صفين
٣٥٤	كيف ابتدأت موقعة صفين	٣٥٤	كيف ابتدأت موقعة صفين
٣٥٦	هذنة محرم سنة ٣٧ هجيرة	٣٥٦	هذنة محرم سنة ٣٧ هجيرة
٣٥٦	كيف كانت الهدنة	٣٥٦	كيف كانت الهدنة
٣٥٧	الأسهر الحرم	٣٥٧	الأسهر الحرم
٣٥٨	تحريم النسيء	٣٥٨	تحريم النسيء
٣٥٩	عودة الحرب في صفر	٣٥٩	عودة الحرب في صفر
٣٥٩	قتل المساعي الساجية لنهوا القتال	٣٥٩	قتل المساعي الساجية لنهوا القتال
٣٥٩	اشتباك الموقعة	٣٥٩	اشتباك الموقعة
٣٦٤	أمير المؤمنين يطلب مبارزة معاوية	٣٦٤	أمير المؤمنين يطلب مبارزة معاوية
٣٦٤	هجوم أمير المؤمنين على مسكر معاوية	٣٦٤	هجوم أمير المؤمنين على مسكر معاوية

صفحة	موضوع
٤٠٤	احكام معاوية عن مبارزة أمير المؤمنين
٤٠٨	ترجمة عمار بن ياسر
٤٠٨	مؤامرة معاوية وعمرو بن العاص
٤٠٩	ظهور غلبة جيش أمير المؤمنين
٤٠٩	ليلة الهريد
٤١٠	مؤامرة عمرو بن العاص
٤١٣	رفع المصاحف وطلب التحكيم
٤١٣	تأثير رفع المصاحف على اصحاب علي
٤١٣	مذاكرة أمير المؤمنين اصحابه
٤١٤	الخلاف في جيش أمير المؤمنين
٤١٦	رأي أمير المؤمنين في التحكيم
٤١٦	الشغب في جيش أمير المؤمنين
٤١٧	كيف حدث ذلك الشغب
٤١٧	اكرام أمير المؤمنين على قبول التحكيم
٤١٨	ترجمة الاشتر
٤١٩	الهد الطوي البدع للاشتر
٤٢١	الرضا بالتحكيم
٤٢٤	اعلان الهدنة والرضا بالتحكيم
٤٢٤	تعيين الحكيمين
٤٢٥	كيف كان تعيين الحكيمين
٤٢٦	ترجمة الاشعث
٤٢٧	صديقة الهدنة
٤٢٧	صورة صحيفة الهدنة
٤٢٩	انكار تلقب سيدنا علي بأمير المؤمنين
٤٢٩	تأثير الحكومة على الناس
٤٣٠	رضاء اصحاب معاوية بالحكومة
٤٣١	اباء اصحاب علي بالحكومة
٤٣٣	رفض أمير المؤمنين نكث الهد
٤٣٤	الحكمان
٤٣٥	كيف ودع الاشعري اصحاب علي
٤٣٧	كيف ودع ابن العاص اصحاب معاوية
٤٤٠	تشيع الاشعري لعمرو بن الخطاب
٤٤١	اعلان حكم الحكيمين
٤٤١	ما كان من أمر الحكيمين في دومة الجندل
٤٠٤	اعلان الحكم وشغب اصحاب علي
٤٠٨	معاوية بعد نأ التحكيم
٤٠٨	عمرو بن العاص بعد التحكيم
٤٠٩	أمير المؤمنين بعد نأ التحكيم
٤٠٩	خطاب أمير المؤمنين بعد التحكيم
٤١٠	قصة قصير
٤١٣	أمير المؤمنين ومؤلفوه
٤١٣	ايات هريد بن الصمة
٤١٣	انجذاب الناس بأمير المؤمنين
٤١٤	قصة مؤلفي أمير المؤمنين
٤١٦	أمير المؤمنين وصاحب الحلوى
٤١٦	حكاية صاحب الحلوى
٤١٧	أمير المؤمنين واخوه عقيل
٤١٧	مساواة أمير المؤمنين الناس بالعلماء
٤١٨	حكاية عقيل مع أمير المؤمنين
٤١٩	ارواح عقيل للشام وحديثه مع معاوية
٤٢١	ترجمة عقيل
٤٢٤	أمير المؤمنين والريبع بن زياد
٤٢٤	ترجمة الريع بن زياد
٤٢٥	عبادة أمير المؤمنين لان زياد
٤٢٦	نصيحة أمير المؤمنين لابي زياد
٤٢٧	أمير المؤمنين ومادحوه
٤٢٧	خطاب أمير المؤمنين لمادحيه
٤٢٩	اغارة معاوية على بلاد الخلافة
٤٢٩	حديث مصر
٤٣٠	ولاية محمد بن أبي بكر على مصر
٤٣١	مسير عمرو بن العاص لفتح مصر
٤٣٣	مقتل محمد بن أبي بكر
٤٣٤	ترجمة محمد بن أبي بكر
٤٣٥	هجوم اصحاب معاوية على البصرة
٤٣٧	استيلاء بسر بن ارمطة على الحجاز واليمن
٤٤٠	استخلاص جارية الحجاز واليمن من بسر
٤٤١	هجوم أبي غامد على الانبار
٤٤١	ما فعله ابو غامد في الانبار

صفحة	موضوع	صفحة
٤٨١	خطاب أمير المؤمنين في الجهاد	٤٤٣
٤٨٢	اجمال الحال	٤٤٥
٤٨٤	سب طاعة الناس معاوية وعصيانهم علياً	٤٤٥
٥٠٧	المؤامرة على امراء المسلمين	٤٤٨
٥١٠	كلمة في الاشقياء فتلاوة ومؤامرتهم	٤٤٨
٥١٠	معرفةنا عن هذه المؤامرة	٤٥٠
٥١١	موتورة النهروان — حكاية الخوارج	٤٥١
٥١٣	من هي موتورة النهروان	٤٥٤
٥١٤	غرام ابن ملجم لعنه الله	٤٥٤
٥١٥	وصول ابن ملجم للكوفة وغرامه	٤٥٤
٥١٦	وداع ابن ملجم لحبيته	٤٥٧
٥١٧	الحجج التي كان يحتج بها الخوارج	٤٥٧
٥١٨	النصطقي والمرقضي	٤٥٩
٥١٩	كيف رأى المرتضى المصطفى	٤٥٩
٥٢٠	جرح أمير المؤمنين	٤٦١
٥٢١	كيف كانت الجريمة	٤٦١
٥٢٤	جرح معاوية وسلامته	٤٦٤
٥٢٥	كيف جرح وسلم معاوية	٤٦٤
٥٢٦	ترجمة معاوية	٤٦٤
٥٣٠	نجاة عمرو بن العاص	٤٦٧
٥٣٢	كيف نجى ابن العاص	٤٦٧
٥٣٣	وصية أمير المؤمنين للحسين	٤٦٨
٥٣٦	مداواة أمير المؤمنين	٤٦٨
٥٣٩	نسب وصية أمير المؤمنين	٤٦٩
٥٤٢	وفاة أمير المؤمنين وراثته	٤٧١
٤٤٣	كيف كانت وفاة أمير المؤمنين	٤٧١
٤٤٣	ترجمة سيدنا علي	٤٧٢
٤٤٣	غسل أمير المؤمنين ودقه	٤٧٥
٤٤٣	موضع مدفن أمير المؤمنين	٤٧٥
٤٤٣	تاريخ الكوفة	٤٧٥
٤٤٣	الروضة الطوية	٤٧٦
٤٤٣	الاقتصاص من الملعون ابن ملجم	٤٧٨
٤٤٣	كلمة في الحسين	٤٧٩
٤٨١	بيعة سيدنا الحسن	
٤٨٢	تنازل الحسن بالخلافة لمعاوية	
٤٨٤	فاجعة المالمين في مقتل الحسين	
٥٠٧	كربلاء — ترجمة يزيد بن معاوية	
٥١٠	فضائل أمير المؤمنين	
٥١٠	كلمة في فضائل أمير المؤمنين	
٥١١	عناية الله بأمير المؤمنين	
٥١٣	عبادة أمير المؤمنين	
٥١٤	أمر المؤمنين وتفسير القرآن	
٥١٥	أمر المؤمنين وقرآءة القرآن	
٥١٦	علم أمير المؤمنين	
٥١٧	أمر المؤمنين والعلم الالهي	
٥١٨	أمر المؤمنين وعلم الفقه	
٥١٩	أمر المؤمنين وعلم التصوف	
٥٢٠	أمر المؤمنين وعلم النحو	
٥٢١	شجاعة أمير المؤمنين	
٥٢٤	قوة أمير المؤمنين	
٥٢٥	جهاد أمير المؤمنين	
٥٢٦	حلم أمير المؤمنين وعقوه	
٥٣٠	رأي أمير المؤمنين وتديبه	
٥٣٢	شدة أمير المؤمنين في سياسته	
٥٣٣	الراعي والريعية في نظر أمير المؤمنين	
٥٣٦	سخاء أمير المؤمنين	
٥٣٩	فصاحة أمير المؤمنين وبلاغته	
٥٤٢	زهد أمير المؤمنين	
٤٤٣	وصف أمير المؤمنين لزهده	
٤٤٣	نصيحة أمير المؤمنين لأماله على البصره	
٤٤٣	لوم أمير المؤمنين أهالي البصره	

صفحة	موضوع	صفحة
٥٤٤	ترجمة عثمان بن حنيف	٥٧٧
٥٤٦	محاسن أخلاق أمير المؤمنين	٥٧٧
٥٤٦	تفصيل محاسن أخلاق أمير المؤمنين	٥٧٨
٥٤٧	منزلة أمير المؤمنين عند الناس	٥٧٨
٥٤٧	منزلة أمير المؤمنين عند أهل الذمة	٥٧٩
٥٤٨	منزلة أمير المؤمنين عند الترك والديلم	٥٨٠
٥٤٩	محبو أمير المؤمنين وبغضوه	٥٨١
٥٤٩	حديث المصطفى ورواية الصحابة	٥٨٢
٥٤٩	شهادة سيد المرسلين لا أمير المؤمنين	٥٨٢
٥٤٩	نص الشهادة	٥٨٢
٥٥٠	عجوز تصف أمير المؤمنين	٥٨٢
٥٥٠	قصة العجوز عند معاوية	٥٨٣
٥٥٢	نصائح أمير المؤمنين لابنه الحسن	٥٨٤
٥٥٢	نصائح النصارى العلوية البديعة	
٥٦٧	مقتبسات من حكم أمير المؤمنين	
٥٦٧	الحكمة العلوية	
٥٦٧	أحدى طرف عظمة الجردار أرفع	
٥٦٨	وصية المير نصرة الملك وثنى عنه	
٥٧٠	حسن التحية وشكر النعمة	
٥٧٢	شيء عن سمو الشيخ عبد الحميد خان	
٥٧٢	خير الرجال	
٥٧٢	الشفيع جناح الطالب	
٥٧٣	فأعل الخير خير منه - المرء كثير	
	بإخوانه - حب الخلود - رب أخ	
	لم تلده أمك	
٥٧٤	الصديق الخذاع - الحق والباطل -	
	إن أفلت اللسان عقر - اللسان يجلب	
	الهوان - الغو شكر القدره .	
٥٧٥	مخالطة الناس - الدنيا وأهلها - من	
	وخي من نفسه كثر الساخط عليه المسألة	
	حب الميوب - القناعة مال لا ينفد .	
٥٧٦	النبي والنون - الزهد نزوة	
	السلامة في التسليم - صدر المائل	
	مرء - الصبر - عيبك مستور	
	ما أسعجك جدك	
	مرء النفوس متاب	
	طرفة خزعلية	
	شيء عن سمو الشيخ عبد الحميد	
	العلم والملك	
	أحدى الطرف الخزعلية	
	الانجبال الكرام عبد العزيز وعبد	
	الكريم وعبد الله حفظهم الله	
	نصيحة أمير المؤمنين لكامل	
	إن الله يحب المحسنين	
	قيمة كل امرء ما يحسنه	
	وأما بنعمة ربك فحدث	
	طرفة خزعلية	
	لم يذهب من مالك ما وعظك	
	اليتاشة حالة الودعة - أبا الطيب	
	أشرف نفسك - خير الوصايا الهية	
	والحياء - الجبن منقصة - المسفل	
	والجمل والأدب المشورة - الأفرط	
	والفرط - حروف الدهر .	
	المرء ومعلمه - العقل غريب في بلده	
	البدون أخوان الشاطين	
	إذا لم يكن ما تريد فلاجل كيف تكون -	
	الشكوى لغير الله مثله - من حذرك	
	كن بشرك - ذنوب المروآت .	
	البخل طار القدر أغرس - في الشكر	
	دوام النعم - التكفير عن الذنوب -	
	الصبر شجاعة - انتهاز القرم .	
٥٨٨	مسك الحتام	
٥٨٩	ناظم العلوية في الظلال الخزعلية	
٥٩٠	الصحابة الشرة	
٥٩١	ترجمة سيد بن زيد	
٥٩٢	استدراك واعتذار ورجاء	
٥٩٣	عدد آيات العلوية المباركة	
٥٩٣	فهرست العلوية المباركة	

مطبعة رعميس بالفجالة آتقن المطابع المصرية
وأكثرها تساهلاً، والخابرة مع صاحبها :
كبرتن تاجر المنقباوي

